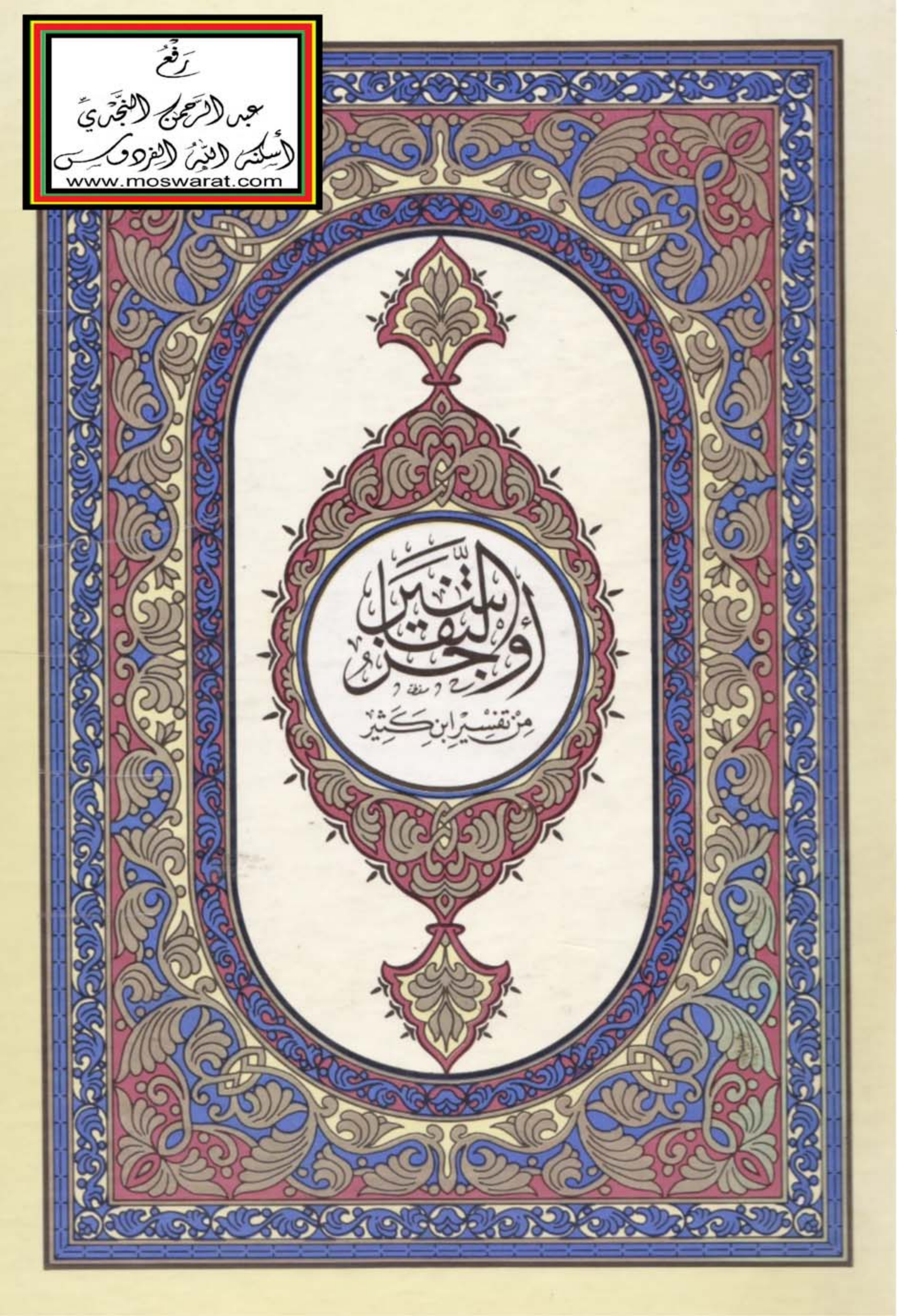
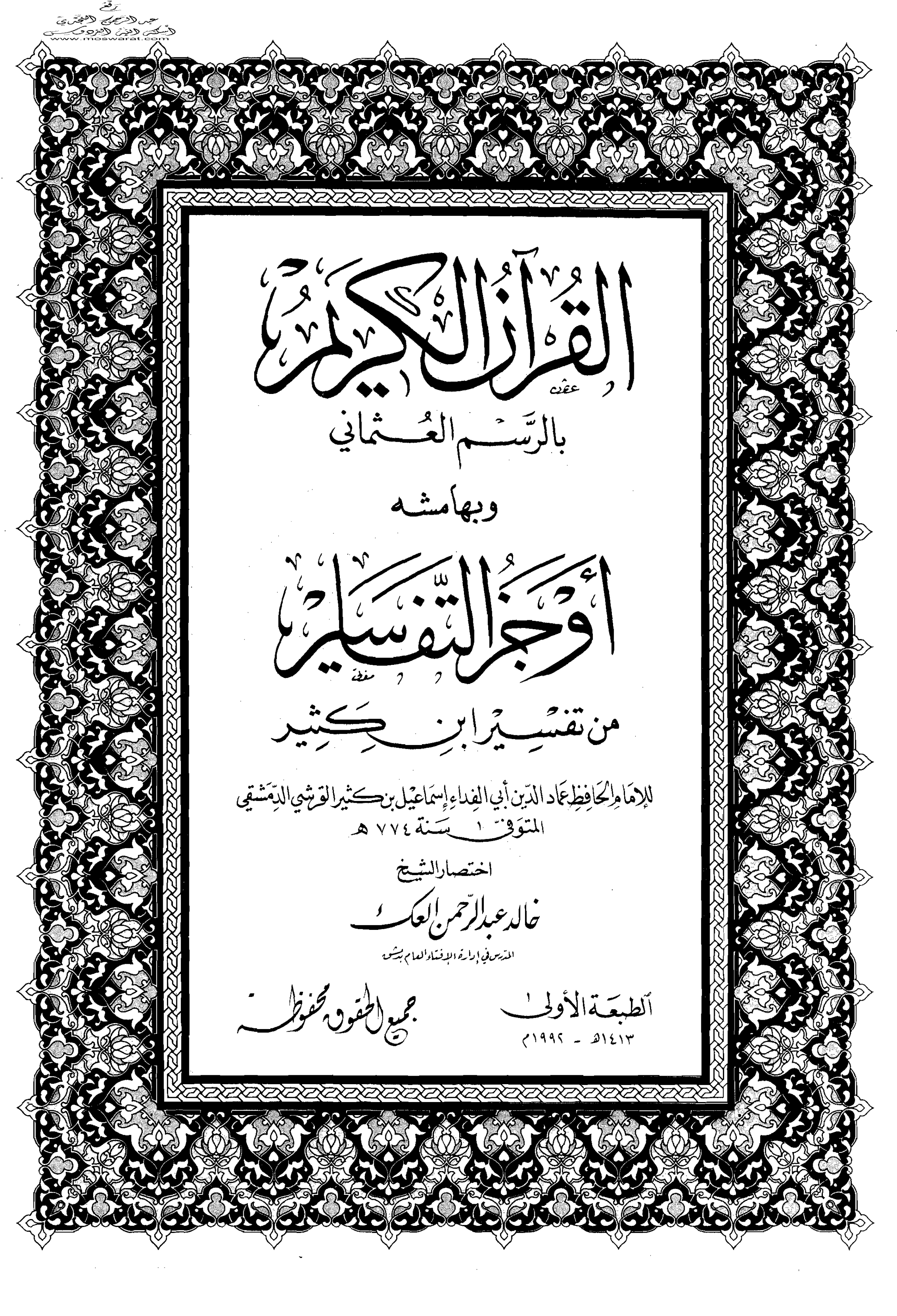


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
أوجز التفاسير
من تفسير ابن كثير


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



القرآن الكريم

بالرسم العثماني

وبهامشه

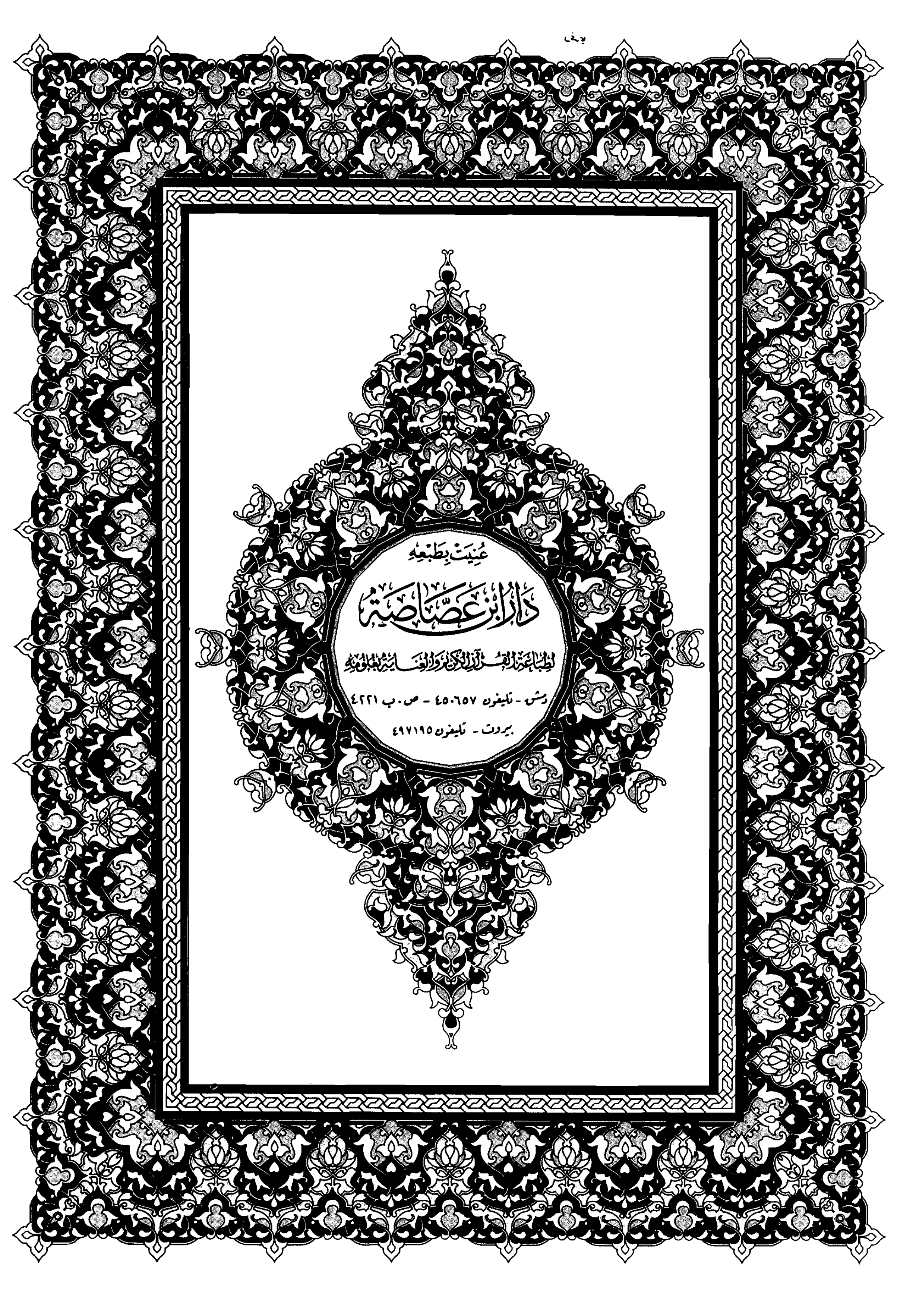
أوجز التفاسير

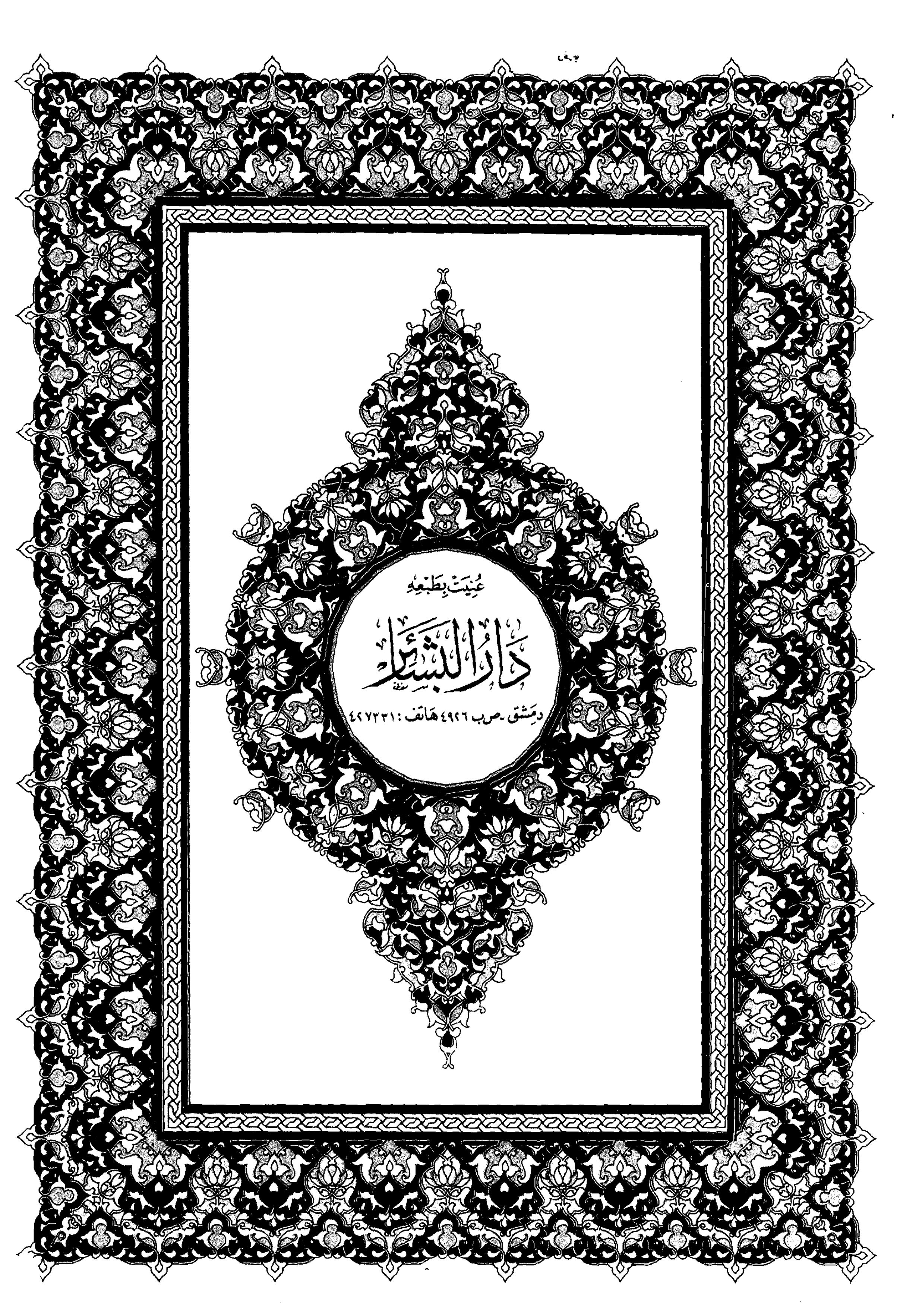
من تفسير ابن كثير

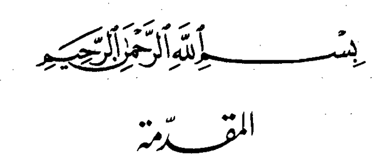
للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

اختصار الشيخ
خالد عبد الرحمن العك
المدرس في إدارة الإفتاء العام بدمشق

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م


عُنيت بطبعه
دار ابن عصاصة
لطباعة القرآن الكريم والعناية بعلومه
دمشق - تليفون ٤٥٠٦٥٧ - ص . ب ٤٢٢١
بيروت - تليفون ٤٩٧١٩٥


عُنيت بطبعه
دار البشائر
دمشق ـ ص.ب ٤٩٢٦ هاتف : ٤٢٧٢٣١



المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين الرحمنِ الرحيم ؛ الذي نزّلَ القرآن الكريم على أشرف وخاتم المرسلين ، والذي جعله حُجّةَ الإسلامِ على العالَمين ، إلى يوم الدِّين .

والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنا محمد رسول الله الأمين، الذي بلّغ ما أوحيَ إليهِ من الذكر الحكيم ، فكان بهِ صاحبَ الدِّينِ القويم ، والصراطِ المستقيم ، الذي دعا من خلاله إلى منهاجِ ربِّ العالمين ، فصلى اللهعليه وآله وصحبه أجمعين ومن تبعه من أُمّته إلى يوم الدِّين .

وبعد :

روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنّة :

أنّ رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم يروي عن ربِّهِ تبارك وتعالى أنّه قال : ﴿ إنّما بعثتُكَ لأَبْتَلِيَكَ ، وأَبْتَلِيَ بِكَ ، وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يَغْسِلُهُ الماءُ ، تقرؤُهُ نائماً ويَقْظاناً ﴾ .

فهذا الكتابُ الكريمُ كلامُ ربِّ العالمين محفوظٌ من الزوالِ والاندثارِ حتى يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها ، حيثُ يرفعُهُ اللهُ تعالى إليه ؛ فمنهُ خرجَ وإليه يعُودُ .

هذا الكتابُ العظيمُ الذي تكفّلَ اللهُ تباركَ وتعالى بحفظهِ ورعايتهِ فيما أخبرَ بهِ عن ذلك في قولهِ الحقّ : ﴿ إِنّا نحنُ نزّلنا الذِّكْرَ وإنّا لهُ لَحافِظُون ﴾ ؛ قد شرّفَ بهِ أُمّةَ نبيّهِ ورسولِهِ ومصطفاهُ وحبيبهِ محمدٍ صلى اللهعليه وآله وسلم ، فجعلَها صاحبةَ الشأنِ العظيمِ بوراثةِ هذا الكتابِ الكريمِ عن رسول ربِّ العالمين ، وذلك فيما بيّنه في آي الذكر الحكيم حيث يقول سبحانه : ﴿ والذي أَوْحَيْنا إليكَ من الكتابِ هو الحقُّ مُصَدِّقاً لما بينَ يَدَيْهِ إنّ اللهَ بعبادِهِ لَخَبيرٌ بَصِيرٌ . ثُمَّ أَوْرَثْنا الكتابَ الذينَ اصْطَفَيْنا من عبادِنا فمنهُمْ ظالِمٌ لنفسِهِ ومنهُمْ مُقْتَصِدٌ ومنهُمْ سَابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللهِ ، ذلِكَ هوَ الفضْلُ الكبير ﴾ ؛ فأخبر سبحانه في هاتين الآيتين من سورة فاطر : أنّ هذا الكتابَ الذي أوحاه إلى رسوله الكريم محمدٍ عليه الصلاة والسلام هو الحقُّ المُصدّقُ لما أُنزلَ من قبله من الوحي على إخوانه الأنبياء والمرسلين ؛ اصطفى لوِرَاثتِهِ أُمّتَهُ لتكونَ به خيرَ أمّة أخرجتْ للناس تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكرِ وتُؤمنُ باللهِ ، فكانتْ كما أرادَ اللهُ تعالى لها فَسَعِدَتْ بهِ في دِيْنِها ودُنْيَاها وآخرتِها ، وذلك هو الفضلُ الكبيرُ .

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم [فيما رواه الحاكم بسندٍ صحيح] : « إنّ للهِ أَهْلِيْنَ منَ الناسِ » ؟! قالوا : مَن هُمْ يا رسولَ الله ؟ قالَ : « أهلُ القرآن !! هُمْ أَهْلُ اللهِ وخاصّتُهُ » فَيَا هَنَاءَ مَن كانَ منهم ، ونالَ هذا الشرفَ العظيم والنَّسَبَ الكريم !!..

فما أحقَّ الأعمارَ أن تُقضَى بتلاوتهِ ! وما أَجْدَرَ الأيامَ أن تمضي على منهاجهِ ! وما أحْرَى الناسَ أن يَسِيْرُوا علىٰ هَدْيِهِ ! وما أَجْمَلَ العُقُولَ أن تَسْتَنِيْرَ بنُورهِ !

هذا .. ولما كان الاهتمامُ بالقرآن الكريم من الواجبات الإسلامية ؛ فقد قمتُ بالسعي نحو تحقيق هذا الواجب الشريف بالمشاركة مع مدير دار « ابن عصاصة لطباعة القرآن الكريم وعلومه » حفظه الله تعالى ورعاه ، الذي حملَ أمانةَ خدمةِ كتابِ اللهِ عزّ وجلّ وتفسيرهِ وعلومِهِ ، فبذلَ مالَهُ وجُهْدَهُ وخبرتَهُ في سبيلِ هذا العملِ المبرُورِ ، فأصدرَ العديدَ مِنْ طَبَعَاتِ المُصْحَفِ الشّريفِ ، ذاتِ الحُلَلِ القَشِيبَةِ ، المُتّسِمَةِ بالعِنَايَةِ والضّبطِ والإتقانِ ، ثم اتّجهتْ رغبتُهُ إلى إصْدَارِ طَبَعاتٍ من المصاحفِ الشريفةِ المُوَشّاةِ بالهَوامِشِ التّفْسِيرِيّةِ والتّعليقاتِ العلميةِ ، مع ذكرِ الأحاديثِ النبويّةِ عندَ العديدِ منَ المناسباتِ القرآنيّةِ ؛ وذلك لتحقيقِ أكبرِ قدرٍ ممكنٍ لإفادةِ القارىءِ . وكان من بالغ السُّرورِ تولّي دار « البشائر » العامرة بإدارة الأستاذ « عادل عسّاف » حفظه الله تعالى ورعاه ، نَشْرَ مايصدرُ من هذه الأعمالِ المباركةِ ، فقامتْ بنشرِ أوّلها ألا وهو « أوجزُ التفاسيرِ في اختصارِ تفسيرِ ابنِ كثير » رحمه الله تعالى . هذا وأنّي قدْ قرنتُ القولَ بالعمل ، والأمنيةَ بالفعل ؛ فيسّرَ اللهُ تبارك وتعالى لي سلوكَ هذا السبيلِ النبيلِ ، وهَوّن عليّ مَشاقّهُ ومتاعِبَهُ ، فَسَاهَمْتُ فكنتُ مِنَ المُكرَمين بفضل ربِّ

العاملين في اختصار « تفسير القرآن العظيم » للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ؛ فأتى معي بأوجزِ عبارةٍ وأسهلِها وأوضحِها وأبينِها ، وكيف لا يكون ذلك والكلام كلام الإمام ابن كثير بالحرف الواحد ، فلم آتِ بشيءٍ ابتكرتُهُ ولا بأمرٍ ابتدعته ، سوى أني قمتُ باختصارِ أوضحِ تفسيراتِهِ وأبينِ تأويلاتِهِ ، فنقلتُها بكلِّ أمانةٍ ودقّةٍ ، وأثبتُّها بكلِّ درايةٍ ورَويةٍ ، فأتى بحمد الله تعالى [**أوجز التفاسير في اختصار تفسير ابنِ كثير**] ، بغير إخلالٍ ولا تقصير ، ولا تَعْقيدٍ ولا تعسير ، فجاءَ بفضلِ اللهِ تعالى بأوضح عبارة وأجمل إشارة إلى معاني كلام الله القدير ؛ فكان بحقٍّ كرامةً أكرَمَنِيها العزيزُ الجليل ، بأن جعلني من العاملين في مضمار خدمة مَعَالِمِ التنزيل ، فللّه الحمد والشكر على هذا الفضل الجزيل ..

ولقد قدّمتُ بينَ يَدَي هذا التفسير بحوثاً هامّةً في مجال علوم القرآن وعلم التفسير ، مِن مُقدّماتٍ من أصولِ التفسير وقواعدِهِ ، ثم ذكرتُ ترجمةَ الإمام الحافظ ابن كثير ، ومنهجَهُ في تفسيره ، ثم ذكرتُ الخُطّةَ المنهجيّة التي سلكتُها في اختصار هذا التفسير الكبير ، ثم عقّبتُ بذكر أهم قواعد التجويد والترتيل . ثم أعقبتُ ذلك بذكر مجمل «تاريخ جمع القرآن وتدوينه» ثم ألحقتُ هذا التفسير بتاريخ نزول سور القرآن الكريم.

وإني لأتوسّلُ إلى الله تبارك وتعالى بأحبِّ شيءٍ إليه (وهو كلامه الكريم) أن يمنَّ عليّ بالهداية والتوفيق والثبات على الحقّ ، وأن يُجنبني مواطنَ الخطأ والخطل ؛ وأن يجعلَ عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن لا يجعلَ ما عجّلَهُ لي من فضله الكريم في هذه الدنيا مَنقصَةً فيا أبتغيه عنده من الأجر الجزيل يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بَنون إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم .. ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ حَسَنةً وقِنا عذابَ النّار .

ربَّنا عليكَ توكلنا وإليكَ أنبنا وإليكَ المصير ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العَلِيِّ العظيم ، وهو حسبُنَا ونِعمَ الوكيل ، ونعمَ المولى ونعمَ النصير ..

ربِّ اغفرْ لي ولوالديّ ربِّ ارحمهما كما ربَّياني صغيراً .

دمشق : سحر يوم الجمعة / الخامس من شهر ذي الحجة ١٤٠٦هـ
الموافق لـ / ٩ آب / ١٩٨٦م

خادم القرآن الكريم
خالد بن عبد الرحمن العك
المدرس في إدارة الإفتاء العام
بدمشق

الخطة المنهجية في هذا المختصر

تتلخّص الخطة المنهجية في اختصاري لتفسير الإمام ابن كثير على الشكل التالي :

أولاً : التقيُّد بطريقة ابن كثير في تفسيره للآيات الكريمة ؛ فهو إمّا يُفسِّرُ الآيةَ تفسيراً إجمالياً ، وإمّا يُفسِّرُها تفسيراً تفصيلياً ، يُجزِّئُ الآية من خلاله . وعلى هذا سَيْرُ اختصاري باطراد .

ثانياً : المحافظةُ على عبارة ابن كثير في تفسيره أو في مرويّاته ؛ إلا ما دعت إليه ضرورة الاختصار لربط العبارات بعضها مع بعض ، مع مراعاة موقع الكلمة من الجملة من حيث الإعراب ، وهذا يسيرٌ جدّاً بالنسبة لعامّة الاختصار .

ثالثاً : قَصْرُ العبارات المطوّلة على قدر ما تُؤدَّى به المقاصدُ التفسيريّة ، والأغراض البيانيّة ، والمعاني القرآنيّة ؛ من غيرِ خَلَلٍ في أصل التعبير ، أو بُعدٍ عن المُراد .

رابعاً : حذفُ الأبحاث التي يتطرّق إليها في عرض أقوال السلف والفقهاء ، فيما يتوسّع فيه من التفسير والتفصيل حول الآيات الكريمة .

خامساً : الاقتصارُ على ذكر الآيات والأحاديث المتعلقة بالآية المراد تفسيرها . وحذف ما سوى ذلك . مع الاعتماد على الصحيح من الأحاديث .

سادساً : الالتزامُ بذكر أصح الوجوه وأوضح الروايات والأقوال في التفسير .

سابعاً : إتمامُ تفسير ما يحتاج إلى تفسيره ، مِمّا لم يتعرّض له ابن كثير من الآيات ، أو لجانب من جوانبها ، على أن يكون ذلك من تفسير الإمام القرطبي حصراً ، من دون العزو إليه عند النقل . ولتمييزه عن الأصل وضعته ضمن هذا الشكل [....] .

هذا هو مجملُ الخُطّةِ المنهجيّةِ لاختصارِ تفسيرِ الإمامِ ابنِ كثير ، المُسمّى بـ (تفسير القرآن العظيم) البالغ أربع مجلدات كباراً . وبالله تعالى التوفيق .

وقد وضعت لهذا المختصر مقدمات هامة من علوم التفسير ، وأبحاثاً مقتضبةً من علم التلاوة والتجويد ، وتاريخ جمع القرآن وتدوينه ، ونحو ذلك من الفوائد ، وقد ألحقت بهذا التفسير « تاريخ نزول سور القرآن الكريم » وجعلته قبل فهارس السور ، إتماماً للنفع إن شاء الله تبارك وتعالى .

المدخل إلى التفسير

مُقدِّماتٌ هامّةٌ مِن أصولِ التفسيرِ وقَواعِدِهِ

وهي تتمثل فيما يلي :

١ ـ مكانة علم التفسير والعناية به .
٢ ـ نشأة علم التفسير وقواعده .
٣ ـ علوم القرآن وعلم التفسير .
٤ ـ استمداد علم التفسير .
٥ ـ أنواع التفسير وأقسامه .
٦ ـ تأويل القرآن الكريم .
٧ ـ الفرق بين التأويل والتفسير .
٨ ـ أحسن طرق التفسير .
٩ ـ غرض المفسِّر من تفسيره للقرآن الكريم .
١٠ ـ القراءات القرآنيّة والتفسير .
١١ ـ الإعراب وعلاقته بالتفسير .
١٢ ـ التفسير بالمنقول والمعقول .
١٣ ـ أسباب الاختلاف في التفسير .
١٤ ـ معرفة قصص القرآن الكريم والفائدة منه .
١٥ ـ أثر الأخبار الإسرائيلية في التفسير .
١٦ ـ تاريخ نزول سور القرآن الكريم

هذه هي أهم المقدِّمات المستخلصة من أصول التفسير وقواعده نقدِّمُها بين يدي هذا التفسير ؛ لتكون عوناً للقارئ على إدراك مقاصد التفسير ووظيفة المُفسِّر ، وبالله سبحانه الهداية والتوفيق ، ومنه العون والرشاد ..



مقدمات هامة من علم التفسير وأصوله

ـ ١ ـ

مكانة علم التفسير والعناية به

إنّ مثلَ من يقرأ القرآنَ ومن يعلمُ تفسيرَه أو لا يعلم ، مثَلُ قومٍ جاءَهم كتابٌ من صاحبٍ لهم ليلاً ، وليسَ عندهم مصباح ، فتداخَلَهم لمجيئ الكتابِ روعةٌ لا يدرونَ ما فيه ، فإذا جاءَهم المصباحُ عرَفُوا ما فيه[١] .

وروى الحاكم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « إنّ هذا القرآنَ مَأدُبةُ اللهِ في أرضهِ ، فتعلّمُوا من مَأدُبَتِهِ ما استطعتُم »[٢] .

وروى ابن ماجه بإسناد صحيح أن رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم قال : « إنّ للهِ أهلين من الناس » ، قالوا : يا رسول الله مَن هُم ؟ قال : « هم أهلُ القرآنِ ، أهلُ اللهِ وخاصّتُهُ »[٣] .

فالمفسرون لكتاب الله تعالى هم الجديرون لأن يكونوا أهلَ الله وخاصتَهُ ؛ لأنّهم هم أعلم الناس بكتاب الله تعالى ، فهم الذين يُبيّنون عن الله سبحانه وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما يحتاج إلى بيان من آيات القرآن الكريم .

وإنّ أوّل ما يجب تدوينه من [علوم القرآن] علم التفسير؛ إذْ هو الأصل في فهم القرآن وتدبّره ، وعليه يتوقف استنباط الأحكام الشرعية ، ومعرفة الحلال من الحرام[٤] .

وإنّ شرف علم التفسير لا يخفى على كلِّ ذِي بصيرة . وقد أجمع العلماء أنّ تفسير القرآن من فروض الكفاية ، ومن أجلِّ العلوم الشرعية .

فأشرف صناعة يتعاطاهَا الإنسان تفسيرُ القرآن الكريم؛ لأنّ علم التفسير قد حاز الشرفَ من جهاتٍ ثلاث : من جهة الموضوع ، ومن جهة الغرض ، ومن جهة شدّة الحاجةِ إليه ؛ أمّا من جهة موضوعه ، فلأنّ موضوعَه تفسيرُ كلام الله تعالى ، الذي هو ينبوع كل حكمةٍ ومعدن كل فضيلة ، وأصـل كل كمال وإحسان . وأمّا من جهة الغرض ؛ فلأنّ الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقَى ، والوصول إلى السعادة الأبدية التي لا تفنى ، إذْ به معرفة مراد الله سبحانه من كلامه المنزّل على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعرفة مواضع أمره فتُؤتَى ، ومواضع نهيه فتُجْتَنَب . وأمّا من جهة شِدَّةِ الحاجة إليه؛ فلأنّ كلَّ كمالٍ دينيٍّ أو دنيوي ، عاجليّ أو آجليّ مفتقرٌ إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

وعلى هذا فإن للتفسير مكانة رفيعة بين العلوم الشرعية ، ينبغي الاهتمام به والعناية بشأنه ، من دراسته وتفهمه وإدراك مقاصده وغاياته وأغراضه .

ـ ٢ ـ

نشأة علم التفسير وقواعده

منذ البداية لنزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أثار القرآن أفكار العرب واستلْفَتَ انتباههم نحو ما جاءَهم به من جديد في العقيدة والدِّين والأخلاق والتشريع ، وإضـافة إلى ذلك ما جاءهم به من جديد برع عقولهم وأخذ بألبابهم بأسـاليبه التعبيريّة

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج١ /٤/ .
(٢) الترغيب والترهيب ج٢ /٣٥٤/ .
(٣) الترغيب والترهيب ج٢ /٣٥٤/ .
(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم لـ/ د . محمد أبو شهبة /٣١/ .

والبيانيّة ، بما لم يعهدوه من قبل ، فتعلّقت قلوبُ المؤمنين به ، وأسماعُهم بروعة وبليغ نظمه . فكانوا كثيراً ما يحتاجون إلى بيانه وإيضاحه ، فيسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فيُجيبهم عليه ، حتى إن بعضهم قال : يا رسول الله إنّك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ونحن العرب حقاً ؟! فقال : «إنّ ربّي علّمني فتعلمتُ» .

وعلى هذا فإنّ نشأة علم التفسير ترجع إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد كان جميع الصحابة يرجعون إليه في تفسير ما غَمُضَ وتوضيح ما صَعُبَ عليهم فهمه وإدراكه؛ فهذا أعرابي يسمع قولَ الله تعالى : ﴿ ولَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهم بظُلْمٍ ﴾ ، [الأنعام ، ٨٢] ، فيقول متسائلاً أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم : وأيُّنا لم يظلِمْ نفسَهُ؟! فيُفسِّرُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم له الآية بأنّ معنى الظلم في الآية (الشرك) مستشهداً بآيةٍ أخرى من القرآن الكريم : ﴿ إن الشِّرْكَ لظلمٌ ﴾[1] ، [لقمان ، ١٣] .

ولقد أَوْكَلَ الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مُهِمَّةَ بيان القرآن ، فقال سبحانه : ﴿ وأَنْزَلْنَا إليكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنّاسِ ما نُزِّلَ إليهم ولعلّهم يتفكّرُون ﴾ ، [النحل ، ٤٤] . قال أبو عبد الرحمن السلمي : كان الذين يُقرِئوننا القرآن ؛ كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرَ آياتٍ لم يجاوِزُوهَا حتى يتعلّمُوا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلّمنا القرآنَ والعلمَ والعملَ جميعاً[2] .

ولم يكن تفسير القرآن يُدّون في عهد النبوّة كعلمٍ مستقل ، وإنّما كان يُروى مع ما كان يُروَى من السنّة النبويّة .

وفي عهد الصحابة كان الاهتمام كبيراً بتناقل الروايات التي فسَّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلالها آيات القرآن الكريم ، والروايات التي تذكر الناسخ من المنسوخ من القرآن ، وكذا أسباب النزول؛ فاتّسعَتْ حركة علم التفسير بين الصحابة ، غير أنّهم واجهوا أمامهم آياتٍ كثيرةً لم يُفسّرْها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ، فلم يكن منهم أن يتركوها مبهمةً غيرَ موضحةٍ لجيلِ التابعين ، فأخذوا في تفسيرها على هَدِي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فنتجَ عن ذلك ثروةٌ كبيرة وهائلة من أقوال الصحابة في التفسير ، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن عباس وأقرانه مِمّن اشتهر بتفسير القرآن من الصحابة الكرام .

وفي عهد التابعين اتّسَعَتْ دائرة التفسير وامتدت حركتُهُ لتشملَ أقطارَ البلاد الإسلامية التي دخل أهلُها في دين الله أفواجاً أفواجاً ، ونبغ فيهم العلماء والفقهاء والمحدِّثون والمفسِّرون وأهل اللغة وغيرهم ، فَعَلا شأنُ التفسير بينهم ، وأولَوْه اهتمامَهم وعنايتهم ، فنشأ فيهم علماء متخصِّصُون في التفسير ، مثل : مجاهد ، وعِكرمة وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري وقتادة وأبي العالية ،والقرظي وزيد بن أسلم والضحاك ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان ، والسِّدّيّ وغيرهم .

وفي عهد تابعي التابعين أخذَ دورُ التصنيف والتدوين والتأليف يتسع في الانتشار حتى شمل جميع جوانب العلوم الشرعية والعربية وسواها من سائر العلوم ، فدوّنت كتبُ السنّة والتفسير والقراءات والفقه ، وغيرها من العلوم .

وفي عهد التدوين بلغ علم التفسير مبلغاً كبيراً وعظيماً لدى العلماء جميعاً ، إلى أن جاء الإمام الحافظ الحجة أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، المجتهد المطلق ، من أهل طبرستان المولود سنة / ٢٢٤هـ / والمتوفي سنة / ٣١٠ / فوضع كتابه الكبير في تفسير القرآن الكريم في ثلاثين جزءاً من القطع الكبير ، الذي سمّاه بـ [جامع البيان في تفسير القرآن] ، والذي ضمنّه عامة أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التفسير ، وكذا أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم . وسلك فيه طريقةً فريدةً في تفسير القرآن الكريم : يبدأ بذكر المعنى اللغوي ، ثم يستشهد على ذلك المعنى بالأشعار ، ثم يُعقبه بذكر الآثار ويرجّح بينها ، ويتوسع في بيان الآيات وارتباطها فيما بينها .

وبهذا يرسم الإمام الطبري المنهج الواضح الصحيح لتفسير القرآن ، مع استيعابه الواسع الشامل للتفسير بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسلف الصالح . فهو لهذا أصلٌ كبيرٌ في التفسير ، ومنهجٌ واضحٌ للمفسرين .

ـ٣ـ

علوم القرآن وعلم التفسير

علوم القرآن :

هي جميع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن ؛ وهي كثيرة جداً ، فإنّها تبلغ حدَّ عَدَدِ كَلِمِ القرآنِ نفسِهِ ، قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه قانون التأويل :

---

(١) من هذا أخذ علماء التفسير منهج التفسير وأصوله وقواعده ، التي رسمها عليه الصلاة والسلام لهم ، حيثُ فسَّرَ القرآنَ بالقرآن ، فكانت هذه الطريقة النبويّة أولى مناهج التفسير .

(٢) ذكره الإمام ابن تيمية في مقدّمته في أصول التفسير ص ٦ . وهذا الخبر أقدم نصٍّ تاريخي عرفنا به الطريقة التي كان يتعلّم بها الصحابة القرآن الكريم .

(إنّ علومَ القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعةُ آلاف علم وسبعون ألف علم ؛ على عَدَدِ كَلِمِ القرآن)[1] .

وقد حصرَها العلماء ضمن ضوابط عامّة بلغت الخمسين علماً إلى المائة على ما توسّع فيه أهل العلم . كما أوضحها الإمام السيوطي في كتابه « الإتقان في علوم القرآن »[2] .

وعلى هذا فإنّ علمَ التفسير واحدٌ من علوم القرآن الكريم ، إلا أنّه يشتمل على علوم كثيرة من علوم القرآن ، كما هو موضّحٌ في أصول التفسير وقواعده .[3] .

علم التفسير :

علم التفسير هو ما يُعرف به فهم كتاب الله العزيز ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحِكمه .

واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والإعراب والتصريف ، وعلم البيان ، وأصول الفقه ، وعلم القراءات ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ . وقد أكثر فيه العلماء من الموضوعات ، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه .

الأسباب الموجبة للتفسير :

إنّ أهم الأسباب الموجبة لتفسير القرآن نبيّنها فيما يلي :

١ – كمالُ علم المتكلّم ، فلعظيم شأن المتكلم سبحانه فإنّه جمعَ المعاني الكثيرة والدقيقة في اللفظ الوجيز ، وهذا ما يجعل النصَّ غير واضح لكثير من الناس ، فيُقصد بالتفسير إظهارُ تلك المعاني الخفية .

٢ – احتمالُ اللفظ القرآني لمعانٍ متعدّدةٍ ؛ كما في المجاز ، والمشترك ، ودَلالات النظم القرآني على أساليب الخطاب المتعدّدة الكثيرة ، ودلالات الألفاظ القرآنيّة إبهاماً ووضوحاً على الأحكام ؛ فيُحتاجُ إلى بيان الغرض المقصود من النصّ وترجيحه .

٣ –حاجةُ اللفظ إلى البيان ، كاللفظ الغريب والمعرّب والمجاز والمترادف ، والاستعارة ، والتشبيه .

٤ – حاجةُ النّص إلى بيان أحكامه : من العام والخاص ، والُمجمل والُمبيّن ، والمؤوّل والمفهوم ، والمطلق والمقيّد .

فإذا عُلِمَ هذا فإنّ القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربي مُبين في عهد أفصح العرب ، ومع ذلك كانوا يعلمون ظواهِرَهُ ، أمّا دقائقُ باطنِه فإنّما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر والتأمل ، مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأكثر . كما سأل الأعرابي عن قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانهم بظُلْمٍ ﴾ ، [الأنعام ، ٨٢] ، ففسّره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشرك ، واستشهد له صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى : ﴿ إنّ الشركَ لظلمٌ عظيم ﴾ ، [لقمان ، ١٣] ، وكقصة عديّ بن حاتم لما نزل قوله تعالى في الصيام : ﴿ وكُلُوا واشربُوا حتى يتبيّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ﴾ ، [البقرة ، ١٨٧] ، فقال عدي : يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عِقَالاً أبيض وعِقَالاً أسود ؛ أعرِفُ بهما الليلَ من النهار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّما هو سواد الليل وبياض النهار» !! . وغير ذلك مَمّا سألوا عنه[4].

ثم إنّ تفسير القرآن يكون بعضُهُ من قبيل بسط الألفاظِ الوجيزة وكشفِ معانيها ، وبعضه يكون من قبيل ترجيح بعض الاحتالات على بعض لبلاغته ولطفِ معانيه ، ولهذا فإنّه لا يُستغنَى عن علم التفسير ، ويُرجع إليه في فهم الآيات القرآنية[5].

—٤—

استمداد علم التفسير

يُستمدُّ علمُ التفسير من العلوم التالية :

علم القراءات القرآنيّة . علم السُّنن والآثار . أصول الفقه . علم اللغة العربية . علم العقيدة .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ السيوطي ج٢ /١٢٨/

(٢) ج١ / ٣ ـ ٤ /

(٣) للمؤلف .

(٤) مستخلص من كتاب أصول التفسير وقواعده للمؤلف ص ٣٩ ـ ٤٢ .

(٥) عن البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ / ١٣ ـ ٢١ /

أمّا علم القراءات القرآنيّة :

فالمراد به معرفة الوجوه التي تلقتها الصحابة من القراءات التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد نُقلت هذه القراءات نقلاً متواتراً ، وهي عشر قراءات ، وهناك أربع قراءاتٍ شواذ . وأكثر ما يُحتاج إلى القراءات (المتواترة منها والشاذّة) في مجال التفسير حين الاستدلال بالقراءة على تفسير نظيرها ، ويكون ذلك لقصد الترجيح لأحد المعاني القائمة ، أو لاستظهار المعنى ، فذكر القراءة – ولو كانت شاذّة – كذكر الشاهد من كلام العرب ، لأنها – أي : القراءة الشاذة – تُعتبر حُجّةً لغويّةً ، واعتبارها شاهداً من شواهد اللغة الفصحى ؛ لكون قارئها ما قرأ بها إلا استناداً لاستعمالٍ عربي صحيح .

وأمّا القراءات المتواترات فمعانيها من معاني وجوه القرآن بدون أيّ فارق أو تمييز .

وأمّا علم السنن والآثار :

فالمراد به ما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيان المراد من آي القرآن ، في مواضع الإجمال والإشكال ، وما نُقل عن الصحابة من الآثار الذين شهدوا نزولَ الوحي من بيان سبب نزولٍ أو ناسخ ومنسوخ ، وتفسير مبهمٍ وتوضيح واقعة من كل ما طريقهم فيه الرواية عمّا شاهدوه وسمعوه في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أمور وأحوال تتعلق ببيان معاني القرآن .

ومعنى كون سبب النزول مادّة من موادّ التفسير ، باعتباره يُعين على تفسير المعنى وفهم المراد . وإن كان يُعتبر عمومُ لفظ الآية لا خصوص السبب .

وأما أصول الفقه :

فلكونه معيناً على فهم وإدراك وجوه الدلالات للنظم القرآني ، وفهم وإدراك حالات وضوح الألفاظ القرآنية وإبهامها ، ودلالاتها على الأحكام ؛ في واضح الدلالة : الظاهر ، والنص ، والمفسَّر ، والمحكم ، وفي مُبهم الدلالة الخفي ، والمشكل ، والمجمل ، والمتشابه ، وفي دلالة الألفاظ على الأحكام : دلالة العبارة ، ودلالة الإشارة ، ودلالة النص ، ودلالة الاقتضاء .

وقد عَدّ الإمام الغزالي أصول الفقه من جملة علوم القرآن ، فلا جرم أن يكون مادّة من موادّ علم التفسير[1] .

أمّا علم اللغة العربية :

فالمراد به معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأساليبهم ومناحيهم في الخطاب ، وأدب لغتهم ؛ فإنّ القرآنَ الكريم كلامٌ عربي . فكانت اللغة العربية الطريق الوحيد لفهم معانيه وإدراك مقاصده ، وإدراك دلالاته ، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم .

والمقصود من علم اللغة العربية ؛ مجموع علم اللسان العربي ، وهي : فن النحو والإعراب والتصريف والمعاني والبيان ،وغير ذلك . ولعلمَيّ المعاني والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير ؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنيّة ، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز ، ولذلك كان هذان العلمان يُسمّيان في القديم علم دلائل إعجاز القرآن .

أما علم العقيدة :

فهو لمعرفة ما يجب لله تعالى من صفات الكمال ، وتنزيه الذات الإلـهية عن صفات النقص ، وكذا معرفة ما يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما يستحيل عليهم ، وما يتعلق بأمور الاعتقاد بالله تعالى وكتبه وأنبيائه ورسله وملائكته ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وجميع ذلك وغيره مرتبط بآيات العقيدة والإيمان التي هي أصل في هذا العلم ـــ أي : وإن كانت الآيات القرآنية أصل علم العقيدة إلا أنّه لا بدّ من اعتبار علم العقيدة بتفصيلاته وإيضاحاته حول أمور العقيدة والإيمان علماً من علوم التفسير .

ـــ٥ـــ

أنواع التفسير وأقسامه

ترجع أنواع التفسير وأقسامه إلى التقسيم الذي وضعه ابن عباس حيث قال .

(التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها . وتفسيرٌ لا يُعذر أحدٌ بجهالته . وتفسيرٌ يعلمه العلماء وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله تعالى) .

---

(١) انظر أصول التفسير وقواعده ، للمؤلف ص ٢٦٥ – قواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني – إلى ص ٣٢٠ ، وص ٣٢١ – قواعد التفسير في حالات وضوح الألفاظ القرآنية وإبهامها على الأحكام – إلى ص ٤١٦ .

وهذا تفصيل هذه الوجوه :

١ ـ فأما الذي تعرفه العرب من كلامها ؛ فهو الذي يُرجع فيه إلى لسانهم ، وذلك من طريق علم النحو والإعراب ، والتصريف ، والغريب ، وغير ذلك .

فما كان من التفسير راجعاً إليه فسبيل المفسِّر التوقف فيه على ما في اللغة العربية . فمن لم يكن عالماً بحقائق اللغة العربية فلا يحقُّ له أن يُقدم على تفسير القرآن الكريم .

٢ ـ وأمّا ما لا عُذْرَ لأحدٍ بجهله ؛ فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وإدراك مضمونه من غير عَنَاء في الفهم ولا مشقة في البحث ، وهذا آيات الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، وآيات العقيدة والإيمان ، قال الإمام الزركشي : (فهذا القسم لا يختلف حكمُهُ ولا يَلْتبسُ تأويلُهُ ، إذْ كلُّ أحدٍ يُدرك معنى التوحيد من قوله تعالى : ﴿ فاعلمْ أنه لاإلـهَ إلا الله ﴾ ، وأنّه لا شريكَ لهُ في أُلوهيّته ، ويعلمُ كلُّ أحدٍ بالضرورة أنّ مقتضى قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ وأطِيعُوا اللهَ ورسولَهُ ﴾ ، هو الالتزامُ بما أمر الله سبحانه .

٣ ـ وأمّا ما يعلمه العلماء ؛ فذلك في أمور الاجتهاد والاستنباط من الآيات في الأحكام الشرعية ، وفي بيان معاني القرآن وإظهار مقاصده ، قال الإمام الزركشي : (وكلُّ لفظٍ ـ في الآيات ـ احتمل معنيين فصاعداً ؛ فهو الذي لا يجوز لغير العلماءالاجتهاد فيه ، وعلى العلماء إعمالُ الشواهد والدّلائل وليسَ لهم أن يعتمدوا مجرّدَ رأيهم فيه)[1] .

٤ ـ وأما الذي لا يعلمه إلا اللهُ تعالى ؛ فإنه لا يجوزُ لأحدٍ أن يخوض فيه ، وهو ما يجري مجرى علم الغيب ، كالآيات المتضمنة لأخبار الساعة والقيامة وأحوال الآخرة ، وكذا الإيمان بالغيبيات كالملائكة والجن ، والجنّة والنار ، وغير ذلك مِمّا يتعلق بالإيمان والعقيدة . وكذا الأحرف المتقطعة في أوائل السور ، والآيات المتشـابهات التي لا مَسَـاغ فيها لتفسيرٍ ولا تأويل ، وإنّما الواجب فيها الإيمان بها على مراد الله تعالى .

ـ٦ـ

تأويل القرآن الكريم

التأويلُ لغةً : من الأَوْلِ وهو الرجُوعُ ؛ آلَ الشيءُ يُؤول أَوْلاً ومآلاً : رَجَعَ .وأَوَّلَ إليه الشيء : أرجَعَهُ .

والتأويل ، في الاصطلاح : التّدَبّرُ ؛ أَوّلَ الكلام وتأوَّلَهُ : تدبَّره . وأَوَّلَهُ وتأوّلَهُ : فسَّرَهُ . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ ولَمّا يأتِهِمْ تأويْلُهُ ﴾ ، [يونس ، ٣٩] ؛ أي : لم يكن معهم علمُ تأويله ، وهذا دليلٌ على أن علمَ التأويل ينبغي أن يُنظرَ فيهِ .

وفي حديث ابن عباس : (اللّهمَّ فقّهْهُ في الدِّين وعَلِّمْهُ التأوِيْلَ) ؛ المراد بالتأويل نقلُ ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاجُ إلى دليل لولاه ما تُرِكَ ظاهرُ اللفظ .

قال أبو منصور : يُقالُ أُلْتُ الشيء أؤولُهُ إذا جمعتُهُ وأصلحتُهُ ، فكان التأويلُ جمعَ معاني ألفاظٍ أشكلَتْ بلفظٍ واضحٍ لا إشكالَ فيهِ .

قال الليثُ : التأَوُّلُ والتأْويلُ : تفسيرُ الكلامِ الذي تختلف معانيه ، ولا يصح إلا ببيانٍ غير لفظهِ .

وأمّا قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ هلْ ينظُرُونَ إلا تأوِيْلَهُ يومَ يأتِي تأوِيْلُهُ ﴾ ، [الأعراف ، ٥٣] ؛ فقال أبو إسحاق : معناه هل ينظرون إلا ما يَؤُولُ إليه أمرُهم من البعث . قال : وهذا التأويلُ هو قوله تعالى : ﴿ وما يعلمُ تأوِيلَهُ إلا اللهُ ﴾ ، [آل عمران ، ٧] ؛ أي : لا يعلم متى يكون أمرُ ا لبعث وما يَؤُولُ إليه الأمرُ عند قيام الساعة إلا اللهُ ، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به ، أي آمنّا بالبعث ، واللهُ أعلم . وقال غيرُهُ : أعلمَ اللهُ جلَّ ذكرُهُ أنّ في الكتاب الذي أنزلهُ آياتٌ محكماتٌ هُنّ أمُّ الكتابِ ، لا تَشَابُهَ فيها فهي مفهومة معلومة ، وأنزلَ آياتٍ أُخَرَ متشابهات تكلّم فيها العلماءُ مجتهدين ، وهم يعلمون أنّ اليقين الذي هو الصواب لا يعلمه إلا الله ، وذلك مثل المشكلات التي اختلف المتأوّلون في تأويلها ، وتكلّم فيها مَن تكلّمَ على ما أدّاهُ الاجتهادُ إليه .

ورُوِيَ عن مجاهد : ﴿ هَلْ ينظرون إلا تأويله ﴾ ، [الأعراف ، ٥٣] قال : جزاءَهُ . ﴿ يومَ يأتي تأويلُهُ ﴾ قال : جزاؤُهُ . قال أبو عُبيد : التأويلُ : المرجِعُ والمصيرُ ؛ مأخوذٌ من آلَ يؤول إلى كذا ، أي : صارَ إليه . وقال الجوهري : التأويلُ تفسير ما يؤولُ إليه الشيء[2] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢ /١٦٤/ .

(٢) لسان العرب ج١١ / ٣٢ ـ ٣٤ / .

ـ٧ـ

الفرق بين التأويل والتفسير

التفسير : في اللغة : الكشفُ والإظهار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا يأتونكَ بمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بالحقِّ وأَحْسَنَ تفسيراً ﴾ ، [الفرقان ، ٣٣] ؛ أي : بياناً وتفصيلاً .

والتفسيرُ يُستعملُ في الكشف الحِسّيّ ، وفي الكشف عن المعاني المعقولة .

والتفسيرُ : علمٌ يعرف به فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه ، والكشف عن مقاصدِه ومراميهِ ، واستخراج أحكامِهِ وحِكَمه ، وتوضيح معنى الآية ، بذكر معناها وشأنها وسبب نزولها ، بلفظٍ يدلُّ عليه دلالةً ظاهرة .

والتأويل : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنىً يحتمله ، إذا كان المُحْتَملُ الذي يراه موافقاً للكتاب والسنّة .

والفرق بين التفسير والتأويل : (أنّ التفسيرَ يتعلّق بالرواية ، والتأويلَ يتعلّقُ بالدِّراية) .

وهذا القول هو أصح الأقوال في الفارق بينهما ؛ وذلك لأنّ التفسير معناه : الكشف والبيان ، والكشفُ والبيان عن مراد الله لا نجزم به إلا إذا وَرَدَ عن الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو عن الصحابة الذين شهدوا نزول الوحي ، وأمّا التأويل فملحوظٌ فيه ترجيحُ أحدِ محتملاتِ اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد .

ـ٨ـ

أحْسَنُ طُرقِ التفسير

من المقرَّر في أصول التفسير :

(أنّ من أرادَ تفسيرَ القرآن الكريم طلبه أولاً من القرآن نفسِهِ ؛ فما أُجْمِلَ منه في موضعٍ فقد فُسِّرَ في موضعٍ آخر ، وما اختُصِرَ منه في موضعٍ فقد بُسِطَ في موضعٍ آخر . فلَزِمَ من المُفسِّر أن ينظرَ في القرآن نظرةَ فاحصٍ مُدقّقٍ ، ثم يجمع الآيات المتعلقة في الموضوع الواحد ، ثم يُقارن بعضها بعضاً ، ليتجلّى له المقصود بشكل بيّن . فإن لم يجد تفسيره في القرآن طلبَهُ من السنّة النبوية ؛ فإنها شارحةٌ للقرآن وموضحة له ، وقد قال الإمام الشافعي : (كلُّ ما حكَمَ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مِمّا فهِمَهُ من القرآن) ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومِثلَهُ معه» ، يعني السنة النبوية . فإن لم يجد تفسيره في السنّة ، بحث عن أقوال الصحابة في التفسير ، فقد كانوا أدرى بكتاب الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنهم عايشوا نزول الوحي ، وشهدوا أسباب النزول . وقد ذكر الحاكم في المستدرك أنّ تفسير الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل ، له حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه عليه الصلاة والسلام بيّن لأصحابه معاني القرآن قولاً وعملاً وتقريراً ، كما بيّن لهم ألفاظَه وأحكامَه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليكَ الذكرَ لِتُبيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم ﴾ ، [النحل ، ٤٤] .

فإن لم يجد التفسير في أقوال الصحابة ؛ طلبه من أقوال التابعين ، فهم الذين نقلوا إلينا علومَ ومعارفَ الصحابة . فإن لم يجده في أقوال التابعين ؛ طلبه من اللغة العربية ، فإنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب . روى الإمام البيهقي في كتابه (شُعَبُ الإيمان) عن الإمام مالك أنه قال : (لا أوتَى برجلٍ غيرِ عالمٍ بلغةِ العربِ يُفسِّر كتابَ اللهِ إلا جعلتُهُ نكالاً) .

تلك هي أحسنُ طرقِ التفسيرِ وأصحُّ سُبلِهِ ؛ فلا يجوز لأحدٍ أن يتناولَ تفسيرَ القرآن الكريم إلا عن طريقها ومن خلالها .

ـ٩ـ

غرضُ المُفسِّر من تفسيره للقرآن الكريم

غرضُ المفسِّر هنا أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن الكريم ، وهي تبلغ ثمانية أمور :

أوّلها : إصلاحُ الاعتقاد ، وتعليم العقائد الصحيحة . وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق .

ثانيها : تهذيب الأخلاق . و سُئلت عائشة عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : (كان خُلُقُهُ القرآن) .

ثالثها : التشريع ، وهو الأحكام العامة والخاصّة ، من العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية .

رابعها : سياسة الأمة ، وهو باب عظيمٌ في القرآن ، القصد منها صلاح الأمة وحفظ نظامها .

خامسها : القصص والأخبار السالفة عن الأمم السابقة بما يصلح أحوال الناس ، بما فيها من العِبَر .

سادسها : التعليم بما يُناسب حالة عصر المخاطَبين ، بما يُؤهلهم لتلقّي الشريعة ونشرها .

سابعها : المواعظ والحِكم والتبشير والإنذار والتحذير ، بما جاء في آيات الوعد والوعيد .

ثامنها : الإعجاز القرآني للدّلالة على صدق رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن هذا القرآن تنزيلٌ من ربّ العالمين ؛ إذِ التصديقُ يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي . والقرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه .

فغرضُ المفسِّر : بيانُ هذه الجوانب في تفسيره للقرآن الكريم .

ـ ١٠ ـ

القراءات القرآنية والتفسير

لقد اعتنى المفسِّرُون بذكر القراءات في تفاسيرهم ما بين متوسّع ومقتصر ، وذلك لما للقراءاتِ من أثر بارز في تفسير القرآن الكريم ، وتوجيه المعاني القرآنية ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في (استمداد علم التفسير) .

وللقراءات حالتان :

الحالة الأولى : وهي تتعلّق بوجوه النطق والتلاوة والترتيل ، كمقادير المَدّ والإمالات ، والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس ، والغُنّة والإدغام والإخفاء ، إلى غير ذلك مَمّا يتعلّق بعلم التجويد ، وهذا لا علاقة له بالتفسير لا من قريب ولا من بعيد .

الحالة الثانية : وهي التي تتعلق بحروف الكلمات القرآنية وحركاتها ، بحيث يختلف المعنى لاختلاف الحرف أو الحركة . وهذه الجهة هي التي لها مزيد التعلّق بالتفسير ، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يُبيِّن المعنى المراد عن نظيره في القراءة الأخرى ، أو يُثير معنىً آخر ، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يُكثِّرُ المعاني في الآية الواحدة ، نحو قوله تعالى : ﴿ حتى يَطْهُرْنَ ﴾ ، [البقرة ، ٢٢٢] ، بسكون الطاء وضمّ الهاء ، والقراءة المتواترة الأخرى : ﴿ حتى يطَّهَّرْنَ ﴾ ، بفتح الطاء المشدّدة والهاء المشدّدة . وأيضاً كقوله تعالى : ﴿ أو لامَسْتُمُ النِّساءَ ﴾ ، [النساء ، ٤٣] ، والقراءة المتواترة الأخرى : ﴿ أو لَمَسْتُمُ النِّساءَ ﴾ .

فبتعدّد وجوه القراءة للآية الواحدة تكثّر معانيها ؛ فيُعِينُ بعضُها على تفسير بعض .

وفي مجال التفسير لا يشترط في القراءة التي يُستعان بها على إيضاح معنى الآية أن تكون متواترة ، فالقراءة المشهورة أو الشاذّة مقبولة في التفسير ؛ بل هي أقوى من أحاديث الآحاد الصحيحة في هذا الشأن .

ولهذا نرى المفسرين يُكثرون من إيرادها ، والاستشهاد بمعانيها ودَلالاتِ ألفاظها .

ـ ١١ ـ

الإعراب وعلاقته بالتفسير

إنّ من فوائد معرفة إعراب القرآن الكريم معرفة المعنى الذي يتضمّنه النّصُّ ؛ لأن الإعراب يُميِّزُ المعاني ، ويُوقفُ على أغراض المتكلّم .

ويجب على المفسِّر أن ينظر في الكلمة القرآنيّة ، وصيغتها ومحلها في حالة الرفع والنصب والجرّ والسكون ، مِمّا له علاقة بعلم النحو والإعراب والصرف . ولهذا نجد كثيراً من المفسرين يُشيرون في تفاسيرهم إلى الحالات الإعرابية للآيات القرآنية ، على اختلافٍ بينهم ما بين مُكثرٍ ومُقِلٍّ .

ولهذا كان علم النحو والإعراب من علوم التفسير [كما تقدم في : استمداد علم التفسير] ؛ لأنه به تتضح كثير من معاني القرآن . ثم بمعرفته تستقيم قراءة القارئ ، فلا يقع منه لحنٌ أو خطأٌ في قراءته .

روى أبو عُبيد عن يحيى بن عتيق ، قال : قلتُ للحسن : يا أبا سعيد ، الرجلُ يتعلّم العربية يلتمسُ بها حُسْنَ المنطق ، ويُقيم بها قراءتَهُ ؟ قال : حَسَنٌ يا ابنَ أخي فتعلّمها ؛ فإن الرجلَ يقرأ الآيةَ فيعيي بوجهها فيهلك فيها .

ويقول العلامة القيسي في مقدمة كتابه (مشكل إعراب القرآن) : (بمعرفة الإعراب تُعرفُ أكثرُ المعاني ، وينجلي الإشكال ، وتظهرُ الفوائدُ ، ويُفهم الخطاب ، وتصحُّ معرفة حقيقة المراد) .

ويقول العلامة العُكبري في مقدمة كتابه (إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه إعراب القرآن) : (وأقومُ طريقٍ يُسلَكُ في الوقوف على معناه – أي : القرآن الكريم – ويُتوصّل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه ، معرفةُ إعرابه واشتقاق مقاصده ، من أنحاء خطابه ، والنظرُ في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات) .

ـ١٢ـ

التفسير بالمنقول والمعقول

التفسير بالمنقول :

هو التفسير بالقراءات والسنّة وآثار الصحابة وأقوال التابعين والأئمة المتبوعين ، قال العلامة الزركشي : (إن تفسير القرآن الكريم قسمان : قسمٌ وَرَدَ تفسيره بالنقل ، وقسمٌ لم يرد . والأول : إمّا أن يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو الصحابة أو رؤوس التابعين ، فالأولُ يُبحث فيه عن صحة السند ، والثاني ينظر في تفسير الصحابة ، فإن فسَّرُوه من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده ، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن ، فلا شك فيه)[1] .

وقال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره : (إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنّة ؛ رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ؛ لَما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصُّوا بها ؛ لما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح)[2] .

ولقد تضافرتْ جهودُ الصحابة والتابعين ومَن بعدَهم من العلماء العاملين ، للكشف عن معاني القرآن العظيم وأسراره العظيمة ، ولبيان إعجازه وروعة نظمه وبديع لفظه ، ولإيضاح حِكَمِهِ وأحكامه ، وعبرِه ومواعظِه .

ومن التابعين من تلقى جميعَ التفسير عن الصحابة ، كما قال مجاهد : عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ، أُوقفه عند كلِّ آيةٍ منه ، وأسأله عنها ، ولهذا قال الإمام الثوري : إذا جاءَك التفسيرُ عن مجاهدٍ فحسبُكَ به[3] .

ومن التفسير بالمنقول التفسير باللغة العربية ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في (استمداد علم التفسير) .

والتفسير بالمعقول :

هو التفسير الذي يعتمد على الفهم العميق ، والإدراك المركّز لمعاني الألفاظ القرآنية ، وذلك يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية ، وإدراك مقاصدها ومراميها من مدلولاتها ودلالاتها ، بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفة وجوه دلالة الألفاظ العربية التي توضح معاني القرآن الكريم ، بعد معرفة المفسر لوجوه القراءات وروايات السنّة والآثار عن الصحابة والتابعين المتعلّقة بالآيات المراد تفسيرها .

ولقد جاءت آياتٌ تنصُّ على جواز التفسير بالمعقول منها قول الله تعالى : ﴿ أفلا يتدَبَّرُون القرآنَ ﴾ ؟ [النساء ، ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مُبارَكٌ ليدَّبَّروا آياتِهِ ﴾ ، [صٓ ، ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ ولو رَدُّوهُ إلى الرسولِ وإلى أُولي الأمرِ منهم لَعَلِمَهُ الذينَ يستنبطُونَهُ منهم ﴾ ، [النساء ، ٨٣] ، ففي هذه الآيات الكريمة حثٌّ من الله تعالى على تدبّر القرآن والاعتبار بآياته والاتعاظ بعظاتِهِ ، كما دلّت الآية الأخيرة على أن في القرآن ما يستنبطه أولُو العلم باجتهادهم ويصلون إليه بإعمال عقولهم .

ـ١٣ـ

أسبابُ الاختلاف في التفسير

إن من أهمّ ما يجبُ معرفتُهُ في هذا الشأن هو أن يعلم المطّلع على تفسير القرآن الكريم من خلال كتب التفسير ، وخاصّة المطوّلة منها ؛ أنّ كلامَ الله تبارك وتعالى ذو معانٍ كثيرةٍ ووجوه عديدة ، وهذا من وجوه إعجازه ؛ فقد جاء كلام الله في القرآن بالألفاظ اليسيرة ذات

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ج٢ /١٨٣/ .

(٢) تفسير الإمام ابن كثير ج١ /٣/ .

(٣) مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية /٧/ .

المعاني الكثيرة ، فحينَ نرى تعدُّدَ الأقوال عند المفسرين حول الآيات القرآنية ؛ فإنّما يعني ذلك كثرةَ توارد تلك المعاني على أذهان أولئك المفسرين ، كل حسب طاقته الفكرية ، ومدَى إدراكه العقلي لتلك المعاني المتعدّدة للآية الواحدة .

ثم إنّ كثيراً من اختلاف المفسرين في تفاسيرهم للقرآن الكريم ما يعود إلى اختلاف ثقافاتهم ومعارفهم .

والحقيقة في هذا الموضوع أنّ اختلاف المفسرين في تفسيرهم للقرآن هو اختلاف تنوّع لا اختلاف تضادّ أو تضارب أو تعارض ، وذلك لأنّ كلَّ واحدٍ يُعبِّرُ عن المعنى الذي يتبدَّى له بعبارة غير عبارة صاحبه ، تدل على معنًى في المُسمّى غير المعنى الآخر ، مع اتحاد المُسمّى ؛ بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بينَ المترادفة والمتباينة .

أو أن يذكر كلٌّ منهم من الاسم العام بعضَ أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع ، لا على سبيل الحدّ المطلق للمحدود في عمومه وخصوصه ، مثلُ سائل أعجمي سألَ عن مُسمّى الخبز ؛ فأُري رغيفاً ، ثم قيلَ له هذا هو الخبز ، فالإشارة إلى النوع لا إلى هذا بعينِهِ ، فإنّ للخبز أشكالاً وأنواعاً .

ولاختلاف المفسرين أسبابٌ نُشير هنا لمجملها ، ونُحيل في تفصيلها إلى مصدرها ، وهي :

١ ـ اختلاف القراءات ، بتعدّد وجوهها .

٢ ـ اختلاف وجوه الإعراب في الآية .

٣ ـ اختلاف أهل اللغة في معنى الكلمة الواردة في الآية .

٤ ـ اشتراك اللفظ بين معنَيَين فأكثر .

٥ ـ احتمال الإطلاق والتقييد في الآية .

٦ ـ احتمال العموم والخصوص في كثير من ألفاظ الآيات .

٧ ـ احتمال الحقيقة والمجاز في الآية .

٨ ـ احتمال الإضمار أو الاستقلال فيها .

٩ ـ احتمال الحذف أو الزيادة في أداء اللفظ للمعنى .

١٠ ـ احتمال التقديم والتأخير في كثير من الآيات .

١١ ـ احتمال النسخ أو عدمه في بعض الآيات .

١٢ ـ اختلاف الروايات الواردة عن النبي صلى اللهعليه وآله وسلم ، أو عن الصحابة أو التابعين ، وهذا يعود لتعدّد المعاني في الآية التي وردت فيها تلك الروايات[1] .

ـ ١٤ ـ

معرفة قصص القرآن والفائدة منه

قال اللهتعالى : ﴿ نحنُ نقصُّ عليكَ أحْسَنَ القَصَصِ بما أوحينَا إليكَ هذا القرآنَ ﴾ ، [يوسف ، ٣] . والقِصَّةُ : هي الخبرُ عن حادثةٍ غائبةً عن المُخْبَرِ عنها . وهي من القَصَصِ ـ بالفتح ـ اتباع الخبر بعضه بعضاً .

وأصـلُ القِصّـة في اللغة : المتابعةُ . قال الله سبحانه : ﴿ وقالَتْ لأختِهِ قُصِّيْهِ ﴾ ، [القصص ، ١١] ، أي : اتّبِعِي أثَرَهُ . وقال سبحانه : ﴿ فارْتَدّا على آثارِهما قَصَصَاً ﴾ ، [الكهف ، ٦٤] ، أي : اتّباعاً . وإنما سُميّتِ الحكايةُ قصصاً ؛ لأنّ الذي يقصُّ الحديثَ أو الخبرَ يذكرُهُ شيئاً فشيئاً .

وإن للقصص القرآني عبراً كثيرة وفوائد عديدة ، نذكر هنا أهمَّها :

أولاً : لقد اشتمل القرآن على تلك القَصص التي لا يعلمها إلا الراسخون من أهل الكتاب ، وكان ذلك تحدّياً عظيماً لهم ، وإثباتاً لصدق رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم على أن هذا القرآن ليسَ من عند البشر ، وإنّما هو تنزيلٌ من حكيم حميد ، قال اللهتعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحِيها إليكَ ما كُنْتَ تعلَمُها أنتَ ولا قومُكَ مِن قبلِ هذا ﴾ ، [هود ، ٤٩] ، وذلك أن قوم النبي صلىاللهعليه وآله وسلم أمّيّون لا يعلمون علمَ أهل الكتاب .

(١) انظر بحث أسباب الاختلاف في التفسير في (مقدمة أصول التفسير لابن تيمية) أو : (أصول التفسير وقواعده للمؤلف ص ٨٣ ـ ٩٠) .

ثانياً : إنّ أسلوب القَصَص القرآني أنْ لا يتعرّض إلا إلى حال أصحاب القصّة ، من رسوخ الإيمان أو ضعفه ، أو الطاعة أو المعصية ، ليُظهِرَ موضعَ العبرة منها ، تثبيتاً للمؤمنين وتأكيداً في نصرهم وتأييدهم ، وتخذيلاً للكافرين في تقريعهم وتوبيخهم .

ثالثاً : ما فيها من عظيم الفائدة من معرفة ترتيب المُسَبَّبات على أسبابها من الخير أو الشر ، والتعمير أو التخريب ، لتتقيَ الأمة وتحذر من عاقبة المفسدين والظالمين ، قال الله تعالى : ﴿ فتلكَ بُيوتُهم خاوِيَةً بما ظَلَمُوا ﴾ ، [النمل ، ٥٢] . وما فيها من فائدة ظهور المُثُل العُلْيَا في الفضيلة وزكاء النفوس ؛ أو عكس ذلك .

رابعاً : موعظة للمشركين والكافرين وتهديدهم بما لَحِقَ الأمم التي عاندت رُسُلَها ، وعَصَتْ أوامرَ ربِّها حتى يرعووا عن غلوائهم ، ويتّعِظُوا بمصارع نُظرائهم ، قال الله تعالى : ﴿ فاقْصُصِ القَصَصَ لعلّهم يتفكّرُون ﴾ ، [الأعراف ، ١٧٦] ، وقال سبحانه : ﴿ لقد كان في قَصَصِهم عِبْرَةٌ لأولي الألْبَاب ﴾ ، [يوسف ، ١١١] .

إلى غير ذلك من الفوائد الجمة التي يُدركها من تمَعّنَ وتعمّقَ في أسرار القَصص القرآني .

ـ ١٥ ـ

أثر الأخبار الإسرائيلية في التفسير

مِنَ المفسرين مَن أدخل في تفسيره أخباراً إسرائيلية نقلها عن مُسْلِمَةِ أهل الكتاب ، أو عمّن نقلَ عنهم ، فمنهم من نقدَها وفنّدَ أباطيلَها ، ومنهم مَن ذكرَها ولم يعقّبْ عليها . والذين ذكروها على علاّتها أكثر من الذين نقدوها .

ولذلك تركت رواية الأخبار الإسرائيلية في كتب التفسير أثَراً سلبيّاً إزاءَ روح القرآن الكريم وهديه ، فما مِن مسلم ذي عقلٍ نيّرٍ يقبل بمحتويات تلك القصص الإسرائيلية ، التي غالبها أشبه بالأساطير . وهناك كثير من الشكوك تدور حول تلك الأخبار الإسرائيلية ؛ هل هي مختلقة مصطنعة ؟ أم فيها من الدسائس على أنبياء الله تعالى ما قد شَوّه مضمونها ، وجعل روايتَها محظوراً ؟!..

والحال في كلا الأمرين لا يليق بجلال القرآن الكريم وهديه المستقيم .

فكان الواجب تنزيه كتب التفسير عن حشوها بتلك الأخبار الإسرائيلية التي نقلها إلينا مسلمو أهل الكتاب ، والحال أنّنا لا نعرف مدى صحة ثبوتها فيما لو لم يكن فيها ما يخالف شريعة الإسلام وعقيدته وهديه .

ولقد وضع لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعدة لتلك الأخبار الإسرائيلية فقال : (لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبُوهم)[١] ، أي : فيما لا يُخالفُ الإسلامَ لا نُكذِّبُهم ، وفيما يُخالفُ الإسلام لا نُصدِّقهُم .

وأمّا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (حَدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ) [٢] ، فمعناه فيما يتعلق بماضيهم ، للعبرة والاتعاظ ، لا للاستشهاد بها على ما جاء في قَصَصِ القرآن ، فإنّ الحقَّ لا يُفسَّرُ بما يُشتبه بثبوته وصحته .

ولقد وضعَ العلماءُ المُحَقِّقُون ضوابطَ للتحدّثِ عن بني إسرائيلَ ، نُجمِلُها فيما يلي :

أولاً : ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحكيه عن بني إسرائيل ، بالسند الثابت عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا المقبول الذي لا يجوز رَدُّهُ أو عدمُ قبوله .

ثانياً : ما عُلِمَ تناقضه – من القصص الإسرائيلية – للإسلام عقيدةً وشريعةً وهدياً ، أو ما يُناقض الحقائقَ الثابتة ؛ فهذا ما لا يجوز قبولُهُ ولا روايتُه ، إلا للتنبيه على بطلانه .

ثالثاً : ما عُلِمَ من الأخبار الإسرائيلية عدمُ تعارضها مع حقائق الإسلام ، فهذا لا نُصدِّقُه ولا نُكذِّبُه ،وتجوز روايته وحكايته .

والأغلب من القسم الثالث مما ليس فيه كبير فائدة ، فيمكن الاستغناء عنه ، وكفى ما جاءنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أخبارهم ، على ما جاءنا في القرآن الكريم من قصصهم ، وكفى بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم معلّماً وهادياً ومرشداً .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٤ /١٣٦/ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء /٥٠/ .



ترجمة الإمام ابن كثير

هو الإمام الحافظ : عماد الدين أبو الفداء ، إسماعيل بن عمرو بن كثير البصري – نسبة إلى بصرَى الشام – ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، والمحدث الثقة ، والمفسِّر الكبير .

قدم دمشق وهو ابن سبع سنين ، سمع من ابن الشحنة والآمدي وابن عساكر ، وغيرهم من الأئمة الحفاظ ، كالحافظ المِزّي الذي لازمه وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره . وأخذ عن الإمام الحافظ ابن تيميّة ، وفُتِنَ بحبِّهِ وامْتُحِنَ بسببِهِ وأوذي .

كان مولده سنة / ٧٠٠ هـ / وتوفي في شعبان سنة / ٧٧٤ هـ / وقُبر في مقبرة الصوفية بدمشق عند شيخه ابن تيمية – رحمهما الله تعالى – وكان قد كُفَّ بصرُهُ في آخر عمرِهِ .

وكان الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى على مبلغ عظيم من العلم ، خصوصاً في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ . فكان من مُحدِّثي الفقهاء .

قال عنه الحافظ الذهبي : الإمامُ المفتي المحدّث البارع ؛ فقيهٌ متفنّنٌ ، ومحدّثٌ متقنٌ ، ومفسِّرٌ نقّالٌ – أي كثير الرواية والنقل – وله تصانيف مفيدة .

قال الحافظ بن العماد الحنبلي : كان كثير الاستحضار ، قليل النسيان جيّد الفهم . انهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير . وهو القائل :

تمرُّ بنا الأيامُ تترَى وإنّما ... نُساقُ إلى الآجالِ والعينُ تنظرُ
فلا عائدٌ ذاك الشبابُ الذي مضَى ... ولا زائلٌ هذا المَشِيبُ المُكدِّرُ

ومن مصنفاته :

التاريخ المُسمّى بالبداية والنهاية ، والتفسير ، وكتاب في جمع المسانيد العشرة ، واختصر تهذيب الكمال ، وأضاف إليه ، وطبقات الشافعية ، وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلّدات إلى الحج .

وذكره ابن قاضي شهبة في طبقاته . كانت له خصوصية بابن تيميّة ، ومناضلة عنه ، واتباع له في كثير من آرائه وكان يُفتي في مسألة الطلاق برأيه[1] .

(١) شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب ، لابن العماد ، ج٦ /٢٣١ – ٢٣٢/ .

منهج ابن كثير في تفسيره

لقد سلك الإمام ابن كثير في تفسيره منهجاً فريداً مُتميّزاً عن باقي المفسرين حيث سلك فيه أحسن طرق التفسير ، وذلك كما أوضحه في مقدمة تفسيره ، فيقول :

(أحسن طرق التفسير : أن يُفسَّرَ القرآنُ بالقرآن ، فما أُجمل في مكانٍ فإنّه قد بُسط في موضع آخر . فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة ، فإنها شارحة للقرآن وموضّحة له ، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : كلّ ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مِمّا فهمه من القرآن) .

(والغرضُ أنّك تطلبُ تفسيرَ القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنّة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن : « فَبِمَ تحكم » ؟ قال : بكتاب الله ، قال : « فإن لم تجدْ » ؟ قال : بسنّةِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « فإن لم تجدْ » ؟ قال : أجتهدُ رأيي ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدرِهِ ، وقال : « الحمدُ لله الذي وفّقَ رسولَ رسولِ الله لِما يرضي رسولَ الله » ، وهذا الحديث في المسند والسنن بإسنادٍ جيّد) .

ثم قال : (وحينئذٍ إذا لم نجدِ التفسيرَ في القرآن ولا في السنّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لِما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصُّوا بها ، ولِما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح) .

(وإذا لم تجدِ التفسيرَ عن الصحابة ، فقد رجعَ كثيرٌ من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين) .

ويتلخص منهجه فيما يلي :

أولاً : يذكر الآية أو الآيات المراد تفسيرها ، ثم يأخذ في تفسيرها إمّا بشكل مجمل ثم يأخذ بتفصيلها ، وإما بتفصيلها مباشرة ، وهو في كلا الحالتين يذكر فيها ما تحتاج إليه من بيان وإيضاح بإسهاب وتوسّع .

ثانياً : يُفسِّرُ القرآن بالقرآن ، فيذكر جميع الآيات التي لها علاقة أو ارتباط بالآية التي يُفسِّرها . مع ذكره للقراءات في ذلك .

ثالثاً : يُفسِّرُ القرآن بالسنّة ، فهو يسوق الروايات بأسانيدها وبتعدّد طرقها ، موضحاً وجه الارتباط بين الآية والأحاديث التي يُفسر بها الآية .

رابعاً : يذكر أقوال الصحابة في تفسيرهم للآية ، ويُكثر من النقل عنهم .

خامساً : كما يذكر أقولا التابعين ومرويّاتهم في التفسير باستفاضة .

سادساً : اهتمامه بالتفسير اللغوي للآيات الكريمة مع ذكر الشواهد في ذلك .

سابعاً : استنتاجه لكثير من الأحكام الشرعية المستفادة من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة في معرض سياقها في التفسير .

ثامناً : ذكره لأقوال الفقهاء المتعلقة بآيات الأحكام .

تاسعاً : يعقِدُ فصولاً مطوّلةً يذكرُ فيها أقوالَ المفسرين في بسط ما ذكره في تفسيره للآية .

عاشراً : يذكر المسائل والأنواع المتعلّقة بموضوع تفسير الآية ، بتفصيلٍ ووضوحٍ .

حادي عشر : يذكر الأحاديث النبوية ، وآثار الصحابة المتعلّقة بتلك المسائل والأنواع .

ثاني عشر : يعقد فصولاً خاصة لأقوال السلف والتابعين ، لإيضاح أقوالهم الفقهية واجتهاداتهم الشرعية ويوازن بينها بالدليل والبرهان .

ثالث عشر : ينهجُ في بيان العقيدة منهجَ السلف بكل دقة وروية .وهذه ميزة اختص بها عمن سواه ، حيث لم يتعرَّض للمسائل الكلامية .

هذا ما توصلتُ إليه من بيان منهج الإمام ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم ؛ من مُقدّمتِهِ ، وواقع تفسيره . والله تعالى أعلم .

القواعد الهامّة في علم التجويد والترتيل

ـ ١ ـ

تعريف علم التجويد ومعناه

التجويد لغة : التّحسين ، يُقال جوّدتُ الشيء إذا حسّنْتُهُ .

والتجويد اصطلاحاً : هو علم يعرف منه تلاوة كلام الله عز وجل القرآن الكريم حسب ما أنزل على النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بإعطاء كل حرف حقه من الصفات والمدود والترقيق والتفخيم من غير تكلف بالنطق ولا تعسف .

غايته : بلوغ النهاية في إتقان لفظ القرآن الكريم على ما تلقى من الحضرة النبوية .

طريقة الأخذ به : التلقي من أفواه العارفين بطرق القراءة . وصون اللسان عن اللحن والخطأ في كتاب الله عز وجل .

فضل تجويد القرآن الكريم : هو من أشرف العلوم الشرعية ، حيث أنه يتعلّق بأشرف الكلام .

حكمه : أنه فرض كفاية . والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلّفين .

قال ابن الجزري :

معـرفـة التجـويـد حـتم لازم ... من لم يجـود القـرآن آثم

لأنـه بـه الإله أنـزلا ... وهكـذا منـه إلينـا وصـلا

وهـو أيضـاً حـليـة التـلاوة ... وزينـة الأداء والقـراءة

وهـو إعطـاء الحـروف حقـهـا ... من صـفـة لهـا ومستحـقِـهـا

ورد كل واحـد لأصـلـه ... واللفـظ في نظـيره كمثـلـه

مُكَمّـلاً من غـير مـا تكـلف ... بـاللفـظ في النـطـق بـلا تعسف

وليس بينـه وبـين تـركـه ... إلا ريـاضـة امـرئ بفـكـه

وامتثالاً لأمر الله تعالى ﴿ ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً ﴾ سورة المزمل (٤) وللإجماع الأمة على وجوبه .

ـ ٢ ـ

تعريف علم الترتيل ، ومعناه

الترتيل في اللغة : هو الترسل في القراءة والتبين .

موضوعه : الكلمات القرآنية وحروفها. فإنه يبحث عن كيفية التلفظ بها ومخارجها وصفاتها كالترقيق والتفخيم والإخفاء والإظهار والإدغام والإقلاب وغير ذلك .

واضعه : أئمة القراءات . وقيل : واضعه حفص الدوري رحمه الله .

ثمرة التجويد : صون اللسان وحفظُه من اللحن والخطأ في لفظ القرآن الكريم والأمن من اختلاط بعض الأحكام ببعض حيث قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » أخرجه البخاري في صحيحه ، وقال : « إنّ هذا القرآن حبل الله

والنّور المبين والشفاء النافع . عصمة لمن تمسّكَ به ونجاة لمن اتّبعه . اتلوه فإن اللهيأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أمَا إنّي لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » أخرجه الحاكم . وقال : « الماهر بالقرآن مع السَفَرَةِ الكرام البَرَرَة » رواه البخاري .

ـ٣ـ

مراتب تلاوة القرآن الكريم وأركانها

لتلاوة القرآن الكريم ثلاثة مراتب وهي الترتيل والحدر والتدوير .

١ ـ **الترتيل** : في اللغة مصدر رتل الكلام إذا أحسن أداءه ، وهو الترسل في القراءة والتبين بغير تقصير

وفي الاصطلاح : قراءة القرآن الكريم على مكث وتفهم من غير عجلة بل القراءة بتؤدة واطمئنان وإعطاء الحروف حقها من المخارج والصفات .

وهو الذي نزل به القرآن الكريم ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقرآناً فرقناهُ لتقرأهُ على النّاسِ على مكث ونزّلناه تنزيلاً ﴾ سورة الإسراء (١٠٦) .

وقال جل شأنه : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ سورة المزمل (٤٠) ، أي تلبَّث في قراءته وتمهل ، وافصلِ الحروف ، وهذا مما يُعين على تدبر القرآن وتفهمه .

وإنَّ مرتبة الترتيل هي أفضل المراتب وأحسنها .

٢ ـ **الحدر** : وهو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد وقواعده ، ولابدّ فيه من مراعاة المدود والقطع والوصل مع الحَذَرِ من بتر حروف المد وذهاب الغنة فهو خطأ واضح .

٣ ـ **التدوير** : وهو التوسط بين الترتيل والحدر .

فلا يجوز الخروج عن هذه المراتب الثلاث بالتطويل الزائد مثلاً عن الترتيل ، أو بالسرعة الزائدة عن الحدر فكلاهما إخلال يخرجها عن الأداء الصحيح .

فليختر القارئ إحدى المراتب الثلاث التي توافق طبعه ويخف بها لسانه .

ـ٤ـ

أركان ثبوت القراءة الكريمة

للقراءة الكريمة أركان ثلاثة تثبت بها :

أولاً : أن توافق القراءة رسم المصحف العثماني الشريف ، فلا بدّ للقارئ من معرفة شطر منه كالمقطوع والموصول ، والمحذوف والثابت من حروف المدّ . وما كتب بالتاء المبسوطة والهاء المربوطة . ليعرف كيف يقف .

ثانياً : أن توافق القراءة وجهاً نحوياً من الإعراب . ولا يجب على القارئ تعلم النحو على الصحيح . ولو تعلمه لكان أحسن .

ثالثاً : صحة السند وهو أن تؤخذ القراءة عن القرّاء المتقنين الذين اتصل سندهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة كانت القراءة شاذّة .

ـ٥ـ

تعريف المدّ وأنواعه

المدّ : لغة هو المط والزيادة ، تقول العرب : مددتُ مداً أي زدت زيادة ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ويُمددكم بأموال وبنين ﴾ سورة نوح (١١)أي يزدكم .

والمد اصطلاحاً : هو إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ ،وحروف المدّ ثلاثة وهي الألف الساكنة المفتوح ما قبلها . والواو الساكنة المضموم ما قبلها . والياء الساكنة المكسور ما قبلها . وسميت هذه حروف المد لامتداد الصوت بها بسهولة وعدم كلفة ، مثل ﴿ نوحيها ﴾ من قوله تعالى ﴿ من أنباء الغيب نوحيها إليك ﴾ سورة هود (٤٩) .

أقسام المد : ينقسم المدّ إلى قسمين أصلي وفرعي .

فالمد الأصلي : ويسمى بالمد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات الحروف إلا به ولا يتوقف على سبب من همزة أو سكون ، بل يكفي فيه وجود أحد حروف المدّ الثلاثة .

المدّ الطبيعي : سمي طبيعياً ، لأن صاحب الطبع السليم لا ينقصه عن حده ولا يزيد عليه ، وأحرفه أحرف المد الثلاثة المتقدمة ، ويمد بمقدار حركتين .

الحركة : وهي بمقدار ما يقبض الإنسان أصبعه أو يبسطها بحالة وسطى .

ويلحق بالمد الأصلي (الطبيعي) أربعة مدود وهي مد العِوض ومد الصلة الصغرى ومد البدل ومد التمكين .

١ ـ **مدّ العوض** : هو مد في حالة الوقف عوضاً عن فتحتين في حالة الوصل ، وهو يقع عند الوقف على التنوين بالنصب مثل قوله تعالى ﴿ غفوراً . رحياً . علياً . حكياً ﴾

أما إذا وقفنا عليها فتقرأ ﴿ غفوراْ ﴾ ﴿ رحياْ ﴾ فقدْ آلَ التنوين بالنصب إلى ألف ساكنة قبلها مفتوح ، لذلك أخذت حكم المد الطبيعي ، فتمد مثله بمقدار حركتين .

٢ ـ **مدّ الصلة الصغرى** : هو مد هاء الضمير إذا وقعت بين حرفين متحركين مثل ﴿ إنَّهُ يعلم ﴾ ﴿ مالَهُ يتزكى ﴾ ﴿ على رجعهِ لقادر ﴾ فإشباع الضمة على هاء الضمير يجعلها واواً ساكنة قبلها مضموم فتقرأ (إنَّهو يعلم) (مالهو يتزكى) (بهي بصيراً) فبإشباع الكسرة على هاء الضمير تصير ياءً ساكنة قبلها مكسور ، لذلك أخذت في الأمثلة السابقة حكم المد الطبيعي ، فتمد بمقدار حركتين مثل المد الطبيعي .

ولو كان قبل هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثال ذلك ﴿ منه ، إليه ﴾ إلا في قوله تعالى ﴿ فيه مُهَاناً ﴾ سورة الفرقان (٦٩) فتقرأ (فيهي مُهَاناً) مع أن قبل هاء الضمير حرف ساكن فهي تمد كمد الصلة الصغرى بمقدار حركتين وهي شاذة عن القاعدة .

ولو كان بعد هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثل ﴿ كما علمه الله ﴾ البقرة (٢٨٦) .

ويستثنى من قاعدة الصلة الصغرى قوله تعالى ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ فلا تمد مع أنها واقعة بين متحركين فتقرأ كما تكتب ﴿ يرضه لكم ﴾ بدون مد ، وهي من سورة الزمر (٧) .

٣ ـ **مدّ البدل** : هو أن يأتي قبل حرف المدّ همز .

وقد يقع في أول الكلمة مثل ﴿ آمنوا ﴾ ﴿ أوتوا ﴾ ﴿ إيماناً ﴾ ويقع أيضاً في وسط الكلمة مثل ﴿ الموؤودة ﴾ ﴿ فآوى ﴾ ويمد بحركتين كالمد الطبيعي .

وسمي بدلاً لأن حرف المد في هذه الحالة مُبْدَلٌ عن همزة ساكنة ، فأصل كلمة آمنوا ﴿ أأمنوا ﴾ وأصل كلمة أوتوا ﴿ أأتوا ﴾ وأصل كلمة إيماناً ﴿ إإمانا ﴾ فأبدلت الهمزة الثانية الساكنة بحرف مناسب لحركة الهمزة الأولى فصارت في المثال الأول ألفاً ساكنة ﴿ آمنوا ﴾ وفي المثال الثاني واواً ساكنة ﴿ أوتوا ﴾ وفي المثال الثالث ياءً ساكنة ﴿ إيماناً ﴾ ولذلك سمي هذا بمدِّ البدل .

٤ ـ **مدّ التمكين** : وهو يقع عند اجتماع ياءين أولاهما ساكنة والثانية مكسورة مثل ﴿ حُييتم ﴾ ﴿ النبيّين ﴾ ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي . وسمي بمد التمكين لأن الشدة الحاصلة من اجتماع الياءين مكنته من المد . وأما كلمة ﴿ وليِّ ﴾ فتمد الياء الأولى إذا وقف على الياء الثانية .

والمد الفرعي : هو الذي يتوقف على سبب الهمز أو السكون فإن أتى بعد المد الطبيعي همزة أو سكون زيد المد فيه عن المد الطبيعي .

فالمد الفرعي الذي هو بسبب الهمز : وهو أن يأتي حرف المد وبعده الهمز ، همزة ، فإن وقع اجتماعهما في كلمة واحدة فهو مدّ المتصل وإن وقع في كلمتين فهو مدّ المنفصل .

١ ـ **مد المتصل** : هو أن يأتي حرف المد وبعده الهمز في كلمة واحدة مثل ﴿ جاء ﴾ ﴿ جيئ ﴾ ﴿ تبُوءَ ﴾ فيجب مده في حالة الوصل خمس حركات وفي حالة الوقف تجوز الزيادة إلى ست حركات ، لعروض السكون بالوقف وهذا لا يكون إلا إذا اجتمعت الهمزة والمد في آخر الكلمة وقد أجمع القراء على وجوب مده زيادةً على المد الطبيعي .

٢ ـ **مدّ المنفصل** : هو أن يجتمع حرف المدّ والهمز في كلمتين فيأتي المد في آخر الكلمة الأولى ويأتي الهمز في أول الكلمة الثانية ولذلك سمي بالمد المنفصل ، ومثال ذلك ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ﴿ يا أيها ﴾ .

ويُمدّ بمقدار خمس حركات جوازاً . وإنما كان مده جائزاً لا واجباً لعدم اتفاق القراء على وجوب مده .

حيث أوجب البعض مده بأربع أو خمس حركات ، والبعض الآخر أوجب القصر فيمد بمقدار حركتين فقط .

ولكن هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي الالتزام بحالة من المد أو القصر في تلاوة واحدة فلا يمد المنفصل في آية مثلاً خمس حركات وفي آية ثانية يمد المنفصل بحركتين في تلاوة واحدة .

المدّ الفرعي بسبب السكون : هو أن يأتي حرف المدّ وبعده حرف ساكن وهو نوعان : المد العارض للسكون والمد اللازم ويلحق بالمد العارض للسكون مد اللين .

١ ـ **مدّ العارض للسكون** : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك ، ويُوقف عليه بالسكون مثل ﴿ الحسنات ﴾ ﴿ الحساب ﴾ ﴿ الدِّين ﴾ ﴿ المتقين ﴾ ﴿ يعملون ﴾ . فقد جاءت حروف المد وهي الألف والياء والواو في الأمثلة السابقة ، وبعدها حرف متحرك يمكن الوقوف عليه بالسكون فالوقف هذا يسمى مد عارض للسكون ، ويجوز في مده ثلاثة أوجه : الطول وهو ست حركات والتوسط أربع حركات والقصر حركتين .

٢ ـ **مدّ اللين** : هو إطالة الصوت بالواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما والمتحرك ما بعدهما ، ويوقف عليه بالسكون مثال ذلك ﴿ خوف ﴾ ﴿ بيت ﴾ .

ويمد في حالة الوقف كالعارض للسكون على الأوجه الثلاث ولا يمد في حالة الوصل كما لو قرأ مثلاً ﴿ فلا خوفٌ عليهم ﴾ .

مدّ اللازم : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً لازماً سواء كان في حالة الوقف أو حالة الوصل ، مثال ذلك ﴿ الحاقَّة ﴾ ﴿ الطَّامَّة ﴾ ﴿ قٓ ﴾ ﴿ نٓ ﴾ ﴿ الٓمٓ ﴾ .

فقد جاء بعد حرف المدّ في كلٍ من الحاقة والطامة حرف ساكن سكوناً لازماً ، لأن الحرف المشدد هو عبارة عن اجتماع حرفين من جنس واحد أولهما ساكن والثاني متحرك ، فالحاقة هي عبارة عن (الحاقْقَة) والطامة (الطامْمَة) .

وأما الحروف المذكورة ﴿ قٓ ﴾ ﴿ نٓ ﴾ ﴿ الٓمٓ ﴾ في أوائل السور فهي تقرأ (قاف) (نون) (ألف لام ميم) ويمد بمقدار ست حركات وجوباً باتفاق القراء .

ويقسم المدّ اللازم إلى قسمين : مدّ لازم كلمي ، ومدّ لازم حرفي .

١ ـ **المدّ اللازم الكلمي** : وهو الذي يقع في الكلمة مثل ﴿ الصّاخّة ﴾ ﴿ الطّامّة ﴾ وهو نوعان : مدّ لازم كلمي مثقل ومدّ لازم كلمي مخفف .

٢ ـ **المدّ اللازم الكلمي المثقل** : وذلك حين يأتي في الكلمة حرف مدٌّ وبعده حرف مشدّدْ مثل ﴿ الحاقّة ﴾ ﴿ الطامَّة ﴾ .

٣ ـ **المدّ اللازم الكلمي المخفف** : وذلك حين يأتي في الكلمة حرف المد وبعده حرف ساكن/ غير مشدد/ سكوناً لازماً ، ولا يوجد في القرآن الكريم على قراءة حفص إلا في موضعين من سورة يونس وهما قوله تعالى ﴿ الآن وقد كنتم ﴾ و﴿ الآن وقد عصيت ﴾ (٥١) و(٩١) .

٤ ـ **المدّ اللازم الحرفي** : هو الذي يقع في حرف من أوائل السور والأحرف الواقعة في أوائل تسع وعشرين سورة من القرآن الكريم مثل ﴿ الٓمٓ . الٓمٓصٓ . الٓر . طٓسٓمٓ . حٓمٓ ﴾ إلخ وتشتمل على ثلاثة عشر حرفاً وهي : (ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن) وهي بالنسبة للمد على نوعين .

فنوع من الحروف السابقة تُمدّ بمقدار ست حركات ، وهو المد اللازم الحرفي بنوعيه المثقل والمخفف ، وحروفه (ن ق ص ع س ل ك

م) ، مجموعة في قولك (نقص عسلكم) فهي تمد مدّ اللين ، وذلك في قوله تعالى ﴿ كهيعص ﴾ وقوله ﴿ حم عسق ﴾ غير أن حرف العين يمد ست حركات أو أربعة كما قال الشاطبي (وفي عين الوجهان والطول فُضلا) .

والنوع الثاني من الحروف السابقة تمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي ، وهي بقية الأحرف (ح ي ط هـ ر) المجموعة في قولك (حيٌّ طهر) وإنّ المد اللازم الحرفي على نوعين حرفي مثقل وحرفي مخفف .

فالمد اللازم الحرفي المثقل : هو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ وبعده حرف مشدد مثل ﴿ الـمّ ﴾ فالمدّ في اللام مدّ لازم حرفي مثقل لمجيء حرف المد وهو الألف وبعده حرف مشدد فهي تقرأ (ألف لامْ مِيم) .

والمد اللازم الحرفي المخفف : وذلك حين يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ بعده حرف ساكن سكوناً لازماً مثل ﴿ قٓ ﴾ ﴿ نٓ ﴾ وحرف الميم من ﴿الـمّ﴾ فالمد فيها مدّ لازم حرفي مخفف لمجيء حرف المد فيها وبعده حرف ساكن سكوناً لازماً ، فهي تقرأ (قاف) (نون) (ميم) .

ـ٦ـ

أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة : هي النون المسكّنة مثل ﴿ إنْ ﴾ ﴿ منْ ﴾ ﴿ كنْتم ﴾ .

التنوين : هو نون ساكنة تتبع آخر الاسم لفظاً وتفارقه خطاً ووقفاً وهو فتحتان أو ضمتان أو كسرتان مثل ﴿ علياً ﴾ ﴿ عليمٌ ﴾ ﴿ عليمٍ ﴾ وذلك عند وصل الكلمة بما بعدها فإن وقفنا عليها لم نأت بالتنوين وإنما نقف عليها بألف ساكنة فنقول ﴿ علياً ﴾ وذلك في حالة النصب وفي حالتي الرفع والجر فنقف على حرف ساكن مثل ﴿ عليمْ ﴾ .

والتنوين إنما يظهر عند وصل الكلمة بما بعدها فنقول (عليمن حكيما) (عليمُن شكور) (عليمن بالظالمين) وللنون الساكنة والتنوين بالنسبة لما يقع بعدها من حروف الهجاء أربعة أحكام : وهي الإقلاب والإظهار والإدغام والإخفاء .

١ ـ **الإقلاب** : هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مع الغنة ، بمقدار حركتين وذلك عند حرف الباء فقط مثال ذلك ﴿ من بعد ﴾ فتقرأ (م بعد) ﴿ وسميع بصير ﴾ فتقرأ (سميعم بصير) وهكذا .

٢ ـ **الإظهار** : هو النطق بكل حرف من مخرجه من غير غنة وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الحلق وهي حروف الإظهار وعددها ستة حروف وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء مثال ذلك ﴿ من آمن ﴾ ﴿ حكيمٌ عليم ﴾ ﴿ أنعمت ﴾ ويسمى إظهاراً حلقياً فيجب إظهار النون الساكنة أو التنوين مستقلة عن الحرف الذي بعدها من حروف الإظهار المبينة من غير غنة .

٣ ـ **الإدغام** : هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك حيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني ، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإدغام الستة المجموعة بلفظ (يرملون) .

مثال ذلك ﴿ من ربهم ﴾ فقد اجتمعت النون الساكنة وبعدها حرف الراء المتحركة فتدغم النون مع الراء بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني فتقرأ (مرَّبهم) وكذلك قوله تعالى ﴿ من لدنا ﴾ فتقرأ (مِلَّدُنا) فهي على التحقيق (مِرْرَبهم) و(مل لدنا) فدغمت من غير غنة ويسمى إدغاماً كاملاً لذهاب الحرف والصفة معاً ، ووجه حذف الغنة مع اللام والراء المبالغة في التخفيف ، ويستثنى إدغام النون في الراء من قوله تعالى ﴿ منْ راق ﴾ فإنه يسكت عليها سكتة لطيفة بدون تنفس ولا يأتي الإدغام مع السكت. وتنقسم حروف الإدغام الستة المجموعة بلفظ (يرملون) إلى قسمين :

أولاً : إدغام بغنّة : وحروفه (الياء . والواو . والميم . والنون) وهي مجموعة بلفظ (يومن) مثال ذلك ﴿ فمن يعمل ﴾ فتقرأ (فميَّعمل) مع الغنة بمقدار حركتين .

ثانياً : إدغام بلا غنة : وحروفه اللام والراء فقط ، مثل ﴿ من ربهم ﴾ و﴿ من لدنا ﴾ كما مرَّ ذكرها .

ولا يقع الإدغام إلا في كلمتين فإذا اجتمعت النون الساكنة مع حرف من حروف الإدغام في كلمة واحدة فلا تدغم وإنما تظهر ويسمى (إظهارٌ شاذ) ومثال ذلك (دنيا) (صنوان) (قنوان) وهناك موضعان في كتاب الله تعالى لا يجب الإدغام فيهما مع كونهما

متحققين مع القاعدة العامة ، وإنما يجب فيهما الإظهار دون الإدغام وهما قوله تعالى ﴿ يسٓ والقرآن الحكيم ﴾ وقوله ﴿ نٓ والقلم ﴾ فقد اجتمعت فيهما النون الساكنة مع الواو في كلمتين على اعتبار أنهما تقرآن (ياسينْ والقرآن الحكيم) و(نون والقلم) فيجب الإظهار فيهما استثناءً من القاعدة ، وذلك برواية حفص والله أعلم .

الغُنّة : هي صوتٌ يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه وتمدّ بمقدار حركتين ، ومن أبرز مواضعها النون والميم المشددتان مثال ذلك ﴿ ثمَّ ﴾ ﴿ إنَّ ﴾ ﴿ عمَّ ﴾ ﴿ الجنَّة ﴾ .

٤ ـ الإخفاء : هو لغة الستر . واصطلاحاً : النطق بحرف ساكن خال من التشديد وهو على حالة بَيْنَ الإظهار والإدغام مع بقاء الغنّة وهو أن يأتي بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإخفاء وهي خمسة عشر حرفاً (ص ذ ث ج ش ق س ك ض ظ ز ت د ط ف) وهي مجموعة في أوائل كلمات هذا البيت :

صف ذا ثنـا جود شخص قد سما كرماً ضـع ظالمـاً زدْ في تقى دُمْ طالبـاً فترى

فإذا جاء التنوين أو النون الساكنة وبعدها حرف من حروف الإخفاء سواءٌ كان التقاء النون الساكنة وحرف من حروف الإخفاء في كلمة واحدة أو في كلمتين وجب إخفاء النون بالنطق بها على حالة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع الغنّة بمقدار حركتين مثال ذلك للنون الساكنة مع الصاد ﴿ منْصوراً ﴾ ﴿ لئن صبرتم ﴾ .

ومثال التنوين مع الكاف ﴿ علواً كبيراً ﴾ ومع القاف ﴿ عليمٌ قدير ﴾ وهكذا بقية الحروف .

— ٧ —

أحكام الميم الساكنة

للميم الساكنة بالنسبة لما يأتي بعدها من حروف الهجاء ثلاثة أحكام : (إدغام متماثل) و(إخفاء شفوي) و(إظهار شفوي) .

١ ـ **الإدغام المتماثل** : ويسمى بالإدغام الشفوي وهو إذا جاء بعد الميم الساكنة حرف الميم فقد وجب إدغامهما معاً بغنة فيصيران ميماً واحدة مشددة مثل ﴿ لهمْ مَا يشاءون ﴾ ﴿ لكمْ مَا كسبتم ﴾ ﴿ عليهم مؤصدة ﴾ .

٢ ـ **الإخفاء الشفوي** : وهو إذا جاء بعد الميم السـاكنة حرف الباء فقد وجب إخفاء الميم عنده بغنة مثل ﴿ فاحكمْ بَينهم ﴾ ﴿ ترميهمْ بِحجارة ﴾ ، وسمي إخفاءً شفوياً لخروج حرفه (الباء) من الشَّفَة .

٣ ـ **الإظهار الشفوي** : هو إذا جاء بعد الميم الساكنة بقية حروف الهجاء ، عدا الميم والباء فيجب إظهار الميم من غير إدغام ولا إخفاء ولا غنة ، مثال ذلك ﴿ أمْ حسبتم ﴾ ﴿ يؤتكمْ أُجورَكم ﴾ ، وأشد ما يكون الإظهار الشفوي وضوحاً عند حرف الواو والفاء مثل ﴿ فهم في رحمة الله ﴾ وقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

— ٨ —

الإدغام وأحكامه وأنواعه

الإدغام : هو إدخال حرف بآخر .

وأنواعه بحسب الصفة ينقسم إلى ثلاثة أقسام : (إدغام متماثل) و(إدغام متجانس) و(إدغام متقارب) .

١ ـ **الإدغام المتماثل** : هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة ، ويلي أحدهما الآخر سواءَ اجتمعا في كلمة واحدة أو في كلمتين كاجتماع التاء مع التاء : في قوله تعالى ﴿ فما ربحتْ تِجارتهم ﴾ أو اجتماع الباء مع الباء : في قوله تعالى ﴿ أن اضربْ بِعصاك الحجر ﴾ واجتماع الواو مع الواو : في قوله تعالى ﴿ آووا ونصروا ﴾ واجتماع الكاف مع الكاف : في قوله تعالى ﴿ يُدرككم الموت ﴾ والميم مع الميم مثل : ﴿ في قلوبهمْ مَرض ﴾ واللام مع اللام مثل ﴿ قلْ لهم ﴾ والذال مع الذال ﴿ إذْ ذهب ﴾ إلى غير ذلك ، فتدغم التاء بالتاء والباء بالباء والكاف بالكاف إلخ . ويلفظان كالحرف المشدّد من غير غنّة لعدم وجود أحد طرفي الغنة فيها .

وأما اجتماع الميم مع الميم في مثل قوله تعالى ﴿ في قلوبهمْ مرض ﴾وقوله﴿لكمْ ما كسبتم﴾ فتدغم الميم مع الميم مع الغنة لوجود الميم وهو حرف غنة .

٢ ـ **الإدغام المتجانس** : هو أن يتحد الحرفان في المخرج ويختلفان في بعض الصفات ، ويلي أحدهما الآخر فيجب الإدغام في المواضع التالية : كاجتماع الدال الساكنة مع التاء مثل ﴿ لقدْ تقطع ﴾ و﴿ مهَّدْتَ ﴾ و﴿ قدْ تبين ﴾ و﴿ عَبَّدْت ﴾ .

وكذلك في اجتماع التاء الساكنة مع الدال مثل ﴿ أثقلتْ دَعوا الله ربَّهما ﴾ و﴿ أجيبتْ دعوتكما ﴾ وفي اجتماع التاء الساكنة مع الطاء مثل ﴿ همتْ طائفة ﴾ و﴿ آمنتْ طائفة ﴾ .

وكذلك في اجتماع الطاء مع التاء في مثل قوله تعالى ﴿ بسطْت ﴾ مع بقاء صفة الإطباق في الطاء .

وأيضاً في اجتماع الذال الساكنة مع الظاء مثل ﴿ إذْ ظلموا ﴾ وكذلك في اجتماع الثاء الساكنة مع الذال مثل ﴿ يلهثْ ذلك ﴾ واجتماع الباء الساكنة مع الميم مثل ﴿ اركبْ معنا ﴾ .

٣ ـ **الإدغام المتقارب** : هو أن يتقارب الحرفان في المخرج أو الصفة ، ويلي أحدهما الآخر فيجب الإدغام من هذا النوع في موضعين .

الأول : في اجتماع اللام الساكنة مع الراء مثل ﴿ وقلْ رب ﴾ و﴿ بلْ رفعه الله ﴾ .

الثاني : هو اجتماع القاف الساكنة مع الكاف ﴿ ألم نخلقْكم ﴾ .

ـ ٩ ـ

أحكام اللام المُعَرِّفَة

للام المعرِّفة أربعة أحكام : التفخيم والترقيق والإدغام والإظهار .

١ ـ **تفخيم اللام في لفظ الجلالة** : إن ضم ما قبلها أو فتح مثل ﴿ قال إني عبدُ الله ﴾ و﴿ منَ الله ﴾ .

٢ ـ وتُرَقَّقُ فيما سوى ذلك مثل ﴿ بسمِ الله ﴾ و﴿ آمنتُ بالله ﴾ .

٣ ـ **وتدغم اللام المعرفة** : إذا جاءها بعدها أحد الحروف التالية وهي (ط ث ص ر ت ض ذ ن د س ظ ز ش ل) وعددها أربعة عشر حرفاً وهي مجموعة في أوائل كلمات هذا البيت :

طبْ ثم صِـلْ رحماً تفزْ ضفْ ذا نِعَمْ   دعْ سُـوءَ ظنٍّ زُرْ شـريفـاً للكـرم

وتسمى هذه اللام باللام الشمسية مثل ﴿ التّواب ﴾ ﴿ الطّامة ﴾ نسبة إلى لام الشّمس المدغمة ، ويليها حرف مشدد .

٤ ـ **وتظهر اللام المعرفة** : إذا جاء بعدها حرف من بقية الحروف وهي : (أ ب غ ح ج ك و خ ف ع ق ي م هـ) وهي مجموعة في قولك (إبغِ حجَّكَ وخَفْ عقيمه) ومثال ذلك ﴿ القمر ﴾ ﴿ العليم ﴾ وتسمى هذه اللام باللام القمرية نسبةً إلى لام القمر .

أما اللام التي تقع في أول الفعل أو في أول الاسم الموصول فإنها لا توصف بكونها شمسية ولا قمرية لأنها من بنية الكلمة مثل ﴿ التقتا ﴾ ﴿ التقى ﴾ ﴿ ألْهَاكم ﴾ ولام الموصول مثل (الذي) (التي) إلى غير ذلك .

ـ ١٠ ـ

أحكام الراء وأحوالها

للراء ثلاثة أحكام التفخيم والترقيق وجواز الوجهين : وإنما تأخذ حكمها بحسب موقعها من حركة الكسر أو الفتح أو الضم أو السكون .

تفخيم الراء : تفخم الراء في خمسة مواضع :

١ ـ إن ضمت أو فتحت مثل ﴿ عُرباً أتراباً ﴾ .

٢ ـ إن سكنت وكان قبلهاضم أو فتح مثل ﴿ القرآن ﴾ و﴿ العرش ﴾ .

٣ ـ إن سكنت وكان قبلها كسر عارض مثل ﴿ لمن ارتضى ﴾ .

٤ ـ إن سكنت وقفاً وكان قبلها ساكن وقبل الساكن ضم أو فتح مثل ﴿ والعصر ﴾ و﴿ الشكر ﴾ .

٥ ـ إن سكنت وكان قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء غير مكسور ، مثل ﴿ قرطاس ﴾ و﴿ مرصاد ﴾ وحروف الاستعلاء مجموعة في قولك ﴿ خص ضغط قظ ﴾ وهي الحروف المفخمة .

ترقيق الراء : ترقق الراء في أربعة مواضع :

١ – إن كسرت مثل ﴿ رجال ﴾ .

٢ – إن سكنت وكان قبلها كسر أصلي مثل ﴿ فرعون ﴾ .

٣ – إن سكنت وكان قبلها ياءٌ ساكنة مثل ﴿ قدير ﴾ ﴿ خبير ﴾ .

٤ – إن سكنت وقفاً وكان قبلها ساكن وقبل الساكن كسر مثل ﴿ السِّحر ﴾ .

جواز التفخيم والترقيق في الراء : وذلك في موضعين :

١ – إذا سكنت وكان قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء مكسور ، مثل ﴿ كلُّ فِرْقٍ كالطّود العظيم ﴾ فجاز فيها التفخيم لوقوعها ساكنة قبل حرف القاف والقاف حرف من حروف الاستعلاء .

وجاز الترقيق أيضاً لأنّ حرف الاستعلاء وإن كان يناسبه التفخيم لكنه جاء مكسوراً والكسر يضعف التفخيم .

والموضع الثاني إذا جاءت ساكنة في آخر الكلمة وقد سبقها حرف استعلاء ساكن وهو مسبوق بحرف مكسور مثل ﴿ مصر ﴾ و﴿ قطر ﴾ والمرجح التفخيم في ﴿ مصر ﴾ لانفتاحها حالة الوصل ﴿ اهبطوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ ، والمرجح الترقيق في ﴿ قطر ﴾ لكسرها حالة الوصل ﴿ وأرسلنا له عين القطر ومن الجن ﴾ .

وفي تفخيم الراء المتطرفة وترقيقها وقفاً ورد الخلاف في المواضع التالية :

١ – في قوله تعالى ﴿ فأسرِ بأهلك ﴾ سورة هود آية (٨١) وفي قوله تعالى ﴿ فأسر بعبادي ﴾ سورة الدخان (٢٣) .

٢ – وفي قوله تعالى ﴿ والليل إذا يسر ﴾ في سورة الفجر (٤) .

٣ – وفي قوله تعالى ﴿ أن أسر بعبادي ﴾ في سورة طه (٧٧) وقال بعضهم :

ورقق القـــــراء راء قطـــــــر   في حـــالة الوقف لأجـل الكســـر

وجـــاز تفخـــيم وعكس ثبتـــا   في راء مصر فـاحفـظنـه يـا فتى

وورد الخلاف أيضاً في راء ﴿ فِرْقٍ ﴾ غير أنها وقعت في وسط الكلمة وهي في قوله تعالى ﴿ فكان كل فِرْقٍ كالطود العظيم ﴾ بترجيح التفخيم على الترقيق شريطة أن يقرأ بقصر مدّ المنفصل ، وإلا فالأرجح الترقيق وهذه الآية في سورة الشعراء (٦٣) .

حكم الألف الساكنة : من حيث تفخيمها أو ترقيقها ، فإنها تتبع ما قبلها في التفخيم والترقيق .

وبعد هذا العرض الموجز لأهم قواعد التجويد والترتيل نسأل الله تعالى أن يوفقنا لتلاوة كلامه على النحو الذي يرضاه عنّا ، وأن يتقبّل منّا تلاوتَنا وعباداتِنا وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم ، وأن يُعلِّمنَا ما جهلنا من أحكام كتابه الكريم ، وأن يوفقنا للعمل بما علَّمنَا ، إنّه سميعٌ مجيب .

تاريخ

جمع القرآن الكريم وتدوينه

ليس في الوجود كتابٌ سماويٌّ وصلَ إلى ذُروة التوثيق العليا كالقرآن الكريم ، الذي كُتب على أصح أسلوب التدوين ، وعلى أدق قواعد الضبط ، في مصحف لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي ظلّ ينتقل إلينا بطريق يعجزُ البشرُ عن مثله لغيره . فقد كان نقله بوسيلتَين مقترنتَين دائماً وأبداً : الحفظُ في الصدور ، والرسمُ في السطورِ مُتداولاً ليلاً نهاراً على طول وعرض الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان .

* * *

وبهذا الشكل الرائع الذي لا نظيرَ له في وجود البشر اكتسب نقلُ القرآن الكريم صفةَ التواتر الذي يفيد القطع واليقين الجازم في أنّ هذا القرآنَ قد وصلَ إلينا من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، ونحنُ نقرؤهُ الآنَ بنفسِ الضبطِ والإتقانِ اللذين كان يتّسِمُ بهما في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في حين تلقيه وأدائه على حدّ سواء .

* * *

وما ذلك إلّا من رعاية الله تبارك وتعالى لكلامه العظيم الذي استودعه في مصاحف الأمة ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . فكان حفظُ الله تعالى للقرآنِ الكريم النعمة الكبرى التي أنعمَ بها سبحانه على الأمة الإسلامية ، فحفظَ لها به إسلامَها وعقيدتَها وشريعتها وآدابَها وأخلاقَها ولغتَها وحضارتَها . ولولا حفظُ القرآن الكريم لها لكانت الأمة العربية بل الأمة الإسلامية خبراً بعد أثر . فهي محفوظة من الزوال والاندثار بحفظ القرآن الكريم .

* * *

ولقد مرّ توثيقُ النصّ القرآني المجيد بخمس مراحل من مراحل الرعاية والعناية ، والضبط والإتقان في حفظه ورسمه وجمعه وتدوينه وتحمّله وأدائه وضبط قراءاته .



كتّاب الوحي من الصحابة

اتخاذ الكتاب المتخصصين بالكتابة العربية لكتابة القرآن الكريم وذلك :

لما كان من حرْصِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كتابتِهِ وتدوينِهِ . فقد اتّخذَ عليه الصلاة والسلام لذلك كتّاباً متخصصين بالكتابة العربية وقواعد إملائها حسبما كان في ذلك الوقت من الاصطلاحات التي تتعلق بالخط العربي الأصيل .

وقد كان وجود الكتابة في العرب قبيل الإسلام ، إرهاصاً لبعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ليجتمع للقرآن الكريم الرسمُ في السطور إلى الحفظِ بالصدور ، وبذلك يتهيّأ للقرآن من دواعي الحفظ والرعاية ما لم يتهيّأ لغيره ، ويتحقق وعد الله تعالى بحفظه ورعايته .

* * *

كتّاب الوحي :

لقد كان لرسول الله كتّابٌ يكتبُون له ، فمنهم من كان يكتبُ بشكلٍ عام ، ومنهم من كان يكتب له الوحي بشكل خاص ، وقد كان هؤلاء على رتبة عالية من الأمانة والثقة بالإضافة إلى كونهم حاذقين في الهجاء والكتابة ، وقد اشتهر منهم في كتابة الوحي : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح ، وهؤلاء من كتبة الوحي المكي ، وقد زاد عليهم مَن انضمّ إليهم من الأنصارِ وهم : أُبيّ بن كعب وهو أولُ مَن كتبَ بالمدينة له عليه الصلاة والسلام ، وزيدُ بن ثابت وهو أكثرهم كتابة للوحي المدني ، ثم انضمّ إليهم : الزبيرُ بن العوام وخالدُ وأبانُ ابنَا سعيد بن العاص بن أميّة ، وعبدُ الله بن رواحة ، وعمرو بن العاص ، وخالدُ بن الوليد ، والأرقَم بن الأرقم . (انظر فتح الباري ٩ / ١٨ ، والأسماء واللغات للنووي ١ / ٢٩) .

* * *

كيفيّةُ الكتابة بين يديه عليه الصلاة والسلام :

قال زيدُ بن ثابت رضي الله عنه : (كنتُ أكتبُ الوحيَ عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يُملي عليّ ، فإذا فرغتُ قال : « اقرأ » ، فأقرأُهُ ، فإذا كانَ فيهِ سَقْطٌ أقامَهُ ، ثم أُخرُجُ بهِ إلى النّاس) رواه الطبراني بسندٍ رجاله موثقون .

وقال ابنُ عباس وعثمانُ رضي الله عنهما : (كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يأتي عليه الزمانُ وهو تُنزّل عليه السُّورُ ذوات العَدَدِ ، فكان إذا أُنزل عليه شيءٌ منه دعَا بعضَ مَن كانَ يكتبُ فيقولُ : ضَعُوا هذهِ الآياتِ في السورةِ التي يُذكرُ فيها كذا وكذا ، وإذا نزلتْ عليه الآيةُ يقولُ : ضَعُوا هذهِ الآيةَ في السورة التي يُذكرُ فيها كذا وكذا) . (رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن) .

حفظ الصحابة للقرآن الكريم

استحفاظُ النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه للقرآن :

روى البخاريُ ومسلمٌ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه قال : سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ : « خُذُوا القرآنَ مِن أربعةٍ : مِن عبدِ الله بنِ مسعود ، وسالمٍ – بن معقل ، مولى أبي حذيفة – ومُعاذِ بن جبل ، وأُبيِّ بنِ كعبٍ » .

وقد كان جميع الصحابة يتبادرون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى مَن سمّاهم من الحفظةِ يأخذونَ منهم القرآنَ ويحفظونَهُ ، كلٌّ على قدرِ طاقتِهِ .

وقد استطاعَ استجماعَ القرآنِ كلّه غيرُ هؤلاء الأربعة وهم : أبو بكر الصديق ، وعمرُ بن الخطاب ، وعثمانُ بن عفان ، وعليُّ بن أبي طالب ، وعبدُ الله بن عمر ، وعبدُ الله بن عمرو بن العاص ، وأبو زيد عمّ أنس بن مالك ، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري ، وعبادةُ بن الصامت ، وطلحةُ ، وحذيفةُ ، وأبو هريرة ، وسعدُ بن عُبيد ، ومن النساء الصحابيات : عائشةُ وحفصةُ وأُمُّ سلمة : أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وليستْ هذه التسميةُ للحصر ، فقد ثبت في الصحيح أنّ يوم بئر مَعُونة قُتِلَ من الأنصار سبعون ، كانوا يُسمّون القُرّاء، وكانت هذه الغزوة في السنة الرابعة للهجرة .

هذا بالإضافة إلى مَن حفظَ أجزاء القرآن من الألوف المؤلّفة الذين لا يُحصون .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستقرئ بعضَ أصحابه للقرآن ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اقرأ عليّ » ، فقلتُ : يا رسولَ الله أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟ قال : « نعم ، إنّي أحبُّ أنْ أسمعَهُ من غيري » .

حتى بلغ من عنايته عليه الصلاةُ والسلام في تحفيظِ أصحابِهِ كلامَ الله تبارك وتعالى أنْ كانَ يرغبهم في حفظه فيقولُ لهم ، كما في صحيح ابن حبان : « تعلّمُوا القرآنَ ، واقرؤُوه ، فإنّ مثلَ القرآنِ لمنْ تعلّمه فقرأَهُ كمثلِ جِرَابٍ مَحْشُوٌّ مِسْكاً يفوحُ رِيحُهُ في كلِّ مكان ، ومَن تعلّمه فَيَرْقُدُ وهو في جوفه ، مَثَلُهُ كمثلِ جِرَابٍ أُوكِئَ على مِسْكٍ » . ويقول كما في الصحيحين : « خيرُكُم مَنْ تَعَلَّم القرآنَ وعلَّمَهُ » ويقول كما في المستدرك بإسناد صحيح : « مَنْ قرأَ القرآنَ فقدِ استدرَجَ النُّبوّةَ بينَ جنبيهِ غيرَ أنّه لا يُوحَى إليهِ » . ويقولُ كما في مسند أحمد بإسنادٍ رجالُه ثقات: «اقرؤُوا القرآنَ ولا تغلوا فيهِ، ولا تجفُوا عنهُ ولا تأكلوا به، ولا تستأثروا به»، ويقولُ فيما رواه الترمذي بسندٍ صحيح: «الذي يقرأُ القرآنَ وهو مَاهِرٌ بهِ معَ السّفرةِ الكِرامِ البَرَرَةِ ، والذي يقرؤهُ وهو عليه شاقٌّ لهُ أجرَان » . ويقولُ فيما رواه الحاكم بسندٍ صحيح : « إنّ لله أهْلينَ مِنِ النّاس ، قالوا : مَنْ هُم يا رسولَ الله ؟ قالَ : أهلُ القرآن ، هُم أهلُ اللهِ وخاصّتُهُ » . ويقولُ فيما رواه ابن حِبّان في صحيحه : « يُقالُ لصاحب القرآن : اقرأْ وارْقَ ، ورَتِّلْ كما كنتَ ترتِّلُ في الدنيا ، فإن منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُهَا » . وفي صحيح ابنِ حِبّان أيضاً : « عليكَ بتلاوةِ القرآنِ ، فإنّه نورٌ لكَ في الأرضِ وذُخْرٌ لكَ في السماء » . ويقولُ فيما رواه الحاكم بسندٍ صحيح : « إنّ الذي ليسَ في جوفِهِ شيءٌ مِنَ القرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ » .

وكان عليه الصلاة والسلام يُرشدُهم إلى ما يُقوّي حفظَ القرآنِ ، فيقولُ فيما رواه البخاريُ ومسلمٌ : « إنّما مَثَلُ صاحِبِ القرآنِ كَمَثَلِ الإبلِ المعَقَّلة ، إنْ عاهَدَ عليها أَمْسَكَها ، وإن أَطْلَقَها ذَهبتْ » . ويقول فيما رواه ابنُ نَصْرٍ في كتابه قيام الليل : « إذا قام صاحبُ القرآنِ فقرَأَهُ باللّيْلِ والنّهار ذكرَهُ – أي بقي حافظاً له – وإنْ لم يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » .

حفظ الصحابة للأحاديث النبويّة

مَنْعُ النبيّ عليه الصلاة والسلام كتابةَ غير القرآن من أحاديثه الشريفة :

فقد روى الخطيبُ البغدادي في تقييد العلم أنّ أبا سعيد الخدري قال : (جَهَدْنَا – أي : بذلنا جُهدنا – بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يأذنَ لنَا في الكتابِ فأبَى) ، وفي رواية : (استأْذنّا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكتابةِ فلم يأذنْ لنَا) .

وروى مسلمٌ عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالَ : « لا تَكْتُبُوا عنّي ، ومَنْ كتبَ عنّي غيرَ القرآنِ فَلْيَمْحُهُ » .

وفي تقييد العلم للخطيب البغدادي أنّ أبا هريرة قال : خرجَ علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحنُ نكتبُ الأحاديثَ فقال : « ما هذا الذي تكتبُون ؟ » ، قلنا : أحاديثُ نسمعُها منكَ ، قال : « كتابٌ غيرَ كتابِ الله ؟! أتَدْرُونَ ما ضَلّ الأممَ قبلَكُم إلّا بما اكْتَتبوا مِنَ الكُتبِ معَ كتابِ الله تعالى » .

فهذا النهي مِنَ الرسولِ عليه الصلاة والسلام توقفَ الصحابةُ عن كتابةِ الحديثِ واتجهُوا بهِ إلى تمكينِهِ في الأذهان والفكر خشيةَ نسيانِهِ . واقتصرُوا بالكتابة على القرآنِ الكريم خشيةَ اختلاطه بما ليسَ منهُ ، وذلك حِيْطةٌ في العنايةِ والرعايةِ التي فرضَها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الحين .

إلّا أنّه عليه الصلاة والسلام قد أجازَ لبعضِ أصحابه على الخصوص بكتابة أحاديثه الشريفة ، وذلك كما رواه الدّارميُّ في سننه [ص ١٢٥] عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : (كنتُ أكتبُ كلَّ شيءٍ أسمعُهُ مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أُريدُ حفظَهُ ، فنهتني قريشٌ ، وقالوا : تكتبُ كلَّ شيءٍ سمعتَهُ مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بشرٌ يتكلّمُ في الغضبِ والرِّضَا ؟! فأمسكتُ عن الكتابِ ، فذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاومأ بإصبعِهِ إلى فيْه وقال : « اكتبْ فوَالذي نفسِي بيدِهِ ما خَرَجَ منهُ إلّا حَقّاً » .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة : (أنّه لّما فتحَ اللهُ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مكّةَ قامَ الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم وخطبَ في النّاسِ ، فقامَ رجلٌ من أهلِ اليَمَنْ يُقالُ لهُ : أبو شَاه ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، اكتبُوا لي – أي : ما قد سمعتُه مِن قولِهِ عليه الصلاة والسلام – فقالَ : « اكتبُوا لَهُ ») .

وفي الإصابة وفتح الباري [١ / ٢١٧] ، أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقولُ : (ما مِنْ أصحابِ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أحدٌ أكثرَ حديثاً عنهُ –صلى الله عليه وآله وسلم – إلّا مَا كانَ مِنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرو ، فإنّه كانَ يكتبُ ولا أكتبُ) .

وفي طبقات ابن سعد [٧ /٤٩٤] ، عن إسحاق بن يحيى عن مجاهد أنّه قالَ : (رأيتُ عندَ عبدِ اللهِ بنِ عمرو صحيفةً ، فسألتُهُ عنها ، فقالَ : هذهِ الصادقةُ ، فيها ما سمعتُ مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليسَ بيني وبينَهُ فيها أحدٌ !!) .

ففي هذه الأحاديثِ والآثارِ في هذا الموضوع ، أنّ نهيَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابةِ أحاديثِهِ معَ القرآنِ ، إنّما كانَ خوفَ الالتباس والاختلاط ، وأنّ النهيَ – واللهُ أعلمُ – كانَ لصرفِ هِمَمِ الصحابةِ للاشتغالِ بالقرآنِ الكريم وتدوينه وتوثيقِ نصِّه وتوكيدِ لفظِهِ ، وتركِ الحديثِ للمارسة العَمَليّةِ ، لأنّهم كانُوا يُطَبّقُون هديَهُ فيهِ ، فَيَرَوْنَ فيتّبعون ، ويسمَعُون فيهتَدون .

وإلى جانبِ هذا سمحَ عليه الصلاة والسلام لِمَنْ كانَ يأمنُ منهُ اختلاطَ القرآنِ بغيرِهِ أن يُدوّنَ الحديث كعبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص ، وذلك لِما كان يراهُ عليه الصلاة والسلام من عبدِ الله ، فقد روَى النسائيُّ بسندٍ صحيحٍ أنّ عبدَ الله بن عمرو قالَ : (جمعتُ

القرآنَ ، وقرأتُ بهِ كلَّ ليلةٍ ، فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلكَ ، فقالَ : « اقرأْهُ في شَهْرٍ » ، قلتُ : أستطيعُ أكثرَ مِنْ ذلكَ..) . كما أنّه عليه الصلاة والسلام أباحَ لمن يَصْعُبُ عليه حفظُ حديثِهِ ، أن يستعينَ بالكتابة ، حتى إذا حفظَ المسلمون القرآنَ الكريمَ وميَّزوهُ عَن الحديثِ بطبيعتِهم وسليقتِهُمُ الإسلامية نُسِخَ النهيُّ بالإباحة عامّةً .

فقد روى مسلمٌ عن ابنِ عباسٍ أنّه قالَ : (لما اشتدَّ بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وَجَعُهُ قالَ : « ائتُوني بكتابٍ أكتبُ لكم كتاباً لا تَضِلُّوا بعدَهُ » ، قالَ عمرُ : إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غَلَبهُ الوجعُ – وهو يريد بذلك أن يستعفيَهُ – وعندَنا كتابُ الله حسبُنا ، فاختلفوا وكَثُرَ اللَّغطُ ، قالَ : « قوموا عنّي ، ولا ينبغي عنديَ التنازُعُ » . فقولُهُ عليه الصلاة والسلام هذا هو واضحٌ في أنّه كان يُريدُ أن يُملي عليهم شيئاً من سنّتِهِ الطاهرةِ . فيُفهمَ من دَلالة ذلك انّه أباحَ ما كانَ محظوراً على الصحابة ومَنْ بعدَهم من كتابةِ الحديثِ الشريفِ بشكلٍ عام ، واللهُ أعلمُ .

تدوين القرآن الكريم
في عهد أبي بكر

جَمعُ القُرآن وكتابتُه في عَهْدِ الخَليفَةِ الصِّدِّيق

لما التحقَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى ، ورَجَعتْ نفسُهُ الطاهرةُ إلى ربِّها راضيةً مرضيّةً ، تولّى أمرَ الأمّة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وكانَ ذلك في السنةِ الحاديةَ عشرةَ مِنَ الهجرةِ ، فظهرَ مُسيلمةُ الكذابُ الذي ادّعَى النبوّةِ زوراً وبهتاناً ، يطمع في حكم العرب ، وكان يتخذُ ادّعاء النبوّة وسيلةً لذلك ، فثارَ إثْرَ وفاةِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخليفة الصديق ، فجهزَ له أبو بكر جيشاً لمحاربتِهِ .

ولّما دَارَتْ رَحَى الحربِ ، وكانتِ المعركةُ حَامِيَةَ الوَطِيسِ ، استشهدَ فيها كثيرٌ من الصحابةِ ، وكانَ من بينهم ما يقربُ مِنَ السبعين من حفَظَةِ القرآنِ الكريمِ ، فهالَ ذلك جميعَ المسلمين ، وعزَّ الأمرُ على عمرَ بنِ الخطاب ، فدخلَ على أبي بكرٍ وأخبرَهُ الخبرَ ، وأشارَ عليهِ بجمعِ القرآنِ ، قَبْلَ أنْ يَسْتَحِرَّ القتلُ بباقي القُرّاء في معارك قادمةٍ ، وما زالَ بهِ يؤكّدُ عليهِ ذلك حتى أقرّهُ .

روى البخاريُ أنّ زيدَ بنَ ثابتٍ قالَ : (أرسلَ إليَّ أبو بكرٍ مقتلَ أهلِ اليمامة – أي : حينَ مقتلِهم – فإذا عمرُ بنُ الخطاب عندَهُ ، فقالَ أبو بكر : إنّ عمرَ بنَ الخطاب أتاني فقال : إنّ القتلَ استحرَّ – أي : اشتدَّ – يومَ اليمامةِ بقُرّاءِ القرآنِ ، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتلُ بالقرّاء في المَواطِنِ ، فيذهبُ كثيرٌ مِنَ القرآنِ ، وإنّي أرى أنْ تجمعَ القرآنَ . فقلتُ لعمرَ : كيفَ تفعلُ شيئاً لم يفعلْهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقالَ عمرُ : هو واللهِ خيرٌ ، فلم يزلْ يراجعُني حتى شرحَ اللهُ صدرِي لذلكَ ، ورأيتُ في ذلكَ الذي رآهُ عمرُ .

قالَ زيدٌ : قالَ أبو بكر : إنّكَ شابٌ عَاقلٌ لا نتهِمُكَ ، وقدْ كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فتتّبعِ القرآنَ فاجمعْه ، – قال – : فَوَاللهِ لو كلفوني نقلَ جبلٍ من الجبال ما كانَ أثقلَ عليَّ مّما أمرني بهِ من جمعِ القرآنِ .

قلتُ : كيفَ تفعلان شيئاً لم يفعلْهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالا : هو واللهِ خيرٌ . فلم يزلْ أبو بكر يراجعني حتى شرحَ الله صدري للذي شُرحَ له صدرُ أبي بكر وعمر . فتتبّعتُ القرآنَ أجمعُهُ مِنَ العُسُبِ واللِّخافِ وصُدورِ الرجال ، حتى وجدتُ آخرَ سورةِ التوبةِ مع أبي خُزيمةَ – أي : ابنِ أوس بن زيدٍ – الأنصاري لم أجدْهَا معَ غيرِهِ ، ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ.. ﴾ إلى آخر السورة [التوبة : ١٢٨] . فكانتِ الصحفُ عندَ أبي بكر حتى توفاهُ اللهُ ، ثم عندَ عمرَ في حياتِه ، ثم عند حفصةَ بنتِ عمر) .

وقوله: (حتى وجدت آخر سورةِ التوبةِ مع أبي خزيمة)، ليسَ معناهُ إثباتُ الآيةِ بحفظ الواحدِ، لأنّ زيداً كانَ قدْ سمعَها وحفظها وعلِمَ موضعَها في سورةِ التوبةِ مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكانَ ذلكَ زيادةً في التّوثيقِ والتّحري والتأكيد .

وفي رواية ، (ففقدتُ آيةً كنتُ أسمعُها مِنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، لم أجدْها عندَ أحدٍ ، فوجدتُها عندَ رجلٍ مِنَ

الأنصار ، وهو خزيمةُ بنُ فاكِهَ بنُ ثابتِ بن ثعلبة ، الذي كان يُعرف بِذِي الشهادتَين لكثرةِ تصديقِهِ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، والآيةُ هي قولُهُ تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ.. ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . فقولُهُ ، (ففقدتُ آيةً كنتُ أسمعُها مِنْ رسولِ اللهِ..) يُبيّنُ لَنا أنّه كانَ لا يكتبُ إلّا مِنْ مَعِين مَا كُتِبَ بينَ يَدَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم لا مِنْ مجرّدِ الحفظِ دونَ الكتابةِ . (انظر الإتقان في علوم القرآن ١ / ٥٨) .

وهكذا . مضى زيدٌ رضي اللهُ عنه يجمعُ القرآنَ الكريمَ فيما تفرّقَ بينَ أيدي المسلمين مِنْ أجزائهِ وسوره من العُسُفِ واللّخافِ والصحائفِ والألواح ، ومن أفواهِ الرجالِ ، في مصحفٍ واحدٍ ، بحضورِ ومشهدِ وعِلْمِ جميعِ الصحابةِ الذين عاصَرُوا نزولَ الوحي ورَافقُوا حوادِثَهُ ووقائعَهُ ، فأتى جمعُ هذا المصحفِ على غايةٍ مِنَ البيانِ والرعايةِ والإتقانِ .

وقد امتازَ هذا الجمعُ الذي حقَّقَ المرحلةَ الثانيةَ لتوثيقِ النّصِّ القرآني الكريم بالميّزات التاليةِ :

أولاً : أنّ كلَّ مَنْ كانَ قد تلقّى عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً مِنَ القرآنِ أتى وأدْلى بهِ إلى زيدٍ .

ثانياً : أنّ كلَّ مَنْ كتبَ شيئاً في حضرتِهِ عليه الصلاةُ والسلام مِنَ القرآنِ أتى بهِ إلى زيدٍ .

ثالثاً : أنّ زيداً كانَ لا يأخذُ إلّا مِنْ أصلٍ قدْ كُتِبَ بينَ يديِ النبيّ عليهِ الصلاةُ والسلام .

رابعاً : أنّ الجمعَ بعدَ المقارنةِ بينَ المحفوظِ في الصُّدورِ والمرسومِ في السُّطورِ والمقابلةِ بينهما لا بمجرد الاعتمادِ على أحدِهما .

خامساً : أنّ زيداً كانَ لا يقبلُ مِنْ أحدٍ شيئاً حتى يشهدَ مَعَهُ شاهِدانِ على سماعِهِ وتلقيهِ عِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيكونُ بذلكَ قدْ تَمَّ هذا التدوينُ عن طريقِ الأداءِ الجماعِي ، والثلاثةُ أقلُّ الجمعِ .

سادساً : أنّ ترتيبَهُ وضبطَهُ على حَسبِ العَرضَةِ الأخيرةِ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلَ الْتِحَاقِهِ بالرفيق الأعلى .

هذا .. وقدْ كانَ يشارِكُ زيداً في هذهِ المُهمّةِ العظيمَةِ عمرُ بنُ الخطاب ، فعَنْ عُروةَ بن الزبيرِ أنّ أبا بكرٍ قالَ لعمرَ وزيدٍ : (اقْعُدَا على بابِ المسجدِ ، فَمَنْ جاءَكُم بشاهِدَين على شيءٍ من كتابِ اللهِ فاكْتُباهُ) . قال الحافظُ السخاويُ في (جَمَالِ القُرّاءِ) : (المُرادُ أنّهُمَا يشهدانِ على أنّ ذلكَ المكتوبَ كُتِبَ بينَ يدي رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، أو المرادُ أنّهما يشهدانِ على أنّ ذلكَ مِنَ الوُجُوهِ التي نَزَلَ بها القرآنُ) . (الإتقان ١ / ٥٨) .

روى ابنُ أبي داودَ في كتابهِ (المصاحف) أنّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ قالَ : (أعظمُ النّاسِ أجراً في المصاحفِ أبو بكرٍ ، رحمةُ الله على أبي بكرٍ هُوَ أولُ مَنْ جَمَعَ القرآنَ بينَ اللوحَين) .

* * *

مصاحف الصحابة

وقدْ كانَ بعضُ الصحابةِ يكتُبُ القرآنَ في مصحفِهِ من تلقاءِ نفسهِ ، فمن تلك المصاحف : مصحفُ عبدِ اللهِ بنِ مسعود ، ومصحفُ أُبيِّ بنِ كعب ، ومصحفُ عبدِ اللهِ بنِ عمر ، ومصحفُ زيدِ بنِ ثابت . وكلُّهم قرؤوا القرآنَ الكريم وحفِظُوه على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلّا أنّ زيدَ بنَ ثابتٍ كانَ آخرُهم عَرْضاً على النبي عليه الصلاة والسلام ، إذْ كانَ ذلك في عامِ وَفاتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم .

وقدْ كانَتْ هذهِ المصاحفُ وعامةُ الصُحفِ التي كُتِبَتْ في زَمنِ نُزولِ الوحي في خِدْمةِ هذا المصحفِ الذي جُمِعَ على عهدِ الخليفةِ الصدِّيق رضي الله تعالى عنهُ .



المصحف العثماني وجمعه

الجمعُ الثّاني واستِنْساخُ مصَاحِف الأمْصار في عَهْدِ أمير المؤمنين عُثمان بن عفّان

لّما امتدّتِ الفتوحاتُ الإسلاميةُ في زَمنِ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفانَ رضي اللهُ عنهُ ، واتّسعتْ رُقْعَةُ الإسلام ، وانتشرَ الصحابةُ في أقطارِ الأرضِ وأمصارِهَا ، واختلطَ العربُ بغيرِهم مِنَ الأمّةِ الإسلامية . وأصبحَ أهلُ كلِّ بَلَدٍ ومِصْرٍ مِنَ العالَمِ الإسلامي يتلقّونَ القرآنَ الكريمَ عمنْ وَفَدَ إليهم مِنْ رَهْطِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانَ أهلُ الشّامِ يقرؤونَ بقراءةِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ ، وأهلُ الكوفةِ يقرؤون بقراءةِ عبدِ اللهِ بنِ مسعود ، وهكذا كلُّ بَلَدٍ يقرأُ بقراءةِ مَنْ حَلَّ بهِ مِنَ الصحابةِ.

فكانَ بينَ تِلكَ القراءاتِ التي تحمّلَها الصحابةُ عَنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فُروقٌ في وُجُوهِ أداءِ القرآنِ لاشتمالِهَا على الأحْرُفِ السّبعةِ التي كانتْ رُخصةً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقبائلِ العربُ في قراءةِ القرآنِ بلغاتِهم ولهجاتِهم التي جَرَتْ عادتُهم باستعمالها ، ونَصُّ هذه الرخصة قد بلغَ رتبةَ التّواتر ، وهو قولُهُ صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرف ، فاقرؤوا ما تَيَسّرَ منها » . (فتح الباري للحافظ ابن حجر ٢١/٩) .

وقدْ كانَ وُرُودُ هذهِ الرخصةِ بعدَ الهجرةِ ؛ وذلكَ بعدَ أنْ دخلَ الإسلامَ من القبائلِ المختلفةِ ، بلهجاتٍ مُتبايِنَةٍيَصْعُبُ على كلٍّ منها تقليدُ غيرِ لهجتِها ، على ما فيهم مِنَ الأُميّةِ ، ولذلكَ نجدُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ : « إنّي بُعثتُ إلى أُمّةٍ أُميين ؛ منهُمُ الغُلامُ والخادِمُ والشّيخُ العاسِي والعَجوز » . وقد تَنبَّهَ ابنُ قتيبةَ لاختلافِ لَهَجاتِ العربِ التي كانتْ سبباً في اختلاف قراءاتِهم فقالَ : (ولو أنَّ كلَّ فريقٍ من هؤلاءِ أُمِرَ أنْ يزولَ عن لغتِهِ ، وما جرى عليهِ اعتيادُهُ طفلاً وناشِئاً وكهلاً ، لاشتدَّ ذلكَ عليه ، وعظمتِ المِحنَةُ فيهِ ، ولم يمكنْهُ إلّا بعدَ رياضةٍ للنّفسِ طويلة ، وتذليلٍ للسانِ ، وقطعٍ للعادةِ) . وهذا ما قَرّرَهُ الحافظُ ابنُ الجزري فقالَ : (كانتِ العربُ الذين نزلَ القرآنُ بلغتِهِم ؛ لغاتُهم مُختلفةٌ ، وألسنتُهم شَتّى . فلو كُلِّفُوا العُدُولَ عن لغتهم ، والانتقالَ عن ألسنتهم لكانَ مِنَ التكليف بما لا يُسْتَطاعُ) . (تفسير الطبري ٣٥/١ ، والبرهان ٢٢٧/١ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٠ والنشر في القراءات العشر ٢٢/١) .

في سنة ٢٥ للهجرة ، ما بينَ السّنةِ الثانيةِ والثالثةِ من خِلافَةِ أميرِ المؤمنين عثمان ، وبعدَ خمسَ عشرةَ سنة من التحاقِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى .

فُتِحَتْ أرمينيةُ على يَدِ أهلِ الشّامِ والعراق ، وكانَ حُذيفةُ بنُ اليَمان – صاحبُ سِرِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – على أهلِ المدائن ، وهي من جملةِ أعمالِ العراقِ ، فكان من الغازين في أرمينية .

فتنازَعَ أهلُ الشامِ والعراقِ ؛ أهلُ الشامِ يقرؤون بقراءةِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ ، فيأتُون بما لم يسمعْ بهِ أهلُ العراقِ ، وهؤلاءِ يقرؤون بقراءةِ عبدِ اللهِ بنِ مسعود ، فيأتون بما لم يسمعْ بهِ أهلُ الشامِ ، فخطّأَ بعضُهم بعضاً . (فتح الباري ١٤/٣/٩) .

فكانَ مِمّن رأى ذلك الخلاف أمينُ سِرِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حُذيفةُ رضي اللهُ عنه ، فسمعَ ناساً مِنْ أهلِ حمصَ يزعُمون أنّ قراءتَهم خيرٌ من قراءةِ غيرِهم ، وأنّهم أخذوا القرآنَ عن المِقْدادِ ، ورأى أهلَ البَصرةِ يقولون مثلَ ذلك، وأنّهم قرؤُوا على أبي موسى الأشعري ، فغضِبَ حُذيفةُ حينَ رأى ذلكَ واحمرتْ عيناهُ ، فقامَ في النّاسِ خطيباً : فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : (هكذا كانَ مَنْ قَبْلَكم اختلفوا ، واللهِ لأركبَنّ إلى أميرِ المؤمنين) . وجاءَ فزِعاً إلى المدينةِ ، ولم يدخلْ بيتَهُ حتى أتى عثمانَ ، فقال لَهُ : (يا أميرَ المؤمنين أدْرِكْ هذهِ الأُمّةَ قبلَ أن يختلفوا في الكتابِ اختلافَ اليهودِ والنّصارى) . (فتح الباري ٩ / ١٤) .

وقد صادفَ ذلكَ أنّ اختلافاً مثلَهُ وقعَ في المدينةِ بينَ مُتعلّمي القرآنِ ومُعلميهِ ، فتعاظمَ ذلكَ في نفسِهِ ، فخَطَبَ الناسَ فقالَ : (أنتُم عندي تختلِفُون وتُلحِنون ؟! فَمَنْ نَأى عنّي مِنْ أهلِ الأمصارِ أشدُّ فيه اختلافاً ، وأشدُّ لحناً .. ثم قالَ : اجتمعوا يا أصحابَ مُحمدٍ فاكتبوا للنّاسِ إماماً - أي : مُصحفاً يكونُ إماماً - فلمّا اجتمعَ الصحابةُ عندَهُ ذاكَرَهم في أمر اختلافِ النّاس في القراءةِ ، وقالَ : فقد بلغني أنّ بعضَهم يقولُ : إنّ قراءتي خيرٌ من قراءتِكَ ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ؟! فقالوا لهُ : فما ترى ؟ قالَ : أرى أن نَجمعَ النّاسَ على مُصحفٍ واحدٍ ، فلا تكون فُرقةٌ ولا اختلافٌ ، فقالوا لهُ : نِعْمَ ما رأيتَ !! فأرسلَ أميرُ المؤمنين عثمان إلى أمِّ المؤمنين حفصَة رضي الله عنها ، أن أرسلي إلينا بالصُحفِ نَنسُخُها في المصاحِفِ) . (تفسير الطبري ٢١/١ فتح الباري ١٥/٩) .

وفي (المرشدِ الوَجيزِ) لأبي شامةَ المقدسي : (أنّ عثمانَ لما أرادَ أن يجمعَ المصْحفَ خطبَ فقالَ : أَعْزِمُ على كلِّ رجلٍ منكم كانَ معهُ مِنْ كتابِ اللهِ عزّ وجلّ شيءٌ لَمّا جاءَ بهِ ، قال : فكان الرجلُ يجيءُ بالورقةِ والأديمِ - أي : الجلد - فيه القرآنُ ، حتى جمعَ من ذلك شيئاً كثيراً . ثم دخلَ فدعاهُمْ رجلاً رجلاً يُناشِدُهُ : أسمعتَهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو أَمْلَّهُ عليكَ ؟ فيقولُ : نعمْ . فلمّا فرغَ من ذلك قالَ : مَنْ أكْتَبُ الناسِ ؟ قالوا : كاتِبُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم زيدُ بنُ ثابتٍ ، قالَ : فأيُّ النّاسِ أعربُ ؟ - أي : أفصحُ - قالُوا : سعيدُ بنُ العاص - وكان سعيدُ أشبه لهجة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ، قال أمير المؤمنين عثمان : فلْيملِ سعيدٌ وليكتبْ زيدٌ ، فكتبَ مصاحفَ فرّقَها في النّاسِ) . (المرشد الوجيز ٦٥) .

ثم ضمَّ إليهما : عبدَ اللهِ بنِ الزبير ، وعبدَ الرحمنِ بن الحارثِ بنَ هشام ، ثم قالَ للرهطِ القرشيين الثلاثة (سعيد وعبد الله وعبد الرحمن) : (إذا اختلفتُمْ أنتُمْ وزيدُ بنُ ثابتٍ في شيءٍ مِنَ القرآن ، فاكتُبوه بلسانِ قريش ، فإنما نزل بلسانهم - أي : غالبه - ثم احتاجوا إلى مَنْ يساعدُهم في الكتابةِ ، وذلكَ لاستنساخ عدّةِ مصاحف تُرسَلُ إلى الأمصارِ ، فانضمَّ إلى جماعةِ زيدٍ جماعةٌ أخرى) . (فتح الباري ١٥/٩ - ١٦) .

وقد عَمدَ هؤلاء الكاتبون في كتابةِ المصحفِ وتوثيق نَصّه الكريم على ما استقرتْ عليه العرْضَةُ الأخيرةُ التي عارَض بها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم جبريلَ مرتين قبلَ وَفاتِهِ .

قالَ أبو عبد الرحمن السُلَميّ : - وكانَ قدْ أخذَ القرآنَ عن عثمانَ وعليّ وابنِ مسعود وزيدٍ وأُبَيّ - : (قرأ زيدُ بنُ ثابتٍ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العامِ الذي توفّاهُ اللهُ فيهِ مرتين ، وإنما سُمّيَتْ هذهِ القراءةُ قراءةَ زيدِ بنِ ثابتٍ ، لأنّه كتَبَها لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرأهَا عليه ، وشَهِدَ العرضةَ الأخيرةَ ، وكانَ يُقرئُ النّاسَ بها حتى ماتَ ، ولذلكَ اعتمدَهُ أبو بكرٍ وعمرُ في جمعِهِ ، وَوَلّاهُ عثمانُ كَتْبَ المصاحِفِ ، رضي اللهُ عنهم أجمعين) ولذلك أتى الجمعُ الأخيرُ كاملاً وتاماً وللهِ الحمدُ . (المرشد الوجيز ٦٩) .

هذا . وإنّ حاصلَ ما شهدتْ بهِ الأخبارُ المتقدّمةُ ، وما صرّحتْ بهِ أقوالُ الأئمة ، أنّ جمعَ القرآنِ على ما هو عليهِ الآن كان في زمنِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإذنه وأمرهِ ، وأنّ جمعَهُ في الصُّحفِ خشيةَ دثورهِ بقتلِ قُرّائهِ كانَ في زَمَنِ أبي بكرٍ رضي الله عنه ، وأنّ نَسْخَهُ في المصاحفِ حملاً للنّاسِ على اللفظِ المكتوبِ حين نزوله بإملاءِ المَنْزولِ إليهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنعاً من قراءةِ كلِّ لفظٍ كان رُخصةً قبل زمنِ عثمانَ رضي الله عنه ، وكأنّ أبا بكرٍ كانَ غرضُهُ أن يجمعَ القرآنَ مكتوباً مجتمعاً غيرَ مفرَّقٍ على اللفظِ الذي أملاهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كَتَبةِ الوحي لِيُعْلَمَ ذلك ، ولم يَكلْ ذلكَ إلى حفظِ مَنْ حفظهُ خشيةَ فنائهم بالشهادةِ ، ولاختِلافِ لغاتهم في حفظِهم على ما كانَ أُبيْحَ لهم مِنْ قراءتِه على سبعةِ أحرف ، فلمّا وَلِيَ عثمانُ وكثُرَ المسلمون وانتشروا في البلادِ وخيفَ عليهُمُ الفسادَ مِنِ اختلافهم في قراءاتِهم لاختلافِ لُغاتِهم حمَلَهم عثمانُ على ذلكَ اللفظِ الذي جَمعهُ زيدٌ في زَمنِ أبي بكرٍ ، وبقيَ ما عَداهُ ، ليجمعَ النّاسَ على قراءةِ القرآنِ على وِفْقِ ما نزل على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى وِفْقِ ما كانتْ عليهِ العَرضةُ الأخيرةُ ، لا كما رُخِّصَ للنّاسِ من قراءةِ القرآنِ على لهجاتِهم من قبلُ .

فقد اتّضَحَ بما ذكرناهُ معنى ما فعلَهُ كلٌّ واحدٍ من الإمامين : أبي بكرٍ وعثمانَ رضي الله عنهما ، وتبيّنَ أن قصدَ كلٍّ واحدٍ منهما غيرُ قصدِ الآخر ، فأبو بكر قصدَ جمعَهُ في مكانٍ واحدٍ ، ذُخراً للإسلامِ والمسلمين ، وعثمانُ قصدَ أن يقتصرَ الناسُ على تلاوةِ القرآن على اللفظ الذي كُتبَ بأمرِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتعدّوهُ إلى غيرهِ من اللهجات التي كانتْ مباحةً لهم ، المنافيةِ لخطِّ المصحفِ الذي تضمّنَ أصولَ ما كُتِبَ بحضرةِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مقتضى العرْضَةِ الأخيرة .

الرسم العثماني للمصحف الشريف

مِنَ المقطوعِ بهِ نقلاً وعقلاً : أنّ القرآنَ الكريمَ كُتِبَ جميعُه بينَ يدي رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنَ الذين اتخذَهُمْ منْ أصحابِه لكتابةِ القرآنِ حينَ نُزولِهِ كانوا على قدرٍ رفيعٍ من الثقةِ والعنايةِ والرعايةِ والضبطِ والإتقانِ ومعرفةِ الكتابةِ العربيةِ معرفة جيّدة ، وأنّ ما أثبتوه مِنْ رسمِ النَصِّ القرآني بين يديهِ عليه الصلاةُ والسلام كانَ على غايةٍ مِنْ قُبول اللهِ تباركَ وتعالى لهُ ، إذْ لو كانَ مِنْ هؤلاءِ وعلى رأسهم زيدُ بنُ ثابتٍ خلْطٌ أو خبطٌ ، أو عدمُ إتقان وضبطٍ ، لأخبرَ اللهُ نبيَّهُ بذلك فاتّخذَ غيرَهم مِمّنْ هوَ أجودُ وأحسنُ وأضبطُ . أما وأنّه لم يكنْ شيءٌ مِنْ ذلكَ . فإنّا نقطعُ بأنَ القرآنَ الكريمَ قد كُتِبَ بينَ يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مُرادِ الله سبحانه ، وذلك لأنّه سبحانه وتعالى يأبى أنْ يُكتَبَ كلامُهُ على حالةٍ تتنافى مع قُدسيتِهِ وجلالتِهِ ، ويُوضِّحُ ذلكَ أكثرَ : أنّ الوحي كان مستمراً في النّزولِ ، والكتابةُ مُصاحبةٌ لهُ ، فلو حصلَ خطأ في الكتابةِ ، أو سهوٌ في مرسومِ الكلماتِ القرآنيةِ ، لنبَّهَ الوحيُ على ذلك ، لأنّ سوءَ الكتابةِ ينتجُ عنهُ سوءُ القراءةِ ، فهلْ كانَ شيءٌ مِنْ ذلكَ حتى يُتاحَ لأولئكَ المتقوّلين على رسمِ المصحفِ الشريفِ الذي تولّى كتابتَهُ كاتبُ الوحي الأمينُ زيدُ بنُ ثابتٍ ، الذي كانَ يكتبُ الوحيَ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثمّ مِنْ بعدهِ كتبَ القرآنَ لأبي بكرٍ أوّلاً ولعثمانَ ثانياً ؟! وهل كانَ الصحابةُ على قصرِ الباعِ في عدمِ إدراكِ السُّوءِ في الكتابةِ ، أو التقصيرِ في تحسينها ، حتى جاءَ المتفيهقون بالنّقدِ والتوجيهِ والتصويب للرسم العثماني في المصحف الشريف ؟!

إنّ الواجبَ المؤكّدَ على المسلمينَ عامةً ، وعلى علمائِهم خاصةً أن يقفُوا في وجهِ مَنْ يطعنُ برسمِ المصحفِ العثماني ، الذي تمّ على يدي زيدِ بنِ ثابت كاتبِ الوحي ، وأنّ على النّاسِ أن يضربوا بأقوالِهم عُرْضَ الحائط ، وليَثِقُوا بالرسم الذي أُطلق عليه (الرسم العثماني) نسبةً لأميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه

وذلك لأنّ كتابتَهُ أتتْ على وفْقِ ما أقرَّهُ عليه الصلاةُ والسلامُ في الكتابةِ التي تَمّتْ بينَ يديهِ عليه الصلاة والسلام ، ثم كان الإقرارُ العامُّ التامُّ من غيرِ إكراهٍ ولا إجبارٍ من جميعِ الصحابةِ الذين لا يخافون في اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ ، ثم انتهى الإقرارُ وامتدَّ إلى التابعين وتابعي التابعين ، فلم يُخالفْ أحدٌ منهم في هذا الرسمِ ، ولم يَرِدْ أنّ أحداً منهم فكّرَ في استبدال مرْسومه بمرسوم غيره حتى في عهد ازدهار التّدوين والتأليف ، فكان الجميعُ على احترامِهِ واتّباعِهِ ، وعدمِ إحداثِ أيّ تغييرٍ فيه .

قالَ الحافظُ أبو عمرو الداني في كتابه (المقنع في معرفة مرسومِ مصاحفِ أهلِ الأمصار ١١٤) : (فإنْ سألَ سائلٌ عن السَّبَبِ الموجِبِ لاختلافِ مرسومِ هذهِ الحروفِ الزوائد في المصاحف ؟ قلتُ : السَّبَبُ في ذلكَ عندنا : أنّ أميرَ المؤمنين عثمانَ بنَ عفانَ لمّا جمعَ القرآنَ في المصاحِفِ ، ونسخَها على صورةٍ واحدةٍ ، وآثرَ في رسمِها لغةَ قريشٍ دونَ غيرِها مّما لا يصحُّ ولا يثبتُ نظراً للأمة ، واحتياطاً على أهلِ المِلّةِ ، وثبتَ عندَهُ أنّ هذهِ الحروف مِنْ عندِ اللهِ عزّ وجلّ كذلك منزّلةٌ ، ومن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم مسموعةٌ ، وعَلِمَ أنّ جمعَها في مصحفٍ واحدٍ على تلك الحالِ غيرُ مُتمكّنٍ إلّا بإعادةِ الكلمةِ مرتين ، وفي رسم ذلك كذلكَ من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاءَ بهِ ، ففرّقها في المصاحِفِ لذلك ، فجاءت مثبتةً في بعضِها ، ومحذوفةً في بعضها ، لكي تحفظَها الأمةُ كما نَزَلَتْ من عندِ اللهِ عزّ وجلّ ، وعلى ما سُمِعَتْ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا سببُ اختلافِ مرسومِها في مصاحِفِ أهلِ الأمصار .

وفي المقنع ١١٨ : (عن أبي عُبيد قالَ : هذهِ الحروفُ التي اختُلِفَتْ في مصاحف الأمصار مثبتةٌ بينَ اللّوحين ، وهي كلُّها منسوخةٌ من الإمام الذي كَتَبَهُ عثمانُ ، ثم بعثَ إلى كلّ أُفقٍ مّما نَسَخَ بمصحَفٍ ، وهي كلُّها كلامُ اللهِ عزّ وجلّ) .

وقد سُئِلَ الإمامُ مالك : (أرأيتَ مَنِ استكتَبَ مُصْحَفاً اليومَ ، أترى أن يُكتبَ على ما أحدثَ النّاسُ مِنَ الهجاءِ اليوم ؟ فقالَ : لا أرى ذلك ، ولكنْ يكتب على الكَتْبَةِ الأولى) ، قال أبو عمرو الداني : (ولا مُخالِفَ لهُ في ذلك مِنْ علماءِ الأمّةِ) .

الرسم العثماني وقواعد الإملاء

هل رسم المصحف توقيفي ؟

ذهبَ جمهورُ العلماءِ إلى أنَّ رسمَ المصحفِ الذي كُتِبَ في زَمَنِ عثمانَ على يَدَيْ كاتبِ الوحي ، (زيد بنِ ثابت) توقيفيٌّ لا تجوزُ مخالفتُهُ في كتابةِ المصاحِفِ وطبعِها ، واستدلوا بما يلي :

أولاً : إنّ القرآنَ الكريمَ كُتِبَ كلُّه بينَ يدي رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانَ عليه الصلاةُ والسلامُ يُملي على كاتبِ الوَحي ، ويُرشدُهُ في الكتابةِ بوحيٍ من جبريلَ عليه السلام (ناظِرِ الوَحي) روى الطبراني بسندٍ رجالُه ثقاتٌ عن زيدِ بنِ ثابتٍ أنّه قالَ : (كنتُ أكتبُ الوَحيَ عندَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يُملي عليّ ، فإذا فَرَغْتُ قالَ : « اقرأْ » ، فأقرأُهُ ، فإذا كانَ فيهِ سَقْطٌ أقامَهُ ، ثم أَخْرُجُ بهِ إلى النّاس) .

ثانياً : إطباقُ القُرّاءِ جميعاً على قَواعِدِ رَسْمِ المُصحفِ الذي أجمعَ الصحابةُ جميعاً على وُجوبِ اتّباعِهِ وعدمِ مُخالفتِهِ ؛ وإجماعُهم لم يأتِ هكذا ، وإنّما كانَ على درايةٍ واضحةٍ في أنّ رسمَهُ توقيفيٌّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسبما يقتضي النّصُّ الكريمُ . ولذلك نَجدُ نصوصَ العلماءِ صريحةً في وُجُوبِ التقيّدِ بهِ وعدمِ مخالفتهِ ، ففي (الكِتاب) لابن درستويه ٧ : (وجدنَا كتابَ اللهِ جلَّ ذكرُهُ لا يُقاسُ هِجَاؤُهُ ، ولا يُخالَفُ خَطُّهُ ، ولكنَّهُ يُتلقّى بالقَبولِ على ما أُودِعَ المصحفُ) . وقال الإمامُ أحمدُ : (يحرمُ مُخالفةُ خطِّ مصحفِ عثمانَ في واوٍ أو ياءٍ أو ألفٍ أو نحوِ ذلك) . وقال الحافظُ البيهقي في شُعبِ الإيمان : (مَن كتبَ مُصحفاً ينبغي أن يُحافِظَ على الهِجَاءِ الذي كتبوا بهِ تلكَ المصاحِفِ ، ولا يُخالِفُهم فيهِ ، ولا يُغيرُ مّما كتبوهُ شيئاً ، فإنّهم كانوا أكثرَ علماً ، وأصدقَ قلباً ولساناً ، وأعظمَ أمانةً ، فلا ينبغي أنْ نظنَّ بأنفسِنَا استدراكاً عليهم) .

ثالثاً : إجماعُ القُرّاءِ قاطِبَةً على أنّ الرسم العثماني يحتملُ وُجُوهَ القراءاتِ المتواترةِ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلكَ شرطَ علماءُ الأصولِ (في القراءاتِ المتواترة) أن تكونَ موافقةً للرسم العثماني . ولهذا نجدُ جميعَ القراءاتِ العشَرةِ المتواترةِ مطابقةً للرسمِ العثماني كلَّ المُطابقةِ إذا كانَ على شكله الأوّل من غير تشكيلٍ ولا تنقيط .

رابعاً : لو كان الرسمُ العثماني غير توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكانَ تقريريّاً منهُ عليه الصلاة والسلام ، وهذهِ حُجةٌ شرعيةٌ لا مفر منها ، لأنهُ صلى الله عليه وآله وسلم كان يُشْرِفُ على كتابةِ المصحفِ بنفسهِ فإنْ كانَ فيهِ سَقْطٌ أقامَهُ ، كما قالَ زيدُ بنُ ثابت فيما تقدم وتقريرُهُ عليه الصلاة والسلام كقولِهِ وفعلِهِ على حدٍّ سَواءٍ .

الرسم العثماني وخصائصه

وللرسم العثماني للقرآن الكريم خصائصُ كثيرةٌ ، نُجملُ بعضَها فيما يلي :

أولاً : اختصاصُهُ بترتيبِ الآياتِ في مواضِعِها مِنَ السّوَر ، ثم ترتيبِ السّوَرِ في مواضِعِها من المصحفِ الشريفِ ، وأنّ ذلك توقيفيٌّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن ربِّ العالمين سبحانه وتعالى ، وقد نصَّ الحافظُ السيوطي في (الإتقان) علىَ أنّ أحاديثَ ترتيبِ الآياتِ في السّوَرِ ، وترتيبِ السّوَرِ في المصحفِ ، متواترةٌ عن الصحابةِ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : اختصاصُهُ بقواعِدِ الرسْمِ السبعةِ وهي : الحذفُ ، والزيادةُ ، والهمْزةُ ، والبَدلُ ، والوَصْلُ ، والفَصْلُ ، وما فيهِ قراءتانِ فكُتِبَ على إحداها . وذلك يقتضي وجوبُ أخذِ القرآنِ وتلقي تلاوتِهِ عن طريقِ المشافَهةِ ، وبذلك يتحقّقُ اتّصالُ السَّنَد من المقرئِ المُعَلِّم إلى رسولِ الله عليه الصلاة والسلام ، إلى ربِّ العالمين سبحانه وتعالى ، ولا يتحقّقُ اتُصالُ السَّنَدِ إلّا عن طريقِ التلقي المباشر : قارئٌ عن قارئٍ . إلى نهاية السَّنَدِ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومِنْ غيرِ تلقي تلاوة القرآنِ مُشافهةً عن المُقرئين يقعُ تالي القرآن في اللّحنِ والخطأ في تلاوتِهِ وذلك حرامٌ .

ثالثاً : احتمالُهُ جميعَ وجُوهِ القراءاتِ المتواترةِ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى أصبحَ من شروطِ كونِ القراءةِ متواترةً موافقتُها للرسْم العثماني ، والقراءةُ المخالفةُ له تُعتبر من الشَّواذِّ ، كما هو مُبيّنٌ في كُتُبِ القراءاتِ المُعتبرة .

رابعاً : تضمّنُهُ أسرارَ التنزيلِ الحكيم ، فمثلاً :

قولُهُ تعالى : ﴿ والسَّماءَ بَنَيْنَاهَا بأَييْدٍ وإنَّا لَموسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ، بيائين ، وذلك للإيماءِ إلى قدرةِ الخالقِ تباركَ وتعالى التي بَنى بها السَّماءَ وأنّها لا تُشبهها قوةٌ ذلك على حدِّ القاعدةِ المشهورةِ : (زيادةُ المبنَى تدلُّ على زيادةِ المعنَى) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الإنْسَانُ بالشَّرِّ دُعاءَهُ بالخَيرِ ﴾ [الإسراء : ١١] ، وقوله : ﴿ ويَمْحُ اللهُ الباطل ﴾ [الشورى : ٢٤] ، وقوله : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ [القمر : ٦] ، وقوله : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [اقرأ : ١٨] ، فإنها رُسِمَتْ في المصاحف العثمانية بغير واوٍ ، وفي ذلك سرٌّ دقيقٌ لِمَنْ أمعنَ النظرَ فيها ، فالسرُّ في حذفها التنبيهُ على سُرعةِ وقوعِ الفعل وسهولتِهِ على الفاعل ، وشدةِ قبولِ المتأثِّرِ به في الوجودِ . أمّا سِرُّ الحذفِ في الأولى : فللإشارةِ إلى أنّ الإنسانَ يُسارِعُ إلى الدعاءِ بالشّرِّ ، كما يُسارع إلى الخيرِ ، بل إثباتُ الشرِّ إليهِ من جهة ذاته أقربُ إليه من الخيرِ ولا سيما عندَ الغضب ، وأمّا سِرُّ الحذفِ في الثانية : فللإشارة إلى سُرعَةِ ذهابِ الباطِلِ واضمحلالِهِ ، وأمّا سِرُّ الحذفِ في الثالثةِ : فللإشارةِ إلى سرعةِ الدّعاءِ وسرعةِ إجابةِ الدَّاعين . وأمّا سِرُّ الحذفِ في الرابعةِ : فللإشارةِ إلى سرعةِ الفعلِ وإجابةِ الزَّبَانية .

وقولُهُ تعالى : ﴿ بِأَييكُمُ المَفْتُونُ ﴾ [القلم : ٦] . أي : الذي فتنَهُ الشيطانُ ، فزيادةُ الياءِ ﴿ بأَيّكُمُ ﴾ للإشارةِ إلى أنّ الذي فتنَهُ الشيطانُ هم المشركون ، وفتنته بلغتْ بهم الغاية ، وتجاوزتِ الحدّ ، وأنّ المفتونين هُمْ ، لا أنتَ ، لأنّكَ رسولُ الله ، فَمَنْ رَماكَ بهِ فقدْ رجعَ على نفسِهِ بالضلال ، وبذلك يتوافقُ الرسمُ والمعنى ، والكلامُ في ظاهرهِ ترديدٌ بينَ أمرَين ، وهو في الحقيقة يُرادُ بهِ ما ذُكِرَ ، وهو لَونٌ مِنْ ألوانِ الحِجاجِ في القرآن الكريم .

وقوله تعالى : ﴿ تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يُوسفَ : ٨٥] بزيادة ألفِ تفتؤُ للإشارةِ إلى كثرةِ ذلك ، وأنّ يعقوبَ عليهِ السلامُ ما كانَ ينفكُّ عن ذكرِ ابنِهِ يوسفَ .

وقوله تعالى : ﴿ وأنَّكَ لا تظْمؤُا فيهَا ولا تَضْحَى ﴾ [طه : ١١٩] بزيادة ألف تظمؤُ للدلالة على دوام عدم الظمأ ، واستمرار الري في الجنة .

وقولُهُ تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] ، بزيادةِ ألفِ يعبؤُ للإشـارة إلى مبالغةِ عدمِ عنايةِ اللهِ سبحانه بمَنْ لا يعبدُهُ ، ولا يتضرَّعُ إليه .

وهكذا . جميعُ الأحرف التي وردتْ في الرسم العثماني زيادة على أصلِ الكلمةِ القرآنيةِ فيها من الأسرارِ ما يُشير إلى أنّ هذا الرسْمَ إمّا توقيفي وإمّا تقريريّ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم .

وكذلك الحذفُ في الآياتِ التاليةِ وأمثالها :

قوله تعالى : ﴿ والذينَ سَعَوْ في آياتِنَا مُعَاجِزينَ ﴾ ، [سبأ : ٥] فحذفَ ألِفَ سَعَوْا ، للإشارةِ إلى أنّه سعيٌ باطلٌ لا يصحُّ أن يكونَ له ثباتٌ في الوُجودِ ، وأنّهم لن يحصلوا منه على طائلٍ يتحدّونَ بهِ .

ومثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وجاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦] وفي : ﴿ فَقَدْ جاءُو ظُلماً وزُوراً ﴾ [الفرقان : ٤] ، وفي ﴿ وجاءُو أبَاهُم عِشَاءً يَبْكُون ﴾ ، ﴿ وَجَاءُو على قميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : ١٦ و ١٨] وفي : ﴿ وعَتَوْ عُتُواً كبيراً ﴾ [الفرقان : ٢١] كلُّ ذلكَ للدّلالةِ على أنّهُ باطلٌ ولا أثرَ لَهُ يُذكر في الوجودِ . واللهُ أعلمُ .

الرسم العثماني واللغة التي اختيرت له

اللغة التي كتب بها القرآن الكريم :

روى البخاريُ في صحيحهِ في كتابِ (فضائلِ القرآنِ – بابِ نزولِ القرآنِ بلسانِ قريشٍ والعرب) عن عثمانَ بنِ عفانَ أنّه قالَ للرهطِ الذين كلّفهم بكتابةِ المصحفِ : (إذا اختلفتُم أنتُم وزيدُ بنُ ثابتٍ في عربيّةٍ من عربيّةِ القرآنِ فاكتبُوها بلسانِ قريش ، فإنّ القرآنَ أُنزلَ بلسانِهم ، ففَعلُوا) .

واللّسانُ معناهُ : اللّهجةُ التي تخصُ كلَّ قبيلةٍ من القبائلِ العربيةِ ، وإلّا فإنّ اللهَ سبحانه قالَ : ﴿ إنّا أنزلناهُ قرآناً عربياً ﴾ [يوسف : ٢] . فبديهي أنّ كتابتَهُ في المصحفِ إنّما هي باللغةِ العربيةِ والخطِّ العربي .

فأصبحَ معنا : أنّ اللغةَ التي كُتِبَ بها القرآنُ الكريمُ هي اللّهجةُ التي اختيرَتْ له من قِبَلِ رَبِّ العالمين تبارك وتعالى . فإنّ قولَ عثمانَ : (بلسان قريش) ليسَ مجالُهُ الرأيَ والاختيارَ ، فتعيّنَ أنّه كانَ بتوقيفٍ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى هذا ... فلا تجوزُ كتابةُ القرآنِ بغيرِ لهجةِ قريشٍ .

وفي (فتح الباري) للحافظِ ابنِ حجر : (أنّ عمرَ بنَ الخطاب كتبَ إلى ابنِ مسعودٍ : إنّ القرآنَ نزلَ بلسانِ قريشٍ ، فأقرِئْ النّاسَ بلغةِ قريشٍ ، لا بِلُغَةِ هُذَيلٍ) .

وقولُ عمرَ وعثمانَ : (بلسان قريش) معناهُ : أنّ القرآنَ نزلَ أوّلاً بلغةِ قريشٍ ثم أُبيْحَ في قراءَتِهِ وكتابتِهِ على ما رُخّص بهِ مِنَ اللهجاتِ العربيّةِ الأخرى التي جعلَها اللهتعالى تسهيلاً وتيسيراً لهذهِ الأمةِ الأميّةِ التي لا عهدَ لها بالقراءَةِ ولاَ بالكتابةِ .

أو أنّ معنى قولهِمَا : أنّه أُنزِلَ غالباً بلهجةِ قريشٍ ، لأنّها كانتْ أمَّ العربِ ، وأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم من قريش ، وهذهِ القبيلةُ سُمّيَتْ بهذا الاسمِ لأنّها من قريش الذي هو من ولد إسماعيلَ عليه السلام ، وأولادُ إسماعيلَ أفصحُ من أولادِ يَعْربِ بنِ قحطانَ ، الذي تفرّعَ منهم أهلُ اليمن وغيرُهم من أهلِ العرب .. إذ قحطان إمّا هو ابنُ هود ، أو : ابنُ فخشذ بنُ سام بنُ نوحٍ عليه السلام ، كما في لسانِ العرب ، لابن منظور .

وهنا يُواجهُنا سؤالٌ وهو : ما هذهِ اللّهجاتِ العربيّةِ التي رُخّصَ بها لقارئي القرآنِ في عهدِ النبوّةِ ؟ والجوابُ كما يلي :

في الصحيحين أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قالَ : « أقرأني جبريلُ عليه السلامُ على حرف واحدٍ ، فراجعتُهُ ، فلم أزلْ أستزيدُهُ ، حتى انتهى إلى سبعةِ أحرف » . [البخاري – فضائل القرآن – ٥ ، ومسلم – مسافرين – ٢٧٢] .

قال في لسان العرب [٩ / ٤١] : (وكلُّ كلمة تُقرأ على الوُجوهِ من القرآنِ تُسَمّى حرفاً ، تقولُ : هذا في حرف ابنِ مسعودٍ أي : في قراءةِ ابنِ مسعودٍ .. والحرفُ : القراءةُ التي تُقرأ على أوْجُهٍ ، وما جاءَ في الحديثِ من قولِهِ عليه الصلاة والسلام : « نَزَلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ ، كلُّها شافٍ كَافٍ » ، أرادَ بالحرفِ : اللغةَ ، قال أبو عبيد وأبو العباس : (نزلَ على سبعِ لُغاتٍ مِنْ لُغاتِ العربِ ، قال : وليسَ معناهُ أنْ يكونَ في الحرفِ الواحدِ سبعةُ أوجهٍ ، هذا لم يُسمعْ بهِ ، قال : ولكن يُقالُ : هذه اللغاتُ متفرقةٌ في القرآنِ ، فبعضُهُ بلغةِ قريشٍ ـ وهو الغالب ـ وبعضهُ بلغةِ هُذيلٍ . وهكذا سائرُ اللُّغاتِ . ومعانيها في هذا كلِّهِ واحدٌ) .

ولهذا . نَجِدُ الكثيرَ من الرواياتِ الثابتةِ عن الصحابةِ في رجوعِهِم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينَ يسمعون من أحدِهِم قراءةً لم يكونُوا سمعوها من قبلُ ، فَلْنُصْغِ إلى بعضِها ، فإنّها تجليةٌ لهذا الأمرِ :

ففي صحيح البخاري [فضائل القرآن ٥ و ٢٧] . أنّ عمرَ بنَ الخطاب قالَ : (سمعتُ هشامَ بنَ حكيم يقرأُ سُورةَ الفُرْقَانِ في حياةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستمعتُ لقراءتِهِ ، فإذا هو يقرأُ على حروفٍ كثيرةٍ لم يُقرِئْنِيها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فكدتُ أُساوِرُهُ في الصلاةِ ، فتصبّرتُ حتى سلّمَ ، فلبّبْتُهُ بردائِهِ فقلتُ : مَنْ أقرأَكَ هذهِ السورةَ التي سمعتُك تقرأ ؟ قالَ : أقرأَنِيها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدْ أقرأَنِيها على غيرِ ما قرأتَ ، فانطلقتُ به أقودهُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلتُ : إنّي سمعتُ هذا يقرأُ سورةَ الفرقانِ على حروفٍ لم تُقرئْنِيهَا ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لعمرَ : أرسلْهُ ـ أي : اتركه ـ فأرسلَهُ عمرُ ، فقالَ لهشام : اقرأْ يا هشامُ ، فقرأ عليه القراءةَ التي سمعتُهُ يقرأُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : كذلِكَ أُنْزِلَتْ ، ثم قالَ : اقرأْ يا عمرُ ، فقرأتُ القِراءةَ التي أقرَانِي ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : كذلِكَ أُنْزِلتْ ، إنّ هذا القرآنَ أُنزلَ على سبعةِ أحرفٍ ، فاقرؤوا ما تيسَّرَ منهُ) .

وفي صحيح مسلم [كتاب المسافرين ٢٧٣ و ٢٧٤] : أنّ أُبيَّ بنَ كعبٍ قالَ : (كنتُ في المسجدِ ، فدخلَ رجلٌ فصلى ، فقرأَ قراءةً أنكرتُها ، ثمّ دخلَ آخرُ ، فقرأَ قراءةً سِوَى قراءةِ صاحبِهِ ، فلمّا قضينَا الصلاةَ دخلنَا جميعاً على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ : إنّ هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه ، ودخلَ آخرُ فقرأَ سِوَى قراءةِ صاحبِهِ ، فأقرأَهُمَا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فَقَرأا ، فحسَّنَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم شأنَهمَا ، فسقطَ في نفسي مِنَ التكذيب ، ولا إذْ كنت في الجاهلية ، فلمّا رأى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ما قدْ غشيني ضربَ في صدري ، فَفِضْتُ عَرَقاً ، وكأنّما أنظرُ إلى الله عزّ وجلّ فَرَقاً ـ أي : خوفاً ـ فقالَ : يا أُبَيُّ إنّ ربّي أرسلَ إليَّ أنِ اقرأْ القرآنَ على حرفٍ ، فرَدَدْتُ إليهِ أنْ هوِّنْ على أمتي ، فردَّ إليّ الثانيةَ : اقرأْه على حرفين ، فردَدْتُ إليهِ يُهوِّنُ على أُمتي فردَّ إليَّ في الثالثةِ : اقرأْه على سبعةِ أحرفٍ ، ولكَ بكلِّ ردّةٍ رددتُكَها مسألةٌ تسألُنِيها فقلتُ : اللهمَّ اغفرْ لأمتي ، وأخّرْت الثالثةَ ليومٍ يرغبُ إليَّ الخلقُ كلُّهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم) .

وفي مسند أحمد [٢ / ٢٨٦ و ٣٠٠] بسندٍ صحيح : عن أبي الجَهْمِ (أنَ رجلين اختلفَا في آيةٍ من القرآنِ قال هذا : تلقنتُها من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال الآخر : تلقنتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالَ : « القرآنُ يُقرأُ على سبعةِ أحرفٍ فلا تُماروا في القرآنِ ، فإنّ مراءً في القرآنِ كُفرٌ ») . والمِراءُ : الجِدَالُ على سبيلِ الشّكِّ والرِّيبةِ .

هذا . وقد اختلف العلماءُ في معنى قولِه عليه الصلاة والسلام في نزولِ القرآنِ على سبعةِ أحرفٍ ، حتى وصلتْ أقوالُهم في ذلك إلى خمسةٍ وثلاثينَ قولاً . قالَ الإمامُ البغوي صاحبُ (شرح السنة) : (أظهرُ الأقاويلِ وأصحُّها وأشبهُها بظاهرِ الحديث : أنّ المرادَ من هذهِ الحروفِ : اللّغاتُ ، وهو أن يقرأ كلُّ قومٍ منَ العربِ بلغتِهم ، وما جرتْ عليه عادتُهم من الإدغامِ والإظهارِ والإمَالةِ والتفخيمِ والإشمامِ والإتمامِ والهمزِ والتّليين ، وغير ذلك من وُجوهِ اللّغاتِ إلى سبعةِ أوْجُهٍ منها) .

ثم قالَ : (ولا يكونُ هذا الاختلافُ داخلاً تحتَ قولِهِ تعالى : ﴿ ولَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدوا فيهِ اخْتِلافَاً كَثيراً ﴾ ، [النساء : ٨٢] إذ ليسَ معنى هذهِ الحروف أن يقرأ كلُّ فريقٍ بما شاءَ مِمّا يُوافِقُ لغتَهُ مِنْ غيرِ توقيفٍ ، بل كلُّ هذهِ الحروفِ منصوصةٌ ، وكلُّها كلامُ اللهِ عزّ وجلّ ، نزلَ بها الروحُ الأمينُ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، يدلُّ عليه قولُهُ عليه الصلاةُ والسلامُ : « إنّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرفٍ » . فجعلَ الأحرفَ كلها منزّلةً ، وكانَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يُعارِضُ جبريلَ عليه السلام في كلِّ شهرِ رمضانَ بما يجتمعُ عندَهُ مِنَ القرآنِ ، فيُثبتُ اللهُ فيه ما شاءَ ، وينسخُ ما يشاءُ ، وكان يعرضُ عليه في كلِّ عَرْضَةٍ وجهاً من الوُجوهِ التي أباحَ اللهُ له أن يقرأَ القرآنَ بهِ ، وكان يُجوِّزُ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمرِ الله تعالى أن يقرأ ويُقرِئَ بجميعِ ذلكَ ، وهي كلُّها متفقةُ المعاني وإن اختلفَ بعضُ حُرُوفِها) .

المصاحف وتنقيطها

ضبط الحركات للآيات وتنقيط المصاحف العثمانية

للتنقيط معانٍ : جاء في لسان العرب في مادة (نقط) : (النقطة واحدة النُّقَط ، والنّقاط : جمع نقطة . ونقطَ الحرفَ يَنْقُطه نقطاً : أعْجَمه) . هذا من حيث اللغة .

أما من حيث الاصطلاح فلها معنيان متقاربان :

الأول : نَقْط الإعجام : وهو نقْط الحروف في سِمَتها ، للتفريق بين الحروف المشتبهة في الرسم ، كنقط الباء بنقطة من تحتها ، ونقط التاء باثنتين من فوقها ، ومثلها الثاء بثلاث .

الثاني : نَقْط الإعراب ، أو نقط الحركات ، وهو للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، كنقطة الفتحة : بنقطة من فوق الحرف ، ونقطة الكسرة : بنقطة من تحت الحرف ، ونقطة الضمة : بنقطة أمام الحرف أو بين يديه . (كتاب النقط للحافظ أبي عمرو الداني ١٢٤ - ١٢٥) .

وقد جعل الأقدمُون النوعين مُشتركين في الصورة بجعلهما نقطاً مُدوّراً من حيث اشتراكُها في المعنى و الغاية ، لتفريق الحروف المتشابهة في الرسم ، بحيث كان النقط يفرق بينها ، كالتفريق بالحركات المختلفة بعضها من بعض . قال الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه (المحكم في نقط المصاحف) ص ٤٣ : (إن اصطلاحهم على جعل الحركات نقطاً كنقط الإعجام قد يتحقق من حيث كان معنى الإعراب التفريقَ بالحركات ، وكان الإعجام أيضاً يُفرق بين الحروف في الرسم ، وكان النقط يفرق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، فلما اشتركا في المعنى أُشرك بينهما في الصورة) .

وقد أحدث المسلمون من التابعين هذين النوعين من النقط لضبط ألفاظ القرآن الكريم ، ولصونه من الخطأ في الكتابة ، ومن اللحن في القراءة .

أما النوع الأول من النقط : فهو المدوّر ، وسُمي نقطاً لكونه على صورة الإعجام الذي يُرسم نُقطاً مدوّرة . وهذا النوع هو الذي استعمله النقاط وأصحاب القراءات لضبط المصاحف ، وهو من وضع (أبي الأسود الدؤلي) على القول الأصح .

وأما النوع الثاني : فهو الشكل ، وهذا النوع هو الذي استعمله النحويون وعلماء اللغة لضبط الشعر وألفاظ اللغة ، وهو من وضع الخليل بن أحمد ، وقد أخذه من أشكال الحروف . فالضمة واوٌ صغيرة الصّورة في أعلى الحرف ، لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياءٌ تحت الحرف ، والفتحة ألفٌ مبطوحة فوق الحرف .

وأما سبب إحداث تنقيط المصاحف : فهو فساد الألسنة في اللغة العربية ، ووقوع اللحن في قراءة القرآن الكريم. فكان ذلك داعياً إلى صون القرآن من التحريف والتزييف في كتابته وتلاوته .

وقد اتفق المؤرخون على أنّ العربَ في عهودهم الأولى لم تعرف اصطلاحات التنقيط في كتاباتهم التي كان يكتبها كتّابهم ، وحتى مجيء الإسـلام . فكان الصحابة رضي اللهعنهم ينطقون بالقرآن الكريم واللغة العربية بألفاظ مضبوطة المخارج دقيقة الحركات الإعرابية بحسب سليقتهم وفطرتهم العربية من غير لحن ولا غلط ، وذلك لِما كان متأصلاً في نفوسهم من الفصاحة والبلاغة .

فلاستقامة ألسنتِهم وسلامةِ نطقهم ، لم يكونوا بحاجة إلى معرفةِ القواعد الإعرابية ، ولهذا ... لما كُتبت المصاحفُ في عهد النبوة كانت مجردة من الشكل والنقط ، واعتماداً على هذه الأصالة وتلك السليقة .

فلما اتسعتْ رقعةُ الإسلام واختلطَ العربُ بالعجم ، وتآخوا في الإسلام وتناسبوا وتصاهروا ، وتولّد من هؤلاء الآباء وتلك الأمهات أولادٌ أخذوا شيئاً من لغة الأب وشيئاً من لغة الأم ، واتسع الأمر على طول وعرض الأمة الإسلامية ، فضعفت الفطرة العربية ، ودخل اللحن في الكلام ، وحدثت حوادث نبّهت المسلمين إلى القيام بحفظ القرآن الذي هو أصل الدين ومنبع الحق المبين ، من أن يتطرق إلى قارئه وتاليه شيءٌ من اللحن أو الخطأ .

وكان ممن تنبه إلى ذلك والي البصرة (زياد) فسأل أبا الأسود الدؤلي أن يضعَ للناسِ علاماتٍ تدل على الحركات والسكنات . فحدثَ أن سمعَ أبو الأسود قارئاً يقرأ قول الله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ بَريءٌ مِنَ المشْركينَ وَرَسولُهُ ﴾ ، بجر (رسولُهُ ﴾ فأزعجَهُ ذلك وقال : عزَّ وجهُ اللهِ أن يبرأ من رسوله ، وذهبَ إلى زياد والي البصرة ، وقال له : قد أجبتُك إلى ما سألتَ ، فجعل للفتحةِ نقطةً فوقَ الحرف ، وللكسرة نقطةً أسفلَهُ ، وللضمةِ نقطةً بين الحرف والذي قبله ، وللتنوين نقطتين .

وسارَ الناسُ على هذا المنهج مدّة ، ثم بدؤوا يزيدون ويبتكرون ، فجعلوا علامة للحرف المشدد كالقوس ، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة ، حتى كان عهد عبد الملك بن مروان ، ثم اضطروا إلى وضع النقط الذي هو الإعجام للباء والتاء والثاء .. ثم التبس النقط بالشكل فميزوا بينهما باللون والرسم ، إلى أن تمّ الوضع على ما هو معهود اليوم .

وقد اشتهر في عملية الشكل والإعجام للكلمات القرآنية : أبو الأسود الدؤلي . وتلميذاه : نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وخليل بن أحمد ، وابن سيرين . وكانوا على درجة عالية من العلم والورع والدين .

❋ ❋ ❋

١ ـ تاريخ نزول سور القرآن الكريم

١ – سورة الفاتحة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

اختلف العلماء في تاريخ نزول الفاتحة ، فقيل إنها نزلت بمكة بعد سورة المدَّثر ، وهو قول أكثر العلماء ، وقيل إنها نزلت بالمدينة ، وهو قول مجاهد ، وقيل إنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة ، وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ، وإذا كانت قد نزلت بعد سورة المدثر فهي خامسة سور القرآن في النزول ، وقد نزلت بذلك في مرتبتها كفاتحة للكتاب بعد المناسبات التي اقتضت سبق السور الأربع لها ، وبهذا تكون من السور التي نزلت فيا بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لأن القرآن افتتح بها في مصحف عثمان ، وهو المصحف الذي اعتمد على ترتيبه جمهور المسلمين ، وتبلغ آياتها سبع آيات .

٢ – سورة البقرة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة البقرة بعد سورة المطفِّفين ، وهي أول سورة نزلت بالمدينة ، وأطول سورة في القرآن ، فيكون نزولها فيا بين الهجرة وغزوة بدر .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لأن قصة بقرة بني إسرائيل ذكرت فيها ، وتبلغ آياتها ستاً وثمانين ومائتي آية .

٣ – سورة آل عمران

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة آلِ عمران بعد سورة الأنفال ، وكان نزولها في السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة أُحد ، فتكون من السور التي نزلت فيا بين غزوة بدر وصلح الحديبية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة آل عمران فيها . وهي قصة امرأته وابنتها مريم ، ويدخل فيها قصة عيسى أيضاً ، وتبلغ آياتها مائتي آية .

٤ – سورة النساء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النساء بعد سورة الممتحنة ، وقد نزلت سورة الممتحنة عقب صلح الحديبية ، وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة النساء فيا بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأن كثيراً من الأحكام التي ذكرت فيها يتعلق بالنساء ، وتبلغ آياتها ستاً وسبعين ومائة آية .

٥ – سورة المائدة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المائدة بعد سورة الفتح ، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة المائدة فيا بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنه ذكر فيها حديث المائدة التي أنزلت من السماء على حواريي عيسى عليه السلام ، وتبلغ آياتها عشرين ومائة آية .

٦ – سورة الأنعام

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأنعام بمكة بعد سورة الحِجر ، وقد نزلت سورة الحجر بعد ثلاث سور من سورة الإسراء ، وكان الإسراء ، قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، فتكون سورة الأنعام من السور التي نزلت بين الإسراء والهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنه فصل فيها حكم الأنعام من الإبل والبقر والضأن والمعز ، وتبلغ آياتها خمساً وستين ومائة آية .

٧ – سورة الأعراف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأعراف بعد سورة ص وقبل سورة الجنّ ، وكان نزول سورة الجن في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها سنة عشر من بعثته ليعرض الإسلام على أهلها ، فيكون نزول سورة الأعراف فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٤٨ – منها : ﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالُوا ما أغنى عنكم جمعكمْ وما كنتم تستكبرون ﴾ وتبلغ آياتها ستاً ومائتي آية .

٨ – سورة الأنفال

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأنفال بعد سورة البقرة ، وكان نزولها بعد غزوة بدر ، وكانت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، فتكون سورة الأنفال من السُّوَر التي نزلت بين غزوة بدر وصلح الحديبية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفالُ للهِ والرسولِ ﴾ – الآية والأنفال هي الغنائم ، وتبلغ آياتها خمساً وسبعين آية .

٩ – سورة التوبة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التوبة بعد سورة المائدة ، وكان نزولها في ذي القعدة أو ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل أبا بكر في أخريات ذي القعدة ليحج بالناس ، فنزلت هذه السورة بعد سفره وفيها نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا بعهودهم ، فأرسل بها علياً ليبلغها الناس في يوم الحج الأكبر . فلحق أبا بكر في الطريق ، ثم بلَّغها الناس في ذلك اليوم ، ثم نادى: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُرْيَان . فتكون سورة التوبة من السور التي نزلت بين غزوة تبوك ووفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد سميت هذ السورة باسم التوبة لأنه ذكر في الآيتين – ١١٧ ، ١١٨ – توبة الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك ، وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين ومائة آية .

١٠ – سورة يونس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة يُونُسَ بعد الإسراء ، وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، فتكون سورة يونس من السُّور التي نزلت بين الإسراء والهجرة .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة يونس فيها ، وتبلغ آياتها تسعاً ومائة آية .

١١ – سورة هود

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة هُود بعد سورة يُونس ، وقد نزلت سورة يونس بعد الإسراء وقُبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة هود في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة هود فيها ، وتبلغ آياتها ثلاثاً وعشرين ومائة آية .

١٢ – سورة يوسف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة يُوسُفَ بعد سورة هودٍ ، وقد نزلت سورة هود بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة يوسف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم لأنها نزلت في قصة يوسف مع أبيه وإخوته ، وتبلغ آياتها إحدى عشرة ومائة آية .

١٣ – سورة الرعد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الرعد بعد سورة محمد ، وقد نزلت سورة محمد بعد سورتين من سورة النساء ، وكان نزول سورة النساء فيا بين صلح الحُدَيبِيَة وغزوة تَبوكَ ، فيكون نزول سورة الرعد في ذلك التاريخ أيضاً ، وعلى هذا تكون سورة الرعد من السُّوَر التي نزلت بالمدينة ، وقيل إنها نزلت بمكة ، لأنها تجري في أغراض السُّوَر التي نزلت بها ، وقال الأصم : إنها مدنية بالإجماع . وكأنه لم يقم وزناً لهذا القول ، ولا شيء في أن تجري بعض السور المدنية في أغراض السور المكية ، لأن المشركين الذين نزلت فيهم السور المكية لم ينقطع أمرهم بعد الهجرة ، وكان كثير منهم يحيط بالمدينة ، وكانت دعوتهم لا تزال قائمة ، ومما يؤيد أن هذه السورة مدنية قوله تعالى في الآية – ٣١ – منها : ﴿ ولا يزالُ الذينَ كفرُوا تصيبهم بما صنعُوا قارعةٌ أو تحلُّ قريباً مِن دارهم حتى يأتي وعدُ اللهِ إنّ اللهَ لا يخلف الميعاد ﴾ .

وقد سُمِّيت هذ السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ١٣ – منها : ﴿ ويسبحُ الرعدُ بحمده ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثاً وأربعين آية .

١٤ – سورة إبراهيم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة إبراهيم بعد سورة نوح ، وهي من السور التي نزلت بمكة بعد الإسراء ، فيكون نزولها مثلها بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، وعلى هذا تكون من السور المكية ، وقيل إنها من السور المدنية ، وقد قال الإمام فخر الدين الرازي : اعلم أن الكلام في أن هذه السورة مكية أو مدنية طريقه الآحاد ، ومتى لم يكن في السورة ما يتصل بالأحكام الشرعية فنزولها بمكة والمدينة سواء ، إنما يختلف الغرض في ذلك إذا حصل فيه ناسخ ومنسوخ ، فيكون فيه فائدة عظيمة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة إبراهيم بمكة فيها ، وتبلغ آياتها اثنتين وخمسين آية .

١٥ – سورة الحجر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحِجْرِ بعد سورة يوسفَ ، وقد نَزلت سورة يوسف بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الحِجر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة أصحاب الحِجرِ فيها ، وهم ثمود قوم صالح عليه السلام ، وتبلغ آياتها تسعاً وتسعين آية .

١٦ – سورة النحل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النحل بعد سورة الكهف ، وهي من السور التي نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة النحل في ذلك التاريخ أيضاً ، وقيل إنها من السور المدنية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٦٨ – منها : ﴿ وأوحى ربُّكَ إلى النحلِ أن اتخذي مِنَ الجبالِ بيوتاً ومِنَ الشجرِ ومما يعرشونَ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني وعشرين ومائة آية .

١٧ – سورة الإسراء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الإسراء بعد سورة القَصَص ، وقد كانت حادثة الإسراء في السنة الثانية عشرة من البعثة ، فيكون نزول سورة الإسراء في

هذه السنة .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بقوله تعالى : ﴿ سُبْحانَ الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة ومائة آية .

١٨ – سورة الكهف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الكهف بعد سورة الغاشية ، وهي من السور التي نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الكهف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة أصحاب الكهف فيها ، وتبلغ آياتها عشراً ومائة آية .

١٩ – سورة مريم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة مريم بعد سورة فاطر ، وقد نزلت سورة فاطر بعد تسع عشرة سورة من سورة النجم ، وسيأتي أن سورة النجم نزلت عقب الهجرة الأولى للحبشة ، وقد كانت الهجرة إلى الحبشة في السنة السابعة من البعثة ، فتكون سورة مريم من السور التي نزلت بين الهجرة وحادثة الإسراء .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة مريم فيها ، وتبلغ آياتها ثماني وتسعين آية .

٢٠ – سورة طه

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة طه بعد سورة مريم ، وقد نزلت سورة مريم فيما بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء ، فيكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها به ، وتبلغ آياتها خمساً وثلاثين ومائة آية .

٢١ – سورة الأنبياء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأنبياء بعد سورة إبراهيم ، وقد نزلت سورة إبراهيم بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الأنبياء في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لأنه اجتمع فيها على قصرها كثير من قصص الأنبياء ، فسميت سورة الأنبياء باسمهم ، وتبلغ آياتها اثنتي عشرة ومائة آية .

٢٢ – سورة الحج

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحجِّ بعد سورة النُّور ، وقد نزلت سورة النور بعد سورة الحَشْر ، وكان نزول سورة الحشر فيما بين صلح الحدَيبية وغزوة تَبُوكَ[1] فيكون نزول سورة الحج في ذلك التاريخ أيضاً ، وعلى هذا تكون من السور المدنية ، وهو المشهور في تاريخ نزولها .

وقيل إن سورة الحج من السور المكية ، وقد استثنى من ذهب إليه هذه الآيات (١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤) فذهب إلى أنها نزلت بالمدينة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لما ورد فيها من الكلام على الحج ، وتبلغ آياتها ثماني وسبعين آية .

---

(١) قد سبق أن الحق أن سورة الحشر نزلت قبل صلح الحديبية .

٢٣ – سورة المؤمنون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المؤمنون بعد سورة الأنبياء ، وقد نزلت سورة الأنبياء بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة المؤمنون في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قَد أفلحَ المؤمنونَ الذينَ هُم في صلاتهم خاشعونَ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني وعشرون ومائة آية .

٢٤ – سورة النور

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النور بعد سورة الحشر ، وقد نزلت سورة الحشر فيما بين صلح الحُدَيبية وغزوة تبوك[1] فيكون نزول سورة النور في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٣٥ – منها : ﴿ اللهُ نورُ السماواتِ والأرض ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وستين آية .

٢٥ – سورة الفرقان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفرقان بعد سورة يّس ، ونزلت سورة يّس بعد سورة الجن ، وكان نزول سورة الجن في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها سنة عشر من بعثته ، فيكون نزول سورة الفرقان في السنة العاشرة من البعثة ، وتكون من السور التي نزلت فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ تباركَ الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ .

٢٦ – سورة الشعراء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشعراء بعد سورة الواقعة ، وقد نزلت سورة الواقعة بعد سورة طّه ، وكان نزول سورة طّه فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الشعراء في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لذكر الشعراء في قولعه تعالى في الآية – ٢٢٤ – منها : ﴿والشعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ ﴾ وتبلغ آياتها سبعاً وعشرين ومائتي آية .

٢٧ – سورة النمل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النمل بعد سورة الشعراء ، وقد نزلت سورة الشعراء فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة النمل في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لورود اسم النمل في قوله تعالى في الآية – ٨١ – منها : ﴿ حتى إذا أتوْا على وادِي النمل قالت نملةٌ يأيُّها النمل ادخلُوا مساكنكمْ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثاً وتسعين آية .

٢٨ – سورة القصص

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القَصَص بعد سورة النمل ، وقد نزلت سورة النمل فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القصص في ذلك التاريخ أيضاً .

---

(١) قد سبق أن ألحق أن سورة الحشر نزلت قبل صلح الحديبية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنه جاء في قوله تعالى في الآية – ٢٥ – منها : ﴿ فلما جاءهُ وقصَّ عليه القَصَص ﴾ وتبلغ آياتها ثمانين آية .

٢٩ – سورة العنكبوت

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة العنكبوت بعد سورة الروم ، وقد نزلت سورة الروم في السنة التي انتصر الفُرسُ فيها عليهم ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ، فيكون نزول سورة العنكبوت في هذه السنة مثلها ، وتكون من السُّوَر التي نزلت فيما بين الإسراء والهجرة إلى المدينة .

وقدسُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لورود اسم العنكبوت في قوله تعالى في الآية – ٤١ – منها : ﴿ مثلُ الذينَ اتَّخذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أولياءَ كمثلِ العَنكَبُوتِ اتَّخذتْ بيتاً ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وستين آية .

٣٠ – سورة الروم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الروم بعد سورة الانشقاق ، وكان نزول سورة الروم في السنة التي هزمهم الفُرس فيها ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ، فتكون من السور التي نزلت فيما بين الإسراء والهجرة إلى المدينة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ الٓمٓ ، غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ وتبلغ آياتها ستين آية .

٣١ – سورة لقمان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة لقمانَ بعد سورة الصَّافَّات ، وهي من السور التي نزلت بمكة بعد الإسراء ، فيكون نزول سورة لقمان بعد الإسراء وقبيل الهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لورود قصة لقمانَ فيها ، وكان من الحكماء الأقدمين ؛ ولم يرد اسم حكيم غيره في القرآن الكريم ، وتبلغ آياتها أربعاً وثلاثين آية .

٣٢ – سورة السجدة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة السجدة بعد سورة غافر ، وقد نزلت سورة غافر بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة السجدة في ذلك التاريخ أيضاً .

وسميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ١٥ – منها : ﴿ إنما يؤمن بآياتِنا الذين إذا ذكِّروا بها خروُّا سجَّداً وسبَّحُوا بحمدِ ربهِمْ وهم لا يستكبرونَ ﴾ وهي من الآيات التي تسنُّ السجدة عند قراءتها ، وتبلغ آياتها ثلاثين آية .

٣٣ – سورة الأحزاب

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأحزاب بعد سورة آل عمران ، وكان نزولها بعد غزوة الأحزاب ، فيكون نزولها في أواخر السنة الخامسة من الهجرة ، وتكون من السور التي نزلت فيما بين غزوة بدر وصلح الحديبية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر غزوة الأحزاب فيها ، وتبلغ آياتها ثلاثاً وسبعين آية .

٣٤ – سورة سبأ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة سبأ بعد سورة لقمان ، وقد نزلت سورة لقمان بين الإسراء والهجرة ، فيكون نزول سورة سبأ في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لورود قصة أهل سبأ فيها ، وكانت سبأ مدينة من المدن القديمة في اليمن ، وكانت عاصمة دولة قديمة به ، وقد خربت عند انهيار سد مأرِب بسبب سيل العَرِم ، وتبلغ آياتها أربعاً وخمسين آية .

٣٥ ــ سورة فاطر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة فاطر بعد سورة الفرقان ، وقد نزلت سورة الفرقان فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة فاطر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ الحمدُ للهِ فاطِرِ السماواتِ والأرضِ ﴾ فسميت باسم فاطر الذي ابتدئت به بعد ذكر اسم الحمد ، ومثل هذا يكفي في تسميتها به ، وتبلغ آياتها خمساً وأربعين آية .

٣٦ ــ سورة يسٓ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة يسٓ بعد سورة الجنّ ، وكان نزول سورة الجن في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها سنة عشر من بعثته ليعرض الإسلام على أهلها ، فيكون نزول سورة يسٓ فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم بهذين الحرفين اللذين سميت بهما وتبلغ آياتها ثلاثاً وثمانين آية .

٣٧ ــ سورة الصافات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الصافات بعد سورة الأنعام ، وقد نزلت سورة الأنعام بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الصافات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به ، والمراد به الملائكة التي تقف صفوفاً للعبادة ، أو تَصُفُّ أجنحتها في الهواء منتظرة وصول أمر الله إليها ، وتبلغ آيات هذه السورة ثنتين وثمانين ومائة آية .

٣٨ ــ سورة صٓ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة صٓ بعد سورة القمر وقبل سورة الأعراف ، وقد نزلت سورة الأعراف فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة صٓ في هذا التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به ، وتبلغ آياتها ثماني وثمانين آية .

٣٩ ــ سورة الزمر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الزُّمَر بعد سورة سبأ ، وقد نزلت سورة سبأ بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الزمر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في آخرها : ﴿ وَسِيقَ الذين كفروا إلى جهنَمَ زُمراً ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ وسيق الذين اتَّقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وسبعين آية .

٤٠ ــ سورة غافر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة غافر بعد سورة الزمر ، وقد نزلت سورة الزمر بعد الإسراء وقُبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة غافر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ غافر الذنبِ وقابلِ التَّوب شديدِ العقابِ ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وثمانين آية .

٤١ ــ سورة فصلت

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة فُصلت بعد سورة غافر ، وقد نزلت سورة غافر بعد الإسراء وقُبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة فصلت في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ كتابٌ فُصلت آياتهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعلمونَ ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وخمسين آية .

٤٢ – سورة الشورى

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشُورى بعد سورة فُصِّلتْ ، وقد نزلت سورة فصلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الشورى في هذا التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٣٨ – منها : ﴿ والذينَ استجابُوا لربهم وأقامُوا الصلاةَ وأمرهم شُورى بينهم ومِمّا رزقناهم ينفقون ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثاً وخمسين آية .

٤٣ – سورة الزخرف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الزُخرف بعد سورة الشُورَى ، وقد نزلت سورة الشورة بعد الإسراء وقُبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الزخرف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٣٥ – منها : ﴿ وزُخرُفاً وإنْ كلُّ ذلكَ لَمّا متاعُ الحياةِ الدُّنيا والآخرةُ عندَ ربكَ للمتقينَ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وثمانين آية .

٤٤ – سورة الدخان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الدُخان بعد سورة الزُخرف ، وقد نزلت سورة الزخرف بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الدخان في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ١٠ – منها : ﴿ فارتقب يومَ تأْتي السماءُ بدخانٍ مبينٍ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وخمسين آية .

٤٥ – سورة الجاثية

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الجاثية بعد سورة الدُخان ، وقد نزلت سورة الدخان بعدِ الإسراء وقُبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الجاثية في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٢٨ – منها : ﴿ وترَى كلَّ أمةٍ جاثيةً كلُّ أمةٍ تُدْعَى إلى كتابها اليومَ تُجزَوْن ما كنتمْ تعملونَ ﴾ وتبلغ آياتها سبعاً وثلاثين آية .

٤٦ – سورة الأحقاف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأحقاف بعد سورة الجاثية ، وقد نزلت سورة الجاثية بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الأحقاف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٢١ – منها : ﴿ واذكرْ أخا عادٍ إذْ أنذَرَ قومَهُ بالأحقافِ ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وثلاثين آية .

٤٧ – سورة محمد ﷺ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة محمد بعد سورة الحديد ، وقد نزلت سورة الحديد بعد سورة الزَّلزلة ، ونزلت سورة الزلزلة بعد سورة النساء ، وكان نزول سورة النساء فيما بين صلح الحُدَيْبِيَة وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة محمد في هذا التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٢ – منها : ﴿ والذين آمنُوا وعملوا الصالحات وآمنُوا بما نُزِّلَ على محمدٍ ﴾ الآية ، وتبلغ آياتها ثماني وثلاثين آية .

٤٨ – سورة الفتح

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفتح بعد سورة الجمعة ، وكان نزولها في الطريق عند الانصراف من الحُدَيْبِيةِ في السنة السادسة من الهجرة ، فتكون من السور التي نزلت فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِنَّا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية .

٤٩ – سورة الحجرات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحُجُراتِ بعد سورة المُجادلة ، ونزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقون ، وقد نزلت سورة المنافقون في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبُوك .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٤ – منها : ﴿ إِنَّ الذينَ يُنَادونكَ من وراءِ الحجراتِ أكثرُهمْ لا يعقلونَ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني عشرة آية .

٥٠ – سورة قٓ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة قٓ بعد سورة المُرسَلات ، وقد نزلت سورة المرسلات بعد تسع سُور من سورة النجم ، ونزلت سورة النجم بعد الهجرة الأولى للحبشة ، وكانت هذه الهجرة في السنة السابعة من البعثة ، فيكون نزول سورة قٓ في ذلك التاريخ أيضاً ، وتكون من السوَر التي نزلت فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به ، وتبلغ آياتها خمساً وأربعين آية .

٥١ – سورة الذاريات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الذَّارياتِ بعد سورة الأحقاف ، وقد نزلت سورة الأحقاف بعد الإسراء وقُبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الذاريات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والذَّارياتِ ذَرْواً ﴾ وتبلغ آياتها ستين آية .

٥٢ – سورة الطور

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الطُّور بعد سورة السجدة ، وقد نزلت سورة السجدة بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الطور في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والطُّور ، وكتابٍ مسطور ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وأربعين آية .

٥٣ ـ سورة النجم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النجم بعد سورة الإخلاص ، وكان نزولها بعد الهجرة الأولى للحبشة ، وكانت هذه الهجرة في السنة السابعة من البعثة ، فلما نزلت هذه السورة أشيع أنه نزل فيها بعد قوله : ﴿ أفرأيتُم اللاتَ والعُزَّى ، ومَنَاةَ الثالثةَ الأخرى ﴾ تلك الغرانيقُ العلى ، وإن شفاعتهن لترتَجى ، وأن قريشاً أسلمت في تلك الشائعة ، وكان هذا من إلقاء الشيطان في مسامع المشركين ، فرجع مهاجروا الحبشة حين أشيع ذلك بينهم ، فرأوا أن قريشاً لا تزال على كفرها ، وبهذا تكون سورة النجم من السوَر التي نزلت فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والنجمِ إذا هَوَى ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وستين آية .

٥٤ ـ سورة القمر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القمر بعد سورة الطارق ، وقد نزلت سورة الطارق بعد سورة البلد ، ونزلت سورة البلد بعد سورة قٓ ، وكان نزول سورة قٓ فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القمر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وخمسين آية .

٥٥ ـ سورة الرحمٰن

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الرحمٰن بعد سورة الرعد ، وقد نزلت سورة الرعد فيا بين صلح الحديْبِيةِ وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الرحمٰن في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لافتتاحها به في قوله تعالى : ﴿ الرحمٰن ، علَّم القرآنَ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني وسبعين آية .

٥٦ ـ سورة الواقعة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الواقعة بعد سورة طٰه ، وقد نزلت سورة طٰه فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الواقعة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا وقعتِ الواقعةُ ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وتسعين آية .

٥٧ ـ سورة الحديد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحديد بعد سورة الزَّلزَلة ، وقد نزلت سورة الزلزلة بعد سورة النساء ، وكان نزول سورة النساء فيا بين صلح الحُديبية وغزوة تَبوك ، فيكون نزول سورة الحديد في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية ـ ٢٥ ـ منها : ﴿ وأنزلنَا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للناسِ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية .

٥٨ ـ سورة المجادلة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقون ، وقد نزلت سورة المنافقون بعد غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة المجادلة فيا بين صلح الحديبية وغزوة تَبُوك .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قدْ سمِعَ اللهُ قولَ التي تجادلكَ في زوجها ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وعشرين آية .

٥٩ ـ سورة الحشر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحشر بعد سورة البَيِّنَةِ ، وقد نزلت سورة البينة فيما بين صلح الحدَيبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الحشر في ذلك التاريخ أيضاً ، والحق أنها من السُّوَر التي نزلت فيما بين غزوة بدر وصلح الحديْبية ، لأنها نزلت في غزوة بني النضير ، وكانت هذه الغزوة في السنة الرابعة من الهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية ـ ٢ ـ منها : ﴿ هوَ الذي أخرجَ الذين كفرُوا مِنْ أهل الكتابِ مِنْ ديارهِمْ لأوَّلِ الحشرِ ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وعشرين آية .

٦٠ ـ سورة الممتحنة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الممتحنة بعد سورة الأحزاب ، وكان نزولها بعد صلح الحديْبية في السنة السادسة من الهجرة ، فتكون من السُّور التي نزلت فيما بين هذا الصلح وغزوة تبوك .

وقد سميت هذ السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية ـ ١٠ ـ منها : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكُمُ المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتحنوهنَّ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث عشرة آية .

٦١ ـ سورة الصف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الصفّ بعد سورة التَّغابُن ، وقد نزلت سورة التغابن بعد سورة التحريم ، ونزلت سورة التحريم بعد سورة الحجرات ، ونزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحُدَيْبِية وغزوة تَبُوك ، فيكون نزول سورة الصف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية ـ ٤ ـ منها : ﴿ إن الله يحبُّ الذينَ يقاتلونَ في سبيلهِ صفّاً كأنهمْ بنيانٌ مرصوصٌ ﴾ وتبلغ آياتها أربع عشرة آية .

٦٢ ـ سورة الجمعة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الجمعة بعد سورة الصفّ ، وقد نزلت سورة الصف فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الجمعة في ذلك التاريخ أيضاً ، وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية ـ ٩ ـ منها ﴿ يأيُّها الذينَ آمنوا إذا نُودِيَ للصلاة من يومِ الجُمعةِ فاسعوْا إلى ذكر اللهِ ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

٦٣ ـ سورة المنافقون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المنافقون بعد سورة الحجِّ ، وكان نزولها بعد غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة ، فتكون من السُّور التي نزلت فيما بين صلح الحُديبية وغزوة تبُوك .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا جاءكَ المنافقونَ قالُوا نشهد إنَّكَ لرسولُ اللهِ ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

٦٤ ـ سورة التغابن

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التغابُن بعد سورة التحريم ، وقد نزلت سورة التحريم بعد سورة الحجُرات ، ونزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحُديبية وغزوة بدر ، فيكون نزول سورة التغابن في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٩ – منها : ﴿ يومَ يجمعكمْ ليوم الجمع ذلكَ يومُ التغابُنِ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني عشرة آية .

٦٥ – سورة الطلاق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الطلاق بعد سورة الإنسان ، وقد نزلت سورة الإنسان بعد سورة الرحمٰن ، ونزلت سورة الرحمٰن فيما بين صلح الحديْبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الطلاق في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يا أيها النبيُّ إذا طلّقتُم النساء فطلّقوهنَّ لِعدَّتهنَّ ﴾ وتبلغ آياتها ثنتي عشرة آية .

٦٦ – سورة التحريم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التحريم بعد سورة الحجراتِ ، وقد نزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، ، فيكون نزول سورة التحريم في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يأيها النبيُّ لِمَ تُحرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لكَ ﴾ وتبلغ آياتها ثنتي عشرة آية .

٦٧ – سورة الملك

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المُلك بعد سورة الطُّور ، وقد نزلتَ سورة الطور بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الملك في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ تباركَ الذِي بيدهِ الملك وهُوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثين آية .

٦٨ – سورة القلم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القَلَم بعد سورة العَلَق ، وقد كانت سورة العلق أول ما نزل من القرآن ، فيكون نزول سورة القلم فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ نٓ ، والقَلَم وما يسطرون ﴾ وتبلغ آياتها اثنتين وخمسين آية .

٦٩ – سورة الحاقة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحاقَّة بعد سورة المُلك ، وقد نزلت سورة الملك بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الحاقة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ الحاقَّةُ ، وما الحاقَّةُ ، وما أدراكَ ما الحاقَّةُ ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وخمسين آية .

٧٠ – سورة المعارج

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المَعَارِج بعد سورة الحاقَّة ، وقد نزلت سورة الحاقة بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة المعارج في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية – ٣ – منها : ﴿ مِنَ اللهِ ذي المَعارج ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وأربعين آية .

٧١ – سورة نوح

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة نوح بعد سورة النحل ، وقد نزلت سورة النحل بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة نوح في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ أنْ أنذرْ قومَكَ مِنْ قبلِ أنْ يأتيهمْ عذابٌ أليمٌ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني وعشرين آية .

٧٢ – سورة الجن

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الجنِّ بعد سورة الأعراف ، وكان نزولها في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها ليدعو أهلها في السنة العاشرة من البعثة ، فيكون نزول سورة الجن فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إليَّ أنَّهُ استمعَ نفرٌ منَ الجنّ فقالوا إنّا سمعْنا قرآناً عجباً ﴾ وتبلغ آياتها ثماني وعشرين آية .

٧٣ – سورة المزمل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المُزَّمِّل بعد سورة القلم ، وقد كان نزول سورة القلم فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة المزمل في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يأيُّها المزَّمل ، قُم الليلَ إلّا قليلاً ﴾ وتبلغ آياتها عشرين آية .

٧٤ – سورة المدثر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المُدَّثِّر بعد سورة المُزمِّل ، وكان الوحي قد انقطع بعد بدء نزوله مدة لم يتفق المؤرخون عليها ، وأرجح أقوالهم أنها كانت أربعين يوماً ، وقد نزلت سورة المدثر بعد انقضاء هذه المدة ، فيكون نزولها فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يأيُّها المدَّثرُ ، قمْ فأنذر ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وخمسين آية .

٧٥ – سورة القيامة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القيامة بعد سبع سُوَر من سورة النجم ، وكان نزول سورة النجم فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القيامة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لا أقسمُ بيوم القيامة ﴾ وتبلغ آياتها أربعين آية .

٧٦ – سورة الإنسان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الإنسان بعد سورة الرحمٰن ، وكان نزول سورة الرحمٰن فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الإنسان في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ هلْ أتى على الإنسان حينٌ منَ الدهر لمْ يكنْ شيئاً مذكوراً ﴾ وتبلغ آياتها إحدى وثلاثين آية .

٧٧ ـ سورة المرسلات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المرسَلات بعد سورة الهُمَزَة ، وقد نزلت سورة الهمزة بعد سورة القيامة ، وكان نزول سورة القيامة فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة المرسلات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والمرسَلاتِ عرْفاً ﴾ وتبلغ آياتها خمسين آية .

٧٨ ـ سورة النبأ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النبأ بعد سورة المعَارج ، وقد نزلت سورة المعارج بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة النبأ في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ عَمَّ يتساءلونَ عنِ النَّبأ العظيم ﴾ وتبلغ آياتها أربعين آية .

٧٩ ـ سورة النازعات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النازعات بعد سورة النبأ ، وقد نزلت سورة النبأ بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة النازعات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والنازعاتِ غرْقاً ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وأربعين آية .

٨٠ ـ سورة عبس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة عبَسَ بعد سورة النجم ، وقد نزلت سورة النجم فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة عبس في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ عبَسَ وتولَّى ، أنْ جاءهُ الأعمى ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وأربعين آية .

٨١ ـ سورة التكوير

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التَّكوير بعد سورة المسَد ، وقد نزلت سورة المسد بعد سورة الفاتحة ، ونزلت سورة الفاتحة فيا بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول التكوير في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا الشَمسُ كوِّرتْ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية .

٨٢ ـ سورة الانفطار

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الانفطار بعد سورة النازعات ، وقد نزلت سورة النازعات بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الانفطار في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا السماءُ انفطرتْ ﴾ وتبلغ آياتها تسع عشرة آية .

٨٣ ـ سورة المطففين

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المطفِّفين بعد سورة العنكبوت ، وهي آخر سورة نزلت بمكة ، فيكون نزولها بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَيْلٌ للمطفِّفين ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وثلاثين آية .

٨٤ – سورة الانشقاق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الانشقاق بعد سورة الانفطار ، وقد نزلت سورة الانفطار بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الانشقاق في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا السماءُ انشقَّتْ ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وعشرين آية .

٨٥ – سورة البروج

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة البروج بعد سورة الشمس ، وقد نزلت سورة الشمس بعد سورة القَدْر ، ونزلت سورة القدر بعد سورة عَبَسَ ، وكان نزول سورة عبس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة البروج في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والسماءِ ذاتِ البروج ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وعشرين آية .

٨٦ – سورة الطارق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الطارق بعد سورة البَلد ، وقد نزلت سورة البلد بعد سورة قٓ ، وكان نزول سورة قٓ فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الطارق في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والسماءِ والطارقِ ﴾ وتبلغ آياتها سبع عشرة آية .

٨٧ – سورة الأعلى

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأعلى بعد سورة التكوير ، وكان نزول سورة التكوير فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الأعلى في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ سَبِّح اسمَ ربك الأعلى ﴾ وتبلغ آياتها تسع عشرة آية .

٨٨ – سورة الغاشية

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الغاشية بعد سورة الذاريات ، وقد نزلت سورة الذاريات بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الغاشية في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالة في أولها : ﴿ هل أتاكَ حديث الغاشيةِ ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وعشرين آية .

٨٩ – سورة الفجر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفجر بعد سورة الليل ، وقد نزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى ، ونزلت سورة الأعلى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الفجر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والفجرِ وليالٍ عشر ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثين آية .

٩٠ – سورة البلد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة البَلد بعد سورة قٓ ، وقد نزلت سورة قٓ فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة البلد في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لا أقسمُ بهذا البلدِ ﴾ وتبلغ آياتها عشرين آية .

٩١ ـ سورة الشمس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشمس بعد سورة القَدْر ، وقد نزلت سورة القدر بعد سورة عبَس ، ونزلت سورة عبس فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الشمس في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والشمسِ وضحاها ﴾ وتبلغ آياتها خمس عشرة آية .

٩٢ ـ سورة الليل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى ، وقد نزلت سورة الأعلى فيا بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الليل في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والليلِ إذا يغشى ﴾ وتبلغ آياتها إحدى وعشرين آية .

٩٣ ـ سورة الضحى

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الضُّحى بعد سورة الفجر ، وقد نزلت سورة الفجر فيا بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الضحى في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والضُّحى ، والليلِ إذا سَجى ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

٩٤ ـ سورة الشرح

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشَّرْح بعد سورة الضُّحى ، وقد نزلت سورة الضحى فيا بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الشرح في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ ألَمْ نشرحْ لكَ صدركَ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات .

٩٥ ـ سورة التين

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التين بعد سورة البروج ، وقد نزلت سورة البروج فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة التين في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والتِّينِ والزيتون ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات .

٩٦ ـ سورة العلق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

سورة العلق أول ما نزل من القرآن عند جمهور المفسرين ، وذهب آخرون إلى أن الفاتحة هي أول ما نزل منه . ثم سورة العلق .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ اقرأ باسم ربِّكَ الذي خلقَ ، خلقَ الإنسانَ من علقٍ ﴾ وتبلغ آياتها تسع عشرة آية .

٩٧ ـ سورة القدر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القدْر بعد سورة عبَس ، وقد نزلت سورة عبس فيا بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القدر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إنا أنزلناهُ في ليلة القدْرِ ﴾ وتبلغ آياتها خمس آيات .

٩٨ – سورة البينة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة البَيِّنة بعد سورة الطلاق ، وقد نزلت سورة الطلاق فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة البينة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لمْ يكنِ الذينَ كفروا منْ أهلِ الكتابِ والمشركين منفكِّينَ حتى تأتيهُم البيِّنةُ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات .

٩٩ – سورة الزلزلة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الزَّلْزَلة بعد سورة النساء ، وقد نزلت سورة النساء فيما بين صلح الحُدَيْبِية وغزوة تَبُوك ، فيكون نزول سورة الزلزلة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَهَا ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات .

١٠٠ – سورة العاديات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة العاديات بعد سورة العصر ، وقد نزلت سورة العصر بعد سورة الشَّرْح ، ونزلت سورة الشرح فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة العاديات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والعادياتِ ضَبْحاً ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

١٠١ – سورة القارعة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القارعة ، بعد سورة قُرَيش ، وقد نزلت سورة قريش بعد سورة التين ، ونزلت سورة التين فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القارعة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ القارعةُ ، ما القارعةُ ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

١٠٢ – سورة التكاثر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التَّكاثُر بعد سورة الكوثر ، وقد نزلت سورة الكوثر بعد سورة العاديات ، ونزلت سورة العاديات فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، نزول سورة التكاثر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ ألهاكُمُ التَّكاثرُ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات .

١٠٣ – سورة العصر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة العصر بعد سورة الشَّرْح ، وقد نزلت سورة الشرح فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة العصر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والعصر ، إنَّ الإنسان لفي خُسرٍ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات .

١٠٤ - سورة الهمزة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الهُمزَة بعد سورة القيامة ، وقد نزلت سورة القيامة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الهمزة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَيلٌ لكلِّ هُمزةٍ لمزَةٍ ﴾ وتبلغ آياتها تسع آيات .

١٠٥ - سورة الفيل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفيل بعد سورة الكافرون ، ونزلت سورة الكافرون بعد سورة الماعون ، ونزلت سورة الماعون بعد سورة التَّكاثر ، وكان نزول سورة التكاثر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الفيل في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لورودها في قصة أصحاب الفيل ، وتبلغ آياتها خمس آيات .

١٠٦ - سورة قريش

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة قريش بعد سورة التين ، وقد نزلت سورة التين فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة قريش في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لإيلافِ قريشٍ ﴾ وتبلغ آياتها أربع آيات .

١٠٧ - سورة الماعون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الماعون بعد سورة التّكاثر ، وقد نزلت سورة التكاثر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الماعون في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في آخرها : ﴿ ويمنعونَ الماعونَ ﴾ والماعون هو الزكاة ، وقيل العارية ، وقيل ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار وأشباه ذلك ، وتبلغ آياتها سبع آيات .

١٠٨ - سورة الكوثر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الكوْثر بعد سورة العاديات ، وقد نزلت سور ةالعاديات فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الكوثر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إنَّا أعطيناكَ الكوثرَ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات .

١٠٩ - سورة الكافرون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الكافرون بعد سورة الماعون ، وقد نزلت سورة الماعون فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الكافرون في ذلك التاريخ أيضاً . وكان رهط من قريش ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له : يا محمد ، هَلُمَّ اتبع ديننا ونتبع دينك . فنزلت هذه السورة في شأنهم .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قل يا أيُّها الكافرونَ ، لا أعبدُ ما تعبدونَ ﴾ وتبلغ آياتها ست آيات .

١١٠ - سورة النصر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النصر بعد سورة التوبة ، وهي آخر ما نزل من القرآن بالمدينة ، وكان نزولها في حجة الوداع بمنى ، فيكون نزولها في السنة العاشرة من الهجرة . وكان هذا بعد أن أتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوته ، وأخذ الناس يدخلون أفواجاً في دينه .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات .

١١١ – سورة المسد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المسَد بعد سورة الفاتحة ، وقد نزلت سورة الفاتحة فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة المسد في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في آخرها : ﴿ في جِيدها حبلٌ مِن مَسد ﴾ وتبلغ آياتها خمس آيات .

١١٢ – سورة الإخلاص

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الإخلاص بعد سورة الناس ، وقد نزلت سورة الناس بعد سورة الفَلَق ، ونزلت سورة الفلق بعد سورة الفيل ، وكان نزول سورة الفيل فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الإخلاص في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لما فيها من طلب إخلاص الدين لله تعالى ، وتبلغ آياتها أربع آيات .

١١٣ – سورة الفلق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفَلق بعد سور ةالفيل ، وقد نزلت سورة الفيل فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الفلق في ذلك التاريخ أيضاً .

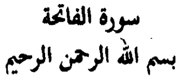
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قلْ أعوذُ بربِّ الفَلق ﴾ والفلق الصبح لأن الليل ينفلق عنه ، وتبلغ آياتها خمس آيات .

١١٤ – سورة الناس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الناس بعد سورة الفلق ، وقد نزلت سورة الفلق فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الناس في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قُلْ أعوذُ بربِّ الناسِ ﴾ وتبلغ آياتها ست آيات .



سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

قال الإمام الحافظ ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ باللهِ منَ الشيطان الرجيم﴾ والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ. وإن الشيطان لا يكفّهُ عن الإنسان إلّا الله تعالى.

١: **بسم الله الرحمن الرحيم** وفي الحديث: «إذا قلتَ بسم الله تصاغر – أي الشيطان – حتى يصيرَ مثل الذباب» ﴿**الله**﴾ عَلَمٌ على الربِّ تبارك وتعالى وهو اسمٌ لم يُسمَّ به غيرهُ تعالى ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و﴿**رحمٰن**﴾ أشدّ مبالغةً من ﴿**رحيم**﴾ قال سبحانه: ﴿الرحمنُ على العرش استوى﴾ ذكرَ الاستواء باسمه الرحمن؛ ليعمّ جميع خلقه برحمته، وقال سبحانه: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ فخصّهم باسمه الرحيم؛ فدلّ أنّ الرحمن لجميع خلقه، والرحيم [مخصوص] بالمؤمنين **٢**: ﴿**الحمد لله**﴾ ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمرَ عبادَه أن يُثنوا عليه، فكأنّه قال: قولوا الحمدُ لله ﴿**ربِّ العالَمين**﴾ ربّ الجنّ والإنس. والعالَمين: ألفُ أمّة، فستمائة في البحر، وأربعمائة في البرّ **٣**: تقدّمَ الكلامُ عليه في البسملة **٤**: ﴿**مالِكِ يوم الدِّين**﴾ لا يملك أحدٌ معه في ذلك اليوم حُكْماً كملكهم في الدنيا. ويوم الدين: يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يَدِينُهم بأعمالهم. والدِّينُ: الجزاءُ والحساب، قال تعالى: ﴿أئنّا لَمَدينُون﴾؟ مجزيُّون محاسَبُون **٥**: ﴿**إيّاكَ نعبُدُ**﴾ العبادة في الشرع عبارة عمّا يجمعُ كمالَ المحبة والخضوع والخوف. أي لا نعبُدُ إلّا إيّاك، ولا نتوكل إلّا عليك، وهذا هو كمالُ الطاعة. والفاتحةُ سرُّ القرآن، وسرُّها هذه الكلمة: ﴿**إيّاكَ نعبُد وإيّاكَ نستعين**﴾ فالأول تبرّؤٌ مِن الشرك، والثاني تبرّؤٌ مِن الحَوْلِ والقوّة، والتفويض إلى الله تعالى. وقدّم ﴿**إيّاكَ نعبُد**﴾ على ﴿**إيّاكَ نستعين**﴾ لأنّ العبادة له سبحانه هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهمّ فالأهمّ **٦**: لمّا تقدّم الثناءُ على المسؤول تبارك وتعالى ناسَبَ أن يُعقّبَ بالسؤال. وهذا أكمل أحوال السائلِ أن يمدح مسؤولَهُ، ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿**اهدنا الصراطَ المستقيم**﴾؛ لأنه أنجح للحاجة، وأنجع للإجابة. والهدايةُ هنا الإرشادُ والتوفيق. أي ألهمنا، أو وفقنا، أو ارزقنا، أو أعطنا [الهداية والتوفيق لها] و﴿**الصراط المستقيم**﴾ هو القرآن، والإسلام. أي استمرَّ بنا عليه، ولا تعدلْ بنا إلى غيره **٧**: ﴿**صراطَ الذينَ أنعمتَ عليهم**﴾ مُفسِّرٌ للصراط المستقيم. أي طريقَ مَن أنعمتَ عليهم بطاعتك وعبادتك؛ من الملائكة والنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وهم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى: ﴿ومَنْ يُطعِ اللهَ ورسولَهُ فأولئكَ مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً﴾ ﴿**غيرِ المغضوبِ عليهم**﴾ غير طريق المغضوب عليهم؛ وهم اليهود ﴿**ولا الضالِّين**﴾ وهم النصارى، وجيءَ بـ(لا) لتأكيد النفي لِيُجتَنَبَ كلُّ واحدٍ منهما. وطريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحقّ والعمل به، واليهود فَقَدُوا العملَ، والنصارى فَقَدُوا العلمَ؛ ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى، لأنّ مَن علمَ وترك استحقَّ الغضب، بخلاف مَن لم يعلم. وكلٌّ من اليهود والنصارى ضالٌّ مغضوبٌ عليه، ولكن أخصّ أوصاف اليهود الغضب. ويُستحبّ لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين ومعناه: اللهمّ استجبْ.

سُورَةُ البَقَرَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

وآياتها مائتان وست وثمانون

سورة البقرة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «البقرةُ سنامُ القرآنِ وذُرْوَتُه. نزلَ مع كلِّ آيةٍ منها ثمانون مَلكاً، واستُخرجتْ: ﴿اللهُ لا إلهَ إلّا هو الحيُّ القيّوم﴾ مِن تحتِ العرشِ، فوُصِلتْ بها»، رواه الإمام أحمد.

١: ﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطّعة التي في أوائل السور: هي مِمّا استأثر اللهُ بعلمه. [فمردُّ] علمها إلى الله تعالى. ومجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرّر منها أربعة عشر حرفاً، يجمعها قولُكَ: (نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ لهُ سِرٌّ). وكلُّ سورة افتُتِحتْ بالحروف فلابُدَّ أن يُذكرَ فيها الانتصارُ للقرآن، وبيانُ إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ذلكَ الكتابُ لا رَيبَ فيه﴾، ﴿الٓمٓ، اللهُ لا إلهَ إلّا هو الحيُّ القيومُ نزّلَ عليكَ الكتاب بالحقِّ مُصدِّقاً لِما بينَ يديه﴾، ﴿الٓمٓصٓ كتابٌ أُنزلَ إليكَ فلا يكن في صدرِكَ حَرَجٌ منه﴾، ﴿الٓر، كتابٌ أنزلناه إليكَ لتخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ بإذنِ ربِّهم﴾، ﴿الٓمٓ، تنزيلُ الكتابِ لا ريب فيه مِنْ ربِّ العالمين﴾ ﴿حمٓ، تنزيلٌ مِنَ الرحمن الرحيم﴾، وغير ذلك من الآيات الدّالة على هذا ٢: ﴿ذلِكَ الكِتابُ لاريبَ فيه﴾ هذا الكتاب هو القرآن لا شكَّ فيه أنّه نزل من عند الله. وهذا خبرٌ ومعناه النهي، أي: لا ترتابوا فيه ﴿هدىً للمتقين﴾ نوراً للمتقين الذين يحذرون من الله عقوبته و اتقوا ما حرّمَ اللهُ عليهم، وأدّوا ما افترضَ عليهم ٣: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أن يكونوا موصُوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً. والإيمانُ كلمةٌ جامعة للإيمان بالله وكتبه ورُسله، وتصديقُ الإقرار بالفعل. والغيبُ المرادُ هنا: أن يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، ويؤمنوا بالحياة بعد الموت وبالبعث؛ فهذا كله غيب ﴿ويقيمون الصلاة﴾ بفروضها، والمحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، وخشوعها والإقبال عليها فيها ﴿ومِمّا رزقناهم ينفقون﴾ زكاة أموالهم. ونفقة الرجل على أهله. وهذه الأموال ودائعُ عندك ياابنَ آدم يُوشِكُ أن تفارقها ٤: والذين يصدّقون بما جئتَ به من عند الله، وما جاء به مَن قبلَكَ مِنَ المرسلين لا يُفرِّقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤوهم به من ربّهم، ﴿وبالآخرة هم يُوقنون﴾: بالبعث والقيامة والجنّة والنار والحساب والميزان ٥: ﴿أولئك﴾ المتصفون بما تقدّم من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق من الذين رزقهم الله، والإيمان بما أنزل الله إلى الرسول ومن قبله من الرسل، والإيقان بالدار الآخرة، وهو مستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرّمات ﴿على هدىً﴾ على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ في الدنيا والآخرة، والمدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم؛ من الفوز بالثواب، والخلود في الجنّات، والنجاة من العِقاب.

فضل سورة البقرة: عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ البيتَ الذي تقرأ فيه سورة البقرة لايدخله شيطان» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية عنه: «لكل شيء سَنَامٌ، وسَنَامُ القرآن سورة البقرة، فيها آية هي سيّدةُ آي القرآن هي آية الكرسي» /سنن الترمذي ج٥/١٥٧/.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦: ﴿**إن الذين كفروا**﴾ غطوا الحقّ وستروه ﴿**سواءٌ عليهم أأنذرتَهم**﴾ سواءٌ عليهم إنذارك ﴿**أم لم تنذرهم**﴾ وعدمه ﴿**لا يؤمنون**﴾ بما جئتهم به وهم أهل النار ٧: ﴿**ختم الله**﴾ طبع الله ﴿**على قلوبهم**﴾ بالذنوب، فحفت به من كل نواحيه ﴿**وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ فهم لا يُبصرون هدى ولا يسمعون، ولا يفقهون ولا يعقلون. والغشاوة: الغطاء يكون على البصر ٨: النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشرّ، وهو أنواع: اعتقادي؛ وهو يُخلّد صاحبه في النار، وعمليّ؛ وهو من أكبر الذنوب نبّه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغترَّ بظاهر أمرهم المؤمنون ٩: ﴿**يُخادِعُون الله والذين آمنوا**﴾ بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر يعتقدون أنّ ذلك نافعهم ﴿**وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾ وما يَغُرُّون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم، وهم غير شاعرين ولا دارين ١٠: في قلوبهم شك، فزادهم الله شكاً وهذا مرضٌ في الدِّين، وليس مرضاً في الأجساد، وهم المنافقون، والمرض: الشك الذي دخلهم في الإسلام ١١: الفساد: هو الكفرُ والعملُ بالمعصية. فمن عصى الله في الأرض، أو أمرَ بمعصيته فقد أفسدَ في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة قال سلمان الفارسي: لم يجئْ أهلُ هذه الآية بعدُ. أراد بهذا أنّ الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فساداً من الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٢: ألا إنّ هذا الذي يزعمون أنه إصلاح، هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً ١٣: السفيهُ: هو الجاهل القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار. وقد تولّى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال: ﴿**ألا إنّهم هم السفهاء**﴾ فأكد وحصر السفاهة فيهم ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل وذلك أردى العمى والبعد عن الهدى ١٤: أظهروا لهم الإيمان والموالاة والمُصانعة غُروراً منهم للمؤمنين ونفاقاً ليُشركوهم فيما أصابوا من خيرٍ ومغنم. وإذا انصرفوا إلى شياطينهم من المنافقين واليهود والمشركين ﴿**قالوا إنّا معكم**﴾ على مثل ما أنتم عليه ﴿**إنما نحن مستهزءون**﴾ بالقوم نلعبُ بهم. وجواباً لهم ومقابلةً على صنيعهم قال سبحانه: ١٥: ﴿**الله يستهزئُ بهم**﴾ مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع، وكما قال تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيثُ لا يعلمون﴾، ﴿**ويمدهم في طغيانهم يعمهون**﴾ يمدّهم ويُملي لهم وهم في كفرهم يتردّدون ١٦: ﴿**اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ أخذوا الضلالة وتركوا الهدى. وبَذلوا الهدى ثمناً للضلالة ﴿**فما ربحت تجارتُهم**﴾ وصفقتُهم في هذه البيعة ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ راشدين في صنيعهم ذلك. خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الأمن إلى الخوف.

الآية: ٧ قال رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكِتَ في قلبه نُكتةٌ سوداء، فإذا هو نزعَ واستغفر وتابَ،صُقِلَ قلبُهُ، وإنْ عادَ زِيدَ فيها حتى تعلوَ قلبَهُ، وهو الرّانُ الذي ذكرَ اللهُ: ﴿**كلاّ بلْ رَانَ على قلوبهم ماكانوا يكسبون**﴾ رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح ج٥/٤٣٤.

الآية: ٩ هذا النفاق فَشا في جماعة عبد الله بن سلول في المدينة، وفي بعض أهل الكتاب من اليهود. ولم يكن بين المهاجرين نفاق؛ لأنهم هاجروا وتركوا أموالهم وأهليهم رغبةً فيما عند الله في الدار الآخرة.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧: ﴿مثلُهم كمثلِ الذي استوقد ناراً فلما أضاءتْ ما حولَهُ ذهبَ اللهُ بنورِهم﴾ شبههم سبحانه في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى؛ بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وأبصر بها وتأنّس بها، فبينا هو كذلك إذْ طُفِئتْ نارُه وصار في ظلام شديد لا يُبصر ولا يهتدي، وهو مع هذا أصم لا يسمع، وأبكم لا ينطق، ولو كان ضياءً لَما أبصر، كذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عِوَضاً عن الهدى، واستحبابهم الغيَّ على الرُّشد **١٨: ﴿صُمٌّ بكمٌ عُميٌ فهم لا يرجِعُون﴾** لا يسمعون الهدى، ولا يعقلونه، ولا يرجعون إلى هدى الإسلام **١٩: ﴿أو كصيّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ﴾** هذا مثل آخر للمنافقين؛ يظهر لهم الحقُّ تارةً ويشكون تارةً أخرى، فقلوبهم في حال شكّهم كصيّب فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرق **٢٠: ﴿يكادُ البرقُ يخطَفُ أبصارَهم كلما أضاءَ لهم مَشَوْا فيه وإذا أظلمَ عليهم قاموا﴾** الآية؛ لشدّة ضوء الحق ظهرَ لهم الإيمان، ثم تَعْرِض لهم الشكوكُ فوقفوا حائرين، وهكذا. قال مجاهد: أربعُ آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين **٢١: ﴿يا أيُّها النّاس اعبُدُوا ربَّكُمُ الذي خلقكم والذين مِن قبلِكم لعلّكم تتقُون﴾** ثم شرع تبارك وتعالى في وحدانيّة ألوهيّته بأنّه تعالى هو المنعم على عبيده بإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بعدما أخرجهم من العدم إلى الوجود **٢٢: ﴿الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ فِراشاً والسماءَ بناءً وأنزلَ من السماءِ ماءً فأخرجَ بهِ من الثمرات رِزْقاً لكم﴾** جعل لهم الأرض مهداً موطّأةً مثبتةً بالرواسي الشامخات، وأنزلَ من السماء ماءً فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار، **﴿فلا تجعلوا للهِ أنداداً وأنتم تعلمون﴾**، وفي الصحيحين عن ابن مسعود: قلتُ يا رسول الله: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل للهِ نِدّاً وهو خلقك»، وهذا حماية لجناب التوحيد. وقال ابن عباس: الأندادُ: هو الشرك أخفى من دبيب النمل **٢٣:** ثم شرع تعالى في تقرير النبوّة بعد أن قرّر أنّه لا إله إلّا هو فقال: **﴿وإن كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا﴾** محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿فَأْتوا بسورةٍ من مثله﴾** من مثل ما جاء به من القرآن **﴿وادْعوا شهداءَكُم من دون الله﴾** أعوانكم، يساعدونكم على ذلك **﴿إن كنتم صادقين﴾ ٢٤: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾** لن لنفي التأبيد في المستقبل؛ أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً وهذه معجزةٌ أنّ هذا القرآن لا يُعارض أبدَ الآبدين ودهر الداهرين. وكذلك وقع الأمرُ، لم يُعارض من لدنه إلى زماننا هذا، والقرآن كلام الخالق سبحانه، وكيف يُشبه كلامُ الخالق كلامَ المخلوقين؟ قال الله تعالى: **﴿الر كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثمّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ﴾**.

الآية: ٢٠ روى الحاكم في مستدركه والبيهقي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع اللهُ الناسَ يوم القيامة» إلى أن قال: «فيُعطون نورَهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يُعطى نورَهُ مثل الجبل بين يديه، ومنهم يُعطى نورَه فوق ذلك، ومنهم من يعطى نورَهُ مثلَ النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يُعطى نورَهُ على إبهام قدميه يُضيء مرّة ويُطفأ مرّةً إذا أضاء قدّمَ قَدَمَهُ، وإذا طفىء قام». الحديث/المستدرك ج٢/٣٧٦ وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي/.

ومنهم من يُطفأ نورُهُ بالكلية، وهم الخُلّص من المنافقين الذي قال الله فيهم: **﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبِسْ من نورِكم قيلَ ارجعوا وراءَكم فالتمسوا** =

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

الحزب ١

٢٥: لما ذكر تعالى ما أعدّه لأعدائه الكافرين من العذاب والنكال عَطَفَ بذكر حال أوليائه من المؤمنين الذين صدّقوا إيمانهم بأعمالهم، فقال: ﴿**وبشّرِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار كلّما رُزِقوا منها**﴾ من الجنّة ﴿**قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبلُ**﴾ مثل الذي كان بالأمس ﴿**وأُتُوا به متشابهاً**﴾ يُؤتَى أحدهم بالصفحة من الشيء فيأكل منها ثم يُؤتَى بأخرى فيقول: هذا الذي أُتينا به من قبل؟ فتقول الملائكة: اللونُ واحدٌ والطعم مختلف. ﴿**ولهم فيها أزواج مطهرة**﴾ من القذر والأذى، ﴿**وهم فيها خالدون**﴾ وهذا هو تمام السعادة، فإنّهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فهم في نعيم سرمديّ أبديّ **٢٦**: ﴿**إنَّ اللهَ لا يستحيي أن يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقها فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقُّ مِن ربِّهم وأمّا الذين كفرُوا فيقولُون ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلاً**﴾ إن الله لا يستنكف أن يضرب مثلاً ما كان صغيراً أو كبيراً، و(ما) ههنا للتقليل. أخبر تعالى أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً ولو كان كالبعوضة، فهو لا يستنكف عن خلقها وكذلك لا يستنكف عن ضرب المثل بها، ﴿وتلكَ الأمثالُ نَضْرِبُها للناس وما يعقِلُها إلا العالِمُون﴾ ﴿**يُضِلُّ به كثيراً**﴾ المنافقين ﴿**ويهدي به كثيراً**﴾ المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالةً إلى ضلالتهم، ويزيد أهل الإيمان هدىً إلى هُداهم ﴿**وما يُضلُّ به إلا الفاسقين**﴾ فسقوا فأضلهم الله على فسقهم **٢٧**: ﴿**الذين ينقُضُون عهدَ اللهِ من بعدِ ميثاقِهِ ويقطعُون ما أمرَ اللهُ بهِ أنْ يُوصَلَ ويُفسِدُون في الأرض أولئكَ هُمُ الخاسِرُون**﴾ هذه صفات الكفار. العهد الذي نقضه الفاسقون هو وصية الله إلى خلقه وأمره إيّاهم بما أمرهم به من طاعة الله، ونهيه عمّا نهاهم عنه في كتبه وعلى لسان رُسله، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به. [والآية توضح هذا] **٢٨**: ﴿**كيف تكفرُون باللهِ وكنتُم أمواتاً فأحياكم ثم يُميتُكم ثمَّ يُحييكُم ثمَّ إليهِ تُرجَعُون**﴾ كيف تجحدون وجوده وكنتم عَدَماً فأخرجكم إلى الوجود؟ قال ابن عباس: كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم، لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم، ثم يُميتكم موتة الحق، ثم يُحييكم حين يبعثكم **٢٩**: ﴿**هو الذي خلقَ لكم ما في الأرضِ جميعاً ثمَّ استوى إلى السماءِ فسوّاهُنّ سبعَ سمواتٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ**﴾ لما ذكر تعالى دَلالةً من خلقهم ذكر دليلاً آخر مِمّا يُشاهدونه من خلق السموات والأرض ﴿**ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات**﴾ قصد: فخلق السماء سبعاً. وتفصيل هذه الآية في سورة ﴿ حَمٓ السجدة﴾: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان [أي: مثل الدخان إشارة إلى أنّه لا تماسك لها] فقال لها وللأرضِ ائتيا طَوْعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهنّ سبعَ سمواتٍ في يومين﴾ الآية.

= نوراً﴾ وقال في حقّ المؤمنين: ﴿**يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشْرَاكم اليوم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار**﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿**يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورَنا واغفرْ لنا إنّك على كل شيء قدير**﴾.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٠: يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بتنويه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم **﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾** قوماً يخلف بعضهم بعضاً، **﴿قالوا أتجعل فيها من يُفسِدُ فيها ويسفِكُ الدماء﴾**؟! علموا ذلك بعلم خاص، وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله؛ فإنهم لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، فقال الله تعالى مُجيباً لهم عن هذا السؤال: **﴿إني أعلمُ مالا تعلمون﴾** من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على التي ذكرتموها مالا تعلمون أنتم أني سأجعل فيهم الأنبياء والرسل، ويُوجد فيهم الصدّيقون والأولياء والشهداء والمقرّبون والعلماء الخاشعون **٣١**: هذا مقامٌ ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصّه من علم أسماء كلّ شيء دونهم. وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم مالا يعلمون، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبيّن لهم شرف آدم بما فُضِّلَ به عليهم في العلم حيث علمه سبحانه أسماء كل شيء؛ ذرّاتها وصفاتها وأفعالها. [ومن هذا نعلم أنّ كلَّ علمٍ علمه بنوه كان هو على علمٍ به عليه السلام] **﴿فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين﴾** **٣٢**: **﴿قالوا سبحانَكَ لا علم لنا إلّا ما علمتنا﴾** وهذا تقديسٌ وتنزيةٌ من الملائكة لله وأنّهم لا يعلمون شيئاً إلّا ما أعلمهم **٣٣**: **﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾** الآية، فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة في سرده ما علّمه الله، قال الله تعالى: **﴿ألم أقُلْ لكم إني أعلمُ غيبَ السمواتِ والأرضِ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾** فكان الذي أبدوه قولهم: ﴿أتجعل فيها من يُفسِدُ فيها..﴾ وكان الذي كتموه قولهم: لن يخلق ربُّنا خلقاً إلّا كنّا أعلم منه وأكرم. فعرفوا أن الله فضّلَ عليهم آدم في العلم والكرم **٣٤**: وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتنّ بها على ذرّيّته حيث أخبرهم أنه تعالى أمرَ الملائكة بالسجود لآدم. ولّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم لأنّه كان قد تشبه بهم، فلهذا ذُمَّ في مخالفة الأمر. وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فلذلك دعاه إلى الكِبْرِ، وكان من حيٍّ يُسَمَّون جِنّاً. وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض. **﴿فسجدوا إلّا إبليسَ أبى وكان من الكافرين﴾**، فكانت الطاعةُ لله، والسجدةُ لآدم سجدة تحية وسلام وإكرام **٣٥**: يُخبر تعالى عمّا أكرم به آدم، وأنه أباح له الجنّة. وسياق الآية يقتضي أن حوّاء خُلِقتْ قبل دخول آدم الجنة. **﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾** هذا امتحان لآدم **٣٦**: إنما نُسِبَ ذلك إلى الشيطان لأنّه تولّى إغواءهما حتى أكلا من الشجرة. **﴿مستقرٌّ﴾** قرار **﴿ومتاعٌ﴾** أرزاق وآجال **﴿إلى حينٍ﴾** إلى وقت مؤقت **٣٧**: هذه الكلمات مُفسّرة بقوله تعالى: **﴿قالا ربَّنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾**.

الآية: ٣٠ وقد ثبت في الصحيح أنّ الملائكة إذا صعدت إلى الرّبّ تعالى بأعمال عباده، يسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يُصلّون وتركناهم وهم يصلون. وذلك لأنهم يتعاقبون فينا ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال كما قال عليه الصلاة والسلام: «يُرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النّهار، وعمل النّهار قبل الليل» فقولهم: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم: **﴿إنّي أعلم مالاتعلمون﴾** /ابن كثير ج١/٦٩/.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾
ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

نصف الحزب ١

٣٨: ﴿قُلنا اهبِطُوا منها جميعاً فإمّا يأتينّكم منّي هدىً فمن تبع هُدَايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ يخبر تعالى عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم من الجنة، والمراد الذريه أنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل **٣٩: ﴿والذين كفرُوا وكذّبُوا بآياتِنا أولئك أصحابُ النّارِ هم فيها خالِدُون﴾** مخلدون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص. وهم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون **٤٠: ﴿يا بني إسرائيلَ اذكرُوا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم﴾** يقول تعالى آمراً بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومُهيجاً لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبيّ الله يعقوب عليه السلام. والنعمة التي أنعم بها عليهم أنْ جعل منهم الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب **﴿وأوفوا بعهدي﴾** الذي أخذته عليكم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاءكم **﴿أوفِ بعهدكم﴾** فمن اتّبعه غفرَ الله له ذنبه وأدخله الجنّة وجعل له أجرين **٤١: ﴿وآمنوا بما أنزلتُ مُصدِّقاً لِمَا معكم﴾** يعني به القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة. **﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾** من بني إسرائيل. **﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾** لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية **﴿وإيّايَ فاتقون﴾** يتوعدهم فيما يتعمدونه من كتمان الحق **٤٢**: يقول تعالى ناهياً لليهود عمّا كانوا يتعمدونه من تلبيس الحقّ بالباطل: **﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون﴾** يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم **٤٣: ﴿وأقيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وارْكعُوا مع الراكعين﴾** أمرهم أن يصلوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأن يدفعوا الزكاة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكونوا مع الراكعين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم **٤٤: ﴿أتأمُرُون النّاسَ بالبِرِّ وتنسَوْن أنفسَكم﴾**؟ كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ويُخالفون، فعيّرهم الله عزّ وجلّ بذلك، وذمّهم على هذا الصنيع ونبهم على خطئهم في حق أنفسهم. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون. كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ **٤٥: ﴿واستعينُوا بالصبرِ والصلاةِ وإنّها لكبيرةٌ إلّا على الخاشِعين﴾** يقول الله تعالى آمراً عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزبَهُ أمرٌ صلى. [والصبرُ نصفُ الإيمان]، وإنّهما معونتان على رحمة الله **٤٦: ﴿الذين يظنُّون أنّهم ملاقُوا ربّهم وأنّهم إليه راجِعُون﴾** إنّ الصلاة لثقيلة إلّا على الخاشعين الذين يعلمون أنّهم محشورون إليه يوم القيامة، فلمّا أيقنوا بالمعاد سَهُلَ عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات **٤٧**: يُذكّرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم، وتفضيلهم على أهل زمانهم. [فإن أسلموا دخلوا في خطاب الله لهذه الأمة] ﴿كنتم خير أمّةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمَنَ أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾ **٤٨: ﴿واتّقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾** لمّا ذكّرهم بنعمه أولاً عطف على ذلك التحذير من طول نقمه يوم القيامة؛ يوم لا يُغني أحدٌ عن أحد، ولا يُؤخذ منهم فداءٌ، ولا لهم ناصر ينقذهم من عذاب الله **﴿ولا يُقبلُ منها شفاعةٌ ولا يُؤخذُ منها عدلٌ ولا هُمْ يُنصرون﴾**.

وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٩: ﴿وإذْ نجيناكم مِن آلِ فرعون يَسُومُونَكم سُوءَ العذاب يُذبّحُون أبناءَكم ويستحيون نساءَكم﴾ اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذْ خلّصتُكم من آل فرعون وقد كانوا يُذيقونكم سُوْءَ العذاب، بذبح الأبناء وترك البنات. **﴿وفي ذلكم بلاءٌ﴾** نعمة واختبار **﴿من ربّكم عظيم﴾** نعمة عظيمة عليكم من ربِّكم **٥٠: ﴿وإذ فرَقْنا بكم البحرَ فأنجيناكم وأغرقنا آلَ فرعونَ وأنتم تنظرون﴾** وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى، وخرج فرعون في طلبكم خلّصناكم منهم، وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون أشفى لصدوركم **٥١: ﴿وإذْ واعَدْنا موسى أربعين ليلةً ثم اتخذتُم العِجلَ من بعدِهِ وأنتُم ظالِمُون﴾** واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم لَمّا عبدتم العِجل بعد ذهاب موسى لميقات ربِّه **٥٢: ﴿ثم عفونا عنكم من بعدِ ذلك لعلّكم تشكرون﴾** وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر **٥٣: ﴿وإذْ آتينا موسى الكتابَ﴾** التوراة **﴿والفرقان﴾** يفرق بين الحق والباطل **﴿لعلّكم تهتدون﴾ ٥٤: ﴿وإذْ قال موسى لقومِهِ يا قومِ إنكم ظلمتُم أنفسَكم باتّخاذِكُمُ العِجلَ فتُوبُوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسَكم﴾** هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العِجل. أمرَ موسى قومَه عن أمر ربِّه عزّ وجلّ أن يقتلوا أنفسَهم، فجعلَ يقتلُ بعضُهم بعضاً، يقتل مَن لم يعبدِ العجلَ مَن عبدَه، ومن قُتِلَ كانت له توبة

٥٥: ﴿وإذْ قلتُم يا موسى لنْ نُؤمِنَ لك حتى نرى الله جهرةً فأخذتكم الصاعقةُ وأنتم تنظُرُون﴾ واذكروا نعمتي عليكم في بَعْثِي لكم بعد الصَّعْق إذْ سألتم رؤيتي جهرةً عِيَاناً مما لا يُسْتَطاعُ لكم ولا لأمثالكم. وذلك حين أخذتهم الصاعقة فماتوا. قام موسى يبكي ويدعو ربَّه ويقول: ربِّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارَهم؟ كما قال الله عنه: ﴿لو شئتَ أهلكتَهم من قبلُ وإيّايَ أتُهلِكُنا بما فعلَ السفهاءُ مِنّا﴾؟!، فذلك قوله تعالى: **٥٦: ﴿ثم بعثناكم مِن بعدِ موتكم لعلّكم تشكرون﴾** كان موتهم عقوبة لهم، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالَهم **٥٧:** لمّا ذكرَ تعالى ما دفعه عنهم من النقم شَرَعَ يُذكرهم أيضاً بما أسبغ عليهم مِنَ النِّعم، فقال: **﴿وظلّلنا عليكم الغمامَ﴾** وهو السحاب الأبيض، ظُلِّلُوا به في التيه ليقيهم حرَّ الشمس. وقالوا: يا موسى أين الطعام؟ فأنزل اللهُ عليهم المَنَّ، فكان يسقط عليهم سقوط الثلج أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. وأمّا السلوى: فطائرٌ يُشبّه بالسّمّاني، كانوا يأكلون منه، **﴿كلوا من طيّباتِ ما رزقناكم﴾** أمرُ إباحة وإرشاد وامتنان، **﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسَهم يظلِمُون﴾** أمرناهم بالأكل مِمَّا رزقناهم وأن يعبدوا ربَّهم، فخالفوا وكفروا وظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البيّنات والمعجزات القاطعات.

الآية: ٥٤ روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسُ محمد بيده لايسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولانصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلاّ كان من أصحاب النار» صحيح مسلم ج١/٩٣/.

الآية: ٥٧ المَنّ: يعمّ جميع مامنَّ الله به على عباده من غير تعب ولازرع، ومنه قول رسول الله ﷺ: «الكمأة من المَنِّ الذي أنزل الله على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين»، وفي رواية عند مسلم: «من المَنّ الذي أنزلَ اللهُ على موسى» /تفسير القرطبي ج١/٤٠٦/.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١

٥٨: ﴿وإذْ قلنا ادْخُلوا هذه القرية فكُلُوا منها حيث شئتم رَغَداً وادخلُوا البابَ سُجَّداً﴾ يقول تعالى لائماً لهم على نُكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدّسة لمّا قدموا من بلاد مصر بصحبة موسى. و**﴿سُجّداً﴾** رُكّعاً، فدخلوا رافعي رؤوسهم خلافَ ما أُمِرُوا. **﴿وقولوا حِطّة﴾** استغفروا – وقولوا – احطُطْ عنّا خطايانا، أي: أن أَقِرُّوا بالذنب **﴿نغفر لكم خطاياكم﴾** هذا جواب الأمر؛ أي: إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات **﴿وسنزيدُ المحسنين﴾** بالحسنات **٥٩: ﴿فبدَّلَ الذين ظلمُوا قولاً غيرَ الذي قيلَ لهم﴾** قيل لبني إسرائيل: ﴿ادخلوا البابَ سُجّداً وقولوا حِطّة﴾ فدخلوا على أستاههم رافعي رؤوسهم واستهزؤوا فقالوا: حنطة في شعيرة؛ ولهذا أنزلَ اللهُ بهم بأْسَهُ وعذابَهُ **﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رِجْزاً مِنَ السماء﴾** غضباً وعذاباً **﴿بما كانوا يفسُقُون﴾** **٦٠: ﴿وإذِ استسقى موسى لقومِهِ فقلنا اضربْ بعصَاكَ الحجرَ فانفجرتْ منه اثنتَا عشرةَ عيناً قد علمَ كلُّ أناسٍ مشربَهم﴾** واذكروا نعمتي في إجابتي لموسى حين استسقاني لكم وتيسيري لكم الماء من حجرٍ يُحمل معكم من ثنتي عشرة عيناً لكل سِبْطٍ عينٌ قد عرفوها. **﴿كلوا﴾** من المنّ **﴿واشربُوا﴾** من هذا الماء **﴿ولا تعْثَوْا في الأرض مفسدين﴾** ولا تقابلُوا النّعمَ بالعِصْيان فتُسْلبوها **٦١: ﴿وإذْ قلتم يا موسى لنْ نصبرَ على طعامٍ واحدٍ فادْعُ لنا ربَّك يُخرجْ لنا مِمّا تنبتُ الأرضُ مِن بقلِها وقِثّائها وفُومِها وعَدَسِها وبصلِها﴾** واذكروا نعمتي عليكم واذكروا ضجركم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة من البُقُول ونحوها، والفوم ونحوه من الحِنطة والخبز. **﴿قال أتستبدِلُون الذي هو أدنى﴾** من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من الطعام الهنيئ **﴿بالذي هو خير﴾**؟! فيه تقريعٌ لهم وتوبيخٌ على ما سألوا **﴿اهبطُوا مِصْراً﴾** من الأمصار، **﴿وضُرِبتْ عليهمُ الذِّلّةُ والمسكنةُ﴾** وُضِعَتْ عليهم وأُلزموا بها شرعاً وقدراً، أي: لا يزالون مُسْتَذَلّين، فمن وجدهم استذلّهم وأهانهم. **﴿وباؤوا بغضبٍ من الله﴾** استحقُّوا الغضبَ من الله **﴿ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآياتِ الله﴾** هذا بسبب استكبارهم عن اتباع الحقّ وكفرهم بآيات الله **﴿ويقتلون النّبيين بغير الحق﴾** ولا كفر أعظم من هذا؟!! [والأنبياءُ يقتلون على الحق لا بالحق؛ لأنهم معصومون من فعل ما يُسبب قتلهم بالحق. وكل نبي أُمِرَ بقتال لم يقدر على الوصول إليه أحدٌ من الكفار، ومن لم يُؤمرْ بالقتال يمكن أن تصل إليه يد القتلة الكَفَرَة]. **﴿ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون﴾** وهذه عِلّةٌ أخرى في مجازاتهم بما جُوزُوا به أنّهم كانوا يعصون ويعتدون، [أي: يعصون الله ويعتدون على أنبيائه وأوليائه].

الآية: ٦١ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا، وأنْ تُناصِحُوا مَنْ ولاّهُ الله أمرَكم، ويكره لكم قيلَ وقالَ وكثرةَ السؤال وإضاعةَ المال» صحيح الجامع الصغير ج١/٣٨٥/.

الآية: ٦١ قال الإمام القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: ولم يأتِ نبيٌّ قطُّ بشيءٍ يُوجب قتله، ولم يُقتل نبيٌّ قطُّ من الأنبياء إلا من لم يُؤمرْ بقتال، وكل من أُمِرَ بقتال نُصِرَ. ومعلوم أنه لايُقتل نبي بحقٍّ، ولكن يُقتل على الحق. ج١/٤٣٢/.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

١٠

٦٢: ﴿إنّ الذين آمنـوا والذين هـادُوا والنّصارى والصابئين مَن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وعمِـلَ صـالحاً فلهم أجرُهم عند ربِّهم﴾ لَّما بيَّن تعالى حالَ مَن خالف أوامره وارتكب زواجرَهُ وتعدّى المحارم وما أحلّ بهم من النكال نبّهَ تعالى على أنّ من أحسنَ من الأمم السالفة وأطاع فله السعادةُ الأبدية **﴿ولا خوفٌ عليهـم ولا هـم يحزنون﴾**، والذين هادُوا: أتباع موسى، والنصارى أتباع عيسى، والصـابئون: قومٌ كانوا في الموصـل يقولون: لا إله إلّا الله، وليس لهم كتاب ولا نبي وهم موحدون **٦٣: ﴿وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتيناكم بقوّةٍ واذكروا ما فيه لعلّكم تتّقون﴾** [عاد الخطاب إلى بني إسـرائيـل]، يُذكّر تعالى بني إسرائيل ما أخذَ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به، أنّه لّما أخذ عليهـم الميثـاق رفعَ الجبلَ فوق رؤوسهم ليُقِرُّوا بما عُوهِدُوا عليه في التوراة **٦٤: ﴿ثم تولّيتم﴾** بعد هذا الميثاق، **﴿فلولا فضلُ الله عليكم﴾** بتوبته عليكم **﴿ورحمته﴾** بإرسـال النبيين **﴿لكنتم من الخاسرين﴾** في الدنيـا والآخرة **٦٥: ﴿ولقـد علـمتم﴾** يا معشرَ اليهود ما حَلَّ من البأس في **﴿الذين اعتدَوْا منكـم في السَّبت﴾** فتحيَّلُوا على اصطيـاد الحيتان في يوم السبت **﴿فقلنا لهم كونوا قِردةً خاسئين﴾** مسخهـم اللهُ إلى صـورة القِرَدة **٦٦: ﴿فجعلناها نكالاً﴾** عبرةً لِما حولها من القـرى **﴿لِمـا بينَ يديها﴾** مَن بحضرتها من النـاس **﴿وما خلفهـا﴾** من الأمم **﴿وموعظةً للمتّقين﴾** الذين من بعدهم إلى يوم القيامة **٦٧: ﴿وإذْ قال موسى لقومِه إنّ اللهَ يأمرُكم أن تذبَحُوا بقرةً قالُوا أتتخذُنا هُزُواً قالَ أعوذُ باللهِ أنْ أكونَ مِن الجاهِلين﴾** كان رجل من بني إسرائيل غنياً فقتله قريبه ليرثهُ، ثم ألقاه على الطريق فنادى موسى في الناس: مَن عنده علمٌ يبينه لنا، فقالوا له: أنت نبيُّ الله فَسَلْ لنا ربّكَ أن يبيّن لنا القاتل، فأوحى اللهُ: **﴿إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً﴾** فعجبُوا فقالوا: **﴿أتتخِذُنا هُزُواً﴾**؟ **﴿قال أعوذُ باللهِ أن أكون من الجاهلين﴾ ٦٨: ﴿قالوا ادْعُ لنا ربَّك يبيّنْ لنا ما هي﴾** أخبر الله تعالى عن تعنتِ بني إسرائيل وكثرة سُؤالهم لرسولهم، ولَّما ضيّقوا على أنفسهم ضيّق اللهُ عليهم، ولو أنّهم ذبحوا أيَّ بقرة كانت لوقعتِ المَوْقِعَ عنهم. ولكنَّهم شدّدُوا فشدّدَ اللهُ عليهم، **﴿قال إنه يقولُ إنها بقرةٌ لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ﴾** لا كبيرة ولا صغيرة **﴿عَوَانٌ بينَ ذلك فافعلُوا ما تُؤمَرُون﴾ ٦٩: ﴿قالوا ادْعُ لنا ربَّك يبيّنْ لنا ما لونُها﴾**؟ **﴿قال إنه يقولُ إنها بقرةٌ صفراءُ فاقِعٌ لونها﴾** صافية اللون **﴿تَسُرُّ النّاظِرين﴾** تُعجب الناظرين.

الآية: ٦٥ يعتدون بالحيلة: رموا الشِّباك للحيتان في يوم السبت، ثم أرجؤوها في الماء، فاستخرجوها بعد ذلك، فطبخوها فأكلوها أوْخَمَ أكلةٍ؛ أكلةً أسرعت في الدنيا العقوبة، وأسرعت في الآخرة العذاب. والله سبحانه مسخَ الذين استحلوا محارمه بالحيل قردةً وخنازيرَ. /أعلام الموقعين ج٣/١٥٩/.

إنّ الحِيَلَ المحرّمة مخادعةٌ لله تعالى، ومخادعةُ الله حرام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَعنَ اللهُ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ له»، وقال: «لعن الله اليهود، حُرّمت عليهم الشحوم، فجملوها [أي أذابوها] وباعوها وأكلوا ثمنها»، والله سبحانه ذمَّ أهلَ الخِدَاع والمكر، ومن يقول بلسانه ماليس في قلبه، وأنّ في قلوبهم مرضاً، فحقيقٌ بمن أتقى اللهَ وخاف نكاله أن يحذر استحلال محارمَ الله بأنواع المكر والاحتيال، وأن يعلم أنّه لايُخلّصه من الله ماأظهره مكراً وخديعةً من الأقوال والأفعال.

ولايجوز أن تنسب إلى إمام حيلة لإسقاط التكاليف الشرعية لأنّ ذلك قادح في إمامته، وذلك يتضمّن القَدْحَ في الأمة حيث ائتمنتْ بمن لايصلح للإمامة. /أعلام الموقعين ج٣/١٧١ - ١٩١/.

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

٧٠: **﴿قالوا ادْعُ لنا ربَّكَ يُبيِّنْ لنا ما هِيَ﴾**؟ **﴿إن البقرَ تشابَهَ علينا﴾** لكثرتها فميِّزْ لنا هذه البقرة وصِفْها لنا **﴿وإنّا إنْ شاءَ اللهُ لمهتدون﴾** إليها **٧١**: **﴿قال إنهُ يقولُ إنها بقرةٌ لا ذَلُولٌ﴾** إنَّها ليستْ مذلّلةً بالحِرَاثة **﴿تُثِيرُ الأرضَ ولا تسقي الحَرْثَ﴾** ولا مُعدّة للسقي، **﴿مُسلَّمةٌ﴾** هي مكرّمةٌ حسنةٌ صحيحة لا عيب فيها و **﴿لا شِيَةَ فيها﴾** ليس فيها لونٌ غيرُ لونها، **﴿قالوا الآنَ جئتَ بالحقّ﴾** الآن بيّنتَ لنا **﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾** مع هذا البيان والإيضاح ما ذبحوها إلّا بعد الجهد والتعنّتِ **٧٢**: **﴿وإذْ قتلتم نفساً فادّارأْتُم فيها﴾** اختلفتم واختصمتم فيها. [هذا مُقدّمٌ في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة]. **﴿واللهُ مُخرِجٌ ما كنتم تكتُمون﴾** تُغيِّبون **٧٣**: **﴿فقلنا اضْرِبُوهُ ببعضها﴾** من أعضاء البقرة فالمعجزةُ حاصلةٌ به **﴿كذلك يُحيي اللهُ الموتى ويُريكم آياتِهِ لعلَّكم تعقلون﴾**، فضربوه فحيي فقام فقال: قتلني فلان، ثم عاد ميّتاً. وقد نبّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل **٧٤**: يقول تعالى توبيخاً لبني إسرائيل وتقريعاً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى: **﴿ثم قَسَتْ قلوبُكم من بعد ذلك﴾** كله **﴿فهي كالحجارة﴾** التي لا تلين **﴿أو أشدُّ قَسْوةً﴾**، صارت قلوبهم قاسية لا عِلاجَ لقسوتها، **﴿وإنَّ مِنَ الحجارة لَمَا يتفجَّرُ منه الأنهارُ وإنَّ منها لَمَا يشّقّقُ فيخرجُ منهُ الماء وإنّ منها لَمَا يهبِطُ منْ خشيةِ الله﴾** وإنَّ من الحجارة لألْيَنُ من قلوبكم عمَّا تُدْعَوْن إليه من الحقّ، **﴿وما اللهُ بغافلٍ عمَّا تعملُون﴾**. [في هذا تهديدٌ ووعيدٌ لهم من الله تعالى] **٧٥**: **﴿أفَتَطْمَعُونَ﴾** أيها المؤمنون **﴿أن يُؤمنوا لكم﴾** أن ينقادَ لكم اليهود من بعد ما قستْ قلوبهم **﴿وقد كانَ فريقٌ منهم يسمعون كلامَ الله ثم يُحرِّفُونه﴾** يجعلون فيها الحقَّ باطلاً والباطل فيها حقاً **﴿من بعدِ ما عقلوه﴾** فهموه على بصيرةٍ **﴿وهم يعلمون﴾** أنَّهم مُخطِئون في تحريفه **٧٦**: **﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنَّا﴾** أن صاحبَكم رسولُ الله ولكنَّه إليكم خاصّة **﴿وإذا خَلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا أتُحدِّثُونهم بما فتحَ اللهُ عليكم﴾** لا تحدثوا العربَ بهذا وتُقرُّون بأنَّه نبيّ **﴿ليُحاجُّوكم به عندَ ربِّكم﴾** ليكون لهم حجة عليكم **﴿أفلا تعقِلُون﴾**؟! قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال: «لا يدخلنّ علينا قصبةَ المدينة إلّا مؤمن»، فقال رُؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبُوا فقولُوا آمنَّا، واكفروا إذا رجعتم إلينا، فكانوا يأتون المدينة بالبكْرِ ويرجِعُون إليهم بعد العصر. وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة: نحنُ مسلمون؛ ليعلموا خبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرَه، فإذا رجعُوا رجعُوا إلى الكفر، فلمَّا أخبر الله نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم قطع ذلك عنهم، فلم يكونوا يدخلون.

الآية: ٧٤ ومن أسباب قسوة القلب ماروراه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرةَ الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب، وإنّ أبعدَ الناس من الله القلبُ القاسي» قال الترمذي: هذا حديث حسن /ج٤/٦٠٧/.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٧٧: ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يُسرّون﴾ من كفرهم بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة؟ **﴿وما يُعلِنُون﴾** حين قالوا لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم: آمنا **٧٨: ﴿ومنهم أميُّون لا يعلمون الكتابَ إلّا أمانيَّ وإنْ هُمْ إلّا يظنُّون﴾** ومن أهل الكتاب أمّيّون لا يدرون ما في الكتاب إلّا أماني بالظنّ، لا يفقهون من الكتاب شيئاً ولكنهم يتخرَّصُون الأكاذيب وهم يجحدون نبوّتك بالظن **٧٩: ﴿فويلٌ للذين يكتبُون الكتابَ بأيديهم ثم يقولُون هذا مِن عندِ اللهِ ليشترُوا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم ممّا كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مِمّا يكسِبُون﴾** هؤلاء صنفٌ آخر من اليهود، وهم الدُّعاة إلى الضلال. والويلُ: الهلاكُ والدمارُ. وهو وادٍ في جهنّم أُنزل في اليهود لأنّهم حرّفوا التوراة، زادوا فيها ما أحبُّوا، ومحوا منها ما كرهوا، ومحوا اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من التوراة، ولذلك غضب الله عليهم **﴿ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾** [كانت للأحبار رياسة ومكاسب فخافوا إن بيّنوا صفةَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تذهب رياستهم ومآكلهم، فمن ثَمَّ غيّروا] **﴿وويلٌ لهم مِمّا يكسِبُون﴾** من الكذب والبُهتان [وكرّر الويلَ تغليظاً لفعلهم] **٨٠: ﴿وقالوا لن تَمَسَّنا النّارُ إلّا أيّاماً معدُودة﴾** يقول الله تعالى إخباراً عن اليهود فيما ادّعوه لأنفسهم من أنّهم لن تمسَّهم النارُ إلّا أيّاماً معدودات، ثم ينجون منها، فردَّ اللهُ عليهم ذلك بقوله: **﴿قُلْ أتخذتم عندَ اللهِ عهداً﴾** بذلك **﴿أمْ تقولون على الله مالا تعلمون﴾** من الكذب والافتراء عليه؟! **٨١: ﴿بلى مَن كسَبَ سيّئةً وأحاطتْ به خطيئتُهُ فأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالِدُون﴾** ليس الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون، بل مَن **﴿كَسَبَ سيّئةً وأحاطتْ به خطيئتُهُ﴾** بمثل ما كفرتم به **﴿فأولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون﴾ ٨٢: ﴿والذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ أولئكَ أصحابُ الجنّةِ هم فيها خالدون﴾** من آمَنَ بما كفرتم، وعملَ بما تركتم من دينِه فلهم الجنة خالدين فيها، يُخبرهم أنّ الثواب بالخير والشرِّ مُقيم على أهله أبداً لا انقطاع له **٨٣: ﴿وإذْ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل لا تعبُدُون إلّا اللهَ وبالوالدين إحساناً﴾** يُذكِّرُ اللهُ تعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك وأنّهم تولّوا عن ذلك كله وأعرضوا عمداً وهم يعرفونه ويذكرونه، فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وبهذا أمرَ جميعَ خلقه، ولذلك خلقهم. **﴿وقولُوا للنّاسِ حُسْناً وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ ثم تولّيتم إلّا قليلاً منكم وأنتم معرِضُون﴾** وأمرهم أن يقولوا للناس حُسْناً بعدما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل. وأمرهم بالصلاة والزكاة. ثم أخبر أنّهم تولَّوْا عن ذلك وتركوه وراء ظهورهم إلّا القليل منهم. [أي: مِمّن أسلمَ وآمَنَ].

الآية: ٧٨ قال مجاهد في هذه الآية: أناسٌ من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظنّ بغير مافي كتاب الله، ويقولون هو من عند الكتاب، أمانيّ يتمنّونها. /تفسير ابن كثير ج١/١١٧/.

الآية: ٨٣ جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: أُبايعُك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجرَ من الله تعالى، قال: «فهلْ لكَ من والِدَيْكَ أحدٌ حيٌّ»؟ قال: نعم، بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجرَ من الله تعالى»؟ قال: نعم، قال: «فارجعْ إلى والديك، فأحْسِنْ صُحبتَهُما». متفق عليه. /رياض الصالحين/١٥٩/.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

٨٤: ﴿وإذْ أخذنا ميثاقَكم لا تسفكون دِماءَكم ولا تُخرجون أنفسَكم من دِيارِكم ثم أقْرَرْتم وأنتم تشهدُون﴾ يقول الله تعالى منكراً على اليهود الذين كانوا بالمدينة وما كانوا يُعانونه من القتال مع الأوس والخزرج، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل (بنو قينقاع وبنو النضير) حُلَفاء الخزرج، و(بنو قُريظة) حُلفاء الأوس، فإذا نشب بينهم قتالٌ قاتلَ كلُّ فريق مع حُلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل يهودياً من الفريق الآخر، ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون ما فيها، وذلك حرام عليهم في كتابهم، ثم إذا وضعت الحربُ أوْزارَها استفكُّوا الأسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى: **﴿أفَتُؤْمِنون ببعضِ الكتابِ وتكفرونَ ببعض﴾**؟! [وذلك كما في الآية]: **٨٥: ﴿ثم أنتم هؤلاءِ تقتُلُون أنفسَكم وتخرِجُون فريقاً منكم من ديارهم تظاهَرُون عليهم بالإثمِ والعدوان وإنْ يأتُوكمْ أُسارَى تُفادُوهم وهو محرّم عليكم إخراجُهم... فما جزاءُ من يفعلُ ذلك منكم إلّا خزيٌ في الحياةِ الدنيا ويومَ القيامة يُرَدُّون إلى أشدِّ العذاب﴾** جزاءً على مخالفتهم شرعَ اللهِ وأمرَه، **﴿وما اللهُ بغافلٍ عمّا تعملون﴾ ٨٦: ﴿أولئك الذين اشْتَرَوُا الحياةَ الدنيا بالآخِرَة﴾** واختاروها **﴿فلا يُخفّفُ عنهم العذابُ﴾** لا يفتر عنهم ساعةً واحدةً **﴿ولا هم يُنصرون﴾** وليس لهم ناصرٌ يُنقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي، ولا يُجيرهم منه **٨٧: ﴿ولقد آتينا موسى الكتابَ وقفينامِنْ بَعدِهِ بالرسلِوآتينا عيسى ابنَ مريمَ البيّناتِ وأيّدناه بِرُوحِ القُدُس﴾** ينعتُ تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعُتوِّ والعِنادِ والمخالفة والاستكبار على الأنبياء، وإنما هم يتّبعون أهواءَهم، فذكرَ تعالى أنه آتى موسى التوراة فحرّفوها وخالفوا أمرَها، وأرسلَ الرسلَ والنبيين من بعده يحكمون بشريعته، حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم، فعاملوا الأنبياءَ أسوأ معاملة ففريقاً يُكذِّبونه، وفريقاً يقتلونه، وما ذلك إلّا لأنهم يأتونهم [بأحكام الله] المخالفة لأهوائهم وآرائهم [وأشنع ما صنعوا مع أنبيائهم فظائعهم التي فعلوها مع عيسى الذي أيّدَهُ الله بجبرائيل، وما قالوه في أمه الطاهرة البتول]، قال الله تعالى: **﴿أفكلّما جاءَكم رسولٌ بمالا تهوى أنفسُكُمُ استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلُون﴾** ولهذا **٨٨: ﴿وقالوا قلوبُنا غُلْفٌ﴾** لا تفقه ولا تعِي، **﴿بلْ لعنَهُمُ اللهُ بكفرهم﴾** طردهم اللهُ وأبعدَهم من كل خير، **﴿فقليلاً ما يُؤمنون﴾** قليل منهم من يُؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: ٨٨ عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال اللهُ تعالى: ياابْنَ آدمَ إنّك مادعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ماكان منك، ولاأبالي، ياابن آدم لو بلغت ذنُوبكَ عَنَانَ السماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك، ياابن آدم لو أتيتني بقُرَاب الأرض خطايا، ثم لقيتني لاتشركُ بي شيئاً، لأتيتُك بقُرَابها مغفرةً» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ شئتم أنبأتُكم ماأوّلُ مايقولُ الله عزّوجلّ للمؤمنين يوم القيامة، وماأوّلُ مايقولون له؟» قلنا: نعم يارسول الله! قال: «إنّ الله عزّوجلّ يقول للمؤمنين: هل أحببتُمْ لقائي؟ فيقولون: نعم ياربَّنا!! فيقول: لِمَ؟ فيقولون: رجونا عَفْوَكَ ومغفرتَكَ، فيقول: قد وجبتْ لكم مغفرتي»!! رواه أحمد. وحسّنه المنذري في الترغيب ج٤/٢٦٨.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

٨٩: ﴿ولما جاءَهم﴾ اليهود **﴿كتابٌ من عند الله﴾** وهو القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿مُصدِّقٌ لما معهم﴾** من التوراة، **﴿وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا﴾** وقد كانوا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيُبعثُ نبيٌّ في آخر الزمان نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرم، **﴿فلما جاءَهم ما عَرَفوا كفروا به﴾** فلما بعثَ اللهُ رسولَهُ من قريش كفروا به، فقال لهم مُعاذُبن جبل وبشرُبن البراء وداودُ بن سلمة: يا معشرَ يهودَ اتقوا اللهَ وأسلموا، فقد كنتم تستفتِحون علينا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوثٌ وتصفونه بصفته؟! فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيءٍ نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكرُ لكم **﴿فلعنةُ اللهِ على الكافرين﴾** اليهود **٩٠: ﴿بئسما اشتروا به أنفسَهم﴾** بأن باعوا به أنفسَهم من الكفر **﴿بما أنزل اللهُ﴾** على محمد **﴿بغياً﴾** من الحسد والكراهية **﴿أن يُنزّلَ اللهُ من فضله على من يشاءُ من عباده﴾** بأن جعل اللهُ النبيَّ من غيرهم **﴿فباؤوا بغضبٍ على غضب﴾** بما استوجبوا الغضب بتضييع التوراة، وبكفرهم بهذا النبي الذي بعثهُ اللهُ إليهم **﴿وللكافرين عذابٌ مُهين﴾** في الدنيا والآخرة **٩١: ﴿وإذا قيل لهم﴾** لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب **﴿آمنوا بما أنزلَ اللهُ﴾** على محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿قالوا نُؤمنُ بما أُنزلَ علينا﴾** من التوراة، والإنجيل، ولا نقرُّ إلّا بذلك **﴿ويكفرون بما وراءَه﴾**، [أي: بما وراء التوراة والإنجيل]، **﴿وهو الحقُّ مُصدِّقاً لما معهم﴾** وهم يعلمون أن ما أُنزلَ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿الحقُّ مُصدِّقاً لما معهم﴾** من التوراة والإنجيل **﴿قلْ﴾** يامحمد لليهود: إذا قلتَ لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا: نُؤمِنُ بما أُنزلَ علينا **﴿فلِمَ تقتلون أنبياءَ الله من قبلُ إنْ كنتم مؤمنين﴾** بما أنزل الله؟! وذلك تكذيبٌ لهم في قولهم: **﴿نُؤمِنُ بما أُنزلَ علينا﴾** وتعييرٌ لهم **٩٢: ﴿ولقد جاءكم موسى بالبيّنات﴾** بالآيات الواضحات على أنه رسول الله وأنه لا إله إلّا الله، **﴿ثم اتخذتم العِجْلَ من بعدِهِ وأنتم ظالمون﴾** في هذا الصنيع الذي صنعتموه من عبادة العجل **٩٣: يُعدّدُ** سبحانه عليهم خطأهم ومخالفتهم للميثاق وعتوّهم وإعراضهم حتى رفع الطُّورَ عليهم، حتى قبلوه ثم خالفوه و**﴿قالوا سمعنا وعصينا وأُشربوا في قلوبهم﴾** حُبَّ **﴿العجلَ بكفرهم﴾** حتى خَلُصَ إلى قلوبهم، **﴿قلْ بئسما يأمرُكم بهِ إيمانُكم إن كنتم مؤمنين﴾** كيف تدعون لأنفسكم الإيمان وقد فعلتم هذه الأفاعيل القبيحة، من عبادة العجل في قديم الدهر، وكفركم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا أكبر ذنوبكم.

الآية: ٨٩ روى مسلم في صحيحه ج١/٥٢ عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أُمرتُ أن أقاتلَ النّاسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، ويُؤمنوا بي، وبما جئتُ به، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحقها، وحسابهم على الله». وروى أيضاً ص٣٥ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ قال: لا إله إلاّ الله، وكفرَ بما يُعبد من دون الله، حَرُمَ مالُهُ ودمُهُ، وحسابُهُ على اللهِ» وروى أيضاً ص٥٦ عن رسول الله ﷺ أنّ مَنْ قال: «أشهدُ أن لاإله إلاّ الله وأنّي رسول الله، لايلقَى اللهَ بهما عبدٌ، غيرَ شاكٍّ فيهما، إلاّ دخلَ الجنّة». وروى أيضاً ص٥٧ أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قال: أشهدُ أنْ لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له، وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، وأنّ عيسى عبدُ اللهِ وابنُ أمته، وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأنّ الجنّةَ حقٌّ، وأنّ النّارَ حقٌّ أدخله اللهُ من أيّ أبواب الجنّة الثمانية شاءَ».

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٩٤: ﴿قُلْ إن كانتْ لكم الدارُ الآخرةُ عندَ اللهِ خالِصةً من دُونِ الناسِ فتمنَّوا الموتَ إن كنتم صادقين﴾ ادعوا بالموت على أيِّ الفريقين أكذب، فأَبَوْا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **٩٥: ﴿ولنْ يتَمنَّوْهُ أبداً بما قدّمَتْ أيديهم﴾** يُعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك، ولو تمنَّوْهُ يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهوديٌّ إلّا مات. ولَرَأَوْا مقاعِدَهم من النار **﴿ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمتْ أيديهم﴾** لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، **﴿واللهُ عليمٌ بالظالمين﴾** **٩٦: ﴿ولَتَجِدَنّهم أحْرَصَ الناسِ على حياة﴾** على طول العمر لما يعلمون من مآلهم وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر **﴿ومن الذين أشركوا﴾** وهم أحرص من المشركين **﴿يَوَدُّ أحدُهم لو يُعَمَّرُ ألفَ سنةٍ﴾** يودّ اليهودي **﴿لو يُعمّرُ﴾** يحبّ طولَ الحياة، **﴿وما هو بِمُزَحْزِحِهِ من العذاب أن يُعمّرَ﴾** فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا مُنجيه منه **﴿واللهُ بصيرٌ بما يعملون﴾** **٩٧: ﴿قُلْ من كان عَدُوّاً لجبريلَ فإنَّهُ نزّلَهُ على قلبكَ بإذنِ اللهِ مُصدِّقاً لما بينَ يديهِ وهُدىً وبُشْرى للمؤمنين﴾** هذه الآية نزلت جواباً لليهود إذْ زعموا أن جبريلَ عدوٌّ لهم وأن ميكائيلَ وليٌّ لهم، وقالوا: إن ميكائيل ينزل بالرحمة والغيث، وجبريل ينزل بالعذاب والنقمة فأنزل الله: **﴿قُلْ مَن كان عدوّاً لجبريلَ فإنه نَزَّلَهُ على قلبك بإذن الله﴾** فهو رسول من رُسُل الله، ومن كفر برسول يلزمه الكفر بجميع الرسل، ولذلك قال تعالى: **٩٨: ﴿من كان عدوّاً لله وملائكته ورُسُلهِ وجبريلَ وميكالَ فإن الله عدوٌّ للكافرين﴾** ومن كان الله عدوَّهُ فقد خسِرَ الدنيا والآخرة، وفي الحديث الصحيح: «من كنتُ خصمَهُ خصمتُهُ» **٩٩: ﴿ولقد أنزلنا إليك﴾** يا محمد **﴿آياتٍ بيّناتٍ﴾** واضحاتٍ على نبوتك **﴿وما يكفرُ بها إلّا الفاسقون﴾** [أي: اليهود] ذكّرَهم بالعهد الذي أُخذَ عليهم، فقالوا: واللهِ ما عهد إلينا في محمدٍ، وما أخذَ علينا ميثاقاً، فأنزل الله ذمَّهم بنبذهم العهود فقال تعالى **١٠٠: ﴿أوَكلّما عاهَدوا عهداً نَبَذَهُ فريقٌ منهم بلْ أكثرُهمْ لا يؤمنون﴾** فليس في الأرض عهدٌ يُعاهدون عليه إلّا نقضُوهُ ونبذوه، يُعاهدون اليوم وينقضُون غداً **١٠١: ﴿ولما جاءهم رسولٌ من عندِ اللهِ مصدِّقٌ لما معهم نَبَذَ فريقٌ من الذين أوتوا الكتابَ كتابَ اللهِ وراءَ ظُهُورِهم كأنهم لا يعلمون﴾** لما جاءهم محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم عارضوه بالتوراة فخاصَمُوه بها، فاتفقتِ التوراةُ والقرآن، فنبذُوا التوراة، وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن، فنبذُوا علمهم وكتموهُ وجَحَدوا به، [ولهذا قال سبحانه:]

الآية: ٩٤ قال ابن جرير في تفسيره: بلغنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو أن اليهود تمنّوا الموتَ لماتُوا ولرأوْا مقاعدهم من النّار، ولو خرج الذين يُباهِلُون رسولَ الله ﷺ [وهم وفد نصارى نجران] لرجعوا لايجدون أهلاً ومالاً [والمباهلة أن يقوم الداعي فيقول: اللهم إن كنتُ كاذباً، أو كنتُ على الكفر، فأنزل بي عذابك].

وعن الحسن في قول الله: ماكانوا ليتمنّوه بما قدّمت أيديهم، قال له عباد بن منصور: لو أنّهم أحبوا الموت حينَ قيل لهم تمنوا الموت، أتراهم كانوا ميّتين؟ قال: لا والله ماكانوا ليتمنوه وقد قال الله ماسمعتَ: **﴿ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم واللهُ عليمٌ بالظالمين﴾**.

الآية: ٩٧ كان رسول الله ﷺ يُقرن بين جبريل وإسرافيل في دعائه، ففي الصحيح أنه ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: «اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيب والشهادة أنت تحكم بينَ عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِما اختلِفَ فيه من الحق بإذنِكَ، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» /ابن كثير ج١/١٣٢/.

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢: ﴿واتَّبعُوا ما تتلُوا الشياطينُ على مُلْكِ سليمان﴾ قال ابن عباس: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كلَّ شيءٍ بأمر سليمان ويدفنه تحت كُرْسيِّه، فلما ماتَ سليمانُ أخرجتهُ الشياطينُ، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً، وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها، قال فأكفرهُ جهالُ الناس وسَبُّوه، ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزلَ اللهُ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْكِ سليمانَ، وما كفرَ سليمانُ، ولكن الشياطينَ كفروا يعلمون الناسَ السحر﴾**، **﴿وما أُنزِلَ على المَلَكَين﴾** (ما) نافية ومعطوف في قوله **﴿وما كفرَ سليمان﴾** وذلك أن اليهود يزعمون أن السحرَ نزلَ به جبريلُ وميكائيل، فأكذبهم الله و**﴿هاروت وماروت﴾** بدل من الشياطين؛ يُعلمون الناسَ السحرَ ببابلَ هاروت وماروت **﴿وما يُعلِّمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفرْ﴾** إنما نحن ابتلينا به فلا تكفر [أي: يُحذّرانه من السحر]، فإذا أبى قالا له: ائتِ هذا الرماد فَبُلْ عليه، فإذا بال خرج منه الإيمان ولا يجترئ على السحر إلّا كافر **﴿فيتعلّمون منهما ما يُفرِّقون به بين المَرْءِ وزوجه﴾** من الأفاعيل المذمومة **﴿وما هم بضارِّين به من أحدٍ إلّا بإذن الله﴾** إلّا بقضاء الله **﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾** في دينهم **﴿ولا ينفعهم، ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشتراه ما له في الآخرة خلاق﴾** ما له من نصيب في الآخرة [ولذلك ذمّهم الله تعالى بقوله:] **﴿ولبئسَ ما شَرَوْا به أنفسَهم لو كانوا يعلمون﴾**[1] **١٠٣: ﴿ولو أنهم آمنوا﴾** بالله ورسوله، **﴿واتَّقَوْا﴾** المحارم **﴿لَمَثُوبةٌ﴾** لخيرٌ **﴿مِنْ عندِ اللهِ لو كانوا يعلمون﴾** **١٠٤: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تقولوا راعِنا وقولوا انظُرْنا واسمعوا وللكافرين عذابٌ أليمٌ﴾** نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا باليهود في مقالهم وفِعَالهم، وكانوا يُعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص، يقولون: راعنا ويُورُّون بالرعونة- عليهم لعائنُ الله- فنهى الله عنها وقال: **﴿وقولوا انظرنا واسمعُوا وللكافرين عذابٌ أليم﴾** **١٠٥: ﴿ما يَوَدُّ الذين كفروا من أهلِ الكتابِ ولا المشركين أن يُنزّلَ عليكم من خيرٍ من ربِّكم﴾** يُبيِّن بذلك تعالى شِدّةَ عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، ونبّه تعالى على ما أنعمَ به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول تعالى: **﴿واللهُ يختصُّ برحمته من يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيم﴾**.

---

(١) لقد استمرّ اليهود دهوراً يتهمون سيدنا سليمان بالسحر والكفر، حتى جاء القرآن فبرّأه الله تعالى بهذه الآيات الكريمة مما افتراه اليهود عليه.

الآية: ١٠٣ أخرج البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب كتبَ: (أنِ اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة)، قال بجلة بن عَبْدَةَ: فقتلنا ثلاثَ سَوَاحر.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اجتنِبُوا السبع المُوبقات» قالوا: يارسول الله! وماهُنّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحق، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزّحفْ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»، وروى البزار بإسناد جيد عن عمران بن حُصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منّا من تطيَّرَ أو تُطيِّر له [أي تشاءم بالشيء، أو تشاءم النّاس له فصدّقهم] أو تكهّنَ أو تُكهِّنَ له [أي ذهب إلى الكاهن فصدقه] أو سحرَ أو سُحِرَ له [أي ذهب إلى الساحر وآجره وصدق شعوذته] ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم»./الترغيب ج٤/٣١ – ٣٣/.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١٠٦: ﴿ما ننسخ من آية﴾ ما نُثبتُ خطَّها ونُبدِّلُ حُكمَها **﴿أو ننسِها﴾** أو نتركها لا نُبدلها **﴿نأتِ بخيرٍ منها أو مثلِها﴾** في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلّفين، من تخفيف أو رخصة، أو أمر أو نهي **﴿ألَمْ تعلمْ أن الله على كلِّ شيءٍ قدير﴾**؟! **١٠٧: ﴿ألم تعلمْ أن الله له ملكُ السموات والأرض﴾** الآية؛ فكما أن المُلْكَ له بلا منازِع، فكذلك له الحكم بما يشاء **١٠٨: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولَكم كما سُئِلَ موسَى من قبلُ﴾** نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأشياء قبل تفصيلها. ولهذا جاء في الصحيح: «إنّ أعظم المسلمين جُرْماً مَن سأل عن شيءٍ لم يُحرّم، فحُرِّم من أجل مسألته»، وفي صحيح مسلم: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه» **﴿ومن يتبدَّلِ الكفرَ بالإيمانِ فقد ضلَّ سواءَ السبيل﴾** مَن يشترِ الكفرَ بالإيمان فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال **١٠٩: ﴿وَدَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يَرُدُّونَكم من بعدِ إيمانكم كفاراً حَسَداً من عند أنفسِهم من بعدِ ما تبيّن لهمُ الحقُّ فاعفُوا واصفحُوا حتى يأتِيَ الله بأمرِهِ﴾** يُحذِّرُ تعالى عباده عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويُعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وماهم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضل نبيّهم، ويأمرهم بالعفو والاحتمال حتى يأتيَ نصرُ الله والفتح **﴿إنَ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾** **١١٠: ﴿وأقيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وما تُقدِّمُوا لأنفسِكم من خيرٍ تجِدُوهُ عندَ الله﴾** يحثهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم ويعود عليهم عاقبتهُ يومَ القيامة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى يُمكن لهم اللهُ النصرَ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، **﴿إن الله بما تعملون بصيرٌ﴾** لا يغفلُ عن عمل عامل ولا يضيعُ لديه، ولا يخفى عليه شيءٌ فيجزيهم بالإحسان إحساناً وبالإساءة مثلها **١١١: ﴿وقالوا لنْ يدخلَ الجنّةَ إلّا مَن كانَ هُوْداً أو نصارَى﴾** يُبيّنُ تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيثُ ادّعت كلُّ طائفة من اليهود والنصارى أنّه لن يدخل الجنّةَ إلّا من كان على مِلّتها، فأكذبهم الله تعالى بما أخبر أنه مُعذِّبهم بذنوبهم **﴿تلك أمانيهم﴾** التي تمنّوها بغير حق **﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانكم﴾** حُجّتكم وبيّنتكم على ذلك **﴿إن كنتم صادقين﴾** فيما تدعونه **١١٢: ﴿بلى من أسلمَ﴾** أخلصَ **﴿وجْهَهُ﴾** دينَهُ **﴿وهو محسنٌ﴾** كان عمله خالصاً لله وحده وموافقاً للشريعة **﴿فله أجرُهُ عند ربِّه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾** ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيلَ الأجورَ، وآمنهم مما يخافون من المَحْذُور.

الآية: ١٠٨ معنى الكلام: التوبيخ. فقد سأل كفارُ قريش النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بالله والملائكة قَبِيلاً. وأن ينزّل عليهم من السماء كتاباً يقرؤونه. وأن يجعلَ لهم الصّفا ذهباً. /القرطبي ج٢/٧٠/.

الآية: ١١٠ أخرج البخاري والنسائي عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيّكم مالُ وارثِه أحبُّ إليه من ماله»؟ قالوا: يارسول الله! مامنّا من أحدٍ إلاّ ماله أحبُّ من مال وارثِه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «فإنّ مالَهُ ماقدّم، ومالَ وارثه ماأخرّ» ولفظ النسائي: «مالُك ماقدّمتَ، ومالُ وارثك ماأخّرتَ». /القرطبي ج٢/٧٣/.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١١٣: يُبيّن الله تعالى تناقضَهم وتباغضهم وتعاديهم. وهذا القول يقتضي أنّ كُلاً من الطائفتين صدقت فيما رمتْ به الأخرى، ولكن ظاهرَ الآية يقتضي ذَمّهم فيما قالوه من علمهم بخلاف ذلك، ﴿**وهم يتلون الكتاب**﴾ وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقتٍ ولكنهم تجاحَدُوا فيما بينهم كفراً وعناداً ﴿**كذلك قال الذين لا يعلمون مثلَ قولهم**﴾ وقالت النصارى مثل قول اليهود، بيّن بهذا جهلَ اليهود والنصارى فيما تقابلوه من القول ﴿**فالله يحكم**﴾ يفصل ﴿**بينهم يوم القيامة**﴾ بقضائه العدل ﴿**فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ **١١٤**: ﴿**ومن أظلمُ ممّنْ مَنَعَ مساجدَ الله أن يُذكرَ فيه اسمه**﴾، [هذه الآية تشمل] اليهود الذين لُعِنُوا على لسان داود وعيسى بن مريم، والمشركين الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة، ومنعوه من الصلاة في الكعبة؛ فأيُّ خراب أعظم مما فعلوا؟ ﴿**أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين**﴾ هذا خبرٌ معناه الطلب؛ لا تُمكّنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها، ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نادى في العام القابل: «ألا لا يحجّنّ بعد العام مشرك»، ﴿**لهم في الدنيا خِزْيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم**﴾ على ما انتهكوا من حُرْمةِ البيت من نصب الأصنام حوله ودعاء غير الله عنده **١١٥**: هذا فيه تسليةٌ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة، وفارقوا مسجدهم، واستقبلوا بيتَ المقدس سبعة عشر شهراً بعد الهجرة ﴿**فأينما تولّوا**﴾ وجوهكم ﴿**فثمَّ وجهُ الله**﴾ فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءَكم ﴿**إن الله واسعٌ عليم**﴾ يسع خلقه بالكفاية والإفضال، عليم بأعمالهم لا يغيب عنه شيءٌ **١١٦**: اشتملت هذ الآية والتي تليها على الردّ على النصارى، فأكذبهم في دعواهم: أنّ لله ولداً ، فقال تعالى: ﴿**سبحانه**﴾ تنزّه عن ذلك علّواً كبيراً ﴿**بلْ له ما في السموات والأرض**﴾ فكيف يكون له ولد؟ ولا مُشارك في عظمته وكبريائه وليس له نظير ﴿**كلٌ له قانِتون**﴾ مقرون له بالعبوديّة **١١٧**: ﴿**بديعُ السمواتِ والأرض**﴾ خالقهما على غير مثالٍ سبق، والمعنى: هو الذي أبدع المسيح عيسى من غير والدٍ بقدرته ﴿**وإذا قضى أمراً فإنما يقولُ له كنْ فيكون**﴾ يُبيّن سبحانه كمالَ قدرته وعظيمَ سُلطانه، وأنه إذا قدّر أمراً فيكون على وِفْقِ ما أراد، كما قال سبحانه: ﴿إنّ مثلَ عيسى عندَ اللهِ كمثلِ آدمَ خلقَهُ من ترابٍ ثم قالَ له كنْ فيكون﴾ **١١٨**: إن القائلين ذلك هم مُشركو العرب، [قالوا:] يا محمد إن كنتَ رسولاً من الله كما تقول،فقلْ لله فيُكلّمنا حتى نسمعَ كلامَه، فأنزل الله هذه الآية ﴿**كذلك قال الذين من قبلهم مثلَ قولهم تشابهتْ قلوبُهم**﴾ اشتبهت قلوب مشركي العرب قلوبَ من تقدّمهم في الكفر والعِناد [كاليهود] ﴿فقد سألوا موسى أكبرَ من ذلكَ فقالوا أرِنَا اللهَ جهرةً﴾ ﴿**قد بيّنّا الآياتِ لقوم يُوقِنون**﴾ بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر **١١٩**: ﴿**إنّا أرسلناكَ بالحق بشيراً ونذيراً**﴾ بالجنّة والنّار ﴿**ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم**﴾ لن تُسألَ عن أصحاب الجحيم.

الآية: ١١٦ وفي الحديث القدسي المروي في صحيح البخاري: (أن الله عز وجلّ يقول: وشتمني عبدي، ولم يكنْ له ذلك؛ وأمّا شتمه إيّايَ فقوله:إنّ لي ولداً، فسبحاني أنّى أتّخذ صاحبةً أو ولداً). وفي الصحيحين: (لأحد أصبر على أذىً سمِعَهُ من الله، إنّهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويُعافيهم). تفسير ابن كثير ج١/١٦٠.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢

١٢٠: وليستِ اليهود يا محمد ولا النصارى براضيـة عنك أبداً ﴿**حتى تتّبعَ مِلّتهم**﴾ ما يُرضيهم ويُوافقهم ﴿**قلْ**﴾ يا محمد ﴿**إنّ هُدَى اللهِ هو الهدى**﴾ هو الدِّين الصحيح الكامل ﴿**ولَئِنِ اتبعتَ أهواءَهم بعد الذي جاءَكَ من العلم مالَكَ مِن الله من ولي ولا نصير**﴾ الخطابُ مع الرسولِ والأمرُ لأمتِهِ فيه تهديدٌ ووعيد شـديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى **١٢١**: هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلالَهُ ويُحرِّمَ حرامَهُ، ويقرأه كما أنزله الله ،ولا يتـأول منـه شيئاً على غير تأويله، ويُؤمن بمتشابهه، ويَكِلُ ما أشكلَ عليه إلى عالِمـه، ﴿**أولئك يُؤمنون به**﴾ حقَّ الإيمان **١٢٢**: تقـدّم نظـير هذه الآيـة في صـدر السورة، وكُرِّرَت ههنا للتأكيد والحثّ على اتبـاع الرسول الذي يجدون صفتَه واسمه في كتبهم **١٢٣**: حذرهم تعالى من كتمانِ صفته صلى الله عليه وآله وسـلم، وكتمانِ ما أنعم به عليهـم **١٢٤**: نبّـه تعالى على شرف إبراهيمَ خليله عليه السلام، وأن الله تعالى جعله إماماً للناس يُقتدى به في التوحيد حين قام بما كلّفه الله من الأوامر والنواهي ﴿**فأتمهنّ**﴾ وهي التي ابتلى اللهُ بهنّ إبراهيم فأتمهنّ: فراق قومه في الله. ومحاجتّه نمروذ في الله وصبره على قذفه إيّاه في النـار. وذبح ابنـه حين أمره الله بذلك. فلمـا مضى على ذلك قال سبحانه: ﴿**إني جاعِلُكَ للنّاس إماماً، قال ومن ذُرّيتي**﴾ فكـل نبيّ أرسـله الله فمن ذريتـه عليه السـلام ﴿**قال لا ينالُ عهدي الظالمين**﴾ لا أجعل إماماً ظالماً يُقتدى به، ولا عهد لظالم في ظلمه أن تُطيعه، فليس لظالم عهد **١٢٥**: ﴿**وإذْ جعلنا البيتَ مثابةً للناس**﴾ لا يقضون منه وَطَراً يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه ﴿**وأمْناً**﴾ من العدو، وقد كانوا في الجاهلية يُتخطّفُ الناسُ من حولهم وهم آمنون. وفي هذه الآية يذكر تعالى شرفَ البيت أن جعله مثابةً للناس؛ أي جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحِنُّ إليه، وتتردّدُ إليه كل عام ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى**﴾ الحَجَرَ الذي جعله الله رحمةً، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيلُ الحجارة، لما ارتفع البناء ﴿**وعَهِدْنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ أن طهرا بيتِيَ للطائفين والعاكفين**﴾ أمرهما أن يطهراه من الأوثان والرَّفَث والزُّور والرجس للطائفين، وهم الذين أتوه من الأمصار، والعاكفين الذين أقاموا عنده، ﴿**والركّعَ السجود**﴾ وهم المصلّون **١٢٦**: [كأنه عليه السلام يحجر دعاءَه] على المؤمنين دُونَ الناس، فأنزل الله: ﴿**ومن كَفَرَ**﴾ أيضاً ﴿**فأُمتّعُهُ قليلاً**﴾ أأخلقُ خلقاً لا أرزقهم؟ أمتعهم قليلاً ﴿**ثم أضطرُّهُ إلى عذابِ النارِ وبئسَ المصير**﴾ بعد متاعِه في الدنيا، ومعناه: أنه تعالى يُنظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

الآية: ١٢٠ هذا الخطابُ موجهٌ إلى النبي ﷺ والمقصود به أمته، وفيه تحذير شديد للأمة من اتباع اليهود والنصارى. قال رسول الله ﷺ: «لتتبعُنّ سُنّةَ مَن كان قبلكم بَاعَاً بباع، وذراعاً بذراعٍ، وشبراً بشبرٍ، حتى لو دخلوا في حُجْرِ ضَبٍّ لدخلتم فيه» قالوا: يارسول الله اليهودُ والنصارى؟ قال: «فمَنْ إذنْ»؟!. /رواه ابن ماجه وهو صحيح ج٢/١٣٣٢/.

الآية: ١٢٦ قال رسول الله ﷺ في دعائه للمدينة: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفيّ ماجعلته بمكة من البركة». رواه البخاري ومسلم. وفي رواية عندهما: «أن إبراهيمَ حرّمَ مكة ودعا لها، وحرّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ودعوتُ لها في مدّها وصاعها». /تفسير ابن كثير ج١/١٧٣/.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

١٢٧: ﴿**وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ**﴾ القواعد: جمع قاعدة، وهي السَّارِيَةُ والأساسُ، أي: واذكرْ يا محمد لقومك بناء إبراهيمَ وإسماعيل البيتَ وهما يقولان: ﴿**ربَّنا تقبلْ منا إنك أنتَ السميعُ العليم**﴾[1] **١٢٨**: ﴿**ربَّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أُمّةً مُسلمةً لك**﴾ فهما في عملٍ صالحٍ يسألانِ اللهَ تعالى أن يتقبّلَ منهما ﴿**وأرِنا مناسِكنا**﴾ فأتاه جبريل عليه السلام، فأراه أوامِرَ المناسك **١٢٩**: ﴿**ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِكَ ويُعلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ**﴾ هذا تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث اللهُ فيهم رسولاً منهم من ذريته، يعني: العرب، يبعث فيهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**يُعلّمهم الكتابَ**﴾ القرآن ﴿**والحكمةَ**﴾ السُّنّة ﴿**ويُزكيهم**﴾ بطاعة الله والإخلاص ﴿**إنك أنتَ العزيز**﴾ الذي لا يعجزه شيء ﴿**الحكيم**﴾ في أفعاله وأقواله **١٣٠**: ﴿**ومنْ يرغبُ عن مِلّةِ إبراهيمَ إلّا من سَفِهَ نفسَهُ**﴾ يقول تبارك وتعالى ردّاً على الكفار فيما ابتدعوه من الشرك بالله المخالف لملّة إبراهيم، فإنه عليه السلام جرّد توحيدَ ربِّهِ فلم يَدْعُ معه غيرَه، وتبرأ من كل معبودٍ سواه وخالف قومَه حتى تبرأ من أبيه ﴿**ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرةِ لَمِنَ الصالحين**﴾ **١٣١**: ﴿**إذْ قال له ربُّهُ أسلِمْ قالَ أسلمتُ لربِّ العالَمين**﴾ أمرَهُ اللهُ تعالى بالإخلاص له والاستسلام والانقياد فأجاب إلى ذلك **١٣٢**: ﴿**ووصّى بها**﴾ وصَّى بهذه الملّة وهي الإسلام ﴿**إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يا بَنِيّ إن اللهَ اصطفى لكم الدِّينَ فلا تموتنّ إلّا وأنتم مُسلمون**﴾ أحسِنوا في حال الحياة والزمُوا هذا ليرزقكم اللهُ الوفاةَ عليه؛ فإن المرء يموتُ غالباً على ما كان عليه، ويُبعث على ما مات عليه **١٣٣**: يقول تعالى محتجّاً على المشركين وعلى الكفار من بني إسرائيل بأن يعقوبَ لما حضرته الوفاةُ وصَّى بنيه بعبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، [وفي هذا يقول تعالى]: ﴿**أمْ كنتم شهداءَ إذْ حضرَ يعقوبَ الموتُ إذْ قال لِبنيهِ ما تعبدون من بعدي**﴾؟ قالوا: نعبُدُ إلٰهاً واحداً، نوحده بالألوهيّة ولا نشرك به شيئاً ﴿**ونحنُ له مسلمون**﴾ خاضعُون ومطيعُون **١٣٤**: ﴿**تلكَ أُمّةٌ قدْ خلَتْ**﴾ مضتْ ﴿**لها ما كسَبَتْ ولكم ما كسبتم**﴾ لا ينفعكم انتسابكم إلى الأنبياء والصالحين إذا لم تفعلوا أعمالهم التي عملوها ﴿**ولا تُسْألون عما كانوا يعملون**﴾ ولهذا جاء في الأثر: «منْ بطّأَ بهِ عملُهُ لم يُسرعْ به نسَبُهُ».

---

(١) جاء في صحيح البخاري قصة إبراهيم عليه السلام في إسكانه زوجته هاجر وابنه إسماعيلَ بالوادي المبارك: (قال يا إسماعيل إن ربَّك عزّ وجلّ أمرني أن أبني له بيتاً، فقال: أطعْ ربَّك عزّ وجلّ، قال: إنه قد أمرني أن تُعينني عليه، فقال: إذنْ أفعل، قال فقام إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ﴿ويقولان: ربَّنا تقبلْ مِنّا﴾ حتى ارتفع البناء وضَعُفَ الشيخُ عن نقل الحجارة، فقام على حجرِ المقام فجعل يُناوله الحجارة، ويقولان: ﴿ربَّنا تقبّلْ منّا إنك أنتَ السميعُ العليمُ﴾.

الآية: ١٣١ أي: أمرَهُ اللهُ تعالى بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك طائعاً.

الآية: ١٣٢ فإن المرء يموت غالباً على ماكان عليه ويبعث على مامات عليه.

الآية: ١٣٣ روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: قلتُ يارسول الله! أيّ المسلمين أفضل؟ قال: «مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويدِهِ». ورويا عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «المسلم مَنْ سلم المسلمون من لسانِه ويدِهِ، والمهاجرُ مَنْ هجرَ مانهى اللهُ عنه». /الترغيب ج٣/٥٢١ ـ ٥٢٣/.

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

١٣٥: ﴿وقالوا كُونُوا هُوداً أو نصارى تهتدوا﴾ [قالت اليهودُ ذلك] وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله: **﴿قلْ بلْ مِلّةَ إبراهيم حنيفاً﴾** لا نريد ما دعوتمونا إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتّبعُ مِلّةَ إبراهيم حنيفاً، أي: مستقياً. والحنيفُ الذي يُؤمن بالرسل كلهم من أوّلهم إلى آخرهم. والحنيفيّةُ: شهادة أن لا إله إلّا الله **١٣٦: ﴿قُولُوا آمنّا باللهِ وما أُنزِلَ إلينا وما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتيَ موسَى وعيسَى وما أوتيَ النبيُّون مِن ربّهم لا نُفرِّقُ بينَ أحدٍ منهم ونحنُ له مسلِمُون﴾** أرشدَ الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مُفصّلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً. ونصّ على أعيان من الرسل،وأجملَ ذكر بقيّة الأنبياء، وأنْ لا يُفرِّقُوا بين أحدٍ منهم؛ بل يُؤمنوا بهم كلِّهم والأسباطُ: حَفَدةُ يعقوب الاثني عشر وهم القبائل في بني إسرائيل **١٣٧: ﴿فإن آمنوا﴾** أهلُ الكتاب وغيرهم **﴿بمثلِ ما آمنتم به فقد اهتَدوْا﴾** أصابوا الحق **﴿وإن تولّوا﴾** عن الحقّ **﴿فإنما هم في شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾** فسينصرك عليهم **﴿وهو السميعُ العليم﴾ ١٣٨: ﴿صبغةَ اللهِ﴾** دينَ الله الزمُوا ذلك **﴿ومن أحْسَنُ من اللهِ صِبْغةً ونحنُ له عابدون﴾**؟! **١٣٩**: يُرشِدُ الله تعالى نبيّه صلوات الله وسلامه عليه إلى دَرْءِ مجادلة المشركين **﴿قلْ أتحاجُّوننا في اللهِ﴾**؟ أتناظروننا في توحيد الله والإخلاص له **﴿وهو ربُّنا وربُّكم﴾** المتصرّف فينا وفيكم لا شريك له **﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾** نحن برآءٌ منكم وما تعبدون **﴿ونحنُ لهُ مُخلصون﴾** في العبادة والتوجه **١٤٠: ﴿أم تقولون إن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هُوداً أو نصارى﴾**؟! أنكر تعالى عليهم دعواهم أنّ إبراهيم ومَن ذكر بعده من الأنبياء كانوا على اليهودية أو النصرانيّة **﴿قلْ أأنتمْ أعلمُ أمِ اللهُ﴾** بلِ اللهُ أعلم قال تعالى: **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكنْ كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ ﴿ومن أظلمُ ممن كتَمَ شهادةً عندَهُ من اللهِ﴾**؟! كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدِّين الإسلام، وإن محمداً رسول الله، فكتموا شهادته عندهم **﴿وما اللهُ بغافلٍ عما يعلمون﴾** تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ، أي: إن علمه مُحيط بعملكم وسيجزيكم عليه **١٤١: ﴿تلْكَ أُمّةٌ قدْ خلتْ لها ما كسبتْ ولكم ما كسبتُم ولا تُسْألون عما كانوا يعملون﴾** لهم أعمالهم، ولكم أعمالكم، وليس يُغني عنكم انتسابكم إليهم من غير متابعة منكم لهم، حتى تكونوا منقادين مثلهم لأوامر الله واتباع رسول ربّ العالمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أنبياء الله أجمعين.

الآية: **١٣٦** قال البخاري: الأسباط قبائل في بني إسرائيل.

قال ابن عباس: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلاّ عشرة: نوحٌ، وهودٌ، وصالحٌ، وشعيبٌ، وإبراهيمُ، وإسحاقُ، ويعقوب، وإسماعيلُ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: **١٣٩** قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكي، ياأيُّها النّاس! أخلِصُوا أعمالَكم لله تعالى، فإنّ الله تعالى لايقبل إلاّ ماخلص له، ولاتقولوا هذا للهِ وللرحم، فإنّها للرحم وليس لله منها شيء، ولاتقولوا: هذا للهِ ولوجوهكم، فإنّها لوجوهكم وليس للهِ تعالى منها شيء» رواه الضحاك الفِهْري والدارقطني. /القرطبي ج٢/١٤٦/.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٢: المراد بالسفهاء ههنا أحبارُ اليهود، والمنافقون، والمشركون. والآية عامّة في هؤلاء كلهم صلى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم -بعد الهجرة- إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً وكان يُعجبه أن تكون قِبلتُه قِبَل البيت. وكان يُكثِر النظرَ إلى السماء ينتظرُ أمرَ الله، فأنزل الله: ﴿**قد نرى تقلّب وجهك**﴾ الآية [ولَمّـا] قال السفهاء، وهم أهل الكتاب: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله: ﴿**سيقولُ السفهاءُ من الناس**﴾ إلى آخر الآية **١٤٣**: إنما حَوَّلناكم إلى قِبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيارَ الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم والوَسَطُ ههنا الخيارُ والأجود روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيُقال له: هل بلّغتَ؟ فيقول: نعم فيُدعَى قومُه، فيُقال لهم: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحدٍ فيُقالُ لنوحٍ: من يشهدُ لك؟ فيقول: محمدٌ وأُمّته»، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمةً وَسطاً**﴾ ﴿**وما جعلنا القِبلةَ التي كنتَ عليها**﴾ الآية؛ إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم صرفناكَ عنه إلى الكعبة؛ ليظهرَ حالُ من يتبعك ويُطيعك، ممن هو مرتدٌ عن دينه، وإن كان هذا التوجه لأمراً عظيماً في النفوس إلّا على الذين أيقنوا بتصديق الرسول، وأن الله يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريد **١٤٤**: كان أوّل ما نسخ من القرآن القِبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبلَ بيتَ المقدس ففرحتِ اليهود، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضعةَ عشرَ شهراً، وكان يُحِبُّ قِبلةَ إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله ﴿**قد نرى تقلّبَ وجْهِك في السماء**﴾ إلى قوله: ﴿**فولّوا وجوهَكُم شَطْرَهُ**﴾ وشطره: قِبَلَهُ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «البيتُ قِبلةٌ لأهل المسجدِ، والمسجدُ قبلةٌ لأهل الحَرَم، والحَرَمُ قِبْلَةٌ لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي» ﴿**وإن الذين أوتوا الكتابَ ليعلمون أنهُ الحقُّ منْ ربِّهم**﴾ اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبةَ وانصرافكم عن بيت المقدس، يعلمون هذا في كتبهم، ولكنهم يتكاتمون ذلك بينهم حَسَداً وكفراً، ولهذا تهدّدهم تعالى بقوله: ﴿**وما اللهُ بغافلٍ عمّا يعملون**﴾ **١٤٥**: يُخبر تعالى عن كفرِ اليهود وعِنادِهم ومخالفتهم ما يعرفون من شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لو أقام عليهم كلَّ دليل على صحة ما جاءهم به لَما اتّبعوه وتركوا أهواءَهم. ثم حَذَّرَ تعالى عن مخالفة الحقّ الذي يعلمه العالم إلى الهوى؛ فإنّ العالم الحُجّة عليه أقوم من غيره، ولهذا قال مخاطباً الرسول، والمراد به الأمّة.

الآية: ١٤٣ روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «يجيء النبيُّ يومَ القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيُدعى قومُهُ، فيُقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقال له: هل بلّغتَ قومَكَ؟ فيقول: نعم، فيُقال: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمته، فيُقال لهم: هل بلّغ هذا قومَهُ؟ فيقولون: نعم، فيُقال: وما عِلمُكُم؟ فيقولون: جاءنا نبيُّنا فأخبرنا أنّ الرسلَ قد بلّغوا». /تفسير ابن كثير ج١/١٩٠/.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

١٤٦: يخبر تعالى أن العلماء من أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما يعرف أحدُهم وَلَدَهُ. قال القرطبي: ويُروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً كما تعرفُ وَلَدَكَ؟ قال: نعم وأكثر!!؟ نزلَ الأمينُ من السماءِ على الأمين في الأرض، بنعتِهِ فعرفته، وإني لا أدري ما كان مِن أُمِّهِ **١٤٧**: ثبّتَ تعالى نبيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، وأخبرهم بأنّ ما جاءَ بِهِ الرسولُ هو الحقُّ الذي لا مِرْية فيه ولا شك **١٤٨**: ﴿**ولكلٍّ وِجْهَةٌ**﴾ يعني بذلك أهل الأديان؛ لكلٍّ قِبلةٌ يرضونها، ووِجْهَةُ الله حيث توجّهَ المؤمنون [لأنه سبحانه هداهم] إلى القِبلة التي هي القِبلة. وهذه الآية شبيهةٌ بقوله تعالى: ﴿لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعَةً ومِنْهاجاً ولو شاءَ اللهُ لَجَعلكُم أمّةً واحدة ولكن لِيَبْلُوَكُم فيما آتاكم فاستبقُوا الخيراتِ إلى الله مَرْجِعُكم﴾ **١٤٩**: هذا أمرٌ ثانٍ من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض **١٥٠**: هذا أمرٌ ثالث باستقبال المسجد الحرام فامتثلَ أمرَ الله في ذلك، فهو صلوات الله وسلامه عليه مُطيعٌ لله في جميع أحواله، وأُمّتُهُ تبعٌ له ﴿**فلا تخشَوْهُم واخْشَونِي**﴾ لا تخشوا شبهة الظلمة المتعنتين، وأفردوا الخشيةَ لي ﴿**ولأتِمّ نعمتي عليكم**﴾ فيما شرعتُ لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها ﴿**ولعلكم تهتدون**﴾ إلى ما ضلّتْ عنه الأمم؛ هديناكم إليه وخصصناكم به، ولهذا كانت هذه الأمّة أشرفَ الأمم وأفضلها **١٥١**: يُذكِّرُ تعالى المؤمنين ما أنعمَ بِهِ عليهم من بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتلو عليهم آيات الله البيّنات ويطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُعلِّمُهُم القرآن والسنّة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون **١٥٢**: ﴿**فاذْكُرُونِي**﴾ فيما أوْجبتُه لكم على نفسي؛ ﴿**أذْكُرْكُم**﴾ بمغفرتي وفي الحديث الصحيح: [قال رسول الله]: «قال الله تعالى: ﴿من ذكَرَني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسي، ومن ذكَرَني في ملأ ذكرته في مَلأ خيرٍ منه» ﴿**واشْكُرُوا لي ولا تكفرون**﴾ أمرَ تعالى بشكره [ونهى عن كفران نِعَمِهِ] **١٥٣**: لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرعَ في بيان الصبر والإرشاد والاستعانة بالصبر والصلاة؛ فإنّ الصبر إمّا أن يكون في نعمةٍ فيشكر عليها، أو في نقمةٍ فيصبر عليها. وبيّن تعالى أن أجود ما يُستعان به على المصائب الصبر والصلاة. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حَزَبَهُ أمرٌ صَلّى. والصبرُ صبران: فصبرٌ على ترك المحارم، وصبرٌ على الطاعات والصبر الثالث: هو الصبر على المصائب.

الآية: ١٥٤ عن عبدالله بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال: «يُغفر للشهيد كلُّ ذنبٍ إلّا الدَّين» رواه أحمد ومسلم، صحيح الجامع الصغير ج٢/١٣٤٩/.

الآية: ١٦٠ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حينَ يذكرني، واللهِ للهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالّته بالفَلاة، ومَنْ تقرّب إليّ شبراً تقرّبتُ إليه ذراعاً، ومَنْ تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبتُ إليه باعاً، وإنْ أقبلَ إليّ يمشي أقبلتُ إليه أُهرْوِلُ». رواه مسلم/صحيح الجامع ج٢/١٣٥٢/.

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

الحزب ٣

١٥٤: يخبر تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون، كما جاء في صحيح مسلم: «إن أرواحَ الشهداءِ في حَواصِلِ طُيورٍ خضر تسرحُ في الجنّةِ حيثُ شاءتْ ثم تأوي إلى قناديلَ معلّقة تحتَ العرش»، الحديث. وإن الشهداء قد خُصُّوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكريماً وتعظيماً **١٥٥**: أخبرَ تعالى أنه يبتلي عبادَهُ يختبرهم ويمتحنهم، كما قال تعالى: ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُم حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصَّابرين ونَبْلُوَ أخبارَكم﴾ فتارةً بالسَّرّاء وتارةً بالضَّرّاء من خوفٍ وجوع ﴿**ونقصٍ من الأموالِ**﴾ بذهاب بعضها ﴿**والأنفس**﴾ كموت الأقارب والأحباب ﴿**والثمراتِ**﴾ بألا تغلَّ المزارعُ كعادتها وكل هذا وأمثاله مما يختبرُ اللهُ به عبادَه؛ فمَنْ صبرَ أثابه ومَن قنطَ أحلَّ به عقابه، ولهذا قال تعالى: ﴿**وبَشِّر الصَّابِرين**﴾ **١٥٦**: ثم بيّن تعالى مَن الصابرون الذين شكرهم فقال: ﴿**الذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ تسلَّوْا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم مُلْكٌ لله يتصرّف في عبيده بما يشاء، فأحدثَ لهم ذلك اعترافَهم بأنهم عبيدُهُ، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ولهذا أخبرَ تعالى عما أعطاهُم على ذلك فقال: **١٥٧**: ﴿**أولئك عليهم صَلَواتٌ مِنْ ربِّهم ورحمةٌ**﴾ ثناءٌ من الله عليهم ﴿**وأولئك هم المهتدون**﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يَصيبُ أحداً من المسلمين مُصيبةٌ فيسترجع عند مصيبته، ثم يقول: اللّهم أجرني في مصيبتي واخلفْ لي خيراً منها؛ إلا فعل ذلك به» **١٥٨**: بيّنَ الله تعالى أنّ الطواف بين الصفا والمروةَ من شعائر الله؛ أي: مما شرعَ اللهُ تعالى لإبراهيم في مناسك الحج ﴿**فَمَنْ تطوّع خيراً**﴾ زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ﴿**فإنّ الله شاكرٌ عليم**﴾ يثيبُ على القليل الكثير؛ عليمٌ بقدر الجزاء فلا يبخس أحداً ثوابَهُ، ﴿وإنْ تَكُ حَسَنةً يُضاعِفْها﴾ **١٥٩**: هذا وعيدٌ شديد لمن كتَمَ ما جاءتْ بهِ الرُّسُل من الدلالات البيّنة، من بعد ما بيّنه الله تعالى في كتبه نزلت في أهل الكتاب، كَتَمُوا صفةَ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ثم أخبر أنهم يلعنهم كلُّ شيءٍ على صنيعهم **١٦٠**: ﴿**إلا الذين تابُوا**﴾ رجعوا عما كانوا فيه ﴿**وأصلحُوا**﴾ أعمالَهم ﴿**وبيّنوا**﴾ للناس ما كانوا يكتمونه ﴿**فأولئك أتوبُ عليهم وأنا التواب الرحيم**﴾ [أي: لمن تاب منهم] ثم أخبر تعالى عمَّنْ كفرَ بهِ واستمرّ به الحال إلى مماته فقال: **١٦١**: ﴿**إن الذين كفرُوا وماتُوا وهم كُفَّارٌ أولئك عليهم لعنةُ اللهِ والملائكة والناس أجمعين**﴾ **١٦٢**: ﴿**خالدين فيها**﴾ في اللعنة في نار جهنم، التي ﴿**لا يُخفّفُ عنهم العذاب**﴾ لا ينقص ﴿**ولا هم ينظَرُون**﴾ ساعةً واحدةً ولا يفتر بل هو متواصل، نعوذ بالله من ذلك **١٦٣**: يخبر الله تعالى عن تفرّدِهِ بالإلهية وأنه لا شريك له، ثم ذكر دليل تفرّده بالإلهية بخلق السموات والأرض وما فيهنّ فقال:

الآية: ١٥٦ أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة أنّهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مايُصيبُ المؤمنَ مِنْ وَصَبٍ ولانَصَبٍ ولاسَقَمٍ ولاحَزَنٍ حتى الهَمّ يُهَمُّهُ إلاّ كُفِّرَ به من سيّئاته».

وروى عكرمة أنّ مصباح رسول الله ﷺ انطفأ ذات ليلة، فقال: «إنّا للهِ وإنّا إليه رَاجِعُون»، فقيل: أمصيبة هي يارسول الله؟ قال: «نعم، كل ماآذى المؤمن فهو مصيبة». وأخرج =

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

١٦٤: ﴿إن في خلقِ السمواتِ﴾ في ارتفاعها واتساعها ودوران فُلكها **﴿والأرضِ﴾** في كثافتها وبحارها وجبالها وعمرانها، وما فيها من المنافع **﴿واختلافِ الليلِ والنهار﴾** هذا يجيء والآخر يعقبه كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ الليل في النهار ويُولج النهارَ في الليل﴾ **﴿والفُلْك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾** في تسخير البحر بحمل السُّفن لمعايش الناس **﴿وما أنزل اللهُ من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرضَ بعدَ موتها، وبثَّ فيها من كلِّ دابّةٍ وتصريفِ الرياح﴾** فتارةً تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب **﴿والسَّحابِ المُسخّرِ بين السماءِ والأرض﴾** إلى ما يشاء الله من الأراضي كما يُصرّفه تعالى **﴿لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾** في هذه الأشياء دلالات بيِّنة على وحدانية اللهتعالى. فبهذا يعلمون أنه إله واحد، وخالق كل شيء **١٦٥**: يذكر تعالى حالَ المشركين في الدنيا وما لهم في الآخرة حيث جعلوا له أنداداً؛ أمثالاً ونظراء يعبُدونهم معه ويُحبّونهم كحُبِّهِ، وهو اللهلا إله إلّا هو، ولا ضِدَّ له ولا نِدّ له ولا شريك معه **﴿والذين آمنوا أشدُّ حُبّاً لله﴾** يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ثم توعد تعالى المشركين فقال: **﴿ولو يرى الذين ظلموا إذْ يرون العذاب أن القوّةَ للهِ جميعاً﴾** لو عايَنُوا العذابَ لعلِمُوا حينئذٍ أنّ القوّة لله جميعاً، وأنّ الحكم له وحده وأنّ الجميع تحت قهره وسلطانه **﴿وأنّ الله شديدُ العذاب﴾ ١٦٦**: أخبرَ عن كفرهم بأوثانهم وتَبَرُّئِ المتبوعين من التابعين يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿واتخذوا من دُونِ اللهِ آلهةً ليكونوا لهم عِزّاً، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونوا عليهم ضِدّاً﴾ **﴿وتقطّعتْ بهمُ الأسباب﴾** المودّة **١٦٧**: **﴿وقال الذين اتّبَعُوا لو أن لنا كَرّةً﴾** إلى الدنيا **﴿فنتبرّأَ منهم كما تبرَّؤوا مِنّا﴾** فلا يُلتفت إليهم، وكما أخبرَ اللهُ تعالى عنهم: ﴿لو رُدُّوا لَعَادُوا لِما نُهُوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ ولهذا قال تعالى: **﴿كذلك يُريهمُ اللهُ أعمالَهم حَسَراتٍ عليهم﴾** تذهب وتضمحل **﴿وما هم بخارجين من النار﴾ ١٦٨**: لما بيّنَ تعالى أنه لا إله إلا الله هو وأنه المستقل بالخلق؛ شرعَ يُبيّن أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباحَ لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «..إن الرجلَ ليقذفَ اللقمة الحرام في جوفه ما يُتقبل منه أربعين يوماً، وأيّما عبدٍ نبتَ لَحْمُهُ من السُّحْتِ والرِّبا فالنّارُ أَوْلَى بهِ» **﴿ولا تتبعُوا خُطواتِ الشيطانِ إنه لكم عَدُوٌّ مُبين﴾** وكلّ معصية لله فهي من خطوات الشيطان **١٦٩**: **﴿إنما يأمركم بالسُّوءِ والفحشاء﴾** بالأفعال السيِّئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا **﴿وأن تقولوا على اللهِ مالا تعلمون﴾**.

=ابن ماجه عن الحسين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أصيب بمصيبة فذكر مصيبتَهُ فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها، كتَبَ الله له من الأجر مثله يوم أُصيب» وروى مسلم عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مامن مسلم تُصيبه مصيبة فيقول ماأمره الله عزّوجلّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاّ أخلف الله له خيراً منها». /القرطبي ج٢/١٧٥ ـ ١٧٧/.

الآية: ١٦٨ الطيب هنا: الحلال، فهو تأكيد لاختلاف اللفظ. قال الشافعي: الطيب المُسْتَلَذّ: فهو تنويع، ولذلك يُمنع أكل الحيوان القذر.

وسُمّي الحلال حلالاً لانحلال عقدة الخطر عنه. قال سهل بن عبد الله: النجاة في ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض، والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقال أبو عبد الله الساجي [سعيد بن يزيد]: خمس خصال بها تمام العلم، وهي: معرفة الله عزّوجلّ، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السُّنّة، وأكل الحلال، فإن فُقدت واحدة لم يُرفع العمل. وقال سهل: ولايصح أكل الحلال إلاّ بالعلم، ولايكون المال حلالاً حتى يصفو من ستّ خصال: الربا والحرام والسحت، والغُلول والمكروه والشُّبهة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

١٧٠: ﴿وإذا قيلَ لهم اتّبِعُوا ما أنزلَ اللهُ﴾ وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين: اتّبِعُوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال **﴿قالوا بل نتّبعُ ما ألفينا عليه آباءَنا﴾** ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام، قال تعالى منكراً عليهم **﴿أوَلَو كان آباؤُهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾**؟ **١٧١: ﴿ومَثَلُ الذين كفروا﴾** فيما هم فيه من الغيّ والجهل **﴿كمثل الذي ينعِقُ بما لا يسمعُ إلا دُعاءً ونداءً﴾** كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يُقال لها وإنّما تسمع صوتاً فقط، **﴿صمٌّ بكْمٌ عُميٌ﴾** صُمٌّ عن سماع الحق، بُكْمٌ لا يتفوّهون به، عُميٌ عن رؤيته **﴿فهم لا يعقلون﴾** شيئاً ولا يفهمونه، كما قال تعالى: ﴿والذين كذَّبوا بآياتِنا صُمٌّ وبُكْمٌ في الظلمات﴾ **١٧٢**: يأمر تعالى عبادَهُ المؤمنين بالأكل من طيّباتِ ما رزقهم الله تعالى، وأن يشكروه على ذلك، إن كانوا عبيدَهُ **١٧٣: ﴿إنّما حرّمَ عليكُمُ الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزير وما أُهِلَّ بهِ لغيرِ الله﴾** ما ذُبِحَ على غير اسمه تعالى **﴿فمن اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه﴾** في غير بغيٍ ولا عدوان، **﴿إن الله غفورٌ﴾** فيما أكل من اضطرارٍ **﴿رحيمٌ﴾** إذْ أحلَّ الحرام في الاضطرار **١٧٤: ﴿إنّ الذين يكتمون ما أنزل اللهُ من الكتاب﴾** يعني اليهود الذين كَتَمُوا صفةَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم مما تشهد له بالرسالة **﴿ويشترون به ثمَناً قليلاً﴾** فباعُوا أنفسَهم واعتاضوا عن الهدَى بذلك النزر اليسير، فخابوا وخَسِرُوا في الدنيا والآخرة **﴿أولئك ما يأكُلون في بُطونهم إلا النار﴾** في مقابلة كتمان الحق ناراً تأجج في بُطونهم يوم القيامة **﴿ولا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامة﴾** لأنه غضبان عليهم **﴿ولا يُزكّيهم﴾** ولا يُثني عليهم **﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾** **١٧٥: ﴿أولئك الذين اشترَوُا الضلالةَ بالهُدى﴾** اعتاضوا عن الهدى؛ وهو نشرُ صفة الرسول وأتباعه، بالضلالة، وهو تكذيبه وكتمان صفاته في كتبهم، **﴿والعذابَ بالمغفرة﴾** اعتاضوا عن المغفرة العذاب **﴿فما أصبرَهُم على النّار﴾** يتعجّبُ من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدّة ما هم فيه من العذاب والنكال؛ فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي إلى النار!! **١٧٦: ﴿ذلك بأن الله نزّلَ الكتاب بالحقّ﴾** إنما استحقوا هذا العذاب الشديد لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتحقيق الحقِّ وإبطال الباطل، وهم يُكذِّبُونه ويُخالِفُونه، **﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب﴾** [يعني التوراة] **﴿لَفِي شِقَاقٍ بعيدٍ﴾**.

الآية: ١٧٠ قرّة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، ونظيرها: **﴿وإذا قيلَ لهم تعَالَوْا إلى ماأنزلَ اللهُ وإلى الرسول قالوا حَسْبُنَا ماوجدنا عليه آباءَنا﴾** الآية.

وتعلّق بهذه الآية قوم في ذم التقليد، لذمّ الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل واقتدائهم في الكفر والمعصية، وهذا صحيح في ذم الباطل.

أما التقليد للأئمة في الأحكام المستنبطة من الكتاب والسنة، فهذا من أصل الدِّين، قال الله تعالى: **﴿فاسألوا أهلَ الذكرِ إنْ كنتم لاتعلمون﴾**.

ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة فهو على بيّنة وحُجّة باهرة، فهو غير مقلّد. والتقليد مشروع في أخذ الأحكام الشرعية المستنبطة، وأمّا في العقيدة فلا بدّ من أخذها من أصولها: الكتاب والسنة الصحيحة. ومن أخذها بطريقة الكلام فهو مقلّد في ذلك.

ومن تلقى عقيدته عن كتاب الله تعالى، وعن أحاديث رسوله ﷺ الصحيحة الثابتة فهو آخذها بالدليل الصحيح والبرهان الساطع والحجة القاطعة!!!.

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

١٧٧: اشتملتْ هذه الآيةُ الكريمة على جُمَلٍ عظيمةٍ وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة؛ إن الله تعالى لما أمرَ المؤمنين أوّلاً بالتوجه إلى بيتِ المقدس، ثم حوّلهم إلى الكعبة شقّ ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيانَ حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنما هو طاعةُ الله عزّ وجلّ والتوجه حيثما وَجّه، واتباع ما شرعَ؛ فهذا هو البرُّ والتقوى والإيمان الكامل، وليسَ في لزوم التوجّه إلى جهةٍ من المشرق أو المغرب برّ ولاطاعة إن لم يكن عن أمر الله تعالى ﴿**ولكن البِرَّ من آمنَ بالله واليوم الآخر**﴾، فمن اتصف بهذا الآية فقد دخلَ في عُرى الإسلام كلِّها وأخذَ بمجامع الخير كله ﴿**وآتى المال على حُبّه**﴾ أخرجه وهو مُحبٌّ له راغبٌ فيه، ﴿**ذَوي القُربى**﴾ وهم قرابة الرجل، ﴿**والمساكين**﴾ وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم، ﴿**وابن السبيل**﴾ وهو المسافر الذي فرغتْ نفقتُهُ، ﴿**والسائلين**﴾ وهم الذين يتعرّضون للطلب، ﴿**وفي الرّقاب**﴾ وهم المكاتبون [لإعتاق أنفسهم من الرّق] ﴿**وأقامَ الصلاةَ**﴾ بتمامها وخشوعها على الوجه المرضي ﴿**وآتى الزكاةَ والموفون بعهد الله إذا عاهَدُوا والصابرين في البأساء**﴾ حال الفقر ﴿**والضرّاء**﴾ حال المرض، ﴿**وحين البأس**﴾ حال القتال، ﴿**أولئك الذين صدقوا**﴾ هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، ﴿**وأولئكَ هُمُ المتَّقون**﴾ لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات **١٧٨**: كُتِبَ عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حرّكم بحرّكم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم، ولا تتجاوزوا وتعتدوا ﴿**فمَنْ عُفيَ له من أخيه شيءٌ**﴾ من أخذ الدِّيَة بعد استحقاق الدم، وذلك العفو ﴿**فاتِّباعٌ بالمعروف**﴾ فعلى الطالب اتباعٌ بالمعروف إذا قَبِلَ الدِّيَةَ، ﴿**وأداءٌ إليه بإحسان**﴾ من القاتل من غير ضرر ولا مدافعة ﴿**ذلك تخفيفٌ من ربّكم ورحمة**﴾ إنما شرعَ لكم أخذ الدِّيَة في العمد تخفيفاً من الله عليكم ورحمة بكم مما كان محتوماً على الأمم قبلكم من القتل أوالعفو، ولم تحل [الدِّيَةُ] لأحد **١٧٩**: ﴿**ولكم في القَصَاص حياةٌ**﴾ وفي شرع القصاص، وهو قتل القاتل حكمة عظيمة؛ لأنّه إذا علم القاتل أنّه يُقتل انكفّ عن صنيعه، فكان ذلك حياة للنفوس ﴿**يا أولي الألباب**﴾ يا أولي العقول والأفهام ﴿**لعلكم تتقون**﴾ فتتركون محارم اللهومآثمه. والتقوى: فعل الطاعات وترك المنكرات **١٨٠**: اشتملت هذ الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين، وقد كان ذلك واجباً قبل نزول آية المواريث، ولهذا جاء في الحديث: «إنّ الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا وصيّةَ لوارث» وبقيت الوصية للأقارب الذي لا ميراث لهم من الثلث **١٨١**: فمن بدّلَ الوصيّةَ وحرفها ﴿**فإنما إثْمُهُ على الذين يُبدّلونه**﴾ وقد وقع أجرُ الميت على الله، وتعلّق الإثمُ بالذين بدّلوا ﴿**إن الله سميعٌ**﴾ لما أوصى به الميت ﴿**عليمٌ**﴾ بما بدّلَهُ المُوصَى إليه.

الآية: ١٧٧ قال القرطبي: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنّها تضمنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنّة والنّار، والملائكة والكتب المنزّلة وأنّها حق من عند الله، والنّبيّين وإنفاق المال فيما يَعِنّ من الواجب والمندوب وإيصال القرابة وترك قطعهم، وتفقّد اليتيم، وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل، والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد. /القرطبي ج٢/٢٤١/.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢: الجَنَفُ: الخطأ، وهذا يشمل أنواع الخطأ، فللوصي والحالة هذه أن يصلح القضية ويعدل في الوصيّة على الوجه الشرعي، ﴿**فلا إثم عليه إنّ الله غفورٌ رحيم**﴾ **١٨٣**: يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين وآمراً لهم بالصيام: ﴿**كُتِبَ عليكم الصيام**﴾ أوجبه عليكم ﴿**كما كُتِبَ على الذين من قبلكم**﴾ كما أوجبه على من كان قبلكم، ﴿**لعلكم تتقون**﴾ لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة **١٨٤**: ﴿**أياماً معدُودات**﴾ عدداً معلوماً ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سَفرٍ فعِدّةٌ من أيامٍ أُخَر**﴾ المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر، بل يفطران ويقضيان ﴿**وعلى الذين يُطِيقُونَهُ**﴾[1] ﴿**فدية طعامُ مسكين**﴾، فكان من شاءَ صامَ ومن شاء أفطرَ وأطعمَ مسكيناً، ﴿**فمن تطوّع خيراً فهو خيرٌ له**﴾ أطعمَ مسكيناً آخر فهو خير له، ﴿**وأن تصُومُوا خيرٌ لكم**﴾ فكانوا كذلك [مخيّرين] حتى نسختها ﴿**فمن شَهِدَ منكُمُ الشهرَ فلْيَصُمْهُ**﴾ **١٨٥**: يمدح الله تعالى شهرَ الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهنّ؛ لإنزال القرآن العظيم فيه، ﴿**هدىً للناسِ وبيناتٍ من الهدى والفرقان**﴾ وهذا مدحٌ للقرآن الذي أنزله الله هدىً لقلوب العباد مِمّن آمنَ به وصدّقه واتّبعه، ﴿**وبيّنات**﴾ ودلائل وحُجج بيّنة واضحة لمن فهمها وتدبّرها ﴿**فمن شَهِدَ منكم الشهرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ هذا إيجابٌ حتمٌ على من شهدَ استهلال الشهر مقيماً في بلده صحيحاً في بدنه، ﴿**ومن كان مريضاً**﴾ في بدنه يشق عليه الصيام معه ﴿**أو على سفرٍ**﴾ في حال السفر ﴿**فعِدّةٌ من أيامٍ أُخر**﴾فله أن يُفطرَ، وعليه عِدّة ما أفطره من الأيام، ﴿**يُريدُ الله بكم اليُسْرَ ولا يريدُ بكم العُسْرَ**﴾ رخص لكم ذلك تيسيراً عليكم ورحمةً بكم ﴿**ولتكمِلُوا العِدّةَ**﴾ عِدّة شهركم، ﴿**ولتكبِّروا الله على ما هَدَاكم**﴾ ولتذكروا اللهعند انقضاء عبادتكم، ولهذا أخذ العلماءُ مشروعيةَ التكبير في عيد الفطر ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ إذا قمتم بما أمركم اللهمن طاعته، وترك محارمه، فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك **١٨٦**: ﴿**وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب**﴾ [المعنى: وإذا سألوك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يُثيبُ على الطاعة ويُجيب الداعي ﴿**أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دَعَانِ**﴾ أي: أقبل عبادة من عبدني؛ فالدعاء بمعنى العبادة، والإجابة بمعنى القبول]، **فليستجيبُوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشُدُون**﴾.

الآية: ١٨٥ عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الصيامُ والقرآنُ يشفعان للعبد يومَ القيامة، يقولُ الصيام: أيْ ربِّ إنّي منعتُه الطعام والشهوات بالنّهار، فشفعني فيه، يقول القرآن: ربِّ منعتُهُ النّوم باللّيلِ فشفعني فيه؛ فيشفعان» رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم/صحيح الجامع الصغير ج٢/٧٢٠/.

(١) قال ابن عباس: نزلت هذه الآية رخصة للشيوخ والعجزة خاصّة إذا أفطروا وهم يطيقون الصوم أي يتجشّمُونه، ثم نُسخت بقوله: ﴿**فمن شهد منكم الشهرَ فليصمه**﴾ فزالت الرخصة إلّا لمن عجز منهم. والحُبْلَى والمرضع إذا خافتا على أولادها أفطرتا وأطعمتا /القرطبي ج٢/٢٨٨/.

الآية: ١٨٣ فضل الصوم عظيم!! وثوابه جسيم!! جاءت بذلك أحاديث كثيرة صِحَاحٌ وحِسَانٌ، ويكفيك الآن منها في فضل الصوم أنْ خصّه اللهُ بالإضافة إليه، كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنّه قال مخبراً عن ربّه: «يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلّا الصوم، فإنّه لي وأنا أجزي بهِ» الحديث.

وإنّما خصّ اللهُ الصوم بأنّه له؛ لأنه لم يتعبّد به أحدٌ لصنم أو وثن أو إله مزعوم. ثم إنّ الصوم سرٌّ بين العبد المخلص وبين ربّه سبحانه، ولايظهر إلّا له عزّ وجلّ، فلذلك كان الصوم مختصاً به وحده سبحانه وتعالى!!!.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣

١٨٧: هذه رخصةٌ من الله تعالى للمسلمين ورفعٌ لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطرَ أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فوجدوا في ذلك مشقةً كبيرة و﴿**الرَّفَثُ**﴾ الجماع ﴿**هُنّ لِباسٌ لكم وأنتم لِباسٌ لهنّ**﴾ هنّ سكن لكم وأنتم سكن لهن ﴿**عَلِمَ اللهُ أنكم كنتم تختانون أنفسكم**﴾ وذلك أن أناساً من المسلمين أصابوا من النساء بعد العشاء في رمضان، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى [هذه الآية] ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبيّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود من الفجر ثم أتمُّوا الصيام إلى الليل**﴾ أباحَ الله تعالى الأكلَ والشرب والجماع في أيّ الليلِ شاءَ الصائمُ إلى أن يتبيّن ضياءُ الصباح من سواد الليل ﴿**ثم أتمُّوا الصيامَ إلى الليل**﴾ وهذا يقتضي الإفطار عند غروب الشمس ﴿**ولا تباشِرُوهنّ وأنتم عاكِفون في المساجد**﴾ حرّم الله على المعتكف أن ينكح النساء حتى يقضي اعتكافَهُ ﴿**تلك حدودُ الله**﴾ هذا الذي بيّناه وفرضناه وحدّدناه من الصيام وأحكامه، ﴿**فلا تقربوها**﴾ لاتُجاوزوها وتتعدّوها ﴿**كذلك يُبيّنُ اللهُ آياتِهِ للناسِ لعلهم يتقون**﴾ يعرفون كيف يهتدون، وكيف يُطيعُون **١٨٨**: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بيّنة فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام، وهو يعرف أن الحقّ عليه، وهو يعلم أنه آثمٌ آكلٌ الحرام ﴿**بالإثم وأنتم تعلمون**﴾ تعلمون بطلان ما تدّعُونه وترجونه في كلامكم. وإن قضاء القاضي لا يُحِلُّ لك الحرام، ولا يُحِقُّ لك باطلاً. وإنما يقضي القاضي بنحوِ ما يرى وتشهد به الشهود، والقاضي يُخطىء ويُصيب **١٨٩**: سألَ الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأهلّة فنزلت هذه الآية. يعلمون بها حِلَّ دَينِهم وعِدّة نسائهم ووقت حجهم، وصومهم وإفطارهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «جعلَ اللهُ الأهلّةَ مواقيتَ للناس؛ فصُومُوا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فعُدُّوا ثلاثين يوماً» رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد ﴿**وليسَ البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها**﴾ كانوا إذا أحرَمُوا في الجاهلية أتَوا البيتَ من ظهرِهِ فأنزل الله هذه الآية ﴿**ولكنَّ البِرَّ منِ اتّقى وأْتُوا البيوتَ من أبوابها واتّقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ اتقوا الله فافعلوا ما أمرَكم به واتركوا ما نهاكم عنه؛ لتفلحوا غداً إذا وقفتم بين يديه فيجازيكم على التمام والكمال **١٩٠**: هذا أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلتْ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقاتلُ من قاتله ويكفُّ عمن كفَّ عنه، حتى نزلت سورة براءة بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتُموهم﴾ ﴿**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ من المُثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ..

الآية: ١٨٨ قال القرطبي: الخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد ﷺ. والمعنى: لايأكل بعضكم مالَ بعض بغير حق. فيدخل في هذا: القمار والخداع والغصب وجحد الحقوق، ومالاتطيب به نفس مالكه، أو حرّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير، وغير ذلك. ولايدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ماباع، لأنّ الغبن كأنّه هبة. فمن أخذَ مالَ غيره على غير وجهٍ شرعي فقد أكله بالباطل. وحكم القاضي لايحل حراماً، روى الأئمة عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحوِ مّما أسمع، فمَنْ قطعتُ له من حقِّ أخيه شيئاً فلايأخذه فإنّما أقطع له قطعة من نار، فليحملها أو يَذَرْها» وهذا يوضح أن حكم القاضي على الظاهر ولايغيّر حكم الباطن. /القرطبي ج٢/٣٣٨/.

وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩١: ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ لتكون همتكم منبعثة على قتالهم، كما أن همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قِصَاصاً **﴿ولا تقاتلوهم عند المسجدِ الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾** لا تقتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدؤوكم فيه؛ فلكم حينئذٍ قتالهم وقتلهم دفعاً للصائل وقوله: **﴿والفتنةُ أشدُّ من القتل﴾** الشركُ أشدّ من القتل **١٩٢: ﴿فإنِ انتهوا فإن الله غفورٌ رحيم﴾** فإن تركوا القتال في الحَرَم وأنابوا إلى الإسلام، فإن الله يغفر ذنوبَهم، ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله؛ فإنه تعالى لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفرهُ لمن تاب منه إليه **١٩٣:** ثم أمرَ اللهُ تعالى بقتال الكفار: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنة﴾** شرك، **﴿ويكونَ الدِّينُ لله﴾** يكون دينُ الله هو الظاهرُ العالي على سائر الأديان **﴿فإنِ انتهَوْا﴾** عمّا هم فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكُفُّوا عنهم **﴿فلا عُدْوَان إلا على الظالمين﴾** كما قال تعالى: **﴿فمنِ اعتدى عليكم فاعتدُوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** **١٩٤: ﴿الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرام﴾** [أي: إن استحلُّوا ذلك فيه فقاتِلْهُم، فأباحَ اللهُ بالآية مدافعتَهم] **﴿والحُرُماتُ قِصَاص﴾** [أي: إن من انتهكَ حُرْمَتَكَ نِلتَ منه مثلَ ما اعتدى عليك] **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** نزلت بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد، ثم نُسخ بآية القتال بالمدينة **﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾** أمرٌ لهم بطاعة الله وتقواه، وإخبار بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة **١٩٥:** التهلكةُ: ترك الجهاد عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجلٌ من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدوّ حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناسٌ: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا؛ صحبنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فَشَا الإسلامُ قلنا: قد أكرمنا الله بصحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصره حتى فَشَا الإسلام وكثر أهله، وقد وضعت الحرب أوزارَها فنرجع إلى أهلنا وأولادنا فنُقيم فيهما، فنزل فينا: **﴿وأنفقُوا في سبيلِ اللهِ ولا تُلْقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. رواه أبو داود والترمذي والنسائي **١٩٦:** لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطفَ بذكر الجهادِ شرعَ في بيان المناسك، فأمرَ بإتمام الحجّ والعمرة وظاهر السياق إكمالهما بعد الشروع فيهما ولهذا قال بعده: **﴿فإن أُحْصِرتُم﴾** صُدِدْتُم عن الوصول إلى البيت ومُنعتُم عن إتمامهما **﴿فما استيسرَ من الهدي﴾** من الإبل والبقر [وتكفي لسبعة] والمعز والضأن **﴿ولا تحلِقُوا رؤوسكم حتى يبلغَ الهَدْيُ مَحِلَّه﴾** حتى يفرغ الناسكُ من أفعال الحج والعمرة **﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيامٍ أو صدقةٍ أو نُسُكٍ﴾** روى البخاري عن عبد الله بن معقل عن كعب بن عجرة قال: حُملتُ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقملُ تتناثر على وجهي فقال: «ما كنتُ أرى أن الجَهْدَ بلغَ بكَ هذا؟! أما تجدُ شاةً؟» قلت: لا، قال: «صُمْ ثلاثة أيام أو أطعم ستّةَ مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحْلِقْ رأسَكَ» **﴿فإذا أمنتُم﴾** فإذا تمكنتم من أداء المناسك **﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسرَ من**

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

الهدي﴾ فليذبح ما قدر عليه من الهدي **﴿فمن لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيام في الحج﴾** قبل يوم عرفة **﴿وسبعةٍ إذا رجعتم﴾** إلى أوطانكم **﴿ذلك لمن لم يكن أهلُه حاضري المسجد الحرام﴾** ليس من أهل مكة **﴿واتقوا الله﴾** فيما أمركم ونهاكم **﴿واعلموا أن الله شديدُ العقاب﴾** لمن خالف أمرَهُ. **١٩٧: ﴿الحجُّ أشهرٌ معلومات﴾** وقتُ الحج أشهر معلومات روى ابن مردوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا ينبغي لأحدٍ أن يُحرِمَ بالحج إلا في أشهر الحج» وإسناده لا بأس به **﴿فمن فَرَضَ فيهنَّ الحجَ﴾** أوجب بإحرامه حَجّاً **﴿فلا رَفَثَ﴾** وهو التعريض بذكر الجماع **﴿ولا فُسُوقَ﴾** وهي المعاصي **﴿ولا جِدال في الحج﴾** ولا مجادلة في وقت الحج **﴿وما تفعلوا من خيرٍ يعلمهُ الله﴾** لمّا نهاهم عن إتيان القبيح حثّهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به وسيجزيهم عليه أوفرَ الجزاء يوم القيامة **﴿وتزوّدُوا﴾** ما يكفُّ وجُوهَكم عن الناس **﴿فإن خيرَ الزادِ التقوى﴾** وهو زاد الآخرة **﴿واتقونِ يا أولي الألباب﴾** يا ذوي العقول والأفهام **١٩٨:** كانت أسواق الجاهلية في الموسم فتأثّموا أن يتجروا في الموسم، فنزلت. أي: لا حَرَجَ عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده **﴿فإذا أفضتُم من عرفاتٍ فاذْكُرُوا الله عند المَشْعَرِ الحرام﴾** وهي الصلاتان جميعاً [أي: المغرب والعشاء جمع تأخير في المزدلفة ، وسُميّت المزدلفة: المشعر الحرام؛ لأنها داخل الحرم **﴿واذْكُرُوه كما هداكُم﴾** تنبيهٌ لهم على ما أنعم اللهُ به عليهم من الهداية إلى مشاعر الحج **﴿وإن كنتُم من قبله لمن الضالين﴾** من قبلِ هذا الهدي **١٩٩: ﴿ثم أَفِيضُوا من حيثُ أفاضَ الناسُ﴾** عن عائشة قالت: كانت قريش ومَن دَانَ دينها يقفون بالمزدلفة، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام، أمرَ اللهُ نبيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها **﴿واستغفِرُوا اللهَ إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾** كثيراً ما يأمرُ اللهُ بذكرِه بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثاً **٢٠٠: ﴿فإذا قضيتُم مناسِكَكُم فاذْكُرُوا الله كذكْرِكُم آباءَكُم﴾** فالْهَجُوا بذكرِ اللهِ بعدَ قضاءِ النُّسك، كما يلبَثُ الصبي بذكر أبيه وأُمّه. والمقصود منه الحثُّ على كثرة الذكر لله عزّ وجلّ **﴿فمنَ الناسِ من يقولُ ربَّنا آتِنا في الدنيا وما له في الآخرةِ من خَلاق﴾** من نصيبٍ ولا حظٍّ، وتضمّن هذا الذمُّ والتنفيرُ عن التشبّه بمن هو كذلك **٢٠١: ﴿ومنهم من يقولُ ربَّنا آتِنا في الدنيا حَسَنَةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النّار﴾** فجمعت هذه الدعوةُ كلَّ خيرٍ في الدنيا وصرفَتْ كلَّ شرٍّ؛ فإنّ كلَّ الحسنة في الدنيا تشملُ كلَّ مطلوبٍ دنيوي من عافية ورزق واسع وزوجة حسنة وعلم نافع وعمل صالح إلى غير ذلك. وأما الحسنةُ في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنّة وتوابعه؛ من الأمن من الفزع الأكبر، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار؛ فهو يقتضي أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والحرام [وكان هذا الدعاء أكثر دعاء النبي ﷺ] **٢٠٢: ﴿أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا﴾** [وهذا يرجع إلى الفريقين؛ فللمؤمن ثواب عمله ودعائه، للحجاج ثواب الحج، وللداعين ثواب الدعاء] **﴿واللهُ سريعُ الحساب﴾** [لا يحتاج إلى عَدٍّ ولا إلى عقد وهو سبحانه سريع المجازاة للعباد بأعمالهم].

۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

٢٠٣: **﴿واذْكُروا اللهَ في أيامٍ معدُودَاتٍ﴾** الأيام المعدودات: أيام التشريق، والأيام المعلومات: أيام العشر يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات. روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدُنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب وذكر الله» **﴿فمن تعجّلَ في يومين﴾** [أي: في رَمي الجمار في مِنَى أيام التشريق في اليومين الأوّلَين]، **﴿فلا إثْمَ عليه﴾** فلا حرج عليه، **﴿ومن تأخر﴾** إلى الثالث **﴿فلا إثْمَ عليه﴾**، [فمعنى الآية: أن كل ذلك مُباح] ولمّا ذكر اللهتعالى النَّفْرَ الأول والثاني، وهو تفرّق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والآفاق؛ قال: **﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تُحشَرُون﴾** **٢٠٤**: **﴿ومِنَ الناسِ من يعجبُكَ قولُهُ في الحياة الدنيا﴾** نزلت في الأخنس بن شريق، أظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك، وفي نفرٍ من المنافقين. ثم هي عامٌّ في المنافقين كلهم، وفي المؤمنين كلهم **﴿ويُشهِدُ اللهَ على ما في قلبه﴾** أن هذا وإن أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه القبيح، **﴿وهو أَلَدُّ الخِصام﴾** يُبارزُ اللهَ بما في قلبه من الكفر والنفاق **٢٠٥**: **﴿وإذا تولّى﴾** هذا أعوجُ المقال سيء الفِعال **﴿سعى في الأرض ليُفْسِدَ فيها﴾** فهذا المنافق ليس له هِمّةٌ إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث من الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات. قال مجاهد: إذا سعى في الأرض فساداً منعَ اللهُ القطرَ فهلك الحرث والنسل، **﴿واللهُلا يُحِبُّ الفسادَ﴾** لا يحب مَن هذه صفتهُ **٢٠٦**: **﴿وإذا قيلَ له اتقِ اللهَ﴾** إذا وُعِظ هذا الفاجر في مقاله وفِعاله **﴿أخذتْهُ العِزّةُ بالإثم﴾** أبى وامتنع وأخذته الحميّةُ والغضب بالإثم، بسبب ما اشتمل عليه من الآثام **﴿فحسْبُهُ جهنّم﴾** هي كافيتُه عقوبة **﴿ولَبِئسَ المِهَاد﴾** **٢٠٧**: لما أخبر تعالى عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ذكر صفاتِ المؤمنين الحميدة فقال: **﴿ومِنَ الناس من يشري نفسَهُ ابتغاء مرضاتِ الله﴾** نزلت في صهيب لما أراد الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت قريش: يا صهيب قدمت إلينا ولا مال لك وتخرج وأنتَ ومالُكَ؟! والله لا يكون ذلك أبداً، فقلتُ لهم: أرأيتم إن دفعتُ إليكم مالي تخلّون عنّي؟ قالوا: نعم، فدفعتُ إليهم مالي، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ربحَ صُهيبٌ ربحَ صُهيبٌ»! ثم هي في كلِّ مجاهد في سبيل الله **٢٠٨**: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلُوا في السِّلْمِ﴾** الإسلام، خذوا بجميع عُرَى الإسلام وشرائعه **﴿كافّةً﴾** جميعاً **﴿ولا تتبعُوا خُطواتِ الشيطان﴾** اجتنبوا ما يأمركم به الشيطان فإنما يأمركم بالسوء والفحشاء **﴿إنّه لكم عَدُوٌّ مبين﴾** إنه أغش عباد اللهلعبيد الله الشيطان **٢٠٩**: **﴿فإن زلَلْتم من بعدِ ما جاءتكم البيّناتُ﴾** إن عدلتم عن الحق بعدما قامت عليكم الحجج **﴿فاعلموا أنّ الله عزيزٌ﴾** في انتقامه، لا يفوتُهُ هاربٌ ولا يغلبه غالبٌ **﴿حكيمٌ﴾** في أحكامه ونقضه وإبرامه، عزيز في نقمته،حكيم في أمره **٢١٠**: يقول تعالى مهدّداً للكافرين: **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ من الغَمامِ والملائكة﴾** يوم القيامة لفصل القضاء بين الأوّلين والآخرين فيجزي كلَّ عاملٍ بعمله إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ **﴿وقضِيَ الأمرُ وإلى الله تُرجَعُ الأمور﴾**.

الآية: ٢٠٣ روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب، وذكر الله»، ورواه مسلم أيضاً.

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾

٢١١: يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل كم شاهَدُوا مع موسى **﴿من آيةٍ﴾** حُجّةٍ **﴿بيّنةٍ﴾** قاطعة بصدقه **﴿ومن يُبدّلْ نعمةَ اللهِ من بعدِ ما جاءَتْهُ فإن اللهَ شديدُ العِقابِ﴾** ومع هذا أعرض كثيرٌ منهم عنها وبدّلُوا الإيمان بالكفر والإعراض عنهـا، كما قـال تعـالى عن كفـار قريش: ﴿ألم ترَ إلى الذين بَدّلُوا نعمةَ الله كفراً وأحَلُّوا قومَهم دارَ البَوار﴾ **٢١٢**: ثم أخبر تعالى عن تزيينِهِ الحياة الدنيا للكافرين فقال: **﴿زُيّنَ للذين كفروا الحياةُ الدنيا﴾** فرضُوا بها واطمأنوا إليها **﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾** الذين أعرضُـوا عنهـا وأنفقوا منهـا في طاعة ربِّهم، **﴿والذين اتقَوْا فوقَهم يومَ القيامة﴾** فلهـذا فـازوا بالمقـام الأسعد والحظ الأوفر، فاستقرُّوا في الدرجات في أعلى عِليين، وخُلِّدَ أولئك في الدركات في أسفل السافلين، ولهذا قـال تعـالى: **﴿واللهُ يرزقُ من يشـاءُ بغير حساب﴾** في الدنيا والآخرة **٢١٣**: **﴿كانَ النـاسُ أمّةً واحدةً﴾** بـين آدمَ ونوحٍ على شريعةٍ من الحق؛ فاختلفوا **﴿فبعثَ اللهُ النبيّينَ مُبشّـرين ومنذِرين وأنزل معهـم الكتابَ بالحقّ ليحكمَ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه﴾** من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي **﴿بغياً بينهم﴾** من بعضهم على بعض **﴿فهـدى اللهُ الذين آمنـوا لِمـا اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه﴾** قال النبي صلى الله عليـه وآله وسـلم «نحنُ الآخرون، الأوّلون يوم القيامة؛ نحنُ أول الناس دخولاً الجنّةَ، بَيْدَ أنهـم أوتوا الكتـابَ من قبـلنـا وأوتينـاه من بعدِهم؛ فهدانا اللهُ لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنِهِ»، الحديث، رواه عبد الرزاق **﴿واللهيهدي من يشاءُ﴾** من خلقه **﴿إلى صراطٍ مستقيم﴾** وله الحكمة والحجّة البالغة **٢١٤**: **﴿أم حسبتم أن تدخلُوا الجنّةَ﴾** قبلَ أن تبتلوا وتختبروا كما فُعِلَ بالذين من قبلكم من الأمم، ولهذا قال: **﴿ولمّا يأتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا مِن قبلكم مسّتهم البأساء والضّراء﴾** وهي المصائب والنوائب من الأمراض والأسقام والفقر **﴿وزُلْزِلُوا﴾** خوّفوا من الأعداء زلزالاً شديداً **﴿حتى يقول الرسولُ والذين آمنوا معه متى نصرُ اللهِ﴾**؟ وقد حصل من هذا جانبٌ عظيم للصحابة في يوم الأحزاب، قال تعالى: ﴿هنالِكَ ابْتُلِيَ المؤمنون وزلزِلُوا زِلْزَالاً شديداً﴾ وكما جاء في الصحيح عن خباب بن الأرت قال: قلنا يا رسول الله ألا تستتنصر لنا؟ ألَا تدعو اللهَ لنا؟! فقال: «إنّ مَن كان قبلكم كان أحدهم يُوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاطِ الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه» **٢١٥**: **﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾** هذه الآية في نفقة التطوّع. ونسختها الزكاة. ومعنى الآية: يسألونك كيف يُنفقون **﴿قلْ ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾** اصرفُوها في هذه الوجُوه كما جاء في الحديث: «أُمَّكَ وأباكَ أختَكَ وأخاكَ ثم أدْنَاك فأدْناك» **﴿وما تفعلوا من خير فإنّ اللهَ بهِ عليم﴾** وسيجزيكم على ذلك أوفرَ الجزاء.

الآية: ٢١٤ وفي صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ: «كان الرجلُ فيمن كان قبلكم يُحفرُ له في الأرض، فيُجعلُ فيه، فيُجاء بالميشار فيُوضع على رأسه فيُشقُّ باثنتين، ومايصدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَّطُ بأمشاط الحديد مادُونَ لحمِهِ من عظمٍ وعَصَبٍ، ومايصدّه ذلك عن دينه»!! /فتح الباري ج٦/٦١٩.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

الحزب ٤

٢١٦: ﴿كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كُرْهٌ لكم﴾ هذا إيجابٌ من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شرَّ الأعداء عن حوزة الإسلام وفي الصحيح: «منْ ماتَ ولم يغزُ ولم يُحدِّث نفسَه بالغزو ماتَ مِيتةً جاهليّة» **﴿وهو كُرْهٌ لكم﴾** شديد عليكم؛ فإنه إما يُقتل أو يُجرح **﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾** لأن القتال يعقبه النصرُ والظفرُ على الأعداء **﴿وعسى أن تُحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم﴾** وهذا عام في الأمور كلها، ومنها القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد **﴿والله يعلمُ﴾** عواقب الأمور **﴿وأنتم لا تعلمون﴾** ما فيه صلاحُكم؛ فاستجيبوا له وانقادُوا لأمره **٢١٧:** بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم سَرِيّةً إلى بطن نخلة فإذا هم بالحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وقتل عمرو، فلما رجعوا إلى المدينة بأسيرين وما أصابوا من مال، أرادَ أهل مكة أن يُفادُوا الأسيرين، وقالوا: إنّ محمداً يزعم أنه يتّبع طاعة الله، وهو أول من استحلَّ الشهر الحرام، وقتل صاحبنا في رجب، فقال المسلمون: إنما قتلناه في جمادى، وقُتِلَ في أول ليلة من رجب، وأنزل اللهُ يعيّر أهل مكة: **﴿يسألونك عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه﴾**؟ **﴿قلْ قتالٌ فيه كبير﴾** لا يحل، وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام، حين كفرتم بالله وصددتم عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإخراج أهل المسجد الحرام منه **﴿أكبرُ عندَ الله﴾** من قتل مَن قتلتم منهم **﴿والفتنةُ أكبرُ من القتل﴾** كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه؛ فذلك أكبر عند الله **﴿ولا يزالون يُقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومَنْ يرتدِدْ منكم عن دينه﴾** يرجع عن الإسلام إلى الكفر، **﴿فأولئك حبطتْ أعمالُهم في الدنيا والآخرةِ وأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالدون﴾**، [فالآية تهديد للمسلمين ليثبتُوا على دين الإسلام] **٢١٨:** [لما قتلَ واقدُ بن عبد الله التميمي عمرو بنَ الحضرمي في الشهر الحرام، عنّفَ المسلمون عبد الله بن حجش وأصحابه حتى شقَّ عليهم، فتلافاهم اللهُ عزّ وجلّ بهذه الآية، وفرّجَ عنهم، وأخبرهم أن لهم ثواب من هاجرَ وغزا. وقد مدحهم لأنه لا يعلم أحدٌ في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنّة ولو بلغ في طاعةِ الله كلَّ مبلغ. وهذه الآية باقية في كل من فعل ما ذكره اللهُ عزّ وجلّ] **٢١٩:** عن عمر أنه قال، لما نزل تحريم الخمر: اللهمّ بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية **﴿يسألونك عن الخمر والمَيْسِرِ قُلْ فيهما إثمٌ كبيرٌ﴾**فدعى عمرَ فقُرئت عليه، **﴿ومنافعُ للناس﴾** أما إثمهما فهو في الدِّين، ومنافعهما: فبيع الخمر والانتفاع بثمنها، والميسر فما كان يقمشه بعضهم منه، وهذه المصالح لا توازي مضرتهما الراجحة لتعلّقها بالعقل والدِّين، ولهذا قال تعالى: **﴿وإثمهما أكبرُ من نفعهما﴾** ولهذا كانت هذه الآية ممهدةً لتحريم الخمر على البتات، ولم تكن مصرّحةً بل معرضةً، حتى نزل التصريح بتحريمها في سورة المائدة **﴿ويسألونك ماذا يُنفقُون قُلِ العَفْوَ﴾** ما فضل عن أهلك، **﴿لعلكم تتفكّرون﴾** في أحكامِهِ ووعدِهِ ووَعيدِهِ.

الآية: ٢١٦ إنّ الجهاد على كل أمّة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قامَ به مَنْ قام من المسلمين سقط عن الباقين، إلّا أن ينزل العدوّ بساحة الإسلام، فهو حينئذٍ فرضُ عَيْن. ومَن كَرِهَ الجهاد ابتلي بالذّلّ والهوان، كما جرى في بلاد الأندلس؛ تركوا الجهاد وجبنُوا عن القتال وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأيّ بلاد؟! وأَسرَ وقتلَ وسبَى واسترقّ، وأقام محاكم التفتيش التي تشهد على همجية الإسبان ووحشيّتهم وإجرامهم. /انظر القرطبي ج٣/٣٩/.

فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

٢٢٠: ﴿في الدنيا والآخرة﴾ لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا، فآثِرُوا الآخرةَ على الأولى **﴿ويسألونكَ عن اليتامى قُلْ إصلاحٌ لهم خير﴾** لما نزلت: ﴿ولا تقربُوا مالَ اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾، و﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ انطلقَ كلُّ من كان عنده يتيم فعزلَ طعامَهُ من طعامِهِ، فجعل يفضل له الشيء فيحبس له فيفسد، فاشتدَّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: **﴿ويسألونك عن اليتامى﴾**، **﴿وإن تُخالِطُوهم﴾** بطعامهم فلا بأس عليكم **﴿فإخوانُكم﴾** في الدِّين **﴿واللهُ يعلمُ المفسدَ من المصلح﴾** يعلم مَن قصده ونيّته الإفساد أو الإصلاح **﴿ولو شاءَ اللهُ لأعنتكم﴾** لضيّقَ عليكم وأحرجكم، ولكنه وسّعَ عليكم وخفّفَ عنكم، وأباحَ لكم مخالطتَهم بالتي هي أحسن، وجوّز للفقير الأكل منه بالمعروف **﴿إنّ اللهَ عزيزٌ حكيم﴾** **٢٢١: ﴿ولا تنكِحُوا المشركات حتى يُؤمن﴾** هذا تحريمٌ من الله عزّ وجلّ على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان. واستثنى اللهُ من ذلك نساءَ أهل الكتاب بقوله: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم﴾ الآية وكانوا يريدون أن يَنكِحُوا إلى المشركين ويُنكِحُوهم رغبةً في أحسابهم فأنزل الله **﴿ولأمَةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم، ولاتُنكِحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ ولو أعجبكم﴾** لا تُزوِّجوا الرجالَ المشركين النساء المؤمنات **﴿ولعبدٌ مؤمن﴾** ولو كان عبداً حبشياً **﴿خيرٌ من مشرك﴾** وإن كان رئيساً سَرِيّاً؛ **﴿أولئك يَدْعُون إلى النارِ﴾** معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حبّ الدنيا واقتنائها وإيثارها على الدار الآخرة، وعاقبة ذلك وخيمة، **﴿واللهُ يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنِه﴾** بشرعه وما أمرَ به ونهى عنه، **﴿ويبيّنُ آياتِهِ للناس لعلهم يتذكّرون﴾** **٢٢٢:** كانت اليهود إذا حاضت المرأةُ منهم لم يُوَاكِلُوها ولم يجامعوها في البيوت، فسألَ أصحابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل اللهُ عزّ وجلّ: **﴿ويسألونك عن المَحِيضِ قُلْ هو أذىً فاعتزلوا النساءَ في المَحِيضِ ولا تَقْرَبُوهُنّ حتى يَطْهُرْنَ﴾** حتى فرغ من الآية، فقال رسول الله ﷺ «اصنعُوا كلَّ شيءٍ إلا النكاح»، ولهذا ذهب كثيرٌ من العلماء أو أكثرُهم إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج **﴿ فإذا تَطَهَّرْنَ فأتُوهُنّ من حيثُ أمرَكم اللهُ﴾** فيه ندبٌ وإرشادٌ إلى غشيانهنّ بعد الاغتسال، في الفرج ولا تَعْدُوهُ إلى غيره ، وفيه دلالة على تحريم الوطء في الدبر **﴿إن اللهَ يُحبُّ التوابين﴾** من الذنب وإن تكرّر غَشيانُهُ **﴿ويُحبُّ المتطَهِّرين﴾** عن الأقذار والأذى؛ وهو ما نُهُوا عنه **٢٢٣: ﴿نساؤكم حَرْثٌ لكم﴾** الحَرْث: موضع الولد **﴿فأتُوا حَرْثَكم أنّى شِئْتُم﴾** كيف شئتم مُقبلةً ومُدبرةً في صمامٍ واحد، كما ثبتت بذلك الأحاديث **﴿وقدِّمُوا لأنفسِكم﴾** من فعلِ الطاعات مع ترك المحرّمات **﴿واتقوا اللهَ واعلموا أنكم مُلاقُوهُ﴾** فيُحاسبكم على أعمالكم **﴿وبشِّرِ المؤمنين﴾** **٢٢٤: ﴿ولا تجعلُوا اللهَ عُرضةً لأيمانِكم أن تبرُّوا﴾** لا تجعلوا أيمانَكم بالله مانعةً لكم من البِرّ وصلة الرحم إذا حلفتم على تركها، **﴿وتتقُوا وتصلحُوا بين الناس﴾** قال رسول الله ﷺ : «من حلفَ على يمين فرأى غيرَها خيراً منها، فليكفرْ عن يمينه، وليفعلْ الذي هو خير» **﴿واللهُ سميعٌ عليم﴾**.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٢٥: ﴿لا يُؤاخِذُكم اللهُ باللغوِ في أيمانِكم﴾ لا يُعاقبكم ولا يُلزمكم بما صدرَ منكم من الأيمان يتداروْن في الأمر، لا تعقد عليه قلوبُهم. وعن عائشة قالت: (اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيتِهِ: كلا والله، وبلى والله) فذاك لا كفارة فيه **﴿ولكن يُؤاخِذُكم بما كسبتْ قلوبُكم﴾** فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله، وهي كقوله تعالى: ﴿ولكن يُؤاخِذُكم بما عقدْتُم الأيمانَ﴾ الآية، **﴿واللهُ غفورٌ حليمٌ﴾** غفورٌ لعباده [التائبين] حليمٌ عليهم **٢٢٦: ﴿ للذين يُؤْلُون من نسائهم﴾** يحلِفون على ترك الجماع من نسائهم **﴿تربّصُ أربعةِ أشهرٍ﴾** يُنتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف، ثم يُوقف ويُطالب بالفيئة [أي: الرجوع إلى جماع الزوجة] أو الطلاق ولهذا قال: **﴿فإن فاؤوا﴾** رجَعُوا إلى ما كانوا عليه، وهو كناية عن الجماع؛ **﴿فإنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾** لما سَلَفَ من التقصير في حقهنّ بسبب اليمين **٢٢٧: ﴿وإن عزموا الطلاق﴾** فيه دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرّد مضي الأربعة أشهر، فإن فاءَ وإلا طلّقَ **﴿فإنّ اللهَ سميعٌ عليمٌ﴾ ٢٢٨: ﴿والمطلقاتُ يتربصنَ بأنفسهنّ ثلاثةَ قروءٍ﴾** هذا أمرٌ من الله سبحانه للمطلقات المدخول بهنّ من ذوات الأقراء بأن يتربّصْنَ بأنفسهن ثلاثة قروءٍ، بأن تمكث إحداهُنّ بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروءٍ ثم تتزوّج إن شاءت **﴿ولا يحِلُّ لهُنَّ أن يكتمنَ ما خلقَ اللهُ في أرحامهنّ﴾** من حبلٍ أو حيض **﴿إن كُنّ يُؤمنَّ باللهِ واليومِ الآخرِ﴾** تهديدٌ لهنَّ على [إرادتهنّ] خلاف الحقّ **﴿وبُعُولَتُهُنّ أحقُّ بردّهنَّ﴾** ما دامت في عدّتها، فزوجها أحقُّ بردِّها **﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾** [في معاشرتها] **﴿ولهنَّ مِثْلُ الذي عليهنّ بالمعروف﴾** ولهنّ على الرجال من الحقّ مثل ما للرجال عليهن؛ فليؤدِّ كلُّ واحدٍ منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف **﴿وللرجالِ عليهِنّ درجةٌ﴾** في الفضيلة والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق **﴿واللهُ عزيزٌ﴾** في انتقامه ممن عصاه، **﴿حكيمٌ﴾** في أمرِهِ وشرعِهِ وقدرِهِ **٢٢٩**: هذه الآية الكريمة رافعةٌ لما كان عليه الأمرُ في ابتداء الإسلام من أنّ الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدّة؛ فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلقات وأباح الرجعة في الثنتين، وأبانها بالكليّة في الثالثة **﴿حتى تنكحَ زوجاً غيرَهُ﴾ ﴿فإمساك بمعروف﴾** بأن تردّها ناوياً الإحسان إليها **﴿أو تسريح بإحسان﴾** بأن تتركها حتى تنقضي عدّتُها لا تظلمها من حقّها شيئاً ولا تضارَّ بها **﴿ولا يحِلُّ لكم أن تأخذوا مما آتيتُمُوهُنَّ شيئاً﴾** بأن تُضاجِرُوهنّ وتضيّقوا عليهنّ ليفتدين منكم ببعض الصداق، **﴿إلّا أنْ يخافا ألّا يُقيما حدودَ اللهِ فإنْ خفتُمْ ألّا يُقيما حدودَ الله فلا جُناحَ عليهما فيما افتدتْ به﴾** فلم يُشرعُ الخلعُ إلا في هذه الحالة **﴿تلكَ حدود الله فلا تعتدوها﴾** هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدود اللهفلا تتجاوزوها **﴿ومن يتعدَّ حدودَ الله فأولئك هم الظالمون﴾ ٢٣٠: ﴿فإن طلّقها﴾** طلقةً ثالثةً **﴿فلا تَحِلُّ له من بعدُ حتى تنكحَ زوجاً غيرَه﴾** في زواج صحيح يذوق فيه عُسَيْلتَها **﴿فإن طلّقها﴾** الزوج الثاني بعد الدخول بها **﴿فلا جُناحَ عليهما أن يتراجَعَا﴾** المرأة والزوج الأول **﴿إن ظنّا أن يُقيما حدودَ الله﴾** يتعاشرا بالمعروف **﴿تلك حُدودُ الله﴾** شرائعه وأحكامه **﴿يُبيّنُها﴾** ويُوضحها **﴿لقومٍ يعلمون﴾**.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

٢٣١: هذا أمرٌ من الله عزّ وجلّ للرجال إذا طلّقَ أحدُهم المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعةٌ أن يُحسنَ في أمرها إذا انقضت عِدّتُها ولم يبقَ منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتُها؛ فإما أن يمسكها، أي: يرجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف ويُشهد على رجعتها، أو يسرّحُها، أي: يتركها حتى تنقضي عدتها بالتي هي أحسن من غير مخاصمة، ﴿**ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا**﴾، كان الرجل يُطلقُ المرأةَ فإذا قاربت انقضاء العِدّة راجعَها ضِراراً لئلا تذهبَ إلى غيره؛ فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال: ﴿**ومن يفعل ذلك فقد ظلمَ نفسَهُ**﴾ بمخالفته أمرَ الله تعالى ﴿**ولا تتخذوا آياتِ اللهِ هُزُواً**﴾ هو الرجل يُطلّق ويقول: كنتُ لاعباً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثٌ من قالهُنَّ لاعباً أو غير لاعبٍ فهُنّ جائزات عليه: الطلاق والعِتاق والنكاح» رواه أبو داود والترمذي بنحوه وقال: حسن ﴿**واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم**﴾ في إرساله الرسول بالهدى والبيّنات إليكم ﴿**وما أنزلَ عليكم من الكتاب والحكمة**﴾ السنّة ﴿**يعظكم به**﴾ يتوعدكم على ارتكاب المحارم ﴿**واتقوا الله**﴾ فيما تأتون وفيما تذرون ﴿**واعلموا أن الله بكل شيء عليم**﴾ فلا يخفى عليه شيء **٢٣٢**: نزلتْ هذه الآية في الرجل يُطلّق امرأته طلقةً أو طلقتين فتنقضي عدتها ثم يبدو له أن يتزوجها ويُراجعها وتريدُ المرأةُ ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك، فنهى اللهُ أن يمنعوها ﴿**فلا تعضُلُوهُنَّ**﴾ [أي: فلا تحبسُوهُنّ والعَضْلُ: التضييقُ والمنعُ] ﴿**أن ينكِحْنَ أزواجَهُنَّ إذا تراضَوْا بينهم بالمعروف ذلك يُوعظُ بهِ من كان منكم يُؤمن باللهواليوم الآخر**﴾ هذا الذي نهيناكم عنه يتعظُ به من يُؤمن بالله ويخافُ وعيدَه في الآخرة ﴿**ذلكم أزكى لكم وأطهرُ**﴾ في ردّهنّ إلى أزواجهنّ ﴿**والله يعلم**﴾ المصالح فيما يأمرُ به وينهى عنه ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ **٢٣٣**: هذا إرشادٌ من الله تعالى للوالدات أن يرضعنَ أولادَهُنَّ كمالَ الرضاعة، وهي سنتان، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ولهذا قال: ﴿**لمن أرادَ أن يُتمَّ الرضاعة**﴾، ﴿**وعلى المولودِ له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف**﴾ وعلى والد الطفل نفقة الوالدات، بما جرت به عادةُ أمثالهنّ بحسب قدرته ﴿**ولا تُكلّف نفسٌ إلا وسعها**﴾، ﴿**ولا تُضارّ والدةٌ بولدها**﴾ بأن تدفعه عنها لتضرَّ أباه ﴿**ولا مولُودٌ له بولدِهِ**﴾ بأن ينتزعَ الولدَ منها إضراراً بها ﴿**وعلى الوارثِ مثلُ ذلك**﴾ في عدم الضرار لقريبه، وعليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق ﴿**فإن أرادا**﴾ والدا الطفل ﴿**فِصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور**﴾ على فطامه قبل الحولين ﴿**فلا جُناح عليهما**﴾ وهذا فيه احْتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره ﴿**وإن أردتُمْ أن تسترضِعُوا أولادَكم فلا جُناحَ عليكم إذا سلّمتُم ما آتيتم بالمعروف**﴾ إذا استرضع لولده غيرها بالأجرة، وسلمها أجرتها الماضية، فلا جُناح عليهما ﴿**واتقوا الله**﴾ في جميع أحوالكم ﴿**واعلموا أن الله بما تعملون بصير**﴾ فلا يخفَى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم.

الآية: ٢٣٠ قال رسول الله ﷺ: «أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق» حديث صحيح رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم. /الجامع الصغير ج١/١١/٣٠/.

الآية: ٢٣١ قال ابن عباس: طلّق رجلٌ امرأته وهو يلعب، لايريد الطلاق، فأنزل الله ﴿**ولاتتخذوا آياتِ الله هُزواً**﴾ فألزمه رسول الله ﷺ الطلاق. /تفسير ابن كثير ج١/٢٨١/.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

٢٣٤: هذا أمرٌ من الله للنساء اللاتي يتوفى عنهنّ أزواجهنّ أن يعتددن أربعة أشهر وعشرة ليالٍ، وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهنّ بالإجماع **﴿فإذا بلغنَ أجلهُنَّ﴾** انقضت عدّتهنّ **﴿فلا جُناحَ عليكم﴾** على أوليائها **﴿فيما فعلنَ في أنفسهنّ بالمعروف﴾** النكاح الحلال الطيب **﴿والله بما تعملون خبير﴾**، [وفي هذه الآية دليلٌ على أن للأولياء منعهنّ من التبرج والتشوّف للزوج زمان العِدّة] **٢٣٥: ﴿ولا جُناحَ عليكم فيما عرّضتُم به من خِطْبَةِ النساء﴾** في عدّتهنّ من وفاة أزواجهنّ من غير تصريح. والتعريض: أن يقول: إني أريد التزويج، يُعرِّض لها بالقول بالمعروف، **﴿أو أكننتُم في أنفسكم﴾** أضمرتم في أنفسكم من خطبتِهنّ **﴿علمَ اللهُ أنكم ستذكرونَهنَّ﴾** في أنفسكم فرفع عنكم الحرجَ في ذلك، **﴿ولكن لا تُواعِدُوهُنّ سِرّاً﴾** لا تقل لها: إني عاشق وعاهِديني أن لا تتزوجي غيري، ونحو هذا **﴿إلا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾** من التعريض **﴿ولا تعزِمُوا عُقدةَ النكاح حتى يبلغ الكتابُ أجلَهُ﴾** ولا تعقِدُوا العُقدَةَ بالنكاح حتى تنقضي العِدّة **﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾** توعدهم على ما يقع في ضمائرهم من أمور النساء من الشر، ثم لم يُؤيسهم من رحمته فقال: **﴿واعلموا أن الله غفورٌ حليم﴾** [أي: لمن تاب من ذنوبه] **٢٣٦: ﴿لا جُناحَ عليكم إذا طلّقتمُ النساءَ ما لم تَمَسُّوهُنّ﴾** أباح الله تعالى طلاقَ المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها **﴿ما لم تمسُّوهنّ أو تفرِضُوا لهنّ فريضةً ومتِّعُوهُنّ على المُوسِعِ قَدَرُه﴾** والفرضُ لها إن كانت مفوّضة [أي: لم يُسمَّ لها مهر]، فأمرَ الله تعالى بإمتاعها، وهو تعويضها بشيء تُعطاه من زوجها بحسب حاله **﴿وعلى المُقترِ قَدَرُهُ متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾ ٢٣٧:** وهذه الآية الكريمة مما يدلّ على اختصاص المتعة بما دلّتْ عليه الآية الأولى حيث إنما أوجب في هذه الآية نصف المهر المفروض إذا طلق قبل الدخول. فمتى سمّى لها صداقاً ثم فارقها قبل الدخول بها فإنه يجب لها نصف ما سمّى من الصَّدَاق، **﴿إلا أن يعفون﴾** النساء عما وجبَ لها على زوجها، فتدع حقها **﴿أو يعفوَ الذي بيدِهِ عُقْدَةُ النكاح﴾** وهو الولي [لأن الأمر فيه إليه؛ الأب في ابنته البكر]، **﴿وأن تعفوا أقربُ للتقوى﴾** خُوطب به الرجال والنساء **﴿ولا تَنْسَوُا الفضلَ بينكم﴾** الإحسان **﴿إنّ الله بما تعملون بصير﴾** لا يخفى عليه شيء من أموركم.

الآية: ٢٣٣ روى الإمام مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «لايُحرِّمُ من الرضاع إلّا ماكان في الحولين» وفي رواية: «وماكان بعد الحولين فليس بشيء». وروى الطيالسي: أن رسول الله ﷺ قال: «لارضاع بعد فصال». والفصال عند الإمام مالك الفِطام. /تفسير ابن كثير ج١/٢٨٣/.

الآية: ٢٣٥ بأن يقول لوليّها: لاتسبقني بها؛ يعني: لاتزوّجها حتى تعلمني. والتعريض يجوز للمتوفى عنها زوجها من غير تصريح لها بالخطبة، وهكذا حكم المطلقة المبتوتة ثلاثاً يجوز التعريض، دون الرجعية والبينونة الصغرى.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

٢٣٨: يأمرُ الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها، كما في الصحيحين عن ابن مسعود قال: سألتُ رسولَ اللهصلى اللهعليه وآله وسلم أيّ العمل أفضل؟ قال: «الصلاة في وقتها» الحديث **﴿والصلاةِ الوُسطى﴾** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب: «شغلُونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»، رواه مسلم **﴿وقُومُوا للهِ قانتين﴾** خاشعين ذليلين بينَ يديه سبحانه **٢٣٩**: **﴿فإذا أمنتُم فاذكروا الله﴾** أقيموا صلاتكم كما أمرتم، فأتموا ركوعَها وسجودَها وقيامَها وخشوعَها **﴿كما علّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** مثلَ ما أنعم عليكم وهداكم للإيمان وعلّمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقابلوه بالشكر والذكر **٢٤٠**: هذه الآية منسوخة بالتي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿والذين يُتوفَّوْنَ منكم ويَذَرُون أزواجاً يتربّصْنَ بأنفسِهِنّ أربعةَ أشهرٍ وعشراً﴾ **﴿وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحولِ غيرِ إخراجٍ﴾**؛ كان للمتوفى عنها زوجها نفقتُها وسُكناها في الدار سنةً ، فنسختها آية المواريث، فجعل لها الثمن أو الربع مما ترك الزوج **﴿فإن خرجنَ فلا جُناحَ عليكم فيما فعلنَ في أنفسهم من معروف﴾** إن شاءت اعتدّتْ عند أهلها، **﴿واللهُ عزيزٌ حكيم﴾** **٢٤١**: **﴿وللمطلقاتِ متاعٌ بالمعروف حقاً على المتقين﴾** هذه الآية في الثيّبات اللواتي قد جُومِعْنَ إذْتقدّمَ في غير هذه الآية ذكر المتعة للواتي لم يُدخلْ بهنّ **٢٤٢**: **﴿كذلك يُبيّنُ اللهُ لكم آياتِهِ﴾** في إحلاله وتحريمه وفُروضه وحُدُودِهِ فيما أمرَكم به ونهاكم عنه ووضحه وفسَّرَهُ ولم يتركه مجملاً في وقتِ احتياجكم إليه **﴿لعلكم تعقلون﴾** تفهمون وتتدبَّرون **٢٤٣**: **﴿ألم تَرَ إلى الذين خرجُوا من ديارهم وهم ألوفٌ حَذَرَ الموت﴾**، [هذه رُؤية القلب؛ بمعنى: ألم تعلم]، هؤلاء القوم من بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباءٌ شديد، فخرجوا فِراراً من الموت، **﴿فقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتوا﴾** أرسل إليهم ملكين فصَاحا بهم صيحةً واحدة فماتُوا عن آخرهم، وبعدَ دهرٍ مرّ بهم نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل فسأل اللهَ أن يُحييهم، فأجابَهُ إلى ذلك، وفي إحيائهم عبرةٌ ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة، ولهذا قال سبحانه: **﴿إنّ اللهَ لذو فضل على الناس﴾** فيما يُريهم من الآيات الباهرات **﴿ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يشكرون﴾** لا يقومون بشكر ما أنعمَ اللهُ بِهِ عليهم في دينهم ودنياهم وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يُغنيَ حَذَرٌ من قدر، وأن لا ملجأ من الله إلا إليه **٢٤٤**: **﴿وقاتِلُوا في سبيلِ اللهِ واعلموا أن اللهَ سميعٌ عليم﴾** كما أن الحَذَرَ لا يُغني من القدر؛ كذلك الفِرارُ من الجهاد وتجنّبه لا يُقرِّبُ أجلاً ولا يُبعده، بل الأجلُ المحتوم مُقدّرٌ لا يُزاد فيه ولا يُنقص منه، كما قال تعالى: ﴿أينما تكونوا يُدْرِكْكُمُ الموتُ ولو كنتم في بُرُوجٍ مُشيّدة﴾ **٢٤٥**: **﴿مَن ذَا الذي يُقرِضُ اللهَ قرضاً حسناً فيُضاعِفَهُ له أضعافاً كثيرةً﴾** يحث تعالى عباده على الإنفاق في سبيل الله، وقد كرّرَ تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع وفي الحديث: «إن اللهَ يُضاعِفُ الحسنةَ ألفي ألف حسنة» **﴿واللهُ يقبض ويبسط﴾** أنفقوا ولا تبالوا فاللهُ هو الرزاق؛ يُضيق على من يشاء ويوسعه على آخرين **﴿وإليه تُرجعون﴾** يوم القيامة.

الآية: ٢٣٨ قال ﷺ: «صلاةُ الوسطى صلاة العصر» حديث صحيح. وقال ﷺ: «الذي تفوتُهُ صلاةُ العصر فكأنما وُتِرَ أهلَهُ ومالَه» حديث صحيح رواه الترمذي ج١/٣٣١و٣٤٠/.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

٢٤٦: ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعثْ لنا مَلِكاً نُقاتِلْ في سبيل الله﴾ [ذكر تعالى في التحريض على القتال قصّةً أخرى جرت في بني إسرائيل]، كان بنو إسرائيل بعد موسى على الاستقامة مدّة ثم أحدثوا الأحداث، فسلّط الله عليهم أعداءَهم، فطلبوا من نبيهم[1] أن يُقيم لهم ملكاً يقاتلون معه أعداءهم، **﴿قال﴾** لهم نبيُّهم **﴿هلْ عسيتُم إن كُتِبَ عليكم القتالُ ألا تُقاتِلُوا﴾** وتَفُوا بما التزمتم؟ **﴿قالوا ومالنا ألّا نُقاتِلَ في سبيل الله وقد أُخرجنا من دِيارِنا﴾** وقد أخذت البلاد **﴿وأبنائنا﴾** وسُبيت الأولاد؟! **﴿فلما كُتِبَ عليهم القتالُ تولَّوْا إلا قليلاً منهم﴾** ما وَفّوا بما وعدوا **﴿والله عليمٌ بالظالمين﴾** **٢٤٧: ﴿وقال لهم نبيُّهم إن الله قد بعث لكم طالوتَ ملكاً﴾** وكان رجلاً من أجنادهم ولم يكن من بيت المُلك فيهم **﴿قالوا أنّى يكونُ له المُلْكُ علينا ونحن أحقُّ بالملك منه﴾** لأن الملك كان في سبط يهوذا **﴿ولم يُؤتَ سَعَةً من المال﴾** هو مع هذا فقير لا مال له؟! **﴿قال إن الله اصطفاهُ عليكم﴾** اختاره لكم ولستُ أنا الذي عَيّنتهُ من تلقاء نفسي **﴿وزاده بسطةً في العلم والجسم﴾** فهو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشدّ قوّة وصبراً في الحرب ومعرفة بها منكم **﴿والله يُؤتي مُلْكَهُ مَن يشاء﴾** لا يُسأل عما يفعل لعلمه وحكمته **﴿والله واسعٌ﴾** بفضله **﴿عليم﴾** بمن يستحق المُلك **٢٤٨: ﴿وقال لهم نبيُّهم إن آية﴾** علامة بركة **﴿مُلكِه أن يأتيكم التابوتُ﴾** أن يردَّ الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم **﴿فيه سكينةٌ من ربِّكم﴾** فيه رحمة ووقار وجلالة، فتسكنون إليه [كان موسى يضع فيها ألواح التوراة] **﴿وبقية مما ترك آلُ موسى وآلُ هارون﴾** عصاه ورضاض الألواح من التوراة، وثياب موسى وهارون **﴿تحمِلُهُ الملائكةُ﴾** بين السماء والأرض حتى تضعه بين يدي طالوت والناس ينظرون [وكان التابوت في بني إسرائيل يغلِبون به من قاتلهم، حتى عَصَوْا، فغُلِبُوا على التابوت، غلبهم عليه العمالقة. وهذا أدلُّ دليلٍ على أن العِصيانَ سببُ الخذلان] **﴿إن في ذلك لآيةٍ لكم إن كنتم مؤمنين﴾** بالله واليوم الآخر.

---

(١) قال قتادة: هذا النبيّ يُوشع بن نون. وقال الشوكاني هذا ضعيفٌ جداً؛ لأن يُوشع هو فتى موسى. وذكرَ أن اسم هذا النبي هو شمويل بن يار، ويُقال فيه شمعون، وهو من ولد يعقوب عليه السلام. /فتح القدير ج١/٢٦٤/.

الآية: ٢٤٨ عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ: أنْ تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمِنَ بالجنّة والنّار، والميزان، وتؤمِنَ بالبعثِ بعدَ الموت، وتؤمِنَ بالقدر خيرِهِ وشرِّهِ» رواه البيهقي في شعب الإيمان/صحيح الجامع الصغير ج١/٥٤٠/. وعن الزبير ومعاوية قالا: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ قيدُ الفَتْكِ، لايفتِكُ مؤمنٌ» رواه أبو داود والحاكم/صحيح الجامع ج١/٥٤١/.

الآية: ٢٤٨ والتّابوت كان من شأنه فيما ذُكِرَ أنّه أنزله الله على آدم عليه السلام، فكان عنده إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام، فكان في بني إسرائيل يغلبون به مَنْ قاتلهم، حتى عَصَوْا فغُلِبُوا على التابوت /القرطبي ج٣/٢٤٧/.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٤٩: يقول تعالى مخبراً عن طالوت حين خرج في جنوده من بني إسرائيل: **﴿فلما فَصَلَ طالوتُ بالجنودِ قال إن الله مُبتليكم بنَهَرٍ﴾** مختبركم بنهر، يعني نهر الشريعة بين الأردن وفلسطين، **﴿فمن شربَ منه فليس مني﴾** فلا يصحبني **﴿ومن لم يطعمه فإنه مني إلا منِ اغترفَ غُرْفةً بيدِهِ﴾** فلا بأسَ عليه **﴿فشربُوا منه إلا قليلاً﴾** فمن اغترف منه رُوي، ومن شربَ منه لم يُرْوَ، وكان الجيش ثمانين ألفاً، فشرب منه ستةٌ وسبعون ألفاً وتبقى معه أربعة آلاف **﴿فلما جاوزَهُ هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوتَ وجنودِه﴾** استقلُّوا أنفسهم عند لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العاملون بأن وعد الله حق، **﴿وقال الذين يظنون أنهم ملاقُوا اللهِ كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرة بإذن الله واللهُ مع الصابرين﴾** **٢٥٠**: **﴿ولما برزوا لجالوتَ وجنوده قالوا ربَّنا أفرغْ علينا صبراً وثبتْ أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾** لما واجه حزبُ الإيمان وهم قليل أعداءهم وهم عدد كثير **﴿قالوا ربَّنا أفرغْ علينا صبراً﴾** أنزل علينا صبراً من عندك **﴿وثبتْ أقدامنا﴾** في لقاء العدو وجنبنا الفرار والعجز **﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾** **٢٥١**: **﴿فهزمُوهم بإذن الله﴾** غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم **﴿وقتلَ داودُ جالُوتَ وآتاهُ اللهُ المُلْكَ﴾** الذي كان بيد طالوت، **﴿والحكمةَ﴾** النبوّةَ **﴿وعلّمه مما يشاء﴾** من العلم النافع الذي اختصه به عليه السلام ثم قال تعالى: **﴿ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لفسدتِ الأرض﴾**[1] لهلكوا كما قال اللهتعالى: **﴿ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهدّمتْ صوامِعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجِدُ يُذكرُ فيها اسمُ اللهِ كثيراً﴾** **﴿ولكن الله ذو فضلٍ على العالمين﴾** مَنّ عليهم، ورحمةً بهم يدفع عنهم ببعضهم بعضاً، وله الحكمة والحجّة على خلقه في جميع أفعاله وأقواله **٢٥٢**: **﴿تلك آياتُ اللهِ نتلوها عليكَ بالحقِّ﴾** هذه آيات الله التي قصصناها عليك من أمر بني إسرائيل، ذكرناها بالحق، أي: بالواقع الذي كان عليه الأمر المطابق لما في أيدي أهل الكتاب الذي يعلمه علماء بني إسرائيل **﴿وإنكَ﴾** يا محمد **﴿لمن المرسَلين﴾** وهذا توكيدٌ وتوطئةٌ للقسم.

---

(١) قال ابن عباس: ولولا دفع الله العدوَّ بجنود المسلمين لغلب المشركون، فقتلوا المؤمنين وخرّبوا البلادَ والمساجد. وقال سفيان الثوري: هم الشهود الذين تُستخرج بهم الحقوق. وحكى مكّي: أنّ أكثر المفسرين على أنّ المعنى: لولا أنّ الله يدفع بمن يصلي عمّن لايصلي، وبمن يتّقي عمّن لايتّقي لأهلك النّاس بذنوبهم. وقال سائر المفسرين: ولولا دفاع الله المؤمنين الأبرار عن الفُجّار والكفار لفسدت الأرض، أي: هلكت. «إنّه يدفع العذاب بمن يصلي عمّن لايصلي، وبمن يزكي عمّن لايزكي، وبمن يصوم عمّن لايصوم، وبمن يحج عمّن لايحج، وبمن يجاهد عمّن لايجاهد، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ماأنظرهم الله طرفة عين» /القرطبي ج٣/٢٦٠/.

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ هذا الوباء [يعني الطاعون والمرض العام] رجز [أي عذاب] أهلك اللهُ به الأمم قبلكم، وقد بقي منه في الأرض شيء، يجيء أحياناً ويذهب أحياناً، فإذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها فراراً، وإذا سمعتم به في أرض فلاتأتوها» مختصر صحيح مسلم/١٤٨٤/.

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ هذه الأمة أمّة مرحومة، عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دُفِعَ إلى كل رجل من المسلمين رجلٌ من المشركين، فيُقال: هذا فداؤك من النّار» صحيح الجامع الصغير/٢٢٦١/.

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

٢٥٣: يُخبر تعالى أنه فضّلَ بعضَ الرسل على بعض كما قال تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعضَ النبيّن على بعض﴾ وهنا قال: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضَهم على بعضٍ منهم من كلّم الله**﴾ موسى ومحمداً صلى الله عليهما ﴿**ورفع بعضَهم درجات**﴾ كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عزّ وجلّ ﴿**وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات**﴾ الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء به من أنه عبد لله ورسوله إليهم ﴿**وأيّدناهُ بروحِ القُدُس**﴾ جبريل عليه السلام، ثم قال تعالى: ﴿**ولو شاءَ الله ما اقتتل الذين من بعدهم**﴾، [أي: من بعد موسى وعيسى، وجميع الأنبياء] ﴿**من بعد ما جاءتهم البيّناتُ ولكنِ اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفرَ**﴾ [أي: وإنما اختلف الناس بعدَ كلِّ نبي؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفرَ بغياً وحسداً، وعلى حُطام الدنيا] ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ كلُّ ذلك عن قضاء الله وقدره، ولهذا قال سبحانه: ﴿**ولكن الله يفعلُ ما يُريد**﴾ **٢٥٤**: يأمرُ الله تعالى بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير، ليدّخِرُوا ثوابَ ذلك عند ربِّهم ومليكهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا ﴿**من قبلِ أنْ يأتيَ يومٌ**﴾ يوم القيامة ﴿**لا بيعٌ فيه ولا خُلّةٌ ولا شفاعة**﴾ لا يُباع أحدٌ من نفسه ولا يُفادي بمال، ولو بذلَهُ وجاءَ بملء الأرض ذهباً، ولا تنفعه خُلّة أحدٍ يعني صداقته، بل ولا نسابته؛ كما قال تعالى: ﴿فإذا نُفِخَ في الصور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾، ﴿**ولا شفاعة**﴾ ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿**والكافِرُون هم الظالمون**﴾ ولا ظُلْمَ أظلمُ ممن وافى الله يومئذٍ كافراً قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿**والكافِرُون هم الظالمون**﴾، ولم يقلْ: والظالمون هم الكافرون! **٢٥٥**: هذه آية الكرسي ولها شأنٌ عظيم، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أفضلُ آية في كتاب الله. وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة: ﴿**الله لا إله إلا هو**﴾ إخبار بأنه المنفرد بالإلهيّة لجميع الخلائق ﴿**الحيُّ القيُّوم**﴾ الحيُّ في نفسه الذي لا يموت أبداً، القيّمُ لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غنيٌّ عنها ﴿**لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نوم**﴾ لا يعتريه نقصٌ ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه والسِّنَةُ: النعاس، [والنومُ من الموت] ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهرِ سلطانه ﴿**مَن ذَا الذي يشفع عندَهُ إلا بإذنه**﴾ وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عزّ وجلّ أنه لا يتجاسرُ أحدٌ على أن يشفعَ لأحد عنده إلا بإذنه له ﴿**يعلم ما بينَ أيديهم وما خلفهم**﴾ دليلٌ على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها ﴿**ولا يُحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء**﴾ لا يطّلعُ أحدٌ على علم الله على شيءٍ إلا بما أعلمه اللهُ عزّ وجلّ وأطلعه عليه ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السمواتِ والأرضَ**﴾ روى ابن جرير: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيتْ في ترس» قال: وقال أبو ذر: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهراني فَلاةٍ من الأرض» ﴿**ولا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ لا يُثقله حفظ السموات الأرض ﴿**وهو العليّ العظيم**﴾ المُتعالِ الكبير **٢٥٦**: ﴿**لا إكراهَ في الدِّين**﴾ لا تُكرِهُوا أحداً على الدخول في الإسلام فإنه بيّنٌ واضح في دلائله وبراهينه

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ
أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي
بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي
كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ
قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ
فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى
ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾

﴿قد تبيَّنَ الرشدُ من الغيّ فمن يكفر بالطّاغوت﴾ الشيطان وما يدعو إليه **﴿ويؤمن بالله فقد استمسكَ بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾** يعني الإسلام والقرآن **﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾**. **٢٥٧**: **﴿اللهُ وليُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلماتِ إلى النور﴾** يُخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانَهُ سُبل السلام، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك إلى نور الحقّ، **﴿والذين كفروا أولياؤُهُمُ الطاغوتُ يُخرجونهم من النورِ إلى الظلمات﴾** إلى الجهالات والضلالات، يحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر **﴿أولئك أصحابُ النارِ هُم فيها خالدون﴾** وحّدَ تعالى لفظ النور لأن الحقَّ واحدٌ، وجمع الظلمات لأنها أجناس كثيرة **٢٥٨**: **﴿ألم ترَ إلى الذي حَاجَّ إبراهيمَ في ربِّه﴾** وهو ملك بابل نمروذ حاجَّ إبراهيم في وجود ربِّه، وذلك أنه أنكر أن يكون إلهٌ غيره، وما حمله على ذلك إلا تجبّرُهُ وطولُ مدّة مُلكه، ولهذا قال تعالى: **﴿أنْ آتاهُ اللهُ المُلْكَ﴾** وكان طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرّبِّ الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم: **﴿ربّي الذي يُحيي ويُميتُ﴾** فعند ذلك قال النمروذ: **﴿أنا أُحيي وأُميت﴾** وذلك أنه أوتي بالرجلين وقد استحقا القتل، فأمر بقتل أحدهما، وأمر بالعفو عن الآخر، ادّعى لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرةً، **﴿قال إبراهيمُ فإن اللهَ يأتي بالشمسِ من المشرقِ فأتِ بها من المغرب﴾** إذا كنتَ كما تدعي من أنّك تُحيي وتميت فأتِ بها من المغرب؟! فلما علمَ عجزَهُ أُخرس **﴿فبُهِتَ الذي كفرَ واللهُ لا يهدي القومَ الظالمين﴾** **٢٥٩**: **﴿أو كالذي مَرَّ على قرية وهي خاويةٌ على عُرُوشها﴾** عطفٌ على **﴿ألم ترَ﴾** وهو عُزيرٌ، مرَّ على بيت المقدس بعد تخريب بختنصّر لها وقتل أهلها **﴿وهي خاويةٌ على عروشها﴾** ليس فيها أحد، ساقطة سقوفها وجدرانها، فوقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، و**﴿قال أنّى يُحيي هذه اللهُ بعدَ موتها﴾**؟ وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها **﴿فأماتَهُ اللهُ مائةَ عامٍ ثم بعثَهُ﴾** وعُمّرتِ البلدةُ بعد مضي سبعين سنة من موته، ورجع إليها بنو إسرائيل [أي: بعد العفو البابلي عنهم]، **﴿قال كم لبثتَ؟ قال لبثتُ يوماً أو بعضَ يومٍ﴾** وذلك أنه مات أول النهار، ثم بعثه في آخرِ نهارٍ، فلما رأى الشمس باقيةً ظنّ أنها شمس ذلك اليوم، **﴿قال بلْ لبثتَ مائةَ عامٍ فانظُرْ إلى طعامِك وشرابِكَ لم يتسنّه﴾** [أي: لم تُغيّرْهُ السنون] **﴿وانظُرْ إلى حمارك﴾** كيف يُحييه اللهُ عزّ وجلّ وأنتَ تنظر **﴿ولنجعلكَ آيةً للناس﴾** دليلاً على المَعَادِ **﴿وانظُرْ إلى العِظام كيف نُنْشِزُها﴾** نُحييها **﴿ثم نكسُوها لحماً﴾** وبعث اللهُ ملكاً فنفخ فيه فنهقَ، وذلك بمرأىً من العُزير، **﴿فلما تبيّن له﴾** هذا كله **﴿قال أعلمُ أن اللهَ على كل شيءٍ قدير﴾** أنا عالم بهذا، وقد رأيتُه عياناً، فأنا أعلم أهل زماني بذلك.

الآية: ٢٥٥ قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ شيءٍ سنامٌ، وإنّ سنامَ القرآنِ سورة البقرة، وفيها آيةٌ هي سيّدةُ آيِ القرآن، هي آيةُ الكرسي». وقال ﷺ: «من قرأ حَمَ المؤمن إلى «إليه المصير» وآية الكرسي حين يُصبح حُفِظَ بهما حتى يُمسي، ومَن قرأهما حين يُمسي حُفِظَ بهما حتى يُصبح». رواهما الترمذي ج٥/١٥٧ــ١٥٨/.

الآية: ٢٥٦ نزلت في أهل الكتاب خاصّة، وأنهم لايُكرهون على الإسلام إذا أدّوا الجزية. والذين يكرهون أهل الأوثان، فلا يُقبل منهم إلّا الإسلام. قال هذا الشعبي وقتادة والحسن والضحاك. وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي أيّتها العجوز تسلمي، إنّ الله بعث محمداً بالحقّ. قالت: وأنا عجوز كبيرة والموت إليَّ قريب!؟ فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا: **﴿لاإكراهَ في الدّين قد تبيّن الرشد من الغيّ﴾** /القرطبي ج٣/٢٨٠/.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

٢٦٠: لما قال إبراهيم للنمروذ: ﴿ربّيَ الذي يُحيي ويُميت﴾ أحبَّ أن يرتقيَ من علم اليقين إلى عين اليقين، فقال: **﴿ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى؟ قالَ أوَلَمْ تُؤمنْ؟ قالَ بلى ولكن ليطمئنّ قلبي قال فَخُذْ أربعةً من الطير فصرهُنَّ إليك﴾** أوثقهنّ ثم قطعهنّ بعد ذبحهنّ **﴿ثم اجعلْ على كلّ جبلٍ منهنّ جزءاً ثم ادعُهنّ يأتينكَ سَعْياً واعلمْ أنّ الله عزيز حكيم﴾** عزيزٌ: لا يغلبه شيءٌ ولا يمنع عنه شيء، حكيمٌ: في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره **٢٦١**: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفقَ في سبيله وابتغاء مرضاته، فقال: **﴿مثلُ الذين يُنفقون أموالَهم في سبيل الله كمثلِ حبّةٍ أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كل سُنبلةٍ مائةُ حبّةٍ﴾** وهذا المثلُ أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة؛ فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة يُنميها اللهُ عزّ وجلّ لأصحابها كما يُنمي الزرعَ لمن بذرَهُ في الأرض الطيبة **﴿واللهُ يضاعِفُ لمن يشاءُ﴾** بحسب إخلاصه في عمله **﴿واللهُ واسعٌ عليمٌ﴾** فضله واسع كثيراً، أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق، سبحانه **٢٦٢**: **﴿الذين يُنفقون أموالَهم في سبيلِ اللهِ ثم لا يتبعُون ما أنفقوا مناً ولا أذىً﴾** يمدحُ اللهُ تبارك وتعالى الذين يُنفقون في سبيله ثم لا يتبعُون ما أنفقوا من الخيراتِ والصدقات مناً على مَن أعطوه، فلا يمنون على أحدٍ لا بقولٍ ولا فعلٍ، ثم وعدهم تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال: **﴿لهم أجرُهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم﴾** فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة **﴿ولا هم يحزنون﴾** على ما خلّفوهُ من الأولاد، ولا يأسفون على الدنيا وزينتها **٢٦٣**: **﴿قولٌ معروفٌ﴾** كلمةٌ طيبةٌ ودعاءٌ لمسلم **﴿ومغفرةٌ﴾** عمن ظلم **﴿خيرٌ من صدقةٍ يتبعُها أذىً واللهُ غنيٌ حميدٌ﴾** **٢٦٤**: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾** فما بقيَ ثواب الصدقة بخطيئة المنّ والأذى، ثم قال تعالى: **﴿كالذي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ الناس﴾** قصده مدح الناس له، ويُقال: إنه كريم، لا ابتغاء مرضاة الله وجزيل ثوابه، ولهذا قال: **﴿ولا يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخر﴾** ثم ضربَ تعالى مثلَ ذلك المرائي بإنفاقه، والذي يُتبع ما أنفق مناً أو أذىً، فقال: **﴿فمثلُهُ كمثل صفوان﴾** الصخر الأملس **﴿عليه ترابٌ فأصابَهُ وابلٌ﴾** المطر الشديد **﴿فتركه صَلْداً﴾** أملسَ لا شيء عليه، وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله، ولهذا قال تعالى: **﴿لا يقدِرُون على شيءٍ مما كسبُوا واللهُ لا يهدي القوم الكافرين﴾**.

الآية: ٢٦٢ إذا كان العطاء على هذا الوجه خالياً من طلب الجزاء الدنيوي كان أشرف للباذل وأهنأ للقابل؛ فأمّا المعطي إذا التمس بعطائه جزاءً دنيوياً وطلب به الشكر والثناء كان صاحبَ سُمْعَةٍ ورياء. والمنفق لوجه الله رجاء ثوابه وفضله، لايريد ممّن أنفق عليه شيئاً، كما قال الله تعالى: **﴿لانُريد منكم جزاءً ولاشُكوراً﴾** ومتى أنفق ليريد من المنفق عليه جزاءً بوجهٍ من الوجوه، فهذا لم يُرد وجه الله تعالى. /القرطبي ج٣/٣٠٧/.

الآية: ٢٦٣ روى ابن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صدقةٍ أحبَّ إلى الله من قولٍ معروف، ألم تسمع قوله تعالى –وذكر هذه الآية..» /تفسير ابن كثير ج١/٣١٨/.
وروى الإمام مسلم في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ قال: «الكلمةُ الطيّبةُ صدقةٌ، وإنّ من المعروف أن تلقَى أخاكَ بوجه طَلْقٍ». /القرطبي ج٣/٣٠٩/.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

٢٦٥: **﴿ومثل الذين يُنفقون أموالَهم ابتغاءَ مرضـاة الله﴾** وهذا مَثَلُ المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاءَ مرضاة الله عنهم في ذلك **﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾** وهم متثبّتون أنّ الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء؛ **﴿كمَثَلِ جنةٍ بربْوَةٍ﴾** كمثـل بستـان بمكـان مرتفع من الأرض **﴿أصابَها وابلٌ﴾** وهو المطر الشديد **﴿فآتتْ أُكُلَها﴾** ثمرتها **﴿ضعفين﴾** بالنسبة إلى غيرها **﴿فإنْ لم يُصبْها وابلٌ فَطَلٌّ﴾** وهو الرذاذُ اللين من المطر؛ أي: هذه الجنة لا تُمْحِلُ أبداً، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويُكثِّرهُ ويُنميهِ كل عام بحسبه، ولهذا قال تعالى: **﴿والله بما تعملون بصيرٌ﴾** لا يخفى عليه شيء **٢٦٦**: [هذه الآية مثلٌ آخر لنفقة الرياء]، **﴿أيَوَدُّ أحدُكم أن تكونَ له جنّةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ تجري من تحتها الأنهارُ له فيها من كلِّ الثمراتِ﴾** فلم يحصـل منه شيءٌ **﴿وأصـابهُ الكِبَرُ وله ذريةٌ ضُعفاءُ فأصابها إعصـارٌ﴾** وهو الريح الشـديد **﴿فيـه نارٌ فـاحترقتْ﴾** أحرق ثمارَها وأبادَ أشجارها؛ فأيُّ حالٍ يكون حالُه؟! فلم يكن عنده قوةٌ أن يغرس مثـله، ولم يكن عند نسـله خير يعودون عليه، وكذلك الكافر يوم القيامة ليس له خيرٌ يعود عليه يوم القيامة. [ولهذا] كان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمّ اجعلْ أوسعَ رزقكَ عليّ عندَ كِبَرِ سِنِّي وانقضـاءِ عمري»، **﴿كذلك يبيّنُ اللهُ لكمُ الآياتِ لعلكم تتفكّرُون﴾** تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني المراد منها **٢٦٧**: يأمرُ الله تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق، والمراد به الصدقة **﴿من طيّباتِ ماكسبتم﴾** من أطيب المال وأجوده، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، فإنّ اللهَ طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، ولهذا قال سبحانه: **﴿ولا تيمَّمُوا الخبيثَ﴾** لا تقصدوا الخبيثَ **﴿منه تنفقون ولستم بآخذيه﴾** لو أعطيتُمُوه ما أخذتموه **﴿إلا أن تغمِضُوا فيه﴾** تتغاضَوْا فيه، فلا تجعلوا لله ما تكرهون **﴿واعلمُوا أن الله غنيٌّ حميدٌ﴾** **٢٦٨**: **﴿الشيطانُ يعدكمُ الفقرَ﴾** يُخوِّفكم الفقرَ لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله **﴿ويأمركمْ بالفحشاء﴾** مع نهيه إياكم عن الإنفاق يأمركم بالمعاصي والمآثم، **﴿واللهُ يعدُكمْ مغفرةً منه﴾** في مقابلة ما أمركمْ الشيطان بالفحشاء **﴿وفضلاً﴾** في مقابلة ما خوّفكم الشيطان من الفقر **﴿والله واسعٌ عليمٌ﴾** **٢٦٩**: **﴿يُؤتِي الحكمةَ من يشاءُ﴾** الحكمةُ: السنّة، والفقه في دين الله، وخشية الله **﴿ومن يُؤتَ الحكمةَ فقد أوتيَ خيراً كثيراً وما يذكّرُ إلا أولو الألباب﴾** وما ينتفع بالموعظة إلا من له لبٌّ وعقل.

الآية: ٢٦٧ والله تعالى يقول: **﴿لن تنالوا البِرَّ حتى تنفِقُوا مّما تُحِبُّون﴾** [آل عمران/٩٢] والمعنى: لن تصلوا إلى الجنّة حتى تنفِقُوا ممّا تحبون. ولن تنالوا شرف الدّين والتقوى حتى تتصدّقوا وأنتم أصحاء أشحاء تأملون العيش وتخشون الفقر. /القرطبي ج٤/١٣٣/.

وعن عائشة قالت: أُتي رسولُ الله ﷺ بِضَبٍّ فلم يأكُلْهُ ولم ينهَ عنه، قلتُ: يارسول الله نُطعمُهُ المساكينَ؟ قال: «لاتُطعموهم مِمّالاتأكلون». رواه الإمام أحمد. /تفسير ابن كثير ج١/٣٢١/.

الآية: ٢٦٨ قال رسول الله ﷺ: «إنّ للشيطان لَمّةً بابن آدم، وللمَلَك لَمّةً، فأمّا لَمّةُ الشيطان فإيعادٌ بالشرِّ وتكذيب بالحقِّ، وأمّا لَمّةُ المَلَك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحقِّ، فمَنْ وجدَ ذلك فليعلمْ أنّه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان -ثم قرأ: **﴿الشيطانُ يعِدُكُمُ الفقرَ ويأمركمْ بالفحشاء﴾** رواه الترمذي وصححه. /القرطبي ج٣/٣٢٨-٣٢٩/.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الحزب ٥

٢٧٠: يُخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات والمنذورات، وتضمّنَ ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده، وتوعد من لا يعمل بطاعته وخالف أمره، فقال: **﴿وما للظالمين من أنصار﴾** يوم القيامة من عذاب الله ونقمته. **٢٧١**: **﴿إن تبدُوا الصدقات فنِعمّا هي﴾** إن أظهرتُموها فنعم شيء هي **﴿وإن تُخفوها وتُؤتُوها الفقراء فهو خيرٌ لكم﴾**، فيه دلالة على أنّ إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعدُ عن الرياء **﴿ويُكفِّرُ عنكم من سيئاتِكم﴾** لا سيا إن كانت سِرّاً يحصل لكم الخير في رفع الدرجات، وتكفير السيئات **﴿والله بما تعملون خبير﴾** لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه **٢٧٢**: **﴿ليسَ عليكَ هُداهم ولكنَّ الله يهدي من يشاء﴾**، [هذه الآية متصلة بذكر الصدقات]، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بألا يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية: **﴿ليس عليك هُداهم﴾** إلى آخرها، فأمر بالصدقة بعدها [أي: بصدقة النفل] على كل من سألك من كلِّ دين **﴿وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم وما تُنفقون إلا ابتغاءَ وجهِ الله وما تنفقوا من خيرٍ يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون﴾** إن المتصدق إذا تصدّق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب أ لِبرٍّ أو لفاجر أو مستحق أو غيره، وهو مثاب على قصده **٢٧٣**: **﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾** المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله ورسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردّون به على أنفسهم ما يُغنيهم و**﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾** يعني سفراً في طلب المعاش **﴿يحسَبُهُمُ الجاهلُ أغنياءَ من التعفّف﴾** من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم **﴿تعرفهم بسيماهم﴾** بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم، **﴿لا يسألون الناس إلْحافاً﴾** لا يُكلّفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يُغنيه فقد ألحف في المسألة. **﴿وما تنفقوا من خيرٍ فإن الله به عليم﴾** لا يخفى عليه شيءٌ وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه **٢٧٤**: هذا مدحٌ من الله تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات والأحوال **﴿الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهارِ سِرّاً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾**؛ حتى أن النفقة على الأهل تدخل في ذلك، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «وإنك لنْ تنفقَ نفقةً تبتغي بها وَجْهَ الله إلا ازددتَ بها درجةً ورفعةً حتى ما تجعل في فِي امرأتِكَ».

الآية: ٢٧١ عن أبي سعيد أنّ رسول الله ﷺ قال: «صدقةُ السِّر تُطفيء غضبَ الربِّ»، حديث صحيح /الجامع الصغير ج٢/٦٢/.

وعن أبي ذَرّ أنّ النبي ﷺ قال: «ثلاثة يُحبّهم الله، وثلاثةٌ يُبغضُهُمُ اللهُ، فأمّا الذين يُحبُّهُمُ: فرجلٌ أتى قوماً فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابةٍ بينهم وبينه، فمنعُوهُ، فتخلّف رجلٌ بأعقابهم [أي بعد ذهابهم] فأعطاهُ سِرّاً لايعلم بعطيتِهِ إلّا الله والذي أعطاه، وقومٌ ساروا ليلتَهُمْ حتى إذا كان النومُ أحبَّ إليهم مّما يُعْدَلُ بهِ، فوضعُوا رُؤوسَهُمْ، فقام يَتَمَلَّقُني [المَلَقُ التودّد والدعاء والتضرّع] ويتلو آياتي، ورجلٌ كان في سريّةٍ فلقِيَ العدوَّ فهُزِمُوا، فأقبلَ بصدرِهِ حتى يُقتلُ أو يُفتحَ له!! والثلاثةُ الذين يُبغضهم اللهُ: الشيخُ الزاني، والفقيرُ المختال، والغني الظَّلُوم» رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وصححه، وكذا المنذري. /الترغيب ج٢/٣٢–٣٣/.

الآية: ٢٧٣ روى الشيخان في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطوّاف الذي تردُّهُ التمرة والتمرتان واللقمةُ واللقمتان والأكلةُ والأكلتان، ولكنّ المسكين الذي لايجد غنىً يُغنيه ولايُفطن له فيُتصدّقَ عليه، ولايسألُ الناسَ شيئاً». /تفسير ابن كثير ج١/٣٢٤/.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

٢٧٥: لما ذكر تعالى الأبرار في صدقاتهم لذوي الحاجات شرع في ذكر أكلة الرِّبا وأموالَ الناس بالباطل فأخبر يوم خروجهم من قبورهم إلى بعثهم فقال: ﴿**الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطُهُ الشيطان مِنَ المَسِّ**﴾ كالمصروع حال صرعَهُ الشيطان، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً، بطونهم كالبيوت فيها الحيّات، ﴿**ذلك**﴾ إنما جُوزوا بذلك ﴿**بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الرِّبا. وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرّمَ الرِّبا**﴾، ﴿**فمن جاءَه موعظةٌ من ربّه فانتهى**﴾ من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى ﴿**فله ما سلفَ**﴾ من المعاملة ﴿**وأمرُهُ إلى الله**﴾، [هذا تأنيس للمنتهي وبسط أمله في الخير]، ولهذا قال سبحانه: ﴿**ومَن عادَ فأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالِدُون**﴾ **٢٧٦**: يُخبر الله تعالى أنّه يمحق الرِّبا؛ أي: يُذهبه، إمّا بالكليّة من يدِ صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به بل يُعدِمُهُ به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة ﴿**والله لا يُحبُّ كلَّ كفّارٍ أثيم**﴾، كفورُ القلب أثيم القول والفعل. ختم اللهُ هذه الآية بهذه الصفة لأنّ المرابي لا يرضى بما قسمَ الله له من الحلال، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل **٢٧٧**: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ لهم أجرُهم عندَ ربِّهم**﴾ قال تعالى [هذا] مادِحاً للمؤمنين المطيعين لربّهم المحسنين إلى خلقه [فهؤلاء] أعدّ لهم دارَ الكرامة يوم القيامة ﴿**ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾

٢٧٨: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**﴾ خافوهُ وراقبُوه فيما تفعلون ﴿**وذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا**﴾ اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الإنذار ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ بما شرعَ اللهُ لكم من تحليل البيع وتحريم الرِّبا وغير ذلك **٢٧٩**: ﴿**فإن لم تفعلوا فأذَنوا بحربٍ من اللهِ ورسوله**﴾ هذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ لمن استمرّ على تعاطي الرِّبا بعدَ الإنذار ﴿**وإن تُبْتُم فلكم رُؤوسُ أموالِكم لا تَظلِمُون**﴾ بأخذ الزيادة ﴿**ولا تُظلَمُون**﴾ بوضع رُؤوس الأموال أيضاً، بل لكم ما بذلتم من غير زيادة عليه ولا نقصٍ منه **٢٨٠**: ﴿**وإن كان ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسرةٍ**﴾، [لَمّا حكمَ جلّ وعزّ لأرباب الرِّبا برؤوس أموالهم عند الواجدين للمال؛ حكم في ذي العُسْرة بالنَّظِرةِ إلى المَيْسَرة]؛ يأمر تعالى بالصبر على المُعسر الذي لا يجدُ وفاءً. ثم يندُبُ إلى الوضع عنه، ويَعِدُ على ذلك الثوابَ الجزيل فقال: ﴿**وأنْ تصدّقوا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون**﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سَرّهُ أن يُظلّه اللهُ يوم لا ظلّ إلا ظِلّه فليُيَسِّرْ على مُعْسِرٍ، أو لِيَضَعْ عنه». رواه الطبراني **٢٨١**: ﴿**واتّقوا يوماً تُرجَعُون فيه إلى الله**﴾ يعِظُ تعالى عبادَه، ويُذكّرُهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال ﴿**ثم تُوفّى كلُّ نفسٍ ما كسبتْ وهم لا يُظلمون**﴾، وهذه الآية آخر ما نزل من القرآن العظيم. نزلت قبل بضع ليالٍ من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: ٢٧٨ عن ابن مسعود قال: «لعنَ رسولُ الله ﷺ آكِلَ الرِّبا ومُوكِلَهُ وشاهديهِ وكاتبَهُ» رواه مسلم والترمذي. /رياض الصالحين/٦١٨/.

الآية: ٢٨٠ روى عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكُم والشُّحّ، فإنّما هَلَكَ مَنْ كان قبلَكم بالشُّحِّ، أمرهم بالبُخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا» رواه أبو داود والحاكم/صحيح الجامع الصغير ج١/٥٢١/.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

٢٨٢: هذه الآية الكريمة أطول آية في القرآن العظيم. ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تَدَاينتُم بدينٍ إلى أجلٍ مُسمّىً فاكتبُوه**﴾ هذا إرشادٌ منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجّلة أن يكتبُوها؛ ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد. وقوله تعالى: ﴿**فاكتبُوهُ**﴾ أمرٌ منه تعالى بالكتابة للتوثقة والحفظ. ﴿**وليكتبْ بينكم كاتبٌ بالعدل**﴾ بالقسط والحقّ، من غير زيادة ولا نقصان. ﴿**ولا يأبَ كاتِبٌ أن يكتبَ كما علّمه اللهُ فليكتبْ**﴾ ولا يمتنع من يعرف الكتابة إذا سُئِلَ أن يكتب للناس كما علّمَهُ اللهُ ما لم يكنْ يعلم، فليتصدق على غيره بالكتابة ﴿**وَلْيُمْلِلِ الذي عليه الحقُّ**﴾ المَدِين على الكاتب ما في ذمته من الدَّين ﴿**وليتَّقِ اللهَ ربَّهُ**﴾ في ذلك ﴿**ولا يبخسْ منه شيئاً**﴾ لا يكتم منه شيئاً ﴿**فإنْ كان الذي عليه الحقُّ سفيهاً**﴾ محجُوراً عليه بتبذيره ونحوه ﴿**أو ضعيفاً**﴾ صغيراً أو مجنوناً ﴿**أو لا يستطيع أن يُملَّ هو**﴾ إمّا لِعِيّ أو جهلٍ ﴿**فليُملِلْ وَلِيُّهُ بالعدل**﴾. ﴿**واستشهدوا شهيدَيْنِ مِن رِجالِكم**﴾ أمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة ﴿**فإن لم يكونا رجلَيْنِ فرجلٌ وامرأتان**﴾، وهذا إنّما يكون في الأموال [أمّا الإشهاد في النكاح فرجلان]، ﴿**مِمّنْ ترضَوْنَ مِنَ الشهداء**﴾، فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود. ﴿**أن تضِلَّ إحْدَاهُما**﴾ يعني إحدى المرأتين إذا نسيتِ الشهادةَ ﴿**فتُذكِّرَ إحداهما الأخرى**﴾. ﴿**ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعُوا**﴾ إذا دُعوا للتحمّل، فعليهم الإجابة، [وكذا] للأداء. ﴿**ولا تسأمُوا أن تكتبُوهُ صغيراً أو كبيراً إلى أجله**﴾ هذا من تمام الإرشاد، وهو الأمر بكتابة الحق صغيراً كان او كبيراً، ولا تسأمُوا؛ أي: لا تملُّوا أن تكتبُوا الحقَّ. ﴿**ذلكم أقسطُ عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا**﴾ هذا الذي أمرناكم به من الكتابة أعدل عند الله، وأثبت للشاهد، فإنه إذا رأى خطه تذكر به الشهادة لاحتمال أن ينساه لو لم يكتبه. ﴿**وأدنى ألا ترتابُوا**﴾ وأقرب إلى عدم الريبة، بل ترجعون عند التنازع إلى الكتاب فيفصل بينكم بلا ريبةٍ. ﴿**إلّا أن تكون تجارةً حاضرةً تديرونها بينكم فليس عليكم جُناح ألّا تكتبُوها**﴾ إذا كان البيع بالحاضر يَدَاً بيدٍ فلا بأس بعدم الكتابة ﴿**وأشهدوا إذا تبايعتُم**﴾ على كل حال ﴿**ولا يُضارّ كاتِبٌ ولا شهيدٌ**﴾، [أي: بإيذائهما بالقول أو بالفعل]، ﴿**وإن تفعلوا فإنّه فُسُوقٌ بكم**﴾ خالفتم ما أمرتم به وفعلتُم ما نُهيتُم عنه ﴿**واتقُوا اللهَ**﴾ خافُوهُ وراقبُوهُ واتّبعُوا أمره ﴿**ويُعلّمكم اللهُ**﴾، [وعدٌ من الله تعالى بأنّ من اتقاهُ علّمه؛ أي: يجعل في قلبه نوراً يفهمُ بهِ ما يُلقَى إليه]، ﴿**والله بكلِّ شيءٍ عليمٌ**﴾ هو سبحانه عالمٌ بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها، فلا يخفى عليه شيءٌ سبحانه وتعالى.

الآية: ٢٨٢ روى البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أخذَ أموالَ النّاسِ يُرِيد أداءَها أدّى اللهُ عنه، ومَنْ أخذَ أموالَ النّاسِ يرُيد إتلافَها [أي عدم ردّها] أتلفَهُ اللهُ» وروى أحمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنّها كانت تَدَايَنُ، فقيلَ لها: مالَكِ وللدَّين؟ ولَكِ عنه مَنْدُوحَةٌ [أي خلاص ومهرب] قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مِنْ عبدٍ كانت له نيّةٌ في أداءِ دَيْنِهِ إلّا كان له مِنَ اللهِ عونٌ» فأنا ألتمسُ ذلكَ العون. وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن عمران بن حُصين قال: كانت ميمونة [أم المؤمنين] رضي الله عنها تَدَّان فتُكثِرُ، فقال لها أهلها في ذلك، ولاَمُوها، ووجدوا عليها [أي غضبوا منها] فقالت: لاأترك الدَّينَ، وقد سمعتُ خليلي وصفيّي ﷺ يقول: «مامِنْ أحدٍ يَدَّانُ ديناراً يعلمُ اللهُ أنّه يُريد قضاءَهُ إلّا أدّاهُ اللهُ عنه في الدنيا»!! /الترغيب ج٢/٥٩٧–٢٩٨/.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٣: **﴿وإن كنتم على سفرٍ﴾** وتداينتم إلى أجلٍ مُسمّى **﴿ولم تجدُوا كاتباً﴾** يكتب لكم أو لم تجدوا قرطاساً أو قلماً **﴿فرهَانٌ﴾** رهنٌ **﴿مقبوضة﴾** بدل الكتابة في يد صاحب الحق **﴿فإنْ أمِنَ بعضُكم بعضاً فليؤدِّ الذي ائتُمِنَ أمانتَهُ وليتّقِ اللهَ ربَّه﴾** المؤتَمن. روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «على اليَدِ ما أخذتْ حتى تؤدّيَهُ». **﴿ولا تكتمُوا الشهادَةَ﴾** تُخفوها ولا تُظهروها. قال ابن عباس: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتمانُها كذلك، ولهذا قال سبحانه: **﴿ومَنْ يكتمْها فإنّه آثمٌ قلبُه﴾** فاجرٌ قلبه **﴿والله بما تعملون عليم﴾** **٢٨٤**: يخبر تعالى أنّ له مُلْكَ السمواتِ والأرض وما فيهنّ وأنّه المطّلع على ما فيهنّ، لا تخفَى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر. وأخبر سبحانه أنّه سيُحاسبُ عبادَه على ما فعلوهُ وما أخفَوهُ في صدورهم **﴿فيغفرُ لمن يشاءُ ويُعذِّبُ مَن يشاءُ واللهُ على كلِّ شيءٍ قدير﴾** **٢٨٥**: لما أنزل الله قوله: **﴿وإن تُبْدُوا ما في أنفسكم أو تُخفُوه يحاسبْكم بهِ الله فيغفرُ لمن يشاءُ ويُعذّبُ من يشاء واللهعلى كل شيءٍ قدير﴾** اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتَوْا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جَثَوْا على الركب وقالوا: يا رسول الله كُلّفنا من الأعمال ما نُطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتُريدُون أن تقولوا كما قال أهلُ الكتابَين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير»، فلما أقرّ بها القوم وذلّت بها ألسنتُهم أنزل اللهُ في أثرها: **﴿آمَنَ الرسولُ بما أُنزلَ إليه من ربِّه والمؤمنون كلٌّ آمَنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نُفرِّقُ بين أحدٍ من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانَكَ ربَّنا وإليك المصير﴾**، فلمّا فعلوا ذلك نسخها اللهُ فأنزل الله: **٢٨٦**: **﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا وُسْعَها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾** إلى آخره. رواه مسلم. قال ابن عباس: كانت هذه الوسوسة مِمّا لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلى أن قضى الله عزّ وجلّ أنّ للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله: إذا هَمَّ عبدي بسيئةٍ فلا تكتبُوها عليه، فإن عملها فاكتبُوها سيئةً، وإذا هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملها فاكتبُوها حسنةً، فإن عملها فاكتبوها عشراً». رواه مسلم. **﴿لها ما كسبت﴾** من خير **﴿وعليها ما اكتسبت﴾** من شرّ، ثم قال تعالى مرشداً عباده إلى سؤاله، وقد تكفّل لهم بالإجابة، علّمهم أن يقولوا: **﴿ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا﴾** إن تركنا فرضاً على جهة النسيان، **﴿أو أخطأنا﴾** أو فعلنا حراماً أو أخطأنا في العمل جهلاً منّا. **﴿ربَّنا ولا تحملْ علينا إصراً﴾** لا تكلفنا من الأعمال الشاقة **﴿كما حملتَهُ على الذين من قبلنا﴾** من الأغلال والآصار **﴿ربَّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾** من التكليف والمصائب والبلاء، **﴿واعْفُ عنّا﴾** مما تعلمه من تقصيرنا وزَلَلِنا **﴿واغفر لنا﴾** مَساوينا **﴿وارحمنا أنتَ مَوْلانا﴾** أنتَ وَلِيُّنا وناصرنا وعليك توكلنا **﴿فانْصُرْنا على القومِ الكافرين﴾**، قال: آمين.

الآية: ٢٨٦ قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعطَها نبيٌّ قبلي». رواه أحمد بإسناد صحيح /مجمع الزوائد ج٦/٣٢٤.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

سورة آل عمران

وهي مدنية. نزلت [ثمانون آية من أولها] في وفد [نصارى] نجران **١-٢**: **﴿الٓمٓ. الله لا إلهَ إلّا هو الحيُّ القيوم﴾**، تقدّم الكلام على قوله تعالى **﴿الٓمٓ﴾** في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وتقدّم الكلام على قوله تعالى: **﴿الله لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيوم﴾** في تفسير آية الكرسي **٣**: **﴿نزّلَ عليك الكتاب بالحق﴾** نزّل عليك القرآن يا محمد بالحق، أي: لا شكَّ فيه ولا ريب بل هو منزل من عند الله **﴿مصدِّقاً لما بينَ يديه﴾** من الكتب قبله في قديم الزمان **﴿وأنزلَ التوراةَ﴾** على موسى **﴿والإنجيل﴾** على عيسى **٤**: **﴿مِن قبلُ﴾** من قبل هذا القرآن **﴿هدىً للناس﴾** في زمانهما **﴿وأنزلَ الفرقانَ﴾** وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل، وهو القرآن، **﴿إنّ الذين كفرُوا بآياتِ الله﴾** أنكروها وردُّوها بالباطل **﴿لهم عذابٌ شديدٌ﴾** يوم القيامة **﴿والله عزيزٌ﴾** منيعُ الجانب عظيم السلطان **﴿ذُوا انتقام﴾** ممّن كذّبَ بآياته **٥**: يُخبر تعالى أنّه يعلم غيبَ السمواتِ والأرضِ لا يخفى عليه شيء من ذلك **٦**: **﴿هو الذي يُصوِّرُكم في الأرحامِ كيفَ يشاءُ﴾** يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى، وحسنٍ وقبيح، وشقي وسعيد **﴿لا إلهَ إلّا هو العزيزُ الحكيمُ﴾** هو الذي خلق وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له، وله العِزّة التي لا ترام، وفي هذه الآية تعريض بل تصريح بأنّ عيسى عبدٌ مخلوق كسائر البشر **٧**: يخبر تعالى أن في القرآن آياتٌ محكمات هُنّ أمُّ الكتاب؛ أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آياتٌ أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس؛ فمن ردَّ ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكمَ محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومَن عكس انعكس. **﴿فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ﴾** ضلال **﴿فيتّبِعُون ما تشابه منه﴾** ليحرّفوه إلى مقاصدهم **﴿ابتغاء الفتنة﴾** الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنّهم يحتجُّون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجّةٌ عليهم لا لهم، **﴿وابتغاء تأويله﴾** تحريفه على ما يُريدون. وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقال «إذا رأيتم الذين يجادلُون فيه فهم الذين عنَى اللهُ، فاحذرُوهم». رواه ابن حبان في صحيحه. **﴿وما يعلمُ تأويلَهُ إلا الله﴾**، [قال الخطابي: قد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به: محكماً ومتشابهاً، فأعْلَمَ أنّ المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحدٌ غيره، ثم أثنى الله عزّ وجلّ على الراسخين في العلم بأنّهم يقولون آمنّا به]، وفي الحديث: «وما تشابه منه فآمنوا به». **﴿والراسخون في العلم يقولون آمنّا بهِ كلٌّ من عندِ ربِّنا، وما يذكّرُ إلا أولُوا الألباب﴾**، ثم قال تعالى مخبراً عنهم أنّهم دَعَوْا ربّهم قائلين: **٨**: **﴿ربّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذْ هديتنا﴾** لا تُملْها عن الصراط المستقيم **﴿وهبْ لنا من لَدُنكَ رحمةً﴾** تثبّتُ بها قلوبنا وتزيدُنا بها إيماناً وإيقاناً **﴿إنك أنت الوهاب﴾**، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يا مُقلّبَ القلوب ثبتْ قلبي على-دينك»، ثم يقرأ هذه الآية **٩**: **﴿ربّنا إنك جامعُ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه﴾** يقولون في دعائهم: إنّك يا ربّنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم، **﴿إنّ الله لا يُخلفُ الميعاد﴾**.

الآية: ٧ روى البخاري قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتَ الذين يتبعون ما تشابهَ منه، فأولئك الذين سمّى اللهُ فاحذرْهم». /فتح الباري ج٨/٢٠٩/.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

الحزب ٦

١٠: ﴿إنّ الذين كفروا لن تُغنيَ عنهم أموالُهم ولا أولادُهم من الله شيئاً وأولئك هم وَقُودُ النار﴾ يُخبر تعالى عن الكفار بأنّهم وَقود النار، وليس ما أتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله **١١: ﴿كَدَأْبِ آلِ فرعون﴾** كصنيع آل فرعون **﴿والذين من قبلهم كذّبوا بآياتنا فأخذهم اللهُ بذنوبهم واللهُ شديدُ العقاب﴾** شديد الأخذ لا يمتنع منه أحدٌ ولا يفوته شيء **١٢: ﴿قلْ﴾** يا محمد **﴿للذين كفرُوا ستغلَبُون﴾** في الدنيا **﴿وتُحشرون﴾** يوم القيامة **﴿إلى جهنّم وبئس المِهاد﴾**، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لّما أصاب من أهل بدرٍ ما أصاب، جمع اليهود وقال: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يُصيبكم اللهُ بما أصاب قريشاً»، فقالوا: يا محمد لا يغرنّك من نفسك أنّك قتلتَ نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك واللهِ لو قاتلتنا لعرفتَ أنّا نحن الناس، وإنك لم تلقَ مثلنا، فأنزل الله في ذلك من قولهم [هذه الآية] **١٣: ﴿قد كان لكم﴾** أيها اليهود القائلون ما قلتم **﴿آية﴾** على أنّ الله ناصر رسولَهُ ومُظهر كلمتَه **﴿في فئتين الْتقَتَا﴾** للقتال **﴿فئةٌ تُقاتل في سبيل الله﴾** [وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]، **﴿وأخرى كافرةٌ﴾** وهم مشركو قريش يوم بدر **﴿يرونهم مِثْلَيْهم رَأْيَ العين﴾** يرى المشركون يوم بدر أنّ المسلمين مثليهم في العدد، **﴿واللهُ يُؤيّدُ بنصرهِ من يشاء، إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾**، ليهتدي به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين **١٤: يُخبر تعالى عمّا زُيّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ** بالنساء لأنّ الفتنة بهنّ أشد، كما ثبت في الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال مِنَ النساء». **﴿والخيل المسوّمة﴾** المرعية المهطّمة. **﴿والقناطير المقنطرة﴾** القنطار: ألفا أوقية. **﴿والأنعام﴾** الإبل والبقر والغنم. **﴿والحَرْث﴾** الأرض المتخذة للغراس والزراعة. **﴿ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا﴾** إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة **﴿واللهُ عندَهُ حُسْنُ المآب﴾** حُسْنُ المرجع والثواب **١٥: ﴿قلْ﴾** يا محمد للناس **﴿أؤنبّئكم بخيرٍ من ذلكم﴾** أأخبركم بخيرٍ مِمّا زيّن للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها؟ **﴿للذين اتقوا عندَ ربّهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾** أبدَ الآبدين **﴿وأزواجٌ مطهرة﴾** من الدنس والأذى **﴿ورضوانٌ مِنَ اللهِ﴾** أكبرُ وأعظم ممّا أعطاهم من النعيم المقيم، **﴿واللهُ بصيرٌ بالعباد﴾**، يُعطي كلاً بحسب ما يستحقه من العطاء.

الآية ١٤: في النساء فتنتان، وفي الأولاد فتنة واحدة. فأمّا اللتان في النساء: فإحداهما أن تؤدّي إلى قطع الرحم؛ لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات. والثانية: يُبتلى بجمع المال من الحلال والحرام.

وأما البنون: فإن الفتنة فيهم واحدة، وهو أنّ ماابْتُلي بجمع المال لأجلهم.

فعلى المسلم أن يختار الزوجة الصالحة التي تعينه على طاعة الله تعالى وعلى صلة الرحم، قال رسول الله ﷺ: «عليكَ بذاتِ الدِّين ترِبَتْ يَدَاك» أخرجه مسلم. /القرطبي ج٤/٢٩/.

الآية: ١٥ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ألَا أدلّكم على مايكفِّرُ اللهُ به من الخطايا ويزيد في الحسنات؟ إسباغُ الوضوء على المكروهات، وكثرةُ الخُطَا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ» رواه ابن ماجه /صحيح الجامع الصغير ج١/٥١١/.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

١٦: يصف تعالى عبادَه المتقين الذين وعدَهم الثوابَ الجزيل فقال تعالى: ﴿**الذين يقولون ربَّنا إنّنا آمنّا**﴾ بكَ وبكتابكَ وبرسولكَ ﴿**فاغفرْ لنا ذنوبَنا**﴾ بإيمانِنا بكَ بفضلكَ ورحمتك ﴿**وقِنا عذابَ النار**﴾ **١٧**: ﴿**الصابرين**﴾ في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرّمات ﴿**والصادقين**﴾ فيما أخبروا به من إيمانهم ﴿**والقانتين**﴾، القنوتُ: الطاعة والخضوع ﴿**والمنفقين**﴾ من أموالهم في الطاعات وصلة الأرحام ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾، دلَّ على فضيلة الاستغفار وقت السحر **١٨**: ﴿**شهِدَ اللهُ**﴾ وكفى به شهيداً وهو أصدق الشاهدين والقائلين ﴿**أنّه لا إلَهَ إلّا هو**﴾ المنفرد بالإلهيّة لجميع الخلائق؛ ثم قرنَ شهادةَ ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿**شهِدَ اللهُ أنّهُ لا إلَهَ إلا هو والملائكةُ وأولوا العلم**﴾، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام ﴿**قائماً بالقسط**﴾ منصوبٌ على الحال، وهو في جميع الأحوال كذلك، ﴿**لا إلهَ إلّا هو**﴾ تأكيدٌ لما سَبَق ﴿**العزيز الحكيم**﴾ العزيزُ الذي لا يُرام جنابُهُ عظمةً وكبرياءً، الحكيمُ في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره. [وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ هذه الآية قال]: «وأنا على ذلك من الشاهدين يا ربّ». وأنا أشهدُ بما شهِدَ اللهُ بهِ وأستودع اللهَ هذه الشهادة، وهي لي عنده وديعة **١٩**: ﴿**إنّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلام**﴾ إخبار منه تعالى بأنّه لا دِينَ عندَهُ يقبله من أحدٍ سوى الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ومَن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ﴿**وما اختلفَ الذين أوتُوا الكتابَ إلا من بعدِ ما جاءَهم العلمُ بغياً بينهم**﴾ بغَى بعضُهم على بعض، فاختلفُوا في الحقّ لتحاسدهم وتباغضهم ﴿**ومَنْ يكفُرْ بآياتِ اللهِ فإنّ اللهَ سريعُ الحساب**﴾ من جَحَدَ ما أنزل الله في كتابه، فإنّ الله سيجازيه على تكذيبه ومخالفته كتابه **٢٠**: ﴿**فإنْ حاجُّوكَ**﴾ في التوحيد ﴿**فقُلْ أسلمتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَن اتّبعن**﴾ فقلْ أخلصتُ عبادتي لله وحده، ومَن هو على ديني يقول كمقالتي. ثم قال تعالى آمراً رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو إلى دينه أهلَ الكتابَين والمشركين فقال تعالى: ﴿**قُلْ للذين أوتوا الكتابَ والأميين**﴾، [وهم مشركو العرب] ﴿**أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولَّوْا فإنّما عليك البلاغ**﴾ واللهُ عليه حسابُهم وإليه مرجعُهم ﴿**واللهُ بصيرٌ بالعباد**﴾ **٢١**: هذا ذمٌّ من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبُوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديماً وحديثاً، ومع هذا قتلوا مَن قتلوا من النبيين حينَ بلَّغُوهم شرعه بغير سبب إلّا لكونهم دعوهم إلى الحق. ﴿**ويقتلون الذين يأمرون بالقِسْط من الناس**﴾ وهذا غاية الكِبْر، ولهذا قابلهم الله على ذلك بالعذاب في الآخرة فقال: ﴿**فبشرهم**﴾ [أي: أخبرهم] ﴿**بعذابٍ أليم**﴾ **٢٢**: ﴿**أولئك الذين حَبِطَتْ أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين**﴾.

الآية ٢١: روى ابن أبي حاتم: قال أبو عُبيدة: يارسول الله أيُّ الناس أشدُّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجلٌ قتلَ نبيّاً، أو مَنْ أمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر». /تفسير ابن كثير ج١/٣٥٤.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ
فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ
مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٣: يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى المتمسّكين فيما يزعمون بكتابَيهم التوراة والإنجيل [بأنهم] إذا دُعُوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم تولّوا وهم معرضون؟! وهذا في غاية ما يكون من ذمّهم **٢٤**: ﴿**ذلك**﴾ إنّما حملهم على مخالفة الحق ﴿**بأنهم قالوا لن تمسّنا النارُ إلا أياماً معدودات، وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون**﴾ ثبّتهم على دينهم الباطل ما خدعُوا أنفسهم من زعمهم [الكاذب] **٢٥**: قال تعالى مُهدّداً لهم ومتوعداً: ﴿**فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريبَ فيه**﴾ كيف يكون حالهم؟ وقد افتروا على الله وكذبوا؟! أي: لا شك في وقوعه، ﴿**ووُفيتْ كلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظلمون**﴾ **٢٦**: يقول تعالى يا محمد ﴿**قل اللهمَّ مالكَ المُلْكِ**﴾ لك المُلْكُ كلُّه ﴿**تُؤتي المُلْكَ من تشاءُ وتنزعُ المُلكَ ممّن تشاءُ**﴾ أنتَ المعطي وأنتَ المانع ﴿**و**﴾ أنت الذي ﴿**تُعزُّ مَن تشاءُ وتذلُّ من تشاء**﴾ فما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن. وفي هذه الآية تنبيه أنّ الله تعالى حوّل النبوّة من بني إسرائيل إلى النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**إنك على كل شيء قدير**﴾ **٢٧**: ﴿**تُولِجُ الليلَ في النهار وتُولِجُ النهارَ في الليل**﴾، تأخذ من طول هذا فتزيده في قِصَرِ هذا فيعتدلان، ثم تأخذ من هذا في هذا، وهكذا في فصول السنة. ﴿**وتُخرِجُ الحيَّ من الميّتِ وتُخرجُ الميّتَ من الحيّ**﴾ تخرج الزرعَ من الحبّ، والحبَّ من الزرع، والمؤمنَ مِنَ الكافر والكافرَ من المؤمن، ﴿**وترزق من تشاءُ بغير حساب**﴾ تعطي مَن شئتَ من المال ما لا يعدّه ولا يقدر على إحصائه، وتُقتّر على آخرين لما لكَ في ذلك من الحكمة **٢٨**: نهى الله تعالى عبادَهُ المؤمنين أن يُوالُوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يُسِرُّون إليهم بالمودّةِ من دُون المؤمنين، ثم توعّد على ذلك فقال: ﴿**ومن يفعلْ ذلك فليس مِنَ اللهِ في شيءٍ**﴾ مَنْ يرتكبْ نهيَ اللهِ فقد برىء من الله، ﴿**إلا أن تتقوا منهم تُقاةً**﴾ من خاف من شرّهم فله أن يتقيهم بظاهِره لا بباطنه ونيّته. كما قال أبو الدرداء: إنّا لنكشّر في وجوه أقوامٍ وقلوبُنا تلعنهم. ﴿**ويحذّرُكم اللهُ نفسَه**﴾ يحذّركم نقمتَهُ وعذابَهُ، لمن وَالَى أعداءَه ﴿**وإلى الله المصير**﴾ المرجع والمنقلب **٢٩**: يُخبر تعالى عبادَه أنّه يعلم السرائر والظواهر لا يخفى عليه منهم خافية، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان، لا يغيب عنه مثقال ذرّة في جميع أقطار السموات والأرض. ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ قدرته نافذة في جميع أمورهم.

الآية ٢٨: قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية في جدّة الإسلام قبل قوّة المسلمين؛ فأمّا اليوم فقد أعزّ اللهُ الإسلامَ أن يتّقُوا من عدوّهم.

وقال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، ولايَقتُلْ ولايأتي مَأثَماً.

وإنّ المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار فله أن يُداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان. والتَّقِيَة لاتحِل إلاّ مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم. /القرطبي ج٤/٥٧/.

هذا بالنسبة إلى التقية، أمّا بالنسبة إلى الموالاة فقد حرّم الله تعالى موالاة الكفار أشدّ التحريم، فقال سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياءَ تُلقُونَ إليهم بالمودّة – إلى أن قال – ومن يفعَلْه منكم فقد ضلَّ سواءَ السبيل﴾ [سورة الممتحنة/١] وقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياءَ من دونِ المؤمنين، أتريدُون أن تجعلوا للهِ عليكم سلطاناً مبيناً﴾ [سورة النساء/١٤٤] وقال سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا لاتتخذُوا اليهودَ والنّصارى أولياءَ بعضُهم أولياءُ بعضٍ، ومَن يتولّهم منكم فإنّه منهم﴾ [سورة المائدة/٥١].

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

الحزب ٦

٣٠: ﴿يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملتْ من خيرٍ محضراً﴾ يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خيرٍ وشرٍّ كما قال تعالى: ﴿يُنبَّأُ الإنسان يومئذٍ بما قدّم وأخر﴾؛ فما رأى من أعماله حسناً سرّه ذلك، **﴿وما عمِلتْ من سُوءٍ﴾** من قبيح **﴿تَوَدُّ لو أنّ بينَها و بينَهُ أمداً بعيداً﴾** كما يقول لشيطانه: ﴿يا ليتَ بيني وبينَكَ بُعْدَ المشرقين﴾، ثم قال تعالى مؤكداً ومهدّداً ومتوعداً: **﴿ويُحذِّرُكُم اللهُ نفسَهُ﴾** يُخوّفكم عقابَهُ، ثم قال تعالى لعباده لئلا ييئسُوا من رحمته **﴿واللهُ رؤوفٌ بالعباد﴾** ومن رأفته بهم حذّرهم نفسَه أي: هو رحيم بخلقه يحبهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم **٣١:** هذه الآية الكريمة حاكمة على كلِّ من ادّعى محبّـةَ الله، وليس هو على الطريقة المحمّديّة؛ فإنّه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، ولهذا قال تعالى: **﴿إن كنتم تُحبُّون اللهَ فاتّبِعُوني يحببكُم اللهُ﴾** يحصل لكم ما طلبتم من محبتكم إيّاه ومحبته إيّاكم **﴿ويغفرْ لكم ذنوبَكم﴾** باتباعكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم **﴿واللهُ غفورٌ رحيم﴾ ٣٢: ﴿قُلْ أطيعوا اللهَ والرسولَ فإن تولَّوْا﴾** تخالفُوا عن أمره **﴿فإنّ اللهَ لا يُحبُّ الكافرين﴾**؛ فدلّ على أن مخالفته في الطريقة كفرٌ، واللهُ لا يُحبّ من اتصف بذلك **٣٣:** يُخبر تعالى أنّه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدمَ [فجعله نبياً]، واصطفى نوحاً، فجعله أوّلَ رسول بعثه إلى أهل الأرض، واصطفى آلَ إبراهيم، ومنهم سيّد البشر خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿وآلَ عمران﴾**، والمراد بعمران هذا هو والد مريم أم عيسى **٣٤: ﴿ذُرِّيَّةً بعضُها من بعضٍ واللهُ سميعٌ عليم﴾**، [أي: اصطفى ذريّةً بعضها من بعض؛ يعني: في التناصر في الدِّين **٣٥: ﴿إذْ قالتِ امرأةُ عمران﴾** أمّ مريم **﴿إني نَذَرْتُ لك ما في بطني مُحرّراً﴾** خالصاً مفرّغاً للعبادة، **﴿إنكَ أنتَ السميعُ العليم﴾** السميع لدعائي العليم بنيّتي **٣٦: ﴿فلمّا وضعتْها قالتْ ربِّ إني وضعتُها أنثى﴾**؟! **﴿واللهُ أعلمُ بما وضعتْ﴾**! **﴿وليسَ الذكرُ كالأنثى﴾** في القوّة والجلد في العبادة وخدمة بيت المقدس. **﴿وإنّي سميْتُها مريمَ وإني أُعيذُها بكَ وذرّيتَها من الشيطان الرجيم﴾** عوّذتُهابالله عزّ وجلّ من شرّ الشيطان **٣٧:** يُخبر ربُّنا تعالى أنّه تقبلها من أُمّها نذيرةً، وأنه أنبتها نباتاً حسناً؛ أي: جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، وقرنها بالصالحين من عباده، تتعلّم منهم العلم والخير، **﴿وكفّلها زكريا﴾** عليه السلام وهو زوج أختها، وفي الصحيح: «يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة». ثم أخبر تعالى عن سيادتها في محل عبادتها فقال تعالى: **﴿كلّما دخل عليها زكريا المحرابَ﴾** [وهو أكرم موضع في المجلس] **﴿وجدَ عندها رِزْقاً﴾** علماً، وفاكهةً، **﴿قالَ يا مريمُ أنّى لكِ هذا﴾**؟ **﴿قالتْ هو من عندِ اللهِ إنّ اللهَ يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حساب﴾**.

الآية ٣١: محبة المؤمن للهِ ورسولهِ طاعتُهُ لهما واتباعُهُ أمرَهُما. وعلامةُ حُبِّ الله؛ حُبُّ القرآن، وعلامةُ حُبِّ النبي ﷺ؛ حُبُّ سنّتِهِ. ومحبة الله تعالى للمؤمن إنعامه عليه بالغفران والرحمة والرضوان.

الآية ٣٥: قال رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خُويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون». رواه الترمذي وصححه. /تفسير ابن كثير ج١/٣٦٢.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ
طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ
يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ
ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر
رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذۡ قَالَتِ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي
وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ
إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ
مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ
عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨: لمّا رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم فاكهة الشتاء في الصيف، طمع حينئذٍ في الولد، وإن كان شيخاً كبيراً، وكانت امرأته كبيرةً عاقراً، ﴿**قال ربِّ هَبْ لي من لدنكَ**﴾ من عندك ﴿**ذرِّيَّةً طيبةً**﴾ ولداً صالحاً ﴿**إنّك سميعُ الدعاء**﴾ **٣٩**: ﴿**فنادتْهُ الملائكةُ**﴾ خاطبته شفاهاً ﴿**وهو قائمٌ يصلي في المحرابِ أن الله يبشِّـرُك بيحيى مُصدِّقاً بكلمةٍ من الله**﴾ بعيسى بن مريم ﴿**وسيّداً**﴾ في العلم والعبادة ﴿**وحَصُوراً**﴾ لا يأتي النساء ﴿**ونبياً من الصالحين**﴾ **٤٠**: ﴿**قالَ ربِّ أنّى يكونُ لي غلام**﴾ [أي: كيف]، ﴿**وقد بلغني الكِبَـرُ وامرأتي عـاقِرٌ**﴾؟ [أي: لا تلد]، ﴿**قال**﴾ المَلَكُ ﴿**كذلكَ اللهُ يفعلُ ما يشاءُ**﴾ لا يعجزه شيءٌ **٤١**: ﴿**قال ربِّ اجعلْ لي آيةً**﴾ علامةً أستدلّ بها على وجود الولد مني، ﴿**قالَ آيتُكَ ألا تكلّم الناسَ ثلاثةَ أيّام إلا رَمْزاً**﴾ إشـارة لا تستطيع النطق، مع أنك سويّ صحيح. ثم أُمِرَ بكثرة الذكر والتسبيح في هذه الحال؛ ﴿**واذكرِ ربَّك كثيراً وسبِّحْ بالعَشِيّ والإبكار**﴾ **٤٢**: هذا إخبارٌ من اللهتعالى بما خاطبتْ به الملائكةُ مريم عليها السلام، عن أمر الله لهم بذلك: ﴿**إنّ الله اصطفـاكِ**﴾ اختـارها لشرفها وطهارتها، واصطفاها ثانياً مرّةً بعد مرّة؛ لجلالتها، على نساء العالمين **٤٣**: ثم أخبرَ تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والدأب في العمل لما يُريد الله بها من الأمر الذي قدّره وقضاه، مما فيه محنة لها ورفعة في الدارَين، بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولداً من غير أب ﴿**يا مريمُ اقْنُتي لربِّكِ**﴾ القنوت: الطاعة والخشوع ﴿**واسجدي واركعي مع الراكعين**﴾ **٤٤**: ﴿**ذلكَ مِن أنباءِ الغيبِ نُوحيه إليك**﴾ نقصُّهُ عليك ﴿**وما كنتَ**﴾ يا محمد ﴿**لديهم**﴾ عندهم ﴿**إذْ يُلقُون أقلامَهم**﴾ حين اقْترعُوا في شأن مريم ﴿**أيُّهم يكفلُ مريمَ، وما كنتَ لديهم إذْ يختصِمُون**﴾ **٤٥**: هذه بشارةٌ من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سَيُوجَدُ منها ولدٌ عظيم له شأنٌ كبير، قال الله تعالى: ﴿**إذْ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنّ الله يُبشِّرُكِ بكلمةٍ منه**﴾ بوجود ولد يكون بكلمة من الله؛ أي: يقول له: كُنْ فيكُون ﴿**اسمُهُ المسيحُ عِيسى ابنُ مريمَ وجيهاً في الدنيا**﴾ له مكانة عند الله في الدنيا بما يُوحيه إليه من الكتاب ﴿**والآخرة**﴾ فيشفع عند الله ﴿**ومِنَ المقرّبين**﴾.

الآية ٣٨ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مّما نزلَ ومّما لم ينزلْ، فعليكم عبادَ الله بالدعاء»، وعن النعمان بن بشير والبراء بن عازب قالا: قال رسول الله ﷺ: «الدعاءُ هو العبادةُ». صحيح الجامع الصغير ج١/٦٤١/.

الآية ٣٨: قال الإمام القرطبي: دلّت هذه الآية على طلب الولد، وهي من سُنّة المرسلين والصدّيقين، قال الله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذُرّيّة﴾. وخرّج ابن ماجه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنّتي فليس مني، وتزوّجوا فإنّي مكاثرٌ بكم الأمم، ومَنْ كان ذا طَوْلٍ فلينكِحْ، ومَنْ لم يجدْ فعليه بالصوم، فإنّه له وِجاء». وقال ﷺ: «تزوّجوا الوَلُودَ الوَدودَ، فإنّي مكاثرٌ بكم الأمم» أخرجه أبو داود. والأخبار في هذا المعنى كثيرة تحثّ على طلب الولد وتندب إليه، لما يرجوه الإنسان من نفعه في حياته وبعد موته، قال رسول الله ﷺ: «إذا ماتَ أحدُكم انقطعَ عمله إلاّ من ثلاث»، فذكرَ: «أو ولد صالح يدعو له» /القرطبي ج٤/٧٢-٧٣/.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦: ﴿**ويُكلّم الناسَ في المهدِ**﴾ يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صِغَرِهِ، معجزةً وآيةً ﴿**وكهلاً**﴾ وفي حال كهولته حين يُوحي اللهُ إليه ﴿**ومِنَ الصالحين**﴾ في قوله وعمله، له علمٌ صحيح وعمل صالح ٤٧: فلما سمعتْ بشارةَ الملائكة ﴿**قالتْ ربِّ أنَّى يكون لي ولدٌ ولم يَمْسَسْني بشرٌ**﴾ كيف يكون هذا الولد وأنا لستُ بذات زوجٍ ولا مِن عزمي أن أتزوّج، فقال لها المَلَكُ عن الله: ﴿**كذلكِ اللهُ يخلقُ ما يشاءُ**﴾!؟ هكذا أمرُ اللهِ عظيمٌ لا يُعجزهُ شيءٌ، وأكّدَ ذلك بقوله: ﴿**إذا قضَى أمْراً فإنما يقولُ له كُنْ فيكون**﴾ فلا يتأخر، بل يُوجد بلا مُهلة، كقوله تعالى: ﴿وما أمرُنا إلا واحدةً كلمح البصر﴾ ٤٨: هذا من تمام البشارة أنّ الله تعالى يُعلّمه التوراة والإنجيل. والكتاب: [الكتابة والخط] ٤٩: ﴿**ورسولاً إلى بني إسرائيل**﴾ قائلاً لهم ﴿**أنّي قد جئتكم بآيةٍ من ربّكم أني أخلقُ لكم مِنَ الطينِ كهيئةِ الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله**﴾ وهذا معجزة له تدلّ على أنّه أرسله الله تعالى، ﴿**وأبرىء الأكْمَهَ**﴾ [الذي يُولد أعمى]، ﴿**والأبرصَ وأحيي الموتى بإذن الله**﴾ هذه معجزات بهرت الأبصار، في زمن الأطباء وعلم الطبيعة، فجاءَهم من الآيات بما لا سبيل لأحدٍ إليه، إلا ان يكون مؤيّداً [من اللهتعالى]، ﴿**وأنبّئكم بما تأكلون**﴾ الآن ﴿**وما تدّخرون في بيوتكم**﴾ لغدٍ ﴿**إن في ذلك لآيةً لكم**﴾ على صدق ما جئتكم به ﴿**إن كنتُم مؤمنين**﴾ ٥٠: ﴿**ومُصدّقاً لما بينَ يديَّ**﴾ [أي: لما قبلي] ﴿**من التوراة**﴾، مقراً بها ومُثبتاً لها، ﴿**ولأحِلَّ لكم بعضَ الذي حُرِّمَ عليكم**﴾ فيه دلالة على أن عيسى نسخ بعض شريعة التوراة، ﴿**وجئتكم بآيةٍ من ربِّكم**﴾ بحجّةٍ على صدقي فيما أقول. ﴿**فاتقُوا الله وأطيعُونِ**﴾ ٥١: ﴿**إنّ الله ربّي وربُّكم فاعبُدُوهُ**﴾ أنا وأنتم سواء في العُبودية له والخضوع والاستكانة إليه، ﴿**هذا صِرَاطٌ مستقيمٌ**﴾ ٥٢: ﴿**فلمّا أحسَّ عيسى منهم**﴾ استشعرَ منهم التصميمَ على ﴿**الكفر**﴾ والاستمرار على الضلال ﴿**قال مَنْ أنصاري إلى الله**﴾ مع الله؟ ﴿**قال الحواريُّون نحنُ أنصارُ الله**﴾ والحواريُّ: الناصرُ. ﴿**آمنّا باللهِ واشهدْ بأنّا مسلِمُون**﴾. وفي الصحيحين أن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم لّما ندبَ الناس يومَ الأحزاب، فانتدب الزبير [أي: أجاب الزبير]، ثم ندَبهم فانتدَبَ الزبير، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلِّ نبيٍّ حَوَاريّ وحواريّ الزبير». رضي الله عنه.

الآية ٤٩: قال كثير من العلماء: بعث الله كلاً نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار، وحيّرت كل سحّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار. وأمّا عيسى عليه السلام فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لاسبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيّداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص؟! وكذلك محمد ﷺ بُعث في زمان الفصحاء، والبلغاء وتجاريد الشعراء؛ فأتاهم بكتاب من عند الله عزّ وجَل، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وماذاك إلاّ أنّ كلام الربّ عز وجل لايشبه كلام الخلق أبداً. /ابن كثير ج١/٣٦٥/.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٣: ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق **٥٤:** ثم قال تعالى مخبراً عن ملأ بني إسرائيل فيما هَمُّوا به من الفتك بعيسى: **﴿ومكروا ومكرَ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين﴾**؛ فرفعه الله إلى السماء وألقى شَبَهَهُ على [من دَلّ عليه]، فأخذوه وأهانوه وصلبوه **٥٥: ﴿إذْ قالَ اللهُ يا عيسى إني مُتوفيكَ ورافِعُكَ إليّ﴾** ليس بوفاة موت؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم إلى قوله– وما قتلوهُ يقيناً بلْ رفعهُ اللهُ إليه﴾، **﴿ومُطَهِّرُكَ من الذين كفروا﴾** برفعي إيّاك إلى السماء، **﴿وجاعِلُ الذين اتّبعُوك فوقَ الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾**، فكان مَن آمنَ به على الوجه الحقّ، هم أتباع كلِّ نبيٍّ على وجه الأرض، فلما بعث اللهُ الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحقّ؛ فكانوا أولى بكل نبيٍّ من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته مِمّا قد حرّفوا وبدّلوا، فلهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقاً سلبوا النصارى –الذين اعتقدوا بألوهية المسيح– بلاد الشام وألجؤوهم إلى الروم، ولا يزال الإسلامُ وأهلُه فوقهم إلى قيام الساعة. **﴿ثم إليّ مرجِعُكم فأحكُمُ بينكم فيما كنتم فيه تختلِفُون﴾ ٥٦: ﴿فأمّا الذين كفروا فأعذِّبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما هم من ناصرين﴾**، وكذلك فعلَ بمن كفرَ بالمسيح من اليهود، أو غلا فيه أو أطره من النصارى؛ عذّبَهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأخذِ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك، وفي الدار الآخرة عذابُهم أشدّ وأشقّ **٥٧: ﴿وأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيُوفّيهم أجورَهم﴾** في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنّات العاليات، **﴿واللهُ لا يُحبُّ الظالمين﴾ ٥٨:** ثم قال تعالى: **﴿ذلك نتلوهُ عليكَ من الآياتِ والذكرِ الحكيم﴾** هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى هو مّما لا مِرية فيه ولا شك، كما قال تعالى: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحقّ الذي فيه يمترون﴾ **٥٩: ﴿إنّ مَثَلَ عيسى عندَ الله﴾** في قدرة الله حيث خلقه من غير أب **﴿كمثلِ آدمَ﴾** حيث **﴿خلقه من تراب﴾** من غير أبٍ ولا أمٍّ **﴿ثم قال له كُنْ فيكُون﴾ ٦٠: ﴿الحقُّ من ربِّكَ فلا تكنْ مِن الممترين﴾** هذا هو القولُ الحقُّ في عيسى الذي لا مَحِيدَ عنه ولا صحيح سواه **٦١:** ثم أمرَ تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم أن يُباهِلَ مَن عاندَ الحقَّ في أمرِ عيسى بعد ظهور البيان فقال تعالى: **﴿فمن حاجّكَ فيه من بعد ما جاءك من العلم فقلْ تعالَوْا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسَنا وأنفسَكم﴾** نحضرهم في حال المباهلة **﴿ثم نبتهِلْ﴾** نلتعِنْ **﴿فنجعلْ لعنةَ اللهِ على الكاذبين﴾** منّا أو منكم. فلما طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصارى نجران إلى المباهلة في أمر عيسى عليه السلام، فأبَوْا أن يُجِيبُوا.

الآية ٦١: قال عبد الله بن عباس: «لو خرج الذين يُباهِلُون رسولَ الله ﷺ لرجَعُوا لايجدون مالاً ولا أهلاً» رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد.

وعن جابر قال: قدم على النبي ﷺ العاقب والطيب [من وفد نصارى نجران] فدعاهما إلى الملاعنة، فوَعدَاه على أن يُلاعِناهُ الغَدَاة، قال: فغَدا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبَيَا أن يجيبَا، وأقرَّا له بالخراج، قال: فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو قال: لا، لأمطر عليهم الوادي ناراً»، قال جابر: وفيهم نزلت: ﴿تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكم..﴾. /ابن كثير ج١/.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢: ثم قال الله تعالى: ﴿**إنّ هذا لهوَ القَصَصُ الحقّ**﴾ في شأن عيسى ﴿**ومَا مِن إلهٍ إلا الله وإنّ الله لهوَ العزيزُ الحكيم**﴾ **٦٣**:: ﴿**فإنْ تَوَلَّوْا**﴾ عن هذا إلى غيره ﴿**فإنّ الله عليمٌ بالمفسدين**﴾ من عدَلَ عن الحق إلى الباطل فهو المفسدُ، والله عليم به وسيجزيه على ذلك شرَّ الجزاء **٦٤**: هذا خطابٌ يعمُّ اليهودَ والنصارى ﴿**قُلْ يا أهلَ الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم**﴾ عدلٍ ﴿**ألا نعبُدَ إلا الله ولا نُشرِكَ بهِ شيئاً**﴾ لا وَثَناً ولا صليباً ولا طاغوتاً، بل نفرد الله بالعبادة وحده لا شريك له ﴿**ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله**﴾ ولا يطيع بعضُنا بعضاً في معصية الله، ﴿**فإنْ تولَّوْا فقُولُوا اشهدُوا بأنّا مسلمون**﴾ [أي: متصفُون بالإسلام] **٦٥**: يُنكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم عليه السلام، ودعوى كل طائفةٍ منهم أنّه كان منهم: ﴿**يا أهلَ الكتابِ لَمَ تحاجُّون في إبراهيم وما أنزلتِ التوراةُ والإنجيلُ إلا مِن بعدِهِ أفلا تعقِلُون**﴾؟! **٦٦**: هذه الآية إنكارٌ على من يُحاجّ فيما لا علم له به؛ ﴿**هاأنتم حاججتم فيما لكم به علم**﴾ [من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنهم كانوا يعلمونه] ﴿**فلِمَ تحاجُّون فيما ليسَ لكم به علم**﴾ أمرهم بردّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، ولهذا قال تعالى: ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ **٦٧**: ﴿**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانيّاً**﴾ كيف تدّعُون أيها اليهود أن إبراهيم كان يهودياً؟ وما أنزلت التوراة إلا من بعده؟! وكيف تدّعُون أيها النصارى أنّه كان نصرانياً وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟! ولهذا قال تعالى: ﴿أفلا تعقِلُون﴾؟! ﴿**ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**﴾، [ردّ على زعم المشركين أنه منهم] **٦٨**: ثم قال تعالى: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم**﴾ إن أحقَّ الناس بمتابعة إبراهيم ﴿**للذين اتّبعُوه**﴾ اتبعوا هذا النبيُ يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**وهذا النبي والذين آمنوا والله وليُّ المؤمنين**﴾ **٦٩**: يُخبر تعالى عن حسدِ اليهود للمؤمنين وبغيهم إيَّاهم الضلال، وأخبرَ أنّ وبال ذلك يعود على أنفسهم وهم لا يشعُرون **٧٠**: ثم قال تعالى منكراً عليهم: ﴿**يا أهلَ الكتابِ لِمَ تكفرُون بآياتِ الله**﴾ وأنتم تعلمون صدقها ﴿**وأنتم تشهدون**﴾ وتتحقّقُون حقَّها؟!.

الآية ٦٤: هذه الآية خاطب بها رسول الله ﷺ هرقل، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على مَنِ اتبعَ الهدى. أمّا بعد: فأسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ أجرَكَ مرتين، فإن تولّيت فإنّما عليك إثمُ الأريسيّين، و﴿ياأهلَ الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينَكم أنْ لانعبدَ إلاّ الله ولانشركَ به شيئاً ولايتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دُون الله، فإن تَوَلّوْا فقولُوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾.

الآية ٦٧: نزلت هذه الآية بسبب دعوى كل فريق من اليهود والنصارى أنّ إبراهيم كان على دينه، فأكذبهم الله تعالى بأنّ اليهودية والنصرانية كانتا من بعده؟!. /تفسير القرطبي ج٤/١٠٧/.

الآية ٦٨ روى الترمذي والبزار عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكلِّ نبيٍّ ولاية من النّبيّين، وإنّ وليي منهم أبي وخليل الله عزّ وجلّ: إبراهيم عليه السلام، ثم قرأ: ﴿إنّ أَوْلَى النّاس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النّبيّ والذين آمنُوا﴾ الآية. /ابن كثير ج١/٣٧٢/.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦

٧١: **﴿يا أهلَ الكتابِ لِمَ تلبِسُونَ الحقَّ بالباطلِ وتكتُمون الحقَّ﴾** تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿وأنتم تعلمون﴾** وأنتم تعرفون ذلك وتتحقّقونه ٧٢: **﴿وقالتْ طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنْزِلَ على الذين آمنوا وَجْهَ النهار واكفرُوا آخِرَهُ لعلّهم يرجِعُون﴾** وهذه مكيدةٌ أرادوها ليلبِسُوا على الضعفاء من الناس أمرَ دينهم، وهو أن يظهروا مسلمين أول النهار فإذا جاء آخره ارتدّوا إلى دينهم؛ ليقول الجهلة: إنّما ردّهم إلى دينهم اطّلاعهم على عيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: لعلهم يرجِعُون ٧٣: **﴿ولا تُؤْمِنُوا إلا لِمَنْ تَبِعَ دينكم﴾** لا تطمئنُّوا وتُظهروا ما عندكم إلا لمن تبعَ دينكم، ولا تُظهِرُوا ما بأيديكم من صفة النبيّ الأمّيّ فيحتجُّوا بهِ عليكم، **﴿قُلْ إن الهدى هُدَى الله﴾** هو سبحانه الذي يهدِي قلوب المؤمنين إلى أتمِّ الإيمان بما ينزّله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات البيّنات. **﴿أنْ يُؤتَى أحدٌ مِثلَ ما أوتيتُم أو يُحاجُّوكم عندَ ربِّكم﴾** يقولون ولا تُظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلّموه منكم ويتخذوه حجّةً عليكم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿قُلْ إنّ الفضلَ بيدِ الله يُؤتيهِ من يشاء﴾** فهو المعطي يمنُّ على من يشاء بالإيمان والعلم **﴿والله واسعٌ عليم﴾** فله الحجّة التامة والحكمةُ البالغة ٧٤: **﴿يختصُّ برحمته مَن يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم﴾** اختصّكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يُحَدُّ ولا يُوصف بما شرّف به نبيَّكم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأنبياء وهداكم به إلى أكمل الشرائع ٧٥: يُخبر تعالى عن اليهود بأنّ منهم الخَوَنة ويُحذِّر المؤمنين من الاغترار بهم، فإنّ منهم **﴿مَن إن تأمَنْهُ بقنطارٍ﴾** من المال **﴿يُؤدِّهِ إليكَ، ومنهم مَن إن تأمَنْهُ بدينارٍ لا يُؤدِّهِ إليكَ إلّا ما دُمْتَ عليه قائماً﴾** بالمطالبة والإلحاح **﴿ذلك بأنهم قالوا ليسَ علينا في الأمّيين سبيل﴾** إنّما حملهم على جحود الحق، قولهم: إنّ الله قد أحلّها لنا **﴿ويقولون على الله الكذبَ وهم يعلمون﴾** أن الله حرّم عليهم أكلَ الأموال إلا بحقّها ٧٦: **﴿بلى مَن أوْفَى بعهدِهِ واتّقى﴾** منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم اللهعليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، واتقى محارمَ اللهواتبع شريعته **﴿فإنّ الله يُحبُّ المتقين﴾** ٧٧: إنّ الذين يعتاضُون عمّا عاهدُوا اللهعليه من اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أيمانِهم الكاذبة الفاجرة، بالأثمان القليلة، وهي عروض هذه الحياة الزائلة **﴿أولئك لا خَلاقَ لهم في الآخرة﴾** لا نصيبَ لهم فيها، **﴿ولا يُكلّمهم الله ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامة﴾** برحمته لهم **﴿ولا يُزكيهم﴾** من الذنوب، بل يأمرُ به إلى النار، **﴿ولهم عذابٌ أليم﴾**.

الآية ٧٥: روى الإمام أحمد بسند جيّد عن عبد الله بن مسعود قال: «القتلُ في سبيل الله يُكفِّر الذنوب كلَّها إلاّ الأمانة. قال: يُؤتَى العبدُ يوم القيامة، وإن قُتِل في سبيل الله، فيُقال: أدِّ أمانتَكَ، فيقول: أيْ ربِّ كيف وقد ذهبت الدنيا، فيُقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فيُنطَلَقُ به إلى الهاوية، وتُمثَّلُ له أمانتُهُ كهيئتها يومَ دُفِعَتْ إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثَرِها حتى يُدركها، فيحملها على منكبين حتى إذا ظنّ أنّه خارجٌ قَلَتْ عن منكبيه، فهو يهوي في أثَرِها أبدَ الآبدين، ثم قال: الصلاةُ أمانةٌ، والوضوءُ أمانةٌ، والوزنُ أمانة، والكيلُ أمانةٌ، وأشياء عدّدها، وأشدُّ ذلك الودائع» قال البراء بن عازب: أمَا سمعتَ اللهَ يقول: **﴿إنّ الله يأمركم أن تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلها﴾**؟! /الترغيب ج٤/٥/.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٨: يُخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله أنّ منهم فريقاً يُحرّفُون الكَلِمَ عن مواضِعِهِ، ويُبدّلُون كلامَ الله ويُنزلُونه عن المراد به ليوهمُوا الجهلةَ أنه في كتاب الله ﴿**وماهو من الكتاب، ويقولون هو من عندِ اللهِ وما هو من عندِ اللهِ ويقولون على اللهِ الكذبَ وهم يعلمون**﴾ أنهم قد كذَبُوا وافتروا في ذلك كله **٧٩**: حين اجتمعت الأحبارُ من اليهود والنصارى عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الإسلام قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدَك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمرَ بعبادة غير الله»؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿**ما كان لبشرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحكمَ والنبوّةَ ثم يقولَ للناسِ كُونُوا عباداً لي من دُونِ اللهِ**﴾ ما ينبغي هذا ولا يصلح لنبيٍّ ولا لمرسلٍ أن يقول للناس: اعبُدوني من دون الله!؟ فالجهلة من الأحبار والرهبان يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارَهم ورُهبَانهم أرباباً من دون الله﴾، وإنما الأنبياء والرسل هم سفراء بين الله وبين خلقه. ﴿**ولكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلّمون الكتابَ وبما كنتم تدرسون**﴾ ولكن الرسول يقول للناس كونوا فقهاءَ أهلَ عبادةٍ وتقوى؛ بما تدرسون القرآن وتحفظون ألفاظه وتفهمون معناه **٨٠**: ﴿**ولا يأمُرَكُم أن تتخذُوا الملائكةَ والنبيينَ أرباباً أيأمُرُكم بالكفر بعدَ إذْ أنتم مسلمون**﴾؟! لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له **٨١**: يُخبرُ تعالى أنّه أخذ ميثاقَ كلِّ نبيٍّ بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، لَمَهْمَا آتى اللهُ أحدَهم من كتاب وحكمة وبلغ أيَّ مبلغٍ ثم جاء رسولٌ من بعده ليؤمِنَنَّ بِهِ ولينصرَنّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوّة من اتباع من بُعِثَ بعدَه ونصرته ولذلك قال تعالى: ﴿**أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري**﴾؟ عهدي وميثاقي الشديد المؤكد ﴿**قالوا أقررنا، قال فاشهدُوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾ **٨٢**: ﴿**فمن تولى بعد ذلك**﴾ عن هذا العهد والميثاق ﴿**فأولئك هم الفاسقون**﴾ **٨٣**: يقول تعالى منكراً على مَن أرادَ ديناً سوى دين الله: ﴿**أفغيرَ دين الله يبغون وله أسلم مَن في السمواتِ والأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً**﴾، أمّا مَن في السموات فالملائكة، وأمّا من في الأرض فمن ولد على الإسلام، فطوعاً، وأمّا كرهاً فمن أتي به من سبايا الأمم يقادون إلى الجنّة وهم كارهون. ﴿**وإليه يُرجعون**﴾ يوم الميعاد فيجازي كلاً بعمله.

الآية: ٧٨ عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الصدق يهدي إلى البر، وإنّ البر يهدي إلى الجنّة، وإنّ الرجل ليصدقُ حتى يكتبَ عند الله صديقاً، وإنّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار، وإنّ الرجلَ ليكذبُ حتى يُكتبَ عند الله كذّاباً» متفق عليه/صحيح الجامع الصغير ج١/٣٤٢/.

الآية ٨٣: ﴿وله أسلم﴾ أي: استسلم لله وأنقادَ وخضَع وذلَّ، وكل مخلوق منقاد مستسلم؛ لأنّه مجبول على مالايقدر أن يخرج عنه. والخلق خلقهم الله على ماأراد، وكلهم منقادون اضطراراً لقدره الكوني. فمن أسلم لله طوعاً سَلِمَ في الآخره، ومن لم يسلّم إلاّ كرهاً كالكافر عند موته، لايَسْلَمُ في الآخرة. /عن تفسير الطبري ج٤/١٢٧/.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

٨٤: **﴿قلْ آمنّا بالله وما أُنزِلَ علينا﴾** القرآن **﴿وما أُنزلَ على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ﴾** من الصحف والوحي **﴿والأسباط﴾** وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل -وهو يعقوب- الاثنى عشر **﴿وما أوتيَ موسى وعيسى﴾** يعني بذلك التوراة والإنجيل **﴿والنبيّون من ربِّهم﴾** وهذا يعمّ جميع الأنبياء جملةً **﴿لا نُفرّق بين أحدٍ منهم﴾** بل نُؤمن بجميعهم **﴿ونحنُ له مسلمون﴾** ٨٥: **﴿ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلنْ يُقبل منه﴾** من سلكَ طريقاً سوى ما شرعه اللهُ فلن يُقبلَ منه **﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** ٨٦: **﴿كيف يهدِي اللهُ قوماً كفرُوا بعد إيمانهم وشهدُوا أن الرسولَ حقٌّ وجاءَهُمُ البيّنات﴾**؟ قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ووضح لهم الأمرُ ثم ارتدّوا إلى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعدما تلبَّسُوا به من العماية؟ ولهذا قال تعالى: **﴿واللهُ لا يهدي القومَ الظالمين﴾** ٨٧: **﴿أولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين﴾** يلعنُهُم اللهُ ويلعنهم خلقه ٨٨: **﴿خالدين فيها﴾**، في اللعنة **﴿لا يُخفّفُ عنهم العذاب ولا هم يُنظرون﴾** لا يفتر عنهم العذابُ ساعةً واحدةً **﴿ولا هُم يُنظرون﴾** ٨٩: **﴿إلا الذين تابُوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾** وهذا من لطفه وبرّه بخلقه ورحمته وعائدته على خلقه أنّ من تابَ إليه تابَ عليه ٩٠: **﴿إنّ الذين كفرُوا بعد إيمانهم﴾** يقول تعالى متوعداً ومهدّداً لمن كفرَ بعد إيمانه ثم ازداد كفراً، أي: استمر عليه إلى الممات، ومخبراً بأنهم لن تُقبل لهم توبة عند الممات كما قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتى إذا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ قال إنّي تُبْتُ الآن﴾، ولهذا قال هُهنا: **﴿ثم ازْدَادُوا كفراً لن تُقبلَ توبتُهم وأولئك هم الضالّون﴾** الخارجون عن المنهج الحقّ ٩١: ثم قال تعالى: **﴿إنّ الذين كفرُوا وماتُوا وهم كفارٌ فلنْ يُقبل من أحدِهم مِلءُ الأرض ذهباً ولو افتدى به﴾** مَن مات على الكفر فلن يُقبل منه خيرٌ أبداً، ولو كان قد أنفق مِلْءِ الأرض ذهباً. روى الإمام أحمد: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيءٍ أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، فيقولُ اللهُ: قد أردتُ منكَ أهونَ من ذلك؛ قد أخذتُ عليك في ظهر أبيك آدمَ أن لا تشركَ بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تُشرك». وهكذا أخرجه البخاري ومسلم. ولهذا قال تعالى: **﴿أولئكَ لهم عذابٌ أليمٌ وما لهم من ناصرين﴾** ما لهم من أحدٍ ينقذهم من عذاب الله.

الآية: ٨٥ عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أنْ تشهدَ أنْ لا إله إلّا اللهُ وأنّ محمداً رسول الله، وتُقيم الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سبيلاً»، رواه مسلم/صحيح الجامع الصغير ج١/٥٣٧/.

الآية ٩١: روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤتَى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدتَ منزلك؟ فيقول: يارب شرّ منزل، فيقول له: أتفتدي منّي بطلاع الأرض ـ أي: مايملؤها ـ ذهباً؟ فيقول: أيْ ربِّ نعم!! فيقول: كذبتَ، قد سألتُك أقلَّ من ذلك وأيسرَ فلم تفعلْ فيُردُّ إلى النار». /تفسير ابن كثير ج١/٣٨٠/.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء ٤ الحزب ٧

٩٢: ﴿لن تنالُوا البِرَّ﴾ الجنّةَ **﴿حتى تنفِقُوا مِمّا تُحِبُّون﴾**، [ولن تنالوا شرفَ الدِّين والتقوى حتى تتصدّقُوا وأنتم أصحاء أشحاء، تأملون العَيش وتخشون الفقر]. **﴿وما تُنفِقُوا من شيءٍ فإنّ الله به عليم﴾ ٩٣: ﴿كلُّ الطعامِ كانَ حِلاً لبني إسرائيلَ إلا ما حرّم إسرائيلُ على نفسه من قبلِ أن تُنزّل التوراة﴾** كان حِلاً لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرّمه إسرائيل على نفسه **﴿قُلْ فأتُوا بالتوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقين﴾** فإنها ناطقة بما قلناه، **٩٤: ﴿فمن افترى على اللهِ الكذبَ من بعدِ ذلك فأولئك هم الظالمون﴾** فمن افترى وكذب على الله وادّعى أنّه شرع لهم التمسك بالتوراة دائماً، وإنّه لم يبعث نبياً آخرَ يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيّناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرناه **﴿فأولئك هم الظالمون﴾ ٩٥:** ثم قال تعالى: **﴿قلْ صدقَ الله﴾** فيما أخبر به وشرعه في القرآن **﴿فاتّبعُوا مِلّةَ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** اتّبعُوا مِلّةَ إبراهيمَ التي شرعها الله في القرآن؛ فإنه الحق الذي لا شك فيه **٩٦:** يُخبر الله تعالى أنّ أوّل بيتٍ وُضع للناس، أي: لعموم الناس لعبادتهم ونُسكهم، يطوفون به، ويصلون فيه، ويعتكفون عنده **﴿للذي ببكّة﴾** الكعبة التي بناها إبراهيم **﴿مُباركاً﴾** وُضِعَ مباركاً، **﴿وهُدىً للعالمين﴾**. وسمّيت (بكّة) لأنها تبكّ أعناق الظلمة والجبابرة. وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة وبكة، والبيت العتيق [الذي أعتقه الله من كل ظالم وجبار] والبيت الحرام، والبلد الأمين، وأم القرى، وأم رحم، والمأمون وصلاح، والمقدّسة والقادس؛ لأنها تطهر من الذنوب **٩٧: ﴿فيه آياتٌ بيّنات﴾** دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأنّ الله عظمه وشرّفه. **﴿مقامُ إبراهيم﴾** الذي كان يقف عليه لمّا ارتفع البناء، استعان به على رفع القواعد. فيه أثرُ قدميه آية بيّنة. **﴿ومَن دخلَهُ كان آمناً﴾** إذا دخله الخائف يأمَنُ من كلِّ سوءٍ. **﴿ولله على الناس حِجُّ البيتِ من استطاعَ إليه سبيلاً﴾** في هذه الآية وجوبُ الحج. **﴿ومن كفرَ فإنّ الله غنيٌ عن العالَمين﴾** ومن جَحَدَ فريضةَ الحجِّ فقد كفرَ واللهُ غنيٌّ عنه **٩٨:** هذا تعنيفٌ من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عِنَادِهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدِّهم عن سبيل الله، مع علمهم بأنّ ما جاءَ به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حقٌّ **٩٩: ﴿قل يا أهلَ الكتابِ لِمَ تصدُّون عن سبيل الله مَنْ آمَنَ تبغُونها عِوَجاً﴾** [أي: تطلبون الزيغ]، **﴿وأنتم شهداء﴾** فتوعدهم الله على ذلك، وأخبرَهم بأنه شهيد على صنيعهم **﴿وما اللهُ بغافلٍ عمّا تعملون﴾ ١٠٠:** يُحذِّرُ الله تعالى عبادَه المؤمنين عن أن يُطيعوا طائفةً من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؛ ولهذا قال: **﴿يَرُدُّوكم بعدَ إيمانِكم كافرين﴾**.

الآية ٩٦: روى مسلم عن أبي ذرّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض؟ قال: «المسجدُ الحرام» قلت: ثم أيّ؟ قال: «المسجدُ الأقصى» قلتُ: كم بينهما؟ قال: «أربعون عاماً، ثم الأرضُ لك مسجدٌ، فحيثما أدركتْكَ الصلاةُ فصلِّ». /القرطبي ج٤/١٣٧/.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠١: ﴿**وكيف تكفرون**﴾ إنّ الكفرَ بعيدٌ منكم وحاشاكم منه ﴿**وأنتم تُتلَى عليكم آيات الله وفيكم رسوله**﴾؟! ﴿**ومَنْ يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراطٍ مُستقيم**﴾ مع هذا الاعتصام بالله حصول المراد، وهو الهداية والرشاد **١٠٢**: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله حقَّ تقاته**﴾، قال عبد الله بن مسعود: أن يُطاعَ فلا يُعصَى، ويُشكرَ فلا يُكفر، ويُذكرَ فلا يُنسَى. ﴿**ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون**﴾ حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتُوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنّه من عاشَ على شيءٍ ماتَ عليه، ومن مات على شيءٍ بعثه عليه [اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين] **١٠٣**: ﴿**واعتصِمُوا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرّقُوا**﴾ اعتصموا بالقرآن، ﴿**ولا تفرّقُوا**﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة ﴿**واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّفَ بين قلوبكم**﴾، هذه الآية في شأن الأوس والخزرج، فإنّه كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة؛ فلما جاء الإسلام، فصاروا به إخواناً متحابّين بجلال الله ﴿**فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النّار فأنقذكم منها**﴾، [أمرَ تعالى بتذكّر نعمه، وأعظمها نعمة الإسلام، واتباع نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم] ﴿**كذلك يُبيّنُ اللهُ لكُمْ آياتِهِ لعلكم تهتدون**﴾ **١٠٤**: ﴿**ولتكُنْ منكم أمّةٌ**﴾ منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى القرآن ﴿**يدعون إلى الخير**﴾ الخيرُ: اتباعُ القرآن والسنّة ﴿**ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هُمُ المفلحُون**﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نَفسِي بيَدِهِ لتأمُرُنّ بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنّ عن المنكر، أو لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكم عِقاباً من عنده، ثم لتدعُنَّهُ فلا يستجيبُ لكم». رواه الترمذي وقال: حسنٌ **١٠٥**: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرّقُوا واختلفوا من بعدِ ما جاءَهُمُ البيّنات**﴾، ينهى تعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضيين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر، [وتوعد على ذلك فقال] ﴿**وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ**﴾ **١٠٦**: ﴿**يوم تبيضُ وُجوهٌ وتسودُّ وُجوهٌ**﴾ يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنّة والجماعة، وتسودّ وجوه أهل النفاق والكفر ﴿**أكفرتم بعد إيمانكم**﴾ هم المنافقون ﴿**فَذُوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون**﴾ **١٠٧**: ﴿**وأمّا الذين ابيضتْ وُجوهُهم ففي رحمةِ اللهِ هم فيها خالدون**﴾ أبداً لا يبغون عنها حِوَلاً **١٠٨**: ﴿**تلك آياتُ اللهِ نتلوها عليك**﴾ يا محمد ﴿**بالحق**﴾ نكشف ما الأمرُ عليه في الدنيا والآخرة، ﴿**وما اللهُ يُريدُ ظلماً للعالمين**﴾، ليس بظالمٍ لهم، بل هو الحاكمُ العادل الذي لا يجور؛ لأنه القادرُ على كل شيءٍ، العالمُ بكل شيءٍ فلا يحتاجُ مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه، سبحانه وتعالى.

الآية ١٠٢: لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يارسول الله مَن يقوى على هذا؟ وشقَّ عليهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فاتقوا اللهَ مااستطعتم﴾ فنسختْ هذه الآية. قال مقاتل: ليس في آل عمران من المنسوخ شيءٌ إلا هذه الآية. /تفسير القرطبي ج٤/١٥٧/.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءًۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

ربع الحزب ٧

١٠٩: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ الجميع مُلْكٌ له، وعبيدٌ له، **﴿وإلى الله تُرجعُ الأمور﴾** هو الحاكم المتصرّف في الدنيا والآخرة **١١٠:** يُخبر الله تعالى عن هذه الأمة المحمديّة بأنهم خير الأمم فقال تعالى: **﴿كنتم خيرَ أمّةٍ أخرجتْ للناس﴾** إنّهم خير الأمم وأنفع الناس للنّاس، ولهذا قال سبحانه: **﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتُؤمنون بالله﴾**. وقال ابن عباس: هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة. والآية عامةٌ في جميع الأمة كلٌّ قرنٍ بحسبه. وخير قرونهم الذين بُعِثَ فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم الذين يلونهم، ثم الذي يلونهم. كما في الحديث الصحيح. **﴿ولو آمَنَ أهلُ الكتاب﴾** بما أُنزِلَ على محمد **﴿لكانَ خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسِقُون﴾** قليلٌ منهم من يُؤمِنُ بالله وما أُنزِلَ إليكم، وأكثرهم على الضلالة والكفر **١١١:** ثم قال تعالى مخبراً عبادَه المؤمنين ومبشّراً لهم أنّ النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين فقال: **﴿لن يضرّوكم إلا أذى وإن يُقاتِلُوكم يُولُّوكم الأدبارَ ثم لا يُنصرون﴾** هكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلّهم الله، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع والنضير وقريظة كلهم أذلّهم الله، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين. ولا تزال عصابة الإسلام قائمةً بالشام حتى ينزل عيسى وهم كذلك **١١٢:** ثم قال تعالى: **﴿ضُرِبتْ عليهم الذِّلّةُ أينما ثُقِفُوا﴾** ألزمهم الله الذِّلّةَ والصَّغارَ أينما كانوا فلا يأمنون **﴿إلا بحبلٍ من الله﴾** بذمّةٍ من الله، وهو عقد الجزية، **﴿وحبلٍ من الناس﴾** أمانٍ منهم، كما في المعاهد **﴿وباؤوا بغضبٍ من الله﴾** ألزموا **﴿وضُرِبتْ عليهم المسكنة﴾** ألزموها قدراً وشرعاً، ولهذا قال: **﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾** ثم قال تعالى: **﴿ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون﴾ ١١٣: ﴿ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمّةٌ قائمةٌ﴾** هذه الآية نزلت فيمن آمن من أحبار اليهود، كعبد الله بن سلام، وأسد بن عُبيد، وثعلبة بن شعبة، وغيرهم، ليسوا [كأولئك المجرمين] بل هم **﴿أمةٌ قائمةٌ﴾** بأمر الله مطيعة لشرعه **﴿يتلون آياتِ الله آناءَ الليل﴾** يتلون القرآن في صلواتهم **﴿وهم يسجدون﴾ ١١٤: ﴿يُؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُسارِعُون في الخيرات وأولئكَ مِنَ الصالحين﴾** وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة: ﴿وإنْ من أهلِ الكتابِ لَمَنْ يُؤمِنُ باللهِ وما أُنزِلَ إليكم﴾ الآية. ولهذا قال هٰهنا: **١١٥: ﴿وما يفعلُوا من خيرٍ فلنْ يُكْفَرُوه﴾** لا يضيعُ عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء، **﴿واللهُ عليمٌ بالمتقين﴾**.

الآية ١١٠: روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: «أنتم تُتِمُّون سبعين أُمّة أنتم خيرُها وأكرمُها عند الله»، وقال: حديث حسن. /القرطبي ج٤/١٧٠/، وابن كثير ج١/٣٩١/، وإنّما حازت هذه الأمّة قصب السبق إلى الخيرات بنبيّها محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنّه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، بعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعطه نبي قبله ولارسول من الرسل، قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت مالم يُعط أحداً من الأنبياء»، فقلنا: يارسول الله ماهو؟ قال: «نُصرت بالرعب، وأُعطيت مفاتيح الأرض، وسُمّيت أحمد، وجُعل التراب لي طهوراً، وجُعلت أمتي خير الأمم»، رواه أحمد وإسناده حسن /ابن كثير ج١/٣٩١/.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

١١٦: ثم يُخبر تعالى عن الكفرة فيقول: **﴿إنّ الذين كفروا لن تُغنيَ عنهم أموالهم ولا أولادُهم من الله شيئاً﴾** لا تردُّ عنهم بأسَ الله ولا عذابَه إذا أرادَ بهم **﴿وأولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون﴾**. ثم ضرب مثلاً لما يُنفقه الكفارُ فقال: **١١٧**: **﴿مَثَلُ ما يُنفقُون في هذه الحياة الدنيا كمثلِ ريحٍ فيها صِرٌّ﴾** بَرْدٌ شديدٌ وجليد- يحرقُ الزرعَ كما يُحْرقُ الشيءُ بالنار **﴿أصابتْ حَرْثَ قومٍ ظلموا أنفسَهم﴾** بذنوبهم **﴿فأهلكته﴾** فدمّرته وأعدمته **﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسَهم يظلِمُون﴾** **١١٨**: يقول تعالى ناهياً المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانةً من دونهم **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخِذُوا بِطَانَةً من دونكم﴾** يطلعونهم على سرائرهم **﴿لا يألونكم﴾** المنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألُون المؤمنين **﴿خَبالاً﴾** مكراً وخديعةً **﴿وَدُّوا ما عَنِتم﴾** يَوَدُّون ما يُعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم، **﴿قد بدتِ البغضاء من أفواههم﴾** قد لاحَ على صفحات وجوههم وفَلَتاتِ ألسنتهم **﴿وما تخفي صدورُهم أكبر﴾** من البغضاء للإسلام وأهله ما لا يخفى على لبيبٍ عاقل، ولهذا قال تعالى: **﴿قد بيّنا لكم الآيات إنْ كنتم تعقلون﴾** **١١٩**: **﴿ها أنتم أولاء تُحِبُّونهم﴾** بما يظهرون لكم الإيمان **﴿ولا يُحِبُّونكم﴾** لا باطناً ولا ظاهراً، **﴿وتؤمِنُون بالكتاب كلِّه﴾** ليس عندكم في شيءٍ منه شكٌ ولا ريب، وهم عندهم الشكُّ والريب والحيرة. **﴿وإذا لَقُوكم قالوا آمنّا وإذا خَلَوْا عَضُوا عليكم الأنامل مِنَ الغيظ﴾** وذلك [من] شدّة الغيظ والحنق [عليكم]، **﴿قُلْ مُوتُوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور﴾** هو العليم بما تنطوي عليه ضمائركم وتُكنّه سرائركم من البغضاء والحسد والغِلِّ للمؤمنين، وهو مجازيكم عليه بالعذاب الشديد في النار التي أنتم فيها خالدون **١٢٠**: ثم قال تعالى: **﴿إن تمسسكم حسنةٌ﴾** من خصبٍ ونصرٍ **﴿تَسُؤْهُمْ، وإن تصبكم سيئةٌ يفرحُوا بها﴾** كما جرى يوم أُحُد، فرِح المنافقون بذلك، قال الله مخاطباً للمؤمنين: **﴿وإنْ تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدُهم شيئاً﴾** الآية؛ يرشدهم تعالى إلى السلامة من شرِّ الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو مُحيطٌ بأعدائهم فلا حولَ ولا قوّة بهم إلّا به، ومن توكل عليه كفاه **١٢١**: المراد بهذه الواقعة يوم أُحُد **﴿وإذْ غدوتَ من أهلِكَ تبوّىء المؤمنين مقاعِدَ للقتال﴾** تنزلهم منازلهم حيث أمرتهم، **﴿والله سميعٌ عليم﴾** سميعٌ لما يقولُون، عليمٌ بضمائرهم.

الآية ١١٨: قيل لعمر بن الخطاب إنّ ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ. كاتب، فلو اتخذته كاتباً، فقال: «قد اتخذتُ إذنْ بطانةً من دون المؤمنين». رواه ابن أبي حاتم /تفسير ابن كثير ج١/٣٩٨/.

الآية ١٢١: وكان المشركون قصدوا المدينة في ثلاثة آلاف رجل ليأخذوا بثأرهم في يوم بدر، فنزلوا عند أحد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة، يوم الأربعاء الثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة. فأقاموا هنالك يوم الخميس والنبي ﷺ بالمدينة، فرأى رسول الله ﷺ في منامه أنّ في سيفه ثلمة، وأنّ بقراً له تذبح، وأنه أدخل يده في درعٍ حصينة، فتأوّلها أنّ نفراً من أصحابه يُقتلون. وأنّ رجلاً من أهل بيته يُصاب، وأنّ الدّرع الحصينة: المدينة. أخرجه مسلم. فكان كل ذلك على ماهو معروف مشهور من تلك الغَزَاة. /القرطبي ج٤/١٨٥/.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢: **﴿إذْ هَمّتْ طائفتان منكم أن تفشلا﴾** هما بنو حارثة وبنو سَلِمة، **﴿واللهُ وليُّهما﴾**؛ [وكانا جناحَي العسكر يوم أُحد، ومعنى تفشلا: أي تجبُنا. والله وليُّهما: يعني حافظ قلوبهما من تحقيق هذا الهمّ]، **﴿وعلى اللهِ فليتوكّلِ المؤمنون﴾** **١٢٣**: **﴿ولقد نصرَكم اللهُ ببدرٍ﴾** يوم بدر، وكان يوم جمعة، وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعزّ الله فيه الإسلامَ وأهلَه، ودمغ فيه الشركَ وخرّب محلّه وحزبه، هذا مع قلّة عدد المسلمين يومئذ **﴿وأنتم أذلّة﴾** قليل عددكم، فإنهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان العدو ما بين التسعمائة إلى الألف، في سوابغ الحديد والعِدّة الكاملة؛ لتعلموا أنّ النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العَدَدِ والعُدَدِ **﴿فاتّقُوا الله لعلّكم تشكرون﴾** تقومُون بطاعته **١٢٤**: **﴿إذْ تقولُ للمؤمنين﴾** يوم بدر **﴿ألَنْ يكفيكم أن يُمِدَّكم ربُّكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنْزَلين﴾**؟ **١٢٥**: **﴿بلى إن تصبرُوا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمدِدْكم ربُّكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مُسَوِّمين﴾** أمدّ الله المسلمين يوم بدرٍ بثلاثة آلاف، ثم بخمسة آلاف [إن جاء للمشركين المَدَدُ، فلما وقعت الهزيمة بهم لم يُمدِدِ المسلمين بخمسة آلاف]. و**﴿مُسَوِّمين﴾** معلّمين بالسيما. وكان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، والعمائم السود والحمر والصفر **١٢٦**: **﴿وما جعلَهُ اللهُ إلا بشرى لكم ولتطمَئِنّ قلوبُكم به﴾** إلّا بشارة لكم وتطييباً لقلوبكم وتطميناً، **﴿وما النصرُ إلّا من عند الله العزيزِ الحكيم﴾** فلو شاء لانتصر من أعدائكم بدونهم **١٢٧**: **﴿ليقطعَ طَرَفاً من الذين كفروا﴾** أمركم بالجهاد لِما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير؛ ليهلك أُمّةً **﴿من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا﴾** يرجِعُوا **﴿خائبين﴾** لم يحصلوا على ما أمِلوا. ثم اعترض سبحانه بجملة دلّت على أنّ الحكمة في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال تعالى: **١٢٨**: **﴿ليسَ لكَ منَ الأمرِ شيء﴾** بل الأمر كله إليّ، وليس لك من الحكم شيء في عبادي إلّا ما أمرتُكَ به فيهم. **﴿أو يتُوبَ عليهم﴾** فيهديهم بعد الضلالة **﴿أو يُعذِّبَهم﴾** على كفرهم، ولهذا قال: **﴿فإنّهم ظالمون﴾** يستحقون ذلك **١٢٩**: **﴿ولله ما في السمواتِ وما في الأرض﴾** الآية، الجميع ملك له، وهو المتصرّف فلا مُعَقِّبَ لحكمه **١٣٠**: يقول تعالى ناهياً عبادَه عن تعاطي الرِّبا، ومعنى: **﴿أضعافاً مضاعفة﴾** أنهم كانوا في الجاهليّة يقولون إذا حَلّ أجل الدَّين: إمّا أن تقضي وإمّا أن تُرْبي، فإن قضاه وإلا زادَهُ في المدّة وزادَهُ في القدر، وهكذا كل عام، فيتضاعف القليل حتى يصير كثيراً. وأمر الله عباده بالتقوى لعلّهم يفلِحُون، ثم توعدهم بالنار وحذّرهم منها: **١٣١**: **﴿واتقوا النارَ التي أُعِدَّتْ للكافرين﴾**. ثم أمرهم بطاعته وطاعة رسوله فقال: **١٣٢**: **﴿وأطيعُوا اللهَ والرسولَ لعلّكم تُرحَمُون﴾**.

الآية ١٢٨: في صحيح مسلم أنّ النبي ﷺ كُسِرَتْ رُباعيَتُه يومَ أُحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يُسْلِتُ الدمَ عنه ويقول: «كيف يُفلِحُ قومٌ شجُّوا رأس نبيّهم وكسَرُوا رُباعيَتَه» «وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله ﴿ليسَ لكَ من الأمر شيءٌ﴾ فطمع في إسلامهم فقال: «اللهم اغفر لقومي فإنّهم لايعلمون». /القرطبي ج٤/١٩٩/.

حزب ٧

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

١٣٣: **﴿وسَارِعُوا إلى مغفرةٍ من ربّكم﴾** نَدَبهم إلى المبادرة و المسارعة إلى نيل القُربات، **﴿وجنّةٍ عرضُها السمواتُ والأرض أُعِدّت للمتقين﴾** تنبيهٌ على اتساع طولها، والجنّة في أعلى عليّين فوق السموات تحت العرش، والنار في أسفل السافلين **١٣٤**: ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنّة فقال: **﴿الذين يُنفقون في السرّاء والضرّاء﴾** في حال الشدّة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال كما قال سبحانه: ﴿الذين يُنفقون بالليل والنهار سِرّاً وعلانيةً﴾ والمعنى أنّهم لا يُشغلهم أمرٌ عارض عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في مراضيه والإحسان إلى خلقه **﴿والكاظمين الغيظَ والعافين عن النّاس﴾** إذا ثارَ بهم الغيظ كظمُوه، وكتموه، وعفُوا مع ذلك عمّن أساء إليهم. قال رجل: يا رسول الله أوصني قال: «لا تغضب»، قال الرجلُ: ففكّرتُ حين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قال، فإذا الغضبُ يجمعُ الشرَّ كلَّهُ. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن كظمَ غيظاً وهو قادرٌ على أن ينفِذَهُ مَلأَ الله جوفَهُ أمناً وإيماناً» رواه أبو داود. **﴿والله يحِبُّ المُحسنين﴾**فهذا من مقدّمات الإحسان **١٣٥**: **﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً﴾** صدرَ منهم ذنب **﴿أو ظلموا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾** أتبعوا ذلك بالتوبة والاستغفار **﴿ومَن يغفرُ الذنوبَ إلّا الله﴾**؟ لا يغفرها أحدٌ سواه. [وفي الحديث القدسي]: «قال الله تعالى وعزّتي وجلالي لا أزالُ أغفِرُ لهم ما استغفروني». **﴿ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾** تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمرُّوا على المعصية. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أصرَّ مَنِ استغفرَ، وإن عاد في اليوم سبعين مرّة»، رواه أبو داود، وهو حديث حسن. **﴿وهم يعلمون﴾** أنّ من تابَ تابَ اللهُ عليه **١٣٦**: **﴿أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربِّهم﴾** جزاؤهم على هذه الصفات **﴿مغفرةٌ من ربِّهم وجنّات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ونِعْمَ أجرُ العاملين﴾** يمدح تعالى الجنّة [التي هي جزاء المتقين] **١٣٧**: **﴿قد خلتْ من قبلكم سُنَنٌ﴾** لمّا أُصيبُوا يوم أُحُد خاطبهم الله بهذه الآية؛ أي: قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين، ولهذا قال تعالى: **﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾**. ثم قال تعالى: **١٣٨**: **﴿هذا بيانٌ للناس﴾** القرآن فيه بيان الأمور على جليّتها **﴿وهدىً وموعظةٌ﴾** هدىً لقلوبكم، وموعظة: أي زاجرٌ عن المحارم والمآثم. ثم قال تعالى مسلياً للمؤمنين: **١٣٩**: **﴿ولا تهِنوا ولا تحزَنوا﴾** بسبب ما جرى **﴿وأنتم الأعلَوْن إن كُنتم مؤمنين﴾** العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون **١٤٠**: **﴿إنْ يمسسكم قرحٌ﴾** جراحٌ وقتلٌ **﴿فقد مَسَّ القومَ قرحٌ مِثْلُهُ﴾** فقد أصاب أعداءكم قتلٌ وجراح. **﴿وتلك الأيام نُدَاولها بين الناس﴾** نَديلُ عليكم الأعداءَ تارة، وإن كانت لكم العاقبةُ لِما لنا في ذلك من الحكمة. ولهذا قال تعالى: **﴿وليَعْلَمَ اللهُ الذين آمنوا منكم﴾** في مثل هذا لِنَرى مَن يصبرُ على مناجزةِ الأعداء **﴿ويتّخِذَ منكم شهداءَ﴾** في سبيله **﴿والله لا يحبُّ الظالمين﴾**.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٤١: ﴿وليُمَحِّصَ اللهُ الذين آمنوا﴾ ليكفِّرَ عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب، وإلا رفعَ لهم في درجاتهم بحسب ما أُصِيبُوا **﴿ويمحق الكافرين﴾** فإنّهم بَغَوْا، ومحقهُم: فناؤهم **١٤٢: ﴿أمْ حسبتُم أن تدخلوا الجنّةَ ولمّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾** أَحَسِبْتُم أن تدخلوا الجنّةَ ولم تُبتَلَوْا بالقتال والشدائد؟ أي: لا يحصل لكم دخول الجنّة حتى تبتلوا، ويرى الله منكم المجاهِدِين في سبيله والصابرين على مقاومة الأعداء. كما قال تعالى [في سورة العنكبوت]: ﴿أَحسِبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾؟ ﴿ولقد فتنّا الذين مِن قبلهم فَلَيَعْلَمَنّ اللهُ الذين صدقوا ولَيَعْلَمَنَّ الكاذبين﴾ **١٤٣: ﴿ولقد كنتم تمنّون الموت من قبلِ أن تلْقَوْهُ﴾** قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنّون لقاء العدو وتودُّون مناجزته **﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾** فَهَا قد حصل لكم الذي تمنيّتموه، فَدُونَكم فقاتلوا وصابروا. وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تتمنّوا لِقاءَ العدوّ، وسَلُوا اللهَ العافية، فإن لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنّ الجنّة تحت ظِلال السيوف» **١٤٤:** لما انهزمَ مَن انهزمَ من المسلمين يوم أُحُد وقتل مَن قتل منهم؛ شجَّ ابنُ قميئة رأسَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادى في المشركين ونادى الشيطان: إنّ محمداً قُتِلَ. فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، فحصلَ ضعفٌ ووهنٌ وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى: **﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبله الرُّسلُ﴾** له أسوةٌ بهم في الرسالة وجواز القتل عليه. ثم قال تعالى منكراً على من حصل له ضعفٌ: **﴿أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم﴾** رجعتم القهقرى؟ **﴿ومن ينقلب على عقبيهِ فلنْ يضرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين﴾**، [أي: الذين صبروا وجاهدوا واستشهدوا]، سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم. ثم قال تعالى مسليّاً للمؤمنين عمّا كان وقع في نفوسهم يوم أُحد: **١٤٥: ﴿وما كان لنفسٍ أن تموتَ إلا بإذن اللهِ كتاباً مُؤجلاً﴾** لا يموت أحدٌ إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المُدّةَ التي ضربَها اللهُ له. **﴿ومَن يُردْ ثوابَ الدنيا نُؤتِهِ منها﴾** من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدّره الله له، ولم يكن له في الآخرة من نصيب **﴿ومَن يُردْ ثوابَ الآخرة نُؤتِهِ منها﴾** ومن قصدَ بعمله الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا **﴿وسنجزي الشاكرين﴾** سنعطيهم من فضلنا في الدنيا والآخرة **١٤٦: ﴿وكأيّنْ مِن نبيٍّ قاتلَ معه رِبِّيون كثيرٌ فما وَهَنُوا﴾** وكم من نبيٍّ قتلَ وقُتِلَ معه من أصحابه كثيرٌ؟! **﴿فما وَهَنُوا لما أصابهم في سبيلِ الله وما ضَعُفُوا وما استكانوا﴾** نفى الوَهْنَ والضعف عمّن بقي من الرِّبّيين ممن لم يُقتل. وذلك لأنّ اللهَ عاتب بهذه الآيات والتي قبلها مَن انهزم يوم أُحُد. والربّيُّون: هم الذين يعبدون الربَّ عزّ وجلّ [كثيراً فنسبهم إليه تشريفاً]. **﴿واللهُ يحبُّ الصابرين﴾ ١٤٧: ﴿وما كان قولَهم إلّا أن قالوا ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّتْ أقدامنا وانصُرْنا على القوم الكافرين﴾** لم يكن لهم هجير إلا ذلك **١٤٨: ﴿فآتاهُمُ اللهُ ثوابَ الدنيا﴾** النصرَ والظفرَ والعاقبةَ **﴿وحُسْنَ ثواب الآخرة﴾** جمع لهم ذلك مع هذا **﴿واللهُ يُحبُّ المحسنين﴾**.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٧

١٤٩: يحذّر الله تعالى المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم فتنقلبُوا خاسرين﴾** فإنّ طاعتهم تورث الردَى في الدنيا والآخرة. ثم أمرهم بطاعته وموالاته فقال: **١٥٠**: **﴿بلِ اللهُ مَوْلاكم وهو خيرُ الناصرين﴾**، ثم بشرهم بأنّه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم فقال: **١٥١**: **﴿سنُلقي في قلوب الذين كفرُوا الرُّعبَ بما أشركوا باللهِ ما لم يُنزِّلْ به سُلْطاناً﴾**، قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب فرجع إلى مكة [بمن كان معه، وذلك بعد ما انصرفوا عن أُحُد]، **﴿ومأْواهُمُ النارُ وبئسَ مثوى الظالمين﴾** **١٥٢**: **﴿ولقد صدقكم اللهُ وَعْدَه إذ تَحُسُّونهم بإذنِهِ﴾** تقتلونهم بتسليطه إيّاكم عليهم [وكان هذا في أول المعركة يوم أُحُد]. **﴿حتى إذا فَشِلْتُم وتنازعتم في الأمر وعصيتم﴾** كما وقع للرماة **﴿من بعد ما أراكم ما تُحِبُّون﴾** وهو الظفرُ بهم **﴿منكم مَن يُريدُ الدنيا﴾** وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة [للمشركين فخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتركوا الجبل] **﴿ومنكم من يُريدُ الآخرة﴾** [وهم الذين لم يتركوا الجبل امتثالاً لطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]، **﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾** ثم أدالكم عليهم ليختبركم ويمتحنكم، **﴿ولقد عفَا عنكم﴾** غفرَ لكم ذلك الصنيع، ولم يستأصلكم **﴿والله ذُو فضلٍ على المؤمنين﴾** وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقامهم في موضع، وقال: «احْمُوا ظُهورنَا، فإن رأيتُمونا نُقتلُ فلا تنصُرونا، وإن رأيتُمونا نغنم فلا تشرِكُونا» فلمّا غنم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأناخوا عسكر المشركين، أكبَّ الرُّماة جميعاً في العسكر ينهبون، ولقد التقت صفوفُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم هكذا –وشبّكَ بين يديه– وانتشبوا، فلمّا أخلَّ الرُّماةُ تلك الخلّة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضرب بعضُهم بعضاً، والتبسُوا، وقُتِلَ من المسلمين ناسٌ كثير، وكان النصر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول النهار، حتى قُتِلَ من المشركين أصحابُ لواء المشركين وكانوا تسعة، وجالَ المشركون جولة نحو الجبل، وصاح الشيطان: قُتِلَ محمدٌ، فما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففرحنا حتى كأنّه لم يُصبنا ما أصابنا. فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعْلُ هُبَل. فرقَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «ليس لهم أن يعلونا». [وفي ذلك يقول تعالى]: **١٥٣**: **﴿إذْ تُصْعِدُون ولا تَلْوُون على أحدٍ﴾** إذ تصعدون في الجبل هاربين من أعدائكم **﴿والرسولُ يدعُوكم في أُخراكم﴾** يدعو الناسَ إلى ترك الفرار، وإلى الرجعة والكرّة على المشركين، **﴿فأثابكم﴾** فجزاكم **﴿غماً بغمٍّ﴾** الغمُّ الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثاني إشراف العدوّ عليهم **﴿لكيلا تحزَنوا على ما فاتكم﴾** من الغنيمة والظفر بعدوّكم **﴿ولا ما أصابكم﴾** من الجراح والقتل **﴿واللهُ خبيرٌ بما تعلمون﴾**.

الآية: **١٥١** وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهرٍ يُقذف في قلوب أعدائي»، الحديث. /تفسير ابن كثير ج١/٤١١/.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٤: يقول تعالى ممتناً على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأَمَنة في يوم أُحُد: ﴿**ثم أنزل عليكم من بعد الغمِّ أَمَنَةً نُعاساً يغشى طائفةً منكم**﴾ أهلَ الإيمان ﴿**وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسُهم**﴾ لا يغشاهم النعاسُ من القلق والجزع والخوف ﴿**يظنّون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ الجاهليّة**﴾ وهم أهل الرِّيَب ظنوا أن الإسلام قد بادَ وأهلُه كما قال تعالى: ﴿بل ظننتم أنْ لنْ ينقلبَ الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ هكذا اعتقدوا، ثم أخبر تعالى عنهم أنّهم ﴿**يقولون**﴾ في تلك الحال: ﴿**هلْ لنا مِنَ الأمرِ من شيء**﴾؟ فقال تعالى: ﴿**قلْ إن الأمرَ كلَّه للهِ يُخفون في أنفسهم ما لا يُبدون لك**﴾، ثم فَسَّرَ ما أخفوه في أنفسهم بقوله: ﴿**يقولون لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتلنا هاهُنا**﴾ يُسِرُّن هذه المقالة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿**قلْ لو كنتم في بيوتكم**﴾، [أيها المنافقون]، ﴿**لَبرزَ الذين كُتِبَ عليهِمُ القتلُ إلى مضاجعهم**﴾ هذا قدرٌ قدّره الله عزّ وجلّ لا محيدَ عنه ولا مناصَ منه، ﴿**وليبتليَ اللهُ ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم**﴾ ليميّز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمنين من المنافقين ﴿**واللهُ عليمٌ بذاتِ الصدور**﴾ **١٥٥**: ثم قال تعالى: ﴿**إنّ الذين تولَّوْا منكم يومَ التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطانُ ببعض ما كَسَبُوا**﴾ ببعض ذنوبهم السالفة ﴿**ولقد عَفَا اللهُ عنهم**﴾ عمّا كان منهم من الفرار ﴿**إنّ اللهَ غفورٌ حليمٌ**﴾، يغفر الذنبَ ويحلم عن خلقه **١٥٦**: ينهى الله تعالى المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب ﴿**لو كانوا عندنا مَا مَاتوا وما قُتِلوا**﴾. ﴿**إذا ضربُوا في الأرض**﴾ سافروا للتجارة ﴿**أو كانوا غُزّى**﴾ في الغزو. ﴿**ليجعلَ اللهُ ذلك حسرةً في قلوبهم**﴾ هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم، ثم قال تعالى ردّاً عليهم: ﴿**واللهُ يُحيي ويُميتُ**﴾ فلا يحيى أحدٌ ولا يموت إلا بمشيئته وقدره ﴿**واللهُ بما تعملون بصير**﴾ علمه وبصره نافذٌ في جميع خلقه لا يخفى عليه شيء من أمورهم **١٥٧**: ﴿**ولئنْ قُتلتم في سبيل الله أو مُتُم لمغفرةٌ مِن اللهِ ورحمةٌ خيرٌ ممّا يجمعون**﴾، تضمّن هذا أنّ القتلَ في سبيل الله، والموت أيضاً، وسيلةٌ إلى نيل رحمة الله وعفوهِ ورضوانه، وذلك خيرٌ من البقاء في الدنيا وجمع حُطامها الفاني.

الآية ١٥٥: روى الطبراني أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا ينفعُ معهنّ عملٌ: الشركُ بالله، وعقوق الوالدين، والفِرارُ من الزحف». /الترغيب والترهيب ج٢/٣٠٢/.

الآية: ١٥٦ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة في ضمان الله عزّ وجلّ: رجلٌ خرج إلى مسجد من مساجد الله عزّ وجلّ، ورجلٌ خرج غازياً في سبيل الله، ورجل خرج حاجّاً» صحيح الجامع ج١/٥٨٥/ وعنه إنّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ حقٌّ على الله تعالى عونُهُم: المجاهدُ في سبيل الله، والمُكاتَبُ الذي يُريد الأداء [يشتري نفسه من الرِّق] والناكح [المتزوّج] الذي يُريد العَفَاف» رواه أحمد والترمذي/صحيح الجامع ج١/٥٨٥/.

الآية ١٥٧: قال رسول الله ﷺ: «إنّ عِظَمَ الجزاءِ مَعَ عِظَمِ البلاءِ، وإنّ الله تعالى إذا أحبَّ قوماً ابتلاهُم، فمَنْ رضيَ فله الرضا، ومَن سَخِطَ فله السُّخط»، رواه الترمذي وقال حديث حسن /رياض الصالحين/٣٣/.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٨: ﴿ولئن مُتُّمْ أو قُتلتم لإلى اللهِ تحشرون﴾، أخبر تعالى بأنّ كل من مات أو قتل فمصيره ومرجعه إلى الله عزّ وجلّ فيجزيه بعمله إن خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرٌّ **١٥٩:** يقول تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ممتناً عليه وعلى المؤمنين فيما ألانَ به قلبه على أمته: **﴿فبما رحمةٍ من اللهِ لِنْتَ لهم﴾** بأيِّ شيء جعلك الله لهم ليناً لولا رحمة الله بك وبهم؟ فبرحمة الله لِنْتَ لهم، **﴿ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضوا من حولك﴾** لو كنتَ سيء الكلام قاسي القلب لتركوك، ولكنّ الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم، ولهذا قال تعالى: **﴿فاعْفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاورهم في الأمر﴾** تطييباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها. **﴿فإذا عزمتَ﴾** في الأمر **﴿فتوكلْ على اللهِ﴾** فيه **﴿إنّ الله يُحِبُّ المتوكلين﴾** **١٦٠: ﴿إن ينصُرْكُمُ اللهُ فلا غالب لكم وإن يخذلْكم فمن ذا الذي ينصُرُكم من بعده، وعلى الله فليتوكلِ المؤمنون﴾** أمرهم بالتوكل عليه [وأخبرهم بمحبته للمتوكلين] **١٦١: ﴿وما كان لنبيٍّ أن يَغُلَّ﴾** يخون، وذلك أنّهم فقدوا قطيفة يوم بدر، فقالوا: لعلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها، فأنزل هذه الآية. أي: فلا يجوز أن يُتهم بالخيانة **﴿ومَنْ يَغْلُلْ يأتِ بما غلّ يوم القيامة ثم توفى كلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظلمون﴾** وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن ولي لنا عملاً وليس له منزلٌ فليتخذْ منزلاً، أو ليستْ له زوجة فليتزوّج، أو ليس له خادم فليتخذْ خادماً، أو ليس له دابةٌ فليتخذْ دابّةً، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غالٌّ». **﴿ثم توفّى كلُّ نفسٍ ما كسبتْ وهم لا يُظلمون﴾** **١٦٢: ﴿أفمنِ اتّبعَ رِضْوانَ اللهِ كمَنْ باءَ بسخطٍ مِنَ اللهِ﴾**؟! لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه، ومن استحق غضب الله وأُلزم به؟! **﴿ومأواه جهنّم وبئس المصير﴾** **١٦٣: ﴿هم درجاتٌ عند اللهِ﴾** أهل الخير وأهل الشرّ، فأهل الجنّة درجات، وأهل النار دركات. **﴿واللهُ بصيرٌ بما يعملون﴾** لا يظلمهم خيراً ولا يزيدهم شرّاً **١٦٤: ﴿لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين إذْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم﴾** من جنسهم ليتمكّنوا من مخاطبته والانتفاع به **﴿يتلوا عليهم آياتِهِ ويُزكيهم﴾** يتلو عليهم القرآن، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكوا أنفسهم وتطهر من جاهليتهم **﴿ويُعلّمهم الكتابَ والحكمة﴾** القرآن والسنّة. **﴿وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ﴾** في جهل وغيّ ظاهر لكلِّ أحدٍ **١٦٥: ﴿أوَلمّا أصابتكم مصيبةٌ﴾** وهي ما أصيب منهم يوم أُحُد **﴿قد أصبتُم مثليها﴾** يعني يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين **﴿قلتم أنّى هذا﴾**؟ من أين جرى علينا هذا؟ **﴿قلْ هو من عند أنفسكم﴾** بسبب عِصيانكم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعني بذلك الرماة **﴿إنّ الله على كلِّ شيء قدير﴾** يفعل ما يشاء.

الآية ١٥٩: كان ﷺ يشاور أصحابه في الحروب وغيرها. وروى الإمام أحمد أنه ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مَشُورة ماخالفتكما». وروى ابن مردويه: سُئل ﷺ عن العزم؟ فقال: «مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم». /تفسير ابن كثير ج١/٤٢٠/.

وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

الحزب ٨

۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٦٦: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذنِ الله﴾ فراركم بين يدي عدوّكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين كان بقضاء الله وقدره وله الحكمة في ذلك **﴿وليعلم المؤمنين﴾** الذين صبروا ولم ينهزموا **١٦٧: ﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالَوْا قاتِلُوا في سبيل الله أو ادْفعُوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم﴾** يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبيّ بن سلول الذين رجعوا معه أثناء الطريق [إلى أُحد]، قالوا: لو نعلم أنكم تلقون حرباً لجئناكم **﴿هم للكفر يومئذٍ أقربُ منهم للإيمان﴾** يقولون القول ولا يعتقدون صحتَهُ، ولهذا قال تعالى: **﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلمُ بما يكتُمون﴾ ١٦٨: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعُونا ما قتِلُوا﴾** لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قُتِلُوا مع مَن قُتِلَ؛ قال الله تعالى: **﴿قُلْ فادْرؤُا عن أنفسكم الموتَ إن كنتم صادقين﴾** إن كان القعود يسلمُ بِهِ الشخصُ من الموت فينبغي أنّكم لا تموتُون، والموت لا بُدّ آتٍ إليكم ولو كنتم في بروج مشيّدة **١٦٩: ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون﴾**، يخبر تعالى عن الشهداء بأنّهم وإن قُتِلُوا في هذه الدار فإنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنّة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل» الحديث. رواه مسلم **١٧٠: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشِرُون بالذين لم يلحقُوا بهم مِن خَلْفِهم ألّا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾** ويُسرُّون بلحوق مَن لحقهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم **١٧١: ﴿يستبشرون بنعمةٍ مِنَ الله وفضلٍ وأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾** سرُّوا لِما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب. وهذه الآيات جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم، وقلّما ذكرَ اللهُ فضلاً ذكرَ بِهِ الأنبياء وثواباً أعطاهم اللهُ إيّاه إلّا ذكرَ اللهُ ما أعطى المؤمنين من بعدهم **١٧٢: ﴿الذين استجابُوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرحُ﴾** هذا كان يوم حمراء الأسد، وذلك أنّ المشركين لمّا أصابوا من المسلمين كرُّوا راجعين إلى بلادهم، فلمّا استمروا في المسير ندموا لم لاتّمُّوا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نَدَبَ المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبوهم، ويُريهم أنّ بهم قوّةً وجَلَداً، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح طاعةً للهولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى بلغوا حمراء الأسد، فقذفَ اللهُ في قلب أبي سفيان فرجع إلى مكة؛ وذلك أنّ أبا سفيان رأى معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمدٌ وأصحابُهُ يطلبكم في جمعٍ لم أرَ مثلَهُ، فرجع وقد قذف الله في قلبه الرعب. **﴿للذين أحسنُوا منهم واتّقَوْا أجرٌ عظيم﴾ ١٧٣: ﴿الذين قال لهم الناس إنّ الناسَ قد جمَعُوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً﴾** الذين توعدهم الناس بالجموع وخوّفُوهم بكثرة الأعداء فما اكترَثُوا لذلك، بل توكلوا على الله واستعانوا به **﴿وقالوا حسبنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيل﴾**، [أي: كافينا الله].

الآية ١٧٣: قال أنس: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «اللهمَّ أنت عَضُدِي ونَصيري، بكَ أَحُولُ وبكَ أَصُولُ، وبكَ أُقاتِلُ»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. / الأذكار/١٧٩/.

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٧٤: ﴿فانقلبوا بنعمةٍ مِن اللهِ وفضلٍ لم يمسسهم سُوء﴾ لمّا توكّلوا على الله كفاهم ما أهمّهم وردّ عنهم بأسَ من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم **﴿بنعمةٍ من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾** مّما أضمرَ لهم عدوّهم **﴿واتبعُوا رضوانَ اللهِ واللهُ ذُو فضل عظيم﴾** **١٧٥: ﴿إنما ذلكم الشيطان يُخوّف أولياءه﴾** يُخوّفكم أولياءَه ويُوهكم أنّهم ذَوُو بأس وذَوُو شِدّة قال الله تعالى: **﴿فلا تخافُوهم وخافُونِ إن كنتم مؤمنين﴾** إذا سوّل لكم وأوهكم فتوكلوا عليّ والْجَؤوا إليّ فإني كافيكم وناصركم عليهم **١٧٦: ﴿ولا يحزُنْكَ الذين يُسارِعُون في الكفر إنّهم لن يضرُّوا الله شيئاً﴾** وذلك من شدّة حرصه صلى الله عليه وآله وسلم على الناس، كان يُحزِنُهُ مبادرة الكفار إلى المخالفة والعِناد **﴿يُريدُ اللهُ ألّا يجعل لهم حَظّاً في الآخرة﴾** حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته ألّا يجعل لهم نصيباً في الآخرة **﴿ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾**. ثم أخبر تعالى إخباراً مقرّراً فقال: **١٧٧: ﴿إنّ الذين اشتَرَوْا الكفرَ بالإيمان﴾** استبدلوا هذا بهذا **﴿لن يضرّوا الله شيئاً﴾** يضرّون أنفسَهم **﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾**؛ ثم قال تعالى: **١٧٨: ﴿ولا يحسبنَّ الذين كفرُوا أنّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسِهم إنما نُملي لهم ليزدادُوا إثماً ولهم عذابٌ مُهين﴾** كقوله تعالى: **﴿أيحسَبُون أنّ ما نمدُّهم به من مالٍ وبنينَ نُسارِعُ لهم في الخيراتِ بل لا يشعُرُون﴾** **١٧٩: ﴿ما كان اللهُ لِيَذَرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميزَ الخبيثَ مِنَ الطيّب﴾** لا بُدّ أن يُعقدَ شيءٌ من المحنة، يظهر فيه وليّهُ، ويفضح به عدوّه، يُعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر؛ يعني بذلك يومَ أُحُد الذي امتحَن اللهُ به المؤمنين. **﴿وما كانَ اللهُ ليُطلِعَكم على الغيب﴾** أنتم لا تعلمون غيبَ الله في خلقه حتى يميزَ لكم المؤمِنَ من المنافق لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك **﴿ولكن اللهَ يجتبي من رسله من يشاء﴾**، كما قال تعالى: **﴿عالِمُ الغيبِ فلا يُظهر على غيبه أحداً. إلّا مَنِ ارتضى من رسولٍ فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَداً﴾**، **﴿فآمِنوا باللهِ ورسله﴾** أطيعُوا اللهَ ورسولَهُ فيما شرعَ لكم. **﴿وإنْ تُؤمنوا وتتقُوا فلكم أجرٌ عظيم﴾** **١٨٠: ﴿ولا يحسبَنّ الذين يبخلون بما آتاهم اللهُ من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم﴾** لا يحسبنّ البخيل أنّ جمعه المالَ ينفعه، بل هو مضرّة عليه في دِينِهِ، وربّما كان في دنياه. ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال سبحانه: **﴿سَيُطوَّقُون ما بَخِلُوا به يومَ القيامة﴾**، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن آتاه اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاتَهُ مُثِّل له شُجاعاً أقرع له زبيبتان يُطوّقه يومِ القيامة، يأخذ بلهزمتيه –يعني: بشدقيه– يقولُ: أنا مالُكَ أنا كنزُكَ» ثم تلا هذه الآية. رواه البخاري. **﴿ولله ميراثُ السمواتِ والأرض﴾** فأنفِقوا مِمّا جعلكم مستخلفين فيه، فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عزّ وجلّ، فقدّموا من أموالكم ما ينفعكم يوم مَعَادِكم **﴿واللهُ بما تعملون خبيرٌ﴾** بنيّاتكم وضمائركم.

الآية ١٨٠: قال رسول الله ﷺ: «مَامِنْ يومٍ يُصبحُ العبادُ فيه إلاّ مَلَكان ينزلان فيقول أحدُهما: اللهم أعطِ مُمسِكاً تلفاً» متفق عليه. /رياض الصالحين/٢٥٩/. وقال عليه الصلاة والسلام: «واتقوا الشُّحَّ، فإنّ الشحَّ أهلكَ مَن كان قبلكم» رواه مسلم. /٢٦٥/.

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

نصف الحزب ٨

١٨١: ﴿لقد سمعَ اللهُ قولَ الذين قالوا إنّ اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياء﴾، لمّا نزل قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الذي يُقرِضُ اللهَ قرضاً حسناً فيُضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ قالت اليهود: يا محمد افتقرَ ربُّكَ فسألَ عبادَه القرض؟ فأنزل الله هذه الآية: **﴿سنكتبُ ما قالوا﴾** تهديدٌ ووعيدٌ، ولهذا قرنَهُ تعالى بقوله: **﴿وقتلهم الأنبياءَ بغير حقٍّ﴾** هذا قولهم في الله، وهذه معاملتهم رسلَ الله، وسيجزيهم اللهُ على ذلك شرَّ الجزاء، ولهذا قال تعالى: **﴿ونقولُ ذُوقوا عذاب الحريق﴾ ١٨٢: ﴿ذلك بما قدّمتْ أيديكم وأنّ الله ليس بظلّامٍ للعبيد﴾** يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً **١٨٣: ﴿الذين قالوا إنّ الله عَهِدَ إلينا ألّا نُؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾** يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء: **﴿قلْ قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبيّنات﴾** بالحجج والبراهين **﴿وبالذي قلتم﴾** وبنارٍ تأكل القرابين المتقبلة **﴿فلِمَ قتلتموهم﴾** فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم **﴿إن كنتم صادقين﴾** أنكم تتبعُون الحقَّ وتنقادُون للرسل؟! **١٨٤: ﴿فإن كذّبُوكَ فقد كُذِّبَ رسلٌ مِن قبلك جاؤوا بالبيّناتِ والزُّبُر والكتابِ المنير﴾**، لا يُوهنك تكذيب هؤلاء لك، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كُذِّبُوا مع ما جاؤوا به من البيّنات. **﴿والزُّبُر﴾** الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزّلة على المرسلين **﴿والكتاب المنير﴾** الواضح الجليّ **١٨٥: يُخبر تعالى** إخباراً عامّاً يعمُّ جميعَ الخليقة فقال: **﴿كلُّ نفسٍ ذائقة الموت﴾**، كقوله تعالى: ﴿كلُّ من عليها فان﴾، فهو تعالى وحده الذي لا يموت، والجنُّ والإنسُ يُموتُون، وكذلك الملائكة، وحملة العرش، وينفرد ذُو الجلال والإكرام الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخراً كما كان أوّلاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فلا يبقى أحدٌ على وجه الأرض [إلا و] يموت. **﴿وإنّما تُوفَّون أجورَكم يوم القيامة فمن زُحزِحَ عن النار وأُدخل الجنّةَ فقد فاز﴾** من جُنِّبَ النار ونجا منها وأدخل الجنّة فقد فازَ كلَّ الفوز. **﴿وما الحياةُ الدنيا إلّا متاعُ الغُرُور﴾** هذا تصغيرٌ لشأنها وتحقيرٌ لأمرها. كما قال تعالى: ﴿بل تُؤثرون الحياةَ الدنيا والآخرةُ خيرٌ وأبقى﴾ **١٨٦: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسِكم﴾** لا بُدّ أن يُبتلَى المؤمن في شيءٍ من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله، ويبتلَى المؤمنُ على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زِيدَ في البلاء، **﴿ولَتَسْمَعُنّ من الذين أُوتُوا الكتاب من قبلِكم ومِنَ الذين أشركوا أذىً كثيراً﴾**، [هذه تسليةٌ من الله تعالى] للمؤمنين عمّا ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، ثم أمرهم بالصبر والعفو حتى يأتي فرجُ الله: **﴿وإنْ تصْبِرُوا وتتقوا فإنّ ذلك من عزمِ الأمور﴾**. وكلُّ مَن قام بحق، أو أمرَ بمعروف، أو نهى عن منكر، فلا بُدّ أن يُؤذَى؛ فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله،[ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله].

الآية ١٨٥: قال عليُّ بن أبي طالب لمّا توفي النبي ﷺ جاءهم آتٍ فقال: «إنّ في الله عزاءً من كل مُصيبةٍ، وخَلَفاً من كل هالِكٍ، ودَرَكاً من كل فائتٍ، فبالله فثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّ المصاب من حُرِمَ الثواب». ثم قال علي: هذا الخضر عليه السلام. /تفسير ابن كثير ج١/٤٣٥/.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

١٨٧: هذا توبيخٌ من الله وتهديدٌ لأهل الكتاب الذين أخذَ اللهُ عليهم العهدَ على ألسنة الأنبياء أن يُؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكتمُوا ذلك، قال تعالى: ﴿**وإذْ أخذَ اللهُ مِيثاقَ الذين أُوتُوا الكتابَ لَتُبيّنُنَّهُ للناسِ ولا تكتُمُونَهُ فنبذُوهُ وراءَ ظهورهم واشتَرَوْا به ثمناً قليلاً**﴾ تعوّضُوا عمّا وُعِدُوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدُّونِ السخيف، فبئستِ الصفقةُ صفقتهم، وبئستِ البيعةُ بيعتُهم، ﴿**فبئسَ ما يشترون**﴾ **١٨٨**: ﴿**لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أوتوا ويُحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**﴾ يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يُعطوا، كما جاء في الصحيحين عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنِ ادّعى دعوى كاذبةً ليتكثّرَ بها لم تَزِدْهُ مِنَ اللهِ إلّا قِلّةً» ﴿**فلا تحسبنّهم بمفازةٍ مِنَ العذاب**﴾ لا تحسب أنّهم ناجون من العذاب؛ بل لا بُدّ لهم منه، ولهذا قال تعالى: ﴿**ولهم عذابٌ أليم**﴾ **١٨٩**: ﴿**ولله ملك السمواتِ والأرض**﴾ هو سبحانه مالكُ كلِّ شيء، ﴿**واللهُ على كلِّ شيءٍ قدير**﴾ وهو القادر على كل شيءٍ فلا يُعجزه شيءٌ، فهابُوهُ ولا تُخالِفُوهُ، واحذرُوا غضبه، فإنّه العظيم الذي لا أعظم منه، القدير الذي لا أقدر منه **١٩٠**: ﴿**إنّ في خلقِ السمواتِ والأرض**﴾ هذه في ارتفاعها واتّساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتّضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة، ﴿**واختلافِ الليل والنهار**﴾ تعاقبهما، وتقارضهما الطولَ والقِصَرَ؛ فتارة يطولُ هذا ويقصرُ هذا، ثم يعتدلان ﴿**لآياتٍ لأولي الألباب**﴾ العقول التامّة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها، وليسوا كالصم والبُكمِ الذين لا يعقلون، ثم وصف تعالى أولي الألباب فقال: **١٩١**: ﴿**الذين يذكرون اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم ويتفكرون في خلقِ السمواتِ والأرض**﴾ يفهمون ما فيهما من الحكم الدالّة على عظمة الخالق وقدرته. ﴿**ربَّنا ما خلقتَ هذا باطلاً**﴾ ما خلقتَ هذا عَبثاً، بل بالحق؛ لتجزي الذين أحسنُوا بالحُسْنَى، والذين أساؤوا بما عملوا، ثم نَزّهُوهُ عن الباطل فقالوا: ﴿**سبحانك**﴾ [تنزهتَ] عن أن تخلق شيئاً باطلاً ﴿**فقِنا عذابَ النار**﴾ يا من خلقَ الخلق بالحقِّ، ويامَن هو منزّهٌ عن النقائص والعيب والعبث؛ قِنا عذابَ النار بحولك وقوّتك، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم **١٩٢**: ﴿**ربَّنا إنّكَ مَن تدخل النار فقد أخزيته**﴾ أهنته وأظهرتَ خزيَهُ لأهل الجمع ﴿**وما للظالمين من أنصار**﴾ يوم القيامة، فلا مُجيرَ لهم منك **١٩٣**: ﴿**ربَّنا إننا سمعنا منادياً يُنادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمَنّا**﴾ سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فاستجبنا له واتبعناه ﴿**ربَّنا فاغفرْ لنا ذُنوبنا**﴾ بإيماننا واتّباعِنَا نبيَّكَ، أي: استرْها، ﴿**وكفِرْ عنّا سيئاتِنا**﴾ فيما بيننا وبينك ﴿**وتوفنا مع الأبرار**﴾ ألحقنا بالصالحين **١٩٤**: ﴿**ربَّنا وآتِنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِكَ**﴾ على ألسنة رسلك ﴿**ولا تُخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد**﴾.

الآية ١٨٨: قال الضحاك: إنّ اليهود كانوا يقولون للملوك: إنّا نجدُ في كتابنا أنّ الله يبعثُ نبيّاً في آخر الزمان يَخْتِمُ بهِ النبوّة، فلمّا بعثه الله، سألهم الملوك: أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقال اليهود طمعاً في أموال الملوك: هو غير هذا، فأعطاهم الملوك الخزائن، فقال تعالى: ﴿لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أَتَوا﴾ الملوكَ من الكذب حتى يأخذوا عرَض الدنيا. /القرطبي/٤/٣٠٦/.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

١٩٥: ﴿فاستجابَ لهم ربُّهم﴾ فأجابَهم ربُّهم **﴿أنّي لا أُضيعُ عَمَلَ عاملٍ منكم من ذَكَرٍ أو أُنثى﴾** وهذا تفسيرٌ للإجابة، أي: قال لهم مخبراً أنّه لا يَضيعُ عملُ عاملٍ منكم لديه، بل يُوفّى كلُّ عاملٍ بقسطِ عمله من ذكرٍ أو أنثى. **﴿بعضُكم من بعض﴾** جميعكم في ثوابي سواء **﴿فالذين هاجروا﴾** إلى دار الإيمان **﴿وأخرجوا من ديارهم﴾** ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجؤوهم إلى الخروج **﴿من ديارهم﴾**، ولهذا قال: **﴿وأُوذُوا في سبيلي وقاتلُوا وقُتِلُوا لأُكفِّرَنَّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنّهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾** من أنواع المشارب، مِمّا لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر. **﴿ثواباً مِن عندِ الله﴾** اضافَهُ إليه ونسبه إليه ليدلّ على أنّه عظيم، فإنّ العظيمَ الكريم لا يُعطي إلّا جزيلاً كثيراً. **﴿واللهُ عندَهُ حُسْنُ الثواب﴾** عندَهُ حسنُ الجزاء لمن عمل صالحاً **١٩٦: ﴿لا يغرَّنّك تقلُّبُ الذين كفروا في البلاد﴾** لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور، فعمّا قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحوا مرتهنين بأعمالهم السيّئة، فإنّما نمدُّ لهم فيها استدراجاً **١٩٧: ﴿متاعٌ قليلٌ ثم مأواهم جهنّم وبئس المِهاد﴾**، وكما قال تعالى: ﴿إنّ الذين يفترون على اللهِ الكذب لا يُفلِحُون. متاعٌ في الدنيا قليل ثم إلينا مرجعُهم ثم نُذيقُهُم العذابَ الشديدَ بما كانوا يكفرون﴾ **١٩٨: ﴿لكن الذين اتقوا ربَّهم لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها نُزُلاً من عند الله وما عندَ الله خيرٌ للأبرار﴾**، **﴿لكن الذين اتقوا ربَّهم﴾** استدراك بعد كلام تقدّم فيه معنى النفي؛ لأنّ معنى ما تقدّم: ليسَ لهم في تقلّبهم في البلاد كبير الانتفاع؛ لكن المتّقون لهم الانتفاع الأكبر والخُلدُ الدائم. **﴿وما عندَ الله خيرٌ للأبرار﴾**[مِمّا يتقلّب به الكفار في الدنيا] **١٩٩**: يخبر تعالى عن طائفةٍ من أهل الكتاب أنّهم يُؤمنون بالله حقّ الإيمان: **﴿وإن مِنْ أهلِ الكتابِ لَمَنْ يُؤمِنُ بالله﴾**، ويُؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدّمة: **﴿وما أُنزلَ إليكم وما أُنزِلَ إليهم خاشعين لله﴾** خاضعين لله متذلّلين بين يديه **﴿لا يشترونَ بآياتِ اللهِ ثمناً قليلاً﴾** لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكرِ صفته، **﴿أولئك لهم أجرُهم عندَ ربّهم إنّ اللهَ سريعُ الحساب﴾** **٢٠٠: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اصْبِرُوا﴾** أمرَ اللهُ تعالى المؤمنين أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه لهم، وهو الإسلام، فلا يَدَعُوه لسرّاء ولا لضرّاء، ولا لشدّةٍ ولا لرخاء؛ حتى يموتُوا مسلمين. **﴿وصَابِرُوا﴾** أن يُصابروا الأعداء **﴿ورَابِطُوا﴾**، المرابطة: هي المداومة في مكان العبادة والثبات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، روى مسلم والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أخبركم بما يمحوا اللهُ به الخطايا ويرفع الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكارِه، وكثرة الخُطَا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط». **﴿واتّقوا اللهَ لعلّكم تُفلِحُون﴾**، في الدنيا والآخرة، [ولتكونوا على رجاءٍ من الفلاح].

الآية ١٩٥: عن سهل بن سعدٍ قال: شهدتُ من النبي ﷺ مجلساً وَصَفَ فيه الجنّةَ حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: ﴿فيها مالاعَينٌ رأتْ، ولاأُذنٌ سمعتْ ولاخطرَ على قلب بشر﴾ ثم قرأ: ﴿فلاتعلم نفسٌ ماأُخفيَ لهم من قُرَّةِ أعيُن﴾. رواه البخاري./رياض الصالحين /٧٢٢/.

سورة النساء

قال ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة.

١: يقول تعالى آمراً خلقه بتقواه، وهي عبادتُهُ وحده لا شريكَ له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفسٍ واحدة: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ**﴾ وهي آدم عليه السلام ﴿**وخلقَ منها زوجها**﴾ وهي حوّاء عليها السلام، خُلِقتْ من ضلعه الأيسر. وفي الحديث الصحيح: «إنّ المرأةَ خُلقتْ من ضلع، وأنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وفيها عِوَج»، [وهذا كناية عن لسانها، وفيه عوجها]. ﴿**وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونِساءً**﴾ في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم. ﴿**واتقُوا الله الذي تساءَلون بهِ والأرحامَ**﴾ واتقوا اللهَ بطاعتكم إيّاه ﴿**والأرحامَ**﴾ واتقوا الأرحام أن تقطعوها. ﴿**إنّ الله كان عليكم رقيباً**﴾ هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم

٢: ﴿**وآتُوا اليتامَى أموالَهم**﴾ يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحُلُم، وينهى عن أكلها، ولهذا قال: ﴿**ولا تتبدّلوا الخبيثَ بالطيّب**﴾ لا تتبدّلوا الحرامَ من أموال الناس بالحلال من أموالكم ﴿**إنّه كان حُوْباً كبيراً**﴾ إثماً عظيماً **٣**: ﴿**وإنْ خِفتم ألّا تُقسِطُوا في اليتامى فانكِحُوا ما طابَ لكم من النساء مثنى**﴾ إذا كان تحتَ حجر أحدكم يتيمة وخاف ألا يُعطيها مهرَ مثلها فليعدل إلى ما سواها من النساء؛ نُهُوا أن ينكحوهنّ إلّا أن يُقْسِطُوا إليهنّ في الصَّدَاق. ﴿**مثنى وثُلاثَ ورُباعَ**﴾ إن شاء أحدكم ثنتين، وإن شاء ثلاثاً، وإن شاء أربعاً. ﴿**وإن خِفْتُم ألّا تعدِلُوا**﴾ بينهنّ ﴿**فواحدةً**﴾ أي: فليقتصرْ على واحدة ﴿**أو ما ملكتْ أيمانُكم**﴾ من الجواري، فإنّه لا يجب قَسْمٌ بينهنّ، ولكن يُستحب. ﴿**ذلك أدنى ألّا تعُولوا**﴾ ألا تجُوروا **٤**: ﴿**وآتُوا النساءَ صَدُقاتِهنّ نِحلةً**﴾ فريضة؛ أي: لا تنكِحُها إلا بشيءٍ واجبٍ لها، ﴿**فإنْ طِبْنَ لكم عن شيءٍ منه نفساً فكُلوه هَنيئاً مريئاً**﴾ **٥**: ﴿**ولا تُؤتُوا السُفهاءَ أموالَكُمُ التي جعلَ اللهُ لكم قياماً**﴾ ينهى سبحانه عن تمكين السفهاءَ، وهم الصبيان والنساء من التصرّف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً؛ أي: تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها ﴿**وارْزُقُوهم فيها واكسُوهم**﴾ لا تعمد إلى مالِكَ فتعطيه امرأتَكَ أو بنتكَ ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسكه وكُنْ أنتَ الذي تُنفق عليهم ﴿**وقُولُوا لهم قولاً معروفاً**﴾ في البِرّ والصِّلة **٦**: ﴿**وابتَلُوا اليتامى**﴾ اختبروهم ﴿**حتى إذا بلغُوا النكاحَ**﴾ الحُلُم ﴿**فإنْ آنستم منهم رُشداً**﴾ صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم ﴿**فادفعُوا إليهم أموالَهم ولا تأكلُوها إسرافاً وبِدَاراً أن يكبَرُوا**﴾ ينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية، مُبادرةً قبلَ بُلوغهم. ثم قال تعالى: ﴿**ومَنْ كان غنياً فليستعفِفْ**﴾ عنه ولا يأكل منه شيئاً ﴿**ومَن كان فقيراً**﴾ الذي يقوم عليه ويُصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه ﴿**فليأكل بالمعروف**﴾ بقدر قيامه عليه. قال الفقهاء: له أن ياكل أقلَّ الأمرين؛ أجرة مثله أو قدر حاجته. ﴿**فإذا دفعتم إليهم أموالَهم**﴾ بعد بلوغهم وإيناسهم الرُّشْدَ منهم ﴿**فأشهِدُوا عليهم**﴾ لئلا يقع من بعضهم جُحُودٌ وإنكارٌ لِما قبضَهُ وتسلّمه، ثم قال: ﴿**وكفى بالله حسيباً**﴾ محاسباً وشاهداً ورقيباً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حزب ٨

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

٧: ﴿للرِّجالِ نَصيبٌ مِمّا تركَ الوالِدانِ والأقرَبُون وللنساء﴾ الآية. الجميعُ فيه سواءٌ في حكم الله تعالى يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتُوا بحسب ما فرضَ اللهُ لكلٍّ منهم **﴿مِمّا قلَّ منه أو كثُر نصيباً مفروضاً﴾ ٨: ﴿وإذا حضرَ القِسْمَةَ﴾** ذُو القُرْبى مِمّن ليس بوارثٍ **﴿واليتامَى والمساكين﴾ فَلْيُرْضَخْ** لهم من التركة نصيبٌ. كان ذلك قبلَ أن تنزل الفرائض. ثم نسختها المواريث، فألحق الله بكل ذي حقٍّ حقه، وصارت الوصيّةُ من ماله يُوصي بها لذوي قرابته حيث شاء. **﴿فارْزُقُوهم منه﴾** إحساناً إليهم وجبراً لكسرهم **﴿وقُولُوا لهم قولاً معروفاً﴾ ٩:** هذه الآية في الرجل يحضرُهُ الموتُ، فيسمعه رجلٌ يُوصي بوصيّة تضرّ بورثته، فأمرَ الله تعالى الذي يسمعه أن يسدّده للصواب. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد بن أبي وقاص: «إنّكَ أنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ مِن أن تذرَهم عالةً يتكفّفون النّاس»، وهو في الصحيحين. وفي الصحيح عن ابن عباس قال: لو أنّ الناسَ غَضُّوا من الثلث إلى الربع؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الثلثُ، والثلثُ كثير». قال الفقهاء: إن كان ورثةُ الميّت أغنياء استحب للميّت أن يستوفيَ في وصيته الثلث، وإن كانوا فقراء استحب أن يُنقصَ الثلثَ **١٠: ﴿إنّ الذين يأكلون أموالَ اليتامَى ظلماً إنّما يأكلون في بُطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾** إذا أكلُوا أموالَ اليتامى بلا سببٍ، فإنّما ياكلون ناراً تتأجج

ي بطونهم يوم القيامة **١١:** هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة هنّ آياتُ علم الفرائض؛ وهو مستنبط من هذه الآيات ثلاث، ومن الأحاديث الورادة في ذلك مِمّا هو كالتفسير لذلك. فقوله تعالى: **﴿يُوصيكم اللهُ في أولادِكم للذكرِ مِثْلُ حظِّ الأنثيين﴾** يأمركم بالعدل بهم؛ فإنّ أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميعَ الميراث للذكر دون الأنثى. وإنّه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها، حيثُ أوصى الوالدين بأولادهم؛ مُلِمَ أنّه أرحم بهم منهم. **﴿فإن كُنّ نساءً فوقَ اثنتين فلهنّ ثُلُثَا ما ترك﴾**؛ فإذا ورث الأختان الثلثين، فلأن يرث البنتان الثلثين بالطريق الأولى، وفي حديث جابر: أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين. **﴿وإن كانت واحدةً فلها النصفُ ولأبويهِ لكلِّ واحدٍ منهما سُّدُس﴾** مع الأولاد [أي: مع أولاد المتوفى] **﴿إن كان له ولدٌ فإنْ لم يكنْ له ولدٌ ووَرِثَهُ أبواهُ فلأمِّهِ الثلث﴾** إن انفرد الأبوان بالميراث؛ فيُفرض أم الثلث، ويأخذ الأبُ الباقي بالتعصيب. **﴿فإن كان له إخوةٌ فلأمِّهِ السُّدُسُ﴾** فيُفرض لها مع وجودهم السُّدُسُ؛ أضرُّوا بالأمّ ولا يرثون. **﴿من بعدِ وصيّةٍ يُوصي بها أو دَين﴾**؛ أجمع العلماء من السلف والخلف على أنّ الدَّين مقدّمٌ على الوصيّة، وذلك عند إمعان النظر يفهم من فحوى الآية كريمة. وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بالدَّين قبل الوصيّة. **﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيّهم أقربُ لكم نفعاً﴾** إنّ النفع متوقع ومرجو ن هذا كما هو متوقع ومرجو من الآخر؛ فلهذا فرضنا لهذا وهذا، وساوينا بين القسمين في أصل الميراث. **﴿فريضةً من الله﴾** هو فرض من الله حكم وقضاه **﴿إنّ اللهَ كان عليماً حكيماً﴾** يضع الأشياء في محلّها ويُعطي كلاً ما يستحقه بحسبه.

الآية ٩: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرءِ إثماً أن يُضيّعَ مَن يقوتُ»، رواه أبو داود وهو حديث صحيح.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

١٢: ﴿ولكم نصفُ ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولدٌ﴾ ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا متْنَ عن غير ولد. **﴿فإن كان لهنّ ولد﴾** [أي: منكم أو من غيركم] **﴿فلكُمُ الرُّبُعُ مِمّا تركنَ من بعدِ وصيّةٍ يُوصِينَ بها أو دَين﴾**، ثم قال تعالى: **﴿ولهُنَّ الرُّبُعُ مِمّا تركتم﴾** إلى آخره، وسواء في الربع أو الثمن الزوجة أو الزوجتان، والثلاث والأربع يشتركنَ فيه. **﴿وإن كان رجلٌ يُورثُ كلالةً﴾** من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه. وهو مَن لا ولد له ولا والد. **﴿وله أخٌ أو أختٌ﴾** من أمٍّ **﴿فلكلِّ واحدٍ منهما السُّدُس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾** وإخوة الأم يُخالفون بقيّة الورثة من وجوه؛ أحدها: أنّهم يرثون مَن أدْلُوا به، وهي الأم. والثاني: أنّ ذكورَهم وإناثَهم في الميراث سواء. والثالث: لا يرثون إلا إن كان ميّتهم يُورث كلالةً، فلا يرثون مع أبٍ ولا جدّ ولا ولد ولا ولد ابن. والرابع: أنّهم لا يزادون على الثلث، وإن كثُرَ ذكورُهم وإناثُهم. **﴿مِن بعدِ وصيّةٍ يوصَى بها أو دَينٍ غيرَ مُضارٍّ﴾** لتكن وصيّته على العدل لا على الإضرار بأن يحرم بعضَ الورثة أو ينقصه، أو يزيده على ما فرض الله له من الفريضة، فمن سعى في ذلك كان كمن ضادّ الله في حكمه وشرعه. وعن ابن عباس موقوفاً: «الإضرارُ في الوصيّةِ من الكبائر». **﴿وصيّةً مِنَ اللهِ واللهُ عليمٌ حليمٌ﴾ ١٣: ﴿تلك حُدُودُ اللهِ﴾** هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه هي حدود الله فلا تتجاوزوها؛ ولهذا قال تعالى: **﴿ومَن يُطعِ اللهَ ورسولَهُ﴾** فيها، فلم يزدْ بعضَ الورثة ولم يُنقص بعضها بحيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته **﴿يُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذلك الفوزُ العظيم﴾ ١٤: ﴿ومَن يَعْصِ اللهَ ورسولَهُ ويتعدَّ حُدُودَه يُدْخِلْهُ ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مُهينٌ﴾** لكونه غيّر ما حكمَ اللهُ به وضادَّ اللهَ في حكمه، وهذا إنّما يصدر عن عدم الرضا بما قسمَ اللهُ وحكم به؛ ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الرجلَ ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصَى وحَافَ في وصيّته فيُختم له بشرِّ عملِهِ فيدخل النّار، وإنّ الرجلَ ليعمل بعمل أهل الشرِّ سبعين سنة فيعدِلُ في وصيّته فيُختم له بخيرِ عملِهِ فيدخل الجنّة»، قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم: **﴿تلك حُدُودُ الله ـ إلى قوله ـ عذاب مهين﴾**.

الآية ١٢: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا الفرائضَ وعلمُوها، فإنّه نصف العلم، وهو يُنسى، وهو أولُ شيءٍ يُنْزَعُ من أمتي». رواه ابن ماجه والحاكم/. سنن ابن ماجه ج٢/٩٠٨/ ومجمع الزوائد ج٤/٢٢٣/.

قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يُوصى بها..﴾ روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضران في الوصية فتجب لهما النّار» وقرأ أبو هريرة من ههنا ﴿من بعد وصية يُوصى بها أو دين غير مضار﴾ ــ حتى بلغ ــ ﴿ذلك الفوز العظيم﴾. /ابن كثير ج١/٤٦١/.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

١٥: ﴿واللاتي يأتِينَ الفاحشةَ مِن نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعةً منكم فإن شهدوا فأمسكوهُنَّ في البُيوت حتى يتوفّاهُنّ الموت﴾ كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبتَ زناها بالبيّنة العادلة حُبِستْ في بيتٍ فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت **﴿أو يجعلَ اللهُ لهنَّ سبيلاً﴾**، والسبيلُ هو الناسخ لذلك؛ نسخها الجَلْدُ أو الرجم. روى الإمام أحمد: (الثيِّبُ رجمٌ بالحجارة، والبِكْرُ جلدُ مائة) **١٦: ﴿واللذان يأتيانها﴾** الفاحشةَ **﴿منكم فآذُوهما﴾** بالشتم والتعيير والضرب. نزلت في الفتيان من قبل أن يتزوّجوا. **﴿فإن تابَا وأصلحَا﴾** أقلعَا ونزعا عمّا كانا عليه **﴿فأعرِضُوا عنهما﴾** لا تعنّفُوهما؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنبَ له. **﴿إن اللهَ كان تواباً رحيماً﴾ ١٧: ﴿إنّما التوبةُ على الله للذين يعملون السُّوءَ بجهالةٍ﴾** إنّما يقبل الله التوبة مِمّن عمل السوء بجهالة **﴿ثم يتوبُون من قريبٍ﴾** ما كان دون الموت، فهو قريب. روى الإمام أحمد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرْغِرْ». **﴿فأولئك يتوبُ اللهُ عليهم وكان اللهُ عليماً حكيماً﴾ ١٨: ﴿وليستِ التوبةُ للذين يعملون السيّئاتِ حتى إذا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ قال إنّي تُبْتُ الآنَ﴾** أمّا متى وقع الإياسُ من الحياة، وغرغرتِ النفسُ صاعدةً في الغلاصم فلا توبة مقبولة حينئذٍ، ولاتَ حين مناص، **﴿ولا الذين يمُوتُون وهم كفارٌ﴾**، إنّ الكافر إذا ماتَ على كفرهِ لا يُقبلُ منه فديةٌ ولو بملءِ الأرض، **﴿أولئك أعتدنا لَهم عذاباً أليماً﴾** موجعاً شديداً مقيماً **١٩: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا لا يحِلُّ لكم أنْ ترثُوا النساءَ كَرْهَاً﴾**، كانوا [في الجاهليّة] إذا مات الرجلُ كان أولياؤه أحقُّ بامرأتِهِ، إن شاء بعضُهم تزوّجها، وإن شاؤا زوّجوها، وإن شاؤا لم يزوّجوها، فهم أحقُّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية. **﴿ولا تعضُلُوهُنّ﴾** لا تضارُّوهُنّ في العُشرةِ **﴿لتذهبُوا ببعضِ ما آتيتموهنّ﴾** لتترك ما أصدقتَها أو بعضه أو حقاً من حقها عليك على وجه القهر لها والإضرار؛ يعني: الرجل تكون له المرأة وهو كارهٌ لصحبتها، ولها عليه مهر فيضرّها لتفتدي به. **﴿إلّا أنْ يأتِينَ بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ﴾** الزنا؛ إذا زنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها وتُضاجِرُها حتى تتركه لك وتخالعها. **﴿وعاشِرُوهنّ بالمعروف﴾** طيّبوا أقوالكم لهنّ وحسِّنُوا أفعالكم وهيئآتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله، **﴿فإن كرِهتمُوهُنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعلَ اللهُ فيه خيراً كثيراً﴾** فعسى أن يكون صبركم في إمساكهنّ مع الكراهة فيه خيرٌ كثيرٌ لكم في الدنيا والآخرة. وفي الحديث الصحيح: «لا يَفْرِكُ مؤمنٌ مؤمنةً [أي: لا يُبغِضُها] إنْ سَخِطَ منها خُلقاً؛ رَضِيَ منها آخر».

الآية ١٥: قال ابن عباس: «من كفر بالرجم فقد كفر بالرحمن، وذلك قولُ الله: ﴿ياأهلَ الكتابِ قد جاءكم رسولنا يُبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾، فكان مّما أخفوا آيةَ الرجم». رواه ابن حبان في صحيحه، /موارد الظمآن/٣٦٢/.

الآية: ١٩ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم خيرُكم لأهلِهِ، وأنا خيرُكم لأهلي» رواه الترمذي وروى الحاكم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «خيرُكم خيرُكم للنساء» صحيح الجامع الصغير ج١/٦٢٦/.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

٢٠: ﴿وإنْ أردتُمُ استبدالَ زوجٍ مكانَ زوجٍ﴾ إذا أراد أحدكم أن يُفارق امرأةً ويستبدل مكانها غيرَها **﴿وآتيتم إحداهُنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾** فلا يأخذ مِمّا كان أصدقها شيئاً ولو كان قنطاراً من مال، **﴿أتأخذُونَهُ بُهتاناً وإثماً مبيناً﴾**؟ ولهذا قال سبحانه منكراً: **٢١: ﴿وكيفَ تأخذُونَهُ وقد أفضى بعضُكم إلى بعض﴾** وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيتَ إليها وأفضتْ إليك؛ يعني بذلك الجماع **﴿وأخذنَ منكم ميثاقاً غليظاً﴾**؛ المراد بذلك العقد، وفي صحيح مسلم عن جابر في خُطبة حَجّة الوَدَاع: أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال فيها: «واستوصُوا بالنساء خيراً فإنّكم أخذتُموهُنَّ بأمانةِ اللهِ، واستحللتُم فروجهنَّ بكلمةِ اللهِ». **٢٢: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم مِنَ النساء﴾** يُحرِّمُ اللهُ تعالى زوجات الآباء تكرمةً لهم، وإعظاماً واحتراماً أن توطأ من بعده. وتحرم على الابن بمجرّد العقد عليها. **﴿إلّا ما قَدْ سَلَفَ﴾** ما كان معمولاً به في الجاهليّة؛ كانوا لا يُحرِّمُون امرأةَ الأب. **﴿إنّه كان فاحشةً ومقتاً وساءَ سبيلاً﴾**؛ مقتاً: بغضاً؛ أي هو أمرٌ كبير في نفسه، وساءَ سبيلاً: بئس طريقاً لمن سلكه من الناس، فمن تعاطاه يُقتل، روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال: مرَّ بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ له: أيْ عمّ أين بعثكَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: (بعثني إلى رجل تزوّجَ امرأةَ أبيه فأمرني أنْ أضربَ عُنُقَهُ) **٢٣**: هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم مِنَ النسب، وما يتبعه من الرضاع، والمحارم بالصهر. قال ابن عباس: حُرِّمتْ عليكم سبعٌ نسباً، وسبعٌ صهراً، وقرأ: **﴿حُرِّمتْ عليكم أُمّهاتكم وبناتُكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتُكم وبناتُ الأخِ وبناتُ الأختِ﴾** الآية. وقد استدلّ جمهورُ العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزنا عليه بعموم قوله تعالى: **﴿وبناتُكم﴾** فإنّها بنتٌ، فتدخلُ في العموم كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد. وقوله تعالى: **﴿وأُمّهاتُكُمُ اللاتي أرضعنكم وأخواتُكم من الرضاعة﴾** كما يحرم عليك أُمُّكَ التي ولدتْكَ؛ كذلك يحرم عليك أُمُّكَ التي أرضعتْكَ، وفي صحيح مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يحرمُ مِنَ الرضاعةِ ما يحرمُ مِنَ النسب». **﴿وأُمّهاتُ نسائكم﴾** أُمُّ المرأة تحرم بمجرّد العقد على بنتها، سواء دخل بها أو لم يدخل بها. **﴿وربائبكم اللاتي في حُجُورِكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فإن لم تكونوا دخلتم بهِنَّ فلا جُنَاحَ عليكم﴾** الربيبةُ: هي بنت المرأة، فلا تحرم حتى يدخل بأُمّها؛ فإن طلّقَ الأُمَّ قبل الدخول بها جاز له أن يتزوّج بنتها **﴿وحَلائِلُ أبنائكم الذين من أصلابكم﴾** وحرّمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتُموهم من أصلابكم، يحرز بذلك عن الأدعياء الذين كانوا يتبنّونهم في الجاهليّة. **﴿وأنْ تجمَعُوا بينَ الأُختَيْنِ﴾** في النكاح **﴿إنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾**.

الآية ٢٣: عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «إنّ الله تعالى يغار للمسلم» وغيرتهُ زجرُهُ «فليَغِرْ» أي: على المسلم أن لايستعمل جوارحه في المعاصي. في رواية بإسناد صحيح: «إن الله تعالى يغار، وغيرةُ اللهِ أن يأتي المؤمنُ ماحرّم اللهُ» رواه البخاري ومسلم والترمذي /فيض القدير ج٢/٢١٥/.

۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٤: ﴿والمحصناتُ من النساءِ إلّا ما ملكتْ أيمانُكم﴾ وحُرّم عليكم من الأجنبيات المتزوّجات، إلا ما ملكتْ أيمانُكم، يعني: السبيَ، فإنه يحِلُّ لكم وطؤُهنَّ إذا استبرأتُموهنّ. قال أبو سعيد الخدري: أصبنا سبياً من سبي أوطاس، ولهنّ أزواج، فكرهنا أن نقع عليهنّ، ولهنّ أزواج، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت هذه الآية، فاستحللنا فروجهنّ. رواه الترمذي. **﴿كتابَ اللهِ عليكم﴾** هذا التحريمُ كتابٌ كتبَهُ اللهُ عليكم **﴿وأُحِلَّ لكم ما وراء ذلكم﴾** ما عدا مَن ذُكِرْنَ من المحارم هُنَّ لكم حلال **﴿أن تبتغُوا بأموالكم محصنينَ غيرَ مُسَافِحِين﴾** أن تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع بالطريق الشرعي **﴿فما استمتعتُمْ بهِ منهنّ فآتوهُنّ أجورَهنّ فريضة﴾** كما تستمتِعُون بهنّ فآتوهُنّ مُهورَهُنّ في مقابلة ذلك، كما قال تعالى: ﴿وآتوا النساءَ صَدُقاتِهنَّ نِحْلَةً﴾. **﴿ولا جُناحَ عليكم فيما تراضيتُم به من بعد الفريضة﴾** إن وضعتْ لك منه شيئاً فهو لك سائغٌ **﴿إنّ اللهَ كان عليماً حكيماً﴾ ٢٥: ﴿ومن لم يستطعْ منكم طَوْلاً﴾** سعةً وقدرةً **﴿أن ينكحَ المحصناتِ المؤمناتِ﴾** الحرائر العفائف **﴿فمِنْ ما ملكت أيمانُكم من فتياتِكم المؤمنات﴾** فتزوّجوا من الإماء المؤمنات اللاتي يملكهنّ المؤمنون **﴿واللهُ أعلمُ بإيمانِكم﴾** هو العالِمُ بحقائق الأمور وسرائرها، وإنّما لكم أيها الناس الظاهر من الأمور، ثم قال: **﴿فانكِحُوهُنّ بإذنِ أهلِهِنَّ﴾** إنّ السيّد هو وليُّ أَمَتِهِ، لا تُزوّجُ إلا بإذنه **﴿وآتوهُنّ أجورهنّ بالمعروف﴾** ادفعوا مهورَهنّ عن طيبِ نفسٍ منكم ولا تبخسُوا منه شيئاً. **﴿مُحْصَنَاتٍ﴾** عفائف عن الزنا لا يتعاطَيْنَهُ، ولهذا قال: **﴿غيرَ مسافِحَاتٍ﴾** وهُنّ الزواني، **﴿ولا متخذاتِ أخْدَانٍ﴾** أخلاء. **﴿فإذا أُحْصِنَّ﴾** تزوّجنَ **﴿فإن أتينَ بفاحشةٍ فعليهِنّ نِصْفُ ما على المحصنات﴾** الإماء على النصف من الحرائر في الحَدِّ، وإن كُنَّ محصنات، وليس عليهنّ رجمٌ أصلاً، وإنّما عليهن الجلدُ. **﴿مِنَ العذاب﴾** فإذا زنت تجلد خمسين بعد الإحصان. **﴿ذلك لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ منكم﴾** إنّما يُباح نكاح الإماء بالشروط المتقدّمة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا وشقَّ عليه الصبر عن الجماع، **﴿وأنْ تصبرُوا خيرٌ لكم﴾** وإن ترك تزوّجها وجاهد نفسَه في الكف عن الزنا فهو خيرٌ له؛ لأنّه إذا تزوّجها جاء أولادُهُ أرقاء لسيّدها **﴿واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾ ٢٦: ﴿يُريدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لكم﴾** أيها المؤمنون ما أحلَّ لكم وحرّم عليكم **﴿ويهدِيَكم سُنَنَ الذين مِن قبلِكم﴾** طرائقهم الحميدة، واتباع شرائعه التي يُحِبُّها ويرضاها **﴿ويتوبَ عليكم﴾** من الإثم والمحارم **﴿واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾** في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله.

الآية: ٢٥ عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوّجوا فإنّي مكاثرٌ بكُمُ الأُمَمَ، ولاتكونوا كرهبانيّة النصارى» رواه البيهقي/وهو حديث صحيح وروى البخاري عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوّجوا ولو بخاتم من حديد» صحيح الجامع الصغير ج١/٥٦٦/.

: قال رسول الله ﷺ: «تزوّجُوا الوَدود –كثيرة المحبّة– الوَلُود فإنّي مكاثرٌ بكم الأُمم» رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وقال ﷺ: «من سعادة ابن آدم المرأةُ الصالحة» الحديث، رواه أحمد بإسناد صحيح /الترغيب ج٣/٤٢ و٤٦/.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٢٧: ﴿والله يريدُ أن يتوبَ عليكم ويُريدُ الذين يتبِعُون الشهواتِ أن تميلُوا ميلاً عظيماً﴾ يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلاً عظيماً **٢٨: ﴿يُريدُ اللهُ أن يُخفِّفَ عنكم﴾** في شرائعه وأوامِره ونواهِيه وما يُقدّره لكم **﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً﴾** في أمر النساء؛ يذهب عقله عندهنّ، فناسبه التخفيف –ولهذا أباح الإماء بشروط– لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته **٢٩: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالَكم بينكم بالباطل﴾** ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل كالرِّبا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحِيَل. **﴿إلا أنْ تكون تجارةً عن تراضٍ منكم﴾** لا تتعاطَوُا الأسبابَ المحرّمة، لكنّ المتاجر المشروعة فافعلوها وتسبَّبُوا بها في تحصيل الأموال. **﴿ولا تقتلُوا أنفسَكم﴾** بارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل **﴿إنّ الله كان بكم رحيماً﴾** فيما أمركم به ونهاكم عنه **٣٠: ﴿ومَن يفعلْ ذلك عُدواناً وظلماً﴾** عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه **﴿فسوف نُصليهِ ناراً﴾** وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيد، فليحذرْ منه كلُّ عاقل. **﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾** **٣١: ﴿إنْ تجتنِبُوا كبائرَ ما تُنهون عنه نُكفِرْ عنكم سيّئاتكم ونُدْخِلْكُم مُدْخلاً كريماً﴾** إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نُهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنّة. وعدّ ابن عمر الكبائر فقال: هي تسع: الإشراك بالله، وقتل النفس بغير حقها، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ظلماً، والإلحادُ في المسجد الحرام، والذي يَسْتَسْخِرُ، وبكاءُ الوالدين من العقوق. [وهناك كبائر كثيرة: كشرب الخمر، والقمار، والزنا، واليمين الغموس، والسحر، وترك الصلاة والصيام والحج والزكاة. وعن طاوس قال: قلتُ لابن عباس: ما السبع الكبائر؟ قال هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع. وقال ابن عباس: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب **٣٢: ﴿ولا تتمنّوا ما فضّلَ اللهُ بهِ بعضَكم على بعضٍ﴾**، قالت أمُّ سلمة: يا رسول الله لا نُقاتل فنستشهد؟ ولا نقطع الميراث؛ فنزلت الآية، ثم أنزل الله: ﴿أني لا أضيعُ عملَ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى﴾ **﴿للرِّجالِ نصيبٌ مِمّا اكتسبُوا وللنساء نصيبٌ مِمّا اكتسبنَ﴾** لكلٍّ له جزاء على عمله **﴿واسألُوا اللهَ مِن فضلِهِ﴾** فإنّه كريمٌ وَهّابٌ؛ ﴿فإنّ الله يُحبُّ أن يُسأل﴾ كما في الحديث. **﴿إنّ اللهَ كان بكلِّ شيءٍ عليماً﴾** هو عليمٌ بمن يستحقه فيُعطيه **٣٣: ﴿ولكلٍّ جعلنا مَوَالِيَ﴾** ورثة **﴿مما ترك الوالِدَانِ والأقربُون﴾** من الميراث **﴿والذين عَقَدَتْ أيمانُكم فآتوهم نصيبهم﴾** والذين تحالفتم بالأيمان؛ بأن يقول الرجل –لأخيه في الإسلام– ترثني وأرثك، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نُسِخَ ذلك. نسختها هذه الآية: ﴿وأولُوا الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتابِ الله﴾ **﴿إنّ الله كان على كلِّ شيءٍ شهيداً﴾**.

الآية ٢٩: قال رسول الله ﷺ: «الذي يخنقُ نفسَهُ يخنقها في النار، والذي يطعُن نفسَهُ يطعن نفسَه في النار، والذي يقتحم –أي: من شاهق– يقتحم في النار» رواه البخاري. وقال عليه الصلاة والسلام: «كان برجلٍ جِرَاحٌ فقتلَ نفسَه، فقال اللهُ: بَدَرَ عبدي بنفسه فحرّمتُ عليه الجنّة». /الترغيب ج٣/ ٣٠٠/.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

الحزب ٩

٣٤: ﴿**الرجالُ قوّامُون على النساءِ**﴾ الرجلُ قيّمٌ على المرأة؛ أي: هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدّبها إذا اعوجّتْ، ﴿**بما فضّلَ اللهُ بعضَهم على بعض**﴾ لأنّ الرجال أفضل من النسـاء، ولهذا كانت النبوّة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن يُفلحَ قومٌ ولّوْا أمرَهم امرأة» رواه البخاري. ﴿**وبما أنفقوا من أموالهم**﴾ من المهورِ والنفقاتِ والكُلَفِ التي أوجبها اللهُ عليهم لهُنّ. ﴿**فالصالحاتُ**﴾ من النساء ﴿**قانتاتٌ**﴾ مطيعـاتٌ لأزواجهنّ ﴿**حافظـاتٌ للغيب**﴾ تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله ﴿**بما حَفِظَ اللهُ**﴾ المحفوظ من حفظه الله. ﴿**واللاتي تخافُون نُشوزهُنَّ فعِظوهُنّ**﴾ الناشزة: التاركة لأمر زوجها المعرضة عنه المبغضة له، فليعظها وليخـوفهـا عقـابَ الله في عصيـانـه ﴿**واهجُرُوهُنَّ في المضاجعِ**﴾ الهجرُ: هو أن لا يجامعها ويُوليها ظهرَهُ ﴿**واضربُوهُنَّ**﴾ إذا لم يرتدعنَ بالموعظة ولا بالهجران فلكـم أن تضربُوهنّ ضرباً غير مبرح لا يؤثر فيها شيئاً. ﴿**فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً**﴾ إذا أطاعت المرأة زوجهـا فيما أباحه الله له منها فليس له ضربها ولا هجرانها ﴿**إنّ الله كان عليـاً كبـيراً**﴾ تهديدٌ للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فهو المنتقم ممن ظلمهنَّ **٣٥**: [في الآيـة المتقدّمة] ذكر الحالَ الأول وهو النفوروالنشوز من الزوجة، ثم ذكر الحال الثـاني وهو النفور من الزوجين فقـال تعالى: ﴿**وإن خفتم شِقاقَ بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها**﴾ يبعث الحاكم ثقةً من أهل المرأة وثقةً من قوم الرجل لينظرا في أمرهما، ويفعلا ما فيه المصلحة، مِمّا يريانه من التفريق أو التوفيق، وتشوّفَ الشارعُ إلى التوفيق، ولهذا قال تعالى: ﴿**إنْ يُريدَا إصلاحاً يُوفقِ اللهُ بينهما إنّ الله كان عليماً خبيراً**﴾ **٣٦**: ﴿**واعبدُوا اللهَ ولا تشركُوا بهِ شيئاً**﴾ يأمرُ تعالى بعبادته وحده، فهو المستحق منهم أن يوحّدُوه ولا يُشركوا به شيئاً، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: «أتدري ما حقَّ الله على العباد»؟ قال: اللهُ ورسوله أعلم؛ قال: «أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، ثم أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أنْ لا يُعذِّبَهم». ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فقال تعالى: ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾ ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسانَ إلى القرابات من الرجال والنساء فقال: ﴿**وبِذِي القُرْبَى**﴾، وفي الحديث: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة»، ثم قال تعالى: ﴿**واليتامَى**﴾ لأنّهم فقدوا من يُنفق عليهم فأمر بالإحسان إليهم. ﴿**والمساكين**﴾ وهم المحاويج، ﴿**والجارِ ذي القربَى**﴾ الذي بينك وبينه قرابة ﴿**والجارِ الجُنُبِ**﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة، ﴿**والصاحبِ بالجنب**﴾ الرفيق في السفر، ﴿**وابن السبيل**﴾ هو الذي يمرّ عليك مجتازاً في السفر، ﴿**وما ملكتْ أيمانُكم**﴾ وصيّة بالأرقاء، ﴿**إنّ اللهَ لا يحب مَن كان مختالاً فخوراً**﴾ معجباً متكبراً على الناس **٣٧**: ﴿**الذين يبخلُون**﴾بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم اللهُ به ﴿**ويأمُرون الناسَ بالبُخل**﴾ أيضا ﴿**ويكتُمُون ما آتاهم اللهُ من فضله**﴾ حمل بعضُ السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكتمانهم ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿**وأعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً**﴾.

الآية ٣٤: قال رسول الله ﷺ: «مَن رزقه الله امرأةً صالحةً فقد أعانهُ على شطر –أي: نصف– دينه، فليتقِ اللهَ في الشطر الثاني» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

٨٥

٣٨: ﴿والذين يُنفقون أموالهم رئاءَ الناس﴾ الذين يقصدون بإعطائهم السمعةَ، وأن يمدحوا بالكرم **﴿ولا يؤمنون باللهِ ولا باليومِ الآخرِ﴾** إنّما حملهم على صنيعُهم هذا القبيح وعُدُولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطانُ؛ فإنّه سوّل لهم وأملى لهم وقارَنهم وحسّنَ لهم القبائحَ، ولهذا قال تعالى: **﴿ومَن يكنِ الشيطانُ له قريناً فساءَ قريناً﴾ ٣٩: ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مِمّا رزقهم الله﴾** وأيُّ شيءٍ يضرُّهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحميدة، وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله، رجاء مَوعُودِهِ في الآخرة؟ وأنفقوا في الوجوه التي يحبها اللهُ ويرضاها؟! **﴿وكان اللهُ بهم عليماً﴾ ٤٠: ﴿إنّ الله لا يظلمُ مِثقالَ ذَرّةٍ﴾** بل يوفيها له ويُضاعفها له إن كانت حسنة **﴿وإنْ تَكُ حسنةً يُضاعِفْها﴾** له يوم القيامة **﴿ويُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أجراً عظيماً﴾** الجنّة، نسأل الله الجنّةَ **٤١:** يقول تعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وشأنه: **﴿فكيف إذا جئنا مِن كلِّ أمّةٍ بشهيد وجئنا بكَ على هؤلاء شهيداً﴾**؟! فكيف يكون الحال؟ كما قال تعالى: ﴿ويوم نبعث في كلِّ أمّةٍ شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ **٤٢: ﴿يومئذٍ يَوَدُّ الذين كفرُوا وعَصَوُا الرسولَ لو تُسَوَّى بِهِمُ الأرضُ﴾** انشقت وبلعتهم مِمّا يرون من أهوال الموقف وما يحِلُّ بهم من الخزي **﴿ولا يكتمون اللهَ حديثاً﴾** إنّهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتمون منه شيئاً **٤٣: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربُوا الصلاةَ وأنتم سُكارَى حتى تعلموا ما تقولون﴾** المرادُ: التعريضُ بالنهي عن السكر بالكلّيّة لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل والنهار، فلا يتمكّن شاربُ الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائماً؛ فإنّ المخمور فيه تخليط في القراءة وعدم تدبّره وخشوعه فيها. **﴿ولا جُنُباً﴾** نهى تعالى عن قربان المساجد للجنب **﴿إلا عابري سبيل﴾** إلا أن يكون مجتازاً من باب إلى باب من غير مكث **﴿حتى تغتسِلُوا، وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم مِنَ الغائط أو لامستُمُ النساءَ فلم تجِدُوا ماءً فتيمَّمُوا صعيداً طيّباً﴾** أمّا المرضُ المبيحُ للتيمم فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو أو شينه أو تطويل البُرْء. ومن العلماء مَن جوّز التيمّمَ بمجرّد المرض لعموم الآية. **﴿أو جاء أحدٌ منكم مِنَ الغائط﴾** المكان المطمئن من الأرض، كنّى بذلك عن التغوّط، **﴿أو لامستم النساءَ﴾** وقُرِىءَ: **﴿لَمَسْتُم﴾** واللّمسُ والمسُّ والمباشرةُ: الجماعُ، واللهُ يُكنّي ما شاءَ بما شاءَ. وصحّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قبّلَ بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ. **﴿فلم تجدوا ماءً فتيمَّمُوا صَعِيداً طيّباً﴾** الصعيد: يدخلُ فيه التراب والرمل والحجر **﴿فامْسَحُوا بوجُوهِكم وأيدِيكم﴾** التيمّمُ بدلٌ من الوضوء في التطهير به، لا بدلٌ منه في جميع الأعضاء، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط. **﴿إنّ اللهَ كانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾** ومن عفوه وغفرانه لكم أنّه شرع لكم التيمّم **٤٤: ﴿ألم ترَ إلى الذين أوتُوا نصيباً من الكتاب﴾** وهم اليهود **﴿يشترون الضلالةَ﴾** بالهدى، ويُعرِضُون عمّا أنزله اللهُ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم **﴿ويُريدُون أن تضِلُّوا السبيلَ﴾** يودّون لو تكفرون بما أُنزل عليكم أيها المؤمنون، وتتركون الهدَى.

الآية ٤٣: قال أنس: «لعَن رسول الله ﷺ في الخمر عشرةً: عاصِرَها ومُعتصِرَها، وشاربَها وحاملَها، والمحمولةَ إليه وساقيها وبائعها وآكلُ ثمنها، والمشتري لها، والمشترى له». رواه ابن ماجه، ورواته ثقات. /الترغيب ج٣/ ٢٥٠/.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

٤٥: ﴿**والله أعلمُ بأعدائكم**﴾ هو يُحذِّرُكم منهم ﴿**وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً**﴾ كفى به وليّاً لمن لَجأ إليه ونصيراً لمن استنصره **٤٦**: ﴿**مِنَ الذين هَادُوا**﴾ [وهم اليهود] ﴿**يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه**﴾ يتأوّلونه على غير تأويله، ويُفسِّرُونه بغير مرادِ الله عزّ وجلّ قصداً منهم ﴿**ويقولون سمعنا وعصينا**﴾ سمعنا ماقلتَه يامحمد ولا نُطيعُكَ فيه، وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم ﴿**واسمعْ غيرَ مُسْمَع**﴾ اسمعْ مانقولُ لاسمعتَ ﴿**وراعِنا لَيّاً بألسنتهم وطعناً في الدِّين**﴾ يُوهِمُون أنّهم يقولون: راعنا سمعكَ، ويُريدون الرعونة، سَبّاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. ﴿**ولو أنّهم قالُوا سمعنا وأطعنا واسمعْ وانظرْنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكنْ لعنهم الله بكفرهم فلا يُؤمنون إلّا قليلاً**﴾ قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة عنه، فلا يدخلها من الإيمان شيءٌ نافعٌ لهم. والمقصود: أنّهم لا يُؤمنون إيمانا نافعا **٤٧**: ﴿**يا أيّها الذين أُوتُوا الكتابَ آمنوا بما نزّلنا**﴾ على رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الكتاب العظيم ﴿**مُصَدِّقاً لِما معكم**﴾ من الأخبار والبشارات [ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم] ثم قال تعالى متهدّداً إن لم يفعلوا ﴿**مِن قبلِ أن نَطْمِسَ وُجُوهاً فنردّها على أدبارها**﴾ من قبل أن نجعل أبصارهم من ورائهم، أو من قبل أن نطمسَ وجودها فلا نُبقي لها سمعاً ولا بصراً ولا أنفاً، ومع ذلك نردُّها إلى ناحية الأدبار. ﴿**أو نلعنَهُم كما لَعَنّا أصحابَ السبت**﴾ الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد، وقد مُسِخُوا قِرَدةً وخنازير، ﴿**وكان أمرُ اللهِ مفعُولاً**﴾ إذا أمرَ بأمرٍ فإنّه لا يُخالَفُ ولا يُمانع **٤٨**: ﴿**إنّ الله لا يغفرُ أنْ يُشرَكَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ أخبر تعالى أنّه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ويغفر ما دون ذلك، أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده. ﴿**ومَن يُشركْ بالله فقدِ افترى إثْماً عظيماً**﴾ كقوله تعالى: ﴿إنّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ﴾، وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنّه قال: قلتُ يا رسول الله أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك» **٤٩**: ﴿**ألم ترَ إلى الذين يُزكُّون أنفسهم**﴾؟! نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. ولهذا قال تعالى: ﴿**بلِ اللهُ يزكي من يشاء**﴾ المرجع في ذلك إلى الله عزّ وجلّ لأنّه أعلم بحقائق الأمور وغوامضها، ثم قال تعالى: ﴿**ولا يُظلمون فتيلاً**﴾ ما يُوزن مقدار الفتيل، وهو ما يكون في شقّ النواة **٥٠**: ﴿**انظُرْ كيف يفترون على اللهِ الكذبَ**﴾ في تزكيتهم أنفسَهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ﴿**وكفى به إثْماً مبيناً**﴾ **٥١**: ﴿**ألم ترَ إلى الذين أُوتُوا نصيباً من الكتاب**﴾ [وهم اليهود] لّما قدم كعب بن الأشرف مكةَ قالت قريش: ألا ترى هذا المنبتر من قومه يزعم أنّه خيرٌ منّا ونحن أهل الحجيج؛ قال: أنتم خير ﴿**يُؤمِنُون بالجِبْتِ والطاغُوتِ ويقولُون للذين كفرُوا هؤلاءِ أهدَى مِنَ الذين آمنوا سبيلاً**﴾، وذلك لّما سألت قريش أحبار اليهود أديننا خير أم دين محمد؟ فقالوا: دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه.

الآية ٤٩: قال المقداد: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثُوا في وجوه المداحين التراب» رواه مسلم. وفي الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ: سمع رجلاً يُثني على رجل فقال: «ويحك قطعتَ عُنقَ صاحبك» ثم قال: «إن كان أحدكم مادحاً صاحبَهُ لامَحالَةَ فليقلْ: أحسبُهُ كذا، ولايُزكي على الله أحداً» /تفسير ابن كثير ج١/٥١٢/.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

نصف الحزب ٩

٥٢: ﴿**أولئك الذين لعنَهُمُ اللهُ ومَن يلعنِ اللهُ فلن تجِدَ له نصيراً**﴾ وهذا لعنٌ لهم وإخبارٌ بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة ٥٣: ﴿**أم لهم نَصِيبٌ من المُلْكِ**﴾ هذا استفهامٌ إنكاري؛ أي: ليس لهم نصيبٌ من المُلْكِ، ثم وصفهم بالبخل فقال: ﴿**فإذاً لا يُؤْتُون الناس نَقِيراً**﴾ لأنّهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرّف لما أعطوا أحداً من الناس ولا سيما محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً، ولا ما يملأ النقير، وهو النقطة التي في النُّواة ٥٤: ﴿**أم يحسدون الناسَ على ما آتاهُمُ اللهُ من فضله**﴾ حسدوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم على ما رزقه الله من النبوّة العظيمة. ﴿**فقد آتينا آلَ إبراهيمَ الكتابَ والحكمةَ وآتيناهم مُلكاً عظيماً**﴾ فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذريّة إبراهيم النبوّة وأنزلنا عليهم الكتاب والحكمة، وجعلنا منهم الملوك ٥٥: ﴿**فمنهم مَن آمنَ بهِ ومنهم مَن صَدَّ عنه**﴾ ومع ذلك فمنهم مَن آمنَ به؛ أي: هذا الإيتاء وهذا الإنعام، ومنهم من أعرض عنه وسعَى في صدِّ الناس عنه. ﴿**وكفى بجهنم سعيراً**﴾ على كفرهم وعنادهم ٥٦: ﴿**إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً**﴾ هذا عقاب مَن كفر بآياته وصَدَّ عن رسله، ﴿**كلّما نضجت جلُودُهم بدّلناهم جُلوداً غيرها لِيَذُوقوا العذاب**﴾؛ يُجعل للكافر مائة جلدٍ بين كل جلدين لونٌ من العذاب، ﴿**إنّ اللهَ كان عزيزاً حكيماً**﴾ ٥٧: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخِلُهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً**﴾ هذا إخبارٌ عن مآل السعداء في جناتِ عَدْنٍ التي فيها الأنهار في جميع فِجَاجِها وأرجائها وهم لا يحولون ولا يزولون ﴿**لهم فيها أزواجٌ مطهرة**﴾ من الحيض والنفاس والأذى والأخلاق الرذيلة والصفات الناقصة، ﴿**ونُدخلهم ظِلاً ظليلاً**﴾ ظلاً كثيراً غزيراً طيّباً أنيقاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ في الجنّة لشجرة يسير الراكب في ظلّها مائةَ عام لا يقطعها–شجرة الخُلْدِ» ٥٨: ﴿**إنّ اللهَ يأمُرُكم أن تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلها**﴾ وهذا يعمُّ جميعَ الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله تعالى على عباده من الصلاة والصيام والكفّارات والنذور وغير ذلك مِمّا هو مؤتمنٌ عليه لا يطّلع عليه العباد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أدِّ الأمانة إلى مَنِ ائتمنكَ، ولا تخنْ مَن خانك»، رواه أحمد وأهل السنن. ﴿**وإذا حكمتم بينَ الناسِ أن تحكموا بالعدل**﴾ أمرٌ منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ،وهذه الآية نزلت في الأمراء والحكام. ﴿**إنّ اللهَ نِعِمّا يعظِكم بهِ**﴾ يأمركم به من أداء الأمانات والحكم بالعدل ٥٩: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعُوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم**﴾ أهلَ الفقه والدين، والعلماء. والظاهر واللهُ أعلم أنّها عامّة في كل أُولي الأمر من الأمراء والعلماء. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكَرِهَ، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة» أخرجاه في الصحيحين. وفي الحديث الصحيح: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». ﴿**فإن تنازعتم في شيءٍ فردُّوهُ إلى اللهِ**﴾ إلى كتاب الله ﴿**والرسول**﴾ سنته ﴿**إن كنتم تؤمنون باللهِ واليومِ الآخر**﴾ فمن لم يرجع إليهما فليس مؤمناً ﴿**ذلك**﴾ التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﴿**خيرٌ وأحسنُ تأويلاً**﴾ أحسن عاقبةً ومآلاً، وأحسنُ جزاءً.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٦٠: ﴿ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليكَ وما أنزل من قبلِكَ يريدون أن يتحاكَمُوا إلى الطاغوت﴾؟! هذا إنكارٌ من الله عزّ وجلّ على مَن يدَّعِي الإيمان وهو يريد مع ذلك أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنّة رسوله **﴿وقد أُمِرُوا أن يكفروا بهِ﴾** بالباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا **﴿ويُريدُ الشيطانُ أن يُضلّهم ضلالاً بعيداً﴾** وهذه الآية نزلت في المنافقين مِمّن أظهروا الإسلامَ أرادوا أن يتحاكَمُوا إلى حكام الجاهليّة **٦١: ﴿وإذا قيلَ لهم تعالَوْا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسولِ رأيتَ المنافقين يصدُّون عنكَ صُدُوداً﴾** يُعرِضُون عنكَ إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك. وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال اللهُ فيهم: ﴿إنّما كان قولُ المؤمنين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقُولوا سمعنا وأطعنا﴾ **٦٢:** ثم قال تعالى في ذمِّ المنافقين: **﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ بما قدّمت أيديهم﴾**؟ فكيف بهم إذا ساقتهم المقاديرُ إليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجُوا إليك في ذلك **﴿ثم جاؤك يحلِفُون بالله إنْ أردْنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾** يعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا بذهابنا إلى غيرك وتحاكمنا إلى أعدائك إلّا المداراة والمُصانعة لا اعتقاداً منّا لصحة تلك الحكومة **٦٣: ﴿أولئك الذين يعلمُ اللهُ ما في قلوبهم﴾** المنافقين؛ وسيجزيهم على ذلك، ولهذا قال تعالى: **﴿فأعرِضْ﴾** يا محمد **﴿عنهم﴾** لا تعنّفهم على ما في قلوبهم **﴿وعِظْهُمْ﴾** وانههم عمّا في قلوبهم من النفاق **﴿وقُلْ لهم في أنفسِهم قولاً بليغاً﴾** وانصحهم فيما بينكَ وبينهم بكلام بليغ رادع لهم **٦٤: ﴿وما أرسلنا مِن رسولٍ إلا لِيُطاعَ﴾** فُرِضَتْ طاعتُهُ على مَن أرسل إليهم **﴿بإذنِ اللهِ﴾** لا يُطيعُ أحدٌ إلّا بإذني؛ يعني: لا يُطيعه إلا مَن وفقته لذلك. **﴿ولو أنّهم إذْ ظلَمُوا أنفسهم جآءُوكَ فاستغفروا اللهَ واستغفرَ لهم الرسولُ لَوَجَدُوا اللهَ توّاباً رحيماً﴾** يُرشد الله تعالى العُصَاةَ والمذنبين إذا وقع منهم الخطأُ والعِصيان أن يأتُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيستغفِرُوا للهِ عندَهُ، ويسألوه أن يغفرَ لهم؛ فإذا فعلوا ذلك تابَ اللهُ عليهم ورحمهم وغفرَ لهم، ولهذا قال تعالى: **﴿لَوَجَدُوا اللهَ توّاباً رحيماً﴾ ٦٥: ﴿فلا وربِّكَ لا يُؤمنون حتى يحكِّموكَ فيما شجرَ بينهم﴾** يُقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدّسة أنّه لا يُؤمن أحدٌ حتى يُحكِّمَ الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحقُّ الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال سبحانه: **﴿ثم لا يجدُوا في أنفسهم حَرَجاً مِمّا قضيتَ ويُسلِّمُوا تسليماً﴾** إذا حكّموك يُطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم مُمَانَعَةً ولا مدافعةً ولا منازعة، كما وَرَدَ في الحديث: «والذي نفسي بيدِهِ لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يكون هواه تبعاً لِما جِئتُ بهِ» .

الآية ٦٥: تضمنت هذه الآية أمراً محكماً في وجوب الرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ في كل شيء من أمر الدين «عقيدة وشريعة» وكذا عند الاختلاف والتنازع يجب الرجوع إلى السنّة النبوية لمعرفة الحق في ذلك، فالسّنّة مبيّنة وموضحة ومفصّلة لجميع أحكام الإسلام، وكلُّ مَنْ أنِفَ من الرجوع إلى السّنّة ففي قلبه زَغَلٌ من النفاق يحول بينه وبين اتباع ماجاء به الرسول ﷺ من الهدي القويم.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

علامة الربع الحزب ٩

٦٦: ﴿**ولو أنّا كتبنا عليهم أنِ اقتلُوا أنفسَكم أو اخْرُجوا من دِيارِكم ما فعلوه إلّا قليلٌ منهم**﴾ يُخبر تعالى عن أكثر النّاس أنّهم لو أُمِرُوا بما هم مرتكبونه من المناهي لَمَا فعلوه لأنّ طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر؛ وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون؟! ﴿**ولو أنّهم فعلوا ما يُوعظون به**﴾ ولو أنّهم فعلوا ما يُؤمرون به وتركوا ما يُنهون عنه ﴿**لكان خيراً لهم**﴾ من مخالفة الأمر وارتكاب النهي ﴿**وأشدَّ تثبيتاً**﴾ تصديقاً ٦٧: ﴿**وإذاً لآتيناهم من لَدُنّا**﴾ من عندنا ﴿**أجراً عظيماً**﴾ الجنّة ٦٨: ﴿**ولهديناهم صراطاً مستقيماً**﴾ في الدنيا والآخرة ٦٩: ﴿**ومَن يُطعِ الله والرسولَ فأولئك مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم مِنَ النّبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين**﴾ مَن عمل بما أمره اللهُ به ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله؛ فإن الله عزّ وجلّ يُسكنه دارَ كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصدِّيقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، وهم الصالحون الذين صلحت سرائرُهم وعلانيتُهم، ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿**وحَسُنَ أولئك رَفيقاً**﴾ ٧٠: ﴿**ذلكَ الفضلُ مِنَ اللهِ**﴾ من عند الله ﴿**وكفى باللهِ عليماً**﴾ بمن يستحقُّ الهداية والتوفيق ٧١: ﴿**يا أيها الذين آمنوا خُذُوا حِذْرَكم فانفِرُوا**﴾ يأمرُ تعالى عبادَه المؤمنين بأخذ الحَذَرَ من عدوّهم، وهذا يستلزم التأهبَ لهم بإعداد الأسلحة والعُدَدِ وتكثير النفير في سبيل الله ﴿**ثُبَاتٍ**﴾ جماعة بعد جماعة، أي: سرايا متفرّقين ﴿**أو انفِرُوا جميعاً**﴾ كلكم ٧٢: ﴿**وإنْ منكم لَمَنْ لَيُبَطِّئَنّ**﴾ نزلت في المنافقين، يتبطّأ [المنافق] في نفسه ويُبطىء غيرَهُ عن الجهاد. ولهذا يقول المنافق إذا تأخّرَ عن الجهاد ﴿**فإن أصابتكم مصيبة**﴾ قتلٌ وشهادة وغَلَبٌ عليكم ﴿**قال قد أنعمَ اللهُ عليّ إذْ لم أكن معهم شهيداً**﴾ إذْ لم أحضر معهم وقعةَ القتال؛ يَعدُّ ذلك من نِعَمِ الله، ولم يدرِ ما فاته من الأجر ٧٣: ﴿**ولَئِنْ أصابَكم فضلٌ مِنَ الله**﴾ نصرٌ وغنيمة ﴿**ليقولنَّ كأنْ لم تكنْ بينكم وبينه مودّةٌ**﴾ كأنّه ليس من أهل دينكم ﴿**يا ليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً**﴾ بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه، وهو أكبر قصدِهِ وغاية مراده، ثم قال تعالى: ٧٤: ﴿**فليُقاتلْ**﴾ المؤمن النافر ﴿**في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**﴾ يبيعون دينَهم بعَرَضٍ قليل من الدنيا، وما ذلك إلا لكفرهم، ﴿**ومَنْ يُقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نُؤتيه أجراً عظيماً**﴾ كلُّ مَن قاتل في سبيل الله سواءٌ قُتِلَ أو غلبَ فله عند الله مثوبةٌ عظيمةٌ وأجرٌ جزيلٌ، كما ثبت في الصحيحين: «تكفّلَ اللهُ للمجاهد في سبيله إن توفّاهُ أن يدخلَهُ الجنّةَ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرجَ منه بما نالَ من أجرٍ أو غنيمة».

الآية ٦٩: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ الرجلُ متكئاً على أريكتِهِ يُحدَّثُ بحديثٍ من حديثي فيقولُ: بيننا وبينكم كتابُ اللهِ عزّ وجلّ فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وماوجدناه فيه من حرامٍ حرّمناه. ألاَ وإنّ ماحرّمَ رسولُ الله ﷺ مِثلُ ماحرَّمَ اللهُ»، رواه ابن ماجه ج١/٦/.

وروى الشيخان في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أهل الجنّة ليتراءون أهل الغُرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضلِ بينهم» قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرُهم؟! قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقُوا المرسلين»!!. /ابن كثير ج١/٥٢٣/.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٧٥: ﴿ومالكم لا تُقاتلون في سبيل الله والمستضعفين مِنَ الرجالِ والنِّساءِ والوِلدان﴾؟ يُحرِّضُ تعالى المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرّمين مِن المُقام بها، ولهذا قال تعالى: ﴿الذين يقولون ربَّنا أخرجنا من هذه القرية﴾ مكة، ثم وصفها بقوله: **﴿الظالِمِ أهلُها واجعلْ لنا من لَدُنكَ وليّاً واجعلْ لنا مِن لَدُنْكَ نصيراً﴾** سخِّرْ لنا مِن عندِكَ وليّاً نصيراً. ثم قال تعالى: **٧٦: ﴿الذين آمنوا يُقاتِلُون في سبيل الله والذين كفروا يُقاتِلون في سبيل الطاغوت﴾** المؤمنون يُقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يُقاتلون في طاعة الشيطان، ثم هيَّجَ تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله: **﴿فقاتِلُوا أولياءَ الشيطانِ إنّ كيْدَ الشيطان كان ضعيفاً﴾ ٧٧: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الذين قِيلَ لهم كُفُّوا أيديكم وأقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ﴾** قال ابن عباس: إنّ عبد الرحمن بن عوف وأصحابه أتوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فقالوا: يا نبيَّ الله كُنّا في عِزّةٍ ونحنُ مشركون فلمّا آمنّا صِرْنا أذلّةً؟! قال: «إنّي أمرتُ بالعفو فلا تُقاتلوا القومَ»، فلمّا حوّله اللهُ إلى المدينة أمره بالقتال، **﴿فلما كُتِبَ عليهمُ القتالَ إذا فريقٌ منهم يخشون الناسَ كخشيةِ الله أو أشدَّ خشيةً وقالوا ربَّنا لِمَ كتبتَ علينا القتالَ لولا أخرتنا إلى أجلٍ قريب﴾** [هؤلاء قوم أسلموا قبل فرض الجهاد فلمّا فُرِضَ كرِهُوهُ؛ والمعنى: يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله، وقائلُ هذا لم يرسخ في الإيمان قدمه]؛ **﴿قُلْ متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لِمَنِ اتقى﴾** آخرة المتقي خيرٌ من دنياه **﴿ولا تُظلمون فَتِيلاً﴾** من أعمالكم بل توفونها أتمَّ الجزاء، وهذه تسلية لهم عن الدنيا وترغيب لهم في الآخرة **٧٨: ﴿أينما تكونُوا يُدْرِكْكُمُ الموتُ ولو كنتم في بُروجٍ مُشيّدة﴾** أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجو منه أحدٌ منكم، كما قال تعالى: ﴿كلُّ مَنْ عليها فان﴾ و﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت﴾ **﴿وإنْ تُصبهم حسنةٌ﴾** خصبٌ ورزقٌ **﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تُصبهم سيّئةٌ﴾** قحط وجدبٌ **﴿يقولوا هذه من عندك﴾** بسبب اتباعِنا لك؛ هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر، **﴿قُلْ كُلٌّ من عندِ الله﴾** الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذٌ في البرِّ والفاجر والمؤمن والكافر، ثم قال تعالى منكراً على هؤلاء: **﴿فمالهؤلاءِ القومِ لا يكادُون يفقهون حَديثاً﴾**؟ ثم قال تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ والمراد جنس الإنسان ليحصل الجواب: **٧٩: ﴿ما أصابَكَ مِن حسنةٍ فمِنَ الله﴾** من فضل الله ومنّته ولطفه ورحمته **﴿وما أصابَكَ من سيِّئةٍ فمِنْ نفسِكَ﴾** فمن قِبَلِك، ومن عملكَ أنتَ عقوبةً لكَ يا ابن آدم بذنبك، وفي الصحيح: «والذي نفسي بيَدِهِ لا يُصيب المؤمنَ هَمٌّ ولا حَزَنٌ ولا نَصَبٌ؛ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفّرَ اللهُ عنهُ بها من خطاياه». **﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾** تبلّغهم شرائع الله وما يُحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه **﴿وكفى بالله شهيداً﴾** على أنّه أرسلك، وهو شهيدٌ أيضاً بينكَ وبينهم.

الآية ٧٥: روى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «أمّا أهلُ النار فكل جَعْظَرِيٍّ جوّاظ مستكبر، وأما أهل الجنّة فالضعفاء المغلُوبُون»، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. /الترغيب ج٣/٥٦٤/.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

٨٠: ﴿مَن يُطعِ الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ﴾ يُخبر تعالى عن عبده ورسوله محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ من أطاعه فقد أطاع الله، ومَن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنّه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحَى **﴿ومَن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾** ما عليك منه، إنْ عليك إلّا البلاغ، فمن اتبعك نجا، ومن تولّى عنك خاب **٨١: ﴿ويقولون طاعة﴾** يخبر تعالى عن المنافقين بأنّهم يُظهرون الطاعة **﴿فإذا بَرَزُوا من عندِكَ﴾** خرجوا **﴿بيّتِ طائفةٌ منهم غيرَ الذي تقول﴾** استسرُّوا ليلاً فيا بينهم بغير ما أظهروه لك **﴿واللهُ يكتبُ ما يُبيّتون﴾** بما يأمرُ به حفظته الكاتبين، وهذا تهديد له. **﴿فأعرضْ عنهم﴾** ولا تكشف أمرهم للناس ولا تخفْ منهم أيضاً **﴿وتوكّلْ على الله وكفى بالله وكيلاً﴾** وكفى به وليّاً وناصراً لمن توكل عليه وأناب إليه **٨٢: ﴿أفلا يتدبَّرون القرآن﴾** يقول تعالى آمراً لهم بتدبّر القرآن، ومخبراً لهم أنّه لا اختلاف فيه ولا اضطراب **﴿ولو كان من عندِ غيرِ الله لَوَجدُوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** اضطراباً وتضادّاً كثيراً؛ أي: وهذا [القرآن] سالم من الاختلاف فهو من عند الله **٨٣: ﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعُوا به﴾** هذا إنكار على مَن يُبادر إلى الأمور قبل تحققها فيُخبر بها ويُفشيها، وقد لا يكون لها صحة، وفي صحيح مسلم: «كفى بالمرءِ كذباً أن يُحدِّث بكل ما سمع». **﴿ولو رَدُّوهُ إلى الرسولِ وإلى أولي الأمرِ منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** ومعنى **﴿يستنبطونه﴾** يستخرجونه من معانيه **﴿ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُهُ لاتّبعتُمُ الشيطانَ إلا قليلاً﴾**. [في هذه الآية دلالة على الاجتهاد عند عدم النص والإجماع] **٨٤: ﴿فقاتلْ في سبيلِ اللهِ لا تُكلَّفُ إلّا نفسَكَ﴾** أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يُباشر القتالَ بنفسه، **﴿وحَرّضِ المؤمنين﴾** على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عليه، كما قال لهم صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر: «قومُوا إلى جنّة عرضها السموات والأرض». **﴿عسى اللهُ أن يكفَّ بأسَ الذين كفروا﴾** بتحريضك إيّاهم تنبعث هِمَمُهُم على مناجزة الأعداء، **﴿واللهُ أشدُّ ﴾** هو قادرٌ عليهم في الدنيا والآخرة **٨٥: ﴿مَنْ يشفعْ شفاعةً حسنةً يكنْ له نصيبٌ منها﴾** من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك، **﴿ومَنْ يشفعْ شفاعةً سيّئةً يكنْ له كِفلٌ منها﴾** يكون عليه وزرٌ من ذلك. نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض. **﴿وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقيتاً﴾** حفيظاً وشهيداً **٨٦: ﴿وإذا حُييتُم بتحيّةٍ فحيُّوا بأحسنَ منها أو رُدُّوها﴾** إذا سلّم عليكم المسلم فردُّوا عليه أفضلَ مِمّا سلّم، أو رُدُّوا عليه بمثل ما سلّم؛ فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة. **﴿إنّ اللهَ كانَ على كلِّ شيءٍ حَسيباً﴾**. روى أبو داود بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنّةَ حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أدلّكم على أمرٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشُوا السلامَ بينكم».

الآية ٨٠: روى ابنُ أبي حاتم: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أطاعني فقد أطاعَ اللهَ، ومَن عصاني فقد عصى اللهَ»، /تفسير ابن كثير ج١/٥٢٨/.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

٨٧: ﴿الله لا إله إلّا هو﴾ إخبارٌ بتوحيده وتفرّده بالإلهيّة لجميع المخلوقات وتضمّن قَسَماً لقوله: **﴿ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا رَيبَ فيه﴾** فيُجازي كلَّ عاملٍ بعمله **﴿ومَن أصدقُ مِن الله حديثاً﴾**؟! لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده **٨٨: ﴿فمالكم في المنافقينَ فِئتينِ واللهُ أركسهم بما كسبُوا﴾**؟ نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يُظاهرون المشركين، فقال بعض المؤمنين: اقتلوهم فإنّهم يُظاهرون عليكم عدوّكم، وقالت فئةٌ من المؤمنين: أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به؟ والرسول لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء فنزلت. **﴿واللهُ أركسهم﴾** ردّهم وأوقعهم وأهلكهم **﴿بما كسبوا﴾** بسبب عصيانهم واتباعهم الباطل، **﴿أتريدون أن تهدوا من أضلَّ اللهُ ومن يَضلل اللهُ فلن تجدَ له سبيلاً﴾** لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه **٨٩: ﴿ودُّوا لو تكفرون كما كفرُوا فتكونون سواءً﴾** هم يَوَدُّون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإيّاهم فيها، وما ذاك إلا لشدّة عداوتهم وبغضهم لكم، ولهذا قال تعالى: **﴿فلا تتخذوا منهم أولياءَ حتى يُهاجروا في سبيل الله فإن تولّوا﴾** تركوا الهجرة وأظهروا الكفرَ **﴿فخذُوهم واقتلوهم حيثُ وجدتُموهم ولا تتخِذُوا منهم وليّاً ولا نصيراً﴾** لا توالوهم ما داموا كذلك، ثم استثنى اللهُ من هؤلاء فقال: **٩٠: ﴿إلّا الذين يصلُون إلى قومٍ بينكم وبينهم ميثاق﴾** إلّا الذين لجأوا وتَحيّزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة فاجعلوا حكمَهم كحكمهم **﴿أو جاؤوكم حَصِرَتْ صدورهم﴾** الآية؛ هؤلاء قومٌ آخرون من المستثنين من الأمر بقتالهم، هم الذين يجيؤون إلى المصاف وصدورهم ضيّقة؛ مُبغضين أن يُقاتلوكم، ولا يهون عليهم أيضاً أن يقاتلوا قومهم معكم، بل هم لا لكم ولا عليكم. **﴿ولو شاءَ اللهُ لسلّطهم عليكم فلَقَاتلوكم﴾** [وهذا] من لطفه بكم أن كفّهم عنكم **﴿فإنِ اعتزلوكم فلم يُقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلَمَ﴾** المُسَالمة **﴿فما جعلَ اللهُ لكم عليهم سبيلاً﴾** فليس لكم أن تُقاتلوهم ما دامت حالهم كذلك **٩١: ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنُوا قومَهم﴾** هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدّمهم، ولكنّ نيّة هؤلاء غير نيّة أولئك، فإنّ هؤلاء قوم منافقون يُظهرون الإسلام ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم ويُصانعون الكفار في الباطن، **﴿كلّما رُدُّوا إلى الفتنة أركِسُوا فيها﴾** انهمكوا فيها. والفتنة ههنا الشرك. **﴿فإن لم يعتزلوكم ويُلقُوا إليكم السَّلَمَ﴾** الصلحَ والمهادنة **﴿ويكفوا أيديَهم﴾** عن القتال **﴿فخذوهم﴾** أسراء **﴿واقتلُوهم حيث ثقفتموهم﴾** أين لقيتموهم **﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سُلطاناً مبيناً﴾** بيّناً واضحاً.

الآية ٨٨: النفاق هنا نفاق القلب والعقيدة، وصاحبه في الدَّرْكِ الأسفل من النار، وهناك نفاق الأعمال، كالذي في الحديث الصحيح: «أربعٌ من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا اؤتمن خانَ، وإذا عاهدَ غدَرَ، وإذا خاصمَ فجرَ»، متفقٌ عليه. /رياض الصالحين/٣١١/.

الآية: ٩١ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألَا أخبركم بخيركم مِنْ شرّكم؟ خيركم مَنْ يُرْجى خيرُهُ، ويُؤمَنُ شرُّهُ، وشرُّكم مَنْ لايُرْجى خيرُهُ ولايُؤمَنْ شرُّهُ» رواه أحمد والترمذي/صحيح الجامع الصغير ج١/٥٠٨/.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٩٢: ﴿وما كان لمؤمنٍ أن يقتلَ مؤمناً إلّا خطأً﴾ ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه، كما ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يحِلّ دَمُ امرىءٍ مسلم يشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، إلّا بإحدى ثلاث: النفسُ بالنفس، والثيّبُ الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، ثم إذا وقع شيءٌ من هذه الثلاث فليس لأحد من الرعيّة أن يقتله، وإنّما ذلك إلى الإمام أو نائبه. وقوله تعالى: **﴿إلّا خطأً﴾** هو استثناءٌ منقطعٌ [ليس من الأول، وإلّا يعني: لكن، والتقدير: ما كان له أن يقتله ألبتّة ولكن إن قتله خطأً فعليه كذا]، **﴿ومَن قتلَ مؤمناً خطأً فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ودِيَةٌ مُسلّمةٌ إلى أهله﴾** هذان واجبان في قتل الخطأ؛ أحدهما الكفارة لِما ارتكبه من الذنب العظيم -وإن كان خطأً- وهو عتق رقبة مؤمنة. والواجب الثاني الدِّيَة. روى الإمام أحمد عن ابن مسعود أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلَ دِيَةَ الخطأ: عشرين بنت مخاض، وعشرين بني مخاض ذكوراً، وعشرين بنت لبون جذعة وعشرين حُقة. وهذه الدية تجب على عاقلة القاتل لا في ماله [وعَاقِلَةُ الرجلِ عصبتُهُ]. **﴿إلّا أن يصدَّقوا﴾** [أي: ورثته] بها فلا تجب. **﴿فإن كان من قومٍ عدوٍّ لكم وهو مؤمنٌ فتحرير رقبة مؤمنة﴾** إذا كان القتيل مؤمناً ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير. **﴿وإن كان من قومٍ بينكم وبينهم ميثاق﴾** أي: من أهل ذمّة أو هدنة فلهم ديّة قتيلهم؛ فإن كان مؤمناً فَدِيَةٌ كاملة، وكذا إن كان كافراً، ويجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة؛ **﴿فمنْ لم يجدْ فصيام شهرين متتابعين﴾** لا إفطار بينهما، **﴿توبةً مِنَ الله﴾** هذه توبة القاتل خطأً، **﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾**. ثم لمّا بيّن تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان القتل العمد فقال: **٩٣: ﴿ومَنْ يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤُهُ جهنّم﴾** الآية؛ هذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيد لمن تعاطى هذا الذنبَ العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً، منها: «لَزَوالُ الدنيا أهونُ عندَ اللهِ مِن قتلِ رجلٍ مسلم» و«لو اجتمعَ أهلُ السمواتِ والأرضِ على قتلِ رجلٍ مسلمٍ لأكبَّهُمُ اللهُ في النّار» **٩٤:** عن ابن عباس قال: مرَّ رجلٌ من بني سليم بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرعى غنماً له، فسلّمَ عليهم، فقالوا: لا يُسلّم علينا إلا ليتعوّذَ منّا، فعمدُوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت هذه الآية: **﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلامَ لستَ مؤمناً تبتغون عَرَضَ الحياةِ الدنيا﴾** تلك الغنيمة. قال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمقداد: «إذا كان رجلٌ مؤمنٌ يُخفي إيمانه مع قومٍ كفارٍ فأظهرَ إيمانه، فقتلتَه؟ فكذلك كنتَ تُخفي إيمانَك بمكة من قبل»؟! **﴿كذلك كنتم من قبلُ فمنَّ اللهُ عليكم﴾** قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسرُّ إيمانَهُ ويُخفيه من قومه **﴿فتبيّنوا﴾** تأكيدٌ لِما تقدّم **﴿إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾** وهذا تهديدٌ ووعيد.

الآية ٩٣: قال رسول الله ﷺ: «لزوالُ الدنيا أهونُ على اللهِ مِنْ قتلِ مؤمنٍ بغير حقٍّ»، رواه ابن ماجه بإسناد حسن. ورواه البيهقي، وزاد فيه: «ولو أنّ أهلَ سمواتِه وأهلَ أرضه اشتركُوا في دم مؤمنٍ لأدخلهم اللهُ النارَ». /الترغيب ج٣/٢٩٢-٢٩٣/.

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

الحزب ١٠

٩٥: ﴿لا يستوي القاعِدُون من المؤمنين غير أولي الضررِ والمجاهدونَ في سبيل الله بأموالِهم وأنفسِهم﴾ فقوله تعالى: **﴿غير أولي الضرر﴾** صار مخرجاً لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد من العمى والعرج عن مساواتهم للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم، ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين؛ وفي صحيح البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ بالمدينة أقواماً ما سِرْتُم من مسير ولا قطعتم من وادٍ إلّا وهم معكم فيه»، قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: «نعم حَبَسَهم العُذْر». **﴿وكلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى﴾** الجنّةَ والجزاءَ الجزيل. **﴿وفضّلَ اللهُ المجاهدين على القاعِدِين أجراً عظيماً﴾** ثم أخبرَ سبحانه بما فضّلهم به فقال: **٩٦: ﴿درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً﴾**. وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ في الجنّةِ مائةَ درجة أعدّها اللهُ للمجاهدين في سبيله؛ ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» **٩٧: ﴿إنّ الذين توفّاهم الملائكةُ ظالمي أنفسِهم﴾** هم قومٌ من أهل مكة أسلموا وكانوا يُخفون إسلامهم، فأخرجهم المشركون يومَ بدرٍ معهم، فأصيب بعضهم، قال المسلمون: كان أصحابنا مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت الآية. قال ابن عباس: فكتب إلى مَن بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم التُّقْيَةَ. وهذه الآيةُ عامّة في كل مَن أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدِّين فهو ظالمٌ لنفسه مرتكبٌ حراماً بالإجماع لتركه الهجرة **﴿قالوا فيمَ كنتُم﴾** لِمَ مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ **﴿قالُوا كنّا مستضعفين في الأرض﴾** لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض **﴿قالوا ألم تكن أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها﴾**؟ الآية **٩٨**: هذه الآية عذرٌ لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنّهم لا يقدرون على التخلّص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال تعالى: **﴿لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً﴾** طريقاً **٩٩: ﴿فأولئك عسى الله أن يعفوَ عنهم﴾** يتجاوز عنهم بترك الهجرة، وعسى [من الله] موجبةٌ **﴿وكان اللهُ عفواً غفوراً﴾ ١٠٠: ﴿ومَن يهاجرْ في سبيل الله يجدْ في الأرض مُرَاغَماً كثيراً﴾** المراغمُ: التحوّل من أرض إلى أرض، أي: متزحزحاً عمّا يكره، يتخلّص به، ويُراغم به الأعداء، **﴿وسَعَةً﴾** الرزق **﴿ومَن يخرجْ من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يُدْرِكْهُ الموتُ فقد وقعَ أجرُهُ على الله﴾** ومَن يخرجْ من منزله بنيّة الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثوابُ من هاجر، **﴿وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾ ١٠١: ﴿وإذا ضربتُم في الأرض فليس عليكم جُنَاحٌ أنْ تقصُروا مِن الصلاة﴾** إذا سافرتم في البلاد فليس عليكم جُناحٌ أن تخففوا فيها، بأن تُجعل الرباعية ثنائيّة. استدل الجمهور بها على قصر الصلاة في السفر. قال عمر بن الخطاب: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فقال: «صدقةٌ تصدّق الله بها عليكم فاقبلُوا صدقته» رواه مسلم. **﴿إن خِفْتُم أن يفتنكُمُ الذين كفروا﴾** إنّ الصلاة إذا صُلّيتْ ركعتين في السفر فهي تمام التقصير، لا يَحِلُّ إلّا أن يَخاف من الذين كفروا أن يفتِنُوه عن الصلاة؛ فالتقصير ركعة.

الآية: ١٠١ عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة فراسخ يصلي ركعتين (والفرسخ ٣ أميال). /صحيح أبي داود رقم ١٠٦٠/.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

١٠٢: عن سماك قال سألتُ ابن عباس عن صلاة المخافة فقال: يصلي الإمام بطائفةٍ ركعةً، ثم يجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وهؤلاء إلى مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعةً، فيكون للإمام ركعتان ولكل طائفة ركعة ركعة. وصلاةُ الخوف أنواعٌ كثيرة؛ فإنّ العدوّ تارة يكون تجاه القبلة، وتارة يكون في غير صَوَابها، والصلاة تكون رباعيّة، وتارة تكون ثلاثيّة كالمغرب، وثنائيّة كالصبح، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدرون على الجماعة، بل يصلون فُرَادَى مُسْتقبلي القبلة وغير مستقبليها، ورِجَالاً ورُكبَاناً، ولهم أن يمشوا والحالة هذه ويضربُوا الضربَ المتتابع في الصلاة. ومِن العلماء مَن قال: يُصلون والحالة هذه ركعةً واحدة؛ لحديث ابن عباس المتقدّم. وبه قال أحمد بن حنبل، وروى عن يزيد الفقير عن جابر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم صلاةَ الخوف، فقام صفٌّ بين يديه، وصفٌّ خلفه، فصلى بالذين خلفه ركعةً وسجدتين، ثم تقدّم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم، وجاء أولئك حتى قاموا في مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعةً وسجدتين، ثم سلّمَ؛ فكانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين ولهم ركعة. ولهذا الحديث طرق، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر. **﴿ولا جُناحَ عليكم إن كان بكم أذىً مِن مطرٍ أو كنتم مرضى أن تضعُوا أسلحتَكم وخُذُوا حِذْرَكم﴾** بحيث تكونون على أهبةٍ إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كُلْفةٍ **﴿إنَّ الله أعدَّ للكافرين عذاباً مُهيناً﴾** **١٠٣**: **﴿فإذا قضيتُمُ الصلاةَ فاذكرُوا الله قِياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾** في سائر أحوالكم. يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيبَ صلاة الخوف، وإن كان مشروعاً مرغوباً فيه أيضاً بعد غيرها ولكن هاهنا آكدُ لِما وقع فيها من التخفيف في أركانها. **﴿فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة﴾** فإذا ذهب الخوف وحصلت الطمأنينة فأتموها وأقيموها بحدودها وجميع شؤونها، **﴿إنّ الصلاةَ كانتْ على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** فرضاً مؤقتاً، كلّما مضى وقتٌ جاء وقت **١٠٤**: **﴿ولا تهِنُوا في ابتغاءِ القومِ﴾** لا تضعفوا في طلب عدوّكم، بل جُدُّوا فيهم وقاتلوهم، **﴿إن تكونُوا تألمون فإنّهم يألمون كما تألمون﴾** كما يصيبكم الجراحُ والقتلُ كذلك يحصل لهم كما قال تعالى: **﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القومَ قرحٌ مِثلُهُ﴾**. ثم قال تعالى: **﴿وترجون مِن اللهِ ما لا يرجون﴾** فأنتم ترجون من الله المثوبةَ والنصرَ والتأييدَ، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشدّ رغبة فيه. **﴿وكان الله علياً حكيماً﴾** فيما يُقدّره ويقضيه ويُمضيه **١٠٥**: **﴿إنّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ﴾** هو حقٌّ من الله، وهو يتضمّن الحقَّ في خبره وطلبه، **﴿لتحكمَ بين الناس بما أراكَ اللهُ﴾** [هذه الآية تشريفٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتكريمٌ وتعظيم وتفويض إليه. وقوله تعالى: **﴿بما أراكَ اللهُ﴾** معناه: على قوانين الشرع؛ إمّا بوحيٍ أو بنظر على سُنن الوحي. **﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾** نهى الله عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن عَضْدِ أهل التهم والدفاع عنهم. وفي هذا دليل على أنّ النيابة عن المبطل في الخصومة لا تجوز. والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمرادُ منه الذين كانوا يفعلونه من المسلمين].

الآية ١٠٢: هذه صلاة الحرب، ولعظيم شأن الصلاة عند الله لم يسقطها عن المجاهدين في سبيله؟! فكيف بمن يتركها في أيام رخائه؟!! ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لاتترك صلاةً مكتوبةً متعمّداً، فمن تركها متعمّداً فقَدْ بَرِئتْ منهُ الذِّمّة»، أي: خرج من المسلمين وبَعُدَ عن الإسلام. رواه البيهقي. وقال ﷺ: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة»، رواه الترمذي=

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

١٠٦: ﴿واستغفرِ اللهَ إنّ اللهَ كان غفوراً رحيماً﴾ [المعنى: استغفرِ اللهَ للمذنبين من أمتك والمتخاصمين بالباطل] **١٠٧: ﴿ولا تجادِلْ عن الذين يختانون أنفسَهم إنّ الله لا يُحِبُّ مَن كان خوّاناً أثيماً﴾** نزلت في سارقٍ بني أبيرق، وكان رجلاً منافقاً [دافع عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] ونزل قوله تعالى: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ بني أبيرق **﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾** إلى قوله: **﴿يجدِ اللهَ غفوراً رحيماً﴾** لو استغفروا الله لغفرَ لهم **١٠٨: ﴿يستخفون مِنَ الناس ولا يستخفون مِن الله﴾** هذا إنكارٌ على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا يُنكروا عليهم، ويجاهِرُون اللهَ بها لأنّه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم، ولهذا قال: **﴿وهو معهم إذْ يُبيّتون ما لا يرضى من القول وكان اللهُ بما يعملون محيطاً﴾** وهذا تهديد لهم ووعيد. ثم قال تعالى: **١٠٩: ﴿هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا﴾** هبْ أنّ هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدُوه عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر، فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى؟ ولهذا قال تعالى: **﴿أم مَن يكون عليهم وكيلاً﴾**؟ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنّما أقضي بينكم على نحو ما أسمع، فمَن قضيتُ له من حقِّ أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنّما أقطعُ لهُ قطعةً من النّارِ يأتي بها انتظاماً في عنقة يومَ القيامةِ» رواه أحمد **١١٠**: يخبر تعالى عن كرمه وجوده أنّ كلَّ مَن تابَ إليه تاب عليه من أيِّ ذنب كان فقال تعالى: **﴿ومَن يعملْ سوءاً أو يظلمْ نفسَهُ ثم يستغفرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفوراً رحيماً﴾**. روى أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما مِن مسلم يُذنب ذنباً، ثم يُصلي ركعتين، ثم يستغفرُ اللهَ لذلك الذنب إلّا غفرَ اللهُ له» **١١١: ﴿ومَن يكسبْ إثماً فإنّما يكسبه على نفسه﴾** لا يُغني أحدٌ عن أحد، وإنّما على كل نفس ما عملت لا يُحمل عنها لغيرها، ولهذا قال تعالى: **﴿وكانَ اللهُ علياً حكياً﴾** من علمه وحكمته وعدله ورحمته كان ذلك. ثم قال تعالى: **١١٢: ﴿ومَن يكْسِبْ خطيئةً أو إثماً ثمّ يرمِ بهِ بَريْئاً فقد احتملَ بُهتاناً وإثماً مُبيناً﴾** كما أنّهم بنو أبيرق بصنيعهم القبيح [باتهامهم] الرجلَ الصالح [من الأنصار بالسرقة] وقد كان بَريْئاً وهم الظلمة الخونة كما أطلع اللهُ على ذلك رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم هذا التقريع والتوبيخ عامٌّ فيهم وفي غيرهم مِمّن اتصف بصفتهم **١١٣: ﴿ولولا فضْلُ اللهِ عليكَ ورحمتهُ لهمتْ طائفةٌ منهم﴾** الذين أثنوا على بني أبيرق **﴿أن يُضِلُّوك وما يُضِلُّون إلّا أنفسَهم وما يَضُرونك من شيء﴾** امتنّ الله عليه بتأييده إيّاه في جميع الأحوال وعصمته له، **﴿وأنزلَ اللهُ عليكَ الكتابَ﴾** وهو القرآن **﴿والحكمة﴾** وهي السنّة **﴿وعلّمكَ ما لم تكن تعلم﴾** قبل نزول ذلك عليك **﴿وكان فضلُ اللهِ عليك عظياً﴾**.

= /الترغيب ج١/٣٧٨ و٣٨١/.

الآية: ١١١ عن أبي ثعلبة أن رسول الله ﷺ قال: «البِرُّ ماسكنتْ إليه النفس، واطمأنّ إليه القلب، والإثمُ ما لم تسكنْ إليه النفس، ولم يطمئنَّ إليه القلب، وإنْ أفتاكَ المفتُون» رواه أحمد/صحيح الجامع الصغير ج١/٥٥٧/.

الحزب ١٠

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

١١٤: ﴿لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهم﴾ كلام الناس **﴿إلّا مَن أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس﴾**، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلامُ ابن آدم كله عليه لا له إلّا ذكر الله عزّ وجلّ، أو أمرٌ بمعروف، أو نهيٌ عن منكر». **﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله﴾** مخلصاً محتسباً ثواب ذلك عند الله عزّ وجلّ **﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾** ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً **١١٥: ﴿ومَن يُشاقِقِ الرسولَ مِن بعدِ ما تبيّنَ له الهُدَى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾** ومَن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **﴿نُوَلِّهِ ما تولّى ونصلِهِ جهنّمَ وساءَتْ مصيراً﴾** إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نُحسّنها في صدره ونزيّنها له استدراجاً، ونجعل مصيرَه في الآخرة النار **١١٦: ﴿إنّ الله لا يغفرُ أنْ يُشركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء﴾** أخبر تعالى أنّه لا يغفر لعبدٍ لقيَهُ وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك، أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده، **﴿ومن يُشركْ بالله فقدِ افترى إثماً عظيماً﴾** كقوله تعالى: ﴿إنّ الشركَ لظلمٌ عظيم﴾ وفي الصحيحين أنّ ابن مسعود قال: يا رسول الله أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أنْ تجعلَ لله نِدّاً وهو خلقك» **﴿ومَن يُشركْ بالله فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾** فقد سلك غير الطريق الحقّ وأهلكَ نفسَه وخسرها في الدنيا والآخرة **١١٧: ﴿إنْ يدعون مِن دُونهِ إلّا إناثاً﴾** قال المشركون للملائكة: بنات الله، وإنّما نعبدهم ليقرّبُونا إلى الله زُلفى؛ فاتّخذوهنّ أرباباً وصوّروهنّ جواريَ، وقالوا: هؤلاء يشبهنَ بنات الله الذي نعبده، يعنون الملائكة، **﴿وإنْ يدعون إلّا شيطاناً مَريداً﴾** هو الذي أمرهم بذلك وحسّنه وزيّنه لهم، وهم إنّما يعبدون إبليس في نفس الأمر **١١٨: ﴿لعنَهُ الله﴾** طردَهُ وأبعده من رحمته وأخرجه من جواره، **﴿وقال لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً﴾** معيناً مقدّراً معلوماً **١١٩: ﴿ولأضلّنهم﴾** عن الحقّ **﴿ولأمنّينهم﴾** أزيّن لهم ترك التوبة وأعدهم الأماني **﴿ولآمرنّهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأنعام﴾** تشقيقها وجعلها سِمَةً وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة [وهذه أصناف ابتدعها لهم الشيطان] **﴿ولآمرنّهم فَلَيُغيِّرُنّ خلْقَ الله﴾** بالخصي، والوشم، **﴿ومن يتخذِ الشيطانَ وليّاً مِن دونِ الله فقد خسِرَ خُسْرَاناً مبيناً﴾** خسر الدنيا والآخرة، وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفائتِها. **١٢٠: ﴿يعدُهم ويُمنّيهم وما يعدُهم الشيطانُ إلّا غُروراً﴾** هذا إخبار عن الواقع فإنّ الشيطان يعد أولياءه ويُمنّيهم بأنّهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذب وافترى في ذلك، كما أخبر تعالى عن إبليس يوم المعاد: ﴿وقال الشيطانُ لمّا قُضِيَ الأمرُ إنّ الله وعدَكم وعدَ الحقِّ ووعدتُكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان﴾ **١٢١: ﴿أولئك﴾** المستحسنون له فيما وعدهم ومنّاهم **﴿مأواهم جهنّم﴾** مصيرهم ومآلهم يوم القيامة **﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾** ليس لهم عنها مصرف ولا خلاص.

الآية ١١٤: روى الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام –أي: النفل– والصلاة والصدقة» قالوا: بلى يارسول الله، قال: «إصلاح ذاتِ البَين»، قال: «وفسادُ ذاتِ البين هي الحالقة، لاأقول تحلق الشعر، وإنّما تحلق الدِّين»، ورواه الترمذي وقال: صحيح. /تفسير ابن كثير ج١/٥٥٤/.

الآية ١١٩: وفي الصحيح: عن ابن مسعود أنّه قال: «لعنَ اللهُ الواشمات المستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلّجات للحُسْن المغيّرات خلق الله عزّ وجلّ». تفسير ابن كثير ج١/٥٥٦/.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

١٢٢: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ صدّقتْ قلوبُهم وعملتْ جوارِحُهم بما أُمِرُوا بـه؛ **﴿سَنُدْخِلُهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾** يُصرِّفونها حيثُ شاؤوا وأين شاؤوا **﴿خالدين فيها أبداً﴾** بلا زوال ولا انتقال **﴿وَعْدَ اللهِ حقاً﴾** أنّه واقع لا محالة **﴿ومن أصدقُ مِنَ الله قيلاً﴾**؟ لا أحد أصدق من الله قولاً، أي خبراً لا ربَّ سواه **١٢٣: ﴿ليسَ بأمانيّكم ولا أمانيِّ أهلِ الكتاب﴾** افتخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهلُ الكتاب: نبيّنا قبل نبيّكم وكتابنا قبل كتابكم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم؛ نبيّنا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على كتابكم، فأنزل الله هذه الآية. ثم أفلح الله حُجّةَ المسلمين فقال سبحانه: **﴿ومَن أحْسَنُ ديناً مِمّنْ أسلمَ وَجْهَهُ للهِ وهو محسنٌ﴾**. **﴿مَن يعملْ سُوءاً يُجْزَ بهِ﴾** في الدنيا والآخرة، إلّا أن يتوبَ فيتوب الله عليه. **﴿ولا يجدْ له من دُون الله ولياً ولانصيراً﴾** وهذا للكافر **١٢٤: ﴿ومن يعملْ مِن الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ﴾**، لمّا ذكر سبحانه الجزاء على السيّئات، شرعَ في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده، وأنّه تعالى سيدخلهم الجنّة ولا يظلمهم من حسناتهم مقدار النقير؛ وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر؛ **﴿فأولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلمون نقيراً﴾ ١٢٥: ﴿ومَن أحْسَنُ دِيناً مِمّن أسلم وجهه لله﴾** أخلص العمل لربّه عزّ وجلّ فعملَ إيماناً واحتساباً **﴿وهو محسنٌ﴾** اتبع في عمله ما شرعه الله له، وهذان الشرطان لا يصلح العمل إلا بهما: أن يكون العمل خالصاً لله، وأن يكون متابعاً للشريعة. **﴿واتبعَ مِلّةَ إبراهيم حنيفاً﴾** وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه إلى يوم القيامة. والحنيفُ: هو المائل عن الشرك، المقبل على الحق لا يصدُّه عنه صادٌّ. **﴿واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً﴾** الخُلّةُ: هي أرفع مقامات المحبّة. وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنّه إمام يُقتدى به **١٢٦: ﴿ولله ما في السمواتِ وما في الأرض﴾** الجميع ملكه وعبيده وخلقه **﴿وكان اللهُ بكلِّ شيءٍ محيطاً﴾** لا يخفى عليه خافية من عباده، ولا يعزب عن علمه مثقالُ ذرّة في السموات ولا في الأرض **١٢٧: ﴿ويستفتونك في النساءِ قُلِ اللهُ يُفتيكم فيهنّ وما يُتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللّاتي لا تُؤتُونَهُنّ ما كُتِبَ لهنّ وترغبون أن تنكِحُوهُنّ﴾**؛ كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك فلم يقدر أحدٌ أن يتزوّجها، وإن كانت جميلة وهَوِيَها تزوّجها وأكلَ مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها؛ فحرّم اللهُ ذلك ونهى عنه. **﴿والمستضعفين من الولدان﴾** كانوا في الجاهليّة لا يُورّثون الصغار ولا البنات، وذلك قوله: **﴿لا تُؤتُونهن ما كُتِبَ لهنّ﴾** فنهى عن ذلك، وبيّن لكل ذي سهمٍ سهمَهُ فقال: **﴿للذكر مثل حظِّ الأنثيين﴾** صغيراً أو كبيراً. **﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾** [أي: بالعدل] **﴿وما تفعلُوا من خيرٍ فإنّ اللهَ كان به عليماً﴾** هذا تهييجٌ على فعل الخيرات، فإنّ الله عزّ وجلّ عالم بجميع ذلك وسيجزي عليه أوفرَ الجزاء.

الآية: ١٢٥ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: حين سأله جبريل عن الإحسان؟: «الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» رواه مسلم/صحيح الجامع الصغير ج١/٥٣٥.

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

١٢٨: ﴿وإنِ امرأةٌ خافتْ مِن بعلِها نُشوزاً أو إعراضاً﴾ إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها **﴿فلا جُناحَ عليهما أن يُصلحا بينهما صُلْحاً﴾**؛ فلها أن تُسقط عنه حقَّها أو بعضَهُ من نفقةٍ، أو غير ذلك من حقوقها عليه [على أن لا يُطلِّقها]، **﴿والصلحُ خيرٌ﴾** مِنَ الفِرَاق. **﴿وأُحضِرَتِ الأنفسُ الشُّحَّ﴾** الصلحُ عند المشاحنة خيرٌ مِن الفِراق. **﴿وإن تُحسِنُوا وتتقوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾**، وإن تتجشمُّوا مشقّة الصبر على ما تكرهون منهنّ وتُقسِمُوا لهنّ أسوة أمثالهنّ؛ فإنّ الله عالمٌ بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفرَ الجزاء **١٢٩: ﴿ولن تستطيعُوا أن تعدِلُوا بين النساء ولو حرصتم﴾** لن تستطيعوا أن تُساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنّه وإن وقع القسم الصوري ليلةً وليلة فلا بدّ من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقسم بين نسائه، فيعدل، ثم يقول «اللهمّ هذا قسمي فيما أَملِكُ فلا تلمني فيما تَملِكُ ولا أملك». **﴿فلا تَميلُوا كلَّ الميلِ﴾** فإذا مِلْتُم إلى واحدة منهنّ فلا تُبالغُوا في الميل بالكليّة **﴿فتذروها كالمعلّقة﴾** لا ذات زوج ولا مُطلّقة **﴿وإن تُصلِحُوا وتتقوا فإنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾** إن أصلحتم فيما تملكون غفر اللهلكم ما كان من ميلٍ إلى بعض النساء دون بعض **١٣٠: ﴿وإن يتفرّقا يُغنِ الله كلاًّ من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾**؛ أخبر تعالى أنّهما إذا تفرّقا فإنّ الله يُغنيه عنها ويُغنيها عنه بأن يعوضه الله من هي خير له منها، ويُعوّضها عنه بمن هو خير لها منه، والله واسع الفضل عظيم المَنّ، حكيم في جميع أفعاله وأقداره وشرعه **١٣١: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾** وهو الحاكم فيهما ولهذا قال: **﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم﴾** وصيناكم بما وصيناهم به من تقوى الله وعبادته وحده لا شريك، ثم قال: **﴿وإن تكفروا فإنّ لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيّاً﴾** عن عباده **﴿حميداً﴾** محمود في جميع ما يُقدّره ويُشرّعه **١٣٢: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى باللهوكيلاً﴾** هو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب الشهيد على كل شيء **﴿إنْ يشأْ يُذْهِبْكم أيها الناسُ ويأتِ بآخرين وكان اللهُ على ذلك قديراً﴾** هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عصيتموه، كما قال: ﴿وإن تتولَّوْا يستبدلْ قوماً غيرَكم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، وما أهون العباد على الله إذا أضاعُوا أمرَهُ. **﴿وكان اللهعلى ذلك قديراً﴾ ١٣٤: ﴿مَن كان يُريدُ ثوابَ الدنيا﴾** يا مَن ليس همّه إلّا الدنيا اعلم أنّ عند اللهثواب الدنيا والآخرة **﴿فعندَ اللهِ ثوابُ الدنيا والآخرةِ﴾** فإذا سألتهُ من هذه وهذه أعطاك وأغناك وأقناك **﴿وكانَ اللهُ سميعاً بصيراً﴾** لا إله إلّا هو الذي قسَم السعادة والشقاوة بين الناس في الدنيا والآخرة، وعَدَلَ بينهم فيما علمه فيهم مِمّن يستحق هذا ومِمَن يستحق هذا.

الآية ١٢٩: قال رسول الله ﷺ: «استوصُوا بالنساء. فإنّ المرأة خُلِقتْ مِن ضلعٍ، وإنّ أعوج مافي الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرتَهُ، وإنْ تركتَهُ لم يزل أعوجَ، فاستوصُوا بالنساء»، رواه البخاري ومسلم. /الترغيب ج٣/٥٠/.

الحزب ١٠

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٣٥: ﴿يـاأيها الذين آمنُوا كُونُوا قَوّامين بالقِسط﴾ بالعدل، لا يصرفُهم عنه صارفٌ **﴿شهداءَ لله﴾** كما قال: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أدّوها ابتغاء وجه الله **﴿ولو على أنفسكم﴾** اشهدِ الحقَّ ولو عاد ضررُها عليك؛ فإنّ الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمرٍ يضيقُ عليه **﴿أو الوالدين والأقربين﴾** وإن كانت الشهـادة على والديك وقرابتك فـلا تراعهم فيها بل اشهدْ بالحق، فإنّ الحقَّ حاكمٌ على كل أحد **﴿إن يكن غنيّاً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾** لا ترعاه لغناه ولا تشفق عليه لفقره، والله يتولّاهما بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما، **﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدِلُوا﴾** فلا يحملنّكم الهوى وبغض الناس على ترك العدل **﴿وإن تَلْوُوا أو تُعرِضُوا﴾** تـلووا: تحرِّفوا الشهـادة، والإعراضُ: كتمان الشهادة **﴿فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾** وسيجازيكم بذلك **١٣٦**: يأمر تعالى عبادَه المؤمنـين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشُعبه وأركانه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيتـه والاستمرار عليه. **﴿والكتاب الذي نزّل على رسوله﴾** القرآن **﴿والكتاب الذي أنزل من قبـل﴾** وهذا جنس يشمـل جميع الكتب المتقدّمة. ثم قال تعالى: **﴿ومَن يكفرْ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضـلّ ضـلالاً بعيداً﴾** فقد خرج عن طريق الهداية وبَعُدَ عن القصـد كلَّ البُعْدِ **١٣٧**: **﴿إنّ الذين آمنُوا ثم كفرُوا ثم آمنوا ثم كفرُوا ثمّ ازْدَادُوا كُفراً﴾** يُخبر تعالى عمّن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عادَ فيه ثم رجع ومات على ضلاله، **﴿لم يكنِ اللهُ ليغفرَ لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾** لا يجعل الله لهم مخرجاً ولا فرجاً ولا طريقاً إلى الهدى **١٣٨**: **﴿بشِّرِ المنافقين﴾** الذين هذه الصفة صفتهم **﴿بأنّ لهم عذاباً أليماً﴾** **١٣٩**: **﴿الذين يتخذُون الكافِرين أولياءَ مِن دُون المؤمنين﴾** فهـم في الحقيقة معهم يقولون لهم إذا خلوا بهم: نحنُ معكم إنّما نحن مستهزؤون. **﴿أيبتغُون عندهم العِزّةَ فإنّ العِزّةَ للهِ جميعاً﴾** أخبر سبحانه بأن العزّةَ كلها له وحده لا شريك له، ولمن جعلها له كما قال تعالى: ﴿ولله العِزّةُ ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون﴾، والمقصود من هذا التهييج على طلب العِزّة من جناب الله والإقبال على عبوديّته **١٤٠**: **﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أنْ إذا سمعتم آياتِ اللهِ يُكفرُ بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾** [كان المنافقون يجلسون فيسخرون مِن القرآن]، **﴿فلا تقعُدوا معهم حتى يخُوضُوا في حديثٍ غيرِهِ إنّكم إذاً مثلهم﴾** إنّكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يُكفر فيه بآيات الله، فقد شاركتموهم في هذا الذي هم فيه، فلذا قال تعالى: **﴿إنّكم إذاً مثلهم﴾** في المأثم، كما جاء في الحديث: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يجلسْ على مائدة يُدارُ عليها الخمرُ». **﴿إنّ الله جامعُ المنافقين والكافِرين في جهنّمَ جميعاً﴾** كما أشركوهم في الكفر كذلك يُشارِكُ اللهُ بينهم في الخلود في نار جهنّم بينهم في الحميم أبداً.

الآية ١٣٥: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المُقسطين -العادلين- عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمينٌ. الذين يَعْدِلُون في حُكمهم وأهلِيهم ومَا وَلُوا». رواه مسلم والنسائي. /الترغيب ج٣/١٦٧/.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٤١: ﴿**الذين يتربّصون بكم**﴾ يُخبر تعالى عن المنافقين أنّهم ينتظرون زوال دولة المؤمنين، وظهور الكفرة عليهم ﴿**فإنْ كان لكم فتحٌ من الله**﴾ نصرٌ وتأييدٌ وظفرٌ وغنيمة ﴿**قالوا ألم نكن معكم**﴾؟ يتودَّدُون إلى المؤمنين بهذه المقالة، ﴿**وَإن كان للكافرين نصيبٌ**﴾ إدالة على المؤمنين كما وقع يوم أُحُد ﴿**قالوا ألم نستحوذْ عليكم**﴾؟ ساعدناكم في الباطن حتى انتصرتم عليهم ﴿**ونمنعكم من المؤمنين**﴾؟! ﴿**فالله يحكم بينكم يومَ القيامة**﴾ بما يعلمه منكم أيها المنافقون. ﴿**ولن يجعلَ الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**﴾ حجّةً، وسبيلاً في الدنيا بأن يُسلّطُوا عليهم استيلاء استئصال بالكليّة وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان؛ فإنّ العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة **١٤٢:** ﴿**إنّ المنافقين يُخادِعُون الله وهو خادِعُهم**﴾ إنّ الله لا يُخادَع، ولكنّ المنافقين لجهلهم وقلّة عقلهم يعتقدون أنّ أمرهم كما راج عند الناس، فكذلك يكون حكمهم عند الله، كما أخبر تعالى عنهم أنّهم يحلِفون له يوم القيامة: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ ﴿**وهو خادعهم**﴾ هو الذي يستدرجهم في طغيانهم في الدنيا [وفي الآخرة ينتقم منهم] وفي الحديث: «إنّ الله يأمر بالعبد إلى الجنّة فيما يبدو للناس، ويُعدلُ بهِ إلى النار». ﴿**وإذا قامُوا إلى الصلاةِ قامُوا كُسالى**﴾ هذه صفة المنافقين؛ أنّهم لا نيّة لهم فيها ولا إيمان لهم بها، ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة: ﴿**يُراؤون الناس**﴾ لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله ﴿**ولا يذكرون الله إلّا قليلاً**﴾ في صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون **١٤٣:** ﴿**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء**﴾ المنافقين محيّرين بين الإيمان والكفر؛ ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ﴿**ومَن يُضلِلِ الله فلن تجدَ له سبيلاً**﴾ ومَن صرفه عن طريق الهدى فلا هادي له **١٤٤:** ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخِذُوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ ينهى الله المؤمنين عن مصاحبتهم ومصادقتهم وإسرار المودّة إليهم ﴿**أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مُبيناً**﴾؟! حُجّةً عليكم في عقوبته إيّاكم **١٤٥:** ﴿**إنّ المنافقين في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار**﴾ يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ ﴿**ولن تجدَ لهم نصيراً**﴾ ينقذهم مِمّا هم فيه من أليم العذاب **١٤٦:** ﴿**إلّا الذين تابُوا وأصلحوا واعتصمُوا بالله وأخلصوا دينَهُم لله**﴾ بدّلوا الرياء بالإخلاص ﴿**فأولئك مع المؤمنين وسوف يُؤتِ اللهُ المؤمنين أجراً عظيماً**﴾. ثم أخبر تعالى عن غناه عمّا سواه، وأنّه إنّما يُعذّب العباد بذنوبهم فقال تعالى: **١٤٧:** ﴿**ما يفعلُ الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم**﴾؟! أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله ﴿**وكان الله شاكراً عليماً**﴾ مَن شكرَ شكرَ له، ومن آمَنَ قلبه به علمه وجازاه على ذلك أوفر الجزاء.

الآية ١٤١: قال رسول الله ﷺ: «تجدُون شرَّ الناس ذَا الوَجهين الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ»، رواه مالك والبخاري ومسلم. وقال ﷺ: «ذُو الوجهين في الدنيا يأتي يومَ القيامة وله وجهان من نار» رواه الطبراني. /الترغيب ج٣/٦٠٣/.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾

١٤٨: ﴿لا يُحبُّ اللهُ الجهر بالسوءِ من القولِ إلا من ظُلم﴾ لا يحب الله أن يدعو أحدٌ على احدٍ إلا أن يكون مظلوماً، فإنّه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خيرٌ له **﴿وكان اللهُ سميعاً عليماً﴾** **١٤٩: ﴿إن تبدُوا خيراً أو تُخفُوهُ أو تعفُوا عن سوءٍ﴾** إن تظهروا أيها الناس خيراً أو أخفيتموه أو عفوتم عمّن أساء إليكم **﴿فإن اللهَ كانَ عفواً قديراً﴾** فإنّ ذلك مِمّا يُقرّبكم عند اللهويجزل ثوابكم لديه، فإنّ من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم

١٥٠: ﴿إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يُفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نُؤمنُ ببعضٍ ونكفر ببعض﴾ يتوعّدُ اللهُ اليهودَ والنصارى حيث فرّقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا بمجرّد التشهي والعادة، وما ألْفوا عليه آباءَهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، بل بمجرّد الهوى والعصبيّة. والمقصود: أنّ من كفر بنبيّ من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء؛ فإنّ الإيمان بكلِّ نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض واجبٌ، فمن ردَّ نبوّته للحسد أو للعصبيّة تبيّن أنّ إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً، وإنّما هو عن غرض وهوى، **﴿ويريدون أنْ يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾** طريقاً ومسلكاً، ثم أخبر تعالى عنهم فقال: **١٥١: ﴿أولئك هم الكافرون حقّاً﴾** كفرهم محقّقٌ لا محالة **﴿واعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً﴾** كما استهانوا بمن كفرُوا به إمّا لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله، وإمّا بكفرهم به بعد علمهم بنبوّته، كأحبار اليهود **١٥٢: ﴿والذين آمنوا باللهِ ورُسلهِ ولم يُفرِّقوا بين أحدٍ منهم﴾** يعني بذلك أُمّةَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنّهم يُؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبيّ بعثه الله، ثم أخبر تعالى بأنّه قد أعدَّ لهم الجزاءَ الجزيل فقال: **﴿أولئك سوف يُؤتيهم أجورَهم﴾** على ما آمنوا بالله ورُسله **﴿وكان اللهُ غفوراً﴾** لذنوبهم **﴿رحيماً﴾** بهم **١٥٣: ﴿يسألك أهلُ الكتابِ أن تُنزّلَ عليهم كتاباً من السماء﴾** سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبةً **﴿فقد سألُوا موسى أكبرَ من ذلك فقالُوا أرِنا اللهَ جهرةً فأخذتْهُمُ الصاعقةُ بظلمهم﴾** بطغيانهم وعتوّهم وعنادهم. **﴿ثم اتخذوا العجلَ مِن بعدِ ما جاءتهم البيناتُ﴾** بعد ما رأوا من الآيات الباهرة على يدي موسى عليه السلام **﴿فعفونا عن ذلك﴾** بعدما جعل الله توبتهم من الذي ابتدعوه أن يقتل من لم يعبد العجل منهم مَن عبده **﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾**، [أي: حُجّةً بيّنةً، وهي الآيات التي جاء بها] **١٥٤: ﴿ورفعنا فوقهم الطورَ بميثاقهم﴾** وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، رفع اللهعلى رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا فالتزموا خشية أن يسقط عليهم. **﴿وقلنا لهم ادْخلُوا البابَ سُجّداً وقلنا لهم لا تعدُوا في السبت﴾** فخالفُوا ما أمروا به من القول والفعل **﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾** شديداً، فخالفوا وعصوا وتحيّلُوا على ارتكاب ما حرّم الله عزّ وجلّ.

الآية ١٤٨: عن عياض بن جُمان قال: قلتُ يانبيَّ الله الرجلُ يشتمنِي وهو دُوني، أعليَّ من بأسٍ أن انتصرَ منه؟ قال: المُستبّانِ شيطانان يتهاتران ويتكاذبان»، رواه ابن حبان في صحيحه. /الترغيب ج٣/٤٦٧/. ومعنى شيطانان: أي باعثان للشقاق والنفور، وهذا عمل الشيطان.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٥٥: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله﴾ وهذا من الذنوب التي ارتكبوها مِمّا أوجب لعنتهم وهو نقضهم المواثيق والعُهود التي أخذت عليهم، وكفرهم بالمعجزات التي شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام **﴿وقتلهم الأنبياءَ بغير حق﴾** وذلك لكثرة إجرامهم واجترائهم على أنبياء الله، فإنّهم قتلوا جمّاً غفيراً من الأنبياء عليهم السلام، **﴿وقولهم قلوبنا غُلف﴾** في غطاء **﴿بل طبعَ الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلاً﴾** تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان **١٥٦: ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بُهتاناً عظيماً﴾** أنّهم رموها بالزنا، فعليهم لعائنُ الله المتتابعة إلى يوم القيامة **١٥٧: ﴿وقولهم إنّا قتلنا المسيحَ عيسى ابنَ مريم رسولَ الله﴾** هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّهَ لهم﴾** رأوا شَبَهَهُ فظنّوه إيّاه، ولهذا قال تعالى: **﴿وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منهم ما لهم به مِن علمٍ إلّا اتباع الظنّ﴾** اليهود والنصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال، ولهذا قال تعالى: **﴿وماقتلوه يقيناً﴾** وما قتلوه مُتيقنين أنّه هو بل شاكين متوهمين **١٥٨: ﴿بلْ رفعَهُ اللهُ إليه وكان الله عزيزاً﴾** منيع الجناب لا يُرام جنابه ولا يُضام مَن لاذَ ببابِهِ **﴿حكيماً﴾** في جميع ما يُقدّرُهُ ويقضيه **١٥٩: ﴿وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلّا لَيُؤمنَنَّ بهِ قبلَ موته﴾** قبل موت عيسى، يُصدِّقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي مِلّة الإسلام، **﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾** بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء، وبعد نزوله إلى الأرض **١٦٠: ﴿فبظلمٍ مِنَ الذين هادُوا حرّمنا عليهم طيّباتٍ أُحلّتْ لهم﴾** يُخبر تعالى أنّه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حرّم عليهم طيبات كان أحلّها لهم **﴿وبصدِّهم عن سبيلِ اللهِ كثيراً﴾** صدوا الناسَ وصدوا أنفسَهم عن اتباع الحق، وهذه سجيّة لهم متصفون بها من قديم الزمن، ولهذا كانوا أعداء الرسل **١٦١: ﴿وأخذهم الرِّبا وقد نُهُوا عنه﴾** إنّ الله قد نهاهم عن الرِّبا فتناولوه واحتالوا عليه بأنواع الحيل **﴿وأكلهم أموالَ الناسِ بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾**. ثم قال تعالى: **١٦٢: ﴿لكنِ الراسِخُون في العلم منهم﴾** الثابتون في الدِّين لهم قدم راسخة في العلم النافع **﴿والمؤمنون﴾** عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأسد بن عبيد، الذين دخلوا في الإسلام، وصدّقوا بما أرسل الله به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿والمقيمين الصلاة﴾** هو منصوب على المدح [وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم] يُؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، **﴿والمؤتون الزكاةَ﴾** زكاة أموالهم **﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** يُصدِّقون بأنّه لا إله إلّا الله، ويُؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرّها؛ **﴿أولئك﴾** هو الخبر عمّا تقدّم **﴿سنُؤتيهم أجراً عظيماً﴾** الجنّة.

الآية ١٦٥: وفي الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش ماظهرَ منها ومابطن... ولا أحد أحبّ إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك بعث النبيين مُبشرين ومُنذرين»، وفي لفظ آخر: «من أجل ذلك أرسلَ رُسلَهُ وأنزلَ كُتبَه». /تفسير ابن كثير ج١/٥٨٨/.

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

١٦٣: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده﴾ الآية، وهي رَدٌّ على اليهود [حين قالوا] يا محمد ما نعلم أنّ الله أنزل على بشر بعد موسى، فأنزل الله أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين. **﴿وأوحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيوبَ ويُونُسَ وهارونَ وسليمانَ وآتينا داودَ زَبُوراً﴾** الزبُورُ: اسم الكتاب الذي أوحاه اللهُ إلى داود عليه السلام **١٦٤: ﴿ورُسُلاً قدْ قصصناهم عليكَ مِن قبلُ ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾** من قبل هذه الآية، يعني في السور المكيّة وغيرها. **﴿وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً﴾** وهذا تشريف لموسى بهذه الصفة، ولهذا يُقال له: الكليم **١٦٥: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾** يبشّرون مَن أطاعَ الله واتبعَ رضوانه بالخيرات، ويُنذرون مَن خالف وكذب رسله بالعذاب؛ **﴿لئلّا يكونَ للنّاس على الله حُجّةٌ بعدَ الرسل﴾** أي أنّه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبِشارة والنذارة، وبيّنَ ما يُحبه ويرضاه، مِمّا يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذرٍ عُذْرٌ. **﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾** **١٦٦:** لّما تضمّنَ قولُهُ تعالى: **﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين﴾** إثباتَ نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم والرّدَّ على مَن أنكر نبوّته من المشركين وأهل الكتاب قال تعالى: **﴿لكنِ اللهُ يشهدُ بما أَنْزَلَ إليكَ أنزله بعلمه﴾** وإنْ كفرَ به مَن كفر؛ فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه القرآن الذي أنزله بعلمه **﴿والملائكةُ يشهدون﴾** تُصدِّقُ ما جاءكَ وأنزل عليك مع شهادة الله، **﴿وكفى باللهِ شهيداً﴾** **١٦٧: ﴿إنّ الذين كفروا وصَدُّوا عن سبيل الله قد ضلُّوا ضلالاً بعيداً﴾** كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحقّ وسعوا في صَدِّ الناس عن اتباعه، وقد خرجوا عن الحقّ وبَعُدُوا منه بُعْداً عظيماً شاسعاً. ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين فقال: **١٦٨: ﴿إنّ الذين كفروا وظلموا لم يكنِ اللهُ ليغفرَ لهم ولا لِيَهْدِيَهُمْ طريقاً﴾** بسبب ارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه بأنّه لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلاً إلى الخير **١٦٩: ﴿إلّا طريقَ جهنّمَ﴾** هذا استثناء منقطع [لكونهم اقترفوا ما يُوجب لهم ذلك] **﴿خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً﴾** **١٧٠: ﴿يا أيها النّاسُ قد جاءكم الرسول بالحقِّ من ربّكم فآمنوا خيراً لكم﴾** قد جاءكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق من الله عزّ وجَلّ فآمنوا به واتبعوه يكن خيراً لكم، **﴿وإنْ تكفرُوا فإنّ لله ما في السموات والأرض﴾** فهو غنيٌّ عنكم وعن إيمانكم ولا يتضرّر بكفرانكم، **﴿وكان اللهُ عليماً﴾** بمن يستحق الهداية فيهديه، وبمن يستحق الغِواية فيغويه **﴿حكيماً﴾** في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره.

الآية: ١٦٨ روى جابر أنّ رسول الله ﷺ قال: «اتّقوا الظلمَ فإنّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة، واتّقوا الشحَّ فإنّ الشحَّ أهلكَ مَنْ كان قبلكم، وحملهم على أنْ سفكوا دماءَهم واستحلوا محارمهم» رواه أحمد/صحيح الجامع الصغير ج١/٨٢/.

الآية ١٦٩: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة». وقال ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ: «ياعبادي إنّي حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالَمُوا»، رواهما مسلم. /الترغيب ج٣/١٨٣/.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الرشوَةُ في الحكم كفرٌ، وهي بين الناس سُحْتٌ» رواه الطبراني موقوفاً وإسناده صحيح /الترغيب ج٣/١٨١/.

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

١٧١: ﴿يا أهلَ الكتابِ لا تَغلُوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلّا الحق﴾ ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى فإنّهم تجاوزوا الحدّ في عيسى حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله، **﴿إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ رسولُ اللهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة﴾** إنّما المسيحُ عبدٌ من عباد الله وخلقٌ من خلق الله، خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربّه، قال تعالى: ﴿والتي أحْصَنَتْ فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آيةً للعالَمين﴾ وقال تعالى: ﴿إنّ مثلَ عيسى عندَ اللهِ كمثلِ آدمَ خلقَهُ مِن ترابٍ، ثم قالَ له كنْ فيكون﴾. **﴿وكلمتُه﴾** هي قوله: ﴿كن فيكون﴾، **﴿فآمنوا بالله﴾** فصدّقوا بأنّ الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة، **﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾** لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً **﴿انتهُوا خيراً لكم﴾** [نهاهم عن الشرك]، **﴿إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانه أن يكون له ولد﴾** تعالى وتقدّس عن ذلك علوّاً كبيراً **﴿له ما في السموات والأرض﴾** الجميع ملكه وخلقه وهم تحت تدبيره **﴿وكفى باللهِ وكيلاً﴾** [أي: لأوليائه] **١٧٢: ﴿لنْ يستنكفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله﴾** لن يستكبر ولن يحتشم **﴿ولا الملائكةُ المقرّبُون﴾** فهم عبيدٌ من عباده **﴿ومَن يستنكفْ عن عبادته ويستكبرْ فسيحشرهم إليه جميعاً﴾** ليفصل بينهم بحكمه العدل **١٧٣: ﴿فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيُوفّيهم أجورَهم﴾** من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة، **﴿ويزيدُهم مِن فضله﴾** وإحسانه ورحمته، فيدخلهم الجنّة. **﴿وأمّا الذين استنكفوا واستكبروا﴾** امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك **﴿فيُعذّبُهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم مِن دُون الله وليّاً ولا نصيراً﴾** كقوله تعالى: ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾ صاغرين حقيرين كما كانوا مستكبرين **١٧٤**: يقول تعالى مخاطباً جميعَ الناس ومخبراً بأنّه قد جاءهم منه برهانٌ عظيم: **﴿يا أيها الناسُ قد جاءكم برهانٌ من ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾**؛ ضياءً واضحاً على الحقّ، وهو القرآن **١٧٥: ﴿فأما الذين آمنُوا بالله واعتصمُوا به﴾** جمعوا بين مقامَي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم **﴿فسيُدخلهم في رحمةٍ منه وفضل﴾** يدخلهم الجنّة ويزيدهم ثواباً مضاعفاً **﴿ويهديهم إليهِ صراطاً مستقيماً﴾** طريقاً واضحاً قَصْدَاً قَواماً، لا اعوجاجَ فيه ولا انحراف، وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنّات.

الآية ١٧١: وفي الصحيح أنّ رسول الله ﷺ: «لاتُطرُوني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم، فإنّما أنا عبدالله ورسوله» رواه البخاري في كتاب الأنبياء /٤٨.

ومن ضلال النصارى تباين أقوالهم في المسيح عليه السلام فمنهم مَن يعتقده إلهاً، ومنهم مَن يعتقده شريكاً، ومنهم من يعتقده ولداً، والله تعالى يقول: «لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة ومامن إلهٍ إلاّ الهٌ واحدٌ». سورة المائدة /٧٣.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

الحزب ١١

١٧٦: ﴿يستفتُونكَ قُلِ اللهُ يُفتيكم في الكَلالة﴾ يستفتونك عن الكلالة **﴿قُلِ الله يفتيكم﴾** فيها، فدلّ المذكور على المتروك. والكلالةُ: مَن يموت وليس له ولد ولا والد، كما دلّتْ عليه هذه الآية: **﴿إنِ امرؤٌ هَلَكَ ليسَ له ولد﴾** مات ولا ولد له ولا والد، ويدلّ على ذلك قوله: **﴿وله أخت﴾** ولو كان معها أبٌ لم ترث شيئاً؛ **﴿فلها نصفُ ما تركَ، وهو يرِثُها إن لم يكن لها ولد﴾** والأخ يرث جميعَ مالها إذا ماتتْ كَلالةً، وليس لها ولدٌ ولا والد؛ لأنه لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئاً. **﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مِمّا ترك﴾** فإن كان لمن يموت كَلالةً أختان فرض لهما الثلثان وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما. **﴿وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظِّ الأنثيين﴾** هذا حكم العصبات من البنين وبني البنين والإخوة إذا اجتمع ذكورهم وإناثهم أُعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، **﴿يُبيّن اللهُ لكم أن تضلّوا﴾** يفرض لكم فرائضَه، ويحدُّ حدودَهُ **﴿أن تضلّوا﴾** لئلا تضلّوا عن الحق بعد البيان **﴿والله بكل شيءٍ عليم﴾** هو العالم بعواقب الأُمور ومصالحها لعباده.

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

١: هذا بيان من الله ورسوله **﴿يا أيها الذين آمنوا أوفُوا بالعقود﴾** وهي ستّةٌ: عهد الله، وعقد الحِلْف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين. **﴿أُحِلّتْ لكم بهيمةُ الأنعام﴾** هي الإبل والبقر والغنم. **﴿إلّا ما يُتلى عليكم﴾** [أي: في القرآن والسنّة] يعني بذلك الميتة والدمَ ولحمَ الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع [وكل ذي ناب من السباع فأكله حرام رواه مسلم]. **﴿غيرَ مُحِلّي الصيدِ وأنتم حُرُم﴾**، وهو ما يعمّ الوحشي من الأنعام في حال الإحرام، **﴿إنّ اللهَ يَحكُمُ ما يُريد﴾ ٢: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُحِلّوا شعائرَ الله﴾** مناسك الحج، ولا تُحِلّوا محارمَ الله التي حرّمها تعالى، **﴿ولا الشهرَ الحرام﴾** تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه. والأشهرُ الحرمُ هي: رجب الفرد، وثلاث متواليات؛ ذو القعدة وذو الحجة، ومحرّم. **﴿ولا الهَدْيَ ولاالقلائدَ﴾** لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام؛ فإن فيه تعظيم شعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميّز به عمّا عداها من الأنعام، وليعلم أنها هدي إلى الكعبة. **﴿ولا آمّينَ البيتَ الحرامَ يبتغون فضلاً من ربِّهم ورضواناً﴾** لا تستحِلّوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام يترضون الله بحجّهم. **﴿وإذا حللتم فاصطادُوا﴾** إذا فرغتم من إحرامكم فقد أحللنا لكم الصيد. **﴿ولا يَجْرِمنّكم شنآنُ قومٍ أنْ صَدُّوكم عن المسجدِ الحرامِ أن تعتدوا﴾** لا يحملنكم بغضُ الذين صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام عام الحديبية على أن تتعدُّوا حكم الله فيهم، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد. **﴿وتعاونوا على البِرِّ والتقوى﴾** يأمر تعالى المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات **﴿ولا تعاونوا على الإثم والعُدْوَان﴾** وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم **﴿واتقوا الله إنّ الله شديدُ العِقاب﴾**.

سورة المائدة: روى الحاكم باسناد صحيح عن جُبير بن نُفير قال: حججتُ فدخلتُ على عائشة فقالت لي: ياجُبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، فقالتْ: أمّا إنّها آخرسورة نزلتْ فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وماوجدتم من حرام فحرّموه». /تفسير ابن كثير ج٢/٢/.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ
﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

٣: يُخبر تعالى عبادَهُ متضمناً النهي عن تعاطي هذه المحرّمات؛ من ﴿**الميتة**﴾، لِما فيها من الدم المحتقن، فهي ضارّة للدِّين وللبدن، ﴿**والدم**﴾ المسفوح، وكانوا في الجاهليّة أنّ أحدَهم إذا جاع يأخذ مُحدّداً فيقصدُ به بعيره أو حيواناً من أي صنف، فما يخرج منه من الدم يشربه، ولهذا حرّم اللهُ الدمَ على هذه الأمّة. ﴿**ولحم الخنزير**﴾؛ إنسيّهِ ووحشيّهِ. ﴿**وما أُهل لغير الله به**﴾؛ وهو ما ذُبح فذُكر عليه اسم غير الله، فهو حرام؛ لأنّ اللهتعالى أوجب أن تذبح الأنعام على اسمه العظيم. ﴿**والمنخنقة**﴾؛ وهي التي تموت بالخنق. ﴿**والموقوذة**﴾؛ التي تضرب حتى تموت. ﴿**والمتردّيةُ**﴾؛ التي تقع من شاهق. ﴿**والنطيحةُ**﴾، التي ماتت بسببِ نطحِ غيرها لها. ﴿**وما أكل السَّبُعُ**﴾ فأكل بعضها فماتت فهي حرام. ﴿**إلّا ما ذكّيتُم**﴾ ممّا انعقد سببُ موته فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة. ﴿**وما ذُبح على النُّصُبِ**﴾ كانت النُّصب حجارة حول الكعبة في الجاهلية يذبحون عندها، وهي من الشرك، ﴿**وأن تستقسموا بالأزلام**﴾ وهي القداح التي مكتوب عليها افعل ولا تفعل، يتحاكمون فيها ﴿**ذلكم فسقٌ**﴾ تعاطيه ضلالة وشرك. ﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**﴾ يَئِسُوا أن يُراجعوا دينهم ﴿**فلا تخشوهم واخشونِ**﴾ لا تخافوهم في مخالفتكم إيّاهم واخشوني أنصركم عليهم، ﴿**اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً**﴾ هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمّة حيث أكمل تعالى لها دينها، فارضوه أنتم لأنفسكم. ﴿**فمن اضطرّ في مخمصةٍ غيرَ متجانفٍ لإثمٍ**﴾ مُتعاطٍ لمعصية الله فقد أباح له ذلك ﴿**فإنّ الله غفورٌ رحيم**﴾ **٤**: ﴿**يسألونك ماذا أُحِلّ لهم قُلْ أُحِلّ لكم الطيّباتُ**﴾ الذبائح الحلال والرزق من الحلال، ﴿**وما علمتم من الجوارح مكلّبين**﴾ وهي من الكلاب والفهود والصقور، والجوارح يعني: الضواري ﴿**تُعلِّمُونَهُنَّ مِمّا علَّمكُمُ اللهُ فكلوا مِمّا أمسكنَ عليكم**﴾ إذاأمسكه على صاحبه ولا يمسكه لنفسه ﴿**واذكرُوا اسمَ اللهِ عليه**﴾ وقت إرساله ﴿**واتقُوا اللهَ إنّ اللهَ سريعُ الحساب**﴾ **٥**: ﴿**اليومَ أُحِلَّ لكم الطيّباتُ وطعامُ الذين أوتُوا الكتابَ حِلٌّ لكم**﴾ ذبائح أهل الكتابَين من اليهود والنصارى ﴿**وطعامُكم حِلٌّ لهم**﴾ ويحِلُّ لكم أن تُطعِمُوهم من ذبائحكم. ﴿**والمحصناتُ من المؤمناتِ والمحصناتُ من الذين أوتُوا الكتابَ من قبلِكُم**﴾ الحرائر من الذمّيات العفيفات ﴿**إذا آتيتموهنّ أجورَهنّ**﴾ مهورهنّ؛ أي كما هنّ محصنات عفائف فابذلوا لهنّ المهور عن طيب نفس، ﴿**مُحصنين غير مُسافِحين**﴾ فكما شرط الإحصان في النساء، وهي العفيفة، كذلك شرطها في الرجال، وهو أن يكون عفيفاً ﴿**ولا متّخِذي أخْدَانٍ**﴾ ذوي العشيقات، وعند الإمام أحمد لا يصح نكاح البغيّ حتى تتوب، ولا يصح عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ﴿**ومَن يكفرْ بالإيمان فقد حَبِطَ عملُهُ وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾، [لمّا ذُكرت الفرائضُ وأحكامٌ يلزمُ القيامُ بها؛ ذُكر الوعيدُ على مخالفتها، لِما في ذلك من تأكيد الزجر عن تضييعها].

الآية ٣: إنّ رجلاً من الأعراب أتى النبيَّ ﷺ يستفتيه في الذي حرّم الله عليه والذي أحلَّ له، فقال النبي ﷺ: «يُحِلُّ لكَ الطيبات ويُحرّم عليك الخبائث، إلاّ أنْ تفتقرَ إلى طعام لكَ فتأكل منه حتى تستغني عنه». /تفسير ابن كثير ج٢/١٤/.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

٦: ﴿**يـا أيهـا الذين آمنـوا إذا قمـتم إلى الصلاة**﴾ وأنتم محدثون ﴿**فاغسلوا وجُوهَكم وأيدِيَكم إلى المرافق**﴾ مع المرافق ﴿**وامْسَحُوا برؤوسكم**﴾ وهو مقدار الناصية ﴿**وأرجلَكم إلى الكعبين**﴾ قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «أَسْبِغُوا الوضوءَ، ويلٌ للأعقابِ من النّار» وهو في الصحيحين. روى الإمام أحمد: قال أبو أمامة: حدّثنا عمرو بن عبسة، قال: قلتُ يا رسول الله أخبرني عن الوضوء، قال: «مامنكم مِن أحدٍ يقربُ وضوءَه حتى يتمضمضُ ويستنشقُ وينتثرُ إلّا خرّتْ خطاياه من فمه وخياشيمه مع الماء حين ينتثر، ثم يغسلُ وَجْهَهُ كما أمرهُ اللهُ إلّا خرّتْ خطايا وجهِهِ من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسلُ يديه إلى المرفقين إلّا خرّتْ خطايا يديه من أطراف أنامله، ثم يمسحُ رأسَهُ إلّا خرّتْ خطايا رأسِهِ من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسلُ قدميه إلى الكعبين كما أمرَهُ اللهُ إلّا خرّتْ خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ثم يقومُ فيحمد اللهويثني عليه بالذي هو له أهلٌ، ثم يركعُ ركعتين إلّا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه»، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر. ﴿**وإن كنتُم جُنُباً فاطّهروا وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائطِ أو لامستُمُ النساءَ فلم تجِدُوا ماءً فتيمَّمُوا صعيداً طيّباً فامسَحُوا بوجوهكم وأيدِيَكم منه**﴾، كل ذلك تقدّم الكلام عليه في تفسير آية النساء. [الآية/٤٣]. ﴿**ما يُريدُ اللهُ ليجعلَ عليكم من حَرَجٍ**﴾ سهلَ عليكم ويسّرَ، وأباحَ التيمم عند المرض وعند فقد الماء، توسعةً عليكم ورحمةً بكم ﴿**ولكن يريدُ لِيُطهِّرَكم وليُتِمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرون**﴾ لعلّكم تشكرون نِعَمَهُ عليكم من التوسعة والرحمة والسماحة. ٧: ﴿**واذكُرُوا نعمةَ اللهِعليكم**﴾ يُذكّر الله تعالى المؤمنين نعمتَه عليهم في هذا الدِّين العظيم ﴿**ومِيثَاقَهُ الذي واثقكم بهِ إذْ قُلتم سمعنا وأطعنا**﴾ هذه هي البيعة التي كانوا يُبايعون عليها رسولَ اللهصلى الله عليه وآله وسلم عند إسلامهم، ﴿**واتقوا اللهَ إنّ اللهَ عليمٌ بذات الصدور**﴾ هذا تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال ثم أعلمهم أنّه يعلم ما يتخالج في الضمائر من الخواطر ٨: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كُونوا قَوَّامين للهِ**﴾ كونوا قوَّامين بالحقِّ للهِ عزّ وجلّ لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا ﴿**شُهداء بالقسط**﴾ بالعدل ﴿**ولا يجرمنّكم شنآنُ قومٍ على أنْ لا تعدِلُوا**﴾ لا يحملنكم بغضُ قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدوّاً، ولهذا قال: ﴿**اعْدِلُوا هو أقربُ للتقوى واتقوا اللهَ إنَّ اللهَ خبيرٌ بما تعملون**﴾ وسيجزيكم على أفعالكم إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شرّاً فشرٌّ، ولهذا قال تعالى بعده: ٩: ﴿**وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصالحاتِ لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ**﴾ وهو الجنّة.

الآية: ٨ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمينٌ؛ الذين يعدِلُون في حكمهم، وأهليهم، وماوَلُوا» رواه مسلم والنسائي. وروى مسلم عن عياض قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أهلُ الجنّة ثلاثةٌ: ذُو سلطان مقسِطٌ موفّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذي قُرْبَى مسلمٍ، وعفيفٌ متعفّفٌ ذُو عيالٍ». وقال رسول الله ﷺ: « أشدُّ النّاس عذاباً يومَ القيامة إمامٌ جائرٌ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسنٌ. وروى أبو داود أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ طلبَ قضاءَ المسلمين حتى ينالَهُ، ثم غلبَ عَدْلَهُ جَوْرُهُ فلَهُ النّارُ». /الترغيب ج٣/١٦٧ و١٧٢/.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١١

١٠: ﴿والذين كفرُوا وكذّبُوا بآياتنا أولئك أصحـابُ الجحيم﴾ وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا يجورُ فيه بل هو الحكم العدل **١١: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكرُوا نعمـةَ اللهِ عليكم إذْ هَمَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديَهم فكفّ أيديَهم عنكم﴾** وذلك أنّ قوماً من اليهود صنعوا طعاماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه ليقتلوهم، فأوحى اللهُ إليه بشأنهم، فلم يأتِ الطعام **﴿وعلى الله فليتوكّلِ المؤمنون﴾** من توكّلَ على الله كفاه الله ما أهمَّهُ وحفظه من شرِّ الناس **١٢: ﴿ولقد أخذَ اللهُ ميثاقَ بني إسرائيل﴾** أخذ اللهُ العهود والمواثيق على اليهود فنقضوا عهودَه ومواثيقه، فأعقبهم لعناً منه لهم، **﴿وبعثنا منهم اثني عشرَ نقيباً﴾** عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه. **﴿لئن أقمتُمُ الصلاةَ وآتيتُمُ الزكاةَ وآمنتم برسلي﴾** صدّقتموهم فيما يجيؤونكم به من الوحي **﴿وعزّرتُموهم﴾** نصرتموهم **﴿وأقرضتُمُ اللهَ قرضاً حسناً﴾** وهو الإنفاق في سبيله وابتغاء مرضاته، **﴿لأكفِّرَنّ عنكم سيئاتكم﴾** ذنوبكم، أمحوها وأسترها ولا أؤاخذكم بها، **﴿ولأدخلنّكم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾** أدفع عنكم المحذور، وأحصّل لكم المقصود؛ **﴿فمن كفرَ بعد ذلك منكم فقدْ ضلَّ سواءَ السبيل﴾** فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده، وجحده وعامله معاملةَ مَن لا يعرفه فقد أخطأ الطريق الواضح، وعدل عن الهدى إلى الضلال ثم أخبر تعالى عمّا حلّ بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده فقال: **١٣: ﴿فبما نقضهم ميثاقَهم لعنّاهم﴾** بسبب نقضهم الميثاق الذي أُخِذَ عليهم لعنّاهم؛ أي: أبعدناهم عن الحقّ وطردناهم عن الهدَى؛ **﴿وجعلنا قلوبَهم قاسيةً﴾** فلا يتعظُون بموعظةٍ لغلظها وقساوتها **﴿يحرّفون الكَلِمَ عن مواضعه﴾** فسدتْ فُهُومُهم وساءت تصرّفاتهم في آيات الله، وتأوّلُوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه سبحانه ما لم يَقُلْ، عياذاً بالله من ذلك. **﴿ونَسُوا حَظّاً مِمّا ذُكِّرُوا به﴾** وتركوا العملَ به رغبةً عنه. وتركوا عُرَى دينهم، فصاروا إلى حاله رديئة فلا قلوب سليمة ولا فِطَر مستقيمة ولا أعمال قويمة. **﴿ولا تزالُ تطّلعُ على خائنةٍ منهم﴾** مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك، **﴿فاعْفُ عنهم واصفحْ﴾** وهذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: ما عاملتَ مَن عصَى اللهَ فيكَ بمثل أن تُطيعَ اللهَ فيه، ولعلّ الله أن يهديهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إنّ اللهَ يُحِبُّ المُحسنين﴾ يعني به الصفحَ عمّن أساءَ إليك.

الآية: ١١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن قالَ - أي: عند الخروج - بسم الله توكلتُ على الله، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله، يُقالُ له: هُدِيتَ وكُفيتَ ووُقِيتَ، وتنحّى عنه الشيطان»، رواه أبو داوود والترمذي وصححه. /رياض الصالحين/ ٥٤.

الآية: ١٣ قال رسول الله ﷺ: «مَن ذكرَ اللهَ ففاضتْ عيناه من خشية الله حتى يُصيبَ الأرضَ من دُمُوعِهِ، لم يُعذَّبْ يومَ القيامة»، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد /الترغيب ج٤ /٢٢٨.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

١٤: ﴿ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ ومن الذين ادّعوا لأنفسهم أنّهم نصارى متابعون لعيسى ابن مريم عليه السلام؛ أخذنا عليهم العُهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومناصرته، ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود، ولهذا قال تعالى: **﴿فنسُوا حظّاً ممّا ذُكّروا بهِ فأغرينا بينهم العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة﴾**فألقينا بينهم العداوةَ والبغضاء لبعضهم البعض، ولا يزالون كذلك، وطوائف النصارى لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة. **﴿وسوف يُنبّئُهم اللهُ بما كانوا يصنعون﴾** وهذا تهديدٌ ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله من جعلهم له صاحبة وولداً تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلدْ ولم يُولدْ ولم يكنْ له كفواً أحد **١٥-١٦**: يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنّه قد أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحقّ إلى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم فقال: **﴿يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولُنا يُبيّنُ لكم كثيراً مِمّا كنتم تخفون مِن الكتاب ويعفُو عن كثير﴾** يُبيّن ما بدّلوه وحرّفُوه وأوّلوه وافتروا على الله فيه، ويسكتُ عن كثير مِمّا غيّروه ولا فائدة في بيانه. ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم فقال: **﴿قدْ جاءَكم مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مُبين. يهدي بهِ اللهُ مَنِ اتّبعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السلام﴾** طريقَ النجاة والسلامة، ومناهج الاستقامة، **﴿ويخرجهم مِنَ الظلماتِ إلى النورِ بإذنهِ ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾** يُنجيهم مِنَ المهالك، ويوضح لهم أبينَ المسالك؛ فيصرف عنهم المحذور، ويُحصل لهم أحبَّ الأمور، وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم إلى أقوم حالة **١٧: ﴿لقد كفرَ الذين قالوا إنّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريم﴾** يخبر تعالى عن كفر النصارى في ادّعائهم في المسيح وهو عبدٌ من عباد الله وخلق من خلقه أنّه هو الله -تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً- ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه: **﴿قُلْ فمن يملكُ مِنَ اللهِ شيئاً إن أرادَ أن يُهْلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأُمَّهُ ومَن في الأرض جميعاً﴾**؟! لو أرادَ ذلك فمنْ ذَا الذي كان يمنعه منه، أو مَن ذَا الذي يقدر على صرفه عن ذلك؟! ثم قال تعالى: **﴿ولله مُلْكُ السمواتِ والأرض وما بينهما يخلقُ ما يشاءُ﴾** جميع الموجودات ملكُهُ وخلقُهُ، وهو القادرُ على ما يشاء لا يسألُ عمّا يفعل بقدرته وسلطانه، وهذا ردٌّ على النصارى [في كفرهم] .

الآية: ١٥ روى الحاكم عن ابن عباس، قال: «مَنْ كفَرَ بالرجم، فقد كفرَ بالقرآن من حيث لا يحتسب»، قوله تعالى: ﴿ يا أهلَ الكتاب قدْ جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ فكان الرجم مما أخفوه، ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيّه الكريم، فقال: ﴿ قد جاءَكم مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مبينٌ يهدي به اللهُ من اتبعَ رضوانه سُبُلَ السلام ﴾ أي: طريق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة /ابن كثير ج٢/٣٤/ .

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١٨: **﴿وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحبّاؤه﴾** نحنُ منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه، وله بهم عناية وهو يُحبُّنا. **﴿قُلْ فلِمَ يُعذّبكم بذنوبكم﴾**؟ لو كنتم كما تدّعون أبناؤه وأحباؤه فلِمَ أعددتُ لكم نارَ جهنّم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟ **﴿بل أنتم بشرٌ مِمّنْ خلق﴾** لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو سبحانه الحاكم في جميع عباده، **﴿يغفرُ لمن يشاءُ ويُعذّب مَن يشاء﴾** هو الفعّال لما يريد **﴿ولله مُلْكُ السمواتِ والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾** المرجع والمآب إليه فيحكم في عباده وهو العادل الذي لا يجور ١٩: **﴿يا أهلَ الكتاب قد جاءَكم رسولُنا يُبيّن لكم على فترةٍ مِنَ الرسل﴾** يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد أرسل اللهإليكم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين على مدّة متطاولة ما بين إرساله عيسى، وهي ستمائة، **﴿أن تقولُوا ما جاءَنا من بشيرٍ ولا نذير﴾** لئلّا تحتجُّوا وتقولوا ما جاءنا من رسول يُبشر بالخير ويُنذر من الشر؛ **﴿فقد جاءَكم بشيرٌ ونذير﴾** يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم **﴿واللهُ على كلِّ شيءٍ قدير﴾** على عقاب من عصاه، وثواب من أطاعه ٢٠: **﴿وإذْ قال موسى لقومه يا قومِ اذكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم إذْ جعلَ فيكم أنبياء﴾** كلّما هلك نبيٌّ قام فيكم نبيٌّ، من لدن أبيكم إبراهيم إلى مَن بعده، يُحذّرونكم نقمته حتى خُتِمُوا بعيسى بن مريم، **﴿وجعلكم ملوكاً﴾** [أي: تملكون أمركم لا يغلبكم غالب بعد أن كنتم مملوكين لفرعون] **﴿وآتاكم ما لم يُؤتِ أحداً من العالمين﴾** عالمي زمانكم، فإنّهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم ٢١: **﴿يا قومِ ادخلُوا الأرضَ المقدّسة التي كتبَ اللهُ لكم﴾** أخبر تعالى عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد، والدخول إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لمّا ارتحل هو وبنوه إلى بلاد مصر أيام يوسف، **﴿ولا ترتدُّوا على أدبارِكم﴾** ولا تنكلوا عن الجهاد **﴿فتنقلبوا خاسرين﴾** ٢٢: **﴿قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخِلُون﴾** اعتذروا بأنّ في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قوماً جبّارين، وإنّنا لا نقدر على مقاومتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها؛ فإن يخرجوا منها دخلناها، وإلّا فلاطاقة لنا بهم ٢٣: **﴿قال رجلان مِنَ الذين يخافون أنعمَ اللهُ عليهما﴾** فلمّا نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة موسى عليه السلام حرّضهم رجلان عليهما نعمةٌ عظيمة وهما مِمّن يخاف أمر الله ويخشى عقابه: **﴿ادْخُلوا عليهم البابَ فإذا دخلتموه فإنّكم غالِبُون وعلى اللهِ فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾** إن توكلّتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسولَهُ نصركم اللهُ على أعدائكم ودخلتم البلدَ.

الآية: ١٩ إنّ نجاة أهل الفترة مبني على أنّ من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ؛ بأنْ لم يُشرِكْ بالله /حاشية ابن عابدين ج٢/ ٣٨٦ .

الآية: ٢٠ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان له بيتٌ يأوي إليه وزوجةٌ وخادمٌ يخدمُه فهو مَلِكٌ » ، ذكره النحاس /تفسير القرطبي ج٦/ ١٢٤ .

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ١٢

٢٤: ﴿قالوا يا موسى إنّا لن ندخلَها ما داموا فيها فاذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنّا ههنا قاعِدون﴾ وهذا نكولٌ منهم عن الجهاد ومخالفةٌ لرسولهم، وتخلّفٌ عن مقاتلة الأعداء!؟ وما أحسنَ ما أجابَ به من الصحابة يوم بدر رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استشارهم في القتال: (فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضْتَه لخضناه معك ما تخلّفَ منّا رجلٌ واحد) وقالوا: (لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى **﴿اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون﴾ ٢٥: ﴿قال﴾** موسى **﴿ربِّ إني لا أملك إلّا نفسي وأخي﴾** لّما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب موسى عليهم وقال: ليس أحدٌ يطيعني إلى ما دعوت إليه إلّا أنا وأخي هارون **﴿فافْرُقْ بيننا وبين القوم الفاسقين﴾** اقضِ بيني وبينهم **٢٦: ﴿قال فإنّها محرّمةٌ عليهم أربعين سنةً يتيهون في الأرض﴾** حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدّة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائماً لا يهتدون للخروج منه. **﴿فلا تأسَ على القوم الفاسقين﴾** تسليةٌ لموسى عليه السلام، لا تحزن عليهم فيما حكمتُ عليهم به، فإنّهم مستحقون ذلك **٢٧:** يقول تعالى مبيّناً وَخيمَ عاقبة البغي والظلم في خبر ابني آدم، وهما قابيل وهابيل: **﴿واتْلُ عليهم نبأ ابني آدمَ بالحقِّ إذْ قرّبا قُرْباناً فتُقبِّلَ مِن أحدهما ولم يُتقبّلْ مِن الآخر﴾** اقصص على هؤلاء البغاة وأمثالهم خبر ابني آدم بالحقّ، لا لَبْسَ فيه ولا كذب، وذلك أنّ الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوّج بناته من بنيه لضرورة الحال، وأراد قابيل أن يستأثر بأخته، فأبى آدم ذلك إلّا أن يُقرّبا قُرْباناً فمن تُقبل منه فهي له، فتُقبِّلَ من هابيل ولم يُتقبّل من قابيل فكان من أمرهما ما قصّه اللهُ في كتابه: **﴿قال لأقتلنّكَ قال إنّما يتقبّلُ اللهُ مِنَ المتقين﴾ ٢٨: ﴿لئن بسطتَ إليّ يَدَكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يَدِيَ إليكَ لأقتلكَ إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمين﴾** لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة. وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنّه كان حريصاً على قتل صاحبه» **٢٩: ﴿إنّي أريدُ أن تَبُوءَ بإثمي وإثمكَ﴾** بإثم قتلي وإثمكَ الذي عليك قبل ذلك **﴿فتكون من أصحابِ النارِ وذلك جزاءُ الظالمين﴾** خوّفه بالنّار فلم ينتهِ ولم ينزجر **٣٠: ﴿فطوّعتْ له نفسُهُ قتلَ أخيهِ فقتلَهُ﴾** بعد هذه الموعظة **﴿فأصبحَ مِنَ الخاسرين﴾** في الدنيا والآخرة. روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تُقتلُ نفسٌ ظلماً إلّا كان على ابنِ آدمَ الأول كِفْلٌ مِن دَمِها؛ لأنّه كان أولَ مَن سَنَّ القتل» **٣١:** لّما قتله ولم يعلم كيف يدفنه **﴿فبعثَ اللهُ غُرَاباً يبحث في الأرضِ ليُرِيَهُ كيف يُواري سَوْأَةَ أخيه﴾** فبعث الله الغرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثى عليه التراب، فلما رآه **﴿قال يا ويلتي أعجزتُ أن أكونَ مثلَ هذا الغرابِ فأواري سَوْءَةَ أخي فأصبحَ مِنَ النادِمين﴾** علاه الله بندامةٍ بعدَ خسْران.

الآية : ٢٨ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لن يزالَ المؤمنُ في فُسْحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دماً حراماً » . وقال ابن عمر : (إنّ من ورطاتِ الأمور التي لا مخرجَ لمن أوقعَ نفسَهُ فيها سفكُ الدم الحرام بغير حلّه) . رواه البخاري والحاكم /الترغيب ج٣/ ٢٩٣ .

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

٣٢: ﴿من أجل ذلك﴾ من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعُدْوَاناً **﴿كتبنا على بني إسرائيل﴾** شرعنا لهم وأعلمناهم **﴿أنّه مَن قتلَ نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل النّاسَ جميعاً ومَن أحياها فكأنّما أحيا النّاسَ جميعاً﴾** مَن قتل نفساً بغير قِصاصٍ واستحلّ قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنّما قتلَ النّاسَ جميعاً؛ لأنّه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومَن حرّم قتلها فقد سَلِمَ النّاس كلهم منه بهذا الاعتبار، ولهذا قال تعالى: **﴿فكأنّما أحيا النّاسَ جميعاً﴾**. **﴿ولقد جاءتهم رُسُلُهم بالبيّنات﴾** بالبراهين والدلائل الواضحة **﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لَمُسْرِفُون﴾** وهذاتقريعٌ وتوبيخ لليهود على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها **٣٣: ﴿إنّما جزاءُ الذين يُحاربُون الله ورسولَهُ ويسعون في الأرض فساداً أنْ يُقتَّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطَّعَ أيديْهم وأرجلُهم مِن خِلافٍ أو يُنفوا مِن الأرض﴾** المحاربةُ: هي المضادّة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يُطلق على أنواع الشرّ. قال ابن عباس: من شهر السلاح في فِئة الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظُفِرَ به وقُدِرَ عليه، فإمامُ المسلمين فيه بالخيار إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يَدَهُ ورجلَهُ. أو السجن بأن يُخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه. **﴿ذلك لهم خِزْيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾** هذا الذي ذكرتُهُ من قتلهم وصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم ونفيهم خزي لهم بين الناس في هذه الحياة، ولهم في الآخرة عذاب جهنّم **٣٤: ﴿إلّا الذين تابُوا مِن قبلِ أن تقدِرُوا عليهم﴾** فلا يعرض له إلّا بخير **﴿فاعلموا أنّ الله غفورٌ رحيم﴾ ٣٥: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقُوا الله﴾** التقوى: الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات، **﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾** تقرّبُوا إليه بطاعته والعمل بما يُرضيه، **﴿وجاهدُوا في سبيله لعلّكم تُفلِحُون﴾** لمّا أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعداء من المشركين والكفار الخارجين عن الطريق المستقيم، التاركين للدِّين القويم. ورغّبهم في ذلك بالفلاح والسعادة الخالدة التي لا تبيد في الغُرف العالية الآمنة الطيّبة. ثم أخبر تعالى بما أعدَّ لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال: **٣٦: ﴿إنّ الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدُوا بهِ من عذاب يوم القيامة ما تُقبِّلَ منهم ولهم عذابٌ أليمٌ﴾** لو أنّ أحدَهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهباً وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به ما تُقبِّلَ منه، بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص، ولهذا قال تعالى: **﴿ولهم عذابٌ أليم﴾** موجع.

الآية: ٣٥ الوسيلة: القُرْبةُ التي ينبغي أن يُطلب بها الفضلُ من الله تعالى، والوسيلة: درجة في الجنّة، وهي التي ورد الحديث الصحيح بها في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فمن سألَ لِيَ الوسيلةَ حلّتْ له الشفاعة». /تفسير القرطبي ج٦/ ١٥٩.

وروى البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ نبيٍّ سألَ [الله] سؤالاً، أو قال: لكلِّ نبيٍّ دعوة قد دعاها لأمّته، وإنّي اختبأْتُ دعوتي شفاعةً لأمتي» /الترغيب ج٤/ ٤٣١.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

الحزب ١٢

٣٧: **﴿يُريدون أن يخرجُوا مِنَ النّار وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيم﴾** كما قال تعالى: ﴿كلّما أرادُوا أن يخرجُوا منها مِن غمٍّ أُعِيدُوا فيها﴾ الآية. فلا يزالون يريدون الخروج مَمّا هم فيه من شدّته وأليم مَسّهِ، وكلّما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردُّوهم إلى أسفلها **٣٨**: يقول تعالى آمراً بقطع يَدِ السارق والسارقة: **﴿والسارِقُ والسارِقةُ فاقطعُوا أيْدِيَهُما﴾**، وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تُقطعُ يَدُ السارق في ربع دينار فصاعداً» أو ما يساويه من الأثمان أو العروض. **﴿جزاءً بما كَسَبَا نكالاً مِن اللهِ﴾** مجازاةً على صنيعهما السيء في أخذهما أموالَ الناس بأيديهم، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك؛ تنكيلاً من الله بهما على ارتكاب ذلك **﴿واللهُ عزيزٌ﴾** في انتقامه **﴿حكيمٌ﴾** في أمره ونهيه وشرعه وقدره. ثم قال تعالى: **٣٩**: **﴿فمن تابَ مِن بعدِ ظلمه وأصلحَ فإنّ اللهَ يتوبُ عليه﴾** مَن تاب من بعد سرقته وأنابَ إلى الله فإنّ الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأمّا أموال النّاس فلا بدّ من ردّها إليهم أو بدلها، **﴿إنّ اللهَ غفورٌ رحيم﴾** **٤٠**: **﴿ألم تعلمْ أنّ اللهَ له ملكُ السمواتِ والأرض﴾** هو المالك لجميع ذلك، الحاكم فيه، الذي لا معقب لحكمه وهو الفعال لما يُريد، **﴿يُعذِّبُ مَن يشاءُ ويغفرُ لمن يشاءُ واللهُ على كل شيءٍ قديرٌ﴾** **٤١**: **﴿يا أيها الرسولُ لا يُحزنْكَ الذين يُسارعون في الكفر﴾** نزلت هذه الآية في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدّمين آراءَهم وأهواءَهم على شرائع الله عزّ وجلّ **﴿مِنَ الذين قالوا آمنّا بأفواهِهم ولم تُؤمنْ قلوبُهم﴾** أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء المنافقون، **﴿مِنَ الذين هادُوا﴾** أعداء الإسلام وأهله، وهؤلاء كلهم **﴿سمّاعُون للكذب﴾** مستجيبون له منفعلون عنه **﴿سمّاعُون لقومٍ آخرين لم يأتوك﴾** يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد، **﴿يُحرِّفُون الكَلِمَ من بعدِ مَوَاضعِهِ﴾** يتأوّلونه على غير تأويله ويُبدِّلُونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، **﴿يقولون إنْ أُوتيتم هذا فخذوه وإن لم تُؤتَوه فاحْذَرُوا﴾** نزلت في اليهوديين اللّذين زنيا، وكانوا قد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم مَن أُحصن منهم فحرّفوه بالجلد مائة والتحميم، فلمّا وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة، قالوا فيما بينهم: تعالوا نتحاكم إليه [أي: إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم] فإن حكم بالجلد فخذوا عنه، واجعلوه حُجّةً بينكم وبين الله، ويكون نبيٌّ قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك. **﴿ومَن يُرِدِ اللهُ فتنتَهُ فلنْ تملِكَ له مِنَ اللهِ شيئاً﴾** [أي: فلن تنفعه]، **﴿أولئك الذين لم يُرِدِ اللهُ أن يُطهرَ قلوبَهم﴾** [بيانٌ منه عزّ وجلّ أنّه قضى عليهم بالكفر]، **﴿لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيم﴾**، [وخزيهم في الدنيا: هو فضيحتُهم حين أنكروا الرجم، ثم أُحضرت التوراة فوجد فيها الرجم].

الآية : ٣٨ روى البزار أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يسرقُ السارق وهو مؤمن ، ولا يزني الزاني وهو مؤمن ؛ الإيمانُ أكرمُ على الله من ذلك » وروى البخاري ومسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن » الترغيب ج٣/٢٦٩ .

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

٤٢: ﴿سمّاعون للكذب﴾ بالباطل **﴿أكّالون للسحت﴾** الحرام، وهو الرشوة، ومن كانت هذه صفته كيف يُطهر اللهُ قلبه؟ وأنّى يستجيب له؟ ثم قال لنبيّه: **﴿فإن جاؤوك﴾** يتحاكمون إليك **﴿فاحكمْ بينهم أو أعرض عنهم وإن تُعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً﴾** فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنّهم لا يقصدون اتباع الحق بل ما يُوافق أهواءهم، **﴿وإنْ حكمتَ فاحكم بينهم بالقِسْط﴾** بالحق والعدل **﴿إنّ اللهَ يُحبُّ المقسطين﴾** ثم قال تعالى منكراً عليهم في تركهم التوراة: **٤٣: ﴿وكيف يُحكمونَكَ وعندَهم التوراةُ فيها حكمُ اللهِ ثم يتولّون من بعدِ ذلكَ وما أولئكَ بالمؤمنين﴾**؟! يزعمون أنّهم مأمورون بالتمسك بالتوراة ثم خرجوا عن حكمه إلى غيره مِمّا يعتقدون في نفس الأمر عدم لزومه لهم **﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾** [أي: بحكمكَ أنّه مِن عندِ الله]. ثم مدح تعالى التوراة التي أنزلها على رسوله موسى فقال: **٤٤: ﴿إنّا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونورٌ يحكمُ بها النبيّون الذين أسلموا للذين هَادُوا﴾** لا يخرجون عن حكمها ولا يبدّلونها ولا يُحرّفونها **﴿والرّبّانيّون والأحبارُ﴾** وكذلك الرّبانيّون وهم العلماءُ العُبّاد، والأحبارُ وهم العلماء **﴿بما استُحفِظُوا من كتاب الله﴾** بما اسْتُودِعُوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهروه ويعملُوا بهِ **﴿وكانُوا عليهِ شهداءَ فلا تخشَوا النّاسَ واخشونِ﴾** لا تخافُوا منهم وخافُوا منّي **﴿ولا تشترُوا بآياتي ثمناً قليلاً، ومَن لَمْ يحكمْ بما أنزلَ اللهُ فأولئك هم الكافرون﴾** نزلتْ هذه الآية في أهل الكتاب، وهي علينا واجبة. قال ابن عباس: إنّ اللهَ أنزل: ﴿ومَن لم يحكمْ بما أنزل اللهُ فأولئك هم الكافِرون، وأولئك هم الظالمون، وأولئك هم الفاسِقون﴾، وقال الشعبي في قوله تعالى: **﴿فأولئك هم الكافرون﴾** هذا في المسلمين. قال ابن طاوس: وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال عطاء: إنّه كفرٌ دون كفر. قال ابن عباس: ليس بالكفر الذي تذهبون إليه [وهذا بالنسبة للمسلمين، أمّا بالنسبة لأهلِ الكتاب فهو الكفر المراد هنا، الذي يُخلّدُ صاحبَهُ نارَ جهنّم] **٤٥: ﴿وكتبنا عليهم فيها أنّ النفسَ بالنفسِ والعين بالعين﴾** الآية، وهذا أيضاً مِمّا وُبِّخَتْ به اليهود وقُرِّعوا عليه؛ فإنّ عندهم في التوراة أنّ النفس بالنفس وهم يخالفون ذلك عمداً وعناداً ويعدلون إلى الدِّيَة كما خالفوا حكم التوراة في رجم الزاني المحصن وعدلوا إلى الجلد والتحميم، ولهذا قال سبحانه [فيهم]: **﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** لأنّهم جحدوا حكم اللهِ قصداً منهم وعناداً. **﴿أنّ النفسَ بالنفس﴾**، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتبَ في كتاب عمرو بن حزم: «أنّ الرجلَ يُقتل بالمرأة» وفي الحديث الآخر: «المسلمون تتكافأُ دماؤهم»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يُقتلُ مسلمٌ بكافر». **﴿والعينَ بالعين﴾** تُفقأُ العينُ بالعين، **﴿والأنفَ بالأنف﴾** وتُقطعُ الأنفُ بالأنف، **﴿والأذُنَ بالأذُن والسِنَّ بالسِّنِّ﴾** وتُنزعُ السنُّ بالسنّ، **﴿والجروحَ قِصَاص﴾** وتُقْتَصُّ الجراحُ بالجراح، **﴿فمن تصدّق به﴾** فمن عفا عنه **﴿فهو كفارةٌ له﴾** للمطلوب **﴿ومَن لم يحكم بما أنزلَ اللهُ فأولئك هم الظالمون﴾**.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

٤٦: ﴿وقفينا على آثارهم﴾ أتبعْنا على آثار أنبياءِ بني إسرائيل **﴿بعيسى ابن مريم مُصدِّقاً لما بين يديه من التوراة﴾** مؤمناً بها حاكماً بما فيها **﴿وآتيناه الإنجيل فيه هُدىً ونورٌ﴾** هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحلّ المشكلات، **﴿ومُصدِّقاً لما بين يديه من التوراة﴾** متبعاً لها غير مخالف لِما فيها، **﴿وهُدىً وموعِظةً للمتقين﴾** وجعلنا الإنجيلَ هدىً يهتدى به، وموعظة، أي: زاجراً عن ارتكاب المحارم، للمتقين [الذين يخافون] وعيدَهُ وعقابَهُ **٤٧: ﴿وليحكمْ أهلُ الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾** اللامُ: لامُ الأمر، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أُمروا به، وممّا فيه البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأمر باتباعه وتصديقه، **﴿ومن لم يحكم بما أنزلَ اللهُ فأولئكَ هم الفاسقون﴾** الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل التاركون للحقّ. وهذه الآية نزلت في النصارى **٤٨:** لّما ذكر تعالى التوراة والإنجيل ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم فقال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ﴾** بالصدق الذي لا ريب فيه أنّه من عند الله **﴿مُصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب﴾** من الكتب المتقدمة **﴿ومهيمناً عليه﴾** مؤتمناً عليه، قال ابن عباس: القرآن أمينٌ على كل كتاب قبله، وشهيدٌ، وحاكمٌ، جعل الله هذا الكتابَ العظيم آخرَ الكتب، وخاتَمها وأعظمَها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ماليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها، **﴿فاحكمْ بينهم﴾** يا محمد **﴿بما أنزل الله﴾** من هذا الكتاب العظيم **﴿ولا تتبعْ أهواءهم﴾** آراءَهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله، **﴿عمّا جاءك من الحقّ﴾** الذي أمرك اللهُ به، **﴿لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً﴾** شريعةً وسنّةً، وفي صحيح البخاري قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نحنُ معاشرَ الأنبياءِ إخوةٌ لِعَلّاتٍ ديننُا واحد»، [أولاد العَلّات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد]، التوحيد الذي بعث الله به كل رسول، أمّا الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي؛ لِما له تعالى من الحكمة في ذلك. **﴿ولو شاءَ اللهُ لجعلكم أمةً واحدة﴾** هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى على جمع الناس على شريعة واحدة، ولكنه سبحانه شرع لكل رسول شريعة على حِدَة، ثم نسخها بما بعث به رسولَهُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل الأرض قاطبة؛ **﴿ولكن ليبلوَكُم في ما آتاكُم﴾** ليختبر عباده فيما آتاهم من الكتاب [وهو القرآن]، **﴿فاستبقوا الخيرات﴾** وهي طاعة الله واتباع شرعه والتصديق بالقرآن الكريم **﴿إلى اللهمرجعكم فيُنبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ ٤٩: ﴿وأنِ احكمْ بينهم بما أنزلَ اللهُ ولا تتبعْ أهواءَهم﴾** هذا تأكيدٌ لِما تقدم من الأمر بذلك، **﴿واحْذَرْهُم أنْ يفتنوكَ عن بعض ما أنزلَ اللهُ إليك﴾** احذر اليهودَ أن يُدلِّسوا عليكَ الحقَّ فإنّهم كذبة كفرة خونة، **﴿فإن تولَّوا﴾** عمّا تحكم به بينهم من الحق **﴿فاعلمْ أنّما يُريدُ اللهُ أنْ يُصيبَهم ببعضِ ذنوبهم﴾** التي اقتضت إضلالهم ونكالهم، **﴿وإنّ كثيراً مِنَ النّاس لفاسِقون﴾** لخارجون عن طاعة ربِّهم **٥٠: ﴿أفحكمَ الجاهليّةِ يبغون﴾**؟ يُنكر تعالى على مَن خرج من حكم الله، وعدل إلى ما سواه من آراء الجاهلية **﴿ومَن أحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً﴾**؟ ومَن أعدل من الله في حكمه؟ **﴿لقومٍ يعقِلُون﴾** لمن عقل وآمن.

الحزب ١٢

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

٥١: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ بعضُهم أولياءُ بعض﴾** ينهى تعالى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذي هم أعداء الإسلام، ثم أخبر أنّ بعضهم أولياء بعض، ثم تهدّدَ وتوعّدَ مَن يتعاطى ذلك فقال: **﴿ومَن يتولّهم منكم فإنه منهم﴾**، قال عبد الله بن عتبة: ليتّقِ أحدُكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر. **﴿إنّ الله لا يهدي القومَ الظالمين﴾** **٥٢**: **﴿فترى الذين في قلوبهم مرضٌ﴾** شك ونفاق **﴿يُسارعون فيهم﴾** يُبادِرون إلى موالاتهم ومودّتهم **﴿يقولُون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾** يتأوّلون في مودّتهم وموالاتهم أنّهم يخشون أن يقع أمرٌ من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أيادٍ عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك، عند ذلك قال تعالى: **﴿فعسَى اللهُ أنْ يأتيَ بالفتح﴾** فتح مكة **﴿أو أمرٍ من عندِهِ﴾** ضرب الجزية على اليهود والنصارى **﴿فيُصبحُوا﴾** المنافقون **﴿على ما أسَرُّوا في أنفسهم﴾** من الموالاة **﴿نادمين﴾** على ما كان منهم **٥٣**: **﴿ويقول الذين آمنوا﴾** [بعد أن فضح الله المنافقين] فتعجّبُوا منهم كيف كانوا يظهرون أنّهم من المؤمنين ويحلفون على ذلك: **﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم إنّهم لَمَعكُم حبطتْ أعمالُهم فأصبحوا خاسرين﴾**؟! **٥٤**: **﴿يا أيها الذين آمنوا مَنْ يرتَدّ منكم عن دينه فسوف يأتي اللهُ بقوم يُحبُّهم ويحبُّونه﴾** يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنّه مَن تولى عن نصرة دينه فإنّ الله يستبدل به مَن هو خيراً لها منه، **﴿أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين﴾** هذه صفات المؤمنين الكمل؛ أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه متعزّزاً على عدوّه كما قال تعالى: ﴿محمدٌ رسول الله والذين معه أشدّءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم﴾، **﴿يجاهِدُون في سبيل الله ولا يخافون لَوْمَةَ لائمٍ﴾** لا يردّهم عمّا هم فيه من طاعة اللهوالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رادٌّ ولا يصدّهم عنه صادٌّ. **﴿ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤتيهِ من يشاء﴾** مَن اتصف بهذه الصفات فإنّما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له **﴿واللهُ واسعٌ عليمٌ﴾**، واسعُ الفضل عليم بمن يستحق ذلك **٥٥**: **﴿إنّما وليُّكُمُ اللهُ ورسولُهُ والذين آمنوا﴾** ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى اللهورسوله والمؤمنين **﴿الذين يُقيمُون الصلاةَ ويُؤتُونَ الزكاةَ﴾**الصلاة: هي أكبر أركان الإسلام، والزكاةُ: هي حق الضعفاء والمساكين، **﴿وهم راكِعُون﴾**، [المراد بالركوع: الخشوع والخضوع؛ أي: يُؤتون الزكاة وهم لا يتكبّرون] **٥٦**: **﴿ومَن يتولَّ اللهَ ورسولَهُ والذين آمنوا فإنّ حزبَ اللهِ هم الغالِبُون﴾** كلُّ مَن رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلحٌ في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة **٥٧**: **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذُوا دينَكم هُزُواً ولعباً من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم والكفارَ أولياءَ﴾** هذا تنفيرٌ من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكِتابيين والمشركين الذين اتخذوا شرائع الإسلام هُزُواً يستهزئون بها، **﴿واتقوا اللهَ إن كنتم مؤمنين﴾** اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هُزُواً ولعباً.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

٥٨: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هُزواً ولعباً﴾ وكذلك إذا أذنتم للصلاة التي هي أفضل الأعمال اتخذوها أيضاً هُزُواً ولعباً **﴿ذلك بأنّهم قومٌ لا يعقلون﴾** معاني عبادة اللهوشرائعه، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي إذا سمعَ الأذانَ أدبرَ **٥٩: ﴿قُلْ يا أهلَ الكتابِ هل تنقِمُون﴾** هل لكم علينا مطعن أو عيب **﴿إلاّ أنْ آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبلُ﴾**؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمّة، **﴿وأنّ أكثرَكم فاسِقُون﴾** وآمنّا بأنّ أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم **٦٠: ﴿قُلْ هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله﴾** هل أخبركم بشرٍّ جزاءِ عند الله يوم القيامة مِمّا تظنّون بنا؟ **﴿مَن لعنَهُ اللهُ﴾** أبعده من رحمته **﴿وغضب عليه﴾** غضباً لا يرضى بعده أبداً **﴿وجعل منهم القِرَدَةَ والخنازيرَ﴾** لّما غضب الله على اليهود مسخهم قردة وخنازير، **﴿وعَبَدَ الطّاغُوت﴾** أنتم يا أهل الكتاب صدر هذا منكم، وأنتم الذين فعلتموه، ولهذا قال سبحانه: **﴿أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواء السبيل﴾ ٦١: ﴿وإذا جاؤوكم قالوا آمنّا وقد دخلُوا بالكفر وهم قد خرَجُوا بهِ﴾** وهذه صفة المنافقين يُصانِعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر، ولهذا قال: **﴿وقد دخلوا﴾** عندك يا محمد **﴿بالكفر﴾** مستصحبين الكفرَ في قلوبهم، ثم خرجُوا وهو كامِنٌ فيهم، لم ينتفعوا بما سمعوا منك من المواعظ والزواجر، **﴿واللهُ أعلمُ بما كانوا يكتُمون﴾** عالمٌ بسرائرهم وما تنطوي عليه ضمائرُهم **٦٢: ﴿وترى كثيراً منهم يُسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السُّحت﴾** يُبادِرُون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على النّاس وأكلهم أموالهم بالباطل **﴿لبئسَ ما كانوا يعملون﴾ ٦٣: ﴿لولا ينهاهم الرّبّانيُّون والأحبارُ عن قولهم الإثمَ وأكلهم السُّحْتِ﴾** هَلّا كان ينهاهم الربّانيون، وهم العلماء أرباب الولايات عليهم، والأحبار، وهم العلماء فقط؟ **﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾** من تركهم ذلك، قال ابن عباس: ما في القرآن آية أشدّ توبيخاً من هذه الآية. وخطب عليٌّ بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إنّما هلك مَن كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربّانيّون والأحبار، فلما تمادَوْا في المعاصي أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم **٦٤:** يُخبر تعالى عن اليهود بأنّهم وصفوه -تعالى اللهعن قولهم علوّاً كبيراً- بأنّه بخيل، بأن قالوا: **﴿يَدُ اللهِ مغلُولة﴾** كما قالوا: ﴿إنّ اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياء﴾، **﴿غُلّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان يُنفِقُ كيف يشاء﴾** ردَّ اللهُ عزّ وجلّ ما قالوه، بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء، **﴿ولَيَزِيدَنّ كثيراً منهم ما أُنزِلَ إليك من ربِّك طُغياناً وكفراً﴾** يكون ما آتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود **﴿وألقينا بينهم العداوَةَ والبغضاء إلى يوم القيامة﴾** أنّه لا تجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقهم دائماً، لأنّه لا يجتمعون على حقٍّ **﴿كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾** كلّما عقدوا أسباباً يكيدونك بها أبطلها الله **﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾** وهذا من سجيّتهم **﴿واللهُ لا يُحِبُّ المفسدين﴾**.

الآية: ٦٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يكسب عبدٌ مالاً حراماً فيتصدّقُ به فيُقبلُ منه، ولا يُنفِقُ منه فيُبارَكُ له فيه، ولا يترُكُهُ خلفَ ظهرِهِ إلاّ كان زادَهُ إلى النار» الحديث رواه أحمد وغيره من طرق، قد حسّنها بعضهم. /الترغيب ج٢/ ٥٥٠.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

٦٥: ﴿**ولو أنّ أهلَ الكتابِ آمنوا**﴾ بالله ورسوله ﴿**واتّقوا**﴾ ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم ﴿**لكفّرْنا عنهم سيئاتِهم ولأدْخلناهم جنّاتِ النعيم**﴾ لأزلنا عنهم المحذور وأنلناهم المقصود **٦٦**: ﴿**ولو أنهم أقامُوا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزل إليهم من ربّهم**﴾ وهو القرآن ﴿**لأكلُوا من فوقهم ومن تحتِ أرجلهم**﴾ لو أنّهم عملوا بما في الكتب التي في أيديهم من غير تحريف ولا تبديل لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ولَكَثُرَ الرزقُ النازلُ عليهم من السماء والنابتُ لهم من الأرض، كما قال تعالى: ﴿ولو أن أهلَ القرى آمنوا واتّقَوْا لفتحنا عليهم بركاتٍ مِنَ السماء والأرض﴾، ﴿**منهم أمةٌ مقتصدةٌ**﴾، [وهم المؤمنون منهم كالنجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام]، ﴿**وكثيرٌ منهم ساءَ ما يعملون**﴾ **٦٧**: ﴿**يا أيّها الرسولُ بلّغْ ما أُنزلَ إليكَ مِن ربِّكَ وإنْ لم تفعل فما بلّغتَ رسالتَهُ**﴾ يقول تعالى مخاطباً عبدَهُ ورسولَهُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم باسم الرسالة وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتمَّ القيام. قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمّتُهُ بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة. ﴿**والله يعصمكَ مِن الناس**﴾ أنتَ بلّغْ رسالتي وأنا حافظك وناصرك على أعدائك، ﴿**إنّ الله لا يهدي القومَ الكافِرين**﴾ أنتَ بلّغْ واللهُ هو الذي يهدي مَن يشاء ويُضلُّ من يشاء **٦٨**: ﴿**قُلْ يا أهلَ الكتابِ لستم على شيءٍ حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزلَ إليكم مِن ربّكم**﴾ قُلْ يا محمد ﴿**قُلْ يا أهلَ الكتاب لستم على شيءٍ**﴾ من الدِّين حتى تُؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزّلة من الله على الأنبياء وتعملوا بما فيها، وممّا فيها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأمر باتباعه ﴿**وما أُنزلَ إليكم**﴾ القرآن العظيم. ﴿**ولَيَزيدنّ كثيراً منهم ما أنزلَ إليكَ من ربِّكَ طُغياناً وكفراً**﴾ يكون ما آتاكَ اللهُ يا محمد من النعمة نقمة في حقِّ أعدائكَ. ﴿**فلا تأسَ على القومِ الكافِرين**﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهيبنّك ذلك منهم **٦٩**: ﴿**إنّ الذين آمنُوا**﴾ وهم المسلمون ﴿**والذين هَادُوا**﴾ وهم حملة التوراة، ﴿**والصابئون**﴾ وهم قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة يعملون بها، ﴿**والنصارى مَن آمَنَ بالله واليوم الآخر وعملَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾ والمقصود أن كل فرقة آمنت بالله واليوم الآخر وعملت عملاً صالحاً، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقاً للشريعة المحمديّة، فمن اتصف بذلك فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون **٧٠**: ﴿**لقد أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل**﴾ يذكر تعالى أنّه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة للهولرسله ﴿**وأرسلنا إليهم رُسُلاً**﴾ فنقضُوا تلك المواثيق واتبعُوا أهواءهم ولهذا قال تعالى: ﴿**كلّما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسُهم فريقاً كذّبُوا وفريقاً يقتلون**﴾.

الآية : ٦٦ روى ابن أبي حاتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يُوشك أن يُرفعَ العلمُ » ، فقال زياد بن لبيد : يا رسول الله كيف يُرفع العلمُ وقد قرأنا القرآن وعلّمناه أبناءنا ؟ فقال : « أو لَيْستِ التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى ، فما أغنى عنهم حين تركوا أمرَ الله » ؟! /تفسير ابن كثير ج٢/ ٧٦ . /ورواه ابن ماجه ج٢/ ١٣٤٤ .

الآية : ٧٢ قال رسول الله [عن الله تبارك وتعالى] « شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك . يقول : اتخذَ اللهُ ولداً ، وأنا الصمد الذي لم ألدْ ولم أولدْ ولم يكن لي كُفواً أحد » /فتح=

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

٧١: ﴿وحَسِبُوا أن لا تكونَ فِتْنَةٌ﴾ وحسِبُوا أن لا يترتب شرٌّ على ما صنعُوا **﴿فعَمُوا وصَمُّوا﴾** فترتب أنّهم عَمُوا عن الحق وصَمُّوا فلا يسمعون حقاً، **﴿ثم تابَ اللهُ عليهم﴾** مِمّا كانوا فيه **﴿ثم عَمُوا وصَمُّوا﴾** بعد ذلك **﴿كثيرٌ منهم واللهُ بصيرٌ بما يعملون﴾** مطلعٌ عليهم وبصيرٌ بهم **٧٢: ﴿لقد كفرَ الذين قالوا إنّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريم﴾** يقول تعالى حاكماً بتكفير فِرق النصارى مِمّن قال بأنّ المسيحَ هو الله -تعالى اللهُ عن قولهم علوّاً كبيراً- **﴿وقال المسيحُ يا بني إسرائيلَ اعبُدُوا اللهَ ربّي وربّكم إنّه مَنْ يُشركْ باللهِ﴾** فيعبُد معه غيرَهُ **﴿فقد حرّم اللهُ عليه الجنّةَ ومأواهُ النّارُ﴾** فقد أوجب له النّارَ وحرّم عليه الجنّة، كما قال تعالى: ﴿إنّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يُشْركَ بِهِ ويغفِرُ ما دُون ذلك لمنْ يشاءُ﴾، **﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ٧٣: ﴿لقد كفرَ الذين قالوا إنّ اللهَ ثالثُ ثلاثة﴾** في قولهم بالأقانيم الثلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة، تعالى اللهُ عن قولهم علوّاً كبيراً. **﴿وما مِنْ إلهٍ إلّا إلهٌ واحدٌ﴾** ليس متعدّداً بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات، ثم قال تعالى متوعداً لهم ومتهدّداً: **﴿وإنْ لم ينتهُوا عمّا يقولون﴾** من هذا الافتراء والكذب **﴿لَيَمسّنّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ﴾** في الآخرة من الأغلال والنكال. ثم قال تعالى: **٧٤: ﴿أفلا يتُوبُون إلى اللهِ ويستغفِرُونَهُ واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾**؟ وهذا مِن كرمه تعالى وجوده، ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم، وهذا الافتراء والإفك والكذب يدعوهم إلى التوبة والمغفرة؛ فكلُّ مَن تابَ إليه تابَ عليه **٧٥: ﴿ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلّا رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِن قبله الرُّسُلُ﴾** له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين، وأنّه عبدٌ من عباد اللهورسول من رسله الكرام كما قال تعالى: ﴿إنْ هو إلّا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾. **﴿وأُمُّهُ صدّيقةٌ﴾** مؤمنة به مُصدِّقةٌ له وهذا أعلى مقاماتها. **﴿كانَا يأكلانِ الطعامَ﴾** يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر النّاس وليسا بإلهين كما زعمت النصارى الجهلة [الضالُّون]، ثم قال تعالى: **﴿انظرْ كيفَ نُبيّنُ لَهُمُ الآياتِ﴾**؟ نُوضحها ونُظهرُها، **﴿ثم انظرْ أنّى يُؤفكُون﴾** انظرْ بعد هذا البيان والوضوح أين يذهبون؟ وبأيّ قولٍ يتمسّكون؟ **٧٦: ﴿قُلْ أتعبدون مِن دُونِ اللهِ ما لايملك لكم ضَرّاً ولا نفعاً﴾**؟! يُنكر الله تعالى على مَن عبدَ غيره مِمّن لا يقدر على دفع ضَرٍّ ولا إيصال نفع، **﴿واللهُ هو السميعُ العليمُ﴾** السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء، فلِمَ عدلتم عنه إلى عبادة مَن لا يملك ضراً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه؟!

= الباري/ ٨/ ٧٣٩ .

الآية : ٧٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألاَ لا يمنعنّ رجلاً هيبةُ الناس أنْ يقولَ بحقٍّ إذا علمه » /رواه ابن ماجه ج٢/ ١٣٢٨ .

الآية : ٧٤ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ وخيرُ الخطائين التوابون » ، رواه الترمذي . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبد ما لم يُغَرْغِرْ » رواه الترمذي وقال : حسنٌ . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من سعادة المرء أن يطولَ عمرُهُ ، ورزقَهُ اللهُ الإنابة » أي : بالتوبة إليه سبحانه . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد /الترغيب ج٤/ ٩٠ .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

(الجزء ٧ الحزب ١٣)

٧٧: **﴿قل يا أهلَ الكتابِ لا تغلُوا في دينكم غير الحقّ﴾** لا تتجاوزوا الحدَّ في اتباع الحقّ، ولا تُطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيّز النبوّة إلى مقام الإلهيّة كما صنعتم في المسيح، وهو نبيٌّ من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دُون الله، وما ذاك إلّا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلالة الذين هم سلفكم، **﴿ولا تتبعُوا أهواءَ قومٍ قد ضلّوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾** وخرجُوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال ٧٨: **﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيلَ على لسان دَاوُدَ وعيسى ابنِ مريمَ ذلك بما عَصَوْا وكانُوا يعتدون﴾** يخبر تعالى أنّه لعَنَ الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزله على داود نبيّه عليه السلام وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانِهم للهِ واعتدائهم على خلقه، ثم بيّن حالَهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ٧٩: **﴿كانُوا لا يتناهَوْن عن منكرٍ فعلوه لَبِئْسَ ما كانوا يفعلون﴾** كانوا لا ينهي أحدٌ منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمّهم على ذلك لِيُحَذِّر أن يُرْتَكَبَ مثلُ الذي ارتكبوه، فقال: **﴿لبئسَ ما كانوا يفعلون﴾**، روى الإمام أحمد: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا وقعتْ بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلُوهم وشَارَبُوهم، فضرب اللهُ قلوبَ بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون»، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متكئاً فجلسَ فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تَأْطُرُوهم على الحقّ أَطْرًا» ٨٠: **﴿ترى كثيراً منهم يتولّون الذين كفروا﴾** يعني بذلك المنافقين، **﴿لبئسَ ما قدّمتْ لهم أنفسُهم﴾** [من] مُوَالاتِهِم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم وأسخطت عليهم الله، سخطاً مستمراً إلى يوم معادهم ولهذا قال سبحانه: **﴿أن سَخِطَ اللهُ عليهم وفي العذابِ هم خالِدُون﴾** ٨١: **﴿ولو كانُوا يُؤمنون باللهِ و النبي وما أُنزل إليه ما اتّخذوهم أولياءَ﴾** لو آمنوا [أي: المنافقون] حقَّ الإيمانِ باللهِ والرسولِ والقرآنِ لَما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين، **﴿ولكنّ كثيراً منهم فاسِقُون﴾** خارجون عن طاعة اللهورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ٨٢: **﴿لَتَجِدَنّ أشدّ الناسِ عداوةً للذين آمنُوا اليهودَ والذين أشركُوا﴾** وما ذاك إلّا لأنّ كفرَ اليهودِ كُفرُ عناد وجحُود ومباهتة للحق، **﴿ولتجدنّ أقربَهم مودّةً للذين آمنُوا الذين قالوا إنّا نصارى﴾** من أتباع المسيح، فيهم مودّة للإسلام وأهله في الجملة وما ذاك إلّا لِما في قلوبهم من الرأفة، كما قال تعالى: **﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيّة﴾**، ولهذا قال سبحانه: **﴿ذلك بأنّ منهم قِسّيسينَ ورُهباناً وأنّهم لا يستكبرون﴾** وصفهم بأنّ فيهم العلم والعبادة والتواضع مع وصفهم بالانقياد للحق، كما قال تعالى: **﴿وإذا سمعُوا ما أُنزِلَ إلى الرسولِ ترى أعينَهم تفيضُ مِن الدّمعِ مِمّا عرفوا من الحقّ﴾**. وهذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه الذين أسلموا.

الآية : ٨٢روى الحافظ ابن مردويه : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما خلا يهودي بمسلم قط إلاّ همّ بقتله » /ابن كثير ج٢/ ٨٥ .

وخَرَجَ ابنُ أُبَيّ في ستمائة من مواليه من قينقاع ، يوم أُحد ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « وقد أسلموا » ؟ قالوا : لا ، قال : « فليرجعوا إنا لا نستعين بمشركٍ » /البيان والتعريف ج٢/ ٨١ .

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٣: ﴿وإذا سمِعُوا ما أُنزِلَ إلى الرسولِ ترى أعينَهم تفيضُ مِن الدمع مِمّا عرفوا من الحق﴾ مِمّا عندهم من البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿يقولون ربّنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين﴾** مع مَن يشهد بصحة هذا ويُؤمن به؛ أي: مع محمد وأمته **٨٤: ﴿ومَالَنا لا نُؤمِنُ بالله وما جاءَنا مِن الحقّ ونطمع أن يُدْخِلَنا ربُّنا مع القوم الصالحين﴾**، وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وإنْ مِن أهلِ الكتاب لَمَنْ يُؤمِنُ بالله وما أُنزِلَ إليكم وما أُنزِلَ إليهم خاشعين لله﴾، ولهذا قال تعالى: **٨٥: ﴿فأثابَهُمُ اللهُ بما قالوا جنّات تجري مِن تحتها الأنهار﴾** فجازاهم على إيمانهم واعترافهم بالحق جنّات تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبداً، **﴿وذلك جزاءُ المحسنين﴾ ٨٦: ﴿والذين كفروا وكذّبُوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾** أخبر سبحانه عن حال الأشقياء [الذين جحدوا آيات الله ولم يُؤمنوا بها] **٨٧: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تحرِّمُوا طيّباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم ولا تعتدُوا إنّ اللهَ لا يُحِبُّ المعتدِين﴾** نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك، فقالوا: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لكنّي أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء، فمن أخذ بسنّتي فهو منّي، ومَن لم يأخذ بسنتي فليس منّي». **﴿ولا تعتدوا إنّ الله لا يُحبُّ المعتدين﴾** لا تسيروا بغير سنّة المسلمين؛ يريد ما حرَّمُوا من النساء والطعام واللباس. فإنّ هذا هو الاعتداء، وأمرهم أن يُكفِّروا عن أيمانهم [فإنّ من حرّم على نفسه ما أحلّ الله لزمته كفارة يمين] **٨٨: ﴿وكُلُوا مِمّا رزقكم الله حلالاً طيّباً واتقُوا اللهَ الذي أنتم به مؤمنون﴾** واتبعوا طاعتَهُ ورضوانه واتركوا مخالفته وعصيانه **٨٩: ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ باللّغوِ في أيمانِكم﴾** يمين اللّغوِ قولُ الرجل في الكلام من غير قصد: لا واللهِ، وبلى واللهِ. **﴿ولكن يُؤاخِذُكم بما عقدتُّم الأيمانَ﴾** بما صممتم عليه منها وقصدتّموها، **﴿فكفارتُهُ إطعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِن أوسطِ ما تطعمون أهليكم﴾** من الخبز والزيت واللبن والتمر والخلّ حتى يشبَعُوا. **﴿أو كِسْوَتُهم﴾** من قميص [أو نحوه] لكلِّ مسكين، **﴿أو تحريرُ رقبةٍ فمن لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيّام﴾** مُتتابعات **﴿ذلك كفارة أيمانِكم إذا حلفتم﴾** هذ كفارة اليمين الشرعية، **﴿واحفظُوا أيمانكم﴾** لا تتركُوها بغير تكفير **﴿كذلك يُبيّنُ اللهُ لكم آياتِهِ﴾** يُوضحها ويُفسِّرها **﴿لعلكم تشكرون﴾**.

الآية: ٨٩ عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمَنْ كان حالفاً فليحلِفْ بالله، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه. وسمع ابن عمر رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال له: لاتحلف بغير الله، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ حلفَ بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. وعن ابن مسعود أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ حلف على مال امرىء مسلم بغير حقّهِ لقِيَ اللهَ وهو عليه غضبان» متفق عليه. وعن عبدالرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «وإذا حلفتَ على يمينٍ، فرأيتَ غيرَها خيراً منها، فائْتِ الذي هو خير، وكَفِّرْ عن يمينِكَ» متفق عليه/رياض الصالحين ص٦٤٧ ـ ٦٥٠/.

الآية : ٨٩ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَن حلفَ على يمين ثم رأى أتقى للهِ منها ، فليأتِ التقوى » رواه مسلم . /رياض الصالحين /٤٧ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠: يقول تعالى ناهياً المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر، وهو القِمار: **﴿يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمرُ والميسرُ﴾** وكل شيءٍ من القِمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز. وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب قال: أيها الناس إنّه نزلَ تحريمُ الخمر وهي من خمسة: العنب والتمر والعسل والحِنطة والشعير. والخمرُ: ما خامَرَ العقلَ. وروى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الخمرَ حرامٌ، وثمنها حرامٌ» قاله ثلاثاً. وروى أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لُعِنتِ الخمرُ، وشاربُها، وساقيها، وبائعُها، ومبتاعُها، وحاملُها، والمحمولةُ إليه، وعاصرُها، ومُعتصِرُها، وآكلُ ثمنها». **﴿والأنصابُ﴾** [وهي ما كان يُنصب فيُعبدُ وتصبُّ عليه دماء الذبائح] **﴿والأزْلامُ﴾** [وهي قِداح الميسر وحَصَاهُ كانوا يضربون بها]، **﴿رِجْسٌ﴾** سخطٌ **﴿مِن عملِ الشيطان فاجتنبُوه لعلّكم تُفلِحُون﴾** **٩١:** **﴿إنّما يُريدُ الشيطانُ أن يُوقع بينكم العداوةَ والبغضاءَ في الخمرِ والميسرِ ويَصُدَّكم عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ فهل أنتم مُنْتَهُون﴾**؟ وهذا تهديدٌ وترهيب **٩٢:** **﴿وأطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ واحذَرُوا﴾** [تأكيدٌ للتحريم وتشديدٌ في الوعيد، وامتثالٌ للأمر، وكفٌّ عن المنهي عنه]، **﴿فإن تولّيتم﴾** [أي: خالفتم] **﴿فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغُ المُبين﴾** [في تحريم ما أمرتم بتحريمه] **٩٣:** [لما نزلت آية تحريم الخمر] قال الناس: يا رسولَ اللهِ ناسٌ قتلوا في سبيل الله كانوا يشربون الخمرَ ويأكلون الميسر؟ فأنزل الله تعالى **﴿ليسَ على الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ جُناحٌ فيما طعِمُوا﴾** إلى آخر الآية، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لو حُرِّمَ عليهم لتركوه كما تركتم»، رواه أحمد **٩٤:** **﴿يا أيّها الذين آمنوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بشيءٍ من الصيد تنالُهُ أيديكم ورِماحُكم﴾** يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم يتمكّنون من أخذه بالأيدي والرماح سرّاً وجهراً، **﴿ليعلمَ اللهُ مَن يخافُه بالغيب﴾** لتظهر طاعةُ مِن يُطيع منهم في سِرّهِ أو جهره، **﴿فمنِ اعتدَى بعدَ ذلك﴾** بعد هذا الإعلام والإنذار **﴿فلَهُ عذابٌ أليمٌ﴾** لمخالفته أمرَ الله وشرعه، ثم قال تعالى: **٩٥:** **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيدَ وأنتم حُرُمٌ﴾** هذا تحريمٌ منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام، ونهيٌ عن تعاطيه، **﴿ومَن قتله منكم مُتعمِّداً فجزاءٌ مِثلُ ما قتلَ مِن النَّعَم﴾** وجاءت السنّة بوجوب الجزاء في [الصيد] الخطأ، فإنّ الصيدَ إتلافٌ، والإتلاف مضمونٌ في العمد وفي النسيان، لكنّ المتعمّدَ مأثومٌ، والمخطىء غير ملوم، **﴿فجزاءٌ مثلُ ما قتلَ مِنَ النَّعَم﴾** ففي النعامة بَدَنة، وفي بقر الوحش بقرة، وفي الغزال بعنزٍ، وأجاز أبو حنيفة القيمة في ذلك **﴿يحكمُ بهِ ذَوَا عَدْلٍ منكم﴾** يحكم بالجزاء في المثل أو بالقيمة في غير المثل عدلان من المسلمين، **﴿هَدْياً بالِغَ الكعبةِ﴾** واصلاً إلى الكعبة، والمراد وصوله إلى الحرم بأن يُذبح ويُفرّق لحمه على مساكين الحرم. **﴿أو كفارةٌ طعَامُ مساكين أو عَدْلُ ذلك صياماً﴾** لكل مسكين مُدّان أو مُدٌّ من حِنطة، أو صام عن إطعام كل مسكين يوماً، **﴿لِيَذُوقَ وبالَ أمرِهِ﴾** ليذوق عقوبة المخالفة، **﴿عَفَا اللهُ عمّا سَلَفَ﴾** في زمان الجاهلية، لمن أحسن في الإسلام، **﴿ومَن عادَ فينتقمُ اللهُ منه﴾** بعد بلوغ الحكم الشرعي إليه، **﴿واللهُ عزيزٌ﴾** منيعٌ في سلطانه لا يُقهر، **﴿ذُو انتقام﴾** لمن عصاه.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

الحزب ١٣

٩٦: ﴿أُحِلَّ لكم صَيْدُ البحر وطعامُهُ متاعاً لكم﴾ ما يُصطاد منه طرياً، وطعامه: ما قذف، متاعاً: أي منفعةً وقوتاً **﴿وحُرِّمَ عليكم صَيْدُ البرِّ ما دُمتم حُرُماً﴾** في حال إحرامكم يحرمُ عليكم الاصطياد، ولا يجوز أكلُ الصيد للمحرم بالكليّة، **﴿واتقوا اللهَ الذي إليه تُحشرون﴾ ٩٧: ﴿جعلَ اللهُ الكعبةَ﴾**، [جعلَ: هنا بمعنى خلَقَ]، **﴿البيتَ الحرامَ﴾** [سمّاه سبحانه: حراماً، بتحريمه إيّاه]، **﴿قياماً للنّاس﴾**، [أي: صلاحاً ومعاشاً؛ لأمنِ الناس بها]، **﴿والشهرَ الحرامَ﴾**، [وهي الأشهرُ الحرمُ]، **﴿والهديَ والقلائدَ﴾** [الهدي: ما يُهدى إلى البيت من الأنعام. والقلائد: وهو تقليدها في أعناقها لتتميّز به عمّا عداها من الأنعام، ليعلم أنّها هدي إلى الكعبة]، **﴿ذلك﴾** [إشارة إلى أنّ الله جعل هذه الأمور قياماً] **﴿لتعلموا أنّ اللهَ يعلم ما في السموات وما في الأرض وأنّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾**، [والمعنى: فعلَ اللهُ ذلك لتعلموا أنّ الله يعلم تفاصيل أمور السموات والأرض، ويعلم مصالحكم أيّها الناس قبلُ وبعدُ، فانظروا لطفَهُ بالعباد] **٩٨: ﴿اعلمُوا أنّ اللهَ شديدُ العِقابِ﴾** [تخويفٌ]، **﴿وأنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾**، [ترجية] **٩٩: ﴿ما على الرسولِ إلّا البلاغُ﴾**، [أي: ليس له الهداية والتوفيق ولا الثواب؛ وإنّما عليه البلاغ]، **﴿واللهُ يعلمُ ما تُبدُون وما تكتمون﴾ ١٠٠: ﴿قُلْ﴾** يا محمد **﴿لا يستوي الخبيثُ والطيّبُ﴾** [أي: لا يستوي الحرام والحلال]، **﴿ولو أعجبكَ﴾** يا أيها الإنسان **﴿كثرةُ الخبيث﴾** القليل الحلال خيرٌ من الكثير الحرام، **﴿فاتقوا اللهَ يا أولي الألبابِ﴾** يا ذوي العقول الصحيحة **﴿لعلّكم تفلحون﴾** في الدنيا والآخرة **١٠١: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكم﴾** هذا تأديبٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهيٌ لهم عن أن يسألوا عن أشياء إن أُظهرت لهم ربّما ساءتهم، **﴿وإن تسألوا عنها حينَ يُنزّلُ القرآن تُبْدَ لكم﴾** لا تسألوا عن أشياء تستأنفوا السؤال عنها فلعلّه قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق. وفي الحديث: «أعظمُ المسلمين جُرْماً مَن سأل عن شيءٍ لم يُحرّم فحُرِّمَ من أجل مسألته»؛ ولكن إذا نزل بها القرآن مجملةً فسألتم عن بيانها بينتُ لكم حينئذٍ لاحتياجكم إليها، **﴿عَفَا اللهُ عنها﴾** ما لم يذكره في كتابه فهو مِمّا عَفا عنه فاسكتُوا أنتم عنها كما سكت عنها، **﴿واللهُ غفورٌ حليمٌ﴾ ١٠٢: ﴿قد سألها قومٌ من قبلكم ثم أصبحُوا بها كافرين﴾** مثل الذي سألت عنه النصارى من المائدة فأصبحُوا بها كافرين، فنهى اللهُ عن ذلك **١٠٣: ﴿ماجعلَ اللهُ مِن بَحِيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وَصيلةٍ ولا حامٍ﴾**؛ البحيرةُ: هي التي يجدعون آذانها فلا ينتفع بها أحدٌ من أهل بيته. والسائبةُ: فهي التي يُسيّبُونها لآلهتهم. والوصيلةُ: هي التي تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابع جُدعت فلا يذبحونها. والحامِي: هو الفحل الذي لقح عشراً، والذي إذا ولد لولده قالوا: حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه شيئاً، **﴿ولكنّ الذين كفروا يفترون على اللهِ الكذبَ وأكثرهم لا يعقلون﴾** ما شرعَ اللهُ هذه الأشياء، ولا هي عنده قربة، ولكن المشركين افتروا ذلك.

الآية: ١٠٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيتُ عمرو بن عامر الخزاعي يجرُّ قُصْبَهُ [أي أَمْعَاءَه] في النّار، كان أول مَنْ سيّب السوائب» /ابن كثير ج٢ /١٠٧.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٢٥

١٠٤: ﴿وإذا قيلَ لهم تعالوا إلى ما أنزلَ الله وإلى الرسولِ قالُوا حَسْبُنَا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ إذا دُعوا إلى دين اللهوشرعه، وترك ما حرّمه؛ قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد، **﴿أوَلَوْ كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً﴾**؟! لا يعرفون حقاً، **﴿ولا يهتدون﴾** إليه، فكيف يتبعونهم؟! **١٠٥: ﴿يا أيّها الذين آمنُوا عليكم أنفسَكم﴾** أصلحوها، وافعلوا الخير، **﴿لا يضرُّكم مَن ضلَّ إذا اهتديتم﴾** مَن أصلح أمره لا يضرّه فسادُ مَن فسدَ مِن النّاس سواء كان قريباً منه أو بعيداً، **﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم تعملون﴾** فيجازي كلَّ عامل بعمله إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرٌّ، وليس في الآية دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعلُ ذلك مُمكناً **١٠٦: ﴿يا أيّها الذين آمنوا شهادةُ بينكم إذا حضرَ أحدَكم الموتُ حين الوصية اثنان﴾** أن يشهد اثنان، **﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾** بأن يكونا عدلين **﴿منكم﴾** من المسلمين، **﴿أو آخرانِ من غيركم﴾** أهلَ الكتاب **﴿إن أنتم ضربتم﴾** سافرتم **﴿في الأرضِ فأصابتكم مصيبةُ الموت﴾** هذان شرطان لجواز شهادة الذميين عند فقد المؤمنين، أن يكون في سفر، وأن يكون في وصيّة. **﴿تحبِسُونهما من بعدِ الصلاة﴾** أن يُقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناسُ فيها بحضرتهم **﴿فيُقسِمان باللهِ إنِ ارتبتُم﴾** يحلفان بالله إن ظهرت لكم منهما ريبةٌ **﴿لا نشتري به﴾** بأيماننا **﴿ثمناً﴾** لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا **﴿ولو كانَ ذا قُرْبَى﴾** ولو كان المشهود عليه قريباً لنا لا نُحابيه **﴿ولا نكتم شهادةَ الله﴾** أضافها إليه تشريفاً لها وتعظيماً لأمرها **﴿إنّا إذاً لَمِنَ الآثمين﴾** إن فعلنا شيئاً من ذلك؛ من تحريف الشهادة أو تبديلها. ثم قال تعالى: **١٠٧: ﴿فإن عُثِرَ على أنّهما استحقّا إثماً﴾** فإن ظهر مِن الشاهِدَين أنّهما خانا **﴿فآخران يَقُومان مَقامَهُمَا من الّذين استحقّ عليهم الأوْلَيان﴾** متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خيانتهما، فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة وليكونا أولى مَن يرث ذلك المال **﴿فيُقسِمانِ باللهِ لَشَهادَتُنا أحقُّ مِن شهادتِهما﴾** لقولنا أنهما خانا [أنّه] أحقّ وأصح من شهادتهما، **﴿وما اعتدينا﴾** فيما قُلْنا **﴿إنّا إذاً لَمِنَ الظالمين﴾** **١٠٨: ﴿ذلك أدْنَى أنْ يأتُوا بالشهادة على وجهها﴾** شرعيّةُ هذا الحكم على الوجه المرضي من تحليف الشاهِدَين الذميّين أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي، **﴿أو يخافوا أنْ تُرَدَّ أيمانٌ بعدَ أيمانِهم﴾** ليكون الإتيان بها على وجهها خوفاً من الفضيحة بين الناس، ثم قال تعالى: **﴿واتقوا اللهَ﴾** في جميع أموركم **﴿واسمَعُوا﴾** وأطيعوا **﴿والله لا يهدي القومَ الفاسقين﴾** الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته.

الآية: **١٠٥** روى أبو داوود والترمذي عن أبي أميّة الشيباني، قال: أتيتُ أبا ثعلبة الخُشنيّ فقلتُ له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: أيَّةُ آية؟ قلتُ: قوله تعالى ﴿ يا أيها الّذين آمنوا عليكم أنفسَكم لا يضرُّكم مَنْ ضلَّ إذا اهتديتُم ﴾؟ قال: أمَا واللهِ لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: « بلِ ائتمرُوا بالمعروف وتنَاهَوْا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً وهوىً مُتّبعاً ودنيا مؤثَرَةً وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه، فعليك بخاصّة نفسك ودَعْ عنك أمرَ العامّة، فإنّ من ورائكم أياماً الصبرُ فيهنّ مثلُ القبض على الجمر، للعامل فيهنّ مثلُ أجر خمسين رجلاً يعملون مثلَ عملكم »، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. /القرطبي ج٦ /٣٤٣.

الحزب ١٣

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

١٠٩: ﴿يومَ يجمعُ اللهُ الرسلَ فيقولُ ماذا أجبْتُم قالُوا لا علمَ لنا إنّكَ أنتَ علّامُ الغُيوب﴾، هذا إخبارٌ عمّا يُخاطب الله به المرسلين يوم القيامة عما أجيبُوا به من أُممهم الذين أرسلهم إليهم، وقول الرسل: **﴿لا علم لنا إنّكَ أنتَ علامُ الغُيوب﴾** من باب التأدّب مع الربّ جلَّ جلاله؛ لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيءٍ **١١٠: ﴿إذْ قال اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ اذكرْ نعمتي عليكَ وعلى والدتك﴾** يذكر تعالى ما امتنّ به على عبده ورسوله عيسى مِمّا أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات؛ من خلقي إيّاك من أمٍّ بلا ذكر، وجعلي إيّاك آيةً ودَلالةً قاطعةً على قدرتي على الأشياء، **﴿وعلى والدتك﴾** حيث برّأتُها مِمّا نسبه الظالمون إليها، **﴿إذْ أيّدتُكَ بروحِ القدس﴾** وهو جبريل عليه السلام، **﴿تُكلِّمُ الناسَ في المهد﴾** فأنطقتكَ في المهد صغيراً فشهدتَ ببراءة أمّك، وأخبرتَ عن رسالتي إيّاك، ودعوتَ إلى عبادتي، **﴿وإذْ علمتُكَ الكتابَ﴾** الخط **﴿والحكمةَ﴾** الفهم **﴿والتوراةَ والإنجيلَ وإذْ تخلق من الطين كهيئةِ الطيرِ بإذني﴾** تصوّره وتشكله على هيئة الطائر بإذني لك **﴿فتنفخُ فيها فتكون طيراً بإذني﴾** فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتَها بإذني لك في ذلك فتكون طيراً ذا رُوح تطيرُ بإذنِ الله وخلقه، **﴿وإذْ تخرجُ الموتى بإذني﴾** تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله، **﴿وإذْ كففتُ بني إسرائيلَ عنكَ إذْ جئتَهم بالبيناتِ فقال الذين كفروا منهم إنْ هذا إلّا سِحْرٌ مُبين﴾** واذكرْ نعمتي عليك في كفي إيّاهم عنكَ حين كذّبوكَ واتهموك بأنّك ساحر وسعوا في قتلك فنجيتك منهم ورفعتُكَ إليّ؛ وهذا يدل على أنّ هذا الامتنان كان من الله بعد رفعه إلى السماء الدنيا، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم **١١١: ﴿وإذْ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي﴾** وهذا أيضاً من الامتنان عليه عليه السلام بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً، وهذا الوحي [إلى الحواريين] وحي إلهام؛ أُلهِمُوا ذلك فامتثلوا ما أُلهموا، **﴿قالوا آمنّا﴾** بالله **﴿واشهدْ بأنّنا مسلِمُون﴾ ١١٢: ﴿إذْ قال الحواريُّون يا عيسى ابنَ مريمَ هل يستطيعُ ربُّكَ أن يُنزِّلَ علينا مائدةً مِن السماء﴾**؛ إنّهم سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم، فأجابهم المسيح عليه السلام قائلاً لهم: **﴿اتّقوا اللهَ إن كنتم مؤمنين﴾** لا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنةً لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين **١١٣: ﴿قالوا نُريدُ أن نأكلَ منها﴾** نحن محتاجون إلى الأكل منها، **﴿وتطمئنَّ قلوبُنا﴾** إذا شاهدنا نزولَها رزقاً لنا من السماء، **﴿ونعلمَ أنْ قدْ صدقتنا﴾** ونزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك، **﴿ونكونَ عليها مِنَ الشاهدين﴾** ونشهد أنّها آية من عند الله، ودلالة وحُجّة على نبوّتك وصدق ما جئتَ به.

الآية: ١١٢ قال ابن كثير: هذه قصّة المائدة، وإليها تنسب السورة، فيُقال: سورة المائدة، وهي مّما امتنَّ الله به على عبده ورسوله عيسى لّما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزلها اللهُ آيةً باهرة وحُجّةً قاطعة.

قال القرطبي: إنّ القوم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه؛ لأنهم كانوا مؤمنين عارفين عالمين، وإنّما هو كما قال إبراهيم: ﴿ربّ أرني كيف تُحيي الموتى﴾ الآية، وقد كان إبراهيم عَلِمَ بذلك عِلْمَ خبرٍ ونظر، ولكن أرادَ المعاينةَ التي لايدخلها ريبٌ ولاشبهة. /القرطبي ج٦/٣٦٥/.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١١٤: ﴿قال عيسى ابنُ مريمَ اللهمّ ربّنا أنزلْ علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا﴾ نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نُعظّمه نحن ومَن بعدنا، **﴿وآيةً منكَ﴾** دليلاً تنصبه على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتكَ لدعوتي فيُصدّقوني فيما أُبلّغه عنك، **﴿وارزقنا﴾** من عندك رزقاً هنيئاً بلا كلفة ولا تعب **﴿وأنتَ خيرُ الرازقين﴾** **١١٥: ﴿قال اللهُ إنّي منزّلها عليكم فمن يكفُرْ بعدُ منكم﴾** فمن كذّب بها من أمّتِكَ يا عيسى وعاندها **﴿فإنّي أعذّبهُ عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين﴾** من عالمي زمانكم. فنزلت المائدة وعليها ثمرٌ من ثمر الجنّة، فأُمِرُوا ألّا يخونوا ولا يُخبّؤوا ولا يدّخروا؛ فخان القومُ وخبّأوا وادّخروا فمسخهم اللهُ قردةً وخنازير **١١٦: ﴿وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناس اتخذوني وأمّي إلهينِ من دُون الله﴾**؟ هذا مِمّا يُخاطبُ اللهُ به عبدَه ورسوله عيسى يوم القيامة قائلاً له بحضرة أمّه ومن اتخذهُ وأُمَّهُ إلهين من دون الناس؛ وهذا تهديدٌ للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد، فيُنكرُ عيسى أن يكون قال ذلك ويقول: **﴿سبحانكَ ما يكون لي أن أقولَ ما ليسَ لي بحقّ﴾** وهذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل؛ **﴿إن كنتُ قلتُه فقدْ علمتَه﴾** إن كان صدرَ منّي هذا فقد علمتَهُ يا رب، فإنّه لا يخفى عليك شيءٌ، فما قلتُهُ ولا أردتُهُ في نفسي ولا أضمرته، ولهذا قال: **﴿تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسك إنّكَ أنتَ علاّمُ الغُيوب﴾** **١١٧: ﴿ما قلتُ لهم إلّا ما أمرتني بهِ﴾** بإبلاغِهِ **﴿أنِ اعبدُوا اللهَ ربّي وربّكم﴾** ما دعوتهم إلّا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه، **﴿وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم﴾** كنتُ أشهد على أعمالهم حين كنتُ بين أظهرهم، **﴿فلمّاتوفيتني﴾** [أي: فلمّا رفعتني إلى السماء] **﴿كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم﴾**، [الشاهد على أفعالهم]، **﴿وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾** **١١٨: ﴿إنْ تعذّبْهُم فإنّهم عبادُك﴾** الآية. هذا الكلام يتضمّن ردَّ المشيئة إلى الله عزّ وجلّ، فإنّه الفعّال لما يريد، ويتضمّن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبةً وولداً؛ تعالى اللهُ عمّا يقولون علوّاً كبيراً. ولهذه الآية شأن عظيم ونبأ عجيب، فقد روى أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام بها ليلةً حتى الصباح يردّدها [يسأل الله تعالى] الشفاعة لأمته **١١٩: ﴿قالَ اللهُ هذا يومُ ينفعُ الصادقين صدقُهم﴾** ينفع الموحدين توحيدُهم، **﴿لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾** لا يحولون ولا يزولون، **﴿رضيَ اللهُ عنهم ورَضُوا عنه ذلك الفوزُ العظيم﴾** هذا الفوزُ الكبير الذي لا أعظم منه، كما قال تعالى: ﴿لمثلِ هذا فليعمل العامِلُون﴾ **١٢٠: ﴿لله مُلْكُ السمواتِ والأرضِ وما فيهنّ﴾** فهو الخالق لها المتصرّف فيها القادر عليها؛ فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته، وفي مشيئته، فلا نظيرَ له ولا إلٰهَ غيره ولا ربَّ سواه، **﴿وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾**.

الآية : ١١٨ روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : تَلاَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول عيسى : (إن تُعَذّبْهُم فإنّهم عبادك ..) فرفع يديه فقال : « اللهم أمتي » ، وبكى فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد – وربك أعلم – فاسأله ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنّا سنرضيك في أمتك ولا نَسُوْءُكَ . /تفسير ابن كثير ج٢ ص١٢١/ .

سُورَةُ الأَنْعَامِ

ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنعام

قال ابن عباس: نزلت الأنعامُ بمكة ليلاً جملةً واحدة، حولها سبعون ألف مَلَكٍ يجأرون حولها بالتسبيح. **١**: **﴿الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنّورَ﴾**، يقولُ اللهُ تعالى مادحاً نفسَه الكريمة وحامِداً لها على خلقه السموات والأرض قراراً لعباده، وجعل الظلماتِ والنورَ منفعةً لعباده في ليلهم ونهارهم. جمع لفظ **﴿الظلمات﴾** ووحد لفظ **﴿النّور﴾** لكونه أشرف. **﴿ثم الذين كفروا بربّهم يعدِلُون﴾** ومع هذا كله كفَرَ به بعض عباده وجعلوا له شريكاً وولداً تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علوّاً كبيراً **٢**: **﴿هو الذي خلقكم مِن طينٍ﴾** أباهم آدم الذي هو أصلهم، **﴿ثم قضى أجلاً﴾** الموت **﴿وأجلٌ مُسمىً عنده﴾** الآخرة، **﴿ثم أنتم تمترون﴾** تشكّون في أمر الساعة **٣**: **﴿وهو اللهُ في السمواتِ وفي الأرض يعلمُ سِرّكم وجهرَكم﴾** هو إلهُ مَن في السماء، وإلهُ مَن في الأرض، **﴿يعلم سِرَّكم وجهرَكم ويعلم ما تكسِبُون﴾** يعلم جميع أعمالكم خيرَها وشرّها **٤**: **﴿وما تأتيهم مِن آيةٍ مِن آياتِ ربّهم إلّا كانوا عنها معرضين﴾** يخبر تعالى عن المشركين أنّهم كلّما أتتهم آيةٌ أي: دلالةٌ ومعجزةٌ على وحدانية الله وصدق رُسله الكرام فإنّهم يُعرضون عنها فلا ينظرون إليها **٥**: **﴿فقد كذّبُوا بالحقِّ لمّا جاءهم فسوف يأتيهم أنباءُ ما كانوا به يستهزؤن﴾** هذا تهديدٌ لهم ووعيدٌ على تكذيبهم بالحقّ؛ بأنّه لا بدّ أن يأتيهم خبرُ تكذيبهم وليجدن وبالَه، ثم قال تعالى واعظاً لهم ومُحذّراً: **٦**: **﴿ألم يَرَوْا كم أهلكنا من قبلهم من قَرْنٍ مكنّاهم في الأرض ما لم نمكّنْ لكم﴾** من الأموال والأولاد والسّعة والجنود، **﴿وأرسلنا السماءَ عليهم مِدْراراً﴾** شيئاً بعد شيء ، **﴿وجعلنا الأنهارَ تجري من تحتهم﴾** كثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض؛ استدراجاً وإملاءً لهم، **﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾** بخطاياهم، **﴿وأنشأنا من بعدهم قَرْناً آخرين﴾** جيلاً آخر لنختبرهم، فعملوا مثلَ أعمالهم فأهلِكُوا كإهلاكهم، فاحذروا أيها المخاطبون أن يُصيبكم مثلَ ما أصابهم **٧**: **﴿ولو نزّلنا عليكَ كتاباً في قِرْطاس فلمسوه بأيديهم﴾** عاينوه، ورأوا نزوله **﴿لقالَ الذين كفرُوا إنْ هذا إلّا سِحرٌ مُبين﴾** لِعنَادِهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه **٨**: **﴿وقالوا لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ﴾** ليكون معه نذيراً؟ قال الله: **﴿ولو أنزلنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأمرُ ثم لا يُنظرون﴾** لو نزلت الملائكةُ على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب، وما كانوا إذاً مُنظَرِين.

سورة الأنعام :

روى مسلم عن جابر قال لمّا نزلت سورة الأنعام سبَّحَ رسول الله ثم قال : « لقد شيّعَ هذه السورة من الملائكةُ ما سدَّ الأُفُق » .

الآية : ١ قال الله تعالى في سورة الإسراء/١١١ ﴿ وقلِ الحمدُ للهِ ﴾ وأخبر عن أهل الجنة أنّ آخر دَعْوَاهم : ﴿ أنِ الحمدُ للهِ ﴾ سورة يونس/١٠/ . وروى مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ اللهَ ليرضى عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمَدُهُ عليها ، ويشربُ الشَّرْبةَ فيحمَدُهُ عليها » رياض الصالحين/٥٠٠/ وروى البخاري عن أبي أمامة : أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رفع مائدته قال : « الحمدُ للهِ كثيراً طيباً ، مباركاً فيه ، غيرَ مكفيّ ، ولا مُودَّع ، ولا مُستغنىً عنه ربَّنا » /الأذكار ص٢٩٧ /ط دار البيان .

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

٩: **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾** لو أنزلناه مع الرسول لكان على هيئة الرجل ليتمكن من مخاطبتهم، **﴿وللَبَسْنا عليهم ما يَلبِسُون﴾** ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري ١٠: **﴿ولقد استهزِىء برسلٍ من قبلكَ فحاق بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يستهزؤون﴾**، هذه تسليةٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيب مَن كذبه من قومه، ووعدٌ له وللمؤمنين به بالنُّصرة والعافية في الدنيا والآخرة. ثم قال تعالى: ١١: **﴿قُلْ سيرُوا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبةُ المكذبين﴾** فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحلَّ الله بالقرون الماضية الذين كذَّبُوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال في الدنيا والآخرة ١٢: **﴿قلْ لِمَنْ ما في السمواتِ والأرض قُلْ للهِ كتبَ على نفسهِ الرحمة﴾** يخبر تعالى أنّه مالك السموات والأرض ومَن فيهما، وأنّه قد كتب على نفسه المقدّسة الرحمة، كما ثبت في الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ اللهَ لمّا خلقَ الخلقَ كتبَ كتاباً عنده فوق العرش إنّ رحمتي تغلب غضبي». **﴿ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريبَ فيه﴾** هذه اللام هي الموطّئة للقسم، فأقسم بنفسه ليجمعنّ عبادَه **﴿إلى ميقاتِ يومٍ معلوم﴾** وهو يوم القيامة الذي **﴿لا ريبَ فيه﴾**، عند المؤمنين، فأمّا الجاحدون المكذّبون فهم في ريبهم يتردّدون، **﴿الذين خَسِرُوا أنفسَهم﴾** يوم القيامة **﴿فهم لا يُؤمنون﴾** لا يُصدِّقون بالمعاد ولا يخافون شرّ ذلك اليوم ١٣: **﴿وله ما سكنَ في الليل والنهار﴾** كلُّ دابّة في السموات والأرض خلقُهُ وتحت قهره وتصرّفه وتدبيره لا إله إلّا هو **﴿وهو السميعُ العليم﴾**. ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ١٤: **﴿قُلْ أغيرَ اللهِ أتخذُ ولياً فاطِرِ السمواتِ والأرض﴾**؟ كقوله تعالى: **﴿قُلْ أفغيرَ اللهِ تأمرونّي أعبدُ أيها الجاهلون﴾**؟ لا أتخذ ولياً إلّا الله وحده لاشريك له فإنّه خالق السموات والأرض ومبدعهما على غير مثال سابق، **﴿وهو يُطْعِمُ ولايُطْعَم﴾** وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم. **﴿قُلْ إنّي أُمِرْتُ أنْ أكونَ أوّلَ من أسلمَ﴾** من هذه الأمّة، **﴿ولا تكوننّ مِن المشركين﴾** ١٥: **﴿قُلْ إنّي أخافُ إنْ عصيتُ ربّي عذابَ يومٍ عظيمٍ﴾** يوم القيامة ١٦: **﴿مَن يُصْرَفْ عنه يومئذٍ﴾** من يُصْرَفْ عن العذاب يوم القيامة **﴿فقد رحمه﴾** فقد رحمه الله، **﴿وذلك هو الفوزُ المبين﴾**، والفوزُ: حصولُ الربح ونفي الخسارة ١٧: يقول تعالى مخبراً أنّه مالك الضرِّ والنفع: **﴿وإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فلا كاشِفَ له إلّا هو وإنْ يَمْسَسْكَ بخيرٍ فهو على كلِّ شيءٍ قدير﴾**، وفي الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطيَ لِما منعت، ولا ينفع ذَا الجَدِّ منكَ الجَدُّ». ولهذا قال تعالى: ١٨: **﴿وهو القَاهِرُ فوقَ عِبادِهِ﴾** هو الذي خضعت له الرقاب وذلّت له الجبابرة وعَنت له الوجوه، **﴿وهو الحكيمُ﴾** في جميع أفعاله، **﴿الخبيرُ﴾** بمواضع الأشياء، فلا يعطي ولا يمنع إلّا مَن يستحق.

الآية: ٩ عن ابن عباس في هذه الآية: لو أتاهم مَلَكٌ ما أتاهم إلاّ في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة لأنهم من النور.

الآية: ١٢ في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي» /ابن كثير ج٢ /١٢٤-١٢٥.

قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾

١٩: ﴿قُلْ أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً﴾ مَن أعظم الأشياء شهادة؟ **﴿قُل اللهُ شهيدٌ بيني وبينكم﴾** هو العالم بما جئتكم به، وما أنتم قائلون لي، **﴿وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذرَكم به ومَن بلغ﴾** وهو نذير لكلِّ مَن بلغه، ومَن بلغَهُ القرآن فكأنّما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلَّمَهُ. **﴿أئنكم لتشهدون أنّ معَ الله آلهة أخرى﴾**؟ أيّها المشركون، **﴿قُلْ لا أشهدُ، قُلْ إنّما هو إلهٌ واحدٌ وإنّني بريءٌ مِمّا تشركون﴾ ٢٠: ﴿الذين آتيناهُم الكتابَ يعرِفُونَهُ كما يعرفون أبناءَهم﴾**، يخبر تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به [يعني القرآن أنه من عند الله] كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار عن المرسلين المتقدّمين، فإنّ الرسل كلهم بشروا بوجود محمد صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿الذين خسِرُوا أنفسَهم﴾** خسروا كلَّ الخسارة، **﴿فهم لا يُؤمنون﴾** بهذا الأمر الجلي الذي بشّرتْ بهِ الأنبياء في قديم الزمان وحديثه **٢١: ﴿ومَن أظلمُ مِمّن افترى على اللهِ كذباً أو كذّبَ بآياته﴾**؟ لا أظلَمَ مِمّن تقوّل على اللهفادّعى أنّ الله أرسله ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم مِمّن كذّب بآياتِ اللهِ وحججه وبراهينه ودلالاته **﴿إنّه لا يُفلح الظالمون﴾** لا يُفلح هذا ولا هذا المفتري ولا المكذِّب **٢٢: ﴿ويومَ نحشرُهم جميعاً﴾** يوم القيامة فيسألهم: **﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾**؟ **٢٣: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾** حجتهم **﴿إلّا أنْ قالُوا واللهِ ربِّنا ما كنّا مشركين﴾** إنّهم رأوا أنّه لا يدخل الجنّة إلّا أهلُ الصلاة، فقالُوا: تعالوا فلنجحد، فيجحدون، فيختم اللهعلى أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم، ولا يكتمون اللهَ حديثاً. ولهذا قال تعالى: **٢٤: ﴿انظُرْ كيفَ كذَبُوا على أنفسهم﴾**!؟ **﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾**، كما قال تعالى: ﴿ثم قيلَ لهم أين ما كنتم تشركون من دُون الله قالوا ضلُّوا عنّا﴾ **٢٥: ﴿ومنهم مَن يستمع إليكَ وجعلنا على قلوبهم أكنّةً أن يفقهُوهُ وفي آذانِهم وَقْراً وإنْ يرَوْا كلَّ آيةٍ لا يُؤمنوا بها﴾** يجيئون ليستمعوا قراءَتَك، ولا تُجزي عنهم شيئاً؛ لأنّ الله جعلَ على قلوبهم **﴿أكنّةً﴾** أغطية لئلّا يفقهوا القرآن، وفي آذانهم صَمَمٌ عن سماع النافع، ومهما رأوا مِن الآيات البيّنات لا يُؤمنوا بها، **﴿حتى إذا جاؤُكَ يُجادِلونَكَ﴾** يُناظِرُونك في الحقّ بالباطل، **﴿يقولُ الذين كفروا إنْ هذا إلّا أساطيرُ الأوّلين﴾** ما هذا الذي جئتَ به إلا مأخوذٌ من كتب الأوائل **٢٦: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾** ينهون الناس عن اتباع الحقّ ويتباعدون منه، **﴿وإنْ يُهلِكُون إلّا أنفسَهم وما يشعرون﴾** وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وَبَالُه إلّا عليهم وهم لا يشعرون **٢٧: ﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا على النّارِ فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذِّبُ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين﴾**، [المعنى: لو تراهم في تلك الحال لرأيتَ أسوأ حالٍ، أو لرأيتَ منظراً هائلاً]، ولم يطلبوا العود إلى الدنيا محبة في الإيمان بل خوفاً من العذاب.

الآية : ٢٣ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال : يا ابن عباس سمعت الله يقول : ﴿ والله ربنا ما كنّا مشركين ﴾ قال أما قوله ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا : تعالوا فلنجحد فيجحدون، فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً ، فهل في قلبك الآن شيء ؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء ولكنْ لا تعلمون وجهه ؟! /ابن كثير ج٢ /١٢٧ .

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

٢٨: ﴿بلْ بَدَا لهم ما كانوا يُخفُون من قبلُ﴾ ظهر ما كانوا يُبطنون من الكفر والنفاق، **﴿ولو رُدُّوا لعَادُوا لِما نُهوا عنه وإنّهم لكاذبون﴾** في قولهم: ﴿يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآياتِ ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾ **٢٩: ﴿وقالوا إنْ هيَ إلّا حياتُنا الدنيا وما نحن بمبعوثِين﴾** لعادوا لِما نُهوا عنه ولقالوا إن هي إلّا حياتنا الدنيا؛ أي: ما هي إلّا هذه الحياة الدنيا لا معاد بعدها. ثم قال تعالى: **٣٠: ﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا على ربِّهم﴾** أُوقِفُوا بين يديه، **﴿قال﴾** الله: **﴿أليسَ هذا بالحقّ﴾**؟ أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنّون؟ **﴿قالوا بلى وربِّنا قالَ فذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكفرون﴾** بما كنتم تكذبون به، فذوقوا اليوم مَسَّه، ﴿أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تُبصِرُون﴾؟ **٣١: ﴿قد خسرَ الذين كذّبُوا بلقاءِ اللهِ حتى إذا جاءتْهُمُ الساعةُ بغتةً﴾** يُخبِرُ تعالى عن خسارة من كذّب بلقائه وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتةً، وعن ندامته على ما فرّط من العمل وما أسلف من قبح الفعل، ولهذا قال سبحانه عنهم: **﴿حتى إذا جاءتهم الساعةُ بغتةً قالوا يا حَسْرَتَنَا على ما فرّطنا فيها﴾** في أمر الآخرة، **﴿وهم يحملون أوزارَهم على ظهورهم ألَا ساء ما يزرون﴾** يحملون **٣٢: ﴿وما الحياةُ الدنيا إلّا لَعِبٌ ولهوٌ﴾** إنّما غالبها كذلك، **﴿وللدّارُ الآخرةُ خيرٌ للذين يتقون أفلا تعقِلُون﴾**؟! **٣٣:** يقول تعالى مسلياً لنبيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيبِ قومِهِ لهُ ومخالفتهم إيّاه: **﴿قد نعلمُ إنّه ليحزنك الذين يقولون﴾** قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك، وحزنك وتأسفك عليهم، **﴿فإنّهم لا يُكذِّبونكَ﴾** لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر، **﴿ولكنّ الظالمين بآياتِ اللهِ يَجْحَدُون﴾** ولكنهم يُعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم **٣٤: ﴿ولقد كُذِّبتْ رُسُلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حتى أتاهم نصرُنا﴾** هذه تسليةٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعزية له فيمن كذّبه من قومه، وأمرٌ له بالصبر كما صبرَ أولوا العزم من الرسل، ووعدٌ له بالنصر كما نُصِرُوا. **﴿ولا مُبدّلَ لكلماتِ الله﴾** التي كتبها بالنصر لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة. **﴿ولقد جاءَكَ من نبأ المرسلين﴾** كيف نُصِرُوا، فلكَ بهم أسوة وقدوة **٣٥: ﴿وإن كان كَبُرَ عليك إعراضُهم﴾** شقّ عليك إعراضهم عنك، **﴿فإنِ استطعتَ أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلّماً في السماء﴾** فتذهب فيه فتأتيهم بآيةٍ أفضل مِمّا أتيتهم به فافعل!؟ [أمرَ اللهُ نبيَّه ألّا يشتدَّ حزنُه عليهم إذا كانوا لا يُؤمنون، كما أنّه لا يستطيعُ هُداهم]. **﴿ولو شاء اللهُ لجمعهم على الهدى فلا تكوننّ من الجاهلين﴾**، [أي: من الذين اشتدّ حزنهم حتى أخرجهم ذلك إلى الجزع الشديد]، كان عليه الصلاة والسلام يحرص أن يُؤمن جميعُ الناس، فأخبره تعالى أنه لا يُؤمن إلا مَن سبق له من الله السعادة في الذكر الأول.

الآية: ٣١ روى ابن أبي حاتم عن أبي مرزوق قال: يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كأقبح صورة رأيتها وأنتنه ريحاً، فيقول: من أنت؟ فيقول: أوَ مَا تعرفني؟ فيقول: لا والله إلا أنّ الله قبح وجهك وأنتنَ ريحَكَ، فيقول: أنا عملك الخبيث، هكذا كنتَ في الدنيا خبيث العمل مُنْتنه، فطالَ ما ركبتني في الدنيا هلمّ أركبك. /ابن كثير ج٢ ١٢٩/.

الحزب ١٤

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦: ﴿إنّما يستجيبُ الذين يسمعون﴾ إنّما يستجيب لدعائك يا محمد مَن يسمعُ الكلامَ ويعيه، **﴿والموتى يبعثُهُمُ اللهُ ثم إليه يُرجَعون﴾** يعني بذلك الكفار لأنّهم موتى القلوب فشبههم الله بأموات الأجساد، **﴿والموتى يبعثهم اللهُ ثم إليه يُرجعون﴾**، وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم **٣٧: ﴿وقالوا لولا نُزِّلَ عليه آيةٌ مِن ربِّه﴾** يُخبر تعالى عن المشركين أنّهم كانوا يقولون لولا نُزِّلَ عليه آية من ربه؛ أي: أمر خارق على ما كانوا يريدون ومِمّا يتعنّتون كقولهم: ﴿لن نُؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾، **﴿قُلْ إنّ اللهَ قادرٌ على أن يُنزِّلَ آيةً ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون﴾** هو تعالى قادر على ذلك ولكنّ حكمته تقتضي التأخير، قال تعالى: ﴿إنْ نشأ نُنزِّلْ عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾ **٣٨: ﴿وما مِن دابّةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيه إلّا أممٌ أمثالُكم﴾** أصنافٌ مُصنّفة تعرف بأسمائها، وخلقٌ أمثالكم، **﴿ما فرّطنا في الكتابِ من شيءٍ﴾** الجميع علمهم عند اللهولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريّاً أو بحريّاً **﴿ثم إلى ربّهم يحشرون﴾** يُحشرُ الخلقُ كلهم يوم القيامة **٣٩: ﴿والذين كذّبوا بآياتِنا صُمٌّ وبكمٌ في الظلمات﴾** مَثَلُهم في جهلهلم وقلّة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصمّ لا يسمع، وأبكم لا يتكلّم، وهو مع هذا في ظلمات لا يُبصر؛ فكيف يهتدي إلى الطريق أو يخرج مِمّا هو فيه؟! **﴿مَن يشأ اللهُ يُضْلِلْهُ ومَن يشأْ يجعلْهُ على صراطٍ مستقيم﴾** هو المتصرّف في خلقه بما يشاء **٤٠: ﴿قُلْ أرأيتَكُم إنْ أتاكُم عذابُ اللهِ أو أتتكم الساعة﴾** هو تعالى الفعّال لما يريد وأنّه لا معقب لحكمه، وأتاكم بهذا أو هذا **﴿أغيرَ اللهِ تدعون إن كنتم صادقين﴾**؟ لا تدعون غيره لعلمكم أنّه لا يقدر أحدٌ على رفع ذلك سواه، ولهذا قال سبحانه: **﴿إن كنتم صادقين﴾** في اتخاذكم آلهة معه **٤١: ﴿بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتَنْسَوْنَ ما تشركون﴾** في وقت الضرورة لا تدعون أحداً سواه **٤٢: ﴿ولقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك فأخذناهم بالبأساءِ﴾** الفقر والضيق في العيش **﴿والضرّاءِ﴾** وهي الأمراض **﴿لعلّهم يتضرّعُون﴾** يدعون اللهَ ويتضرّعون إليه ويخشعون **٤٣: ﴿فلولا إذْ جاءَهم بأسنا تضرّعوا﴾** فهلّا إذ ابتليناهم بذلك تضرّعوا إلينا وتمسكنُوا لدينا **﴿ولكن قستْ قلوبُهم﴾** ما رقت ولا خشعت، **﴿وزيّن لهُمُ الشيطانُ ما كانوا يعملون﴾** من الشرك والمعاندة **٤٤: ﴿فلمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بهِ فتحنا عليهم أبوابَ كلِّ شيءٍ﴾** فلمّا أعرضوا عن [ذكرنا] وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى، وإملاءٌ لهم، ولهذا قال سبحانه: **﴿حتى إذا فَرِحُوا بما أُوتُوا﴾** من الأموال والأرْزاق **﴿أخذناهم بغتةً﴾** على غفلة **﴿فإذا هم مُبلِسُون﴾** آيسون من كلِّ خير. مكرَ بالقوم؛ أعطاهم ثم أخذهم.

الآية : ٤٤ روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا رأيت الله يُعطي العبدَ من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنّما هو استدراج » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية . /تفسير ابن كثير ج٢ /١٢٦ .

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٥: ﴿فقُطِعَ دابرُ القومِ الذين ظلموا والحمد لله ربِّ العالمين﴾، [المعنى: قطعَ خلَفهم من نسلهم وغيّرهم فلم تَبْقَ لهم باقية] **٤٦**: يقول تعالى لرسوله **﴿قُلْ﴾** لهؤلاء المشركين **﴿أرأيتم إن أخذَ اللهُ سمعَكم وأبصارَكم﴾** سلبكم إيّاها كما أعطاكم إيّاها **﴿وختَمَ على قلوبكم﴾**، [أي: طبع عليها]، **﴿مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكم به﴾**؟ هل أحدٌ غير اللهيقدر على ردّ ذلك إليكم؟ **﴿انظُرْ كيفَ نُصرِّفُ الآياتِ﴾** نبيّنها ونوضحها على أنّه لا إلهَ إلا الله**﴿ثم هم يصدِفُون﴾** ثم مع هذاالبيان يُعرِضون عن الحق **٤٧: ﴿قُلْ أرأيتَكُم إنْ أتاكُم عذابُ اللهِ بغتةً﴾** وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم **﴿أو جهرةً﴾** ظاهراً عياناً **﴿هل يُهْلَكُ إلّا القومُ الظالمون﴾**؟ إنّما كان يُحيط بالظالمين، وينجو الذين كانوا يعبدون اللهوحده، ولا هم يحزنون **٤٨: ﴿وما نُرسِلُ المرسَلِينَ إلّا مبشرين ومنذرين﴾** مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين مَن كفرَ باللهالنقمات والعقوبات، ولهذا قال سبحانه: **﴿فمن آمنَ وأصلحَ﴾** فمن آمن قلبه بما جاؤوا به وصلح عمله باتباعه إيّاهم **﴿فلا خوفٌ عليهم﴾** بالنسبة لما يستقبلونه **﴿ولا هم يحزنون﴾** بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه من أمر الدنيا **٤٩: ﴿والذين كذّبوا بآياتنا يمسُّهُمُ العذابُ بما كانوا يفسقون﴾** ينالهم العذابُ بما كفروا وخرجوا عن أوامر اللهوطاعته **٥٠: ﴿قُلْ لا أقولُ لكم عندي خزائنُ اللهِ﴾** لستُ أملكها ولا أتصرّف فيها، **﴿ولا أعلمُ الغيبَ﴾** ولا أقول لكم إني أعلم الغيبَ إنّما ذاك من علم الله، **﴿ولا أقولُ لكم إنّي مَلَكٌ﴾** إنّما أنا بشرٌ، **﴿إنْ أتبعُ إلّا ما يُوحى إليّ﴾** لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه. **﴿قُلْ هلْ يستوي الأعمى والبصير﴾**؟ هل يستوي مَن اتبعَ الحق وهُدِي إليه ومَن ضلَّ عنه فلم يَنْقَدْ له؟ **﴿أفلا تتفكرون﴾**؟ **٥١: ﴿وأنذِرْ بهِ الذين يخافُون أن يُحشَرُوا إلى ربّهم ليسَ لهم من دُونه ولي ولا شفيع﴾** وأنذر بهذا القرآن يا محمد الذين يخشون ربَّهم ويخافون سُوءَ الحساب، ليس لهم قريب ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم، **﴿لعلّهم يتقون﴾** فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم اللهُ به يوم القيامة من عذابه **٥٢: ﴿ولا تطردِ الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهَهُ﴾** لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك، بل اجعلهم جلساءَك وأخصّاءَكَ، **﴿يدعون ربّهم﴾** يعبدونه ويسألونه **﴿بالغداة والعشي﴾** الصلاة المكتوبة**﴿يريدون وجهه﴾** يريدون بذلك العمل الصالح وجه اللهالكريم وهم مخلصون فيه من العبادات والطاعات. **﴿ما عليكَ مِن حسابِهم من شيء وما من حسابِكَ عليهم من شيء﴾** إنّما حسابهم على الله عزّ وجلّ، وليس عليك من حسابهم من شيء، **﴿فتطردَهم فتكون من الظالمين﴾**، [هذا بيانٌ للأحكام، ولئلّا يقع مثل ذلك من أهل الإسلام].

الآية: ٥٢ عن جابر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ من أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يومَ القيامةِ أحاسنَكم أخلاقاً، وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشدّقون، والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدّقين، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبّرون» رواه الترمذي وقال: حديث حسن، ورواه ابن حبان في صحيحه.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

الحزب ١٤

٥٣: **﴿وكذلك فتنّا بعضَهم ببعض﴾** ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضَهم ببعض، **﴿ليقولوا أهؤلاء مَنّ اللهُ عليهم من بيننا﴾** وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان غالب من اتّبعه في أوّل بعثته ضعفاء الناس من الرجال، ولم يتبعه من الأشراف إلّا القليل، والغرضُ: أنّ مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمَنَ مِن الضعفاء وكانوا يقولون: ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير ويَدَعُنا؟ كقولهم: ﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾، فقال في جوابهم: **﴿أليسَ اللهُ بأعلم بالشاكرين﴾**؟! أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم فيُوفقهم ويهديهم سبل السلام؟ ٥٤: **﴿وإذا جاءك الذين يُؤمنون بآياتنا فقُلْ سلامٌ عليكم﴾** فأكرمهم بردّ السلام عليهم وبشّرهم برحمة الله لهم، ولهذا قال تعالى: **﴿كتبَ ربُّكم على نفسِهِ الرحمة﴾** أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً، **﴿أنّه مَن عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تابَ مِن بعده وأصلح﴾** رجع عمّا كان عليه من المعاصي وأقلعَ، وعزمَ على أن لا يعود؛ **﴿فإنّه غفورٌ رحيم﴾** ٥٥: **﴿وكذلك نُفصِّلُ الآياتِ﴾** كما بيّنّا الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد **﴿كذلك نفصل الآيات﴾** التي يحتاج المُخاطبون إلى بيانها، **﴿ولتستبينَ سبيـلُ المجرمين﴾** ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل ٥٦: **﴿قُلْ إنّي نُهيتُ أن أعبُدَ الذين تدعون مِن دون الله﴾** [أي: من الأصنام]، **﴿قُلْ لا أتّبِعُ أهواءَكم﴾**، [أي فيما طلبتموه من عبادة غير الله] **﴿قد ضللتُ إذاً﴾**، [أي: إن اتبعتُ أهواءكم]، **﴿وما أنا مِن المهتدين﴾** ٥٧: **﴿قُلْ إنّي على بيّنةٍ من ربّي﴾** على بصيرة من شريعة اللهالتي أوحاها اللهُ إليّ **﴿وكذبتم به﴾** بالحق الذي جاءني من الله، **﴿ما عندي مَا تستعجلون به﴾** من العذاب **﴿إنِ الحكمُ إلّا لله﴾** إنّما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجّلَ لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجلكم، وله الحكمة في ذلك، ولهذا قال سبحانه **﴿يقُصّ الحقّ وهو خيرُ الفاصلين﴾** فهو خير مَن فصلَ القضايا والحكم ٥٨: **﴿قُلْ لو أنّ عندي ما تستعجِلُون به لَقُضيَ الأمرُ بيني وبينكم﴾** لو كان مرجع ذلك إليّ لأوقعتُ لكم ما تستحقونه من ذلك، **﴿واللهُ أعلمُ بالظالمين﴾** ٥٩: **﴿وعنده مفاتِحُ الغيبِ لا يعلمُها إلّا هو﴾** روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مفاتِحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلمهنّ إلّا الله: إنّ اللهَ عندَهُ علمُ الساعة، ويُنزِّلُ الغيثَ، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً، وما تدري نفسٌ بأيّ أرضٍ تموتُ، إنّ اللهعليمٌ خبيرٌ»، **﴿ويعلمُ ما في البَرِّ والبحر﴾** يُحيطُ علمُهُ الكريم بجميع الموجُودات، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء. **﴿وما تسقط من ورقةٍ إلّا يعلمها﴾** ويعلم الحركات من الجمادات والحيوانات، **﴿ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلّا في كتابٍ مبين﴾**.

الآية: ٥٤ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ الله كتبَ قبل أن يخلق الخلقَ: أنّ رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوقَ العرش» !! /مصابيح السنة ج٤ /١٧. وروى ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق، أخرج كتاباً من تحت العرش: أنّ رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة أو قبضتين فيُخرج من النار خلقاً لم يعملوا خيراً قط، مكتوب بين أعينهم: عتقاء الله» !! /ابن كثير ج٢ /١٣٦.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

٦٠: ﴿**وهو الذي يتوفّاكم بالّليل**﴾ يتوفى عبادَه في منامهم بالليل، وهذا هو التوفي الأصغر، كما قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفسَ حينَ موتِها والتي لم تمتْ في منامها فيمسِكُ التي قضَى عليها الموتَ ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مُسمّى﴾ فذكر تعالى في هذه الآية الوفاتين الكبرى والصغرى. ﴿**ويعلم ما جرحتُم بالنهار**﴾ ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، ﴿**ثم يبعثكم فيه**﴾ في النهار ﴿**لِيُقضىَ أجلٌ مُسمّى**﴾ يعني به أجل كل واحد من النّاس، ﴿**ثم إليه مرجعكم**﴾ يوم القيامة ﴿**ثم يُنبّئكم**﴾ فيُخبركم ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ ويجزيكم على ذلك إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً ٦١: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ وهو الذي قهرَ كلَّ شيءٍ وخضعَ لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيءٍ، ﴿**ويُرسِلُ عليكم حفظةً**﴾ من الملائكة يحفظون بَدَنَ الإنسان، وحفظة يحفظون عمله ويُحصونه، ﴿**حتى إذا جاءَ أحدَكم الموتُ**﴾ احتضر وحَانَ أجلُهُ ﴿**توفتْهُ رُسُلُنا**﴾ ملائكة موكّلون بذلك، قال ابن عباس: ملك الموت وأعوانه من الملائكة، ﴿**وهم لا يُفرّطُون**﴾ في حفظ روح المتوفّى، بل يحفظونها ويُنزلونها حيث شاء الله عزّ وجلّ ٦٢: ﴿**ثم رُدُّوا**﴾ الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله، كما قال تعالى: ﴿وحشرناهم فلم نغادرْ منهم أحداً﴾ إلى قوله: ﴿ولا يظلمُ ربُّكَ أحداً﴾ ولهذا قال: ﴿**مَوْلاهُمُ الحقِّ ألا له الحكم وهو أسرعُ الحاسبين**﴾ ٦٣: يقول تعالى مُمتّناً على عباده في إنجاء المضطرين منهم في ظلمات البر والبحر، حين يفردون الدعاء له وحده لا شريك له: ﴿**قُلْ مَن ينجيكم من ظلماتِ البرّ والبحرِ تدعُونَهُ تضرّعاً وخُفيةً لَئِنْ أنجانا مِن هذهِ لنكُوننَّ مِن الشاكرين**﴾ ٦٤: ﴿**قُلِ اللهُ يُنجيكم منها ومِن كلِّ كربٍ ثم أنتم تشركون**﴾ تدعون معه في حال الرفاهية آلهةً أخرى. ثم قال تعالى: ٦٥: ﴿**قُلْ هو القادرُ على أن يبعثَ عليكم عذاباً مِن فوقِكم أو مِن تحت أرجلكم**﴾ بعد إنجائه إيّاكم، روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿**قُلْ هو القادرُ على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعوذُ بوجهك»، ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾ قال: «أعوذُ بوجهك»، ﴿**أو يَلْبِسَكُم شِيَعاً ويُذيقَ بعضَكم بأسَ بعضٍ**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذه أهون وأيسر»، ﴿**انظرْ كيفَ نُصرِّفُ الآياتِ**﴾ نبيّنها ونوضحها ﴿**لعلّهم يفقهون**﴾ يفهمون عن الله آياته ٦٦: ﴿**وكذّبَ به**﴾ بالقرآن ﴿**قومُكَ**﴾ يعني قريشاً ﴿**وهو الحق**﴾ الذي ليس وراءه حقٌّ، ﴿**قُلْ لَسْتُ عليكم بوكيل**﴾ بحفيظ عليكم ولستُ بوكيل بكم ٦٧: ﴿**لكل نبأٍ مستقر**﴾ لكل خبر حقيقة ووقوع ولو بعد حين، ﴿**وسوف تعلمون**﴾، وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ ٦٨: ﴿**وإذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتِنا**﴾ بالتكذيب والاستهزاء ﴿**فأعْرِضْ عنهم حتى يَخوضُوا في حديثٍ غيرِهِ**﴾ حتى يأخذوا في كلام آخر غير التكذيب. ﴿**وإمّا يُنسِيَنَّكَ الشيطانُ**﴾ والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمّة أن لا يجلس مع الذين يحرّفون آيات الله، ﴿**فلا تقعُدْ بعدَ الذكرى**﴾ بعد التذكر ﴿**مع القوم الظالمين**﴾، ولهذا ورد في الحديث: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرِهُوا عليه».

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٦٩: **﴿وما على الذين يتّقون مِن حسابِهم مِن شيء﴾** إذا تجنّبوهم وأعرضوا عنهم، **﴿ولكن ذكرى لعلّهم يتّقون﴾** ولكنّ أمرنا بالإعراض عنهم حينئذٍ تذكيراً لهم عمّا هم فيه لعلّهم لا يعودون إليه ٧٠: **﴿وذرِ الذين اتخذُوا دِينَهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياةُ الدنيا﴾** دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلاً فإنهم صائرون إلى عذاب عظيم، ولهذا قال تعالى: **﴿وذكِّرْ بهِ﴾** ذكّرِ الناسَ بهذا القرآن وحذّرهم نقمة اللهوعذابه الأليم يوم القيامة، **﴿أن تُبسلَ نفسٌ بما كسبت﴾** لئلاّ تُفتضح وتُؤاخذ، **﴿ليس لها من دُونِ اللهِ وليّ ولا شفيع﴾** لا قريب ولا أحد يشفع فيها، **﴿وإن تَعْدِلْ كلَّ عدلٍ لا يُؤخذ منها﴾** ولو بذلتْ كلَّ مبذولٍ ما قُبِلَ منها، كقوله تعالى: ﴿إنّ الذين كفرُوا وماتُوا وهم كفارٌ فلنْ يُقبلَ مِن أحدِهم مِلءُ الأرضِ ذهباً﴾ الآية، وكذا قال سبحانه هنا: **﴿أولئك الذين أُبسِلُوا بما كَسَبُوا لهم شرابٌ مِن حميمٍ وعذابٌ أليمٌ بما كانُوا يكفرُون﴾** ٧١: **﴿قُلْ أندعُوا من دون الله ما لا ينفعُنَا ولا يضرُّنا ونردُّ على أعقابِنا﴾**؟ في الكفر **﴿بعدَ إذْ هَدَانَا اللهُ﴾**!! قال المشركون للمسلمين: اتّبعُوا سبيلنا واتركوا دينَ محمد فأنزل الله [هذه الآية]، **﴿كالذي اسْتَهْوَتْهُ الشياطين في الأرض حَيْرَانَ﴾** فيكون مثلنا مَثَلُ الذي استهوته الشياطين فحيّرته، **﴿له أصحابٌ يَدْعُونَهُ إلى الهدى ائتِنا﴾** وله أصحابه على الطريق فجعلُوا يدعونه إليهم ويقولون: ائتِنا فإنّا على الطريق؛ فأبَى أن يأتيَهم، فذلك مثلُ من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق، وهو الإسلام **﴿قُلْ إنّ هُدَى اللهِ هو الهُدَى﴾** كما قال تعالى: ﴿ومَنْ يَهْدِ اللهُ فما له مِن مُضِلٍ﴾، **﴿وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لربِّ العالمين﴾** نخلص له العبادة وحده لا شريكَ له ٧٢: **﴿وأنْ أقيمُوا الصلاةَ واتّقُوهُ﴾** وأُمِرْنا بإقامة الصلاة، وبتقواه في جميع الأحوال، **﴿وهو الذي إليه تُحشرون﴾** يوم القيامة ٧٣: **﴿وهو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقّ﴾** بالعدل، فهو خالقهما ومالكهما والمدبّر لهما ولمن فيهما، **﴿ويومَ يقولُ كُنْ فيكون﴾** يوم القيامة الذي يقول الله: كُنْ فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب. **﴿قولُهُ الحقُّ وله الملكُ يومَ يُنفخُ في الصور﴾**، وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن إسرافيلَ قد التقمَ الصورَ وحَنَى جبهتَهُ ينتظرُ مَتَى يُؤمَرُ فينفخُ». **﴿عالمُ الغيبِ والشهادةِ وهو الحكيمُ الخبير﴾**.

الآية : ٧٠ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يحقرْ أحدُكم نفسَهُ » قالوا : يا رسول الله كيف يحقِرُ أحدُنا ؟ قال : « يرى أمراً لله عليه فيه مقالٌ ثم لا يقول فيه . فيقولُ اللهُ عزّ وجلّ له يومَ القيامةِ : ما منَعَكَ أن تقولَ كذا وكذا ؟ فيقولُ : خشيةُ الناس . فيقول : فإيّاي كنت أحقَّ أن تخشى » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ج٢ /١٣٢٨ .

روى مالك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والظنّ فإنّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولاتجسّسُوا ولاتحسّسُوا، ولاتنافسُوا ولاتحاسَدُوا، ولاتباغَضُوا ولاتدابرُوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً» ورواه البخاري. /ابن كثير ج٤/٢١٢ - ٢١٣/

الآية : ٧١ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أبغضُ الناس إلى الله ثلاثةٌ : مُلْحِدٌ في الحرم ، ومُبتغٍ في الإسلام سُنّةَ الجاهلية ، ومُطَّلِبُ دمَ امرىءٍ بغير حقٍّ ليهريقَ دمَهُ » رواه البخاري في الديات /٩ .

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

٧٤: ﴿وإذْ قال إبراهيم لأبيه آزَرَ﴾ آزَرَ اسم الصنم، وأبو إبراهيم اسمه تارخ؛ كأنّه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم، **﴿أتتّخذُ أصناماً﴾** تقديره: يا أبتِ أتتخذُ آزرَ أصناماً آلهةً؟! وعظ إبراهيم أباه في عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه، فلم ينته، **﴿آلهةً﴾** أتتألَّهُ لصنم تعبده من دون الله **﴿إنّي أراكَ وقومَكَ﴾** السالكين مسلكك **﴿في ضلالٍ مبين﴾** تائهين لا يهتدون أين يسلكون **٧٥: ﴿وكذلك نُري إبراهيمَ ملكوتَ السمواتِ والأرضِ﴾** نُبيّن له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عزّ وجلّ في ملكه وخلقه، وأنّه لا إله غيره ولا ربّ سواه، **﴿وليكونَ مِن الموقنين﴾** ليكون عالماً وموقناً، فإنّه تعالى جَلّا لهُ الأمرَ سِرَّهُ وعلانيته فلم يخفَ عليه شيء حتى علم ما في ذلك من الحِكم الباهرة **٧٦: ﴿فلمّا جَنَّ عليه الليلُ﴾** تغشاه وستره **﴿رأى كوكباً﴾** نجماً **﴿قال هذا ربّي﴾**، [كان هذا في مُهلة النظر لمحاجّة قومه]، **﴿فلمّا أفلَ﴾** غابَ **﴿قال لا أُحبُّ الآفلين﴾** لأنّه علم أنّ ربّه دائم لا يزول **٧٧: ﴿فلمّا رأى القمرَ بازغاً﴾** طالعاً **﴿قالَ هذا ربّي فلمّا أفلَ قالَ لئِنْ لم يهدِني ربّي لأكوننّ مِن القوم الضالّين﴾** [أي: لئن لم يثبّتني على الهداية. وقد كان مهتدياً] **٧٨: ﴿فلمّا رأى الشمسَ بازغةً قال هذا ربّي﴾** هذا المنيرُ الطالع ربّي **﴿هذا أكبرُ﴾** جُرماً من النجم والقمر وأكثر إضاءةً **﴿فلمّا أفلتْ﴾** غابتْ **﴿قال يا قومِ إنّي بريءٌ مِمّا تُشركون﴾ ٧٩: ﴿إنّي وجهتُ وجهيَ للذي فطر السمواتِ والأرض حنيفاً وما أنا مِن المشركين﴾** أخلصتُ ديني وأفردتُ عبادتي للذي فطرَ السموات والأرض **﴿حنيفاً﴾** مائلاً عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: **﴿وما أنا مِن المشركين﴾ ٨٠: ﴿وحاجَّهُ قومه﴾** يُخبر تعالى عن إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد أنّه **﴿قال أتحاجّونّي في اللهِ وقد هَدَانِ﴾**؟! أتجادلونني في أمر الله وأنّه لا إله إلّا هو، وقد بصّرني وهداني إلى الحقّ وأنا على بيّنة منه فكيف ألتفتُ إلى أقوالكم الفاسدة؟! **﴿ولا أخافُ ما تشركون به إلّا أن يشاءَ ربّي شيئاً﴾** هذه الآلهة لا تؤثر شيئاً ولا أخافها ولا أُباليها، **﴿إلّا أن يشاء ربّي شيئاً﴾** هذا استثناءٌ منقطع، أي: لا يضرّ ولا ينفع إلّا اللهُ عزّ وجلّ، **﴿وسِعَ ربّي كلَّ شيءٍ علماً﴾** فلا تخفى عليه خافية **﴿أفلا تتذكّرُون﴾** فيما بيّنتُه لكم، أفلا تعتبرون أنّ هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها؟! **٨١: ﴿وكيفَ أخافُ ما أشركتم﴾** من هذه الأصنام **﴿ولا تخافُون أنّكم أشركتم بالله ما لم يُنزّلْ بهِ عليكم سُلطاناً﴾** حُجّة، **﴿فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمْنِ إنْ كنتم تعلمون﴾**؟! فأيّ الطائفتين أصوب الذي عبدَ مَن بيدِهِ الضرّ والنفع، أو الذي عبدَ مَن لا يضرّ ولا ينفع؟ فأيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟!

الآية: ٧٩ روى عبد الرزاق في قوله تعالى ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « بلّغوا عن الله، فمَنْ بَلَغَتْهُ آيةٌ من كتابِ الله فقد بلَغَهُ أمرُ اللهِ ». /ابن كثير ج٢ /١٢٦.

الآية: ٨١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يا أيها الناس إيّاكم وشرك السرائر » رواه ابن خزيمة في صحيحه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا: وما الشركُ الأصغر يا رسول الله؟ قال: « الرياء ». رواه أحمد بإسناد جيد /الترغيب ج١ /٦٨ و٦٧.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢: **﴿الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهم بظُلمٍ أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون﴾** لمّا نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على النـاس، فقـالوا: يا رسول الله: أيُّنا لم يظلم نفسَهُ؟ قال: «إنّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبدُ الصالح: (يا بنيّ لا تشركْ بالله إنّ الشرك لظلمٌ عظيـم)؛ إنّمـا هو الشـرك» ٨٣: **﴿وتلك حُجَّتُنا آتينـاها إبراهيم على قومه﴾** وجّهْنَـا حُجّتَه عليهم **﴿نرفعُ درجاتٍ مَن نشاء﴾**، [أي: بالعلم والفهم والإمامة والملك]، **﴿إنّ ربَّكَ حكيمٌ عليم﴾**؛ حكيمٌ في أقواله وأفعاله، عليمٌ بمَن يهديه ومَن يُضله ٨٤: **﴿ووهبنا له إسحـاقَ ويعقوبَ﴾** بعد أن طعن في السنّ وأيسَ هو وامرأتـه سـارة من الولد فجـاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحاق، كما قال تعالى: ﴿فبشرناه بإسحاق ومِن وراء إسحاق يعقوب﴾ وهذا أكمل في البشـارة؛ بأنّ له نسـلاً وعقباً. **﴿كُلاًّ هدينا ونوحاً هدينـا من قبـل﴾** من قبله هديناه كما هديناه. **﴿ومِن ذرّيّتـه﴾** وهدينـا من ذريّته **﴿داودَ وسـليمانَ وأيّوبَ ويوسفَ وموسى وهـارونَ وكذلك نجزي المحسـنين﴾** ٨٥: **﴿وزكريا ويحيَى وعيسـى وإلْيَـاسَ كلٌّ من الصـالحين﴾** [هؤلاء الأنبياء جميعاً مُضافون إلى ذريّة إبراهيم، وإن كان فيهم من لم تلحقه وِلادةٌ من جهتـه من جهة أب ولا أمّ؛ لأنّ لوطاً ابنُ أخي إبراهيم. والعرب تُسمّي العمَّ أباً] ٨٦: **﴿وإسماعيلَ والْيَسَعَ ويُونُسَ ولُوطاً وكلاًّ فضّـلنـا على العـالمين﴾** ٨٧: **﴿ومِن آبائهم وذريّاتهم وإخوانهم﴾** ذكرَ أصولَهم وفروعهم وذوي طبقـاتهم، وأنّ الهداية والاجتباء شملهم كلهم، ولهذا قال تعالى: **﴿واجتبيناهم وهديناهم إلى صراطٍ مستقيم﴾**، ثم قال تعالى: ٨٨: **﴿ذلك هُدَى اللهِ يهدِي بهِ مَن يشاءُ مِن عباده﴾** إنّما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إيّاهم، **﴿ولو أشركُوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يعملون﴾** تشديدٌ لأمر الشرك وتغليظ لشأنه، كقوله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركتَ ليحبطنّ عملُكَ﴾ الآية. وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ [وليس لله ولد، فأنا لا أعبد سواه أبداً] ٨٩: **﴿أولئك الذين آتيناهم الكتابَ والحُكمَ والنبوّةَ﴾** أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ولطفاً منّا بالخليقة، **﴿فإنْ يكفُرْ بها﴾** بالنبوّة **﴿هؤلاء﴾** أهلُ مكة **﴿فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾** المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة ٩٠: **﴿أولئك﴾ الأنبياء المذكورين ﴿الذين هدَى اللهُ﴾** هم أهل الهدى لا غيرهم **﴿فبهداهُمُ اقتدِهْ﴾** اقتدِ واتبعْ، وإذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأمته تبعٌ له. **﴿قُلْ لا أسألكم عليه أجراً﴾** لا أطلب منكم على إبلاغي إيّاكم هذا القرآن أجرةً، **﴿إن هو إلّا ذِكرى للعالمين﴾** يتذكّرون به فيُرشدوا من العمى إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

الآية : ٨٥ روى ابن أبي حاتم عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب الله ــ وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ حتى بلغ ﴿ ويحيى وعيسى ﴾ قال : بلى قال : أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب ؟ قال : صدقت . /ابن كثير ج٢ /١٥٥ .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

٩١: ﴿وما قَدَرُوا الله حقَّ قدرِه﴾ وما عظمُوا الله حقَّ تعظيمه إذْ كذّبُوا رسله إليهم؛ **﴿إذْ قالوا ما أنزلَ اللهُ على بشرٍ مِن شيء﴾** قال الله تعالى **﴿قُلْ﴾** يا محمد لهؤلاء المنكرين **﴿مَن أنزلَ الكتابَ الذي جاءَ بهِ موسى نُوراً وهُدىً للنّاس﴾** وهو التوراة، قد أنزلها اللهنوراً وهدىً لِيُستضاء بها في كشف المشكلات ويُهتدى بها من ظلم الشبهات، **﴿تجعلونه قراطيسَ تُبدونها وتُخفون كثيراً﴾** تجعلونها قِطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرّفون منها ما تحرّفون، وتقولون هذا من عند الله، **﴿وعُلّمتُم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** وهذه للمسلمين؛ أي: ومن أنزل القرآن الذي علّمكم اللهفيه ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباؤكم؟ **﴿قلِ الله﴾** قُلْ اللهُ أنزله، **﴿ثم ذَرْهم في خوضِهم يلعبون﴾** دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين، فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين؟! **٩٢: ﴿وهذا كتابٌ﴾** القرآن **﴿أنزلناه مباركٌ مُصدّقُ الذي بينَ يديه﴾** [أي: الكتب المنزلة قبله]، **﴿ولتنذِرَ أمَّ القرى﴾** مكة **﴿ومن حولها﴾** من أحياء العرب وسائر طوائف بني آدم من عرب وعجم، **﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾** كل مَن آمن باللهواليوم الآخر يُؤمن بهذا الكتاب المبارك وهو القرآن، **﴿وهم على صلاتهم يُحافِظون﴾** يقيمون ما فُرِضَ عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها **٩٣: ﴿ومَن أظلمُ مِمّنِ افترى على الله كذباً﴾**؟! لا أحدَ أظلم مِمّن كذبَ على الله فجعل له شركاء أو ولداً أو ادّعى أنّ الله أرسله إلى الناس ولم يرسله، **﴿أو قالَ أوحِيَ إليّ ولم يُوحَ إليه شيء﴾** نزلت في مسيلمة الكذاب **﴿ومَن قال سأُنزِلُ مثلَ ما أنزل الله﴾** ومن ادّعى أنّه يُعارض ما جاء من عند الله من الوحي مِمّا يفتريه من القول. **﴿ولو ترى إذِ الظالمون في غمرات الموت﴾** في سكراته وغمراته وكُرباته **﴿والملائكةُ باسِطُوا أيديهِم﴾** بالضرب، **﴿أخرجُوا أنفسَكم﴾** إنّ الكافر إذا احتُضِرَ تفرّقت روحه في جسده وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة قائلين لهم **﴿اليوم تُجزون عذابَ الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياتهِ تستكبِرُون﴾ ٩٤: ﴿ولقد جِئتمُونا فُرادى كما خلقناكم أوّلَ مرّة﴾**، يُقال لهم هذا يوم معادهم، **﴿وتركتم ما خوّلناكم وراءَ ظهوركم﴾** من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدنيا **﴿وما نرى معكم شُفعاءَكم الذين زعمتم أنّهم فيكم شركاء﴾**، هذا تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام ظانّين أنّها تنفعهم في معاشهم ومعادهم؛ **﴿لقد تقطّعَ بينكم﴾** شملكم **﴿وضلَّ عنكم ما كنتم تزعمون﴾** من رَجْوَى الأنداد كقوله تعالى: **﴿إذْ تبرّأَ الذين اتُّبِعُوا مِن الذين اتّبَعُوا ورأوا العذابَ وتقطعت بِهِمُ الأسباب. وقالَ الذين اتّبَعُوا لو أنّ لنا كرّةً فنتبرّأ منهم كما تبرّأوا مِنّا، كذلِكَ يُريهُمُ اللهُ أعمالَهم حَسَراتٍ عليهم وما هم بخارجين مِن النّار﴾**.

الآية: ٩١ روى الإمام أحمد عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «الإسلامُ علانيةٌ، والإيمانُ في القلب [قال: ثم يُشير بيده إلى صدره ثلاث مرّات ثم يقول]: التقوى هاهنا، التقوى هاهنا» وروى الإمام أحمد أنّه كان من دعائه ﷺ: «اللّهمّ حَبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيّنْهُ في قلوبنا، وكرِّهْ إلينا الكفر والفُسُوقَ والعصيان، واجعلنا من الراشدين». /ابن كثير ج٤/ ٢١٠/

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

٩٥: ﴿إنّ الله فَالِقُ الحَبِّ والنَّوى﴾ يشقُّهُ في الثرى فتنبتُ منه الزروع على اختلافها، فسّر هذا بقوله تعالى: **﴿يُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميّتِ﴾** يخرج النباتَ الحيَّ من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميّت، **﴿ذلِكُمُ اللهُ فأنّى تُؤفكون﴾** فاعِلُ هذا هو الله وحده لا شريك له فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل؟! **٩٦: ﴿فالِقُ الإصباحِ﴾** [أي: فالِقُ الصبح كل يوم]، **﴿وجعلَ الليلَ سَكَناً﴾** ساجياً مظلماً لتسكن فيه الأشياء، **﴿والشمسَ والقمرَ حُسْباناً﴾** جعلهما يجريان بحساب مُقنّنٍ مُقدّرٍ لا يتغيّر ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً، **﴿ذلكَ تقديرُ العَزيزِ العليم﴾**، الجميع جارٍ بتقدير العزيز الذي لا يُمانع ولا يخالف [أي: في قدره الكوني]، العليم بكل شيء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء **٩٧: ﴿وهو الذي جعلَ لكم النجومَ لتهتدوا بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ﴾**، قال بعض السلف: من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه: أنّ الله جعلها زينة للسماء، ورُجُوماً للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر. **﴿قد فصّلنا الآياتِ﴾** قد بيّناها ووضحناها **﴿لقوم يعلمون﴾** يعقلون ويعرفون الحقَّ ويتجنّبون الباطل **٩٨: ﴿وهو الذي أنشأكم مِن نفسٍ واحدةٍ﴾** آدم عليه السلام. **﴿فمستقرٌّ ومستودعٌ﴾** مستقرٌّ في الأرحام، ومستودع في الأصلاب، ومستقر في الدنيا، ومستودع حين يموت، **﴿قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون﴾** كلام اللهومعناه **٩٩: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً﴾** بقدرٍ مباركاً ورزقاً للعباد رحمةً من الله بخلقه **﴿فأخرجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ فأخرجنا منه خَضِراً﴾** زرعاً وشجراً أخضر، ثم بعد ذلك نخلق فيه الحبَّ والثمرَ، ولهذا قال تعالى: **﴿نخرج منه حبّاً متراكباً﴾** يركب بعضه بعضاً، **﴿ومن النّخل من طلعها قِنوان﴾** جمع قنو، وهي عذوق الرطب **﴿دانيةٌ﴾** قريبة من المتناول، وهي قِصار النخل، **﴿وجنّاتٍ من أعنابٍ﴾** ونخرج منه جنّات من أعناب، وهذان النوعان [أي: النخل والعنب] هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز. **﴿والزيتونَ والرمانَ مشتبهاً وغير متشابه﴾** متشابه في الورق والشكل ومتخالف في الثمار شكلاً وطعماً، **﴿انظروا إلى ثمرِهِ إذا أثمرَ وينعِهِ﴾** نضجه؛ أي: فكروا في قدرة خالقه **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يُؤمنون﴾** **١٠٠: ﴿وجعلوا للهِ شُركاءَ الجنَّ﴾** هذا ردٌّ على المشركين الذين أشركوا في عبادة الله الجنّ مع الأصنام فجعلوهم شركاء له في العبادة، **﴿وخلقهم﴾** وقد خلقهم فهو الخالق وحده لا شريك له، فكيف تُعبد معه؟! **﴿وخرقُوا له﴾** [أي: اختلقوا وافتعلوا] **﴿بنينَ﴾** وهم اليهود والنصارى، **﴿وبناتٍ﴾** وهم المشركون **﴿بغير علم﴾** كذباً وجهلاً، **﴿سبحانه وتعالى عمّا يصِفُون﴾** تقدّس وتنزّه عمّا يصفه هؤلاء الجهلة الضالّون **١٠١: ﴿بديعُ السمواتِ والأرضِ﴾** خالقهما ومنشئهما على غير مثال سابق، **﴿أنّى يكونُ له ولدٌ ولم تكنْ له صاحِبَةٌ وخلقَ كلَّ شيءٍ﴾** فكيف يكون ولدٌ أو صاحبة من خلقه وهو الذي لا نظير له؟! **﴿وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾**.

الآية: ٩٥ قال رسول الله ﷺ: « إن لله تسعاً وتسعين إسماً مائة إلا واحداً، مَنْ أحصَاها دخلَ الجنّة، وهو وتر يحب الوتر » أخرجاه في الصحيحين /ابن كثير ج٢/٢٦٩.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

١٠٢: ﴿ذلكُمُ اللهُ ربُّكم لا إلهَ إلّا هو خالقُ كلِّ شيءٍ فاعبُدوهُ﴾ الذي خلق كل شيء ولا ولدَ لهُ ولا صاحبة، [هو الربّ] فاعبدوه وحده لا شريك له. **﴿وهو على كلِّ شيءٍ وكيل﴾** حفيظ ورقيب يُدبّر كلَّ ما سواه يرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار **١٠٣: ﴿لا تُدركه الأبصار﴾** في الدنيا، ولا تدركه العقول، كما قال تعالى: ﴿ولا يُحيطون به علماً﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار والعقول. **﴿وهو يُدرِكُ الأبصارَ﴾** يُحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لأنّه خالقها، **﴿وهو اللطيفُ الخبير﴾**، اللطيفُ لاستخراجها، الخبير بمكانها **١٠٤: ﴿قد جاءكم بصائرُ مِن ربّكم﴾** بيّنات وحجج وهي التي اشتمل عليها القرآن **﴿فمَنْ أبصرَ فلنفسِهِ ومَن عَمِيَ فعليها﴾** إنّما يعود وباله عليه، **﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾** بحافظ ولا رقيب، إنّما أنا مُبلِّغ واللهُ يهدي من يشاء، ويُضلُّ مَن يشاء **١٠٥: ﴿وكذلك نُصرِّفُ الآيات﴾** من بيان التوحيد كما نُوضح الآيات ونُفسِّرها. **﴿وليَقولُوا دَرَسْتَ﴾** قرأتَ وتعلّمتَ [هذا من الغير]، [أي: فليقولوا بما شاؤوا فإنّ الحقَّ بيّن]، **﴿ولِنُبيّنَهُ لقومٍ يعلمون﴾** ولنوضحه لقوم يعلمون الحقَّ فيتّبعُونه **١٠٦: ﴿اتّبِعْ ما أُوحيَ إليكَ مِن ربِّكَ﴾** اقتدِ بهِ واقتفِ أثرَهُ واعملْ به، فإنه هو الحق الذي لا مِرْيةَ فيه، لأنّه من ربِّكَ الذي **﴿لا إلهَ إلّا هو، وأعْرِضْ عن المشركين﴾** احتمل أذاهم حتى يفتح اللهُ لك وينصرَكَ عليهم **١٠٧: ﴿ولو شاءَ اللهُ ما أشركوا﴾** بل له المشيئةوالحكمة فيما يشاؤه، [أي: لا يكون في الكون شيءٌ خارجاً عن مشيئته]، **﴿وما جعلناكَ عليهم حفيظاً﴾** تحفظ أقوالَهم وأعمالَهم **﴿وما أنتَ عليهم بوكيل﴾** مُوكّل على أرزاقهم وأمورهم، إنْ عليكَ إلّا البلاغ **١٠٨: ﴿ولا تَسُبُّوا الذين يدعون من دُون الله فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغير علم﴾**، قال المشركون يا محمد لتنتهينّ عن سبكَ آلهتنا أو لنهجونّ ربَّكَ، فأنزل اللههذه الآية. **﴿كذلك زيّنّا لكلِّ أُمّةٍ عملَهم﴾**، [أي: ابتلاءً واختباراً]. **﴿ثم إلى ربِّهم مرجعُهم فيُنبّئهم بما كانوا يعملون﴾**، فيجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشراً **١٠٩: ﴿وأقسمُوا باللهِ جَهْدَ أيمانهم﴾** إنّ المشركين حلفوا أيماناً مؤكّدة **﴿لئن جاءَتهم آيةٌ﴾**معجزة **﴿ليُؤمِنُنَّ بها﴾** ليصدقنّها، **﴿قُلْ إنّما الآياتُ عند الله﴾** قُلْ يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتاً وعناداً لا على سبيل الهدى؛ إنّما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء تركَكم. **﴿وما يُشعركم﴾** وما يُدريكم **﴿أنها إذا جاءتْ لا يُؤمنون﴾**؟ **١١٠: ﴿ونُقلّبُ أفئدتَهم وأبصارَهم كما لم يُؤمنوا بهِ أوّلَ مرّة﴾** نحول بينهم وبين الإيمان، ولو جاءتهم كلُّ آية فلا يُؤمنون، **﴿ونَذَرُهُم في طُغيانِهم يعمهون﴾** نتركهم في ضلالهم وكفرهم يتردَّدُون.

الآية: ١٠٨ قال ابن كثير: نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عن سبّ آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا أنّه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ كما جاء عن ابن عباس في هذه الآية قالوا: يا محمد لتنتهينّ عن سبك آلهتنا أو لنهجونّ ربّك، فنهاهم الله أن يسبُّوا أوثانهم.

ومن هذا القبيل: وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ما جاء في الصحيح أنّ رسول الله قال: « ملعون مَنْ سبَّ والديه » قالوا: يا رسول الله وكيف يسبُّ الرجل والديه ؟ قال: « يسبُّ أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمّه فيسبّ أمه ».

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

١١١: ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكةَ وكلّمهُمُ الموتى﴾ لو نزّلنا عليهم الملائكةَ تخبرهم بالرسالة من الله كما سألوا، وكلّمهم الموتى فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل، **﴿وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ قُبُلاً﴾** لو عرضنا عليهم كلَّ أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم به، **﴿ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء اللهُ﴾** إنّ الهداية إليهِ لا إليهم، بل يهدي مَن يشاء ويُضلُّ مَن يشاء، **﴿ولكنّ أكثرَهُم يَجْهلُون﴾ ١١٢: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوّاً شياطِينَ الإنسِ والجنِّ﴾** وكما لكَ يا محمد أعداء، لكل نبي من قبلك أيضاً أعداء، فلا يحزنك ذلك، **﴿يُوحِي بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرُوراً﴾** شياطين الجنّ يوحون إلى شياطين الإنس القولَ المزيّن المزخرف، وهو المُزوّق الذي يغترّ سامعه من الجهلة، **﴿ولو شاءَ ربُّكَ ما فعلوه﴾** وذلك كله بمشيئتِهِ، **﴿فَذَرْهُم وما يفترون﴾** فدعهم وما يكذبون، وتوكل على الله فإنّ الله كافيك وناصرك عليهم **١١٣: ﴿ولتَصْغِيَ إليه﴾** ولتميلَ إليه **﴿أفئدةُ الذين لا يُؤمنون بالآخرة﴾** قلوبهم وعقولهم، أي: قلوب الكافرين، **﴿وليَرضَوْهُ﴾** يحبُّوه ويريدوه وإنّما يستجيب لذلك [أي: لوحي الشياطين]، مَن لا يُؤمن بالآخرة، **﴿وليقترفُوا ما هم مُقترِفُون﴾** وليكتَسِبُوا ما هم مُكتسبون **١١٤: ﴿أفغيرَ اللهِ أبتغِي حَكَماً﴾** قل لهؤلاء المشركين: أفغيرَ اللهِ أبتغي حكماً بيني وبينكم **﴿وهو الذي أنزلَ إليكُمُ الكتابَ مفصّلاً﴾** مبيّناً؟ **﴿والذين آتيناهم الكتابَ﴾** مِن اليهود والنصارى **﴿يعلمون أنّه مُنزّلٌ مِن ربِّكَ بالحقِّ﴾** بما عندهم من البشاراتِ بكَ من الأنبياء المتقدِّمين، **﴿فلا تكونَنَّ مِن المُمتَرِين﴾**، [الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمتُهُ داخلةٌ فيه] **١١٥: ﴿وتمّتْ كلمةُ ربِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً﴾** صدقاً فيما قال وأخبر، وعدلاً فيما حكم وأمر، **﴿لا مُبدِّلَ لكلماتِهِ﴾** ليس أحد يعقب على حكمه تعالى في الدنيا ولا في الآخرة، **﴿وهو السميعُ﴾** لأقوال عباده **﴿العليمُ﴾** بحركاتهم وسكناتهم **١١٦: ﴿وإنْ تُطِعْ أكثرَ مَن في الأرض يُضِلُّوكَ عن سبيلِ اللهِ﴾** يخبر تعالى عن حال أكثر بني آدم أنّه ضلال، **﴿إنْ يتّبعُون إلّا الظنَّ وإنْ هم إلّا يخرصُون﴾** ليسُوا على يقين من أمرهم وإنّما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل **١١٧: ﴿إنّ ربَّكَ هو أعلمُ مَنْ يضِلُّ عن سبيلِهِ﴾** فيُيسِّرُهُ لذلك، **﴿وهو أعلمُ بالمهتدين﴾** فيُيسِّرُهم لذلك **١١٨: ﴿فكُلوا مِمّا ذُكر اسمُ اللهِ عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾**، هذا إباحةٌ مِن اللهِ لعباده أن يأكلوا من الذبائح ما ذُكِرَ عليه اسمه، ومفهومه أنه لا يُباح ما لم يُذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفارُ قريش من أكل الميتات وما ذُبح على النصب.

الآية: ١١٢ روى الإمام أحمد عن أبي ذر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد فجلست فقال: «يا أبا ذر هل صليت»؟ قلت: لا، قال: «قم فصل»، قال فقمت فصليت ثم جلست، فقال: «يا أبا ذر تعوّذ بالله من شر شياطين الإنس والجن»، قلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «نعم» وذكر تمام الحديث. وروى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال: «إنّ للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس». /تفسير ابن كثير ج٢ /١٦٧ .

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩: ﴿وما لكم ألّا تأكلوا مِمّا ذُكِرَ اسم اللهِ عليهِ وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم﴾ قد بيّن لكم ما حرّم عليكم ووضّحَهُ. **﴿إلّا ما اضطررتم إليه﴾** إلّا في حال الاضطرار فإنّه يباح لكم ما وجدتم. ثم بيّن تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة فقال: **﴿وإنّ كثيراً لَيُضِلُّون بأهوائهم بغير علم إنّ ربَّكَ هو أعلم بالمعتدين﴾** هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم **١٢٠: ﴿وذروا ظاهرَ الإثم وباطنه﴾** معصيته في السِّرِّ والعلانية. **﴿إنّ الذين يكسبُون الإثمَ سيجزون بما كانوا يقترفون﴾** سواء كان ظاهراً أو خفياً فإنّ الله سيجزيهم عليه **١٢١: ﴿ولا تأكلوا مِمّا لم يُذكرِ اسمُ الله عليه وإنّه لَفِسْقٌ﴾** استُدِلَّ بهذه الآية الكريمة أن الذبيحة لا تحِلُّ إذا لم يُذكرِ اسمُ اللهِ عليها، وإن كان الذابحُ مسلماً. **﴿وإنّ الشياطينَ لَيُوحُون إلى أوليائهم لِيُجادلوكم﴾** يقولون: ما ذبَحَ اللهُ فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه؛ تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون مِمّا قتل الله؟ **﴿وإنْ أطعتُموهم إنّكم لَمُشْركون﴾** حيث عدلتم عن أمر اللهلكم وشرعه إلى قول غيره فقدّمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿اتخذُوا أحبارَهم ورُهْبانَهم أرباباً مِن دُونِ اللهِ﴾، الآية. وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنّه قال: يا رسول الله ما عبدوهم، فقال: «بلى إنّهم أحلُوا هم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، فاتّبعوهم فذلك عبادتهم إيّاهم» **١٢٢: ﴿أوَمَنْ كانَ مَيْتاً فأحييناه﴾** هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً، أي: في الضلالة هالكاً، فأحياه الله بالإيمان، **﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾** يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرّف، والنور هو القرآن، **﴿كمَنْ مَثَلُهُ في الظلماتِ﴾** الجهالات والضلالات **﴿ليس بخارجٍ منها﴾** لا يهتدي إلى مُنقذٍ ولا مخلّص مِمّا هو فيه، **﴿كذلك زُيّنَ للكافرين ما كانوا يعملون﴾** حَسّنّا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قَدَراً مِن اللهِ وحكمة بالغة لا إلهَ إلّا هو **١٢٣: ﴿وكذلك جعلنا في كلِّ قريةٍ أكابرَ مُجْرِمِيها ليمكرُوا فيها﴾** وكما جعلنا في قريتكَ يا محمد أكابرَ من المجرمين ورؤساءَ ودعاةً إلى الكفر، وإلى عداوتك؛ كذلك كانت الرسل من قبلك يُبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة. **﴿وما يمكرون إلّا بأنفسهم وما يشعرون﴾** وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم مَن أضلوه إلّا على أنفسهم **١٢٤: ﴿وإذا جاءتهم آيةٌ قالوا لن نؤمنَ حتى نُؤتَى مِثلَ ما أُوتيَ رُسُلُ اللهِ﴾** إذا جاءتهم آية وحجّة قاطعة قالوا: لن نُؤمنَ حتى تأتينا الملائكةُ من الله بالرسالة، **﴿اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ﴾** هو أعلم حيث يضع رسالته ومَن يصلح لها من خلقه، **﴿سيُصيبُ الذين أجرمُوا صغارٌ عندَ اللهِ وعذابٌ شديدٌ﴾** وهذا تهديد ووعيد من اللهتعالى لمن تكبّر عن اتباع رسله، **﴿بما كانوا يمكرون﴾** فقوبلوا بالعذاب الشديد من اللهيوم القيامة جزاءً وِفاقاً، ولا يظلم ربُّكَ أحداً.

الآية : ١٢١ روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين أن ناساً قالوا : يا رسول الله ! إنّ قوماً يأتوننا باللحم لا ندري أذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه أم لا ؟ قال : « سَمُّوا عليه أنتم وكلوا » . /تفسير ابن كثير ج٢ /١٦٩ .

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

الحزب ١٥

١٢٥: ﴿فمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يهديَهُ يشرحْ صدرَهُ للإسلام﴾ يُيَسّرْهُ له ويُنشطه ويسهله لذلك، ويُوسع قلبه للتوحيد والإيمان به، فهذه علاماتٌ على الخير. **﴿ومَن يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يجعلْ صدرَهُ ضيقاً حرجاً كأنّما يَصَّعَّدُ في السماء﴾**، هذا مثلٌ ضربه الله لقلب الكافر في شدّة ضيقه عن وصول الإيمان إليه، فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأنّه ليس في وسعه وطاقته، **﴿كذلك يجعلُ اللهُ الرِّجسَ على الذين لا يُؤمنون﴾** كما جعلَ اللهُ صدرَ مَن أراد إضلاله ضيقاً حرجاً؛ كذلك يُسلّط اللهُ الشيطان عليه **١٢٦: ﴿وهذا صراط ربِّك مستقيماً﴾** هذا الدِّين الذي شرعناه لك يا محمد هو صراط ربِّك المستقيم **﴿قد فصّلنا الآياتِ لقومٍ يذّكّرون﴾** وضحناها وبيّناها لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله **١٢٧: ﴿لهم دارُ السلامِ عند ربّهم﴾** لهم الجنّة يوم القيامة، وإنّما وصف الله الجنّة هٰهنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم؛ فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام **﴿وهو وَليُّهم﴾** حافظهم وناصرهم، **﴿بما كانوا يعملون﴾** جزاء على أعمالهم الصالحة وأثابهم الجنّة بمنّه وكرمه سبحانه **١٢٨: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾** يعني الجنّ وأولياءهم من الإنس الذين كانوا في الدنيا يعوذون بهم ويُطيعُونهم ويُوحِي بعضُهم إلى بعض زُخْرُفَ القول غروراً **﴿يا معشرَ الجنِّ قد استكثرتم مِن الإنس﴾** من إغوائهم وإضلالهم، **﴿وقال أولياؤهم مِن الإنس﴾** لله مُجيبين عن ذلك **﴿ربَّنا استمتعَ بعضُنا ببعض﴾** بما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إيّاهم في استعانتهم بهم، **﴿وبلغنا أجلَنا الذي أجّلتَ لنا﴾** يعني الموت **﴿قالَ النارُ مثواكم﴾** مأواكم ومنزلكم أنتم وإيّاهم **﴿خالدين فيها إلّا ما شاءَ اللهُ إنّ ربَّكَ حكيمٌ عليمٌ﴾**. قال ابن عباس: إنّ هذه الآية آية لا ينبغي لأحدٍ أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنّةً ولا ناراً **١٢٩: ﴿وكذلك نولّي بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسِبُون﴾** كذلك نفعل بالظالمين نسلّط بعضَهم على بعض وننتقم من بعضهم ببعض جزاءً على ظلمهم وبغيهم **١٣٠: ﴿يا معشرَ الجنِّ والإنسِ ألم يأتِكم رُسُلٌ منكم يقُصُّون عليكم آياتي ويُنذِرُونكم لِقاءَ يومِكم هذا﴾**؟ هذا تقريعٌ من الله يقرّع به كافِري الجنّ والإنس يوم القيامة حيث يسألهم، **﴿قالوا شهدنا على أنفسِنا﴾** أقررنا أنّ الرسل قد بلّغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءَك، وأنّ هذا اليوم كائن لا محالة، قال الله تعالى: **﴿وغرّتهُمُ الحياةُ الدنيا وشهِدُوا على أنفسِهِم أنّهم كانوا كافرين﴾** وقد فرّطوا في حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل، وشهدوا على أنفسهم يوم القيامة أنهم كانوا كافرين في الدنيا **١٣١: ﴿ذلك أنْ لم يكُنْ ربُّكَ مُهْلِكَ القرى بظلمٍ وأهلُها غافِلُون﴾** لا نُؤاخذ أحداً بظلمه وهو لم تبلغه الدعوة، ولكن أعذَرنا إلى الأمم، وما عذّبنا أحداً إلّا بعد إرسال الرسل إليهم.

الآية: ١٢٥ إذا دخل نور الإسلام قلب الإنسان انشرحَ وانفسحَ، ولا يكن ذلك إلاّ لمن أناب إلى الله تعالى وأقبل على طاعته، واستعدّ للموت قبل أن ينزل إليه.

الآية: ١٣٠ قال ابن عباس: الرُّسُلُ من بني آدم، ومن الجنّ النُّذُر. [والنُّذر هم رُسُلُ الرُّسُل]. والدليل على أن الرسل إنّما هم من الإنس قوله تعالى: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده ﴾ — إلى قوله — ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقوله تعالى عن إبراهيم ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ =

وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٢: ﴿ولكلٍّ درجاتٌ مِمّا عمِلُوا﴾ ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله يُبلّغه الله إيّاها ويُثيبه بها إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً، **﴿وما ربُّكَ بغافلٍ عمّا يعملون﴾**، كل ذلك من عملهم يا محمد بعلم ربِّكَ ويحصيها لهم ليجازيهم عليها عند لقائهم إيّاه **١٣٣: ﴿وربُّكَ الغنيُّ ذُو الرحمة﴾** وربّكَ يا محمد غني عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو مع ذلك رحيمٌ بهم، **﴿إنْ يشأ يُذهِبْكم﴾** إذا خالفتم أمرَه **﴿ويستخلفْ مِن بعدكم ما يشاء﴾** قوماً آخرين يعملون بطاعته، **﴿كما أنشأكم من ذُرّيّةِ قومٍ آخرين﴾** هو قادر على ذلك كما أذهب القرون الأولى كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين. كما قال تعالى: ﴿إنْ يشأ يُذهِبْكم أيّها الناس ويأتِ بآخرين وكان اللهُ على ذلك قديراً﴾ **١٣٤: ﴿إنّ ما تُوعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين﴾** أخبرهم يا محمد أنّ الذي توعدون به من أمرِ المعاد كائنٌ لا محالة، وأنتم لا تُعجزون الله بل هو قادرٌ على إعادتكم **١٣٥: ﴿قُلْ يا قومِ اعملوا على مكانتكم إنّي عاملٌ فسوف تعلمون﴾** هذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ؛ أي: استمرُّوا على طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنّكم على هدىً، فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي، **﴿فسوف تعلمون مَن تكون له عاقِبَةُ الدارِ إنّه لا يُفلِحُ الظالمون﴾** أتكون لي أو لكم، وقد أنجز الله موعودَهُ لرسوله صلوات الله عليه، أي: فإنّه تعالى مكّنه في البلاد وحكّمَهُ في نواصي مخالفيه من العباد **١٣٦: ﴿وجعلوا للهِ مِمّا ذَرَأَ مِن الحرثِ والأنعامَ نصيباً﴾** هذا ذمٌّ وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بِدَعاً وكفراً وشِرْكاً؛ جعلوا لله شركاء؛ جعلوا مِمّا خلق من الزرع والأنعام جزءاً وقسماً، **﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصِلُ إلى الله وما كان للهِ فهو يصِلُ إلى شركائهم﴾**، كانوا يُحرِّمون من أموالهم البَحِيرة والسائبة والوَصيلة والحام، فيجعلونه للأوثان ويزعمون أنّهم يُحرّمونهاقُربةً إلى الله، وكانوا إذا حَرَثُوا حرثاً أو كانت ثمرة جعلوا لله منه جزءاً وللوثن جزءاً. **﴿ساءَ ما يحكمُون﴾** ساء ما يقسمون؛ فإنّهم أخطأوا أولاً القسم، لأنّ اللهتعالى هو ربُّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكُهُ وخالقهُ وله الملك وكل شيء له **١٣٧: ﴿وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ مِن المشركين قتلَ أولادِهم شُركاؤهم﴾** وزيّنت الشياطين لهؤلاء قتلَ أولادِهم خشيةَ الإملاق وَوَأْدَ البناتِ خشيةَ العار. **﴿لِيُرْدُوهم﴾**، [أي: لِيُهلكوهم]، **﴿ولِيَلْبِسُوا عليهم دينَهم﴾**، [أي: ليشككوهم في دينهم الذي ارتضى لهم]، **﴿ولو شاءَ اللهُ ما فعلوه﴾** كان هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته كوناً، وله الحكمة التامة في ذلك فلا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون، **﴿فذرهم وما يفترون﴾** فدعهم وما هم فيه فسيحكم اللهُ بينكَ وبينهم.

= فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته . وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي أن رسول الله تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيّها الثقلان ﴾ أي الجن والإنس . /ابن كثير ج٢ /١٧٧ .

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

نصف الحزب ١٥

١٣٨: ﴿وقالُوا هذه أنعامٌ وحرثٌ حِجْرٌ﴾ احتجروها لآلتهم، **﴿لا يَطعمُها إلّا مَن نشاء بزعمهم﴾** يقولون: حرامٌ أن يطعم إلّا مَن شئنا، **﴿وأنعامٌ حُرّمتْ ظهورُها﴾** البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، **﴿وأنعامٌ لا يذكرون اسمَ اللهِ عليها افتراءً عليه﴾** على الله، وكذباً منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه، **﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾** **١٣٩: ﴿وقالوا ما في بُطونِ هذه الأنعامِ خالِصة لذكورنا﴾** اللَّبن، كانوا يُحرِّمونه على إناثهم ويشربه ذكرانُهم، **﴿ومحرّمٌ على أزواجنا﴾** وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، كان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تُركتْ فلم تُذبح، **﴿وإن يكن ميتةً فهم فيه شُركاءُ﴾** وإن كانت ميتةً أكله الرجال والنساء، **﴿سيجزيهم وصفَهم﴾** قولهم الكذب في ذلك، **﴿إنّه حكيمٌ﴾** في أفعاله وأقواله وشرعه، **﴿عليمٌ﴾** بأعمال عباده من خير وشر، وسيجزيهم عليها أتمّ الجزاء **١٤٠: ﴿قد خسِرَ الذين قتلُوا أولادَهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهُمُ اللهُ افتراءً على اللهِ﴾** قد خسِرَ الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وأمّا في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم، **﴿قد ضلُّوا وما كانوا مهتدين﴾** **١٤١: ﴿وهو الذي أنشأ جنّات معروشات وغير معروشات﴾** المعروشات الممسوكات مما عرش الناس، وغير المعروشات ما خرج في البرِّ والجبال من الثمرات، **﴿والنخلَ والزرعَ مختلفاً أُكله والزيتونَ والرّمانَ متشابهاً وغيرَ متشابه﴾** متشابه في المنظر وغير متشابه في المطعم، **﴿كلُوا من ثمره إذا أثمَرَ﴾** من رطبه وعنبه، **﴿وآتوا حقَّهُ يومَ حَصَادِهِ﴾** الزكاة المفروضة، يومَ يُكال ويُعلم كيله، من كل عشرة واحدٌ. روى الإمام أحمد وأبو داود عن جابر بن عبد الله أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرَ من كل جاذٍّ عشرةَ أوسق من التمر بقنوٍ يُعلّق في المسجد للمساكين. وهذا إسناده جيّدٌ قوي. **﴿ولا تُسرفُوا إنّه لا يُحبُّ المسرفين﴾** لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف. وهو نهيٌ عن الإسراف في كل شيءٍ. وفي صحيح البخاري تعليقاً [أي: ذكَرهُ بلا إسناد]: «كلُوا واشربُوا والبسُوا من غير إسراف ولا مَخيَلة» **١٤٢: ﴿ومِن الأنعام حَمُولَةً وفَرْشاً﴾** وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة، وهو ما تركبون، وفرشٌ، وهو ما تأكلون وتحلبون. **﴿كُلوا مِمّا رزقكم اللهُ﴾** من الثمار والزروع والأنعام، فكلّها خلقَها اللهُ وجعلها رزقاً لكم، **﴿ولا تتّبِعُوا خُطواتِ الشيطانِ﴾** طريقه وأوامره، **﴿إنّه لكم عدوٌّ مُبينٌ﴾** أيّها الناس، ظاهر العداوة لكم، كما قال تعالى: **﴿إنّ الشيطانَ لكم عدوٌ فاتّخِذُوهُ عدوّاً إنّما يدعُو حِزْبَهُ ليكونوا من أصحابِ السعيرِ﴾**.

الآية: ١٣٩ روى العوفي عن ابن عباس ﴿ وقالوا ما في بُطون هذه الأنعام ﴾ الآية. فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تُركت فلم تذبح وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء، فنهى الله عن ذلك. /ابن كثير ج٢ /١٨٠.

الآية: ١٤١ روى سعيد بن المسيب في قوله تعالى ﴿ ولا تسرفوا ﴾ قال: لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم، ثم اختار ابن جرير: أنه نهى عن الإسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى: ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقّه يوم حصاده ولا تسرفوا ﴾ أن يكون عائداً على الأكل، أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ الآية.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٣: ﴿ثمانية أزواجٍ مِنَ الضأنِ اثنين ومِنَ المعزِ اثنين قُلْ آلذَّكَرين حرّمَ أم الأنثيَيْن﴾ هذا بيانٌ لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرّمُوا من الأنعام، وجعلوها أجزاءً وأنواعاً بَحيرةً وسائبةً ووصيلةً وحَاماً وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعُوها، وأنّه تعالى لم يُحرِّم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلاً وركوباً وحمولة وحَلْباً وغير ذلك من وُجوه المنافع. **﴿أمّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين﴾** رَدٌّ عليهم في قولهم: ﴿ما في بطونِ هذه الأنعامِ خالصةٌ لذكُورنا ومُحرّمٌ على أزواجنا﴾، **﴿نبّئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين﴾** أخبروني عن يقين كيف حرّم اللهُ عليكم ما زعمتم تحريمه؟ **١٤٤: ﴿ومِنَ الإبلِ اثنين ومِنَ البقر اثنين﴾** فهذه أربعة أزواج، ﴿ومِنَ الضأنِ اثنين ومِنَ المَعزِ اثنين﴾، [أربعة أزواج أيضاً، فهي ثمانية أزواج]. **﴿قُلْ آلذَّكَرين حرّمَ أمِ الأنثيين﴾**؟ لم أحرّم شيئاً من ذلك، **﴿أمّا اشتملتْ عليه أرحامُ الأنثيين﴾**؟ هل يشتملُ الرحمُ إلّا على ذكر أو أنثى؟ فلِمَ تُحرِّمُون بعضاً وتُحِلُّون بعضاً؟! وكما قال سبحانه: ﴿نبّئوني بعلمٍ إنْ كنتم صادِقين﴾؟ كله حلال. **﴿أم كنتم شهداءَ إذْ وصّاكم اللهُ بهذا﴾**؟ تهكُّمٌ بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ما حرّموه من ذلك، **﴿فمنْ أظلمُ مِمّن افترى على الله كذباً لِيُضِلَّ الناسَ بغيرِ علمٍ﴾**؟ لا أحدَ أظلمُ منه، **﴿إنّ اللهَ لا يهدي القومَ الظالمين﴾ ١٤٥:** يقول تعالى آمراً عبدَهُ ورسولَهُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿قُلْ﴾** يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا ما رزقهم اللهُ افتراءً على الله **﴿لا أجدُ فيما أُوحِيَ إليّ محرّماً على طاعِمٍ يطعمه﴾** آكلٍ يأكله. أي: لا أجد شيئاً مِمّا حرّمتم حراماً سوى هذه [أي:] **﴿إلّا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنّه رِجْسٌ أو فسقاً أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بهِ﴾**، [أو فسقاً: معطوفٌ على المنصوب قبله، سمّى ما أُهلَّ لغيرِ اللهِ بهِ فسقاً لتوغله في باب الفسق]. **﴿فمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنّ ربَّكَ غفورٌ رحيمٌ﴾** مَن اضطر إلى أكل شيءٍ مِمّا حرّم الله وهو غير متلبّس ببغيٍ ولا عدوان؛ فإنّ اللهَ غفورٌ له رحيمٌ بهِ. وقوله تعالى: **﴿أو دماً مسفوحاً﴾** لولا هذه الآية لتتبّعَ الناس ما في العروق كما تتبعه اليهود. فاللحم الذي خالطه الدم لا بأسَ بهِ **١٤٦: ﴿وعلى الذين هَادُوا حرّمنا كلَّ ذي ظُفُرٍ﴾** حرّم الله على اليهود كل ذي ظُفُر وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع، كالإبل والنعام والأوز والبط. **﴿ومِنَ البقرِ والغنمِ حرّمنا عليهم شُحُومَهما﴾** الثرب وشحم الكليتين، **﴿إلّا ما حملتْ ظهُورُهما﴾** ما علق بالظهر من الشحوم، **﴿أوِ الحَوَايا﴾** وهي ما تحوي من البطن فاجتمع واستدار، وفيها الأمعاء. **﴿أو ما اختلطَ بعظمٍ﴾** إلا ما اختلط من الشحوم بعظم فقد أحللناه لهم، **﴿ذلك جزيناهم ببغيهم﴾** هذا التضييق ألزمناهم به مجازاةً على بغيهم، كما قال تعالى: ﴿فبظلمٍ من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيّباتٍ أُحِلّتْ لهم وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً﴾، **﴿وإنّا لصادقُون﴾** فيما أخبرناك يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم.

الآية: **١٤٥** روى مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « لعَنَ اللهُ مَنْ ذبَحَ لغيرِ الله، ولعن اللهُ من سرقَ منارَ الأرض، ولعن اللهُ مَنْ لعَنَ والديه، ولعنَ اللهُ مَن آوى محدثاً ». /مصابيح السنة ج٣/ ١٢٣.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٥

١٤٧: ﴿فإن كذّبوك﴾ يا محمد مخالِفُوك من المشركين واليهود ومَن شابههم **﴿فقلْ ربُّكم ذُو رحمةٍ واسعةٍ﴾** وهذا ترغيبٌ لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿ولا يُرَدُّ بأسُهُ عن القوم المجرمين﴾** ترهيبٌ لهم في مخالفتهم الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم. وكثيراً ما يُقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن **١٤٨: ﴿سيقولُ الذين أشركوا لو شاءَ اللهُ ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا مِن شيءٍ﴾** هذه شبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريمهم ما حرّمُوا، فإنّ الله قادرٌ على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر، فلم يغيّرْهُ؛ فدلّ على أنّه بمشيئته، ورضـــاه، ولهذا قـالوا: **﴿لو شـــاء الله ما أشركنا﴾**، **﴿كذلك كذّبَ الذين مِن قبلِهم﴾** بهذه الشبهة ضلّ من ضلّ قبل هؤلاء، وهي حجة داحضة، لأنّها لو كانت صحيحة لَما أذاقهم اللهُ بأسَهُ وأليمَ عقابه **﴿قُلْ هلْ عندكم مِن علمٍ﴾** بأنّ الله راضٍ عنكم فيما أنتم فيه؟ **﴿فتخرِجُوه لنا﴾** فتظهروه لنا؟ **﴿إنْ تتبعُون إلّا الظنَّ﴾** الوهم والخيال، **﴿وإن أنتم إلّا تخرُصُون﴾** تكذبون على الله فيما ادّعيتُمُوهُ **١٤٩: ﴿قُلْ﴾** لهم يا محمد **﴿فللّهِ الحُجّةُ البالغةُ﴾** له الحكمة البالغة في هداية مَن هدى وإضلال مَن ضلّ **﴿فلو شاءَ لهَدَاكم أجمعين﴾**، كما قال تعالى: ﴿ولو شاء ربُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرضِ﴾، ﴿ولا يـزالون مختلفين إلّا مَن رَحِمَ ربُّكَ ولذلك خلقهم﴾

١٥٠: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الذين يشهدون أنّ اللهَ حرّمَ هذا﴾ أحضروا شهداءكم على هذا الذي حرّمتمُوه، **﴿فإنْ شهِدُوا فلا تشهدْ معهم﴾** لأنّهم إنّما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً، **﴿ولا تتبعْ أهواءَ الذين كذّبُوا بآياتِنا والذين لا يُؤمنون بالآخرة وهم بربّهم يعدِلُون﴾** يشركون ويجعلون له عَديلاً **١٥١: ﴿قُلْ تعالَوْا أتْلُ ما حرّمَ ربُّكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً﴾** الآية، وهي من الآيات المحكمات. **﴿تعالَوْا أتلُ﴾** هلمُّوا أقصُّ عليكم وأخبركم بما حرّم ربّكم عليكم حقاً لا تخرّصاً ولا ظنّاً بل وحياً منه وأمراً من عنده، ﴿ألّا تشركوا بهِ شيئاً﴾، قال تعالى: ﴿إنّ اللهَ لا يغفر أن يُشرَكَ بهِ ويغفرُ ما دُون ذلك لمن يشاء﴾، **﴿وبالوالدَين إحساناً﴾** أوصاكم وأمركم أن تُحسِنُوا إليهما، وكثيراً ما يُقرن الله بين طاعته وبرّ الوالدين، **﴿ولا تقتلُوا أولادَكم مِن إملاقٍ نحنُ نرزقكم وإيّاهم﴾** كانوا [في الجاهلية] يقتلون أولادهم كما سوّلت لهم الشياطين، **﴿مِن إملاقٍ﴾** لا تقتلوهم خوفاً من الفقر **﴿نحن نرزقكم وإيّاهم﴾** بدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله. **﴿ولا تقربُوا الفواحِشَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ﴾** وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أحدَ أغيرُ مِن اللهِ! مِن أجلِ ذلك حرّمَ الفواحِشَ ما ظهرَ منها وما بطن». **﴿ولا تقتلوا النفسَ التي حرّمَ اللهُ إلّا بالحقِّ﴾**، وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يحِلُّ دَمُ امرىءٍ مسلم يشهد أن لا إلهَ إلّا الله وأنّي رسول الله إلّا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه لمفارق للجماعة»، **﴿ذلكم وصّاكم بهِ لعلّكم تعقِلُون﴾** هذا مِمّا وصّاكم به لعلّكم تعقلون عن الله أمرَهُ ونهيَهُ.

روى الحاكم في مسنده عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيكم يبايعني على ثلاث» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قل تعالوا أتل =

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ
عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٢: ﴿ولا تقربُوا مالَ اليتيمِ إلّا بالتي هي أحْسَنُ حتى يبلغَ أشدَّهُ﴾ حتى يحتلم. ولمّا أنزل الله هذه الآية اشتدّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله: ﴿يسألونك عن اليتامى قلْ إصلاحٌ لهم خيرٌ وإن تُخالطوهم فإخوانكم﴾، فخلطوا طعامهم بطعامهم. [وإلّا بالتي هي أحسنُ أي بما فيه صلاحُهُ وتثميرُه]. **﴿وأوفُوا الكيلَ والميزانَ بالقسط﴾** بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، **﴿لا نُكلِّفُ نفساً إلّا وسعها﴾** مَن اجتهد في أداء الحق وأخذه فأخطأ بعد بذل جهده فلا حرج عليه، **﴿وإذا قُلتُم فاعدِلُوا ولو كان ذَا قُربَى﴾** يأمرُ تعالى بالعدل في الفِعال والمقال على القريب والبعيد، **﴿وبعهدِ اللهِ أوفُوا﴾** وذلك بأن تطيعُوهُ فيما يأمركم وينهاكم، وتعملُوا بكتابه وسنّة رسوله، وذلك هو الوفاء بعهد الله، **﴿ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون﴾** تتعظُون وتنتهون عمّا كنتم فيه قبل هذا **١٥٣: ﴿وأنّ هذا صراطِي مستقيماً﴾** هذا القرآن **﴿فاتّبِعُوهُ ولا تتبِعُوا السُّبلَ فتفرّقَ بكم عن سبيله﴾** أمرَ اللهُ المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفُرْقة، وأخبرهم أنّه إنّما هلكَ مَن كان قبلهم بالمِراء والخصومات في دين الله، **﴿ذلكم وصّاكم بِهِ لعلّكم تتّقُون﴾ ١٥٤: ﴿ثم آتينا موسى الكتابَ تماماً﴾** لمّا أخبر تعالى عن القرآن عطف بمدح التوراة ورسولها موسى، وكثيراً ما يُقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى: ﴿ومِن قبله كتابُ موسى إماماً ورحمةً وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً﴾، **﴿تماماً على الذي أحْسَنَ وتفصيلاً﴾** آتيناهُ الكتابَ الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً لِما يُحتاج إليه في شريعته، **﴿وتفصيلاً لكلّ شيءٍ وهدىً ورحمةً لعلّهم بلقاءِ ربّهم يُؤمِنُون﴾ ١٥٥: ﴿وهذا كتابٌ أنزلنَاهُ مباركٌ فاتّبِعُوه واتّقُوا لعلّكم ترحمون﴾**، فيه الدعوة إلى اتباع القرآن، يُرغب سبحانه عباده بكتابه ويأمرهم بتدبّره والعمل به، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة، لأنّه حبل الله المتين **١٥٦: ﴿أن تقولوا إنما أُنزِلَ الكتابُ على طائفتين من قبلنا﴾** وهذا كتابٌ أنزلناه لئلّا تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا؛ يعني لينقطع عذركم، والطائفتين: اليهود والنصارى، **﴿وإنْ كُنّا عن دراستهم لغافلين﴾** وما كنّا نفهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشُغل عمّا هم فيه **١٥٧: ﴿أو تقولوا لو أنّا أُنزِلَ علينا الكتابُ لكنّا أهْدَى منهم﴾** وقطعنا تعلّلكم أن تقولوا لو أنّا أُنزلَ علينا ما أُنزل عليهم لكنّا أهدى منهم فيما أوتوه؛ **﴿فقد جاءكم بيّنةٌ من ربّكم وهُدىً ورحمةٌ﴾** فقد جاءكم القرآن العظيم فيه الهدى لِما في قلوبكم ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه، **﴿فمن أظلم مِمّن كذّبَ بآياتِ اللهِ وصدفَ عنها﴾** لم ينتفع بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصدَفَ عن اتباع آياتِ الله وصدَّ الناس عنها، **﴿سنجزي الذين يصدِفُون عن آياتنا﴾** الذين لا آمنوا بها ولا عملوا بها **﴿سوءَ العذابِ بما كانوا يصدِفُون﴾**.

= ما حرم ربكم عليكم ﴾ حتى فرغ من الآيات: ﴿ فمَن وفّى فأجرُهُ على الله ومَن انتقص منهنّ شيئاً فأدرَكَهُ اللهُ به في الدنيا كانت عقوبتُه، ومَن أخّرَ إلى الآخرة فأمره إلى الله إن شاء عذّبَهُ وإن شاء عفَا عنه ﴾، ثم قال صحيح الإسناد. /ابن كثير ج٢ /١٨٧ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

١٥٨: ﴿هل ينظرون إلّا أن تأتيَهُمُ الملائكةُ أو يأتِيَ ربُّك أو يأتِيَ بعض آياتِ ربّك﴾ يقول تعالى [هذا] متوعداً به الكافرين، وذلك كائنٌ يوم القيامة، **﴿يومَ يأتِي بعضُ آياتِ ربِّكَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً﴾**، وذلك قبلَ يوم القيامة كائنٌ من أمارات الساعة وأشراطها، وهو طلوع الشمس من مغربها، إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذٍ لا يُقبل منه، **﴿قُلِ انتظِرُوا إنّا منتظِرُون﴾** هذا تهديد شديد للكافرين ووعيدٌ أكيدٌ لمن سوّف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك **١٥٩: ﴿إنّ الذين فرّقُوا دينَهم وكانوا شِيَعاً لستَ منهم في شيءٍ﴾** نزلت في اليهود والنصارى، وكذلك أهل البدع والضلالات؛ فإنّ اللهقد برّأ رسولَهُ منهم، **﴿إنّماأمرهم إلى الله ثم ينبّئهم بما كانوا يفعلون﴾**، ثم بيّن لطفَهُ سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى: **١٦٠: ﴿مَن جاء بالحسنةِ فلَهُ عشْرُ أمثالها ومَن جاء بالسيّئة فلا يُجزَى إلّا مِثْلَها وهم لا يُظلمون﴾**، وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية، روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيما يرويه عن ربِّه عزّ وجلّ: «إنّ ربّكم عزّ وجلّ رحيمٌ؛ مَن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنةً، فإن عملها كُتِبتْ له عشراً إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة. ومَن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها [أي: خوفاً من الله] كُتِبَتْ له حسنة، فإن عملها كُتِبَتْ له واحدة، أو يمحُوها اللهُ عزّ وجلّ، ولا يهلك على الله إلّا هالك»، رواه البخاري ومسلم **١٦١: ﴿قُلْ إنّني هداني ربِّي إلى صراطٍ مستقيم﴾**، يخبر تعالى بما أنعمَ به على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم من الهداية إلى صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، **﴿ديناً قِيَماً﴾** قائماً ثابتاً **﴿مِلّةَ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾**. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي أُرسلتُ بحنيفيّة سمحة»، أصله في الصحيحين **١٦٢: ﴿قلْ إنّ صلاتي ونُسكي ومَحْيايَ ومَماتِي لله ربّ العالمين﴾** يأمر اللهتعالى نبيّه أن يُخبر المشركين الذين يعبدون غيره ويذبحون لغير اسمه أنّه مخالفٌ لهم في ذلك، فإنّ صلاته لله ونسكه، أي ذبحه، على اسمه **١٦٣: ﴿لا شريكَ لهُ وبذلكَ أُمِرْتُ وأنا أوّلُ المسلمين﴾** من هذه الأمة **١٦٤: ﴿قُلْ أغير الله أبغي ربّاً وهو ربُّ كلِّ شيءٍ﴾** قل يا محمد للمشركين: أغير اللهأطلب ربّاً سواه؟ وهو ربُّ كل شيء؛ أي: لا أتوكل إلّا عليه ولا أُنيبُ إلّا إليه، وفي هذه الآية الأمر بإخلاص العبادة للهوحده لا شريك. **﴿ولا تكسِبُ كلُّ نفسٍ إلّا عليها ولا تزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾** هذا إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، **﴿ثم إلى ربِّكم مرجعُكم فيُنبّئكم بما كنتم فيه تختلِفُون﴾** اعملوا على مكانتكم فستعرضون عليه، وينبّئنا وإيّاكم بأعمالنا وأعمالكم **١٦٥: ﴿وهو الذي جعلكم خلائفَ الأرض﴾** جعلكم تعمرونها خلفاً بعد سلف، **﴿ورفع بعضَكم فوقَ بعضٍ درجات﴾** فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق **﴿ليبلوَكم في ما آتاكم﴾** ليختبركم في الذي أنعمَ عليكم وامتحنكم به، **﴿إنّ ربَّكَ سريعُ العقاب﴾** ترهيبٌ لمن عصاه وخالف رسله، **﴿وإنّه لغفورٌ رحيم﴾** لمن والاه واتبع رُسُلَهُ.

الآية: ١٥٨ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها » . فذلك حين ﴿ لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ .

سورة الأعراف
ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ١٦

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

تفسير سورة الأعراف

١: ﴿**الٓمٓصٓ**﴾ قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة على ما يتعلّق بالحروف [المتقطعة في أوائل السور] **٢**: ﴿**كتابٌ أُنزِلَ إليكَ**﴾ هذا كتاب أنزل إليك من ربّكَ ﴿**فلا يكُنْ في صدرِكَ حَرَجٌ منه**﴾ لا تتحرّج به في إبلاغه، ﴿**لتنذرَ به**﴾ الكافرين، ﴿**وذكرى للمؤمنين**﴾ **٣**: ﴿**اتّبِعُوا ما أنزل إليكم من ربّكم**﴾ اقتفُوا آثارَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من ربِّكم، ﴿**ولا تتبعُوا مِن دُونهِ أولياءَ**﴾ لا تخرجوا عمّا جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم اللهإلى حكم غيره، ﴿**قليلاً ما تذكَّرُون**﴾ **٤**: ﴿**وكَمْ مِن قريةٍ أهلكناها**﴾ بمخالفة رسلنا فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة، ﴿**فجاءَها بأسُنا بَياتاً أو هم قائلون**﴾ فكان منهم من جاءَه بأسُ الله ونقمته ليلاً أو هم قائلون ــ من القيلولة وهي الاستراحة ــ وسط النهار، وكلا الوقتين وقت غفلة **٥**: ﴿**فما كان دعواهم إذْ جاءَهم بأسُنا إلّا أن قالوا إنّا كنّا ظالمين**﴾ فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلّا أن اعترفوا بذنوبهم وأنّهم حقيقون بهذا **٦**: ﴿**فَلَنَسْألَنَّ الذين أُرسِلَ إليهم وَلَنَسْألَنّ المرسَلِين**﴾ فيسألُ اللهُ الأممَ يوم القيامة عمّا أجابُوا رسله فيما أرسلهم به ويسأل الرسلَ أيضاً عن إبلاغ رسالاته **٧**: ﴿**فَلَنَقُصَّنَّ عليهم بعلمٍ وما كنّا غائبين**﴾ إنّه تعالى يُخبر عبادَه يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا، لأنّه تعالى الشهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عن شيء **٨**: ﴿**والوَزْنُ يومئذٍ الحقُّ**﴾ الوزن يوم القيامة حق، لا يظلم تعالى أحداً، ﴿**فمَن ثَقُلَتْ موازينُهُ فأولئك هُمُ المفلِحُون**﴾ **٩**: ﴿**ومَن خفّتْ موازينُهُ فأولئك الذين خَسِرُوا أنفسَهم بما كانوا بآياتِنَا يظلِمُون**﴾ [يُؤتى بالكافر فيُوضع عمله في كفّة الميزان فيخف وزنُهُ حتى يقع في النار] **١٠**: ﴿**ولقد مكنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش**﴾ يمتنّ اللهعلى عبيده فيما مكّنَ لهم من أنّه جعلَ الأرضَ قراراً، وجعلَ فيها رواسيَ وأنهاراً وجعل لهم فيها منازل، وأخرج لهم منها أرزاقهم، وجعل لهم فيها معايش أي مكاسب وأسباباً يكسِبُون بها، ﴿**قليلاً ما تشكرون**﴾ ومع هذا أكثرهم قليل الشكر على ذلك **١١**: ﴿**ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجُدوا لآدمَ فسجدوا إلّا إبليسَ لم يكنْ مِنَ الساجدين**﴾ يُنبّه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم ويُبيّن لهم عداوة عدوّهم إبليس وما هو منطوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه. وقوله تعالى: ﴿**ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم**﴾ خلقنا آدم ثم صوّرنا الذرية، وذكرَ [خلقَ آدم بالجمع] لأنّه أبو البشر.

الآية : ٥ قال ابن جرير : في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « ما هلك قومٌ حتى يُعْذَرُوا مِنْ أنفسِهم » وروى جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة قال : قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله : « ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم » قال : قلت لعبد الملك : كيف يكون ذاك ؟ قال فقرأ هذه الآية ﴿ فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلاّ أن قالوا إنّا كنّا ظالمين ﴾ .

الآية : ٨ــ٩ قال ابن كثير : والذي يوضع في الميزان يوم القيامة الأعمال وإن كانت أعراضاً إلاّ أن الله تعالى يقلبُها يومَ القيامة أجساماً .

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٢: ﴿قال ما منعكَ ألّا تسجدَ إذْ أمرتُكَ﴾، أنْ لا: لا هنا زيدت لتأكيد الجحد، المعنى: ما أحرجك وألزمك أن لا تسجد إذْ أمرتك؟ **﴿قال أنا خيرٌ منه﴾** هذا العذر أكبر من الذنب. نظرَ اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف وهو أنّ الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه. **﴿خلقتني من نارٍ وخلقته من طِينٍ﴾** أخطأ قبّحه الله في قياسه ودعواه أنّ النار أشرف من الطين، فإنّ الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، والطين محل النبات والنمو، والنار من شأنها الإحراق والطيش، ولهذا خان إبليسَ عنصرُه، ونفع آدم عنصرُهُ بالرجوع والإنابة والاستكانة والاستسلام لأمر الله، وطلب التوبة والمغفرة **١٣: ﴿قال فاهبِطْ منها﴾** من الجنّة والمنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى **﴿فما يكون لك أن تتكبّرَ فيها فاخرجْ إنّك من الصاغرين﴾** الذليلين الحقيرين **١٤: ﴿قال أنظرني إلى يوم يُبعثون﴾**، أجابه تعالى إلى ما سأل لِما له في ذلك من الحكمة والإرادة **١٥: ﴿قال إنّكَ من المنظَرين﴾** [أنظرَهُ إلى يوم القيامة؛ إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم] **١٦: ﴿قال فبما أغويتني﴾**، [احتج اللعين بقدر الله على أمره وشرعه]، **﴿لأقْعُدَنّ لهم صراطك المستقيم﴾** لأضلنّهم عن طريق الحق لئلا يعبدُوك **١٧: ﴿ثمّ لآتينّهم مِن بينِ أيديهم﴾** أشككهم في آخرتهم، **﴿ومِن خلفهم﴾** أرغبهم في دنياهم، **﴿وعن أيمانهم﴾** أشبّه عليهم أمر دينهم، **﴿وعن شمائلهم﴾** أُشهي لهم المعاصي. ولم يقل من فوقهم لأنّ الرحمة تنزل من فوقهم **١٨: ﴿قال اخْرُجْ منها مَذْمُوماً مدحُوراً﴾** أكّد عليه اللعنة والطرد، **﴿لَمَنْ تبِعَكَ منهم لأملأنّ جهنّمَ منكم أجمعين﴾**، [اللامُ لامُ القسم في **﴿لَمَنْ﴾** والجواب **﴿لأملأنّ جهنّم﴾**] **١٩: ﴿ويا آدمُ اسكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنّةَ فكُلا من حيثُ شئتُمَا ولا تقربَا هذه الشجرةَ فتكونَا مِن الظالمين﴾**، أباح تعالى لآدم وزوجه جميعَ ثمار الجنّة إلّا شجرةً واحدة **٢٠: ﴿فوسوسَ لهما الشيطانُ لِيُبدي لهما ما وُرِيَ عنهما من سوءاتهما﴾**، [أي: ما سُتر من عوراتهما، وكان عليهما نورٌ فزال فبدت لهما]، **﴿وقال﴾** كذباً **﴿ما نهاكما ربكما عن هذهِ الشجرة إلا أن تكونا مَلَكَين﴾** لئلا تكونا مَلَكين **﴿أو تكونا من الخالدين﴾** لئلا تكونا خالدَين **٢١: ﴿وقاسَمَهُمَا﴾** حلف لهما بالله **﴿إنّي لَكُما لِمن النّاصِحِين﴾** **٢٢: ﴿فدلّاهُمَا بغرور﴾**، [وكان آدم يظنّ أنّه لا يحلف أحدٌ بالله كذباً]، **﴿فلمّا ذَاقَا الشجرةَ بدتْ لهما سَوْءاتُهما﴾**، [أكلت حوّاء أولاً فلم يُصبْها شيء، فلمّا أكل آدم حلّت العقوبة؛ لأنّ النهي وردَ عليهما]، **﴿وطَفِقَا يخصِفَان﴾** كهيئة الثوب **﴿عليهما مِن ورق الجنة وناداهما ربُّهُما ألم أنهَكُمَا عن تِلْكُمَا الشجرةِ وأقلْ لكُمَا إنّ الشيطانَ لكما عدوٌّ مُبينٌ﴾**.

الآية: ٢١ روى ابن حبان في صحيحه عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصّدق، فإنّه مع البرّ، وهما في الجنّة، وإيّاكم والكذبَ، فإنّه مع الفجور، وهما في النّار». وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُطبع المؤمنُ على الخلال كلّها إلّا الخيانةَ والكذب». وروى أيضاً عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «كَبُرت خيانةً أن تحدّث أخاكَ حديثاً هو لك مصدِّق، وأنت له كاذب». /الترغيب ج٣/٥٩١ ـ ٥٩٥/

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

١٥٣

٢٣: ﴿ربَّنا ظلمنَا أنفسنَا وإن لم تغفرْ لنا وترَحمنا لنكوننّ مِنَ الخاسرين﴾ هذه الكلمات تلقاها آدم من ربّه [فاعترفا بالخطيئة وتابا] **٢٤: ﴿قال اهبِطُوا بعضُكم لبعضٍ عدوٌ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين﴾** قرار وأعمار مضروبة إلى آجال معلومة قد جرى بها القلم وأحصاها القدر **٢٥: ﴿قال فيها تحيَوْن وفيها تموتُون ومنها تُخرَجُون﴾** يُخبر تعالى أنّه جعل الأرض داراً لبني آدم مدّة الحياة الدنيا؛ فيها محياهم وفيها مماتُهم وقبورهم، ومنها نشورهم ليوم القيامة **٢٦: ﴿يا بني آدمَ قد أنزلنا عليكم لباساً يُواري سَوءَاتِكم وريشاً﴾** يمتنُّ تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، فاللباس ستر العورات، والريشُ والرياش وما يُتجمّلُ به ظاهراً. **﴿ولباسُ التقوى ذلك خيرٌ﴾** خشيةُ الله، والسمتُ الحسن في الوجه. **﴿ذلك مِن آياتِ اللهِ لعلّهم يذّكرون﴾ ٢٧: ﴿يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان﴾** الآية، يُحذّر الله تعالى من إبليس وقبيله مبيناً لهم عداوتَهُ القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام في سعيه في إخراجه من الجنّة، والتسبب في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه، وما هذا إلّا عن عداوةٍ أكيدة **٢٨: ﴿وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءَنا واللهُ أمرنا بها﴾** كان المشركون يطوفون بالبيت عُراةً يتأوّلون في ذلك أنّهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها، ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمرٍ من الله، فأنكر الله عليهم ذلك، **﴿قُلْ﴾** يا محمد لمن ادّعى ذلك **﴿إنّ اللهَ لا يأمر بالفحشاء﴾** هذا الذي تصنعونه فاحشةً منكرة والله لا يأمر بمثل ذلك، **﴿أتقولون على اللهِ ما لا تعلمون﴾**؟ أتسندون إلى الله ما لا تعلمون صحته **٢٩: ﴿قُلْ أمرَ ربّي بالقِسط﴾** بالعدل والاستقامة **﴿وأقيموا وجوهَكم عندَ كلِّ مسجدٍ وادعوه مخلصين له الدّين﴾** أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين؛ فإنّه تعالى لا يتقبل العملَ حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً من الشرك. **﴿كما بَدَأكم تعُودُون﴾** يحييكم بعد موتكم **٣٠: ﴿فريقاً هدى وفريقاً حقَّ عليهم الضلالة﴾** قدّر تعالى أنّ منهم شقياً ومنهم سعيداً. ثم علّلَ ذلك فقال: **﴿إنّهم﴾** [أي الفريق الذي حقّ عليهم الضلالة] **﴿اتخذُوا الشياطين أولياء من دُونِ الله﴾**، وفي صحيح مسلم أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قال: يقول الله تعالى: ﴿إني خلقتُ عبادي حُنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم﴾. **﴿ويحسبون أنّهم مهتدون﴾** يُخبر تعالى أنّ فريق الضلالة ضلَّ وهو يحسب أنّه مهتدٍ، [وذلك لشدّة تأثرهم بضلال الشياطين].

الآية: ٢٦ روى أحمد عن أبي مطر أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حَدَثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه مابين الرسغين إلى الكعبين، يقول: حين لبسه الحمد لله الذي رزقني من الرِّياش ماأتجمّلُ به في الناس، وأُواري به عورتي. فقيل: هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي؟ قال: هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة «الحمد لله الذي رزقني من الرِّياش ماأتجمّلُ به في الناس وأُواري به عورتي».

وروى الإمام أحمد قال: لبس أبو أمامة ثوباً جديداً فلما بلغ ترقوته قال: الحمد لله الذي كساني ماأُواري به عورتي وأتجمّل به في حياتي. ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استجدَّ ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته: الحمد لله الذي كساني ماأواري به عورتي وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الخَلِق فتصدق به؛ كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حياً وميتاً» رواه الترمذي. /تفسير ابن كثير ج٢/٢٠٧/

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

الحزب ١٦

٣١ : ﴿يا بني آدمَ خُذُوا زينتكم عندَ كلِّ مسجدٍ﴾ هذه الآية ردّ على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عُراةً. والزينةُ: اللباس. **﴿وكلوا واشربُوا ولا تُسرِفُوا﴾**، وروى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كلُوا واشربُوا والبسوا وتصدّقوا من غير مخيلة ولا سرف، فإنّ الله يُحِبُّ أن يرى نعمته على عبده»، **﴿إنّه لا يُحِبُّ المسرفين﴾** في الطعام والشراب **٣٢: ﴿قُلْ مَن حرّمَ زينةَ اللهِ التي أخرجَ لعبادهِ والطيّباتِ من الرزق﴾** رَدّ الله تعالى على مَن حرّم شيئاً من المآكل أو المشارب أو الملابس من غير شرعٍ من الله، **﴿قلْ هي للذين آمنوا في الحياةِ الدنيا﴾** هي مخلوقة لمن آمن بالله في الدنيا وإن شَرَكَهُم فيها الكفار حباً في الدنيا، فهي **﴿خالصة يوم القيامة﴾** لهم لا يشركهم فيها أحدٌ من الكفار؛ فإن الجنّة محرّمة على الكافرين. **﴿كذلك نُفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾ ٣٣: ﴿قُلْ إنّما حرّم ربِّيَ الفواحِشَ ما ظهرَ منها ما بطنَ والإثْمَ﴾** المعاصي **﴿والبغيَ﴾** على الناس **﴿بغيرِ الحقّ﴾** فحرّم اللهُ هذا وهذا، **﴿وأن تشرِكُوا بالله ما لَم ينزلْ بهِ سلطاناً﴾** تجعلوا له شركاء في عبادته **﴿وأن تقولُوا على الله ما لا تعلمون﴾** من الافتراء والكذب من دعوى أنّ له ولداً ونحو ذلك مِمّا لا علم لكم به **٣٤: ﴿ولكلِّ أمّةٍ أجلٌ فإذا جاء أجلهم﴾** لكل قرن وجيل ميقاتهم المقدّر لهم **﴿لايستأخرون ساعةً ولايستقدِمُون﴾**. ثم أنذر تعالى بني آدمَ أنّه سيبعث إليهم رُسلاً يقصُّون عليهم آياته فقال: **٣٥: ﴿يابني آدمَ إمّا يأتيَنّكم رُسُلٌ منكم يقُصُّون عليكم آياتي فمنِ اتقى وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾** فمن ترك المحرّمات وفعل الطاعات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون **٣٦: ﴿والذين كذّبُوا بآياتِنا واستكبروا عنها﴾** كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها، **﴿أولئك أصحابُ النّار هم فيها خالدون﴾** ماكثون فيها مكثاً مُخلّداً **٣٧: ﴿فمن أظلمُ ممّن افترى على اللهِ كذباً أوكذّب بآياته﴾**؟! لاأحد أظلم مِمّن افترى الكذب على الله أو كذّب بآياته المنزّلة، **﴿أولئك ينالُهُم نصيبُهُم من الكِتابِ﴾** ماوعدوا به من [العذاب بقدر كفرهم]، **﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾** يُخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تُفزعهم عند الموت، **﴿قالوا﴾** لهم **﴿أين ماكنتم تَدْعُون من دُونِ الله﴾**؟ أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؛ ادْعُوهم يُخلّصونكم مِمّا أنتم فيه **﴿قالوا ضلُّوا عنّا﴾** ذهبُوا عنّا فلا نرجوا نفعهم **﴿وشهدُوا على أنفسِهم﴾** أقرّوا واعترفوا على أنفسهم **﴿أنّهم كانوا كافرين﴾**.

الآية: ٣٣ روى مسلم في صحيحه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدّنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النّساء، فإنّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النّساء».

روى الإمام أحمد عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لاأحد أغير من الله فلذلك حرّم الفواحش ماظهر منها ومابطن، ولاأحد أحب إليه المدح من الله»، رواه البخاري ومسلم.

قال ابن كثير في قوله: ﴿والإثم والبغي بغير الحق﴾ قال: السّدّي أمّا الإثم فالمعصية، والبغي أن تبغي على النّاس بغير الحق، وقال مجاهد: الإثم المعاصي كلها وأخبر أن الباغي بغيه على نفسه وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبغي هو التعدي على الناس فحرّم الله هذا.

قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨: يقول تعالى مخبراً عمّا يقوله لهؤلاء المشركين: ﴿**قال ادْخُلوا في أُمم**﴾ من أمثالكم وعلى صفاتكم، ﴿**قد خلت من قبلكم**﴾ من الأمم السالفة الكافرة ﴿**من الجنّ والإنس في النار كلّما دخلتْ أمّةٌ لعنتْ أختها**﴾ كما قال تعالى: ﴿ثم يومَ القيامة يكفرُ بعضُكم ببعضٍ ويلعن بعضُكم بعضاً﴾، ﴿**حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً**﴾ اجتمعوا فيها كلهم ﴿**قالتْ أُخراهم لأُولاهم**﴾ أخراهم دخولاً وهم الأتباع لأولاهم وهم المتبوعون ﴿**ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتِهم عذاباً ضعفاً مِن النار**﴾ أضعف عليهم العقوبة، ﴿**قال لكلٍّ ضعفٌ ولكن لا تعلمون**﴾ قد فعلنا ذلك وجازينا كلاً بحسبه **٣٩**: ﴿**وقالت أولاهم لأخراهم**﴾ قال المتبوعون للأتباع، ﴿**فما كان لكم علينا من فضل**﴾ فقد ضللتم كما ضللنا، ﴿**فَذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكسِبُون**﴾ **٤٠**: ﴿**إنّ الذين كذّبُوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفتّحُ لهم أبوابُ السماء**﴾ لا يُرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء. ولا تُفتّح لأرواحهم أبواب السماء -أي: بعد موتهم- ﴿**ولا يدخلون الجنّةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط**﴾، [والجمل لا يلِجُ، فلا يدخلونها ألبتّةَ]، ﴿**وكذلك نجزي المجرمين**﴾ **٤١**: ﴿**لهم من جهنّم مِهادٌ**﴾ فراش ﴿**ومن فوقهم غواش**﴾ لِحَاف ﴿**وكذلك نجزي الظالمين**﴾ **٤٢**: ﴿**والذين آمنُوا وعملوا الصالحات**﴾ لمّا ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر حال السعداء، ﴿**لا نُكلّفُ نفساً إلّا وسعها أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون**﴾ **٤٣**: ﴿**ونزعنا ما في صُدُورهم مِن غِلٍّ تجري من تحتهم الأنهار**﴾ مِن حسدٍ وبُغض، كما في صحيح البخاري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا خلصَ المؤمنون مِن النارِ حُبسُوا على قنطرة بين الجنّة والنّار، فاقتُصَّ لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذِنَ لهم في دخول الجنّة، والذي نفسي بيده إنّ أحدَهم بمنزلِهِ في الجنّة أدلُّ منه بمسكنهِ كان في الدنيا». وإنّ أهل الجنّة إذا سِيقُوا إلى الجنّة وجدوا عند بابها شجرةً في أصل ساقها عينان فشربوا من إحداهما، فيُنزع ما في صدورهم من غِلٍّ، فهو الشرابُ الطهور. ﴿**وقالوا الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله لقد جاءتْ رُسُلُ ربِّنا بالحق، ونُودُوا أن تِلكُمُ الجنّة أورثتُموها بما كنتم تعملون**﴾، روى النسائي وابن مردويه أنّ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُّ أهلِ الجنّة يرى مقعدَهُ مِن النّار، فيقولُ: لولا أنّ اللهَ هداني!؟ فيكونُ له شكراً. وكلُّ أهلِ النّار يرى مقعدَهُ مِن الجنّة، فيقولُ: لو أنّ الله هداني، فيكونُ له حسرة»، ولهذا لمّا أُورِثُوا مقاعد أهل النار مِن الجنّة نُودُوا ﴿**أنْ تِلكُمُ الجنّة أُورثتمُوها بما كنتم تعملون**﴾ بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنّة.

الآية: ٤٠ روى ابن جرير عن البراء أنّ الرسول ﷺ ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يُصعد بها إلى السماء، فيصعدون بها فلايمرّ على ملأ من الملائكة إلّا قالوا: ماهذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بأقبح أسمائه التي كان يُدْعَى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بَابَها له فلايُفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لاتُفَتَّحُ لهم أبواب﴾ الآية. هكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه النسائي وأبو داود. /ابن كثير ج٢/٢١٣/.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

الحزب ١٦

٤٤: ﴿ونادَى أصحابُ الجنّةِ أصحابَ النّارِ﴾ يُخبر تعالى بما يُخاطب به أهل النار على وجه التقريع والتوبيخ؛ **﴿أن قد وجدنا ما وَعَدَنا ربُّنا حقّاً فهل وجدتم ما وَعَدَ ربُّكم حقّاً قالوا نعم﴾** قالوا لهم: قد وجدنا ما وَعَدَنا ربُّنا حقاً. **﴿فأذّن مُؤذّنٌ بينهم﴾** أعلمَ مُعلّم ونادَى مُنادٍ **﴿أنْ لعنةُ اللهِ على الظالمين﴾** مستقرة عليهم، ثم وصفهم بقوله: **٤٥: ﴿الذين يصدُّون عن سبيل الله ويبغُونها عِوَجاً﴾** يصدُّون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه **﴿وهم بالآخرة كافرون﴾** وهم بلقاء الله في الآخرة جاحدون مُكذِّبون **٤٦: ﴿وبينهما حجابٌ وعلى الأعرافِ رجالٌ﴾** الحجابُ هو السُّور الذي قال الله تعالى: **﴿فضُرب بينهم بسورٍ له بابٌ باطِنُهُ فيه الرحمة وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذاب﴾** وهو الأعراف الذي قال الله تعالى: **﴿وعلى الأعرافِ رجالٌ يَعْرِفُون كُلاًّ بسيماهم﴾** وأصحابُ الأعراف: هم قوم تجاوزت بهم حسناتُهم النّارَ، وقعدت بهم سيّئاتُهم عن الجنّة. **﴿يعرِفُون كلاً بسيماهم﴾** يعرفون أهلَ الجنّة ببياض الوجوه، وأهلَ النّار بسواد الوجوه، ويتعوّذون بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، **﴿قالوا ربَّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾**، **﴿ونادَوْا أصحابَ الجنّةِ أنْ سلامٌ عليكم لم يَدْخُلُوها وهم يطمعُون﴾**، وما جعل اللهُ ذلك الطمع في قلوبهم إلّا لكرامةٍ يُريدُها بهم **٤٧: ﴿وإذا صُرِفتْ أبصارُهم تلقاءَ أصحابِ النارِ قالوا ربَّنا لا تجعلنا مع القومِ الظالمين﴾**، إذا رأوا وجوههم مُسودّة وأعينهم مزرقّة قالوا ذلك **٤٨: ﴿ونادَى أصحابُ الأعرافِ رجالاً يعرِفُونهم بسيماهم﴾** أنّهم من أهل النار **﴿قالوا ما أغنَى عنكم جمْعُكم﴾** كثرتكم، **﴿وما كنتم تستكبِرون﴾** لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله **٤٩: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالُهُمُ اللهُ برحمةٍ﴾** هذا قول الله تعالى لأهل التكبر من أهل النار [عن أهل الأعراف، ثم يقول تعالى لهم] **﴿ادْخُلُوا الجنّةَ لا خَوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ ٥٠: ﴿ونادَى أصحابُ النّارِ أصحابَ الجنّةِ أنْ أفيضُوا علينا مِن الماءِ أو مِمّا رزقكم اللهُ﴾** يستطعمونهم ويستسقونهم، **﴿قالوا إنّ اللهَ حرّمهما على الكافرين﴾** يعني طعام الجنّة وشرابها **٥١:** ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدِّين لهواً ولعباً فقال: **﴿الذين اتخذُوا دِينَهم لهواً ولعباً وغرّتْهُمُ الحياةُ الدنيا فاليومَ ننساهم كما نَسُوا لِقاءَ يومِهِم هذا﴾** يُعاملهم معاملة من نسيهم، أي: تركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا، **﴿وما كانوا بآياتِنا يجحدُون﴾**.

الآية: ٤٤ روى النسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل الجنة يرى مقعدَهُ من النّار، فيقول: لولا أنّ الله هداني، فيكون له شكراً، وكل أهل النّار يرى مقعدَهُ من الجنّة فيقول: لو أنّ الله هداني، فيكون له حسرة». ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النّار من الجنّة نُودُوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون، أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوّأتم منازلكم بحسب أعمالكم. وإنّما وجب الحمل على هذا لِما ثبتَ في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «واعلموا أنّ أحدكم لن يُدْخِلَهُ عملُهُ الجنّةَ» قالوا: ولا أنتَ يارسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني اللهُ برحمةٍ منه وفضل».
/ابن كثير ج٢/٢١٥/

الآية: ٥٠ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو موسى الصغار في دار عمرو بن مسلم قال: سألت ابن عباس أو سئل: أيّ الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة الماء، ألم تسمع إلى أهل النّار لما استغاثوا بأهل الجنّة قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله».

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢: يُخبر تعالى عن إعذاره إلى المشركين بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي به **﴿ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناه على علمٍ هدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون﴾** **٥٣**: **﴿هلْ ينظرون إلا تأويله﴾** ما وُعِدُوا به مِن العذاب **﴿يومَ يأتي تأويله﴾** يوم القيامة **﴿يقولُ الذين نَسُوه من قبل﴾** تركوا العمل به وتناسَوْهُ في الدنيا، **﴿قد جاءت رسلُ ربّنا بالحقّ فهلْ لنا من شُفعاءَ فيشفعوا لنا﴾** في خلاصنا مِمّا صرنا إليه مِمّا نحن فيه **﴿أو نُرَدُّ﴾** إلى الدنيا **﴿فنعملَ غيرَ الذي كنّا نعملُ﴾**؟ **﴿قد خسِرُوا أنفسَهم﴾** خسِرُوا أنفسَهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، **﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾** وذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله، فلا ينصرونهم ولا يُنقِذُونهم مِمّا هم فيه **٥٤**: **﴿إنّ ربَّكُمُ اللهُ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيام﴾** كل يوم كألف سنة [لتفخيم خلق السموات والأرض]، **﴿ثم استوى على العرشِ يُغشِي الليلَ النهار﴾** [سُئل الإمام مالك عن الاستواء، فقال: الاستواء معلم –أي: في اللغة– والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة]. **﴿يُغشي الليلَ النهارَ﴾** يذهب ظلامُ هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، **﴿يطلبهُ حثيثاً﴾** وكلٌّ منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً أي سريعاً لا يتأخر عنه. **﴿والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بأمرِه﴾** الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته، ولهذا قال منبّهاً: **﴿ألا لهُ الخلقُ والأمرُ﴾** له الملك والتصرّف **﴿تباركَ اللهُ ربُّ العالمين﴾** [أي: تعالى وتعاظم وارتفع. وباسمه يُتبرّكُ ويُتيمّنُ] **٥٥**: **﴿ادْعُوا ربَّكم تضرُّعاً وخُفيةً﴾** أرشدَ تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم، **﴿تضرّعاً﴾** تذلّلاً واستكانة **﴿وخُفية﴾** بخشوع قلوبكم وصحة يقينكم بربوبيّته فيما بينكم وبينه لا جهاراً مِراءً. **﴿إنّه لا يُحبُّ المعتدين﴾** في الدعاء ولا في غيره. وروى أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون قومٌ يعتدون في الدعاء والطُّهور» **٥٦**: **﴿ولا تُفسِدُوا في الأرض بعدَ إصلاحِها﴾** نهى اللهُ تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضرّه بعد الإصلاح، ثم أمر تعالى بدعائه والتضرّع إليه: **﴿وادْعُوهُ خوفاً وطمعاً﴾** خوفاً من عقابه، وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب **﴿إنّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنين﴾** إنّ رحمتَه مُرصدة للمحسنين الذين يتّبعُون أوامره **٥٧**: **﴿وهو الذي يُرسلُ الرياحَ بُشْراً بينَ يَدَيْ رحمتِه﴾** لّما ذكر تعالى أنّه الخالق للسموات والأرض نبّه على أنّه قادر على ما يشاء وأنّه الرزاق وأنّه يُعِيدُ الموتَى يوم القيامة. و**﴿بُشراً﴾** منتشرةً **﴿بين يدي رحمته﴾** بين يدي السحاب الحامل للمطر، **﴿حتى إذا أقلّتْ سَحاباً ثِقالاً﴾** من كثرة ما فيها من الماء **﴿سُقناه لبلدٍ ميّتٍ﴾** إلى أرض مجدبة لا نبات فيها، **﴿فأنزلنا بهِ الماءَ فأخرجنا به من كلِّ الثمراتِ كذلِكَ نُخْرِجُ الموتَى لعلّكم تذكّرون﴾** كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها رمياً يوم القيامة؛ يُنزل الله تعالى ماءً فتنبت منه الأجساد في قبورها.

الآية: **٥٤** قوله تعالى: ﴿ألاَ لهُ الخَلْقُ والأمرُ﴾ روى ابن جرير عن عبدالعزيز الشامي عن أبيه وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يحمدِ اللهَ على ماعملَ من عملٍ صالحٍ، وحمد نفسَهُ فقد كفرَ وحبطَ عملُهُ، ومَنْ زعمَ أنّ اللهَ جعلَ للعباد من الأمر شيئاً – أي من أمر الخَلْقِ والإيجاد – فقد كفر بما أنزل الله» قال الله: ﴿ألاَ له الخلقُ والأمرُ﴾ وفي الدعاء المأثور: «اللهم لك المُلْكُ كلُّه، ولك الحمدُ كلُّه، وإليك يرجعُ الأمرُ كلُّه، أسألك من الخيرِ كلِّه وأعوذُ بك من الشرِّ كلِّه». /ابن كثير ج٢/٢٢١/

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

٥٨: ﴿والبلدُ الطيّبُ يخرُجُ نباتَهُ بإذنِ ربِّه﴾ الأرض الطيّبة يخرج نباتُها سريعاً حسناً، **﴿والذي خَبُثَ لا يخرجُ إلّا نكِداً﴾**، [النكدُ: العَسِرُ]، وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر. **﴿كذلك نُصرِّف الآياتِ لقومٍ يشكرون﴾**، [أي: نُصرّف الآيات في كل ما يحتاج إليه الناس، وخصّ الشاكرين لأنهم هم المنتفعون بذلك] **٥٩: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومِ اعبُدوا الله ما لكم مِن إلهٍ غيرِه إنّي أخاف عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ﴾** من عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به **٦٠: ﴿قال الملأُ مِن قومِهِ﴾** السادةُ والقادة منهم: **﴿إنّا لَنراكَ في ضلالٍ مبين﴾** في دعوتك إيّانا إلى ترك عبادة الأصنام **٦١: ﴿قال يا قومِ ليسَ بي ضلالة ولكنّي رسولٌ من ربِّ العالمين﴾** ما أنا ضال ولكن أنا رسولٌ من رب العالمين ربّ كل شيءٍ ومليكه **٦٢: ﴿أبلّغكم رسالاتِ ربّي وأنصحُ لكم وأعلمُ من الله ما لا تعلمون﴾** وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً ناصحاً عالماً بالله، لا يُدركهم أحدٌ من خلق الله في هذه الصفات **٦٣: ﴿أوَعجبتُم أنْ جاءكم ذكرٌ من ربِّكم على رجلٍ منكم﴾**؟ لاتعجبوا من هذا فإنّ هذا ليس بعجب أن يُوحي الله إلى رجل منكم رحمةً بكم وإحساناً إليكم **﴿لينذرَكم ولتتقوا﴾** نقمة الله ولاتشركوا به **﴿ولعلكم ترحمون﴾ ٦٤: ﴿فكذّبوه﴾** تمادُوا على تكذيبه **﴿فأنجيناه والذين معه﴾** وما آمن معه منهم إلّا قليل، **﴿في الفُلْكِ﴾** السفينة، **﴿وأغرقنا الذين كذّبُوا بآياتنا﴾** كما قال تعالى: **﴿مِمّا خطيئاتهم أغرقوا فأُدْخِلُوا ناراً﴾**، **﴿إنّهم كانوا قوماً عمين﴾** عن الحق لايُبصرونه ولايهتدون له **٦٥: ﴿وإلى عادٍ أخاهم هُوداً﴾** كما أرسلنا إلى قوم نوح نوحاً كذلك أرسلنا إلى عادٍ أخاهم هُوداً، والذين كانوا يأوون إلى العمد في البرِّ، كما قال تعالى: **﴿ألم ترَ كيف فعل ربُّكَ بعاد. إرمَ ذاتِ العماد. التي لم يُخلقْ مثلُها في البلاد﴾** وذلك لشدّة بأسهم وقوّتهم، **﴿قال ياقومِ اعبُدوا الله مالكم مِن إلهٍ غيرُهُ أفلا تتقون﴾**؟ **٦٦: ﴿قال المَلأُ الذين كفروا مِن قومِهِ﴾** السادة والقادة منهم **﴿إنّا لنَراك في سفاهةٍ﴾** في ضلالة حيث تدعونا إلى ترك عبادة الأصنام **﴿وإنّا لنظنّكَ مِن الكاذبين﴾**، [أي: فيما تدعونا إليه] **٦٧: ﴿قالَ يا قومِ ليسَ بي سَفَاهةٌ﴾** لستُ كما تزعمون **﴿ولكنّي رسولٌ مِن ربِّ العالمين﴾** بل جئتُكم بالحقّ من الله الذي خلق كل شيءٍ، فهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ.

الآية: ٥٨ روى البخاري: عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل مابعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقية قبلت الماء فأنبت الكلأ والعُشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنّما هي قِيعانٌ لاتُمسك ماءً ولاتُنبت كلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدَى اللهِ الذي أرسلتُ به»، ورواه مسلم.

الآية: ٦٢ جاء في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفرَ ماكانوا وأكثر جمعاً: «أيّها النّاس إنكم مسؤولون عنّي فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنّك قد بلّغتَ وأدّيتَ ونصحتَ فجعل يرفع أصبعَهُ إلى السماء وينكسها عليهم ويقول: «اللهم اشهدْ اللهم اشهدْ».

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

٦٨: ﴿أبلّغكم رسالاتِ ربّي وأنا لكم ناصحٌ مبين﴾ وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل؛ البلاغُ والنصحُ والأمانةُ **٦٩: ﴿أوَ عجبتم أنْ جاءكم ذكرٌ مِن ربِّكم على رجلٍ منكم ليُنذرَكم﴾** لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولاً من أنفسِكم ليُنذرَكم أيّامَ الله ولقاءَه بل احمدوه على ذاكم، **﴿واذْكُروا إذْ جعلكم خلفاءَ مِن بعدِ قومِ نوحٍ﴾** اذكروا نعمةَ الله عليكم في جعلكم من ذريّة نوحٍ الذي أهلك اللهُ أهلَ الأرض بدعوته لمّا كذّبوه، **﴿وزادَكم في الخلق بسطةً﴾** جعلكم أطول من أبناء جنسكم، **﴿فاذْكروا آلاءَ اللهِ﴾** نعمتَه ومنّتَه عليكم **﴿لعلّكم تُفلحون﴾ ٧٠: ﴿قالوا أجئتَنا لنعبُدَ اللهَ وحدَهُ ونذرَ ما كان يعبُدُ آباؤنا﴾**؟! يُخبر تعالى عن تمرّدِهم وطُغيانِهم وإنكارِهم على هُودٍ عليه السلام، **﴿فأتِنا بما تَعِدُنا إنْ كنتَ من الصادِقين﴾ ٧١: ﴿قال﴾** هودٌ **﴿قد وقعَ عليكم مِن ربِّكم رِجْسٌ وغضبٌ﴾** قد وجبَ عليكم بمقالتكم هذه **﴿رِجْسٌ﴾** [الرجسُ: العذاب] سخطٌ وغضب. **﴿أتجادلونني في أسماءٍ سمّيتُموها أنتم وآباؤكم﴾** أتحاجّونّي في هذه الأصنام التي سميتُموها أنتم وآباؤكم آلهةً وهي لا تضرّ ولا تنفع؟! **﴿ما نزّلَ اللهُ بها مِن سلطان﴾**، [أي: من حجّةٍ لكم في عبادتها]، **﴿فانتظِرُوا إنّي معكم مِن المنتظرين﴾** وهذا تهديدٌ ووعيدٌ لقومه، ولهذا عقّبه بقوله: **٧٢: ﴿فأنجيناه والذين معه برحمةٍ منّا وقطعنا دابرَ الذين كذّبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾** وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في القرآن بأنّه أرسل عليهم الريحَ العقيم **٧٣: ﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً﴾** ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمودٍ أخاهم صالحاً **﴿قال يا قومِ اعبدُوا اللهَ ما لكم مِن إلهٍ غيرُهُ﴾** فجميعُ الرسل يدعُون إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له، كما قال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أُمّةٍ رسولاً أنِ اعبدُوا اللهَ واجتنِبُوا الطاغوت﴾**. **﴿قد جاءتْكُم بيّنةٌ مِن ربِّكم هذه ناقةُ اللهِ لكم آيةً﴾** قد جاءتكم حجّةٌ من الله على صدق ما جئتكم به وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيَهُم بآية، واقترحُوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صمّاء عيّنوها بأنفسهم، فأخذ عليهم صالحُ عليه السلام العُهودَ والمواثيق لئن أجابَهم الله إلى سؤالهم، ليُؤمنُنّ به، فلمّا أعطوه على ذلك عُهودَهم، دعا اللهَ عزّ وجلّ، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة يحرّكُ جنينها بين جنبيها، وأقامت الناقة بعدما وضعتْ مدّةً تشرب من بئرها يوماً وتدعه لهم يوماً، وكانوا يشربُون لبنها يوم شربها، كما قال تعالى: **﴿هذه ناقةٌ لها شربٌ ولكم شربُ يومٍ معلوم﴾**، **﴿فذَروها تأكلُ في أرضِ اللهِ ولا تمَسُّوها بسوءٍ فيأخُذَكم عذابٌ أليمٌ﴾**.

الآية: ٧٠ عن ابن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مات وهو يدعو مِنْ دُونِ الله نِدّاً دخلَ النّار» رواه البخاري في كتاب التفسير. وروى مسلم عن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لقيَ اللهَ لايشركُ به شيئاً دخلَ الجنّةَ، ومَنْ لقيَهُ يُشركُ به شيئاً دخل النّار» صحيح مسلم رقم ٩٣/. وروى أحمد أنّ رسول الله ﷺ قال: «أخوفُ ماأخافُ عليكم الشّرك الأصغر» فسُئلَ عنه؟ فقال: «الرِّيَاء» المسند ج٥/٤٢٨ ـ ٤٢٩/.

الآية: ٧١ قال ابن كثير: وقد ذكر الله سبحانه صفةَ إهلاكهم في أماكن أُخر من القرآن بأنّه أرسل عليهم الريح العقيم ماتذر من شيء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم، كما قال في الآية الأخرى ﴿وأما عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية. سخّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القومَ فيها صرعى كأنّهم أعجازُ نخلٍ خاوية. فهل ترى لهم من باقية﴾ لمّا تمرّدوا وعتوا أهلكهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تذكره على أمّ رأسه فتثلغ رأسه حتى تبينه من بين جثته ولهذا قال تعالى: ﴿كأنّهم أعجاز نخلٍ خاوية﴾.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٧٤: **﴿واذكرُوا إذْ جعلَكم خُلفاءَ مِن بعدِ عـادٍ وبـوّأكم في الأرض﴾** [أي: منـازل] **﴿تتخِذُون مِن سُهولِها قُصُوراً وتنحِتُون الجبالَ بيُوتاً﴾**، [اتّخذُوا البيوتَ في الجبال لطول أعمارهم]، **﴿فاذكرُوا آلاءَ اللهِ ولا تَعْثَوْا في الأرضِ مفسدين﴾**، [وهذا يدل أنّ الله منعـمٌ على الكفـار] ٧٥: **﴿قال الملأُ الذين استكبَرُوا مِن قومِهِ للذين استُضْعِفُوا لِمَنْ آمنَ منهم﴾**: **﴿أتعلمون أنّ صـالحاً مرسلٌ من ربِّه﴾**؟! [هذا على طريق الاستهزاء والسخـريـة]، **﴿قـالوا إنّـا بمـا أُرسِـلَ بـهِ مؤمنون﴾** ٧٦: **﴿قال الذين استكبروا إنّا بالذين آمنتُم بهِ كافِرُون﴾**، [أجابوا بذلك تمرّداً وعُتوّاً] ٧٧: **﴿ فَعَقَرُوا النّاقةَ ﴾** إنّهم اتفقوا كلُّهـم على قتـلهـا حتى النسـاء، قال تعالى: ﴿فكذّبُوه فعقرُوها فَدَمْدَمَ عليهم ربُّهم بذنْبِهم﴾ الآية. **﴿وعَتَوْا عن أمرِ ربِّهم﴾**، [أي: استكبروا]، **﴿وقالُوا يا صالحُ ائتِنا بما تعِـدُنـا إنْ كنتَ مِن المرسَــلِين﴾** ٧٨: **﴿فـأخـذتهُمُ الرَّجفَـــةُ﴾**، [أي: الزلزلة الشديدة]، **﴿فأصبحُوا في دارهم جاثمين﴾**، [أي: صـاروا خامِدِين من العذاب] ٧٩: **﴿فتولّى عنهم وقال يا قومِ لقد أبلغتكم رسالةَ ربّي ونصحتُ لكم ولكن لا تُحِبُّون النّـاصِحِين﴾** هذا تقريعٌ من صـالح عليه السلام لقومه لّما أهلكهم الله بمخالفتهم إيّاه، وتمرّدهـم على الله، وإبـائهم عن قبول الحقّ، وإعراضهـم عن الهدى إلى العمى، **﴿لقد أبلغتكـم رسالةَ ربّي ونصحتُ لكم﴾** فلم تنتفِعُوا بذلك، لأنّكم لا تحبون الحقّ ولا تتبعون ناصحاً ٨٠: **﴿ولوطاً إذْ قال لقومِهِ﴾** ولوط هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان مع إبراهيم لّما هاجر إلى أرض الشام، فبعثه اللهُ إلى اهل سدوم وما حولها يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وينهاهم عن إتيان الذكور دون الإناث، **﴿قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها مِن أحدٍ مِن العَالَمِين﴾** هذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه حتى صنع ذلك أهلُ سَدُوم عليهم لعائن الله ٨١: قال لهم لوطٌ عليه السلام: **﴿إنّكم لتأتُون الرجالَ شهوةً مِن دُونِ النساء﴾** عدلتم عن النساء وما خلقَ لكم ربّكم منهنّ إلى الرجال، وهو إسرافٌ منكم وجهلٌ لأنّه وَضْعُ الشيء في غير محله، ولهذا قال لهم في الآية الأخرى، قال: ﴿هؤلاء بناتِي إن كنتم فاعلين﴾ أرشدهم إلى نسائهنّ، فاعتذروا إليه بأنّهم لا يشتهونهنّ، و﴿قالوا لقد علمتَ ما لنا في بناتِكَ مِن حقٍّ وإنّك لتعلم ما نُريد﴾.

الآية: ٧٩ جاء في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ لّما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثاً ثم أمر براحلته فشُدّتْ بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القليب قليب بدر فجعل يقول: «ياأبا جهل بن هشام، ياعُتبة بن ربيعة، ياشيبة بن ربيعة، ويافلان بن فلان: هل وجدتم ماوعد ربُّكم حقاً فإنّي وجدتُ ماوعدني ربي حقاً» فقال له عمر: يارسول الله ماتكلم من أقوام قد جيّفوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده ماأنتم بأسمعَ لما أقول منهم ولكن لايجيبُون».

الآية: ٨١ قال ابن كثير: لوط هو ابن هارون بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل علهما السلام وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وماحولها من القرى يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عمّا كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولاغيرهم، وهو إيتان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولاتألفه، ولايخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله. /ابن كثير ج٢/٢٣٠/

وروى المنذري في الترغيب والترهيب أحاديث كثيرة في تحريم إتيان الذكور، منها: قوله ﷺ: «إنّ أخوفَ ماأخاف على أمتي مِنْ عمل قومِ لوطٍ» رواه الترمذي وحسّنه، وابن ماجه والحاكم وصححه. وقوله ﷺ: «لعَنَ الله سبعةً من خلقه من فوق سبع سمواته، وردّدَ اللعنة على واحدٍ منهم ثلاثاً، ولعن كلَّ واحدٍ منهم لعنةً تكفيه؛ قال: ملعونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوط، =

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٢: **﴿وما كان جَوَابَ قومِهِ إلّا أنْ قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾** ما أجابُوا لُوطاً إلّا أنْ هَمُّوا بإخراجه ونفيه، ومَن معه من بين أظهرهم، فأخرجه الله تعالى، سالماً وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين، **﴿إنّهم أناسٌ يتطهرون﴾** عابوهم بغير عيب ٨٣: **﴿فأنجيناهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ كانتْ مِن الغابِرين﴾** إلّا امرأته فإنها لم تُؤمن به، بل كانت على دين قومها تُمالئهم عليه، ولم يُؤمن به أحدٌ منهم سوى أهل بيته فقط، كما قال تعالى: **﴿فأخرجنا مَن كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غيرَ بيتٍ مِن المسلمين﴾** ٨٤: **﴿وأمطرنا عليهم مطَراً﴾** هذا مُفسَّرٌ بقوله تعالى: **﴿وأمطرنا عليها حِجارةً مِن سجيلٍ منضودٍ. مسوَّمةً عندَ ربِّكَ﴾**، **﴿فانظُرْ كيفَ كان عاقِبةُ المجرمين﴾** انظر يا محمد كيف كان عاقبة من يجترىء على معاصي اللهعزّ وجلّ ويُكذِّب رسُلَهُ ٨٥: **﴿وإلى مَدْيَنَ أخاهم شُعيباً﴾** مَدْين قبيلة بقرب معان على طريق الحجاز، وهم أصحاب الأيكة، **﴿قال يا قومِ اعبدُوا اللهَ ما لكم من إلهٍ غيرُهُ﴾** ثم وعظهم فقال: **﴿قد جاءتكم بيِّنةٌ من ربِّكم فأوفُوا الكيلَ والميزانَ﴾** لا تخونوا الناس في أموالهم **﴿ولا تبخسُوا الناسَ أشياءَهم﴾** لا تأخذوها على وجه البخس، وهو نقص المكيال والميزان خِفيةً وتدليساً. **﴿ولا تُفسِدُوا في الأرض بعد إصلاحِها ذلكم خيرٌ لكم إن كنتُم مُؤمنين﴾** ٨٦: **﴿ولا تقعدُوا بكلِّ صِراطٍ تُوعِدُون﴾** نهاهم شعيبٌ عليه السلام عن قطع الطريق الحِسِّي والمعنوي، ولا تتوعدوا الناس بالقتل إن لم يُعطوكم أموالهم، ولا تتوعدوا المؤمنين **﴿وتصدُّون عن سبيلِ اللهِ مَن آمَنَ به وتبْغُونها عِوجاً﴾** تودُّون أن تكون سبيلُ الله عوجاءَ مائلةً، **﴿واذكروا إذْ كنتم قليلاً فكثركم﴾** كنتم مستضعفين لقلّتكم فصرتم أعزةً لكثرتكم، فاذكروا نعمةَ الله عليكم في ذلك، **﴿وانظُرُوا كيفَ كان عاقبةُ المفسدين﴾** من الأمم والقرون الماضية وما حلَّ بهم من العذاب ٨٧: **﴿وإن كان طائفةٌ منكم آمنوا بالذي أُرسلتُ به وطائفةٌ لم يُؤمنوا﴾** قد اختلفتم عليّ **﴿فاصبِرُوا﴾** فانتظروا **﴿حتى يحكمَ اللهُ بيننا﴾** وبينكم، أي: يفصِلُ، **﴿وهو خيرُ الحاكمين﴾**، فإنّه تعالى سيجعلُ العاقبةَ للمتقين، والدمارَ على الكافرين.

= ملعونٌ من عمِلَ عمَلَ قوم لوط، ملعون مَنْ عمِلَ عمَلَ قومِ لوط، ملعون مَنْ ذبَحَ لغير الله، ملعون من أتى شيئاً من البهائم، ملعون من عقَّ والديه، ملعون من جمع بين امرأةٍ وابنتها، ملعون من غيّرَ حدودَ الأرض، ملعون منِ ادّعى إلى غير مَوَاليه» رواه الطبراني والحاكم وإسناده حسن. وقال ﷺ: «أربعةٌ يُصبحون في غضب اللهِ ويُمسون في سخط الله: المُتشبِّهُون من الرجال بالنساء، والمتشبِّهات من بالنساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال» رواه الطبراني والبيهقي.

وجعل رسول الله ﷺ عقوبة الذي يعملُ عمَلَ قوم لوط القتل، فعن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعملُ عمَلَ قومِ لوطٍ فاقتلوا الفاعلَ والمفعولَ به» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي.

وروى أبو داود عن عبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أتى بهيمةً فاقتلُوهُ واقتلُوها معه» [ومن المعلوم لدى أطباء مكافحة مرض «الإيدز» الخطير، أنّه انتقل إلى الإنسان عن طريق ممارسة العملية الجنسية مع القردة في إفريقية، ثم انتشر هذا المرض عن طريق الزنا وعمل قوم لوط].

وروى أبو يعلى بإسناد جيّد عن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «استحيوا، فإنّ اللهَ لايستحيي من الحقِّ، ولاتأتُوا النساء في أدبارِهنّ». /الترغيب ج٣/٢٨٥ – ٢٨٩/

الجزء ٩
الحزب ١٧

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

٨٨: ﴿قال الملأُ الذين استكبروا مِن قومِهِ لنخرجنّكَ يا شعيبُ والذين آمنوا معكَ مِن قريتنا أو لتعُودُنّ في مِلتِنا﴾ هذا خبرٌ من اللهتعالى عمّا واجهت به الكفارُ نبيَّهُ شعيباً ومَن معه من المؤمنين في توعدهم إيّاه ومَن معه بالنفي عن القرية، أو الإكراه على الرجوع في مِلّتهم، **﴿قال أوَلو كُنّا كارِهين﴾**؟ أوَ أنتم فاعِلُو ذلك! **٨٩: ﴿قدِ افترينا على الله كذباً إنْ عُدْنا في مِلّتِكم بعدَ إذ نجّانا اللهُ منها، وما يكونُ لنا أنْ تعُودَ فيها إلّا أن يشـاءُ اللهُ ربُّنا﴾** وهذا ردٌّ إلى اللهِ المُسبِّبِ، إنّه يعلمُ كلَّ شيءٍ وقد أحاطَ بكلِّ شيءٍ، **﴿وسِعَ ربُّنا كلَّ شيءٍ عِلماً على اللهِ توكلنا﴾** في أمورنا ما نأتي منها وما نَذَر، **﴿ربَّنـا افتحْ بيننا وبين قومنا بـالحقِ﴾** احكـمْ بيننـا وبين قومنـا وانصرنا علـيهـم، **﴿وأنتَ خيرُ الفـاتحين﴾** خير الحاكمين، فإنّك العادل الذي لا يجور أبداً **٩٠: ﴿وقال الملأ الذين كفروا مِن قومِهِ لئِن اتبعتُم شُعيباً إنّكم إذاً لخاسِرون﴾** هذا من شدة كفرهم وتمرّدهم وعتوّهم، وما جبلت علـيـه قـلوبهم من المخالفـة للحق **٩١: ﴿فـأخذتهم الرجفـةُ فـأصبحوا في دارهم جاثمين﴾** كما توعدُوا شعيباً وأصحابه بالجلاء، جـاءتهم الصيحـةُ فأسكتتهم. [كما أخبر سبحـانـه في سـورة الشعراء]: ﴿فكذّبُوه فـأخذهم عذابُ يوم الظُّلّةِ إنّه كان عذابَ يومٍ عظيم﴾، وهي سحابة أظلتهم فيها شررٌ من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجّة من الأرض شديدة، فزهقت الأرواح وخمدت الأجسام **٩٢: ﴿الذين كذّبُوا شُعيباً كأن لم يَغْنَوْا فيها﴾** كأنّهم لمّا أصابتهم النقمة لم يُقيموا بديارهم، **﴿الذين كذّبُوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ ٩٣: ﴿فتولّى عنهم﴾** فتولى شعيبٌ عنهم بعدما أصـابهم من العذاب والنقمة والنكال، **﴿وقال﴾** مُقرِّعاً لهم وموبخاً: **﴿يا قومِ لقد أبلغتكـم رسـالاتِ ربّي ونصحتُ لكـم﴾** قد أديتُ إليكـم ما أرسـلتُ به، فلا آسف عليكـم وقد كفرتم بما جئتكم به، فلهذا قال: **﴿فكيف آسى على قومٍ كافرين﴾ ٩٤: ﴿وما أرسلنا في قريةٍ مِن نبيٍ إلّا أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء لعلّهم يضّرَّعُون﴾** ما أرسل اللهُ الأنبياء إلى الأمم الماضية إلّا اختبرهم بالبأساء، أي: ما يصيبهم من أمراض وأسقام، الضرّاء، ما يصيبهم من فقر وحاجة، لعلّهم يضّرَّعُون، أي: يخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم. وتقدير الكلام: أنّه تعالى ابتلاهم بالشدّة ليتضرّعُوا فما فعلوا شيئاً من الذي أراد منهم فقلب عليهم إلى الرخاء ليختبرهم فيه، ولهذا قال: **٩٥: ﴿ثم بدّلنا مكانَ السيئةِ الحسنةَ﴾** حَوّلنا الحال من شدّة إلى رَخاء ليشكروا على ذلك فما فعلوا، **﴿حتى عَفَوْا﴾** كثرت أموالهم وأولادهم **﴿وقالوا قد مسَّ آباءَنا الضرّاءُ والسرَاءُ فأخذناهم بغتةً وهم لا يشْعُرون﴾** ابتليناهم بهذا وهذا فما نجعَ فيهم لا هذا ولا هذا، ولم يتفطّنُوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء اللهلهم في الحالَين.

الآية: ٩٥ ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «عجباً للمؤمن لايقضي الله له قضـاء إلا كان خيراً له، إنْ أصـابته ضراء صَبَر فكان خيراً له، وإن أصـابته سراء شكر فكان خيرا له». فالمؤمن مَن يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء، ولهذا جاء في الحديث: «لايزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيّاً من ذنوبه، والمنافق مثله كمثل الحمار لايدري فيم ربطَهُ أهلُهُ ولافيمَ أرسلُوهُ»، أو كما قال، ولهذا عقب هذه الصفة بقوله: ﴿فأخذناهم بغتةً وهم لايشعرون﴾ أي أخذناهم بالعقوبة بغتة، أي على بغتة وعدم شعور منهم، أي أخذناهم فجأةً كما في الحديث: «موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذةُ أَسَفٍ للكافر».

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٩٦: ﴿ولو أنّ أهلَ القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بَرَكاتٍ من السماءِ والأرضِ﴾ يخبر تعالى عن قِلّة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل؛ ولو آمنت قلوبُهم بما جاءَ به الرسل واتبعوه واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرّمات **﴿لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض﴾** قطر السماء ونبات الأرض، **﴿ولكنْ كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسِبُون﴾** فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم **٩٧: ﴿أفأمِنَ أهلُ القرى أن يأتيَهم بأسُنا﴾** أفأمِنَ أهل القرى الكافرة أن يأتيهم عذابُنا ونكالُنا **﴿بياتاً﴾** ليلاً **﴿وهم نائمون﴾**؟! **٩٨: ﴿أوَ أمِنَ أهلُ القرى أن يأتيهم بأسُنا ضُحىً وهم يلعبون﴾** في حال شغلهم وغفلتهم؟ **٩٩: ﴿أفأمنوا مَكْرَ اللهِ﴾** بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إيّاهم في حال غفلتهم؟ **﴿فلا يأمَنُ مكرَ اللهِ إلّا القومُ الخاسرون﴾** ولهذا المؤمن يعمل بالطاعات وهو خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن **١٠٠: ﴿أوَلم يَهْدِ للذين يرِثُون الأرضَ من بعد أهلها﴾** أوَ لم يتبيّن لهم **﴿أنْ لو نشاءُ أصبناهم بذنوبهم﴾** أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم **﴿ونطبَعُ على قلوبهم﴾** نختم على قلوبهم **﴿فهم لا يسمعُون﴾** موعظةً ولا تذكيراً **١٠١: ﴿تلكَ القرى نقصُّ عليك من أنبائها﴾** من أخبارها؛ خبر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين، **﴿ولقد جاءتهم رُسُلُهم بالبيّنات﴾** الحجج على صدقهم فيما أخبروهم به، **﴿فما كانوا لِيُؤمِنُوا بما كذَّبُوا من قبلُ﴾** فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحقّ أوّل ما ورد عليهم، **﴿كذلِكَ يطبعُ اللهُ على قلوبِ الكافرين﴾** **١٠٢: ﴿وما وجدنا لأكثرهم﴾** لأكثر الأمم الماضية **﴿مِن عهدٍ وإنْ وجدنا أكثرَهم لَفاسقين﴾** ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن طاعته، والامتثال والعهد الذي أخذه هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الأصلاب أنّه ربّهم ومليكهم وأنّه لا إله إلّا هو **١٠٣: ﴿ثم بعثنا مِن بعدِهم﴾** الرسل المتقدم ذكرُهم، **﴿موسى بآياتِنا﴾** بحججنا البيّنة **﴿إلى فرعونَ وملائِهِ﴾** إلى ملك مصر في زمن موسى، وقومه **﴿فظلموا بها﴾** جحدوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً **﴿فانظُرْ كيف كان عاقبةُ المفسدين﴾** كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم **١٠٤: ﴿وقال موسى يا فِرعونُ إنّي رسولٌ مِن ربِّ العالمين﴾** يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجامه إيّاه بالحجّة وإظهاره الآيات البيّنات بحضرته؛ **﴿إنّي رسولٌ من ربِّ العالمين﴾** أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه.

الآية: ١٠١ قال ابن كثير: قد قيل في تفسير قوله تعالى ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذَّبُوا من قبل﴾ ماروى أبو جعفر الرازي عن أُبي بن كعب في قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ قال: كان في علمه تعالى يوم أقرُّوا له بالميثاق. أي فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك. وكذا قال الربيع بن أنس عن أُبيّ بن كعب عن أنس. واختاره ابن جرير.

وقال السدي في قوله تعالى ﴿فما كانوا ليؤمنوا... من قبل﴾ قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهاً. وقال مجاهد: هذه الآية كقوله: ﴿ولو ردوا لعادُوا﴾ الآية.

الآية: ١٠٢ جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى «إنّي خلقتُ عبادي حُنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمتْ عليهم ماأحللتُ لهم» وفي الصحيحين «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يُنصِّرَانِهِ أو يُمجِّسَانِهِ».

/ابن كثير ج٢/٢٣٥/

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
الحزب ١٧ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١٠٥: ﴿حقيقٌ عليّ أن لا أقولَ على الله إلّا الحقَّ﴾ جدير بذلك وحري به، وواجبٌ وحقٌّ عليّ ذلك أنْ لا أخبر عنـه إلّا بما هو حقٌّ وصـدق لِما أعلم من اللهوعظيم شـأنه **﴿قد جئتكم ببيّنةٍ مِن ربِّكم﴾** بحجةٍ قاطعةٍ من الله دليـلاً على صـدقي **﴿فـأرسـلْ معي بني إسرائيل﴾** أطلقهم من أسرك وقهرك **١٠٦: ﴿قال إنْ كنتَ جئتَ بآيةٍ فأتِ بها إنْ كنتَ مِن الصادقين﴾** قال فرعون: إن كانت معك حجة فأظهرها لنراها إن كنت صـادقاً فيما ادّعيت **١٠٧: ﴿فـألقَى عَصَـاهُ فإذا هي ثعبـانٌ مُبـين﴾** فتحوّلت حيّـةً عظيمـةً فاغرة فـاهـا مسرعة إلى فرعون، فلمّـا رآها فرعون استغاث بموسى أن يكفّها عنه ففعل **١٠٨: ﴿ونزَع يَدَهُ فإذا هي بيضـاءُ للنّاظِرين﴾** أخرجَ يَدَهُ من درعه بعدما أدخلهـا فيه فإذا هي بيضاء تتلألأ، ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول **١٠٩: ﴿قال المَلأُ من قوم فرعونَ﴾** السـادة من قومه الموافقـين لقول فرعون بعـدمـا رجع إليـه روعه واستقرّ على سـريره **﴿إنَّ هذا لسـاحِرٌ عليم﴾**، فوافقوه وقالوا مقالته، وتشاوروا في أمره **١١٠: ﴿يُريدُ أن يُخرجَكـم من أرضكم فماذا تأمرون﴾** فلما تشاوروا في شأنه وائتمروا فيه اتفق رأيهم ما حكاه تعالى عنهم: **١١١: ﴿قالوا أرْجِهْ﴾** أخرْهُ **﴿وأخاه﴾** [هارون] **﴿وأرسل﴾** ابعث **﴿في المـدائن﴾** في الأقـاليم ومدائن مـلكك **﴿حاشرين﴾** مَن يحشر لك السحرة **١١٢: ﴿يـأتوكَ بكـلِّ سـاحِرٍ عليم﴾** فجمعوا له السحرة ليُعارضوه بنظير ما أراهم مِن البيّنات **١١٣: ﴿وجاءَ السحرةُ فرعونَ قالوا إنّ لنا لأجراً إنْ كنّا نحن الغالِبين﴾**؟ **١١٤: ﴿قال نعمْ وإنّكم لَمِنَ المقرّبين﴾** وعدهم ومنّاهم أن يُعطيَهم ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه **١١٥: ﴿قالوا يا موسى إمّا أن تُلْقيَ وإمّا أنْ نكونَ نحنُ المُلقِين﴾**؟ قبلكَ **١١٦: ﴿قال﴾** موسى **﴿ألْقوا﴾** أنتم أولاً، **﴿فلمّا ألقَوْا سَحَرُوا أعينَ النّاسِ واسترهبُوهم﴾** خيّلوا إليه من سحرهم أنّها تسعى **﴿وجاؤوا بسحرٍ عظيم﴾ ١١٧: ﴿وأوحينا إلى موسى﴾** في ذلك الموقف العظيم الذي فرّق الله تعالى فيه بين الحق والباطل **﴿أن ألقِ عصاكَ فإذا هي تَلْقَفُ﴾** تأكل **﴿ما يأفِكون﴾** ما يُلقونه ويُوهمون أنّه حق وهو باطل **١١٨: ﴿فوقعَ الحقُّ وبطلَ ما كانوا يعملُون﴾** [أي: ظهرَ الحقُّ] **١١٩: ﴿فغُلِبُوا هُنالِكَ وانقلبُوا صَاغِرِين﴾** [أي: انقلب قوم فرعون وفرعون معهم أذلّاء مقهورين مغلوبين. فأمّا السحرةُ فقد آمنوا] **١٢٠: ﴿وأُلْقِيَ السحرةُ ساجِدِين﴾**.

الآية: ١٠٨ روى السدي عن ابن عباس قال: ﴿فألقى عصَاهُ﴾ فتحوّلتْ حيةً عظيمة فاغرةً فاها مسرعة إلى فرعون فلمّا رآها فرعون أنها قاصدة إليه اقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل.

وقال السدي في قوله ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ الثعبان الذكر من الحيّات فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والآخر على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب وأحدث ولم يكن قبل ذلك وصاح: ياموسى خُذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى عليه السلام فعادت عصاً.

الآية: ١٠٩ قال ابن كثير: في قوله ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ أي أخرج يده من درعه بعد ماأدخلها فيه فإذا هي بيضاء تتلألأ من غير برص ولامرض كما قال تعالى ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ الآية. وقال ابن عباس في حديث الفتون ﴿من غير سوء﴾ يعني من غير برص، ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول.
/ابن كثير ج٢/٢٣٦/

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٢١: ﴿قالوا﴾ [أي: السحرة] **﴿آمنّا بربِّ العالمين﴾ ١٢٢: ﴿ربِّ موسى وهارون﴾ ١٢٣: ﴿قال فِرعونُ آمنتم به قبلَ أن آذَنَ لكم﴾** [إنكارٌ منه عليهم]، **﴿إنّ هذا لمكرٌ مكرتُموه في المدينة﴾** إنّ غلبته لكم إنّما كان عن تشاور منكم ورضاً منكم لذلك، **﴿لتخرجُوا منها أهلَها فسوف تعلمون﴾**، تهديدٌ لهم] **١٢٤: ﴿لأقطّعَنَّ أيديَكم وأرجلَكم مِن خِلافٍ﴾** يقطع يَدَ الرجلِ اليُمنى ورجله اليسرى أو بالعكس **﴿ثمَّ لأُصلّبنّكم أجمعين﴾** على جذوع النخل **١٢٥: ﴿قالوا إنّا إلى ربِّنا مُنقلِبُون﴾** قد تحققنا أنّا إليه راجِعُون، وعذابُهُ أشدُّ مِن عذابك على ما تدعونا إليه اليوم، فلنصبر اليوم على عذابك لنتخلص من عذاب الله، ولهذا قالوا: ربّنا أفرِغْ علينا صبراً **١٢٦: ﴿وما تنقِمُ مِنّا إلّا أنْ آمنّا بآياتِ ربِّنا لمّا جاءَتنا ربّنا أفرغْ علينا صبراً﴾** عمّنا بالصبر على دينك والثبات عليه **﴿وتوفنا مسلمين﴾** متابعين لنبيِّك موسى عليه السلام، وقالوا لفرعون: ﴿فاقضِ ما أنتَ قاضٍ إنّما تقضي هذه الحياةَ الدنيا. إنّا آمنّا بربِّنا ليغفرَ لنا خَطايَانا وما أكرهتنا عليه مِن السحر واللهُ خيرٌ وأبقى﴾ **١٢٧: ﴿وقال المَلأُ من قومِ فرعون﴾** لفرعون **﴿أتَذَرُ موسى وقومَهُ﴾** أتدعهم **﴿لِيُفسِدُوا في الأرض﴾** يُفسدوا أهلَ رعيتكَ، ويدعوهم إلى عبادة ربّهم دونك، **﴿ويَذَرَكَ وآلهتكَ﴾**؟ **﴿قال سنُقتِّلُ أبناءَهم ونستحيي نساءَهم﴾** [أي: لا تخافوا جانبهم]، **﴿وإنّا فوقَهم قاهِرُون﴾**، [آنَسَهم بهذا الكلام] **١٢٨: ﴿قال موسى لقومِهِ استعينُوا بالله واصبروا إنّ الأرض للهِ يُورِثُها مَن يشاءُ مِن عباده والعاقبةُ للمتقين﴾** وعدهم موسى عليه السلام بالعاقبة وأنّ الدارَ ستصيرُ لهم **١٢٩: ﴿قالوا أُوذينا مِن قبلِ أن تأتِيَنا ومن بعدِ ما جِئتنا﴾** قد فعلوا بنا مثلَ ما رأيتَ من الهوان والإذلال من قبل ما جئتَ يا موسى، ومن بعد ذلك، فقال منبهاً لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون إليه في ثاني الحال: **﴿قال عسى ربُّكم أنْ يُهلكَ عَدُوَّكم﴾** وهذا تحضيضٌ لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النِّقَمِ، **﴿ويستخلِفكم في الأرض فينظُرَ كيفَ تعملون﴾ ١٣٠: ﴿ولقد أخذنا ءَالَ فِرعونَ بالسِّنين﴾** امتحنّاهم وابتليناهم بسنيّ الجوع بسبب قِلّة الزروع، **﴿ونقصٍ مِنَ الثمراتِ لعلّهم يذّكّرُون﴾**، [أي: ليتعظوا وترقّ قلوبُهم].

الآية: ١٢١ قول السحرة هذا دليل على صدق إيمانهم بالله تعالى؛ لأنهم يعلمون أنّ فرعون سيغضب عليهم، فلم يكترثوا بغضبه، لخوفهم من غضب الله تعالى، فكان السحرة في أول الأمر كَفَرَةً فَجَرَةً، وفي آخره شهداءَ بَرَرَةً، وهذه أعظم شهادة أن يموت المؤمن في سبيل عقيدته وإيمانه!!.

الآية: ١٢٣ روى السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة﴾ قال: التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى: أرأيتُكَ إن غلبتُكَ أتؤمن بي وتشهد أن ماجئت به حق؟ قال الساحر: لآتينّ غداً بسحر، والله لئن غلبتني لأومننّ بك ولأشهدنّ أنّك حق وفرعون ينظر إليهما. قالوا: فلهذا قال ماقال، وقوله ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ أي تجتمعوا أنتم وهو وتكون لكم دولة وصولة وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم ﴿فسوف تعلمون﴾ أي ماأصنع بكم ثم فسّر هذا الوعيد.

/ابن كثير ج٢/٢٣٨/

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١: ﴿فإذا جاءَتهُمُ الحسنَةُ﴾ من الخصب والرزق **﴿قالُوا لنا هذهِ﴾** هذا لنا بما نستحقه **﴿وإن تُصبهم سيّئةٌ﴾** جدبٌ وقحط **﴿يطّيّروا بموسى﴾** [أي: يتشاءَمُوا بهِ] **﴿ومَن معه﴾** هذا بسببهم وما جاؤوا به **﴿ألا إنّما طائرُهم عندَ الله﴾** مصائبهم عندَ الله **﴿ولكنّ أكثرَهُم لا يعلمون﴾**، [أنّ ما لَحِقَهم من القحط إنّما هو من عند الله بذنوبهم لا من عند موسى وقومه] **١٣٢: ﴿وقالوا مهما تأتِنا بهِ مِن آيةٍ لتسحرنا بها فما نحنُ لك بمؤمنين﴾** فلا نقبلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئتَ به. قال اللهتعالى: **١٣٣: ﴿فأرسلنا عليهم الطُّوفانَ﴾** كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار، **﴿والجراد﴾** كانت تأكل مسامير أبوابهم وتَدَعُ الخشب، **﴿والقُمّلَ﴾** وهو دوابٌ سود صغار، لزمت جلودهم كأنّها الجدري عليهم، **﴿والضفادِعَ﴾** فملأتِ البيوتَ والأطعمةَ والآنيةَ، فلا يكشف أحدٌ طعاماً إلّا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، **﴿والدمَ﴾** فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بئرٍ ولا نهرٍ، ولا يغترفون من إناءٍ إلّا عاد دماً عبيطاً. **﴿آياتٍ مفصّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ ١٣٤: ﴿ولمّا وقع عليهم الرجز﴾** [أي: العذاب] **﴿قالوا يا موسى ادعُ لنا ربَّك بما عَهِدَ عندَك﴾** [أي: بما استودعك من العلم] **﴿لئن كشفت عنّا الرجز لنؤمِنَنّ لك﴾** [أي: نصدّقك بما جئتَ به] **﴿ولنرسلنّ معك بني إسرائيل﴾** [وكانوا يستخدمونهم] **١٣٥: ﴿فلمّا كشفنا عنهم الرجزَ إلى أجلٍ هم بالِغُوهُ إذا هم ينكثُون﴾** [أي: ينقضون ما عقدوه] **١٣٦: ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾** فلما عتوا وتمردوا مع ابتلائه إيّاهم بالآيات انتقم منهم بإغراقه إيّاهم في البحر الذي فرقه لموسى فجاوزه وبنو إسرائيل معه، ثم ورده فرعون وجنوده على أثرهم فلمّا استكملوا فيه ارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم، **﴿بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ ١٣٧: ﴿وأورثنا القومَ الذين كانوا يُستضعَفُونَ مشارِقَ الأرض ومغاربها﴾** أخبر تعالى أنّه أورث القوم، وهم بنو إسرائيل [الذين كانوا يُستذَلُّون بالخدمة]، **﴿التي باركنا فيها﴾** [أي: بإخراج الزروع والثمار والأنهار]، **﴿وتمّت كلمةُ ربِّك الحُسْنَى على بني إسرائيل بما صَبَرُوا﴾** وهي قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعِفُوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾. **﴿ودمّرنا ما كان يصنعُ فرعونُ وقومُهُ وما كانوا يَعْرِشُون﴾**، وخرّبنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع.

الآية: ١٣٣ قال ابن كثير: اختلفوا في معنى قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ فعن ابن عباس: كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وفي رواية أخرى عن ابن عباس هي كثرة الموت.

وروى الشافعي وأحمد بن حنبل عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «أُحِلّتْ لنا ميتتان ودمان: الحوت والجراد، والكبد والطحال».

وروى أبو داود عن سلمان قال سئل رسول الله عن الجراد فقال: «أكثر جنود الله لاآكلهُ ولاأحرّمهُ».

قال ابن كثير: وأما القمّل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الحنطة. وعنه أنه الدبار هو الجراد الصغار الذي لاأجنحة له.

/ابن كثير ج٢/٢٤١/

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

نصف الحزب ١٧

١٣٨: **﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحرَ﴾** فرأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا، **﴿فأتَوْا على قومٍ يعكفون على أصنام لهم﴾** وكانوا من الكنعانيين، **﴿قالوا يا موسى اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ قال إنّكم قومٌ تجهلون﴾** تجهلون عظمةَ الله وجلاله وما يجب أن يُنزَّه عنه من الشريك والمثيل **١٣٩**: **﴿إنّ هؤلاء مُتبَّرٌ﴾** هالك **﴿ما هم فيه وباطِلٌ ما كانوا يعملون﴾** [أي: وهالكٌ العابدُ والمعبودُ، وذاهبٌ مُضمحلٌ] **١٤٠**: **﴿قال أغيرَ الله أبْغيكم إلهاً﴾** [أي: أطلب لكم إلهاً غير الله تعالى]؟ **﴿وهو فضّلكم على العالَمين﴾** [أي: عالمي زمانكم]، يذكرهم موسى عليه السلام نِعَمَ الله عليهم **١٤١**: **﴿وإذْ نجيّناكم من آلِ فِرعون يَسُومُونكم سُوءَ العذاب﴾** من القهر والهوان والذِّلّة، **﴿يُقتلُون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربّكم عظيم﴾** **١٤٢**: **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً﴾** يمتنّ الله تعالى على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة، وأنّه تعالى واعد موسى ثلاثين ليلة، فصامها موسى عليه السلام، فلما تمّ الميقات أمرَهُ اللهُ تعالى أن يُكمل العشرة أربعين **﴿وأتممناها بعشرٍ فتمَّ ميقاتُ ربِّه أربعين ليلةً﴾** فلما عزم موسى على الذهاب إلى الطور استخلف أخاه هارون، **﴿وقال موسى لأخيه هارون اخْلُفْني في قومي وأصلحْ﴾** هذا تنبيه وتذكير، وإلّا فهارُون عليه السلام نبي شريف، **﴿ولاتتّبعْ سبيلَ المفسدين﴾** **١٤٣**: **﴿ولمّا جاء موسى لميقاتِنا وكلَّمَهُ ربُّهُ قالَ ربِّ أرني أنظرْ إليك﴾** سألَ الله تعالى أن ينظر إليه **﴿قال لن تراني ولكنِ انظرْ إلى الجبلِ فإنِ استقرّ مكانه فسوف تراني﴾** [ضرب له مثالاً مِمّا هو أقوى من بُنيتِهِ وأثبت. أي: فإن ثبتَ الجبلُ وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنّك لا تطيق رُؤيتي؛ كما أنّ الجبلَ لا يطيق رُؤيتي] **﴿فلمّا تجلّى ربُّه للجبلِ جعلَهُ دكّاً وخرَّ موسى صَعِقاً﴾** جعله تراباً، وخرّ موسى مغشياً عليه. **﴿فلمّا أفاق قال سُبْحانك﴾** تنزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحدٌ في الدنيا. **﴿تُبْتُ إليكَ﴾** من أن أسألك الرؤيَةَ، **﴿وأنا أوّل المؤمنين﴾** أنّه لا يراك أحدٌ. [قال القرطبي: أجمعت الأمة على أنّ هذه التوبة ما كانت عن معصية فإنّ الأنبياء معصومون].

الآية: ١٣٨ روى الإمام أحمد عن أبي واقد اللّيثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبلَ حُنين فمررنا بسدرةٍ فقلت: يانبي الله: اجعلْ لنا ذاتَ أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها فقال النبي ﷺ: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم تركبون سُنن مَنْ قبلَكُم».
/ابن كثير ج٢/٢٤٣/

الآية: ١٤٣ روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه وقال: يامحمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم وجهي قال: ﴿ادعوه﴾ فدعوهُ قال: ﴿لِمَ لطمت وجهه؟﴾ قال يارسول الله: إني مررت باليهودي فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قال وعلى محمد؟ قال: فقلت وعلى محمد وأخذتني غضبة فلطمتُه، قال: «لاتخيّروني من بين الأنبياء فإن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور». /ابن كثير ج٢/٢٤٥/

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٤: ﴿قال يا موسى إنّي اصطفيتُكَ على النّاس برسَالاتِي وبكلامِي فخُذْ ما آتيتُكَ وكنْ مِن الشاكرين﴾ يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنّه اصطفاه على عالَمِي زمانه برسالاته وكلامه. ولا شك بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم سيّد ولد آدم، اختصه الله بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة. وأتباعه أكثر من أتباع الأنبياء كلهم. **﴿وكنْ مِنَ الشاكرين﴾** على ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به **١٤٥: ﴿وكتبنا له في الألواح مِن كلِّ شيءٍ موعظةً وتفصيلاً لكلِّ شيءٍ﴾** أخبرَ تعالى أنّه كتب -لموسى- في الألواح من كل شيء وتفصيلاً من كل شيء، وأن الله تعالى كتب له فيها أحكاماً مفصّلة مبيّنة للحلال والحرام، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة **﴿فخذْها بقوّةٍ﴾** بعزمٍ على الطاعة **﴿وأْمُرْ قومَكَ يأخُذُوا بأحسنها﴾** [أي: يعملُوا بالأوامر، ويتركُوا النواهي، ويتدبّرُوا الأمثالَ والمواعِظَ]، **﴿سأُوريكُم دارَ الفاسقين﴾** سترون عاقبةَ مَن خالف أمري، وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار **١٤٦: ﴿سأصْرِفُ عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقِ﴾** سأمنعُ فهمَ الحجج والأدلة الدالّة على عظمتي وشريعتي قلوب المتكبّرين عن طاعتي، ويتكبّرون على الناس بغير حقّ. **﴿وإنْ يَرَوْا كلَّ آيةٍ لا يُؤمِنُوا بها وإنْ يَرَوْا سبيلَ الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيِّ يتخذوه سبيلاً﴾** وإن ظهر لهم سبيل الرشد والنجاة لا يسلكوها، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلاً **﴿ذلك بأنّهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** لا يعملون شيئاً مِمّا فيها **١٤٧: ﴿والذين كذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرةِ حبطتْ أعمالُهم﴾** مَن فعلَ ذلك واستمرّ عليه إلى الممات حبط عمله. **﴿هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون﴾**؟ نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها؛ إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر **١٤٨: ﴿واتّخذَ قومُ موسى مِن بعدِهِ مِن حُلِيِّهم عِجْلاً جسداً له خُوارٌ﴾**؛ يُخبر تعالى عن ضلال من ضلَّ من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامريّ من حلي القبط، فشكل لهم منه عجلاً **﴿ألم يَرَوْا أنّه لا يُكلمهم ولا يهديهم سبيلاً﴾**؟! ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهولهم عن خالق السموات والأرض أنْ عبدوا معه عجلاً لا يُكلّمهم ولا يرشدهم إلى خير **١٤٩: ﴿ولمّا سقطَ في ايديهم﴾** ندموا على ما فعلوا **﴿ورأَوْا أنهم قدْ ضلّوا قالوا لئنْ لم يرحمْنا ربُّنا ويغفرْ لنا لنكوننّ من الخاسرين﴾** من الهالكين. وهذا اعترافٌ منهم بذنبهم والْتِجاءٌ إلى الله عزّ وجلّ.

الآية: ١٤٤ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأُكلة فيحمَدَهُ عليها، ويشربَ الشربة فيحمَدَهُ عليها» الوابل الطيب ورافع الكلم الطيب: لابن قيم الجوزية ص٢٨٢/.

الآية: ١٤٦ قال ابن كثير: روى سفيان بن عيينة في قوله ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون﴾ قال: أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي.

قال ابن جرير: وهذا يدل على أنّه خطاب لهذه الأمة. قلت (ابن كثير) ليس هذا بلازم لان ابن عيينة إنّما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في هذا والله أعلم. /ابن كثير ج٢/٢٤٧/

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١٥٠: يُخبر تعالى أنّ موسى عليه السلام رجع إلى قومه من بعد مناجاة ربّه تعالى وهو غضبانُ أسِفٌ. والأسفُ: أشدُّ الغضب. **﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾** بئسَ ما صنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبتُ وتركتكم **﴿أعجلتم أمرَ ربّكم﴾**؟ أستعجلتم مجيئي إليكم؟! **﴿وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه﴾** خوفاً أن يكون قد قصّر في نهيهم. وفي آية أخرى: ﴿قال ياهارون مامَنَعَكَ إذْ رأيتَهُمْ ضلُّوا أنْ لاتتّبِعَنِ أفعصيتَ أمري﴾؟! **﴿قال ابنَ أمَّ إنّ القومَ استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمّتْ بيَ الأعداءَ ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾** لاتسوقني سياقهم وتجعلني معهم، وإنّما قال: **﴿ابنَ أمَّ﴾** ليكون أرقَّ وأنجعَ عنده، وإلّا فهو شقيقه لأبيه وأمّه. فلمّا تحقّقَ موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام **١٥١**: **﴿قال ربِّ اغفرْ لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنتَ أرحمُ الراحمين﴾**. روى ابن حاتم –بإسناده– أن رسول الله ﷺ قال: «يرحم اللهموسى، ليسَ المعاين كالمخبَر، أخبره ربُّه عزّ وجلّ أنّ قومَه فُتِنوا بعده، فلم يُلقِ الألواح، فلمّا رآهم وعاينهم **﴿ألقى الألواح﴾** **١٥٢**: أمّا الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أنّ الله تعالى لم يقبل لهم توبةً حتى قتلَ بعضُهم بعضاً. وأمّا الذلّةُ: فأعقبهم ذلك ذلّةً وصغاراً في الحياة الدنيا، **﴿وكذلك نجزي المفترين﴾**، لكل من افترى بدعةً فإنّ ذُلَّ البدعة ومخالفة الرشاد متصلة من قلبه على كتفيه **١٥٣**: **﴿والذين عملوا السيّئاتِ ثم تابوا من بعدها وآمنوا إنّ ربَّكَ﴾** يا محمد، يا رسول التوبة ونبيّ الرحمة **﴿من بعدها﴾** من بعد تلك الفعلة **﴿لغفورٌ رحيم﴾**. عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنّه سُئل عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوّجها؟ فتلا هذه الآية **١٥٤**: **﴿ولمّا سكتَ عن موسى الغضبُ﴾** الذي غضبه على قومه **﴿أخذَ الألواحَ﴾** التي ألقاها غيرةً لله وغضباً له **﴿وفي نسختها﴾** وهي من جوهر الجنّة. ولمّا أخذها بعدما ألقاها وجد فيها **﴿هدىً ورحمة للذين هم لربِّهم يرهبون﴾** **١٥٥**: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربَّهم؛ قالوا: لن نُؤمِنَ لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنّك قد كلمتَه فأرِنَاهُ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعاً، **﴿فلمّا أخذتهم الرجفةُ﴾** الصاعقة، **﴿قال﴾** يدعو اللهويبكي **﴿ربِّ لو شئتَ أهلكتَهُم من قبلُ وإيّايَ﴾** فأحياهم الله، **﴿أتهلكنا بما فعلَ السفهاءُ منا﴾**؟! **﴿إنْ هيَ إلّا فتنتُكَ﴾** ابتلاؤكَ واختبارُكَ وامتحانُكَ **﴿تُضِلُّ بها مَن تشاءُ﴾** ولا هادي لمن أضللتَ **﴿وتهدي من تشاءُ﴾** ولا مُضِلَّ لمن هديتَ **﴿أنتَ وليُّنا فاغفِرْ لنا وارحمْنا وأنتَ خيرُ الغافرين﴾** لا يغفرُ الذنوب إلّا أنتَ.

الآية: ١٥١ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله موسى ليس المُعَاين كالمخبر أخبره ربُّه عزّ وجلّ أن قومَهُ فُتِنُوا بعده فلم يُلقِ الألواح، فلمّا رآهم وعاينهم ألقى الألواح».

/ابن كثير ج٢/٢٤٨/

الآية: ١٥٣ روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوّجها فتلا هذه الآية ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إنّ ربّك من بعدِها لغفور رحيم﴾ فتلاها عبدالله عشر مرات فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها.

/ابن كثير ج٢/٢٤٨/

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٥٦: ﴿قال﴾ تعالى مجيباً لقوله: ﴿إنْ هيَ إلّا فتنتُك﴾ الآيـة، ﴿**عذابي أُصيبُ بهِ مَن أشـاءُ ورحمتي وسعت كلَّ شيء**﴾ أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ولي الحكمة والعدل في كل ذلك سبحانه لا إله إلّا هو. ﴿**ورحمتي وسعتْ كلَّ شـيء**﴾ آيـةٌ عظيمـةُ الشمول والعموم. قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ اللهَ خلقَ مائةَ رحمةٍ فأنزل رحمةً يتعـاطف بها الخلق جِنُّها وإنسُها وبهائمها، وأخّرَ عنده تسعاً وتسعين رحمةً»، الحديث، رواه أحمد وأبو داود. ﴿**فسـأكتبُها للذين يتقون**﴾ سأجعلُها للمتصفين بهذه الصفات، وهم أمّةُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يتقون الشركَ والعظائم من الذنوب ﴿**ويُؤتون الزكاة**﴾ زكاة النفوس والأموال [زكاة النفس الطاعة، وزكاة المال الصدقة]، ﴿**والذين هم بآياتنا يُؤمنون**﴾ يُصدِّقون **١٥٧: ﴿الذين يتبِعُون الرسـولَ النبيَّ الأمّيَّ﴾** هذه صفـة محمـد ﷺ في كتب الأنبيـاء ﴿**الذي يجـدونـه مكتـوبـاً عنـدهـم في التـوراة والإنجيل**﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم لرجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يُعزي بها نفسه عن ابن له في الموت: «أنشدُك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتـابك هذا صفتي ومخرجي»؟ فقال برأسه هكذا –أي: لا– فقـال ابنُـهُ: أي والذي أنزل التوراة إنّا لنجد في كتابنا صفتَكَ ومخرجك، وإنّي أشهدُ أن لا إله إلّا الله وأشهدُ أنكَ رسولُ الله: فقال: «أقيموا اليهودَ عن أخيكم» ثم تولّى كفَنَهُ والصلاةَ عليه. هذا حديث جيّد قوي له شاهد في الصحيح. ﴿**يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر**﴾ هذه هي صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**ويُحلُّ لهم الطيبات**﴾ مِمّا كانوا ضيّقوا على أنفسهم ﴿**ويُحرِّمُ عليهم الخبائثَ**﴾ ما كانوا يستحلونه من المحرّمات التي حرّمها الله تعالى، ﴿**ويضعُ عنهم إصْرَهم**﴾ [أي: أثقال الأعمال] ﴿**والأغلالَ التي كانت عليهم**﴾ إنّه جاء بالتيسير والسماحة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله تجاوز لأمتي ما حدّثتْ به أنفسَها ما لم تقلْ أو تعملْ» وقال: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ [أي: إثمُ الخطأ] والنسيان وما استُكرِهُوا عليه»، ولهذا أرشد اللههذه الأمة أن تقول: ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ الآية. ﴿**فالذين آمنوا به وعزّرُوهُ ونصرُوهُ**﴾ عظّمُوه ووقّرُوه ﴿**واتّبعُوا النورَ الذي أُنزل معه**﴾ القرآن ﴿**أولئك هم المفلحون**﴾ في الدنيا والآخرة **١٥٨: ﴿قُلْ﴾** يا محمد ﴿**يا أيّها الناسُ**﴾ هذا خطاب للعربي والعجمي ﴿**إنّي رسول الله إليكم جميعاً**﴾ وهذا من شرفه وعظمته أنّه خاتم النبيين وأنّه مبعوث للناس جميعاً. ﴿**الذي له مُلْكُ السمواتِ والأرض لا إله إلّا هو يُحيي ويُميت**﴾ إنّ الذي أرسلني هو خالقُ كلِّ شيء وربُّه ومليكه الذي بيده الإحياءُ والإماتة وله الحكم. ﴿**فآمنوا باللهورسوله النبيِّ الأمّيّ**﴾ الذي وُعِدْتُم به في الكتب المتقدّمة ﴿**الذي يُؤمِنُ بالله وكلماته واتبِّعوه لعلّكم تهتدون**﴾ إلى الصراط المستقيم **١٥٩:** يُخبر تعالى عن بني إسرائيل أنّ منهم طائفة يتبِعُون الحقَّ ويَعْدِلون به. كما قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يُؤمنون. وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقُّ من ربِّنا إنّا كنّا مِن قبله مسلمين. أولئك يُؤتون أجرَهمْ مرّتين بما صَبَرُوا﴾.

الآية: ١٥٧ روى الإمام أحمد عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها يعزّي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول=

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

١٦٠: ﴿**وقطّعناهم اثنتي عشرةَ أسباطاً أُمماً**﴾ [عدَّدَ سبحانه نعمه على بني إسرائيل، وجعلهم أسباطاً ليكونَ أمرُ كلِّ سبطٍ معروفاً مِن جهة رئيسهم، فيخف الأمرُ على موسى، وفي التنزيل: ﴿وبعثنا منهم اثني عشرَ نقيباً﴾. ﴿**أسباطاً أُمماً**﴾ الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليهما السلام]. ﴿**وأوحينا إلى موسى إذِ استسقاهُ قومُهُ أنِ اضربْ بعَصَاكَ الحَجرَ فانبجسَتْ منه اثنتا عشْرَةَ عيناً**﴾ تقدم تفسير هذا في سورة البقرة [عند قوله تعالى]: ﴿وإذِ استسقَى موسى لقومِهِ فقلنا اضرب بعَصَاكَ الحَجَرَ فانفجرتْ منه اثنتَا عشرةَ عيناً﴾ واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيّكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم مِن حجرٍ يُحمل معكم، وتفجيري الماءَ لكم منه مِن ثنتي عشرة عيناً، لكل سبطٍ من أسباطكم عينٌ قد عرفُوها. ﴿**وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوَى كلُوا مِن طيّباتِ مارزقناكم**﴾ فكلوا من المنّ والسلوى واشربُوا من هذا الماء. ﴿**وما ظلمونا ولكن كانُوا أنفسَهم يظلِمُون**﴾ **١٦١**: ﴿**وإذْ قيلَ لهمُ اسكنُوا هذه القرية وكلُوا منها حيثُ شئتم**﴾ القريه هذه هي بيت المقدس، ﴿**وقُولُوا حِطّةٌ**﴾ أقرُّوا بالذنوب وقولوا: احطط عنّا خطايانا. ﴿**وادخلُوا الباب سجداً**﴾ خاضعين، فدخلوا رافعِي رؤوسهم خلاف ما أُمروا. ﴿**نغفرْ لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين**﴾ هذا جواب الأمر؛ أي: إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضعّفنا لكم الحسنات **١٦٢**: ﴿**فبدّلَ الذين ظلموا منهم قولاً غيرَ الذي قيل لهم**﴾ بدّلُوا أمرَ اللهِ لهم من الخضوع بالقول والفعل، بالمخالفة والمعاندة، ولهذا أنزل اللهُ بهم بأسَهُ وعذّبهم بفسقهم، ﴿**فأرسلنا عليهم رجزاً**﴾ عذاباً ﴿**من السماء بما كانوا يظلِمُون**﴾ **١٦٣**: هذا السياق هو بسطٌ لقوله تعالى: ﴿ولقد علمتُم الذين اعتدَوْا منكم في السبت﴾ الآية. ﴿**واسألهم**﴾ واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمرَ الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واحتيالهم في المخالفة ﴿**إذْ يَعْدُون في السبت إذْ تأتيهم حيتانُهم يوم سبتهم شُرّعاً**﴾ يعتدون فيه ويُخالفون أمرَ الله فيه [في تحريم الصيد فيه] ويوم سبتهم تظهرُ الحيتانُ من كل مكان ﴿**ويومَ لا يسبِتُون لا تأتيهم**﴾ تختفي عنهم في اليوم الحلال لهم صيدُه ﴿**كذلك نبلوهم**﴾ نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرّم عليهم صيدُه ﴿**بما كانوا يفسُقُون**﴾ عن طاعة الله، وخروجهم عنها. وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم اللهبما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي في معناها في الباطن تعاطي الحرام. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ترتكبُوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدْنى الحِيَل». وإسناد هذا جيّد.

= الله ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ فقال: برأسه هكذا أي لا، فقال: ابنه أيْ والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتَك ومخرجك وإني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنّك رسول الله فقال: «أقيموا اليهود عن أخيكم» ثم تولى كفنَهُ والصلاةَ عليه. وهذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس. /ابن كثير ج٢/٢٥١/

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٦٤: يُخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنّهم صاروا إلى ثلاث فرق؛ فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نَهَتْ عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمُنكِرَة: ﴿**لِمَ تعظون قوماً اللهُ مهلكُهُم أو معذّبُهم عذاباً شديداً**﴾؟! لِمَ تنهون هؤلاء وقد استحقوا العقوبة؟ قالت لهم المُنكِرَة: ﴿**معذِرةً إلى ربِّكم**﴾ فيما أخَذَ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿**ولعلّهم يتّقون**﴾ ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله، فإذا تابوا تاب الله عليهم **١٦٥**: ﴿**فلمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا به**﴾ فلما أبَى الفاعِلُون قبول النصيحة ﴿**أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا**﴾ ارتكبوا المعصية ﴿**بعذاب بئيس**﴾، فنصّ على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأنّ الجزاء من جنس العمل **١٦٦**: ﴿**خاسئين**﴾ ذليلين حقيرين مُهانين **١٦٧**: ﴿**تأذّنَ**﴾ أعلَم، وأمرَ ﴿**ليَبْعَثَنّ عليهم**﴾ على اليهود ﴿**إلى يوم القيامة مَن يسومُهُمْ سوءَ العذابِ**﴾ بسبب عصيانهم ومخالفتهم شرع الله واحتيالهم على المحارم ﴿**إنّ ربّكَ لسريعُ العِقاب**﴾ لمن عصاه وخالف شرعه ﴿**وإنّه لغفورٌ رحيم**﴾ لمن تاب إليه وأناب. وهذا من باب قَرْنِ الرحمة مع العقوبة لئلا يحصلَ اليأس، لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف **١٦٨**: يذكر تعالى أنّه فرّقهم في الأرض أُمماً، أي: طوائف وفرقاً، كما قال: ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرضَ فإذا جاء وعدُ الآخرة جِئْنا بكم لَفِيفًا﴾. ﴿**وبلوناهم بالحسناتِ والسيّئاتِ**﴾ اختبرناهم بالرخاء والشدّة والعافية والبلاء ﴿**لعلّهم يرجعون**﴾ **١٦٩**: فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خَلَفٌ آخر لا خير فيهم، وقد وَرِثُوا دراسةَ التوراة ﴿**يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى**﴾ يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا، ﴿**ويقولون سيُغفر لنا**﴾ ويُسوِّفون أنفسهم بالتوبة ﴿**وإن يأتِهم عَرَضٌ مثلُهُ يأخذوه**﴾ لا ينهاهم شيء عن ذلك، لا يُبالون حلالاً كان أو حراماً، ﴿**ألَمْ يُؤخذْ عليهم ميثاقُ الكتاب أنْ لا يقولوا على الله إلّا الحقَّ ودَرَسُوا ما فيه**﴾ يقول تعالى منكراً عليهم صنيعهم هذا مع ما أُخذ عليهم الميثاقُ لَيُبيِّنُنّ الحق للناس ولا يكتمونه ﴿**والدّارُ الآخرةُ خيرٌ للذين يتّقُون أفلا تعقلون**﴾ أفليسَ لهؤلاء الذين اعتاضوا بعَرَض الدنيا عمّا عندي عقلٌ يردعهم عمّا هم فيه من السفه [والفسوق]. ثم أثنى تعالى على مَن تمسّكَ بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو مكتوب فيه فقال تعالى: **١٧٠**: ﴿**والذين يُمَسِّكُون بالكتابِ**﴾ اعتصمُوا به واقتدوا بأمره، وتركوا زواجرَه ﴿**وأقامُوا الصلاةَ إنّا لا نُضيعُ أجرَ المصلحين**﴾.

الآية : ١٦٩ قال السدى : في قوله ﴿ فخلفَ من بعدهم خلفٌ ﴾ إلى قوله ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ قال كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلاّ ارتشى في الحكم وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضي ارتشى فيقال له : ما شأنُكَ ترتشي في الحكم ؟ فيقول : سيغفرُ لي ، فتطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع ، فإذا مات أونُزِعَ وجُعِلَ مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي ، يقول وإن يأت الآخرين عرضُ الدنيا يأخذوه . /ابن كثير ج٢/٢٩٠ .

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقال للرجل من أهلِ النار يوم القيامة أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنتَ مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم ، فيقول : قد أردتُ منك أهونَ من ذلك ، قد أخذتُ عليك في ظهر آدمَ أن لا تشركَ بي شيئاً فأبيتَ إلاّ أن تشركَ بي » . وأخرجاه في الصحيحين /ابن كثير ج٢/٢٦١ .

الحزب ١٨

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧١: ﴿**وإذْ نتقنا الجبلَ فوقهم**﴾ رفعتهُ الملائكةُ فوق رؤوسهم، وهو قوله: ﴿ورفعنا فوقهم الطورَ بميثاقهم﴾، ﴿**كأنه ظُلّة**﴾ حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء نظروا إلى الجبل خرَّ كلُّ رجل ساجداً على حاجبه الأيسر، وكذلك كل يهودي يسجد على حاجبه الأيسر **١٧٢**: يُخبر تعالى أنّه استخرج ذُرِّيَّةَ بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أنّ الله ربُّهم ومليكُهم وأنّه لا إله إلّا هو، كما أنّه تعالى فطرهم على ذلك، قال تعالى: ﴿فأقم وَجْهَكَ للدِّين حَنيفاً فطرةَ الله التي فطرَ الناسَ عليها﴾، ثم استنطقهم: ألستُ بربّكم؟ قالوا بلى، قال: فإني أشهد عليكم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنّه لا إله غيري ولا ربَّ غيري، قالوا: نشهد أنّك ربُّنا وإلهنا لا ربَّ لنا غيرُك، فأقرّوا له يومئذ بالطاعة والتوحيد، ولهذا قال: ﴿**أن تقولوا يومَ القيامة**﴾ لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿**إنّا كنّا عن هذا**﴾ التوحيد ﴿**غافلين**﴾. ﴿**أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا**﴾ الآية: **١٧٣-١٧٤-١٧٥**: ﴿**واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**﴾ الآية، عن ابن مسعود وابن عباس، قالا: هو رجل من علماء بني إسرائيل، آتاه اللهُ آياته فتركها، وكان مُجاب الدعوة، بعثه نبيُّ اللهِ موسى إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام ﴿**فأتْبعَهُ الشيطانُ**﴾ استحوذ عليه ﴿**فكان من الغاوين**﴾ الهالكين البائرين **١٧٦**: ﴿**ولو شِئنا لرفعناه بها**﴾ لرفعناه من التدنّس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إيّاها ﴿**ولكنّه أخلدَ إلى الأرض**﴾ مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها وغرّته ﴿**واتّبعَ هواه فَمثَلُهُ كمثل الكلب**﴾ فصار مثله في ضلاله ﴿**إن تحملْ عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾ كالكلب في لهيثه في حالتيه، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان، ولا عدمه، كما قال تعالى: ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذِرْهم لا يؤمنون﴾، ﴿**فاقْصُصِ القَصَصَ لعلّهم**﴾ لعلّ بني إسرائيل يحذرون أن يكونوا مثله، فإنّ الله قد أعطاهم علماً وميّزهم على مَن عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم فهم أحقّ الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته ومؤازرته، ﴿**لعلّهم يتفكرون**﴾ **١٧٧**: ﴿**سَاءَ مثلاً القومُ الذين كذبوا بآياتنا**﴾ ساء مثلهم أن شُبِّهُوا بالكلاب التي لا همة لها إلّا في تحصيل أكلة أو شهوة، ﴿**وأنفسَهم كانُوا يظلِمُون**﴾ **١٧٨**: يقول تعالى: من هداه اللهُ فإنّه لا مُضلَّ له، ومَن أضلّه فقد خاب وخسر، وضلَّ لا محالة، فإنّه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الآية : ١٧٥ روى الحافظ أبو يعلى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشِّرك » قال قلت : يا نبيَّ الله أيّهما أولى بالشِّرك المرمي أو الرامي ؟ فقال : « بل الرامي » . هذا إسناد جيد . /ابن كثير ج٢/٢٦٥ .

الآية : ١٧٨ قال ابن كثير : يقول تعالى مَنْ هداه الله فإنه لا مضل له ومن أضله فقد خاب وخسر وضلّ لا محالة ، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . ولهذا جاء في حديث ابن مسعود : (إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورأنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِ اللهُ فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَهُ لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) رواه الإمام أحمد /ابن كثير ج٢/٢٦٧ .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

١٧٩: ﴿ولقد ذرأنا لجهنّم﴾ خلقنا وجعلنا لجهنّم **﴿كثيراً مِنَ الجنّ والإنس﴾** هيّأناهم لها وبعمل أهلها يعملون **﴿لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يُبصرُون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها﴾**، ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، **﴿أولئك كالأنعام﴾** التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلّا في الذي يُقيتُها في ظاهر الحياة الدنيا **﴿بلْ هُم أضلُّ﴾** من الدوابّ **﴿أولئك هم الغافِلُون﴾** **١٨٠**: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ لله تسعاً وتسعين اسماً، مائة إلّا واحداً، مَن أحصاها [أي: عدّها وحفظها] دخلَ الجنّة، وهو وِترٌ يُحبُّ الوِتْرَ»، أخرجاه في الصحيحين. والإلحادُ الملحِدين أنْ دَعُوا اللّاتَ في أسماء الله. يُشركون في أسمائه. والإلحادُ: التكذيب **١٨١: ﴿ومِمّنْ خلقنا﴾** بعض الأمم **﴿أمّةٌ﴾** قائمة بالحقّ قولاً وعملاً **﴿يهدُون بالحق﴾** يقولونه ويدعون إليه **﴿وبه يعدِلُون﴾** يعملون ويقضون. والمراد بهذه الأمة: هي هذه الأمة المحمدية **١٨٢**: إنّه يفتح لهم أبوابَ الرزق ووجوهَ المعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنّهم على شيء قادرون، كما قال تعالى: ﴿أخذناهم بغتةً فإذا هم مُبْلِسُون﴾ **١٨٣: ﴿وأُملِي لهم﴾** أطوّل لهم ماهم فيه **﴿إنّ كيدي متين﴾** قويٌّ شديد **١٨٤: ﴿أوَلَمْ يتفكّرُوا﴾** هؤلاء المكذبون بآياتنا **﴿ما بصاحبهم﴾** محمداً صلى الله عليه وآله وسلم **﴿مِنْ جِنّةٍ﴾** ليس به جُنونٌ بل هو رسول الله حقاً دَعَا إلى حقٍّ **﴿إنْ هو إلّا نذيرٌ مُبينٌ﴾** ظاهر لمن كان له لُبٌّ وقلب يعقل به **١٨٥**: أوَلَمْ ينظر هؤلاء المكذّبون بآياتنا في ملك الله وسلطانه فيتدبّرُوا ويعلموا أنّ ذلك لِمَنْ لا نظيرَ له ولا شبيه [سبحانه وتعالى] فيُؤمنوا به ويحذَرُوا أن تكون آجالهم قدِ اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله، **﴿فبأيّ حديثٍ بعده يُؤمِنون﴾**، فبأيّ تخويف وتحذير بعد تحذير محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أتاهم به من عند الله إن لم يُصدّقوا بهذا يُصدِّقون؟! **١٨٦: ﴿مَن يُضلِلِ اللهُ فلا هادِيَ له﴾** مَن كتب عليه الضلالة فإنّه لا يهديهِ أحد. [أي: يُضِلُّ اللهُ الذي لا يريد الهداية]، كما قال تعالى: ﴿وما تُغني الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يُؤمنون﴾؟! **١٨٧**: نزلت في قريش، كانوا يسألون عن وقت الساعة استبعاداً لوقوعها وتكذيباً بوجودها؛ **﴿يسألونكَ عَنِ الساعةِ أيّان مُرْسَاها﴾** متى محطّها **﴿قلْ إنّما علمُها عند ربي لا يُجلّيها لوقتها إلّا هو﴾** أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سُئل عن وقت الساعة أن يردّ علمها إلى اللهتعالى **﴿ثقلتْ في السموات والأرض﴾** على أهل السموات والأرض أنّهم لا يعلمون **﴿لا تأتيكم إلّا بغتةً﴾** على غفلة **﴿يسألونكَ كأنّكَ حَفِيٌّ عنها﴾** كأنّك بها عالم **﴿قلْ إنّما علمُها عند الله ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون﴾** أمره الله أن يردّ علمَ الساعة إليه سبحانه إذا سُئِلَ عنها.

الآية: ١٨٧ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «تقوم الساعة والرجل يحلب لقحته فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة والرجلان تبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم الساعة والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم».

قال ابن عباس لما سأل الناس النبي ﷺ عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنّهم يرون أن محمداً حَفِيٌّ بهم فأوحى الله إليه إنّما علمها عنده استأثر به فلم يطلع الله عليها ملكاً مقرّباً =

قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

الحِزْبُ ١٨

١٨٨: ﴿قُلْ لا أملِكُ لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا ما شاء الله﴾، أمره الله تعالى أن يُفوّض الأمور إليه، وأن يُخبرَ عن نفسه أنّه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلّا بما أطلعه الله عليه. **﴿ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ مِنَ الخيرِ﴾** لعملتُ عملاً صالحاً [أكثر مِمّا أنا عليه] يُرشِدُ غيرَه إلى الاستعداد. **﴿وما مسَّنِيَ السُّوءُ﴾** ولاجتنبتُ ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيتُه. ثم أخبر أنّه إنّما هو نذير من العذاب، وبشير للمؤمنين بالجنّات **١٨٩: ﴿هو الذي خلقكُمْ مِنْ نفسٍ واحِدةٍ وجعلَ منها زَوْجَها ليسكُنَ إليها﴾**؛ يُنبّهُ تعالى على أنّه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام، وأنّه خلق منه زوجته حوّاء، ثم انتشرَ الناس منهما. **﴿وجعلَ منها زوجها ليسكنَ إليها﴾** ليألفها ويسكن بها. **﴿فلمّا تغشاها﴾** وَطِئها **﴿حملتْ حملاً خفيفاً فمرّتْ به﴾** استمرت بحمله [حتى] استبان حملُها **﴿فلمّا أثقلتْ﴾** صارت ذات ثقلٍ بحملها **﴿دَعَوا اللهَ ربَّهُما لئن آتيتنا صالحاً﴾** بشراً سويّاً **﴿لنكوننّ مِنَ الشاكرين﴾ ١٩٠: ﴿فلمّا آتاهما صالحاً جعلا له شركاءَ فيما آتاهما﴾** هم اليهود والنصارى، رزقهم اللهُ أولاداً فهوّدُوا ونصَّرُوا. وليس المراد من هذا السياق آدم وحوّاء، وإنّما المراد من ذلك المشركون من ذرّيتهما ولهذا قال الله تعالى: **﴿فتعالى اللهُ عمّا يشركون﴾**، وذكرُ آدمَ وحوّاء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالِدَين، وهو الاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس **١٩١: ﴿أيُشرِكُونَ ما لا يخلقُ شيئاً وهم يُخلَقُون﴾**؟! هذا إنكارٌ مِنَ الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام وهي مخلوقة مصنوعة لا تملك شيئاً ولا تضرّ ولا تنفع، فمن هذه صفتُه وحاله كيف يُعبد؟ **١٩٢: ﴿ولا يستطيعُون لهم نصراً﴾** لعابديهم **﴿ولا أنفسَهُمْ ينصُرُون﴾**، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسّرُ أصنامَ قومه **١٩٣: ﴿وإنْ تدعوهم إلى الهدى لا يتبِعُوكم﴾** الآية. هذه الأصنام لا تسمع دعاءَ من دعاها، وسواءٌ لَديها من دَعَاها ومن دَحَاها **١٩٤: ﴿إنّ الذين تدعُون مِن دُونِ اللهِ عبادٌ أمثالكم فادْعُوهم فليستجِيبُوا لكم﴾**؟! [حاجّهم في عبادة الأصنام: إنّ الأصنام مخلوقة أمثالكم، فاطلبوا منهم النفع **﴿فليستجيبُوا لكم إن كنتم صادقين﴾**، ثم وبّخهم الله تعالى وسفّهَ عقولهم فقال:] **١٩٥**: [بيّنَ لهم أنّهم أفضلُ منهم فكيف يعبدونهم؟! والغرضُ بيان جهلهم]، **﴿قلِ ادْعُوا شركاءَكم﴾** استنصِرُوا بها عليّ فلا تُؤخروني طرفة عين، واجهدوا جهدكم.

= ولا رسولاً /ابن كثير ج٢/٢٧١ .

الآية : ١٩١ قال ابن كثير : هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لا تملك شيئاً من الأمر ولا تضر ولا تنفع ولا تنتصر لعابديها بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدوها أعمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال : ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون ﴾ أي أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئاً ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالبُ والمطلوب مَاقدَروا اللهَ حقَّ قدره إن الله لقوي عزيز ﴾ /تفسير ابن كثير ج٢/٢٧٦ .

إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ سجدة

١٩٦: الله حسبي وكافيني، وهو نصيري وعليه متكلي وإليه ألجأ، وهو وليّي في الدنيا والآخرة، وهو وليُّ كلِّ صالح بعدي **١٩٧**: **﴿والذين تدعون من دُونه﴾** إلى آخر الآية مؤكّدٌ لِما تقدم إلّا أنّه بصيغة الخطاب وذاك بصيغة الغيبة، ولهذا قال: **﴿لا يستطيعون نصرَكم ولا أنفسهم ينصرون﴾** **١٩٨**: **﴿وإن تدعُوهم إلى الهدى لا يسمعوا﴾** كقوله تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾، **﴿وتراهم ينظرون إليك﴾** يقابلونك بعيون مصوّرة كأنّها ناظرة وهي جماد، ولهذا عاملهم معاملة من يعقل لأنها على صورة الإنسان **﴿وهم لا يُبصرون﴾** **١٩٩**: أمرَه سبحانه بالعفوِ والصفح عن المشركين عشرَ سنين، ثم أمره بالغلظة عليهم. **﴿وأمُرْ بالعُرْف﴾** بالمعروف، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، **﴿وأعرِضْ عن الجاهلين﴾** هذا وإن كان أمراً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه تأديب لخلقه باحتمالِ مَن ظلمهم واعتدى عليهم، لا بالإعراض عمن جهلَ الحقَّ **٢٠٠**: وفي حديث الرجلين اللّذين تسابّا بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغضب أحدهما حتى جعلَ أنفُهُ يتمرغُ غضباً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي لأعلم كلمةً لو قالَها لذهب عنه ما يجد: أعوذ باللهِ من الشيطان الرجيم». **﴿وإمّا ينزغنّكَ من الشيطانِ نزغٌ﴾** وإمّا يغضبنّك من الشيطان غضبٌ **﴿فاستعذ بالله﴾** فاستجِرْ بالله **٢٠١**: يُخبر تعالى عن المتقين من عباده المؤمنين الذين أطاعوه وتركوا ما زجر عنه أنّهم إذا أصابهم طَيْفٌ من الشيطان من الغضب أو الصرع أو بالهمّ بالذنب وإصابته **﴿تذكروا﴾** عقابه لمن عصاه وثوابه لمن اتقاه؛ فتابوا **﴿فإذا هم مبصرون﴾** قد استقاموا وصَحَوْا مّما كانوا فيه **٢٠٢**: وإخوانُ الشياطين من الجنّ والإنس يساعدونهم على المعاصي **﴿ثم لا يُقصِرُون﴾** عمّا يعملون، ولا الشياطين تُمسكُ عنهم **٢٠٣**: لولا اقتضيتها وأخرجتها من نفسك؟! **﴿قلْ إنّما أتّبعُ ما يُوحَى إليّ من ربّي﴾** لا أتقدم إليه تعالى في شيء، وإنّما أتّبع ما أمرني به فأمتثل وَحْيَهُ، **﴿هذا بصائرُ من ربّكم﴾** الآية؛ أرشدهم أنّ هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبيّنات **٢٠٤**: أمرَ تعالى بالإنصات عند تلاوة القرآن إعظاماً له واحتراماً. روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن استمع إلى آية مِن كتابِ الله كُتِبَتْ له حسنةٌ مضاعفة، ومَن تلاها كانت له نوراً يومَ القيامة» **٢٠٥**: يأمر تعالى بذكره أولَ النهار وآخرَه كثيراً. **﴿تضرّعاً وخِيفةً﴾** اذكر ربَّكَ في نفسك رغبةً ورهبةً، **﴿ودون الجهرِ مِنَ القول﴾** هكذا يُستحبُّ أن يكون الذكر، لا يكون نداءً وجهراً بليغاً. **﴿ولا تكن من الغافلين﴾** فيه الحضُّ على كثرة الذكر لئلا يكونَ من الغافلين **٢٠٦**: مدحَ الملائكة، وذكّرهم بهذا ليُقتدَى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم. وهذه أول سجدة في القرآن.

الآية: ١٩٩ روى ابن جرير ابن أبي حاتم عن أُبي قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيّه ﷺ ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ قال رسول الله ﷺ: « ما هذا يا جبريل؟ »، قال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك.

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال لقيتُ رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذتُ بيده فقلتُ: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: « يا عقبة صلْ من قطعك وأعطِ من حرمك وأعرض عمن ظلمك ». وروى الترمذي نحوه /ابن كثير ج٢/٢٧٧.

سورة الأنفال

ترتيبها ٨ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ١٨

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

تفسير سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن عباس: سورة الأنفال نزلت في بدر. **١**: الأنفالُ: الغنائم كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالصة ليس لأحدٍ منها شيء. فقسمها يوم بدرٍ على ما أراهُ اللهُ من غير أن يُخمِّسَها. ثم نزلت بعد ذلك آيةُ الخُمُس فنسختِ الأولى. ﴿**فاتقوا الله**﴾ في أموركم ﴿**وأصلِحُوا ذاتَ بينِكم**﴾ فلا تظالموا ولا تخاصَمُوا ولا تشاجَرُوا ﴿**وأطيعُوا الله ورسولَهُ إنْ كنتم مؤمنين**﴾ في قَسْمِهِ بينكم على ما أراده الله، فإنّه إنّما يقسمه كما أمرَه اللهُ من العدل والإنصاف **٢**: هو الرجلُ يُريدُ أن يظلم أو يهم بمعصية فيُقال له: اتّقِ اللهَ، فيَجِلُ قلبُه، ويخاف منه. فإذا وجدتَ [أيها المؤمن] ذلك فادعُ اللهَ عند ذلك فإنّ الدعاءَ يُذهِب ذلك [فيجعله مطمئناً بذكر الله]. ﴿**وعلى ربّهم يتوكّلون**﴾ فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلّا إيّاه، ولا يلوذون إلّا بجنابه **٣**: يُنبِّهُ تعالى بذلك على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشملُ أنواعَ الخير كلها. وإقامة الصلاة والمحافظة عليها، والإنفاق يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق. [أنفق يا ابن آدم] فإنّما هذه الأموال عواريَ وودائع عندك **٤**: المتصفون بهذه الصفاتِ هُمُ المؤمنون حقَّ الإيمان. ﴿**لهم درجاتٌ عندَ ربّهم**﴾ منازل ومقامات.، ودرجات في الجنّات. ﴿**ومغفرةٌ**﴾ يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات ﴿**ورزقٌ كريم**﴾ [وهو نعيم الجنّة] **٥**: كما أنّكم اختلفتم في المغانم فانتزعها اللهُ منكم وجعلها إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقسمها على العدل؛ فكان هذا هو المصلحة كذلك لمّا كرهتم الخروج إلى الأعداء، فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأنْ قدّره لكم رُشْداً وهُدَىً ونصراً وفتحاً **٦**: هذا خبرٌ عن المؤمنين ﴿**يجادلُونك في الحق**﴾ كراهيةً للقاءِ المشركين وإنكاراً لمسير قريش من ﴿**بعد ما تبيّن**﴾ لهم الحق إنّك لا تفعل إلّا ما أمرَكَ اللهُ به ﴿**كأنما يُساقُون إلى الموت**﴾ هؤلاء المشركون يُساقون إلى الموت [في بدر] ﴿**وهم ينظرون**﴾ **٧**: هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم، ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام؛ وأنتم تُحبّون أن لا يكون قتال، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عليكُمُ القتالُ وهو كُرْهٌ لكم. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم. وعسى أن تُحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم﴾ **٨**: ﴿**لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطلَ ولو كرِهَ المجرمُون**﴾.

الآية : ١ روى ابن المبارك عن عطاء بن أبي رباح في الآية ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ قال يسألونك فيما شذّ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابةٍ أو عبدٍ أو أمة أو متاع فهو نفل للنبي ﷺ يصنعُ به ما يشاء ، وهذا يقتضي أنه فسّر الأنفال بالفيء وهو ما أُخذ من الكفار من غير قتال . وروى ابن جرير هي أنفال السرايا أو هي الزيادة على القسم من الغنائم .

الآية : ٥ روى الإمام أبو جعفر الطبري اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه الكلف في قوله ﴿ كما أخرجك ربك ﴾ فقال بعضهم شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم وإصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله ، ومعنى هذا أن الله تعالى يقول كما أنكم لمّا اختلفتم في الغنائم وتشاححتم فيها فانتزعها الله منكم وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله ﷺ فقسمها على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم ، وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصرِ دينهم وإحرازِ عيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدَّرَهُ لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشداً وهدى ونصراً وفتحاً . كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو :

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

٩: لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وهم ثلثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل القِبلةَ، فما زال يستغيثُ ربَّه ويدعوه حتى أنزل اللهُ عزّ وجلّ: ﴿**إذْ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي مُمِدُّكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفِين**﴾ متتابعين نجدةً لكم **١٠**: وما جعلَ اللهُ بعثَ الملائكة وإعلامه إيّاكم بهم إلّا بُشْرَى ﴿**ولتطمئنّ بهِ قُلوبُكم وما النَّصْرُ إلّا من عندِ اللهِ إنّ اللهَ عزيزٌ حكيم**﴾ له العِزّةُ ولرسوله، حكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم بحوله وقوّته سبحانه وتعالى **١١**: يُذكّرُهم اللهُ تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه النُّعاسَ أماناً أمّنهم به مِن خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم. والنُّعاسُ في القتال أَمَنَةٌ مِنَ الله، وفي الصلاة مِنَ الشيطان. ﴿**ويُنزّلُ عليكم من السماءِ ماءً ليُطهرَكم به**﴾ من الحَدَثِ الأصغر والأكبر، وهو تطهير الظاهر، ﴿**ويُذهِبَ عنكم رِجْزَ الشيطان**﴾ مِن وسوسةٍ أو خاطر سيءٍ، وهو تطهير الباطن ﴿**وليربطَ على قلوبكم**﴾ بالصبر والشجاعة ﴿**ويُثبّتَ بهِ الأقدام**﴾ **١٢**: وهذه نِعمةٌ خفيّةٌ أظهرها اللهتعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنّه تعالى أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيّه ودِينه: أن آزِرُوا الذين آمنوا سأُلقي الرُّعْبَ والصَّغار على مَن خالف أمري وكذّب رسولي، ﴿**فاضْرِبُوا فوقَ الأعناق**﴾ الرقاب ﴿**واضْرِبُوا منهم كلَّ بَنَان**﴾ الأطراف منهم **١٣**: خالفوهما وتركوا الشرعَ والإيمان، ﴿**ومَن يُشاقِقِ الله ورسولَهُ فإنّ اللهَ شديدُ العِقاب**﴾ لمن خالفه وناوَأَه **١٤**: هذا خطابٌ للكفار؛ أي: ذُوقُوا هذا العذاب في الدنيا، واعلموا أيضاً أنّ للكافرين عذابَ النّار في الآخرة **١٥**: يقول تعالى مُتوعِّداً على الفِرَار من الزحف بالنّار لمن فعل ذلك: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتُمُ الذين كفرُوا زَحْفاً**﴾ تقاربتم ودنوتم إليهم ﴿**فلا تولّوهم الأدبار**﴾ تفرُّوا وتتركوا أصحابَكم **١٦**: ﴿**...إلّا مُتحرِّفاً لقتال**﴾ يفِرُّ بين يدي قِرنِهِ مكيدة، ثم يكرّ عليه فيقتله، فلا بأس عليه في ذلك، ﴿**أو مُتحيّزاً إلى فِئةٍ**﴾ فرّ من ههنا إلى فِئة أخرى من المسلمين يُعاونهم ويُعاونونه فيجوز ذلك، وفي الصحيحين: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اجتنبُوا السبعَ الموبقات» [وقد عدَّ منهنّ: الشرك....والتولي يوم الزحف]، ولهذا قال تعالى: ﴿**فقد بَاءَ**﴾ رجع ﴿**بغضبٍ مِنَ الله ومَأْواه جهنّمُ**﴾ مصيره ومنقلبه يوم ميعادِهِ ﴿**وبِئْسَ المصيرُ**﴾.

= خير لكم وعسَى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ /ابن كثير ج٢/٢٨٧ .

الآية : ٩ روى البخاري في باب شهود الملائكة بدراً . عن معاذ بن رفاعة ابن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها » قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . /ابن كثير ج٢/٢٩٠ .

الآية : ١١ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : نزل النبي ﷺ حين سار إلى بدر والمشركون بينهم وبين الماء زملة دعصة ، وأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسُ بينهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وثبتَ الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم ، وأمدَّ الله نبيَّهُ ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائةٍ مجنبةً وميكائيل في خمسمائةُ مجنبةً . /ابن كثير ج٢/٢٩١ ، ٢٩٢ .

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

نصف الحزب ١٨

١٧: بيّن تعالى أنّه خالق أفعال العباد، وأنّه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم، ولهذا قال: **﴿فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم﴾** ليس بحولكم وقوّتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلّة عددكم، بل هو الذي أظفركم عليهم. وهذا كان يوم بدر، **﴿وما رَمَيْتَ إذْ رميتَ ولكنّ الله رمى﴾** وذلك لمّا دنا المشركون أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبضةً من تراب فرمى بها في وجوههم وقال: «شاهتِ الوجوه»، فانهزموا، **﴿وليُبْلِي المؤمنين منه بلاءً حسناً﴾** ليُعرِّف المؤمنين نعمته عليهم ليشكروه عليها **﴿إنّ الله سميعٌ عليم﴾** **١٨**: هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر، أنّه أعلمهم تعالى بأنّه مُضعِفُ كيد الكافرين **١٩**: **﴿إن تستفتحوا﴾** تستنصروا الله أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ما سألتم؛ وذلك أنّ أبا جهل قال يومَ بدرٍ: اللهم أيّنا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فنزلت الآية [يخبر فيها] قد نصرتُ ما قلتم، وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم. **﴿وإن تنتهوا﴾** عمّا أنتم عليه من الكفر **﴿فهو خيرٌ لكم﴾** في الدنيا والآخرة. **﴿وإن تعودُوا﴾** إلى ماكنتم فيه من الكفر **﴿نَعُدْ﴾** لكم بمثل هذه الوقعة **﴿ولن تُغنيَ عنكم فئتكم شيئاً ولو كَثُرتْ﴾** ولو جمعتم الجموع **﴿وأنّ الله مع المؤمنين﴾** وهم الحزب النبويّ والجناب المصطفويّ **٢٠**: يأمر تعالى عبادَه المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته وترك طاعته بعدما علمتم ما دعاكم إليه **٢١**: **﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾** وهم المنافقون، فإنهم يُظهرون أنّهم قد سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك **٢٢**: **﴿إنّ شرَّ الدوابِّ عندَ اللهِ الصُّمُّ﴾** عن سماع الحق **﴿البُكْمُ﴾** عن فهمه **﴿الذين لا يعقِلُون﴾** شبّههم بالأنعام، لأنّ كل دابّة ممّا سواهم مطيعة لله فيا خلقها له، وهؤلاء خُلِقُوا للعبادة فكفروا **٢٣**: **﴿ولو عَلِمَ الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾** لأفهمهم **﴿ولو أسمعهم لَتَوَلَّوْا وهم مُعْرِضون﴾** عن ذلك قصداً وعناداً بعد فهمهم ذلك **٢٤**: **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبُوا﴾** أجيبُوا **﴿لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم﴾** لِما يُصلحكم، وهو هذا القرآن فيه النجاةُ والبقاء والحياة، **﴿واعلموا أنّ الله يحولُ بينَ المرء وقلبه﴾** يحُول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان؛ فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلّا بإذنه [ومشيئته التي يخضع لها كلُّ شيء من حق وباطل وخير وشرّ] ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول: «يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبّتْ قلبي على دينِكَ» وقال: «إنّ القلوبَ بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلّبُها كيف يشاء»، [رواه الترمذي في كتاب القدر] **٢٥**: يُحذِّرُ اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين فتنةً؛ أي: اختباراً ومِحْنَةً، يعمُّ بها المُسيء وغيره، لا يخصُّ بها أهلَ المعاصي ولا مَن باشرَ الذنب، بل يعمّها، لم تُدْفعْ وتُرْفَعْ. روى الإمام أحمد عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا ظهرتِ المعاصي في أمتي عَمَّهُمُ اللهُ بعذابٍ من عنده»، فقلتُ: يا رسول الله أمَا فيهم أُناسٌ صالحون؟ قال: «بلى» قلتُ: فكيفَ يصنعُ أولئك؟ قال: «يُصيبُهم ما أصابَ النّاسَ ثم يصيرون إلى مغفرةٍ من اللهِ ورضوان».

الآية ١٦ روى الطبراني عن بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعتُ أبي يحدّث عن جدي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه ـ غفر له وإن كان قد فرَّ من الزحف»، رواه أبو داود وأخرجه الترمذي عن البخاري.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٦: يُنبّه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثّرهم، ومستضعفين خائفين فقوّاهم ونصرهم. وهذا كان حالهم في مكة، حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم إليها وقيّض لهم أهلها [تضمن ذلك طلب الشكر] على نِعَمِ الله، فإنّه مُنعمٌ يُحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله **٢٧**: نزلت في أبي لُبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله، فاستشاروه في ذلك، فأشار بيده إلى حلقه؛ أي: إنّه الذبح. ثم فطن أبو لبابة ورأى أنّه قد خان اللهَ ورسولَه **٢٨**: ﴿**واعلموا أنما أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ**﴾ اختبار وامتحان لكم، ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أو تشتغلون بها عنه. [وكان لأبي لُبابة أموالٌ وأولادٌ في بني قريظة. وهذا ما حمله على ملاينتهم]. ﴿**وأنّ الله عنده أجرٌ عظيمٌ**﴾ ثوابه وعطاؤه وجنّاته خيرٌ لكم من الأموال والأولاد **٢٩**: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنْ تتّقُوا الله يجعلْ لكم فُرْقاناً**﴾ مخرجاً ونجاةً في الدنيا والآخرة ﴿**ويُكفرْ عنكم سيّئاتِكم**﴾ يمحوها ﴿**ويغفرْ لكم**﴾ وغفرها سترها عن الناس ﴿**واللهُ ذُو الفضلِ العظيمِ**﴾ **٣٠**: هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل كان ليلة الهجرة. ﴿**ويمكرُون ويمكرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين**﴾ فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلّصتُكَ منهم. وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم على بابه، ومعه حُفْنَةٌ من تراب فجعل يَذَرُها على رؤوسهم، وأخذَ اللهُ أبصارهم، وهو يقرأ: ﴿يس والقرآن الحكيم -إلى قوله- فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ **٣١**: يُخبر تعالى عن كفرِ قريش ودعواهم الباطل إذا تتلى عليهم آياتُ الله أنّهم يقولون: ﴿**قد سمعنا لو نشاءُ لَقُلنا مِثلَ هذا**﴾، وهذا منهم قول بلا فعل، وإلّا فقد تُحِدُّوا غيرما مرّةٍ أن يأتوا بسورة من مثله، فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً. ﴿**إنْ هذا إلّا أساطير الأوّلين**﴾ كُتُبُهم اقتبسها فهو يتلوها على الناس، وهذا كذبٌ بَحْتٌ، كما أخبر عنهم: ﴿وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلاً﴾ **٣٢**: القائل أبو جهل [والمشركون معه على هذا القول]، وهذا من كثرة جهلهم وشدّة تكذيبهم، وهذا مِمّا عُيِبُوا به، وكان الأَولى أن يقولوا: اللهم إنْ كان هذا هو الحق من عندك فاهْدِنَا له، ولكن استعجلوا العذاب. وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كقوم شُعيب لّما قالوا له: ﴿فأسقطْ علينا كِسَفاً مِنَ السماءِ إن كنتَ مِنَ الصادقين﴾. [ولّما قال المشركون ذلك نزل قوله تعالى:] **٣٣**: ﴿**وما كان اللهُ لِيُعَذّبَهم وأنتَ فيهم**﴾ فما كان الله ليعذّبَ قوماً وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يُخرجهم. ﴿**وما كان اللهُ مُعَذّبهم وهم يستغفرون**﴾، قال ابن عباس: كان فيهم أَمَانَان: النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاستغفار، فيذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبَقِيَ الاستغفار.

الآية : ٢٨ ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان أن يُلقَى في النّار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذْ أنقذه الله منه » .

قال ابن كثير : بل حب رسول الله ﷺ مقدم على الأولاد والأموال والنفوس كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين» . /ابن كثير ج٢/٣٠١ .

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٣٤: يُخبر تعالى أنّهم أهلٌ لأن يُعذِّبَهم، ولكن لم يُوقع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم، ولهذا لمّا خرج من بينهم أوقع اللهُ بأسَه، وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب والشرك والفساد ثم ذكَرَ: وكيف لا يُعذِّبهم الله وهم يصدُّون عن المسجد الحرام بمكة المؤمنين عن الصلاة والطواف فيه ﴿**وما كانوا أولياءه**﴾ ليسوا هم أهل المسجد الحرام ﴿**إنْ أولياؤه إلّا المتقون**﴾ وإنما أهله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه **٣٥**: المكاءُ: الصفيرُ. والتصديةُ: التصفيقُ. وكانوا يضعون خُدُودَهم على الأرض ويُصفقُون ويصفرون **٣٦**:أخبر تعالى أنّ الكفار ينفقون أموالهم لِيَصُدُّوا عن اتباع الحق، فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالُهم ثم تكون عليهم ندامةً حيث لم يجدوا شيئاً؛ لأنّهم أرادوا إطفاء نور الله، واللهُ مُتمّ نوره ولو كره الكافرون **٣٧**: ﴿**ليميزَ اللهُ الخبيثَ من الطيّب**﴾ فيُميّز أهل السعادة من أهل الشقاء. ﴿**ويجعلَ الخبيثَ بعضَهُ على بعضٍ فيرْكُمَهُ جميعاً**﴾ يجمعُه كلَّه ﴿**فيجعلَهُ في جهنّمَ أولئك هم الخاسرون**﴾ في الدنيا والآخرة **٣٨**: ﴿**قلْ للذين كفروا إنْ ينتهوا**﴾ عمّا هم فيه من الكفر ويدخلوا في الإسلام ﴿**يُغفرْ لهم ما قد سَلَفَ**﴾ من كفرهم ﴿**وإنْ يعُودُوا**﴾ إلى ما هم فيه ﴿**فقد مضتْ سُنّةُ الأوّلين**﴾ إنهم إذا كذّبوا واستمروا على عنادهم فإنّا نُعاجلهم بالعذاب والعقوبة **٣٩**: ﴿**وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ**﴾ لا يكون شرك. وحتى لا يُفتن مسلم عن دينه. ﴿**ويكونَ الدِّينُ كلُّهُ لله**﴾ ويكون التوحيدُ خالصاً للهليس فيه شرك، ويُخلع ما دونه من الأنداد. ﴿**فإنِ انتهوا**﴾ عمّا هم فيه من الكفر وكفُّوا عن قتالكم ﴿**فإنّ الله بما يعملون بصير**﴾ **٤٠**:وإنِ استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أنّ الله مولاكم وناصرُكم على أعدائكم، فنِعمَ المولى ونِعمَ النصير.

الآية : ٣٣ روى الإمام أحمد عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الربُّ : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » .

وروى الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال : « العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل » . /ابن كثير ج٢/٣٠٥ .

الآية : ٣٨ جاء في الصحيح من حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر » .

وفي الصحيح أيضاً أنّ رسول الله ﷺ قال : « الإسلامُ يَجُبُّ ما قبلَهُ والتوبةُ تَجبُّ ما كان قبلها » أي تهدم الذنوب وتُذْهِبُها . /ابن كثير ج٢/٣٠٨ .

الآية : ٣٩ ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله ، فإذا قالوها عصموا منّي دماءَهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابها على الله عزّ وجلّ » وفيهما عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويُقاتل رياءً أيُّ ذلك في سبيل الله عز وجل ؟ فقال : « مَنْ قاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيل الله عزّ وجل » . /ابن كثير ج٢/٣٠٩ .

الآية : ٤٤ روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لقد قُلّلُوا في أعيننا يومَ بدرٍ حتى قلتُ لرجلٍ إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : لا بل هم مائة ، حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه فقال : كنّا ألفاً . /ابن كثير ج٢/٣١٥ .

۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

٤١: يبيّن الله تعالى تفصيلَ ما شرعَهُ مخصصاً لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدّمة بإحلال الغنائم. روى البيهقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق: قال رجل: يا رسول الله ما تقول في الغنيمة؟ فقال: «لله خُمسُها، وأربعة أخماسها للجيش». ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهمٌ للرسول [وسهم الله وسهم الرسول واحد] وسهم لذوي القربى [من بني هاشم وعبد المطلب] وسهم لليتامى المسلمين، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل . ﴿**إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا**﴾ امتثلوا ما شرعنا لكم من الخُمس في الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله ﴿**وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان**﴾ في القسمة ﴿**يوم التقى الجمعان**﴾ يُنبّه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدرٍ **٤٢**: يقول تعالى مخبراً عن يوم الفرقان: ﴿**إذْ أنتم بالعدوة الدنيا**﴾ إذْ أنتم نزول بعدوة الوادي القريبة إلى المدينة ﴿**وهم**﴾ المشركون نزولٌ ﴿**بالعدوة القصوى**﴾ البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة ﴿**والركبُ**﴾ العِيرُ الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة ﴿**أسفلَ منكم**﴾ مما يلي سيف البحر ﴿**ولو تواعدتُم**﴾ أنتم والمشركون ﴿**لاختلفتم في الميعاد**﴾ ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلّة عددكم ما لقيتموهم ﴿**ولكن ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً**﴾ من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله، ﴿**ليهلكَ مَن هلك عن بيّنة**﴾ ليكفر مَن كفر بعدما رأى من الآية والعبرة ﴿**ويحيي من حيَّ عن بيّنة**﴾ يُؤمن من آمن عن حجّة وبصيرة. والإيمان هو حياة القلوب. ﴿**إنّ الله لسميعٌ**﴾ لدعائكم ﴿**عليمٌ**﴾ بكم **٤٣**: أراهم الله إيّاه في منامه قليلاً وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتاً لهم. ﴿**ولو أراكهم كثيراً لفشلتم**﴾ لجبنتم عنهم ﴿**ولتنازعتم**﴾ فيما بينكم ﴿**في الأمر ولكنّ الله سلّم**﴾ من ذلك بأن أراكهم قليلاً ﴿**إنّه عليم بذات الصدور**﴾ بما تُجنّه الضمائر **٤٤**: وهذا من لطفه تعالى بهم إذْ أراهم إيّاهم قليلاً. أغرى كلاً من الفريقين بالآخر، فلمّا التحم القتال وأيّد الله المؤمنين بألف من الملائكة، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضِعفَيْه. ﴿**ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً**﴾ ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممّن أرادَ الانتقام منه، والإنعام على مَن أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته **٤٥**: هذا تعليمٌ من الله لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، ﴿**فاثبتوا واذكروا الله كثيراً**﴾ افترضَ اللهُ ذكرَهُ عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف. وما من شيءٍ أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر.

الآية : ٤٥ روى الطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح عن جابرقال : قال رسول الله ﷺ : « ما عَمِلَ آدميٌّ عملاً أنجى له من العذابِ من ذكرِ اللهِ تعالى » ! قيل : ولا الجهادُ في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلاّ أن يضربَ بسيفهِ حتى ينقطعَ » . وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالِكم وأزكاها عندَ مليككم ، وأرفعِها في درجاتكم ، وخيرٍ من إنفاق الذهبِ والوَرِقِ [أي الفضة] ؟ وخيرٍ لكم من أن تَلْقَوْا عدوّكم فتضربوا أعناقَهُمْ ، ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى ! قال : « ذِكْرُ الله » !! رواه أحمد بإسناد حسن والترمذي والبيهقي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد . وعن أمّ أنس أنها قالت : يا رسول الله أوصني ، قال : « اهجري المعاصي ، فإنّها أفضل الهجرة ، وحافظي على الفرائض ، فإنّها أفضلُ الجهاد ، وأكثري من ذِكرِ اللهِ ، فإنّك لا تأتينَ اللهَ بشيء أحبَّ إليه من كثرة ذِكرِهِ » رواه الطبراني بإسناد حسن .

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

٤٦: أمر الله تعالى أن يطيعوه ورسوله في حالهم ذلك، ولا يتنازعوا فيا بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم ﴿**وتذهب ريحكم**﴾ قوّتكم وحدّتكم وما أنتم فيه من الإقبال. ﴿**واصبروا إنّ الله مع الصابرين**﴾، وفي الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أيّها الناس لا تتمنّوا لقاء العدوّ، واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف» **٤٧**: بعد أمره تعالى المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره نهاهم عن التشبّه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً، أي دفعاً للحق، ورئاءً، وهو المفاخرة والتكبّر. كما قال أبو جهل: لا والله لا نرجع حتى نرِدَ ماءَ بدرٍ وننحر الجزور ونشرب الخمر وتعزف علينا القِيَانُ وتتحدّث العرب بمكانِنَا. فانعكسَ ذلك عليه أجمع.. فركمُوا في أطوار بدر مهانين أذلّاء، أشقياء في عذابٍ سرمديّ أبديّ ﴿**والله بما يعملون محيط**﴾ عالم بما جاؤوا به وله، ولهذا جازاهم عليه شرّ الجزاء **٤٨**: حسّنَ لهم لعنه الله ما جاؤوا له وما همُّوا به، وأطمعهم أنّه لا غالبَ لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية، ﴿**وقال لا غالبَ لكم اليومَ من الناس وإنّي جارٌ لكم**﴾، كما قال تعالى عنه: ﴿يَعِدُهم ويُمنّيهم وما يَعِدُهُمُ الشيطانُ إلّا غُروراً﴾. وتلك عادة عدوّ الله لمن أطاعه ﴿كمثل الشيطان إذْ قال للإنسان اكفرْ فلمّا كفرَ قال إنّي بريءٌ منك﴾. ﴿**فلمّا تراءتِ الفئتان نكصَ على عقبيه**﴾ لمّا رأى إبليسُ الملائكة نكَصَ على عقبيه، وقال: إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون، روى الإمام مالك: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما رأى إبليسُ يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك مِمّا يرى من نزول الرحمة والعفو عن الذنوب، إلّا ما رأى يومَ بدرٍ»!! قالوا: يا رسول الله وما يوم بدرٍ؟ قال: «أمَا إنّه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة» **٤٩**: لمّا دَنَا القومُ بعضُهم من بعض قلّلَ الله المسلمين في أعين المشركين، وقلّلَ المشركين في أعين المسلمين قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض –أي: ارتياب– غرَّ هؤلاء دينُهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، ﴿**ومن يتوكلْ على الله**﴾ يعتمد على جنابه ﴿**فإنّ الله عزيزٌ**﴾ لا يُضام من التجأ إليه ﴿**حكيم**﴾ ينصر من يستحق النصر **٥٠**: ولو عاينتَ يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار؛ لرأيت أمراً عظيماً هائلاً فظيعاً منكراً إذ يضربون وجوهَهم وأدبارَهم، ويقولون لهم ذُوقوا عذاب الحريق **٥١**: هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيّئة في حياتكم الدنيا، ﴿**وأنّ الله ليسَ بظلامٍ للعبيد**﴾ لا يظلم سبحانه أحداً من خلقه، بل هو الحكم العدل الذي لا يجور تبارك وتعالى وتقدّس وتنزّه. وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله تعالى يقول: يا عبادي إنّي حرّمتُ الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم محرّماً فلا تظالموا» **٥٢**: فعلَ هؤلاء من المشركين بما أُرسلتَ به يا محمد كما فعلَ الأممُ المكذّبة قبلهم ففعلنا بهم ما هو دأبُنا وسنّتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون، ومن قبلهم من الكافرين، ﴿**فأخذهم الله بذنوبهم**﴾ بسبب ذنوبهم أهلكهم وأخذهم أخذَ عزيزٍ مقتدر ﴿**إنّ الله قويّ شديد العِقاب**﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

ربع الحزب ١٩

٥٣: يُخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنّه تعالى لا يغيّر نعمةً أنعمها على أحدٍ إلّا بسبب ذنب ارتكبه، كقوله تعالى: ﴿إنّ الله لا يُغيّرُ ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم﴾ **٥٤**: ﴿**كدأبِ آلِ فرعون**﴾ كصنعهِ بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكهم بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنّاتٍ وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين **٥٥**: أخبرَ تعالى أنّ شرَّ ما دَبَّ على وجه الأرض هم الذين كفروا، فهم لا يُؤمنون **٥٦**: الذين كلّما عاهدُوا عهداً نقضوه، وكلّما أكّدوه بالأيمان نكثُوهُ. ﴿**وهم لا يتّقون**﴾ لا يخافون من الله في شيءٍ ارتكبوه من الآثام **٥٧**: ﴿**فإمّا تثقفنّهم في الحرب**﴾ تغلبهم وتظفر بهم في حربٍ ﴿**فشرّدْ بهم مَن خلفهم**﴾ نكّلْ بهم؛ ليخاف مَن سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرةً، ﴿**لعلهم يذّكّرون**﴾ يحذرون أن ينكثوا فيُصنع بهم مثلَ ذلك **٥٨**: يقول تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وإمّا تخافنّ من قومٍ**﴾ قد عاهدتهم ﴿**خيانةً**﴾ نقضاً لِما بينَكَ وبينهم من المواثيق والعهود ﴿**فانبذْ إليهم**﴾ عهدَهم ﴿**على سواء**﴾ أعلمهم بأنك قد نقضتَ عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنّك حرب لهم وهم حرب لك، وأنّه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي: تستوي أنت وهم في ذلك. ﴿**إنّ الله لا يُحبّ الخائنين**﴾ حتى ولو في حقّ الكفار لا يُحبُّها أيضاً **٥٩**: ﴿**ولا يحسبنّ**﴾ يا محمد ﴿**الذين كفروا سَبَقُوا**﴾ فاتونا فلا نقدر عليهم بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا، كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئسَ المصير﴾ **٦٠**: أمرَ تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال سبحانه: ﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم**﴾ مهما أمكنكم ﴿**من قوّة ومن رباط الخيل**﴾، روى الإمام أحمد: عن عقبة بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة، ألَا إنّ القوّةَ الرمي، ألا إنّ القوّة الرمي». ﴿**ترهبون**﴾ تخوّفون ﴿**به عدوَّ الله وعدوّكم**﴾ من الكفار ﴿**وآخرين من دونهم**﴾ وهم المنافقون. ﴿**وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يوفَ إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾ مهما أنفقتم في الجهاد فإنّه يُوفى إليكم على التمام والكمال، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود أنّ الدرهم يُضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف **٦١**: ﴿**وإن جنحوا**﴾ مالوا ﴿**للسلم**﴾ المسالمة والمصالحة والمهادنة ﴿**فاجنحْ لها**﴾ فملْ إليها واقبل منهم ذلك، ﴿**وتوكلْ على الله**﴾ فإنّ الله كافيك وناصرك. ﴿**إنّه هو السميع العليم**﴾.

الآية : ٥٨ ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال : « يا أيها النّاس لا تتمنوا لقاءَ العدو واسألوا اللهَ العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنّةَ تحت ظلال السيوف » ثم قام النّبي ﷺ ، وقال : « اللّهم منزّل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » . /ابن كثير ج٢/٣١٦ .

الآية : ٦٠ روى الإمام أحمد وأهل السنن قال : قال رسول الله ﷺ : « ارموا واركبوا وإن ترموا خير من أن تركبوا » أي ارموا الكفار بالنبل ، واركبوا الخيل حين القتال والهجوم .
وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « الخيل ثلاثة : ففرس للرحمن ، وفرس للشيطان ، وفرس للإنسان ، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله =

وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

٦٢: ولو كانوا يريدون بالصلح خديعةً ليتقوّوا ويستعدوا **﴿فإنّ حسبك الله﴾** كافيكَ وحده **﴿هو الذي أيّدك بنصرهِ وبالمؤمنين﴾** **٦٣:** أي لِما كان بينهم من العداوة والبغضاء، بين الأوس والخزرج، كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، فقطع الله ذلك الشر بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ **﴿لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما ألّفتَ بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنّه عزيزٌ حكيم﴾** **٦٤:** حَسْبُكَ اللهُ وحسبُ مَن شهدَ معك، ولهذا قال: **٦٥:** **﴿يا أيّها النبيُّ حَرِّضِ المؤمنين على القتال﴾**، حثّهم أو مُرْهُم عليه، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحرِّض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عَدَدِهم وعُدَدِهم: ﴿قُومُوا إلى جنّةٍ عرضُها السموات والأرض﴾، ثم قال تعالى مبشراً للمؤمنين وآمراً: **﴿إنْ يكن منكم عِشْرُون صابرون يغلِبُوا مائتين وإن يكن منكم مائةٌ يغلِبُوا ألفاً من الذين كفروا﴾**، كلُّ واحدٍ بعشرةٍ، ثم نُسخ هذا الأمرُ وبقيتِ البشارة. ثم خفف الله عنهم فقال: **٦٦:** **﴿الآنَ خفّفَ اللهُ عنكم وعَلِمَ أنّ فيكم ضعفاً، فإنْ يكنْ منكم مائةٌ صابرةٌ يغلِبُوا مائتين بإذن الله﴾** فلا ينبغي لمائة أن يفرّوا من مائتين، وإذا كانوا دون ذلك جاز لهم أن يتحوّزُوا عنهم **٦٧:** لّما كان يوم بدرٍ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تقولون في هؤلاء الأسارى»؟ فقال أبو بكر: استبقهم واستتبهم لعلّ اللهَ أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله كذّبوك وأخرجوك فقدّمهم فاضربْ أعناقهم، فَعَفَا عنهم وقبل منهم الفداء، وأنزلَ اللهُ عزّ وجلّ: **﴿ما كان لنبيٍّ أن يكونَ له أسرى حتى يثخنَ في الأرض﴾** الآية. **٦٨:** **﴿لولا كتابٌ مِنَ اللهِ سبقَ﴾** لهم بالمغفرة، وأنّ المغانم والأسارى حلال لكم **﴿لَمَسَّكم فيما أخذتُم﴾** من الأسارى **﴿عذابٌ عظيم﴾**. وقد استمرّ الحكمُ في الأسرى عند جمهور العلماء أنّ الإمام مخيّرٌ فيهم إن شاء قتل كما فعل [النبي صلى الله عليه وآله وسلم] ببني قريظة، وإن شاءَ فادَى بمالٍ، كما فعل [صلى الله عليه وآله وسلم] بأسرى بدر، وإن شاءَ استرقَّ مَن أسر **٦٩:** **﴿فكلُوا مِمّا غنمتُم حلالاً طيّباً﴾**، الآية، فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء. وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فداءَ أهل الجاهليّة يوم بدر أربعمائة.

= فعلفه وروثه وبوله وذكر ما شاء الله وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليها، وأما فرس الإنسان فالفرس يربطها الإنسان يلتمس بطنها فهي له ستر من الفقر». /ابن كثير ج٢/٣٢٣.

الآية: ٦٣ قال ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: كنّا نتحدث أن أول ما يُرفع من النّاس الألفة.

وروى الطبراني عن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبُهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غُفِرَ لها ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحر». /ابن كثير ج٢/٣٢٤.

الآية: ٦٩ روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يبعث إلى قومه وبُعثتُ إلى النّاس عامة».

الآية: ٧٢ روى البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ آخىٰ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدماً على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث. =

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

٧٠: قال العباس وأصحابه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: آمنّا بما جئتَ ونشهد أنّك رسول الله لننصحنّ لك على قومنا، فأنزل الله: **﴿يا أيها النبيُّ قلْ لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلمِ اللهُ في قلوبكم خيراً يُؤتكم خيراً ممّا أُخِذَ منكم ويغفر لكم واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾**، فكان العباسُ يقول: فقد أعطاني خيراً مِمّا أخذ منّي مائة ضعف. [وكان قد فدى نفسه وابني أخويه وحَليفَه. وكان الذي دفعه مائة أوقية ذهباً، كما حكاه ابن إسحاق] **٧١**: **﴿وإن يُريدُوا خيانتك فقد خانُوا اللهَ من قبلُ﴾** من قبل بدر بالكفر به **﴿فأمكنَ منهم﴾** بالأسارى يوم بدر **﴿واللهُ عليم﴾** بفعله **﴿حكيمٌ﴾** [في تدبيره] **٧٢**: ذكرَ تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاؤوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه، وإلى أنصار، وهم المسلمون من أهل المدينة، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسُوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء **﴿بعضُهم أولياءُ بعض﴾** كلٌّ منهم أحق بالآخر من كلِّ أحد، ولهذا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدّماً على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث. **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾** هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين الذين لم يهاجروا، بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب، ولا في خُمُسِها، إلّا ما حضروا فيه القتال، **﴿وإن استنصروكم﴾** هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتالٍ دينيٍّ على عدوٍّ لهم، **﴿فعليكم النصرُ﴾** فانصروهم فإنّه واجبٌ عليكم لأنّهم إخوانكم في الدين **﴿إلّا﴾** أن يستنصروكم **﴿على قوم﴾** من الكفار **﴿بينكم وبينهم ميثاق﴾** مهادنة إلى مدّة فلا تخفروا ذمتكم مع الذين عاهدتم **٧٣**: لمّا ذكر تعالى أنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض، قطعَ الموالاة بينهم وبين الكفار، وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يرث المسلمُ الكافرَ ولا الكافرُ المسلمَ». وتلا هذه الآية. **﴿إلّا تفعلوه﴾** إن لم تجانبوا المشركين وتُوالُوا المؤمنين **﴿تكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير﴾**، إلّا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل **٧٤**: لمّا ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة وأنّه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح، وبالرزق الكريم، وهو الحسنُ الكثير الطيب **٧٥**: **﴿والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾**، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياءٌ لبعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة». **﴿وأولُوا الأرحام﴾** كالخالة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم. والآية عامّة تشمل جميع القرابات، **﴿بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، إنّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾**.

= وروى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة». /ابن كثير ج٢/٣٢٨ – ٣٢٩.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

هذه السورة من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال البخاري[١].

١: لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك وهمّ بالحج، ذكرَ أنّ المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم، وأنّهم يطوفون بالبيت عُراةً فكرهَ مخالطتهم، بعث أبا بكر عنه أميراً على الحج، وليعلم المشركين أن لا يحجُّوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس: ﴿**براءةٌ من اللهِ ورسولِهِ إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾ **٢**: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو مَن له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر، فأمّا مَن كان له عهدٌ مؤقت فأجله إلى مدّته مهما كان لقوله تعالى: ﴿**فأتموا إليهم عهدهم إلى مدّتهم**﴾ الآية **٣**: ﴿**وأذانٌ**﴾ وإعلامٌ ﴿**مِنَ اللهِ ورسولِهِ إلى الناسِ يومَ الحجِّ الأكبرِ**﴾ وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها [بعد يوم عرفة]. ﴿**أنّ الله بريءٌ مِنَ المشركين ورسولُهُ**﴾ بريءٌ منهم أيضاً. ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال: ﴿**فإن تبتم**﴾ مِمّا أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿**فهو خيرٌ لكم، وإن توليتم**﴾ استمررتُم على ما أنتم عليه ﴿**فاعلموا أنكم غير معجزي الله**﴾ فهو قادرٌ عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته ﴿**وبشّرِ الذين كفرُوا بعذابٍ أليمٍ**﴾ في الدنيا بالخزي والنكال، وفي الآخرة بالمقامع والأغلال **٤**: هذا استثناءٌ من ضرب مدّة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت فأجله أربعة أشهر، إلّا مَن له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها، ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعهده إلى مدته وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده ولم يُمالىء على المسلمين، فهذا الذي يوفى له بذمته. ولهذا حرّض الله تعالى على الوفاء فقال: ﴿**إنّ الله يُحبُّ المتقين**﴾ الموفين بعهدهم **٥**: ﴿**فإذا انسلخَ الأشهرُ الحُرُمُ**﴾ إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم، ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ من الأرض، وهذا عامٌ والمشهور تخصيصه بقوله تعالى: ﴿**ولا تُقاتِلُوهم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه**﴾ الآية. ﴿**وخذوهم**﴾ أسراً ﴿**واحصرُوهم واقعدُوا لهم كلَّ مرصد**﴾ اقصُدُوهم بالحصار حتى تُضيقوا عليهم ﴿**فإن تابوا وأقامُوا الصلاةَ وآتوُا الزكاة فخلُّوا سبيلَهم إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ**﴾ **٦**: ﴿**وإن أحدٌ مِنَ المشركين**﴾ الذي أمرتك بقتالهم ﴿**استجارك**﴾ استأمنَك ﴿**فأجِرْهُ**﴾ فأجبه ﴿**حتى يسمعَ كلامَ اللهِ**﴾ القرآن تقرؤه عليه تُقيم به عليه الحجّة ﴿**ثم أبلغه مأمنه**﴾ حتى يرجع إلى بلاده ﴿**ذلك بأنّهم قومٌ لا يعلمون**﴾ شرعنا [هذا] ليعلموا دين الله.

---

(١) وسبب عدم ذكر البسملة في أول هذه السورة ما قاله عليّ بن أبي طالب لعبد الله بن عباس لّما سأله: لِمَ لم يُكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال: (لأنّ بسم اللهالرحمن الرحيم أمانٌ؛ وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان). [عن تفسير القرطبي].

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٧: ﴿**كيف يكون للمشركين عهد**﴾؟! أمانٌ وهم مشركون بالله يتركون فيما هم؟ ﴿**إلّا الذين عاهدتُم عندَ المسجدِ الحرام**﴾ يوم الحديبية، ﴿**فما استقامُوا لكم فاستقيموا لهم**﴾ من ترك الحرب بينكم وبينهم ﴿**فاستقيموا لهم إنّ الله يُحبُّ المتقين**﴾، وقد فعلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استمرّ مع أهل مكة إلى أن نقضت قريشٌ العهد، فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان سنة ثمان، ففتحَ الله عليه البلدَ الحرام ومكّنه من نواصيهم ولله الحمد ٨: ﴿**كيف وإن يظهرُوا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم إلّاً ولا ذِمّةً يُرضَونكم بأفواههم**﴾ يقول الله تعالى محرّضاً للمؤمنين على معاداتهم والتبرّؤ منهم مبيّناً أنّهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى، ولأنّهم لو ظهروا على المسلمين لم يُبقوا ولم يَذَرُوا، ولا راقبُوا فيهم إلّاً ولا ذِمّة. الإلُّ: القرابةُ. والذمّةُ: العهدُ. ﴿**يُرضونكم بأفواهِهم**﴾ [أي: يقولون بألسنتِهم ما يُرضَى ظاهرُهُ] ﴿**وتأبَى قلوبُهم وأكثرُهم فاسِقُون**﴾ [أي: ناقِضُوا العهد، وكلُّ كافر فاسِقٌ، ولكنّه أرادَ هَاهُنا المجاهِرين بالقبائح ونقض العهد] ٩: يقول تعالى ذمّاً للمشركين وحثاً للمؤمنين على قتالهم: ﴿**اشْتَرَوْا بآيات الله ثمناً قليلاً**﴾ إنّهم اعتاضُوا عن اتباع آيات الله بما الْتَهُوا به من أمور الدنيا الخسيسة ﴿**فصدُّوا عن سبيله**﴾ منعُوا المؤمنين من اتباع الحق، ﴿**إنّهم ساءَ ما كانوا يعملون**﴾

١٠: ﴿**لا يَرْقُبُون في مؤمنٍ إلّاً ولا ذِمّةً**﴾ [ليس هذا تكريراً، ولكن الأول لجميع المشركين، والثاني لليهود خاصّةً. والدليل على هذا: ﴿اشتَرُوا بآياتِ اللهِ ثمناً قليلاً﴾ يعني اليهود؛ باعُوا حُجَجَ اللهِ عزّ وجلّ وبيانَهُ بطلب الرياسة وطمعٍ في شيءٍ ﴿**وأولئك هم المعتدون**﴾ المجاوِزُون الحلال إلى الحرام بنقض العهد] ١١: ﴿**فإن تابُوا وأقامُوا الصلاةَ وآتوُا الزكاةَ فإخوانُكم في الدِّين**﴾ روى الحافظ أبو بكر البزار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن فارَقَ الدنيا على الإخلاصِ للهِ وعبادتِه لا يُشرك بهِ، وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ فارَقَها واللهُ عنهُ راضٍ» ١٢: وإن نكثَ هؤلاء المشركون الذين عاهدتُموهم على مدّةٍ معيّنةٍ أيمانَهم، أي: عهودَهم ومواثيقهم ﴿**وطعنُوا**﴾ عابُوا وانتقصوا ﴿**في دينكم فقاتِلُوا أئمّةَ الكفرِ إنّهم لا أيمانَ لهم لعلّهم ينتهون**﴾ عمّا هم فيه من الكفر والعِناد والضلال ١٣: وهذا أيضاً تهييجٌ وتحضيضٌ وإغراء على قتال المشركين الناكثين بأيمانهم الذين هَمّوا بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكّة، ﴿**أتخشونهم؟ فاللهُ أحقُّ أن تخشوه**﴾ لا تخشوهم، واخشونِ فأنا أهلٌ أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي، ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾.

الآية : ١٣ قال ابن كثير في قوله (وهم بدءوكم أوّل مرة) قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر غيرهم فلمّا نجت وعلموا بذلك استمروا على وجههم طلباً للقتال بغياً وتكبّراً . وقيل المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفاء بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ﷺ حتى سار إليهم رسول الله ﷺ عام الفتح وكان ما كان ولله الحمد والمنّة . /ابن كثير ج٢/٣٣٩ .

قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

١٤: **﴿قاتلوهم يعذِّبْهُمُ الله بأيديكم ويُخْزِهم وينصُرْكم عليهم﴾** وهذا عامٌّ في المؤمنين كلِّهم، **﴿ويشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين﴾** خُزاعة، وأعاد الضمير عليهم في قوله: ١٥: **﴿ويُذهِبْ غيظَ قلوبهم ويتوبُ اللهُ على مَن يشاء﴾** من عباده **﴿والله عليم﴾** بما يُصلح عباده **﴿حكيم﴾** في أفعاله وأقواله ١٦: **﴿أمْ حسبتُم أن تُترَكُوا ولمّا يعلم اللهُ الذين جاهَدُوا منكم﴾** أم حسبتم أيها المؤمنون أن نترككم مهملين لا نختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب، ولهذا قال تعالى: **﴿ولمّا يعلَمِ اللهُ الذين جاهدُوا منكم ولم يتخذُوا من دُونِ اللهِ ولا رسوله ولا المؤمنين وَلِيجَةً﴾** بطانةً ودخيلةً، بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ورسوله، فاكتفى بأحد القِسْمَين. **﴿واللهُ خبيرٌ بما تعملون﴾**، هو تعالى العَالِمُ بما كان وما يكون ١٧: **﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجدَ الله شاهدين على أنفسِهم بالكفر﴾** ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجدَ الله التي بُنيت على اسمه وحده لا شريك له، وهم شاهدون بحالهم على أنفسهم بالكفر. **﴿أولئك حَبِطتْ أعمالُهم﴾** بشركهم **﴿وفي النّار هم خالدون﴾** ١٨: **﴿إنّما يعمرُ مساجدَ اللهِ مَن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ ولم يخشَ إلّا اللهَ﴾** شهدَ الله تعالى بالإيمان لعُمّار المساجد. روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا رأيتُم الرجلَ يعتادُ المسجدَ فاشهدوا له بالإيمان»، قال الله تعالى: **﴿إنّما يَعْمُرُ مساجدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليوم الآخر﴾**. [وفي رواية في مسند ابن حُميد]: «إنّما عُمّارُ المساجدِ هُم أهلُ الله». **﴿فعسَى أولئك أنْ يكونُوا مِن المهتدين﴾** كلُّ (عسى) في القرآن فهي واجبة. وعسى مِن اللهِ حقٌّ. [أي: حقّاً أولئك مِن الذين هداهم اللهتعالى]. ١٩: **﴿أجعلتم سقايةَ الحاجِّ وعِمَارةَ المسجدِ الحرام كمَنْ آمَنَ باللهِ واليوم الآخر﴾**؛ قال ابن عباس: في تفسير هذه الآية: إنّ المشركين قالوا: عِمَارةُ بيت الله وقيامٌ على السِّقاية خيرٌ مِمّن آمَنَ وجاهدَ، وكانوا يفخرون بالحرم، ويستكبرون به من أجل أنّهم أهله وعُمّاره، فذكر الله استكبارَهم وإعراضهم. يعني: أن ذلك كله كان في الشرك، واللهُ لا يقبلُ ما كان في الشرك. [وأخبرَ أنّ العمارة لا تكون بالكفر، وإنّما تكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة] ٢٠: **﴿الذين آمنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا في سبيلِ اللهِ بأموالِهم وأنفسِهم أعظمُ درجةً عندَ اللهِ﴾** [المؤمنون هم أعظم درجة من كل ذي درجة، أي لهم المزيّة والمرتبة العلية **﴿وأولئك هم الفائزون﴾** بذلك].

الآية : ١٥ روى ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال : « يا عويش قولي اللهم ربَّ النبي محمد اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من معضلات الفتن » . /ابن كثير ج٢/٣٣٩ .

الآية : ١٨ روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والنّاحية ، فإيّاكم والشِّعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » . /ابن كثير ج٢/٣٤٠ .

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢١: ﴿يُبشِّرُهم ربُّهم﴾ يُعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم **٢٢:** [الخلودُ: الإقامةُ. **﴿إنّ اللهَ عندَه أجرٌ عظيم﴾** أعدّ لهم في دار كرامته ذلك الثواب] **٢٣:** أمرَ تعالى بمباينة الكفار، وإن كانوا آباءً أو أبناءً، ونهى عن موالاتهم، **﴿إنِ استحبُّوا الكفرَ على الإيمان﴾**، وتوعّدَ على ذلك فقال: **﴿ومن يتولّهم منكم فأولئك هُمُ الظالمون﴾** **٢٤:** أمرَ تعالى رسولَهُ أن يتوعّد من آثرَ أهلَه وقرابتَه وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله **﴿وأموال اقترفتموها﴾** اكتسبتموها وحصّلتموها **﴿وتجارة تخشون كسادَها ومساكنَ ترضونها﴾** إن كانت هذه الأشياء **﴿أحبَّ إليكم منَ اللهِ ورسولِهِ وجهادٍ في سبيله فتربّصُوا﴾** فانتظروا ماذا يَحِلُّ بكم من عقابه ونكاله بكم، ولهذا قال سبحانه: **﴿حتى يأتيَ اللهُ بأمرِهِ واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين﴾**. وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «والذي نفسي بيَدِهِ لا يُؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ وولدِهِ والنّاس أجمعين» **٢٥:** يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إيّاهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ ذلك من عندِهِ تعالى، وبتأييده وتقديره لا بعَدَدِهم ولا بعُدَدِهم، ونبّههم على أنّ النصرَ من عندهِ سواءٌ قلَّ الجمعُ أو كثُرَ، فإنّ يوم حُنينٍ أعجبتهم كثرتُهم، [وكانوا اثني عشر ألفاً من المسلمين]، ومع هذا ما أجدَى ذلك عنهم شيئاً، فولّوْا مُدبرين إلّا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أنزل نصرَه وتأييدَه على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه **٢٦: ﴿ثم أنزلَ اللهُ سكينتَهُ على رسولِه﴾** طُمأنينتَهُ وثباتَه على رسوله **﴿وعلى المؤمنين﴾** الذين معه **﴿وأنزلَ جُنُوداً لم تَرَوْهَا﴾** وهم الملائكة. روى ابن إسحاق عن جُبير بن مطعم رضي الله عنه قال: إنّا لَمعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومَ حُنين، والناس يقتتلون، إذْ نظرتُ إلى مثل البِجَادِ الأسود [أي: كالكِسَاء الأسود] يهوي مِنَ السماء حتى وقع بيننا وبين القوم، فما نشك أنّها الملائكة. **﴿وعذّب الذين كفروا﴾** أسيافكم **﴿وذلك جزاءُ الكافرين﴾**.

الآية : ٢٤ روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون ، اتّقوا الدنيا واتقوا النّساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النّساء » .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط حد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون » رواه الترمذي .

روى الإمام أحمد عن زهرة بن معبد عن جده قال : كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال : والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلاّ من نفسي قال رسول الله : « لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه » فقال عمر : فأنت الآن والله أحبُّ إليّ من نفسي ، فقال رسول الله : « الآن يا عمر » ! أخرجه البخاري .

وورد في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين » . /ابن كثير ج٢/٢١٢ ، ٣٤٣ .

الآية : ٢٦ جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نُصرت بالرعب وأوتيتُ جَوَامِعَ الكَلِم » ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم أنزل الله سكينتَه على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذبَ الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴾ . /ابن كثير ج٢/٣٤٦ .

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

٢٧: ﴿ثم يتوبُ اللهُ من بعدِ ذلك على من يشاءُ﴾ [أي: على مَنِ انهزمَ من القوم فيهديه إلى الإسلام] **٢٨: أَمَرَ** تعالى عبادَه المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين الذين هم نجسٌ ديناً عن المسجد الحرام، وأن لا يقربُوه بعد نزول هذه الآية، وكان نزولها في سنة تسع، ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً صُحْبَةَ أبي بكر عَامَئِذٍ وأمره أن ينادي في المشركين: أن لا يحجّ بعدَ هذا العام مشرك. فأتمّ اللهُ ذلك وحكم به شرعاً وقَدَراً. ودلّت هذه الآية على نجاسة المشرك، وفي الصحيح: «المؤمنُ لا ينجس». **﴿وإن خِفتُم عيلةً فسوف يُغنيكُمُ اللهُ من فضلِهِ﴾** وذلك أنّ الناس قالوا [لمّا علموا بتحريم دخول المشركين حَرَمَ مكة وكانوا تجارها]: لتهلكنّ التجارة، فأنزل الله [هذه الآية] إلى قوله: **﴿حتى يعطوا الجزية﴾** فعوّضهم اللهُ مِمّا قَطَعَ أمرَ الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية. **٢٩: هذه** الآية أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعدما تمهدتْ أمورُ المشركين، ودخل الناسُ في دِينِ الله أفواجاً، واستقامتْ جزيرةُ العرب؛ أمرَ اللهُ تعالى رسولَهُ بقتال أهل الكتابين، ولهذا تجهّزَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقتال الروم، ودعا أحياءَ العرب، فأوْعَبُوا معه، واجتمع من المقاتِلَةِ نحوٌ من ثلاثين ألفاً. **﴿حتى يُعطُوا الجِزْيَةَ﴾** إن لم يُسْلِمُوا **﴿عن يدٍ﴾** عن قَهْرٍ وغَلَبَةٍ **﴿وهم صاغِرُون﴾** ذليلون مُهانون **٣٠: هذا** إغراءٌ مِنَ اللهِ تعالى للمؤمنين على قتالِ الكفارَ من اليهود والنصارى، لِمَقَالَتِهِم هذه المَقَالة الشنيعة والفِرْيَة على الله تعالى. **﴿ذلك قولُهُم بأفْوَاهِهِم﴾** لا مُسْتَنَدَ لهم فيما ادّعوه سوى افترائهم واختلاقهم **﴿يُضَاهِئُونَ﴾** يُشابِهُون **﴿قولَ الذين كفرُوا مِن قبلُ﴾** من الأمم [الذين] ضَلُّوا كما ضَلَّ هؤلاء. **﴿قاتَلَهُمُ اللهُ﴾** لَعَنَهُمُ الله **﴿أنّى يُؤفكُونَ﴾**؟ كيف يَضِلُّون عن الحق وهو ظاهر ويَعْدِلُون إلى الباطل؟! **٣١: قال** رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [لِعَدِيّ بن حاتم وكان قد تنصّرَ حين سمعه وهو يقرأ هذه الآية]، قال: إنّهم لم يعبُدوهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بلى، إنّهم حَرَّمُوا عليهم الحلال، وأحَلُّوا لهم الحرامَ فاتّبَعُوهم، فذلك عبادتُهم إيّاهم»، ثم قال: «يا عديّ! أيضرّك أن يُقالَ: لا إله إلّا الله؟ فهل تعلم إلٰهاً غيرَ اللهِ»؟ ثم دعاه إلى الإسلام، فأسلم وشَهِدَ الحقَّ. **﴿وما أُمِرُوا إلّا لِيعبُدُوا إلٰهاً واحداً﴾** الذي إذا حرّمَ الشيءَ فهو الحرام، وما حلّلَهُ فهو الحلال **﴿لا إله إلّا هو سبحانه عمّا يُشرِكون﴾** تعالى وتقدّس وتنزّه عن الشركاء والأضداد والأولاد، لا إله إلّا هو ولا ربّ سِوَاهُ.

الآية: ٢٧ روى مسلم والنسائي عن أبي موسى أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يبسطُ يدَهُ بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النّهار، ويبسط يدَهُ بالنّهار ليتوبَ مسيءُ الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تابَ قبل أن تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها تابَ اللهُ عليهِ». وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أخطأتم حتى تبلغَ السماءَ ثم تُبْتُمْ لتابَ اللهُ عليكم». وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح عن أنس أنّ النبي ﷺ قال: «كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ وخيرُ الخطائين التوّابُون». /الترغيب ج٤/٨٨ - ٩٠.

الآية: ٢٩ جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّ الله زَوَى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ لي منها». وروى الإمام أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنّهار ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وبرٍ إلاّ أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذلّ ذليل، عزاً يعزّ اللهُ به الإسلام وذلاً يذلُّ اللهُ به الكفر». /ابن كثير ج٢/٣٤٩.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الحزب ٢٠

٣٢: ﴿يُريدُون﴾ يريدُ هؤلاء الكفـار من المشـركين وأهـل الكتـاب **﴿أن يُطفِئوا نورَ الله﴾** ما بُعث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الهدى ودين الحق بافترائهم **﴿ويأبى الله إلّا أن يُتمَّ نُورَه ولو كَرِهَ الكـافرون﴾** **٣٣: ﴿هو الذي أرسلَ رسولَهُ بالهدى ودين الحق﴾** فالهدى هو الإيمان الصحيح والعلم النـافع، ودينُ الحق هو الأعمـال الصـالحة الصحيحة، **﴿ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كلِهِ﴾** على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ الله زَوى لي الأرضَ مشارِقَها ومغارِبَها، وسيبلغُ مُلْكُ أمتي ما زَوَى لي منها» **٣٤: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إنّ كثيراً مِن الأحبار والرُّهبان﴾** الأحبـار هم علمـاء اليهود، والرُّهبـان عُبّـاد النصـارى والقِسّيسون علماؤهم **﴿ليأكُلون أموالَ الناس بالباطل﴾** يأكلون الدنيا بالدِّين **﴿ويَصُدُّون عن سبيل الله﴾** وهم مع أكلهم الحرام يصـدُّون النـاسَ عن اتبـاع الحق، ويلبسـون الحقَّ بالبـاطل. **﴿والذين يكنِزُون الذهبَ والفِضّةَ ولا ينفقونها في سبيل الله﴾** الآية، هؤلاء هم القسـم الثالث من رُؤوس النـاس، فإنّ النـاسَ عَالَةٌ على العلماء، وعلى العُبّـاد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسـدتْ أحوال هؤلاء فسـدَتْ أحوال النـاس. وأمّا الكنزُ: فهو المال الذي لا تُؤدَّى زكاتُهُ **٣٥: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكـم فَذُوقوا ما كنتم تكنزون﴾** يُقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً وتهكمـاً. ولهذا مَن أحبَّ شيئاً وقدَّمَهُ على طاعة الله عُذِّبَ به، وهؤلاء لمّا كان جمعُ هذه الأموال آثرُ عندهم مِن رِضَا الله، عُذِّبُوا بها **٣٦: ﴿إنّ عِدَّةَ الشهورِ عندَ الله اثنا عشر شهراً في كتابِ الله يومَ خلقَ السموات والأرض منها أربعة حُرُمٌ﴾** خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع فقال: «ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئتِهِ يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ، السَّنَةُ اثنا عشرَ شهراً منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات: ذُو القَعدة، وذو الحِجّة، والمُحرّم، ورجب مُضر الذي بين بين جُمادَى وشعبان». **﴿ذلك الدِّينُ القَيِّمُ﴾** هذا هو الشرع المستقيم، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحُرُم، والحَذْوِ بها على ما سبق من كتاب اللهِ الأوّل. **﴿فلا تظلموا فيهنّ أنفسَكم﴾** في هذه الأشهر المحرّمة لأنها آكَدُ وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أنّ المعاصي في البلد الحرام تُضاعف لقوله تعالى: ﴿ومَن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظُلْمٍ نُذِقْهُ من عذابٍ أليم﴾ وكذلك الشهرُ الحَرام تغلظ فيه الآثام. وإنّ الظلم في الأشهر الحُرُم أعظمُ خطيئةً ووزراً من الظلم فيما سواها. **﴿وقاتِلُوا المشركين كافّةً كما يُقاتِلُونكم كافّةً﴾** [هذا] من باب التهييج والتحضيض، أي: كما يجتمعون لحربكم فاجتمِعُوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم، وقاتِلُوهم بنظير ما يفعلون.

الآية : ٣٥ عن ابن عمر قال : ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما كان ظاهراً لا تؤدّى زكاته فهو كنز وقد روى هذا عن ابن عباس وجابر مرفوعاً وموقوفاً ، وقال عمر بن الخطاب نحوه: أيّما مال أُدّيتْ زكَاتُه فليس بكنز وإن كان مدفوناً في الأرضُ ، وأيّما مالٍ لم تُؤدَّ زكاته فهو كنزٌ يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض .

روى عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه في قوله : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ قال النبي ﷺ : « تبّاً للذهب تبّاً للفضّة » ، يقولها ثلاثاً قال فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا فأي مال نتخذ ؟ فقال عمر رضي الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال : يا رسول الله إن أصحابك قد شقَّ عليهم وقالوا فأي المال نتخذ ؟ قال : « لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجةً تعين أحدكم على دينِه » . /ابن كثير ج٢/٣٥٠ – ٣٥٢ .

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٧: ﴿إنّما النَّسِيء زيادةٌ في الكفر يُضَلُّ به الذين كفرُوا يُحلُّونَهُ عاماً ويُحرِّمونه عاماً ليُواطِئُوا عِدّةَ ما حرّم الله فيُحلُّوا ما حرّمَ الله﴾ هذا مِمّا ذمَّ اللهُ تعالى به المشركين من تصرّفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتحليلهم ما حرّم الله، وتحريمهم ما أحلَّ الله. فإنّهم قد أحدثوا قبل الإسلام بمدّة تحليل المحرّم فأخروه إلى صفر فيُحلون الشهر الحرام، ويُحرّمون الشهر الحلال؛ ليُواطِئُوا عِدّةَ ما حرّمَ اللهُ الأشهرَ الأربعة. يتركون المُحرَّم عاماً، وعاماً يُحرّمُونه. **﴿زُيِّنَ لهم سُوءُ أعمالِهِمْ واللهُ لا يهدي القومَ الكافرين﴾**

٣٨: ﴿يا أيها الذين آمنُوا ما لكم إذا قِيلَ لكُمُ انفِرُوا في سبيلِ الله اثّاقلتُم إلى الأرض﴾ هذا شُروع في عِتَاب مَن تخلّفَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك حين طابتِ الثمار **﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾** تَكَاسَلْتُم ومِلْتُم إلى المقام في الدِّعَة، **﴿أرضيتُم بالحياة الدنيا مِنَ الآخرة﴾**؟! مالكم فعلتم هكذا رِضاً منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة، ثم زَهّدَ تبارك وتعالى في الدنيا، ورغّبَ في الآخرة فقال: **﴿فما متاعُ الحياةِ الدنيا في الآخرة إلّا قليل﴾**

٣٩: قالَ ابنُ عباس: استنفرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً مِنَ العرب فتثاقلُوا عنه، فأمسكَ اللهُ عنهم القطرَ فكان عذابهم. **﴿ويستبدِلْ قوماً غيرَكم﴾** لنصرة نبيهِ وإقامة دِينِه. **﴿ولا تضرُّوه شيئاً﴾** بتوليكم عن الجهاد **﴿واللهُ على كلِّ شيءٍ قدير﴾** قادر على الانتصار من الأعداءِ بدونكم **٤٠: ﴿إلّا تنصرُوه﴾** تنصرُوا رسولَهُ فإنّ اللهَ ناصرُهُ ومُؤيّده **﴿إذْ أخرجَهُ الذين كفروا﴾** عام الهجرة لمّا هَمُوا بقتله، فخرج منهم هارباً صُحْبَةَ صِدِّيقِهِ وصَدِيقِهِ وصاحبِهِ **﴿ثانيَ اثنين إذْ هُمَا في الغار﴾** غار ثور **﴿إذْ يقول لصاحبِهِ لا تحزنْ إنّ اللهَ معنا﴾** [حين قالَ له أبو بكر]: لو أنّ أحدَهم نظرَ إلى قَدَميه لأبصرَنا تحتَ قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظَنّكَ باثنين اللهُ ثالثُهما»، أخرجاه في الصحيحين. ولهذا قال تعالى: **﴿فأنزلَ اللهُ سَكينتَهُ عليه﴾** وعلى أبي بكر **﴿وأيَّدَهُ بجنودٍ لم تَرَوها﴾** الملائكة **﴿وجعلَ كلمةَ الذين كفرُوا السُّفْلَى﴾** كلمة الشرك **﴿وكلمةُ اللهِ﴾** وهي لا إله إلّا الله **﴿هي العُلْيَا﴾** وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يُقاتِلُ شجاعةً، ويُقاتِلُ حميّةً، ويُقاتلُ رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن قاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُلْيَا فهو في سبيل الله». **﴿واللهُ عزيزٌ﴾** في انتقامه وانتصاره **﴿حكيمٌ﴾** في أقواله وأفعاله.

الآية : ٣٨ روى الإمام أحمد عن المستورد أخي بني فهر قال : قال رسول الله ﷺ : « ماالدنيا في الآخرة :إلا كما يجعل أحدكم أُصْبُعَهُ هذه في اليّم فلينظر بِمَ ترجع ؟ وأشار بالسبابة » وأخرجه مسلم .

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال : قلت يا أبا هريرة سمعت من إخواني بالبصرة أنّك تقول سمعتَ نبيَّ الله ﷺ يقول : « إنّ الله يجزي بالحسنة ألفَ ألفِ حسنة » ؟ قال أبو هريرة : بل سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة » ثم تلا هذه الآية ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل ﴾ . /ابن كثير ج٢/٣٥٨ .

الآية : ٤٠ روى الإمام أحمد عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أنّ أحدهم نظرَ إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ؟! قال فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللهُ ثالثهما » ؟! أخرجاه في الصحيحين .

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

الحزب ٢٠

٤١: ﴿انفروا خِفافاً وثِقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ أمرَ اللهُ تعالى بالنفيرِ العامِّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عامَ غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم من أهل الكتاب، وحتَمَ على المؤمنين في الخروج معه على كل حالٍ في المَنشَط والمَكرَهِ والعُسْرِ واليُسر. **﴿ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾** هذا خيرٌ لكم في الدنيا وفي الآخرة، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «تكفَّلَ اللهُ للمجاهِدِ في سبيلِهِ إنْ توفاهُ أن يُدخِلَهُ الجنّةَ، أو يردَّهُ إلى منزله بما نال من أجرٍ أو غنيمة» **٤٢**: يقول تعالى مُوَبِّخاً للذين تخلَّفوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك: **﴿لو كان عَرَضاً قريباً﴾** غنيمة قريبة **﴿وسفراً قاصِداً﴾** قريباً أيضاً **﴿لاتّبَعُوك﴾** وكانوا معك **﴿ولكنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقّةُ﴾** المسافة إلى الشام، **﴿وسيحلِفُون بالله﴾** لكم إذا رجعتم **﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾** لو لم يكن لنا أعذارٌ لخرجنا معكم، **﴿يُهلِكُون أنفسَهم﴾** [بكذبهم ونفاقهم] **﴿والله يعلَمُ إنهم لكاذبُون﴾** **٤٣**: **﴿عَفَا اللهُ عنكَ لِمَ أذنْتَ لهم﴾**[1]؟ قدّم العفوَ قبل المعاتبة [لطفاً برسوله صلى الله عليه وآله وسلم]، **﴿حتى يتبيّنَ لك الذين صَدَقُوا﴾** في الأعذار **﴿وتعلَمَ الكاذبين﴾** في إظهار طاعتك، فإنّهم كانوا مُصِرِّين على القعود عن الغزو، وإن لم تأذن لهم فيه، ولهذا أخبرَ تعالى أنّه لا يستأذنه أحدٌ يُؤمن بالله ورسوله فقال: **٤٤**: **﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الذين يُؤمنون بالله واليومِ الآخرِ أن يُجاهِدُوا بأموالهم وأنفسهم﴾**؛ لأنهم يريدون الجهاد **﴿والله عليمٌ بالمتّقِين﴾** **٤٥**: **﴿إنّما يَسْتَأْذِنُكَ الذين لا يُؤمِنُون بالله واليومِ الآخر﴾** ولا يَرْجُون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم. **﴿وارتابَتْ قلوبُهم﴾** شكّتْ في صحة ما جئتَهم به **﴿فهم في رَيْبِهم يتردَّدُون﴾** يتحيّرون **٤٦**: **﴿ولو أرادُوا الخروجَ﴾** معك إلى الغَزْوِ **﴿لأعَدُّوا له عُدّةً﴾** لتأهَبُوا له، **﴿ولكنْ كَرِهَ الله انبعاثَهم﴾** أبغضَ اللهُ أن يخرجوا معك قَدَراً **﴿فثبّطهم﴾** أخرَهم **﴿وقِيلَ اقْعُدُوا مع القاعِدِين﴾** قَدَراً، ثم بيّنَ تعالى وَجْهَ كراهيته لخروجهم مع المؤمنين فقال: **٤٧**: **﴿لو خرجُوا فيكم ما زادُوكم إلّا خبالاً﴾** لأنهم جُبناء مخذُولون، **﴿ولأوضَعُوا خِلالَكم يَبْغُونكم الفتنة﴾** ولأسرعُوا بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة **﴿وفيكم سَمّاعُون لهم﴾** مطيعُون لهم ومُستجِيبُون لحديثهم، **﴿والله عليمٌ بالظالمين﴾**؛ يعلمُ ما كان وما يكون، [وما يفعلُهُ هؤلاء وغيرُهم].

---

(١) قال سفيان بن عُيَيْنة عن مسعرٍ عن عونٍ قال: هلْ سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ نِدَاءٌ بالعفو قبل المعاتبة.

الآية : ٤١ قال النبي ﷺ : « تكفَّل الله للمجاهد في سبيله إنْ توفّاهُ أن يدخله الجنةَ ، أو يرده إلى منزله بما نالَ من أجرٍ أو غنيمة » ولهذا قال تعالى : ﴿ كُتبَ عليكم القتالُ وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد عن أنس عن رسول الله ﷺ قال لرجل أسلم » قال : أجدني كارهاً ؟ قال : « أسلمْ ولو كنتَ كارهاً » . /ابن كثير ج٢/٣٦٠ .

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

٤٨: يقول تعالى مُحرِّضاً لنبيِّهِ عليه الصلاة والسلام على المنافقين: **﴿لقد ابْتَغُوا الفِتنةَ من قبـلُ وقلبواْ لكَ الأمور﴾** وذلك أوّل مَقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، حاربته يهودُ المدينة ومنافقوها، فلما نصرَه الله يومَ بدرٍ وأعزّ الإسـلام وأهله غاظهـم ذلك، ولهذا قال تعـالى: **﴿حتى جاء الحقُّ وظهرَ أمرُ الله وهم كارِهُون﴾** **٤٩**: **﴿ومنهـم﴾** من المنـافقيـن **﴿مَن يقولُ﴾** يا محمد **﴿ائذنْ لي﴾** في القعود **﴿ولا تفتنّي﴾** بـالخروج معك[1]، بسبب الجواري من نسـاء الروم، **﴿ألا في الفتنـة سقطوا﴾** قد سقطوا في الفتنـة بقولهم هذا، **﴿وإنّ جَهنّم لَمُحيطةٌ بالكافرين﴾** لا مَحِيدَ لهم عنها ولا مَحِيصَ ولا مَهْربَ **٥٠**: يُعْلِمُ تبـارك وتعالى نبيَّهُ صلى الله عليه وآله وسـلم بعَداوَة هؤلاء له لأنّه مهما أصابه من حسنةٍ، أي: فتحٍ ونصرٍ وظَفَرٍ ساءَهم ذلك، **﴿وإن تُصبك مُصيبةٌ يقولوا قد أخذنا أمْرَنَا﴾** قد احـترزنـا من متـابعتـه **﴿مِن قبـل﴾** هذا **﴿ويَتولّوْا وهم فَرِحُون﴾** **٥١**: **﴿قُلْ﴾** لهم **﴿لنْ يُصيبنَـا إلّا ما كَتبَ اللهُ لنـا﴾** فنحنُ تحتَ مشيئتِهِ وقَدَرِهِ **﴿هو مَوْلانا﴾** سيّدُنا وملجـؤنـا **﴿وعلى اللهِ فليتوكّلِ المؤمنون﴾** ونحنُ متوكلون عليه وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوَكيل **٥٢**: **﴿قُلْ﴾** لهم يا محمد **﴿هل تربّصُـون بنَا﴾** تنتظِرُون بنا **﴿إلّا إحْدَى الحُسْنَيَين﴾**؛ شـهـادة أو ظفـر بكـم **﴿ونحنُ نـتربّصُ بكم﴾** ننتظر بكم **﴿أن يُصيبكم اللهُ بعذابٍ مِن عنـدِهِ أو بـأيدينـا﴾** بِسَبْيٍ أو بقتـلٍ **﴿فتربّصُوا إنّا معكم متربِّصُون﴾** **٥٣**: مهما أنفقتم من نَفَقةٍ طائعين أو مُكرَهِين **﴿لنْ يُتقبّلَ منكم إنّكم كنتم قوماً فاسقين﴾** **٥٤**: **﴿وما منعَهُم أن تُقبلَ منهم نفقاتُهُمْ إلّا أنّهم كفروا باللهِ وبرسوله﴾** أخبر تعالى عن سبب [عدم القبول منهم عدم إيمانهم] والأعمال إنّما تصح بالإيمان. **﴿ولا يأتون الصلاةَ إلّا وهم كُسالَى﴾** ليس لهم قدمٌ صحيح ولا هِمّةٌ في العمل **﴿ولا يُنفِقُون﴾** نفقةً **﴿إلّا وهم كارِهُون﴾**، فلهذا لا يتقبلُ الله من هؤلاء نفقةً ولا عملاً، لأنّه إنّما يتقبل من المُتّقين.

---

(١) عن عبد الله بن أبي بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو في جهازه [أي: لغزوة تبوك] للجَدِّ بن قيس [كان يُظنّ من المنافقين]: «هلْ لك يا جدّ العام في جلاد بني الأصفر» أي: جهاد الروم؟ فقال: يارسول أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدّ عجباً بالنساء منّي، وإنّي اخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفرِ أن لا أصبرَ عنهنّ، فأعرض عنه رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وقال له: «قد أذِنتُ لكَ» ففي الجَدّ بن قيس نزلت هذه الآية.

الآية : ٤٨ قال ابن كثير : أي لقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإخماده مدةً طويلة ، وذلك أوّل مقدم النبي ﷺ المدينة ، رمته العرب عن قوسٍ واحدة وحاربته يهود المدينة ومنافقوها ، فلما نصره الله يوم بدر وأعلا كلمته قال عبد الله بن أبيّ وأصحابه : هذا أمر قد توجَّهَ ، فدخلوا في الإسلام ظاهراً ثم كلّما أعزّ الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم ، ولهذا قال تعالى ﴿ حتى جاء الحقُّ وظهرَ أمرُ اللهِ وهم كارهون ﴾ /ابن كثير ج٢/٣٦١ .

الآية: ٥١ عن أم سلمة قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مامن عبدٍ تُصيبه مصيبةٌ فيقولُ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ اللّهمَّ أجرني في مصيبتي، وأخلِفْ لي خيراً منها، إلّا آجرَه الله تعالى في مصيبته، وأخلفَ له خيراً منها». رواه مسلم/الوابل الطيب لابن قيم الجوزية ص٢٥٧/.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٢٠

٥٥: هذا من المُقدّم والمُؤخّر، تقديرُهُ: فلا تُعجِبْكَ أموالُهم ولا أولادُهم في الحياة الدنيا إنّما يريدُ اللهُ ليعذّبَهم بها في الآخرة. ﴿**وتزهقَ أنفسُهم وهم كافرون**﴾ ويُريد أن يُميتَهم على الكفر، ليكون ذلك أنكى لهم وأشدَّ لعذابهم، عِيَـاذاً بـالله من ذلك، وهـذا من بـاب الاستدراج لهم فيما هم فيه **٥٦**: يُخبرُ اللهُ تعالى نبيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنّهم ﴿**يحلِفُون باللهِ إنّهم لمنكم**﴾ يميناً مؤكّدةً ﴿**وما هُم منكم**﴾ في نفس الأمر ﴿**ولكنّهم قومٌ يَفْرَقُون**﴾ [أي: يخافون] فهو الذي حملهم على الحلف **٥٧**: ﴿**لو يجِدُونَ مَلْجَأً**﴾ حِصْناً يتحصَّنُون به ﴿**أو مغاراتٍ**﴾ التي في الجبال ﴿**أو مُدَّخَلاً**﴾ وهو السِّرْبُ في الأرض والنفق ﴿**لَوَلَّوْا إليهِ وهم يَجْمَحُون**﴾ يُسرِعُون في ذهابهم عنكم، لأنّهم إنّما يُخالطونكم كُرْهاً لا محبّةً **٥٨**: ﴿**ومنهم**﴾ ومِنَ المنافقين ﴿**مَن يَلْمِزُكَ**﴾ يعيبُ عليك ﴿**في**﴾ قَسْمِ ﴿**الصدقاتِ**﴾ إذا فرّقتَها، ويتّهمُكَ في ذلك، وهم المُتهمون المأبُونُون ﴿**فأنْ أُعْطُوا منها**﴾ من الزكاةِ ﴿**رَضُوا وإن لم يُعْطَوْا منها إذا هم يَسْخَطُون**﴾ يغضبون لأنفسهم **٥٩**: تضمّنت هذه الآية الكريمة أدباً عظيماً وسِرّاً شريفاً، حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله: ﴿**وقالوا حَسْبُنَا اللهُ**﴾، وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وامتثال أوامِرِه وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره **٦٠**: بيّن تعالى أنّه هو الذي قَسَمها وبيّن حكمَها وتولى أمرَها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحدٍ غيره فجزّأها لهؤلاء المذكورين، كما رواه الإمام أبو داود في سننه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله لم يرضَ بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكمَ فيها هو، فجزّأها ثمانية أصناف» الحديث. [ولذلك كان الذين يُؤدُّون الزكاةَ عن أموالهم نيابةً عن الله سبحانه فيما ضمنه بقوله: ﴿وَمَا مِن دابّةٍ في الأرضِ إلّا على اللهِ رِزْقُها﴾]. وهؤلاء الأصناف هم: الفقير: وهو المتعفّف لا يسأل الناس شيئاً. والمسكين: وهو الذي يسأل ويطوف يتبع الناسَ. والمؤلفة قلوبهم: وهم مَن يُعطَى ليسلم، ومنهم مَن يُعطَى ليحسنَ إسلامُه. وفي الرقاب: فهم المكاتبون. ولا بأس أن تُعتق الرقبة من الزكاة. والغارمون: فهم: مَن تحمّلَ حَمالَةً، أو ضمن ديناً فلزمه، فأجحفَ بماله، أو غرم في أداء دَينِهِ فهو لا يدفع إليهم. وفي سبيل الله: فهم الغُزَاةُ. وابن السبيل: هو المسافر ليس معه شيء، فيُعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده. ﴿**فريضةً من الله**﴾ حُكْماً مُقدّراً بتقدير الله، فرضه وقسمه. ﴿**والله عليمٌ**﴾ بمصالح عباده ﴿**حكيمٌ**﴾ فيما يُشرِّعُه ويحكُم به **٦١**: ومن المنافقين قومٌ يُؤذُون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام فيه ويقولون ﴿**هو أُذُنٌ**﴾ مَن قال له شيئاً صدّقَهُ فينا، فإذا جِئناه وحلفنا له صَدَّقنا، ﴿**قُلْ أُذُنُ خيرٍ لكم**﴾ هو أذن خير يعرف الصادقَ من الكاذب، ﴿**يُؤمن باللهِ ويُؤمِنُ للمؤمنين**﴾ ويُصدِّق للمؤمنين ﴿**ورحمةٌ للذينَ آمَنُوا منكم**﴾ هو حُجّةٌ على الكافرين، ولهذا قال سبحانه: ﴿**والذين يُؤذون رسولَ اللهِ لهم عذابٌ أليمٌ**﴾.

الآية: ٦٠ روى الإمام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ فبايعته فأتى رجل فقال أعطني من الصدقة، فقال له: «إنّ الله لم يرضَ بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزّأها ثمانية أصناف، فإن كنتَ من تلك الأجزاء أعطيتُكَ». =

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

٦٢: ﴿**يحلفون بالله لكم لِيُرضُوكم**﴾ وذلك أنّ من المنافقين مَن قال: إن كان ما يقولُ محمدٌ حقاً؛ لَهُمْ شرٌّ من الحمير. فسمعها رجلٌ من المسلمين، فسعى بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فأرسل إلى الرجل فدعاه، فقال: «ما حملك على الذي قلتَ»؟ فجعل يحلف بالله ما قال ذلك، وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدّقِ الصادق وكذِّبِ الكاذبَ، فأنزلَ اللهُ الآيةَ **٦٣**: ﴿**ألم يعلموا أنّه مَن يُحادِدِ الله ورسولَه**﴾ الآية؛ ألم يتحققوا ويعلموا أنّه مَن حادّ الله عزّ وجلّ أي شاقَّهُ وحاربَهُ ﴿**فأنّ له نارَ جهنّمَ خالداً فيها**﴾ مُهاناً مُعذّباً و﴿**ذلك الخزيُ العظيم**﴾ وهذا هو الذُّلُّ العظيم والشقاء الكبير **٦٤**: ﴿**يحذرُ المنافقون**﴾ يقولون: عسى الله أن لا يفشي علينا سِرَّنا هذا؛ ﴿**أن تُنَزَّلَ عليهم سورةٌ تُنبِئُهم بما في قلوبِهِمْ**﴾، ﴿**قُلِ استهزِؤوا إنّ الله مخرجٌ ما تحذَرُون**﴾ إنّ اللهَ سيُنزّلُ على رسوله ما يفضحكم به ويُبيّن له أمرَكم، كقوله تعالى: ﴿أم حَسِبَ الذين في قلوبهم مرضٌ﴾ [وهو النفاق] ﴿أنْ لنْ يُخرِجَ الله أضغانَهم﴾؟ إلى قوله: ﴿ولتعرفنّهم في لَحْنِ القولِ﴾، [سورة محمد/٣٠] ولهذا كانت تسمى هذه السورة الفاضحة، فاضحة المنافقين **٦٥**: ﴿**ولَئِنْ سألتهم**﴾ [أي: عمّا قالوا في شأنك يا محمد]، ﴿**ليقولُنّ إنّما كنّا نخوضُ ونلعبُ**﴾، [وذلك حين قال المنافقون]: يظنُّ هذا أن يفتح قصورَ الروم وحُصُونَها هيهات هيهات، فأطلعَ اللهُ نبيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم على ما قالوا، فدعاهم، فحلفوا: ما كنّا إلّا نخوضُ ونلعب ﴿**قُلْ أبالله وآياتِهِ ورسولِهِ كنتم تستهزِؤُون**﴾ ؟! **٦٦**: ﴿**لا تعتذِرُوا قد كفرتُم**﴾ بهذا المقال الذي استهزأتُم به ﴿**بعدَ إيمانِكم إنْ نَعْفُ عن طائفةٍ منكم نُعذّبْ طائفةً**﴾ لا يُعفَى عن جميعكم، ولا بدّ من عذاب بعضكم، ﴿**بأنّهم كانُوا مُجْرِمين**﴾ بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة **٦٧**: ﴿**المنافقون والمنافقاتُ بعضُهم من بعض**﴾ يقول تعالى منكراً على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين: ﴿**يأمُرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبِضون أيديهم**﴾ عن الإنفاق في سبيل الله، ﴿**نَسُوا الله**﴾ نَسُوا ذكرَ اللهِ ﴿**فنَسِيَهُمْ**﴾ عاملهم معاملة من نَسِيَهم، كقوله تعالى: ﴿اليوم نَنْساكُم كما نسيتُم لقاءَ يومكم هذا﴾، [الجاثية/٣٤]. ﴿**إنّ المنافقين هم الفاسِقُون**﴾ الخارجون عن طريق الحق **٦٨**: ﴿**وَعَدَ اللهُ المنافقين والمنافقاتِ والكفارَ نارَ جهنّم**﴾ على هذاالصنيع الذي ذكر عنهم ﴿**خالدين فيها**﴾ ماكثين فيها مخلّدين هم والكفار، ﴿**هي حَسْبُهم**﴾ كفايتهم في العذاب ﴿**ولعنهم اللهُ**﴾ طردَهم وأبعدهم ﴿**ولهم عذاب مقيم**﴾.

= روى الإمام أبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتحل الصدقة لغني إلا لخمسة: العامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى لغني». /ابن كثير ج٢/٣٦٦/

الآية: ٦٩ قال ابن جُريج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتتبعُنّ سُننَ الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباعٍ حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه»، قالوا: ومن هم يارسول الله أهل الكتاب؟ قال: «فمن؟». /ابن كثير ج٢/٣٦٨/

كَالَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٦٩: ﴿كالذين من قبلكم﴾ أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب مَن قبلَهم **﴿كانوا أشدَّ منكم قوّةً وأكثرَ أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم﴾** دِينِهم **﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتُم كالذي خاضُوا﴾** في الكذب والباطل، **﴿أولئك حَبِطَتْ أعمالُهم﴾** بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنّها فاسدة، **﴿في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾** لأنّهم لم يحصل لهم عليها ثواب **٧٠**: يقول تعالى واعظاً لهؤلاء المنافقين: **﴿ألَمْ يأتِهم نبأُ الذين مِن قبلهم﴾** ألم تُخبَرُوا خبرَ مَن كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل؟ **﴿قوم نُوحٍ﴾** وما أصابهم من الغرق **﴿وعادٍ﴾** كيف أهلكُوا بالريح العقيم لّما كذّبوا هُوداً **﴿وثمودَ﴾** كيف أخذتهم الصيحة لّما كذبوا صالحاً وعقروا الناقة **﴿وقوم إبراهيم﴾** كيفَ نصرَهُ الله عليهم **﴿وأصحابِ مَدْيَنَ﴾** وهم قوم شعيب وكيف أصابتهم الرجفة **﴿والمُؤتفكاتِ﴾** وهم قوم لوط أهلكهم اللهعن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطاً وإتيانهم الفاحشة، **﴿أتتهم رسلهم بالبيّنات﴾** بالدلائل القاطعات **﴿فما كان اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾** بإهلاكه إيّاهم **﴿ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون﴾** بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحقَّ فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار **٧١**: لّما ذكرَ اللهُ صفاتِ المنافقين الذميمة عطفَ بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال سبحانه: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياء بعض﴾** يتناصرون ويتعاضَدُون، كما جاء في الصحيح: «مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى له سائر الجسد بالحُمّى والسهر». **﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاة﴾** يُطيعون الله ويُحسنون إلى خلقه **﴿ويُطيعُون الله ورسولَهُ﴾** فيما أمرَ، وتَركَ ما عنه زجَرَ **﴿أولئك سيرحمهم الله﴾** ومَن اتصف بهذه الصفات **﴿إنّ الله عزيز﴾** يعزّ عليه مَن أطاعه **﴿حكيم﴾** في جميع ما يفعله تبارك وتعالى **٧٢**: **﴿وَعَدَ اللهُ المؤمنين والمؤمنات﴾** من الخيرات والنعيم المقيم في **﴿جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها﴾** أبداً **﴿ومساكِنَ طيّبةً﴾** حَسَنةَ البناء طيّبة القرار، كما جاء في الصحيحين قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ للمؤمن في الجنّة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة طولها ستون ميلاً في السماء، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرَى بعضُهم بعضاً». **﴿في جنّاتِ عَدْنٍ﴾**، [وهي أعلى درجة في الجنّة ينزلها الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون]. **﴿ورضوانٌ مِنَ الله أكبرُ﴾** رضا اللهعنهم أكبرُ وأجلُّ وأعظم مِمّا هم فيه من النعيم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دخلَ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، قال الله عزّ وجلَّ: هل تشتهون شيئاً فأزيدكم؟ قالوا: يا ربَّنا ما خير مِمّا أعطيتنا؟ قال رضواني أكبر» رواه البزار على شرط الصحيحين.

الآية: ٧٢ جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «جنّتان من ذهب آنيتُهما ومافيهما، وجنتان من فضّة آنيتُهما ومافيهما، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن».

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

الحزب ٢٠

٧٣: ﴿يا أيها النبي جاهِدِ الكفّارَ والمنافقين واغلُظْ عليهم﴾ أمرَ تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، كما أمرَهُ بأن يخفض جناحَهُ لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أنّ مصير الكفار والمنافقين إلى النّار في الآخرة **٧٤: ﴿يحلِفُون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر﴾** نزلت في ابن أُبَيّ [ابن سلول] وذلك أنّ رجلاً جُهني وأنصاري، فَعَلا الجهني على الأنصاري؛ فقال [ابن سلول وكان رأس المنافقين] للأنصار: ألَا تنصُروا أخاكم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلّا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبك يأكلك، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزّ منها الأذلّ. فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليه فسأله، فجعلَ يحلف بالله ما قاله، فأنزل الله فيه هذه الآية. **﴿ولقد قالوا كلمةَ الكفرِ وكفرُوا بعدَ إسلامِهِم وهمُّوا بما لم ينالوا﴾** هم ابن أُبَيّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [وذلك لَمّا] أرادُوا أن ينفرُوا برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم راحلتَهُ فيطرحُوه. **﴿وما نقموا إلّا أن أغناهم اللهورسوله من فضله﴾** وما للرسول عندهم ذنب إلّا أنّ اللهأغناهم ببركته ويُمن سعادته، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار: «ألم أجدكم ضُلّالاً فهدَاكم اللهُ بي؟ وكنتم متفرقين فألّفكم اللهُ بي، وعالةً فأغناكم اللهُ بي». ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال: **﴿فإن يتُوبُوا يَكُ خيراً لهم وإن يتولّوا يُعذّبْهُمُ اللهُ عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة﴾** وإن يستمرُّوا على طريقهم يعذّبهم اللهُ عذاباً أليماً في الدنيا بالهمّ والغمّ، والآخرة بالعذاب والهوان والصغار **﴿وما لهم في الأرض من ولّيٍ ولا نصيرٍ﴾** ليس لهم أحدٌ يُسعدهم ولا ينجدهم **٧٥: ﴿ومنهم من عَاهَدَ اللهَ﴾** ومن المنافقين من أعطى اللهعهدَه وميثاقَهُ لئن أغناه الله من فضله **﴿لَئِنْ آتانا من فضلِهِ لَنَصّدّقَنّ ولنكوننّ من الصالحين﴾** فما وفّى بما قال ولا صدَقَ فيما ادّعى، **٧٦: ﴿فلمّا آتاهُمُ من فضلِهِ بخِلُوا بهِ وتولّوْا وهم معرِضُون﴾** [تولّوْا عن طاعته، وأعرضُوا عن الإسلام] **٧٧: ﴿فأعقبهُم﴾** هذا الصنيعُ **﴿نِفَاقاً﴾** سكن **﴿في قلُوبهم إلى يومِ يلقونه﴾** إلى يوم يلقوا اللهعزّ وجلّ يوم القيامة، **﴿بما أخلفُوا اللهَ ما وعدوه﴾** أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم، كما في الصحيحين: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّثَ كذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ» **٧٨: ﴿ألم يعلمُوا أنّ الله يعلمُ سِرَّهم ونجواهم﴾** يُخبر تعالى أنّه يعلم السِّرَّ وأخفى وأنّه أعلم بضمائرهم، **﴿وأنّ الله علّامُ الغُيُوبِ﴾ ٧٩:** وهذا أيضاً من صفات المنافقين لا يسلم أحدٌ من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال حتى ولا المتصدّقُون يسلمون منهم؛ إن جاء أحدٌ منهم بمالٍ جزيل، قالوا: هذا مُرَاءٍ، وإن جاء بشيءٍ يسيرٍ قالوا: إنّ الله لغني عن صدقة هذا. **﴿فيسخرُون منهم سَخِرَ اللهُ منهم﴾** هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأنّ الجزاء من جنس العمل، فعاملهم معاملة مَن سخرَ منهم انتصاراً للمؤمنين في الدنيا، **﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾** في الآخرة.

الآية: ٧٣ روى مسلم عن عمار بن ياسر قال: أخبرني حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل في سَمِّ الخِياط: ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار تظهر بين أكتافهم حتى ينجم في صدورهم». /ابن كثير ج٢/٣٧٣/

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٨٠: يُخبر تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار وأنّه لو استغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفرَ الله لهم، وإنّ السبعين إنّما ذُكرت حسماً لمادّة الاستغفار، لأنّ العرب تذكر السبعين مبالغةً ولا تريد التحديد. وقال تعالى من شِدّة غضبه عليهم: ﴿سواءٌ عليهم أستغفرتَ لهم أم لم تستغفرْ لهم لن يغفرَ اللهُ لهم﴾[المنافقون/٦]. **﴿ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسولِه والله لا يهدي القومَ الفاسقين﴾ ٨١: ﴿فرِحَ المخلَّفون بمقعدِهم خِلافَ رسولِ الله﴾** بعد خروجه في غزو تبوك **﴿وكرِهُوا أن يُجاهِدُوا﴾** معه **﴿بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا﴾** بعضُهم لبعض **﴿لا تنفروا في الحرِّ﴾** وذلك أنّ الخروج في غزوة تبوك كان في شِدّة الحرّ عند طيب الظلال والثمار، **﴿قل﴾** لهم **﴿نارُ جهنّم﴾** التي تصيرون إليها بمخالفتكم **﴿أشدّ حرّاً﴾** مِمّا فررتم منه من الحَرّ. وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نار بني آدم التي توقدونها جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم» **٨٢: ﴿فليضحكوا قليلاً﴾** فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عزّ وجلّ استأنفوا بكاءً لا ينقطع أبداً. **﴿جزاءً بما كانوا يكسِبُون﴾ ٨٣: ﴿فإن رَجعكَ اللهُ﴾** ردّكَ اللهُ من غزوتك هذه **﴿إلى طائفةٍ منهم﴾** وكانوا اثنا عشر رجلاً **﴿فاستأذَنُوكَ للخروج﴾** معك إلى غزوةٍ أخرى **﴿فقُلْ لن تخرجوا معيَ أبداً ولن تُقاتِلُوا معيَ عدوّاً﴾** تعزيراً لهم وعقوبةً، ثم علّلَ ذلك بقوله: **﴿إنّكم رَضِيتُم بالقعود أوّل مرّة﴾** وهذا جزاءُ السيّئة السيّئة بعدها كما أنّ ثواب الحسنة الحسنة بعدها. **﴿فاقْعُدُوا مع الخالفين﴾** الذين تخلّفوا عن الغزاة **٨٤**: أمرَ اللهُ تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم أن يبرأ من المنافقين، وأن لا يُصلي على أحدٍ منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفرَ له أو يدعوَ له لأنّهم كفروا بالله ورسوله وماتُوا عليه. وأمّا القيام عندَ قبر المؤمن إذا مات؛ فروى أبو داود عن عثمان قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغَ من دفنِ الميت وقف عليه وقال: «استغفِرُوا لأخيكم واسألوا له التثبيتَ فإنّه الآن يُسأل» **٨٥**: هذا من المقدّم والمؤخر تقديره: ولا تُعجبكَ أموالُهم ولا أولادُهم في الحياة إنّما يُريدُ اللهُ لِيُعذّبَهم بها في الآخرة. **﴿وتزهقَ أنفسُهم وهم كافرون﴾** يُريدُ أن يميتهم حين يميتهم على الكفر ليكون ذلك أنكَى لهم وأشدّ لعذابهم. وهذا من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه **٨٦: ﴿وإذا أُنزِلتْ سورةٌ أن آمِنُوا بالله﴾**، [انتدب المؤمنون إلى الإجابة، وتعلّلَ المنافقون]، **﴿أن آمنوا باللهوجاهِدُوا مع رسولِهِ استأذَنَكَ أولُو الطَّوْل منهم وقالوا ذَرْنَا نكُنْ مع القاعدين﴾** يقول تعالى: [ذلك] منكراً وذامّاً للمتخلّفين عن الجهاد مع وجود القدرة والسّعة.

الآية: ٨٢ قال مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعِلُ بنعلين من نار يغلي دماغهمن حرارة نعليه».

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ياأيّها النّاس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفناً أزجيت فيها لجرت». /ابن كثير ج٢/٣٧٨/

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧: ﴿رَضُـوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾، ورضـوا لأنفسهـم بالعـار والقعود مع النسـاء وهُنّ الخوالف بعـد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمنٌ كانوا أكثرَ النـاس كلاماً، **﴿وطُبِعَ على قلوبهم﴾** بسبب نُكُـولهـم عن الجهـاد والخروج مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الله **﴿فهم لا يفقهـون﴾** مـا فيـه صـلاحٌ لهم فيفعلوه، ولا ما فيه مضرّة لهم فيجتنبُوه **٨٨**: لَمّا ذكرَ تعـالى ذَمَّ المنـافقين وبينَ ثناءَهُ على المؤمنين وما لهم في آخرتهم، فقال: **﴿لكنِ الرسولُ والذين آمنوا معه جاهَدُوا بأموالهم وأنفسهـم وأولئك لهـم الخيراتُ﴾**، [وهي منافع الدّارَين]، **﴿وأولئك هم المفلِحُون﴾** **٨٩**: **﴿أعدَّ اللهُ لهم جَنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها﴾** في الدار الآخرة في جنّات الفِرْدَوس والدَّرجات العُلَى **﴿ذلك الفوز العظيم﴾** **٩٠**: ثم بَيّن تعالى حال ذَوِي الأعذار في ترك الجهاد الذين جاؤوا رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يعتذرون إليـه، ويُبيِّنـون له مـا هـم فيـه من الضعف وعدم القدرة على الخروج. وهم من أحياء العرب ممن حول المـدينـة: **﴿وجاء المُعَـذِّرون من الأعراب ليُؤْذَنَ لهم﴾**؛ جاؤوا فاعتذروا فلم يُعـذرْهـم الله. **﴿وقعـدَ الذين كذبُوا اللهَ ورسـولَهُ﴾** وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار، ثم أوعدهم بالعذاب الأليم، فقال: **﴿سَيُصيبُ الذين كفَرُوا منهم عذابٌ أليمٌ﴾** **٩١**: ثم بيّـنَ تعـالى الأعـذارَ التي لا حرَجَ على مَن قعَدَ معها عن القتال، فذكرَ منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد، ومنه العَمَى والعَرَج، ونحوهما، ومنه ما هو عارض بسبب مرضٍ شغله عن الخروج أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب؛ فليس على هؤلاء حَرَجٌ إذا قعَدُوا ونصَحُوا في حال قعودهم، **﴿ما على المحسنين من سبيل﴾**، [إلى مُؤاخذتهم]، وهم محسنون في حالهم هذا، **﴿واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾** **٩٢**: **﴿ولا على الذين إذا ما أتَوْكَ لتحملَهُمْ قلتَ لا أجِدُ ما أحمِلُكم عليه﴾**، [أي: ليس على هؤلاء حَرَجٌ أيضاً]، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم كانوا أهل حاجة ، فاستحملوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم [أي: طلبوا منه أن يحملهم إلى الجهاد] فقال: **﴿لا أجدُ ما أحمِلُكم عليه تَوَلَّوْا وأعيُنُهم تفيضُ مِن الدّمعِ حَزَناً ألّا يجِدُوا ما يُنفِقُون﴾**، وفيهم قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «لقد خلّفتم بالمدينة أقواماً ما أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً ولا نِلْتم نَيْلاً إلّا وقد شَرَكُوكُم في الأجر». ثم قرأ الآية. أصل الحديث في الصحيحين **٩٣**: **﴿إنّما السبيلُ﴾** [أي: العقوبةُ والمأثمُ] **﴿على الذين يستأذِنُونَكَ وهم أغنياءُ﴾**، [والمراد المنافقون. كرّرَ ذكرَهم للتأكيد في التحذير من سوءِ فِعَالهم].

الآية: ٩٢ جاء في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ بالمدينة أقواماً ماقطعتم وادياً ولاسرتم سيراً إلاّ وهم معكم» قالوا: وهم بالمدينة؟ قال «نعم حبسهم العُذْر». وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قال رسول الله ﷺ: «لاهجرةَ بعدَ الفتح، ولكن جهادٌ ونيّةٌ، وإذا استنفرتم فانفروا». وفي الصحيحين أيضاً عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببيداءَ من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم» قلت: يارسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقُهم [الذين يسوقونهم وهم ليسوا على قصدهم] ومَنْ ليس منهم؟ قال: «يُخسف بأولهم وآخرهم، ثم يُبْعَثُون على نيّاتهم». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لاينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صورِكم، ولكن ينظر إلى قلوبِكُمْ وأعمالِكُمْ». /رياض الصالحين /١٧ ــ ٢٠/

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

٢٠٢

٩٤: ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ أخبر تعالى عن المنافقين بأنّهم إذا رجعوا إلى المدينة -أي: من الغزو- أنّهم يعتذرون إليهم، **﴿قلْ لا تعتذروا لن نُؤمِنَ لكم﴾** لن نصدّقكم، **﴿قد نبأنا اللهُ مِن أخباركم﴾** قد أعلمنا اللهُ أحوالكم، **﴿وسيرَى اللهُ عملَكم ورسولُهُ﴾** سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا **﴿ثم تُرَدُّون إلى عالِمِ الغيبِ والشهادة فيُنبِّئكم بما كنتم تعلمون﴾** فيخبركم بأعمالكم خيرها وشرّها ويُجزيكم عليها **٩٥: ﴿سيحلِفُون باللهِ لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرِضُوا عنهم﴾** أخبر تعالى عنهم أنّهم سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم **﴿فأعرِضُوا عنهم إنّهم رِجْسٌ﴾** فأعرضوا عنهم احتقاراً لهم، لخبث بواطنهم واعتقادهم **﴿ومأواهم جهنّم جزاءً بما كانوا يكسِبُون﴾** **٩٦: ﴿يحلِفُون لكم لترضَوْا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾** الخارجين عن طاعة الله ورسوله **٩٧: ﴿الأعرابُ أشدُّ كفراً ونفاقاً﴾** أخبر تعالى أنّ في الأعراب كفاراً ومنافقين ومؤمنين، وأنّ كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم **﴿وأجدرُ ألّا يعلموا حُدُودَ ما أنزلَ اللهُ على رسوله﴾** [أخلقُ] وأحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل اللهعلى رسوله. روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن سكنَ البادية جَفَا» الحديث، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي. **﴿واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾** عليم بمن يستحقُ الإيمانَ والعلم، حكيمٌ فيما قسم بين عباده من العلم والإيمان **٩٨: ﴿ومن الأعرابِ مَن يتخذُ ما ينفق﴾** في سبيل الله **﴿مغرماً﴾** غرامةً وخسارةً **﴿ويتربصُ بكم الدوائر﴾** ينتظر بكم الحوادث والآفات، **﴿عليهم دائرة السَّوْءِ﴾** هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم، **﴿واللهُ سميعٌ﴾** لدعاء عباده **﴿عليمٌ﴾** بمن يستحق النصر ممّن يستحق الخذلان **٩٩: ﴿ومِنَ الأعرابِ مَن يُؤمنُ باللهِ واليوم الآخر ويتخذُ ما يُنفقُ قُرباتٍ عندَ اللهِ وصلواتِ الرسولِ﴾** هذا هو القسم الممدوح من الأعراب الذين يتخذون ما يُنفقُون في سبيل الله قُرْبةً يتقرَّبُون بها عندَ اللهويبتغُون بذلك دعاء الرسول لهم، **﴿ألّا إنّها قُرْبةٌ لهم﴾** إنّ ذلك حاصلٌ لهم **﴿سيُدخِلُهُمُ اللهُ في رحمتِهِ إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾**.

الآية: ٩٧ ـ ٩٨ روى الإمام أحمد عنابن عباس عن رسول الله ﷺ قال «من سكن البادية جَفَا ومن اتبعَ الصيدَ غفل، ومن أتى السلطان افتتن».

روى مسلم عن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم قالوا لكنا والله مانقبل فقال رسول الله ﷺ: «وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة» وفي رواية «من قلبك الرحمة». /ابن كثير ج٢/٣٨٣/

الآية: ٩٩ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي ذرٍّ جُندب بن جُنادة قال: قلت يارسول الله! أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «الإيمانُ بالله، والجهادُ في سبيله» قلتُ: أيّ الرقابِ أفضل [أي في العِتق] قال: «أنفسُها عند أهلها وأكثرها ثمناً» قلتُ: فإن لم أفعلْ؟ قال: «تُعينُ صانعاً، أو تصنعُ لأخْرَقَ» [أي لضعيف لايقدر على الصناعة] قلت: يارسول الله! أرأيتَ إن ضعفتُ عن بعضِ العمل؟ قال: تكفُّ شَرَّكَ عن النّاس، فإنّها صدقةٌ منكَ على نفسِكَ». وروى مسلم عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقَى أخاكَ بوجهٍ طليقٍ». وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ غَدَا إلى المسجد أو راح، أعدَّ اللهُ له في الجنّة نُزُلاً كلّما غَدَا أو رَاحَ».

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾
خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

١٠٠: ﴿والسابِقون الأوّلون مِن المهاجرين والأنصار﴾ يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين والأنصار مَن أدرك بيعةَ الرضوان عام الحديبية، **﴿والذين اتبعُوهم بإحسانٍ رضي اللهُ عنهم﴾**، [أي: فيما فيه من أفعالهم وأقوالهم، لا فيما صدر عنهم من هَفَوات إذْ لم يكونوا معصومين رضي اللهعنهم]. **﴿وأعدَّ لهم جنّاتٍ تجري تحتَها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ ١٠١: ﴿وممّن حولكم مِن الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾** يُخبر تعالى رسولَهُ صلوات الله وسلامه عليه أنّ في أحياء العرب مِمّن حول المدينة منافقون، وفي أهل المدينة أيضاً منافقون **﴿مَرَدوا على النفاق﴾** مَرَنُوا واستمرُّوا عليه. **﴿سنعذّبُهم مرتين﴾** عذاب الدنيا، وعذاب القبر **﴿ثم يُردُّونإلى عذابٍ عظيم﴾** إلى عذاب النار **١٠٢: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾** لمّا بين الله تعالى حال المنافقين بيّن حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلاً، **﴿خلَطُوا عملاً صالحاً وآخرَ سيّئاً﴾** خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو اللهوغفرانه. وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلّا أنّهـا عـامّـة في كل المذنبين الخاطئين، **﴿عسى الله أن يتوبَ عليهم إنّ الله غفورٌ رحيم﴾ ١٠٣: ﴿خُذْ مِن أموالِهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها﴾** أمرَ اللهُ تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأخذ من أموالهم صدقةً يُطهرهم ويُزكيهم بها، وهذا عام وإن أعاد بعضهم [أي: بعض المفسرين] الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم. **﴿وصَلِّ عليهم﴾** ادعُ لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أُتي بصدقةِ قومٍ صلّى عليهم، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: «اللهمّ صلِّ على آل أبي أوفى». **﴿إنّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهم﴾** رحمة لهم ووقار. **﴿والله سميعٌ﴾** لدعائك **﴿عليمٌ﴾** بمن يستحق ذلك **١٠٤: ﴿ألم يعلمُوا أنّ الله هو يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ ويأخذُ الصدقات﴾**؟ هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كلٌّ منهما يحطُّ الذنوب ويُمحِّصُها ويمحقُها، **﴿وأنّ الله هو التوّابُ الرحيم﴾ ١٠٥: ﴿وقُلِ اعملُوا فَسَيَرَى اللهُ عملكم ورسولُهُ والمؤمنون﴾** هذا وعيدٌ من الله تعالى للمخالفين أوامِرَه بأنّ أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، **﴿وستُرَدُّون إلى عَالِمِ الغيبِ والشهادةِ فينبِّئكم بما كنتم تعملون﴾**، وهذا كائنٌ لا محالة يوم القيامة **١٠٦: ﴿وآخرون مُرْجَوْن لأمرِ اللهِ إمّا يُعذِّبُهم وإمّا يتوبُ عليهم﴾** هم تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذاك، ولكن رحمته تغلب غضبه، **﴿والله عليم﴾** بمن يستحق العقوبة ومن يستحق العفو، **﴿حكيمٌ﴾** في أفعاله وأقواله.

الآية: ١٠٣ روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن أبي أوفَى قال: كان النبي ﷺ: إذا أُتي بصدقةِ قومٍ صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صلِّ على آل أبي أَوْفَى»، وفي الحديث الآخر: أنّ امرأةً قالت: يارسول الله صلِّ عليّ وعلى زوجي، فقال: «صلى الله عليكِ وعلى زَوْجِكِ». روى الترمذي عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه، فيُرْبيها لأحدكم كما يربّي أحدكم مُهْرَهُ، حتى أنّ التمرة لتكون مثل أُحدٍ». /ابن كثير ج٢/٣٨٦/

الآية: ١٠٥ روى الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «لاعليكم أن تعجبوا بأحدٍ حتى تنظروا بِمَ يُختم له، فإن العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح =

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

الحزب ٢١

١٠٧: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حاربَ اللهَ ورسولَهُ مِن قبلُ﴾ سبب نزول هذه الآيات أبو عامر الراهب، وكان قد تنصّر في الجاهلية وله شرف في الخزرج، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينة، وصارت للإسلام كلمة عالية، شَرِقَ اللعين بريقِهِ وبارَزَ بالعداوة، فخرج فاراً إلى كفار مكة، يُمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقدموا عام أُحُد، وكان من أمر المسلمين ما كان، وذهب أبو عامر إلى هرقل يستنصره، وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق يعِدُهم ويُمنّيهم بجيش يقاتل به رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً، فشرعوا في بناءِ مسجدٍ مجاورٍ لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وجاؤوا فسألوا رسول الله أن يصلي فيه ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره، فنزل جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمدهُ بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك المسجد مَن هدمه. **﴿وليَحلِفُنّ إن أردنا إلّا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون﴾** **١٠٨: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾** نهيٌ له صلى الله عليه وآله وسلم، والأمةُ تبعٌ له في ذلك، عن أن يقوم فيه أبداً. **﴿لمسجدٌ أسس على التقوى مِن أوّلِ يومٍ أحقُّ أن تقوم فيه، فيه رجالٌ يُحِبُّون أن يتطهروا والله يُحِبُّ المُطَّهِّرين﴾** وكانوا يستنجون بالماء. وإنّ الطهور بالماء لَحَسنٌ ولكنّهم المطهرون من الذنوب **١٠٩: ﴿أفَمَنْ أَسَّسَ بُنيانَهُ على تقوى مِن اللهِ ورضوانٍ خيرٌ أم مَن أَسَّسَ بُنيانَه على شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ به في نار جهنّم﴾**؟! لا يستوي مَن أسس بنيانه على تقوىً من الله ورضوان ومَن بنى مسجداً ضراراً، وكفراً وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله؛ فإنّما بنيانهم على شفَا جُرُف هارٍ، أي: على طرف حفيرة مثالة **﴿في نار جهنّم والله لا يهدي القومَ الظالمين﴾** لا يصلحُ عملَ المفسدين **١١٠: ﴿لا يزالُ بُنيانُهم الذي بَنَوْا رِيبةً في قلوبهم﴾** شكّاً ونفاقاً بسبب إقدامهم على هذا الصنيع، **﴿إلّا أن تقطّعَ قلوبهم﴾** بموتهم، **﴿واللهُ عليم﴾** بأعمال خلقه **﴿حكيمٌ﴾** في مجازاتهم عنها من خير أو شرّ **١١١: ﴿إنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنّ لهم الجنّة﴾** وذلك إذا بذلُوها في سبيله، بأنّ لهم الجنّة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه؛ **﴿يُقاتِلون في سبيلِ اللهِ فيقتلُون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآن﴾** هذا تأكيدٌ لهذا الوعد وإخبارٌ بأنّه قد كتبه على نفسه الكريمة. **﴿ومَن أوفى بعهدِهِ مِن الله﴾**؟ فإنّه لا يُخلِفُ الميعاد، **﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم بهِ وذلك هو الفوز العظيم﴾** فليستبشرْ مَن قام بمقتضى هذا العقد، ووفّى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم. ومَن حملَ في سبيل الله فقدَ بايع الله؛ أي: قَبِلَ هذا العقد ووفّى به.

= لو مات عليه دخل الجنة حتى يتحول فيعمل عملاً سيّئاً، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعملٍ سيّء لو مات عليه دخلَ النّار، ثم يتحوّل فيعمل عملاً صالحاً، وإذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قبلَ موته» قالوا: يارسول الله وكيف يستعمله؟ قال: يُوفّقُهُ لعملٍ صالحٍ ثم يقبضه عليه». /ابن كثير ج٢/٣٨٧/

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

١١٢: هذا نعتُ الذين اشترى الله منهم أنفسَهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة: ﴿**التائبون**﴾ من الذنوبِ كلِّها التاركون للفواحش ﴿**العابِدُون**﴾ القائمون بعبادة ربّهم محافظين عليها، ﴿**الحامِدُون**﴾، [أي: الراضون بقضائه، المُصرِفون نعمته في طاعته الذين يحمدون الله على كل حال]، ﴿**السائِحُون**﴾ الصائمون، ﴿**الراكِعُون الساجِدُون الآمِرُون بالمعروف والنّاهُون عن المنكر**﴾ ينفعُون خلق الله ويرشِدُونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ﴿**وبشّر المؤمنين**﴾ لأنّ الإيمان يشمل هذا كلّه، والسعادةِ كلُّ السعادةِ لمن اتصفَ به **١١٣**: ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفِرُوا للمشركين ولو كانوا أُولي قُرْبَى مِن بعدِ ما تبيّن لهم أنّهم أصحابُ الجحيم**﴾ روى الإمام أحمد: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أبو جهل وابن أميّة، فقال: «أيْ عمِّ قلْ لا إله إلّا الله كلمةً أحاجّ لك بها عند الله عزّ وجلّ»، فقال ابو جهل وابن أميّة: يا أبا طالب أترغب عن مِلّة عبد المطّلب؟ فقال: أنا على مِلّة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عنكَ» فنزلت الآية: ونزل فيه: ﴿إنّكَ لا تهدِي مَن أحببتَ ولكنّ اللهَ يهدي مَن يشاء﴾ أخرجاه. [وهذه الآية تضمّنت قطعَ مُوالاةِ الكفار حيّهم وميّتهم] **١١٤**: ﴿**وما كان استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلّا عن موعِدَةٍ وَعَدَها إيّاه فلمّا تبيّن له أنّه عدوٌّ لله تبرّأ منه**﴾ عَذَرَ اللهُ إبراهيم عليه السلام [وذلك أن أبا إبراهيم وعدَ إبراهيم الخليل أن يُؤمن بالله ويخلع الأنداد، فلما مات على الكفر علم أنّه عدوٌّ لله، فترك الدعاء له]. ﴿**إنّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ**﴾ الأوّاهُ: المتضرّعُ في الدعاء **١١٥**: ﴿**وما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قوماً بعدَ إذْ هَدَاهُم**﴾ أخبر تعالى عن نفسه الكريمة أنّه لا يُضِلُّ قوماً إلّا بعد إبلاغ الرسالة حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجّةُ، ﴿**حتى يُبيّنَ لهم ما يتقون، إن الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ**﴾ **١١٦**: ﴿**إنّ اللهَ لهُ مُلْكُ السموات والأرض يُحيي ويميت وما لكم من دُونِ اللهِ مِن وليٍّ ولا نصير**﴾ هذا تحريضٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين في قتال أهل الكفر، وأنّهم يثِقُوا بنصر الله مالك السموات والأرض ولم يرهبوا من أعدائه فإنّه لا ولي لهم من دُون الله ولا نصير لهم من سواه **١١٧**: ﴿**لقد تاب اللهُ على النبي**﴾ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعُوه في ساعةِ العُسْرَةِ**﴾ نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنّهم خرجوا إليها في شدّةٍ من الأمر في سنة مجدبة وحرّ شديد وعُسْرٍ من الزاد والماء، ﴿**مِن بعد ما كادَ يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم**﴾ عن الحق ويشك في دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدّة في غزوهم؛ فجاء أبو بكر الصديق فقال: يا رسول الله إنّ الله قد عوّدَكَ في الدعاء خيراً فادْعُ لنا، فرفع يديه فلم يَرْ جَمَعَهُمَا حتى سالت السماء فأهطلت ثم سكنت فملؤا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر. ﴿**ثم تاب عليهم**﴾ رزقهم الإنابة إلى ربّهم ﴿**إنّه بهم رؤُوفٌ رحيمٌ**﴾.

الآية: ١١٤ روى ابن جرير عن عبدالله بن شداد بن الهاد قال: بينما النبي ﷺ جالس قال رجل: يارسول الله ماالأوّاه؟ قال: «المتضرع».

/ابن كثير ج٢/٣٩٥/

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

نصف الحزب ٢١

١١٨: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقتْ عليهم الأرض بما رَحُبَتْ وضاقتْ عليهم أنفسُهم﴾ وهؤلاء الثلاثة: هم كعب بن مالك، ومُرارة بن ربيعة العامريّ، وهِلال بن أميّة الوَاقِفي، وكلهم من الأنصار، تخلفوا في غزوة تبوك. وكانوا قد شهدوا بدراً، نهى رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم عن كلامهم، قال كعب بن مالك: فاجتنبنا النّاسَ، وتغيّروا لنا حتى تنكّرت لي نفسي الأرض فما هي الأرض التي كنتُ أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأمّا صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان أمّا أنا فكنت أجلدهم كنت أشهد الصلاة مع المسلمين فلا يكلمني أحد، فلما كَمُلَ لنا خمسون ليلة على الحال التي ذكر اللهتعالى منا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحُبَتْ سمعت صارخاً يقول بأعلى صوته: أبشِرْ يا كعب، فخررت ساجداً وعرفتُ أن قد جاء الفرجُ من الله عزّ وجلّ بالتوبة علينا، وأنزل اللهتعالى هذه الآية. **﴿وظنّوا أنْ لا ملجأً إلى الله إلّا إليه ثم تابَ عليهم ليتُوبُوا إنّ الله هو التّوابُ الرحيم﴾ ١١٩: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقُوا اللهَ وكونوا مع الصادقين﴾** اصدقُوا والزمُوا الصدق تكونوا من أهله وتنجُوا من المهالك، ويجعلْ لكم فرجاً ومخرجاً **١٢٠: ﴿ ما كانَ لأهلِ المدينةِ ومَن حولهم مِن الأعراب أن يتخلّفُوا عن رسولِ الله ولا يرغبُوا بأنفسهم عن نفسه﴾** يُعاتبُ اللهُ تعالى المتخلفين عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك؛ فإنّهم نقصُوا أنفسَهم من الأجر لأنّهم: **﴿لا يُصيبُهم ظمأٌ﴾** وهو العطش **﴿ولا نَصَبٌ﴾** وهو التعب **﴿ولا مخمصة﴾** وهي المجاعة **﴿ولا يطؤُون مَوطِئاً يغيظُ الكفارَ﴾** ينزلوا منزلاً يُرهِبُ عدوّهم **﴿ولا ينالُون من عدوهم نيلاً﴾** ظفراً وغلبةً **﴿إلّا كُتِبَ لهم﴾** بهذه الأعمال **﴿به عملٌ صالحٌ﴾** ثوابٌ جزيل، **﴿إنّ الله لا يُضيعُ أجرَ المحسنين﴾ ١٢١: ﴿ولا يُنفِقُون﴾** هؤلاء الغزاةُ في سبيل الله **﴿نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً﴾** قليلاً ولا صغيراً **﴿ولا يقطعون وادياً﴾** في السير إلى الأعداء **﴿إلّا كُتِبَ لهم ليجزيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما كانوا يعملون﴾ ١٢٢: ﴿وما كان المؤمنون لِينفِرُوا كافّةً فلولا نَفَرَ مِن كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهُوا في الدِّين﴾** هذا بيانٌ لمراده تعالى من نفير الأحياء كلها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتفقه الخارجون بما ينزل من الوحي، **﴿ولينذِرُوا قومَهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يَحْذَرُون﴾**. ويعني بذلك -أيضاً- أنّه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعاً ونبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعِدٌ، ولكن إذا قعدَ فَسَرتِ السرايا قعد معه معظم الناس.

الآية: ١٢١ روى الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن حباب السلمي قال خطب رسول الله ﷺ فحثّ على جيش العُسْرة فقال: عثمان بن عفان رضي الله عنه عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم حثّ، فقال عثمان: عليّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حثّ، فقال عثمان بن عفان: عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال فرأيتُ رسول الله ﷺ قال: بيده هكذا يحرّكها [وأخرج عبدالصمد راوي الحديث يده كالمتعجب] «ماعلى عثمانَ ماعملَ بعدَ هذا»!!.

/ابن كثير ج٢/٤٠٠/

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

١٢٣: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتِلوا الذين يلونَكم مِنَ الكفار﴾ أمرَ الله تعالى المؤمنين أن يُقاتلوا الكفار أوّلاً فاوّلاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلمّا فرغ منهم وفتحَ اللهُ عليه مكة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغيرها، ودخل سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً شرعَ في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم. **﴿وليجِدُوا فيكم غِلْظة﴾** منكم عليهم **﴿واعلمُوا أنّ الله مع المتقين﴾**، أي: إنّ الله معكم إذا اتقيتُموه

١٢٤: ﴿وإذا ما أُنزلتْ سورةٌ منهم﴾ المنافقين **﴿مَن يقولُ أيُّكم زادَتْهُ هذه إيماناً﴾** يقول بعضهم لبعض. **﴿فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾**، هذه الآية من أكبر الدلائل على أنّ الإيمان يزيدُ وينقص

١٢٥: ﴿وأمّا الذين في قلوبهم مرضٌ﴾ شكٌّ **﴿فزادتهم رِجْساً إلى رجسِهم﴾** شكاً وريباً إلى ريبهم **﴿ومَاتُوا وهم كافِرُون﴾**

١٢٦: ﴿أولا يرونَ أنّهم يُفتَنُون في كلِّ عامٍ مرّةً أو مرتين﴾ يُختبرون **﴿ثم لا يتُوبُون ولا هم يذّكّرُون﴾** لا يتوبون من ذنوبهم

١٢٧: ﴿وإذا ما أُنزِلتْ سورةٌ نظَرَ بعضُهم إلى بعض هل يراكم من أحد﴾ تلفتَ المنافقون بعضهم إلى بعض [نظرَ الرعب] هل يراكم من أحد؟ [إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد، وذلك جهلٌ منهم بنبوّته عليه الصلاة والسلام، وأنّ الله يُطلعه على ما يشاء من غيبه]، **﴿ثم انصرفُوا﴾** تولّوا عن الحق **﴿صرفَ اللهُ قلوبَهم بأنّهم قومٌ لا يفقهون﴾** لا يفهمون عن الله خطابَهُ ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه

١٢٨: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم﴾ يمتنّ الله تعالى على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولاً من جنسهم وعلى لغتهم، **﴿عزيزٌ عليه ما عنتم﴾** يعزُّ عليه الشيء الذي يُعنتُ أمّتَهُ ويشق عليها **﴿حريصٌ عليكم﴾** على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم. **﴿بالمؤمنين رَؤُوفٌ رحيمٌ﴾**

١٢٩: ﴿فإن توَلَّوْا﴾ عمّا جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة، **﴿فقلْ حسبيَ الله لا إلهَ إلاّ هو﴾** الله كافيّ لا إله إلاّ هو **﴿عليه توكلتُ﴾** [أي: اعتمدتُ وإليه فوضتُ جميع أموري]، **﴿وهو ربُّ العرش العظيم﴾** هو مالِكُ كل شيءٍ وخالقه لأنّه رب العرش العظيم الذي هو سقف جميع الخلاق، وهم مقهورين بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقَدَرُهُ نافذٌ في كل شيء، وهو على كل شيءٍ وكيل.

الآية: ١٢٨ قال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقال ﷺ «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح». /ابن كثير ج٢/٤٠٣/

الآية: ١٢٩ روى أبو داود عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: «مَنْ قال إذا أصبحَ وإذا أمسَى «حسبي اللهُ لا إله إلاّ هو عليه توكلتُ وهو ربُّ العرش العظيم سبع مرات إلاّ كفاهُ الله ماأهمه» رواه ابن عساكر. /ابن كثير ج٢/٤٠٥/

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

تفسير سورة يُونس

١ : **﴿الـر تلك آياتُ الكتابِ الحكيم﴾** هذه يـاتُ القرآن المحكـم المبـين **٢** : **﴿أكان للناسِ عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم﴾** ينكر الله تعالى على مَن تعجّبَ من الكفار من إرسال المرسلين من البشـر، **﴿أنْ أنذرِ النـاسَ وبشّـرِ الذين آمنوا﴾** ممن سبقت لهم السعادة في الذكر الأول **﴿أنّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عندَ ربِّهم﴾** أجراً حَسَناً بما قدّمُوا. **﴿قـال الكـافرون إنّ هذا لسـاحرٌ مبين﴾** ظاهرٌ، وهم في ذلك كاذبون **٣**: **﴿إنّ ربَّكُمُ اللهُ الذي خلق السمواتِ والأرضَ في ستّةِ أيّامٍ﴾** كل يوم كألف سنة مِمّا تعدُّون **﴿ثم استوى على العرش يُدَبِّرُ الأمر﴾** أمر الخـلائق **﴿مـا مِن شـفيـعٍ إلّا من بعدِ إذنـهِ﴾**كقوله تعـالى: ﴿مَن ذا الذي يشفع عنـدَهُ إلّا بـإذنـه﴾، **﴿ذلكـم اللهُ ربُّكـم فاعبدُوه﴾** أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له **﴿أفـلا تذّكّرون﴾** أيّهـا المشـركون في أمركم تعبـدون مع اللهِإلهاً غيرَهُ وأنتم تعـلمون أنّه المتفرّد بالخلق؟ **٤**: **﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾** يوم القيامة **﴿وَعْدَ اللهِ حقاً﴾** [أي: صدقاً لا خُلْفَ فيه]، **﴿إنّه يبدأ الخلق ثم يُعيدُهُ﴾**، ﴿وهو أهون عليه﴾، **﴿ليجزيَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾** بالعدل والجزاء الأوفى **﴿والذين كفروا لهم شرابٌ مِن حميمٍ وعـذابٌ أليمٌ بمـا كانـوا يكفـرون﴾** بسبب كفرهم يُعذَّبُون يوم القيامة بأنواع العذاب من سُمُـومٍ وحميمٍ وظـلٍّ من يحموم **٥**: **﴿هو الذي جعلَ الشمسَ ضِيـاءً والقمرَ نوراً﴾**

يخبر تعالى عمّا خلق من الآيات الدالات على كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنّه جعل الشعاع الصادر عن الشمس ضياءً، وجعل شعاع القمر نوراً، وفاوت بينهما لئلّا يشتبِهَا، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل، **﴿وقدّره منازِلَ﴾** وقدّر القمرَ منازل؛ فأوّل ما يبدُو صغيراً حتى يستوسق ويكمـل إبدارُه، ثم يشـرع في النقص حتى يرجع إلى حالتـه الأولى في تمام الشهر كقوله تعـالى: ﴿والقمرَ قدرّناهُ منازِلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القـديم﴾. **﴿لتعـلمـوا عددَ السنـينَ والحِسَـابَ﴾** فبـالشـمس تعـرف الأيّـام وبسـير القمـر تعـرف الشـهور والأعوام. **﴿مـا خلقَ اللهُ ذلك إلّا بالحق﴾** لم يخلقهُ عبثاً بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة، **﴿يُفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾** نُبيّن الحُججَ والأدلة [ليُستَدلَّ بها على قدرته تعالى] **٦** : **﴿إنّ في اختلاف الليلِ والنّهارِ وما خلقَ في السمواتِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يتّقون﴾** إن في تعاقب الليل والنّهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات دالّة على عظمته تعالى، لقومٍ يتقون عقابَ الله وسخطه وعذابه.

الآية: ٣ قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام قيل كهذه الأيام وقيل كل يوم كألف سنة مما تعدّون ثم استوى على العرش أعظم المخلوقات وسقفها. وقوله ﴿يُدبّر الأمر﴾ أي يدبر أمر الخلائق ﴿لايغرب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض﴾ ولايشغله شأنٌ عن شأنٍ ولاتغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولايلهيه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار والعمران والقِفَار ﴿وما من دابّة في الأرضِ إلاّ على الله رزقها﴾.

قال رسول الله ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة طولها ستون ميلاً في السماء للمؤمن مَنْ فيها أهلون يطوف عليهم لايرى بعضُهم بعضاً» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان فإن حقّاً على الله أن يُدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو حُبس في أرضه التي وُلِدَ فيها»! قالوا: يارسول الله أفلا نخبر الناس؟ قال: «إنّ في الجنة مائة درجة أعدّها الله للجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنّه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تتفجّر أنهارُ الجنّة، وفوقه عرش الرحمن». /ابن كثير ج٢/٣٦٩/ و٤٠٦/

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

٧: **﴿إنّ الذين لا يرجُون لقاءنا ورَضُوا بالحياةِ الدنيا﴾** يُخبر تعالى عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة، ورَضُوا بهذه الحياة، **﴿واطمأنُّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلُون﴾** ٨: **﴿أولئك مأواهُم النّارُ بما كانوا يكسِبُون﴾** مأواهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسِبُون من الآثام والخطايا مع ما هم فيه من الكفر ٩: **﴿إنّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ يهديهم ربُّهم بإيمانهم﴾** هذا إخبارٌ عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات بأنّهم سيهديهم الله يوم القيامة إلى الصراط حتى يجوزوه ويخلصُوا إلى الجنّة **﴿تجري مِن تحتِها الأنهارُ في جنّاتِ النعيم﴾** ١٠: **﴿دعواهُم فيها سُبحانك اللهمّ وتحيّتُهم فيها سلام﴾** ذلك دعواهم، إذا أهل الجنّة أن يدعوَ أحدُهم بالطعام قال أحدُهم: ﴿سبحانك اللهم﴾ فيأتيهم المَلَكُ بما يشتهونَهُ فيُسلم عليهم، فيردُّون عليهم السلام فذلك قوله تعالى: **﴿وتحيتُهم فيها سلام﴾**، **﴿وآخِرُ دَعْوَاهُم أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين﴾** في هذا دلالة على أنّه تعالى محمودٌ أبداً فهو المحمود في الأولى والآخرة. وجاء في الحديث: «إنّ أهل الجنّة يلهمون التسبيح والتحميد كما يُلهمون النَّفَسَ» ١١: **﴿ولو يُعجل الله للنّاس الشرَّ استعجالهم بالخير لقُضِيَ إليهم أجلُهم﴾** يُخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعبادِهِ أنّه لا يستجيب لهم إذا دَعَوْا على أنفسِهم أو أولادهم في حالِ ضجرهم وغضبهم، وأنّه يعلم منهم عدم القصد بالشر إلى إرادة ذلك، ولذلك لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفاً ورحمةً كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم وأولادهم بالخير. **﴿فنَذَرُ الذين لا يرجُون لقاءَنا في طُغيانهم﴾** [أي: لا يُعجل لهم الشر فربما يتوبُ منهم تائب أو يخرج من أصلابهم مؤمن]، **﴿يعمهون﴾** [أي: يتحيّرون] ١٢: **﴿وإذا مسّ الإنسانَ الضُرُّ دَعَانا لجنبهِ أو قاعداً أو قائماً﴾** يُخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسَّهُ الشرُّ، **﴿قاعداً أو قائماً﴾** [أي: في جميع حالاته]، **﴿فلمّا كشفنا عنه ضُرَّهُ﴾** كشف كربته **﴿مَرَّ كأن لم يدعنا إلىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ﴾** [أي: استمرَّ على كفره ولم يشكر ولم يتعظ]، **﴿كذلك زُيِّنَ للمسرفين ما كانوا يعملون﴾** ١٣: **﴿ولقد أهلكنا القرونَ مِن قبلكم لمّا ظلمُوا وجاءتهم رُسُلهم بالبيّنات﴾** أخبر تعالى عمّا حلَّ بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاؤوهم به من البيّنات **﴿وما كانوا لِيُؤمنوا، كذلك نجزي القومَ المجرمين﴾** ١٤: **﴿ثم جعلناكم خلائفَ في الأرض مِن بعدِهم لننظُرَ كيف تعملون﴾** ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم، وأرسل إليهم رسولاً لينظرَ طاعتهم له، واتباعهم رسولَهُ.

الآية: ٩ قال ابن جريج: يُمثّل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له: مَنْ أنتَ؟ فيقول: أنا عملك فيجعل له نوراً من بين يديه حتى يدخله الجنة، فذلك قوله تعالى ﴿يهديهم ربُّهم بإيمانهم﴾ والكافر يُمثّل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلزم صاحبه ويلادّه حتى يقذفه في النار.

ابن كثير ج٢/٤٠٨/

الآية: ١١ روى الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتدعوا على أنفسكم، لاتدعوا على أولادكم، لاتدعوا على أموالكم، لاتُوَافِقُوا من الله ساعةً فيها إجابة فيستجيب لكم». /ابن كثير ج٢/٤٠٨/

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

١٥: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتُنا بيّناتٍ قال الذين لا يرجُون لقاءَنَا ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّلْهُ﴾ يُخبر تعالى عن تعنّتِ كفار قريش أنّهم إذا قَرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتابَ الله قالوا رُدَّ هذا وجئنا بغيره من نمط آخر،أو بدّله إلى وضع آخر، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿قُلْ ما يكون لي أن أُبدِّلَهُ مِن تِلقاءِ نفسي﴾** إنّما أنا عبدٌ مأمور ورسول مبلّغ عن الله **﴿إنْ أتبعُ إلّا ما يُوحَى إليّ إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربِّي عذابَ يومٍ عظيم﴾ ١٦: ﴿قُلْ لو شاء اللهُ ما تلوتُهُ عليكم ولا أدراكم به﴾** هذا إنّما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته، والدليل على أنّي لستُ أتقوله من عندي ولا افتريتُهُ أنّكم عاجزون عن معارضته، وإنّكم تعلمون صدقي **﴿فقد لبثتُ فيكم عُمُراً من قبله أفلا تعقلون﴾** أفليسَ لكم عقول تعرفون بها الحقَّ من الباطل؟ **١٧: ﴿فمَنْ أظلمُ مِمّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياتِهِ إنّه لا يُفلِحُ المجرمون﴾**، لا أحدَ أظلمُ ولا أعتى جرماً مِمّن تقوّل على الله، وزعم أنّ الله أرسله ولم يكن كذلك، فليسَ أحدٌ أكبرَ جُرْماً من هذا **١٨: ﴿ويعبُدون مِن دُونِ اللهِ ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم ويقولُون هؤلاء شُفعَاؤنا عند الله﴾** يُنكر تعالى على الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أنّ تلك الآلهة تنفعهم شفاعتُها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تملكُ شيئاً لا تنفعُ ولا تضرُّ، ولا يقعُ شيءٌ مِمّا يزعمون فيها ولا يكون هذا أبداً، ولهذا قال تعالى: **﴿قُلْ أتنبّئون اللهَ بما لا يعلمُ في السمواتِ ولا في الأرض﴾**؟ أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ ثم نزّهَ نفسَهُ الكريمةَ عن شركهم فقال: **﴿سبحانه وتعالى عمّا يُشركون﴾ ١٩: ﴿وما كان الناسُ إلّا أمّةً واحدةً فاختلفُوا﴾** أخبر سبحانه أنّ هذا الشركَ حادِثٌ في الناس، كائنٌ بعد أن لم يكن، وأنّ الناس كانوا على دين واحد وهو الإسلام، **﴿ولولا كلمةٌ سبقتْ مِن ربِّك لَقُضِيَ بينهم فيما فيه يختلفون﴾** لولا ما تقدّم من الله تعالى أنّه لا يُعذِّبُ أحداً إلّا بعدَ قيام الحجة عليه وأنّه قد أجل الخلق إلى أجلٍ معدود لقضيَ بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنتَ الكافرين **٢٠: ﴿ويقولون﴾** المكذِّبون **﴿لولا أُنزلَ عليه آيةٌ مِن ربِّهِ﴾**؟ لولا أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيةٌ من ربِّه يعنون كما أعطى اللهُ ثمودَ الناقةَ أو أن يُحوّل لهم الصَّفا ذهباً أو يُزيح جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهاراً، **﴿فقُلْ إنّما الغيبُ لله﴾** فهو يعلم العواقب في الأمور، **﴿فانتظِرُوا إنّي معكم مِنَ المنتَظِرين﴾** [أي: انتظروا قضاءَ اللهِ بيننَا بإظهار المحق على المبطل].

الآية: ١٩ قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعُبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسلَ بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيي مَنْ حيَّ عن بيّنة﴾ وقوله ﴿ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّك﴾ الآية أي لولا ماتقدم من الله تعالى لايُعذِّبُ أحداً إلاّ بعد قيام الحجة عليه، وأنه قد أجّل الخلق إلى أجل معدود لقضي بينهم فيما اختلفوا فيه، فأسْعَدَ المؤمنين وأعْنَتَ الكافرين. /ابن كثير ج٢/٤١١/

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ
ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ
ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ
زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ
أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

٢١: ﴿وإذا أذقنا النّاسَ رحمةً مِن بعدِ ضرّاءَ مستهم﴾ يُخبر تعالى أنّه إذا أذاقَ الناسَ رخاءً بعد شدّة وخصباً بعد جَدْبٍ ومطراً بعد قحط **﴿إذا لهم مكرٌ في آياتنا﴾** استهزاءٌ وتكذيب، **﴿قُلِ اللهُ أسرعُ مكراً﴾** أشدّ استدراجاً وإمهالاً حتى يظنّ الظانّ من المجرمين أنّه ليس بمعذَّبٍ، وإنّما هو في مُهلة ثم يُؤخذ على غرّةٍ منه. **﴿إنّ رُسُلَنا يكتبون ما تمكرون﴾** والكاتِبُون الكرام يكتبُون عليه جميعَ ما يفعله ويُحصونه عليه **٢٢: ﴿وهو الذي يُسيّرُكم في البرِّ والبحرِ﴾** يحفظكم ويكلؤكم بحراسته **﴿حتى إذا كنتم في الفُلْك وجَرَينَ بهم بريحٍ طيّبةٍ وفرِحُوا بها﴾** بسرعة سيرهم رافقين، فبينما هم كذلك إذْ **﴿جاءتها﴾** تلك السفن **﴿ريحٌ عاصف﴾** شديدة **﴿وجاءهم الموجُ مِن كلِّ مكان﴾** اغتلم البحر عليهم **﴿وظنّوا أنّهم أُحيطَ بهم﴾** هلكوا **﴿دَعَوُا اللهَ مخلصين له الدِّين﴾** لا يدعون معه صنماً ولا وثناً، بل يُفردونه بالدعاء، **﴿لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين﴾** لا نشركُ بكَ أحداً ونفردك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء هنا **٢٣: ﴿فلمّا أنجاهم﴾** من تلك الورطة **﴿إذا هم يَبْغون في الأرض بغير الحقّ﴾** كأن لم يكن من ذلك شيء؛ **﴿كأن لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾**، **﴿يا أيّها النّاسُ إنّما بغيكم على أنفسِكم﴾** إنّما يذوق وبال هذا البغيَ أنتم أنفسُكم لا تضرُّون به أحداً غيركم **﴿ثم إلينا مرجعُكم﴾** مصيركم ومآلكم **﴿فننبئكم﴾** بجميع أعمالكم ونوفيكم إيّاها **٢٤: ﴿إنّما مثلُ الحياةِ الدنيا﴾** هذا مثلٌ ضربه اللهتعالى لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه اللهُ من الأرض بماء أُنزِلَ من السماء مِمّا يأكل الناس من زروعٍ وثمار، **﴿كماءٍ أنزلناه مِن السماء فاختلط به نباتُ الأرض مِمّا يأكلُ الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذتِ الأرضُ زُخرُفَها﴾** زينتها الفانية **﴿وازّيّنتْ﴾** بزهورٍ نضرةٍ مختلفة الأشكال والألوان **﴿وظنّ أهلُها أنّهم قادرون عليها﴾** على جذاذها وحصادها فبينما هم كذلك إذْ جاءتها صاعقةٌ أو ريحٌ شديد فاتلفها، ولهذا قال تعالى: **﴿أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً﴾** يابساً بعد الخضرة والنضارة **﴿كأنْ لم تغْنَ بالأمس﴾** كأنّها ما كانت حيناً قبل ذلك، **﴿كذلك نفصِّلُ الآيات﴾** نُبيّن الحجج والأدلة **﴿لقومٍ يتفكرون﴾** فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعاً مع اغترارهم وثقتهم بها **٢٥: ﴿واللهُ يدعوا إلى دار السلام﴾** هذا ترغيبٌ في الجنّة، وسمّاها دار السلام أي: لسلامتها من الآفات والنقائص والنكبات. **﴿ويهديَ مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾** إلى طريق الإسلام.

الآية: ٢١ عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «لو يعلمُ المؤمن ماعندَ اللهِ من العقوبة، ماطمِعَ بجنّتِهِ أحد، ولو يعلمُ الكافرُ ماعندَ اللهِ من الرحمة، ماقنِطَ من جنّتِهِ أحد» رواه مسلم/رياض الصالحين ٢١٦/.

الآية: ٢٢ ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ صلّى بهم الصبحَ على أثرِ سماءٍ كانت من الليل، أي مطر، ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربُّكم الليلة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمّا مَنْ قال: مُطِرْنا بفضل اللهِ ورحمته فذاك مؤمنٌ بي كافر بالكواكب، وأما مَنْ قال: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا فذاك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب».
/ابن كثير ج٢/٤١٢/.

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٢٢

٢٦: ﴿للذين أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادةٌ﴾ يُخبر تعالى أنّ لمن أحسنَ العملَ في الدنيا بالإيمان والعملِ الصالحِ الحُسْنَى في الدار الآخرة، والزيادة: هي تضعيف الثواب إلى سبعمائة ضعف، **﴿ولا يَرْهَقُ وُجُوهَهُم قترٌ ولا ذِلّةٌ﴾** قتامٌ وسوادٌ في عرصات المحشر كما يعتري وجوه الكفرة من القَتَرةِ والغَبَرة، **﴿ولا ذِلّةٌ﴾** هوان وصغار، **﴿أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾ ٢٧: ﴿والذين كسَبُوا السيّئاتِ جزاءُ سيّئةٍ بمثلها﴾** يُجازيهم بمثلها لا يزيدهم على ذلك **﴿وترهقُهم﴾** تعتريهم وتعلوهم **﴿ذِلّةٌ ما لهم من اللهِ مِن عَاصِمٍ﴾** مانع ولا واقٍ يقيهم العذاب، **﴿كأنّما أُغشيتْ وجُوههم قِطَعاً مِن الليلِ مُظلماً﴾** إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة، **﴿أولئك أصحابُ النّار هم فيها خالدون﴾ ٢٨: ﴿ويومَ نحشرهم جميعاً﴾** أهل الأرض كلهم **﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾** الزموا مكاناً معيناً **﴿أنتم وشركاؤكم﴾** أنتم وهم **﴿فزَيّلْنا بينهم﴾** [أي: فرقنا وقطعنا ما كان بينهم] أي: أنهم أنكروا وتبرّؤوا منهم **﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون﴾ ٢٩: ﴿فكفَى باللهِ شهيداً بيننا وبينكم﴾** أنّا ما دعوناكم إلى عبادتنا ولا أمرناكم بها، وهذا تبكيتٌ عظيم للمشركين الذين عبدُوا مع الله غيرَه **﴿إنْ كنّا عن عبادتكم لَغافِلين﴾ ٣٠: ﴿هنالك تَبْلُو كلُّ نفسٍ ما أسلفت﴾** في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كلُّ نفسٍ ما سَلَفَ من عملها من خير وشر. **﴿ورُدُّوا إلى الله مَوْلاهُمُ الحقّ﴾** ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، فَفَصَلَها وأدخل أهلَ الجنّةِ الجنّةَ، وأهلَ النّارِ النّارَ، **﴿وضلَّ عنهم﴾** وذهب عن المشركين **﴿ما كانوا يفترون﴾** ما كانوا يعبدونه من دون الله افتراءً عليه **٣١: ﴿قلْ مَن يرزقكم مِنَ السماءِ والأرضِ﴾**؟ يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيّته [ثم يشركون بربوبيته]، **﴿أمْ مَنْ يملِكُ السمعَ والأبصارَ ومَن يُخرجُ الحيَّ مِن الميّتِ ويُخرج الميّتَ مِن الحيّ﴾** بقدرته العظيمة ومنّته العميمة، **﴿ومن يُدبّرُ الأمرَ﴾** مَن بيده ملكوت كل شيء؟! **﴿فسيقولون الله﴾** هم يعلمون ذلك ويعترفون به **﴿فقُلْ أفلا تتقون﴾** أفلا تخافون منه سبحانه أن تعبدوا معه غيرَه؟ **٣٢: ﴿فذلكُمُ اللهُ ربُّكم الحقُّ﴾** فهذا الذي اعترفتم به هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يُفرد بالعبادة، **﴿فماذا بعدَ الحقّ إلّا الضلالُ﴾**؟ فكل معبود سواه باطل لا إله إلّا هو واحدٌ لا شريك له **﴿فأنّى تُصرَفُون﴾**؟ كيفَ تُصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء؟! **٣٣: ﴿كذلك حقتْ كلمةُ ربِّكَ على الذين فَسَقُوا﴾** كما كفر هؤلاء المشركون واستمرُّوا على شركهم مع أنّهم معترفون أنّه الخالق؛ فلهذا حقت عليهم كلمةُ الله أنّهم أشقياء من ساكني النّار. **﴿أنّهمْ لا يُؤمنون﴾**.

الآية: ٢٦ روى الإمام أحمد عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يُريد أن ينجزكمُوه، فيقولون: وماهو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم يُبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُجرنا من النّار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ماأعطاهم الله شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه ولاأقرَّ لأعينهم»! ورواه مسلم. /ابن كثير ج٢/٤١٤/

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٤: ﴿قُلْ هلْ مِن شركائكم مَنْ يَبْدَأُ الخلقَ ثم يُعيده﴾؟ وهذاإبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره. أي: من بدأ خلق هذه السموات والأرض، ويُبدلهما بفناء ما فيهما ثم يعيد الخلق خلقا جديداً؟ **﴿قلِ الله﴾** هو الذي يفعل هذا ويستقلّ به وحده لا شريك له **﴿فأنّى تؤفكون﴾**؟ فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل؟! **٣٥: ﴿قُلْ هل من شركائكم مَن يهدي إلى الحقّ﴾**؟ **﴿قُلِ الله يهدي للحقّ﴾** أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضالٍّ، وإنّما يهدي الحيارَى من الغيّ إلى الرشد اللهُ الذي لا إلٰه إلّا هو. **﴿أفَمَنْ يهدي إلى الحقّ أحقُّ أن يُتّبَعَ أمّن لا يهدِي إلّا أن يُهدَى﴾**؟ أفيتّبع العبد الذي يهدي إلى الحق ويبصر بعد العَمى أم الذي لا يهدي إلى شيء إلّا أن يُهدى لعماه وبكمه؟ **﴿فمالكم كيفَ تحكمون﴾**؟ ما بالكم كيف سويّتم بين الله وبين خلقه، وعبدتم غيره، فهلّا أفردتم الرّبَّ جلّ جلاله بالعبادة وحده؟ **٣٦: ﴿وما يتّبعُ أكثرُهم إلّا ظنّاً﴾** إنّهم لا يتبعون في دينهم دليلاً ولا برهاناً، وإنّما هو ظنٌّ وتوهم، وذلك لا يغني عنهم شيئاً **﴿إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً إنّ الله عليمٌ بما يفعلون﴾** هذا تهديد لهم ووعيد **٣٧: ﴿وما كان هذا القرآن أنْ يُفترى من دونِ الله﴾** مثل هذا القرآن لا يكون إلّا من عند الله، ولا يُشبه هذا كلام البشر؛ وهذا بيان لإعجاز القرآن وأنّه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله. **﴿ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه﴾** من الكتب المتقدمة **﴿وتفصيلَ الكتابِ﴾** مبيّناً لِما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل، ومبيّناً لأحكام الحلال والحرام **﴿لا ريب فيه﴾** لا مِرْيَةَ فيه أنّه **﴿من﴾** عند الله **﴿ربِّ العالمين﴾** **٣٨: ﴿أم يقولُون افتراه قُلْ فأتُوا بسورة مثله وادْعُوا مَنِ استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾** إنِ ادّعيتم وافتريتم أنّ هذا من عند محمدٍ، فمحمدٌ بشرٌ مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن، فأتوا أنتم بسورة مثله **﴿وادْعُوا مَن استطعتم مِن دُونِ الله﴾** واستعينوا على ذلك بكل مَن قدرتم عليه من إنسٍ وجان **﴿إن كنتم صادقين﴾** في دعواكم **٣٩: ﴿بل كذّبُوا بما لم يُحيطُوا بعلمه﴾** بل كذّبَ هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه **﴿ولمّا يأتِهم تأويلُهُ﴾** لم يحصلوا ما فيه من الهدى والحق إلى حين تكذيبهم جهلاً وسفهاً **﴿كذلك كذّبَ الذين من قبلهم فانظُرْ كيف كان عاقبةُ الظالمين﴾** فاحذروا أيها المكذّبون أن يُصيبكم ما أصابهم **٤٠: ﴿ومنهم مَن يُؤمن به﴾** بهذا القرآن **﴿ومنهم مَن لا يُؤمنُ بهِ وربُّكَ أعلمُ بالمفسدين﴾** **٤١: ﴿وإن كذّبوك﴾** فتبرأ منهم ومن عملهم **﴿فقلْ لي عملي ولكم عملُكم أنتم بريئون مِمّا أعملُ وأنا بريءٌ مِمّا تعملون﴾** **٤٢: ﴿ومنهم مَن يستمِعُون إليك﴾** [أي: ظاهراً، أمّا بواطنهم فلا تعي شيئاً]، **﴿أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ ولو كانوا لا يعقلون﴾**؟ [ظاهره الاستفهام ومعناه النفي، أي: لا تقدر على هداية من أصمّه الله عن سماع الهدى].

الآية: ٣٦ روى الإمام مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والظنَّ، فإنّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولاتحسَّسُوا، ولاتجسَّسُوا [التّحسّسُ: التنصّت لحديث البيوت، والتّجسّسُ: تتبّعُ عورات المسلمين وأخطائهم] ولاتنافَسُوا، ولاتحاسَدُوا، ولاتَباغَضُوا، ولاتَدَابَرُوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً كما أمرَكم [الله] المسلمُ أخو المسلم لايظلمه ولايخذُلُه [أي: لايترك نُصْرتَهُ] ولايَحْقِرُهُ، التقوى هاهُنا [وكررّها ثلاثاً] وأشار إلى صدره، بحَسْبِ امرىءٍ من الشرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المسلم، كلُّ المسلمِ على المسلم حرامٌ: دمُهُ وعِرْضُهُ ومالُهُ».
/الترغيب ج٣/٥٤٤/

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

الحزب ٢٢

٤٣: ﴿**ومنهم مَن ينظُرُ إليك**﴾ وإلى ما أعطاك من الدلائل الظاهرة على نبوّتك، فلا يحصل لهم من الهداية شيء كما يحصل لأولي البصائر الذين ينظرون إليك بعين الوقار، وهؤلاء ينظرون إليك، [نظرة الكفار]، ﴿**أفأنتَ تهدِي العُمْيَ ولو كانوا لا يُبصرون**﴾؟ [في هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي: كما لا تقدر أن تسمع من سُلب السمع ولا تقدر أن تخلق للأعمى بصراً يهتدي به؛ فكذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء للإيمان] **٤٤**: ﴿**إنّ الله لايظلمُ الناسَ شيئاً**﴾ وإن هدَى بهِ مَن هدَى وبصَّرَ به من العمَى، وأضلّ به عن الإيمان آخرين؛ فهو لعلمه وحكمته وعدله. وفي الحديث [القدسي]: «يا عبادي إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إيّاها، فمَن وجدَ خيراً فليحمدِ اللهَ، ومَن وجدَ غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسَه» رواه مسلم **٤٥**: يقول تعالى مذكّراً للناس قيام الساعة: ﴿**ويومَ يحشرُهم كأنْ لم يَلبَثُوا إلّا ساعةً مِن النهارِ**﴾ هذا دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة، ﴿**يتعارفون بينهم**﴾ يعرف الأبناء الآباء والقرابات بعضهم لبعض، ولكن كلٌّ مشغول بنفسه، ﴿**قد خَسِرَ الذين كذّبُوا بلقاءِ اللهِ وما كانوا مهتدين**﴾ ولا خسارةَ أعظمُ مِن خسارة مَن فُرِّق بينه وبين أحبّته يوم الحسرة والندامة **٤٦**: ﴿**وإمّا نُرينّك بعضَ الذي نَعِدُهم**﴾ ننتقم منهم في حياتك لتقرَّ عينُك منهم ﴿**أو نتوفَّينَكَ فإلينا مرجعهم**﴾ مصيرهم ومنقلبهم واللهُ شهيدٌ على أفعالهم بعدك ﴿**ثم اللهُ شهيدٌ على ما يفعلون**﴾ **٤٧**: ﴿**ولكلِّ أمّةٍ رسولٌ فإذا جاءَ رسولُهُم**﴾ يوم القيامة ﴿**قُضِيَ بينهم بالقِسطِ**﴾ فكلُّ أُمّة تُعرض على الله بحضرة رسولها، وكتاب أعمالها شاهد عليها ﴿**وهم لا يُظلمون**﴾ **٤٨**: ﴿**ويقولون متى هذا الوعد**﴾؟ يستعجلُ الكفارُ العذاب، وهو واقع لا محالة **٤٩**: ﴿**قُلْ لا أملِكُ لنفسي ضَرّاً ولا نفعاً إلّا ما شاءَ اللهُ**﴾ لا أقول إلّا ما علمني، ولا أقدر على شيءٍ مِمّا استأثر به إلّا أن يُطلعني الله عليه، وأخبرتكم بمجيء الساعة ولم يُطلعني على وقتها ولكن ﴿**لكل أمّةٍ أجل**﴾ لكل قرنٍ مُدّة مِن العمر مقدّرة ﴿**إذا جاءَ أجلُهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون**﴾ **٥٠**: ﴿**قُلْ أرأيتم إن أتاكم عذابُهُ بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجلُ منه المجرمون**﴾؟! يُخبر تعالى عن المشركين استعجالهم العذاب، [وهذا استفهام معناه التهويل والتعظيم؛ أي: ما أعظم ما تستعجلون به!] **٥١**: ﴿**أثُمَّ إذا ما وقعَ آمنتُم بهِ آلْآنَ وقد كنتم به تستعجلون**﴾ إنهم إذا جاء العذاب قالوا: ﴿ربَّنا أبصرنا وسمعنا﴾ الآية، ﴿فلمّا رأوا بأسَنا قالوا آمنّا بالله وحده﴾ الآية **٥٢**: ﴿**ثم قيلَ للذين ظلموا ذُوقُوا عذابَ الخُلْدِ**﴾ يوم القيامة يُقال لهم هذا تبكيتاً وتقريعاً، ﴿**هلْ تُجزَوْنَ إلّا بما كنتم تكسِبُون**﴾؟ جزاءَ كفرِكم **٥٣**: ﴿**ويستنبِؤنَكَ أحقٌّ هو**﴾ ويستخبرونك أحقٌّ المعاد يوم القيامة؟ ﴿**قُلْ إيْ**﴾ [إيْ: كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد بمعنى نعم]، ﴿**وربِّي إنّه لحقٌّ وما أنتم بمعجزين**﴾ [إنّه كائن لا شك فيه]، وليس صيرورتكم تراباً بمعجزِ الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم.

الآية: ٤٧ جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحنُ الآخرون السّابقون يوم القيامة؛ المقضي لهم قبل الخلائق».
قال ابن كثير: فأمته ﷺ حازت قصب السبق بشرف رسولها صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين. /ابن كثير ج٢/٤١٩/

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

٥٤: ﴿ولو أنّ لكلِّ نفسٍ ظلمتْ ما في الأرض لافتدتْ به﴾ أخبر تعالى أنّه إذا قامت القيامة يَوَدُّ الكافر لو افتدَى من عذاب الله بملء الأرض ذهباً، **﴿وأسَرُّوا الندامةَ لمّا رأوا العذابَ وقضي بينهم بالقسط﴾** بالحقّ **﴿وهم لا يُظلَمون﴾** **٥٥: ﴿ألَا إنّ لله ما في السمواتِ والأرض﴾** يُخبر تعالى أنّه مالك السموات والأرض، وأنّ وعدَهُ حقٌّ **﴿ألَا إنّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون﴾** **٥٦: ﴿هو يُحيي ويُميتُ وإليه تُرجَعُون﴾** وأنّه يحيي الموتى وإليه مرجعهم، وأنّه القادر على ذلك العليم بما تفرّق من الأجسام في سائر أقطار الأرض **٥٧: ﴿ياأيها النّاسُ قد جاءتكم موعظةٌ من ربّكم وشفاءٌ لِما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين﴾** يمتنّ تعالى على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم، **﴿قد جاءتكم موعظة من ربّكم﴾** زاجر عن الفواحش، **﴿وشفاء لِما في الصدور﴾** من الشبه والشكوك، **﴿وهدىً ورحمة﴾** يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى. وإنّما ذلك للمؤمنين به والمصدّقين، كما قال تعالى: ﴿قلْ هو للذين آمنُوا هدىً وشفاء﴾ **٥٨: ﴿قُلْ بفضلِ اللهِ وبرحمته فبذلك فليفرَحُوا﴾** بهذا الذي جاءهم من الله الهدى ودين الحقّ فليفرحُوا، فإنّه أولى ما يفرحون به **﴿هو خيرٌ مِمّا يجمعون﴾** من حُطام الدنيا وما فيها **٥٩: ﴿قُلْ أرأيتم ما أنزلَ اللهُ لكم من رِزْقٍ فجعلتم منه حَرَاماً وحلالاً﴾** نزلت هذه الآية إنكاراً على المشركين فيما كانوا يُحِلُّون ويُحرِّمُون من البحائر والسوائب والوصايل، **﴿قلْ آللهُ أذِنَ لكم أم على الله تفترُون﴾**؟! **٦٠: ﴿وما ظنّ الذين يفترون على اللهِ الكذب يوم القيامة﴾**؟ ما ظنّهم أن يُصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة؟ **﴿إنّ اللهَ لَذُو فضلٍ على الناس﴾** في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا، **﴿ولكنّ أكثرَهم لا يشكرون﴾** بل يُحرِّمون ما أنعم الله به عليهم، ويُضيّقون على أنفسهم فيجعلون بعضاً حلالاً وبعضاً حراماً. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم **٦١: ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآنٍ ولا تعملون من عملٍ إلّا كنّا عليكم شهوداً إذْ تُفيضُون فيه﴾** يُخبر تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته جميع الخلائق في كل ساعة وأوان، **﴿وما يعزبُ عن ربّكَ مِن مثقالِ ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ إلّا في كتابٍ مبين﴾** وأنّه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرّة في صغرها في السموات ولا في الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر إلّا في كتاب مُبين؛ وإذا كان هذا علمه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟!

الآية: ٥٤ عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بالعبدِ يومَ القيامة، فيُقال له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وأولاداً، وسخرتُ لكَ الأنعامَ والحرثَ وتركتُكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ، فكنتَ تظنُّ أنّكَ مُلاقِي يومِكَ هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليومَ أنسَاكَ كما نسيتني» [أي أتركك في العذاب كما تركت طاعتي] صحيح الجامع الصغير ج٢/١٣٢٥/.

الآية: ٥٤ روى مسلم في صحيحه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول اللهُ تبارك وتعالى لأهونِ أهلِ النّارِ عذاباً: لو كانت لكَ الدنيا ومافيها أكنتَ مُفتدياً بها؟ فيقولُ: نعم. فيقولُ: قد أردتُ منكَ أهونَ من هذا، وأنت في صلب آدمَ: ألاّ تشركَ ولا أدخلكَ النّارَ، فأبيتَ إلاّ الشركَ» صحيح مسلم ج٤/٢١٦٠/ رقم ٢٨٠٥/

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢: ﴿ألا إن أولياءَ اللهِ لا خَوفٌ عليهم ولا هـم يحزنون﴾ يُخبر تعالى أنّ أولياءَه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسّرَهم ربّهم، فكلُّ مَن كان تقياً كان لله ولياً فـ**﴿لا خوف عليهم﴾** فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة **﴿ولا هم يحزنون﴾** على ما وراءهم في الدنيا **٦٣: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ٦٤: ﴿لهم البشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة﴾** قال عُبادة بن الصامت: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾** فقد عرفنا بُشرى الآخرة الجنّة، فما بشرى الدنيا؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرَى له؛ وهي جزءٌ من أربعة وأربعين جزءاً من النبوّة». **﴿لا تبديلَ لكلمات الله﴾** هذا الوعد لا يُبدّل ولا يُخلف ولا يُغيّر، بل هو مقرّرٌ مثبتٌ كائنٌ لا محالة، **﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ ٦٥:** يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿ولا يحزنكَ قولُهم﴾** قول هؤلاء المشركين واستعنْ بالله عليهم وتوكلْ عليه **﴿إنّ العِزّةَ لله جميعاً﴾** جميعها له ولرسوله وللمؤمنين **﴿هو السميعُ العليمُ﴾** السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم **٦٦: ﴿ألا إنّ للهِ مَن في السمواتِ ومَن في الأرض﴾** والمشركون يعبدون الأصنام وهي لا تملك نفعاً ولا ضرّاً، [والله هو المستحق للعبادة لأنّه هو الخالق وله كل شيء]. **﴿وما يتّبعُ الذين يدعُون من دُونِ اللهِ شركاءَ إنْ يتبعون إلّا الظنّ وإن هم إلّا يخرصُون﴾** [أي: أيُّ شيءٍ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ تقبيحاً لفعلهم، ثم أجاب أنهم] إنّما يتبعون في ذلك ظنونَهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم **٦٧: ﴿هو الذي جعل لكُمُ الليلَ لتسكنوا فيه﴾** ليستريحُوا من نَصَبِهم وكَلالِهم وحركاتهم، **﴿والنّهارَ مبصراً﴾** مضيئاً لمعاشهم وسعيهم وأسفارهم ومصالحهم، **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يسمعون﴾** يسمعون هذه الحجج فيعتبرون بها ويستدلون على عظمة خالقها سبحانه **٦٨:** يقول تعالى منكراً على من ادّعى له ولداً: **﴿قالوا اتّخذَ اللهُ ولداً سبحانه﴾** تنزّه عن ذلك **﴿هو الغنيُّ﴾** عن كل ما سواه وكل شيءٍ فقير إليه، **﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾** فكيف يكون له ولده مِمّا خلق وكل شيءٍ مملوك له عبد له. **﴿إنْ عندَكم مِن سلطان بهذا﴾**؟! ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان. **﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾** إنكارٌ ووعيدٌ أكيد وتهديدٌ شديدٌ، ثم توعّدَ تعالى المفترين عليه أنه له ولداً بقوله: **٦٩: ﴿قلْ إنّ الذين يفترونَ على اللهِ الكذبَ لا يُفلحُون﴾** في الدنيا ولا في الآخرة **٧٠: ﴿متاعٌ في الدنيا﴾** أستدرجهم وأملي لهم متاعاً قليلاً **﴿ثم إلينا مرجعُهم﴾** يوم القيامة **﴿ثم نُذيقهُمُ العذابَ الشديدَ بما كانوا يكفرون﴾** بسبب كفرهم وافترائهم على الله تعالى فيما ادّعوه من الإفك والزور.

الآية: ٦٤ روى ابن جرير عن أبي الدرداء في قوله ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ قال: سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال: لقد سألتَ عن شيء ماسمعتُ أحداً سأل عنه بعدُ رجلٌ سأل عنه رسولَ الله ﷺ فقال: «هي الرؤيا الصالحة يَرَاها الرجلُ المسلمُ أو تُرى له بُشْرَاهُ في الحياة الدنيا وبُشْرَاهُ في الآخرة الجنة».

/ابن كثير ج٢/٤٢٣/

الحزب ٢٢

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧١: ﴿واتْلُ عليهم﴾ أخبرهم واقصص عليهم أي: لكفار مكة **﴿نبأَ نوحٍ﴾** مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكهم اللهُ بالغرق، **﴿إذْ قال لقومه يا قوم إن كان كَبُرَ عليكم﴾** عظم عليكم **﴿مقامي﴾** فيكم **﴿وتذكيري﴾** إيّاكم **﴿بآيات الله﴾** بحججه وبراهينه **﴿فعلى اللهِ توكلت﴾** فإنّي لا أبالي ولا أكفُّ عنكم، سواءٌ عَظُمَ عليكم أو لا، **﴿فأجمِعُوا أمرَكم وشركاءَكم﴾** فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله **﴿ثم لا يكُنْ أمرُكم عليكم غُمّةً﴾** ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبساً، بل افصلوا حالكم معي **﴿ثم اقْضُوا إليّ ولا تُنظِرون﴾** ولا تتأخرون ساعة واحدة، فإني لا أخاف منكم **٧٢: ﴿فإنْ توليتم﴾** كذّبتم وأدبرتم عن الطاعة **﴿فما سألتكم مِن أجرٍ﴾** لم أطلب منكم على نصحي إيّاكم شيئاً **﴿إن أجري إلّا على الله وأُمِرتُ أن أكون من المسلمين﴾** وأنا ممتثل ما أُمِرْتُ به من الإسلام لله عزّ وجلّ **٧٣: ﴿فكذّبوه فنجيناه ومَن معه﴾** على دينه **﴿في الفُلْك﴾** وهي السفينة **﴿وجعلناهم خلائف﴾** في الأرض **﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظُرْ كيف كان عاقبة المنذَرين﴾** يا محمد كيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا المكذبين **٧٤: ﴿ثم بعثنا من بعده﴾** من بعد نوح **﴿رُسُلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبيّنات﴾** بالحجج والأدلّة على صدق ما جاؤوهم به **﴿فما كانوا لِيُؤمنوا بما كذّبُوا به مِن قبلُ﴾** فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم، **﴿كذلك نطبعُ على قلوب المعتدين﴾** كما طبع اللهُ على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم، هكذا يطبع الله على قلوب من أشبَههم من بعدهم **٧٥: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملإئه﴾** قومه، **﴿بآياتنا﴾** بحججنا وبراهيننا **﴿فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾** استكبروا عن الحق والانقياد له وكانوا مجرمين **٧٦: ﴿فلمّا جاءَهُمُ الحقُّ من عندِنا قالوا إنّ هذا لَسِحرٌ مبين﴾** كأنّهم -قبحهم الله- أقسمُوا على ذلك وهم يعلمون أنّ ما قالوه كذب وبُهتان **٧٧: ﴿قال موسى﴾** منكراً عليهم **﴿أتقولون للحق لمّا جاءكم أسِحرٌ هذا﴾**، [أي: أتقولون للحق سِحْرٌ؟]، **﴿ولا يُفلِحُ الساحِرُون﴾**، [أي: لا يُفلح مَن أتى به] **٧٨: ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾** تثنينا **﴿عمّا وجدْنا عليه آباءَنا﴾** الدِّين الذين كانوا عليه، **﴿وتكونَ لكُمَا﴾** لك ولهارون **﴿الكبرياء﴾** العظمة والرياسة **﴿في الأرض وما نحنُ لكُمَا بمؤمنين﴾**. وكثيراً ما يذكر الله تعالى قصّةَ موسى وهارون في كتابه العزيز، مع فرعون لأنّها من أعجب القَصَص.

الآية ٧٤ قال ابن كثير: المراد أن الله تعالى أهلك الأمم المكذّبة للرسل وأنجى مَنْ آمن بهم وذلك من بعد نوح عليه السلام فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الإسلام إلى أن أحداث الناس عبادة الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام، ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، قال ابن عباس. كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم من الإسلام، وقال تعالى ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ الآية، وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذّبوا سيِّدَ الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين، فإنه إذا كان قد أصاب من كذّبَ بتلك الرسل ماذكره الله تعالى من العذاب والنكال فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبرَ من أولئك؟. /ابن كثير ج٢/٤٢٦/

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٧٩: ﴿وقال فرعونُ ائتُوني بكلِّ ساحِرٍ عليم﴾ وذلك أنّ فرعون أراد أن يُبهرج على الناس ويُعارض ما جاء به موسى من الحق **٨٠: ﴿فلما جاء السحرةُ قال لهم موسى ألقُوا ما أنتم مُلقُون﴾** قال لهم ذلك لأنّهم اصطفوا وقد وُعِدُوا من فرعون بالتقريب والعطاء **٨١: ﴿فلمّا ألقَوا قال موسى ما جئتُمْ بهِ السحرُ﴾** [توبيخٌ لهم على ما جاؤوا به من السحر]، **﴿إنّ الله سيُبطله إنّ الله لا يُصلح عملَ المفسدين﴾** [يعني: السحر] **٨٢: ﴿ويُحِقُّ اللهُ الحقَّ بكلماتِهِ ولو كَرِهَ المُجرمون﴾** هذه الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، تقرأ في إناء فيه ماء ثم يُصبُّ على رأس المسحور **٨٣: ﴿فما آمَنَ لموسى إلّا ذُرِّيَّةٌ من قومه على خوف من فرعون وملإِيْهم أنْ يفتنهم﴾** لم يُؤمن بموسى عليه السلام إلا الشباب على وَجَلٍ وخوف من فرعون ومَلَئِهِ أن يردُّوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر، **﴿وإنّ فرعونَ لَعَالٍ في الأرض وإنّه لَمِنَ المسرِفين﴾**، [أي: عاتٍ متكبر متجاوز في الكفر] **٨٤: ﴿وقال موسى يا قوم إنْ كنتم آمنتم بالله فعليه توكلُوا إنْ كنتم مسلمين﴾** فإنّ الله كافٍ مَن توكّلَ عليه، ﴿ومن يتوكّلْ على الله فهو حسبه﴾، وكثيراً ما يُقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى: ﴿فاعبُدْهُ وتوكلْ عليه﴾ **٨٥: ﴿فقالُوا على اللهِ توكلنا ربَّنا لا تجعلنا فِتنةً للقوم الظالمين﴾** لا تظفِرْهم بنا وتُسلّطْهم علينا، فيظنّون أنّهم إنّما سُلِّطُوا لأنّهم على الحقّ فيُفتَنُوا بذلك **٨٦: ﴿ونجِّنا برحمتِكَ مِن القومِ الكافرين﴾** الذين كفروا الحقَّ وستروه، ونحن قد آمنّا بك وتوكلنا عليك **٨٧: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾** هارون **﴿أن تَبَوَّءا لقومِكُمَا بِمِصْرَ بيُوتاً﴾** أن يتخذا لقومهما بمصر بيوتاً **﴿واجعلُوا بُيوتكم قِبلَةً﴾** أُمِروا أن يتخذوا بيوتهم مساجد، لأنّهم كانوا خائفين، فأمروا أن يُصلُّوا في بيوتهم، **﴿وأقيمُوا الصلاةَ﴾** أُمِروا بكثرة الصلاة **﴿وبشّرِ المؤمنين﴾** بالثواب والنصر القريب **٨٨: ﴿وقال موسى ربَّنا إنّكَ آتيتَ فرعون وملأهُ زينةً وأموالاً في الحياةِ الدنيا﴾** من أثاث الدنيا ومتاعها **﴿ربَّنا لِيُضِلُّوا عن سبيلك﴾** أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنّهم لايُؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجاً منك لهم، ليفتتنَ بما أعطيتهم مَن شئت من خلقك ليظنّ من أغويتَهُ أنّك إنّما أعطيتهم هذا لِحُبِّكَ إيّاهم، **﴿ربَّنا اطْمِسْ على أموالهم﴾** أهلكها واجعلها حجارةً، **﴿واشدُدْ على قلوبهم﴾** اطبعْ عليها **﴿فلا يُؤمنوا حتى يَرَوْا العَذَابَ الأليم﴾** وهذه الدعوات كانت من موسى عليه السلام غضباً لله تعالى.

الآية: ٨١ روى ابن أبي حاتم عن ليث وهو ابن أبي سُلَيم قال: بلغني أنّ هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى فيُقرأ في إناء فيه ماء ثم يُصَبُّ على رأس المسحور الآية التي من سورة يونس ﴿فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر إنّ الله سيبطله إن الله لايُصلحُ عملَ المفسدين ويحق الله الحقَّ بكلماته ولو كره المجرمون﴾ والآية الآخرى ﴿فوقع الحقُّ وبطلَ ماكانوا يعملون﴾ على آخر أربع آيات وقوله ﴿إنّ ماصنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيثُ أتى﴾. /ابن كثير ج٢/٤٢٧/

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

٨٩: ﴿قال﴾ الله تعالى **﴿قدْ أُجيبتْ دَعوَتُكُما﴾** دَعَا موسى وأمّنَ هارون، أي: قد أجبنَاكُمَا فيما سألتما من تدمير آل فرعون. **﴿فاستقِيمَا﴾** على أمري وامضيَا **﴿ولا تتّبِعَانِّ سبيلَ الذين لا يعلمون﴾ ٩٠: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيلَ البحرَ فأتبعهم فِرعونُ وجنودُهُ بغياً وعَدْواً﴾** لّما خرج موسى ببني إسرائيل أرسل فرعون في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده، فركب وراءهم في أُبّهةٍ عظيمة، ﴿فلمّا تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لَمُدْرَكُون﴾، ﴿قال كلاّ إنّ معيَ ربي سيهدين﴾، فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه فصار اثنى عشر طريقاً، وجاوز بنو إسرائيل البحرَ فلمّا خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده إلى حافته، فاقتحموا كلُّهم البحرَ، فارتطمَ عليهم فلم ينجُ منهم أحدٌ، **﴿حتى إذا أدركَهُ الغرقُ﴾** [أي: لفرعون] **﴿قال آمنتُ أنّه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾** فآمن حيث لا ينفعه الإيمان **٩١: ﴿آلآنَ وقدْ عَصيتَ قبلُ﴾** أهذا الوقت تقول وقد عصيتَ الله قبلَ هذا فيما بينكَ وبينه **﴿وكنتَ مِن المفسدين﴾** في الأرض الذين أضلّوا الناسَ **٩٢: ﴿فاليوم نُنجيكَ ببدنكَ لتكونَ لمن خلفَكَ آيةً﴾** نرفعك على مكان مرتفع ليتحققوا موته، وليكون لبني إسرائيل دليلاً على هلاكه، **﴿وإنّ كثيراً من الناسِ عن آياتنا لغافلون﴾** لا يتعظون بها ولا يعتبرون بها **٩٣: ﴿ولقد بوّأنا بني إسرائيلَ مُبَوّأ صدق﴾** [أي: منزلاً محموداً]، **﴿ورزقناهم من الطيّباتِ فما اختلفوا حتى جاءَهم العلم﴾**، ما اختلفوا في شيء إلّا من بعد ما جاءهم العلم، ولم يكن لهم أن يختلفوا وقد بيّن الله لهم وأزال عنهم اللبس، **﴿إنّ ربَّكَ يقضِي بينهم﴾** يفصل بينهم **﴿يومَ القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ٩٤: ﴿فإن كنتَ في شَكٍّ مِمّا أنزلنا إليك﴾** الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره، أي: لست في شك ولكنّ غيرك شكّ] ولّما نزلت قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أشكُّ ولا أسأل»، **﴿فاسألِ الذين يقرؤون الكتاب من قبلِكَ لقد جاءك الحقُّ من ربِّك فلا تكوننّ مِن الممتَرِين﴾** هذا فيه تثبيتٌ للأمة لأن صفة نبيّهم موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب **٩٥: ﴿ولا تكوننَّ مِن الذين كذّبوا بآيات الله فتكُونَ من الخاسرين﴾** [الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره] **٩٦: ﴿إنّ الذين حقّتْ عليهم كلمتُ ربِّك لا يؤمنون﴾**، [أي: الذين غضب الله عليهم بمعصيتهم لا يُؤمنون] **٩٧: ﴿ولو جاءتهم كلُّ آيةٍ حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ﴾**[فحينئذٍ لا ينفعهم إيمانُهم].

الآية: ٩١ روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لّما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ـ قال ـ قال: لي جبريل لو رأيتني وقد أخذتُ من حال البحر فدسستُه في فيه مخافة أن تناله الرحمة». رواه الترمذي. ابن كثير ج٢/٤٣٠/

الآية: ٩٣ قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإنّ النّصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين وفرقة، وستفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النّار» قيل: مَنْ هم يارسول الله؟ قال «ماأنا عليه وأصحابي»، رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ وهو في السنن والمسانيد.

/ابن كثير ج٢/٤٣٢/

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

٩٨: ﴿فلولا كانت قريةٌ آمنتْ فنفعَها إيمانُها﴾ فهلّا قرية آمنت بكمالها من الأمم من قبلك يا محمد إلّا كذبت رسولها **﴿إلّا قوم يُونُس﴾** وهم أهل نينوَى، وما كان إيمانهم إلّا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولُهم بعدما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بينهم فعندما جأروا إلى الله واستغاثوا به أن يرفع عنهم العذاب، فعندها رحمهم الله **﴿لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذابَ الخزْيِ في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حينٍ﴾ ٩٩: ﴿ولو شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَن في الأرض كلُّهم جميعاً﴾** ولكن له الحكمة فيما يفعله، **﴿أفأنتَ تُكرِهُ النـاسَ﴾** تلزمهم وتُلجئهم **﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾** ليس ذلك عليك ولا إليك بل اللهُ يُضلُّ من يشاء ويهدي مَن يشاء **﴿فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حسراتٍ﴾ ١٠٠: ﴿وما كان لنفسٍ أن تُؤمِنَ إلّا بإذنِ الله﴾** [**﴿ما﴾** نفي، أي: ما ينبغي أن تؤمن نفس إلّا بقضائه ومشيئته]، **﴿ويجعلُ الرِّجسَ﴾** وهو الخبال والضلال **﴿على الذين لا يعقلون﴾** حُججَ الله وأدلتَـهُ، وهو العادل في ذلك **١٠١: ﴿قُل انظروا ماذا في السمواتِ والأرضِ﴾** من الآيات الباهرة لذوي الألباب **﴿وما تُغني الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يُؤمنون﴾**؟ وأيُّ شيء تُغني الآيات السماوية والأرضية عن قوم لا يُؤمنون؟ [أي: عمّن سبق له في علم الله أنّه لا يُؤمن] **١٠٢: ﴿فهل ينتظرون إلّا مِثْلَ أيامِ الذين خَلَوْا من قبلِهم﴾** فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلّا مثل أيام الله في الذين كذبوا رسلهم من قبلهم؟ **﴿قُلْ فانتظِرُوا إنّي معكم مِن المنتظِرين﴾**، [وهذا تهديدٌ ووعيدٌ] **١٠٣: ﴿ثم ننجي رُسُلَنا والذين آمنوا﴾** ونُهلك المكذّبين بالرسل **﴿كذلك حقّاً علينا نُنجِي المؤمنين﴾** حقاً أوجبه الله على نفسه الكريمة **١٠٤: ﴿قلْ يا أيّها الناسُ إنْ كنتم في شكٍّ مِن دِيني﴾** في صحة ما جئتكم به من الدِّين الحنيف **﴿فلا أعْبُدُ الذين تعبدون مِن دُون اللهولكنْ أعبدُ اللهَ الذي يتوفّاكم﴾** فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله فأنا لا أعبدها فادْعُوها فلتضرّني؛ فإنّها لا تضرّ ولا تنفع، وإنّما الذي ينفع ويضرّ هو الذي يتوفاكم **﴿وأُمِرْتُ أن أكون من المؤمنين﴾ ١٠٥: ﴿وأنْ أقمْ وجهَكَ للدِّين حنيفاً﴾** أخلص العبادة لله وحدَه حنيفاً، أي: منحرفاً عن الشرك، ولهذا قال سبحانه: **﴿ولا تكُوننّ من المشركين﴾ ١٠٦: ﴿ولا تدْعُ مِن دُونَ الله ما لا ينفعُكَ ولا يضرُّك﴾**، [أي: إن عصيته]، **﴿فإنْ فعلتَ﴾** [أي: عبدت غير الله، والخطاب موجّه لأمته]، **﴿فإنّك إذاً مِن الظالمين﴾**.

الآية: ١٠١ قال ابن كثير: يُرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وماخلق الله في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، ممّا في السماوات من كواكب نيّرات، ثوابت وسيّارات؛ والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا؛ ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها وحُسْنها وزينتها، ومأأنزل الله منها من مطر فأحيَا به الأرضَ بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات ومأذَرَأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ومافيها من جبال وسهول وقِفارٍ وعمران وخراب ومافي البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مُذَلّلٌ للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلاّ هو ولاربَّ سواه.
/ابن كثير ج٢/٤٣٤/

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

١٠٧: ﴿وإن يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فلا كاشِفَ له إلّا هو وإن يُرِدْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لفضلِه﴾ هذا بيانٌ من الله تعالى أنّ الخيرَ والشرَّ إنّما هو راجعٌ إليه تعالى وحده لا يُشاركه فيه أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، **﴿يُصيبُ بهِ مَن يشاء من عباده، وهو الغفورُ الرحيم﴾** لمن تاب إليه ولو كان من الشرك فإنّه يتوب عليه

١٠٨: ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكُم الحقُّ مِن ربِّكم فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه﴾ يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُخبرَ الناسَ أنّ الذي جاءهم به هو من عند الله لا شك فيه، فمن اهتدى به فإنّما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، **﴿ومَن ضلَّ فإنّما يضلُّ عليها﴾** ومن ضلّ [عمّا جاء به صلى الله عليه وآله وسلم] فإنما يرجع وبال ذلك عليه، **﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾** بموكَّلٍ بكم حتى تكونوا مؤمنين، وإنّما أنا نذيرٌ مُبين

١٠٩: ﴿واتّبِعْ ما يُوحى إليكَ واصْبِرْ﴾ تمسّك بما أنزل الله عليك، واصبر على مخالفة مَن خالفكَ من الناس، **﴿حتى يحكمَ اللهُ﴾** يفتح بينك وبينهم، **﴿وهو خير الحاكمين﴾** خير الفاتحين بعدله وحكمته.

تفسير سورة هُود

١: ﴿الَر كتابٌ أُحكمتْ آياته ثم فُصِّلتْ مِن لَدُنْ حكيمٍ خبير﴾ هذه آياتٌ محكمة في لفظها مُفصّلةٌ في معناها، فهو كتابٌ كاملٌ صورةً ومعنىً، **﴿من لَدُنْ﴾** من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه الخبير بعواقب الأمور **٢: ﴿ألّا تعبُدوا إلّا اللهَ إنّني لكم منه نذيرٌ وبشيرٌ﴾** هذا القرآن المحكم المفصّل لعبادة الله وحده لا شريك له، وإنّي لكم نذير من عذاب الله إن خالفتموه، وبشيرٌ بالثواب إن أطعتموه **٣: ﴿وأنِ استغفروا ربّكم ثم تُوبُوا إليه﴾** وآمركم بالاستغفار من الذنوب والتوبة منها إلى الله عزّ وجلّ فيا تستقبلونه، وأن تستمرُّوا على ذلك؛ **﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾** في الدنيا **﴿إلى أجلٍ مُسمّىً ويُؤتِ كلَّ ذي فَضْلٍ فضلَهُ﴾** في الآخرة، [يُؤت كلَّ ذي عمل من الأعمال الصالحة جزاء عمله]، **﴿وإن تولّوا فإنّي أخاف عليكم عذابَ يومٍ كبير﴾** هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذّب رسله، فإنّ العذاب يوم القيامة يناله لا محالة **٤: ﴿إلى الله مرجعكم﴾** يوم القيامة **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** **٥: ﴿ألا إنّهم يثْنون صدورَهم ليستخفوا منه﴾** إنّهم إذا قالوا شيئاً أو عملوه يثنون صدورهم فيظنّون أنّهم يستخفون من الله بذلك، فأخبرهم تعالى أنّهم حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يفعلون، **﴿ألا حينَ يستغشون ثيابَهم﴾** [أخفى ما يكون العبد إذا استغشى ثوبَه وأضمرَ في نفسه]، **يعلم ما يُسِرُّون وما يُعلِنون﴾** من القول والعمل **﴿إنّه عليمٌ بذاتِ الصدور﴾**.

الآية: ١٠٧ قال ابن كثير: ﴿وإن يَمْسَسْكَ اللهُ بضرٍّ﴾ الآية فيه بيان أنّ الخيرَ والشرَّ والنفع والضر إنّما هو راجع إلى الله تعالى وحده لايشاركه في ذلك أحد فهو الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له. وروى الحافظ ابن عساكر عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال «اطلبُوا الخيرَ دهرَكم كله، وتعرّضوا لنفحاتِ ربِّكم، فإنّ لله نفحات من رحمتِهِ يُصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يسترَ عوراتكم ويُؤمّن روعاتِكم». /ابن كثير ج٢/٤٣٤/

سورة هود: روى الحافظ أبو يعلى عن عكرمة قال: قال أبو بكر سألتُ رسول الله ﷺ ماشيّبكَ؟ قال «شيّبتني هود والواقعة وعمَّ يتساءلون وإذا الشمس كُوّرت». =

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

٦: أخبر تعالى أنّه مُتكفل بأرزاق المخلوقات **﴿وما مِن دابّةٍ في الأرض﴾** من سائر دوابّ الأرض صغيرها وكبيرها برّها وبحرها، **﴿ويعلم مستقرّها﴾** حيث تأوي **﴿ومستودعها﴾** حيث تموت، ومستودعها في الأصلاب، ومستودعها في الأرحام، **﴿كلٌّ في كتابٍ مُبين﴾** مكتوب ذلك في كتاب عند الله عن جميع ذلك ٧: **﴿وهو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستّةِ أيّام وكان عرشه على الماء﴾** يخبر تعالى عن قدرته على كلّ شيء، وكيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ اللهَ قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»، فلمّا خلق الخلق قسم الماء قسمين فجعل نصفاً تحت العرش وهو البحر المسجور. **﴿ليبلوكم أيّكم أحسنُ عملاً﴾** خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، **﴿ولئِن قُلتَ إنّكم مبعُوثون مِن بعد الموت ليَقُولنَّ الذين كفروا إنْ هذا إلّا سحرٌ مُبين﴾** يقولون كفراً وعناداً ما نصدقك على وقوع البعث، وما يذكرُ ذلك إلّا مَن سحرتَهُ فهو يتبعك على ما تقول ٨: **﴿ولئن أخرنا عنهم العذابَ إلى أُمّةٍ معدودة﴾** لئن أخرنا عن هؤلاء المشركين العذابَ والمؤاخذة إلى أمد محصور وأوعدناهم إلى مدّة مضروبة **﴿ليقولُنَّ﴾** تكذيباً **﴿ما يحبِسُهُ﴾**؟ يُؤخر هذا العذاب عنّا، فإنّ سجاياهم قد أَلِفت التكذيب. والأمّةُ تُستعمل في القرآن والسنّة في معانٍ متعدّدة: في المِلّة والدِّين والجماعة. والمراد من الأمّة هنا الذين يُبعث فيهم الرسول. **﴿ألا يوم يأتيهم ليسَ مصروفاً عنهم وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءون﴾** ٩: **﴿ولئن أذقنا الإنسانَ منّا رحمةً ثم نزعناها منه إنّه ليَؤوسٌ كفورٌ﴾** إنّه إذا أصابته شدّة بعد نعمة حصل له يأسٌ وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفرٌ وجحُودٌ لماضي الحال كأنّه لم يَرَ خيراً ولم يرجُ بعد ذلك فرجاً، وهكذا إن أصابته نعمةٌ بعد نقمة، كما قال تعالى:١٠: **﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضرّاء مسّته ليَقُولَنَّ ذهبَ السيئاتُ عني إنّه لَفَرِحٌ فخورٌ﴾** فرحٌ بما في يده بَطِرٌ فخورٌ على غيره ١١: **﴿إلّا الذين صَبَرُوا وعمِلُوا الصالحات أولئك لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ﴾** إلا الذين صبروا على الشدائد والمكاره وعملوا الصالحات في الرخاء والعافية، أولئك لهم مغفرة بما يصيبهم من الضراء، وأجرٌ كبير بما أسلفوا في زمن الرخاء ١٢: **﴿فلعلّك تاركٌ بعضَ ما يُوحى إليكَ وضائقٌ به صدرُكَ أن يقولُوا لولا أُنزِلَ عليه كنزٌ أو جاء معه مَلَكٌ﴾** يقول تعالى مسلّياً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم عمّا كان يتعنّتُ به المشركين فيما كانوا يقولونه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ أرشده إلى أن لا يضيق بذلك صدرَه ولا يصدّنّه ذلك عن دعائه إلى الله عزّ وجلّ **﴿إنّما أنتَ نذيرٌ واللهُ على كل شيءٍ وكيلٌ﴾** [أي: حافظ وشهيد].

الآية: ٢ جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صعد الصفا فدَعَا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب، فاجتمعوا فقال: «يامعشر قريش! أرأيتُم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً تصبّحُكم ألستُم مصدّقِيّ؟» فقالوا: ماجرّبنا عليك كذباً قال: «فإنّي نذير لكم بين يَدَيّ عذاب شديد». /ابن كثير ج٢/٤٣٥/

الآية: ٧ روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ «إنّ الله قدَّرَ مقادير الخلائق قبلَ أن يخلق السماواتِ والأرضَ بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء». /ابن كثير ج٢/٤٣٧/

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

١٣: **﴿أم يقولون افتراهُ﴾** فقد بيّن تعالى إعجاز القرآن وأنّه لا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثله؛ **﴿قُلْ فأتُوا بعشرِ سُوَرٍ مثلِهِ مفترياتٍ وادْعُوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾** ولن يستطيع أحدٌ أن يأتي بسورة من مثله لأنّه كلام الربّ تعالى، ولا يشبه كلام المخلوقين كما أنّ صفاته لا تشبه صفات المحدثات **١٤**: **﴿فإنْ لم يستجيبُوا لكم﴾** فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتموهم إليه فاعْلَمُوا أنّهم عاجزون عن ذلك، وأنّ هذا الكلام منزل من عند اللهمتضمن علمه وأمره ونهيه، **﴿وأنْ لا إله إلّا هو فهل أنتم مسلمون﴾**؟ **١٥**: **﴿مَن كان يُريدُ الحياةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبخَسُون﴾** إنّ أهل الرياء يُعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنّهم لا يُظلمون نقيراً **١٦**: **﴿أولئك الذين ليسَ لهم في الآخرة إلّا النار﴾** نزلت في أهل الرياء، من كانت الدنيا همّه ونيّته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يُفضي إلى الآخرة، وليس له حسنة يُعطى بها جزاءً، فليس لهم في الآخرة إلّا النار **﴿وحَبِط ما صنعُوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يعملون﴾** **١٧**: **﴿أفَمَن كان على بيّنةٍ من ربِّه﴾** من الاعتراف لله بأنّه لا إلَهَ إلّا هو، **﴿ويتلوه شاهِدٌ منه﴾** من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي بلّغ رسالة اللهتعالى، **﴿ومن قبله كتاب موسى﴾** ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة **﴿إماماً ورحمةً﴾** أنزل الله إلى تلك الأمة كتاباً إماماً يقتدون به، فمن آمن به حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن، **﴿أولئك يؤمنون به﴾** ثم قال سبحانه متوعداً لمن كذّب بالقرآن أو بشيء منه: **﴿ومَن يكفُرْ به مِن الأحزاب فالنّار موعِدُهُ﴾** ومَن يكفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مِمّن بلغه القرآن؛ فالنّار موعِدُهُ. **﴿فلا تكُ في مِرْيَةٍ منه إنه الحقُّ من ربّك﴾** القرآن حقٌّ من الله لا مريةَ فيه ولا شك، **﴿ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يُؤمنون﴾** **١٨**: **﴿ومَن أظلمُ مِمّن افترى على الله كذباً﴾**؟! [أي: لا أحدَ أظلمُ منه]، يُبيّن تعالى حال المفترين عليه وفضيحتهم في الآخرة على رؤوس الخلائق **﴿أولئك يُعرَضُون على ربّهم ويقولُ الأشهادُ هؤلاءِ الذين كذَبُوا على ربّهم ألَا لعنةُ اللهِ على الظالمين﴾**، والأشهاد: الأنبياء والرسل والملائكة **١٩**: **﴿الذين يصدُّون عن سبيلِ الله﴾** يردون الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهداية الموصلة إلى الله عزّ وجلّ، ويجنّبونهم الجنّةَ، **﴿ويبغونها عِوَجاً﴾** ويُريدون أن يكون طريقهم عِوَجاً غير معتدلة، **﴿وهمْ بالآخرة هم كافِرُون﴾** جاحِدُون مكذِّبون بوقوعها وكونها.

الآية: **١٧** ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مولود يُولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانِهِ أو ينصِّرانِهِ أو يُمجِّسانه كما تُولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟».

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى إنّي خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجْتالَتْهم عن دينهم وحرّمتْ عليهم ماأحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزلْ به سلطاناً». وجاء أيضاً في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لايسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لايُؤمن بي إلاّ دخلَ النّارَ». /ابن كثير ج٢/٤٤٢/

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٣

٢٠: ﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض ما كان لهم من دُونِ اللهِ من أولياء﴾ بل كانوا تحت قهره وسلطانه، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة، والصحيح: «إنّ اللهَ لَيُملي للظالم حتى إذا أخذَهُ لم يُفلتْه»، ولهذا قال تعالى: **﴿يُضاعفُ لهُمُ العذابُ وما كانوا يستطيعون السمعَ وما كانوا يُبصِرُون﴾**، وذلك أنّ اللهتعالى جعلَ لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم، بل كانوا صُمّاً عن سماع الحق، عُمْياً عن اتباعه **٢١: ﴿أولئك الذين خسِرُوا أنفسَهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾** خسروا أنفسَهم لأنّهم أدخلوها النّار، فهم معذّبون فيها لا يفتر عنهم عذابُها، **﴿وضلَّ عنهم﴾** ذهبَ عنهم **﴿ما كانوا يفترون﴾** من دُون الله من الأنداد **٢٢: ﴿لا جَرَمَ أنّهم في الآخرةِ هُمُ الأخسرُون﴾** [أي: حقاً] إنّهم أخسر الناس صفقةً في الآخرة؛ لأنّهم استبدلُوا الدَّرَكاتِ عن الدرجات، واعتاضُوا عن نعيم الجنان بحميمٍ آن **٢٣: ﴿إنّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ وأخبتُوا إلى ربِّهم﴾** [أي: خشَعُوا] **﴿أولئك أصحابُ الجنّةِ هم فيها خالِدُون﴾** لا يموتون ولا يهرمُون **٢٤: ﴿مَثَلُ الفريقين كالأعمى والأصمِّ والبصيرِ والسميع﴾** الذين وصفهم أوّلاً بالشقاء والمؤمنين بالسعادة، فأولئك كالأعمَى والأصمِّ، وهؤلاء كالبصير والسميع، والكافرُ أعمَى عن وجه الحق في الدنيا والآخرة، وأمّا المؤمن فبصيرٌ بالحقّ يُميّز بينَه وبين الباطل، فيتبعُ المؤمنُ الخيرَ ويترك الشرَّ **٢٥: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ إنّي لكم نذيرٌ مُبينٌ﴾** يُخبر تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين أنّه قال لقومه: **﴿إنّي لكم نذيرٌ مبين﴾** ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن عبدتم غير الله، ولهذا قال: **٢٦: ﴿ألا تعبُدوا إلّا اللهَ إنّي أخافُ عليكم عذاب يوم أليم﴾** إن استمررتم على ما أنتم عليه عذبكم الله عذاباً أليماً **٢٧: ﴿فقال الملأُ الذين كفروا من قومه﴾** السادة والكبراء من الكافرين منهم **﴿وما نراكَ إلّا بشراً مثلنا﴾** لست بمَلَكٍ ولكنّك بشر فكيف أوحي إليك من دوننا؟ **﴿ما نَراكَ اتّبعكَ إلّا الذين هم أراذلُنا﴾** كالباعة والحاكة وأشباههم، ولم يتبعكَ الأشراف منّا؟ **﴿بادِيَ الرأي﴾** في أول باديء الرأي **﴿وما نرى لكم علينا مِن فضْلٍ بلْ نظنّكم كاذبين﴾** ما رأينا لكم علينا فضيلة في خُلق ولا خَلْق ولا رزق، وهذا الاعتراض دليل على جهلهم وقلّة عقلهم **٢٨: ﴿قال يا قومِ أرأيتُم إنْ كنتُ على بينةٍ من ربّي﴾**؟ على يقين وأمر جليّ ونبوّة صادقة؛ وهي الرحمة العظيمة من اللهبه وبهم، **﴿فَعُمِّيَتْ عليكم﴾** خفيت عليكم فلم تهدوا إليها، بل بادرتم إلى تكذيبها، **﴿أَنُلْزِمُكُوهَا﴾** نَغْصِبُكم بقبولها **﴿وأنتم لها كارِهُون﴾**؟!

الآية: ٢٧ قال ابن كثير: لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي ﷺ قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم؟ فقال هرقل: هُمْ أتباع الرسل.

وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم» أي ماتردد ولاتزوّى» لأنه رأى أمراً جلياً عظيماً واضحاً فبادر إليه وسارع!!. /ابن كثير ج٢/٤٤٣/

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

٢٩: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إنْ أجريَ إلّا على الله﴾ لا أسألكم على نصحي لكم أجرةً آخذها منكم، إنّما أبتغي الأجر من اللهعزّ وجلّ **﴿وما أنا بطاردِ الذين آمنوا﴾** كأنّهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشاماً أن يجلسُوا معهم، **﴿إنّهم ملاقُوا ربِّهم ولكنّي أراكم قوماً تجهلون﴾**، [في سؤالكم طردهم] **٣٠: ﴿ويا قوم مَن ينصُرُني مِن اللهإن طردتُهم﴾** [لأجل إيمانهم وكونهم فقراء]؟ **﴿أفلا تذكّرُون﴾**؟! **٣١: ﴿ولا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله﴾** يُخبرهم أنّه لا قدرة له على التصرّف في خزائن الله، **﴿ولا أعلم الغيبَ﴾** إلّا ما أطلعه اللهعليه، **﴿ولا أقول إنّي مَلَكٌ﴾** من الملائكة بل أنا بشر مرسل، **﴿ولا أقول للذين تزدَري أعينُكم لن يُؤتيَهُمُ اللهُ خيراً﴾** ولا أقول عن الذين تحتقرونهم وتزدرونهم إنّهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم **﴿اللهُ أعلمُ بما في أنفسهم﴾**؟ **﴿إنّي إذاً لَمِنَ الظالمين﴾**، [إذا قلتُ لهم الذي تقدم ذكره] **٣٢: ﴿قالوا يا نوحُ قد جادلتنا فأكثرتَ جِدالَنا﴾** حاججتنا فأكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك **﴿فأتِنا بما تعِدُنا﴾** من النقمة والعذاب، وادعُ علينا بما شئتَ فليأتِنا ما تدعو به **﴿إن كنتَ من الصادقين﴾**؟! **٣٣: ﴿قال إنّما يأتيكم بهِ اللهُ إنْ شاءَ وما أنتم بمعجزين﴾** إنّما الذي يعاقبكم ويُعجّلها لكُمُ اللهُ الذي لا يُعجزه شيءٌ **٣٤: ﴿ولا ينفعكم نُصحي إن أردتُ أن أنصح لكم إن كان اللهيريد أن يُغويَكم﴾** أيُّ شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إيّاكم ونُصحي إن كان اللهيريد دماركم؟ **﴿هو ربُّكم وإليه تُرجعون﴾** هو مالك أزمة الأمور المتصرّف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر وهو المبدىء المعيد مالك الدنيا والآخرة **٣٥: ﴿أم يقولون افتراه﴾**؟ هذا كلام معترض في وسط القصّة مُؤكّدٌ لها، **﴿قُلْ إنِ افتريتهُ فعليّ إجرامي﴾** إثم ذلك عليّ **﴿وأنا بريء مِمّا تُجرِمُون﴾** ليس ذلك مفتعلاً ولا مُفترىً، لأنّي أعلم ما عند اللهمن العقوبة لمن كذَبَ عليه **٣٦: ﴿وأُوحِيَ إلى نوحٍ أنّه لن يُؤمِنَ مِنْ قومِكَ إلّا مَن قد آمَنَ﴾** فلا تحزن عليهم **﴿فلا تبتئِسْ بما كانوا يفعلون﴾** **٣٧: ﴿واصنَعِ الفُلْكَ﴾** السفينة **﴿بأعيُنِنا﴾** بمرأىً مِنّا **﴿وَوَحْينا﴾** تعليمنا لك ما تصنعه **﴿ولا تُخاطِبْني في الذين ظلموا﴾**، [أي: لا تطلب إمهالَهم] **﴿إنّهم مُغرقُون﴾** [فإنّي مغرقهم].

الآية: ٣٠ روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لايُؤمِنُ عبدٌ حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ ووالدِهِ والنّاس أجمعين».
/الترغيب ج٣/٢٢٧/

الآية: ٣٤ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قاله له ثلاثاً. قال: قلنا لمن يارسول الله؟ قال: «للهِ ولرسولهِ، ولأئمة المسلمين وعامّتِهم». وروى البخاري ومسلم أيضاً عن جرير رضي الله عنه قال: بايعتُ النبيَّ ﷺ على السمعِ والطاعةِ، فلقّنني: «فيما استطعتُ، والنّصح لكلِّ مسلم».
/الترغيب ج٣/٢٢٧ ـ ٢٢٨/

الآية: ٣٧ جاء في الحديث: «والذي نفسي بيده لايُصيب المؤمن هَمٌّ ولاغَمٌّ ولانَصَبٌ ولاوَصَبٌ ولاحَزَنٌ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّرَ الله عنه بها من خطاياه». وفي الصحيحين: «والذي نفسي بيده لايقضي الله للمؤمن قضاءً إلاّ كان خيراً له: إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن».
/ابن كثير ج٢/٤٣٨/

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

الحزب ٢٣ — ثلاثة أرباع

٣٨: ﴿**ويصنعُ الفُلْكَ وكلّما مرَّ عليه مَلأٌ مِن قومه سخروا منه**﴾ يهزؤون به ويُكذِّبُون بما يتوعدهم به من الغرق، ﴿**قال إنْ تسخروا منّا فإنّا نَسْخَرُ منكم كما تسخرون**﴾ هذا وعيدٌ شديدٌ وتهديدٌ أكيد **٣٩**: ﴿**فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزيه**﴾ يهينه في الدنيا، ﴿**ويُحِلُّ عليه عذابٌ مقيم**﴾ دائم مستمرٌ أبداً **٤٠**: ﴿**حتى إذا جاءَ أمرُنا**﴾ من الأمطار المتتابعة ﴿**وفارَ التنّور**﴾ صارت الأرض عيوناً تفور ﴿**قُلنا احمِلْ فيها مِن كلٍّ زوجين اثنين**﴾ مِن صنوف المخلوقات ذوات الأرواح والنباتات ﴿**وأهلَكَ**﴾ وهم أهل قرابته ممّن آمن، ﴿**إلّا مَن سبقَ عليه القولُ**﴾ مِمّن لم يؤمن بالله ﴿**ومَن آمَنَ وما آمَنَ معه إلّا قليلٌ**﴾ نذر يسير مع طول المدّة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً **٤١**: ﴿**وقال اركَبُوا فيها بسم اللهِ مجريها ومُرسَاها**﴾ بسم الله يكون جريها على الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها، وهو رُسوّها. ﴿**إنّ ربّي لغفورٌ رحيمٌ**﴾ **٤٢**: ﴿**وهي تجري بهم في موج كالجبال**﴾ السفينةُ سائرةٌ بهم على وجه الماء الذي طبق جميع الأرض بإذنه تعالى وتحت كنفه وعنايته، كما قال تعالى: ﴿إنّا لمّا طغَى الماءُ حملناكم في الجارية. لنجعلها لكم تذكرةً وتعيَها أذنٌ واعية﴾، ﴿**ونادَى نوحٌ ابنَه**﴾ وهو الابن الرابع واسمه يام، ولم يؤمن، دعاه أبوه أن يُؤمن ويركب معهم ولا يغرق **٤٣**: ﴿**قال سآوي إلى جبلٍ يعصمُني مِن الماء**﴾ اعتقد بجهله أنّ الماء لا يبلغ إلى رؤوس الجبال، فقال له أبوه نوحٌ عليه السلام: ﴿**لا عَاصِمَ اليومَ مِن أمر الله إلّا مَن رَحِمَ وحَالَ بينهما الموجُ فكان مِن المغرقين**﴾ **٤٤**: ﴿**وقيلَ يا أرضُ ابلعِي ماءَكِ**﴾ أمرَ اللهُ الأرضَ أن تبلع ماءَها الذي نبع منها واجتمع عليها، ﴿**ويا سماءُ أقلعِي**﴾ وأمرَ السماء أن تُقلع عن المطر ﴿**وغيض الماءُ**﴾ شرع في النقص ﴿**وقُضِيَ الأمرُ**﴾ فُرِغ من أهل الأرض قاطبةً مِمّن كفر بالله، ولم يبقَ منهم ديّار. ﴿**واستوتْ على الجوديّ**﴾ هو جبل في الجزيرة. وقد أبقى اللهُ سفينة نوح على الجودي من أرض الجزيرة عِبرةً وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة. ﴿**وقيلَ بُعْداً للقومِ الظالمين**﴾ هلاكاً وخساراً لهم وبُعْداً من رحمته **٤٥**: ﴿**ونادَى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إنّ ابني مِن أهلي**﴾ هذا سؤال استعلام عن حال ولده؛ أي: قد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحقّ ﴿**وإنّ وعدَكَ الحقُّ**﴾ فكيف يغرق؟ ﴿**وأنتَ أحكمُ الحاكمين**﴾.

الآية: ٤١ روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا: بسم الله الملك ﴿وماقَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْره﴾ الآية ﴿بسم الله مُجْرِيْهَا ومُرْسَاهَا إنّ ربي لغفورٌ رحيم﴾».
/ابن كثير ج٢/٤٤٦/

قوله تعالى: ﴿إنّ ربّي لغفورٌ رحيم﴾ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لايرحمُ النّاسَ لايرحمُهُ اللهُ». وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أبي موسى رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لن تؤمنوا حتى تَرَاحَمُوا» قالوا: يارسول الله: كُلّنا رحيمٌ؟! قال: «إنّه ليسَ برحمة أحدِكم صاحِبَهُ، ولكنّها رحمةُ العامّةِ». وروى الطبراني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ لم يرحمِ النّاسَ لم يرحمْهُ اللهُ». وروى الطبراني بإسناد جيد قويّ عن جرير قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من لايرحمُ مَنْ في الأرضِ لايرحمُهُ من في السماء». وروى أبو داود والترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرّحمٰنُ؛ ارحمُوا مَنْ في الأرضِ يرحمْكُم مَنْ في السماء». /الترغيب ج٣/٢٠١ – ٢٠٢/

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ
مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

٤٦: ﴿قال يا نوحُ إنّه ليسَ مِن أهلك﴾ من الذين وعدتُ بإنجائهم، وكان هذا الولد ممّن سبق عليه القول بالغرق لكفره، **﴿إنّه عملٌ غيرُ صالح﴾**، [أي: من الكفر والتكذيب]. **﴿إنّي أعِظُكَ أن تكون مِن الجاهلين﴾**، [أي: أنهاك عن سؤال هذا لئلا تكون من الآثمين] **٤٧: ﴿قالَ ربِّ إنّي أعوذُ بِكَ أن أسألكَ ما ليسَ لي به علمٌ﴾**، [لمّا علم نوحٌ بأنّ سؤاله لم يُطابق الواقع، بادر إلى طلب المغفرة والرحمة]، **﴿وإلّا تغفِرْ لي وترحمني أكُنْ مِنَ الخاسرين﴾ ٤٨: ﴿قيلَ يا نوحُ اهبطْ بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليكَ وعلى أُمَمٍ ممّنْ معك﴾**، [أي: اهبط من السفينة إلى الأرض بسلام، فقد ابتلعت الأرض الماء وجفّت، وبركات أي نعم ثابتة]، **﴿وأُمَمٌ سنمتّعهُم ثم يَمَسُّهُم منّا عذابٌ أليم﴾**، [وأمم ممّن معك: دخل كل مؤمن إلى يوم القيامة، وأمم سنمتعهم: دخل كل كافر إلى يوم القيامة] **٤٩: ﴿تلك﴾** هذه القصّة، **﴿من أنبـاء الغيب﴾** من أخبار الغيوب السالفة **﴿نُوحيها إليك﴾** كأنّك شاهدها، نُوحيها إليك وحياً منّا إليك **﴿ما كنتَ تعلمُها أنتَ ولا قومُكَ مِن قبلِ هذا فاصبرْ﴾** على مَن يكذبك مِن قومك، وأذاهم فإنّا سننصرك ونجعل لك العاقبة، كما فعلنا بالمرسَلين حيث نصرناهم على أعدائهم **﴿إنّ العاقبةَ للمتّقين﴾ ٥٠: ﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً﴾** ولقد أرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً آمراً لهم بعبادة الله وحده لا شريك له **﴿قال يا قومِ اعبدُوا اللهَ ما لكم مِن إلهٍ غيرُهُ إنْ أنتم إلّا مُفْتَرُون﴾ ٥١: ﴿يا قومِ لا أسألكم عليه أجراً إنْ أجْرِيَ إلّا على الذي فطرني﴾** [أي: خلقني] **﴿أفلا تعقلون﴾**؟ مَن يدعوكم إلى ما يُصلحكم في الدنيا والآخرة، من غير أجرة؟! **٥٢: ﴿ويا قومِ استغفِرُوا ربَّكم ثم تُوبُوا إليه﴾** أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالتوبة عمّا يستقبِلُون. **﴿يُرسِلِ السماءَ عليكم مِدْرَاراً ويزدْكم قوّةً إلى قوّتكم﴾**[1]، وفي الحديث: «مَن لزِمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ لهُ مِن كلِّ هَمٍّ فَرَجاً ومِن كلِّ ضِيقٍ مخرجاً، ورزَقَهُ مِن حيثُ لا يحتسِبُ» **٥٣: ﴿قالوا يا هودُ ما جئتنا ببيّنةٍ﴾** بحجّة على ما تدعيه **﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾** بمجرّد قولك اتركوهم نتركهم **﴿وما نحنُ لك بمؤمنين﴾** بمصدّقين.

(١) أي: يزدكم شدّة إلى شدّتكم، وعزّاً إلى عزّكم، وخصباً إلى خصبكم.

الآية: ٤٩ قال ابن كثير: يقول تعالى لنبيه ﷺ هذه القصة وأشباهها ﴿من أنباء الغيب﴾ يعني من أخبار الغيوب السالفة ﴿نوحيها إليك﴾ على وجهها كأنك شاهدها نوحيها إليك أي نعلمك بها وحياً منا إليك ﴿ماكنت تعلمها أنتَ ولاقومُكَ من قبلِ هذا﴾ أي لم يكن عندك ولاعند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك إنّك تعلمها منه بل أخبرك الله بها مطابقة لِما كان عليه الأمر الصحيح كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك فاصبر على تكذيب من كذَّبَك من قومك وأذاهم لك، فإنّا سننصرك ونحوطك بعِنَايتِنَا ونجعل العاقبةَ لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم ﴿إنا لننصرُ رُسُلَنَا والذين آمنُوا﴾ الآية. /ابن كثير ج٢/٤٤٩/

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ
رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ
مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ
فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ
﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن
نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٣

٥٤: ﴿إنْ نقولُ إلّا اعتراكَ بعضُ آلهتِنا بسُوءٍ﴾ أصابكَ بعض آلهتنا بجنون وخبلٍ في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها **﴿قال إنّي أُشهِدُ اللهَ واشهدُوا أنّي بريءٌ مِمّا تشركون﴾ ٥٥: ﴿مِن دُونِهِ﴾** يقول: إنّي بريءٌ من جميع الأنداد والأصنام، **﴿فكيدُوني جميعاً﴾** أنتم وآلهتكم إن كانت حقاً، **﴿ثم لا تُنظِرُونِ﴾** طرفة عين **٥٦: ﴿إنّي توكلتُ على اللهِ ربِّي وربِّكم ما مِن دابّةٍ إلّا هو آخذٌ بناصيتها﴾** تحت قهره وسلطانه، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه، فإنه على صراطٍ مستقيم، **﴿إنّ ربِّي على صراطٍ مستقيم﴾ ٥٧: ﴿فإن تولّوْا فقد أبلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم﴾** يقول هودٌ لهم: فإن تولوا عمّا جئتكم به من عبادة اللهِ ربِّكم وحده لا شريك له فقد قامت عليه الحجّة بإبلاغي إيّاكم رسالة الله التي بعثني بها، **﴿ويستخلفُ ربّي قوماً غيرَكم ولا تضرُّونه شيئاً﴾** ولا يُبالي بكم فإنّكم لا تضرُّونه بكفركم، بل يعود وبالُ ذلك عليكم، **﴿إنّ ربّي على كلِّ شيءٍ حفيظ﴾** شاهد وحافظ لأقوالكم وأفعالكم ويجزيكم عليها **٥٨: ﴿ولمّا جاء أمرُنا﴾** وهو الريحُ العقيم، فأهلكهم اللهُ عن آخرهم، ونجى هوداً وأتباعه من عذاب غليظ، **﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ مِنّا ونجيناهم من عذابٍ غليظٍ﴾** برحمته تعالى ولطفه **٥٩: ﴿وتلكَ عادٌ جَحَدُوا بآياتِ ربِّهم﴾** كفروا بها وعصوا رُسلَ اللهِ، وذلك أنّ مَن كفرَ بنبيّ فقد كفر بجميع الأنبياء، **﴿وعَصَوْا رُسلَهُ واتبعُوا أمرَ كلِّ جبّارٍ عنيدٍ﴾ ٦٠: ﴿وأتبِعُوا في هذه الدنيا لعنةً﴾** من اللهِ ومن عباده كلّما ذُكِرُوا **﴿ويومَ القيامة﴾** على رؤوس الأشهاد، **﴿ألا إنّ عاداً كفروا ربَّهم﴾**، وما بُعِثَ نبيٌّ بعد عادٍ إلّا لُعِنُوا على لسانه **٦١: ﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً﴾** ثمودهم الذين كانوا يسكنون الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، **﴿يا قومِ اعبُدوا اللهَ ما لكم من إلهٍ غيرُهُ﴾** أمرهم نبيُّهم صالح بعبادة اللهِ وحده، **﴿هو أنشأكم من الأرضِ﴾** ابتدأ خلقكم منها **﴿واستعمركم فيها﴾** جعلكم عُمّاراً تعمرُونها وتستغلّونها، **﴿فاستغفِرُوهُ﴾** لسالِفِ ذُنُوبكم **﴿ثم تُوبُوا إليه﴾** فيما تستقبلُونه **﴿إنّ ربّي قريبٌ مُجيبٌ﴾ ٦٢: ﴿قالوا يا صالحُ قد كنتَ فينا مَرْجُوّاً﴾** في عقلِكَ **﴿قبل هذا أتنهانا أن نعبُدَ ما يعبُدُ آباؤنا﴾** وما كان عليه أسلافُنا؟ **﴿وإنّنا لفي شكٍّ مِمّا تدعُونا إليه مُريب﴾** شك كثير.

الآية: ٥٩ قال ابن كثير: ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم﴾ كفروا بها وعصوا رسل الله وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء لأنه لافرق بين أحدٍ منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهُودٍ فنزل كفرهم منزلة مَنْ كفرَ بجميع الرسل ﴿واتبعوا أمر كل جبّار عنيد﴾ تركوا اتباع رسوهم الرشيد واتبعوا أمر كل جبّار عنيد، فلهذا أُتبعُوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين، كلما ذكروا وينادي عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ﴿ألاَ إنّ عاداً كفروا ربَّهم﴾ الآية قال السدي: مابُعث نبي بعد عاد إلاّ لعنوا على لسانه.
/ابن كثير ج٢/٤٥/

الآية: ٦٧ روى ابن أبي حاتم عن عبدالله قال لما نزلت ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله قالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ليس كما تظنون إنّما قال: لابنه: يابُنَيّ لاتشركْ بالله إنّ الشرك لظلم عظيم». /ابن كثير ج٢/١٥٣/

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ
قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ
فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

٦٣: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بيّنةٍ من ربّي﴾ فيما أرسلني به إليكم على يقين وبرهان **﴿وآتانِيَ منه رحمةً فمن ينصرُني من اللهِ إن عصيتُه﴾** وتركتُ دعوتَكم إلى الحقّ وعبادة الله وحده، فلو تركتُه لَما نفعتموني ولَما زدتموني **﴿غير تخسير﴾** خسارة **٦٤: ﴿ويا قومِ هذه ناقةُ اللهِ لكم آيةً﴾** هذه حجّةٌ من اللهعلى صدق ما جئتكم به، وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيَهم بناقة من الصخرة [على ما تقدم بيانه في سورة الأعراف آية ٧٣]، **﴿فذَرُوها تأكل في أرض اللهولا تمسُّوها بسوء فيأخُذَكم عذابٌ قريب﴾ ٦٥: ﴿فعقرُوها﴾** إنّهم اتفقُوا على قتلها حتى النساء، **﴿فقال تمتَّعُوا في داركم ثلاثةَ أيامٍ ذلك وَعْدٌ غيرُ مكذوب﴾** غير كذب **٦٦: ﴿فلمّا جاءَ أمرُنا﴾** [أي: عذابنا]، **﴿نجّينا صالحاً والذين آمنُوا معه برحمةٍ منّا ومِن خِزيِ يومئذٍ إنّ ربّكَ هو القويُّ العزيزُ﴾** [أي: من فضيحته وذلّته] **٦٧: ﴿وأخذَ الذين ظلموا الصيحةُ﴾** كما قال تعالى: ﴿فأخذتْهُمُ الرجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ [أي: فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فصاروا خامدين من العذاب] **٦٨: ﴿كأن لم يغنَوْا فيها﴾** [أي: كأن لم يعمروها] ولم يعيشوا فيها]، **﴿ألَا إنّ ثمودَ كفروا ربّهم ألَا بُعداً لثمود﴾ ٦٩: ﴿ولقد جاءتْ رُسُلُنا إبراهيمَ بالبُشرى﴾** تبشره بإسحاق **﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾** عليكم، **﴿فما لبثَ أن جاء بعجلٍ حَنيذ﴾** ذهب سريعاً فأتاهم بالضيافة، وهو عجل فتى البقر، حنيذ مشوي على الحجارة المُحمّاة **٧٠: ﴿فلمّا رأى أيدِيَهم لا تصلُ إليه نكِرَهم﴾** تنكّرهم **﴿وأوْجسَ منهم خِيفةً﴾** وذلك أنّ الملائكة لا همّةَ لهم إلى الطعام ولا يشتهونه، فلمّا رأى حالهم معرضين عمّا جاءهم به، فعند ذلك نكرهم، **﴿قالُوا لا تخفْ إنّا أُرسِلْنا إلى قوم لوط﴾** لنهلكهم **٧١: ﴿وامْرَأتُهُ قائمةٌ فضحكتْ﴾** حاضتْ، [وكانت آيسة، تحقيقاً للبشارة]، **﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾** بولدٍ لها يكون له ولد وعقب ونسل، فإنّ يعقوب ولد إسحاق، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أم كنتم شهداءَ إذْ حضرَ يعقوبَ الموتُ إذْ قال لبنيه ما تعبُدون مِن بعدي؟ قالوا نعبُدُ إلٰهكَ وإلٰهَ آبائِكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ إلٰهاً واحداً ونحنُ له مسلمون﴾.

الآية: ٦٩ وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ماأصاب أحدٌ قطُّ همٌّ ولاحَزَنٌ فقال: اللهم إنّي عبدك وابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدلٌ فيّ قضاؤك أسألك بكلّ اسمٍ هو لك سمّيتَ به نفسَكَ أو أنزلتَهُ في كتابك أو علّمتَه أحداً من خلقك أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآنَ العظيم ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاء حُزْني وذهاب همّي، إلاّ أذهبَ اللهُ حُزْنَهُ وهمَّهُ وأبدل مكانه فرحاً»، فقيل: يارسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لكلِّ من سمعها أنْ يتعلمها». /ابن كثير ج٢/٢٦٩/

الآية: ٧١ قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ معلّقةٌ بالعرش، تقول: مَن وصلني وصلَهُ اللهُ، ومَن قطعني قطعَهُ اللهُ»، رواه البخاري وقال ﷺ: «من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليصلْ رحِمَهُ»، رواه مسلم. /رياض الصالحين/١٥٤ و١٥٩/

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٧٢: ﴿قالتْ يا ويلتي أألِدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً﴾؟! قولها في هذه الآية كما جرت به عادة النساء في أقوالهنّ وأفعالهنّ عند التعجب، **﴿إنّ هذا لشيء عجيب﴾ ٧٣: ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله﴾** لا تعجبي من أمر الله فإنّه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُنْ فيكون. **﴿رحمةُ الله وبركاتُهُ عليكم أهل البيت إنّه حميدٌ مجيدٌ﴾** هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود مُمجّدٌ في صفاته وذاته **٧٤: ﴿فلمّا ذهبَ عن إبراهيم الرَّوْعُ وجاءتْهُ البُشرى يُجادِلُنا في قوم لُوطٍ﴾** يُخبر تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنّه لمّا ذهب عنه الرَّوع وهو ما أوجسَ من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا، **﴿يُجادِلنا﴾** [أي: يجادل رُسُلَنا] **٧٥: ﴿إنّ إبراهيمَ لحليمٌ أوّاهٌ مُنيبٌ﴾** مدحٌ لإبراهيم بهذه الصفات الجميلة. والأوّاهُ: الرحيم، والمنيب المقبل إلى طاعة الله **٧٦: ﴿يا إبراهيمُ أعرضْ عن هذا إنّه قد جاء أمرُ ربّك﴾** إنّه قد نفذ فيهم القضاء وحقت عليهم الكلمة بالهلاك وحلول البأس الذي لا يُردّ عن القوم المجرمين **٧٧: ﴿ولمّا جاءتْ رسلُنا لُوطاً سِيء بهم﴾** [أي: ساءه مجيئُهم]، **﴿وضاقَ بهم ذَرْعاً﴾** ضاقت نفسُه بسببهم وخشي عليهم **﴿وقال هذا يومٌ عصيبٌ﴾** شديدٌ بلاؤه، وذلك أنه سيدافع عنهم، ويشق ذلك عليه **٧٨: ﴿وجاءَهُ قومُهُ يُهرعُون إليه﴾** يُسرعون من فرحهم بذلك، **﴿ومِن قبلُ كانوا يعملون السيئات﴾** لم يزل هذا من سجيّتهم حتى أخِذُوا وهم على ذلك الحال. **﴿قال يا قومِ هؤلاء بناتي هُنّ أطهرُ لكم﴾** يُرشدهم إلى نسائهم، فإنّ النبي للأمة بمنزلة الوالد، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، **﴿فاتقوا الله ولا تُخْزُونِ في ضيفي﴾** اقبلُوا ما آمركم به من الاقتصار على نسائكم **﴿أليسَ منكم رجلٌ رشيد﴾**؟ فيه خير يقبل ما آمره به ويترك ما أنهاه عنه؟! **٧٩: ﴿قالوا لقدْ علمتَ ما لنا في بناتِكَ من حقٍّ﴾** إنّك لتعلم أنّ نساءَنا لا أربَ لنا فيهن ولا نشتهيهنّ **﴿وإنّك لتعلمُ ما نريد﴾** ليس لنا غرض إلّا في الذكور **٨٠: ﴿قال لو أنّ لي بكم قُوّةً أو آوِي إلى رُكنٍ شديد﴾** لكنت نكّلتُ بكم وفعلت بكم الأفاعيل **٨١: ﴿قالُوا يا لُوطُ إنّا رُسُلُ ربِّكَ لن يصلوا إليكَ فأسْرِ بأهلك بقِطَعٍ مِن الليل﴾** أمروه أن يسري بأهله من آخر الليل **﴿ولا يلتفت منكم أحدٌ﴾** إذا سمعتَ ما نزل بهم، ولا يهولنكم تلك الأصوات، ولكن استمروا ذاهبين، **﴿إلّا امرأتَكَ إنّها مُصيبُها ما أصابهم﴾** إنّها خرجت معهم وإنّها لمّا سمعت الوجبةَ التفتت وقالت: وَا قَومَاه، فجاءَها حجرٌ من السماء فقتلها. **﴿إنّ موعِدَهُمُ الصُّبْحُ أليسَ الصبحُ بقريب﴾**؟!

الآية: ٧٣ ثبت في الصحيحين أنهم قالوا: قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يارسول الله؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

الآية: ٨١ ورد في الحديث عن طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «رحمة الله على لوط لقد كان يأوي على ركن شديد – يعني الله عز وجل – فما بعث الله بعده من نبيّ إلاّ في ثروة من قومه». /ابن كثير ج٢/٤٥٤/

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

الحزب ٢٤

٨٢: ﴿فلمّا جاء أمرُنا﴾ عند طلوع الشمس **﴿جعلنا عاليَها﴾** وهي سدوم **﴿سافلَها وأمطرنا عليها حِجارةً من سِجّيلٍ منضُود﴾** حجارة من طين قويّة شديدة، منضود: يتبع بعضُهُ بعضاً **٨٣: ﴿مُسوّمةً عندَ ربِّك﴾** معلّمة، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه. **﴿وما هي من الظالمين ببعيدٍ﴾** وما هذه النقمة ممّن تشبه بهم في ظلمهم ببعيدٍ عنه، وفي الحديث: «مَن وجدتموه يعملُ عملَ قومِ لُوطٍ فاقتلُوا الفاعلَ والمفعولَ به» **٨٤: ﴿وإلى مَدْيَنَ أخاهم شعيباً﴾** ولقد أرسلنا إلى مدينَ وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريباً من مَعَان **﴿قال يا قومِ اعبُدوا اللهَ ما لكم مِن إلهٍ غيرُهُ﴾** أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، **﴿ولا تَنقُصُوا المِكيالَ والميزانَ﴾** ونهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، **﴿إنّي أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذابَ يومٍ محيط﴾** في معيشتكم ورزقكم، وإني أخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاككم محارم الله **٨٥: ﴿ويا قومِ أوفُوا المِكيالَ والميزَانَ بالقسط﴾** آخذين ومُعطين **﴿ولا تبخَسُوا النّاس أشياءَهم﴾** [أي: لا تُنقِصُوهم مِمّا استحقوه شيئاً]، **﴿ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين﴾** نهاهم عن العثوّ في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق **٨٦: ﴿بقيّة الله خيرٌ لكم﴾** ما يفضل لكم مِن الربح بعد وفاء الكيل والميزان خيرٌ لكم من أخذ أموال الناس، **﴿إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾** برقيب ولا حفيظ؛ أي: افعلوا ذلك لله عزّ وجل، ولا تفعلوه ليراكم النّاس، بل لله عزّ وجلّ **٨٧: ﴿قالوا يا شعيبُ أصلواتُكَ تأمُرُكَ أنْ نترُكَ ما يعبُدُ آباؤنا﴾**؟! أقراءتُكَ تأمرك أن نترك الأصنام؟ **﴿أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء﴾** فنترك التطفيف عن قولك وهي أموالنا نفعل بها ما نريد، **﴿إنّكَ لأنتَ الحليمُ الرشيد﴾** يقول ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء قبّحهم الله ولعنهم عن رحمته، وقد فعل **٨٨: ﴿قال يا قومِ أرأيتم إن كنتُ على بيّنةٍ مِن ربّي﴾** على بصيرة فيما أدعو إليه **﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾** النبوّة والرزق الحلال **﴿وما أُريدُ أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾** لا أنهاكم عن الشيء وأخالف أنا فيه فأفعله خفية عنكم، **﴿إنْ أُريدُ إلّا الإصلاحَ ما استطعتُ وما توفيقي إلّا بالله﴾** فيما أريده من إصابة الحق في جميع أموري، **﴿عليه توكلتُ وإليه أنيب﴾** [أي: أرجع إليه في جميع ما ينزل بي من النوائب].

الآية: ٨٣ ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعاً «من وجدتموه يعمل عمل لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»، وذهب الإمام الشافعي في قول عنه وجماعة من العلماء إلى أنّ اللائط يُقتل سواء كان محصناً أو غير محصن عملاً بهذا الحديث، وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه يُلقى من شاهق ويُتبع بالحجارة كما فعلَ اللهُ بقوم لوط والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الآية: ٨٨ روى الإمام أحمد عن عبدالملك بن سعيد بن سويد الأنصاري قال: سمعت أبا حميد وأبا أُسيد يقولان عنه ﷺ إنه قال «إذا سمعتم الحديث عنّي تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عنّي تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه» وهذا الحديث إسناده صحيح. وهذا يخص علماء الحديث ومن كان عالماً بها محيطاً بالحديث.

وقد أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجدَ فليقلْ: اللهم افتحْ لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقلْ: اللهم إني أسألك من فضلك»./ ابن كثير ج٢/٤٥٧/

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

٨٩: ﴿ويا قوم لا يجرمنّكم شقاقي﴾ لا تحملنّكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد **﴿أن يُصيبكم مِثلُ ما أصابَ قومَ نوحٍ أو قوم هودٍ أو قوم صالحٍ﴾** من النقمة والعذاب، **﴿وما قومُ لُوطٍ منكم ببعيد﴾** في الزمان، فإنّما هلكوا بالأمس **٩٠: ﴿واستغفروا ربّكم ثم تُوبُوا إليه﴾** من ذنوبكم وأعمالكم السيّئة **﴿إنّ ربّي رحيمٌ وَدُود﴾** لمن تاب **٩١: ﴿قالوا يا شعيبُ ما نفقه﴾** ما نفهم **﴿كثيراً مِمّا تقولُ وإنّا لَنراكَ فينا ضعيفاً﴾** أنت واحد، **﴿ولولا رهطُكَ﴾** قومك **﴿لرجمناك﴾** بالحجارة **﴿وما أنتَ علينا بعزيز﴾** ليس عندنا لك معزّة **٩٢: ﴿قال يا قوم أرهطي أعزّ عليكم من الله﴾**؟ أتتركوني لأجل قومي ولاتتركوني إعظاماً لجناب الرّبّ عزّ وجلّ؟ **﴿واتخذتُموه﴾** وقد اتخذتم كتاب الله **﴿وراءكم ظِهْرِيّاً﴾** نبذتموه خلفكم لا تُطيعونه ولا تعظمونه **﴿إنّ ربّي بما تعملون محيط﴾** هو يعلمُ جميعَ أعمالكم وسيجزيكم **٩٣: ﴿ويا قومِ اعملوا على مكانتكم إنّي عامِلٌ﴾** اعملوا على طريقتكم، وهذا تهديد شديد **﴿إني عاملٌ﴾** على طريقتي **﴿سوف تعلمون مَن يأتيه عذابٌ يخزيه ومن هو كاذب﴾** منّي ومنكم، **﴿وارتقبوا﴾** انتظروا **﴿إنّي معكم رقيبٌ﴾** **٩٤: ﴿ولمّا جاء أمرُنا نجّينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا وأخذتِ الذين ظلمُوا الصيحةُ﴾** وهي التي استلبتهم وأخمدتهم، **﴿فأصبحوا في دِيارِهم جاثمين﴾** [وقد جمع الله عليهم ثلاثة أنواع من العذاب: الصيحة كما في هذه السورة، وفي الأعراف: أخذتهم الرجفة، وفي الشعراء: عذاب يوم الظُّلّة] **٩٥: ﴿كأنْ لم يَغْنَوْا فيها﴾** كأن لم يعيشوا في دارهم قبل ذلك **﴿ألا بُعْداً لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثمُودُ﴾** وكانوا جيرانهم قريباً منهم في الدار وشبيهاً بهم في الكفر، وكانوا عرباً مثلهم **٩٦: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتِنا وسُلطانٍ مُبين﴾** بالدلالات الباهرة إلى فرعونَ مَلِكِ القبط **٩٧: ﴿إلى فرعونَ وملائهِ فاتّبعُوا أمرَ فرعون﴾** منهجه ومسلكه وطريقته في الغيّ **﴿وما أمرُ فرعونَ برشيد﴾** ليسَ فيه رشدٌ ولا هدى، وإنّما هو جهلٌ وضلال وكفرٌ وعناد.

الآية: ٩٠ وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية من أن تصيبه». ابن كثير ج٢/٢٠٠/

الآية: ٩٢ موقف شعيب عليه السلام هذا موقف الذي يتجرّع غيظه ويكظمه، وهو موقف جميع الأنبياء والمرسلين، ولقد امتدح هؤلاء الذين سمّاهم الله تعالى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، سمّاهم المحسنين وأخبر بمحبته لهم وذلك لأن هذا من أعظم العبادة وجهاد النفس، ففي الحديث: «مامِنْ جُرْعةٍ يتجرّعها العبدُ خيرٌ له وأعظم أجراً من جرعة غيظ في الله». وروى ابن المبارك أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ: مَن كانت له يَدٌ عند الله، فليتقدم، فلايتقدم إلاّ مَن عَفَا عن ذنب». /القرطبي ج٤/٢٠٨/

الآية: ٩٧ روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لاأحدَ أصبرُ على أذىً يسمعُهُ من اللهِ عزّ وجلّ، إنّهُ يُشرَكُ بهِ، ويَجعَلُ له الولدُ، ثم هو يُعافيهم ويرزقهم». /رقم ٢٨٠٤/

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

الحزب ٢٤

٩٨: ﴿**يَقْدُمُ قومَهُ يومَ القيامة**﴾ وكان مقدَّمَهُمْ ورئيسَهم، كذلك هو يقدمهم يوم القيامة إلى نار جهنّم، ﴿**فأوْرَدَهم النّار**﴾ وشربُوا من حِياض رَدَاهَا، وله في ذلك الحظُّ الأوفر من العذاب الأكبر، ﴿**وبئسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ**﴾، [أي: بئسَ المدخل المدخول] ٩٩: ﴿**وأُتبِعُوا في هذه لَعْنةً ويومَ القيامة**﴾ أتبعناهم زيادة على عذاب النّار لعنةً في الدنيا ﴿**ويوم القيامة بِئسَ الرِّفدُ المَرْفُود**﴾، [أي: بئسَ العطاء والإعانة]، فزيدوا لعنةً، فتلك لعنتان ١٠٠: ﴿**ذلك مِن أنباء القُرَى نقصُّهُ عليكَ**﴾ من خبر الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم ﴿**منها قائم**﴾ عامرٌ ﴿**وحصيدٌ**﴾ هالك ١٠١: ﴿**وما ظلمناهم ولكن ظلمُوا أنفسَهم**﴾ أهلكناهم بتكذيبهم رُسُلَنا وكفرهم بهم، ﴿**فما أغنتْ عنهم آلهتهم**﴾ أوثانهم التي يعبدونها ﴿**من دون الله من شيء**﴾ ما نفعُوهم ولا أنقذوهم لّما جاءَ أمرُ الله بإهلاكهم ﴿**وما زادوهم غير تتبيب**﴾ تخسير، وذلك أن سبب هلاكهم إنّما كان باتباعهم تلك الآلهة، فلهذا خسروا في الدنيا والآخرة ١٠٢: ﴿**وكذلك أخذُ ربّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة**﴾ وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذّبة لرسلنا كذلك نفعل بأشباههم، ﴿**إنّ أخذَهُ أليمٌ شديدٌ**﴾، وفي الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ اللهَ ليملي للظالم حتى إذا أخَذَهُ لم يُفلته»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وكذلك أخْذُ ربِّكَ إذا أخذَ القرى وهي ظالمة**﴾ ١٠٣: ﴿**إنّ في ذلك لآيةً لِمَنْ خافَ عذابَ الآخرة**﴾ إنّ في إهلاكنا الكافرين وإنجائنا المؤمنين عظةً واعتباراً على صدق موعودنا في الآخرة، ﴿**ذلك يومٌ مجموعٌ له النّاس**﴾ أولهم وآخرهم ﴿**وذلك يومٌ مشهودٌ**﴾ عظيمٌ تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل، وتحشر الخلائق بأسرهم ١٠٤: ﴿**وما نُؤخِّرُهُ إلّا لأجلٍ معدودٍ**﴾ ما نُؤخِّر إقامة القيامة إلّا لكلمة الله في ضرب مدّة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدّر خروجهم قامت الساعة ١٠٥: ﴿**يومَ يأتِ لا تكلَّمُ نفسٌ إلّا بإذنه**﴾ سبحانه ﴿**فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ**﴾ كما قال تعالى: ﴿**فريقٌ في الجنّة وفريق في السعير**﴾ ١٠٦: ﴿**فأمّا الذين شَقُوا ففي النارِ لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ**﴾ لما هم فيه مِن العذاب عياذاً بالله من ذلك ﴿**خالدين فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ**﴾ تلك السماء وتلك الأرض. ﴿**إلّا ما شاءَ ربُّكَ**﴾ إن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد مِمّن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين. ﴿**إنّ ربَّكَ فعّالٌ لِما يُريدُ**﴾ ١٠٨: ﴿**وأمّا الذين سَعِدُوا**﴾ وهم أتباع الرسل ﴿**ففي الجنّة خالدين فيها**﴾ ماكثين فيها أبداً ﴿**ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلّا ما شاءَ ربُّكَ**﴾ إنّ دوامهم فيما هم فيه من النعيم موكول إلى مشيئة الله تعالى، وبعد ذكر المشيئة وعد وحتم بالدوام وعدم الانقطاع فقال تعالى: ﴿**عطاءً غيرَ مجذوذٍ**﴾ من غير انقطاع.

الآية: ١٠٨ جاء في الصحيحين: «يُؤتَى بالموت في صورة كبش أملح فيُذبح بين الجنة والنّار ثم يُقال: ياأهل الجنة خُلُودٌ فلا موتَ»، وفي الصحيح أيضاً «فيقال ياأهل الجنة إنّ لكم أن تعيشوا فلا تموتُوا أبداً، وإنّ لكم أن تَشبُّوا فلا تهرمُوا أبداً وإن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً». ابن كثير ج٢/٤٦١/

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

١٠٩: ﴿فلا تكُ في مِرْيَةٍ مِمّا يعبُدُ هؤلاء﴾ المشركون، إنّه باطل وجهل، **﴿ما يعبدون إلّا كما يعبدُ آباؤهم مِن قبلُ﴾** ليسَ لهم مستند فيما هم فيه إلّا اتباع الآباء في الجهالات، **﴿وإنّا لَمُوفُّوهم نصيبَهم غيرَ منقوص﴾** وسيجزيهم الله على ذلك أتمّ الجزاء، فيُعذب كافرَهم عذاباً لا يُعذبه أحد، وإن كان لهم حسنات فقد وفّاهم اللهُإيّاها في الدنيا **١١٠: ﴿ولقد آتينا موسى الكتابَ فاختُلِفَ فيه﴾** فاختلف النّاس فيه، فمن مؤمن به ومن كافر به، فلا يغيظنّك يا محمد تكذيبُهم لك، **﴿ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربّك لَقُضِيَ بينهم﴾** لولا ما تقدّم من تأجيله العذاب إلى أجلٍ معلوم لقضى اللهُ بينهم، **﴿وإنّهم لفي شكٍّ منه مُريب﴾**، ثم أخبر تعالى أنّه سيجمع الأوّلين والآخرين ويجزيهم بأعمالهم فقال تعالى: **١١١: ﴿وإنْ كلاًّ لَمّا ليُوفّينّهم ربُّكَ أعمالَهم إنّه بما يعملون خبيرٌ﴾ ١١٢: ﴿فاستقمْ كما أُمرتَ﴾** يأمر تعالى رسولَهُ بالثبات والدوام على الاستقامة **﴿ومَن تابَ معكَ ولا تَطْغَوْا﴾** كما يأمر المؤمنين بالثبات على الإستقامة وذلك، فإنّه من أكبر العون على النصر على الأعداء، فإنّه نهى عن الطغيان، وهو البغي فإنّه مصرَعَةٌ. **﴿إنّه بما تعملون بصيرٌ﴾** لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء **١١٣: ﴿ولا تركَنُوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُمُ النّار﴾** لا تميلوا إلى الذين ظلموا ولا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنّكم قد رضيتم بأعمالهم **﴿فتمسَّكُمُ النار ومالكم من دُون الله من أولياء ثم لا تُنصرون﴾** ليسَ لكم من دونه من ولي ينقذكم ولا ناصر يخلّصكم من عذابه **١١٤: ﴿وأقم الصلاةَ طَرَفَيِ النّهار﴾** يعني الصبح والمغرب **﴿وزُلَفاً مِن الليل﴾** يعني العشاء. هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، فإنّه إنّما كان يجب من الصلاة صلاتان، قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، وفي أثناء الليل قيام. ثم نُسِخَ. **﴿إنّ الحسنات يُذْهِبْنَ السيّئات﴾** إنّ فعل الخيرات يُكفِّرُ الذنوبَ السالفة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «جُعلت الصلوات كفاراتٌ لِما بينهنّ»، ثم قرأ هذه الآية. **﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ ١١٥: ﴿واصْبِرْ فإنّ الله لا يُضيعُ أجْرَ المحسنين﴾** [واصبرْ على الصلاة، إنّ الله لا يُضيعُ أجرَ المحسنين؛ يعني المصلين] **١١٦: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾** فهلاّ وُجِدَ من القرون الماضية بقايا من أهل الخير **﴿أُولُوا بقيّةٍ ينهون عن الفسادِ في الأرض﴾** عن الشرور والمنكرات **﴿إلّا قليلاً ممّن أنجينا منهم﴾** عند حلول غضبه، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة أن يكون فيها مَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، **﴿واتّبعَ الذين ظلَمُوا ما أُترِفُوا فيهِ وكانوا مجرمين﴾** استمرّوا على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات **١١٧: ﴿وما كانَ ربُّك ليُهلِكَ القرى بظُلْمٍ وأهلُها مُصلِحُون﴾** أخبر تعالى أنّه لم يُهلك قريةً إلّا وهي ظالمة لنفسها كما قال تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكنْ كانُوا أنفسَهم يظلمون﴾.

الآية: ١١٤ وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وقال: «من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لايُحدِّثُ فيهما نفسه إلاّ غفر له ماتقدّم من ذنبه». وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لِما بينهُنّ مااجتُنبت الكبائر». ابن كثير ج٢/٤٦٢/

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُف

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

١١٨: ﴿ولو شاء ربُّكَ لجعل النّاس أمّةً واحدةً﴾ يُخبر تعالى أنّه قادرٌ على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان، كما قال تعالى: ﴿ولو شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرض كلُّهم جميعاً﴾. **﴿ولا يزالون مختلفين﴾** يعني اليهود والنصارى والمجوس **١١٩: ﴿إلّا مَن رَحِمَ ربُّكَ﴾** يعني الحنيفيّة. هم أهل رحمة الله؛ أهل الجماعة وإن تفرّقت ديارهم وأبدانهم. وأهل معصيته أهلُ فُرقة وإنِ اجتمعت ديارهم وأبدانهم. **﴿ولذلك خلقهم﴾** للرحمة خلقهم، لم يخلقهم ليختلِفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة. **﴿وتمّتْ كلمةُ ربّكَ لأملأنّ جهنّم مِن الجنّة والناس أجمعين﴾** قد سبق في قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة أنّ ممّن خلقه من يستحق الجنّة ومنهم مَن يستحق النار، وأنّه لا بدّ أن يُملأ من هذين الثقلين **١٢٠: ﴿وكُلاًّ نقصُّ عليك مِن أنباء الرُسل﴾** المتقدمين قبلك **﴿ما نُثبِّتُ بهِ فُؤادَكَ﴾** كيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين. **﴿وجاءَكَ في هذه الحقُّ وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين﴾** في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء؛ قصص حقٍّ ونبأ صدقٍ، يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون **١٢١: ﴿وقُلْ للذين لا يُؤمنون اعملُوا على مكانتكم إنّا عاملون﴾** هذا تهديدٌ، أي: اعملوا على طريقتكم ومنهاجكم، إنّا عاملون على طريقتنا ومنهجنا **١٢٢: ﴿وانتظِرُوا إنّا مُنتظِرُون﴾** ﴿فستعلمون مَن تكونُ له عاقبة الدار إنّه لا يُفلِحُ الظالمون﴾، وقد أنجز اللهُ لرسوله وَعْدَهُ ونَصْرَهُ وأيَّدَهُ وجعل كلمتَه هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، واللهُ عزيزٌ حكيم **١٢٣: ﴿ولله غيبُ السموات والأرض وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّهُ﴾** إنّه تعالى عالم غيب السموات والأرض وإليه المرجع والمآب، فله الخلقُ والأمر، **﴿فاعْبُدْهُ وتوكّلْ عليه﴾** فإنّه كافٍ مَن توكل عليه وأناب إليه، **﴿وما ربُّكَ بغافِلٍ عمّا تعملون﴾** لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وسيجزيهم على ذلك في الدنيا والآخرة.

تفسير سورة يُوسف

١: ﴿الـر تلْكَ آياتُ الكتابِ المبين﴾ هذه آيات القرآن الواضح الجليّ الذي يُفصحُ عن الأشياء المبهمة ويُفسّرُها ويبيّنُها **٢: ﴿إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً﴾** لأنّ لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني **﴿لعلكم تعقلون﴾ ٣: ﴿نحنُ نقصُّ عليكَ أحسنَ القَصَصِ بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾** بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن. وسبب نزولها أنّهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث فدلّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القَصَص فدلّهم على أحسن القَصَص **﴿وإن كنتَ مِن قبله لَمِنَ الغافلين﴾** [عمّا عرّفناكَهُ] **٤: ﴿إذْ قال يُوسُفُ لأبيه﴾** اذكر يا محمد لقومك قصّة يوسف إذ قال لأبيه **﴿يا أبَتِ إنّي رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجدين﴾** وتعبير هذه الرؤيا أنّ الأحد عشر كوكباً عبارة عن إخوته، وكانوا أحد عشرَ رجلاً سواه، والشمسَ والقمرَ عبارة عن أمّه وأبيه.

الآية: ٣ روى الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأ على النبي ﷺ قال: فغضب وقال: «أمتهوّكون فيها =

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

الحزب ٢٤

٥: **﴿قال يا بُنيّ لا تَقْصُصْ رُؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾** حين قصَّ عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إيّاه، فخشي يعقوب عليه السلام أن يحدّث بها أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك، **﴿إنّ الشيطانَ للإنسان عَدُوٌّ مبين﴾** ٦: **﴿وكذلك يجتبيك ربُّكَ ويُعلِّمُكَ من تأويل الأحاديث﴾** كما اختارك ربُّك وأراك هذه الكواكب والشمس والقمر ساجدةً لك كذلك يختارك ويصطفيك لنبوّته، ويعلمك تعبير الرؤيا، **﴿ويُتمُّ نعمتَهُ عليك﴾** بالإيحاء إليك، **﴿وعلى آل يعقوبَ كما أتمّها على أبويك من قبلُ إبراهيمَ وإسحاقَ إنّ ربَّكَ عليمٌ﴾** حيث يجعل رسالته **﴿حكيمٌ﴾** [في أقواله وأفعاله] ٧: **﴿لقد كان في يوسفَ وإخوته آياتٌ للسائلين﴾** في قصته وخبره مع إخوته عبرة ومواعظ للمستخبرين عنه ٨: **﴿إذْ قالوا ليوسفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا﴾** حلفوا فيما يظنّون: واللهِليوسف وأخوه، يعنون بنيامين، وكان شقيقه لأمه **﴿ونحنُ عُصْبةٌ﴾** جماعة، فكيف أحبَّ ذينك الاثنين أكثر من الجماعة **﴿إنّ أبانا لفي ضلال مبين﴾** في تقديمهما علينا ومحبته إيّاهما أكثر منّا ٩: **﴿اقتلوا يوسفَ أوِ اطرحوه أرضاً يخلُ لكم وَجْهُ أبيكم﴾** اعدموه من وجه أبيكم ليخلوَ لكم وحدكم؛ إمّا بأن تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه **﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾** فأضمروا التوبة قبل الذنب ١٠: **﴿قال قائل منهم﴾** وهو أكبرهم **﴿لا تقتلوا يوسفَ وألقُوهُ في غياباتِ الجُبِّ﴾** أسفله **﴿يلتقطْهُ بعضُ السيّارة﴾** المارّة فتستريحوا منه ولا حاجة إلى قتله **﴿إن كنتم فاعلين﴾** عازمين على ما تقولون ١١: **﴿قالوا يا أبانا مالَكَ لا تأمَنّا على يوسف﴾** هذه توطئة ودعوى **﴿وإنّا له لَناصِحُون﴾** وهم يريدون خلاف ذلك لِما في قلوبهم من الحسد له ١٢: **﴿أرْسِلْهُ معنا﴾** ابعثه معنا **﴿غداً يرتعْ ويلعبْ﴾** ينشط **﴿وإنّا له لحافِظون﴾** نحوطه ونحفظه من أجلك ١٣: **﴿قال إنّي لَيَحْزُنُني أن تذهَبُوا به﴾** يشق عليّ مفارقته مدّة ذهابكم به، وذلك لفرط محبته له، **﴿وأخافُ أن يأكلَهُ الذئبُ وأنتم عنه غافِلُون﴾** وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه الذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون ١٤: **﴿قالوا لَئِنْ أكلَهُ الذئبُ ونحنُ عُصبةٌ إنّا إذاً لخاسِرون﴾** لئن عدا عليه الذئب ونحن جماعة إنّا إذاً لهالكون عاجِزُون.

يابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيّة، لاتسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقٍّ فتكذبونه أو بباطل فتصدِّقُونه؛ والذي نفسي بيده لو أنّ موسى كان حيّاً ماوسعَهُ إلاّ أنْ يتّبعني». /ابن كثير ج٢/٤٦٧/

الآية: ٧ روى البخاري عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أيّ الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال ﴿فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله﴾، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن مَعَادن العرب تسألوني»؟ قالوا: نعم قال: فخيارُكم في الجاهلية خيارُكم في الإسلام إذا فقهوا».
/ابن كثير ج٢/٤٦٨/

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

١٥: ﴿فلما ذهبُوا بهِ وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجبِّ﴾ هذا فيه تعظيم لِما فعلوه أنّهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الجُب، **﴿وأوحينا إليه لَتُنبِّئنّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾** من لطفه ورحمته سبحانه أنّه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيّق تطييباً لقلبه وتثبيتاً له ألّا تحزن فإنّ لك مخرجاً حسناً وهم لا يشعرون بإيحاء الله إليه **١٦: ﴿وجاؤوا أباهم عِشاءً يبكون﴾** ويُظهرون الأسف على يوسف لأبيهم **١٧: ﴿قالوا﴾** معتذرين **﴿يا أبَانَا إنّا ذهبنا نستبِقُ﴾** نترامى **﴿وتركنا يوسفَ عند متاعنا﴾** ثيابنا **﴿فأكله الذئبُ وما أنتَ بمؤمنٍ لنا ولو كنّا صادقين﴾** تلطّف عظيم في تقرير ما يُحاوِلُونه؛ يقولون: ونحن نعلم أنّك لا تُصدّقنا، فأنت معذور في تكذيبك لنا لغرابة ما وقع وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا **١٨: ﴿وجاؤوا على قميصهِ بدَمٍ كذِبٍ﴾** مكذوب ومفترى **﴿قالَ بلْ سَوّلتْ لكم أنفسُكم أمراً فصبرٌ جميلٌ﴾** فسأصبر صبراً جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يُفرِّجَهُ اللهُ بعونهِ ولطفه، **﴿واللهُ المُستعانُ على ما تصِفُون﴾** على ما تذكرون من الكذب والمحال؛ لأنّه لو أكله الذئب لخرق القميص، وهم جاؤوا على قميصه بدم كذب **١٩: ﴿وجاءت سيّارةٌ﴾**، [أي: رفقة مارّة يسيرون من الشام إلى مصر] فنزلوا قريباً من تلك البئر **﴿فأرسلُوا وارِدَهم﴾** وهو الذي يتطلّب لهم الماء **﴿فأدْلَى دَلْوَهُ﴾** في البئر فتشبث يوسف فيها فأخرجه واستبشرَ به وقال: **﴿يا بشرى هذا غلامٌ وأسرُّوهُ بضاعةً﴾** وأسره الوارِدُون من بقية السيارة قالوا اشتريناه من أصحاب الماء مخافة أن يُشاركوهم فيه إذا علموا خبره **﴿واللهُ عليمٌ بما يعملون﴾** بما فعله إخوةُ يوسف ومُشترُوهُ **٢٠: ﴿وشروهُ بثمنٍ بخسٍ دراهم معدُودة﴾** باعه الوَارِدَةُ بثمن منقوص **﴿وكانوا فيه مِنَ الزاهِدِين﴾**، وذلك أنّهم لم يعلموا نبوّته ومنزلته عند الله عزّ وجلّ **٢١: ﴿وقال الذي اشتراه مِن مِصْرَ﴾** وهو عزيز مصر، وهو الوزير، **﴿لامرأتِهِ أكرمي مثواه﴾** [أي: منزلَهُ ومقامه بطيب المطعم واللباس الحسن] **﴿عسى أن ينفعنا﴾** [أي: يكفينا بعض المهمات إذا بلغ] **﴿أو نتخذَهُ ولداً﴾** [وكان لا يُولد له]. **﴿وكذلك مكنّا ليوسفَ في الأرض﴾** يعني بلاد مصر، **﴿ولِنُعلِّمَهُ من تأويلِ الأحاديث﴾** وهو تعبير الرؤيا [تصديقاً لقول يعقوب عليه السلام: ويُعلّمُكَ من تأويل الأحاديث]. **﴿واللهُ غالبٌ على أمره﴾** إذا أرادَ شيئاً فلا يُردّ ولا يُمانع ولا يخالَف وهو الغالب لِما سواه. **﴿ولكنّ أكثرَ النّاس لا يعلمون﴾** لا يدرون حكمته وتلطفه وفعله لما يُريد **٢٢: ﴿ولمّا بلغَ أشُدَّهُ﴾** استكمل يوسف قوّته **﴿آتيناه حُكْماً وعلماً﴾** النبوّة **﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾** إنّه كان محسناً في عمله عاملاً بطاعة الله تعالى.

الآية : ١٥ قال ابن عباس : لما دخل إخوة يوسف عليه فعرفهم وهم له منكرون قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال : إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له : يوسف يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب قال ثم نقره فطن قال : فأتيتم أباكم فقلتم : إنّ الذئب أكله وجئتم عل قميصه بدم كذب ، قال فقال : بعضهم لبعض إنّ هذا الجام ليخبره بخبركم ، قال ابن عباس : فلا نرى هذه الآية نزلت إلاّ فيهم ﴿ لتنبئنّهم بأمرهم هذا ولا يشعرون ﴾ . /ابن كثير ج٢/٤٧١ .

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

٢٣: ﴿**وراودتهُ التي هو في بيتِها عن نفسِهِ**﴾ وذلك أنّها أحبته حباً شديداً لجماله وبهائه، فحملها ذلك على أن تجمّلت له ﴿**وغلّقتِ الأبوابَ**﴾ ودعته إلى نفسِها ﴿**وقالتْ هَيْتَ لك**﴾ فامتنع من ذلك أشدّ الامتناع ﴿**قال معاذَ اللهِ إنّه ربّي أحسنَ مَثْوَايَ**﴾ إنّ بَعْلَكِ [وهو سيدي] أحسنَ منزلي فلا أقابله بالفاحشة في أهله، ﴿**إنّه لا يُفلِحُ الظالِمُون**﴾ [ومعاذَ الله: أي أعوذُ بالله وأستجيرُ به] **٢٤**: ﴿**ولقد هَمّتْ بهِ**﴾، [تدنُو منه]، ﴿**وهمَّ بها**﴾، [يتباعد عنها]، ﴿**لولا أن رأى برهانَ ربِّه**﴾ أراهُ الله ثلاث آيات من كتابه في الجِدَار تنهاه عن ذلك، وتزجرُهُ عمّا همتْ به، ﴿**كذلك لِنصرفَ عنه السُّوءَ والفحشاء**﴾ كما أريناه برهاناً صَرَفَهُ عمّا كان فيه كذلك نقيه السُّوءَ والفحشاءَ في جميع أموره ﴿**إنّه من عبادنا المُخْلَصِين**﴾ المطهرين المختارين المصطفين الأخيار صلوات الله وسلامه عليه **٢٥**: يُخبر تعالى عن حالهما حين خرجَا يستبقان إلى الباب يوسفُ هاربٌ والمرأةُ تطلبه ليرجع إلى البيت، ﴿**واستبقَا البابَ وقدّتْ قميصَهُ**﴾ قدّاً فظيعاً واستمرّ يوسف هارباً وهي في إثْرِهِ، ﴿**مِن دُبُرٍ**﴾ [أي: من ورائه]، ﴿**وألْفَيا**﴾ وجدا ﴿**سيّدَها**﴾ وهو زوجها ﴿**لَدَى البابِ قالت**﴾ متنصِّلةً وقاذفة يوسفَ بدائها ﴿**ما جزاءُ مَن أرادَ بأهلِكَ سُوءاً**﴾ فاحشةً ﴿**إلّا أن يُسجنَ أو عذابٌ أليمٌ**﴾ يحبس ويضرب ضرباً شديداً، فعندَ ذلك انتصرَ يوسف بالحق وتبرّأ مِمّا رمته به من الخيانة **٢٦**: ﴿**قال هي رَاوَدتني عن نفسي**﴾ [أي: هي التي طلبت منّي ذلك ولم أردْ بها سوءاً]، ﴿**وشهِدَ شاهِدٌ مِن أهلِها إنْ كان قميصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ**﴾ من قدّامه ﴿**فصدقت**﴾ في قولها ﴿**وهو من الكاذبين**﴾ **٢٧**: ﴿**وإن كان قميصُهُ قدَّ من دُبُرٍ فكذبتْ وهو من الصادقين**﴾ لمّا هربَ منها أمسكت بقميصه من ورائه لتردّه إليها فقدّته من ورائه **٢٨**: ﴿**فلمّا رأى قميصَه قُدَّ مِن دُبُرٍ قال**﴾ لمّا تحقّقَ زوجُها صدقَ يوسفَ وكذبها فيما قذفته به ﴿**إنّه من كيدِكُنّ**﴾ هذا البهتُ واللطخ الذي لطّختِ به عرض هذا الشاب من جملة كيدكُنّ ﴿**إنّ كيدَكُنّ عظيمٌ**﴾، ثم قال آمراً يوسف: **٢٩**: ﴿**يوسفُ أعرِضْ عن هذا**﴾ فلا تذكره لأحد ﴿ **واستغفري لذنبك**﴾ عذرَها لأنّها رأت ما لا صبرَ لها عنه. [ما زال النساء يملنَ إلى يوسف ميلَ شهوةٍ حتى نبأه الله، فألقى عليه هيبة النبوّة فشغَلَتْ هيبتُه كلَّ من رآهُ عن حُسْنِهِ]. ﴿**إنّكِ كنتِ مِن الخاطئين**﴾ **٣٠**: ﴿**وقال نِسْوَةٌ في المدينةِ امرأةُ العزيز**﴾ مثل نساء الأمراء ﴿**تُراوِدُ فتاها عن نفسِهِ**﴾ يُنكرن على امرأة الوزير ويعِبنَ ذلك عليها، ﴿**قد شَغَفَها حُبّاً**﴾ قد وصل حبُّهُ إلى شغاف قلبها. وشغاف القلب حجابه. ﴿**إنّا لَنَراها في ضلالٍ مُبين**﴾ في صنيعها هذا.

الآية : ٢٤ روى البغوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبُوها له حسنةً ، فإن عملها فاكتبُوها له بعشرِ أمثالها وإن همَّ بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنةً فإنّما تركها من جرائي فإن عملها فاكتبوها بمثلها » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين .

الآية : ٢٦ روى ابن جرير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « تكلم أربعةٌ وهم صغار » . وروى غيره عن ابن عباس أنه قال : « تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جُريج وعيسى بن مريم » . /ابن كثير ج٢/٤٧٥ .

فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

٣١: ﴿فلمّا سمعتْ بمكرهنّ﴾، [أي: بغيبتهنّ إيّاها واحتيالهنّ في ذمّها]، **﴿أرسلتْ إليهنّ﴾** دَعَتْهُنّ لضيافتها **﴿وأعتدتْ لهنّ مُتكأ﴾** وهو المجلس المُعدّ **﴿وآتتْ كلَّ واحدةٍ منهنّ سكّيناً﴾** وكان هذا مكيدةً منها لهنّ **﴿وقالتِ اخرُجْ عليهنّ فلمّا﴾** خرج و**﴿رأيْنَهُ أكبرْنَهُ﴾** أعظمن شأنه وأجللن قدرَهُ **﴿وقطّعن أيديَهُنَّ﴾** دَهَشاً برؤيته وهنّ يظننّ أنهنّ يُقطعن الأترجَّ بالسكاكين **﴿وقُلْنَ حاشَ لله ما هذا بشراً إنْ هذا إلّا مَلَكٌ كريم﴾** ثم قُلنَ لها وما نرى عليك من لوم بعد الذي رأينا، لأنهنّ لم يرينَ في البشر شبيهه **٣٢: ﴿قالتْ فذلكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه﴾** تقول هذا معتذرة إليهنّ بأنّ هذا حقيق أن يُحَبَّ لجماله وكماله، **﴿ولقد راودْتُهُ عن نفسِهِ فاستعصم﴾** امتنع **﴿ولئن لم يفعلْ ما آمرُهُ لَيُسجَننّ وليكوناً مِنَ الصاغِرين﴾**، فعند ذلك استعاذ يوسف عليه السلام من شرّهنّ وكيدهنّ وقال: **٣٣: ﴿قالَ رَبِّ السجنُ أحبُّ إليَّ مِمّا يدعُونَني إليه﴾** مِن الفاحشة، **﴿وإلّا تصرفْ عنّي كيدَهُنَّ أصْبُ إليهنّ﴾** إن وكلتني إلى نفسي فليس لي قدرة [على دفعهنّ]، **﴿وأكُنْ مِنَ الجاهلين﴾ ٣٤: ﴿فاستجابَ له ربُّه فصرفَ عنه كيدَهُنّ إنّه هو السميعُ العليم﴾** وذلك أنّ يوسف عليه السلام عصمه الله عصمةً عظيمةً وحماه فامتنعَ منها أشدَّ الامتناع واختار السجن على ذلك **٣٥: ﴿ثمّ بَدَا لهم مِن بعدِ ما رأوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حين﴾** ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنّهم يسجنُونه إلى مدّة بعدما عرفوا براءتَهُ وصدقه في عفّته ونزاهته، وكأنّهم والله أعلم إنّما سجنُوه إيهاماً أنّه راودها عن نفسها، ولهذا لمّا طلبه الملك الكبير امتنع من الخروج حتى تتبيّن براءتُهُ مِمّا نُسِبَ إليه من الخيانة، فلمّا تقرّر ذلك خرج وهو نقي العِرْض صلوات الله عليه وسلامه **٣٦: ﴿ودخل معه السِّجْنَ فتيانِ قال أحدُهما إنّي أراني أعصِرُ خمراً﴾** عنباً **﴿وقال الآخرُ إنّي أراني أحمِلُ فوقَ رأسي خبزاً تأكلُ الطيرُ منه نبّئنا بتأويله﴾** قال ابن مسعود: ما رأى صاحِبَا يوسف شيئاً إنّما كانا تحالَمَا ليُجرّبا عليه **٣٧: ﴿قال لا يأتيكُما طعامٌ تُرزقانِهِ﴾** في يومكما **﴿إلّا نبأتُكُمَا بتأويله قبل أن يأتيَكُمَا﴾** أُخبر به قبل وقوعه [أي: بيّنْتُ لكُما ماهيّتَهُ قبل أن يأتيكما، وسمّاهُ تأويلاً بطريق المشاكة بما يؤول إليه الكلام من مطابقة ما أخبر به للواقع]. **﴿ذلِكُمَا مِمّا علمني ربّي﴾** هذا إنّما هو من تعليم الله إيّايَ، **﴿إنّي تركتُ مِلّةَ قومٍ لا يُؤمنون باللهِ وهم بالآخرةِ هم كافِرُون﴾**.

الآية : ٣٤ قال ابن كثير : إن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمةً عظيمةً وحماه فامتنع منها أشدَّ الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في غاية مقامات الكمال إنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيّدته وهي امرأة عزيز مصر وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه . ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل ذكر اللهَ خالياً ففاضت عيناه » . /ابن كثير ج٢/٤٧٧ .

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨: ﴿واتّبعتُ مِلّةَ آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوب﴾ سلكتُ طريق هؤلاء المرسلين **﴿ما كان لنا﴾** [أي: ما ينبغي] **﴿أن نُشرِكَ باللهِ من شيءٍ ذلك من فضلِ اللهِ علينا﴾** أوحاه إلينا وأمرنا به **﴿وعلى النّاس﴾** إذْ جعلنا دُعاةً لهم إلى ذلك، **﴿ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يشكرون﴾** لا يعرفون نعمةَ الله عليهم بإرسال الرسل إليهم **٣٩: ﴿يا صاحِبَيِ السِّجنِ﴾** أقبل على الفتيَيْنِ يدعوهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له **﴿أأربابٌ متفرِّقون خيرٌ أمِ اللهُ الواحدُ القهار﴾**؟! الذي ذلّ كلُّ شيءٍ لِعزِّ جلاله وعظمته **٤٠: ﴿ما تعبُدون مِن دُونِهِ إلّا أسماءً سمّيتُمُوها أنتم وآباؤكم ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان﴾** ليس لذلك مستند من عند الله، **﴿إنِ الحُكمُ إلّا لله﴾** فالتصرّف والمشيئة والمُلْك كله لله **﴿أمَرَ ألّا تعبُدوا إلّا إيّاهُ ذلك الدِّينُ القيِّمُ﴾** هذا الذي أدعوكم إليه من التوحيد لله والإخلاص له هو الدِّين المستقيم الذي أمر الله به، **﴿ولكنّ أكثرَ النّاس لا يعلمون﴾** فلهذا كان أكثرهم مشركين **﴿وما أكثرُ النّاسِ ولو حرصتَ بمؤمنين﴾ ٤١: ﴿يا صاحِبَيِ السجنِ أمّا أحدُكُما فيسقي ربَّهُ خمراً﴾** وهو الذي رأى أنّه يعصر خمراً **﴿وأمّا الآخرُ فيُصلَبُ فتأكلُ الطيرُ مِن رأسه﴾** لم يعينه لئلّا يحزن، ولهذا أبهمه، **﴿قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تستفتيان﴾**، [دلّت الآية على] أنَّ مَن تحلّم بباطل وفسّرَهُ فإنّه يُلزم بتأويله، واللهُ تعالى أعلم(١) وفي الحديث الذي رواه أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبّر، فإذا عُبّرتْ وقعت» **٤٢: ﴿وقال للذي ظنَّ أنّه ناجٍ منهما اذكرني عندَ ربِّك﴾** عندَ المَلِك، **﴿فأنساهُ الشيطان ذِكرَ ربِّه﴾** فنسي ذلك الموصَى أن يُذكّر المَلِكَ بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان لئلّا يطلع نبيُّ اللهِ مِن السجن **﴿فلَبِثَ في السجن بِضْعَ سنين﴾** سبعاً **٤٣: ﴿وقال المَلِكُ إنّي أرى سبعَ بقراتٍ سِمانٍ يأكُلُهُنَّ سبعٌ عجافٌ﴾** هذه الرؤيا مِن مَلِكِ مصر مِمّا قدّر اللهُ تعالى أنّها كانت سبباً لخروج يوسف من السجن معزّزاً مكرّماً، **﴿وسبعَ سُنبلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابِسَاتٍ، يا أيها المَلأُ افتُوني في رُءْيَايَ إن كنتم للرؤيا تعْبُرُون﴾**، فقصّ هذه الرؤيا على الكهنة وكبار دولته وأمرائه، وسألَهم تأويلها فلم يعرفُوا ذلك.

---

(١) وفي الحديث الصحيح عند البخاري /كتاب التعبير/ ٤٥/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفرى الفِرى [أي: أكذب الكذب] مَن أرى عينيهِ في النوم ما لم تَرَيَا».

الآية : ٤١ روى الإمام أحمد عن معاوية بن حَيْدةَ عن النبي ﷺ قال : « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عُبّرتْ وقعتْ » وفي مسند أبي يعلى من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً : « الرؤيا لأول عابر » ، أي مؤوِّلٍ لها . /ابن كثير ج٢/٤٧٩ .

الآية : ٤٣ روى الترمذي بإسناد صحيح عن أبي قتادة عن النبي ﷺ أنّه قال : « الرؤيا من الله ، والحُلْمُ من الشيطان ، فإذا رأى أحدُكم شيئاً يكرهه فلينفُثْ عن يساره ثلاث مرّاتٍ ، وليستعِذْ بالله من شرّها فإنّها لا تضرُّهُ » . وروى بإسناد صحيح عن أبي رَزِين العُقيلي عن النبي ﷺ أنّه قال : « رؤيا المسلم جزءٌ من ستّةٍ وأربعين جُزءاً من النبوّة [حيث كانت أول الوحي للنبي ﷺ] وهي على رِجْلِ طائرٍ مالم يُحدِّث بها ، فإذا حدّث بها وقعتْ » وفي رواية عنده : « ولا يُحدّثْ بها إلّا لبيباً أو حبيباً » . وروى أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الرؤيا ثلاث : فرؤيا حقٌّ ، ورؤيا يُحدِّث بها الرجلُ نفسَهُ ، ورؤيا تحزينٌ من الشيطان ، فمن رأى ما يكرَهُ فليقُمْ فليصلِّ » وكان يقول : « لا تُقَصُّ الرؤيا إلّا على عالم أو ناصح » وقال الترمذي : هذا حديث حسنٌ صحيح . /السنن ج٤/٥٣٥ـ٥٣٧/

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

٤٤: ﴿قالوا أضغاثُ أحلامٍ﴾، أخلاط أحلام، **﴿وما نحنُ بتأويل الأحلام﴾** المختلطة **﴿بعَالِمين﴾** [نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له، لا أنّهم نَفَوا عن أنفسهم علم التأويل] **٤٥: ﴿وقال الذي نجا منهما وادّكرَ بعدَ أمّةٍ﴾** [يعني: ساقي الملك، ادّكر بعدَ حين]، **﴿أنا أنبّئكم بتأويله فأرسِلُون﴾** فابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن **٤٦: ﴿يوسفُ أيُّها الصديقُ أفتِنا في سبعِ بقراتٍ سِمانٍ يأكلُهُنَّ سبعٌ عِجافٌ وسبعِ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وأُخرَ يابِسَاتٍ لعلّي أرْجِعُ إلى النّاسِ لعلّهم يعلمون﴾** ذكر المنام الذي رآه الملك **٤٧: ﴿قال تزرعُون سبعَ سنينَ دَأَباً﴾** يأتيكم الخصبُ والمطرُ سبع سنين متواليات، فسَّرَ البقر بالسنين لأنّها تثير الأرض التي تُستغل منها الثمرات والزروع، وهُنّ السنبلات الخُضر، ثم أرشدهم إلى ما يعتدّونه في تلك السِّنين، **﴿فما حصدْتُم فذَرُوهُ في سُنبُلِهِ إلّا قليلاً مِمّا تأكلون﴾ ٤٨: ﴿ثم يأتي مِن بعدِ ذلك سبعٌ شِدادٌ﴾** وهي السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع المتواليات الخصبة **﴿يأكُلْنَ ما قدّمتم لهنّ إلّا قليلاً مِمّا تُحْصِنُون﴾ ٤٩: ﴿ثم يأتي مِن بعدِ ذلك عامٌ فيهِ يُغاثُ النّاس﴾** يأتيهم الغيث، وهو المطر، وتغل البلاد، **﴿وفيهِ يعصِرُون﴾** ما كانوا يعصرون على عاداتهم من زيت وسكر ونحوه **٥٠: ﴿وقال الملِكُ ائتُوني بهِ﴾** لمّا رجعُوا إليه بتعبير رؤياه عرف فضله وقال **﴿ائتُوني بهِ﴾**، أي أخرجُوه من السجن وأحضروه، **﴿فلمّا جاءَهُ الرسولُ﴾** بذلك امتنعَ من الخروج حتى يتحقق الملكُ ورعيتُهُ براءة ساحته ونزاهة عرضه مِمّا نُسِبَ إليه من جهة امرأة العزيز، وأن سجنه كان ظلماً وعدواناً، **﴿قال ارجعْ إلى ربِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسوةِ اللّاتي قطّعنَ أيديهنّ إنّ ربي بكيدِهِنَّ عليمٌ﴾ ٥١: ﴿قال ما خَطْبُكُنَّ إذْ راودْتُنَّ يُوسفَ عن نفسِهِ﴾**؟ جمع النسوة اللّاتي قطّعنَ أيديهنّ عند امرأة العزيز، خاطبهُنّ كلهنّ وهو يُريد امرأة وزيره، **﴿قُلْنَ حاشَ للهِ﴾** [أي: معاذ الله] **﴿ما علمنا عليه من سُوءٍ﴾** قالت النسوة جواباً للملك حاشَ لله أن يكون يوسف متهماً والله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك **﴿قالتِ امرأةُ العَزيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحقُّ﴾** الآن تبيّن الحقُّ وظهر، **﴿أنا راوَدْتُهُ عن نفسِهِ وإنّه لَمِنَ الصادقين﴾** في قوله: **﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ٥٢: ﴿ذلك ليعلمَ أنّي لم أخنهُ بالغيب﴾** إنّما اعترفتُ بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنّي لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، **﴿وأنّ اللهَ لا يهدِي كيدَ الخائنين﴾**.

الآية: ٤٦ قال ابن كثير: هذه الرؤيا من ملك مصر مّما قدَّرَ الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معزّزاً مكرّماً، وذلك أنّ الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجّبَ من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحادة وكبار دولته وأمراءَهُ فقصَّ عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنّها ﴿ أضغاث أحلام ﴾ أي أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ أي لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لَما كان لنا معرفةٌ بتأويلها وهو تعبيرها. /ابن كثير ج٢/٤٨٠.

الآية: ٤٩ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خفت سلطاناً أو غيره فقُلْ: لا إله إلّا الله الحليم الكريم، سبحان الله ربُّ السمواتِ السبع وربُّ العرشِ العظيم، لا إله إلّا أنتَ عزّ جارُك، وجلَّ ثناؤك ولا إله غيرُكَ» رواه ابن السنّي في عمل اليوم رقم ٣٤٥/ وفي إسناده ضعف.

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣: ﴿وما أبرّئُ نفسي﴾ فإنّ النفس تتحدث وتتمنّى ولهذا راودتُه، لأنّ **﴿النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربي﴾** إلّا مَن عصمه الله تعالى، **﴿إنّ ربّي غفورٌ رحيم﴾** **٥٤: ﴿وقال الملِكُ﴾** بعد تحقق براءة يوسف ونزاهة عرضه مِمّا نُسِبَ إليه **﴿ائتُوني به أستخلصه لنفسي﴾** أجعله من خاصّتي وأهل مشورتي، **﴿فلمّا كلّمه﴾** خاطبه الملِكُ و**﴿قال إنّك اليومَ لدينا مَكِينٌ أمينٌ﴾** إنّك عندنا ذا مكانة وأمانة، فقال يوسف: **٥٥: ﴿قال اجعلني على خزائنِ الأرض إنّي حفيظٌ عليمٌ﴾** مدحَ نفسَه ويجوز للرجل ذلك إذا جُهِلَ أمرُهُ للحاجة، وذكر أنّه حفيظٌ؛ أي: خازن أمين، عليم: ذو علم وبصيرة بما يتولّاه. وسأل العملَ لعلمه بقدرته عليه، وإنّما سأله أن يجعله على خزائن الأرض وهي الأهرام التي يُجمع فيها الغلّات لِما يستقبلُونه من السنين التي أخبرهم بشأنها فيتصرّف لهم على الوجه الأصلح، فأُجيب إلى ذلك. ولهذا قال تعالى: **٥٦: ﴿وكذلك مكّنّا لِيُوسُفَ في الأرض﴾** أرض مصر **﴿يتبوأُ منها حيثُ يشاءُ﴾** يتصرّف فيها كيف يشاء، **﴿نصيبُ برحمتنا مَن نشاءُ ولا نُضيعُ أجْرَ المحسنين﴾** **٥٧: ﴿ولأجرُ الآخرةِ خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتّقون﴾**، [أي: ما نُعطيه في الآخرة خيرٌ وأكثر مِمّا أعطيناه في الدنيا. وظاهر الآية العموم في كل مؤمنٍ متّقٍ] **٥٨: ﴿وجاء إخوةُ يُوسُفَ فدخلُوا عليه فَعَرَفَهم وهم له منكرون﴾** لَمّا باشر يوسف الوزارة بمصر ومضت السبع المخصبة ثم تلتها السبع المُجدبة، وعمّ القحط بلاد مصر ووصل إلى بلاد كنعان، وهي التي كان فيها يعقوب عليه السلام وأولاده. فبلغهم أنّ عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه. وركبوا عشرة نفر، واحتبس يعقوبُ بنيامينَ عنده **٥٩: ﴿ولمّا جَهّزَهم بِجَهَازِهم قال ائتُوني بأخٍ لكم من أبيكم ألَا ترونَ أنّي أوفي الكيلَ وأنا خيرُ المُنزِلِين﴾**؟ يُرغبهم في الرجوع إليه. [وذلك أنّهم أعلموه بحال أبيهم وأنهم كانوا] اثني عشر، فذهب أصغرنا في البريّة وكان أحبَّنا إلى أبيه، وبقي شقيقُه، فاحتبسه أبوه ليتسلّى به عنه، فقال ائتوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم، ثم رهبّهم فقال: **٦٠: ﴿فإن لم تأتُوني به فلا كيلَ لكم عندي﴾** فليس لكم عندي ميرة **﴿ولا تقربون﴾** **٦١: ﴿قالوا سنُرَاوِدُ عنه أباه﴾** سنحرص على مجيئه إليك **﴿وإنّا لفاعِلُون﴾** لتعلم صدقنا **٦٢: ﴿وقال لفتيانِه﴾** لغلمانه **﴿اجعلوا بضاعتَهم﴾** التي قدمُوا بها ليَمتارُوا عِوَضاً عنها، **﴿في رحالهم﴾** في أمتعتهم **﴿لعلّهم يعرفونها إذا انقلبُوا إلى أبيهم لعلّهم يرجِعُون﴾** بها؛ خشِيَ أنْ لا يكون عندهم بضاعة أُخرى يرجعون للميرة بها، وأراد أن يردّهم إذا وجدوها في متاعهم **٦٣: ﴿فلمّا رجعُوا إلى أبيهم قالُوا يا أبانا مُنِعَ مِنّا الكيلُ﴾** إن لم ترسل معنا بنيامين **﴿فأرسلْ معنا أخانا نكتلْ وإنّا له لحافِظون﴾** فلا تخف عليه فإنّه سيرجع إليك.

الآية: ٥٦ قوله تعالى: ﴿ ولا نُضيعُ أجرَ المحسنين ﴾ روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: « سَدِّدُوا وقارِبُوا، واعلموا أنّه لن يُدخلَ أحدَكم عملُهُ الجنّة [أي: بفضل الله تعالى، ثم ينال مراتب الجنّة بعمله] وإنّ أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قلَّ». وفي رواية لمسلم: «وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملتِ العملَ لزَمْتهُ». وروى الترمذي أن عائشة وأُمّ سلمة سُئلتَا: أيُّ العملِ كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ قالتا: ما دِيمَ عليه، وإن قلَّ. /الترغيب ج٤/١٢٨ – ١٢٩.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٦٤: ﴿قالَ هلْ آمَنُكُم عليه إلّا كما أمِنتُكم على أخيهِ من قبلُ﴾ هل أنتم صانعون به إلّا كما صنعتُم بأخيه من قبلُ؟ تغيّبونه عنّي وتحولون بيني وبينه؟ **﴿فاللهُ خيرٌ حافظاً وهو أرحمُ الراحمين﴾** سيرحم كبري وضعفي ووَجْدي بولدي، أرجو من الله أن يردَّهُ عليّ **٦٥: ﴿ولمّا فتحُوا متاعَهم وجدُوا بِضاعَتَهم رُدّتْ إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾** ماذا نريد **﴿هذه بضاعَتُنا رُدّتْ إلينا﴾** وقد أوْفى لنا الكيلَ **﴿ونميرُ أهلَنا﴾** إذا أرسلتَ أخانا معنا نأتي بالميرة إلى أهلنا **﴿ونحفَظُ أخانا ونزدادُ كيلَ بعيرٍ ذلكَ كَيْلٌ يسيرٌ﴾** هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ما يعدل هذا **٦٦: ﴿قالَ لن أُرْسِلَهُ معكم حتى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِن اللهلتأْتُنّني به﴾** تحلِفون بالعُهود والمواثيق **﴿لتأْتُنّني بهِ إلّا أنْ يُحاطَ بكم﴾** إلّا أن تُغلَبُوا كلكم ولا تقدرون على تخليصه، **﴿فلمّا آتَوْهُ مَوْثِقَهم﴾** وأكّده عليهم **﴿قالَ اللهُ على ما نقولُ وكيلٌ﴾** وذلك لأنّه لم يجد بُدّاً من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنى عنها، فبعثَهُ معهم **٦٧: ﴿وقال يا بَنِيَّ لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلُوا من أبوابٍ متفرِّقةٍ﴾** خشي عليهم أن يصيبهم النّاس بعيونهم، إنّهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة وبهاء، فإنّ العينَ حقٌّ، **﴿وما أُغني عنكم مِن اللهِ مِن شيءٍ﴾** هذا الاحتراز لا يردُّ قدرَ اللهِ وقضاءَه **﴿إنِ الحُكْمُ إلّا للهِ عليه توكلتُ وعليه فليتوكَّلِ المتوكلون﴾ ٦٨: ﴿ولمّا دخلُوا مِن حيثُ أمرَهم أبوهم ما كان يُغني عنهم مِن اللهِ مِن شيءٍ إلّا حاجةً في نفسِ يعقوبَ قضاها﴾**، وهي دفع إصابة العين لهم. [دلّت الآية على أنّ المسلم يجب عليه أن يُحذِّرَ أخاه مِمّا يخاف عليه، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة، فإنّ الدِّين النصيحة والمسلم أخو المسلم]. **﴿وإنّه﴾** [يعني يعقوب] **﴿لَذُو علمٍ لِما علّمناهُ﴾** لذو علمٍ لتعليمنا إيّاه، **﴿ولكنّ أكثرَ النّاس لا يعلمون﴾** [أي: لا يعلمون ما يعلم يعقوب من أمر دينه]. **٦٩: ﴿ولمّا دخلوا على يُوسُفَ آوى إليهِ أخاهُ﴾** ولمّا قدمُوا على يوسف ومعهم أخوه بنيامين، أدخلهم دار كرامته وأفاض عليه صلته وإحسانه، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له و**﴿قال إنّي أنا أخوكَ فلا تبتئِسْ بما كانوا يعملون﴾** لا تأسف على ما صنعوا بي، وأمره بكتمان ذلك عن إخوته، وأن لا يُطلعهم على ما أطلعه عليه من أنّه أخوه، وتواطأ معه أنّه سيحتال على أن يبقيه عنده معزّزاً مكرّماً معظّماً.

الآية: ٦٤ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ماأنعم اللهُ على عبدٍ نعمةً في أهلٍ ومالٍ ووَلَدٍ فقال: «ماشاءَ اللهُ لاقوّةَ إلّا بالله» فيرَى فيها آفةً دُونَ الموت». رواه الطبراني/مجمع الزوائد ج١٠/١٤٠ وفي إسناده ضعف.

الآية: ٦٧ قال ابن كثير: يقول تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام إنه أمر بنيه لّما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فإنّه كما قال ابن عباس: إنّه خشي عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظرٍ وبهاءٍ فخشي عليهم أن يُصيبهم الناس بعيُونهم فإنّ العين حق تستنزل الفارسَ عن فرسه.

وروى ابن أبي حاتم في قوله: ﴿ وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ قال: علم أنه سيلقى إخوته في بعض تلك الأبواب. وقوله ﴿ وما أغني عنكم من الله من شيء ﴾ أي أن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءَهُ فإن الله إذا أراد شيئاً لا يُخالف ولا يُمانع. /ابن كثير ج٢/٤٨٤.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

ربع الحزب ٢٥

٧٠: ﴿فلمّا جهّزهم بجهازِهم جعلَ السِّقايَةَ في رَحْلِ أخيه﴾ لمّا حمل لهم إبلهم طعاماً أمرَ بعض فتيانه أن يضع السّقاية، وهو الكيل، في متاع بنيامين من حيث لا يشعرون، **﴿ثم أذّنَ مؤذّنٌ﴾** نادى منادٍ بينهم **﴿أيّتُها العِيرُ﴾** [أي: يا أصحاب العير. والعير الإبل المرحُولة المركوبة]، **﴿إنّكم لسارِقون﴾** فالتفتُوا إلى المنادي وقالوا **﴿ماذا تفقِدُون﴾** ؟ ٧١: **﴿قالوا وأقبلُوا عليهم ماذا تفقِدُون﴾**؟ ٧٢: **﴿قالوا نفقِدُ صُواعَ المَلِكِ﴾** صاعه الذي يكيل فيه، **﴿ولِمَنْ جاءَ بهِ حِمْلُ بعيرٍ﴾** وهذا من باب الجُعالة، **﴿وأنا بهِ زعيمٌ﴾** [أي: كفيل] وهذا من باب الضمان والكفالة **٧٣: ﴿قالوا تاللهِ لقدْ علِمْتُمْ ما جئنا لنفسِدَ في الأرضِ وما كنّا سارقين﴾** لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمُونا؛ لأنّهم شاهدُوا منهم سيرةً حسنةً، أنّا ما جئنا لنفسدَ في الأرض وما كنّا سارقين، أي: ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة، فقال لهم الفتيانُ: **٧٤: ﴿قالوا فما جزاؤُهُ إن كنتم كاذبين﴾** إن كان السارق فيكم فأيُّ شيء تكون عقوبته إن وجدنا فيكم مَن أخذه؟ **٧٥: ﴿قالوا جزاؤُهُ مَن وُجِدَ في رحلِهِ فهو جزاؤُهُ كذلك نجزي الظالمين﴾** وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام أنّ السارق يُدفع إلى المَسْرُوق منه، وهذا الذي أراد يُوسفُ عليه السلام، ولهذا بدأ بأوعيتهم **٧٦: ﴿فبدأَ بأوعيتِهم قبلَ وِعاءِ أخيه﴾** فتشها قبله توريةً، **﴿ثم استخرجها مِن وعاءِ أخيه﴾** فأخذه منهم بحكم اعترافهم، وألزمهم بما يعتقدونه ولهذا قال تعالى: **﴿كذلكَ كِدْنا ليوسفَ﴾** وهذا مِن الكيد المحبوب المراد، الذي يُحبُّهُ اللهُ ويرضاه لِما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة. **﴿ما كان ليَأخُذَ أخاهُ في دِينِ المَلِك﴾** لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر، وإنّما قيّض اللهله أن التزم له إخوته بما التزموه، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم، ولهذا مدحَهُ اللهُ تعالى: **﴿نرفعُ درجاتٍ مَنْ نشاءُ وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ﴾** ليس عالم إلّا فوقه عالم حتى ينتهي إلى اللهعزّ وجلّ **٧٧: ﴿قالوا إنْ يسْرُقْ فقدْ سَرقَ أخٌ لهُ مِن قبلُ﴾** يتنصّلُون إلى العزيز بالتشبيه بأخ له من قبل، يعنون به يوسف، **﴿فأسرَّها يُوسُفُ في نفسِه ولم يُبْدِها لهم﴾** يعني الكلمة التي بعدها وهي قوله: **﴿أنتم شرٌّ مكاناً واللهُ أعلمُ بما تصفون﴾ ٧٨: ﴿قالوا يا أيّها العزيزُ إنّ له أباً شيخاً كبيراً﴾** شرعُوا يترقّقون له، **﴿فخُذْ أحدَنا مكانه﴾** بَدَله يكون عوضاً عنه **﴿إنّا نراكَ مِن المحسنين﴾**.

الآية: ٧٦ روى البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لم يكن رسولُ الله ﷺ فاحِشاً ولا مُتفحشاً، وكان يقول: «إنّ من خيارِكم أحاسنكم أخلاقاً». وروى مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن البِرّ والإثم؟ فقال: «البِرُّ حُسْنُ الخُلق، والإثم ما حاك في صدرِك وكرهتَ أن يطّلعَ عليه النّاس». وروى الترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يومَ القيامة من خُلق حَسَن، وإنّ اللهَ يُبغض الفاحِشَ البذيء». وروى الترمذي بإسناد حسن والحاكم وصححه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً، وألطفُهم بأهلِهِ». /الترغيب ج٤ /٤٠٢ – ٤٠٣.

الآية: ٧٨ عن أبي بكرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللّهمَّ رحمتَكَ أرجُو، فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إلٰهَ إلّا أنتَ» رواه أبو داود رقم ١٥٢٥/وإسناده حسن.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٧٩: **﴿قال معاذَ اللهِ أن نأخُذَ إلّا مَن وجدنا متاعَنا عندَه﴾** كما اعترفتم، **﴿إنّا إذاً لظالمون﴾** إنْ أخذنا بريئاً بسَقِيم ٨٠: **﴿فلمّا استيئسُوا منه﴾** فلما يئِسُوا من تخليص أخيهم بنيامين الذين قد التزموا لأبيهم بردّه إليه وعاهدوه على ذلك فامتنع عليهم ذلك **﴿خَلَصُوا نجيّاً﴾** انفردُوا عن النّاس يتناجَوْن فيما بينهم، **﴿قال كبيرهم ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم مَوْثِقاً من الله﴾** لتردنّه إليه، فقد رأيتم كيف تعذّر عليكم، **﴿ومِن قبلُ ما فرّطتُم في يوسف﴾** مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه **﴿فلن أبرحَ الأرض﴾** لن أفارق هذه البلدة **﴿حتى يأذنَ لي أبي﴾** في الرجوع إليه راضياً عنّي **﴿أو يحكم الله لي﴾** بأن يمكنني من أخذ أخي **﴿وهو خير الحاكمين﴾** ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع، حتى يكون عذراً لهم عنده ٨١: **﴿ارجِعُوا إلى أبيكم فقولُوا يا أبانا إنّ ابنكَ سَرَقَ وما شهِدنا إلّا بما علِمنا﴾** يتنصَّلون إليه ويتبرّؤون مِمّا وقع، **﴿وما كنّا للغيبِ حافظين﴾** ما علمنا في الغيب أنّه سرقَ له شيئاً، إنّما سألنا ما جزاء السارق؟ ٨٢: **﴿واسألِ القرية التي كنّا فيها﴾** [أي: أهل مصر] **﴿والعِيرَ التي أقبلنا فيها﴾** التي رافقناها، [أي: اسأل أصحاب العير] عن صدقنا وأمانتنا **﴿وإنّا لصادقون﴾** فيما أخبرناك به من أنّه سرقَ وأخذوه بسرقته ٨٣: **﴿قال بلْ سَوّلتْ لكم أنفُسُكم أمراً فصبرٌ جميل﴾** اتّهمهم، فظنّ أنّها كفعلتهم بيوسف. أي: كان صنيعهم هذا مرتباً على فعلهم الأول، ثم ترجّى من الله أن يردّ عليه أولاده الثلاثة: يوسف وأخاه بنيامين وروبيل –كبيرهم– الذي أقام بمصر ينتظر أمرَ الله فيه، **﴿عسى اللهُ أن يأتِيَني بهم جميعاً إنّه هو العليم الحكيم﴾** في أفعاله وقضائه وقدره ٨٤: **﴿وتولّى عنهم وقال يا أسَفَا على يُوسفَ﴾** أعرض عن بنيه متذكراً حزن يوسف القديم، جدّدَ لهُ حُزنُ الابنين الحُزْنَ الدفين **﴿وابيضتْ عيناه مِن الحُزْنِ فهو كظيم﴾** ساكت لا يشكُو أمرَهُ إلى مخلوق ٨٥: **﴿قالُوا تاللهِ تفتؤُ تذكرُ يُوسف﴾** لا تفارق تذكر يوسف **﴿حتى تكونَ حَرَضاً﴾** ضعيفَ القوّة **﴿أو تكونَ مِن الهالكين﴾** إنِ استمرّ بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف ٨٦: **﴿قال إنّما أشكُو بَثّي﴾** همّي **﴿وحُزني إلى الله﴾** وحده، **﴿وأعلمُ مِن اللهِ ما لا تعلمون﴾**، فأرجو منه كلَّ خير، أي: يعلمُ أن رؤيا يوسف صدقٌ وأنّ الله لا بُدَّ أن يُظهرَها.

الآية ٨٣: روى الترمذي بإسناد حسن عن أنس أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ الدعاء أفضلُ؟ قال: سَلْ ربَّكَ العافية والمُعافاةَ في الدنيا والآخرة، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله أيُّ الدعاء أفضل؟ فقال له مثلَ ذلِك، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، قال: فإذا أعطيتَ العافيةَ في الدنيا وأعطيتَها في الآخرة فقد أفلحتَ».

الآية ٨٤: روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومَنْ يتصبّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسعَ من الصبرِ». وروى الطبراني والحاكم وصحّح إسناده عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «أربعٌ لا يُصَبْنَ إلاّ بعَجَبٍ: الصبرُ وهو أوّل العبادة، والتواضع، وذكرُ اللهِ، وقِلّةُ الشيء». /الترغيب ج٤ ٢٧٥ – ٢٧٦/

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٨٧: ﴿يا بَنِيّ اذْهَبُوا فتحسَّسُوا مِن يُوسفَ وأخيه﴾ التَّحسُّسُ في الخير، والتجسُّسُ في الشرّ **﴿ولا تَـأْيئسُـوا مِن رَوْحِ اللهِ﴾** لا تقطعُوا الرجاء من الله **﴿إنّه لا يَأْيْئَسُ مِن رَوْحِ اللهِ إلّا القومُ الكافِرون﴾**، [أي: إنّ المؤمن يرجو فرج الله في الشدّة، والكافر يقنط في الشدّة] **٨٨: ﴿فلمّا دخلوا عليه قالوا يا أيّها العزيزُ مسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ﴾** من الجَدْب والقحط وقلّة الطعام **﴿وجئنا ببضاعة مُزْجاةٍ﴾** ومعنا ثمن الطعام الذي نمتارُهُ، وبضاعتنا كاسدةٌ لا تنفق، **﴿فأوفِ لنا الكيلَ﴾** أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنتَ تعطينا مِن قبلُ **﴿وتصدّقْ علينا﴾** بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوّز فيها **﴿إنّ اللهَ يجزي المتصدِّقين﴾ ٨٩: ﴿قالَ هلْ علمتُم ما فعلتُم بيُوسفَ وأخيه إذْ أنتم جاهِلُون﴾**؟! لما ذكرَ له إخوتُهُ ما أصابهم من الجَهد والضيق وتذكر أباه وما هو فيه من الحُزن لفقد ولديه، فأخذته رقةٌ ورأفةٌ على أبيه وإخوته، وبدرَهُ البكاء فتعرّف إليهم **٩٠: ﴿قالوا أئِنّكَ لأنتَ يوسف﴾** الاستفهام للاستعظام، أي: إنّهم تعجَّبُوا من ذلك أنّهم يتردّدون إليه من سنتين وأكثرهم لا يعرفونه، وهو يعرفهم ويكتم نفسَه. **﴿قال أنا يوسف وهذا أخي قد مَنّ اللهُ علينا﴾** بجمعه بيننا بعد الفُرقة وبُعْدِ المُدّة، **﴿إنّه مَن يتّقِ ويصبرْ فإنّ الله لا يُضيعُ أجرَ المحسنين﴾ ٩١: ﴿قالوا تاللهِ لقدْ آثركَ اللهُ علينا وإنْ كنّا لَخاطِئين﴾**، اعترفوا له بالفضل والأثَرَةِ عليهم، وأقرُّوا له بأنّهم أساؤوا إليه وأخطؤوا في حقه **٩٢: ﴿قال لا تثريبَ عليكم اليوم﴾** لا تأنيبَ عليكم ولا أعتب عليكم ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقّي بعد اليوم، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال: **﴿يغفرُ اللهُ لكم وهو أرحمُ الراحمين﴾** اعتذروا إليه، فدعا لهم أن يستر اللهُعليهم ويرحمهم **٩٣: ﴿اذْهَبُوا بقَمِيصِي هذا فألْقُوهُ على وجهِ أبي يأتِ بصيراً﴾** وكان قد عمي من كثرة البُكاء **﴿وأْتُوني بأهلِكم أجمعين﴾** بجميع آل يعقوب **٩٤: ﴿ولمّا فصَلَتِ العِيرُ﴾** خرجت من مصر **﴿قال أبُوهم﴾** يعقوب لمن بقي عنده مِن بنيهِ **﴿إنّي لأجِدُ ريحَ يُوسفَ لولا أن تفنّدُون﴾** تنسبوني إلى الكِبَر. قال ابن عباس: لمّا خرجت العِيرُ هاجتْ ريحٌ فجاءت بريح قميص يوسف **٩٥: ﴿قالوا تاللهِ إنّكَ لفِي ضلالِكَ القديم﴾** لفي خطئِكَ القديم، من حُبٍّ لا تنساه ولا تسلاه، قالوا له كلمة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها.

الآية : ٨٨ قال ابن كثير : قال سعيد بن جبير والسدي ﴿ وتصدّقْ علينا ﴾ يقولون تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوّز فيها . وسئل سفيان بن عيينة هل حرّمتِ الصدقةُ على أحد من الأنبياء قبل النبي ﷺ ؟ فقال : ألم تسمع قوله ﴿ فأوفِ لنا الكيل وتصدّقْ علينا إنّ الله يجزي المتصدقين ﴾ ؟ .

وروى ابن جرير عن عثمان بن الأسود سمعت مجاهداً وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق عليّ ؟ قال : نعم إنّما الصدقة لمن يبتغي الثواب .

الآية : ٩٤ روى عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : سمعت ابن عباس يقول : ولمّا فصلت العير ، قال : لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال ﴿ إني لأجد ريحَ يوسف لولا أن تفندون ﴾ قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام . /ابن كثير ج٢/٤٨٩ .

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

نصف الحزب ٢٥

٩٦: ﴿**فلمّا أن جاءَ البشيرُ**﴾ وكان الذي جاء هو الذي جاء بالقميص بدمٍ كذب، فأحبّ أن يغسلَ ذلك بهذا، فجاء بالقميص ﴿**ألقاهُ على وجهِهِ فارتدَّ بصيراً**﴾ فرجع بصيراً، وقال لبنيه عند ذلك: ﴿**ألم أقلْ لكم إنّي أعلمُ مِنَ اللهِ ما لا تعلمون**﴾ أعلم أنّ اللهسيردُّهُ إليّ وقلتُ لكم: ﴿إنّي لأجدُ ريحَ يوسف﴾؟! فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له: **٩٧**: ﴿**قالوا يا أبانا استغفرْ لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين**﴾ **٩٨**: ﴿**قال سوف أستغفرُ لكـم ربي إنّه هو الغفورُ الرحيمُ**﴾ مَن تابَ تابَ الله عليه **٩٩**: ﴿**فلمّا دخلوا على يُوسفَ آوى إليـه أبويه**﴾ خرجوا من بلاد كنعان قـاصـدين بـلاد مصر، فلـمّـا أُخبِرَ يوسفُ باقترابهم خرج لتلقيهم فآوى إليه أبويه ﴿**وقال ادخُلوا مصرَ إنْ شـاءَ اللهُ آمنين**﴾ اسكنوا مصر إنْ شاء الله آمنين من القحط والجهد ﴿**ورفَعَ أبويه على العرش**﴾ السرير، أي: أجلسهما معه على سريره، ﴿**وخرُّوا له سُجّداً وقالَ يا أبتِ هذا تأويلُ رُؤيايَ من قبلُ قد جعلها ربّي حقاً**﴾ سجد له أبواه وإخوته وكانوا أحدَ عشرَ رجلاً، وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلَّموا على الكبير [وكان بين رؤيا يوسف وبين تأويلها اثنتان وعشرون سنة]، ﴿**هذا تأويلُ رؤيايَ**﴾ هذا ما آلَ إليه الأمر، فإنّ التأويل يُطلق على ما يصير إليه الأمر. ﴿**وقد أحسـنَ بي إذْ أخرجني مِن السجن وجاءَ بكُـم مِنَ البَدْوِ**﴾ البادية، وكانوا من أهل بادية وماشية﴿**مِنْ بعدَ أنْ نزغَ الشيطانُ بيني وبين إخوتي إنّ ربّي لطيفٌ لِما يشاء**﴾ إذا أراد أمراً قيّض له أسباباً وقدّره ويسرّه ﴿**إنّه هو العليمُ**﴾ بمصالح عباده ﴿**الحكيمُ**﴾ في أقواله وقضائه. **١٠١**: ﴿**ربِّ قد آتيتني مِنَ المُلْكِ وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السمواتِ والأرضِ أنتَ وليي في الدنيا والآخرة**﴾ هذا دعاء من يوسف دعا به ربَّه لّما تمتْ عليه النعمة باجتماعه بأبويه وإخوته، وما مَنّ اللهبه عليه من النبوّة والمُلْك، ثم سأل ربَّه أن يتمّ عليه نعمته في الآخرة كما أتمّها عليه في الدنيا، ﴿**توفّني مسلماً والحقني بالصالحين**﴾ النبيين والمرسلين **١٠٢**: ﴿**ذلك**﴾ يا محمد ﴿**من أنباء الغيب**﴾ من أخبار الغيوب السابقة ﴿**نُوحِيهِ إليك**﴾ للعبرة والاتعاظ ﴿**وما كنتَ لديهم إذْ أجمعوا أمرهم**﴾ ما كنت حاضراً عندهم إذ أجمعوا أمرهم على إلقائه في الجُبِّ ﴿**وهم يمكرون**﴾ به **١٠٣**: ﴿**وما أكثرُ النّاسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين**﴾، [نزلت الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أي: ليس تقدر على هداية مَن أردتَ هدايتَهُ].

الآية : ١٠٠ ورد في الحديث أنّ معاذاً قد قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ فقال : « ما هذا يا معاذ »؟، فقال : إنّي رأيتُهم يسجدون لأساقفتهم وأنتَ أحقّ أن يُسجَدَ لك يا رسول الله !؟ فقال : « لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسْجُدَ لزوجها لعظم حقّه عليها » . وفي حديث آخر : إنّ سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديثَ عهدٍ بالإسلام فسجدَ للنبي ﷺ فقال : « لا تسْجُدْ لي يا سلمان واسْجُد للحيّ الذي لا يموت » . والغرض أنّ هذا كان جائزاً في شريعتهم ولهذا خرّوا سُجّداً فعندها قال يوسف : ﴿ يا أبتِ هذا تأويل رُؤيايَ من قبلُ قدْ جعلَها ربّي حقّاً ﴾ أي هذا ما آل إليه الأمر فإن التأويل يُطلق على ما يصير إليه الأمرُ . /ابن كثير ج٢/٤٩١ .

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٤: ﴿وما تسألهم عليه مِن أجرٍ﴾ ما تسألهم يا محمد على هذا النصح والدعاء إلى الخير من أجر، بل افعله ابتغاء وجه اللهونصحاً لخلقه **﴿إنْ هو إلّا ذكرٌ للعالَمين﴾** ليتذكروا به ويهتدوا وينجوا به في الدنيا والآخرة **١٠٥: ﴿وكأيّنْ مِن آيةٍ في السمواتِ والأرضِ يمرُّون عليها وهم عنها معرِضُون﴾**؟ يخبر تعالى عن غفلة أكثر النّاس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه في السموات والأرض **١٠٦: ﴿وما يُؤمِنُ أكثرُهم باللهِ إلّا وهم مشركون﴾** وفي الصحيحين: «إنّ المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريكَ لكَ، إلّا شريكٌ هو لك، تملِكُهُ وما مَلَكْ». قال ابن عباس: من إيمانِهم أنّهم إذا قيل لهم: مَن خلق السموات؟ ومن خلق الأرض؟ ومَن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون به **١٠٧: ﴿أفأمِنُوا أن تأتيَهم غاشيةٌ مِن عذابِ اللهِ أو تأتيَهُمُ الساعةُ بغتةً وهم لا يشعرون﴾**؟! أفأمِنَ هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمرٌ يغشاهم من حيث لا يشعرون؟ **١٠٨: ﴿قُلْ هذه سبيلي أدْعُوا إلى اللهِ على بصيرة﴾** أمر اللهتعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُخبر النّاس أنّ هذه سبيله ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك، يدعو إلى الله بها على بصيرة ويقين من ذلك. **﴿وسبحانَ اللهِ﴾** أنزّهُ اللهَ وأجلّه وأعظمه وأقدّسه **﴿وما أنا مِن المشركين﴾** **١٠٩: ﴿وما أرسلنا مِن قبلكَ إلّا رجالاً نُوحِي إليهم مِن أهلِ القرَى﴾** ليسُوا من أهل السماء كما قلتم [يا معشر المشركين] قال تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلَكَ من المرسلين إلّا إنّهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾. **﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾** هؤلاء المكذبين لك يا محمد **﴿فينظرُوا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم﴾** من الأمم المكذبة للرسل كيف دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالُها. **﴿ولَدَارُ الآخرة خيرٌ للذين اتقوا﴾** كما نجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير. **﴿أفلا تعقِلُون﴾**؟! **١١٠: ﴿حتى إذا استيئسَ الرسلُ وظنّوا أنّهم قدْ كُذِبُوا جاءهم نصرُنا﴾** إنّه تعالى ينزل على رسله عند الضيق وانتظار الفرج من اللهفي أحوج الأوقات **﴿فنُجّيَ مَن نشاءُ﴾**، [الأنبياء ومَن آمَنَ معهم]، **﴿ولا يُرَدُّ بأسُنَا عن القوم المجرمين﴾** [أي: عذابنا] **١١١: ﴿لقد كانَ في قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لأولي الألباب﴾** لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم عبرة لأولي العقول، و**﴿ما كان﴾** هذا القرآن **﴿حديثاً يُفترى﴾** يُختلق **﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾** من الكتب المنزّلة من السماء، وهو يُصدّق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف، **﴿وتفصيلَ كلِّ شيئٍ﴾** من تحليل وتحريم، وأمرٍ بالطاعات والواجبات، والإخبار عن الغيوب، والإخبار عن الربّ تبارك وتعالى بالأسماء والصفات، **﴿وهدىً﴾** تهتدي به القلوبُ **﴿ورحمةً لقوم يُؤمنون﴾** يبتغون به الرحمة من ربِّ العباد.

الآية: ١٠٦ روى الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ علّق تميمةً فقد أشرك». وفي رواية «مَنْ علّق تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له ومَنْ تعلّقَ وَدَعةً فلا ودَعَ الله لهُ». وعن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك مَنْ عمل عملاً أشركَ فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَهُ» رواه مسلم. /ابن كثير ج٢/٤٩٢.

سُورَةُ الرَّعْدِ

ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

علامة الربع الحزب ٢٥

تفسير سورة الرعد

١ : ﴿**الٓمٓر تلكَ آياتُ الكتاب**﴾ هذه ايات القرآن ﴿**والذي أُنزِلَ إليكَ**﴾ يامحمد ﴿**مِن ربِّك الحقُّ**﴾ [لا كما يقول المشركون]، ﴿**ولكنّ أكثرَ النّاسِ لايُؤمنون**﴾ مع هذا البيان والوضوح لايُؤمن أكثرهم لِما فيهم من الشقاق والعِناد والنفاق **٢** : ﴿**اللهُ الذي رفع السموات بغير عَمَدٍ ترونها**﴾ يُخبر تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه رفع السموات عن الأرض بُعْداً لاتُنال ولايُدرك مداها. ﴿**بغير عَمَدٍ ترونَها**﴾ لها عَمَدٌ ولكن لاتُرى، ﴿**ثم استوى على العرش**﴾، نَسْلُكُ في هذا المقام مذهب السلف الصالح، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولاتعطيل[1] . وفي الحديث: «ماالسموات السبع ومافيهنّ في الكرسيّ إلا كحلقة بأرض فلاة، والكرسي في العرش المجيد كتلكَ الحلقة في تلك الفلاة»، وفي رواية: «والعرش لايقدر قَدْرَهُ إلّا الله عزّ وجلّ». ﴿**وسخّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مُسمّى**﴾ يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة، ﴿**يُدبّرُ الأمرَ يُفصّلُ الآياتِ لعَلّكم بلقاءِ ربِّكم تُوقنون**﴾ يُوضح الآيات والدلالات الدالة على أنّه لا إله إلّا هو، وأنّه يعيد الخلق إذا شاء كما بَدَأَهُ **٣** : ﴿**وهو الذي مَدَّ الأرضَ**﴾ جعلها متّسعة ممتدّة في الطول والعرض ﴿**وجعل فيها رَواسيَ**﴾ وأرساها بجبال راسيات شامخات ﴿**وأنهاراً ومِن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**﴾ وأجرى فيها الأنهار والعيون ليسقى ماجعل فيها من الثمرات المختلفة والأشكال والطعوم والروائح، ومن كل شكل صنفان، ﴿**يُغشي اللّيلَ النهار**﴾ جعل كلاً منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرُون**﴾ في آلاء الله وحِكَمِهِ ودلائله **٤** : ﴿**وفي الأرضِ قِطَعٌ متجاوراتٌ وجنّاتٌ من أعنابٍ**﴾ أراضٍ يُجاور بعضها بعضاً، فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء ﴿**وجنّاتٌ من أعناب وزرعٌ ونَخيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صِنوان**﴾، الصنوان: الأصولُ المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك، ﴿**وغير صنوان**﴾ وهو ماكان على أصلٍ واحد كسائر الأشجار فهذا كله مِمّا يدل على الفاعل المختار لا إله إلّا هو لا ربَّ سواه ﴿**يُسْقَى بماءٍ واحد ونُفَضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ**﴾ فهذا في غاية الحلاوة، وهذا في غاية الحموضة، وهذا مرٌّ وهذا حلو وهذا عذبٌ،وهذا جَمَعَ هذا وهذا ثم يستحيلُ إلى طعم آخر بإذن الله تعالى. ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون**﴾ **٥** : ﴿**وإنْ تعجبْ**﴾ يامحمد من تكذيب المشركين بالمعاد مع مايُشاهدونه من آيات الله في خلقه ﴿**فعجبٌ قولُهم**﴾ فالعجب من قولهم: ﴿**أئذا كُنّا تراباً أئنّا لفي خلق جديد**﴾؟ ﴿**أولئك الذين كفروا بربِّهم وأولئك الأغلالُ في أعناقهم**﴾ يُسْحَبُون بها في النّار ﴿**وأولئك أصحابُ النّار هم فيها خالدون**﴾ لايحولون عنها ولايزولون.

---

(١) انظر تفسير آية ٥٤ من سورة الأعراف.

الآية : ٢ ورد في الحديث : « ما السموات السبع وما فيهنّ وما بينهنّ في الكرسي إلا كحلقة مُلْقاةٍ بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة » . وفي رواية : « العرش لا يقدر قدره إلاّ اللهُ عزّ وجلّ » وجاء عن بعض السلف أنّ بُعْدَ ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة وبُعْدَ ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة » . /ابن كثير ج٢/٤٩٩ .

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾

٦: **﴿ويستعجلونك﴾** هؤلاء المكذّبون **﴿بالسَّيِّئَةِ قبلَ الحَسَنَةِ﴾** بالعقوبة **﴿وقد خلَتْ مِن قبلهم المَثُلاتُ﴾** قد أوقعنا نِقَمنا بالأمم الخالية وجعلناهم عبرةً وعِظةً لمن اتعظ بهم. **﴿وإنّ ربَّكَ لَذُو مغفرةٍ للنّاس على ظلمهم﴾** إنّه تعالى ذو عفوٍ وصفح وستر للنّاس مع أنّهم يظلمون ويُخطِئون بالليل والنهار، **﴿وإنّ ربّك لشديدُ العِقاب﴾** ثم قَرَنَ هذا الحكم بأنّه شديد العقاب [لمن لم يتب] ليعتدل الرجاء والخوف. ٧: **﴿ويقولُ الذين كفروا لولا أُنزلَ عليه آيةٌ مِن ربِّه﴾** إنهم تعنّتوا عليه ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يُزيحَ عنهم الجبال ــ جبال مكة ــ ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً. **﴿إنّما أنتَ مُنذِرٌ﴾** إنّما عليك أن تُبلّغ رسالةَ الله التي أمرك بها، **﴿ولكلِّ قومٍ هادٍ﴾** داعٍ يدعوهم إلى الله عزّ وجل. ٨: **﴿اللهُ يعلمُ ماتحملُ كلُّ أنثى وماتغِيضُ الأرحامُ﴾** يُخبر تعالى عن تمام علمه الذي لايخفى عليه شيء، وأنّه محيطٌ بما تحمله الحوامل من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح أو شقي أو سعيد، ويعلم ماتُسقِط الأرحام **﴿وماتزداد﴾** مازادت في الحمل. ومنهنّ مَن تزيدُ في الحمل ومنهنّ من تنقص، فذلك الغيض والزيادة. **﴿وكلُّ شيءٍ عندَهُ بمقدار﴾** بأجل؛ حفظ سبحانه أرزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك أجلاً معلوماً. ٩: **﴿عالِمُ الغيبِ والشهادة﴾** يعلم كلَّ شيء مّما يُشاهدُهُ العبادُ ومِمّا يغيب عنهم **﴿الكبيرُ المُتعالِ﴾** الذي هو أكبر من كل شيء وعالٍ عليه، وقهرَ كلَّ شيءٍ فخضعت له الرقاب ودان له العباد طَوْعاً أو كَرْهاً. ١٠: **﴿سواءٌ منكم مَن أسرّ القولَ ومَن جَهَرَ بِهِ ومَن هو مستخفٍ بالليلِ وساربٌ بالنهار﴾** يُخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، وأنّه سواءٌ منهم مَن أسرَّ قولَهُ أو جهرَ به فإنّه يسمعه لايخفى عليه شيء. ١١: **﴿له مُعقبات من بين يديه ومن خلفه﴾** للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرسٌ بالليل وحرسٌ بالنّهار **﴿يحفظونه مِن أمر الله﴾**، [أي: بما أمرهم الله به]، والمعقبات من الله هي الملائكة، وفي الصحيح: «يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار» الحديث. **﴿إنّ الله لايُغيرّ مابقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم﴾**، [أخبر تعالى أنّه لايُغيرّ مابقوم حتى يقعَ منهم تغيير، إمّا منهم أو من النّاظر لهم، أو مِمّن هو منهم بسبب] ومعناها أيضاً: [**﴿إنّ الله لايُغيّر مابقوم﴾** من النعمة والعافية **﴿حتى يُغيّروا مابأنفسهم﴾** من طاعة الله. والمعنى: أنه تعالى لايسلب قوماً نعمةً حتى يغيّروا مابأنفسهم من الخير]، **﴿وإذا أرادَ اللهُ بقوم سوءاً فلامردَّ له وماهم من دُونِهِ مِن والٍ﴾** [ملجأ]. ١٢: **﴿هو الذي يُريكم البرقَ خوفاً وطمعاً﴾** وهو مايُرى من النور اللامع، **﴿خَوْفاً﴾** من أذاه ومشقته **﴿وطمعاً﴾** ببركته ومنفعته **﴿ويُنشيء السَّحابَ الثِّقالَ﴾** ويخلقها مُنشأةً جديدة، وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة من الأرض. ١٣: **﴿ويُسبِّح الرعدُ بحمدِه والملائكةُ من خيفته﴾** هذا وعيدٌ شديدٌ لأهل الأرض. ومن قال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته لم تُصبْهُ صاعقة. **﴿ويُرسلُ الصَّواعِقَ فيُصيبُ بها مَن يشاء﴾** فينتقم بها مّمن يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان **﴿وهم يُجادلون في الله وهو شديدُ المِحالِ﴾** يشكون في عظمته، وهو شديدة مُما حلتُهُ في عقوبة من طغى عليه.

الآية: ٩ قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارةُ اللهِ، ومن سعادة ابن آدم رضاهُ بما قضى الله...» رواه أحمد ج١/١٦٨/ وإسناده صحيح

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

سجدة

٢٥١

١٤: ﴿**له دعوةُ الحقّ**﴾ التوحيد؛ لا إله إلّا الله، ﴿**والذين يدعون من دُونِهِ**﴾ الآلهة ﴿**لايستجيبُون لهم بشيءٍ إلّا كباسِطِ كفَّيْهِ إلى الماء ليبلُغَ فَاهُ وماهو ببالغه**﴾ كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لاينالهُ أبداً فكيف يبلغُ فاهُ؟! فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيرَهُ لاينتفعون به أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿**وما دُعاءُ الكافرين إلّا في ضلال**﴾ **١٥**: ﴿**ولله يسجد مَن في السمواتِ والأرض طَوْعاً وكَرْهاً**﴾ يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهرَ كلَّ شيء ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين وكَرْهاً من الكافرين. ﴿**وظلالُهم بالغُدوّ**﴾ البكرات ﴿**والآصال**﴾ وهو آخر النهار. [ومعنى السجود هنا الانقياد؛ فإنّ الكفار ينقادون كرهاً، كما أنّ المؤمنين ينقادون طوعاً] **١٦**: ﴿**قُلْ مَن ربُّ السمواتِ والأرض قلِ الله**﴾ يُقرّر تعالى أنّه لا إله إلّا هو؛ لأنّهم معترفون بأنّه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربُّها ومُدبّرها وهم مع هذا اتخذُوا من دونه أولياء يعبُدونهم؛ ﴿**قُلْ أفاتخذتم من دونِهِ أولياءَ لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضرَّاً**﴾ فهل يستوي من عبدَ هذه الآلهة ومَن عبدَ الله وحدَهُ لاشريك له؟! ﴿**قُلْ هلْ يستوي الأعمى**﴾ الذي جعل مع الله آلهةً ﴿**والبصير**﴾ [الذي عبد الله وحده] ﴿**أم هل تستوي الظلماتُ والنُّور**﴾؟ [أي: الشرك والإيمان] ﴿**أم جعلوا لله شركاءَ خلقُوا كخلقِهِ فتشابَهَ الخلق عليهم**﴾؟! ليس الأمر كذلك فإنّه لايشابهُهُ شيء ولايُماثله [في أقواله وأفعاله وصفاته] ﴿تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً﴾ ﴿**قُلِ اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ وهو الواحدُ القهّارُ**﴾ **١٧**: ﴿**أنزلَ مِن السماء ماءً فسالتْ أوديةٌ بقدَرِها**﴾ اشتملت هذه الآية على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفنائه، ﴿**فاحتملَ السيلُ زبداً رابياً**﴾ فجاء على وجه الماء بزبدٍ عالٍ عليه، هذا مثل وقوله: ﴿**وممّا يُوقِدُون عليه في النّار ابتغاءَ حِلْيَةٍ أو متاعٍ زَبدٌ مثله**﴾ هذا مثل ثانٍ، وهو مايُسبك في النار من ذهب أو فضة ليُجعلَ حِلْيةً ؛ فإنّه يعلُوهُ زبَدٌ منه كما يعلو ذلك زبدٌ منهُ ﴿**كذلك يضرب اللهُ الحقَّ والباطل**﴾ إذا اجتمعَا لاثَباتَ للباطل ولادوام له، كما أنّ الزبد لايثبتُ مع الماء ولا مع الذهب والفضة؛ بل يذهب ويضمحل ، ولهذا قال تعالى: ﴿**فأمّا الزبدُ فيذهبُ جُفاءً وأمّا ماينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض كذلك يضربُ اللهُ الأمثالَ**﴾ **١٨**: ﴿**للذين استجابُوا لربِّهم الحُسْنى**﴾ للذين أطاعوا اللهَ ورسولَهُ وانقادوا لأوامره الجزاءُ الحسن [وهو النعيم المقيم غداً] ﴿**والذين لم يستجيبُوا له لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً**﴾ للذين لم يطيعوا اللهَ، لو أنّ لهم في الدار الآخرة مِلْءُ الأرض ذهباً ﴿**ومثله معه لافتدَوْا بِهِ**﴾ من عذاب الله، ولكن لايُقبل منهم ﴿**أولئك لهم سُوْءُ الحِساب**﴾ يُناقَشُون على النقير والقمطير والجليل والحقير، ومَن نُوقشَ الحسابَ عُذّب ﴿**ومأواهم جهنَّمُ وبئسَ المِهادُ**﴾.

الآية : ١٧ جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكتِ الماء فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا وأصابت طائفةً منها أخرى إنّما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مَثلُ من فَقُهَ في دين الله ونفعه الله بما بعثني ونفع به فعلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدَى الله الذي أرسلتُ به » . /ابن كثير ج٥٠٩/٢ .

الحزب ٢٦

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

١٩: ﴿أفَمَنْ يعلمُ أنّما أُنزِلَ إليك مِن ربِّكَ الحقُّ كمَنْ هو أعمى﴾؟ لايستوي مَن يعلم أنّ الذي أُنزِلَ إليكَ يامحمد من ربِّكَ هو الحق الذي لاشكَّ فيه ولا اختلاف، كمن هو أعمى لايهتدي إلى خير لايفهمه؟ ولو فهمه ماانقادَ له ولاصدّقه، **﴿إنّما يتذكّرُ أُولُوا الألبابِ﴾** أولوا العقول السليمة **٢٠: ﴿الذين يُوفُون بعهدِ اللهِ﴾** [أوامره ونواهيه] **﴿ولا ينقضُون الميثاق﴾** [وهو توحيد الله] وليسُوا كالمنافقين الذين عاهدُوا ثم غدروا. **٢١: ﴿والذين يصِلُون ماأمرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ﴾** مِن صلة الأرحام والإحسان إليهم، وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف، **﴿ويخشَوْن ربَّهم﴾** فيما يأتون ويَذَرُون من الأعمال، أي: يراقِبُون الله في ذلك **﴿ويخافُون سُوْءَ الحساب﴾** في الدار الآخرة، فلهذا هم على الاستقامة في جميع أحوالهم. **٢٢: ﴿والذين صَبرُوا ابتِغاءَ وَجْهِ ربهم﴾** عن المحارم والمآثم فَفَطَمُوا أنفسَهم عنها للهِ عزّ وجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، **﴿وأقامُوا الصلاةَ﴾** على الوجه الشرعي بحدودها وخشوعها، **﴿وأنفقوا مِمّا رزقناهم﴾** على الذين تجب نفقتهم عليهم من زوجات وقرابات وفقراء **﴿سِرّاً وعلانيةً﴾** لم يمنعهم من ذلك حالٌ مِن الأحوال **﴿ويَدْرَؤُون بالحسنة السيّئةَ﴾** يدفعون القبيح بالحسن **﴿أولئك لهم عُقبَى الدار﴾**، ثم فسّرَ ذلك بقوله تعالى: **٢٣: ﴿جنّاتُ عَدْنٍ﴾** العدنُ: الإقامة، أي: جنّات إقامة يخلدون فيها **﴿ومن صلحَ مِن آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم﴾** يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح، لتقرّ أعينهم بهم حتى إنّه يرفع الأدنى إلى الأعلى، **﴿والملائكةُ يدخُلونَ عليهم مِن كلِّ باب﴾** أي يدخلُون عليهم من هاهنا ومن هاهنا للتهنئة يقولون: **٢٤: ﴿سلامٌ عليكم بما صبرتم﴾**، [بصبركم على أمر الله ونهيه] وحصلَ لكم الإقامة في دار السلام، **﴿فنعم عُقبَى الدّار﴾ ٢٥: ﴿والذين ينقُضُون عهدَ اللهِ مِن بعدِ ميثاقِهِ ويقطعُون ماأمرَ اللهُ بهِ أن يُوصلَ ويُفسِدُون في الأرض﴾** هذا حال الأشقياء كما ثبت في الحديث: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتُمِنَ خان»، **﴿أولئك لهم اللعنةُ﴾** وهي الإبعاد عن الرحمة **﴿ولهم سُوْءُ الدار﴾** سوء العاقبة والمآل **٢٦: ﴿اللهُ يبسُطُ الرِّزقَ لمن يشاء ويقدِرُ﴾** وله الحكمة في ذلك، **﴿وفرِحُوا بالحياةِ الدنيا﴾** وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة استدراجاً لهم **﴿وما الحياةُ الدنيا في الآخرةِ إلّا متاعٌ﴾** [من الأمتعة] بالنسبة إلى الآخرة **٢٧: ﴿ويقول الذين كفرُوا لولا أُنزلَ عليهِ آيةٌ مِن ربِّه﴾** [بيّن سبحانه: أنّ اقتراح الآيات على الرسل جهل] **﴿قُلْ إنّ اللهَ يُضلُّ من يشاء ويهدي إليه مَن أنابَ﴾** [أي: ويهدي إلى دينه من رجع إليه بقلبه] **٢٨: ﴿الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكر اللهِ﴾** تطيب وتركن إلى جانب الله **﴿ألا بذكر اللهِ تطمئنّ القلوب﴾** تسكن وترضى به مولىً ونصيراً.

الآية: **٢٣** روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ في الجنة شجرةً يسير الراكبُ في ظلّها مائة عام لا يقطعها». /ابن كثير ج٢/٥١٢.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ طُوبَى لهم﴾ غبطة لهم، ونِعمَ ما لهم، ويُقال للرجل: طُوبَى لك، أي: أصبتَ خيراً، **﴿طُوبَى لهم وحُسْنُ مآب﴾** وحسن المرجع، وهي الجنّة. وطُوبَى اسم شجرة في الجنّة، كل شجر الجنّة أغصانُها منها **٣٠: ﴿كذلك أرسلناكَ في أُمّةٍ قد خَلَتْ مِن قبلها أُمَمٌ﴾** كما أرسلناك يامحمد في هذه الأُمّة **﴿لتتلوَ عليهم الذي أوحينا إليك﴾** تُبلّغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة **﴿وهم يكفرون بالرحمٰن﴾** فأوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النِّقَم بهم، **﴿قُلْ هو ربّي لا إله إلّا هو عليه توكلتُ﴾** هذا الذي تكفرون به أنا مؤمنٌ به مُقرٌّ له بالربُوبيّة والألوهيّة، هو ربّي **﴿عليه توكلتُ﴾** في جميع أموري **﴿وإليه متاب﴾** إليه أرجع وأُنيب **٣١: ﴿ولو أنّ قرآناً سُيّرتْ به الجبال﴾** لو كان في الكتب الماضية كتابٌ تُسيّر به الجبال عن أماكنها **﴿أو قُطّعَت به الأرضُ﴾** وتنشق **﴿أو كُلّم به الموتى﴾** أو تكلّم بهِ الموتى في قبورهم؛ لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، وهذا مدحٌ من الله تعالى للقرآن وتفضيل له على سائر الكتب المنزّلة. **﴿بل لله الأمرُ جميعاً﴾** مرجع الأمور كلها إلى الله عزّ وجلّ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن. **﴿أفلم يَيْئسِ الذين آمنوا﴾** من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا **﴿أنْ لو يشاء الله لهدى الناسَ جميعاً﴾** فإنّه ليسَ ثَمّ حجّة ولامعجزة أبلغ ولاأنجع في العقول والنفوس من هذا القرآن الذي لو أنزله الله على جبلٍ لرأيتهُ خاشعاً متصدّعاً من خشية الله. **﴿ولايَزَالُ الذين كفروا تُصيبُهم بما صنعُوا قارِعةٌ أو تَحلُّ قريباً من دارِهم﴾** بسبب تكذيبهم؛ لاتزال القوارع تصيبهم ومَن حولهم ليتعظُوا ويتدبّروا، **﴿حتى يأتِيَ وَعْدُ الله﴾** فتحُ مكة **﴿إنّ الله لايُخلِفُ الميعاد﴾** لرسله بالنّصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة **٣٢: ﴿ولقد استهزىء برُسلٍ مِن قبلكَ﴾** فلك أسوة فيهم، **﴿فأمليتُ للذين كفروا﴾** أنظرتُهم **﴿ثم أخذتُهم﴾** أخذةً رابية **﴿فكيف كان عقاب﴾**؟ [فكيف رأيتَ ماصنعتُ بهم]. **٣٣: ﴿أفَمَنْ هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ﴾** حفيظ عليم رقيب على كل نفس يعلم ماتعمل من خير وشرّ؟ **﴿وجعلُوا للهِ شركاءَ﴾** عبدوها معه من أصنام وأوثان **﴿قُلْ سمُّوهم﴾** أعلِمُونا بهم حتى يُعْرَفُوا فإنّه لاحقيقة لهم، ولهذا قال تعالى: **﴿أم تُنبؤونَهُ بمالايعلمُ في الأرض﴾**؟ لو كان لها وجود لعلمها لأنّه لايخفى عليه خافية، **﴿أم بظاهرٍ من القول﴾** بظنٍّ من القول الباطل عبدتم هذه الأصنام أنّها تنفع وتضرّ؟ **﴿بلْ زُيّن للذين كفروا مكرُهم﴾** ماهم عليه من الضلال، **﴿وصَدُّوا عن السبيل﴾** صدُّوا النّاس عن اتباع طريق الرسل **﴿ومَنْ يضلِلِ الله فمالَهُ مِن هادٍ﴾** [مُوفّق للهدَى] **٣٤: ﴿لهم عذابٌ في الحياةِ الدنيا﴾** قتلاً وأسراً **﴿ولعذابُ الآخرةِ أشقّ﴾** من هذا بكثير، **﴿ومالهم مِن اللهِ مِن واقٍ﴾** [يمنعهم من عذاب الله].

الآية : **٣١** روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خُفِّفَ على داود القرآن فكان يأمر بدابته أن تُسْرَجَ فكان يقرأ القرآن من قبل أن تُسْرَجَ دابته وكان لا يأكل إلاّ من عمل يديه » أخرجه الإمام البخاري (والمراد بالقرآن هو الزبور) . /ابن كثير ج٢/٥١٥ .

الحزب ٢٦

۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

٣٥: ﴿مَثَلُ الجنّة التي وُعِدَ المتّقون﴾ صفتُها ونعتُها **﴿تجري مِن تحتِها الأنهارُ﴾** سارحة في أرجائها حيث شاء أهلها يُفجّرونها ويصرفونها كيف شاؤوا، **﴿أُكلُها دائمٌ وظِلُّها﴾** فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لاانقطاع ولافناء، وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي رأيتُ الجنّة فتناولتُ منها عُنقوداً ولو أخذتُهُ لأكلتُم منهُ ما بقيتِ الدنيا». وكذلك ظِلُّها لايزول ولايُقلّص، وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ في الجنّة شجرةً يسيرُ الراكِبُ المجِدُّ الجوادُ المضمرُ السريعُ في ظِلّها مائةَ عامٍ لايقطعُها»، **﴿تلك عُقْبَى الذين اتقوا وعُقْبَى الكافِرين النّار﴾** **٣٦: ﴿والذين آتيناهُمُ الكتابَ﴾** وهم قائمون بمقتضاه **﴿يفرحُون بما أُنزِلَ إليك﴾** مِن القرآن لِما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، **﴿ومِن الأحزاب﴾** اليهود والنصارى **﴿مَن ينكرُ بعضَهُ﴾** بعض ماجاءك من الحق **﴿قُلْ إنّما أُمرتُ أن أعبُدَ الله ولاأُشرِكَ بهِ﴾** إنّما بُعثتُ بعبادة الله وحده لاشريك له كما أرسل الأنبياء من قبلي، **﴿إليهِ أدعُوا وإليهِ مآب﴾** إلى سبيله أدعُو النّاسَ، وإليه مرجعي ومصيري **٣٧: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾** أنزلنا عليك القرآن محكماً مُعرباً شرّفناك به وفضلناك على مَن سواك بهذا الكتاب الذي ﴿لايأتيه الباطلُ مِن بينَ يديه ومن خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد﴾، **﴿ولِئِن اتبعتَ أهواءَهم﴾** آراءهم **﴿بعدَ ماجاءك من العلم﴾** مِن الله سبحانه وتعالى **﴿مالكَ مِن اللهِ مِن وليٍّ ولا واقٍ﴾** هذا وعيدٌ لأهل العلم أن يتبعُوا سُبُلَ أهلِ الضلالة بعدما صاروا ليه من السنّة النبوية **٣٨: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلاً مِن قبلِكَ وجعلنا لهم أزواجاً وذُرِّيّةً﴾** كما أرسلناك يامحمد رسولاً بشريّاً كذلك بعثنا المرسلين بلك بشراً يأتون الزوجات ويُولد لهم، **﴿وماكان لرسولٍ أن يأتيَ بآيةٍ إلا بإذنِ الله﴾** لم يكن يأتي قومَه بخارق إلاّ إذا أذن الله له فيه، **﴿لكلِّ جلٍ كتاب﴾** لكل مُدّة مضروبة كتابٌ مكتوب فيها كل شيء **٣٩: ﴿يمحُو اللهُ مايشاءُ﴾** منها **﴿ويُثبت﴾** يعني: حتى نُسِختْ كلُّها بالقرآن، **﴿وعندَه أُمُّ الكتاب﴾** أصلُهُ **٤٠: ﴿وإنْ مانُرينّكَ بعضَ الذي نعِدُهم﴾** نرينك يامحمد بعض الذي نعِدُ أعداءك من الخزي **﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾** بل ذلك **﴿فإنّما عليكَ البلاغُ﴾** وقد بلّغتَ ماأُمِرْتَ به، **﴿وعلينا الحسابُ﴾** حسابُهم وجزاؤهم **٤١: ﴿أوَلَمْ يَرَوْا أنّا نأتِي الأرضَ نَنْقُصُها ن أطرافِها﴾** نفتح لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الأرضَ بعد الأرض، وهو ظهور الإسلام على الشرك قريةً بعد قرية **٤٢: ﴿وقد مَكَر الذين ن قبلهم﴾** برسلهم وأرادُوا إخراجهم من بلادهم، فمكرَ اللهُ فيهم، فجعل العاقبة للمتقين، كقوله تعالى: ﴿ومكرُوا مكرَهم ومكرنا مكراً وهم يشعرون﴾، **﴿فللهِ المكرُ جميعاً يعلم ماتكسِبُ كلُّ نفسٍ﴾** وسيجزي كلَّ عاملٍ بعمله **﴿وسيعلمُ الكفّارُ لِمَنْ عُقبَى الدار﴾** لمن تكون الدائرة العاقبة لهم أو لأتباع الرُّسل؟ بل هي لأتباع الرُّسل في الدنيا والآخرة.

الآية : ٣٥ ورد في الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه قالوا يا رسول الله رأيناكَ تناولتَ شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعتَ ؟ فقال : « إنّي رأيتُ الجنّةَ أريت الجنة فتناولتُ منها عنقوداً ولو أخذتُه لأكلتُم منه ما بقيتِ الدّنيا » . /ابن كثير ج٢/٥١٧ .

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ — ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٤٣: ﴿ويقول الذين كفروا لستَ مُرْسَلاً﴾ ويُكذِّبُك هؤلاء الكفار ويقولون: ماأرسلك الله، **﴿قُلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾** حسبي الله هو الشاهدُ عليّ وعليكم، **﴿ومَن عندَهُ علمُ الكتاب﴾** مِن اليهود والنصارى؛ منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري. [وهذا احتجاجٌ على مشركي العرب لأنّهم كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب، وهم مؤمنو أهل الكتاب، كعبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري والنجاشي وأصحابه].

تفسير سورة إبراهيم

١: ﴿الر كتابٌ أنزلناهُ إليك لتخرجَ الناسَ مِن الظلماتِ إلى النّور﴾ هذا كتابٌ أنزلناه إليك يامحمد وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله في الأرض؛ لتخرج الناس مِمّا هم فيه من الضلال إلى الهدى **﴿بإذن ربِّهم﴾** هو الهادي لمن قدّر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم **﴿إلى صراطِ العزيزِ الحميد﴾** العزيزُ: الذي لايُمانع ولايُغالب بل هو القاهر لكلِّ ماسواه الحميدُ: المحمود في أفعاله وأقواله وشرعه **٢: ﴿اللهِ الذي له مافي السموات ومافي الأرض﴾** [أي: مَلِكاً وعبيداً واختراعاً وخلقاً]، **﴿وويلٌ للكافرين مِن عذابٍ شديدٍ﴾** ويلٌ لهم يوم القيامة إذا خالفُوكَ يامحمد وكذّبوك **٣: ﴿الذين يستحِبُّون الحياةَ الدنيا على الآخرة﴾** الكفار يُؤْثرونها على الآخرة، ويعملون للدنيا، ونُسوْا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم، **﴿ويصدُّون عن سبيل الله﴾** وهي اتباع الرسل، **﴿ويبغُونها عِوَجاً﴾** يُحِبُّون أن تكون سبيل الله عوجاء مائلة، وهي مستقيمة في نفسها لايضرُّها مَن خالفَها ولامَن خذلها. **﴿أولئكَ في ضلالٍ بعيدٍ﴾** في جهل وضلال بعيدٍ من الحق لايُرجَى لهم والحالة هذه صلاح **٤: ﴿وماأرسلنا مِن رسولٍ إلّا بلسانِ قومِهِ ليُبينَ لهم﴾** هذا من لطفه تعالى بخلقه أن يُرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهمُوا عنهم ماأُرسِلُوا به إليهم. **﴿فيُضِلُّ اللهُ مَن يشاءُ ويَهدِي مَن يشاء وهو العزيزُ﴾** الذي ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، **﴿الحكيمُ﴾** في أفعاله فيُضِلُّ من يستحق الإضلال ويهدي مَن هو أهلٌ لذلك **٥: ﴿ولقد أرسلنا موسَى بآياتِنا﴾** التسع الآيات، **﴿أنْ أخْرِجْ قومَكَ مِن الظلماتِ إلى النّور﴾** ادْعُهم إلى الخير ليخرجوا من الجهل والضلال، إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان، **﴿وذَكِّرْهم بأيّامِ الله﴾** [أي: بوقائع الله في الأمم السالفة، يعني: الأيام التي انتقمَ اللهُ فيها من الأمم الخالية] **﴿إنّ في ذلكَ لآيات لكلِّ صبّار شَكُور﴾** لكل صبّار في الضرّاء، وشكور في السرّاء، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ أمْرَ المؤمنِ كلَّهُ عجبٌ؛ لايقضي اللهُ لهُ قضاءً إلّا كان خيراً له، إن أصابتْهُ ضرّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له، وإن أصابتْهُ سرّاء شكرَ فكان خيراً له».

الآية: ١ كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهمَّ احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولاتشمتْ بي عدوّاً حاسداً، اللهمَّ إنّي أسالك من كل خير خزائنُهُ بيدِكَ، وأعوذُ بك من كلِّ شرٍّ خزائنه بيدك» رواه الحاكم وصححه، وهو في الأحاديث الصحيحة رقم ١٥٤٠/.

الآية: ٤ ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيتُ خمساً لم يُعطهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً وأُحلّتْ لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي وأعطيتُ الشفاعة وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّةً وبُعثتُ إلى النّاس عامّةً». /تفسير ابن كثير ج٢/٥٢٣.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

نصف الحزب ٢٦

٦: ﴿**وإذْ قال موسى لقومه**﴾ حين ذكّرَ قومه بأيّام الله ﴿**اذكرُوا نِعمةَ اللهِ عليكم إذْ أنجاكم مِن آل فِرعونَ يَسُومُونكم سُوْءَ العذاب**﴾ والإذلال حيث كانوا ﴿**ويذبِّحُون أبناءَكم ويستحيون نساءَكم**﴾ يتركون إناثهم فأنقذهم الله من ذلك، ﴿**وفي ذلكم بلاءٌ مِن رَبّكم عظيم**﴾ نعمة عظيمة في ذلك أنتم عاجزون عن القيام بشكرها ٧: ﴿**وإذْ تأذّن ربُّكم**﴾ آذنَكم وأعلمكم بوعدِهِ لكم ﴿**لئن شكرتم لأزيدنّكم**﴾ لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنّكم منها، ﴿**ولئن كفرتم**﴾ كفرتم النّعم وجحدتُموها ﴿**إنّ عذابي لشديدٌ**﴾ وذلك بسلبها عنهم، وعقابه إيّاهم على كفرها، وقد جاء في الحديث: «إنّ العبدَ ليُحرم الرزقَ بالذنب يُصيبه» ٨: ﴿**وقال موسى إنْ تكفرُوا أنتم ومَن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيٌّ حَميدٌ**﴾، هو غني عن شكر عباده، وهو الحميدُ المحمود، وإنْ كَفَرَهُ مَن كفرَهُ، كقوله تعالى: ﴿وإن تكفرُوا فإنّ الله غنيٌّ عنكم﴾ ٩: ﴿**ألَمْ يأتِكم نبؤُا الذين مِن قبلكم قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ**﴾ هذا من تمام كلام موسى لقومه في تذكيره إيّاهم أيامَ الله بانتقامه مِن الأمم المكذّبة بالرسل، ﴿**والذين مِن بعدِهم لايعلمُهُم إلّا اللهُ جاءَتْهُم رُسُلُهم بالبيّنات**﴾ بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات، ﴿**فرَدُّوا أيدِيَهم في أفواهِهِم**﴾ أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت، ومعناه: أنّهم كذّبوهم ورَدُّوا عليهم قولَهم بأفواهِهم، ﴿**وقالوا إنّا كفرنا بما أُرسِلْتُم به وإنّا لَفِي شكٍّ مِمّا تدعُوننا إليهِ مُريب**﴾ لأنصدِّقُكم فيما جئتُم به فإنّ عندنا فيه شكاً قويّاً ١٠: ﴿**قالتْ رُسُلُهم أفِي اللهِ شكٌّ**﴾؟! يُخبر تعالى عمّا دار بين الكفار وبين رسلهم مِن المجادلة، وذلك أنّ أممهم لّما واجهوهم بالشك فيما جاؤوهم به من عبادة الله وحده لاشريك له، قالتِ الرسلُ: ﴿**أفِي اللهِ شكٌّ**﴾؟ أي وجوده سبحانه شكٌّ؟ فإنّ الفِطَرَ شاهدةٌ بوجودِهِ، ومجبولة على الإقرارِ به؛ فإنّ الاعتراف به سبحانه ضروري في الفِطَر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شكٌّ واضطراب فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده سبحانه، ولهذا قالت لهم الرُّسل ترشدهم إلى طريق معرفته تعالى؛ بأنّه ﴿**فاطرِ السمواتِ والأرض**﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق. ﴿**يَدْعوكم ليغفِرَ لكم مِن ذُنُوبِكم**﴾ في الآخرة، ﴿**ويُؤخّرَكم إلى أجلٍ مُسَمّىً**﴾ في الدنيا ﴿**قالوا إنْ أنتم إلّا بشرٌ مثلنا تريدون أنْ تصدُّونا عمّا كان يعبُدُ آباؤنا**﴾؟! كيف نتبعكم بمجرّد قولكم ولّما نَرَ منكم معجزةً ﴿**فأْتُونا بسلطانٍ مُبين**﴾ خارق نقترحه عليكم.

الآية: ٧ روى مسلم والنسائي والترمذي وحسّنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: « إنّ اللهَ ليرضَى عن العبد أنْ يأكلَ الأكلةَ، فيَحمدَهُ عليها، ويشربَ الشرْبَةَ، فيحمَدَهُ عليها » . وروى الطبراني وابن حِبّان في صحيحه عن ابن عباس [أنّ رسول الله ﷺ قُدّم له طعامٌ هو وأبو بكر وعمر] فقال: « خبزٌ ولحمٌ وتمرٌ وبُسْرٌ ورُطبٌ، ودمعَتْ عيناهُ؛ والذي نفسي بيده إنّ هذا هو النعيم الذي تُسألون عنه يومَ القيامة، فكَبُرَ على أصحابه، فقال: بل إذا اصبتم مثلَ هذا، فضربتم بأيديكم، فقولوا: بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمدُ لله الذي أشبعنا، وأنعمَ علينا فأفضلَ، فإنّ هذا كفَافٌ بهذا »، الحديث بطوله ../الترغيب ج٣/١٤٩ – ١٥٠ .

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١١: ﴿قالتْ لهم رسلهم إنْ نحنُ إلاَّ بشرٌ مثلكم﴾ صحيح إنَّا بشرٌ مثلكم في البشرية **﴿ولكنّ الله يمنُّ على مَن يشاءُ مِن عباده﴾** بالرسالة والنبوّة **﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان﴾** على وفق ماسألتم **﴿إلّا بإذن الله﴾** سؤالَنا إيّاهُ، وإذنِهِ لنا في ذلك **﴿وعلى الله فليتوكّل المؤمنُون﴾** في جميع أمورهم. ثم قالت الرسل: **١٢: ﴿ومالَنا ألّا نتوكّل على الله﴾**؟ وما يمنعنا من التوكل عليه **﴿وقد هدانا سُبُلنا﴾** لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها، **﴿ولَنصبرَنّ على ماآذيتمونا﴾** من الكلام السيء والأفعال السخيفة **﴿وعلى الله فليتوكّلِ المتوكلون﴾ ١٣: ﴿وقال الذين كفرُوا لرسلهم لنخرجنّكم مِن أرضنا﴾** يخبر تعالى عمّا توعّدت به الأمم الكافرة رسلَهم من الإخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: ﴿لنخرجنّكَ ياشعيبُ والذين آمنوا معكَ مِن قريتِنا﴾ وكما قال قومُ لُوط: ﴿أخرجُوا آلَ لُوطٍ مِن قريتكم﴾ الآية. **﴿أو لَتعُودُنّ في مِلّتنا﴾**، [حتى تعودوا إلى دينِنَا]، **﴿فأوحى إليهم ربُّهم لَنُهلِكَنّ الظالمين﴾** وكما قال تعالى: ﴿ولقد سبقتْ كلمتنا لعبادِنا المرسَلين إنّهم لَهُمُ المنصورون وإنّ جُندنا لَهُمُ الغالِبُون﴾، وقال تعالى: ﴿كتبَ اللهُ لأغلِبَنّ أنا ورُسلي إنّ اللهَ قويٌّ عزيزٌ﴾ **١٤: ﴿ولَنُسكِنَنَّكُمُ الأرضَ مِن بعدِهم﴾** كما قال موسى لقومِهِ ﴿استعينُوا باللهِ واصبرُوا إنّ الأرضَ يُورثُها مَن يشاءُ مِن عبادِهِ والعاقبةُ للمتقين﴾، **﴿ذلك لِمَنْ خافَ مقامي وخافَ وعيدِ﴾** وعيدِ هذا لمن خاف مقامَهُ بين يديّ يومَ القيامة، وخشيَ مِن وعيدي؛ وهو تخويفي وعذابي **١٥: ﴿واستفتَحُوا وخابَ كلُّ جبّارٍ عنيد﴾** واستنصرتِ الرسلُ ربَّها على قومها، **﴿وخابَ كلُّ جبّارٍ﴾** مُتجبّر في نفسه **﴿عنيدٍ﴾** معاند للحق **١٦: ﴿من ورائه جهنّم﴾** مِن وراء الجبّار العنيد جهنّم، أي: هي له بالمرصاد يسكنها مخلداً، **﴿ويُسقَى مِن ماءٍ صَديدٍ﴾** في النّار، ليس له شراب إلّا مِن حميمٍ وغسّاق في غاية النتنِ، والصديدُ من القيح والدم، وهو مايسيل من جوف الكافر **١٧: ﴿يتجرّعُهُ﴾**، [أي: يتحسّاهُ جُرَعاً لامرّةً واحدة لمرارته وحرارته]، **﴿ولا يكادُ يُسِيغُهُ﴾** يردُّهُ لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لايُستطاع. **﴿ويأتيهِ الموتُ مِن كل مكان﴾** يألَمُ له جميعُ بدنه حتى أطراف شعره، **﴿وما هو بميّتٍ﴾** [أي: لايموت فيستريح] **﴿ومِن ورائه عذابٌ غليظٌ﴾** مؤلم صعبٌ شديد أغلظ مِن الذي قبله وأدهى وأمرّ **١٨: ﴿مثلُ الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرَمَادٍ اشتدَّتْ به الريحُ في يومِ عاصف﴾** هذا مثلٌ ضربه الله لأعمال الكفار، **﴿لايقدِرُون مِمّا كسبُوا على شيء﴾** لم يقدروا على شيء من أعمالهم إلّا كما يقدرون على جمع هذا الرماد، **﴿ذلك هو الضّلالُ البعيد﴾** [أي: الخسران الكبير].

الآية : ١٢ روى الترمذي بإسناد حسن وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قال [يعني إذا خرج من بيته] بسم الله توكلتُ على الله ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله ؛ يُقال له : هُديتَ وكُفيتَ ووُقيتَ ، وتنحّى عنه الشيطان » . وروى الترمذي بإسناد حسن صحيح وأبو داود عن أم المؤمنين أم سَلَمَة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال : « بسمِ الله توكلتُ على الله ، اللهمّ إنّي أعوذُ بك أن أضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ ، أو أظلِمَ أو أُظلَمَ ، أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ » . /رياض الصالحين/٦٢ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

١٩: ﴿ألم تَرَ أنّ الله خَلَقَ السمواتِ والأرض بالحقِّ﴾؟ يُخبر تعالى عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنّه خلق السموات والأرض التي أكبر من خلق النّاس؛ أفليسَ الذي قدر على خلق هذه بقادرٍ على أن يُحيي الموتى؟ **﴿إن يشأْ يُذْهِبْكُم ويأتِ بخلقٍ جديدٍ﴾** [أفضل منكم وأطوع] **٢٠: ﴿وماذلك على اللهِ بعزيز﴾** بعظيم ولاممتنع، بل هو سهل عليه، إذا خالفتم أمره؛ أن يُذهبكم ويأتِ بآخرين على غير صفتكم **٢١: ﴿وبرزُوا للهِ جميعاً﴾** برزت الخلائق كلها لله، أي: اجتمعوا لله الواحد القهار في براز من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيءٌ يسترُ أحداً، **﴿فقال الضعفاء﴾** وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم **﴿للذين استكبروا﴾** عن عبادة الله، قالوا لهم: **﴿إنّا كنّا لكم تبعاً﴾** مهما أمرتمونا أئتمرنا وفعلنا **﴿فهلْ أنتمْ مُغنون عنّا من عذاب اللهِ مِن شيءٍ﴾**؟ هل تدفعون عنّا شيئاً من عذاب الله كما كنتم تدعوننا؟ فقالت لهم القادة: **﴿لو هَدَانا الله لهديناكم﴾** ولكن حقَّ علينا قول ربِّنا، وحقّتْ كلمةُ العذاب على الكافرين، **﴿سواءٌ علينا أجَزِعْنَا أمْ صَبَرْنا مالنا مِن مَحِيص﴾** ليسَ لنا خلاصٌ مِمّا نحنُ فيه **٢٢: ﴿وقال الشيطان لمّا قُضِيَ الأمرُ﴾** خاطب الشيطانُ إبليسُ أتباعَهُ بعدما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنّات، وأسكن الكافرين الدركات؛ ليزيدَهم حزناً إلى حزنهم: **﴿إنّ الله وعدَكم وَعْدَ الحقِّ﴾** على ألسنة رسله، **﴿ووعَدْتُكم فأخلفتُكم وماكان لِي عليكم من سلطانٍ إلا أنْ دعوتُكم فاستجبتُم لي﴾** بمجرد ذلك **﴿فلا تلُومُوني﴾** اليومَ **﴿ولُومُوا أنفسَكم﴾** فإنّ الذنبَ لكم لكونكم خالفتم الحُججَ واتبعتُموني بمجرّد مادعوتكم إلى الباطل، **﴿ماأنا بمصرخكم﴾** بنافعكم ومنقذكم ومخلّصكم مِمّا أنتم فيه، **﴿وماأنتم بمصْرِخيّ﴾** بنافعيَّ بإنقاذي مِمّا أنا فيه من العذاب، **﴿إنّي كفرتُ بما أشركتمُونِ مِن قبلُ﴾** إنّي جحدتُ أن أكون شريكاً لله، **﴿إنّ الظالمين﴾** في إعراضهم عن الحقّ واتباعهم الباطل **﴿لهم عذابٌ أليمٌ﴾** **٢٣: ﴿وأُدخل الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات جنّاتٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ﴾** سارحة فيها حيث سارُوا وأين سارُوا **﴿خالدين فيها﴾** لايحولون ولايزولون، **﴿بإذنِ ربِّهم﴾**، [أي: بأمره]، **﴿تحيّتُهم فيها سلامٌ﴾** كما قال تعالى: ﴿والملائكة يدخلُون عليهم مِن كلِّ بابٍ سلامٌ عليكم﴾ **٢٤: ﴿أَلَمْ تَرَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيّبةً﴾** وهي شهادة أنْ لا إلهَ إلّا الله **﴿كشجرةٍ﴾** وهو المؤمن [الناطق بها] **﴿أصلُها ثابتٌ﴾** يقول: لا إلهَ إلّا الله في قلب المؤمن **﴿وفرعُها في السماء﴾** يُرفعُ بها عملُ المؤمن إلى السماء في كلِّ حين.

الآية: ٢٢ كان رسول الله ﷺ يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخِهِ ونفْثِهِ وهَمْزِهِ» رواه أبو داود رقم ٧٦٤/ وكان يقول: «وأعوذُ بك أن يتخبّطني الشيطان عند الموت» صحيح الجامع الصغير ج١/٢٧٥/.

الآية: ٢٤ روى البخاري عن ابن عمر قال: كنّا عند رسول الله ﷺ، فقال: « أخبروني عن شجرة تشبه ـ أو كالرجل المسلم ـ لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً وتُؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربِّها » ؟ قال: ابن عمر فوقع في نفسي أنّها النخلة، ورأيتُ أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهتُ أن أتكلم فلمّا لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: « هي النخلة » فلما قمنا قلتُ لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة قال ما منعَكَ أن تتكلم؟ قلتُ لم أركم تتكلمون فكرهتُ أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن يكونَ قلتَها أحبُّ إليَّ من كذا وكذا » . /ابن كثير ج٢/٥٣٠ .

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

٢٥: ﴿تؤتِ أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها﴾؛ إنّ المؤمن مثله كمثل شجرة لايزال يُوجد منها ثمر في كلِّ وقت، وكذلك المؤمن لايزال يُرفع له عمل صالح آناءَ الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين **﴿بإذن ربِّها﴾** كلاماً حسناً كثيراً طيّباً مباركاً، **﴿ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناس لعلّهم يتذكّرون﴾ ٢٦: ﴿ومَثَلُ كلمةٍ خبيثة كشجرةٍ خبيثة﴾** هذا مثلٌ [ضربه الله] للكافر، لاأصل له ولاثبات، مُشبّهٌ بشجرة الحنظل، **﴿اجْتُثّت﴾** استؤصلَتْ **﴿مِن فوق الأرض مَالَها مِن قرار﴾** لاأصل لها ولاثبات؛ كذلك الكفر لاأصل له ولافرع، ولايصعد للكافر عمل ولايُقبل منه شيء **٢٧: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ﴾**، روى البخاري: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المُسلمُ إذا سُئِلَ في القبر شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله»، فذلك قوله: **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ﴾. ﴿ويُضِلُّ اللهُ الظالمين﴾** [أي: عن حجتهم في قبورهم كما ضَلُّوا في الدنيا بكفرهم]. **﴿ويفعلُ اللهُ مايشاء﴾ ٢٨: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الذين بدّلوا نعمتَ اللهِ كفراً﴾** إنّ الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمةً للعالمين ونعمةً للناس، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنّة، ومن ردَّها وكفرَ دخل النّار، **﴿وأحلُّوا قومَهم دارَ البَوَارِ﴾**، وهم مشركو قريش أتتهم نعمةُ الله الإيمان فبدّلوا نعمةَ الله واحلُّوا قومهم دار البوار، وهي جهنّم **٢٩: ﴿جهنّمَ يصلونَها وبِئْسَ القَرَار﴾** [أي: بئس المستقر] **٣٠: ﴿وجعلُوا للهِ أنداداً﴾** شركاء عبدُوها معه ودعوا النّاس إليها **﴿لِيُضِلُّوا عن سبيله قُلْ تمتّعُوا فإنّ مصيرَكم إلى النار﴾** مرجعكم وموئلكم إليها [وفي الآية تهديدٌ لهم] **٣١: ﴿قُلْ لِعباديَ الذين آمنُوا يُقيمُوا الصلاةَ ويُنفِقُوا مِمّا رزقناهم سرّاً وعلانيةً﴾** يأمرُ تعالى عباده بطاعته والقيام بحقّه والإحسان إلى خلقه **﴿من قبل أن يأتِيَ يومٌ﴾** وهو يوم القيامة **﴿لابيعٌ فيه ولاخِلالٌ﴾** لايُقبل من أحد فِدْيَةٌ، وليس هناك مُخالَةُ خليل تنفعه صداقته ولاشفاعته **٣٢: ﴿اللهُ الذي خلق السمواتِ والأرضَ وأنزلَ من السماء ماءً﴾** يُعدّد الله نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً والأرض فراشاً، **﴿فأخرجَ به﴾** بماء السماء **﴿مِن الثمراتِ رِزْقاً لكم وسَخّرَ لكم الفُلْكَ﴾** [أي: السفن] **﴿لِتجْرِيَ في البحرِ بأمرِهِ وسخّرَ لكم الأنهار﴾** رزقاً للعباد من شرب وسقي **٣٣: ﴿وسخّرَ لكُمُ الشمسَ والقمرَ دائبين﴾** يسيران لايفتران ليلاً ولانهاراً، **﴿وسخّرَ لكم الليلَ والنهارَ﴾** يُغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً، فالشمسُ والقمرُ يتعاقبان، والليل والنهار يتعارضان، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول، ثم يأخذ الآخرُ من هذا فيقصر **﴿يُولِجُ الليلَ في النهار ويُولِجُ النّهار في الليل، وسخّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مُسمّىً ألا هو العزيزُ الغفارُ﴾**.

الآية: ٢٧ روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقولِ الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾. ورواه مسلم أيضاً. /ابن كثير ج٢/٥٣١.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾

٣٤: ﴿وآتاكم مِن كلِّ ما سألتموهُ﴾ هَيَّأ لكم كلَّ ما تحتاجُون إليه في جميع أحوالكم مِمّا تسألونه بحالكم، **﴿وإن تعدُّوا نعمتَ اللهِ لا تُحصُوها﴾** يعجزُ العباد عن تعداد النعم فضلاً عن القيام بشكرها، **﴿إنّ الإنسان﴾** [لفظ الإنسان جنسٌ وأراد به الخصوص، وهم الكفار]، **﴿لَظَلُومٌ كفّار﴾ ٣٥: ﴿وإذْ قالَ إبراهيمُ ربِّ اجعلْ هذا البلدَ﴾** مكة البلد الحرام **﴿آمِناً﴾** وقد استجابَ اللهُ له فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جعلنا حَرَماً آمِناً﴾، ﴿ومَن دخلَهُ كان آمِناً﴾، **﴿واجنبني وبنيَّ أن نَّعْبُدَ الأصنام﴾**، ينبغي لكل داعٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريّته **٣٦: ﴿ربِّ إنّهُنَّ أضْلَلْنَ كثيراً مِن النّاس﴾**، [لَمّا كانت سبباً للإضلال أضافَ الفعلَ إليها مجازاً] **﴿فمن تَبعني فإنّه منّي﴾** [أي: من أهل ديني] **﴿ومن عصاني فإنّك غفورٌ رحيم﴾** [أي: لمن تاب قبل الموت] **٣٧: ﴿ربّنا إنّي أسكنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غير ذي زرعٍ عندَ بيتكَ المحرّم﴾** وذلك قبل بناء البيت، **﴿ربّنا ليقيمُوا الصلاة﴾** إنّما جعلته محرّماً ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده، **﴿فاجعل أفئدةً مِن النّاس تهوِيَ إليهم﴾**، فاختصّ به المسلمون، **﴿وارزقهم مِن الثمرات﴾** ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك، وكما أنّه وادٍ غير ذي زرعٍ فاجعلْ لهم ثماراً يأكلونها، وقد استجاب الله ذلك، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نمكن لهم حَرماً آمِناً يُجبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ رزقاً مِنْ لَدُنّا﴾ وهذا من لطفه تعالى ورحمته وبركته **٣٨: ﴿ربَّنا إنّكَ تعلمُ ما نُخفي وما نُعلِنُ وما يخفَى على اللهِ من شيءٍ﴾** أنتَ تعلم قصدي في دعائي لأهل هذا البلد فإنّك تعلمُ الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لايخفَى عليك منها شيءٌ **﴿في الأرض ولا في السماء﴾ ٣٩: ﴿الحمدُ للهِ الذي وهب لي على الكِبَر إسماعيلَ وإسحاقَ﴾** على كبر سنّي وسنّ امرأتي، **﴿إنّ ربّي لسميعُ الدعاء﴾** يستجيب لمن دعاه **٤٠: ﴿ربِّ اجعلني مُقيمَ الصلاةِ﴾** محافظاً عليها مقيماً لحُدودها **﴿ومن ذريّتي﴾** كذلك مقيمين لها **﴿ربَّنا وتقبلْ دعاءِ﴾** فيما سألتُكَ فيه كله **٤١: ﴿ربَّنا اغفرْ لي ولوالِدَيَّ﴾** وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لَمّا تبيّن له عداوته لله عزّ وجلّ، **﴿وللمؤمنين﴾** كلّهم **﴿يومَ يقومُ الحساب﴾** فتجازيهم بأعمالهم **٤٢: ﴿ولا تحسبَنّ﴾** يا محمدُ **﴿اللهَ غافِلاً عمّا يعملُ الظالِمُون﴾** إذا أنظرَهم وأجّلهم أنّه غافل عنهم مهملٌ لهم لا يُعاقبهم على صنعهم، **﴿إنّما يُؤخِّرُهم ليوم﴾** يوم القيامة **﴿تشخصُ فيه الأبصارُ﴾** من شدّة الأهوال فيه.

الآية: ٣٤ كان رسول الله ﷺ يقول بعد الركوع: «اللّهمَّ ربَّنا لك الحمدُ مِلء السماواتِ ومِلءَ الأرضِ، ومِلءَ مابينهما، ومِلءَ ماشئتَ من شيء بعدُ، أهلَ الثناءِ والمجد، أحقُّ ماقال العبدُ، وكلنا لك عبدٌ: اللّهمَّ لامانعَ لِما أعطيتَ، ولامُعطيَ لِما منعتَ، ولاينفعُ ذَا الجَدِّ منكَ الجَدُّ» رواه مسلم في صحيحه رقم ٤٧٧/.

الآية : ٣٤ ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم لك الحمد غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنًى عنه ربّنا » .

الآية : ٣٦ قال عبد الله بن وهب عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام ﴿ ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس ﴾ الآية وقول عيسى عليه السلام ﴿ وإن تعذّبهم فإنّهم عبادك ﴾ الآية ثم رفع يديه ثم قال : « اللهم أمتي اللهم أمتي اللهم أمتي » وبكى فقال الله : اذهب يا جبريل إلى محمد وربك أعلم وسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ ما قال : فقال الله اذهب إلى محمد فقل له إنّا سنرضيك في أمّتك ولا نَسُوؤكَ . /ابن كثير ج٢/٥٤٠ .

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤٣: ﴿مُهطعين مُقنِعِي رُؤوسِهم﴾ مسرعين إلى الداع غير رافعي رؤوسهم **﴿لايرتدُّ إليهم طرفُهم﴾** أبصارهم ظاهرة شاخصة مديمون النظر لكثرة ماهم فيه من الهول والمخافة، **﴿وأفئدتُهم هَوَاءٌ﴾** وقلوبهم خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف **٤٤: ﴿وأنذرِ النّـاس يوم يـأتيهُم العذابُ فيقول الذين ظلموا ربَّنـا أخرنا إلى أجلٍ قريبٍ نُجِبْ دعوتك ونتبعِ الرسـلَ﴾** وهذا عند معاينة العذاب، قال تعالى ردّاً عليهم في قولهم هذا: **﴿أوَ لَمْ تكونُوا أقسمتُم مِن قبلُ مالكم مِن زوالٍ﴾**؟! أو لم تكونوا تحلِفون من قبل هذه الحالة أنّه لازوال لكم عمّا أنتم فيه وأنّه لامعاد ولاجزاء فذوقوا هذا بذلك، مالكم من انتقال **٤٥: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلمُوا أنفسَـهـم﴾**، [وهي بلاد ثمود ونحوهم]، **﴿وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾** قد رأيتم وبلغكم ماأحللنا بالأمم المكذّبة قبلكم، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر ﴿حكمةٌ بالغةٌ فما تغني النّذر﴾ **٤٦: ﴿وقد مكرُوا مكرَهم﴾**، [أي: بالشرك، وتكذيب الرُّسُـلِ والمعاندة]، **﴿وعندَ اللهِ﴾** [جزاء] **﴿مكرهم﴾**، **﴿وإنّ مكرهـم لتزولُ منه الجبال﴾** إن شركهم لتزول منه الجبال كقوله تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ **٤٧: ﴿فلا تحسبنّ اللهَ مُخلِفَ وعدِهِ رُسُلَهُ﴾** من نصرتهم في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، **﴿إنّ اللهَ عـزيزٌ ذُو انتقـام﴾** ذو عزّة لايمتنع عليـه شيء أراده ولايُغالب وهو ذُو انتقام ممن كفرَ به **٤٨: ﴿يومَ تُبدّلُ الأرض غيرَ الأرضِ والسمواتِ﴾** وَعْدُهُ هذا حاصلٌ يومَ تُبدّلُ الأرض. وروى الإمام أحمد عن عائشة أنّها سألت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية، فقالت: أين النّاس يومئذٍ يارسول الله؟ قال: «على الصراط»، ورواه مسلم. وكما سألته عن قوله تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مطويّات بيمينه﴾، فأين الناس يومئذٍ يارسول الله؟ قال: «هم على متن جهنّم» رواه أحمد **٤٩: ﴿وترى المجرمين يومئذٍ مقرّنين في الأصفادِ﴾** مُقرّنين بعضهم إلى بعض، قد جُمع كلُّ صنفٍ إلى صنفه كما قال تعالى: ﴿احشُروا الذين ظلمُوا وأزواجهم﴾. والأصفادُ هي القُيود. **٥٠: ﴿سرابيلُهم من قَطِرَانٍ﴾** ثيابهم التي يلبسُونها من قطران، وهو الذي تُطلَى به الإبل، وهو ألصق شيء بالنّار، **﴿وتغشَى وجوهَهُمُ النّارُ﴾** ﴿وهم فيها كالِحُون﴾ **٥١: ﴿ليجزِيَ اللهُ كلَّ نفس ماكسبَتْ﴾** يوم القيامة **﴿إنّ اللهَ سريعُ الحسابِ﴾** لأنّه يعلمُ كلَّ شيءٍ ولا تخفَى عليه خافية **٥٢: ﴿هذا﴾** القرآن **﴿بلاغٌ للنّاسِ وليُنْذَرُوا بهِ﴾** ليتعِظُوا به، **﴿وليَعْلَمُوا أنّما هو إلهٌ واحدٌ﴾** ليستدِلُّوا بما فيه مِن الحجج والدلالات على أنّه لا إله إلاّ هو، **﴿وليذَّكّر أولُوا الألبَابِ﴾** ذَوِي العقول.

الآية: ٤٨ جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرْصَةِ النقي ليس فيها معلم لأحد».
وروى الأمام أحمد عن عائشة أنها قالت: أنا أوّل الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿يوم تبدّل الأرضُ غير الأرض والسموات﴾ قالت: قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله قال: «على الصراط» ورواه مسلم. /ابن كثير ج٢/٥٤٣.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

تفسير سورة الحجر

١ : ﴿**الر تِلْكَ آياتُ الكتابِ وقرآنٍ مُبين**﴾ [الكتابُ هو القرآن، جمع له بين الاسمين، للتفخيم]، ٢ : ﴿**رُبَما يَوَدُّ الذين كفرُوا لو كانُوا مسلمين**﴾ إنّهم سيندمُون على ماكانوا فيه من الكفر ويتمنّون لو كانوا في الدنيا مسلمين، كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا على النّار فقالُوا ياليتنا نُردُّ ولانُكذِّبُ بآياتِ ربّنا ونكونُ مِن المؤمنين﴾ ٣ : ﴿**ذَرْهُم يأكلوا ويتمتّعُوا**﴾ هذا تهديدٌ شديدٌ لهم ووعيدٌ أكيد، كقوله تعالى: ﴿قُلْ تمتّعُوا فإنّ مصيرَكم إلى النار﴾، ﴿**ويُلْهِهِمْ الأملُ**﴾ عن التوبة والإنابة. ﴿**فسوف يعلمون**﴾ عاقبة أمرهم ٤ : ﴿**وماأهلكنا مِن قريةٍ إلّا ولها كتابٌ معلوم**﴾ ماأهلك تعالى قريةً إلّا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ٥ : ﴿**ماتسبقُ مِن أمّةٍ أجلَها ومايستأخِرُون**﴾ إنّه تعالى لايُؤخر أُمّةً حانَ هلاكها عن ميقاتهم ولايتقدّمُون عن مُدّتهم، وهذا تنبيهٌ لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الإقلاع عمّا هم عليه مِن الشرك والإلحاد الذي يستحقون به الهلاك ٦ : ﴿**وقالوا ياأيّها الذي نُزِّلَ عليه الذكرُ إنّك لمجنون**﴾ يُخبر تعالى عن كفرهم وعنادهم في قولهم هذا، إنّك لمجنون في دعائك إيّانا إلى اتباعك وترك ماوجدنا عليه آباءَنا ٧ : ﴿**لوما**﴾ هلّا ﴿**تأتينا بالملائكة**﴾ يشهدون لك بصحة ماجئت به ﴿**إنْ كنتَ مِن الصادقين**﴾، [فرد الله تعالى عليهم بقوله]: ٨ : ﴿**مانُنزِّلُ الملائكةَ إلّا بالحقّ**﴾ بالرسالة والعذاب ٩ : ﴿**إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا لهُ لحافِظُون**﴾ إنّه هو تعالى أنزل عليه الذكرَ وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل، [أو أن يزاد فيه أو يُنقصُ منه] ١٠ : ﴿**ولقد أرسلنا مِن قبلك في شِيَعِ الأوّلين**﴾ [أي: في أمم الأوّلين] ١١ : ﴿**ومايأتيهم من رسولٍ إلّا كانُوا بِهِ يستهزِؤُون**﴾ يُسلّي تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيب مَن كذّبه من كفار قريش، إنّه أرسل مِن قبله من الأمم الماضية، وإنّه ماأتى أُمّة من رسول إلّا كذبّوه واستهزؤوا به، ثم أخبر تعالى أنّه سلك التكذيب في قلوب الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى فقال: ١٢ : ﴿**كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**﴾ [أي: كما سلكناه في شِيَعِ الأولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك] ١٣ : ﴿**لايُؤمِنُون به وقدْ خلَتْ سُنّةُ الأوّلين**﴾ قد عُلِمَ مافعَل تعالى بمَنْ كذّبَ رسلَه مِن الهلاك والدمار ١٤ : ﴿**ولو فتحنا عليهم باباً مِن السماء فظلّوا فيه يعرجُون**﴾ يُخبر تعالى عن عناد كفرهم أنّه لو فتح لهم باباً من السماء فجعلوا يصعدون فيه لَما صدّقُوا بذلك بل ١٥ : ﴿**لَقالُوا إنّما سُكِّرَتْ أبصارُنا**﴾ سُدّت وأخذتْ وسُحِرَتْ، ﴿**بلْ نحنُ قومٌ مسحُورُون**﴾.

الآية: ٢ عن عبدالله بن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللّهُمّ احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام رَاقِداً، ولاتشمت بي عدوّاً حاسداً». رواه الحاكم وصححه، وهو في الأحاديث الصحيحة رقم ١٥٤٠/.

الآية : ٢ عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيّرهم أهل الشرك ، فيقولان ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم ، فلا يبقى مُوَحّدُ إلا أخرجه الله ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ ربما يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصيرفي وهو ثقة / مجمع الزوائد ج١٠/٣٧٩ . /ابن كثير ج٢/٥٤٦ .

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

١٦: ﴿ولقد جعلنا في السماءِ بُرُوجاً﴾ [لمّا ذكر كفر الكافرين وعنادهم ومكابرتهم؛ ذكر كمال قدرته ليُستدلَّ بها على وحدانيّته]. والبروج: هي الكواكب، جعل فيها الشُّهُب حَرَساً لها من مردة الشياطين **١٧: ﴿وحفظناها مِن كلِّ شيطانٍ رَجيمٍ﴾**، [أي: مرجُوم ملعون] **١٨: ﴿إلا مَنِ استَرَقَ السمعَ فأتبعه شِهابٌ مُبين﴾**، [قال ابن عباس: كانت الشياطين لايحجبُون عن السماء، فلمّا وُلِدَ عيسى مُنِعُوا من ثلاث سموات، فلما وُلِدَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مُنِعُوا من السموات كلها، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلّا رُمِيَ بِشهاب] **١٩: ﴿والأرضَ مَدَدْنَاهاَ وألقينا فيها رواسِيَ وأنبتنا فيها مِن كلِّ شيءٍ موزُون﴾** ذكر تعالى خلقَهُ الأرض ومدَّهُ إيّاها وتوسيعها، وجعل فيها الجبال الرواسي ومأأنبتَ فيها من الزروع من كل شيء معلوم، مقدّرٍ بقدر **٢٠: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾** يذكر تعالى أنّه صرّفهم في الأرض في صنوف الأسباب والمعايش، **﴿ومَنْ لستُم له برازقين﴾** يمتنّ تعالى عليهم بما يسّر لهم أسباب المكاسب وبما سخرَ لهم من الدوابّ التي يركبونها، ورزقها على خالقها لاعليهم، فلهم المنفعة، والرزق على الله تعالى **٢١: ﴿وإنْ مِن شيءٍ إلّا عندنا خزائنه﴾** عنده سبحانه خزائن الأشياء من جميع الصنوف **﴿ومانُنزِّلُهُ إلّا بقدرٍ معلوم﴾** كما يشاء، وكما يريد، لِما لهُ الحكمة البالغة والرحمة بعباده **٢٢: ﴿وأرسلنا الرياحَ لواقِحَ فأنزلنا مِنَ السماءِ ماءً﴾** لواقح: أي تلقحُ السحابَ فَتَدُرُّ ماءً، وتلقحُ الشجرَ فتفتح عن أوراقها وأكمامِها، وذكر الرياحَ بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم، فإنّه أفردَها ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج. **﴿فأسقيناكُموهُ﴾** أنزلناه عذباً لتشربُوا منه، **﴿ومأأنتم له بخازنين﴾** بحافظين له بل نحن نحفظه عليكم ونجعله مَعِيناً وينابيع **٢٣: ﴿وإنّا لنحنُ نُحيي ونُميت﴾** هو الذي أحيا الخلقَ بعد العدم ثم يميتهم، **﴿ونحنُ الوارثُون﴾** [فَمُلْكُ كلِّ شيءٍ لله تعالى] **٢٤: ﴿ولقد علمنا المستقدِمينَ منكم﴾** كل من هلكَ من لدن آدم، **﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾** من هو حيٌ إلى يوم القيامة **٢٥: ﴿وإنّ ربَّكَ هو يحشرُهم﴾** [للحساب والجزاء] **﴿إنّه حكيمٌ عليمٌ﴾ ٢٦: ﴿ولقد خلقنا الإنسانَ من صَلْصَالٍ﴾** من تراب يابس **﴿مِن حَمَإٍ﴾** من طين منتن **﴿مَسْنُون﴾** أملس **٢٧: ﴿والجانَّ خلقنَاهُ مِن قبلُ مِن نارِ السَّمُوم﴾** من لَهَبِ النّارِ. والمقصود التنبيه على شرف آدم **٢٨: ﴿وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكةِ إنّي خالقٌ بشراً مِن صلصالٍ مِن حَمَإٍ مسنون﴾** هذا تنويهٌ بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه **٢٩: ﴿فإذا سوّيْتُهُ ونفختُ فيهِ من رُوحِي﴾** [الروحُ خلقٌ مِن خلقِ الله، وإضافته إليه سبحانه تشريفٌ لأدم]، **﴿فقعُوا لَهُ ساجدين﴾** [أُمِرُوا بالسجودِ للهِ عندَ آدم، فكان آدم قبلةً لهم] **٣٠: ﴿فسجدَ الملائكةُ كلُّهم أجمَعُون﴾** [سمعاً وطاعةً للهِ]. **٣١: ﴿إلّا إبليسَ أبى أن يكونَ مع السَّاجِدِين﴾** [استكباراً واستعظاماً لنفسه، وحسداً لآدم، فحقت عليه كلمة الله تعالى في طرده من رحمته].

الآية : **٢٢** روى الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق في الجنة ريحاً بعد الريح سبع سنين وإنّ من دونها باباً مغلقاً وإنّما يأتيكم الريح من ذلك الباب ولو فتح لأذْرَتْ ما بين السماء والأرض من شيء وهي عند الله الأذيب وهي فيكم الجنُوب » . /ابن كثير ج٢/٥٤٩ .

قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

الحزب ٢٧

٣٢: ﴿قال يا إبليسُ مالَكَ ألّا تكونَ مَعَ الساجدِين﴾؟ [أي: ماالمانعُ لك؟] **٣٣: ﴿قال لم أكُنْ لإسْجُدَ لبشرٍ خلقتَهُ مِن صَلصالٍ مِن حَمإٍ مَسْنُونٍ﴾**، [بيّن تكبُّرَهُ وحسده وأنّه خيرٌ منه] **٣٤: ﴿قال فاخرجْ منها﴾** [أي: مِن السموات] **﴿فإنّك رجيم﴾** مرجوم، وأتبعه لعنة متصلة به **٣٥: ﴿وإنّ عليكَ اللعنةَ إلى يوم الدِّين﴾** لاحقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة **٣٦: ﴿قال ربِّ فأنظرني إلى يومِ يُبعثون﴾** ومن تمام حسده [وعتوّه] طلب النظرة إلى يوم القيامة، وأجيب إلى ذلك: **٣٧: ﴿قال فإنّكَ مِن المُنظَرِين﴾** **٣٨: ﴿إلى يوم الوقتِ المعلوم﴾**، إنّه أُجيب إلى ذلك استدراجاً له وإمهالاً، فلّما تحقق النظـرة قبّحـهُ الله **٣٩: ﴿قال ربِّ بما أغويتني﴾** ومن تمرّده وعتوّه أقسم بسبب ماأغويتني وأضللتني **﴿لأزيّنّ لهم﴾** لذريّة آدم **﴿في الأرض﴾** أحبب إليهم المعاصي **﴿ولأغوينّهم أجمعين﴾** كما أغويتني **٤٠: ﴿إلّا عبادَكَ منهم المُخلَصين﴾** [أي: الذين أخلصُوا لك العبادة] **٤١: ﴿قال﴾** الله له متهدّداً ومتوعداً **﴿هذا صراطٌ عليّ مستقيم﴾** مرجعكم كلكم إليّ، فأجازيكم بأعمالكم **٤٢: ﴿إن عبادِي ليس لك عليهم سلطان﴾** الذين قدّرتُ لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولاوصول لك إليهم، **﴿إلّا مَنِ اتبعك مِن الغاوين﴾** **٤٣: ﴿وإنّ جهنّم لموعِدُهم أجمعين﴾** جميع من اتّبعَ إبليس. ثم أخبرَ تعالى أنّ لجهنّم سبعة أبواب: **٤٤: ﴿لها سبعةُ أبواب لكلِّ بابٍ منهم جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** قد كتب لكل باب منها جزءٌ من أتباع إبليس يدخلونها، أجارنا الله منها **٤٥: ﴿إنّ المتقين في جنّاتٍ وعُيون﴾** لّما ذكرَ تعالى حال أهل النّار عطف على ذكر أهل الجنّة وأنّهم في جنّات وعيون **٤٦: ﴿ادْخُلُوها بسلام﴾** سالمين من الآفات، مسلم عليكم **﴿آمنين﴾** من كل خوف وَفَزع **٤٧: ﴿ونزعنا مافي صدورهم مِن غِلٍّ إخواناً على سُرُرٍ متقابِلين﴾**، قال أبوأمامة: يدخل أهلُ الجنّةَ على مافي صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى إذا توافَوْا وتقابَلُوا نزعَ اللهُ مافي صدورهم في الدنيا من غِلٍّ، ثم قرأ هذه الآية **٤٨: ﴿لا يَمَسُّهُمْ فيها نَصَبٌ وماهم منها بمخرَجين﴾** لاتصيبهم مشقة، و﴿لايبغُون عنها حِوَلاً﴾ **٤٩: ﴿نبّيء عبادِي أنّي أنا الغفورُ الرحيم﴾** أخبرهم يامحمد أنّي ذو رحمة **٥٠: ﴿وأنّ عذابِي هو العذابُ الأليمُ﴾**، فهذه الآية والتي قبلها دالة على مقامَيّ الرجاء والخوف، وفي الحديث: «اذكُروا الجنّة واذكُروا النّار» **٥١: ﴿ونبِّئهُم عن ضيفِ إبراهيم﴾** أخبرهم يامحمد عن قصة ضيف إبراهيم، [وهم مِن الملائكة].

الآية: ٤٤ روى الترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لجنهم سبعة أبواب باب منها لمن سلّ السيف على أمتي – أو قال على أمة محمد».

وروى ابن أبي حاتم: عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قوله ﴿لكلِّ بابٍ منهم جزءٌ مقسوم﴾ قال: «إن من أهل النّار من تأخذه النار إلى كعبه وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومن من تأخذه النار إلى تراقيه، منازلهم بأعمالهم، فذلك قوله ﴿لكلِّ بابٍ منهم جزءٌ مقسوم﴾.

الآية: ٤٧ روى سعيد في تفسيره عن أبي أمامة قال: لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غِلٍّ حتى ينزع منه مثل السبع الضّاري، وهذا موافق لما في الصحيح أنّ أبا سعيد الخدري حدّث حديثاً أن رسول الله ﷺ قال: «يخلص المؤمنون من النار فيُحبسون على قنطرة بين الجنّة والنار فيُقتصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذّبُوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة». /ابن كثير ج٢/٥٥٢.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

٥٢: **﴿إذْ دخلُوا عليه فقالوا سلاماً﴾** [أي: سلِّموا سلاماً] **﴿قال إنّا منكم وَجِلُون﴾** خائفُون، وسبب خوفه منهم أنّه رأى أيدِيَهم لاتصل إلى ماقرّبه إليهم من الضيافة **٥٣**: **﴿قالوا لاتَوْجَلْ﴾** لاتخف، **﴿إنّا نُبشِّرُكَ بغلامٍ عليم﴾** إسحاق، قال متعجباً من كِبَرِهِ وكِبَرِ زوجته ومتحققاً للوعد: **٥٤**: **﴿قال أبشّرتُموني على أنْ مسَّنيَ الكِبَرُ فبِمَ تبشِّرُون﴾**؟! فأجابوه مُؤكّدين لِما بشّروه به تحقيقاً وبشارةً بعد بشارة: **٥٥**: **﴿قالوا بشّرناكَ بالحقّ فلا تكن من القانطين﴾** فأجابَهم بأنّه ليس يقنط ولكن يرجُو من الله الولد: **٥٦**: **﴿قالَ ومَن يَقْنطُ مِن رحمةِ ربِّهِ إلّا الضّالُّون﴾** [إنه استبعدَ الولدَ ولم يقنط من رحمة الله] **٥٧**: **﴿قالَ فما خطبُكم أيُّها المرسَلُون﴾**؟ لمّا جاءته البشرى شرع يسألهم عمّا جاؤوا له **٥٨**: **﴿قالُوا إنّا أرسلنا إلى قومٍ مُجرمِين﴾** يعنُون قومَ لوط **٥٩**: ثم أخبروه أنّهم سينجون آلَ لوط من بينهم **﴿إلّا امرأتَهُ﴾** ولهذا قالوا: **٦٠**: **﴿إلّا امرأتَهُ قدّرْنا إنّها لَمِنَ الغابرين﴾** المهلكين، [وكانت كافرة فألحقت بالكافرين في الهلاك] **٦١**: **﴿فلمّا جاءَ آلَ لوطٍ المرسَلُون﴾** جاءت الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه، فدخلوا عليه **٦٢**: **﴿قال إنّكم قومٌ منكَرُون﴾** [أي: لاأعرفكم] **٦٣**: **﴿قالُوا بلْ جِئناكَ بما كانوا فيه يمتَرُون﴾** يعنون بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحُلُوله بساحتهم **٦٤**: **﴿وأتيناك بالحقّ﴾** [أي: بالصدق]، **﴿وإنّا لصادِقُون﴾** تأكيدٌ لخبرهم إيّاه بما أخبروه من نجاته وإهلاك قومه **٦٥**: **﴿فأسْرِ بأهلِكَ بِقِطعٍ مِن اللّيل﴾** أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانبٍ من الليل، **﴿واتّبعْ أدْبارَهم﴾** وأن يمشي لوط عليه السلام وراءهم ليكون أحفظ لهم، **﴿ولا يلتفِتْ منكم أحدٌ﴾** إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلاتلتفتُوا إليهم وذروهم فيما حلّ بهم من العذاب، **﴿وامضُوا حيثُ تُؤمرُون﴾** كأنّه كان معهم من يهديهم السبيل **٦٦**: **﴿وقضينا إليه ذلك الأمرَ﴾** تقدّمنا إليه في هذا **﴿أنّ دابرَ هؤلاء مقطوعٌ مصبحين﴾** وقتَ الصباح **٦٧**: **﴿وجاء أهلُ المدينة يستبشِرُون﴾** لمّا علموا بأضيافه جاؤوا فرحين **٦٨**: **﴿قال إنّ هؤلاء ضيفي فلا تفضَحُونِ﴾** [أي: لاتخجِلُونِ]، **﴿قال هؤلاء بناتي﴾** أرشدهم إلى نسائهم **﴿إنْ كنتمُ فاعلين﴾** [أي: تزوّجوهنّ ولاتركنوا إلى الحرام] **٦٩**: **﴿واتّقُوا الله ولاتُخزُونِ﴾** قال لهم هذا قبل أن يعلم بأنّهم رسلُ الله **٧٠**: **﴿قالوا أوَلَمْ ننْهَكَ عن العالَمِين﴾**؟ أو مانهيناك أن تضيف أحداً. هذا كله وهم غافلون عمّا يُراد بهم وماقد أحاط بهم من البلاء.

الآية : ٥٣ قال ابن كثير : يقول تعالى وأخبرهم يا محمد عن قصة ضيف إبراهيم ، والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر ، وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاماً ﴿ قال إنّا منكم وَجِلون ﴾ أي خائفون وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى لا تصل إلى ما قرّبه إليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيذ ﴿ قالوا لا تَوْجَلْ ﴾ أي لا تخف ﴿ وبَشّرُوهُ بغلام عليم ﴾ أي إسحاق عليه السلام .

الآية : ٦٥ قال ابن كثير : يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزو إنّما يكون ساقةً يُزجي الضعيف ويحمل المنقطع . /تفسير ابن كثير ج٢/٥٥٤ .

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٧١: ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أرشدُهم إلى نسائهم، وماخلق لهم ربُّهم منهنّ من الفُروجِ المُباحة **٧٢: ﴿لَعَمْرُكَ إنّهم لفي سكرتهم يعمهُون﴾** أقسم تعالى بحياةِ نبيّه صلوات الله عليه وسلامه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض. قال ابن عباس: ماخلق الله وماذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وماسمعتُ الله أقسم بحياة أحد غيره. قال تعالى: **﴿لَعَمْرُكَ﴾** وحياتك وبقائك في الدنيا، **﴿إنهم لفي سكرتهم﴾** في ضلالتهم **﴿يعمهون﴾** يلعبون ويتردَّدُون **٧٣: ﴿فأخذتهُمُ الصيحةُ﴾** الصوت القاصف عند شروق الشمس، وذلك مع رفع بلادهم إلى عَنان السماء ثم قَلَبَها: **٧٤: ﴿فجعلنا عاليَها سافِلَها وأمطرنا عليهم حِجارةً مِن سِجّيل﴾** من طين مستحجرة قويّة شديدة **٧٥: ﴿إنّ في ذلك لآياتٍ للمتوسّمين﴾** للمعتبرين المتأملين **٧٦: ﴿وإنّها لَبِسَبيلٍ مُقيم﴾** وإنّ قرية سدومِ التي أصابها من القلب والقذف صارت بحيرةً منتنةً خبيثة، مستمرة إلى اليوم[1] **٧٧: ﴿إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين﴾**، فيما صنعنا بقوم لوط من الهلاك **٧٨: ﴿وإنّ أصحابَ الأيكة لَظالمين﴾** وهم قوم شعيب، والأيكةُ: الشجر الملتف. وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقص المكيال **٧٩: ﴿فانتقمنا منهم﴾** بالصيحة والرجفة، **﴿وإنّهما لَبِإمامٍ مُبين﴾** طريق ظاهر، ولهذا لّما أنذر شعيبٌ قومَه قال: ﴿وماقوم لوط منكم ببعيد﴾ **٨٠: ﴿ولقد كذّبَ أصحابُ الحِجْر المرسَلين﴾** وهم ثمود كذبوا صالحاً، ومن كذّب برسول فقد كَذّب بجميع المرسلين **٨١: ﴿وآتيناهم آياتِنا﴾** الدالّة على صدق صالح، كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من الصخرة **﴿فكانُوا عنها معرضين﴾ ٨٢: ﴿وكانُوا ينحِتُون مِن الجبال بُيُوتاً آمنين﴾** من غير خوف [من أن تسقط عليهم أو تُخرّب] **٨٣: ﴿فأخذتهم الصيحةُ مُصبحين﴾** وقت الصباح من اليوم الرابع **٨٤: ﴿فما أغنَى عنهم ماكانوا يكسبون﴾** من زروعهم وثمارهم، [والأموال والحصون في الجبال] **٨٥: ﴿وماخلقنا السمواتِ والأرضَ ومابينهما إلّا بالحقّ﴾** بالعدل **﴿وإنّ الساعة لآتيةٌ﴾**؛ ﴿ليجزيَ الذين أساؤوا بما عملوا﴾، **﴿فاصفَحِ الصفحَ الجميلَ﴾** [أُمِرَ عليه السلام بالصفح في حقّ نفسه فيما بينه وبينهم] **٨٦: ﴿إنّ ربَّكَ هو الخلاق العليم﴾** الذي لايُعجزه شيء، وهو تقريرٌ للمعاد، وأنّه تعالى قادر على إقامة الساعة [وإعادة الخلق] **٨٧: ﴿ولقد آتيناكَ سبعاً من المثاني﴾** [أي: الفاتحة خرّج الترمذي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الحمدُ لله أمُّ الكتاب والسبع المثاني» قال: هذا حديث حسن صحيح]. **﴿والقرآنَ العظيم﴾** فلاتنظرنّ إلى الدنيا ومامتّعنا به أهلها [وتفسيرها في الآية التالية]: **٨٨: ﴿لاتَمُدَّنّ عينيكَ إلى مامتّعنا به أزواجاً منهم﴾** استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عمّا هم فيه من المتاع والزهرة الفانية. **﴿ولاتحزن عليهم﴾** إن لم يُؤمنوا **﴿واخفِضْ جناحَكَ للمؤمنين﴾** [أي: أَلِنْ جانبك لهم وتواضع] **٨٩: ﴿وقُلْ إنّي أنا النذيرُ المُبين﴾** للناس من عذاب أليم أن يحلّ بهم على تكذيبهم **٩٠: ﴿كما أنزلنا على المُقْتَسِمِين﴾** المُتَحالِفين على تكذيب الأنبياء وأذاهم، وهم أهل الكتاب.

(١) وفي تفسير القرطبي: ﴿وإنّها﴾ يعني قرى لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ على طريق قومك يامحمد إلى الشام اهـ. قلتُ: والبُحيرة المنتنة هي البحر الميت. / انظر تفسير الآية / ١٧٤ / من سورة الشعراء /.

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْل

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٢٧

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

٩١: ﴿الذين جعلُوا القرآنَ عِضِين﴾ وهم أهل الكتاب جزّؤوه أجزاءً فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، [وهم أيضاً الذين فرّقوا أقاويلهم فيه فجعلوه كذباً وسحراً وكهانةً وشعراً، أي: الذين أكثروا البُهتَ على القرآن، ونوّعوا الكذب فيه] **٩٢-٩٣: ﴿فوربِّكَ لنسألنّهم أجمعين. عمّا كانوا يعملون﴾** يسأل العبادَ كلَّهم عن خلّتين يوم القيامة: عمّا كانوا يعبدون، وعمّاذا أجابُوا المرسلين **٩٤: ﴿فاصدعْ بما تُؤمَرُ﴾** أمْضِهِ **﴿وأعرِضْ عن المشركين﴾** [أي: عن الاهتمام باستهزائهم] **٩٥: ﴿إنّا كفيناكَ المستهزئين﴾** [أي: إنّ الله كافيك من آذاك، وكانوا خمسة من رُؤساء أهل مكة] **٩٦: ﴿الذين يجعلون معَ اللهِ إلهاً آخرَ فسوفَ يعلمون﴾** هذا تهديدٌ شديدٌ ووعيد أكيد لمن جعلَ مع الله معبُوداً آخر **٩٧: ﴿ولقد نعلمُ أنّك يضيقُ صدرُكَ بما يقولون﴾** إنّا لنعلمُ يامحمد أنّك يحصلَ لكَ مِن أذاهم لكَ ضيقُ صدرٍ وانقباض، فلايُثنيك ذلك عن إبلاغِكَ رسالةَ الله، وتوكل على الله واشتغل بذكره وتحميده **٩٨: ﴿فسبّحْ بحمدِ ربِّكَ وكُنْ مِنَ الساجدين﴾**، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حَزَبَهُ أمرٌ صلّى **٩٩: ﴿واعبُدْ ربَّك حتى يأتِيَكَ اليقين﴾** المراد باليقين هنا: الموتُ. دلّت هذه الآية على أنّ الصلاةَ واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً، يصلي بحسب حالته، كما ثبتَ في صحيح البخاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلِ قائماً، فإن لم تستطعْ فقاعداً، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْبٍ».

تفسير سورة النّحل

١: ﴿أتى أمرُ اللهِ فلاتستعجِلُوهُ﴾ يُخبر تعالى عن اقتراب الساعة معبّراً بصيغة الماضي الدّالّ على التحقيق والوقوع لامحالة. **﴿فلاتستعجِلُوه﴾** كما قال تعالى: ﴿ويستعجِلُونَكَ بالعذابِ ولولا أجلٌ مُسمًّى لجاءهم العذاب﴾ **﴿سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾** نزّهَ سبحانه نفسَه عن شركهم، تعالى اللهُ وتقدّس علوّاً كبيراً. **٢: ﴿يُنَزِّلُ الملائكة بالروح﴾** الوحي **﴿مِن أمرِهِ على مَن يشاءُ مِن عباده﴾** وهم الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ﴾. **﴿أنْ أنذِرُوا﴾** لِيُنذِرُوا **﴿أنّه لا إله إلّا أنا فاتّقُون﴾** فاتقوا عقوبتي لمِن خالف أمري وعَبَد غيري **٣: ﴿خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقّ﴾** لا للعبث بل ﴿ليجزيَ الذين أساؤوا بما عملُوا ويجزيَ الذين أحسنُوا بالحُسْنَى﴾، ثم نزّهَ نفسَه عن الشرك **﴿تعالى عمّا يُشركون﴾**. **٤: ﴿خلقَ الإنسانَ مِن نُطفةٍ﴾** مهينة ضعيفة فلمّا استقلّ ودَرَجَ **﴿فإذا هو خصيمٌ مُبين﴾** يُخاصِم ربَّه تعالى ويُكذِّبُهُ ويُحارب رُسُلَهُ، وإنّما خُلِقَ ليكون عبداً لاخصماً **٥: ﴿والأنعامَ خلقَها لكم فيها دِفْءٌ ومنافعُ﴾** يمتنُّ اللهُ تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم؛ بما جعل فيها من المصالح والمنافع من أصوافها وأوبارها، **﴿ومنها تأكلون﴾** من ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها **٦: ﴿ولكم فيها جمالٌ حين تُريحُون﴾** الجمالُ: الزينة. [والجمالُ في الأنعام كثرتها]، و**﴿حينَ تُريحون﴾** وقت رُجُوعها عشيّاً من المرعى فإنّها تكون أمدّه خواصر وأعظمه ضُروعاً، **﴿وحين تسْرَحُون﴾** حين تبعثُونها إلى المرعى.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

٧: ﴿**وتحملُ أثقالكم**﴾ الأحمال التي تعجزون عن نقلها وحملها ﴿**إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلّا بشِقِّ الأنفسُ**﴾، وذلك في الحج والغزو والتجارة، وماجرى مجرى ذلك من أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل. ﴿**إنّ ربَّكُمْ لرَؤُوفٌ رحيمٌ**﴾ ربّكم الذي قيّض لكم هذه الأنعام وسخّرَها لكم ٨: ﴿**والخيلَ والبِغَالَ والحميرَ**﴾ هذا صنفٌ آخر مِمّا خلق تبارك وتعالى لعباده يمتنُّ به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة، ﴿**ويخلقُ مالاتعلَمُون**﴾ [مِمّا لم يَرَهُ البشر ولم يسمعُوا به. يخلق مالايُحيط علمكم به من المخلوقات غير ماعدّده هاهنا] ٩: ﴿**وعلى اللهِ قصدُ السبيلِ**﴾ طريق الحقّ على الله، وهو طريق الإسلام. أي: على الله بيان الهدى من الضلال. ﴿**ومنها جائر**﴾ ثم أخبر أنّ ثَمَّ طرقاً زائغة عن الحقّ كاليهوديّة والنصرانيّة والمجوسيّة. ﴿**ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾، [بيّن أنّ المشيئة لله تعالى]. ١٠: ﴿**هو الذي أنزلَ مِن السماءِ ماءً لكم**﴾ لمّا ذكر تعالى ماأنعم به عليهم من الأنعام والدوابّ شرع في ذكر نعمته عليهم في إنزال المطر، ﴿**منه شرابٌ**﴾ عذبٌ يسوغ لكم شربه، ولم يجعله مَلِحاً أجاجاً. ﴿**ومنه شجرٌ**﴾ وأخرج لكم منه شجراً ﴿**فيه تسيمُون**﴾ ترعون فيه أنعامكم. السومُ: الرّعْيُ ١١: ﴿**يُنبتُ لكم بهِ الزرعَ والزيتُونَ والنّخيلَ والأعنابَ ومِن كُلِّ الثمَراتِ**﴾ يُخرجها تعالى من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف صُنُوفها وطُعُومها وألوانها وأشكالها، ولهذا قال تعالى: ﴿**إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرُون**﴾ دلالةً وحُجّةً على أنّه لا إلهَ إلّا الله ١٢: ﴿**وسخّرَ لكم اللّيلَ والنّهارَ والشمسَ والقمرَ والنُّجُومَ مسخراتٌ بأمره**﴾، يُنبّه تعالى عبادَهُ على آياته العِظام في تسخيره الليل والنّهار يتعاقبان، والشمس والقمرَ يدوران، والنجوم الثوابت والسيّارات في أرجاء السموات نوراً وضياءً ليهتدى بها في الظلمات، كلٌّ منها يسير في فَلَكِهِ تحت قهره وسلطانه، ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقِلُون**﴾ لدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم، لقومٍ يعقلون عن الله ويفهمون حُجَجَهُ ١٣: ﴿**وماذَرأَ لكم في الأرضِ مُختلفاً ألوانُهُ**﴾ لمّا نبّه تعالى على معالم السموات نبّهَ على ماخلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الحيوانات والنباتات، والمعادن والجمادات على اختلاف أنواعها، ومافيها من المنافع والخواص، ﴿**إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يذكرون**﴾ آلاءَ الله ونِعمَهُ فيشكرونها ١٤: ﴿**وهو الذي سَخّرَ البحرَ لِتأكلُوا منه لحماً طريّاً**﴾ يُخبر تعالى عن تسخيره البحر بتَذْليلِهِ لهم وتيسيرهم للركوب فيه، وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لحمها لعباده، ﴿**وتستخرجوا منه حِلْيَةً تَلْبَسُونَها**﴾ مِن اللآلىء والجواهر النفيسة، ﴿**وترى الفُلْكَ مواخِرَ فيه**﴾ السُّفن التي تمخرُهُ، أي: تشقه. ﴿**ولتبتغُوا مِن فضله ولعلّكم تشكرون**﴾ نِعَمَهُ وإحسانَهُ.

الآية : ٨ روى الإمام أحمد وأبو داود بإسناد من كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال : ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير فنهانا رسول الله ﷺ من البغال والحمير ولم يَنْهَنا عن الخيل . وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه ونحن بالمدينة . /ابن كثير ج٢/٥٦٣ .

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

١٥: **﴿وألقى في الأرض رَواسِيَ أنْ تَميدَ بكم﴾** وهي الجبال الراسيات لتقرَّ الأرض ولاتضطرب بما عليها، **﴿وأنهاراً وسُبُلاً﴾** جعلَ فيها أنهاراً تجري من مكان إلى مكان آخر رزقاً للعباد، وطُرُقاً يُسلك فيها مِن بلادٍ إلى بلاد **﴿لعلّكم تهتدون﴾** [حيث تقصدون من البلاد] ١٦: **﴿وعلاماتٍ وبالنّجم هم يهتدون﴾** في ظلام الليل. ثم نبَّه تعالى على عظمته وأنّه لاتنبغي العبادة إلّا له دُون ماسواه فقال: ١٧: **﴿أفَمَنْ يخلُقُ كمنْ لايخلقُ﴾** كما قال تعالى: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلقَ الذين مِن دُونه﴾؟! **﴿أفلا تذكرون﴾**؟ ثم نبّههم تعالى على كثرة نعمه وإحسانه إليهم فقال: ١٨: **﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعمةَ اللهِ لاتُحصُوها إنّ الله لغفورٌ رحيم﴾** يتجاوز عنكم، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتُم وتركتم، ولو عذّبكم لعذّبكم وهو غير ظالم لكم ولكنّه غفورٌ رحيم، يغفر الكثير ويجازي على اليسير ١٩: **﴿والله يعلم ماتُسِرُّون وماتُعلِنُون﴾** يُخبر تعالى أنّه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر، وسيجزي كلَّ عامل بعمله يوم القيامة، ثم أخبر تعالى عن الأصنام التي يدعونها من دون الله فقال: ٢٠: **﴿والذين يَدْعُون مِن دُونِ اللهِ لايخلقون شيئاً وهم يُخْلَقُون﴾**، [ثم بيّنَ حقيقة مايدعون مِن دُونِهِ فقال سبحانه]: ٢١: **﴿أمواتٌ غيرُ أحياءٍ﴾** هي جمادات لاأرواح لها، **﴿ومايشعرون أيّانَ يُبْعَثُون﴾** لايدرون متى تكون الساعة، فكيف يرتجَى عند هذه نفعٌ أو ثوابٌ أو جزاء؟! إنّما يُرجى ذلك من الذي يعلم كلَّ شيء وخالق كل شيء ٢٢: **﴿إلهكم إلهٌ واحدٌ﴾** [لمّا بيّن استحالة الشرك بالله بيّن أنّ المعبودَ واحدٌ]، **﴿فالذين لايُؤمنون بالآخرةِ قلوبُهم مُنكِرَةٌ﴾** كما قال تعالى عنهم: ﴿أجعلَ الآلهة إلهاً واحداً؟ إنّ هذا لشيءٌ عُجاب﴾، **﴿وهم مستكبرون﴾** عن عبادة الله ٢٣: **﴿لاجَرَمَ﴾** حقاً [وهي كلمة تحقيق ولاتكون إلّا جواباً]، **﴿أنّ الله يعلمُ مايُسِرُّون ومايُعْلِنُون﴾** وسيجزيهم على ذلك أتمّ الجزاء، **﴿إنّه لايُحِبُّ المستكبرين﴾** ٢٤: **﴿وإذا قيل لهم﴾** لهؤلاء المكذبين: **﴿ماذا أنزلَ ربُّكم﴾**؟ **﴿قالُوا﴾** معرضين عن الجواب: **﴿أساطير الأوّلين﴾** هذا مأخوذ من كتب المتقدّمين ٢٥: **﴿ليحمِلُوا أَوْزارَهم كاملةً يومَ القيامةِ ومِن أوزارِ الذين يُضِلُّونهم بغير علمٍ﴾** يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم وخطيئة إغوائهم لغيرهم، كما جاء في الحديث: «مَن دَعَا إلى هُدَىً كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجُورِ مَن اتبعَهُ لايُنقصُ ذلك مِن أجورهم شيئاً، ومَن دَعَا إلى ضلالةٍ كان عليه مِنَ الإثم مِثْلُ آثام مَن اتبعَهُ لايُنقص ذلك مِن آثامِهم شيئاً». **﴿ألا ساءَ مايَزِرُون﴾** [أي: بئس الوِزْرُ الذي يحملونه] ٢٦: **﴿قدْ مكرَ الذين مِن قبلِهم﴾** وهو النمرُود الذي بنى الصَّرْح **﴿فأتَى اللهُ بُنيانَهم مِن القواعِدِ﴾** اجتثّه من أصله، **﴿فخرَّ عليهم السَّقفُ من فوقِهم﴾** [أي: عليهم وقَع، وكانوا تحته فهلكُوا]، **﴿وأتاهُمُ العذابُ مِن حيثُ لايشعُرُون﴾** [أي: من حيث ظنّوا أنّهم في أمان].

الآية: ٢٥ جاء في الحديث: «من دعا إلى هُدَىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا يُنقصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». /ابن كثير ج٢/٥٦٦.

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

٢٧: ﴿ثم يومَ القيامة يُخْزِيهم﴾ ويقولُ لهم الربُّ تعالى مُقرِّعاً لهم وموبخاً: **﴿أينَ شركائي الذين كنتمْ تُشاقُّون فيهم﴾**؟ أي: تُحاربُون وتُعادون في سبيلهم أين هم؟ **﴿هل ينصُرُونكم أو ينتصِرُون﴾**؟! **﴿قالَ الذين أُوتوا العلمَ﴾** وهم أهلُ الحق **﴿إنّ الخِزْيَ اليومَ والسوءَ على الكافرين﴾** الفضيحةُ والعذابُ محيطٌ اليوم بمن كفرَ بالله وأشركَ بهِ **٢٨: ﴿الذين تتوفّاهُمُ الملائكةُ ظالمي أنفسِهم﴾** يخبر تعالى عن حال المشركين عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة، **﴿فألقَوُا السَّلَمَ﴾** أظهرُوا السمعَ والطاعةَ والانقياد قائلين: **﴿ماكنّا نعملُ مِن سُوءٍ﴾** قال الله مكذِّباً لهم في قيلهم ذلك: **﴿بلى إنّ الله عليمٌ بما كنتم تعملون﴾** **٢٩: ﴿فادْخُلوا أبوابَ جهنّمَ خالدين فيها﴾** [أي: يُقالُ لهم ذلك عند الموت] **﴿فلَبِئْسَ مَثْوَى المتكبّرين﴾** بِئسَ المقيل والمقام في دار الهوان لمن كان متكبّراً عن آياتِ الله واتباع رُسُلِهِ **٣٠: ﴿وقيلَ للذين اتّقَوْا ماذا أنزلَ ربُّكم﴾**؟ هذا خبرٌ عن السعداء **﴿قالُوا خيراً﴾** أنزلَ خيراً ورحمةً وبركة لمن اتّبعَهُ وآمَنَ بهِ، ثم أخبر تعالى عمّا وعدَ اللهُ عبادَهُ فيما أنزله على رسله فقال: **﴿للذين أحْسَنُوا في هذه الدنيا حَسَنةٌ﴾** وهي الحياة الطيبة **﴿ولَدَارُ الآخرةِ خيرٌ﴾** كما قال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وللآخرةُ خيرٌ لكَ مِنَ الأولى﴾، ثم وَصَفَ الدارَ الآخرةَ فقال: **﴿ولَنِعْمَ دارُ المُتقين﴾** **٣١: ﴿جنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها﴾** لهم جنّات عدن في الآخرة **﴿تجري مِن تحتِها الأنهارُ﴾** بين أشجارها وقصورها، **﴿لهم فيها مايشاؤون﴾** كما قال تعالى: ﴿وفيها ماتشتهيهِ الأنفسُ وتَلَذُّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون﴾ ، **﴿كذلك يجزي اللهُ المتقين﴾**، ثم أخبرَ تعالى عن حالهم عند الاحتضار فقال: **٣٢: ﴿الذين تتوفّاهُمُ الملائكةُ طَيّبينَ﴾** طاهرين من الشرك، **﴿يقُولُون سلامٌ عليكم﴾** ويُبشرونَهم بالجنّة **﴿ادْخُلُوا الجنّةَ بما كنتم تعملون﴾** [أي أبشروا بدخول الجنّة بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات] **٣٣: ﴿هل ينظُرُون إلّا أن تأتِيَهُمُ الملائكةُ أو يأتِيَ أمرُ ربِّكَ﴾** يقول تعالى مهدّداً المشركين على تماديهم في الباطل: **﴿هل ينظرون﴾** هل ينتظر هؤلاء إلّا الملائكةَ أن تأتيَهم لقبض أرواحهم، **﴿أو يأتِيَ أمرُ ربِّك﴾** يوم القيامة ومايُعانونه من الأهوال؟! **﴿كذلك فعلَ الذين من قبلهم﴾** هكذا تمادى في شركهم أشباهُهم حتى ذاقُوا بأسَ الله، **﴿وما ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾** لأنّه أعذر إليهم بإرساله رسله، **﴿ولكنْ كانوا أنفسَهم يظلِمُون﴾** بمخالفة الرسل **٣٤: ﴿فأصابَهم سيِّئاتُ ماعمِلُوا وحَاقَ﴾** أحاطَ **﴿بهم﴾** من العذاب **﴿ماكانُوا بهِ يستهزِؤون﴾** يسخرون من الرسل إذا توعدُوهم بعقاب الله.

الآية : **٢٧** ورد في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ينصب لك غادر لواء يوم القيامة عند إسته بقدر غدرته فيقال هذه غدرة فلان بن فلان » .
الآية : ٣١ ورد في الحديث « إنّ السحابة لتمرّ بالملأ من أهل الجنة وهم جلوسٌ على شرابهم فلا يشتهي أحدٌ منهم شيئاً إلاّ أمطرته عليه حتى أنّ منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أترابا فيكون ذلك » !! /ابن كثير ج٢/٥٦١ ـ ٥٦٨ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاءَ اللهُ ماعَبَدْنا مِن دُونِهِ مِن شيءٍ نحنُ ولاآباؤنا ولا حرّمنا من دونهِ مِن شيءٍ﴾ يُخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك، واعتذارهم محتجين بالقدر **﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾** ثم قال تعالى رادّاً عليهم شبهتهم: **﴿فهلْ على الرُّسلِ إلاّ البلاغُ المُبين﴾**؟! ليس الأمرُ كما تزعمون أنّه لم ينكره عليهم بل لقد أنكرَهُ عليكم أشدّ الإنكار ونهاكم عنه آكدَ النهي **٣٦: ﴿لَقدْ بعثنا في كلِّ أُمّة رسولاً﴾** يدعوهم إلى عبادة الله **﴿أن اعبدوا اللهَ واجتنبوا الطاغوتَ﴾** [وهو كل معبودٍ دُون الله]؛ فكيف يسوغ للمشركين بعد هذا أن يقولوا: ﴿لو شاءَ اللهُ ماعبدنا من دونهِ مِن شيءٍ﴾؟ **﴿فمنهم مَن هَدى اللهُ﴾** [بأن أرشدَهُ إلى دينه] **﴿ومنهم مَنْ حقّتْ عليه الضلالة﴾** [أي: وجبت وثبتت لإصراره على كفره]. **﴿فسيرُوا في الأرض فانظرُوا كيفَ كانَ عاقبةُ المكذِّبين﴾** كيف دمّرَ الله عليهم، وللكافرين أمثالها **٣٧: ﴿إنْ تحرصْ على هداهم فإنّ اللهَ لايهدي من يُضِلُّ﴾** أخبر تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم أنْ حرصه على هدايتهم لاينفعُهم إذا كان الله قد أراد إضلالهم، كقوله تعالى: ﴿ومَنْ يُرِدِ اللهُ فتنتَهُ فلنْ تملِكَ لهُ مِن اللهِ شيئاً﴾ و﴿مَن يُضلِلِ اللهُ فلا هادِيَ له ويذرُهم في طُغيانهم يعمهُون﴾، **﴿وماهم من ناصرين﴾** يُنقذُونهم من عذابه ووثاقه **٣٨: ﴿وأقسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيمانِهم﴾** حلفَ المشركون أغلظ الأيمان على أنه **﴿لايبعثُ اللهُ مَن يموتُ﴾** فردّ عليهم تعالى بقوله: **﴿بلى﴾** سيكون ذلك **﴿وَعْداً عليهِ حقاً﴾** لابدّ منه، **﴿ولكنّ أكثرَ النّاسِ لايعلمون﴾** [أنّهم مبعوثون، فأعلمهم] **٣٩: ﴿لِيُبيِّنَ لَهُمُ الذي يختلِفُون فيه﴾** من كل شيء **﴿وليعلمَ الذين كفروا أنّهم كانوا كاذِبين﴾** في أيمانِهم وأقسامهم لايبعث الله من يموت، ولهذا يدعون إلى جهنّم دَعّاً **٤٠: ﴿إنّما قولُنا لشيءٍ إذا أَرَدْناهُ أنْ نقولَ لهُ كُنْ فيكون﴾** أخبر تعالى عن قدرته على مايشاء وأنّه لايعجزه شيء في الأرض والسماء، قال تعالى: ﴿وماأمرنا إلاّ واحدةٌ كلمحٍ بالبصرِ﴾، أنْ نأمرَهُ مرّة واحدة فإذا هو كائن **٤١: ﴿والذين هاجَرُوا في اللهِ مِن بعد ماظُلِمُوا لَنُبَوِّئنّهم في الدنيا حسنةً﴾** نزلت في الذين هاجروا إلى الحبشة حين اشتدّ أذى قومهم لهم بمكة، ليتمكّنُوا من عبادة ربهم؛ فإنّهم تركوا مساكنَهم وأموالَهم فعوّضهم الله خيراً منها في الدنيا، فإنّ مَن ترك لله شيئاً عوّضه الله بما هو خيرٌ منه، **﴿ولأجرُ الآخرةِ أكبرُ﴾** وأعظم مِمّا أعطاهم في الدنيا، **﴿لو كانُوا يعلمون﴾** المتخلّفون عن الهجرة معهم **٤٢: ﴿الذين صَبَرُوا﴾** على أذى قومهم **﴿وعلى ربِّهم يتوكّلون﴾**، [قال بعض أهل التحقيق: خيارُ الخلق مَن إذا نابَهُ أمرٌ صبرَ، وإذا عجزَ عن أمرٍ توكّلَ].

الآية: ٣٨ روى ابن أبي حاتم قال: أخبرني عطاء أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال الله تعالى شتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وكذّبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك؛ فأمّا تكذيبه إيّاي فقال: ﴿ وأقسَمُوا جَهْدَ أَيْمَانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ قال وقلت ﴿ بلى وَعْداً عليه حقاً ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وأمّا شتمه إيّاي فقال ﴿ إنّ الله ثالث ثلاثة ﴾ وقلت ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾. وذكر هذا مرفوعاً في الصحيحين بلفظ آخر إلى النبي ﷺ. /ابن كثير ج٢/٥٦٩/٥٧٠.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

الحزب ٢٨ سجدة

٤٣: ﴿وماأرسلنا مِن قبلِكَ إلّا رجالاً نُوحِي إليهم﴾ ليسُوا من أهل السماء، وهذه الآية أخبرت بأن الرسل الماضين قبلَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا بشراً كما هو بشر. ثم أرشدَ الله تعالى مَن شَكَّ في كون الرسل كانوا بشراً إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدِّمة عن الأنبياء الذين سَلَفُوا هل كان أنبياؤهم بشراً أو ملائكة: **﴿فسألُوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لاتعلمون﴾**، ثم ذكر تعالى أنّه أرسلهم: **٤٤: ﴿بالبيّناتِ﴾** بالحجج والدلائل **﴿والزُّبُرِ﴾** وهي الكتب **﴿وأنزلنا إليكَ الذكرَ﴾** يعني القرآن **﴿لتبيّنَ للنّاس مانُزِّلَ إليهم﴾** مِن ربِّهم لعلمكَ بمعنى ماأنزل الله عليك، **﴿ولعلّهم يتفكرُون﴾** ينظرون لأنفسهم فيهتدون **٤٥: ﴿أفأمِنَ الذين مكروا السيّئاتِ أن يخسِفَ اللهُ بِهِمُ الأرضَ أو يأتِيَهُمُ العذابُ من حيث لايشعُرُون﴾**؟ يُخبر تعالى عن حلمه وإنظاره الذين يعملون السيّئاتِ ويمكرون بالنّاس في حملهم عليها، مع قدرته على أن يخسِفَ بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لايعلمون مجيئه إليهم **٤٦: ﴿أو يأخُذَهم في تقلّبهم﴾** في المعايش واشتغالهم بها **﴿فما هم بمعجزين﴾** لايُعجزون الله على أيِّ حال كانوا عليه **٤٧: ﴿أو يأخذَهم على تخوّفٍ﴾** [أي: تنقّص] أي: إن شئتُ أخذتُهُ على أثر موت صاحبه وتخوّفه بذلك، ليكون أبلغ وأشدَّ، **﴿فإنّ ربّكم لرؤوفٌ رحيمٌ﴾** حيثُ لم يُعاجِلْكم بالعقوبة **٤٨: ﴿أوَلم يرَوْا إلى ماخلقَ اللهُ مِن شيءٍ يتفيّؤُا ظِلالَهُ عن اليمينِ والشمائلِ سُجّداً للهِ وهم داخِرون﴾** يُخبر تعالى عن عظمته الذي خضع له كلُّ شيء، ودانت له المخلوقات؛ فأخبر أنّ كلّ ما له ظِلٌّ يتفيأ ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال، أي: بكرةً وعشياً، فإنّه ساجدٌ بظله لله تعالى **٤٩: ﴿ولله يسجدُ مافي السمواتِ ومافي الأرضِ مِن دابّةٍ﴾** كما قال تعالى: ﴿ولله يسجدُ مَن في السمواتِ والأرضِ طوعاً وكرهاً وظِلالُهم بالغُدُوّ والآصال﴾، **﴿والملائكة وهم لايستكبرون﴾** تسجدُ لله غير مستكبرين عن عبادته **٥٠: ﴿يخافُون ربّهم مِن فَوقِهم﴾** يسجدون خائفين وَجِلين مِن الرّبِّ جلَّ جلالُهُ **﴿ويفعلُون مايُؤمَرُون﴾** مثابرين على طاعته تعالى وامتثال أوامِره **٥١: ﴿وقالَ اللهُ لاتتخذُوا إلهينِ اثنين إنّما هو إلهٌ واحدٌ فإيّايَ فارهبون﴾** يُخبر تعالى أنّه لا إله إلّا هو وأنّه لاتنبغي العبادةُ إلّا له وحده لاشريك له، فإنّه مالكُ كلِّ شيءٍ وخالقهُ. **٥٢: ﴿ولهُ مافي السمواتِ والأرضِ ولهُ الدِّينُ واصِباً﴾** له الدِّين واجباً دائماً، **﴿أفغيرَ اللهِ تتّقون﴾**؟! ارهبُوا أن تُشرِكُوا بي شيئاً وأخلِصُوا لي الدِّين **٥٣: ﴿ومابكم مِن نعمةٍ فمِنَ الله﴾** مابالعباد من رزقٍ وعافية ونصر فمن فضله عليهم وإحسانه إليهم، **﴿ثم إذا مسّكم الضُّرُّ فإليه تجأرون﴾** لعلمِكم أنّه لايقدر على إزالته إلّا هو فإنّكم عند الضرورة تلجؤون إليه **٥٤: ﴿ثم إذا كشفَ الضُّرَّ عنكم إذا فريقٌ منكم بربِّهم يُشرِكُون﴾**، [معنى الآية: التعجب من الإشراك بعد النجاةِ من الهلاك].

الآية: ٤٧ ثبت في الصحيحين: (لا أحدَ أصبرُ على أذىً سمعَهُ من الله، إنّهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويُعافيهم). وفيهما: (إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلتْهُ) ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وكذلك أخذُ ربِّك إذا أخذَ القرى وهي ظالمة إنّ أخذَهُ أليمٌ شديدٌ﴾. /ابن كثير ج٢/٥٧١.

الآية: ٤٩ كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «اللّهمَّ لك سجدتُ وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّرَهُ، وشقَّ سمعه وبصرَهُ، تبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين» رواه مسلم في صحيحه رقم ٧٧١.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

٥٥: **﴿ليكفُروا بما آتيناهم﴾** أشركوا ليكفروا نعِمَ اللهِ عليهم، ثم توعدهم قائلاً: **﴿فتمتّعُوا﴾** اعملُوا ماشئتم وتمتّعُوا بما أنتم فيه قليلاً **﴿فسوفَ تعلمون﴾** عاقبةَ ذلك **٥٦**: **﴿ويجعلُون لِما لايعلمون نصيباً مِمّا رزقناهم﴾** يُخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدُوا مع الله غيرَه وفضلوها على جانبه، فأقسم الله تعالى بنفسه ليسألَنهم عن ذلك فقال: **﴿تاللهِ لتسألُنّ عمّا كنتم تفترون﴾**، ليجازيكم عليه في نار جهنّم **٥٧**: **﴿ويجعلون للهِ البناتِ﴾** الملائكة الذين هم عباد الرحمن فعبدوها معه **﴿سبحانه﴾** وتعالى عن قولهم وإفكهم، **﴿ولهم مايشتهُون﴾** يختارون لأنفسهم الذكور ويأنفون من البنات التي نسبوها إلى الله **٥٨**: **﴿وإذا بُشّرَ أحدُهم بالأنثى ظلّ وجهُهُ مسوَدّاً﴾** كئيباً مِن الهمّ **﴿وهو كظيمٌ﴾** ساكتٌ مِن شدّة ماهو فيه مِن الحُزنِ **٥٩**: **﴿يتوارَى مِن القومِ﴾** يكره أن يراه النّاس **﴿مِن سُوءِ مابُشّرَ بهِ أيُمسِكُهُ على هُونٍ أم يدسُّهُ في التراب﴾** إن أبقاها أبقاها مُهانةً **﴿أم يدسُّهُ في التراب﴾** يئِدُها ويدفنها فيه حَيّةً؟ **﴿ألا ساءَ مايحكمون﴾** بئسَ ماقالوا وبئسَ ماقسَمُوا وبئسَ مانسبُوا إليه **٦٠**: **﴿للذين لايُؤمنون بالآخرة مَثَلُ السَّوْءِ﴾** النقصُ إنّما يُنسبُ إليهم، **﴿ولله المَثَلُ الأعلى﴾** الكمال المطلق مِن كلِّ وجهٍ منسوبٌ إليه **﴿وهو العزيزُ الحكيم﴾** **٦١**: **﴿ولو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بظلمِهم ماتركَ عليها مِن دابّةٍ ولكن يُؤخّرُهُم إلى أجلٍ مُسمّىً﴾** يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم وأنّه لو يُؤاخذهم بما كسَبُوا لأهلك جميع دوابّ الأرض تبعاً لإهلاك بني آدم، ولكنّ الرّبّ جلَّ جلالُهُ يحلُمُ ويسترُ، ولايُعاجِلُهم بالعقوبة، **﴿فإذا جاءَ أجلُهم لايستأخِرُون ساعةً ولايستقدِمُون﴾** **٦٢**: **﴿ويجعلون لله مايكرهون﴾** من البنات ومن الشركاء الذين هم عبيده، ويأنفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ماله. **﴿وتصِفُ ألسنتُهم الكذِبَ أنّ لهم الحُسْنَى﴾** هذا إنكارٌ عليهم في دعواهم مع ذلك أنّ لهم الحُسْنَى في الدنيا، وإنْ كان ثَمَّ مَعَادٌ ففيه لهم الحُسْنَى، **﴿لاجَرَمَ أنّ لهم النّارَ﴾** حقاً لابُدَّ منه أنّ لهم النارَ يومَ القيامة، **﴿وأنّهم مُفرَطُون﴾** مَنسيُّون مضيَّعُون يوم القيامة، لأنّه يُعجَّلُ بهم إلى النّار **٦٣**: **﴿تاللهِ لقد أرسلنا إلى أُمَمٍ مِن قبلِكَ فزيّنَ لَهُمُ الشيطانُ﴾** إنّه تعالى أرسل إلى الأمم الخالية فكذبت الرسل، فَلَكَ يامحمد في إخوانِكَ المرسلين أسوة، وإنما حملهم على ذلك تزيينُ الشيطان لهم مافعَلُوا **﴿فهو وَلِيُّهم اليوم ولهم عذابٌ أليمٌ﴾** هم تحت العقوبة والنكال والشيطان لايملِكُ لهم خلاصاً **٦٤**: **﴿وماأنزلنا عليكَ الكتابَ إلاّ لِتُبيِّنَ لهم الذي اختلفُوا فيه﴾** إنما أنزل عليك الكتاب لتبيّنَ للنّاس الذي يختلِفون فيه، فالقرآنُ فاصِلٌ بين النّاس في كل مايتنازعون فيه، **﴿وهدىً ورحمةً لقومٍ يُؤمِنُون﴾** القرآن هدى للقلوب، ورحمة لمن تمسَّكَ به.

الآية : ٦١ روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال : « إنّ الله لا يُؤخر شيئاً إذا جاء أجلُهُ وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعُون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر » . /ابن كثير ج٢/٥٧٣ .

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

٦٥: **﴿واللهُ أنزلَ مِن السماءِ ماءً فأحيا بهِ الأرضَ بعدَ موتِها﴾** وكما جعلَ اللهُ سبحانه القرآن حياةً للقلوب الميتة بكفرها كذلك يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها بما أنزله عليها من السماءِ مِن ماءٍ **﴿إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يسمَعُون﴾** يفهمون الكلام ومعناه **٦٦**: **﴿وإنّ لكم في الأنعامِ لَعِبْرَةً﴾** إنّ لكم أيّها النّاس في الإبل والبقر والغنم لعبرةً وآيةً دالّةً على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه **﴿نُسقِيكُم مِّمّا في بطونه﴾** أفردَ [الضمير] عوداً على معنى الحيوان من الأنعام، **﴿مِن بينِ فَرْثٍ﴾** أي: [من الزبل الذي ينزل إلى الكرش] **﴿ودم﴾** إذا نضج الغذاء في معدته فيصرف منه الدم إلى العروق **﴿لبناً خالِصاً﴾** إلى الضروع **﴿سائغاً للشاربين﴾** لايغصُّ به أحد، وكلٌّ منها لايشوب الآخرَ ولايُمازجه بعد انفصاله عنه ولايتغيّر به. ولمّا ذكر اللبنَ وأنّه تعالى جعله شراباً للنّاس سائغاً ثنّى بذكر مايتخذه النّاس من الأشربة من الثمرات فقال تعالى: **٦٧**: **﴿ومِن ثمراتِ النخيلِ والأعنابِ تتّخذُون منه سَكَراً﴾** أي: يصنعُون منه النبيذ قبل تحريمه [قال ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر]، **﴿ورِزْقاً حسناً﴾** [أي: جميع مايُؤكل ويُشرب حلالاً من هذه الثمرات]، **﴿إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعقِلُون﴾** وناسب ذكر العقل هاهنا فإنّه أشرف مافي الإنسان، ولهذا حرّم الله الأشربة المسكرة صيانة لعقولهم **٦٨**: **﴿وأوحَى ربُّكَ إلى النّحلِ أنِ اتخذِي مِن الجبالِ بيوتاً ومن الشجرِ وممّا يعرِشُون﴾** المراد بالوحي هنا: الإلهام والهداية للنحل أن تتخذ من الجبال بيُوتاً تأوي إليها، ومن الشجر ومِمّا يعرشون، وهي محكمةٌ في غاية الاتقان بحيث لايكون في بيتها خللٌ، ثم أذنَ لها تعالى إذناً قدرياً تسخيريّاً أن تأكل مِن كلِّ الثمرات فقال تعالى: **٦٩**: **﴿ثم كلي مِن كلِّ الثمراتِ فاسلكِي سُبُلَ ربِّكِ ذُلُلاً﴾** أي: مطيعةً، فإن الطريقَ مذلّلَةٌ لكِ، **﴿يخرجُ مِن بُطونِها شرابٌ مختلفٌ ألوانه﴾** مابين أبيض وأصفر وأحمر، وغير ذلك من الألوان على اختلاف مراعيها، **﴿فيهِ شِفَاءٌ للنّاس﴾** من الأدْوَاء التي تعرض لهم، **﴿إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرُون﴾** **٧٠**: **﴿واللهُ خلقكم ثم يتوفّاكم ومنكم مَن يُردُّ إلى أرذلِ العُمُر﴾** يُخبر تعالى عن تصرّفه في عباده، وأنّه هو الذي أنشأهم مِن العدم، ثم بعد ذلك يتوفّاهم، ومنهم من يتركُهُ حتى يدركَهُ الهرم والضعف **﴿لكي لايعلمَ بعدَ علمٍ شيئاً﴾** بعدما كان عالماً أصبح لايدري شيئاً، **﴿إنّ اللهَ عليمٌ قديرٌ﴾** **٧١**: **﴿واللهُ فضّلَ بعضَكم على بعضٍ في الرزق﴾** [أي: جعل منكم فقيراً وغنياً]، **﴿فما الذين فُضِّلُوا﴾** في الرزق **﴿بِرادِّي رزقِهم على ماملكتْ أيمانُهم فهم فيه سواء﴾** لم يكونوا ليشركوا عبيدَهم في أموالهم ونسائهم فكيف يُشركون عبيدي معي في سلطاني، فذلك قوله تعالى: **﴿أفبنعمةِ اللهِ يجحَدُون﴾**؟ **٧٢**: **﴿واللهُ جعلَ لكم من أنفسِكم أزواجاً﴾** من جنسكم وشكلكم ولو جعل الأزواج من نوع آخر ماحصل الائتلاف والمودّة بينكم **﴿وجعل لكم مِن أزواجِكم بنينَ وحَفَدَةً﴾** هم الولد وولد الولد، **﴿ورزقكم مِن الطيباتِ﴾** من المطاعم والمشارب، ثم أنكر تعالى على من أشرك في عبادته فقال: **﴿أفبالباطل يُؤمنون﴾** وهم الأنداد والأصنام، **﴿وبنعمة اللهِ هم يكفرُون﴾** فيضيفونها إلى غيره؟!.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

الحزب ٢٨

٧٣: ﴿ويعبُدُون مِن دُونِ الله مالا يملكُ لهم رزقاً من السموات﴾ من لايقدر على إنزال المطر **﴿والأرض﴾** ولاإنبات زرع ولاشجر، ولايملكون لأنفسهم **﴿شيئاً ولايستطيعون﴾** ولو أرادُوهُ **٧٤: ﴿فلاتضربُوا لله الأمثال﴾** لاتجعلُوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً **﴿إنّ الله يعلمُ وأنتم لاتعلمون﴾** إنّه يعلم ويشهد أنّه لا إله إلاّ هو، وأنتم بجهلكم تُشرِكُون به غيرَهُ **٧٥: ﴿ضربَ الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدِرُ على شيءٍ ومَن رزقناه منّا رزقاً حَسَناً فهو يُنفق منه سِرّاً وجهراً هل يستوون﴾**؟ هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن، فمثل الكافر مثل العبد المملوك الذي لايقدر على شيء، والمرزوق الرزق الحسنُ فهو يُنفق منه سِرّاً وجهراً هو المؤمن، ولمّا كان هذا الفرقُ واضحاً بيناً لايجهله إلاّ كل غبيّ قال الله تعالى: **﴿الحمدُ لله بل أكثرُهم لايعلمون﴾** **٧٦: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدُهما أبكم لايقدِرُ على شيءٍ وهو كَلٌّ على مَولاهُ﴾** وهذا أيضاً المراد به الوثنُ وصاحب الحقّ ، يعني: أنّ الوثن أبكم لاينطق بخير ولايقدر على شيء **﴿أينما يُوجهه﴾** يبعثه **﴿لايأتِ بخير﴾** ولاينجح مسعاه **﴿هل يستوي هو﴾** مَن هذه صفته **﴿ومَن يأمرُ بالعدل﴾** فمقالُهُ حقٌّ وفِعالُهُ مستقيمة **﴿وهو على صراطٍ مستقيم﴾**؟! [أي: هل يستوي الأبكم ومَن يأمر بالعدل على الصراط المستقيم]؟ **٧٧: ﴿ولله غيبُ السمواتِ والأرض﴾** يُخبر تعالى عن كمال علمه واختصاصه بعلم الغيب فلااطّلاعَ على ذلك إلاّ أن يُطلِعَهُ الله تعالى على مايشاء، **﴿وماأمرُ الساعةِ إلاّ كلمحِ البصرِ أو هو أقربُ﴾** إذا أراد شيئاً فإنّما يكون كطرفِ البصرِ أو هو أقرب، **﴿إنّ الله على كل شيءٍ قديرٌ﴾**، ثم ذكرَ منّتهُ على عباده في إخراجه إيّاهم من بُطون أمهاتِهم فقال: **٧٨: ﴿والله أخرجكم مِن بُطونِ أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعلَ لكم السمعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ لعلّكم تشكرون﴾** إنّما جعلَ تعالى هذه في الإنسان ليتمكّنَ بها من عبادة ربِّهِ تعالى فيستعين بكلِّ جارحة وعضوٍ وقوّةٍ على طاعة مولاه تعالى، فإذا أخلص العبدُ الطاعةَ صارت أفعاله كلها للهِ عزّ وجلّ، فلايسمع إلاّ لله، ولايُبصر إلاّ لله؛ أي ماشرعه اللهُ له، ولايبطش ولايمشي إلاّ في طاعة اللهِ عزّ وجلّ مستعيناً بالله في ذلك كله، ولهذا قال تعالى: **﴿وجعلَ لكم السمعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ لعلّكم تشكرون﴾**. ثم نبَّهَ تعالى إلى النظر إلى الطير المسخّر بينَ السماء والأرض كيف جعله سبحانه يطير بجناحَين في جوّ السماء فقال تعالى: **٧٩: ﴿ألَمْ يَرَوْ إلى الطيرِ مسخراتٍ في جَوِّ السماءِ مايُمسكُهُنّ إلاّ اللهُ﴾** بقدرته التي جعل فيها قوىً تفعل ذلك وسخّرَ الهواءَ يحملها، كما قال تعالى في سورة المُلْك: **﴿أولم يَرَوْا إلى الطيرِ فوقَهم صافّاتٍ ويقبضنَ مايُمسكهنّ إلاّ الرحمن إنّه بكلِّ شيءٍ بصيرٌ﴾**، وهنا قال تعالى: **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يُؤمنون﴾**.

الآية : ٧٧ روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : مَنْ عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أفضلَ من أداء ما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّهُ ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَهُ الذي يسمع به ، وبصرَهُ الذي يُبصر له ، ويدَهُ التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينّه ولئن دعاني لأجيبنّه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنّه » الحديث /ابن كثير ج٢/٥٧٩ .

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

٨٠: ﴿والله جعلَ لكم مِن بُيوتِكم سكناً وجعلَ لكم من جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتاً تستخفُّونها يومَ ظَعْنِكُمْ ويومَ إقامَتِكم﴾ يذكرُ تعالى تمامَ نعمِهِ على عبيدِهِ بما جعل لهم من البيوتِ التي هي سكنٌ لهم يأوون إليها ويستترون بها وينتفِعُون بها بسائر وجوه الانتفاع، وجعل لهم من جلود الأنعام بُيوتاً يستخفون حملها في أسفارهم ليضربُوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، **﴿ومن أصوافِها وأوبارها وأشعارها﴾** من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وشعر المعز، **﴿أثاثاً﴾** تتخذون منه أثاثاً وهو المال والمتاع والثياب، **﴿ومتاعاً إلى حين﴾** إلى أجلٍ مُسمّى ووقتٍ معلوم **٨١: ﴿والله جعلَ لكم مّما خلق لكم ظِلالاً﴾** يعني الشجر، **﴿وجعل لكم مِن الجبال أكناناً﴾** حُصُوناً ومعاقل، **﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرَّ﴾** وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، **﴿وسرابيلَ تقيكم بأسَكم﴾** كالدروع من الحديد المصفّح والزرد وغير ذلك، **﴿كذلك يُتمُّ نعمتَهُ عليكم﴾** بما تستعينُون به على أمركم ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته **﴿لعلّكم تُسلِمُون﴾** [أي: تنقادُون إلى طاعته] **٨٢: ﴿فإنْ تولَّوْا فإنّما عليكَ البلاغُ المبينُ﴾** فإن تولوا بعد هذا البيان فلاعليك فقد أدّيتَ إليهم **٨٣: ﴿يعرِفُون نِعمةَ اللهِ ثم ينكرونها﴾** يعرفون أنّ الله تعالى هو المُسْدِي إليهم ذلك وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك **﴿وأكثرُهم الكافِرُون﴾** [يعني: جميعهم حسبما تقدم]

٨٤: ﴿ويومَ نبعثُ مِن كلِّ أُمّةٍ شهيداً﴾ وهو نبيّها يشهدُ عليها بما أجابته فيما بلّغها عن الله تعالى، **﴿ثم لايُؤذن للذين كفرُوا﴾** في الاعتذار لأنّهم يعلمون بطلانه وكذبه، كما قال تعالى: ﴿هذا يومٌ لاينطِقُون ولايُؤذن لهم فيعتذرون﴾، فلهذا قال سبحانه: **﴿ولاهم يُسْتَعْتَبُون﴾** [أي: لايُكلَّفون أن يُرضُوا ربَّهم] **٨٥: ﴿وإذا رأى الذين ظلمُوا العذاب﴾** الذين أشركوا **﴿فلايُخفَّف عنهم﴾** لايفتر عنهم ساعة واحدة **﴿ولاهم يُنظرُون﴾** لايُؤخر عنهم بل يأخذهم سريعاً **٨٦: ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شُركاءَهم﴾** الذين يعبُدُونهم في الدنيا **﴿قالوا ربَّنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنّا ندْعُوا مِن دُونِكَ فألْقَوْا إليهِمُ القولَ إنّكم لكاذبُون﴾** قالتْ لهم الآلهة [أي الأصنام] كذبتم مانحن أمرناكم بعبادتنا. كما قال تعالى: ﴿وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافِرين﴾ **٨٧: ﴿وألْقَوْا إلى اللهِ يومئذٍ السَّلَمَ﴾** ذُلُّوا واستسلموا لله جميعهم، فلا أحدٌ إلاّ سامع مطيع، كما قال تعالى: ﴿ولو ترى إذِ المجرمُون ناكِسُوا رُؤوسِهم عندَ ربِّهم ربَّنا أبصرنا وسمعنا﴾ الآية. **﴿وضلَّ عنهم ماكانوا يفترُون﴾** ذهبَ واضمحلَّ ماكانُوا يعبُدُونه افتراءً على الله فلاناصِرَ لهم ولامُجير.

الآية : ٨١ قال ابن كثير : فسّره الجمهور وقرءوه بكسر اللام من ﴿ تُسْلِمُون ﴾ من الإسلام . وقال عبد الله بن المبارك عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ﴿ يَسْلَمون ﴾ بفتح اللام يعني من الجراح . /ابن كثير ج٢/٥٨٠ .

الآية : ٨٤ روى مسلم في صحيحه [رقم ٢٧٨٥] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إنّه ليأتي الرجلُ العظيم السمين يومَ القيامةِ لا يزن عندَ الله جناح بعوضة ، اقرأوا : ﴿ فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامة وزناً ﴾ . [الكهف ١٠٥] .

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

نصف الحزب ٢٨

٨٨: ﴿الذين كفرُوا وصَدُّوا عن سبيلِ اللهِ زِدْناهم عذاباً فوق العذاب﴾ أي عقارب أنيابها كالنخل الطِّوال، [وهذا للقادة، فأحد العَذابين على كفرهم والعذاب الآخر على صدّهم]، **﴿بما كانوا يُفسِدُون﴾ ٨٩: ﴿ويومَ نبعثُ في كلِّ أُمّةٍ شهيداً عليهم من أنفسِهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾** يعني: أمتك. أي: اذكر ذلك اليومَ وهَوْلَهُ ومامنَحكَ اللهُ فيه مِن الشرفِ العظيم والمقام الرفيع، وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها ابن مسعود حين قرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدر سورة النساء، فلمّا وصل إلى قوله تعالى: ﴿فكيفَ إذا جئنا مِن كلِّ أمّةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حَسْبُكَ»، قال ابن مسعود: فالتفتُ فإذا عيناه تذرُفَان. **﴿ونزّلنا عليكَ الكتابَ تبْياناً لكلِّ شيءٍ﴾** قال ابن مسعود: قد بيّنَ لنا في هذا القرآن كلَّ علمٍ وكلَّ شيءٍ. فإنّ القرآنَ اشتملَ على كل علم نافع في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم. **﴿وهدىً﴾** للقلوب، **﴿ورحمةً وبُشْرَى للمسلمين﴾ ٩٠: ﴿إنّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ﴾** يأمر اللهُ تعالى عباده بالعدل وهو القسط [وأعلاه] شهادة أن لا إلهَ إلاّ اللهُ. والإحسان وهو أن تكون سريرة العبد أحسن من علانيّته **﴿وإيتاءِ ذي القُرْبَى﴾** يأمر بصلة الأرحام، **﴿وينهى عن الفحشاءِ والمنكرِ﴾** الفواحش والمحرّمات والمنكرات ماظهر منها ومابطن **﴿والبغي﴾** العدوان على النّاس، **﴿يعظُكم لعلّكم تذَكّرُون﴾** يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عمّا ينهاكم عنه من الشرِّ **﴿لعلّكم تذكّرُون﴾ ٩١: ﴿وأوفوا بعهدِ اللهِ إذا عاهدتم﴾** وهذا ممّا يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود **﴿ولاتنْقُضُوا الأيمانَ بعدَ توكيدِها﴾** الأيمان الداخلة في العُهود والمواثيق، لا الأيمان التي هي واردة على حثٍّ أو منع، **﴿وقد جعلتُمُ اللهَ عليكم كفيلاً﴾** [أي: شهيداً وحافظاً وضامناً]. **﴿إنّ اللهَ يعلم ماتفعلُون﴾** تهديدٌ ووعيدٌ لمن نقضَ الأيمان بعد توكيدها **٩٢: ﴿ولاتكونوا كالتي نقضتْ غزلَها مِن بعدِ قوّةٍ أنكاثاً﴾** هذا مثل لمن نقضَ عهدَهُ بعد توكيده، أي: كالتي نقضت غزلها بمكة، وكانت امرأة خرقاء كلّما غزلت شيئاً نقضته بعد انبرامه، **﴿أنكاثاً﴾** أنقاضاً، **﴿تتخِذُون أيمانكم دَخَلاً بينكم﴾** خديعةً ومكراً، **﴿أن تكونَ أُمّةٌ هي أربى مِن أمّة﴾** تحلِفُون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنُّوا إليكم، فإذا أمكنكم الغدرُ غدرتم، فنهى الله عن ذلك **﴿إنّما يَبْلُوكُم اللهُ به﴾** بالوفاء بالعهد **﴿وليبيّنَ لكم يومَ القيامة ما كنتم فيه تختلِفون﴾** فيجازي كلَّ عامل بعمله من خير أو شرّ **٩٣: ﴿ولو شاءَ اللهُ لجعلكم أمةً واحدةً ولكن يُضِلُّ مَن يشاءُ ويهدي مَن يشاءُ ولَتُسْألُنّ عمّا كنتم تعملون﴾** يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيُجازيكم عليها.

الآية: ٩١ روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الغادر يُنصب له لواءٌ يومَ القيامة، فيُقال: هذه غدرة فلان، وإنّ من أعظم الغدر – إلاّ أن يكون الإشراك بالله – أن يُبايع رجلٌ رجلاً على بيعة اللهِ ورسولهِ ثم ينكث بيعتَهُ، فلا يخلعنّ أحدٌ منكم يَدَاً ولايسرفنّ أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون فصلٌ بيني وبينَهُ».
/ابن كثير ج٢/٥٨٤/

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: «إني والله إن شاءَ اللهُ لاأحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلاّ أتيتُ الذي هو خير وتحللتها – وفي رواية: وكفّرتُ عن يميني».
/ابن كثير ج٢/٥٨٣/

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

٩٤: ﴿ولاتتخذُوا أيمانكم دَخَلاً بينكم﴾ حذّرَ الله تعالى عباده من اتخاذ الأيمان خديعةً ومكراً بينهم **﴿فتزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها﴾** لئلاّ تزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها، مثلُ مَن كان على الاستقامة فَحَادَ عنها وزلّ عن طريق الهدى بسبب ذلك، **﴿وتذُوقُوا السُّوءَ بما صَدَدتُم عن سبيلِ الله﴾** لأنّ الكافر إذا رأى أنّ المؤمن قد عاهدَه ثم غدرَ بهِ لم يبقَ له وُثُوقٌ بالدِّين، فانصدَّ بسببهِ عن الدخول في الإسلام، **﴿ولكم عذابٌ عظيمٌ﴾**، ثم قال تعالى: **٩٥: ﴿ولاتشتَرُوا بعهدِ اللهِ ثمناً قليلاً﴾** أي: لاتعتاضُوا عن الأيمان بالله عرضَ الحياة الدنيا فإنّها قليلة، **﴿إنّما عندَ اللهِ هو خيرٌ لكم﴾** جزاءُ الله وثوابه خيرٌ لمن رجاه وطلبه **﴿إنْ كنتم تعلمون﴾ ٩٦: ﴿ماعندَكم يَنْفَدُ﴾** يفرغ لأنّه إلى أجل محصور، **﴿وماعندَ اللهِ باقٍ﴾** وثوابه لكم في الجنّة باقٍ لاانقطاعَ ولانفادَ له فإنّه دائم لايزول **﴿ولَنَجزينَّ الذين صبرُوا أجرَهم بأحسنِ ماكانُوا يعملون﴾** هذا قسَمٌ من الرّبّ تعالى مؤكّدٌ باللام أنّه يُجازي الصابرين بأحسن أعمالهم ويتجاوز عن سيئها **٩٧: ﴿مَن عملَ صالحاً مِن ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فَلَنحيينّهُ حياةً طيّبة﴾** هذا وعدٌ من الله تعالى لمن عمل صالحاً، وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم **﴿ولنجزينّهم أجرَهم بأحْسَنِ ماكانُوا يعملون﴾** أي: في الدار الآخرة **٩٨: ﴿فإذا قرأتَ القرآنَ فاسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيم﴾** هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم إذا أرادُوا قراءةَ القرآن أن يستعيذوا باللهِ مِن الشيطانِ الرجيم **٩٩: ﴿إنّه ليسَ لهُ سُلْطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكّلون﴾** لاحُجّة له عليهم فيطيعونه **١٠٠: ﴿إنّما سلطانُهُ على الذين يتولّونَهُ﴾** يُطيعُونه ويتخذونه وليّاً **﴿وهم بهِ مشركون﴾** صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى **١٠١: ﴿وإذا بدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ واللهُ أعلمُ بما يُنزِّلُ﴾** يُخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلّة إيقانهم وأنّه لايُتصوّر منهم الإيمان أنّهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسُوخها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**﴿إنّما أنتَ مُفْترٍ﴾**) أي: كذاب، **﴿بل أكثرُهم لايعلمون﴾** أنّما هوالربُّ يفعلُ مايشاءُ ويُحكِمُ مايُريد **١٠٢: ﴿قُلْ نزّلَهُ رُوحُ القدس﴾** جبريل **﴿مِن ربِّكَ بالحقّ﴾** بالصدق والعدل، **﴿لِيُثبّتَ الذين آمنوا﴾** فيصدِّقُوا بما أنزل أولاً وثانياً وتخبتُ له قلوبهم، **﴿وهدىً وبشرى للمسلمين﴾** وجعله هادياً، وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: ٩٧ وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «إنّ الله لايُظلم المؤمنُ حسنةً يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وأمّا الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يُعطى بها خيراً». وأخرجه مسلم.

/ابن كثير ج٢/٥٨٥/

الآية: ٩٨ عن عبدالله بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «أعوذُ بالله العظيم وبوجهه الكريم، وسطانه القديم، من الشيطان الرجيم» ثم قال ﷺ: «فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفِظ [قائلها] منّي سائرَ اليوم» رواه أبو داود رقم ٤٦٦/صحيح الجامع رقم ٤٥٩١/.

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ
وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا
فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ
وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

١٠٣: ﴿ولقد نعلمُ أنهم يقولون إنّما يُعلّمهُ بشرٌ﴾ يقول المشركون كذباً وافتراءً أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إنّما يعلمه هذا القرآن بشرٌ ويشيرون إلى رجلٍ أعجمي كان يعرف الشيء اليسير من العربية وكان بياعاً عند الصفا، وربّما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلمه بعض الشيء، فلهذا قال الله تعالى ردّاً عليهم في افترائهم ذلك: **﴿لسانُ الذين يُلحِدُون إليه أعجمي﴾** [أي: لسان الذي يشيرون إليه لايُفصح] **﴿وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبين﴾** القرآن، فكيف يتعلّم مَن جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، من رجلٍ أعجمي؟ أي: لايقول هذا مَن له أدنى مسكة مِن عقل **١٠٤: ﴿إنّ الذين لايُؤمنون بآياتِ اللهِ لايهديهم اللهُ﴾** يُخبر تعالى أنّه لايهدي مَن أعرضَ عن ذكرِهِ وتغافلَ عمّا أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا الجنسُ من النّاس لايهديهم اللهُ إلى الإيمان بآياتِهِ **﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾**، ثم أخبر تعالى أنّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بمفترٍ ولاكذّاب فقال تعالى: **١٠٥: ﴿إنّما يفتري الكذبَ﴾** على الله ورسوله شرارُ الخلق **﴿الذين لايُؤمنون بآياتِ اللهِ﴾** من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند النّاس، **﴿وأولئك هم الكاذبُون﴾**، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصادق الأمين، ولمّا سأل هرقل ملك الروم أباسفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ قال: لا، فقال هرقلُ: فما كان لِيَدَعِ الكذبَ على النّاسِ ويذهبَ فيكذب على الله عزّ وجلّ **١٠٦ ﴿مَن كفرَ باللهِ مِن بعدِ إيمانِهِ﴾** أخبر تعالى عمّن كفرَ به بعدَ إيمانه وشرح صدره بالكفر أنّه قد غضب الله عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأنّ لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة. **﴿إلّا مَن أُكرِهَ وقلبُهُ مطمئنٌ بالإيمان﴾** استثناءٌ ممّن كفرَ بلسانه بلفظه مكرهاً لِما نالهُ من ضربٍ وأذىً وقلبه يأبى مايقول وهو مطمئنٌ بالإيمان باللهِ ورسوله. نزلت في عمّار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم مكرهاً، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم معتذراً، فأنزل الله هذه الآية **١٠٧: ﴿ذلك بأنّهم استحبُّوا الحياةَ الدنيا على الآخرة﴾** [أي: ذلك الغضب الذي استحقوه بأنهم اختاروا الدنيا على الآخرة]، **﴿وأنّ الله لايهدي القومَ الكافرين﴾ ١٠٨: ﴿أولئك الذين طبعَ اللهُ على قلوبهم﴾** [أي: عن فهم المواعظ]، **﴿وسمعهم﴾** [عن كلام الله]، **﴿وأبصارهم﴾** [عن النظر في آيات الله]، **﴿وأولئك هُمُ الغافِلُون﴾** [عمّا يُرادُ بهم] **١٠٩: ﴿لاجرَم أنّهم في الآخرة هم الخاسِرُون﴾** لابُدَّ أنّ مَن هذه صفتُهُ أنّه في الآخرة من الذين خسِـرُوا أنفسَهم وأهليهم يوم القيامة **١٠٠: ﴿ثم إنّ ربَّكَ للذين هاجَرُوا مِن بعدِ مافُتِنوا﴾** هؤلاء صنف كانوا مستضعفين بمكة مهانين فوافقُوهم على الفتنة ثم أمكنهم الخلاصُ بالهجرة فتركوا بلادَهم ابتغاءَ رضوان الله **﴿ثم جاهَدُوا﴾** مع المؤمنين **﴿وصَبَرُوا﴾** فأخبر تعالى أنّه من بعدها **﴿لغفورٌ رحيمٌ﴾** بهم يومَ مَعَادِهم.

الآية: ١٠٦ وروى الإمام أحمد عن أبي بردة قال: قدم على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فإذا رجل عنده قال ماهذا؟! قال رجل كان يهودياً فأسلم ثم تهوّد ونحن نريده على الإسلام منذ [أحسبه قال] شهرين فقال: والله لاأقعد حتى تضربوا عنقه فقال: قضى الله ورسوله أنّ مَنْ رجع عن دينه فاقتلوه، أو قال: «مَنْ بَدّلَ دينَهُ فاقْتُلُوه». وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر. /ابن كثير ج٢/٥٨٨/

ثلاثة أرباع الحزب ٢٨

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١١١: ﴿يومَ تأتِي كلُّ نفسٍ تُجادِلُ عن نفسِها﴾ ليسَ أحدٌ يُحاجّ عنها لأب ولاابن ولأخ **﴿وتُوفَّى كلُّ نفسٍ ماعملت﴾** من خير وشرّ **﴿وهم لايظلمون﴾** لاينقصُ من ثواب الخير، ولايُزاد على ثواب الشر ولايُظلمون نقيراً **١١٢: ﴿وضَرَبَ اللهُ مثلاً قريةً كانتْ آمنةً مطمئنّةً يأتيها رِزْقُها رَغداً من كلِّ مكانٍ﴾** هذا مثلٌ أُريدَ بهِ أهل مكة، فإنّها كانت آمنةً مستقرة يُتخطفُ النّاسُ من حولها ومَن دخلها كان آمناً لايخاف، **﴿يأتيها رزقها رغداً﴾** هنيئاً سهلاً **﴿مِن كلِّ مكان فكفرت بأنعم الله﴾** جحدت آلاءَ الله عليها، وأعظمها بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، **﴿فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخوف﴾** بعدما كان يُجبَى إليهم ثمرات كل شيءٍ رغداً من كل مكان، حيث أصابتهم سَنَةٌ أذهبتْ كلَّ شيءٍ لهم **﴿والخوف﴾** وذلك أنّهم بدّلوا بأمنهم خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين هاجرَ حتى فتحها اللهُ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذلك **﴿بما كانُوا يصنعُون﴾ ١١٣: ﴿ولقد جاءَهم رسولٌ منهم فكذَّبوهُ فأخذَهُمُ العذابُ وهم ظالِمُون﴾** [أي: أهل مكة، والعذاب الذي وقع بمكة هو الشدائد والجوع] **١١٤: ﴿فكلُوا مِمّا رزقكم اللهُ حلالاً طيباً واشكرُوا نعمةَ اللهِ إن كنتم إيّاه تعبدُون﴾** يأمرُ اللهُ المؤمنين بأكل الحلال الطيب وبشكره على ذلك فإنّه المنعمُ المتفضل به ابتداءً الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له، ثم ذكر تعالى ماحرّمه عليهم مِمّا فيه مضرّة لهم في دينهم ودنياهم فقال: **١١٥: ﴿إنّما حرَّمَ عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ وماأُهِلَّ لغيرِ اللهِ بهِ﴾** ذُبح على غير اسم الله، ومع هذا **﴿فمنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ ولاعادٍ فإنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾**. ثم نهى الله تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حلّلوا وحرَّموا بمجرّد ماوصفوه واصطلحُوا عليه من الأسماء بآرائهم من البجيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك فقال تعالى: **١١٦: ﴿ولاتقولوا لِما تصِفُ ألسنتكم الكذبَ هذا حلالٌ وهذا حرام لتفترُوا على اللهِ الكذبِ﴾** لاتقولوا الكذب لوصف ألسنتكم، ثم توعدهم على ذلك فقال تعالى: **﴿إنّ الذين يفترُون على الله الكذب لايُفلِحُون﴾** في الدنيا ولافي الآخرة **١١٧: ﴿متاعٌ قليلٌ ولهم عذابٌ أليمٌ﴾** كما قال تعالى: ﴿نمتّعهم قليلاً ثم نضطرّهم إلى عذابٍ غليظ﴾ **١١٨: ﴿وعلى الذين هَادُوا حرّمنَا ماقَصَصْنَا عليك من قبلُ﴾** لمّا ذكر تعالى توسعته على هذه الأمة ذكر ماكان حرّمه على اليهود في شريعتهم، وماكانوا فيه من الآصَار والأغلال والتضيق والحرَج عليهم، كما قال تعالى: ﴿وعلى الذين هَادُوا حرّمنا كلَّ ذي ظفرٍ ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحُومهما إلاّ ماحملت ظهورُها﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لصادِقُون﴾ ولهذا قال هاهنا: **﴿وماظلمناهم﴾** أي: فيما ضيقنا عليهم **﴿ولكنْ كانُوا أنفسَهم يظلِمُون﴾** فاستحقُوا ذلك.

الآية: ١١٨ روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى: «ياعبادي! إنّي حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم محرّماً فلاتظالموا» وروى أيضاً أنه ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإنّ الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة» الحديث. /الترغيب ج٣/١٨٣/

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١١٩: ﴿ثمّ إنّ ربّكَ للذين عمِلُوا السُّوءَ بجهالةٍ ثُم تَابُوا مِن بَعْدِ ذلك وأَصلَحُوا﴾ أقلعُوا عمّا كانُوا فيه من المعاصي وأقبلوا على فعل الطاعات **﴿إنّ ربَّكَ مِن بعدها﴾** تلك الفعلة والذلّة **﴿لغفورٌ رحيم﴾ ١٢٠: ﴿إنّ إبراهيمَ كان أمةً قانتاً لله حنيفاً﴾** يمدح الله تعالى عبدَهُ ورسولَهُ وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ووالد النبيين ويبرّيه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية **﴿ولم يكُ مِن المشركين﴾ ١٢١: ﴿شاكِراً لأنعمه﴾** قائماً بشكر نِعم الله عليه **﴿اجتباهُ﴾** اصطفاه **﴿وهداه إلى صراطٍ مستقيم﴾** وهو عبادة الله وحده لاشريك له على شرعٍ مرضي **١٢٢: ﴿وآتيناهُ في الدنيا حسنة﴾** لسان صدق **﴿وإنّه في الآخرة لَمِنَ الصالِحين﴾** [لأنه كان في الدنيا مع الصالحين] **١٢٣: ﴿ثم أوحينا إليكَ أنِ اتبعْ مِلّةَ إبراهيم حنيفاً﴾** ثم أوحينا إليك ياخاتم الرسل **﴿أن اتبع مِلّةَ إبراهيم حنيفاً وما كان مِن المشركين﴾** ثم قال منكراً على اليهود: **١٢٤: ﴿إنّما جُعِلَ السبتُ على الذين اختلفُوا فيه﴾** شرع الله لبني إسرائيل يوم الجمعة على لسان موسى عليه السلام فَعَدَلُوا عنه واختاروا السبت، فألزمهم به وأوصاهم أن يُحافِظُوا عليه، حتى بعث الله عيسى عليه السلام فحوّلهم إلى الأحد — فلم يتبعوه — وفي الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نحنُ الآخرون السابقُون يوم القيامة بيدَ أنّهم أُوتوُا الكتابَ من قبلِنَا، ثم هذا يومُهم الذي فُرِضَ عليهم فاختلفُوا فيه، فهدَانَا اللهُ له، فالنّاس تبعٌ؛ اليهود غداً والنصارى بعدَ غدٍ»، **﴿وإنّ ربَّك ليحكُمُ بينهم يومَ القيامةِ فيما كانُوا فيه يختلِفُون﴾ ١٢٥: ﴿ادْعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾** أمرَ اللهُ تعالى رسولَهُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعوَ الخلقَ إلى الله بالحكمة، أي: بما أنزله عليه من الكتاب والسنّة، والموعظة الحسنة، أي: بما فيه مِن الزواجر والوقائع بالنّاس، يُذكّرهم بها ليحذَرُوا بأسَ الله تعالى، **﴿وجادِلهم بالتي هي أحسن﴾** يُناظِرُهم بالوجه الحسن والرفق واللّين، **﴿إنّ ربَّكَ هو أعلمُ بمن ضلّ عن سبيله﴾** مَن قد علِمَ الشقيَ منهم **﴿وهو أعلمُ بالمهتدين﴾** فادْعُهم إلى الله ولاتذهبْ نفسُك على مَن ضلَّ منهم حسراتٍ فإنّما عليك البلاغ **١٢٦: ﴿وإن عاقبتم فعاقِبُوا بمثل ماعُوقبتم بهِ﴾** يأمر الله تعالى بالعدل والقِصاص والمماثلة في استيفاء الحقِّ؛ أي: إن أُخذ منكم شيءٌ فخذوا مثله. **﴿ولئن صبرتم﴾** [فيه ندب إلى العفو] **﴿لهوَ خيرٌ للصابرين﴾** كما قال تعالى: **﴿فمن عَفَا وأصلحَ فأجرُهُ على الله﴾ ١٢٧: ﴿واصْبِرْ وماصبرُك إلاّ بالله﴾** تأكيدٌ للأمر بالصبر، وإخبارٌ بأنّ ذلك لاينال إلاّ بمشيئة الله وإعانته، **﴿ولاتحزن عليهم﴾** على مَن خالفك **﴿ولاتكُ في ضيقٍ﴾** غمٌ **﴿مِمّا يمكرون﴾**، مِمّا يُجهدون أنفسَهم في عداوتك وإيصال الشرّ إليك فإنّ الله كافيك وناصرك **١٢٨: ﴿إنّ الله مع الذين اتّقوْا﴾** الذين تركوا المحرّمات، **﴿والذين هم محسِنُون﴾** فعلُوا الطاعات.

الآية: ١٢٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه وحذيفة رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنّصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأوّلون يوم القيامة والمقضي بينهم قبل الخلائق» رواه مسلم.
/ابن كثير ج٢/٥٩١/

سورة الإسراء

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء ١٥ الحزب ٢٩

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

تفسير سورة الإسراء

١: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾** يُمجِّدُ تعالى نفسَهُ ويُعظِّم شأنَهُ على مالايقدر عليه أحد سواه، **﴿الذي أسرى بعبده﴾** يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم **﴿ليلاً﴾** في جنح الليل **﴿من المسجد الحرام﴾** وهو مسجد مكة **﴿إلى المسجد الأقصى﴾** وهو بيت المقدس، **﴿الذي باركنا حوله﴾** في الزرع والثمار **﴿لنريَهُ﴾** محمداً **﴿من آياتنا﴾** العظام **﴿إنه هو السميعُ البصير﴾** **٢**: **﴿وآتينا موسى الكتاب﴾** لمّا ذكر تعالى أنّه أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم عطفَ بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه، **﴿الكتابَ﴾** يعني التوراة **﴿وجعلناه هُدَىً لبني إسرائيل أنْ لاتتخِذُوا﴾** لئلاّ تتخذوا **﴿مِن دُوني وكيلاً﴾** ولياً ولانصيراً ولامعبوداً دُوني **٣**: **﴿ذُرِّيَّةَ مَن حملنا معَ نوحٍ﴾** ياذريّة مَن حملنا مع نوح؛ فيه تهييجٌ وتنبيه على المِنّة، أي: ياسلالة مَن نجينا مع نوح تشبَّهُوا بأبيكم، **﴿إنّه كان عبداً شكوراً﴾** فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، إنّ نوحاً عليه السلام كان يحمدُ اللّهَ على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله، فلهذا سُمّي عبداً شكوراً. روى أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكلَ الأكلةَ أو يشرَبَ الشَّربةَ فيحمدَ اللّهَ عليها»، ورواه مسلم **٤**: **﴿وقضينا إلى بني إسرائيلَ في الكتاب لَتُفسِدُنّ في الأرض مرتين﴾** يُخبرُ تعالى أنّه قضى أي تقدم إلى بني إسرائيلَ وأخبرَهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنّهم سيفسدون **﴿في الأرض مرتين ولَتَعْلُنَّ علوّاً كبيراً﴾** يتبخترُون ويطغُون ويفجرُون على النّاس **٥**: **﴿فإذا جاء وعدُ أولاهُمَا﴾** أُولَى الإفسادتين **﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديد﴾** سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي قوّةٍ وعِدّةٍ وعددٍ وسلطنةٍ شديدةٍ **﴿فجاسُوا خِلالَ الدّيار﴾** تملّكوا بلادَكم وسلكوا خلال بيوتكم لا يخافون أحداً **﴿وكان وعداً مفعُولاً﴾** [قضاءاً كائناً لا خُلفَ فيه] **٦**: **﴿ثم رَدَدْنا لكم الكرّةَ عليهم﴾** [الرجعة، وذلك لمّا تُبتُم وأطعتم] **﴿وأمدَدْناكم بأموالٍ وبنين﴾** [حتى عادَ أمركم كما كان] **﴿وجعلناكم أكثرَ نفيراً﴾** [أكثر عدداً ورجالاً من عدوّكم]. **٧**: **﴿إن أحسنتُم أحسنتم لأنفسِكم﴾** [نفعُ إحسانِكم عائدٌ عليكم] **﴿وإن أسأتُم فلَها﴾** فعليها، كما قال تعالى: ﴿مَن عمِلَ صالِحاً فلنفسهِ ومن أساءَ فعليها﴾ **﴿فإذا جاءَ وَعْدُ الآخرةِ﴾** إذا أفسدتُم الكرّة الثانية وجاء أعداؤكم **﴿لِيَسُؤُوا وُجُوهَكم﴾** يُهينُوكم ويُقهروكم **﴿وليُتبِّرُوا ما عَلَوْا تتبيراً﴾** يدمِّرُوا ويخرِّبُوا كلَّ ما ظهرُوا عليه.

روى الإمام أحمد عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ كلَّ ليلة «بني إسرائيل» و«الزمر» [وتُسمى سورة الإسراء سورة بني إسرائيل].

الآية: ١ حديث الإسراء رواه البخاري ومسلم مطوّلاً، راجعه في تفسير ابن كثير، مع روايات أخرى ج٣/٢ – ١٦/.

الآية: ٣ ﴿إنّه كان عبداً شكوراً﴾ روى أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضَ عن العبد أن يأكُلَ الأكلةَ أو يشرَبَ الشَّرْبَةَ فيحمد اللهَ عليها».

الآية: ٧ روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إلى هُدىً كان له من الأجر مثلُ أجورِ مَنْ تبعَهُ لايَنْقصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومَنْ دَعَا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثلُ آثامِ من تبِعَهُ لايَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئاً».

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٨: **﴿عسَى ربُّكم أنْ يرحَمَكم﴾** فيصرفهم عنكم **﴿وإنْ عُدْتم عُدْنا﴾** متى عدتم إلى الإفساد **﴿عُدْنا﴾** إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ماندخره لكم في الآخرة من العذاب، ولهذا قال: **﴿وجعلنا جهنَّمَ للكافرين حصيراً﴾** مستقرّاً وسجناً لامَحِيدَ لهم عنه ٩: **﴿إنّ هذا القرآن يهدِي للتي هي أقومُ﴾** يمدح الله تعالى كتابَهُ العزيز الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن بأنّه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السُّبل **﴿ويُبشِّرُ المؤمنين الذين يعملون الصالحات﴾** على مقتضاه، **﴿أنّ لهم أجراً كبيراً﴾** يوم القيامة ١٠: **﴿وأنّ الذين لايُؤمنون بالآخرة﴾** ويُبشرهم [بأنّ لأعدائهم العقاب في الآخرة] **﴿أعتدْنا لهم عذاباً أليماً﴾** ١١: **﴿ويَدْعُ الإنسانُ بالشرِّ دعاءَه بالخير﴾** يُخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسِهِ أو ولده أو ماله بالشرّ، أي: بالموت أو الهلاك أو اللعنة، فلو استجاب له ربُّه لَهَلَكَ بدعائه [لكن بفضله تعالى لايستجيب له في ذلك]، وفي الحديث: «لاتدعُوا على أنفسِكم ولاعلى أموالكم أن توافِقُوا من اللهِ ساعةَ إجابةٍ يستجيبُ فيها»، **﴿وكان الإنسانُ عَجُولاً﴾**، [أي: طبعه العجلة] ١٢: **﴿وجعلنا الليلَ والنّهارَ آيتين فمحونا آيةَ اللّيلِ وجعلنا آيةَ النّهارِ مُبصرةً﴾** يمتنّ تعالى على خلقه بآياته العِظام فمنها مخالفته بين الليل والنّهار ليسكنوا في الليل، وينتشِرُوا في النهار للمعايش والصنائع والأعمال، **﴿لتبتَغُوا فضلاً مِن ربِّكم﴾** في معايشكم وأسفاركم، **﴿ولتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ والحسابَ﴾**، فإنّه لو كان الزمان كله نَسَقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لَما عُرف شيءٌ من ذلك. **﴿وكلَّ شيءٍ فصّلناهُ تفصيلاً﴾** ١٣: **﴿وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائرَهُ في عُنقه﴾** وطائِرُهُ: هو ماطار عنه من عمله، من خيرٍ وشرّ ويلزمه به، ويُجازى عليه. **﴿ونُخرِجُ له يومَ القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾** أي: نجمعُ له عملَهُ كلَّه في كتابٍ يُعطاه يوم القيامة، إمّا بيمينه إن كان سعيداً، أو بشماله إن كان شقياً، **﴿منشوراً﴾** أي: مفتوحاً يقرؤه هو وغيره ١٤: **﴿إقرأ كتابَكَ كفَى بنفسِكَ اليوم عليكَ حسيباً﴾** وقد عدل والله مَن جعلَكَ حسيبَ نفسك ١٥: **﴿مَنِ اهتدَى فإنّما يهتدي لنفسِهِ﴾** يُخبر تعالى أنّ من اهتدى واتبعَ الحقَّ واقتفَى أثرَ النبوّة فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه، **﴿ومَن ضلّ﴾** عن الحقّ **﴿فإنّما يضلُّ عليها﴾** يجني على نفسه **﴿ولاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾** لايحمل أحدٌ ذنب أحد، ولايجني جانٍ إلاّ على نفسه، **﴿وماكنّا مُعذِّبين حتى نبعثَ رسولاً﴾** هذا إخبارٌ عن عدله تعالى، وأنّه تعالى لايُعذِّبُ أحداً إلاّ بعد قيام الحجة عليه ١٦: **﴿وإذا أرَدْنا أنْ نُهْلِكَ قريةً أمرنا مترفيها﴾** أمرناهم بالطاعة، ففعلُوا الفواحش فاستحقوا العقوبة، **﴿فَحقَّ عليها القولُ فدمّرْناها تدميراً﴾** ١٧: **﴿وكم أهلكنا مِنَ القرونِ مِن بعدِ نوحٍ﴾**؟! يُنذر اللهُ كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم؛ ومعناه: أنّكم أيها المكذِّبُون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرفَ الرسل، فعقُوبتكم أولى وأحرى، **﴿وكفَى بربِّكَ بذنوبِ عباده خبيراً بصيراً﴾** هو عالم بجميع أعمالهم لايخفى عليه منها شيءٌ.

الآية: ١٣ روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من عمل يوم إلاّ وهو يُختم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: ياربّنا عبد فلان قد حبسته؟ فيقول الرب جل جلاله: اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت» إسناده جيّد قويّ. /ابن كثير ج٣/٢٨/

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

الحزب ٢٩

١٨: ﴿مَن كان يُريدُ العاجلةَ عجّلْنا له فيها مانشاء لمن نُريدُ﴾ يُخبر تعالى أنّه ماكل مَن طلب الدنيا ومافيها من النعيم يحصل له، بل إنّما يحصل لمن أراد الله ومايشاء، **﴿ثم جعلنا له جهنّم﴾** في الآخرة **﴿يصلاها﴾** يدخلها حتى تغمرُهُ من جميع جوانبه **﴿مذمُوماً﴾** على سوء تصرفه **﴿مَدْحُوراً﴾** مُبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مُهاناً **١٩: ﴿ومَن أرادَ الآخرة﴾** أراد الدار الآخرة ومافيها من النعيم والسرور **﴿وسعى لها سعيها﴾** طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿وهو مؤمنٌ﴾** موقنٌ بالثواب والجزاء **﴿فأولئك كان سعْيهم مشكوراً﴾ ٢٠: ﴿كلاً﴾** كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نمدهم فيما هم فيه **﴿مِن عطاءِ ربِّكَ﴾** هو الحاكم الذي لايجور فيُعطي كلاً مايستحقه، **﴿وماكان عطاءُ ربِّكَ محظوراً﴾** لايمنعه أحد ولايردّه رادٌّ **٢١: ﴿انظُرْ كيف فضّلْنا بعضَهم على بعض﴾** في الدنيا فمنهم الفقير والغنيّ والحسن والقبيح، **﴿وللآخرةُ أكبرُ درجاتٍ وأكبرُ تفضيلاً﴾** ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا؛ فإنّ منهم مَن يكون في جهنّم، ومنهم من يكون في الدرجات العليا ونعيمها وسرورها **٢٢: ﴿لاتجعلْ معَ اللهِ إلهاً آخرَ﴾** أيها المكلّف لاتجعل في عبادتك مع ربّك شريكاً **﴿فتقعُدَ مذموماً مخذولاً﴾** على إشراك به، لأنّ الربَّ تعالى لاينصرك بل يكلك إلى الذي عبدتَ معه وهو لايملك لك ضراً ولانفعاً، لأنّ مالك الضرّ والنفع هو الله وحده لاشريك له **٢٣: ﴿وقضَى ربُّكَ ألاّ تعبُدُوا إلاّ إيّاه﴾** قضَى: أي أمرَ ووصّى بعبادته وحده لاشريك، **﴿وبالوالِدَين إحساناً﴾** وأمر بالوالدين إحساناً، **﴿إمّا يبلغنّ عندكَ الكِبَرَ احدُهما أو كلاهما فلاتقلْ لهما أفٍ﴾** لاتسمعهما قولاً سيئاً حتى ولاالتأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء **﴿ولاتنهرهما﴾** ولايصدر منك إليهما فعل قبيح، ولاتنفضْ يَدَكَ عليهما، **﴿وقُلْ لهما قولاً كريماً﴾** ليّناً طيّباً حسناً وتوقيراً **٢٤: ﴿واخفِضْ لهما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرحمةِ﴾** تواضع لهما بفعلك، **﴿وقلْ ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً﴾** في كبرهما وعند وفاتهما **٢٥: ﴿ربُّكم أعلمُ بما في نُفوسِكم﴾** أي: [من اعتقاد الرحمة بهما]، **﴿إنْ تكُونوا صالحين﴾** [أي: صادقين في نيّة البر بالوالدين] **﴿فإنّ اللهَ كان للأوّابين﴾** المطيعين **﴿غفوراً﴾** يغفر البادِرَة **٢٦: ﴿وآتِ ذَا القُرْبى حقّه والمسكينَ وابنَ السبيل﴾** لمّا ذكر تعالى برَّ الوالِدَين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام. **﴿ولاتُبذّرْ تبذِيراً﴾** لمّا أمرَ بالإنفاق نَهى عن الإسراف فيه **٢٧: ﴿إنّ المبذّرين كانُوا إخوانَ الشياطين﴾** أشباههم في ذلك، **﴿وكان الشيطانُ لربِّهِ كفُوراً﴾** جَحُوداً؛ لأنّه أنكرَ نعمةَ اللهِ عليه ولم يعمل بطاعته.

الآية: ١٨ روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دارُ مَنْ لادارَ له، ومالُ مَنْ لامالَ له، ولها يجمعُ مَنْ لاعقل له». /ابن كثير ج٣/٣٣/

الآية: ٢٢ روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالنّاس لم تُسَدَّ فاقته، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغنى إمّا آجلاً، وإمّا غنىً عاجلاً» ورواه أبو داود والترمذي. /ابن كثير ج٣/٣٤/

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

٢٨: **﴿وإمّا تُعرضَنّ عنهُمُ ابتغاءَ رحمةٍ مِن ربّكَ﴾** إذا سـألك أقاربُكَ ومَن أمرناك بإعطائهم وليس عندكَ شيء وأعرضتَ عنهم لفقد النفقة **﴿فقُلْ لهم قولاً ميسوراً﴾** عِدْهم وعداً بسهولةٍ ولِيْنٍ ٢٩: **﴿ولاتجعلْ يَدَكَ مغلُولةً إلى عُنقِكَ﴾** ينهى الله عن البخل؛ أي: لاتكن بخيلاً، **﴿ولاتبسطها كلَّ البسطِ﴾** ولاتُسرف في الإنفاق فوق طاقتك وتخرج أكثرَ مِن دخلِكَ **﴿فتقعُدَ مَلُوماً محسُوراً﴾** هذا من باب اللف والنشر؛ أي: فتقعُدُ إن بخلتَ ملوماً يلومك النّاس ويذمُّونَكَ ويستغنُونَ عنكَ ٣٠: **﴿إنّ ربَّكَ يبسُطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ ويقدِرُ﴾** إخبارٌ أنّه تعالى هو الرزاق القابضُ الباسِطُ المتصرِّف في خلقه بما يشاء، **﴿إنّه كان بعبادِهِ خبيراً بصيراً﴾** خبير بصيرٌ بمن يستحق الغنَى ومَن يستحق الفقر كما في الحديث: «إنّ من عبادي لَمَنْ لايصلحه إلاّ الفقر، ولو أغنيتُهُ لأفسدتُ عليه دينَهُ، وإنّ مِن عبادي لَمَنْ لايصلحه إلاّ الغنَى، ولو أفقرتُهُ لأفسدتُ عليه دينَهُ» ٣١: **﴿ولاتقتلُوا أولادَكم خشيةَ إملاقٍ﴾** هذه الآيةُ دالّةٌ على أنّ الله أرحم بعباده من الوالد، وكان أهل الجاهليّة يقتل أحدُهم ابنتَهُ لئلاّ تكثر عيلته، فنهى الله عن قتل الأولاد خوف الفقر، ولهذا قدّم الاهتمام برزقهم فقال: **﴿نحنُ نرزقهم وإيّاكم إنّ قتلهم كان خِطئاً كبيراً﴾** ذنباً عظيماً ٣٢: **﴿ولاتقربُوا الزنى إنّه كان فاحِشَةً وساءَ سبيلاً﴾** روى ابن أبي الدنيا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مامِن ذنبٍ بعدَ الشرك أعظم عندَ اللهِ مِن نطفة وضعَها رجلٌ في رحم لايحِلُّ له» ٣٣: **﴿ولاتقتلُوا النفسَ التي حرّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ﴾** وفي الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لايحِلُّ دمُ امرىء مسلم يشهد أن لا إلهَ إلاّ الله وأنّ محمداً رسولُ الله إلاّ بإحدى ثلاث: النفسُ بالنفسِ، والزاني المُحصَنُ، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، **﴿ومَن قُتِلَ مظلُوماً فقد جعلنا لوليّهِ سُلْطَاناً﴾** أي: سُلْطةً على القاتل **﴿فلا يُسرِفْ في القتلِ﴾** بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل، **﴿إنّهُ كان منصوراً﴾** إنّ الولي منصورٌ على القاتل شرعاً وقَدَراً ٣٤: **﴿ولاتقربُوا مالَ اليتيمِ إلاّ بالتي هي أحْسَنُ﴾** لاتتصرّفُوا في مال اليتيم إلاّ بالغبطة **﴿حتى يبلغ أشُدَّهُ وأوفُوا بالعهد﴾** الذي تعاهدُون عليه النّاس، **﴿إنّ العهدَ كان مسؤُولاً﴾**، عنه ٣٥: **﴿وأوفُوا الكيلَ إذا كِلتُم﴾** من غير تطفيفٍ ولاتبخسُوا الناسَ أشياءَهم، **﴿وزِنُوا بالقِسْطاسِ﴾** وهو الميزان **﴿المستقيم﴾** الذي لاانحراف فيه **﴿ذلك خيرٌ﴾** لكم في معاشكم ومعادكم، **﴿وأحْسَنُ تأويلاً﴾** مآلاً ومنقلباً في آخرتكم ٣٦: **﴿ولاتقفُ ماليس لك به علمٌ﴾** لاترمِ أحداً بما ليسَ لكَ به علم، **﴿إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** هذه الصفات سَيُسْأل العبدُ عنها يوم القيامة عمّا عمل فيها ٣٧: **﴿ولاتمشي في الأرضِ مَرَحاً﴾** مُتبختراً كالجبارين **﴿إنّك لن تخرقَ الأرضَ﴾** تقطعَ الأرضَ بمشيك **﴿ولن تبلغَ الجبالَ طولاً﴾** بتمايُلِكَ وفخرِكَ ٣٨: **﴿كلُّ ذلكَ كان سيّئهُ عند ربّك مكرُوهاً﴾** كل هذا قبيحٌ مكروه عند الله.

الآية: ٣٣ روى أصحاب السنن أنّ رسول الله ﷺ قال: «لزوالُ الدنيا عندَ الله أهون من قتل مسلم». /ابن كثير ج٣/٣٨/

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا
﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

٣٩: ﴿**ذلك مِمّا أوحَى إليكَ ربُّكَ مِن الحكمة**﴾ هذا الذي أمرناكَ به من الأخلاق الجملية ونهيناكَ عنه من الصفات الرذيلة مّما أوحينا إليكَ يامحمد لِتأمرَ به النّاس، ﴿**ولاتجعل معَ اللهِ إلهاً آخرَ فتُلقَى في جهنّم مَلُوماً**﴾ تلومُكَ نفسُك، ويلومُكَ الله والخلق، ﴿**مَدْحُوراً**﴾ مبعداً مِن كلِّ خير. والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه صلوات الله وسلامه عليه معصومٌ **٤٠**: ﴿**أفأصْفاكم ربُّكم بالبنين واتخذَ من الملائكة إناثاً**﴾؟ هذا رَدٌّ على المشركين الزاعمين أنّ الملائكة بنات الله؛ أي: خصصكم بالذكور واختار لنفسه على زعمكم البنات؟! ثم شدّدَ الإنكار عليهم فقال تعالى: ﴿**إنّكم لتقولُون قولاً عظياً**﴾، كما قال تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرْنَ منه وتنشقُّ الأرضُ وتخرُّ الجبالُ هَدّاً. أن دَعَوْا للرحمن ولَدَاً. وماينبغي للرحمن أن يتخذَ ولداً﴾ **٤١**: ﴿**ولقد صرّفْنا في هذا القرآنِ**﴾ مِن كلِّ مثل؛ أي: من الوعد والوعيد ﴿**ليذّكّرُوا**﴾ بما فيه من الحجج والبيّنات والمواعظ فينزجروا عمّا هم فيه مِن الشرك والظلم والإفك ﴿**ومايَزيدهم**﴾ أي: الظالمين منهم ﴿**إلاّ نُفوراً**﴾ أي: عن الحقّ وبعداً منه **٤٢**: ﴿**قُلْ لو كان معه آلهةٌ كما يقولون**﴾ قُلْ يامحمد للمشركين: لو كان الأمر كما تقولون أنّ معه آلهة تُعبد ﴿**إذاً لابْتَغَوْا إلى ذي العرشِ سبيلاً**﴾ لكان أولئك المعبودُون يعبدُونه ويبتغُون إليه الوسيلةَ والقُرْبَةَ، فاعبُدُوه أنتم وحده، ولاحاجة لكم إلى معبود يكون واسطةً بينكم وبينه، فإنّه قد نَهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله **٤٣**: ﴿**سبحانه وتعالى عمّا يقوُلُون**﴾ المشركون الظالمون في زعمهم أنّ معه آلهة أخرى ﴿**علوّاً كبيراً**﴾ تعالياً كبيراً **٤٤**: ﴿**تُسبّح له السمواتُ السبعُ والأرضُ ومَن فيهِنّ**﴾ من المخلوقات وتُنزهه وتُعظمه وتبجّله وتكبره عمّا يقول المشركون، وتشهدُ له بالوحدانيّة في رُبُوبيته وإلهيّتِهِ. ﴿**وإنْ مِنْ شيءٍ إلاّ يُسبِّحُ بحمدِهِ**﴾ ومامن شيء من المخلوقات إلاّ يسبح بحمد الله ﴿**ولكن لاتفقهون تسبيحهم**﴾ لأنّها بخلاف لغاتكم. ﴿**إنّه كان حليماً غفُوراً**﴾ **٤٥**: ﴿**وإذا قرأتَ**﴾ يامحمد ﴿**القرآنَ**﴾ على المشركين ﴿**جعلنا بينكَ وبين الذين لايُؤمنون بالآخرة حِجاباً مستوراً**﴾ مانعاً، لاتراه الأبصار **٤٦**: ﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنّةً**﴾ وهو مايغشى القلب ﴿**أن يفقهُوْهُ**﴾ لئلاّ يفهمُوا القرآن ﴿**وفي آذانهم وَقْراً**﴾ وهو الثقل الذي يمنع السماع، ﴿**وإذا ذكرتَ ربَّكَ في القرآن وحده**﴾ وقلتَ: لا إله إلاّ الله ﴿**وَلَّوْا**﴾ راجعين ﴿**على أدبارهم نُفُوراً**﴾. **٤٧**: ﴿**نحنُ أعلمُ بما يستَمِعُون به**﴾ يُخبر تعالى نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بما يتناجَى به كفار قريش ﴿**إذْ يستمعُون إليك وإذْ هم نَجْوَى إذْ يقول الظالِمُون إنْ تتّبِعُون إلاّ رجلاً مسحُوراً**﴾ [أي: قد خبله السحر] **٤٨**: ﴿**انظُر كيفَ ضربُوا لك الأمثالَ**﴾ منهم مَن قال ساحر، ومنهم مَن قال كاهن، ومنهم مَن قال مجنون، ﴿**فضلُّوا فلا يستطيعُون سبيلاً**﴾ فلا يهتدون إلى الحقِّ ولايجدون إليه مخلصاً **٤٩**: ﴿**وقالوا أئذا كنّا عِظاماً ورُفاتاً أَئِنّا لمبعُوثُون خلقاً جديداً**﴾؟ هذا استفهام إنكار من الكفار؛ أي: بعد أن كنّا تراباً وغباراً لمبعوثون يوم القيامة؟ فأمَرَ اللهُ نبيّه أن يجيبهم فقال:

الآية: ٤٤ روى الإمام أحمد بسند فيه ضعيف عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه؟ إنّ نوحاً عليه السلام قال لابنه: يابنيّ آمرك أن تقولَ سبحان الله، فإنّها صلاةُ الخلق، وتسبيح الخلق، وبها يُرزق الخلق». ورواه بإسناد آخر عن عبدالله بن عمر، ولعلّه يقوى به. /ابن كثير ج٣/٤٢/

نصف الحزب ٢٩

۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

٥٠: ﴿قُلْ كُونوا حجارةً أو حديداً﴾ إذ هما أشدّ امتناعاً من العظام والرفات **٥١: ﴿أو خلقاً مِمّا يكبُرُ في صدوركم﴾** يعني: السماء والأرض والجبال، فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم، **﴿فسيقُولُون مَن يُعيدُنا﴾** إذا كنّا حجارةً أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً **﴿قُــلِ الذي فطــرَكم أوّلَ مرّة﴾** الذي خلقكــم ولم تكـونوا شيئـاً؛ فإنّه قادرٌ على إعادتكم، **﴿فسينغضـون إليك رُؤوسهم﴾** يحرّكونها استهزاءً، **﴿ويقـولون متى هو﴾** إخبارٌ عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك، **﴿قلْ عسَى أنْ يكونَ قريباً﴾** احذرُوا ذلك فإنّه قريب إليكم لامحالة فكل ماهو آتٍ آت **٥٢: ﴿يوم يدعُوكم﴾** الربُّ تبارك وتعالى، ﴿إذا دَعـــاكم دعـوةً مِن الأرض إذْ أنـتم تخرجُون﴾ إذا أمركم بـالخروج منهـا فـإنّه لايُخـالَفُ ولايُمـانع بـل كما قـال تعـالى: ﴿ومـاأمرُنـا إلاّ واحدةٌ كلمحٍ بـالبصر﴾، **﴿فستجيبُـون بحمـده﴾** بأمره، **﴿وتظنّون﴾** يوم تقومون من قبوركم **﴿إنْ لبثتم﴾** في الدنيا **﴿إلاّ قليـلاً﴾**، كما قال تعالى: ﴿كأنّهم يوم يرونها لم يلبثُوا إلاّ عشيّةً أو ضُحاها﴾ **٥٣: ﴿وقُلْ لعبادي يقولوا التي هي أحسنُ﴾** يأمرُ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمرَ المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم الكلامَ الأحسن، والكلمة الطيّبة، فإنّهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، **﴿إنّ الشيطانَ ينزَغُ بينهم إنّ الشيطان كان للإنسان عدوّاً مبينـاً﴾** من حين امتنع من السجـود لآدمَ **٥٤: ﴿ربُّكم أعلم بكم﴾** أيها النّاس **﴿إنْ يشأْ يرحمْكم﴾** بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه **﴿أو إنْ يشأْ يُعذِّبْكم﴾** [هذا الخطاب للمشركين] **﴿وما أرسلناكَ﴾** يامحمدُ **﴿عليهم وكيلاً﴾** إنّما أرسلناك نذيراً، فمن أطاعك دخل الجنّة، ومَن عصاك دخلَ النّار **٥٥: ﴿وربُّكَ أعلمُ بمن في السموات والأرض﴾** بمراتبهم في الطاعة والمعصية، **﴿ولقد فضّلنا بعضَ النبيين على بعض﴾** كما قال تعالى: ﴿تلك الرسلُ فضلنا بعضهم على بعض منهم مَن كلّمَ اللهُ ورفعَ بعضَهم درجاتٍ﴾، **﴿وآتينا دَاوُدَ زَبُوراً﴾** تنبيهٌ على فضله وشرفه **٥٦: ﴿قُلِ ادْعُوا الذين زعمتم من دُونِهِ فلايملكون كشفَ الضُّرِّ عنكم ولاتحويلاً﴾** هؤلاء الأصنام والأنداد لايملكون كشفَ الضُّرِّ عنكم، أي: لايقدر على ذلك إلاّ الله وحده لاشريك له، الذي له الخلقُ والأمرُ **٥٧: ﴿أولئك الذين يدعُون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة﴾**، نزلتْ في نفرٍ من العرب كانوا يعبُدُون نفراً من الجنّ، فأسلمَ الجنّيُّون، والإنس الذين كانوا يعبدُونهم لايشعرون بإسلامهم. والوسيلةُ هي القُرْبةُ. ولهذا قال: **﴿أيّهم أقربُ﴾**، **﴿ويرجُون رحمَتَهُ ويخافُون عذابَهُ﴾**؛ لاتتم العبادةُ إلاّ بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكفُّ عن المناهي، وبالرجاء يُكثِرُ من الطاعات، **﴿إنّ عذابَ ربِّكَ كان محذُوراً﴾** ينبغي أن يُحذَرَ منه، ويُخاف من وقوعه وحصوله، عياذاً بالله منه **٥٨: ﴿وإنْ مِنْ قريةٍ إلاّ نحن مُهلِكُوها قبلَ يومِ القيامةِ أو معذّبُوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتابِ مسطُوراً﴾** هذا إخبارٌ من الله عزّ وجلّ بأنّه قد حتمَ وقضى بما قد كتبَ عنده في اللوح المحفوظ أنّه مامِن قرية [أي: مدينة] إلاّ سيُهلكها بأنْ يُبيدَ أهلها جميعهم، أو يُعذّبَهم **﴿عذاباً شديداً﴾** بسبب ذنُوبهم وخطاياهم، كما قال تعالى: ﴿وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسَهم يظلمُون﴾.

الآية: ٥٧ قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لايظلم مؤمناً حسنةً يُعطى بها في الدنيا، ويُجزَى بها في الآخرة، وأمّا الكافر فيُطعم بحسناته ماعمل لله تعالى في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنةٌ يُجزَى بها» رواه مسلم/رياض الصالحين/٢٠٨.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

٥٩: ﴿**ومامَنَعَنَا أنْ نُرسِلَ بالآياتِ**﴾ نبعثَ الآيات ونأتي بها على ماسأل قومُكَ، وإنّه علينا يسير ﴿**إلاّ أنْ كذّبَ بها الأولون**﴾ بعدما سألوها وجرت سنتنا فيهم ومن أمثالهم أنّهم لايُؤخرون إن كذَّبوا بها بعد نزولها، كما قال تعالى: ﴿**وآتينا ثمودَ الناقةَ مبصرةً فظلمُوا بها**﴾ دالّةً على وحدانية مَن خلقها وصدق رسوله الذي أُجيب دُعاؤهُ فيها ﴿**فظلمُوا بها**﴾ كفروا بها ومنعوها شربَها وقتلوها فأبادَهم اللهُ عن آخرهم وانتقم منهم، ﴿**ومانرسِلُ بالآيات إلاّ تخويفاً**﴾ يُخوِّفُ اللهُ الناسَ بما شاء من الآيات لعلّهم يعتبرون **٦٠**: ﴿**وإذْ قلنا لكَ إنّ ربَّك أحاطَ بالنّاس**﴾ يقول تعالى هذا لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم محرّضاً له على إبلاغ رسالته، ومخبراً له بأنّه قد عصمه من الناس، فإنّه القادر عليهم، ﴿**وماجعلنا الرُّءْيَا التي أريناكَ إلاّ فتنةً للنّاس**﴾ وهي رُؤيا عين، أُريها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلةَ أسري به، ﴿**والشجرةَ الملعُونةَ في القرآن**﴾ هي شجرة الزقوم، ﴿**إلاّ فتنةً**﴾ اختباراً وامتحاناً، كما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه رأى الجنّة والنّار ورأى شجرة الزَّقُوم، فكذبوا بذلك. ﴿**ونُخوِّفُهم فما يزيدُهم إلاّ طُغياناً كبيراً**﴾ نُخوّف الكفار بالوعيد والعذاب والنكال ﴿**فما يزيدهم**﴾ إلاّ تمادياً فيما هم فيه من الكفر والضلال **٦١**: ﴿**وإذْ قلنا للملائكةِ اسجدوا لآدمَ فسجدُوا إلاّ إبليس**﴾ فإنّه استكبر وأبى أن يسجد له فتخاراً عليه واحتقاراً له، ﴿**قال أأسجدُ لِمَنْ خلقتَ طيناً**﴾؟ كما قال: ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني مِن نار وخلقته من طين﴾ **٦٢**: ﴿**قال**﴾ [أي: لشيطان] ﴿**أرأيْتَكَ**﴾ يقول للربّ جُرأةً وكفراً، والربُّ تعالى يَحْلُمُ ويُنظِرُ، ﴿**هذا الذي كرّمتَ عليّ**﴾ أرأيْتَكَ هذا الذي شرّفته وعظمته عليّ ئن أنظرتني لأُضِلّن! ذريّتهُ إلاّ قليلاً؛ ﴿**لئن أخرتنِ إلى يوم القيامةِ لأحْتَنِكَنَّ ذُرِّيّتَهُ إلاّ قَلِيلاً**﴾ **٦٣**: لمّا سأل إبليس النَّظِرَةَ ﴿**قال**﴾ الله له ﴿**اذهبْ**﴾ فقد أنظرْتكَ ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ ثم أوعدَه ومَن اتبعه من ذريّة آدم جهنّم، ﴿**فَمَنْ تَبِعَكَ منهم فإنّ جهنّم جزاؤكُم جزاءً موفُوراً**﴾ **٦٤**: ﴿**واستفززْ مَنِ استطعتَ منهم بصوتِكَ**﴾ باللهو والغناء، أي: استخفهم بذلك، ﴿**وأجْلِبْ عليهم بخيلكَ**﴾ أي: واحملْ عليهم بجنودك، وهم كل داعٍ دعا إلى معصية الله؛ أي: تسلط عليهم بكل ماتقدر عليه، وهذا أمرٌ قَدَريّ، ﴿**وشاركهم في الأموال**﴾ بما تأمرهم به من نفاق الأموال في معاصي الله تعالى، ﴿**والأولاد**﴾ من الزنا، ﴿**وعَدْهم ومايعدُهُمُ الشيطانُ إلاّ غُرُوراً**﴾ كما قال عنه تعالى: ﴿إنّ الله وعدَكم وَعْدَ لحقِّ ووعدتُكم فأخلفتكم﴾ **٦٥**: ﴿**إنّ عبادي ليسَ لك عليهم سلطان**﴾ إخبارٌ بتأييده تعالى المؤمنين وحفظه إيّاهم وحراسته لهم مِن الشيطان، ﴿**وكفَى بربّكَ وكيلاً**﴾ حافظاً ومؤيّداً ونصيراً **٦٦**: ﴿**ربُّكُمُ الذي يُزْجِي لكُمُ الفُلْكَ في البحرِ لتبتغُوا من فضلهِ إنّه كان بكم رحيماً**﴾ يُخبر عالى عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة ﴿**إنّه كان بكم رحيماً**﴾ إنّما فعل ذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم.

الآية: ٥٩ عن فُضَالة بن عبيد أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «اللّهمَّ مَنْ آمَنَ بكَ، وشهدَ أنّي رسولُكَ، فحبِّب إليه لقاءَكَ، وسَهِّلْ عليه قضاءَكَ، وأقْلِلْ له من الدنيا، ومَنْ لم يُؤمِنْ ك، ويشهدْ أنّي رسولُك، فلا تحبِّبْ إليه لقاءَكَ ولاتُسهِّلْ عليه قضاءَك، وكثِّرْ له مِنَ الدنيا» رواه الطبراني/صحيح الجامع الصغير ج١/٢٨٠/.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٩

٦٧: ﴿وإذا مسّكم الضُّرُّ في البحرِ ضلَّ مَن تدعُونَ إلاّ إيّاهُ﴾ يُخبر تعالى أنّ النّاس إذا مسَّهم ضُرٌّ دعوه منيبين إليه مخلصين له الدِّين **﴿فلمّا نجّاكم إلى البرِّ أعرضتُم﴾** نسيتم ماعرفتم من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لاشريك له، **﴿وكان الإنسانُ كفُوراً﴾** سجيّتُهُ هذا ينسَى النعمَ ويجحدها إلاّ مَن عصمَ الله **٦٨: ﴿أفأمنتم أن يخسِفَ بكم جانبَ البرِّ أو يرسل عليكم حاصباً﴾**؟ أفحسبتم بخروجكم إلى البرّ أمنتم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانبَ البرِّ أو يرسل عليكم المطر الذي فيه حجارة، وهو الحاصب. **﴿ثم لاتجدُوا لكم وكيلاً﴾** ناصراً يردّ ذلك عنكم وينقذكم منه **٦٩: ﴿أمْ أمنتُم﴾** أيها المعرِضُون عنّا بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلى البرّ أن يُعيدكم فيه مرّةً ثانية **﴿أن يعيدكم فيه تارةً أخرى فيُرسلَ عليكم قاصفاً من الريح﴾** ويُغرق المراكب **﴿فيُغرقكم بما كفرتم﴾** بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى، **﴿ثم لاتجدُوا لكم علينا به تَبيعاً﴾** نصيراً ثائراً؛ يأخذ بثأركم بعدكم **٧٠: ﴿ولقد كرّمنا بني آدمَ وحملناهم في البرِّ والبحرِ﴾** يُخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إيّاه في خلقه لهم على **﴿أحسن تقويم﴾** أحسن الهيئات وأكملها. **﴿وحملناهم في البرِّ﴾** على الدواب من الأنعام والخيل والبغال، **﴿والبحرِ﴾** أيضاً على السُّفن الكبار والصغار، **﴿ورزقناهم من الطيّبات﴾** من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة والملابس الرفيعة، **﴿وفضلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً﴾** مِن سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات **٧١: ﴿يوم ندعُوا كلَّ أناسٍ بإمامهم﴾** يُخبر تعالى عن يوم القيامة أنّه يحاسِبُ كلَّ أمّة **﴿بإمامِهم﴾** بكتاب أعمالهم، **﴿فمَنْ أوتِيَ كتابَهُ بيمنهِ فأولئك يقرؤون كتابَهم﴾** مِن فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه ويُحبُّ قراءتَهُ، كقوله تعالى: **﴿فأمّا مَن أُوتِيَ كتابَهُ بيمينه فيقول هاؤمُ اقرؤوا كتابيه﴾**، **﴿ولايُظلمون فتيلاً﴾** والفتيلُ هو الخيط المستطيل في شق النَّوَاة **٧٢: ﴿ومَن كان في هذه﴾** في الحياة الدنيا **﴿أعمى﴾** عن حجة الله وآياته وبيّناته **﴿فهو في الآخرة أعمى﴾** كذلك يكون **﴿وأضلُّ سبيلاً﴾** وأضلُّ منه كما كان في الدنيا عياذاً بالله من ذلك **٧٣: ﴿وإن كادوا لَيَفتِنُونَكَ عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره﴾** يُخبر تعالى عن تأييده رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيتَهُ وعصمته وسلامتَهُ مِن شرِّ الأشرار، **﴿وإذاً لاتخذُوك خليلاً﴾** [أي: لو فعلتَ ماأرادُوا من اختلاق غير القرآن لصادَقوك ووَالُوك] **٧٤: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كِدتَّ تَركَنُ إليهم شيئاً قليلاً﴾** [أي: لولا أن عصمك الله مِن موافقتهم]، [ولمّا نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لاتكلني إلى نفسي طَرْفَةَ عين»] **٧٥: ﴿إذاً لأذقناكَ ضِعْفَ الحياة﴾** [أي: مثلَيْ عذاب الدنيا]، **﴿وضِعفَ المَمَاتِ﴾** [أي: مثلي عذاب الممات في الآخرة. وهذا غاية الوعيد].

الآية: ٦٩ كان رسول الله ﷺ إذا أراد دخول قريةٍ قال: «اللّهمَّ ربَّ السماواتِ السبعِ وماأظْلَلْنَ، وربَّ الأَرْضِينِ السبع ومااْقْلَلْنَ، وربَّ الشياطينِ وماأَضْلَلْنَ، وربَّ الرّياحِ وماذَرَيْنَ أسألك خيرَ هذه القريةِ وخيرَ أهلها، وخيرَ مافيها، وأعوذُ بك من شرِّها وشرِّ أهلها وشرِّ مافيها» رواه النسائي والحاكم وصححه ج٢/١٠٠/.

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

٧٦: ﴿وإن كادُوا لَيستفِزّونك مِنَ الأرض لِيُخرِجُوك منها وإذاً لايلبثُون خلافَكَ إلاّ قليلاً﴾ نزلت في كفار قريش، همُّوا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية، فلم يكن بعد هجرته إلاّ سَنَةٌ ونصف حتى جمعهم الله وإيّاه ببدر، فأمكنه منهم وسلّطه عليهم فقتل أشرافهم وسبَى ذراريهم، ولهذا قال تعالى: **٧٧: ﴿سُنّةَ مَن قد أرسلنا قبلك من رُسلنا﴾** هكذا عادتنا في الذين كفروا يأتيهم العذاب، ولولا أنّه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا مالاقِبَلَ لأحدٍ به **﴿ولاتجِدُ لسنّتنا تحويلاً﴾** **٧٨: ﴿أقمِ الصلاةَ لِدُلُوك الشمس﴾** لغروبها وزوالها، وأُخِذَ منه الظهر والعصر، **﴿إلى غَسَقِ الليل﴾** وهو ظلامه، وهو العِشاء، **﴿وقرآن الفجر﴾** يعني صلاة الفجر، **﴿إنّ قرآنَ الفجرِ كان مشهوداً﴾** تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. وفي صحيح البخاري (..وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر) **٧٩: ﴿ومِن اللّيلِ فتهجدْ بهِ نافِلَةً لكَ﴾** أمرٌ له صلى الله عليه وآله وسلم بقيام الليل بعد المكتوبة، كما ورد في صحيح مسلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ: أيُّ الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: «صلاةُ الليل»، **﴿نافِلةً لكَ﴾** إنّكَ مخصوصٌ بوجوب ذلك وحدك. **﴿عسى أن يبعثَكَ ربُّكَ مقاماً محموداً﴾** افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمكَ يوم القيامة مقاماً محموداً يحمدك فيه الخلائق كلهم **٨٠: ﴿وقلْ ربِّ أدخلني مُدخلَ صدقٍ وأخرجني مخرج صدق﴾** إنّ كفار مكة لمّا ائتمرُوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه، أمره أن يخرج إلى المدينة [وهو] المدخل الصدق [كما أن الخروج من مكة] مخرج الصدق، **﴿واجعلْ لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾** **٨١: ﴿وقُلْ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطل﴾** هذا تهديد ووعيد لكفار قريش، فإنّه قد جاء من الله الحق الذي هو القرآن، **﴿إنّ الباطِلَ كان زَهُوقاً﴾** [أي: لابقاء له] **٨٢: ﴿ونُنزّلُ مِنَ القرآن ماهو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾** إنّه رحمة للمؤمنين أي يذهب مافي القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ فالقرآن يشفي من كل ذلك. **﴿ولايزيد الظالمين إلاّ خسَاراً﴾** لاينتفع به ولايحفظه ولايعيه، فإنّ الله جعل هذا القرآن شفاءً ورحمةً للمؤمنين **٨٣: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسانِ أعرضَ ونأىٰ بجانبِه﴾** يُخبر تعالى عن نقص الإنسان إلاّ مَن عصمه الله، أنّه إذا أنعمَ الله عليه بَعُدَ عنّا، **﴿وإذا مسّهُ الشرُّ كان يَؤوسَاً﴾** قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير **٨٤: ﴿قُلْ كلٌّ يعملُ على شاكلته﴾** أي على ناحيته وطبيعته ونيّته، وهذه الآية تهديدٌ للمشركين ووعيدٌ لهم، **﴿فربُّكم أعلمُ بمن هو أهدَى سبيلاً﴾** منّا ومنكم **٨٥: ﴿ويسألونَكَ عن الرُّوح﴾** قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سَلُوهُ عن الرُّوح، فنزلتْ: **﴿قلِ الرُّوحُ مِن أمر ربِّي وماأوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾** [هذا خطاب للعالَم كلّه] **٨٦: ﴿ولئن شئنا لنذهبَنّ بالذي أوحينا إليك﴾** القرآن المجيد، [ولكن لانشاء ذلك رحمةً مِن ربِّك]، **﴿ثم لاتجِدُ لك به علينا وكيلاً﴾** [أي: ناصراً يردُّه عليك].

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

٨٧: **﴿إلاّ رحمةً مِن ربّكَ إنّ فَضْلَهُ كان عليك كبيراً﴾** [إذ جعلك سيّد ولد آدم] ٨٨: **﴿قُلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتُوا بمثلِ هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً﴾** نبَّهَ تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنّه لو اجتمعتِ الإنسُ والجنّ كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ماأنزله على رسوله لَما أطاقوا ذلك ولَما استطاعوه ولو تعاونوا وتظافروا، فإنّ هذا أمرٌ لايُستطاع، وكيف يشبه كلامُ المخلوقين كلامَ الخالق؟! ٨٩: **﴿ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن مِن كل مثل﴾** أي بيّنا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه ومع هذا **﴿فأبى أكثر النّاس إلاّ كفوراً﴾** جحوداً للحقّ وردّاً للصواب ٩٠: **﴿وقالُوا لن نُؤمِنَ لكَ حتى تَفْجُرَ لنا مِن الأرض ينبوعاً﴾** [إنّ صناديد قريش] اجتمعُوا عند ظهر الكعبة، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعُوا لك ليكلّمُوكَ، فجاءَهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريعاً وهو يظنّ أنّه قد بدا لهم في أمره بدءٌ، وكان عليهم حريصاً يُحبُّ رشدَهم، فقالوا: يامحمد اسألْ لنا ربّكَ فليسير عنّا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارٌ كانْهارِ الشام، وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا، فنسألهم عمّا تقول، فإن صنعتَ لنا ماسألناك وصدقُوك صدّقناك، [وفي هذا نزلت هذه الآيات] ٩١: **﴿أو تكون لك جنّةٌ من نخيلٍ وعِنَبٍ فتُفجّرَ الأنهارَ خلالَها تفجيراً﴾** ٩٢: **﴿أو تُسقِطَ السماء كما زَعَمْتَ علينا كِسَفاً﴾** [أي: قِطعاً] **﴿أو تأتِي باللهِ والملائكةِ قبيلاً﴾** [أي: مُعاينةً] ٩٣: **﴿أو يكونَ لكَ بيتٌ مِن زُخرُفٍ﴾**، أي: من ذهب **﴿أو ترقَى في السماءِ﴾** أي: تصعَد، **﴿ولئن نؤمِنَ لِرُقِيّكَ حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه﴾** مكتوبٌ فيه إلى كل واحد واحد صحيفة، **﴿قلْ سبحان ربِّي هل كنتُ إلاّ بشراً رسولاً﴾** إليكم أبلّغكم رسالات ربي وأنصح لكم، وقد فعلتُ ذلك ٩٤: **﴿ومامَنَعَ النّاسَ أنْ يُؤمنوا﴾** ومامنع أكثر الناس أن يؤمنوا إلاّ استعجابهم من بعثة البشر رسلاً؛ **﴿إذْ جاءَهم الهدى إلاّ أنْ قالُوا أبعثَ اللهُ بشراً رسولاً﴾** ثم قال تعالى منبهاً على لطفه ورحمته بعباده أنّه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهُوا عنه ويفهموا منه: ٩٥: **﴿قُلْ لو كان في الأرضِ ملائكةٌ يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم مِن السماء ملكاً رسولاً﴾**، ولو بعث إلى البشر رسولاً من الملائكة لَما استطاعوا مواجهته ولا الأخذَ عنه، كما قال تعالى: ﴿لقد مَنّ اللهُ على المؤمنين إذْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ ٩٦: **﴿قُلْ كفَى باللهِ شهيداً بيني وبينكم﴾** يُرشد الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحجة على قومه في صدق ماجاءَهم به، إنّه سبحانه شاهدٌ عليّ وعليكم بما جئتكم به، فلو كنتُ كاذباً عليه لانتقمَ منّي أشدّ الانتقام، كما قال تعالى: ﴿ولو تقوّل علينا بعضَ الأقاويلِ لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوَتين﴾، **﴿إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** عليماً بهم بمن يستحق الإنعامَ والإحسانَ والهداية ممّن يستحق الشقاءَ والإضلال والإزاغة، ولهذا قال تعالى:

الآية: ٩٣ روى الإمام أحمد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرضَ عليّ ربّي عزّ وجلّ ليجعلَ لي بطحاء مكة ذهباً، فقلتُ: لايارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعتُ تضرعتُ إليك وذكرتك، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتك» ورواه الترمذي، وحسّنه. /ابن كثير ج٣/٦٤/

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

الحزب ٣٠

٩٧: ﴿ومَن يهدِ الله فهو المُهْتَدِ﴾ يُخبر تعالى عن تصرّفه في خلقه، وأنّه لامُعَقّبَ له بأنّه مَن يهدِهِ فلامُضِلَّ له **﴿ومَن يُضلِلْ فلنْ تجِدَ لهم أولياءَ مِن دُونِهِ﴾** [أي: لايهديهم أحد]، **﴿ونحشُرهم يوم القيامة على وجوهِهم﴾** إنّ الناس يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النّار. **﴿عمياً﴾** لايُبصرون **﴿وبُكماً﴾** لاينطقون **﴿وصُمّاً﴾** لايسمعون، وهذا يكون في حال دون حال جزاءً لهم كما كانوا في الدنيا بكماً وعمياً وصمّاً عن الحق، **﴿مأْواهم جهنّم كلما خبَتْ زِدْنَاهُم سعيراً﴾** لهباً وَوَهْجاً **٩٨: ﴿ذلك جزاؤهم بأنّهم كفرُوا بآياتنا وقالوا أئذَا كُنّا عِظاماً ورُفاتاً أئنّا لمبعُوثون خلقاً جديداً﴾** وهذا الذي جزيناهم به لأنّهم كذّبُوا بآياتنا، واستبعدُوا وقوعَ البعث. وقد احتجَّ تعالى عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنّه خلق السمواتِ والأرض فقدرته على إعادتهم أسهل مِن ذلك فقال سبحانه **٩٩: ﴿أولمْ يَرَوا أنّ الله الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ قادرٌ على أنْ يخلقَ مثلهم﴾**؟ يوم القيامة يعيد أبدانَهم ويُنشئهم نشأةً أخرى كما بدأهم، **﴿وجعلَ لهم أجلاً لاريبَ فيه﴾** جعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلاً مضروباً، لابُدَّ من انقضائها **﴿فأبَى الظالمُون﴾** بعد قيام الحجّة عليهم **﴿إلاّ كفوراً﴾** وتمادياً في باطلهم **١٠٠: ﴿قُلْ﴾** لهم يامحمد لو أنّكم أيّها النّاسُ تَملِكُون التصرّف في خزائن الله **﴿لأمسكتم خشيةَ الإنفاق﴾** لأنّ هذا من طبائعكم وسجاياكم، ولهذا قال تعالى: **﴿وكان الإنسانُ قَتُوراً﴾** بخيلاً مَنُوعاً **١٠١: ﴿ولقد آتينا موسَى تسعَ آياتٍ﴾** على صحة نبوّته وصدقه فيما أخبرَ بِهِ عمّن أرسله إلى فرعون؛ وهي العصا واليد، والسنين والبحر، والطوفان والجراد والقمل، والضفادع والدم، ﴿فاستكبرُوا وكانوا مجرمين﴾ أي: ومع هذه الأيات ومشاهدتهم لها كفروا بها، **﴿فاسْأَلْ بني إسرائيلَ إذْ جاءَهم﴾** [موسى بهذه الآيات]، **﴿فقال له فرعونُ إنّي لأظنّكَ ياموسى مَسْحُوراً﴾** ساحر **١٠٢: ﴿قال﴾** موسى لفرعون: **﴿لقد علمتَ ماأنزل هؤلاء﴾** [يعني الآيات التسع] **﴿إلاّ ربُّ السمواتِ والأرض بصائرَ﴾** حُجَجاً وأدلّة على صدق ماجئتكَ به **﴿وإنّي لأظنّك يافرعون مثبُوراً﴾** هالكاً ومغلوباً **١٠٣: ﴿فأرادَ أن يستفزّهم مِنَ الأرض﴾** يُخليهم منها ويُزيلهم عنها **﴿فأغرقناهُ ومَن معه جميعاً﴾ ١٠٤: ﴿وقُلْنا مِن بعدِهِ لبني إسرائيل اسكنوا الأرض﴾**، وفي هذا بشارة لمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بفتح مكة مع أنّ السورة مكيّة. وقد أورث الله المستضعفين من بني إسرائيل بلاد فرعون من بعده **﴿فإذا جاءَ وَعْدُ الآخرة جئنا بكم لَفِيفاً﴾**، أي: جميعكم أنتم وعدوّكم.

الآية: ١٠٠ روى الشيخان في صحيحيهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «يَدُ الله ملأى لايَغِيضُها نفقةٌ، سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ماأنفقَ منذ خلقَ السماوات والأرض؟ فإنّه لم يَغِضْ مافي يمينه»!! /ابن كثير ج٣/٦٦/

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)

سجدة

سُورَةُ الْكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)

١٠٥: ﴿**وبالحقِّ أنزلناهُ وبالحقِّ نزلَ**﴾ هذا القرآن بالحقِّ نزلَ أي متضمناً للحقِّ، محفوظاً محروساً لم يُشب بغيره، ولازيدَ فيه، ولانقص منه، بل وصل إليك يامحمد بالحقِّ، نزل به القويُّ الأمين. ﴿**وماأرسناك**﴾ يامحمد ﴿**إلاّ مبشــراً ونـذيراً**﴾ مبشـراً لمن أطاعك من المؤمنين، ونذيراً لمن عصـاك من الكـافرين **١٠٦**: ﴿**وقرآناً فَرَقْناهُ**﴾ فَصْلناهُ من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرّقاً منجّماً على الوقائع إلى رسول الله في ثلاث وعشرين سنّة، ﴿**لِتقرأَهُ على النّاس**﴾ لتبلّغه النّاس وتتلوه عليهم ﴿**على مُكْثٍ**﴾ مهـل ﴿**ونزلنـاه تـنزيلاً**﴾ شيئاً بعد شيء **١٠٧**: ﴿**قُلْ**﴾ يامحمد للمشركين ﴿**آمنوا بهِ أو لاتُؤمِنُوا**﴾ سواء آمنتم به أم لا فهو حقٌّ في نفسه، ﴿**إنّ الذين أُوتوا العلم مِن قبله**﴾ من صالحي أهل الكتاب الذي تمسكوا بكتابهم ويُقيمونـه ولم يُبدّلوه ولاحرّفُوه ﴿**إذا يُتلَى عليهـم**﴾ هذا القـرآن ﴿**يخِـرُّون للأذقـان سُجّداً**﴾ لله عزّ وجلّ شكراً على ماأنعـمَ به عليهم من أنّهم أدركوا هذا الرسول **١٠٨**: ﴿**ويقولون سبحانَ ربِّنا**﴾ أي تعظيماً وتوقيراً على قدرتـه ﴿**إنْ كان وَعْدُ ربِّنـا لمفعُولا**﴾ لايُخـلِف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء **١٠٩**: ﴿**ويخرُّون للأذقان يبكون**﴾ خضوعاً لله عزّ وجلّ وإيماناً بكتابه ورسوله، ﴿**ويزيدُهم خُشوعاً**﴾ أي: إيماناً وتسـليماً كما قـال تعـالى: ﴿والذين اهتـدوا زادَهم هُدىً وآتـاهـم تقـواهـم﴾ **١١٠**: ﴿**قل**﴾ يامحمد للمشركين ﴿**ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرحمنَ أيّاماً تدعُوا فلهُ الأسماءُ الحُسْنَى**﴾ لافرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنّه ذُو الأسماء الحسنَى. ﴿**ولاتجهرْ بصلاتك ولاتُخافِتْ بها**﴾ كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى بأصحابه رفعَ صوتَه بالقرآن فلمّا سمع ذلك المشركون سَبُّوا القرآن، فقال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**ولاتجهر بصلاتك**﴾ بقراءَتِكَ فيسمع المشركون فيسبُّون الله ﴿**ولاتُخافِتْ بها**﴾ عن أصحابك فلاتُسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك، ﴿**وابتغِ بين ذلك سبيلاً**﴾ **١١١**: ﴿**وقلِ الحمدُ لله الذي لم يتخذْ ولداً**﴾ ولمّا أثبتَ تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحُسْنَى نزّه نفسَه عن النقائص، ﴿**ولم يكُنْ له وليٌ مِن الذُلِّ وكبِّرهُ تكبيراً**﴾ لم يُحالف أحداً ولم يبتغِ نصرَ أحد، وعظّمْهُ وأجلّه عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

تفسير سورة الكهف

١: ﴿**الحمدُ لله الذي أنزل على عبدِهِ الكتاب**﴾ حَمَدَ نفسه تعالى على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم؛ لأنّه أعظمُ نعمة أنعمها الله عليه وعلى أهل الأرض. ﴿**ولم يَجْعَلْ لهُ عِوَجاً**﴾ اعوجاجاً ولازيغاً بل جعله مستقيماً **٢**: ﴿**قيماً**﴾ مستقيماً ﴿**لِيُنذِرَ بأساً شديداً من لَدُنْهُ**﴾ لمن خالفه وكذّبه ﴿**بأساً شديداً**﴾ عقوبةً عاجلةً في الدنيا وآجلة في الآخرة، ﴿**ويُبشِّرَ المؤمنين**﴾ بهذا القرآن ﴿**أنّ لهم أجراً حسناً**﴾ مثوبة عندَ الله جميلة **٣**: ﴿**ماكِثين فيه**﴾ في ثوابهم عندَ ربِّهم ﴿**أبداً**﴾ في الجنّة خالدين **٤**: ﴿**ويُنذِرَ الذين قالوا اتّخذَ اللهُ وَلَداً**﴾ وهم مشركو العرب [والنصارى] فقال المشركون: الملائكة بناتُ الله [وقالت النصارى المسيح ابن الله] كذباً وبُهتاناً.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

٥: ﴿مالهم به من علم﴾ افتروه وائتفكوه **﴿ولا لآبائهم﴾** لأسالفهم **﴿كَبُرَتْ كلمةً﴾** هذا تبشيعٌ لمقالتهم؛ لإفكهم، **﴿كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواهِهم إنْ يقولُون إلاّ كذِباً﴾** [أي: مايقولون إلاّ كذباً] **٦: ﴿فَلَعَلّكَ باخِعٌ نفسكَ﴾** بحزنِكَ عليهم **﴿إن لم يُؤمِنُوا بهذا الحديث﴾** يعني القرآن **﴿أسَفاً﴾** لاتهلك نفسَكَ غضباً وحزناً عليهم **٧: ﴿إنّا جعلنا ماعلى الأرض زينةً لها﴾** مزيّنة [بالرجال الصالحين والأعمال الصالحة الحسنة]، **﴿لِنَبْلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً﴾ ٨: ﴿وإنّا لجاعِلُون ماعليها صعيداً جُرُزاً﴾** وإنّا لمصيّروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار، فنجعل كلَّ شيءٍ عليها هالكاً، يعني: الأرض وإنّ ماعليها لفانٍ وبائدٍ، وإنّ المرجع إلى الله، فلاتأس ويحزنك ماتسمع وترى. والصعيدُ: الأرض التي لانبات فيها، [والجُرُزُ: الأرض التي لابناء عليها] **٩: ﴿أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحابَ الكهفِ والرقيمِ كانُوا من آياتِنا عَجَباً﴾** الكهفُ: الغار في الجبل، والرقيمُ: اسم الوادي والبنيان. وهذا إخبارٌ من الله تعالى عن قصّة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار، ثم بسطها، أي: ليس أمرهم عجيباً في قدرتنا وسلطاننا **١٠: ﴿إذْ أوَى الفتيةُ إلى الكهفِ﴾** يُخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فَرُّوا بدينهم من قومهم لئلاّ يفتنُوهم عنه فهربُوا منهم فَلَجَؤُوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، **﴿فقالوا ربَّنا آتِنا من لَدُنْكَ رحمةً﴾** ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا، **﴿وهيِّءْ لنا من أمرِنا رشداً﴾** اجعل عاقبتنا رَشَداً **١١: ﴿فضَرَبْنا على آذانِهم في الكهفِ سنينَ عَدَداً﴾** ألقينا عليهم النومَ حين دخلوا إلى الكهف، فنامُوا سِنين كثيرة **١٢: ﴿ثم بعثناهم﴾** من رقدتهم **﴿لنعلمَ أيُّ الحزْبَين﴾** المختلفَين فيهم **﴿أحصَى لما لَبِثوا أمداً﴾** أي: عَدَداً **١٣: ﴿نحنُ نقصُّ عليك نبأهم بالحقِّ﴾** هاهُنا شرع في بسط القصّة، **﴿إنّهم فتيةٌ آمنُوا بربِّهم﴾** الفتية: الشباب. شهدُوا أنّه لا إله إلاّ هو **﴿وزدناهم هُدَىً﴾** [أي: يسَّرْناهم للعمل الصالح] **١٤: ﴿وربطنا على قلوبِهم﴾** صبّرناهم على مخالفة قومهم **﴿إذْ قامُوا فقالوا ربُّنا ربُّ السمواتِ والأرضِ﴾** إنّهم خرجُوا في بعض أعياد قومهم، وكانوا يعبدون الأصنام، فلمّا نظروا إلى مايصنع قومُهم من السجود لأصنامهم، فجعلَ كلُّ واحد منهم يتخلّص من قومه وينحازُ ناحيةً، حتى توافقُوا كلهم على كلمة واحدة، فاتخذُوا لهم [مسجداً] يعبدون الله فيه، فوشاهم قومهم إلى ملكهم فاستحضرهم، فسألهم عن أمرهم، فأجابُوا بالحق، ودعوه إلى الله عزّ وجلّ؛ ولهذا قال تعالى عنهم: **﴿وربطنا على قلوبهم إذْ قامُوا فقالوا ربُّنا ربُّ السمواتِ والأرضِ لن ندعوَ من دُونِه إلهاً﴾** غيره، أي: لايقع منّا هذا أبداً، **﴿لقد قلنا إذاً شطَطَاً﴾** باطلاً وكذباً وبُهتاناً **١٥: ﴿هؤلاء قومنا اتّخذوا من دُونِه آلهةً لولا يأتُون عليهم بسلطانٍ بيّن﴾** هلاّ أقامُوا على صحة ماذهبوا إليه دليلاً واضحاً، **﴿فَمَنْ أظلمُ مِمّن افترى على اللهِ كذباً﴾** في قولهم ذلك؟! لمّا دعوهُ إلى الإيمان بالله أبَى عليهم وتهدّدَهم وتوعدَهم. ففرُّوا إلى الكهف، والفرار من الفتنة مشروع.

فضل سورة الكهف: روى الإمام أحمد عن البراء قال: قرأ رجل الكهف وفي داره دابّة فجعلت تنفر، فنظر ضبابة أو سحابة قد غشيته، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلانٌ فإنّها السكينة تنزل عند القرآن، أو تنزّلت للقرآن». وروى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال». وروى أحمد أيضاً: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال» ورواه مسلم. /ابن كثير ج٣/٧٠/

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

الحزب ٣٠

١٦: **﴿وإذِ اعتزلتُموهم ومايعْبُدُون إلاّ الله﴾** وإذْ فارقتُموهم وخالفتموهم في عبادتهم غيرَ الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم **﴿فأووا إلى الكهف ينشرْ لكم ربُّكم مِن رحمتِهِ﴾** يبسط عليكم رحمةً يستركم بها من قومكم **﴿ويُهيّىءْ لكم مِن أمرِكم﴾** الذي أنتم فيه **﴿مِرْفقاً﴾** أمراً ترتفِقون به ١٧: **﴿وترى الشمسَ إذا طلعتْ تزاوَرُ عن كهفهم ذاتَ اليمين﴾** يتقلّصُ الفيء يُمنةً، **﴿تزاوَرُ﴾** تميل، وذلك أنّها كلّما ارتفعت في الأُفق تقلّصَ شُعاعُها بارتفاعها، حتى لايبقى منه شيء عند الزوال مثل ذلك المكان. **﴿وإذا غربت تقرِضُهم ذاتَ الشمال﴾** تدخل إلى غارهم من شمال بابِهِ، **﴿وهم في فجوةٍ منه﴾** [أي: في متسعٍ من الكهف]، **﴿ذلك مِن آياتِ الله﴾** حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانُهم **﴿مَن يهدِ الله فهو المُهْتدِ﴾** هو الذي أرشدَهم إلى الهداية من بين قومهم، **﴿ومَن يُضْلِلْ فلن تجِدَ له ولياً مرشداً﴾** ١٨: **﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رُقُودٌ﴾** لّما ضربَ الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينُهم لئلاّ يُسرع إليها البلى، فإذا بقيت ظاهرةً للهواء كان لها أبقى، **﴿ونُقلّبُهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمال﴾** لئلا تأكل الأرض لحومَهم، **﴿وكلبُهم باسطٌ ذراعيهِ بالوَصيد﴾** بالباب، يحرسُ عليهم الباب، **﴿لو اطّلعتَ عليهم لَوَلّيتَ منهم فِراراً ولَمُلِئتَ منهم رُعْباً﴾** إنّه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لايقعُ نظرُ أحدٍ عليهم إلاّ هابَهم؛ لئلاّ يدنُوا منهم أحدٌ، ولاتمسّهم يَدُ لاَمِسٍ ١٩: **﴿وكذلك بعثناهم﴾** وكما أرْقَدْناهم بعثناهم صحيحةً أبدانهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتِهم شيئاً، وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين، **﴿ليتساءَلُوا بينهم﴾** ولهذا تساءَلُوا بينهم **﴿كم لبثتم﴾** كم رقدتم؟ **﴿قالوا لَبِثنا يوماً أو بعضَ يومٍ﴾** لأنّه كان دخولهم إلى الكهف في أوّل النهار، واستيقاظهم آخرَهُ، ولهذا استدركوا فقالوا **﴿أو بعضَ يومٍ، قالوا ربُّكم أعلمُ بما لبثتم﴾** اللهُ أعلمُ بأمركم وكأنّه حصل لهم نوعُ تردّدٍ في كثرة نومهم. ثم قالوا: **﴿فابعَثوا أحدَكم بِوَرِقِكُمْ هذه﴾** فضّتكم هذه **﴿إلى المدينة﴾** التي خرجتم منها **﴿فلينظُرْ أيّها أزكى طعاماً﴾** أطيب طعاماً **﴿فليأتِكم برزْقٍ منه وَلْيَتلطّفْ﴾** في خروجهِ وذهابهِ وشرائه وإيابه **﴿ولا يُشعِرَنّ بكم أحداً﴾** لايُعلمنّ أحداً بكم ٢٠: **﴿إنّهم إن يظهروا عليكم يرجُمُوكم﴾** إن علموا بمكانكم [يقتلونكم بالحجارة]، **﴿أو يُعيدوكم في مِلّتِهم﴾** أو يُعذّبُوكم إلى أن يعيدوكم في مِلّتِهم بأنواع العذاب، **﴿ولن تُفلِحُوا إذاً أبداً﴾** فلا فلاحَ لكم في الدنيا ولا في الآخرة.

وروى المنذري في الترغيب عن أبي سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاءَ له من النور مابينَ الجمعتين» رواه النسائي والبيهقي والحاكم وصححه. /الترغيب ج١/٥١٢/

الآية: ٢٠ كان رسول الله ﷺ إذا خاف قوماً قال: «اللّهمَّ إنّا نجعلك في نحورهم، ونعوذُ بك من شرورهم» رواه أبو داود رقم ١٥٣٧/ وقال ﷺ: «إذا خِفْتَ سلطاناً أو غيره فقُلْ: لا إلهَ إلّا اللهُ الحليم الكريم، سبحان الله ربِّ السماواتِ السبع وربِّ العرش العظيم، لا إله إلا أنتَ عزَّ جارُك، وجلَّ ثناؤك» الوابل الطيب ص٢٥٣/.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

٢١: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أطلعنا عليهم النّاس **﴿ليعلمُوا أنّ وعدَ اللهِ حقٌّ وأنّ الساعةَ لاريبَ فيها﴾** كان أهل ذلك الزمان من شكٍّ في أمر الساعة والقيامة، فبعث الله أهل الكهف حُجّةً ودلالةً وآيةً على ذلك. ولمّا أراد أحدُهم شراء شيء لهم ليأكلوه وهو يظنّ أنّه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدّلوا قرناً بعدَ قرنٍ، فعمد إلى بائع الطعام فدفع إليه النفقة ليبيعه طعاماً، فلمّا رآها أنكرها، فسأله عن أمره ومن أين له هذه النفقة، فحمله إلى وليّ الأمر، فسأله عن خبره حتى أخبره بأمره، فأظهر الله أصحاب الكهف؛ حجّةً لهم وعليهم، **﴿إذْ يتنازعُون بينهم أمرَهم فقالوا ابْنُوا عليهم بنياناً﴾** سُدُّوا عليهم كهفهم **﴿ربُّهم أعلمُ بهم قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** [وهم أهل السلطان] **﴿لنتّخذَنّ عليهم مسجداً﴾**، فالظاهر أنّهم مسلمون **٢٢: ﴿سيقُولُون ثلاثةٌ رابعُهم كلبُهم ويقولون خمسةٌ سادِسهم كلبُهم رجماً بالغيب﴾** حكى ثلاثة أقوال، على أنّها رجم بالغيب، ثم حكى الثالث وسكتَ عليه أو قرّره بقوله: **﴿ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبُهم﴾** فدلّ على صحته. **﴿قُلْ ربّي أعلمُ بعدّتهم﴾** إرشاد إلى أنّ الأحسنَ في مثل هذا المقام ردُّ العلم إلى الله تعالى، **﴿مايعلمهم إلاّ قليلٌ﴾** من الناس، **﴿فلاتُمارِ فيهم﴾** [أي: لاتجادل فيهم] **﴿إلاّ مِراءً ظاهراً﴾** سهلاً هيناً فإنّ الأمرَ في معرفة ذلك لايرتب عليه كبير فائدة، **﴿ولاتستفتِ فيهم منهم أحداً﴾** فإنّه لاعلم لهم بذلك إلاّ مايقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب **٢٣: ﴿ولاتقولنّ لشيءٍ إنّي فاعلٌ ذلك غداً﴾** هذا إرشادٌ من الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يردَّ ذلك إلى مشيئة الله عزّ وجلّ **٢٤: ﴿إلاّ أن يشاءَ اللهُ﴾** [أي: إن شاء الله]، **﴿واذكرْ ربَّكَ إذا نسيتَ﴾** إذا نسيتَ الاستثناء فاستثنِ عند ذكرك له، فقل: إن شاء الله، **﴿وقُلْ عسَى أن يهدِيَنِ ربّي لأقربَ مِن هذا رَشَداً﴾** إذا سُئِلتَ عن شيءٍ لاتعلمه فاسألِ الله تعالى فيه وتوجَّهْ إليه في أن يُوفقكَ للصواب والرشد في ذلك **٢٥: ﴿ولبِثُوا في كهفهم ثلاثَ مائةٍ سنينَ﴾** هذا خبرٌ من الله تعالى بمقدار مالبث أصحاب الكهف في كهفهم، وهي ثلثمائة سنة بالشمسيّة، **﴿وازدادُوا تسعاً﴾** لتفاوت السنين القمرية **٢٦: ﴿قلِ اللهُ أعلمُ بمالبِثُوا﴾** إذا سُئلتَ عن لبثهم **﴿له غيبُ السموات والأرض﴾** لايعلم ذلك إلاّ هو أو من أطلعه عليه من خلقهِ. **﴿أبصِرْ بهِ وأسمِعْ﴾** إنّه لبصيرٌ بهم سميعٌ لهم، لايخفى عليه من ذلك شيء. **﴿مالهم من دونه مِن وليٍّ﴾** [يتولى حفظهم دون الله] **﴿ولايُشرك في حكمه أحداً﴾** له تعالى الخلق والأمر، ولامُعقّب لحكمه، ولاشريك له ولانصير تعالى وتقدّس **٢٧: ﴿واتْلُ ماأوحيَ إليك من كتابِ ربّكَ لامُبدِّل لكلماته﴾** يأمر تعالى بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى النّاس **﴿لامُبدّل لكلماته﴾** لامغير ولامحرّف لها ولامزيل، **﴿ولن تجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَداً﴾** ملجأً ووليّاً.

الآية: ٢٧ قال ابن كثير: نبّه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنّه لو اجتمعت الإنس والجنّ كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ماأنزله على رسوله لَمَا أطاقوا ذلك ولما استطاعوهن ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإنّ هذا أمرٌ لايُستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لانظير له ولامثال له ولاعديل له!!.

/ابن كثير ج٣/٦٢/ =

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

الحزب ٣٠

٢٨: ﴿واصبِرْ نفسَكَ مع الذين يدعُون ربَّهم بالغَدَاةِ والعَشيِّ يُريدون وَجْهَهُ﴾ اجلسْ مع الذين يذكرون الله ويُهلّلونه ويحمدونه ويُسبِّحُونه ويسألونه بُكرةً وعشياً، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، **﴿ولا تَعْدُ عيناكَ عنهم﴾** لاتجاوزهم إلى غيرهم، يعني: تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة، **﴿ولاتُطعْ مَن أغفلنا قلبَهُ عن ذكرنا﴾** شُغل عن الدِّين وعبادة ربِّه بالدنيا **﴿وكان أمرُهُ فُرطاً﴾** أعماله وأفعاله سَفَهٌ وضياع، ولاتكن مطيعاً له ولامحباً لطريقته ولاتُغبطه **٢٩: ﴿وقل﴾** يامحمد للنّاس هذا الذي جئتكم به هو **﴿الحقُّ من ربِّكم﴾** لاشك فيه **﴿فمن شاءَ فليُؤمِنْ ومَنْ شاءَ فليكفُرْ﴾** هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال تعالى: **﴿إنّا أعتدنا﴾** أرصدنا **﴿للظالمين﴾** وهم الكافرون **﴿ناراً أحاطَ بهم سُرادِقها﴾** سُورها. **﴿وإن يستغيثوا يُغاثُوا بماءٍ كالمُهْلِ يشوي الوُجُوه﴾** المُهْلُ: الماء الغليظ مثل دردي الزيت الذي انتهى حرّه. وماء جهنّم أسود، وهي سوداء، وأهلها سود. **﴿يشوي الوُجُوه﴾** أي: مِن حرّه، إذا أرادَ الكافر أن يشربه شواه حتى تسقط جلدةُ وجهه فيه. **﴿بِئْسَ الشرابُ وساءَت مرتفقاً﴾** وساءتِ النّار منزلاً ومقيلاً **٣٠:** لّما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين، فقال تعالى: **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لانُضيعُ أجرَ مَن أحسنَ عملاً﴾ ٣١: ﴿أولئك هم جنّاتُ عدنٍ تجري مِن تحتِهم الأنهارُ﴾**، جنات عدن: العدنُ الإقامة، تجري من تحت منازلهم وغرفهم الأنهار، **﴿يُحلَّوْن فيها﴾** مِن الحلية **﴿مِن أسَاوِرَ مِن ذهبٍ ويلبَسُون ثياباً خُضْراً مِن سُنْدُسٍ وإستبرق﴾** السندس: ثياب رفاع رقاق كالقمصان، والاستبرق: غليظ الديباج فيه البريق، **﴿مُتكئين فيها على الأرائك﴾** الاتكاء: الاضطجاع، والتربع في الجلوس. والأرائك جمع أريكة، وهي السرير، **﴿نِعمَ الثوابُ وحَسُنتْ مرتفقاً﴾** نعمت الجنّة ثواباً على أعمالهم وحَسُنَتْ مرتفقاً، أي: حَسُنت منزلاً ومقيلاً ومُقاماً **٣٢: ﴿واضرِبْ لهم مثلاً رَجُلَين جعلنا لأحدهما جنّتين﴾** بستانين **﴿من أعناب﴾** محفوفتين بالنخيل المحدقة **﴿وحَففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً﴾** في خلالهما الزروع **٣٣: ﴿كِلتا الجنتين آتتْ أُكُلها﴾** أخرجتْ ثمرَها **﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾** ولم تُنقصْ منه شيئاً، **﴿وفجّرْنا خِلالهما نَهَراً﴾** والأنهار متفرّقة فيهما هاهُنا وهَاهُنا **٣٤: ﴿وكان له ثَمَرٌ فقال﴾** صاحب هاتين الجنّتين **﴿لصاحِبِه وهو يُحاوره﴾** يُجادِلُهُ ويخاصِمُهُ ويفتخر عليه **﴿أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً﴾** أكثر خدماً وحَشَماً وَوَلَداً. وتلك أمنيةُ الكافر كثرةُ المال، وعزّة النفر.

الآية: ٣٠ قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: «يامُعَاذ هل تدري ماحقُّ اللهِ على عبادِه؟ وماحقُّ العبادِ على اللهِ؟ قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ! قال: «فإنّ حقَّ اللهِ على العباد أن يعبدوه، ولايُشركوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على اللهِ أنْ لايُعذِّب مَنْ لايُشركُ به شيئاً» قلتُ: يارسول اللهِ أفلا أبشِّرُ النّاسَ؟ قال: لاتبشِّرْهم فيتكلوا» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما/رياض الصالحين/٢٠٧/. وقال رسول الله ﷺ: «أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأنّي رسول الله [ﷺ] لايَلْقَى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ؛ فيُحْجَبَ عن الجنّة» روياه في الصحيحين/رياض الصالحين/٢٠٢/.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾

٣٥: ﴿**ودخل جنّتهُ وهو ظالمٌ لنفسه**﴾ بكفرِهِ وتمرّدِهِ وإنكارِهِ المَعاد ﴿**قال ماأظنُّ أن تبيدَ هذه أبداً**﴾ وذلك اغترارٌ منه لِما رأى فيهما من الثمار والأنهار **٣٦**: قال: ﴿**وماأظنُّ الساعةَ قائمةً**﴾ كائنةً، ﴿**ولئن رُددتُ إلى ربّي لأجِدَنّ خيراً منها مُنقلباً**﴾ ولئن كان مَعَادٌ ورجعةٌ ومَرَدٌّ إلى الله ليكوننّ لي هناك أحسن من هذا الحظ [وإنّما قال ذلك لّما دعاه أخوه إلى الإيمان] **٣٧**: ﴿**قال له صاحِبُهُ**﴾ المؤمن ﴿**وهو يحاوره**﴾ زاجراً له عمّا هو فيه من الكفر: ﴿**أكفرتَ بالذي خلقك مِن تراب**﴾؟ وهذا إنكارٌ وتعظيم لِما وقع فيه من الجحُود بربّه الذي خلقه ﴿**من تراب ثم مِن نطفةٍ ثم سوّاك رَجُلاً**﴾ **٣٨**: ﴿**لكنّا هو اللهُ ربّي**﴾ لكن أنا لاأقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانيّة والرُّبُوبيّة، ﴿**ولا أُشركُ بربّي أحداً**﴾ بل هو الله المعبود وحده لاشريك له **٣٩**: ثم قال له: ﴿**ولولا إذْ دخلتَ جنّتكَ قلتَ ماشاءَ اللهُ لاقوّةَ إلاّ باللهِ**﴾ هذا تحضيضٌ وحثٌ على ذلك، ﴿**إنْ ترَنِ أنا أقلَّ منكَ مالاً وولداً**﴾ فهلاّ حمدت الله على ماأنعمَ عليك؟ **٤٠**: ﴿**فعسَى ربّي أن يُؤتيَنِ خيراً مِن جنّتِكَ**﴾ في الدار الآخرة ﴿**ويُرسِلَ عليها**﴾ على جنّتك في الدنيا، التي ظننتَ أنّها لاتبيد ولاتفنى ﴿**حُسْباناً مِن السماءِ**﴾ مطراً عظيماً مزعجاً يقلعُ زرعَها وأشجارَها، ولهذا قال: ﴿**فتُصبح صعيداً زَلقاً**﴾ بَلْقعاً تراباً أملس لايثبت **٤١**: ﴿**أو يُصبح ماؤها غوراً**﴾ غائراً في الأرض، كما قال تعالى: ﴿قلْ أرأيتم إن أصبحَ ماؤكم غوراً فمَنْ يأتيكم بماءٍ مَعِين﴾ [اللهُ ربُّ العالمين] **٤٢**: ﴿**وأُحيطَ بثمرهِ**﴾ بأمواله أي: وقع بهذا الكافر ماكان يحذرُ مّما خوّفه به المؤمن ﴿**فأصبحَ يُقلّبُ كفيهِ على ماأنفق فيها وهي خاويةٌ على عُرُوشها ويقولُ ياليتني لم أشرك بربّي أحداً**﴾ **٤٣**: ﴿**ولم تكن له فِئةٌ ينصرُونه**﴾ لم يكن له عشيرةٌ أو ولدٌ ينصرونه كما كان افتخر بهم واستعزّ، ﴿**مِن دُونِ اللهِ وماكان منتصراً**﴾ **٤٤**: ﴿**هنالك**﴾ في ذلك الموطن الذي حَلّ به عذاب الله، ﴿**الْوَلايَةُ للهِ الحقِّ**﴾ هنالك الموالاة لله؛ أي: هنالك كلُّ أحدٍ مؤمن أو كافر يرجع إلى اللهِ والخضوع له إذا وقعَ العذاب، كما قال تعالى: ﴿فلمّا رأوا بأسَنا قالوا آمنّا باللهِ وحدَه﴾. ﴿**هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عُقْباً**﴾ الأعمال التي تكون لله عزّ وجلّ ثوابُها خيرٌ وعاقبتها حميدةٌ رشيدةٌ كلُّها خير **٤٥**: ﴿**واضرِبْ لهم**﴾ يامحمدُ للنّاس ﴿**مَثَلَ الحياةِ الدنيا**﴾ في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿**كماءٍ أنزلناه مِن السماءِ فاختلطَ به نباتُ الأرضِ**﴾ من الحَبِّ فشبَّ وحَسُنَ وعلاهُ الزهرُ، ثم بعد هذا كله ﴿**أصبح هشيماً**﴾ يابساً ﴿**تَذْرُوْهُ الرياحُ**﴾ تفرّقه وتطرحه، ﴿**وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مقتدراً**﴾ هو قادر على هذه الحال وهذه الحال، [سبحانه وتعالى].

الآية: ٣٩ روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مامن يوم يصبح العباد فيه إلاّ وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مانقصَ مالٌ من صدقة، ومازاد اللهُ عبداً أنفقَ إلاّ عِزّاً، ومن تواضعَ لله رفعه اللهُ»!

/ابن كثير ج٣/٣٧/

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

٤٦: ﴿المالُ والبَنُونَ زينةُ الحياةِ الدنيا﴾ كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ للنّاسِ حُبُّ الشهواتِ مِن النساءِ والبنينَ والقناطيرِ المُقنطرةِ مِن الذهبِ﴾ الآية. **﴿والباقياتُ الصالحَاتُ خيرٌ عندَ ربِّكَ ثواباً﴾** الإقبال عليه تعالى والتفرّغ لعبادته خيرٌ لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم ولهذا قال: **﴿والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربِّكَ ثواباً وخيرٌ أملاً﴾**، والباقيات الصالحات هي: لا إله إلاّ اللهُ، واللهُ أكبر، وسبحانَ الله، ولا حولَ ولاقوّةَ إلاّ بالله **٤٧:** يُخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة ومايكون فيه من الأمور العِظام فقال تعالى: **﴿ويومَ نُسيّرُ الجبالَ وترى الأرضَ بارِزَةً﴾** باديةً ظاهرة ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد ولامكان يُواري أحداً، بل الخلق كلهم واضِحُون لربِّهم لاتخفى عليه منهم خافية. **﴿وحشرْناهم فلم نُغادِرْ منهم أحداً﴾** وجمعناهم فلم نترك منهم أحداً لاصغيراً ولاكبيراً **٤٨: ﴿وعُرِضُوا على ربِّكَ صفاً﴾** بين يدي اللهِ صفاً واحداً ﴿لايتكلّمون إلاّ مَن أذِنَ لهُ الرحمنُ وقال صواباً﴾، **﴿لقد جِئتُمُونا كما خلقناكم أوّلَ مَرّةٍ﴾** هذا تقريعٌ للمنكرين للمعاد، وتوبيخٌ لهم على رُؤسِ الأشهاد، ولهذا قال مخاطباً لهم: **﴿بلْ زعمتُم أنْ لن نجعلَ لكم مَوْعِداً﴾** **٤٩: ﴿ووُضِعَ الكتابُ﴾** كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير، والصغير والكبير **﴿فترَى المُجْرِمين مُشفقين ممّا فيه﴾** مِن أعمالهم السيّئة وأفعالهم القبيحة، **﴿ويقُولُون ياوَيلتنا﴾** ياحسرتنا على مافرّطنا في أعمارنا؛ **﴿مالِ هذا الكتابِ لايُغادِرُ صغيرةً ولاكبيرةً إلاّ أحصاها﴾** لايترك ذنباً صغيراً ولاكبيراً، ولاعملاً وإنْ صَغُرَ إلاّ ضبطها وحفظها، **﴿ووَجَدُوا ماعمِلُوا حاضِراً ولايظلم ربُّكَ أحداً﴾** فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً ولايظلم أحداً من خلقه بل يعفو ويصفحُ ويغفرُ ويرحمُ، ويُعذّب مَن يشاء بقدرته وحكمته وعدله **٥٠: ﴿وإذْ قُلنا للملائكةِ اسجدُوا لآدمَ﴾** سجود تشريف وتكريم، **﴿فسَجدُوا إلاّ إبليس كان من الجنّ﴾** خانهُ أصلُهُ، فإنّه خُلِقَ من مارج من نّار، وأصلُ خَلْقِ الملائكة من نور، كما في صحيح مسلم: «خُلِقتِ الملائكةُ من نور، وخُلِقَ إبليسُ من نار، وخُلِقَ آدمُ مِمَّا وصفَ لكم». **﴿ففسَقَ عن أمرِ ربِّهِ﴾** خرج عن طاعة الله، ثم قال تعالى مقرّعاً وموبخاً لمن اتبعه وأطاعه: **﴿أفتتخِذُونه وذرّيّتَهُ أولياءَ مِن دُوني﴾** بَدَلاً عنّي؟ ولهذا قال: **﴿بِئْسَ للظالمين بَدَلاً﴾ ٥١: ﴿ماأشهدتهم خلقَ السمواتِ والأرضِ ولاخلقَ أنفسِهم﴾** ولاكانوا إذْ ذاك موجودين؛ أي: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدّرها **﴿وماكنتُ متخذَ المُضلين عَضُداً﴾** أعواناً **٥٢: ﴿ويومَ يقولُ نادُوا شركائي الذين زعمتم﴾** يُخبر تعالى عمّا يُخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقريعاً وتوبيخاً: **﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾** في الدنيا ادعوهم اليوم لينقذوكم **﴿فدَعَوْهم فلم يستجيبُوا لهم وجعلنا بينهم مَوْبِقاً﴾** مَهْلِكاً، وهو وادٍ عميق فرّق بين أهل الضلالة **٥٣: ﴿ورأى المجرمُون النّار فظنّوا أنّهم مواقِعُوها﴾** تحققوا لامحالة أنّهم مواقِعُوها **﴿ولم يجدُوا عنها مَصْرِفاً﴾** طريقاً يعدِلُ بهم عنها.

الآية: **٤٩** قد جاء في الحديث: «ليس على أهل لا إله إلاّ الله وحشة في قبورهم، كأنّي بأهل لا إله إلاّ الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون: لا إله إلاّ الله» وفي رواية: يقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهبَ عنّا الحَزَن﴾. /ابن كثير ج٣/٤٥/

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤: ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن﴾ أي: لقد بيّنا للناس **﴿مِن كلّ مثلٍ﴾** في الأمور كلها كيلا يَضلُّوا عن الحق، **﴿وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جدلاً﴾** كثير المخاصمة والمعارضة للحقّ بالباطل إلاّ مَن هدَى اللهُ. **٥٥: ﴿ومامنعَ النّاسَ أن يُؤمنوا إذْ جاءَهم الهدى﴾** يُخبر تعالى عن تمرّد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق مع مايُشاهدونه من الآيات الواضحات، **﴿ويستغفروا ربَّهم إلاّ أن تأتيَهم سنّةُ الأولين أو يأتيَهم العذابُ قُبُلاً﴾** مامنعهم من اتباع الحق إلاّ طلبهم أن يُشاهدوا العذاب عياناً ومقابلة، ثم قال تعالى: **٥٦: ﴿ومانرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين﴾** قبل العذاب مبشّرين مَن صدّقهم ومنذرين لمن كذّبهم، **﴿ويُجادِلُ الذين كفرُوا بالباطل لِيُدحِضُوا بهِ الحقَّ﴾** ليضعِفُوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم، **﴿واتخذوا آياتي وماأنذِرُوا هُزواً﴾** اتخذوا الحجج والبراهين التي بُعث بها الرسل وماأنذروهم وخوّفوهم به من العذاب **﴿هُزُواً﴾** سخِرُوا منهم في ذلك، وهو أشدُّ التكذيب **٥٧: ﴿ومَن أظلم ممّن ذُكِّرَ بآياتِ ربِّه﴾** وأيُّ عباد الله أظلم ممّن ذُكِّرَ بآيات الله فأعرض عنها، ولم يُصغ لها ولاألقى إليها بالاً، **﴿ونسيَ ماقدّمتْ يداه﴾** من الأعمال السيّئة، **﴿إنّا جعلنا على قلوبِهم﴾** قلوب هؤلاء **﴿أكِنّةً﴾** أغطيةً وغِشاوةً **﴿أن يفقهُوهُ﴾** لئلاّ يفهمُوا هذا القرآن والبيان **﴿وفي آذانِهم وَقْراً﴾** صَمَماً معنوياً عن الرّشاد، **﴿وإنْ تَدْعُهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ ٥٨: ﴿وربُّك الغفور﴾** يامحمد **﴿ذو الرحمة﴾** ذُو رحمةٍ واسعةٍ **﴿لو يُؤاخِذُهم بما كسبُوا لعجّل لهم العذاب﴾** كما قال تعالى: ﴿ولو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بما كسَبُوا ماترك على ظهرها مِنْ دابّةٍ﴾. **﴿بلْ لهم مَوْعِدٌ لنْ يجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئلاً﴾** ليس لهم عنه محيص ولامَحِيدٌ [إذا وقع بهم] **٥٩: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلمُوا﴾** أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادِهم **﴿وجعلنا لِمَهلكهم مَوعِداً﴾** مدّة معلومة ووقت معين لايزيد ولاينقص، فاحذروا أيها المشركون أن يصيبكم ماأصابهم فقد كذّبتم أشرف رسول وأعظم نبي، ولستم بأعزّ علينا منهم، فخافُوا عذابي ونُذر **٦٠: ﴿وإذْ قالَ موسى لفتاه﴾** وهو يُوشع بن نون **﴿لاأبرَحُ حتى أبْلُغَ مجمعِ البحرين﴾** لاأزال سائراً مكان مجمع البحرين **﴿أو أمضيَ حُقُباً﴾** ولو أنّي أسير حُقباً من الزمان. وسبب قول موسى عليه السلام هذا الكلام أنه ذُكِرَ له أنّ عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يُحِطْ بهِ موسى، فأحبَّ الرحيل إليه **٦١: ﴿فلمّا بلغَا مجمعَ بينِهمَا نسِيَا حُوتَهُمَا﴾** وذلك أنّه قد أُمِرَ بحمل حوتٍ مملوحٍ معه، وقيل له: متى فقدتَ الحوتَ فهو ثَمّةَ، فسارا حتى بلغَا مجمع البحرين، وهناك عين يُقال لها عين الحياة، فناما هنالك، وأصابَ الحوتُ من رشاش الماء فاضطرب وطَفَرَ إلى البحر **﴿فاتخذَ سبيله في البحر سَرَباً﴾**، مثل السرب في الأرض له أثر.

الآية: ٥٤ عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثَلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآن مثَلُ الأُتْرُجّه؛ ريحها طيّبٌ وطعمُها طيّبٌ، ومثَلُ المؤمنِ الذي لايقرأ القرآن كمثَلِ التّمرة؛ لاريح لَها وطعُمها حلوٌ، ومثَلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآن كمثَلِ الرّيحانَةِ؛ ريحها طيّبٌ وطعمُها مُرٌّ، ومثَلُ المنافقِ الذي لايقرأ القرآن كمثَلِ الحنظَلَةِ؛ ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ» متفق عليه/رياض الصالحين ص٤١٤ – ٤١٥/.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

٦٢: ﴿**فلمّا جاوَزَا**﴾ المكان الذي نسيَا الحوتَ فيه ﴿**قال لفتاه آتِنا غَدَاءَنا لقد لَقِينا من سفرنا هذا نصَباً**﴾ تعباً ٦٣: ﴿**قال أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرة فإنّي نسيتُ الحوتَ وماأنسانِيهُ إلّا الشيطانُ أنْ أذكرَهُ فاتّخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجَباً**﴾ [حيث شقّ في البحر مثل الطاق لايلتئم بعده] ٦٤: ﴿**قال ذلك ماكنّا نبغِ فارتدَّا على آثارهما**﴾ رجعا على طريقهما ﴿**قَصَصًا**﴾ يقصّان آثارَ مشيهما ٦٥: ﴿**فوَجَدَا عبْداً مِن عِبادِنا آتيناه رحمةً مِن عندنا، وعلمناه مِن لَدُنّا علماً**﴾، وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٦٦: ﴿**قال له موسى هل أتّبعُكَ على أن تُعلِّمَنِ ممّا عُلّمتَ رُشْداً**﴾؟ يُخبر تعالى عن قِيلِ موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصّه الله بعلم لم يُطلعْ عليه موسى، كما أنّه تعالى أعطى موسى من العلم مالم يُعطِهِ الخضر. وسؤال موسى كان سؤال تلطف لاعلى وجه الإلزام: ﴿**هل أتّبعُكَ**﴾ أصاحبك ﴿**على أن تعلِّمَنِ ممّا عُلِّمتَ رشداً**﴾ ممّا علّمكَ اللهُ شيئاً استرشد به في أمري من علم نافع؟ ٦٧: ﴿**قال إنك لن تستطيعَ معيَ صبراً**﴾ إنّكَ لاتقدر على مصاحبتي لِما ترى منّي من الأفعال التي تخالف شريعتكَ لأنّي على علم من علم الله مَاعلمكَهُ اللهُ، وأنتَ على علمٍ من علم الله ماعلمنيه الله، فكلٌّ منّا مكلّفٌ بأمور من الله دون صاحبه ٦٨: ﴿**وكيف تصْبِرُ على مالم تُحِطْ به خُبْراً**﴾؟ فإنّك ستنكر عليّ؟! ٦٩: ﴿**قال سَتجِدُنِي إنْ شاءَ اللهُ صابراً**﴾ على ماأرى من أمورك ﴿**ولاأعصِي لكَ أمراً**﴾، فعندَ ذلك شارطه الخضر عليه السلام: ٧٠: ﴿**قال فإنِ اتّبعتني فلاتَسْألْني عن شيءٍ**﴾ ابتداءً ﴿**حتى أحدِثَ لك منه ذكراً**﴾ حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني ٧١: ﴿**فانطلقَا حتى إذا رَكِبَا في السفينة**﴾ قام الخضر ﴿**فخرقَها**﴾ ثم رقعها، فلم يملك موسى عليه السلام نفسَهُ أن قال منكراً عليه: ﴿**أخرَقْتَها لِتُغرِقَ أهلَها**﴾؟! ولام ﴿**لتغرقَ**﴾ لام العاقبة لالاَم التعليل، ﴿**لقد جئتَ شيئاً إمراً**﴾ [أي: أمراً عظيماً] ٧٢: ﴿**قال ألَمْ أقُلْ إنّكَ لن تستطيعَ معيَ صبراً**﴾ لأنّك لم تُحطْ به خُبَراً؟ ٧٣: ﴿**قال لاتُؤاخِذني بما نسيتُ ولاتُرْهِقْني مِن أمري عُسْراً**﴾ لاتُضيّقْ عليّ، ولاتُشددْ عليّ، ولهذا جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «كانتِ الأُوْلَى مِن موسى نسياناً» ٧٤: ﴿**فانطلقَا**﴾ بعدَ ذلك ﴿**حتى إذا لَقِيَا غلاماً فقتَلَهُ**﴾ فلمّا شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشدّ الإنكار، وبادَرَ فقال: ﴿**أقتلتَ نفساً زكيّةً**﴾ صغيرة لم تعملِ الحِنْثَ ولاعملتْ إثماً، ﴿**بغيرِ نفسٍ**﴾ بغير مستندٍ لقتله ﴿**لقد جِئْتَ شيئاً نُكراً**﴾ ظاهر النكارة!!؟ ورُويَ أنّه اقتلعَ رأسه بيده. روى ابن جرير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رحمةُ الله علينا وعلى موسى لو لبثَ مع صاحبه لأبصرَ العجبَ، ولكنّه قال: ﴿**إنْ سألْتُكَ عن شيءٍ بعدها فلاتصاحبني قد بلغتَ مِن لَدُنّي عُذْراً**﴾.

الآية: ٦٥ روى البخاري عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل: أيّ الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذْ لم يردّ العلمَ إليه، فأوحى الله إليه: إنّ لي عبداً بمجمع هو أعلم منك. قال موسى: يارب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ. فأخذ حوته فجعله بمكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وَضَعَا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر =

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

٧٥: ﴿**قال ألَمْ أقُلْ لك إنّكَ لن تستطيعَ معي صبراً**﴾ فأكّدَ أيضاً في التذكار بالشرط الأول، فلهذا ٧٦: ﴿**قال**﴾ له موسى: ﴿**إنْ سألْتُكَ عن شيءٍ بعدَها**﴾ إن اعترضتُ عليك بشيءٍ بعد هذه المرّة ﴿**فلاتصاحبني قد بلغتَ مِنْ لَدُنّي عُذراً**﴾ قد أعذرتَ إليّ مرّةً بعد مرّة ٧٧: ﴿**فانطلقا**﴾ بعد المرتين الأولتين ﴿**حتى إذا أتيا أهلَ قريةٍ**﴾ لِئاماً بخلاء ﴿**استطعَما أهلَها فأبَوْا أن يُضيفُوهما فوجدَا فيها جداراً يُريدُ أن ينقضّ**﴾ إسناد الإرادة هَاهُنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة، ﴿**فأقامه**﴾ فردّه إلى حالة الاستقامة، وهذا خارقٌ، فعند ذلك قال له موسى ﴿**لو شِئتَ لاتخذت عليه أجراً**﴾ لأجل أنّهم لم يضيفُونا، كان ينبغي أن لاتعمل لهم مجاناً ٧٨: ﴿**قال هذا فراقُ بيني وبينِكَ**﴾ لأنّك شرطتَ عند قتل الغلام أنّك إن سألتني عن شيءٍ بعدها فلاتصاحبني؟ فهو فراق بيني وبينكَ، ﴿**سأنبئُك بتأويل**﴾ بتفسير ﴿**مالم تستطع عليه صبراً**﴾ ٧٩: هذا تفسيرُ ماأشكل على موسى عليه السلام وماكان أنكره: ﴿**أمّا السفينةُ فكانتْ لمساكِين يعملون في البحرِ فأردتُ أنْ أعيبَها**﴾ لأنه ﴿**كان وراءَهم مَلِكٌ**﴾ من ملوك الظلمة ﴿**يأخذُ كلَّ سفينةٍ**﴾ صالحة جيّدة ﴿**غصباً**﴾ لأردّه عنها لعيبها، فينتفع بها أصحابُها المساكين ٨٠: ﴿**وأمّا الغلامُ**﴾ فإنّه قد طُبِعَ على الكفر ﴿**فكان أبَوَاهُ مؤمنين فخشينا أن يُرهقهما طُغياناً وكفراً**﴾ يحملهما حبُّهُ على متابعته على الكفر، وكما قال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهُوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ ٨١: ﴿**فأردْنا أن يُبْدِلَهُما ربُّهما خيراً منه زكاةً وأقربَ رُحْمَاً**﴾ ولداً أزكى من هذا وهما أرحمُ به منه ٨٢: ﴿**وأمّا الجدارُ فكان لغلامَين يتيمين في المدينة وكان تحتَهُ كنزٌ لهما**﴾ كان تحته مال مدفون لهما ﴿**وكان أبوهما صالحاً**﴾ فيه دليل على أنّ الرجل الصالح يُحفظ في ذريتّه وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، ﴿**فأراد ربُّكَ أن يبلغا أشدَّهما ويستخرجَا كنزهما**﴾ إنّهما حُفِظا بصلاح أبيهما ﴿**رحمةً مِن ربِّكَ**﴾ هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنّما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿**ومافعلتُهُ عن أمري**﴾ ولكني أُمرت به. ﴿**ذلك تأويلُ مالم تسطعْ عليه صبراً**﴾ هذا تفسير ماضقتَ به ذرعاً ولم تصبر حتى أُخبرك به ابتداءً، ولمّا أن فسّره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال: ﴿**تسطع**﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقيلاً فقال: ﴿**سأنبّئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً**﴾ فقابل الأثقلَ بالأثقل، والأخفَّ بالأخف ٨٣: ﴿**ويسألونكَ عن ذي القرنين**﴾ خبره، وقد بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم مايمتحنُون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: سَلُوهُ عن رجل طوّاف في الأرض، فأنزل الله هذه الآية، ﴿**قلْ سأتلُوا عليكم منه ذكراً**﴾.

سَرَباً، وأمسك الله عن الحوت حرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلمّا استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءَنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً﴾ ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمره الله به، قال له فتاه: ﴿أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرة فإنّي نسيت الحوت ماأنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره واتّخذ سبيله في البحر عجباً﴾ الآيات. /ابن كثير ج٣/٩٢ - ٩٣/

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

٨٤: **﴿إنّا مكنّا له في الأرض﴾** أعطيناه ملكاً عظيماً فيه من جميع مايُؤتى الملوك من الجنود وآلات الحرب والحصارات، ولهذا مَلَكَ المشارقَ والمغارب ودانت له البلاد، **﴿وآتيناه من كلّ شيءٍ سبباً﴾** قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبباً ٨٥: **﴿فأتبعَ سبباً﴾** علماً ومنزلاً وطريقاً، ومعالم وآثاراً ٨٦: **﴿حتى إذا بلغ مغربَ الشمس﴾** فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى الأرض من ناحية المغرب. **﴿وجدها تغرب في عينٍ حَمِئةٍ﴾** رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنّها تغرب فيه، **﴿في عين حَمِئة﴾** عند غروبها وملاقاتها الشعاع، **﴿ووجدَ عندها قوماً﴾** أمة من الأمم **﴿قلنا ياذا القرنين إمّا أن تُعذِّبَ وإمّا أن تتخذَ فيهم حُسْناً﴾** معنى هذا أنّ الله تعالى مكّنه منهم وحكّمه فيهم وخيّره؛ إن شاء قتلَ وسبَى وإن شاء منَّ وأفدَى ٨٧: **﴿قال أمّا مَن ظلَمَ﴾** استمرَّ على كفره بربه **﴿ثم يُرَدُّ إلى ربِّه فيعذِّبُهُ عذاباً نُكْراً﴾** شديداً بليغاً ٨٨: **﴿وأمّا مَنْ آمَنَ﴾** تابَعَنا على ماندعوه إليه من عبادة الله وحدَه لاشريكَ له **﴿فلهُ جزاءً الحُسْنَى﴾** في الدار الآخرة عند الله **﴿وسنقولُ لهُ مِن أمرِنا يُسراً﴾** معروفاً ٨٩: **﴿ثم أتبعَ سَبباً﴾** ثم سلَكَ طريقاً فسارَ من مغرب الشمس إلى مطلعها ٩٠: **﴿حتى إذا بلغَ مطلعَ الشمس﴾** من الأرض **﴿وجدَها تطلعُ على قومٍ﴾** أمّةٍ **﴿لم نجعلْ لهم مِن دُونها سِتراً﴾** ليسَ لهم بناء يكنّهم ولا أشجار تظلهم، كانوا حمراً قصاراً مساكنهم الغيران ٩١: **﴿كذلك وقد أحطْنا بما لديه خُبْراً﴾** علماً؛ أي: نحنُ مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لايخفى علينا منها شيء. ٩٢: **﴿ثم أتبعَ سبباً﴾** ثم سلك طريقاً من مشارق الأرض ٩٣: **﴿حتى إذا بلغ بين السّدَّين﴾** وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، **﴿وجدَ مِن دونِهما قوماً لايكادُون يفقهُون قولاً﴾** لاستعجام كلامهم وبُعدهم عن النّاس ٩٤: **﴿قالوا ياذا القرنين إنّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفسِدُون في الأرض فهلْ نجعل لك خَرْجاً﴾** أجراً عظيماً **﴿على أن تجعلَ بيننا وبينهم سَدّاً﴾**، فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح: ٩٥: **﴿قالَ مامكّنّي فيه ربّي خيرٌ﴾** لي من الذي تجمعونه، ولكن ساعدوني بعملكم **﴿فأعينُوني بقوّةٍ أجعلْ بينكم وبينهم رَدْماً﴾** ٩٦: **﴿آتوني زُبَرَ الحديد﴾** قطعه **﴿حتى إذا ساوَى بين الصَّدَفين﴾** وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذَى به رؤوسَ الجبلين طولاً وعرضاً **﴿قال انفخُوا﴾** أجّجَ عليه النّار حتى صار ناراً **﴿قال آتوني أُفرِغْ عليه قِطراً﴾** النحاس المذاب ٩٧: **﴿فما اسْطَاعُوا أن يظهَرُوهُ﴾** إن يأجوج ومأجوج ماقدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السَّدِّ ولا على نقبه من الأسفل، **﴿وما استطاعُوا لهُ نَقْباً﴾**.

الآية: ٩٣ يأجوج من سلالة آدم عليه السلام، يعيثون في الأرض فساداً ويُهلكون الحرث والنّسل، وفي الصحيحين: «إنّ الله تعالى يقول: يآدم؟ فيقول: لبيك وسَعْدَيْك؟! فيقول: ابعثْ بعثَ النّار، فيقول: ومابعث النّار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النّار، وواحد إلى الجنّة. فحينئذ يشيب الصغير وتضعَ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها فقال: إن فيكم أمّتين ماكانتا في شيء إلاّ كثرتاه؛ يأجوج ومأجوج». /ابن كثير ج٣/١٠٣/

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

الحزب ٣١

٩٨: ﴿قال هذا رحمةٌ مِن ربّي﴾ بالنّاس حيث جعل بينهم وبين يأجوجَ ومأجوجَ حائلاً يمنعهم من العَيث في الأرض والفساد **﴿فإذا جاء وعدُ ربّي جعله دكاءَ﴾** مساوياً للأرض **﴿وكان وَعْدُ ربّي حقاً﴾** كائناً لامحالة **٩٩: ﴿وتركنا بعضَهم يومئذٍ يموج في بعض﴾** يوم يُدكُّ السَّدُّ ويخرج هؤلاء فيموجُون في الناس ويُفسدون عليهم أشياءَهم، وهذا أول يوم القيامة، **﴿ونُفخ في الصُّور﴾** على أثر ذلك **﴿فجمعناهم جمعاً﴾** أحضرنا الجميع للحساب **١٠٠: ﴿وعَرَضْنا جهنّمَ يومئذٍ للكافرين عرضاً﴾** يُبرزها لهم ويُظهرها ليرَوْا مافيها من العذاب والنكال قبل دخولها **١٠١: ﴿الذين كانت أعينُهُم في غِطاءٍ عن ذكري﴾** تغافلُوا وتعامُوا وتصامَمُوا عن قبول الهدى واتباع الحقِّ **﴿وكانوا لايستطيعون سمعاً﴾** لايعقلون عن الله أمرَهُ ونهيَهُ **١٠٢: ﴿أفحسِبَ الذين كفروا أنْ يتخذوا عبادي من دُوني أولياءَ﴾**؟! اعتقدُوا أنّهم يصلح لهم ذلك وينتفِعُون به؟ كلا **﴿إنّا أعتَدْنا جهنّمَ للكافرين نُزُلاً﴾** لهم يوم القيامة **١٠٣: ﴿قُلْ هلْ نُنبّئكم بالأخسرين أعمالاً﴾** نُخبركم بهم؟ ثم فسَّرَهم فقال تعالى: **١٠٤: ﴿الذين ضلَّ سَعْيُهم في الحياةِ الدنيا﴾** عملُوا أعمالاً باطلةً على غير شريعة مقبولة، **﴿وهم يَحْسَبُون أنّهم يُحسنُون صُنعاً﴾** يعتقِدُون أنّهم على شيءٍ **١٠٥: ﴿أولئك الذين كفروا بآياتِ ربِّهم ولقائه﴾** جحَدُوا آياتِ الله في الدينا وبراهينَهُ على وحدانيّته وصدق رسله **﴿فحَبِطتْ أعمالُهم فلانُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وَزْناً﴾** لأنثقل مَوازِينَهم لأنّها خالية عن الخير **١٠٦: ﴿ذلك جزاؤهم جهنّمُ بما كفروا واتخذُوا آيَاتِي ورُسلي هُزُواً﴾** إنّما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واستهزائهم برسله **١٠٧: ﴿إنّ الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ﴾** وهم عباد الله السعداء **﴿كانتْ لهم جنّاتُ الفِرْدَوسِ﴾** الفِرْدَوْسُ: رَبْوَةُ الجنّة وأوسطها وأفضلها وأحسنها، **﴿نُزُلاً﴾** ضيافةً خالدة **١٠٨: ﴿خالِدين فيها﴾** مقيمين ساكنين فيها لايظعنون عنها أبداً **﴿لايَبْغُون عنها حِوَلاً﴾** لايختارون غيرها ولايُحبُّون سواها **١٠٩: ﴿قُلْ﴾** يامحمدُ **﴿لو كان﴾** ماء **﴿البحر مِدَاداً لكلمات﴾** مِدَاداً للقلم الذي يُكتب به كلمات الله **﴿لَنَفِدَ البحرُ قبلَ أنْ تنفَدَ كلماتُ ربّي﴾** قبل أن يفرغ كتابة ذلك **﴿ولو جئنا بمثله مَدَداً﴾** آخر ثم آخر وهَلُمَّ جرّاً، كما قال تعالى: ﴿ولو أنّ مافي الأرض مِن شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّهُ مِن بعدِهِ سبعةُ أبْحُرٍ مانفَدتْ كلماتُ الله إنّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾ **١١٠: ﴿قُلْ إنّما أنا بشرٌ مِثلكم يُوحَى إليّ﴾** فمن زعم أنّي كاذبٌ فَلْيَأتِ بمثل ماجئتُ به، فإنّي لاأعلمُ الغيب عمّا سألتم من قصّة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين، ولولا ماأطلعني الله عليه ماأخبرتكم، وإنّما أخبركم **﴿أنّما إلهكُمُ إلهٌ واحدٌ﴾** لاشريكَ له **﴿فمَنْ كان يَرْجُوا لِقاءَ ربِّهِ﴾** ثوابَهُ وجزاءَهُ الصالح **﴿فليعملْ عملاً صالِحاً﴾** موافقاً لشرع الله **﴿ولايُشركْ بعبادةِ ربِّهِ أحداً﴾** خالياً عن الرِّياء، الذي هو الشرك الأصغر.

الآية: ١١٠ روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يرائي يُرائي اللهُ به، ومَنْ يُسمّعْ يُسمّعِ اللهُ به». وروى أيضاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سمّعَ النّاسَ بعمله سمّعَ اللهُ به، ساء خلقه، وصغّره وحقّره». وروى أيضاً عن محمد بن لبيد أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أخوفَ ماأخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا:

سُورَةُ مَرْيَمَ — ترتيبها ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

[هذه السورة التي حملها جعفر بن أبي طالب في هجرته إلى الحبشة ، وقرأها على النجاشيّ وأصحابه] .

١: ﴿**كهيعَصَ**﴾ تقدّم الكلام على الأحرف المقطّعة في أول سورة البقرة ٢: ﴿**ذِكْرُ رحمةِ ربِّكَ عبدَهُ زكريّا**﴾ هذا ذكر رحمة الله بعبدِهِ زكريا ، الذي كان نبيّاً عظيماً من أنبياء بني إسرائيل ، وفي صحيح البخاري : «أنّه كان نجاراً يأكلُ من عملِ يَدِهِ في النجارة» ٣: ﴿**إذْ نادَى ربَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً**﴾ ، وإنّما أخفاه لأنّه أحبُّ إلى الله تعالى ، ولأنّه تعالى يعلم القلبَ التقي ، ويسمع الصوتَ الخفي ٤: ﴿**قال ربِّ إنّي وَهَنَ العظمُ منّي**﴾ ضعفتُ وخارت القِوَى ﴿**واشتَعَلَ الرأسُ شيباً**﴾ اضطرمَ المشيب في السواد ، والمراد الإخبار عن الضعف والكِبَر . ﴿**ولم أكنْ بدُعائِكَ ربِّ شقياً**﴾ لم أعهدْ منك إلّا الإجابة في الدعاء ولم تردَّني قط فيما سألتُك ٥: ﴿**وإنّي خِفتُ المَوَالِيَ مِن وَرَائي**﴾ أرادَ بالموالي : العَصَبة . ﴿**مِن ورائي**﴾ [أي: من بعدي؛ لعجزهم عن القيام بعده بما هو قائم به]، ﴿**وكانتِ امرأتِي عَاقِراً**﴾ ووجه خوفه أنّه خشي أن يتصرّفوا من بعده في النّاس تصرّفاً سيّئاً ، فسأل الله تعالى ولداً يكون نبيّاً من بعدهِ يَسُوسَهم بنبوّته مايُوحَى إليه، فأُجيبَ إلى ذلك . ﴿**فهبْ لي مِن لَدُنْكَ وليّاً**﴾ ٦: ﴿**يَرِثُنِي**﴾ ميراث النبوّة ، ﴿**ويرِثُ مِن آلِ يعقوبَ**﴾ فيكون نبيّاً كما كانت آباؤُهُ أنبياء .

﴿**واجعله ربِّ رَضِيّاً**﴾ مرضيّاً عندك وعند خلقك، تُحِبُّهُ وتحببه إلى خلقِكَ ٧: ﴿**يازكريا إنّا نُبَشِّرُك بغلامٍ اسمه يحيى**﴾ أجيب إلى ماسأل في دعائه ، ﴿**لم نجعلْ لهُ مِن قبلُ سميّاً**﴾ شبيهاً، فلم تلد العواقرُ قبله مثله ٨: ﴿**قال ربِّ أنّى يكونُ لي غلامٌ وكانتِ امرأتِي عاقِراً**﴾؟! هذا تعجب فرحٍ ، فَرِحَ فرحاً شديداً، وسأل عن كيفيّة مايُولدُ لهُ مع أنّ امرأته كانت عاقراً لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنّه قد كَبُرَ وعَتَا عظمُه ونَحِلَ جسمُه ولم يبق فيه لقاح ٩: ﴿**قال كذلِكَ**﴾ قال المَلَكُ مجيباً عمّا استعجب : ﴿**كذلكَ قالَ ربُّكَ هو عليّ هيّنٌ**﴾ إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه، يسيرٌ سهل على الله تعالى. ثم ذكر له ماهو أعجب ممّا سأل عنه فقال: ﴿**وقد خلقتكَ مِن قبلُ ولم تَكُ شيئاً**﴾ ١٠: ﴿**قال ربِّ اجعلْ لي آيةً**﴾ علامة ودليلاً على وجود ماوعدتني ليطمئنّ قلبي ﴿**قال آيتُك أنْ لاتُكلِّم النّاسَ ثلاثَ ليالٍ سويّاً**﴾ فكان يقرأ ويُسبح ولايستطيع أن يُكلّم قومه إلّا إشارةً ﴿**سويّاً**﴾ متتابعات ١١: ﴿**فخرجَ على قومِهِ من المحرابِ**﴾ الذي بُشِّرَ فيه بالولد [أي: أشرف عليهم من المصلّى] ﴿**فأوحَى إليهم**﴾ أشار إشارة خفيفة سريعة ﴿**أن سبّحُوا بُكرةً وعَشِيّاً**﴾ موافقة له فيما أُمِرَ به في هذه الأيام الثلاثة، زيادةً على أعماله شكراً لله على ماأولاه.

وماالشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: «الرياء، يقول اللهُ يومَ القيامة إذا جزَى النّاسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!»، وروى أيضاً عن شداد قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من صلى يُرائي فقد أشرك، ومن صام يُرائي فقد أشرك، ومن تصدّق يُرائي فقد أشرك». /ابن كثير ج٣/١٠٩ – ١١٠/

الآية: ١ ﴿كهيعص﴾ تقرأ هكذا: كاف هَا يَا عَيْنْ صَادْ.

الآية: ٦ عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿يرثني ويرثُ من آلِ يعقوبَ﴾ قال: يكون نبيّاً كما كانت آباؤه أنبياء. وصح في الحديث: «نحن معاشرَ الأنبياء لانُورَثُ، ماتركنا فهو صدقة». /ابن كثير ج٣/١١١/

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

نصف الحزب ٣١

١٢: **﴿يايحيى خُذِ الكتاب بقوّة﴾** علّمَهُ الكتاب، وهو التوراة، وكان سنّه إذْ ذاك صغيراً، **﴿بقوّة﴾** بحرص واجتهاد، **﴿وآتيناه الحُكمَ صبيّاً﴾** الفهمَ والعلمَ والعزم وهو صغير حدَثٌ ١٣: **﴿وحَناناً مِن لدُنّا﴾** رحمة من عندنا وتعطفاً عليه ومحبة **﴿وزكاةً﴾** وبركةً **﴿وكان تقيّاً﴾** فلم يعمل بذنب ١٤: **﴿وبَرّاً بوالِدَيهِ ولم يكن جبّاراً عَصِيّاً﴾** ذكرَ طاعتَهُ لوالديه وبِرَّهُ بهما، ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاءً له على ذلك: ١٥: **﴿وسلامٌ عليه﴾** له الأمان في هذه الأحوال: **﴿يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبعثُ حيّاً﴾** ١٦: **﴿واذْكُرْ في الكتاب مريَمَ﴾** لمّا ذكر تعالى قصّة زكريا وأنّه أوجد منه في حال كِبَرِه وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً عطف بذكر مريم وقصّة إيجاده ولدَها عيسى منها من غير أب، **﴿إذِ انتبذتْ من أهلها مكاناً شرقياً﴾** اعتزلتهم إلى شرقي المسجد المقدّس لحيض أصابها ١٧: **﴿فاتخذتْ مِن دُونِهم حِجاباً﴾** استترت وتوارت منهم، فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام **﴿فأرسلنا إليها رُوْحَنا فتمثّلَ لها بشراً سويّاً﴾** على صورة إنسان تام ١٨: **﴿قالتْ إنّي أعوذُ بالرحمنِ منكَ إن كنتَ تقيّاً﴾** خافته على نفسها، فخوّفته بالله، ١٩: ولمّا ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقاً وعاد إلى هيئته و **﴿قال إنّما أنا رسولُ ربِّكِ لأهبَ لكِ غُلاماً زكيّاً﴾** ٢٠: **﴿قالتْ أنّى يكونُ لي غُلامٌ﴾**؟! فتعجّبتْ مريم من هذا وقالت: كيف يكون لي غلام؟ على أيِّ صفة يُوجد هذا الغلام منّي ولستُ بذات زوج، ولايتصوّر منّي الفجور، ولهذا قالت: **﴿ولم يَمْسَسْنِي بشرٌ ولم أكُ بغيّاً﴾**؟! ٢١: **﴿قال﴾** المَلَكُ مجيباً لها عمّا سألت: **﴿كذلكِ قال ربُّكِ﴾** أنّه سَيُوجِدُ منك غلاماً وإن لم يكن لك زوج ولايُوجد منك فاحشة، **﴿هو عليّ هَيّنٌ ولِنَجْعلَهُ آيةً للنّاس﴾** دلالةً وعلامةً للنّاس على قدرة خالقهم الذي نوّع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقيّة الذريّة من ذكر وأنثى إلّا عيسى فإنّه أوجدَهُ من أنثى بلا ذكر، فتمّت القسمة الرباعيّةُ الدّالّةُ على كمال قدرته وعظيم سلطانه سبحانه، **﴿ورحمةً مِنّا﴾** رحمة من الله، أي: ونجعله نبيّاً يدعو إلى توحيد الله، **﴿وكان أمراً مقضيّاً﴾** فليس منه بُدّ ٢٢: **﴿فحملتْهُ﴾** وبعد أن نفخ جبريل في جيب درعها حملت بالولد بإذن الله، فضاقت ذرعاً ولم تدرِ ماذا تقول للناس، **﴿فانتبذتْ به مكاناً قَصِيّاً﴾**، سُئل ابن عباس عن حمل مريم فقال: لم يكن إلّا أن حملتْ فوضعت ٢٣: **﴿فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النخلةِ﴾** ألجأها الطلق إلى جذع نخلة في المكان الذي تنحت إليه في قرية يُقال لها بيت لحم، **﴿قالتْ ياليتني مِتُّ قبلَ هذا وكنت نَسْياً مَنْسِيّاً﴾** ليتني لم أخلق ولم أكُ شيئاً لايُعرف ولايُذكر ٢٤: **﴿فنادَاها مِن تحتِها﴾** جبريلُ **﴿أنْ لاتحزني قد جعلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِيّاً﴾** جدولاً تشرب منه ٢٥: **﴿وهُزّي إليكِ بِجِذْعِ النخلةِ﴾** وكانت يابسةً، ولهذا امتنّ عليها بذلك بأن جعل عندها طعاماً وشراباً فقال: **﴿تُساقِطْ عليكِ رُطَباً جنيّاً﴾** [الجَنيُّ: المأخوذ رطباً]، وخير شيء للنفساء الرُّطَبُ من التمر.

الآية: ٢٣ قال ابن عباس وسُئل عن حمل مريم؟ قال: «لم يكنْ إلاّ أنْ حملتْ فوضعتْ». فالفاء للتعقيبِ وسُئلت مريم عليها السلام: هل يكون ولد من غير أب؟ قالت: فإنّ الله قد خلق آدم من غير أب ولاأمّ!!. /ابن كثير ج٣/١١٦/

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

٢٦: ﴿**فكلِي واشربِي وقَرّي عَيناً**﴾ طيبي نفساً، ﴿**فإمّا تَرينّ مِن البشرِ أحداً**﴾ مهما رأيتِ من أحد ﴿**فقولي إنّي نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلّمَ اليومَ إنسيّاً**﴾ قال لها عيسى: أنا أكفيكِ الكلام، وهذا كله من كلام عيسى لأمّه **٢٧**: ﴿**فأتتْ بهِ قومَها تحملُهُ**﴾ حين أمرت أن تصومَ، أي: تصمتَ يومها ذلك علمت أنّها ستكفى أمرَها فسلّمتْ لأمر الله، فلمّا رأوها كذلك استكبروا أمرَها و﴿**قالوا يامريمُ لقد جئتِ شيئاً فَرِيّاً**﴾ شيئاً عظيماً **٢٨**: ﴿**ياأُختَ هارون**﴾ شبيهة هارون في العبادة ﴿**ماكان أبوكِ امرأَ سَوْءٍ وماكانتْ أُمُّكِ بَغيّــاً**﴾ أنتِ من بيتٍ طيّبٍ طاهر معروف بالصلاح؟! **٢٩**: ﴿**فأشارتْ إليه**﴾ وقد كانت يومها ذلك صائمةً صامتةً، فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه، ﴿**قالوا**﴾ مُتهكّمين ﴿**كيف نُكلِّمُ مَن كان في المهدِ صبيّاً**﴾؟! **٣٠**: ﴿**قال إنّي عبدُالله**﴾ أثبت لنفسِهِ العبوديّة لله أولاً، ﴿**آتانيَ الكتاب**﴾ الإنجيلَ ﴿**وجعلَني نبيّاً**﴾ [أنطقه الله تعالى] تبرئةً لأُمّهِ **٣١**: ﴿**وجعلني مباركاً أينما كنتُ**﴾ وبركتُهُ: الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان، أي: وجعلني معلّماً للخير ﴿**وأوصاني بالصلاةِوالزكاةِ مادُمْتُ حيّــاً**﴾، أخبره بماهو كائن من أمره إلى أن يموت **٣٢**: ﴿**وبَرّاً بوالِدَتي**﴾ وأمرني بِبِرِّ والِدَتي، ﴿**ولم يجعــلْني جبّاراً شقيّاً**﴾ ولم يجعــلني مستكبراً عن عبادته وطاعته وبِرِّ والِدَتي فأشقى بذلك **٣٣**: ﴿**والسلامُ عليّ يومَ وُلِدْتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حيّاً**﴾ إثباتٌ منه لعبوديّته لله عزّ وجلّ وأنّه مخلوق كسائر الخلائق، ولكن له السلامةُ في هذه الأحوال التي هي أشقُّ مايكون على العباد **٣٤**: ﴿**ذلك عيسَى ابنُ مريمَ**﴾ هذا خبر عيسى يامحمد قصصناه عليك ﴿**قولَ الحقِّ الذي فيهِ يمترُون**﴾ يختلِفُ فيه المبطِلُون والمحقون **٣٥**: ﴿**ماكانَ لله أنْ يتخِذَ مِن وَلَدٍ سبحانَهُ**﴾ عمّا يقول هؤلاء الظالمون المعتدون علوّاً كبيراً؛ ﴿**إذا قضَى أمراً فإنّما يقولُ لهُ كن فيكون**﴾ إذا أراد شيئاً فإنّما يأمرُ بهِ فيصير كما يشاء **٣٦**: ﴿**وإنّ اللهَ ربّي وربُّكم فاعْبُدُوهُ**﴾ أمرهم بعبادة الله وهو في مهدِهِ، ﴿**هذا صراطٌ مستقيمٌ**﴾ هذا الذي جئتكم به عن الله صراط قويم مَنِ اتبعه هُدِيَ، ومَن خالفه ضلّ **٣٧**: ﴿**فاختلفَ الأحزابُ مِن بينِهم**﴾ اختلف قول أهل الكتابِ في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله، فصممت طائفة من اليهود عليهم لعائن الله، على أنّه ساحر وولد زنية، وقال آخرون هو ابن الله، وقال آخرون بل هو عبدالله ورسوله، وهذا هو الحقّ الذي هدى الله إليه المؤمنين. ﴿**فويلٌ للذين كفرُوا مِن مَشهدِ يومٍ عظيمٍ**﴾ يوم القيامة **٣٨**: ﴿**أسمِعْ بهم وأبصِرْ يومَ يأتوننا**﴾ ماأسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ولكن لاينفعهم ولايجدي عنهم شيئاً، ولو كان هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعاً لهم ومنقذاً من عذاب الله ﴿**لكنِ الظالمون اليومَ**﴾ في الدنيا ﴿**في ضلالٍ مبينٍ**﴾ لايسمعون ولايُبصرون الهدَى ولايهتدون.

الآية: **٢٨** روى مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: أرأيتَ ماتقرأون: ﴿ياأختَ هارُون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فرجعتُ فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ألاَ أخبرتهم أنّهم كانوا يُسَمَّوْن بالأنبياء والصالحين قبلهم»؟!!. /ابن كثير ج٣/١١٩/

الآية: **٣٥** جاء في الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شهد أنْ لا إله إلاّ الله وَحْدَهُ لاشريكَ له، وأنّ محمداً عبده=

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

٣٩: ﴿**وأنذِرْهم يومَ الحسرةِ إذْ قُضِيَ الأمرُ**﴾ فُصِلَ بين أهل الجنّة وأهل النّار، ﴿**وهم**﴾ اليوم ﴿**في غفلةٍ**﴾ عمّا أُنذِروا به يوم الحسرة والنّدامة ﴿**وهم لايُؤمنون**﴾ بهِ **٤٠**: ﴿**إنّا نحنُ نرثُ الأرضَ ومَن عليها**﴾ يوم لايدعي أحدٌ ملكاً ولاتصرّفاً، بل هو الوارثُ لجميع خلقه، الباقي الحاكم فيهم، ﴿**وإلينا يُرجَعُون**﴾ **٤١**: ﴿**واذكُرْ في الكتابِ إبراهيمَ**﴾ واتْلُ يامحمد على قومك الذين يعبدون الأصنام خبرَ إبراهيم الذين هم مِن ذُرّيّته ويدّعون أنّهم على مِلّته ﴿**إنّه كان صِدّيقاً نبيّاً**﴾ مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام **٤٢**: ﴿**إذْ قال لأبيهِ ياأبتِ لِمَ تعبُدُ مالايسمعُ ولايُبصرُ ولايُغني عنكَ شيئاً**﴾ لاتنفعك ولايدفع عنك ضراً **٤٣**: ﴿**ياأبتِ إنّي قد جاءني مِن العلم مالم يأتِكَ**﴾ إن كنتَ تراني أني من صُلْبك وأني ولدك فاعلمْ أنّ الله علمني ما لم تعلمه أنت ولااطلعتَ عليه ﴿**فاتّبعني أهدِكَ صِراطاً سوياً**﴾ طريقاً موصلاً إلى نيل النجاة **٤٤**: ﴿**ياأبتِ لاتعبُدِ الشيطانَ**﴾ لاتُطِعْهُ في عبادة الأصنام، ﴿**إنّ الشيطانَ كانَ للرحمن عَصِيّاً**﴾ مخالفاً لربِّه مستكبراً عن طاعته، فطردَهُ وأبعدَهُ، فلا تتبعه، تصِرْ مثله **٤٥**: ﴿**ياأبتِ إنّي أخافُ أن يَمَسَّكَ عذابٌ من الرحمن**﴾ على شركك وعِصْيانِكَ لِما آمرُكَ بهِ ﴿**فتكونَ للشيطان وليّاً**﴾ موالياً، فلا يكون لك مولىً ولاناصراً إلّا إبليس، وليس إليه من الأمر شيء **٤٦**: ﴿**قال**﴾ جواباً لولده إبراهيم فيما دعاه إليه: ﴿**أراغِبٌ أنتَ عن آلهتِي ياإبراهيم**﴾؟ لاترضاها؟ فانْتَهِ عن سبِّها وشتمها، ﴿**لئن لم تنتَهِ**﴾ عن عيبها وشتمها ﴿**لأرجمنّكَ**﴾ [أي: بالحجارة] ﴿**واهجرني مَلِيّاً**﴾ [أي: اعْتَزِلني] سالماً قبل أن تصيبَكَ منّي عُقوبة **٤٧**: فعندها قال إبراهيم لأبيه: ﴿**سلامٌ عليك**﴾ فلاينالك منّي مكروه لحرمة الأبوّة. ﴿**سأستغفِرُ لكَ ربّي**﴾ سأسألُ اللهَ فيكَ أن يهديَك ويغفرَ ذنبك ﴿**إنّه كان بِي حَفِيّاً**﴾ لطيفاً أن هداني لعبادته والإخلاص له **٤٨**: ﴿**وأعتزِلُكم وماتدعُون من دون الله**﴾ وأجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدُونها من دون الله ﴿**وأدْعُوا ربِّي**﴾ أعبدُهُ وحدَه لاشريك له، ﴿**عسَى أنْ لاأكونَ بدعاءِ ربّي شقيّاً**﴾ وعسَى هذه موجبة لامحالة فإنّه عليه السلام سيّدُ الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم **٤٩**: ﴿**فلمّا اعتزلهم ومايعبُدُون مِن دُون الله وهبنَا له إسحاقَ ويعقوبَ**﴾ جعلنا له نسلاً وعَقِباً ﴿**وكلاً جعلنَا نبيّاً**﴾ أقرّ اللهُ بهم عينه في حياته، [وكما قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ وجعلنا في ذرّيّتِهِ النبوّةَ والكتابَ﴾] **٥٠**: ﴿**ووَهَبْنَا لهم مِن رحمتِنا وجعلنا لهم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**﴾ فجميع الملل يثنُون عليهم ويمدحونهم صلواتُ الله عليهم أجمعين **٥١**: ﴿**واذكرْ في الكتابِ موسى**﴾ الكليم ﴿**إنّه كان مُخْلَصاً**﴾ كما قال الله تعالى: ﴿إنّي اصطفيتُك على النّاس﴾، ﴿**وكان رسولاً نبيّاً**﴾ جمع له بين الوصفين، فإنّه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

= ورسوله، وأنّ عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنّ الجنّة حقٌّ والنّار حق، أدخله الله الجنّة على ماكان من العمل» . /ابن كثير ج٣/١٢١/

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣١ — سجدة

٥٢: ﴿وناديناه مِن جانبِ الطُّورِ الأيمن﴾ وذلك حين ذهب موسى يبتغي مِن تلك النّار جذوة، حين رآها تلوح في جانب الطّور الأيمن منه غربيَّهُ عند شاطِىءِ الوادي، فكلّمه الله تعالى وناداه **﴿وقربناه نجياً﴾** [أي: أدنيناه بتقريب المنزلة حتى كلّمنَاهُ. والنجيّ بمعنى المناجي. فالتقريب هنا هو تقريب التشريف والإكرام؛ مُثلتْ حالهُ بحالِ مَن قرّبَهُ المَلِكُ لمناجاتِهِ][1] **٥٣: ﴿ووهبنَا له مِن رحمتنا أخاه هارُونَ نبيّاً﴾** وكان هارون أكبر من موسى فوهب له نُبوّتَهُ، أي: وأجبنا سؤالَهُ وشفاعتَه في أخيه فجعلناه نبيّاً **٥٤: ﴿واذْكُر في الكِتابِ إسماعيلَ إنّه كان صادِقَ الوعدِ وكان رسولاً نبيّاً﴾** هذا ثناءٌ مِن الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو والد عرب الحجاز كلهم؛ بأنّه كان صادق الوعد لأنّه قال لأبيه: ﴿ستجِدُني إن شاء الله من الصابرين﴾ فصدقَ في الوعدِ. **﴿وكان رسولاً نبيّاً﴾** في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق، لأنّه إنّما وصفه بالنبوّة فقط **٥٥: ﴿وكان يأمُرُ أهلَهُ بالصلاة والزكاة وكان عندَ ربِّهِ مرضيّاً﴾** هذا أيضاً من الثناء الجميل والصفة الحميدة، كما قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وأْمُرْ أهلَكَ بالصلاة واصْطَبِرْ عليها﴾ **٥٦: ﴿واذْكُرْ في الكتابِ إدريس﴾** ذكره تعالى بالثناء عليه **﴿إنّه كان صِدِّيقاً نبيّاً﴾ ٥٧: ﴿ورفعناهُ مكاناً عَليّاً﴾** وفي الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرَّ بهِ ليلةَ الإسراء والمعراج وهو في السماء الرابعة. فإدريسُ رُفع ولم يمتْ كما رُفع عيسى **٥٨: ﴿أولئك الذين أنعمَ اللهُ عليهم مِنَ النبيين مِن ذُرِّيّةِ آدمَ ومِمّنْ حملنا معَ نوحٍ ومِن ذريّةِ إبراهيمَ وإسرائيلَ﴾** فرّق أنسابَهم وإن كان يجمعهم آدم، **﴿وممّن هَدَيْنَا واجتبينا﴾** من لوطٍ ويُونس واليسع، **﴿إذا تُتْلَى عليهم آياتُ الرحمنِ خرُّوا سُجّداً وبُكيّاً﴾** هؤلاء إذا سمِعُوا كلامَ الله سجدُوا لربّهم خُضُوعاً واستكانةً حمداً وشكراً على ماهم فيه من النِّعم العظيمة **٥٩: ﴿فخلفَ مِن بعدِهم خَلْفٌ أضاعُوا الصلاةَ﴾** خلفهم قرون أُخر أضاعُوا الصلاةَ فهم لِما سِوَاها من الواجبات أضيع، لأنّها عماد الدِّين **﴿واتّبعُوا الشهواتِ﴾** وأقبلوا على شهوات الدنيا ورضوا بها، **﴿فسَوفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾** خسراناً وشرّاً في وادٍ في جهنّم بعيد القعر **٦٠: ﴿إلّا مَن تابَ وآمنَ وعمِلَ صالحاً﴾** فإنّ الله يقبل توبتَهُ ويُحسِنُ عاقبته، **﴿فأولئك يدخلُون الجنّة ولايُظلمون شيئاً﴾**، وذلك لأنّ التوبة تجبُّ ماقبلها **٦١: ﴿جنّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدَ الرحمنُ عبادَهُ بالغيب﴾** هي من الغيب الذي يؤمنون به وماراَوه، وذلك لشدّةِ إيقانِهم وقوّة إيمانهم، **﴿إنّه كان وعدَهُ مأتيّاً﴾** تأكيدٌ لحصول ذلك وثبوته **٦٢: ﴿لايسمعون فيها لغواً﴾** ليس فيها كلام ساقط تافه لامعنى له كما في الدنيا، **﴿إلّا سلاماً ولهم رزقُهم فيها بكرةً وعَشيّاً﴾** في مثل وقت البكرات والعشيّات، لأنّه ليس في الجنة ليل، بل هم في نور أبداً **٦٣: ﴿تلك الجنّةُ التي نُورثُ مِن عبادِنا مَن كانَ تقيّاً﴾** هذه الجنة التي هذه صفتها هي للمطيعين لله في السَّرّاء والضرّاء **٦٤: ﴿ومانتنزّلُ إلّا بأمر ربِّكَ﴾** وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل: «مايمنعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا»؟ فأنزل الله هذه الآية. **﴿له مابين أيدينا﴾** من أمر الدنيا **﴿وماخلفنا﴾** من أمر الآخرة **﴿ومابين ذلك﴾** مابين النفختين **﴿وماكان ربُّك نَسيّاً﴾**.

(١) فتح القدير للإمام الشوكاني ج٣/٣٣٨.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

٦٥: ﴿ربُّ السموات والأرضِ ومابينهما فاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لعبادَتِهِ هلْ تعلمُ له سميّاً﴾؟ هل تعلم للربِّ مثلاً أو شبيهاً؟ [لاليس كمثلِهِ شيء] **٦٦: ﴿ويقولُ الإنسانُ أئذا ماِمتُّ لسوف أخرج حيّاً﴾**؟! يتعجب الإنسان ويستبعد إعادته بعد موته **٦٧: ﴿أوَلاَ يذكر الإنسانُ أنّا خلقناه من قبلُ ولم يكُ شيئاً﴾**؟ يستدلّ تعالى [لعباده] بالبداءة على الإعادة، قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيدهُ وهو أهونُ عليه﴾ **٦٨: ﴿فَوَرَبِّكَ لنحشرنّهم والشياطين﴾** أقسم الربُّ تبارك وتعالى بنفسِهِ الكريمة أنّه لابُدّ أن يحشرهم جميعاً وشياطينَهم **﴿ثم لَنُحْضِرَنّهم حولَ جهنّم جِثِيّاً﴾** يعني: قُعُوداً، كقوله تعالى: ﴿وترى كلَّ أُمّةٍ جاثيةً﴾ **٦٩: ﴿ثم لننزعنّ مِن كلِّ شيعةٍ﴾** من كلِّ أُمّة **﴿أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتِيّاً﴾** وهم قادة كل أمة ورؤساؤهم في الشرّ **٧٠: ﴿ثم لنحنُ أعلمُ بالذين هم أولى بها صِلِيّاً﴾** إنّه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يُصلى بنار جهنّم ويُخلّد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب **٧١: ﴿وإنْ منكم إلّا وارِدُها كان على ربِّك حتماً مقضياً﴾** عن ابن مسعود قال: «يَرِدُ النّاسُ جميعاً الصراطَ، وورودهم قيامهم حول النّار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم مَن يمرُّ مثل البرق ومنهم مَن يمرُّ مثلَ الريح، ومنهم مَن يمرُّ مثل الطير، ومنهم مَن يمرّ كأجود الخيل، ومنهم مَن يمرّ كعدو الرجل» الحديث **٧٢: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً﴾**، فإذا مرَّ الخلائق كلهم على النّار وسقطَ مَن سقطَ مِن الكفار والعُصاة، نجّى الله تعالى المؤمنين المتقين بقدر أعمالهم **٧٣: ﴿وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا بيّنات﴾** ظاهرةَ الدِّلالة بيّنةَ الحُجّة **﴿قال الذين كفرُوا للذين آمنوا أيُّ الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسن نَدِيّاً﴾** يقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ماهم عليه من الباطل بأنّهم أحسن منازلَ وأرفع دُوراً وأحسن نَدِيّاً **٧٤: ﴿وكم أهلكنا قبلَهُمْ مِن قَرْنٍ﴾** مِن أُمّة من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم **﴿هُمْ أحْسَنُ أثاثاً ورِئياً﴾** كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتعة ومناظر وأشكالاً **٧٥: ﴿قُلْ مَن كان في الضلالة﴾** قل يامحمد للمشركين **﴿فَلْيَمْدُدْ لهُ الرحمنُ مَدّاً﴾** فأمهله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى ربَّهُ وينقضي أجله **﴿إمّا العذابَ﴾** يُصيبه **﴿وإمّا الساعةَ﴾** بغتةً تأتيه **﴿فسيعلمُون﴾** حينئذٍ **﴿مَن هو شرٌّ مكاناً وأضعفُ جُنداً﴾** في مقابلة مااحتجُّوا به من خيريّة المقام وحسن الندى **٧٦: ﴿ويزيدُ اللهُ الذين اهْتَدَوْا هُدَىً﴾** لمّا ذكرَ تعالى إمدادَ مَن هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادتُهُ على ماهو عليه أخبر سبحانه بزيادة المهتدين هُدىً، **﴿والباقيات الصالِحات خيرٌ عند ربك ثواباً﴾** وهي: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلّا الله، خير جزاءً **﴿وخيرٌ مَرَدّاً﴾** عاقبةً ومردّاً على صاحبها.

الآية: ٧١ روى عبدالرزاق عن قيس بن أبي حازم قال: بكى عبدالله بن رواحة فسألته امرأته عمّا يبكيه، قال: إني ذكرتُ قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ منكم إلّا واردها﴾ فلا أدري أنجو منها أم لا. وكان مريضاً. وقال عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنّك وارد النّار؟ قال: نعم، قال: هل أتاك أنّك صادرٌ عنها؟ قال: لا، قال: ففيمَ الضحك؟! قال: فما رُئِي ضاحكاً حتى لحق بالله. [نسأل الله تعالى العفو يوم نلقاه والنجاة من النّار بعد الحساب]. /ابن كثير ج٣/١٣٢/

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

٧٧: ﴿أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتِنا وقال لأوتَيَنَّ مالاً وَوَلَداً﴾ نزلت في العاص بن وائل، قال خباب: كان لي عليه دين فأتيتُه أتقاضاه منه، فقال: لاأقضيك، إنّي إذا مُتُّ ثم بُعثتُ جئتني ولي مالٌ وولدٌ فأعطيتُك **٧٨: ﴿أطّلعَ الغيبَ﴾**؟ إنكارٌ على هذا القائل، أي: أعلم ماله في الآخرة حتى تألّى على ذلك **﴿أمِ اتخذَ عندَ الرحمنِ عهداً﴾** أم له عند الله مالاً وولداً؟ يعني: يوم القيامة له عهدٌ عند الله سيُؤتيه ذلك؟ **٧٩: ﴿كلاّ﴾** ردعٌ لِما قبلها وتأكيدٌ لِما بعدَها **﴿سنكتبُ مايقول﴾** من طلبه وحكمه لنفسه بما يتمنّاه وكفره بالله **﴿ونَمدُّ له مِن العذابِ مَدّاً﴾** في الآخرة على كفره بالله **٨٠: ﴿ونَرِثُهُ مايقولُ﴾** من مال وولد، نسلبه منه عكس ماقال، **﴿ويأتينا فَرْداً﴾** لامالَ له ولا ولد، لايتبعه قليلٌ ولاكثير **٨١: ﴿واتخذُوا مِن دُونِ اللهِ آلهةً ليكونوا لهم عِزّاً﴾** يعتزُّون بها ويستنصرونها، ثم أخبرهم أنّه ليس الأمر كما زعموا: **٨٢: ﴿كلاّ سيكفرون بعبادتِهم﴾** يوم القيامة **﴿ويكُونون عليهم ضِدّاً﴾** بخلاف ماظنّوا فيهم **٨٣: ﴿ألَمْ تَرَ أنّا أرسلنا الشياطين على الكافِرين تؤزّهم أزّاً﴾** تُغويهم وتُحرّضهم إلى معاصي الله **٨٤: ﴿فلا تعجلْ عليهم﴾** يامحمد **﴿إنما نعُدُّ لهم عَدّاً﴾** إنما نؤخرهم لأجلٍ معدودٍ وهم صائرون إلى عذاب الله **٨٥: ﴿يومَ نحشُرُ المتقين إلى الرحمنِ وَفْداً﴾** والوَفْدُ: هم القادمون رُكباناً، أي: هم قادِمُون على خير موفودٍ إليه **٨٦: ﴿ونسوقُ المجرمين إلى جهنّم وِرْداً﴾** يُساقون عنفاً إلى النّار عِطاشاً **٨٧: ﴿لايملِكُون الشفاعةَ﴾** ليس لهم مَن يشفعُ لهم، كما يشفعُ المؤمنون بعضُهم لبعضٍ، **﴿إلّا مَنِ اتخذَ عندَ الرحمن عهداً﴾** وهو شهادة أن لا إله إلّا الله والقيام بحقها **٨٨: ﴿وقالوا اتخذَ الرحمنُ وَلَداً﴾** هذا إنكارٌ على مَن زعم ذلك، تعالى الله وتقدّس وتنزّه عن ذلك علوّاً كبيراً **٨٩: ﴿لقد جِئتُم شيئاً إدّاً﴾** عظيماً **٩٠: ﴿تكادُ السمواتُ يتفطَّرْنَ منه﴾** يتشققنَ **﴿وتنشقُّ الأرضُ وتخرُّ الجبالُ هَدّاً﴾** يكاد يكون ذلك عند سماعهنّ هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظاماً للربّ سبحانه **٩١: ﴿أنْ دعَوْا للرحمنِ وَلَداً﴾** وفي الصحيحين: «إنّهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويُعافيهم» **٩٢: ﴿ومايَنبغي للرحمنِ أن يتخذَ وَلداً﴾** لايليق به لجلاله وعظمته لأنّه لاكفء له من خلقه، لأن جميع الخلائق عبيدٌ له **٩٣: ﴿إن كلُّ مَن في السمواتِ والأرض إلّا آتِ الرحمن عبداً﴾** [أي: إلّا وهو يأتي يوم القيامة مقرّاً له بالعبودية خاضعاً ذليلاً] **٩٤: ﴿لقد أحصاهم وعَدَّهم عَدّاً﴾** قد علم عددَهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة **٩٥: ﴿وكلُّهم آتِيهِ يومَ القيامةِ فَرْداً﴾** لاناصرَ له ولامجير إلّا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادلُ الذي لايظلم ذرّة ولايظلِمُ أحداً.

الآية: ٨٧ في حديث الشفاعة في الصحيحين: «فيأتوني فيقولون: يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر، اشفعْ لنا إلى ربِّك، ألاَ ترى إلى مانحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحتَ العرش، فأقع ساجداً لربّي، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحُسْن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يُقال: يامحمد ارفع رأسك، سَلْ تُعْطَهُ، واشفعْ تُشفَّعْ، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي ياربِّ أمتي ياربِّ أمتي. فيُقال: يامحمد أدخلْ من أمتك من لاحسابَ عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» ثم قال: «والذي نفسي بيده إنّ مابين المصارعين من مصاريع الجنّة كما بين مكّةَ وهَجَرَ، أو كما بين مكّة وبُصْرَى»!!. /الترغيب ج٤/٤٤٤ ـ ٤٤٥/

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

الحزب ٣٢

٩٦: ﴿إنّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ﴾ التي ترضي الله عزّ وجلّ لمتابعتها الشريعة المحمديّة، **﴿سيجعلُ لهم الرحمنُ وُدّاً﴾** يغرس لهم في قلوبِ عبادِه الصالحين محبّةً ومودّةً، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، روى الإمام أحمد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ اللهَ إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ، فقال: ياجبريل إنّي أحبُّ فلاناً فأَحِبَّهُ، قال: فيُحبه جبريلُ، قال: ثم يُنادِي في أهلِ السماءِ إنّ الله يُحبُّ فلاناً فأَحِبُّوهُ، قال: فيُحِبُّه أهلُ السماء، ثم يُوضع له القبولُ في الأرض» الحديث **٩٧: ﴿فإنّما يَسّرناهُ﴾** يعني القرآن **﴿بلسانِكَ﴾** يامحمد وهو اللسان العربي الفصيح **﴿لِتُبشّرَ بهِ المتقين﴾** المستجيبين لله المصدّقين لرسوله، **﴿وتُنذِرَ بهِ قوماً لُدّاً﴾** لايستقيمُون على الحقّ فهم مائلون إلى الباطل. والألدُّ: الخصمُ الكذابُ الفاجر **٩٨: ﴿وكَمْ أهلكنا قبلَهم مِن قرنٍ﴾** من أمّةٍ كفروا بآيات الله **﴿هلْ تُحِسُّ منهم مِن أحدٍ أو تسمعُ لهم رِكزاً﴾** هل ترى منهم أحداً أو تسمعُ لهم صوتاً. والركزُ في اللغة: هو الصوتُ الخفيُّ.

تفسير سورة طه

١: ﴿طه﴾ ٢: ﴿ماأنزلنا عليكَ القرآنَ لتشقَى﴾ لايخفى مافي هذا من الإكرامِ وحُسْنِ المعاملة. قال المشركون: ماأُنزِلَ هذا القرآن على محمد إلّا ليشقَى، فأنزل الله هذه الآية. أي: لا والله ماجعله شقاءً ولكن جعله رحمةً ونوراً ودليلاً إلى الجنّة **٣: ﴿إلّا تذكرةً لِمَنْ يخشَى﴾** ليتذكّرَ ذاكرٌ وينتفعَ رجلٌ بما سمع من كتاب الله، وهو ذكرٌ أنزل اللهُ فيه حلالَه وحَرامَهُ **٤: ﴿تنزيلاً مِمّنْ خلقَ الأرضَ والسمواتِ العُلَى﴾** هذا القرآن الذي جاءك يامحمد هو تنزيل مِن ربِّكَ وربِّ كلِّ شيءٍ ومليكه القادر على مايشاء **٥: ﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾** تقدم الكلام في سورة الأعراف /آية ـ ٥٤/ أنّ المسلك الأسلم في [الآيات المتشابهات وآيات الصفات] على طريقة السلف، إمرارُ ماجاء في ذلك من الكتاب والسنّة من غير تكييف ولاتحريف ولاتشبيه ولاتعطيل ولاتمثيل **٦: ﴿له مافي السمواتِ ومافي الأرض ومابينهما وماتحتَ الثرى﴾** الجميعُ ملكه وفي قبضته وإرادته **٧: ﴿وإنْ تجهرْ بالقولِ فإنّه يعلمُ السِّرَّ وأخفَى﴾** يعلم مأأسرّه ابن آدم في نفسه، ومأخفى ممّا هو فاعله **٨: ﴿اللهُ لاإلهَ إلّا هو له الأسماءُ الحُسنَى﴾** هو ذُو الأسماءِ الحُسْنَى والصفاتِ العُلَى **٩: ﴿وهَلْ أتاكَ حديثُ موسى﴾** قصّة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه **١٠: ﴿إذْ رأى ناراً فقال لأهله﴾** يُبشرهم **﴿إنّي آنستُ ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس﴾** بشهاب من نار **﴿أو أجِدُ على النّارِ هُدَىً﴾** مَن يهديني الطريق [وكان قد أضلّ الطريق] **١١: ﴿فلمّا أتاها﴾** النار واقترب منها **﴿نُودِيَ ياموسى﴾ ١٢: ﴿إنّي أنَا ربُّكَ فاخلعْ نعليكَ إنّكَ بالوادي المقدَّسِ طُوىً﴾** طُوىً: اسم الوادي.

الآية: ٩٦ روى البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنّ الله إذا أحبَّ عبداً دَعَا جبريل، فقال: ياجبريل إنّي أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، قال: ثم ينادي في أهل السماء: إنّ الله يحب فلاناً فأحبوه، قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإنّ الله إذا أبغض عبداً دَعَا جبريل، فقال: ياجبريل إنّي أبغض فلاناً، فابغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم يُنادي في أهل السماء: أنّ الله يبغض فلاناً فابغضوه، قال: فيبغضه أهل السماء، ثم يوضع له البغضاء في الأرض». /ابن كثير ج٣/١٣٩/

وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

١٣: ﴿وأنا اخترتُكَ﴾ على جميع النّاس من الموجودين في زمانه، **﴿فاستمعْ لِما يُوحَى﴾** استمع الآن ماأوحيه إليك **١٤: ﴿إنّني أنا الله لا إله إلاّ أنا﴾** هذا أول واجب على المكلّفين **﴿فاعْبُدْني﴾** وحدي من غير شريك، **﴿وأقِم الصلاةَ لذكري﴾** صلِّ لتذكُرَني **١٥: ﴿إنّ الساعةَ آتيةٌ﴾** كائنة لابدّ منها **﴿أكادُ أخفيها﴾** كتمتُها عن الخلائق [وأكادُ أبالغ في إخفائها]، **﴿لتجزى كلُّ نفسٍ بما تسعى﴾** أقيمها لأجزي كل عامل بعمله **١٦: ﴿فلايَصُدّنّكَ عنها مَن لايُؤمنُ بها﴾** المراد بهذا الخطاب آحاد المكلّفين؛ أي: لاتتبعوا سبيل مَن كذّب بالساعة **﴿واتبعَ هَوَاهُ فتردَى﴾** فتهلك **١٧: ﴿وماتلكَ بيمينكَ ياموسى﴾** استفهامُ تقريرٍ **١٨: ﴿قال هي عصايَ أتوكّأ عليها﴾** أعتمد عليها في حال المشي **﴿وأهشُّ بها على غنَمِي﴾** أهزّ بها الشجرة ليتساقط ورقها لترعاه غنمي **﴿ولِيَ فيها مآربُ أخرى﴾** مصالح ومنافع وحاجات أخرى **١٩: ﴿قال ألقِها ياموسى﴾ ٢٠: ﴿فألقاها فإذا هيَ حيّةٌ تسعَى﴾** صارت ثعباناً طويلاً يتحرك في غاية السرعة **٢١: ﴿قال خُذْها ولاتخفْ﴾**، إنّه ولّى مُدْبراً [لَمّا رآها تبتلع كلَّ شيء مرّت عليه] نُودِيَ أنْ ياموسى خذها ولاتخفْ إنّكَ مِن الآمنين **٢٢: ﴿واضْمُمْ يَدَكَ إلى جَناحِكَ تخرجْ بيضاءَ مِن غيرِ سُوءٍ آيةً أخرَى﴾** هذا برهانٌ ثانٍ لموسى وهو أن يُدخل يَدَهُ في جيبه، أي: أن يدخل كفَّهُ تحت عضدِه يخرج يتلألأ كأنّه فلقة قمر، **﴿من غير سُوءٍ﴾** من غير بَرَصٍ ولا أذى. فأخرجَ يَدَهُ كأنّها مصباح فعلم موسى أنّه قدْ لقيَ ربَّه عزّ وجلّ، ولهذا قال تعالى: **٢٣: ﴿لِنُرِيَكَ مِن آياتِنا الكبرى﴾** العُظمَى **٢٤: ﴿اذهبْ إلى فرعون﴾** مَلِك مصر **﴿إنه طغَى﴾** وبغى **٢٥: ﴿قال ربِّ اشْرَحْ لي صدري﴾** سأله أن يشرَح لهُ صدرَهُ فيما بعثه به، فإنّه أمرٌ عظيم، بعثه إلى أعظم ملوك الأرض وأطغاهم **٢٦: ﴿ويَسِّرْ لي أمري﴾** وإلاّ فلاطاقة لي بذلك **٢٧: ﴿واحْلُلْ عُقدةً مِن لِسَاني﴾** وذلك لِما أصابه من اللّثغ حينَ عرضَ عليه التمرةَ والجمرة فأخذَ الجمرةَ فوضعها على لسانه **٢٨: ﴿يفقَهُوا قولي﴾** كي يفقه كلامي **٢٩: ﴿واجعلْ لي وزيراً مِن أهلي﴾** هذا سؤالٌ من موسى في أمرٍ خارجي عنه **٣٠: ﴿هارونَ أخي﴾** سأل مساعدة أخيه هارون له. فنُبّىءَ ساعَتئِذٍ **٣١: ﴿اشْدُدْ بهِ أزْرِي﴾** ظهري **٣٢: ﴿وأشرِكْهُ في أمري﴾** في مَشاورتي **٣٣: ﴿كي نُسبّحَكَ كثيراً﴾ ٣٤: ﴿ونذكركَ كثيراً﴾**، قال مجاهد: لايكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً **٣٥: ﴿إنّكَ كنتَ بِنَا بصيراً﴾** في اصطفائك لنا وإعطائك إيّانا النبوّة **٣٦: ﴿قال﴾** الله لرسوله موسى فيما سأله: **﴿قد أوتيتَ سُؤلَكَ ياموسى﴾ ٣٧: ﴿ولقدْ مَنَنّا عليكَ مَرّةً أخرَى﴾** تذكيرٌ له بنعمةٍ سالِفَةٍ عليه فيما كان من أمر أُمّه حين كانت ترضعه وتحذر عليه مِن فرعون.

الآية: ١٤ روى الشيخان في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عن صلاةٍ أو نسيها فكفّارتها أن يُصلّيَها إذا ذكرَها، لاكفارة لها إلاّ ذلك».
/ابن كثير ج٣/١٤٤/

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

٣٨: ﴿إذْ أوحينَا إلى أمّكَ مايُوحَى﴾ [أي: ألهمناها] **٣٩: ﴿أنِ اقذفِيهِ في التّابُوتِ﴾** فاتخذتْ له تابوتاً، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه **﴿فاقذِفيهِ في اليَمِّ﴾** فتضعه فيه وترسله في النيل، وتمسكه إلى منزلها بحبل، تحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد وُلِدَ في السنة التي يقتلون فيها الأولاد، **﴿فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ﴾** ذهبتْ مرّةً لتربطَ الحبلَ فانفلتَ منها وذهب به [اليَمُّ لِيُلْقِه بِساحل قصر فرعون] واليَمُّ: النهرُ الكبير. **﴿بالساحِلِ﴾** [أي: بشط النهر، عبّر عنه بالساحل لعظمه]، **﴿يأخذْهُ عَدُوٌّ لي وعدوٌّ له﴾** فحكم الله ألاّ يُربّى إلاّ على فراش فرعون ويُغذّى بطعامه مع محبّته وزوجته له ولهذا قال تعالى: **﴿وألقيتُ عليكَ محبّـةً منّي﴾** عند عدوّك جعلته يُحبّكَ، **﴿ولتُصْنَعَ على عيني﴾** تُربّى بعين الله، [أي: محبته، من قول العرب: غذَا فلان على عيني، أي: على المحبّة منّي][1] **٤٠: ﴿إذْ تمشي أختُكَ فتقولُ هلْ أدُلكم على مَن يكفلُهُ فرجعناكَ إلى أمّكَ كي تقرَّ عينُها﴾** وذلك لمّا استقرّ عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأباها، قال تعالى: **﴿وحرّمنا عليه المراضعَ مِن قبلُ﴾** فجاءت أختُه وقالت: هل أدلكم على مَن يرضعه بالأجرة؟ فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضتْ عليه ثديَها فقبله، ففرحُوا، واستأجروها على إرضاعه، وفي هذا قال تعالى: **﴿فرجعنـاك إلى أُمّكَ كي تقرَّ عينُها ولاتحزن﴾** عليك. **﴿وقتلتَ نفسًا﴾** يعني القبطي **﴿فنجيّناك من الغمِّ وفتنّاكَ فُتُوناً﴾** [أي: اختبرناك اختباراً حتى صلحتَ للرسالة]. **﴿فلبثتَ سنِينَ في أهلِ مَدْيَنَ﴾** فارّاً مِن فرعون وملئه يرعى على صهره حتى انتهت المُدّة **﴿ثم جئتَ على قَدَرٍ ياموسى﴾** على قدر الرسالة والنبوّة **٤١: ﴿واصطنعتُكَ لنفسي﴾** واجتبيتُك رسولاً لنفسي كما أشاء **٤٢: ﴿اذهبْ أنتَ وأخوك بآياتِي﴾** معجزاتي **﴿ولاتنِيَا في ذكرِي﴾** لاتُبْطِئَا ولاتضعفا **٤٣: ﴿اذهبَا إلى فرعون إنّه طغى﴾** تمرّدَ وتجبّرَ وعصا **٤٤: ﴿فقُولا لهُ قولاً ليّناً لعَلّهُ يتذكرُ أو يخشى﴾** هذه عبرة عظيمة، أُمِرَ أن لايخاطب فرعون إلاّ بالملاطفة واللين **٤٥: ﴿قالا ربّنا إنّنا نخاف أن يفرطَ علينا أو أنْ يَطْغَى﴾** يعنيان أن يبدر إليهما بالعقوبة **٤٦: ﴿قال لاتخافَا إنّني معكُمَا أسمعُ وأرى﴾** فلايخفى عليّ من أمركم شيءٌ **٤٧: ﴿فأتِيَاهُ فقُولا إنّا رسولاَ ربِّكَ فأرسلْ معنا بني إسرائيلَ ولاتُعذِّبْهُم قدْ جِئناك بآيةٍ مِن ربِّكَ﴾** بمعجزةٍ مِن ربِّك **﴿والسلامُ على مَنِ اتبعَ الهُدَى﴾** السلام عليك إن اتبعتَ الهدى **٤٨: ﴿إنّا قدْ أوحِيَ إلينا﴾** أخبرنا اللهُ **﴿أنّ العذابَ على مَن كذّبَ وتولّى﴾** لمن كذب بآيات الله وتولّى عن طاعته **٤٩: ﴿قال فمن ربُّكمُا ياموسى﴾**؟ الذي بعثك وأرسلك مَن هو فإنّي لاأعرفه **٥٠: ﴿قال ربُّنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ﴾** أعطى كلَّ ذي خلقٍ مايُصلحه **﴿ثم هدَى﴾** هدى الخلائق [أي: هدى كل مخلوق إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه] **٥١: ﴿قال﴾** فرعون **﴿فما بالُ القُرونِ الأولى﴾**؟ احتجَّ بالقرون الأولى الذين لم يعبُدوا اللهَ، أي: فما بالهم؟

(١) فتح القدير للشوكاني ج٣/٣٦٥.

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

الحزب ٣٢

٥٢: ﴿**قال**﴾ له موسى ﴿**عِلمها عندَ ربّي**﴾ فإنّ عملهم عند الله مضبُوطٌ عليهم وسيجزيهم بعملهم ﴿**في كتابٍ**﴾ وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال ﴿**لايضِلُّ ربّي ولاينسَى**﴾ لايشذُّ عنه شيء ولايفوتُهُ **٥٣**: ﴿**الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ مهداً وسلكَ لكم فيها سُبُلاً**﴾ هذا من تمام كلام موسى فيما وَصَفَ به ربَّهُ عزّ وجلّ حين سأله فرعون عنه ﴿**وأنزلَ مِن السماءِ ماءً فأخرجنا بهِ أزواجاً من نباتٍ شتّى**﴾ **٥٤**: ﴿**كُلُوا وارْعَوْا أنعامَكم**﴾ من هذه الزروع والنباتات والثمار ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ**﴾ دلالات ﴿**لأولي النُّهى**﴾ لذوي العقول السليمة، على أنّه لاإله إلاّ الله ولا ربَّ سواه **٥٥**: ﴿**منها خلقناكم**﴾ من الأرض مبدؤكم فإنّ أباكم آدم مخلوق من تراب، ﴿**وفيها نُعيدكم**﴾ وإليها تصيرون إذا مِتُّم وبليتُم، ﴿**ومنها نُخرجَكُم تارةً أخرى**﴾ ومنها تخرجون **٥٦**: [عاد الخطاب إلى ماتقدم] ﴿**ولقد أريناه**﴾ يعني فرعون ﴿**آياتِنا كلَّها فكذّبَ وأبى**﴾ أباهَا كفراً وعناداً وبغياً **٥٧**: ﴿**قال أجئتنا لِتُخرجَنا مِن أرضِنا بسحرك ياموسى**﴾ [قال فرعون ذلك] حين أراه الآيةَ الكبرى، وهي إلقاء العصَا فصارت ثعباناً عظيماً، ويَدَهُ نزعها من تحت جناحه فخرجت بيضاء **٥٨**: ﴿**فلنأتينّك بسحرٍ مثله فاجعلْ بيننَا وبينَك موعِداً لانُخلفُهُ نحن ولاأنت**﴾ فإنّ عندنا سحراً مثل سحرك، فاجعلْ يوماً نحنُ وأنتَ ﴿**مكاناً سُواً**﴾ [أي: مستوياً] **٥٩**: ﴿**قال موعدكم يومُ الزينة**﴾ وهو يوم عيدهم ﴿**وأن يُحشرَ النّاسُ ضُحىً**﴾ من ضحوة النهار **٦٠**: ﴿**فتولّى فرعونُ فجمع كيدَهُ ثم أتى**﴾ جمعَ السحرةَ من المدائن في ذلك الزمان، وكان السحر فيهم نافقاً جدّاً **٦١**: ﴿**قال لهم موسى ويلكم لاتفترُوا على الله كذباً**﴾ لاتُخيِّلُوا للنّاس بأعمالكم إيجاد أشياءَ لاحقائق لها فتكونُوا كذبتم على الله، ﴿**فيُسحتكم بعذاب**﴾ يهلككم بعقوبة هلاكاً لابقيّةَ له، ﴿**وقد خابَ مَنِ افترى**﴾ **٦٢**: ﴿**فتنازَعُوا أمرَهم بينهم**﴾ اختلفوا وتشاجروا فيما بينهم فقائلٌ يقول: ليس هذا بكلام ساحر إنّما هو كلام نبيٍّ، وقائلٌ يقول: بل هو ساحر، ﴿**وأسَرُّوا النجوى**﴾ تناجَوْا فيما بينهم **٦٣**: ﴿**قالوا إنْ هذانِ لساحرانِ يريدان أنْ يُخرجَاكم من أرضكم بسحرهما**﴾ قالوا فيما بينهم: تعلمون أن هذا الرجل وأخاه ساحران عالمان بصناعة السحر، يُريدان في هذا اليوم أن يغلباكم ويستوليا على الناس، ﴿**ويذهَبا بطريقتكُمُ المُثْلى**﴾ ويستبدّان بهذه الطريقة، وهي السحر، ويصرفان وُجُوهَ النّاس إليهما **٦٤**: ﴿**فأجْمِعُوا كيدَكم ثم ائتوا صَفّاً**﴾ اجتمِعُوا كلكم وألقُوا مافي أيديكم مرّة واحدة لتبهرُوا الأبصار وتغلِبُوا هذا وأخاه، ﴿**وقد أفلحَ اليومَ مَنِ استعلَى**﴾ مِنّا ومنه، أمّا نحنُ فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل، وأمّا هو فينال الرياسة العظيمة.

الآية: ٦٠ روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبعَ المُوبقات» قالوا: يارسول الله! وماهُنَّ؟ قال: «الشركُ بالله، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ، وأكلُ الرّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتولّي يومَ الزحفِ، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات» وروى الطبراني بإسناد حسن والبزار بإسناد جيّد عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من تطيّر [أي تشاءم بالشيء] أو تُطيِّرَ له [أي تشاءم النّاس له فصدّقهم] أو تكهّنَ [أي ادعاء علم الغيب] أو تُكهِّنَ له، أو سَحَرَ، أو سُحِرَ له». وفي رواية البزار بإسناد جيّد عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أتَى كاهناً فصدّقه بما قال، فقد كفرَ بما أُنزل على محمد ﷺ». /الترغيب ج٤/٣١ ـ ٣٤/

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٥: ﴿قالوا ياموسى إمّا أن تُلقِي﴾ أنت أولاً **﴿وإمّا أن نكونَ أوّلَ مَن ألقى﴾**؟ **٦٦: ﴿قال بل ألقُوا﴾** أنتم أولاً لِنرَى ماذا تصنعُون مِن السحر، وليظهرَ للنّاس جليّةُ أمرهم **﴿فإذا حِبالُهم وعِصيُّهُمْ يُخَيّلُ إليه من سحرهم أنّها تسعى﴾ ٦٧: ﴿فأوجسَ في نفسِهِ خِيفةً مُوسى﴾** خاف على النّاس أن يُفتنوا بسحرهم ويغترّوا بهم قبل أن يُلقى مافي يمينِهِ، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أنْ ألقِ مافي يمينك **٦٨: ﴿قُلنا لاتخفْ إنّكَ أنتَ الأعلى﴾ ٦٩: ﴿وألقِ مافي يمينِكَ تلقفْ ماصنعُوا إنّما صنعوا كيدُ ساحِرٍ﴾** وذلك أنّها صارت [العَصَا] تنّيناً عظيماً هائلاً ذا قوائم وعُنق ورأس، فجعلتْ تتبعُ تلك الحبال والعِصيّ حتى لم تبق منها شيئاً إلاّ تلقّفتْهُ، والناس والسحرة ينظرون عياناً، فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقعَ الحق، ولهذا قال تعالى: **﴿إنّما صنعُوا كيدُ ساحِرٍ ولايُفلِحُ الساحِرُ حيثُ أتى﴾** فلمّا عايَنَ السحرة ذلك مع ماهم من خبرة بفنون السحر علموا علم اليقين أنّ هذا الذي فعله موسى ليسَ مِن قبيل السحر والحِيَل، وأنّه حقٌّ لامِرْيَةَ فيه، ولايقدر عليه على هذا إلاّ الذي يقول للشيء: كُنْ فيكون **٧٠: ﴿فأُلقِيَ السحرةُ سُجّداً قالوا آمنّا بربِّ هارونَ وموسى﴾** فكانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بَرَرة، وكانوا سبعين رجلاً. ولمّا خرَّ السحرةُ سُجّداً رُفعتْ لهم الجنّة حتى نظروا إليها، ورأوا منازلهم فيها **٧١: ﴿قال آمنتم له قبلَ أن آذَنَ لكم إنّه لكبيرُكم الذي علّمكم السحر﴾** حين رأى فرعون مارأى من المعجزة الباهرة قال قولاً يعلمُ هو والسحرة كلهم أنّه بُهت وكذب: **﴿إنّه لكبيرُكم الذي علّمكم السحر﴾** ثم أخذَ يتهددهم فقال: **﴿فلأقطّعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾** [أي: يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى] **﴿ولأصلّبنّكم في جُذوع النخل﴾** لأجعلنّكم مُثلةً **﴿ولتَعلَمُنَّ أيُّنا أشدُّ عذاباً وأبقى﴾ ٧٢: ﴿قالوا لن نُؤثرَكَ على ماجاءنا من البيّناتِ والذي فطَرَنا﴾** لانختارك على ماحصل لنا من الهدى واليقين ولانختارك على الذي خلقنا فهو المستحق للعبادة **﴿فاقضِ﴾** افعل **﴿ماأنتَ قاضٍ إنّما تقضي هذه الحياةَ الدنيا﴾** وهي دار زوال **٧٣: ﴿إنّا آمنّا بربّنا ليغفرَ لنا خطايانا وماأكرهتنا عليه من السحر﴾** لِتُعارض بِه آيةَ الله ومعجزة نبيّه **﴿والله خيرٌ وأبقى﴾ ٧٤: ﴿إنّه مَن يأتِ ربَّهُ مُجْرِماً﴾** يوم القيامة **﴿فإنّ له جهنَّمَ لايموتُ فيها ولايحيى﴾** كما قال تعالى: **﴿لايُقضَى عليهم فيمُوتُوا ولايُخفّفُ عنهم من عذابها﴾** [أي: فيحيون حياةً كلّها عذاب] **٧٥: ﴿ومَن يأتِهِ مؤمناً قد عمل الصالحات﴾** ومَن لقيَ ربَّه يوم المعاد مؤمن القلب **﴿فأولئك لهم الدرجاتُ العُلَى﴾** الجنّة ذات الدرجات العاليات **٧٦: ﴿جنّاتُ عدْنٍ﴾** إقامة **﴿تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدين فيها﴾** ماكثين فيها أبداً، **﴿وذلك جزاءُ مَن تزكّى﴾** مَن طهرَ نفسَهُ من الشرك، وعبد الله تعالى وحدَه لاشريك له.

الآية: ٦٦ إنّ أضرار السحر كبيرة وعواقب موبقه في الهَلَكة، تجرّ المعتقد به إلى الإشراك بالله تبارك وتعالى، لاعتقاده تأثير الساحر في الكون، والانصراف عن الاعتقاد بقدرة الله سبحانه. والساحر كافر بالله سبحانه، يسعى إلى إرضاء شيطانه بزيادة كفرهِ بالله تعالى؛ ليصل إلى مايبتغيه من سحره. فالساحر مستحق للعنة الله وملائكته والمؤمنين. وحدّ الساحر ضربة بالسيف كما ثبت ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

نصف الحزب ٣٢

٧٧: **﴿ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أسْرِ بعبادي﴾** يسريَ بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون **﴿فاضربْ لهم طريقاً في البحر يَبَساً﴾** [أي: البحر الذي كان يُطلق عليه القلزُم، واليوم اسمه الأحمر]، فضرب البحر بعصاه فانفلق، فكان كل فِرْق كالطود العظيم، أي: الجبل العظيم. **﴿لاتخافُ دَرَكاً﴾** من فرعون **﴿ولاتخشى﴾** يعني من البحر أن يغرق قومُك ٧٨: **﴿فأتْبَعَهُم فرعونُ بجُنوده فغشيَهُم من اليَمِّ﴾** البحر **﴿ماغشيهم﴾** [أي: أصابهم من البحر ماغرَّقهم] ٧٩: **﴿وأضلَّ فِرْعُونُ قومَهُ وماهدَى﴾** فسلك بهم في اليَمِّ فأضلّهم وماهداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النّار وبئس الورد المورود ٨٠: **﴿يابني إسرائيل قد أنجيناكم مِن عدوّكم﴾** يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل حيث أنجاهم من عدوّهم وأقرّ أعينهم منه وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقُوا في صبيحة واحدة، **﴿وواعدناكم جانبَ الطُّورِ الأيمن﴾** وهو الذي كلّمه الله تعالى عليه، وأعطاه التوراة هنالك. **﴿ونزّلنا عليكم المَنَّ والسلوَى﴾** المنُّ حلوى كانت تنزل عليهم من السماء، والسلوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كلٍّ قدرَ الحاجة إلى الغدِ لطفاً من الله ورحمة بهم وإحساناً إليهم ٨١: **﴿كُلُوا مِن طيباتِ مارزقناكم ولاتطغَوْا فيه فيحِلَّ عليكم غضبي﴾** كلُوا من هذا الرزق ولاتأخذوه من غير حاجة، فأغضبَ عليكم، **﴿ومَن يَحْلِلْ عليه غضبي فقد هوَى﴾** في جهنم ٨٢: **﴿وإنّي لغفارٌ لمن تاب وآمَن وعمِلَ صالحاً ثم اهتدَى﴾** استقام على السنّة والجماعة، ولزم الإسلام حتى يموت ٨٣: **﴿وماأعجلكَ عن قومِكَ ياموسى﴾** لّما سار موسى عليه السلام بني إسرائيل بعد هلاك فرعون سارع مبادراً إلى الطور، واستخلف عليهم أخاه هارُون ٨٤: **﴿قالَ هُم أُولاءِ على أثَري﴾** هم قادِمون ينزلون قريباً من الطور، **﴿وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضَى﴾** لتزدادَ عنّي رضا ٨٥: **﴿قالَ فإنّا قد فتنّا قومَكَ مِن بعدِك وأضلّهم السَّامِريّ﴾** أخبره تعالى بما كان بعده مِن عبادتِهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامِريّ ٨٦: **﴿فرجَعَ موسى إلى قومِه غضبانَ أسِفاً﴾** بعدما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب عليهم، وهو فيما هو فيه من تسلّم التوراة التي فيها شريعتُهم وفيها شرفٌ لهم، وهم قد عبدُوا غيرَ الله، **﴿قالَ ياقوم ألم يعِدْكم ربُّكم وَعْداً حسناً﴾** من خيرٍ في الدنيا والآخرة، **﴿أفَطَال عليكُمُ العهدُ﴾**؟ في انتظار ماوعدكم اللهُ ونسيان ماسَلَفَ من نعمه؟ **﴿أم أردتُم أنْ يحِلَّ عليكم غضبٌ مِن ربِّكم﴾** «أم» هنا بمعنى بلْ وهي للإضراب عن الكلام الأول، وعدول إلى الثاني، أي: بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحِلَّ عليكم غضبٌ مِن ربِّكم **﴿فأخلفتُم موعِدِي﴾** ٨٧: **﴿قالوا ماأخلفنا موعِدَك بمِلكِنَا﴾** عن قدرتنا واختيارنا، **﴿ولكنّا حُمِّلنا أوزاراً مِن زينةِ القوم﴾** اعتذروا بالعذر البارد، بأنّهم تورّعوا عمّا بأيديهم من حِلّي القبطِ الذي كانوا استعاروه منهم حين خرجوا من مصر **﴿فقذفناها﴾** ألقيناها عنّا، **﴿فكذلك ألقى السامِريّ﴾** أمرهم بإلقاء الحَلْي في حفرة النار.

الآية: ٨٢ عن الأغرّ بن يَسَار المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «ياأيُّها النّاسُ! تُوبُوا إلى الله واستغفروه، فإنّي أتوبُ في اليوم مائةَ مرّةٍ» رواه مسلم/رياض الصالحين/١٢.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٨٨: ﴿فأخرج لهم عجلاً جَسَداً له خُوارٌ﴾ [أي: يخور كما يخور البقر]، **﴿فقالوا﴾** الضُّلاّلُ منهم الذين افتتنُوا بالعجل وعبدُوه **﴿هذا إلهكُم وإلهُ موسى فنسِيَ﴾** نسيَهُ ههنا وذهبَ يتطلّبه، فعكفُوا عليه وأحبُّوه، قال الله تعالى ردّاً عليهم وتقريعاً لهم وبياناً لفضيحتهم وسخافة عقُولهم: **٨٩: ﴿أفلا يرون أنْ لايرجعُ إليهم قولاً ولايملك لهم ضرّاً ولانفعاً﴾** العجل، لايُجيبهم إذا سألُوه ولايملك لهم ضرّاً [إذا أذلُّوه] ولانفعاً [إذا عبدوه] **٩٠: ﴿ولقد قال لهم هارُونُ مِن قبلُ﴾** إنّما هذا فتنة لكم **﴿ياقوم إنّما فُتنتُم به وإنّ ربّكُمُ الرحمن﴾** الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدّرَهُ تقديراً **﴿فاتّبِعُوني وأطيعُوا أمري﴾** فيما آمركم به واتركوا ماأنهاكم عنه **٩١: ﴿قالُوا لنْ نبرَحَ عليه عاكِفِين حتى يرجعَ إلينا موسى﴾** لانترك عبادَتَهُ حتى نسمع كلامَ موسى فيه، وخالفُوا هَارُونَ في ذلك وحاربُوه **٩٢:** وحين رجع موسى إلى قومه رأى ماقد حدث فيهم من الأمر العظيم **﴿قال ياهارُون مامنعَكَ إذْ رأيتَهم ضَلُّوا﴾ ٩٣: ﴿ألاّ تتبعَنِ أفعَصَيتَ أمري﴾** فتخبرني بهذا الأمر أول ماوقع؛ أفعصيتَ أمري فيما كنتُ قدمتُ إليك، وهو قوله: (اخلفني في قومي وأصلحْ)؟! **٩٤: ﴿قالَ يابنَ أمَّ لاتأخُذْ بلحيتي ولا برأسي﴾** هذا اعتذار من هارون في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيُخبره بما كان؛ **﴿إنّي خشيتُ﴾** أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لي: لِمَ تركتهم وحدهم **﴿أن تقول فرّقتَ بين بني إسرائيل ولم تَرْقُبْ قولي﴾** وماراعيتَ ماأمرتُكَ به حيث استخلفتُك **٩٥: ﴿قال﴾** موسى **﴿فما خطبُكَ ياسامِريّ﴾** ماحملك على ماصنعتَ؟ وماالذي عرضَ لكَ حتى فعلتَ مافعلتَ؟ **٩٦: ﴿قالَ بَصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا به﴾** رأيتُ جبريل حين جاء لهلاك فرعون **﴿فقبضْتُ قبضةً مِن أثر الرسولِ﴾** من أثر فرسه، **﴿فنبذتُها﴾** ألقيتُها على حِلْيَةِ بني إسرائيل [فجعلتُها] عجلاً جسداً له خُوار **﴿وكذلك سَوّلَتْ لي نفسي﴾** حسنته وأعجبها إذْ ذاك **٩٧: ﴿قالَ فاذهبْ فإنّ لك في الحياةِ أن تقولَ لامِسَاسَ﴾** كما أخذتَ ومَسَسْتَ ما لم يكن لك أخذه ومسّه من أثر الرسول، فعقوبتُكَ في الدنيا أن تقولَ لامِسَاسَ؛ أي: تماسّ النّاسَ ولايمسُّونَكَ **﴿وإنّ لك موعداً﴾** يوم القيامة **﴿لن تُخْلَفَهُ﴾** لامحيد لكَ عنهُ، **﴿وانظُرْ إلى إلهكَ﴾** معبودك **﴿الذي ظلْتَ عليه عاكِفاً﴾** أقمتَ على عبادته؛ يعني العجل، **﴿لنحرقنّه ثُمّ لننسفنّه في اليَمِّ نسفاً﴾** [أي: لنطيّرنّه. والذهب لايصيرُ رماداً، وكان ذلك من آياته] **٩٨: ﴿إنّما إلهكُمُ اللهُ الذي لا إلهَ إلاّ هو وسعَ كلَّ شيءٍ علماً﴾** ليس هذا إلهكم إنّما اللهُ الذي لا إلهَ إلاّ هو الذي هو عالم بكلِ شيءٍ، وأحاط بكل شيء علماً.

الآية: ٩٥ روى ابن إسحاق عن حكيم بن جُبير عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: «كان السامري رجلاً من أهل باجر، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل». وروى ابن أبي حاتم عن عليّ رضي الله عنه قال: «إنّ موسى لمّا تعجّل إلى ربِّه، عمد السامري فجمع ماقدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل ثم صوّره عجلاً. قال: فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبراد فبرده بها وهو على شط نهر، فلم يشرب أحدٌ من ذلك الماء ممّن كان يعبد العجل إلاّ أصفرَّ وجهه مثل الذهب».

/ابن كثير ج٣/١٦٤/

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

علامة ارباع الحزب ٣٢

٩٩: ﴿كذلك نقصُّ عليك﴾ يامحمد **﴿من أنباء ماقد سبَقَ﴾** من خبر موسى وماجرى له مع فرعون **﴿وقد آتيناكَ مِنْ لَدُنّا ذِكراً﴾** وهو القرآن العظيم الذي لم يُعط نبيّ من الأنبياء كتاباً مثله ولاأكمل منه ولاأجمع منه، ولهذا قال تعالى: **١٠٠: ﴿مَنْ أعرَضَ عنه﴾** من كذب به وأعرض عن اتباعه وابتغى الهدى من غيره **﴿فإنّه يحملُ يومَ القيامة وِزراً﴾** إثماً. وهذا عامٌّ في كلِّ مَن بلغه القرآن من العرب والعجم وأهل الكتاب وغيرهم **١٠١: ﴿خالدين فيه﴾** لامحيد لهم عنه ولاانفكاك **﴿وساءَ لهم يومَ القيامة حِملاً﴾** بئس الحمل حملهم **١٠٢: ﴿يوم يُنفخُ في الصُّور﴾** وهو قرن عظيم الدائرة، منه السموات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل، **﴿ونحشر المجرمين يومئذٍ زُرْقاً﴾** زُرْق العيون من شدّة ماهم فيه من الأهوال **١٠٣: ﴿يتخافتون بينهم﴾** يقول بعضُهم لبعض **﴿إنْ لبثتم إلّا عشراً﴾** عشرة أيام أو نحوها **١٠٤: ﴿نحن أعلمُ بما يقولُون﴾** في حال تناجيهم بينهم **﴿إذْ يقولُ أمثلُهم طريقةً﴾** العاقل الكامل فيهم **﴿إنْ لبثم إلّا يوماً﴾** هكذا يستقصر الكافرون مُدّة الحياة الدنيا يوم القيامة، وكان غرضهم في ذلك دَرْءُ قيام الحجّة عليهم لقصر المدة، ولهذا قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعةُ يُقسم المجرمُون مالبِثوا غيرَ ساعةٍ﴾؛ إنّما كان لبثكم فيها قليلاً لو كنتم تعلمون، لآثرتم الباقي على الفاني **١٠٥: ﴿ويسألُونَكَ عِن الجبالِ﴾** هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ **﴿فقُلْ ينسِفُها ربّي نسفاً﴾** **١٠٦: ﴿فيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً﴾** بساطاً واحداً، والقاعُ هو المستوي من الأرض، والصفصفُ تأكيدٌ لمعنى ذلك، وهو الذي لانبات فيه **١٠٧: ﴿لاترى فيها عِوَجاً ولاأمْتاً﴾** لاترى في الأرض يومئذ وادياً ولارابية؛ أي: لامكاناً منخفضاً ولامرتفعاً **١٠٨: ﴿يومَئذٍ يتبعُون الداعِيَ لاعِوَجَ له﴾** يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسرعين حيثما أُمِرُوا، **﴿وخشعَتِ الأصواتُ للرحمن﴾** سكنتْ **﴿فلا تسمع إلّا همساً﴾** والهمسُ: الصوتُ الخفي **١٠٩: ﴿يومئذٍ لاتنفع الشفاعةُ إلّا مَن أذنَ له الرحمنُ ورضيَ له قولاً﴾** كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عندَهُ إلّا بإذنِهِ﴾ **١١٠: ﴿يعلمُ مابينَ أيدِيهم وماخلفهم ولايُحيطُون به عِلْماً﴾** يحيطُ علماً بالخلائق ﴿ولايُحيطون بشيءٍ من علمه إلّا بماشاءَ﴾ **١١١: ﴿وعَنَتِ الوُجُوهُ للحيِّ القيّوم﴾** خضعتْ وذلّتْ واستسلمت الخلائق لجبّارها الحيّ الذي لايموت، القيّوم الذي لاينام، **﴿وقد خابَ﴾** يوم القيامة **﴿مَن حمَلَ ظلماً﴾** وفي الحديث: «يقولُ اللهُ عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لايُجاوزني اليومَ ظُلمَ ظالم» **١١٢: ﴿ومن يعملْ مِنَ الصالحاتِ وهو مُؤمنٌ فلا يَخاف ظلماً ولا هضماً﴾** لمّا ذكر الظالمين ووعيدهم ثنّى بالمتقين وحكمهم وهو أنّهم لايُظلمون ولايُهضمون **١١٣: ﴿وكذلك أنزلناه قُرْآناً عربياً﴾** بلسانٍ عربيٍّ مُبين لالبس فيه ولاعيّ **﴿وصرّفنا فيهِ مِن الوعيد لعلّهم يتّقون﴾** لمّا كان يوم المعاد واقعاً لامحالة أنزلنا القرآن بشيراً ونذيراً لعلّهم يتركون المآثم والمحارم، **﴿أو يُحدِثُ لهم ذكراً﴾** وهو إيجادُ الطاعة وفعل القربات.

الآية: ١٠٩ في حديث الشفاعة في الصحيحين: «آتي تحت العرش وأخرُّ ساجداً، ويُفتح عليّ بمحامد لاأحصيها الآن، فيدعني ماشاء الله أن يدعني، ثم يقول: مامحمد ارفع رأسك وقُلْ يُسمع لك، واشفعْ تُشفّعْ» الحديث بطوله. /ابن كثير ج٣/١٦٦/

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

١١٤: ﴿فتعالى اللهُ الملكُ الحقُّ﴾ تنزّه وتقدّس الملكُ الحقُّ الذي هو حقٌّ ووعدُهُ حقٌّ ووعيدُهُ حقٌّ، وكلُّ شيءٍ منه حقٌّ **﴿ولاتعجلْ بالقرآنِ مِن قبلِ أن يُقضَى إليكَ وحيُهُ﴾** ثبتَ في الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُعالِج مِن الوحي شدّةً، فكان مِمّا يُحرِّكُ بِهِ لسانَهُ، فأنزل الله هذه الآية. **﴿وقُلْ ربِّ زِدْني علماً﴾** زدني منك علماً، فلم يزل عليه الصلاة والسلام في زيادة حتى توفاه الله عزّ وجلّ. وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اللهمّ انفعني بما علّمتني وعلّمني ماينفعُني وزدني علماً» **١١٥: ﴿ولقد عَهِدْنا إلى آدمَ مِن قبلُ﴾** [وهو ألّا يأكلَ من الشجرة] **﴿فنسيَ ولم نجدْ له عزماً﴾** [أي: لم نجدْ له صبراً على مواظبة التزام الأمر **١١٦: ﴿وإذْ قلنا للملائكةِ اسجُدوا لآدمَ فسجدُوا﴾** يذكر تعالى تشريف آدمَ وتكريمه ومافضّلَهُ به على كثيرٍ مِمّن خلق تفضيلاً، **﴿إلّا إبليسَ أبَى﴾** امتنع واستكبر **١١٧: ﴿فقلنا ياآدَمُ إنّ هذا عدوٌّ لكَ ولزوجِكَ﴾** يعني حوّاء عليهما السلام، **﴿فلا يُخرِجنّكَما من الجنّةِ فتشقى﴾** إيّاكما أن يسعى في إخراجكما منها، فتتعب وتشقى في طلب رزقك **١١٨: ﴿إنّ لكَ ألاّ تجوع فيها ولا تعرَى﴾** إنّما قرَنَ بين الجوع والعرى لأنّ الجوع ذلُّ الباطن والعري ذلّ الظاهر **١١٩: ﴿وأنّكَ لاتظمأُ فيها ولاتضحَى﴾** وهذان أيضاً متقابلان؛ فالظمأ حرّ الباطن والضحى حرّ الظاهر **١٢٠: ﴿فوسوس إليه الشيطانُ قال ياآدمُ هلْ أدُلّكَ على شجرةِ الخُلدِ ومُلْكٍ لايبلَى﴾**، فدلّاهما بغرور **١٢١: ﴿فأكلا منها فبدَتْ لهما سَوْءاتُهما﴾** عورتُهما **﴿وطَفِقَا يخصِفَانِ عليهما مِن وَرَقِ الجنّة﴾** أقبلا ينزعان ورق التين فيجعلانه على سوآتِهما، **﴿وعَصَى آدمُ ربَّه فغوَى﴾** [أي: فسَدَ عليه عيشُهُ] **١٢٢: ﴿ثم اجتباهُ ربُّهُ فتابَ عليه وهدَى﴾** [أي: اصطفاهُ وقرّبَهُ. وكانت المعصيةُ من آدم قبل النبوّة بدليل مافي هذهِ الآية] **١٢٣: ﴿قالَ اهبطَا منها جميعاً﴾** لآدم وحوّاء وإبليس **﴿بعْضكم لبعضٍ عدوٌّ فإمّا يأتينّكم منّي هدىً﴾** الأنبياء والرسل والبيان **﴿فمَنْ اتّبعَ هُدَايَ فلا يَضِلُّ ولايشقَى﴾** لايضلُّ في الدنيا ولايشقى في الآخرة **١٢٤: ﴿ومَن أعرضَ عن ذكري﴾** خالف أمري، وأعرض عمّا أنزلتُه على رسولي وتناساه وأخذ من غيره هُدَاه **﴿فإنّ له معيشةً ضنكاً﴾** في الدنيا فلا طمأنينةَ له ولاانشراح لصدره، وفي القبر، **﴿ونحشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمَى﴾** أعمى البصر والبصيرة كما قال تعالى: ﴿ونحشرُهم يومَ القيامة على وُجُوهِهِم عُمياً وبُكماً وصُمّاً﴾ **١٢٥: ﴿قال ربِّ لِمَ حشرتَني أعمَى وقد كنتُ بصيراً﴾** في الدنيا؟ [وكأنّه يظنُّ أنّه لاذنبَ له]؟!

الآية: ١٢٠ جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد، فروى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي الضحى قال: سمعت أبا هريرة يُحدّث عن النبي ﷺ قال: «إنّ في الجنّة شجرةً يسير الراكب في ظلّها مائة عام مايقطعها، وهي شجرة الخُلْد». ورواه الإمام أحمد. /ابن كثير ج٣/١٦٧ – ١٦٨/

الآية: ١٢٤ المعيشة الضنكا عذاب القبر، روى أبو زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ﴿فإنّ له معيشة ضنكاً﴾ قال: «عذاب القبر»، وإسناده جيّد /ابن كثير ج٣/١٦٩/

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٢٦: ﴿قال كذلكَ أَتَتْكَ آياتُنا فنسيتَها وكذلكَ اليومَ تُنْسَى﴾ لمّا أعرضتَ عن آيات الله وعاملتها معاملةَ مَنْ لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضتَ عنها وأغفلتها كذلك اليوم نُعاملك معاملة مَن نَسِيَكَ؛ فإنّ الجزاء من جنس العمل **١٢٧: ﴿وكذلك نجزي مَن أسرفَ ولم يُؤمِنْ بآياتِ ربِّهِ﴾** وهكذا نُجازي المسرفين المكذبين بآياتِ اللهِ في الدنيا والآخرة **﴿ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى﴾**، [أي: أفظع من المعيشة الضّنك] **١٢٨: ﴿أفلم يَهْدِ لهم كم أهلكنا قبلَهم مِن القرون﴾** من الأمم المكذبين بالرسل **﴿يمشون في مساكنِهم﴾** فليس لهم باقية كما يشاهدون ذلك من ديارهم التي خلّفوهم فيها يمشون فيها **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهَى﴾** العقول الصحيحة والألباب المستقيمة **١٢٩: ﴿ولولا كلمةٌ سبقت مِن ربِّكَ لكان لِزَاماً وأجلٌ مسمّى﴾** لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنّه لايُعذِّبُ أحداً إلّا بعد قيام الحجّة عليه والأجل الذي ضربه الله تعالى إلى مدّة معيّنة لجاءهم العذابُ بغتةً، ولهذا قال تعالى لنبيّه مسلّياً له: **١٣٠: ﴿فاصبرْ على مايقولُون﴾** من تكذيبهم لك، **﴿وسبِّحْ بحمدِ ربِّكَ قبلَ طُلوعِ الشمسِ﴾** يعني: صلاة الفجر **﴿وقبلَ غُرُوبِها﴾** يعني: صلاة العصر، **﴿ومِن آناءِ الليلِ فسبِّحْ﴾** من ساعاته فتهجدْ به **﴿وأطرافَ النّهارِ﴾** في مقابلة آناء الليل **﴿لعلّكَ ترضى﴾** [أي: تُثابُ على هذه الأعمال بما ترضى به] **١٣١: ﴿ولاتمُدَّنَّ عينيكَ إلى مامتّعنا بهِ أزواجاً منهم زهرةَ الحياةِ الدنيا﴾** لاتنظرْ إلى ماهؤلاء المترفين ونظرائهم فيه من النعيم فإنّما هو زهرة زائلةٌ ونعمة حائلة؛ **﴿لنفتِنَهُم فيهِ﴾** لنختبرهم بذلك **﴿ورِزْقُ ربِّكَ خيرٌ وأبقَى﴾** [أي: ثواب الله على الصبر وقلّةُ المبالاة بالدنيا أولى؛ لأنّه يبقى والدنيا تفنى] **١٣٢: ﴿وأْمُرْ أهلَكَ بالصلاةِ واصطبِرْ عليها﴾** استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبرْ أنتَ على فعلها، **﴿لانسألُكَ رِزقاً نحنُ نَرْزُقُكَ﴾** يعني: إذا أقمتَ الصلاةَ أتاكَ الرزقُ من حيثُ لاتحتسب، **﴿والعاقبةُ للتقوى﴾** وحُسْنُ العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنّة لمن اتّقى الله **١٣٣: ﴿وقالُوا لولا يأتِينَا بآيةٍ مِن ربِّهِ﴾** يُخبر تعالى عن قول الكفار لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: هلّا يأتينا بعلامة دالّة على صدقه في أنّه رسول الله؟ قال الله تعالى: **﴿أوَلَمْ تأتِهِم بيّنةُ مافي الصُّحُفِ الأُولى﴾** يعني: القرآن الذي أنزله عليه، فيه أخبار الأوّلين **١٣٤: ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذابٍ مِن قبلِه لَقَالُوا ربَّنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً﴾** لو أنّا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسولَ الكريم لكانوا قالوا: **﴿ربَّنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً﴾** قبل أنْ تُهلكنا حتى نُومن به؟ **﴿فنتبعَ آياتكَ مِن قبلِ أنْ نَذِلَّ ونخزى﴾**؟ ثم قال تعالى: **١٣٥: ﴿قُلْ﴾** يامحمد لمن كذّبكَ وخالفك: **﴿كلٌّ متربِّصٌ﴾** منّا ومنكم **﴿فتربّصُوا﴾** فانتظِرُوا **﴿فستعلمُونَ مَن أصحابُ الصراطِ السويّ﴾** الطريق المستقيم **﴿ومَن اهتدَى﴾** إلى الحقّ والرشاد.

الآية: ١٣٢ روى ابن ماجه بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت نبيّكم ﷺ يقول: «مَنْ جعل الهموم همّاً واحداً، همّ المعاد كفاه الله همَّ دنياه، ومَنْ تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أيّ أوديته هَلَكَ». وفي الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «رأيت اللّيلة كأنّا في دار عقبة بن رافع، وأنّا أُتينا برُطَبٍ من رُطَبِ ابن طاب؛ فأوّلتُ ذلك أنّ العاقبة لنا في الدنيا والرفعة، وأنّ ديننا قد طَابَ»!!. /ابن كثير ج٣/١٧١/

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ترتيبها ٢١ آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

تفسير سورة الأنبياء

١: ﴿اقتربَ للنّاسِ حِسَابُهم وهم في غفلةٍ معرِضُون﴾ هذا تنبيهٌ مِن الله تعالى على اقتراب الساعة وأنّ الناسَ في غفلةٍ عنها لايعملون لها ولايستعِدُّون مِن أجلِها **٢: ﴿مايأتيهم مِن ذكرٍ مِن ربِّهم مُحْدَثٍ﴾** جديد إنزاله **﴿إلّا استمعُوهُ وهم يلعبُون﴾** [أي: وهم لاهُون بالقدح فيه والاعتراض عليه] **٣: ﴿لاهِيَةً قلوبهم﴾** [أي: معرضة عن ذكر الله]، **﴿وأسَرُّوا النّجوَى الذين ظلمُوا﴾** قائلين فيما بينهم خفيةً **﴿هلْ هذا إلّا بشرٌ مثلُكم﴾** يعنُون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يستبعدُون كونه نبيّاً لأنّه بشر مثلهم فكيف اختصّ بالوحي دُونهم، **﴿أفتأتُون السحرَ وأنتم تبصرون﴾**؟ أفتتبعُونه فتكُونوا كمن يأتي السحر؟ فقال تعالى مجيباً لهم عمّا افتروهُ من الكذب: **٤: ﴿قالَ ربّي يعلمُ القولَ في السماءِ والأرضِ﴾** هو الذي أنزل هذا القرآن **﴿وهو السميعُ العليم﴾** الذي لاتخفَى عليه خافية؛ السميعُ لأقوالكم العليم بأحوالكم، وفي هذا تهديدٌ لهم ووعيدٌ **٥: ﴿بلْ قالُوا أضغاثُ أحلامٍ بلِ افتراه﴾** هذا إخبارٌ عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وضلالهم عنه، فتارة يجعلونه سحراً وتارة يجعلونه شعراً، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مفترى، **﴿بل هو شاعرٌ فليأتِنا بآيةٍ كما أُرسِلَ الأوّلون﴾** يعنون كناقة صالح وآيات موسى وعيسى **٦: ﴿ماآمنتْ قبلَهم مِن قريةٍ أهلكناها أفهم يؤْمنُون﴾**؟ ماآتينا قريةً مِن القرَى التي بعث فيها الرسل آية على يدي نبيّها فآمنوا بها بل كذّبوا فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يُؤمنون بالآيات لو رأوها دُون أولئك؟ كلا، بل ﴿لايُؤمنون ولو جاءتهم كلُّ آيةٍ حتى يَرَوُا العذابَ الأليم﴾ **٧: ﴿وماأرسلنا قبلَكَ إلّا رِجالاً نُوحِي إليهم﴾** جميع الرسل الذين تقدّمُوا كانُوا رجالاً من البشر لم يكن فيهم أحدٌ مِن الملائكة، **﴿فاسألُوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لاتعلمون﴾** اسألوا أهلَ العلم من الأمم كاليهود والنصارى هل كان الرسل الذين أتوهم ملائكةً؟ أم كانوا بشراً؟ **٨: ﴿وماجعلناهم جسَداً لايأكلُون الطعامَ﴾** بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام، كما قال تعالى: ﴿وماأرسلنا قبلكَ مِن المرسلين إلّا إنّهم ليَأكلُون الطعامَ ويمشون في الأسواق﴾ للتكسب والتجارة، وليس ذلك بضارٍّ لهم ولاناقص منهم شيئاً، **﴿وماكانوا خالِدين﴾** في الدنيا، أي: كانوا يعيشون ثم يموتُون **٩: ﴿ثم صدقناهم الوعدَ فأنجيناهم﴾** صدقهم الله وعدَهُ الذي وعدهم ليُهلكنَّ الظالِمين، **﴿فأنجيناهم ومَن نشاءُ﴾** من أتباعهم من المؤمنين **﴿وأهلكنا المسرفين﴾** المكذِّبين بما جاءت به الرسل **١٠: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكرُكم﴾** فيه شرفكم وحديثكم ودينكم **﴿أفلا تعقِلُون﴾** هذه النعمة وتتلقونها بالقبول، كما قال تعالى: ﴿وإنّه لذكرٌ لك ولقومِك وسوف تُسألُون﴾.

وروى أيضاً عن ابن ماجه عن زيد بن ثابت قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كانت الدنيا همَّهُ فرّقَ اللهُ عليه أمرَهُ وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِهِ من الدنيا إلّا ماكُتِبَ له، ومَن كانت الآخرة نيّتَهُ جمعَ الله له أمرَهُ، وجعل غِنَاهُ في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ».

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

١١: ﴿وكم قصمنا مِن قريةٍ كانت ظالمةً﴾؟ هذه صيغة تكثير كما قال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من القرون مِن بعدِ نوح﴾؟ **﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾** أمّةً أخرى بعدهم **١٢: ﴿فلمّا أحسُّوا بأسنا﴾** تيقنوا أنّ العذابَ واقعٌ بهم لامحالة كما وعدهم نبيُّهم **﴿إذا هم منها يركضُون﴾** يفرُّون هاربين **١٣: ﴿لاتركضُوا وارجعُوا إلى ماأُترفتُم فيه ومساكنكم﴾** هذا تهكُّم بهم ارجعوا إلى ماكنتم فيه من النعمة **﴿لعّلكم تُسألون﴾** عمّا كنتم فيه من أداء شكر النعم **١٤: ﴿قالوا ياويلنا إنّا كنّا ظالمين﴾** اعترفُوا بذنوبهم حين لاينفعهم ذلك **١٥: ﴿فما زالتْ تلكَ دعواهم﴾** تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم **﴿حتى جعلناهم حَصيداً خامِدِين﴾** حتى حصدناهم حصداً وخمدت حركاتهم وأصواتهم خُمُوداً **١٦: ﴿وماخلقنا السماءَ والأرضَ ومابينهما لاعبين﴾** خلق سبحانه السموات والأرض بالحق والعدل ليجزي الذي أساؤوا بما عمِلُوا ويجزي الذين أحسنوا بالحُسْنَى **١٧: ﴿لو أرَدْنَا أن نتخذَ لهواً لاتخذناهُ مِن لَدُنّا﴾** يعني: من عندنا، أي: ماخلقنا جنّةً ولاناراً ولاموتاً ولابعثاً ولاحِساباً، **﴿إنْ كُنّا فاعِلين﴾** ماكنا فاعلين. قال مجاهد: كل شيءٍ في القرآن «إنْ» فهو إنكار **١٨: ﴿بل نقذف بالحقِّ على الباطل﴾** نبيِّنُ الحقَّ فيُدحض الباطل، ولهذا قال: **﴿فيدمغُهُ فإذا هو زاهِقٌ﴾** ذاهب مُضمحلٌّ **﴿ولكُمُ الويلُ مما تصفون﴾** [أي: العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الربَّ بما لايجوز وصفهُ] **١٩: ﴿ولهُ مَن في السمواتِ والأرض ومَن عندَه﴾** يعني الملائكة **﴿لايستكبرون عن عبادته﴾** كما قال تعالى: ﴿لن يستنكفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبُون، ومَن يستنكفْ عن عبادتِهِ ويتكبر فسيُحشرهم إليه جميعاً﴾، **﴿ولايستحسِرُون﴾** لايتعبون **٢٠: ﴿يُسَبِّحُون الليلَ والنهارَ لايفترُون﴾** فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً؛ إنّهم جُعِلَ لهم التسبيح كما جُعِلَ لنا النَّفس **٢١:** يُنكر تعالى على مَن اتخذ من دُونه آلهة فقال: **﴿أمِ اتخذوا آلهةً مِن الأرض هم يُنشِرُون﴾** أهم يُحيِيون الموتى ويُنشرونهم مِنَ الأرض؟ أي: لايقدِرُون على شيءٍ من ذلك فكيف جعلوها لله نِدّاً وعبدوها معه؟! **٢٢: ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله﴾** في السموات والأرض **﴿لَفَسَدَتا﴾** كما قال تعالى: ﴿مااتخذَ اللهُ مِن ولدٍ وماكان معه من إلهٍ إذاً لذهبَ كلُّ إله بما خلقَ ولعلاَ بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصِفُون﴾، **﴿فسبحان اللهِ رب العرش عمّا يَصِفُون﴾** عما يقولون إنّ له ولداً أو شريكاً **٢٣: ﴿لايُسأل عمّا يفعلُ وهم يُسألُون﴾** لامُعقّبَ لحكمِهِ ولايعترض عليه أحدٌ لعظمته **﴿وهم يسألون﴾** عمّا يعملون **٢٤: ﴿أمِ اتخذوا مِن دُونهِ آلِهَةً قُلْ﴾** يامحمد **﴿هاتوا بُرْهانَكم﴾** دليلكم على ماتقولُون، **﴿هذا ذكرُ مَن مَعِيَ﴾** يعني القرآن **﴿وذكرُ مَن قبلِي﴾** يعني الكتب المتقدّمة على خلاف ماتقولونه وتزعمُونه، فكل كتاب أنزل ناطق بأنّه لا اله إلّا الله، **﴿بل أكثرُهم لايعلمون الحقَّ فهم مُعْرِضُون﴾** .

الآية: **٢٠** كان من تسبيح رسول الله ﷺ كما رواه مسلم في صحيحه: «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سبحانَ اللهِ رضا نفسِهِ، سبحانَ اللهِ زِنَةَ عرشِهِ، سبحان الله مِدَادَ كلماتِهِ». /الترغيب ج٢/٤٣٨/

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

الحزب ٣٣

٢٥: ﴿وماأرسلنا مِن قبلِكَ مِن رسول إلّا نُوحِي إليهِ أنّه لاإلهَ إلّا أنا فاعبُدُون﴾ فكلُّ نبيٍّ بعثه الله يدعُو إلى عبادة الله وحدَهُ لاشريك له، والفطرةُ شاهِدَةٌ بذلك، والمشركون لابُرْهان لهم وحجّتُهم داحِضة **٢٦: ﴿وقالوا اتخذَ الرحمٰنُ وَلَداً سبحانَهُ بلْ عبادٌ مكرمُون﴾** هذا رَدٌّ على زعم العرب أنّ الملائكة بنات الله، بل هم عباد الله، مُكرَمُون عنده في المنازل، وهم له في غاية الطاعة قولاً وعملاً **٢٧: ﴿لايسبقُونه بالقولِ وهم بأمره يعمـلون﴾** لايتقدّمون بين يديه بأمر، ولايُخالِفُونه فيما أمرهم به، بل يُبادرون إلى فعله **٢٨: ﴿يعلمُ مابين أيدِيهم وماخلفهم﴾** [أي: يعلم ماعمِلُوا وماهم عامِلُون]، **﴿ولايشفعُون إلّا لمن ارتضَى﴾** [وهم أهل لاإله إلّا الله]، **﴿وهم مِن خشيتِهِ مُشفِقُون﴾** مِن خوفه ورهبته مُشفِقُون **٢٩: ﴿ومَن يقُلْ منهم إنّي إلهٌ مِن دُونِهِ﴾** مَنِ ادّعى منهم أنّه إلهٌ مِن دون الله، أي مع الله **﴿فذلكَ نجزيهِ جهنّم كذلكَ نجزي الظالمين﴾ ٣٠: ﴿أوَلَمْ يَرَ الذين كفروا أنّ السمواتِ والأرضَ كانتا رَتْقاً ففتقناهُما[1]﴾** يُنبّه تعالى على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات؛ أي: ألم يعلم الجاحدُون أنّ الله هو المستقل بالخلق **﴿وجعلنا مِن الماءِ كلَّ شيءٍ حيّ﴾** وهم يُشاهدون المخلوقات أنّها بحاجة إلى أصل كلِّ الأحياء **﴿أفلا يُؤمنون﴾**؟ **٣١: ﴿وجعلنا في الأرض رواسيَ أنْ تميدَ بهم﴾** جبالاً أرسَى الأرضَ بها وثقلها لئلاّ تميدَ بالنّاس، أي: تضطرب وتتحرك، **﴿وجعلنا فيها فِجَاجاً سُبُلاً﴾** ثغراً في الجبال يسلكون فيها طرقاً من قطرٍ إلى قطر **﴿لعلّهم يهتدون﴾** [إلى السير في الأرض] **٣٢: ﴿وجعلنا السماءَ سقفاً محفوظاً﴾** على الأرض وهي كالقبّة عليها، **﴿محفُوظاً﴾** عالياً محروساً أن يُنال، **﴿وهم عن آياتِها مُعْرِضُون﴾** لايتفكرون فيما خلق الله فيها **٣٣: ﴿وهو الذي خلقَ الليلَ والنّهارَ﴾** هذا في ظلامه وسكونه، وهذا بضيائه وأُنسه، **﴿والشمسَ والقمرَ﴾** هذه لها نورٌ يخصُّها وفلَكٌ بذاته وحركة وسير خاص، وهذا بنورٍ وفُلُكٍ آخر وسير آخر، **﴿كلٌّ في فَلَكٍ يسبحُون﴾** يَدُورون **٣٤: ﴿وماجعلنا لبشرٍ مِن قبلِكَ﴾** يامحمد **﴿الخُلْدَ﴾** في الدنيا بل **﴿كلُّ مَن عليها فانٍ ويبقَى وَجْهُ ربِّكَ ذُو الجلال والإكرام﴾**، **﴿أفإنْ مِتَّ فهم الخالِدُون﴾** يؤملون أن يعيشوا بعدك؟ لايكون هذا بل كلٌّ إلى الفناء، ولهذا قال تعالى: **٣٥: ﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ونبلُوكُم بالشرِّ والخيرِ فتنة﴾** نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى؛ فننظر من يشكر ومَن يكفر ومَن يصبر ومَن يقنط **﴿وإلينا تُرجَعُون﴾** فنجازيكم بأعمالكم.

(١) رَتْقاً: أي مُلتصقتين، لايخرج منهما شيء. وقال مجاهد والسُّدّي: كانت السموات مؤتلفة طبقةً واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرضين كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبعاً.

الآية: ٣٠ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قلتُ يارسول اللهِ إنّي إذا رأيتُكَ طابتْ نفسي، وقرّتْ عيني، فأنبئني عن كلِّ شيء، قال: «كلُّ شيء خُلِقَ مِنْ مَاءٍ»، قال: قلتُ أنبئني عن أمرٍ إذا عملتُ به دخلتُ الجنّة؟ قال: «أفشِ السلام، وأطعمِ الطعام، وصِلِ الأرحام، وقُمْ بالليل والنّاس نيام، ثم ادخل الجنّةَ بسلام». /ابن كثير ج٣/١٧٧/

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ
هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦: ﴿**وإذا رآكَ الذين كفروا**﴾ يعني كفار قريش ﴿**إنْ يتخِذُونك إلّا هُزُواً**﴾ يستهزئون بك وينتقصُونَكَ يقولُون: ﴿**أهذا الذي يذكر آلهتكم**﴾ يسبُّ آلهتَكم ويُسفِّهُ أحلامَكم، قال تعالى: ﴿**وهم بذكرِ الرحمنِ هم كافِرون**﴾ وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزؤون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **٣٧**: ﴿**خُلِقَ الإنسانُ مِن عجلٍ**﴾ أي: آدم، خلق الله آدمَ بعدَ كلِّ شيء من آخر النهار من يوم خلق الخلائق، [فرُكِّبِ على العجلة فخُلِقَ عجولاً]، قال تعالى: ﴿وكان الإنسانُ عَجُولاً﴾، ﴿**سأوريكم آياتي فلاتستعجِلُون**﴾ نِقمِي وحُكمي واقتداري على مَن عصاني فلا تستعجلُون **٣٨**: ﴿**ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادِقِين**﴾ يستعجلون بوقوع العذاب بهم تكذيباً وجحوداً وكفراً وعناداً **٣٩**: ﴿**لو يعلمُ الذين كفرُوا حين لايَكُفُّون عن وجوهِهِمُ النّارَ ولاعن ظهورِهم**﴾ لو تيقّنُوا أنّها واقعةٌ بهم لامحالة، لَما استعجلُوا به، ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، كما قال تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظُلَلٌ مِنَ النّار ومِن تحتِهم ظُلَلٌ﴾، ﴿لهم مِن جهنّم مِهَادٌ ومِن فوقِهم غَواش﴾، ﴿سرابيلُهم مِن قَطِرَانٍ وتغشى وجُوهَهُمُ النّارُ﴾، فالعذابُ محيطٌ بهم مِن جميع جهاتهم ﴿**ولاهم يُنصرون**﴾ لاناصرَ لهم **٤٠**: ﴿**بلْ تأتيهم بغتةً**﴾ فجأةً ﴿**فتبهتُم**﴾ وتُذعِرُهم، فيستسلمون لها حائرين لايدرون مايصنعون ﴿**فلايستطيعون رَدَّها**﴾ ليسَ لهم حيلة في ذلك ﴿**ولاهم يُنظرون**﴾ ولايُؤخر عنهم ساعة واحدة **٤١**: ﴿**ولقد استُهزِىءَ برُسُلٍ مِن قبلِكَ فحاقَ بالذين سَخِرُوا منهم ماكانُوا به يستهزِئُون**﴾ من العذاب الذي كانوا يستبعِدُون وقوعَهُ **٤٢**: ﴿**قُلْ مَن يكلؤكُمْ بالليلِ والنهار مِن الرحمن**﴾ أي بدل الرحمن؟ ﴿**بلْ هم عن ذكرِ ربِّهم معرِضُون**﴾ لايعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، بلْ يُعرِضُون عن آياته وآلائه **٤٣**: ﴿**أم لهم آلهةٌ تمنعُهم مِن دُونِنَا**﴾؟ استفهام إنكاري وتقريعٌ وتوبيخٌ، أي: ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا؟ ليسَ الأمر كما توهمُوا ولا كما زعمُوا، ولهذا قال تعالى: ﴿**لايستطيعُون نصرَ أنفسهم**﴾ هذه الآلهة لايستطيعون نصرَ أنفسهم، ﴿**ولاهم منّا يُصْحَبُون**﴾ يُجارون **٤٤**: ﴿**بلْ متّعنا هؤلاءِ وآباءَهم حتى طالَ عليهمُ العُمُرُ**﴾ إنّهم مُتِّعُوا في الحياة الدنيا ونَعِمُوا وطال عليهم العُمُرُ فيما هم فيه، فاعتقدوا أنّهم على شيءٍ، ثم قال تعالى واعِظاً لهم ﴿**أفلا يرون أنّا نأتِي الأرضَ ننقصُها مِن أطرافِها**﴾ يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر، والمعنى: أفلايعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المكذّبة وإنجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال تعالى: ﴿**أفهم الغالِبُون**﴾؟ يعني: هم المغلُوبُون الأخسرون الأرذلُون.

الآية: ٣٧ الحكمة في ذكر عجلة الأنسان هاهنا: أنّه لَمّا ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم، واستعجلت ذلك، فقال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ﴾ لأنّه تعالى يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يُؤَجِّلُ ثم يُعجّل، ويُنْظِرُ ثم لايُؤخّر، ولهذا قال: ﴿سأريكم آياتي﴾ أي نقمتي وحكمي واقتداري على مَنْ عَصَاني. /ابن كثير ج٣/١٧٩/

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

٤٥: ﴿قُلْ إنّما أنذِرُكم بالوحي﴾ إنّما أنا مبلّغ عن الله ماأنذرتكم به من العذاب والنكال ليس ذلك إلّا عمّا أوحاه الله إليّ، **﴿ولايسمعُ الصُّمُّ الدعاءَ إذا مايُنذَرُون﴾** ولكن لايجدي هذا عمّن أعمَى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه **٤٦: ﴿ولئن مسّتْهُم نفحةٌ من عذاب ربِّكَ ليقُولُنّ ياويلنا إنّا كنّا ظالمين﴾** ولئن مسَّ هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله، ليعترفوا بذنوبهم وأنّهم كانوا ظالمين أنفسَهم في الدنيا **٤٧: ﴿ونضعُ الموازِينَ القِسْطَ ليوم القيامة فلاتُظلم نفس شيئاً﴾** ونضع الموازين العدلَ ليوم القيامة، وهو ميزان واحد، وإنّما جمع باعتبار تعدّد الأعمال الموزونة فيه، **﴿وإن كان مِثقالَ حبّةٍ مِن خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾** كقوله تعالى: ﴿إنّ اللهَ لايظلمُ مِثقالَ ذَرّةٍ وإن تَكُ حَسَنةً يُضاعفها ويُؤتِ مِن لَدُنْهُ أجراً عظيماً﴾ **٤٨: ﴿ولقد آتينا موسى وهارُون الفُرقانَ﴾** يعني الكتاب وهو التوراة الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، **﴿وضياءً وذكراً للمتقين﴾** نوراً في القلوب، وتذكيراً لهم وموعظة، ثم وصفهم فقال سبحانه **٤٩: ﴿الذين يخشون ربَّهم بالغيبِ وهم مِن الساعة مُشفِقُون﴾** خائفون وجِلون **٥٠: ﴿وهذا ذكرٌ مبارَكٌ﴾** يعني القرآن العظيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامِن خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، **﴿أفأنتُم لهُ مُنكِرُون﴾** أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟! **٥١: ﴿ولقد آتينا إبراهيمَ رُشدَهُ مِن قبل وكنّا بهِ عالِمين﴾** يُخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنّه آتاه رشدَهُ من صغره، وأنّه خرج فنظر إلى الكواكب والمخلوقات فتبصّر فيها، فألهمه اللهُ الحقَّ والحجّةَ على قومه **٥٢: ﴿إذ قال لأبيهِ وقومِهِ ماهذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكِفُون﴾** معتكِفُون على عبادتها **٥٣: ﴿قالوا وجدنا آباءَنا لها عابدين﴾** لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلّال ولهذا قال: **٥٤: ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مبين﴾** فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم؛ فلمّا سَفَّهَ أحلامهم وضلّلَ آباءَهم واحتقرَ آلهتهم **٥٥: ﴿قالُوا أجئتنا بالحقِّ أمْ أنتَ مِن اللاّعبين﴾**؟ يقولون: هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعباً أو محقاً فيه، فإنّا لم نسمع به قبلكَ **٥٦: ﴿قالَ بلْ ربُّكم ربُّ السمواتِ والأرضِ الذي فطرهنّ﴾** ربُّكم الذي لاإله إلا هو الذي خلق السمواتِ والأرضَ وماحَوت من المخلوقات، **﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾** وأنا أشهد أنّه لا إله غيره ولاربَّ سواه **٥٧: ﴿وتاللهِ لأكيدنّ أصنامكم﴾** أقسمَ الخليلُ قسماً أسمعَ بعضَ قومه ليحرصنّ على أذى أصنامهم وتكسيرها، **﴿بعد أن تولُّوا مُدبِرين﴾**.

الآية: ٤٧ روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كل سجل مدَّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظَلَمَتْكَ كتبتي الحافظون؟ قال: لايارب، قال: أفَلَكَ عذرٌ أو حسنةٌ؟ قال: فبُهتَ الرجل، فيقول: لايارب، فيقول: بلى إنّ لك عندنا حسنة واحدة، لاظلم عليك اليوم، فتُخرَجُ له بطاقة فيها «أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله»!! فيقول: أحضروه، فيقول: يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلاّت؟ فيقول: إنّك لاتُظلم، قال: فتوضع السجلاّت في كفّة والبطاقة في كفّة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة!! قال: ولايثقل شيء مع بسم الله الرحمٰن الرحيم»! ورواه الترمذي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح. /ابن كثير ج٣/١٨٠/

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

٥٨: ﴿فجعلَهُم جُذَاذاً إلّا كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجِعُون﴾ فجعلهم حُطاماً، كسّرها كلَّها إلّا كبير الأصنام، وضع القدُّوم في يدِهِ لعلّهم يعتقدِون أنّه هو الذي غارَ على نفسه وأنِفَ أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار **٥٩: ﴿قالوا مَن فعلَ هذا بآلهتِنا إنّه لَمِنَ الظالمين﴾** حين رأوا الإهانة بأصنامهم **٦٠: ﴿قالوا سمعنا﴾** قال مَن سمعه يحلف أنّه ليكيدنهم **﴿سمعنا فتىً يذكرهم﴾** [أي: يعيبُهم ويسبُّهم] **﴿يُقال له إبراهيم﴾ ٦١: ﴿قالوا فأتوا به على أعينِ النّاس﴾** على رؤوس الأشهاد في الملأ من النّاس **﴿لعلّهم يشهدون﴾** وهذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يُبيّن في هذا المحفل العظيم كثرةَ جهلهم وقلّة عقلهم في عبادة هذه الأصنام **٦٢: ﴿قالوا أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتِنا ياإبراهيم﴾**؟ **٦٣: ﴿قال بلْ فعلَهُ كبيرُهم هذا﴾** يعني الذي تركه ولم يُكسر **﴿فاسألوهم إن كانوا ينطِقُون﴾** وإنّما أراد بهذا أن يُبادِرُوا من تلقاء أنفسهم فيعترِفُوا أنّهم لاينطِقُون، وأنّ هذا لايصدر عن هذا الصنم لأنّه جماد **٦٤: ﴿فرجعُوا إلى أنفسِهِم فقالوا إنّكم أنتُمُ الظالِمُون﴾** لامُوا أنفسَهم في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم **٦٥: ﴿ثُم نكِسُوا على رُؤوسهم﴾** ثم أطرقوا في الأرض فقالوا: **﴿لقد علمتَ ماهؤلاء ينطِقُون﴾** فكيف تقول لنا: سلُوهم إن كانوا ينطِقُون وأنتَ تعلَمُ أنّها لاتنطق؟ فعندَها: **٦٦: ﴿قال﴾** لهم إبراهيم لمّا اعترفوا بذلك: **﴿أفتعبُدُونَ من دُونِ اللهِ مالا ينفعُكم شيئاً ولايضرُّكم﴾** إذا كانت لاتنطق وهي لاتنفع ولاتضرّ فلِمَ تعبُدُونها مِن دُون الله؟! **٦٧: ﴿أُفٌّ لكم ولما تعبُدُون مِن دُونِ اللهِ أفلاتعقِلُون﴾**؟! أفلاتتدبّرُون ماأنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذي لايروج إلا على جاهل ظالم فاجر، فأقام عليهم الحُجّةَ وفي هذا قال تعالى: **﴿وتِلْكَ حُجّتُنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ ٦٨:** ولما دُحِضَتْ حجتُهم وظهر باطلهم عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم، **﴿قالوا حرِّقُوهُ وانصُرُوا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾**، فجمعُوا حطباً كثيراً جداً، وأضرَمُوها ناراً ثم قذفوه فيها بالمنجنيق **٦٩: ﴿قُلْنا يانارُ كُونِي بَرْداً وسلاماً على إبراهيم﴾** فلم تحرق سوى وثاقه، ولم تبقَ نارٌ في الأرض إلّا طُفِئتْ **٧٠: ﴿وأرادُوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾** المغلوبين الأسفلين، فكادَهُمُ اللهُ ونجّاه من النار، فغُلِبُوا هنالك **٧١: ﴿ونجّيناهُ ولُوطاً إلى الأرضِ التي باركنا فيها للعالَمِين﴾** إلى بلاد الشام [وكانا في العراق، وكان إبراهيمُ عمَّ لوط. وبركة الشام لكثرة خصبها وأنهارها وثمارها. والبركةُ: ثبوت الخير] **٧٢: ﴿ووهبنا لهُ إسحاقَ ويعقوب نافلةً﴾** النافِلةُ: ولد الولد، يعني: يعقوب ولد إسحاق، كما قال تعالى: **﴿فبشّرْناها بإسحاق ومن وراءِ إسحاقَ يعقوب﴾**، **﴿وكُلاًّ جعلنا صالِحين﴾** الجميع أهل خير وصلاح.

الآية: ٦٨ روى البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبيَ الله ونِعْمَ الوكيل، قالها إبراهيم حين أُلقي في النّار، وقالها محمد عليهما الصلاة والسلام، حين قالوا: إنّ النّاسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل».
/ابن كثير ج٣/١٨٤/

الآية: ٦٩ قال الضّحّاك ﴿كُوني بَرْدَاً وسَلاَماً على إبراهيم﴾ قال: صنعوا له حظيرة من حطب جزل، وأشعلوا فيه النار من كل جانب، فأصبح ولم يُصِبْهُ منها شيء حتى أخمدها الله.
/ابن كثير ج٣/١٨٤/

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣: ﴿وجعلناهم أئمةً يهدُون بأمرنا﴾ جعلناهم أئمة يُقتدى بهم، يدعون إلى الله بإذنه، **﴿وأوحينا إليهم فعلَ الخيراتِ وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاة﴾** [هذا] من باب عطف الخاص على العام. **﴿وكانوا لنا عابدين﴾** فاعلين لما يأمرون الناسَ به. ثم عطف بذكر لوطٍ، وكان قد آمَنَ بإبراهيم واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى: ﴿فآمَنَ له لوطٌ وقال إنّي مهاجرٌ إلى ربّي﴾ فآتاه الله حكماً وأوحى إليه وجعله نبيّاً وبعثه إلى سَدوم، ولهذا قال تعالى: **٧٤: ﴿ولوطاً آتيناهُ حُكْماً وعِلْماً ونجّيناه مِنَ القرية التي كانتْ تعمـلُ الخبائث﴾** [أي: اللواط المستخبث] **﴿إنّهم كانوا قومَ سُوْءٍ فاسِقين﴾** [أي: خارجين عن طاعة الله] **٧٥: ﴿وأدخلناهُ في رحمتِنا﴾** [أي: في النبوّة] **﴿إنّه مِن الصالحين﴾ ٧٦: ﴿ونُوحاً إذْ نادَى مِن قبلُ فاستجبْنا له﴾** [أي: واذكرْ نوحاً إذ دعا على قومه من قبل إبراهيم ولوط] لَمّا كذّبوه، **﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾** [وذلك حين دعا ربَّهُ أنّي مغلوبٌ فانتصِرْ] **٧٧: ﴿ونصرناهُ مِن القوم الذين كذّبُوا بآياتِنا إنّهم كانوا قومَ سُوْءٍ فاغرقناهم أجمعين﴾** أهلكهم الله بعامّة، ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيُّهم، بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، فلم يُؤمنْ بـه منهم إلّا القليل، فدعا عليهم فقال: ﴿ربِّ لاتَذَرْ على الأرض مِن الكافرين دَيّاراً﴾ **٧٨: ﴿ودَاوُدَ وسليمانَ إذْ يحكمانِ في الحرثِ إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غنمُ القوم﴾** [أي: واذكرهُمَا إذ يحكمان]، **﴿في الحرث إذ﴾** رعتْ فيه **﴿غنمُ القوم﴾** ليلاً، فأفسدته، فقضى داود بالغنم لأصحاب الحرث **﴿وكُنّا لحكمهم شاهدين﴾ ٧٩: ﴿ففهمناها سليمانَ﴾** وذلك أن داود أعطى أصحاب الحرث رقاب الغنم، فقال سليمان: لابل تؤخذ الغنم فيُعطاها أهل الكرم، فيكون لهم لبنُها ونفعها، ويُعطى أهلُ الغنم الكرم فيعمروهُ ويُصلحِوُه حتى يعود كالذي كان ليلة نفشتْ فيه الغنم، ثم يُعطى أهلُ الغنم غنمهم، وأهل الكرم كرمهم. **﴿وكُلاًّ آتينا حُكْماً وعلماً﴾** [أخبر سبحانه بأنّه أعطى كلّ واحد منهما هذين الأمرين] **﴿وسَخَّرْنَا مع داودَ الجبالَ يُسبِّحْنَ والطيرَ﴾** وذلك لطيب صوته بتلاوة الزبور، وكان إذا ترنّم به تقف الطيرُ في الهواء فتجاوبه وتردّ عليه الجبال تأديباً، **﴿وكُنّا فاعِلِين﴾ ٨٠: ﴿وعلمناه صنعةَ لَبُوسٍ لكم﴾** يعني صنعة الدُّروع كما قال تعالى: ﴿وألَنّا لهُ الحديدَ أنِ اعملْ سابغاتٍ وقدّرْ في السرد﴾ لاتوسع الحلقة **﴿لتحصِنَكم مِّنْ بأسِكُم﴾** في القتال **﴿فهلْ أنتم شاكرُون﴾** نِعَمَ الله؟ **٨١: ﴿ولسليمانَ الريحَ عاصفةً﴾** وسخّرنا لسليمانَ الريح العاصفة **﴿تجري بأمرِهِ إلى الأرض التي باركنا فيها﴾** يعني أرض الشام **﴿وكُنّا بكلِّ شيءٍ عالِمِين﴾** وذلك أنّه كان له بساط تحمله فترفعه وتسير به إلى حيث يشاء من الأرض فينزل وتوضع آلاته وحشمه، كما قال تعالى: ﴿فسخّرنا له الريحَ تجري بأمرِهِ رخاءً حيث أصابَ﴾.

الآية: ٧٨ ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ». وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما امرأتان معهما ابنان لهما، إذ جاء ذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا، فدعاهما سليمان، فقال: هاتوا السكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها لاتشقه، فقضى به للصغرى».

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

نصف الحزب ٣٣

٨٢: **﴿ومِنَ الشياطينِ مَن يغُوصُونَ لهُ﴾** في الماء يستخرجون اللآلىء والجواهر وغير ذلك، **﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾** غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿والشياطين كل بنّاءٍ وغوّاص وآخرين مقرّنين في الأصفاد﴾. **﴿وكُنّا لهُم حافظين﴾** يحرسه الله أن يناله أحدٌ من الشياطين بسوء ٨٣: **﴿وأيوبَ﴾** [أي: واذكرْ أيوبَ] **﴿إذْ نادَى ربَّهُ أنّي مَسَّنيَ الضُّرُّ﴾** ماكان به من البلاء في ماله وولده وجسده **﴿وأنتَ أرحمُ الراحِمين﴾** قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أشدُّ النّاسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الصالِحُون ثم الأمثل فالأمثل» وقد كان نبيُّ الله أيوبُ عليه السلام غايةً في الصبر، وبهُ يضرب المثل في ذلك ٨٤: **﴿فاستجبنا له فكشفنا مابهِ مِن ضُرٍّ﴾**، [وما كان منه ليس من باب الشكاية وإنّما كان دعاءً، والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء] **﴿وآتيناهُ أهلَهُ ومثلَهُم معهم﴾** وردَّ عليه مالَهُ وولدَهُ عياناً، ومثلهم معهم [وكان بنُوه قد ماتُوا فأُحيُوا له، ووُلِدَ له مثلُهم معهم]، **﴿رحمةً مِن عندِنا وذكرى للعابدِين﴾** رحمة من الله وجعلناه في ذلك قدوةً لئلّا يظنّ أهلُ البلاء أنّما فعلنا بهم ذلك لهوانِهم علينا، وليتأسُّوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه، وله الحكمة في ذلك ٨٥: **﴿وإسماعيلَ وإدريس وذَا الكِفلِ﴾** [أي: واذكرهم] **﴿كلٌّ مِن الصابرين﴾** [أي: على أمر الله والقيام بطاعته واجتناب معاصيه] ٨٦: **﴿وأدخلناهم في رحمتنا إنّهم مِنَ الصالِحين﴾** ٨٧: **﴿وذَا النُّونِ إذْ ذهبَ مغاضِباً﴾** هذه القصّةُ مذكورة في (الصافات) و(ن)، وذلك أنّ يُونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نِينَوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله فأبَوْا عليه، فخرج مغاضباً ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلمّا تحقّقُوا من ذلك تضرّعوا إلى الله عزّ وجلّ، فرفع الله عنهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿..إلّا قومَ يُونسَ لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذابَ الخزي في الحياة الدنيا..﴾ وأمّا يُونس فذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس، كما قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فكان مِن المُدْحَضِين﴾؛ **﴿فظنّ أنْ لنْ نقدِرَ عليه﴾**، أي: لنْ نضيّق عليه من قوله تعالى: ﴿ومَن قُدِرَ عليه رزقُهُ﴾ فأُلقي في البحر فالتقمه الحُوت ليكون له سجناً، **﴿فنادَى في الظلمات أنْ لا إلهَ إلّا أنتَ سبحانَك إنّي كنتُ مِن الظالِمين﴾** [يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم] ٨٨: **﴿فاستجبنا له ونجّيناه مِن الغَمّ﴾** أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات، **﴿وكذلك نُنجي المؤمنين﴾** إذا كانوا في الشدائد ودعُونا بهذا الدعاء في حال البلاء ٨٩: **﴿وزكريا﴾** [أي: واذكرْ زكريا] **﴿إذْ نادَى ربَّهُ ربِّ لاتَذَرْني فرداً﴾** لاولدَ لي ولاوارث يقوم من بعدي في النّاس **﴿وأنتَ خيرُ الوارِثين﴾** دعاءٌ وثناءٌ مناسبٌ للمسألة، قال الله تعالى: ٩٠: **﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجَهُ﴾** امرأته، وكانت عاقراً لاتَلِدُ فولدتْ. **﴿إنّهم كانُوا يُسارِعُون في الخيرات﴾** في عمل القربات والطاعات **﴿ويدعُونَنَا رَغَباً﴾** فيما عندنا **﴿ورهباً﴾** ممّا عندنا **﴿وكانُوا لنا خاشِعين﴾** متذلّلين لله عزّ وجلّ.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٩١: ﴿والتي أحصنتْ فرجَها[١] فنفخنَا فيها من رُوحِنَا وجعلناهَا وابنَها آيةً للعالمين﴾ يعني مريمَ وعيسى عليهما السلام، وفي هذا دلالة على أنّ الله تعالى على كلِّ شيءٍ قدير، وأنّه يخلقُ مايشاء، وإنّما أمره إذا أرادَ شيئاً أن يقول له: كُنْ فيكون **٩٢: ﴿إنّ هذهِ أُمّتُكم أمّةً واحدةً﴾** إنّ دينكم دينٌ واحد، وسنّتكم سُنّةٌ واحدة، وهذه شريعتكم التي بيّنتُ لكم ووضحتُ لكم؛ **﴿أمةً واحدةً﴾** نصبٌ على الحال ولهذا قال تعالى: **﴿وأنا ربُّكم فاعبُدُونِ﴾** أي: وحدَهُ لاشريك له **٩٣: ﴿وتقطّعُوا أمرَهم بينهم﴾** اختلفت الأمم على رسلها فمن بين مصدّق لهم ومكذّب، ولهذا قال تعالى: **﴿كلٌّ إلينا راجعُون﴾** يوم القيامة فيُجازَى كلٌّ بحسب عمله إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شراً فشرٌّ، ولهذا قال تعالى: **٩٤: ﴿فمَنْ يعملْ مِنَ الصالِحاتِ وهو مُؤمِنٌ﴾** قلبُهُ مُصَدِّقٌ وعمِلَ عملاً صالحاً **﴿فلاكُفْرَانَ لسعيِه﴾** لايُكفر سعيُهُ بل يُشكر فلا يُظلم مِثقالَ ذرّةٍ ولهذا قال تعالى: **﴿وإنّا له كاتِبُون﴾** يُكتَبُ جميعُ عمله فلايُضيَّع عليه منه شيءٌ **٩٥: ﴿وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها أنّهم لايَرْجِعُون﴾** قدْ قدّرَ أنّ أهلَ كلِّ قريةٍ أهلِكُوا أنّهم لايرجَعُون إلى الدنيا قبل يوم القيامة **٩٦: ﴿حتى إذا فُتِحَتْ يأجُوجُ ومأجُوجُ﴾** وهم شِرْذمة من سلالة آدم تُرِكُوا من وراء السَّدِّ الذي بناه ذُو القَرْنَين، **﴿وهم مِن كلِّ حَدَبٍ ينسِلُون﴾** الحَدَبُ من الأرض: المرتفعُ منها، ينسِلُون: أي يُسرِعُون في المشي إلى الفساد **٩٧: ﴿واقتربَ الوَعْدُ الحقُّ﴾** يعني يوم القيامة إذا حصلت هذه الأهوال أزِفَتِ الساعة واقتربت **﴿فإذا هي شاخِصَةٌ أبصارُ الذين كفروا﴾** مِن شدّة مايُشاهِدُونه من الأمور العِظام يقولون: **﴿ياوَيْلنا قد كُنّا في غفلةٍ من هذا﴾** في الدنيا **﴿بلْ كُنّا ظالمين﴾** يعترِفُون بظلمهم لأنفسهم حيث لاينفعهم ذلك **٩٨: ﴿إنّكم وماتعبُدُون مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جهنّمَ﴾** وقودُها الذي يُرمَى به فيها **﴿أنتمْ لها وَارِدُون﴾** داخِلُون **٩٩: ﴿لو كان هؤلاءِ﴾** الأصنام والأنداد **﴿آلهةً ماوَرَدُوها﴾** لَما دخلوا النّارَ؟! **﴿وكلٌّ فيها خالِدُون﴾** العابدون ومعبوداتهم كلهم في النار خالدون **١٠٠: ﴿لهم فيها زَفِيرٌ﴾** كما قال تعالى: ﴿لهم فيها زَفيرٌ وشهيقٌ﴾ والزفيرُ: خروج أنفاسهم، والشهيقُ: وُلوجُ أنفاسهم **﴿وهم فيها لايسمعون﴾** [لأنّهم في توابيت من نار] **١٠١: ﴿إنّ الذين سبقتْ لهم مِنّا الحُسْنَى﴾** الرحمة **﴿أولئك عنها مُبعَدُون﴾**.

---

(١) إنّ المراد بالفرج: فرج القميص؛ أي: لم تعلق ريبةٌ بثوبها. أي: إنّها طاهرة أكمل الطهارة. وفروج القميص أربعة: الكُمان والأعلى والأسفل. قال السُّهيلي: فلايذهبنّ وهمكَ إلى غير هذا؛ فإنّه من لطيف الكناية، لأنّ القرآنَ أنزَهُ معنًى، وأوزنُ لفظاً، وألطفُ إشارةً، وأحسنُ عبارةً، مِن أنْ يُريدَ مايذهب إليه وهم الجاهل ولاسيما والنفخ من روح القُدُس بأمرِ القُدُّوس، فأضَفِ القُدُسَ إلى القُدُّوس، ونزّهِ المقدّسة المطهرة عن الظنّ الكاذب والحَدَس.

الآية: ٩٦ روى مسلم في صحيحه حديث نزول عيسى عليه السلام بعد خروج الدجال: «.. فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتلُهُ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسحُ عن وجوههم، ويُحدّثهم بدرجاتهم في الجنّة، فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى: أنّي قد أخرجتُ عباداً لي، لايَدَانِ لأحدٍ بقتالهم، فَحَرِّزْ عبادي إلى الطور [أي ضمّهم واجعله لهم حرزاً] ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَبٍ ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبريّة فيشربون مافيها، ويمُرُّ آخرُهم فيقولون: لقد كان بهذه مرّةً ماءٌ، ويُحْصَرُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ؛ فيُرسِلُ الله عليهم النَّغَفَ [دود يكون في أنوف الإبل والغنم] في رقابهم، =

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

١٠٢: ﴿لايسمعُون حَسِيسَها﴾ حريقها في الأجساد، **﴿وهم فيما اشتهتْ أنفسُهم خالِدُون﴾** فَسَلَّمَهُم مِن المحذُور وحصّلَ لهم المطلوب **١٠٣: ﴿لايُحزِنُهم الفَزَعُ الأكبرُ﴾** الموتُ والنفخة في الصور، وحين تُطبق النار على أهلها، **﴿وتتلقاهُمُ الملائكةُ﴾** وهي تقولُ لهم: **﴿هذا يومُكُمُ الذي كنتم توعدون﴾** تُبشِّرُهم يومَ معادِهم إذا خرجُوا من قبورهم؛ أي: فأمّلُوا مايَسُرُّكم **١٠٤: ﴿يومَ نَطْوي السماءَ كطيِّ السِّجلِّ للكتب﴾** كطي السجل للكتاب؛ بمعنى المكتوب، كما قال تعالى: ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ والأرضُ جميعاً قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مَطْوِيَاتٌ بيمينِهِ سبحانَهُ وتعالى عمّا يُشرِكون﴾. **﴿كما بَدَأْنا أوّلَ خلقٍ نُعيدُهُ وَعْداً علينا﴾**؛ يعني: هذا كائنٌ لامحالة **﴿إنّا كُنّا فاعِلين﴾** يوم يُعيدُ اللهُ الخلائقَ خلقاً جديداً، كما بدأهم هو القادرُ على إعادتهم **١٠٥: ﴿ولقدْ كتبنا في الزَّبُورِ مِن بعدِ الذكرِ أنّ الأرضَ يرِثُها عبادِيَ الصالِحُون﴾** هذا خبر من الله تعالى عمّا حتَمَهُ وقضاهُ لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة، وَوِراثة الأرض في الدنيا والآخرة. والزَّبُور هو الذي أنزله الله تعالى على داود عليه السلام **١٠٦: ﴿إنّ في هذا لَبلاغاً لقوم عابدين﴾** إنّ في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبلاغاً لنفعِهِ وكفاية لقوم عابدين، وهم الذين عبَدُوا اللهَ بما شرعه وأحبّه ورضيَهُ، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم **١٠٧: ﴿وما أرسلناكَ إلّا رحمةً للعالَمِين﴾** فمَنْ قَبِلَ هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سَعِدَ في الدنيا والآخرة، ومَن رَدَّها وجحَدَها خَسِرَ الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الذين بدَّلُوا نعمةَ اللهِ كُفْراً وأحلُّوا قومَهم دَارَ البَوَارِ جهنَّمَ يصلونَها وبِئْسَ القَرَار﴾. وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّما أنا رحمةٌ مُهْدَاة» فمَنْ تبعه كان له رحمةً في الدنيا والآخرة **١٠٨: ﴿قُلْ إنّما يُوحى إليَّ أنّما إلهكم إلهٌ واحِدٌ﴾** يأمر الله تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول هذا للمشركين. **﴿فهل أنتم مسلِمُون﴾** متبعون على ذلك، مُنقادُون له؟ **١٠٩: ﴿فإنْ تَوَلَّوْا﴾** تركوا مادعوتهم إليه **﴿فقلْ آذنتُكم على سَوَاءٍ﴾** أعلمتُكم أنّي حربٌ لكم كما أنّكم حربٌ لي، وأنا بريءٌ منكم كما أنتم برآء منّي، **﴿وإنْ أدْرِي أقريبٌ أم بعيدٌ ماتُوعَدُون﴾**؟ هو واقعٌ لامحالة، ولكن لاعلم لي بقربِهِ ولابعدِهِ **١١٠: ﴿إنّه يعلمُ الجهرَ مِنَ القولِ ويعلمُ ماتكتمُون﴾** إنّ اللهَ يعلمُ الغيبَ جميعَهُ ويعلم مايُظهِرُهُ العبادُ ومايُسِرُّون، ويعلم السِّرَّ وأخفى **١١١: ﴿وإنْ أدْرِي لعلَّهُ فِتنةٌ لكم﴾** لعلّ تأخير ذلك عنكم فتنة لكم **﴿ومتاعٌ إلى حِين﴾ ١١٢: ﴿قالَ﴾** [أي: النبي صلى الله عليه وآله وسلم]: **﴿ربِّ احكُمْ بالحقِّ﴾** افصلْ بيننا وبين قومِنَا المكذبين، **﴿وربُّنا الرحمنُ المُستعانُ على ماتصِفُون﴾** على ماتفترون من الكذب والإفك. [وبذلك ختم الله السورة بتفويض الأمر إليه سبحانه].

فيصبحُون فَرْسَى [أي قتلى] كموت نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابُهُ إلى الأرض، فلايجدون موضع شبر إلاّ ملأهُ زَهَمُهُمْ ونتنُهُمْ [الزَّهَمُ: الدّسم] فيرغب نبي الله عيسى وأصحابُهُ إلى الله، فيُرسل اللهُ طيراً كأعناق البُخت [وهي الإبل الخرسانية] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل مطراً لايكون منه بيتُ مَدَرٍ ولاوَبَرٍ، فيغسِلُ الأرضَ حتى يتركها كالزَّلَفَةِ» [أي كالمرآة في صفائها] الحديث بطوله من صحيح مسلم ج٤/٢٢٥٤/ رقم الحديث ٢١٣٧/.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٣٤

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

تفسير سورة الحج

١: **﴿ياأيها النّاسُ اتقوا ربّكم إنّ زَلْزَلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم﴾** يأمر تعالى عباده بتقواه لِما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها. وزلزالها هذا في الدنيا قبل يوم القيامة ٢: **﴿يومَ ترونها تذهَلُ كلُّ مرضعةٍ عمّا أرضعتْ﴾** فَتُشْغَلُ لهول ماترى عن أحبّ النّاس إليها والتي هي أشفق النّاس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له، **﴿وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها﴾** قبل تمامه لشدّة الهول **﴿وترى النّاس سُكارَى﴾** من شدّة الأمر الذي دُهشت فيه عقولهم **﴿وماهم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾** يوم يشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة إلى أقطار الأرض فتضربهم الملائكة فترجع ويولي الناس مدبرين ٣: **﴿ومِنَ النّاسِ مَن يُجادلُ في اللهِ بغير علمٍ ويتبعُ كلَّ شيطانٍ مريدٍ﴾** يذمُّ الله تعالى مَن كذّب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، معرضاً عمّا أنزل الله على أنبيائه مُتّبعاً في كفره كلَّ شيطان مريدٍ من الجنّ والإنس. وهذا حال أهل الضلالة المعرضين عن الحقّ ٤: **﴿كُتِبَ عليه﴾** على الشيطان كتابةً قدريّةً **﴿أنّه مَن تولّاه﴾** اتّبعه وقلّده **﴿فإنّه يُضِلُّهُ ويهديهِ إلى عذاب السعير﴾** يُضلّه في الدنيا، ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير ٥: لّما ذكَرَ تعالى المخالفَ للبعث المنكرَ للمعاد ذكَرَ تعالى الدليلَ على قدرته على المعاد بما يُشاهَدُ مِن بَدئه للخلق فقال: **﴿ياأيُّها النّاسُ إنْ كنتُم في ريبٍ﴾** في شَكٍّ **﴿مِنَ البعث﴾** وهو المعاد، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة **﴿فإنّا خلقناكم من ترابٍ﴾** الذي خلقَ منه آدم عليه السلام، **﴿ثم مِن نُطفةٍ﴾** ثم جعلَ نسلَه مِن سُلالَةٍ مِن ماءٍ مَهين **﴿ثم مِن علقةٍ ثم من مضغةٍ﴾** وذلك إذا استقرّت النطفة في الرحم أربعين يوماً، فتصير قطعة من لحم لاشكل فيها **﴿مِن مضغةٍ مخلّقة وغيرِ مخلّقة﴾** ثم يُشرع فيها التشكيل والتخطيط **﴿لِنُبيِّنَ لكم﴾** [كمال قدرتنا بتصريفنا أطوارَ خلقكم]، **﴿ونُقِرُّ في الأرحامِ مانشاءُ إلى أجلٍ مُسَمّىً﴾** وتارة تستقر في الرحم لاتلقيها المرأة وهي المخلّقة، وغير المخلّقة وهي السقط مخلوق وغير مخلوق، فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمةً، **﴿ثم نُخرِجُكم طِفلاً﴾** ضعيفاً في بَدَنِه وسمعه وبصره وعقله، ثم يُعطيه اللهُ القوّة شيئاً فشيئاً، **﴿ثم لِتبلُغوا أشدَّكم﴾** من القوّة وعنفوان الشباب، **﴿ومنكم مَن يُتوفّى﴾** في حال شبابه **﴿ومنكم مَن يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ﴾** وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوّة والعقل؛ **﴿لكيلا يعلمَ مِن بعدِ علمٍ شيئاً﴾** [ولهذا كان من دعاء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «.. وأعوذُ بِكَ أن أُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ»]. **﴿وترَى الأرضَ هامِدَةً﴾** مُقْحِلَةً لانبتَ فيها **﴿فإذا أنزلنَا عليها الماءَ اهتزّتْ﴾** بالنبات **﴿وربَتْ﴾** بالزروع والثمار **﴿وأنبتتْ مِن كلِّ زوجٍ﴾** [أي: لونٍ] **﴿بهيجٍ﴾** حسن المنظر طيّب الريح.

الآية: ٢ روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: ياآدم، فيقول: لبيك ربّنا وسَعْدَيْكَ، فيُنادي بصوت: إنّ الله يأمرك أن تخرج من ذرّيتك بعثاً إلى النّار، قال: يارب! ومابَعْثُ النّار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فحينئذٍ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد ﴿وترى النّاسَ سُكارى وماهم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾ فشقّ ذلك على الناس حتى تغيّرت وجوههم، قال النبي ﷺ: «من يأجوجَ ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد، أنتم في النّاس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وإني لأرجح أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة» أي نصفها. /ابن كثير ج٣/ص٢٠٠/

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

٦: **﴿ذلك بأنّ الله هو الحقُّ﴾** ذلك دليل قدرة الخالق المدبّر الفعّال لما يشـاء **﴿وأنّه يُحيي الموتَى﴾** كما أحيا الأرض الميتة وأنبتَ منها هذه الأنواع كما قال تعالى: ﴿إن الذي أحياها لَمُحيي الموتى﴾، **﴿وأنّه على كلِّ شيءٍ قدير﴾** ٧: **﴿وأنّ السّاعةَ آتيةٌ لاريبَ فيها﴾** كائنة لاشكَّ فيها ولامِرية، **﴿وأنّ الله يبعثُ مَن في القبـور﴾** يعيدُهـم بعد العدم ٨: **﴿ومِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ في اللهِ بغيرِ علمٍ ولاهُدىً ولاكتابٍ مُنير﴾** بلا عقلٍ صحيح، ولانقل صريح، بل بمجرّد الرأي والهوى ٩: **﴿ثانِيَ عِطْفِهِ﴾** لاوي رقبته مستكبراً عن الحقّ **﴿لِيُضِـلَّ عن سبيـلِ اللهِ﴾** اللام لام العاقبة [أي: يُجادِلُ فيُضِلُّ]، **﴿له في الدنيا خِزيٌ﴾** وهو الإهانة والذل كما استكبر عن آيـات الله **﴿ونذيقُـهُ يوم القيـامة عذابَ الحريق﴾** ١٠: **﴿ذلك بمـا قدّمتْ يداك﴾** يُقـال له هذا تقريعاً وتوبيخاً، كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريم﴾، **﴿وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾** ١١: **﴿ومِنَ النّاسِ مَنْ يعبدُ الله على حَرْفٍ﴾** على شكٍّ. قال ابن عباس: كان الرجل يقدم المدينة، فإنْ وَلَدَتِ امرأتُـهُ غلاماً ونتجتْ خيلُهُ، قال: هذا دينٌ صالحٌ، وإن لم تلدِ امرأتُهُ ولم تُنتجْ خيلُهُ قال: هذا دينُ سوءٍ. فأنزل الله هذه الآية. **﴿فإن أصـابَهُ خيرٌ اطمـأنَّ به وإن أصـابتْهُ فتنةٌ انقلـبَ على وجهِـهِ﴾** بلاء، انقلب فلا يقيم على العبادة ورجع إلى الكفر **﴿خَسِرَ الدنيا والآخرة﴾** فلا هو حصّـلَ من الدنيـا، وفي الآخرة الشقاء والإهانة، **﴿ذلك هو الخسران المُبين﴾** ١٢: **﴿يدعُو مِن دُونِ اللهِ مالايضرّه ومالاينفعه﴾** من الأصنام والأنداد يستغيث بها ويسترزقها **﴿ذلكَ هو الضلالُ البعيدُ﴾** ١٣: **﴿يدعُو لَمَنْ ضرُّهُ أقرب من نفعه﴾** ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأمّا في الآخرة فضررُهُ محقّقٌ مُتيقن. **﴿لَبِئْسَ المولى﴾** الوثن، يعني: بِئْسَ هذا الذي دعاهُ مِن دُون الله مولىً وناصراً، **﴿ولَبِئْسَ العشير﴾** [الذي عاشره وصاحبه] أي: هذا الوثن ١٤: لمّا ذكر تعالى أهلَ الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء فقال تعالى: **﴿إنّ الله يُدخِلُ الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ﴾** من جميع أنواع القُربات، وتركوا المنكرات، فأورثهم الله الجنّات العاليات **﴿جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ إنّ الله يفعلُ مايُريدُ﴾** ١٥: **﴿مَن كان يظنّ أنْ لنْ ينصُرَهُ اللهُ﴾** محمداً صلى الله عليه وآله وسلم **﴿في الدنيا والآخرةِ فليمدُدْ بسبب﴾** بحبل **﴿إلى السماء﴾** سماء بيته **﴿ثمّ لِيَقْطَعْ﴾** ثم ليختنق **﴿فلينظُرْ هل يُذْهِبَنّ كيدُهُ مايَغيظُ﴾**؟! مَن كان يظنّ أنّ الله ليس بناصرٍ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وكتابَهُ ودينَهُ فليذهب فليقتلْ نفسَهُ إن كان ذلك غائظه؛ فإن الله تعالى ناصرُ نبيّهِ لامحالة، قال الله تعالى: ﴿إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والذين آمنُوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهادُ﴾.

الآية: ٧ روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن لقيط بن عامر أنه قال: يارسول الله! أكلّنا يرى ربَّه عزّ وجلّ يوم القيامة؟ ومآية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به؟» قلنا: بلى، قال: «فالله أعظم»!! قلتُ: يارسول الله! كيف يُحيي الله الموتى؟ ومآية ذلك في خلقه؟ قال: «أمَا مَرَرْتَ بوادي أهلِكَ مُمْحِلاً؟» قال: بلى، قال: «ثم مررتَ به يهتزُّ خضِراً؟» قال: بلى، قال: فكذلك يُحيي الله الموتى، وذلك آيتُهُ في خلقِهِ». /ابن كثير ج٣/٢٠٨/

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

ربع الحزب ٣٤ — سجدة

١٦: ﴿وكذلكَ أنزلناه﴾ القرآن **﴿آياتٍ بيّناتٍ﴾** واضحات في لفظها ومعناها، حُجّةً مِن الله على النّاس **﴿وأنّ الله يهدي مَن يُريدُ﴾**، وله الحكمة والحجة في ذلك **١٧:** يخبر تعالى عن أهل الأديان المختلفة من سوى المؤمنين من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا فيقول: **﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادُوا والصابئين والنصارَى والمجوسَ والذين أشركُوا إنّ الله يفصلُ بينهم يومَ القيامةِ إنّ الله على كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾** يحكم بينهم بالعدل، فيُدخل مَن آمنَ بهِ الجنّة ومن كفرَ بهِ النّارَ، فإنّ الله على أفعالهم وأقوالهم وضمائرهم شهيد **١٨: ﴿ألم ترَ أنّ الله يسجدُ له مَن في السمواتِ ومَن في الأرضِ﴾** يُخبر تعالى أنّه المستحق للعبادة وحده لاشريكَ له فإنه يسجد لعظمته كلُّ شيءٍ طوعاً وكرهاً وسجود كل شيء مِمّا يختصّ به سبحانه **﴿والشمسُ والقمرُ والنجوم والجبالُ والشجرُ والدوابُّ، وكثيرٌ مِن النّاسِ وكثيرٌ حقَّ عليه العذابُ﴾** مّمن امتنع وأبى واستكبر، **﴿ومَن يُهنِ اللهُ فما له مِن مُكرمٍ إنّ الله يفعل مايشاءُ﴾**، [أي: مَن أهانَهُ الله بالشقاء والكفر، لايقدر أحدٌ على دفع الهوان عنه. وقال ابن عباس: إنّ مَنْ تهاون بعبادة الله صار إلى النّار]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ اعتزل الشيطان يبكي يقول: ياويله أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجودِ فسجدَ فله الجنّة، وأُمِرْتُ بالسجودِ فأبيتُ فليَ النّار» رواه مسلم **١٩: ﴿هذان خصمان اختصمُوا في ربّهم﴾** المؤمنون والكافرون، فإنّ المؤمنين يريدون نصرة دين الله عزّ وجلّ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل، **﴿فالذين كفرُوا قُطّعتْ لهم ثيابٌ مِن نارٍ﴾** فُصِّلتْ لهم مقطعات مِن النّار، من نحاس، **﴿يُصبُّ مِن فوق رُؤوسِهُمُ الحميمُ﴾ ٢٠: ﴿يُصهَرُ بهِ مافي بُطونِهم والجُلُودِ﴾** إذا صُبَّ على رؤوسهم الحميم أذاب مافي بطونهم، وكذلك تذوب جُلُودُهم **٢١: ﴿ولهم مقامِعُ مِن حديدٍ﴾** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أنّ مقمعاً من حديدٍ وُضِعَ في الأرض فاجتمع له الثقلان ماأقلوهُ مِن الأرض» **٢٢: ﴿كلّما أرادُوا أن يخرجُوا منها من غمٍ أُعِيدُوا فيها﴾** يرفعهم لهيبُها وتردّهم مقامِعُها، **﴿وذُوقُوا عذابَ الحريقِ﴾** إنّهم يُهانُون بالعذاب قولاً وفعلاً **٢٣:** لمّا أخبر تعالى عن حال أهل النّار عياذاً بالله من حالهم ذكر حالَ أهلِ الجنّة نسأل الله من فضله وكرمه أن يجعلنا من أهلها، فقال: **﴿إنّ اللهَ يُدخِلُ الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ جناتٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ﴾** تتحرك في أكنافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها؛ يُصرِّفُونها حيث شاؤوا وأين أرادوا، **﴿يُحَلَّوْن فيها مِن أساوِرَ مِن ذهبٍ ولُؤلُؤاً ولباسُهم فيها حريرٌ﴾**.

الآية: ٢٠ روى ابن جرير والترمذي وقال: حسن صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنّ الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيَسْلُتُ مافي جوفه، حتى يبلغَ قدميه، وهو الصَّهْرُ، ثم يُعادُ كما كان» [اللهم أجرنا من النّار برحمتك ياأرحم الراحمين]. /ابن كثير ج٣/٢٦٢/

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤: ﴿وهُدُوا إلى الطيِّبِ مِن القول﴾ إلى القرآن، وإلى لاإلهَ إلّا الله، وإلى الأذكار **﴿وهُدُوا إلى صراطِ الحميد﴾** إلى الطريق المستقيم في الدنيا. وفي الجنّة هُدُوا إلى الذي يحمدون فيه ربَّهم على ماأحسنَ إليهم وأنعم به وأسداه إليهم كما جاء في الحديث الصحيح: «إنّهم يُلهمُون التسبيحَ والتحميدَ كما يُلهمون النَّفسَ» **٢٥: ﴿إنّ الذين كفروا ويَصُدُّون عن سبيلِ اللهِ والمسجدِ الحرام الذي جعلناه للنّاس سَواءً العَاكِفُ فيه والبَادِ﴾** يُنكر تعالى على الكفار في صدِّهم المؤمنين عن اتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه؛ أي: يمنعُون النّاس عن الوصول إلى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعاً سواءً لافرق فيه بين المقيم فيه والنّائي عنه البعيد الدار منه، وبذلك يستوى الناس في مكة في المنازل، من احتاجَ سَكَنَ، ومن استغنَى أُسكن، وعن عبد الله بن عمرو أنّه قال: لايحِلُّ بيع دور مكة ولاكِرَاؤها. وقال: مَن أكلَ كِراءَ بيوتِ مكةَ أكلَ ناراً. **﴿ومَنْ يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذقْهُ مِن عذابٍ أليم﴾** يَهُمُّ فيه بأمرٍ فظيع من المعاصي، أو يستحِلُّ ماحرّم الله من إساءةٍ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «احتكار الطعام بمكة إلحاد» **٢٦: ﴿وإذ بوّأنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ ألّا تُشرِكْ بي شيئاً﴾** هذا فيه تقريعٌ وتوبيخ لمن عبدَ غيرَ الله وأشركَ به من قريش في البقعة التي أُسِسَتْ مِن أوّل يوم على توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له، **﴿وطهِّرْ بيتِيَ للطّائفين والقائمين والرّكّعِ السُّجُود﴾** اجعله خالصاً لهؤلاء الذين يعبُدون اللهَ وحدَهُ لاشريك له **٢٧: ﴿وأذِّنْ في النّاس بالحجّ﴾** نادِ في النّاس داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت، فقال: ياربِّ كيف أبلِّغُ النّاسَ وصوتي لاينفذهم؟ فقال: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على الصَّفَا وقال: ياأيّها النّاسُ إنّ ربَّكم قدِ اتخذ بيتاً فحُجُّوهُ، فبلغ الصوتُ أرجاء الأرض، وأسمعَ مَن في الأصلاب والأرحام. **﴿يأتوكَ رِجالاً﴾** ماشياً **﴿وعلى كلِّ ضَامِرٍ﴾** راكباً، **﴿يأتِينَ من كل فجٍّ عميق﴾** طريق بعيد **٢٨: ﴿ليشهدُوا منافعَ لهم﴾** منافع الدنيا في التجارات، ومنافع الآخرة في رضوان الله تعالى. **﴿ويذكُروا اسمَ اللهِ في أيّامٍ معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام﴾**، الأيام المعلومات أيام العشر من أول ذي الحجّة، وتشتمل يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر. **﴿فكلُوا منها وأطعِمُوا البائسَ الفقير﴾** من ذبائح يوم النحر والأضاحي والنذور **٢٩: ﴿ثم لْيَقْضُوا تفَثَهُم﴾** هو وضعُ الإحرام، [أي: لتحلّل منه] بحلق الرأس ولبس الثياب وقصّ الأظافر ونحو ذلك. **﴿وليُوفُوا نُذُورَهم﴾** نذر الحج والهَدي ومانذر الإنسان، **﴿وليطّوّفُوا بالبيتِ العتيق﴾** سُمّي عتيقاً لأنه لم يظهر عليه جبّار قط **٣٠: ﴿ذلك ومَنْ يعظِّمْ حُرماتِ اللهِ﴾** يجتنب معاصيه كلها. والحُرْمة: مكة والحج والعمرة. **﴿فهو خيرٌ لهُ عندَ ربِّه﴾** له على ذلك ثواب جزيل. **﴿وأُحِلّتْ لكم الأنعامُ إلّا مايُتلَى عليكم﴾** من تحريم الميتة ولحم الخنزير وماأُهل لغير الله به **﴿فاجتنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأوثان﴾** الشرك بالله **﴿واجتنِبُوا قولَ الزُّورِ﴾** ومنه شهادة الزُّور.

الآية: ٢٦ البيتُ العتيق هو أول بيت بُني في الأرض، وأنه لم يُبْنَ قبله شيء، كما ثبت في الصحيح عن أبي ذَرٍّ قلتُ: يارسول الله! أيّ مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «بيت المقدس»، قلتُ: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». وقد قال الله تعالى: ﴿إنّ أوّلَ بيتٍ وُضِعَ للنّاس للذي ببكّةَ مباركاً﴾ الآيتين. /ابن كثير ج٣/٢٦٥/

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

الحزب ٣٤

٣١: ﴿حُنفاءَ لله﴾ مخلصين له الدّين منحرفين قصداً عن الباطل إلى الحقّ **﴿غير مشركين به﴾** ثم ضرب للمشرك مثلاً في هلاكه فقال: **﴿ومَن يُشرِكْ بالله فكأنّما خرّ مِن السماء﴾** سقط منها **﴿فتَخطّفُهُ الطيرُ﴾** تُقطِّعُهُ الطيور في الهواء **﴿أو تهوي بِهِ الريحُ في مكانٍ سَحِيقٍ﴾** بعيد مهلك لمن هوى فيه **٣٢: ﴿ذلك ومَن يُعظِّمْ شعائر الله﴾** أوامرَهُ **﴿فإنّها مِن تقوى القلوب﴾** وتعظيمها استحسانها، ومِن ذلك تعظيم الهدايا إلى الحرم، وذلك باستسمانِها **٣٣: ﴿لكم فيها منافعُ إلى أجلٍ مُسمّىً﴾** من ألبانها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها، **﴿ثم مَحلُّها إلى البيتِ العَتيقِ﴾** محل الهدي وانتهاؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة، كما قال تعالى: **﴿هَدْياً بالِغَ الكعبة﴾** **٣٤: ﴿ولكلِّ أُمّةٍ جعلنا مَنسَكاً﴾** المَنْسَكُ: الذبح وإراقة الدماء على اسم الله، أي: لم يزل ذبح المناسك مشروعاً على اسم الله في جميع المِلَل. **﴿ليذكروا اسمَ اللهِ على مارزقهم من بهيمة الأنعام﴾** [أي: على ذبح مارزقهم، فإنّه تعالى أمر بذكر اسمه عند الذبح وأن يكون له]، روى الإمام أحمد: قالوا: يارسول الله ماهذه الأضاحي؟ قال: «سنّة أبيكم إبراهيم» قالوا: مالنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة». **﴿فإلهكم إلهٌ واحدٌ فله أسلِمُوا﴾** معبودكم واحد، وجميع الأنبياء يدعون إلى عبادة الله وحده لاشريك، فله أخلِصُوا واستسلموا لحكمته وطاعته، **﴿وبشّرِ المُخْبِتِين﴾**المتواضعين الوجلين الراضين بقضاء الله، وفسّرَهُ بما بعده فقال: **٣٥: ﴿الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهم﴾** خافت منه قلوبهم **﴿والصابرين على ماأصابَهم﴾** من المصائب **﴿والمقيمي الصلاةِ﴾** حُذفت النون ههنا تخفيفاً، أي: المؤدّين حقَّ الله فيما يجب عليهم من أداء فرائضه **﴿ومّما رزقناهم ينفِقُون﴾** من طيّب الرزق على أهليهم وفقرائهم **٣٦: ﴿والبُدْنَ جعلناها لكم مِن شعائر الله﴾** يمتنّ الله تعالى على عباده فيما خلق لهم من البُدْن وجعلها من شعائرِهِ تُهدَى إلى بيته الحرام، والبُدْن: البقر والبعير، واحدها يُجزئ عن سبعة. **﴿لكم فيها خير﴾** ثواب في الدار الآخرة، **﴿فاذْكُرُوا اسمَ اللهِ عليها صَوَافّ﴾** يعني خالصة لله عزّ وجلّ ليس فيها شِرْك. **﴿فإذا وجَبَتْ جُنُوبُها فكلوا منها﴾** سقطت وبردت حركتها **﴿فكلُوا منها﴾** أمرُ إباحةٍ **﴿وأطعِمُوا القانِعَ﴾** المستغني بما أعطيتَهُ **﴿والمُعْتَر﴾** الذي يتعرّض لك لتعطيه. **﴿كذلك سخّرْناها لكم لعلّكم تشكرون﴾** ذللناها لكم [لتشكروه على نعمه] **٣٧: ﴿لنْ ينالَ اللهَ لُحومُها ولادِماؤها﴾** فإنّ الله هو الغنيّ عمّا سِوَاهُ **﴿ولكنْ ينالُهُ التقوى منكم﴾** يتقبل ذلك ويجزي عليه، **﴿كذلك سَخّرَها لكم﴾** من أجل ذلك **﴿لِتُكبِّرُوا اللهَ على ماهداكم﴾** لِتُعظمُوا الله كما هداكم لدينه وشرعه **﴿وبشِّرِ المحسنين﴾** في عملهم المتبعين ماشرع لهم **٣٨: ﴿إنّ اللهَ يُدَافِعُ عن الذين آمنوا﴾**؛ الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه يدفع عنهم شرّ الفجار ويكلؤهم وينصرُهم، **﴿إنّ اللهَ لايُحِبُّ كلَّ خوّانٍ كَفُورٍ﴾** لايحب مِن عبادِهِ من اتصف بالخيانة وكُفْرِ النِّعَم.

الآية: ٣٥ إنّ كثرة ذكر الله تعالى أمان من النفاق، قال الله في المنافقين: ﴿ولايذكرونَ اللهَ إلّا قليلاً﴾ [النساء/١٤٢].

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩: ﴿أُذنَ للذين يُقاتَلُون بأنّهم ظُلِموا﴾ هذه أوّل آية نزلت في الجهاد، حين أخرجوا من مكة، **﴿وإنّ اللهَ على نصرهم لقدير﴾** هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن يُريد من عباده أن يبذلوا جُهْدَهم في طاعته **٤٠: ﴿الذين أُخرِجُوا مِن ديارِهم بغيرِ حقٍّ﴾** أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير ذنب **﴿إلّا أنْ يقولوا ربُّنا الله﴾** إلّا أنّهم وحدُوا الله وعبدوه لاشريك له. **﴿ولولا دفعُ اللهِ النّاسَ بعضَهُم ببعضٍ﴾** لولا أنّه تعالى يدفع بقوم عن قوم ويكفُّ شرورَ أناس عن غيرهم بمايخلقهُ من الأسباب ويُقدِّرُهُ لفسدتِ الأرض، ولأهْـلَكَ القـويُّ الضـعـيفَ، **﴿لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ﴾** وهي المعابد الصغيرة للرهبان **﴿وبِيَعٌ﴾** وهي أوسع منهـا وأكثر عـابدين فيهـا **﴿وصلواتٌ﴾** كنائس أهل الكتاب **﴿ومساجد﴾** أهل الإسلام **﴿يُذكَرُ فيها اسمُ اللهِ كثيراً﴾** وهي مساجد المسلمين، وهي أكثر عُمّـاراً وأكثر عُبّـاداً وهم ذَوُو القصـد الصحيح، **﴿ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُهُ﴾** وكما قـال تعالى: ﴿إن تنصُرُوا اللهَ ينصُرْكم ويثبّتْ أقدامَكم﴾ **﴿إنّ اللهَ لَقَوِيٌّ عزيزٌ﴾** وصف نفسـه بالقوّة فلايقهره قاهر ولايغلبه غالب بل كلُّ شيءٍ ذليلٌ لديه فقيرٌ إليه **٤١: ﴿الذين إنْ مكّنّاهم في الأرض أقامُوا الصـلاةَ وآتَوُا الزكاةَ﴾** هؤلاء هـم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿وأمرُوا بـالمعروف ونَهَوْا عن المنكرِ ولله عاقبةُ الأمور﴾** عند الله ثواب ماصنعُوا **٤٢: ﴿وإنْ يُكذِّبُوك فقد كذَّبتْ قبلهم قومُ نوحٍ وعادٌ وثمودُ﴾ ٤٣: ﴿وقومُ إبراهيمَ وقومُ لُوطٍ﴾ ٤٤: ﴿وأصحابُ مَدْيَنَ وكُذِّبَ موسى﴾** يقول تعالى هذا مسلياً لنبيّهِ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيب مَن خالفَهُ مِن قومه، أي: أن أنبياءَهم مع ماجاؤوا به مِن الآيات البيّنات والدلائل الواضحات **﴿فأمليتُ للكافرين﴾** أنظرتُهم وأخرتهم **﴿ثم أخذتُهم فكيفَ كانَ نكيرِ﴾** كيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟! **٤٥: ﴿فكأيِّنْ من قريةٍ أهلكناها﴾** وكم مِن قرية أهلكناها **﴿وهي ظالمةٌ﴾** مكذّبة لرسلها **﴿فهي خاويةٌ على عُرُوشِها﴾** قد خُرّبت منازلُها وتعطّلت حواضُرها، **﴿وبئرٍ مُعطَّلةٍ﴾** لايُستقى منها ولايردُها أحدٌ بعد كثرة وَارِدِيها **﴿وقصرٍ مَشيدٍ﴾** يعني: المُبيّض بالجَصِّ، والمنيع الحصين [أي: فأين عُمّارها وأصحابُها؟ أهلكهم الله بكفرهم وعنادهم] **٤٦: ﴿أفلَمْ يَسيرُوا في الأرضِ﴾** بأبدانهم وبفكرهم **﴿فتكونَ لهم قُلوبٌ يعقِلُون بها﴾** فيتعظوا بما حلَّ بالأمم المكذّبة مِن النقم والنكال **﴿أو آذانٌ يسمعُون بها﴾** فيعتبرون بها **﴿فإنّها لاتعمَى الأبصارُ ولكِن تَعمى القلوبُ التي في الصدور﴾** ليس العمَى عمَى البصيرة إن كانت القوّة الباصرة سليمة فإنّها لاتنفذ إلى العِبَر ولاتدري ماالخبر، وماأحسن ماقاله بعض الشعراء في هذا المعنى:

إنْ كنتَ لاتسمعُ الذكرَى ففيمَ ترى ... في رأسِكَ الواعيـانِ السمعُ والبصر
ليسَ الأصمُّ ولا الأعمَى سِوَى رجلٍ ... لم يهـدِهِ الهـادِيـانِ العـينُ والأثـر

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

٤٧: ﴿ويستعجلُونكَ بالعذابِ﴾ هؤلاء الكفار المكذِّبون بالله وكتابه ورسوله **﴿ولن يُخلفَ اللهُ وعدَهُ﴾** الذي وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه، والإكرام لأوليائه. **﴿وإنّ يوماً عندَ ربِّكَ كألفِ سنة ممّا تعدُّون﴾** هو تعالى لايعجل، فإنّ مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه، لعلمه بأنّه قادر على الانتقام وأنّه لايفوته شيء وإنْ أجّلَ وأملى، ولهذا قال بعد هذا: **٤٨: ﴿وكأيِن مِن قريةٍ أمليتُ لها وهي ظالمةٌ ثم أخذتُها وإليّ المصير﴾** [أي: أمهلتها مع عتوّها ثم أخذتها بالعذاب] **٤٩: ﴿قُلْ ياأيّها النّاسُ إنّما أنَا لكم نذيرٌ مُبينٌ﴾** إنّما أرسلني اللهُ إليكم نذيراً لكم بين يدي عذابٍ شديد، وليس إليّ حسابُكم، بل أمركم إلى الله إن شاء عجّلَ لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم، وإن شاء تاب على مَن يتوب إليه **٥٠: ﴿فالذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ﴾** لهم مغفرةٌ لِما سَلَفَ من سيّئاتهم، ومجازاةٌ على حسناتهم ورزق كريم في الجنّة **٥١: ﴿والذين سَعَوْا في آياتِنا معاجِزين﴾** الذين يُثبِّطُون النّاسَ عن متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم **﴿أولئكَ أصحابُ الجحيم﴾** **٥٢: ﴿وماأرسلنا مِن قبلِكَ مِن رسولٍ ولانبيٍّ إلّا إذا تمنّى ألقَى الشيطانُ في أُمنيَّتِهِ﴾** قد ذكرَ كثيرٌ من المفسرين ههنا قصّة الغرانيق، ولم أرَها مُسندةً مِن وجهٍ صحيح.[1] **﴿إذا تمنّى﴾** إذا تلا **﴿ألقَى الشيطانُ في أُمنيَّتِهِ فينسخ اللهُ مايلقي الشيطانُ﴾** نسخَ جبريلُ ماألقى الشيطانُ ــ والنسخُ الرفعُ والإزالة ــ وأحكمَ اللهُ آياتِهِ. قال ابن عباس: **﴿في أمنيّته﴾** إذا حدّثَ النّاسَ ألقى الشيطان في حديثه[2]، فيُبطل اللهُ مايُلقي الشيطان. **﴿واللهُ عليمٌ﴾** بما يكون من الأمور لاتخفى عليه خافية **﴿حكيمٌ﴾** في تقديره وأمره **٥٣: ﴿ليجعلَ مايُلقي الشيطانُ فتنةً للذين في قلوبهم مرضٌ﴾** شرك وكفر ونفاق **﴿والقاسية قلوبهم﴾** وهم المشركون واليهود **﴿وإنّ الظالمين لفي شِقاقٍ﴾** ضلال وعناد **﴿بعيدٍ﴾** من الحق **٥٤: ﴿وليعلمَ الذين أُوتوا العلمَ أنّه الحقُّ مِن ربِّكَ فيُؤمِنُوا به﴾** وليعلم الذين أوتُوا العلم الحقّ أن ماأوحيناهُ إليكَ هو الحق من ربّك الذي أنزله بعلمه وحفظه أن يختلطَ بهِ غيره، بل هو كتاب عزيز، **﴿فيؤمنوا به﴾** وينقادُوا له **﴿فتخبتَ له قلوبُهم﴾** تخضع وتذلّ له قلوبهم، **﴿وإنّ اللهَ لهادِ الذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيم﴾** في الدنيا والآخره **٥٥: ﴿ولايزالُ الذين كفروا في مِرْيَةٍ منه حتى تأتيَهُمُ الساعةُ﴾** لايزال الكفار في شك من هذا القرآن حتى تأتيهم الساعة عند سكرتهم وغرّتهم فجأةً، فلا يغترُّوا بالله إنّه لايغترّ بالله إلّا القوم الفاسقون، **﴿أو يأتيَهم عذابُ يومٍ عقيمٍ﴾** وهو يوم القيامة.

---

(١) قصة الغرانيق من وضع الزنادقة. قاله الإمام ابن خزيمة.

(٢) أي: يلقي الشيطان في مسامع الناس.

الآية: ٤٧ روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبلَ الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام». ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وروى ابن جرير عن أبي هريرة قال: يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم، قيل: ومامقدار نصف يوم؟ قال: أوَمَا تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قال: ﴿وإنّ يوماً عندَ ربّكَ كألفِ سنة مّما تعدُّون﴾. /ابن كثير ج٣/٢٢٨/

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

٥٦: ﴿المُلْكُ يومئذٍ للهِ يَحكُمُ بينهم﴾ [يعني يوم القيامة] كقوله تعالى: ﴿المُلْكُ يومئذٍ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ [ثم بين تعالى حكمه]: **﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** آمنت قلوبهم بالله ورسوله وعملوا بمقتضى ماعلِمُوا وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم، **﴿في جنّات النعيم﴾** المقيم الذي لايحولُ ولايزول **٥٧: ﴿والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا﴾** كفرت قلوبهم بالحقّ واستكبروا عن اتّباعه **﴿فأولئك لهم عذابٌ مُهين﴾** مقابلة استكبارهم وإبائهم عن الحقّ **٥٨:** يُخبر تعالى عمّن خرج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاته وطلباً لِما عندَهُ وترك الأوطان، وفارق بلادَهُ في الله ورسوله: **﴿والذين هاجروا في سبيلِ الله ثم قُتِلُوا أو ماتوا﴾** في سبيل الله أو ماتُوا من غير قتال فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجميل، كما قال تعالى: ﴿ومَن يخرجْ مِن بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يُدرِكْهُ الموت فقد وقعَ أجرُهُ على الله﴾. **﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حسناً﴾** أي لَيُجرِيَنّ عليهم مِن فضله ورزقه من الجنّة ماتقرُّ به أعينُهم، **﴿وإنّ الله لَهُوَ خيرُ الرازقين﴾** **٥٩: ﴿لَيُدْخِلنّهم مُدْخلاً يَرْضَوْنَهُ﴾** الجنّة، كما قال تعالى: ﴿فأمّا إن كان مِن المقرّبين فَرَوْحٌ وريحانٌ وجنّةُ نعيم﴾، فأخبر أنّه يحصل له الراحة والرزق وجنّة النعيم. **﴿وإنّ الله لعليم﴾** بمن يُهاجر ويُجاهد في سبيله وبمن يستحق ذلك **﴿حليمٌ﴾** يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويُكفرها عنهم بهجرتهم إليه وتوكلهم عليه **٦٠: ﴿ذلك ومَن عاقبَ بمثل ماعُوقِبَ به ثم بُغِيَ عليه لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إنّ الله لعفوٌ غفورٌ﴾** نزلت هذه الآية في سريةٍ مِن الصحابة لَقُوا جمعاً مِن المشركين في شهر محرّم، فناشَدَهم المسلمون لئلاّ يُقاتِلُوهم في الشهر الحرام، فأبَى المشركون إلاّ قتالهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون فنصرهم اللهُ عليهم **٦١: ﴿ذلك بأنّ الله يُولِجُ الليلَ في النّهارِ ويُولِجُ النّهارَ في الليلِ﴾** [أي: ذلك الذي قصصتُ عليك من نصرة المظلوم بأنّي أنا الذي أولج الليلَ في النهار، فلايقدر أحدٌ على ماأقدر عليه؛ أي: مَن قدر على هذا قدر على أن ينصرَ عبدَهُ] **﴿وأنّ الله سميعٌ بصيرٌ﴾** **٦٢: ﴿ذلك بأنّ الله هو الحقُّ﴾** الإله الحق الذي لاتنبغي العبادة إلاّ له لأنّه ذو السلطان العظيم **﴿وأنّ مايدعُون مِن دُونِهِ هو الباطل﴾** من الأصنام والأنداد، وكل ماعُبِدَ مِن دُون الله تعالى فهو باطل، **﴿وأنّ الله هو العليّ الكبير﴾** **٦٣: ﴿ألَمْ تَرَ أنّ الله أنزلَ مِن السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مخضرّةً﴾** هذا من الدلائل على قدرته تعالى وعظيم سلطانه، **﴿إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ﴾** عليم بما في أرجاء الأرض من الحَبّ فيوصل إلى كلٍّ منه قسطه من الماء فُينبتُه **٦٤: ﴿له مافي السمواتِ ومافي الأرض﴾** مُلْكُهُ جميعُ الأشياء، وهو غنيٌّ عمّا سواه، وكلُّ شيءٍ فقيرٌ إليهِ عبدٌ لديه، **﴿إنّ الله لَهُوَ الغنيُّ الحميد﴾**.

الآية: ٥٨ ـ ٥٩ روى ابن أبي حاتم عن ابن عُقْبَةَ قال: قال شرحبيل بن السميط: طالَ رباطُنَا وإقامَتُنَا على حصنٍ بأرض الروم، فمرّ بي سلمان الفارسي، قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مات مُرابطاً أجرى الله عليه مثلَ ذلك الأجر، وأجرى عليه الرزق، وأُمِنَ من الفتانَيْنِ، واقرؤوا إن شئتم: ﴿والذين هاجروا في سبيلِ الله ثم قُتِلُوا أو ماتُوا ليرزقنّهم الله رزقاً حَسَناً، وإنّ الله لهو خيرُ الرازقين، ليدخلنهم مُدْخلاً يرضونَهُ، وإنّ الله لعليمٌ حليمٌ﴾. /ابن كثير ج٣/٢٣١ ـ ٢٣٢/

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥: ﴿أَلَمْ تَرَ أنّ الله سَخَّرَ لكم مافي الأرض﴾ من حيوان وجماد وزروع وثمار، وهذا من إحسانه وفضله وامتنانه، **﴿والفُلْكَ تجري في البحر بأمرِهِ﴾** بتسخيره وتسييره الفُلْك بأهلها في البحر فيحملون فيها ماشاؤوا مما يحتاجون إليه من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر. **﴿ويُمسك السماءَ أنْ تقعَ على الأرضِ إلّا بإذنه﴾** لو شاء لأذنَ للسماء فسقطت على الأرض فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقعَ على الأرض إلّا بإذنه، ولهذا قال تعالى: **﴿إنّ الله بالنّاس لرؤوفٌ رحيمٌ﴾** مع ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿وإنّ ربَّكَ لَذُو مغفرةٍ للنّاس على ظلمهم وإنّ ربَّكَ لشديد العِقاب﴾ **٦٦: ﴿وهو الذي أحياكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم﴾** يوم القيامة، ومعنى الكلام: كيف تجعلون لله أنداداً وتعبُدُون معه غيره وهو المستقل بالخلق والرزق؟ **﴿إنّ الإنسانَ لكفورٌ﴾** جحود نعم الله [وهذا على الغالب، قال تعالى: ﴿وقليلٌ من عبادِيَ الشكُورُ﴾] **٦٧: ﴿لكلّ أمّةٍ جعلنا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ﴾** لكل أمة نبيٍّ منسكاً، والمَنْسَكُ: هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردَّدُ إليه، ولهذا سُمّيت مناسك الحج بذلك لترداد النّاس إليها. **﴿هم ناسِكُوه﴾** فاعلوه، **﴿فلايُنازِعُنّكَ في الأمرِ﴾** فلاتتأثر بمنازعتهم لك ولايصرفك ذلك عمّا أنتَ عليه مِن الحقِّ، ولهذا قال تعالى: **﴿وادْعُ إلى ربِّكَ إنّكَ لعلى هُدىً مستقيم﴾ ٦٨: ﴿وإنْ جادَلُوكَ فقُلِ الله أعلمُ بما تعملون﴾** هذا تهديدٌ شديد ووَعِيدٌ أكيدٌ، ولهذا قال تعالى: **٦٩: ﴿الله يحكُمُ بينكم يومَ القيامةِ فيما كنتمْ فيهِ تختلِفُون﴾** [فتعلمون حينئذٍ الحقَّ مِن الباطل] **٧٠: ﴿أَلَمْ تعلمْ أنّ الله يعلمُ مافي السماءِ والأرضِ إنّ ذلك في كتابٍ﴾** يُخبر تعالى عن كمال قدرته وعلمه بخلقه وأنّه محيطٌ بما في السموات وما في الأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السموات، وأنّه تعالى عَلِمَ الكائنات كلها قبل وُجُودِها، وكتبَ ذلك في اللّوح المحفُوظ، **﴿إنّ ذلك على اللهِ يَسِيرٌ﴾** سَهلٌ عليه يسير **٧١: ﴿ويعبُدُون مِن دُونِ اللهِ﴾** المشركون **﴿مالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سلطاناً ومالَيس لهم بِهِ علم﴾** لاحجة ولابرهان ولاعلم، بل ائتفكوه وزيّنهُ الشيطان لهم، ولهذا توعدَهم تعالى بقوله: **﴿ومالِلظالمين من نصيرٍ﴾** ينصرهم من النكال [يوم القيامة] **٧٢: ﴿وإذا تتلَى عليهم آياتُنا بيّنات﴾** إذا ذكرتَ لهم آياتِ القرآن **﴿تعرِفُ في وُجُوهِ الذين كفرُوا المنكرَ يكادُونَ يَسْطُونَ﴾** يبادِرُون **﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾** من القرآن، ويبسطون إليهم أيديَهم وألسنتهم بالسوء، **﴿قُلْ﴾** يامحمد لهؤلاء **﴿أفأُنبّئكم بشرٍّ من ذلكم النّارُ﴾** عذابُها ونكالُها أشدُّ وأعظم ممّا تخوِّفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا **﴿وعَدَها اللهُ الذين كفروا وبِئْسَ المصير﴾** وبئس النار مقيلاً ومنزلاً ومرجعاً.

الآية: ٧٠ ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله قدّر مقاديرَ الخلائق قبلَ خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء». وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أنّ رسول الله ﷺ قال: «أوّلُ ماخلقَ الله القلم، قال له: اكْتُبْ، قال: وما أكتبُ؟ قال: اكْتُبْ ماهو كائنٌ، فجرَى العلمُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة». /ابن كثير ج٣/٢٣٤/

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ سجدة وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

٧٣: ﴿**ياأيُّها النّاسُ ضُرِبَ مثلٌ فاستمعُوا له**﴾ يُنبِّهُ تعالى على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها فيقول: ﴿**إنّ الذين تدعُون مِن دُونِ اللهِ لن يخلقُوا ذُباباً ولو اجتمعُوا له**﴾ لو اجتمعَ جميعُ الأنداد على خلق ذبابة ماقدرُوا على ذلك ﴿**وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شيئاً لايستنقِذوه منه**﴾ هم عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذي عليها. والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: ﴿**ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب**﴾ الصنم والذباب **٧٤**: ﴿**ماقَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ**﴾ ماعرفُوا قدرَ اللهِ وعظمته حين عبدوا معه غيره، ﴿**إنّ اللهَ لقويٌّ عزيزٌ**﴾ هو القويُّ الذي بقدرته خلق كلَّ شيءٍ، وقد عزّ كل شيء فقهره فلايُمانع ولايُغالب لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار، سبحانه وتعالى **٧٥**: ﴿**اللهُ يصطَفِي من الملائكةِ رُسُلاً ومِن النّاسِ**﴾ يُخبر تعالى أنّه يختار مِن الملائكة رسلاً فيما يشاء مِن شرعِهِ وقدره، ومِن النّاس لإبلاغ رسالاته ﴿**إنّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ**﴾ سميعٌ لأقوال عباده بصيرٌ بهم عليم بمن يستحق ذلك منهم كما قال تعالى: ﴿اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ﴾ **٧٦**: ﴿**يعلمُ مابين أيديهِمْ وماخلفَهمْ**﴾ يعلم مايفعل برسله فيما أرسلهم به فلايخفى عليهِ شيءٌ من أمورهم ﴿**وإلى اللهِ تُرجعُ الأُمورُ**﴾ **٧٧**: ﴿**ياأيُّها الذين آمنُوا اركعُوا واسْجُدُوا واعبُدُوا ربَّكم**﴾ [أي: امتثِلُوا أمرَهُ] ﴿**وافعلُوا الخيرَ**﴾ [هذا ندبٌ فيما عدا الواجبات]، ﴿**لعلّكُمْ تُفلِحُون**﴾ **٧٨**: ﴿**وجاهِدُوا في اللهِ حقَّ جِهادِهِ**﴾ بأموالِكم وأنفسكم ﴿**هو اجتباكُم**﴾ ياهذه الأمة اللهُ اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم وفضلكم وشرّفكم وخصّكم بأكرم رسول وأكمل شرع، ﴿**وماجعل عليكم في الدِّين مِن حَرَجٍ**﴾ ماكلّفكم مالاتطيقون، وماألزمكم بشيء يشقُّ عليكم إلّا جعل لكم فرجاً ومخرجاً، ﴿**مِلّةَ أبيكم إبراهيم**﴾ [الخطاب لجميع المسلمين وإن لم يكن الجميع من ولده؛ لأنّ حُرْمةَ إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد]، ﴿**هو سَمّاكُمُ المسلمين مِن قبلُ**﴾ سمّاكم المسلمين في الكتب المتقدِّمة، ﴿**وفي هذا**﴾ يعني القرآن [كما في قوله تعالى: ﴿ربَّنا واجعلنا مُسلِمَين لكَ ومِن ذريّتِنا أُمّةً مسلمةً لك﴾]. ﴿**ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم وتكونُوا شهداءَ على النّاس**﴾ إنّما جعلناكم أمةً وسطاً عدولاً خياراً مشهوداً بعدالتكم عند جميع الأُمم لتكونوا يوم القيامة ﴿**شهداءَ على النّاس**﴾ لأنّ جميعَ الأمم معترفة بفضلكم، فلهذا تُقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة في أنّ الرُّسُلَ بلّغتهم رسالةَ ربِّهم، والرسول يشهد على هذه الأمة أنّه بلّغها ذلك. ﴿**فأقيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ**﴾ قابلُوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها؛ فأدّوا حقَّ الله عليكم في أداءِماافترضَ وطاعةِ ماأوجب، ﴿**واعتصِمُوا باللهِ**﴾ اعتضِدُوا بالله واستعينُوا به وتوكلوا عليه ﴿**هو مولاكم**﴾ حافِظُكم وناصِرُكم على أعدائكم ﴿**فنِعْمَ المولَى ونعمَ النَّصِيرُ**﴾.

الآية: ٧٣ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «ومَنْ أظلم ممّن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقُوا مثلَ خلقي ذرّةً أو ذبابةً أو حبّةً» وفي الصحيحين: قال: قال الله عزّ وجل: «ومَنْ أظلمُ ممّن ذهب يخلقُ كخلقي، فليخلقُوا ذرّةً، فليخلقُوا شعيرة»!!؟. /ابن كثير ج٣/٢٣٥/

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

تفسير سورة (المؤمنون)

١: ﴿**قدْ أفلحَ المؤمِنُون**﴾ قد فازُوا وسعِدُوا وحصلُوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفُون بهذه الأوصاف: ٢: ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشِعُون**﴾ خائِفُون ساكنون [بقلوبهم إلى ربِّهم] ٣: ﴿**والذين هم عن اللّغوِ معرِضُون**﴾ عن الباطل، وهو يشتمل الشرك والمعاصي ٤: ﴿**والذين هم للزكاة فاعِلُون**﴾ زكاة الأموال، وزكاة النفوس من الشرك والدنس، كقوله تعالى: ﴿قد أفلحَ مَن زكّاها وقد خابَ مَن دسّاها﴾ ٥: ﴿**والذين هُمْ لِفُروجهم حافِظون**﴾ قد حفظوا فروجَهم من الحرام فلايقعُون فيما نهاهُمُ اللهُ عنه من زنًى ولِوَاط، ولايقربون سوى أزواجهم أو ماملكتْ أيمانُهم ٦: ﴿**إلّا على أزواجِهم أوماملكَتْ أيمانُهم فإنّهم غيرُ مَلُومِين**﴾ فمن تعاطى ماأحَلَّهُ الله له فلالومَ عليه ولاحَرَجَ، ولهذا قال سبحانه: ﴿**فإنّهم غيرُ مَلُومِين**﴾ ٧٠: ﴿**فَمَنِ ابْتغَى وراءَ ذلك فأولئك هُمُ العادُون**﴾ المعتدون [في فعل الزنا واللّوَاط]، [والاستمناء يُجوِّزُهُ الإمامُ أحمد، ويحتج بأنّه إخراج فضلةٍ من البدن فجازَ عندَ الحاجة][(1)] ٨: ﴿**والذين هم لأماناتِهم وعهدِهم رَاعُون**﴾ إذا اؤتِمُنوا لم يخونوا بل يُؤَدُّونها إلى أهلِها، وإذا عاهَدُوا أو عاقدُوا أوْفُوا بذلك، لاكصفات المنافق: إذا وَعَدَ أخلفَ وإذا أوتُمِنِ خان ٩: ﴿**والذين هم على صلواتهم يُحافِظُون**﴾ يواظِبُون عليها في مواقيتها، كما قال ابن مسعود: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاةُ على وقتها» ١٠: ﴿**أولئك هُمُ الوارِثُون**﴾ ١١: ﴿**الذين يرِثُون الفِرْدَوسَ هم فيها خالِدُون**﴾ ثبتَ في الصحيحين: «إذا سألتُم اللهَ الجنّةَ فاسْألُوهُ الفِرْدَوسَ، فإنّه أعلى الجنة، وأوسط الجنة» ١٢: ﴿**ولقدْ خلقنَا الإنسانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طين**﴾ وهذا آدمُ خلقه الله من صفوة الماء والتراب ١٣: ﴿**ثم جعلناهُ نُطفةً في قرارٍ مَكين**﴾ يعني الرحم مُعدٌّ لذلك مهيّأً له ١٤: ﴿**ثم خلقنا النّطفةَ علقةً**﴾ ثم صيّرنا النطفة، وهي الماء الدفق الذي يخرج من صلب الرجل، على شكل العلقة وهي دم ﴿**فخلقنا العَلَقَةَ مُضْغةً**﴾ وهي قطعة من اللّحم لاشكل فيها ولاتخطيط، ﴿**فخلقنا المضغةَ عِظاماً**﴾ شكلناها ذاتَ رأسٍ ويدين ورجلين، ﴿**فكسونا العِظامَ لحماً**﴾ جعلنا على ذلك مايستُرهُ ويشدُّهُ، ﴿**ثم أنشأناه خلقاً آخرَ**﴾ ثم نفخنا فيه الروح فصار خلقاً آخر، ﴿**فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالِقين**﴾ [أي: أتقنُ الصانِعين، فاستحق التعظيم والثناء] ١٥: ﴿**ثم إنّكم بعدَ ذلك لميّتون**﴾ تصيرون إلى العدم ١٦: ﴿**ثم إنّكم يومَ القيامةِ تُبعثَون**﴾ حين ينشِيء اللهُ النشأة الآخرة ١٧: ﴿**ولقد خلقنا فوقَكُم سبعَ طرائق**﴾ سبع سمواتٍ ﴿**وماكنّا عن الخلقِ غافِلين**﴾ لاتحجب عنه سماءٌ سماءً، ولاأرضٌ أرضاً، وهو بما تعملون بصير.

---

(١) قال الإمام ابن حزم: قد تكلّم الناسُ في هذا، فكرهته طائفةٌ، وأباحته أخرى. قال الحسنُ في الرجل يستمني: كانُوا يفعلُونه في المغازِي. وعن جابر بن زيد أبي الشعثاء قال: هو ماؤكَ فأهرقه ـــ يعني الاستمناء. وعن مجاهد قال: كان مَن مضى يأمرون شبابَهم بالاستمناء يستعفّون بذلك وعن عمرو بن دينار: ماأرى بالاستمناء بأساً. /المحلى ج١١/٣٩٣/.

الآية: ١ روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسْمَعُ عند وجهه كدويٌّ كدويّ النحلِ، فلبثنا ساعةً فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللّهمَّ زِدْنَا ولاتنقصنا، وأكرمنَا ولاتُهنّا، وأعطنا ولاتحرمنا، وآثرنا ولاتُؤثر علينا، وارضَ عنّا وأرضِنَا ـ ثم قال ـ لقد أنزل عليَّ عشرُ آياتٍ مَنْ أقامَهُنّ دخل الجنّة، ثم قرأ: ﴿قد أفلحَ =

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

١٨: **﴿وأنزلنا مِنَ السماءِ ماءً بقدَرٍ﴾** يذكر تعالى نعمه على عبيده في إنزاله القطرَ بقدر الحاجة للزرع والشرب والانتفاع به **﴿فأسكنّاهُ في الأرض﴾** يخلد في الأرض، **﴿وإنّا على ذهابٍ بهِ لقادِرُون﴾** لو شئنا أن لاتمطر السماء لفعلنا، ولو شئنا لجعلناهُ أُجاجاً لاينتفع به لشرب ولالسقي لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه يغور إلى مدىً لايصلون إليه لفعلنا، ولكن بلطفه ورحمته يُنزّل عليكم الماء من السحاب عذباً فُراتاً ذُلالاً فيُسكنه في الأرض ويُسلكه ينابيعَ وأنهاراً **١٩**: **﴿فأنشأنا لكم بهِ جَنّاتٍ مِن نخيلٍ وأعنابٍ لكم فيها فواكِهُ كثيرةٌ﴾** أنزلنا من السماء ماءً فأخرجنا به بساتين وحدائق ذات منظر حسن فيها كثير من الثمار، نعمة من الله عليكم **﴿ومنها تأكُلون﴾** **٢٠**: **﴿وشجرةً تخرجُ مِن طُورِ سَيناءَ﴾** يعني: الزيتونة. وطُور سَيناء هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام، وماحوله من الجبال التي فيها شجر الزيتُون، **﴿تنبتُ بالدُّهن﴾** تخرج بالدهن [معنى الآية: تعديد نعمة الزيت على الإنسان، وهي مِن أركان النِّعم التي لاغنىً بالصحة عنها]، **﴿وصِبغٍ﴾** إدام **﴿للآكلين﴾** روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُوا الزيتَ وادّهِنُوا بهِ فإنّه من شجرةٍ مباركةٍ» **٢١**: **﴿وإنّ لكم في الأنعام﴾** [وهي الإبل والبقر والغنم] **﴿لَعِبْرَةً نُسقِيكم مِمّا في بُطونِها ولكم فيها منافعُ كثيرةٌ ومنها تأكلُون﴾** **٢٢**: **﴿وعليها وعلى الفُلْكِ تُحمَلُون﴾** يذكر تعالى ماجعل لخلقه مِن الأنعام من المنافع؛ وذلك أنّهم يشربُون مِن ألبانِها الخارجة من بين فَرْثٍ [وهو ماكان في الأمعاء] ودمٍ، ويأكلُون من لحمها ويركبون ظهورها وينتفعُون من أصوافها وأوبارها وأشعارها **٢٣**: **﴿ولقد أرسلنا نُوحاً إلى قومِهِ﴾** لينذرهم عذاب الله لمن أشرك به وكذّب رسله **﴿فقال ياقومِ اعبُدوا اللهَ مالكم مِن إلهٍ غيرُهُ أفلاتتقون﴾** ألاَ تخافُون من الله في إشراككم به؟! **٢٤**: **﴿فقالَ الملأُ الذين كفروا مِن قومه﴾** وهم السادةُ منهم: **﴿ماهذا إلّا بشرٌ مثلُكم يُريدُ أن يتفضّلَ عليكم﴾** يترفّع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوّة **﴿ولو شاءَ اللهُ لأنزلَ ملائكةً﴾** لو أراد أن يبعثَ نبيّاً لبعثَ ملكاً **﴿ماسمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين﴾** في الدهور الماضية **٢٥**: **﴿إنْ هو إلّا رجلٌ بهِ جِنّةٌ﴾** مجنون **﴿فتربَّصُوا بهِ حتى حين﴾** انتظروا به ريبَ المنون حتى تستريحُوا منه **٢٦**: **﴿قالَ ربِّ انصرني بما كذَّبُون﴾** دعا ربَّهُ ليستنصرَهُ على قومه، فعندَ ذلك أمرَهُ تعالى بصنعة السفينة **٢٧**: **﴿فأوحينا إليه أنِ اصنعِ الفُلْكَ بأعيننا﴾** [أي: متلبّساً بحفظنا وكلاءتنا] **﴿ووحينا فإذا جاءَ أمرُنا وفارَ التَّنُّورُ﴾** فَارَ الماء من التنانير التي هي مكان النّار [إيذاناً بما سيحصل من أمرنا] **﴿فاسْلُكْ فيها﴾** [أي: اجعل فيها] **﴿مِن كلٍّ زوجين اثنين﴾** من ذكر وأنثى **﴿وأهْلَكَ إلّا مَن سبقَ عليهِ القولُ منهم﴾** كابنه وزوجته، **﴿ولاتُخاطِبْني في الذين ظلمُوا إنّهم مغرقُون﴾** لاتأخذنّك رأفة ولاشفقة بقومِكَ فإنّي قد قضيتُ أنّهم مغرقون على ماهم عليه من الكفر والطغيان. وقد تقدم في سورة هود قصة نوح [من الآية ٢٥ــ٤٩].

= المؤمنون﴾ حتى ختم العشر». ورواه الترمذي والنسائي. /ابن كثير ج٣/٢٣٧/

فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٣٥

٢٨: ﴿فإذا استويتَ أنتَ ومَنْ معكَ على الفُلكِ﴾ [أي: راكبين على السفينة] **﴿فقُلِ الحمدُ للهِ الذي نجّانا مِن القومِ الظالمين﴾**، وقد امتثلَ نوحٌ عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وقالَ اركبُوا فيها بسمِ اللهِ مُجراها ومُرساها﴾، فذكرَ اللهَ تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه **٢٩: ﴿وقُلْ ربِّ أنزِلْني منزلاً مُباركاً وأنتَ خيرُ المنزِلين﴾** [وهذا حين خرج من السفينة] **٣٠: ﴿إنّ في ذلكَ لآياتٍ﴾** في هذا الصنيع، وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لَحُججٌ ودلالاتٌ على صدق الأنبياء فيما جاؤوا به عن الله تعالى **﴿وإنْ كُنّا لمُبتَلِين﴾** لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين **٣١: ﴿ثم أنشأنا مِن بعدِهم قرناً آخَرِين﴾** من بعد قوم نوح، والمراد بهم عاد فإنّهم كانوا مستخلَفِين بعدَهم **٣٢: ﴿فأرسلنا فيهم رَسُولاً منهم أنِ اعبُدُوا اللهَ﴾** [وهو هُودٌ عليه السلام] **﴿مالكم مِن إلهٍ غيرُهُ أفلا تتّقون﴾**؟ دعاهم إلى عبادة الله وحدَهُ لاشريكَ له **٣٣: ﴿وقال الملأُ مِن قومه الذين كفرُوا وكذّبوا بلقاءِ الآخرة﴾** السادة الذين استنكفوا عن اتباع رسولهم وكذّبوا بلقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجثماني، **﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾** [أي: وَسّعنا عليهم نِعَمَ الدنيا حتى بطِرُوا]: **﴿ماهذا إلّا بشرٌ مثلُكم يأكلُ ممّا تأكلُون منه ويشربُ ممّا تشربُون﴾** [أي: لافضل له عليكم لأنّه محتاج إلى الطعام والشراب كأنتم] **٣٤: ﴿ولَئِنْ أطعتُم بشراً مثلَكم إنّكم إذاً لخاسِرُون﴾** [بترككم آلهتكم واتباعكم إيّاهُ] **٣٥: ﴿أيَعِدُكم أنّكم إذا مِتُّمْ وكنتُمْ تراباً وعِظاماً أنّكم مُخرَجُون﴾**، [أي: مبعُوثون مِن قبورِكم] **٣٦: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِما تُوعَدُون﴾**!؟ أي: بعيدٌ بعيدٌ ذلك **٣٧: ﴿إنْ هي إلّا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيَا﴾** [ثم صَرَّحُوا بنفي البعث افتراءً على الله فقالوا]: **﴿ومانحنُ بمبعُوثِين﴾**. **٣٨: ﴿إنْ هُوَ إلّا رجلٌ افترى على اللهِ كذباً﴾** أي: فيما جاءكم به من الرسالة والإخبار بالمَعاد **﴿ومانحنُ لهُ بمؤمنين﴾**. **٣٩: ﴿قالَ ربِّ انصُرْني بما كذّبُون﴾** استفتحَ عليهم الرسول واستنصرَ بالله عليهم، فأجاب دعاءَهُ **٤٠: ﴿قالَ عمّا قليلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمين﴾** بمخالفتكَ وعنادِكَ فيما جئتَهم به **٤١: ﴿فأخذتْهُمُ الصيحةُ بالحقّ﴾** وكانوا يستحقون ذلك مِن الله بكفرهم وطُغيانهم، والظاهر أنّه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصَّرْصَرِ العاصف القويّ البارد، كما قال تعالى: ﴿تُدمِّرُ كلَّ شيءٍ بأمرِ ربِّها فأصبحُوا لايرى إلّا مساكنهم﴾، **﴿فجعلناهم غُثاءً﴾** أي: صرعَى هَلْكَى كَغُثاءِ السيل، **﴿فبُعداً للقومِ الظالمين﴾** كما قال تعالى: ﴿وماظلمناهم ولكن كانوا هُمُ الظالمين﴾ بكفرهم وعنادِهم ومخالفتهم رسولَ الله، فليحذرِ السامعُون أنْ يُكذِّبُوا رسولَهم **٤٢: ﴿ثم أنشأنا مِن بعدِهم قروناً آخرين﴾** أُمماً وخلائق. [يريد: بني إسرائيل].

الآية: ٣٠ ﴿إنّ في ذلك لآيات﴾ قال القرطبي: أي في أمر نوح والسفينة وإهلاك الكافرين ﴿لآيات﴾ أي دَلالات على كمال قدرة الله تعالى، وأنّه ينصر أنبياءه ويهلك أعداءهم، ﴿وإن كنّا لمبتَلين﴾ أي ماكنّا إلّا مبتلين الأمم قبلكم؛ أي مختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم، ليظهر المطيع والعاصي، فيتبيّن للملائكة حالهم، لأن يستجدَّ الرّبّ [سبحانه وتعالى] علماً.

الآية: ٣٧ ﴿إنْ هي إلّا حياتنا الدنيا﴾ أي ماالحياة إلّا مانحن فيه لاالحياة الآخرة التي تعدنا بعد البعث ﴿نموتُ ونحيا﴾ أي حياتنا الدنيا نحيا فيها ونموت، أي يموت الآباء ويحيى الأبناء. /القرطبي ج١٢/١٢٠ ـ ١٢٤/

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣: ﴿**ماتسبِقُ مِن أمّةٍ أجلَها ومايستأخِرُون**﴾ يعني: بل يُؤخَذُون على حسب ماقدَّر لهم تعالى في كتابه المحفوظ ٤٤: ﴿**ثم أرسلنا رُسُلنا تترًا**﴾ يتبعُ بعضُهم بعضاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كلِّ أُمّةٍ رَسُولاً أنِ اعبُدُوا الله واجتنبوا الطّاغُوت﴾، ﴿**كلَّ ماجاءَ أمّةً رسولُها كذّبُوه**﴾ يعني: جمهورُهم وأكثرُهم، ﴿**فأتبَعنا بعضَهُم بعضاً**﴾ أهلكناهم، كما قال تعالى: ﴿وكم أهلكنا مِن القرون مِن بعدِ نُوحٍ﴾، ﴿**وجعلناهم أحاديثَ**﴾ أخباراً وأحاديثَ للنّاس ٤٥: ﴿**ثمّ أرسلنا موسَى وأخاهُ هارُونَ**﴾ إلى فرعون ومَلَئِهِ ﴿**بآياتِنَا**﴾ الحجج الدّامِغات والبراهين القاطِعات، ﴿**وسُلطانٍ مُبين**﴾ ٤٦: ﴿**إلى فرعونَ وملإيه فاستكبرُوا**﴾ عن اتباعِهما والانقياد لأمرهما ﴿**وكانوا قوماً عَالِين**﴾ [أي: متكبِّرين ظالِمين] ٤٧: ﴿**فقالوا أنُؤمِنُ لِبَشَرين مثلِنا وقومُهُما لنا عابدُون**﴾؟ [أي: منقادُون مطيعُون] ٤٨: ﴿**فكذّبُوهُمَا فكانُوا مِن المُهلَكِين**﴾ [أي: بالغرق بالبحر] ٤٩: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتابَ لعلّهم يهتدُون**﴾ أنزل الله عليه التوراة فيها أحكامُه وأوامِرُه ونواهيه ٥٠: ﴿**وجعلنا ابن مريم وأُمّهُ آيةً**﴾ عيسى بن مريم جعلهما الله للنّاس آيةً وحُجّةً قاطعةً على قدرته على مايشاء، فإنّه خلق آدمَ من غير أب ولاأمّ، وخلق حوّاء من ذكر بلاأنثى، وخلق عيسى من أنثى بلاذكر، وخلق بقيّة النّاس من ذكرٍ وأنثى. ﴿**وآوَيْنَاهُما إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعِين**﴾ إلى مكان مرتفع من الأرض، وهو أحسن مايكون فيه النبات، ومعين: أي ماء ظاهراً جارياً. قال سعيد بن المسيّب: هي دمشق، وقال مجاهد: غوطة دمشق وماحولها ٥١: ﴿**ياأيُّها الرُّسُلُ كلُوا مِن الطيّباتِ واعملُوا صالِحاً**﴾ يأمر الله تعالى عبادَه المرسَلين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال ﴿**إنّي بما تعملون عليمٌ**﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ياأيُّها النّاسُ إنّ الله طيّبٌ لايقبلُ إلّا طيّباً، وإنّ اللهَ أمرَ المؤمنين بماأمرَ بهِ المرسلين» ثم تلا هذه الآية ٥٢: ﴿**وإنّ هذهِ أُمتكم أُمّةً واحدةً**﴾ دينكم يامعشر الأنبياء دين واحد ومِلّة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده ﴿**وأنا ربُّكم فاتّقون**﴾ ٥٣: ﴿**فتقطّعوا**﴾ الأمم الذين بعثت إليهم الأنبياء ﴿**أمرَهم بينهم زُبُراً كلُّ حِزْبٍ بما لَديهم فرِحُون**﴾ يفرحون بما هم فيه من الضلال؛ لأنّهم يحسبُون أنّهم مهتدون ٥٤: ﴿**فذرْهم في غمرتهم**﴾ في غيّهم وضلالهم ﴿**حتى حِين**﴾ إلى حين هلاكهم ٥٥: ﴿**أيحسَبُون أنّما نُمِدُّهُمْ بهِ مِن مالٍ وبنين**﴾ ٥٦: ﴿**نُسارِعُ لهم في الخيراتِ بلْ لايُشعِرُون**﴾ أيظنّ هؤلاء أنّ مانُعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا كلّا إنّما نفعلُ بهم ذلك استدراجاً ٥٧: ﴿**إنّ الذين هم مِن خشيةِ ربِّهم مُشفِقُون**﴾ مع إيمانِهم وإحسانِهم خائفُون من الله، فجمعوا إحساناً وشفقةً، والكافر جمع إساءةً وآمناً ٥٨: ﴿**والذين هُم بآياتِ ربِّهم يُؤمنون**﴾ يُؤمنون بآياته الكونية والشرعية ٥٩: ﴿**والذين هم بربِّهم لايُشرِكون**﴾ لايعبدُون معه غيره، بل يعبدونه وحده لاشريك له.

الآية: ٥١ الحلال: هو الكسب المشروع. وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ: «ومامن نبيّ إلاّ رعى الغنم» قالوا: وأنتَ يارسول الله؟ قال: «نعم، وأنا كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة». /ابن كثير ج٣/٢٤٦/

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٦٠: ﴿والذين يُؤْتون ماآتَوْا وقُلوبُهم وَجِلَةٌ أنّهم إلى ربِّهم راجعون﴾ يُعطون العطاء وهم خائفون أنْ لايُتقبل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصّروا، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط **٦١: ﴿أولئك يُسارعون في الخيرات وهم لها سابِقون﴾** [أي: يُسارعون في الطاعات، وهم من أجل الخيرات سابِقون] **٦٢: ﴿ولانُكلِّفُ نفساً إلّا وُسْعَهَا﴾** أي: إلّا ماتُطيق حمله والقيام به، **﴿ولدينا كتابٌ ينطِقُ بالحق﴾** يوم القيامة **﴿وهم لايُظلَمون﴾** حين يُحاسبهم **٦٣: ﴿بلْ قلوبُهم في غمرةٍ﴾** في غفلةٍ وضلال **﴿من هذا﴾** القرآن **﴿ولهم أعمالٌ مِن دُون ذلك هم لها عامِلُون﴾** لهم أعمال سيّئة من دون الشرك، لابُدَّ أن يعملوها قبل موتهم لتحقَّ عليهم كلمةُ العذاب **٦٤: ﴿حتى إذا أخذنا مُترفيهم بالعذاب إذا هُم يجأرون﴾** يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذابُ الله وبأسُهُ ونقمتُهُ بهم **﴿إذا هم يجأرون﴾** يصرخون ويستغيثُون **٦٥: ﴿لاتجأرُوا اليومَ إنّكم منّا لاتُنصَرُون﴾** لايجيركم أحدٌ ممّا حلَّ بكم **٦٦: ﴿قد كانتْ آياتي تُتلَى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصُون﴾** إذا دُعيتم أبيتم، وإن طُلبتم امتنعتم، كما قال تعالى: ﴿ذلكم بأنّه إذا دُعيَ اللهُ وحدَهُ كفرتم وإنْ يشركْ بهِ تُؤمِنُوا فالحكمُ للهِ العليِّ الكبير﴾ **٦٧: ﴿مستكبرين بهِ سَامِراً تهجُرُون﴾** كانوا يذكرُون القرآن بالهجر من الكلام: إنّه سحر، إنّه شعر، إنّه كهانة، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة **٦٨: ﴿أفلم يَدّبّرُوا القولَ﴾** يُنكر الله على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم، **﴿أم جاءَهم مالم يأتِ آباءَهُمُ الأوّلين﴾** إنّهم قد خُصُّوا بهذا الكتاب الذي لم يُنزّل الله على رسولٍ أكمل منه ولاأشرف، لاسيا آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولاأتاهم نذير، أي: كان اللائق بهم أن يقابلوا هذه النعمة بشكرها وتفهمها **٦٩: ﴿أمْ لَمْ يعرِفُوا رسولَهم فهم له منكرون﴾** أفهم لايعرفون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وصدقه وأمانته؟ أفيقدرون على إنكار ذلك؟ **٧٠: ﴿أم يقولُون بهِ جِنّةٌ بل جاءَهم بالحقّ﴾** يقولون به جنون، فتحدّاهم وجميع مَن في الأرض أن يأتوا بمثله فما استطاعوا، ولهذا قال تعالى: **﴿بل جاءهم الحقُّ وأكثرُهم للحقّ كارِهُون﴾ ٧١: ﴿ولو اتّبعَ الحقُّ أهواءَهم﴾** لو أجابهم الله إلى مافي نفوسهم من الهوى **﴿لفسدتِ السمواتُ والأرضُ ومَن فيهن بلْ آتيناهم بذكرِهم﴾** القرآن **﴿فهم عن ذكرِهم مُعرِضُون﴾ ٧٢: ﴿أم تسألُهم خرْجاً﴾** أجراً وجُعْلاً **﴿فخراجُ ربِّك خيرٌ﴾** أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيلَ ثوابه، **﴿وهو خيرُ الرّازِقِين﴾** [أي: ليس يقدر أحدٌ أن يرزق مثل رزقه] **٧٣: ﴿وإنّك لتدعُوهم إلى صراطٍ مستقيم﴾** [أي: إلى الدِّين القويم، وهو الإسلام] **٧٤: ﴿وإنّ الذين لايُؤمنون بالآخرةِ عنِ الصراط لناكبُون﴾** لعادِلُون حائرون منحرفون. ونكب فلان عن الطريق: إذا زاغَ عنها.

الآية: ٦٠ روى الإمام أحمد عن عائشة أنّها قالت: يارسول الله ﴿الذين يُؤْتون ماآتَوْا وقلوبهم وَجِلة﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عزّ وجلّ؟ قال: «لا يابنتَ الصّدّيق؟ ولكنّه الذي يصلّي ويصوم ويتصدّق وهو يخاف الله عزّ وجلّ». وفي رواية عند الترمذي: «لا ياابنة الصّدّيق، ولكنّهم الذين يصلون ويصومون ويتصدّقون وهم يخافون ألاّ يُتقبّلَ منهم». /ابن كثير ج٣/٢٤٨/

الحزب ٣٥

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٧٥: ﴿ولو رَحِمْنَاهم وكشفنَا مابهم مِن ضُرٍّ لَّلَجُّوا في طُغيانِهم يعمُهون﴾ يُخبر تعالى عن غِلَظِهم في كفرهم بأنّه لو أزاحَ عنهم الضرّ وأفهمهم القرآن لَما انقادُوا له ولا ستمرُّوا على كفرهم وعنادِهم، وهذا من باب علمه تعالى **٧٦: ﴿ولقد أخذنَاهم بالعذابِ﴾** ابتليناهم بالمصائب والشدائد **﴿فما استكانُوا لربِّهم ومايتضرَّعون﴾** فماردَهم ذلك عمّا كانوا فيه من الكفر **٧٧: ﴿حتى إذا فتحنَا عليهم باباً ذَا عذابٍ شديد إذا هم فيه مُبلِسُون﴾** حتى إذا جاءَهم أمرُ اللهِ وجاءتهم الساعةُ بغتةً فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونُوا يحتسبون فعندَ ذلك أبلسُوا مِن كلِّ وأيسُوا من كلِّ راحة **٧٨: ﴿وهو الذي أنشأَ لكُمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدَة قليلاً ماتشكرون﴾** جعلَ تعالى نعمَهُ على عباده من السمع والأبصار والأفئدة، وهي العقول والفهوم، التي يعتبرون بها بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله، وماأقلّ شكركم لله على ماأنعم به عليكم **٧٩: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرضِ وإليهِ تُحشَرون﴾** هو الذي ذرأ الخليقة في سائر أقطار الأرض ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين **٨٠: ﴿وهو الذي يُحيي ويُميت﴾** يُحيي الرميم، ويميتُ الأمم، **﴿وله اختلافُ اللّيلِ والنّهارِ﴾** وعن أمره تسخير الليل والنّهار، كلٌّ منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً يتعاقبان لايفتران **﴿أفلاتعقِلُون﴾**؟ أفليسَ لكم عقول تدلّكم على العزيز العليم؟ ثم قال تعالى مخبراً عن منكري البعث الذين أشبهُوا مَن قبلهم من المكذبين: **٨١: ﴿بلْ قالُوا مِثْلَ ماقالَ الأوّلُون﴾ ٨٢: ﴿قالُوا أئذا مِتْنا وكُنّا تراباً وعِظاماً أئنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾**؟ يستبعدون وقوعَ ذلك بعد صيرورتهم إلى البِلَى **٨٣: ﴿لقدْ وُعِدْنَا نحنُ وآباؤنا هذا مِن قبلُ إنْ هذا إلّا أساطيرُ الأوّلين﴾** يعنُون: الإعادة مُحالة، إنّما يُخبر بها مَن تلقاها عن كتب الأولين، وهذا إنكارٌ وتكذيب منهم **٨٤: ﴿قُلْ لِمَنِ الأرضُ ومَنْ فيها إنْ كنتم تعلمون﴾؟ ٨٥: ﴿سيقولُون للهِ قُلْ أفلا تذكّرُون﴾؟ ٨٦: ﴿قُلْ مَنْ ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ﴾؟ ٨٧: ﴿سيقولُون للهِ قُلْ أفلاتتّقُون﴾**؟ يُقرِّرُ تعالى وحدانيّتهُ واستقلالَهُ بالخلق والتصرّف والملك ليرشد إلى أنّه الله الذي لاإلهَ إلّا هو، ولاتنبغي العبادة إلّا له وحدَهُ لاشريكَ له؛ أي: إذا كنتم تعترفُون بأنّه ربُّ السمواتِ وربُّ العرشِ العظيم؛ أفلا تخافُون عقابَهُ وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيرَهُ وإشراككم به؟! **٨٨: ﴿قُلْ مَنْ بيدِهِ ملكُوتُ كلِّ شيءٍ﴾** بيده المُلْك **﴿وهو يُجيرُ ولايُجارُ عليه﴾** [أي: يمنعُ ولايُمنَعُ منه] وهو السيّدُ العظيم الذي لاأعظمَ منه **﴿إنْ كنتم تعلمون﴾؟! ٨٩: ﴿سيقُولُون للهِ﴾** سيعترفون أنّ السيّد العظيم الذي يُجيز ولايُجَارُ عليه هو الله تعالى وحدَهُ لاشريك له **﴿قُلْ فأنّى تُسْحَرُون﴾**؟ فكيف تذهب عقولُكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك؟!.

الآية: ٨٦ العرش: سقف المخلوقات، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شأنُ الله أعظم من ذلك، إنّ عرشه على سماواته هكذا» وأشار بيده مثل القُبّة. وفي الحديث الآخر: «ماالسماوات السبع والأرضون السبع ومابينهنّ ومافيهنّ، في الكرسيّ، إلاّ كحلقة بأرضٍ فلاةٍ، وإنّ الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفَلاة». /ابن كثير ج٣/٢٥٣/

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٩٠: ﴿بلْ آتيناهُم بالحقِّ وإنّهم لكاذِبُون﴾ أعلمناهم بأنّه لاإلهَ إلّا اللهُ وأقمنا الأدلّة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك، وإنّهم لكاذِبُون في عبادتهم مع الله غيره ولادليلَ لهم على ذلك **٩١: ﴿ماتخذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وماكانَ معه من إلهٍ﴾** نزّهَ تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك، **﴿إذاً لَذَهبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ﴾** لو قدر تعدّد الآلهة لانفرَدَ كلٌّ منهم بما خلق **﴿ولعلاَ بعضُهم على بعضٍ﴾** لكانَ كلٌّ منهم يطلبُ قهرَ الأخر وخلافَهُ **﴿سبحانَ اللهِ عمّا يصِفُون﴾** عمّا يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوّاً كبيراً **٩٢: ﴿عالِمُ الغيبِ والشهادة﴾** يعلم مايغيبُ عن المخلوقات ومايُشاهدُونه **﴿فتعالَى عمّا يُشرِكُون﴾** تقدّس وتنزّهَ عمّا يقولُ الظالِمُون والجاحِدُون **٩٣: ﴿قُلْ ربِّ إمّا تُرِيَنِّي مايُوعَدُون﴾ ٩٤: ﴿ربِّ فلاتجعلني في القومِ الظالمين﴾** يأمرُ اللهُ تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعُوَ بهذا الدعاء عندَ حُلُول النِّقم، أي: إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلاتجعلني فيهم، كما جاء في دعائه صلى الله عليه وآله وسلم: «وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فتوفني إليكَ غيرَ مفتُون» رواه الترمذي وصححه **٩٥: ﴿وإنّا على أنْ نُرِيَكَ مانعِدُهُم لقادِرُون﴾** أي: لو شئنا لأريناك مانحِلُّ بهم مِن النِّقَم والبلاء والمِحَن. ثم قال تعالى مرشداً إلى الترياق النّافع في مخالطة النّاس وهو الإحسان إلى مَن يسيء إليه ليستجلب خاطره فتعود عداوتُهُ صداقةً، وبغضُهُ محبّةً فقال تعالى **٩٦: ﴿ادْفعْ بالتي هي أحسنُ السّيّئةَ﴾** عاملهم بالجميل مع إسدائهم إليك القبيح **﴿نحْنُ أعلمُ بما يصفون﴾ ٩٧: ﴿وقُلْ ربِّ أعُوذ بكَ مِن همزاتِ الشياطين﴾** أمره تعالى أن يستعيذَ من الشياطين لأنّهم لاتنفعُ معهم الحِيَل ولاينقادُون بالمعروف **٩٨: ﴿وأعوذُ بكَ ربِّ أن يَحْضُرُون﴾** في شيءٍ من أمري. ولهذا أمرَ صلى الله عليه وآله وسلم بذكر الله في ابتداء الأمور لطرد الشيطان **٩٩: ﴿حتى إذا جاء أحدَهُمُ الموتُ قالَ ربِّ ارْجِعُونِ﴾** يُخبر تعالى عن حال الكافِر المحتضر عند الموت وسؤاله الرجعة إلى الدنيا ليُصلحَ ماكان أفسدَه، ولهذا يقول: **﴿ربِّ ارجعُونِ﴾ ١٠٠: ﴿لعلّي أعملُ صالحاً فيما تركتُ﴾** [أي: فيما ضيّعتُ من طاعة ربي، فيُجيبه] **﴿كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلُها﴾** كلّا: حرف ردع وزجر؛ أي لانجيبه إلى ماطلب، **﴿إنّها كلمة هو قائلُها﴾** لابُدّ أن يقولَها لامحالةَ كلُّ محتضرٍ ظالم. **﴿ومِن ورائِهم بَرْزَخٌ إلى يوم يُبْعَثون﴾** أي: من أمامهم البرزخ الحاجز مابين الدنيا والآخرة. فيه تهديدٌ لهؤلاء المحتضرين الظلمة بعذاب البرزخ **١٠١: ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أنساب بينهم يومئذٍ﴾** لا تنفع الأنساب يومئذٍ **﴿ولا يتساءَلُون﴾ ١٠٢: ﴿فمَنْ ثَقُلَتْ موازينُهُ فأولئكَ هُمُ المُفْلِحُون﴾** الذين فازُوا فنجَوْا مِن النّار وأُدْخِلُوا الجنّة **١٠٣: ﴿ومَن خفّتْ موازينُهُ﴾** ثَقُلَتْ سيّئاتُهُ على حسناته **﴿فأولئك الذين خَسِرُوا أنفسَهم﴾** خابُوا وهلكُوا **﴿في جهنّم خالِدُون﴾ ١٠٤: ﴿تلفَحُ وُجُوهَهُمُ النّار وهم فيها كالِحُون﴾** عابسُون.

الآية: ٩٨ روى أبو داود أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «اللّهمّ إنّي أعوذُ بكَ من الهَرَم، وأعوذُ بك من الهَدْم ومن الغرق، وأعوذ بك أن يتخبّطني الشيطانُ عندَ الموت». وروى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: كان رسول الله ﷺ يُعلّمنا كلماتٍ يقولهُنَّ عند النوم من الفزع: «بسم الله أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامّة من غضبه وعقابه، ومن شرّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون». /ابن كثير ج٣/٢٥٤ – ٢٥٥/

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ — ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

١٠٥: ﴿أَلَمْ تكُنْ آياتِي تُتْلَى عليكم فكنتُم بها تُكذِّبُون﴾؟ هذا تقريعٌ مِن الله وتوبيخٌ لأهل النّار على ماارتكبُوهُ مِن الكفر **١٠٦: ﴿قالوا ربَّنا غَلَبَتْ علينا شِقْوَتُنا وكُنّا قوماً ضالِّين﴾** قد قامَتْ علينا الحُجّةُ ولكنْ كُنّا أشقى من أن ننقادَ لها ونتّبعها فضللنا عنها **١٠٧: ﴿ربَّنا أخرجنا منها فإنْ عُدْنَا فإنّا ظالِمُون﴾** اردِدنا إلى الدنيا، فإن عُدنا إلى ماسلفَ منّا فنحنُ مُستحِقُّون للعقوبة **١٠٨: ﴿قال اخسَـؤوا فيها ولاتكلِّمُون﴾** هذا جوابهم من الله تعالى إذا سألُوا الخروجَ من النار، فليس لهم بعدها كلمة واحدة، وماهو إلّا الزفير والشهيق في النّار **١٠٩: ﴿إنّه كان فريقٌ مِن عبادِي يقولُون ربَّنا آمنّا فاغفِرْ لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الراحمين﴾** فكانُوا يستهزِئون بعبادِهِ المؤمنين **١١٠: ﴿فاتّخذتُمُوهم سِخْرِيّاً﴾** فسخرتم منهم في دعائهم إيّايَ وتضرّعهم إليّ **﴿حتى أنسَوْكم ذِكْرِي﴾** حملكم بُغضُهم على أن نسيتُم معاملتي **﴿وكنتُم منهم تضحَكُون﴾** من صنيعهم وعبادتهم، كما قال تعالى: ﴿إنّ الذين أجْرَمُوا كانُوا مِن الذين آمنوا يضحكون وإذا مَرُّوا بهم يتغامَزُون﴾ يلمزونهم استهزاءً، ثم أخبر تعالى عمّا جازَى بهِ أولياءَهُ فقال: **١١١: ﴿إنّي جزيتُهُمُ اليومَ بما صبرُوا﴾** على أذاكم لهم واستهزائكم بهم **﴿أنّهم هم الفائزون﴾** بالسعادة والجنّة والنّجاةِ من النّار **١١٢: ﴿قالَ كم لبثتُم في الأرضِ عَدَدَ سِنِين﴾** كم كانت إقامتكم في الدنيا؟ **١١٣: ﴿قالُوا لَبِثْنا يوماً أو بعضَ يومٍ فاسْألِ العَادِّين﴾** أي: الحاسبين **١١٤: ﴿قالَ إنْ لَبِثْتُم إلّا قليلاً﴾** مُدّةً يَسِيرةً على كل تقدير، **﴿لو أنّكم كنتُم تعلَمُون﴾** لَما آثرتم الفاني على الباقي **١١٥: ﴿أفَحَسِبْتُم أنّما خلقناكم عَبَثاً﴾**؟ أفظننتُم أنّكم مخلوقون عَبَثاً بلاقصدٍ ولاحكمةٍ منّا؟ **﴿وأنّكم إلينا لاتُرجَعُون﴾** لاتعُودون في الآخرة؟! **١١٦: ﴿فتعالى اللهُ الملِكُ الحقُّ﴾** تقدّس أن يخلق شيئاً عَبَثاً فإنّه الملك الحقّ المنزّه عن ذلك **﴿لاإلهَ إلّا هو ربُّ العرشِ الكريم﴾** فذكر العرش لأنّه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنّه كريم، أي: حسنُ المنظر بهيُّ الشكل **١١٧: ﴿ومَن يدعُ معَ اللهِ إلهاً آخرَ لابرهانَ لهُ بهِ فإنّما حِسَابُه عندَ ربِّه﴾** يحاسبُه الله على ذلك. وتوعّدٌ من الله تعالى لمن أشرك به غيره وعبد معه سواه، **﴿إنّه لايُفلحُ الكافِرون﴾** لافلاحَ لهم يوم القيامة ولانجاة. قال قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل: «ماتعبدُ»؟ قال: أعبُدُ اللهَ وكذا وكذا، حتى عدّدَ أصناماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأيُّهم إذا أصابك ضُرٌّ فدعوتَهُ كشفه عنك؟» قال: اللهُ عزّ وجلّ. قال: «فأيُّهم إذا كانت لك حاجةٌ فدعوتَهُ أعطاكها؟» قال: اللهُ عزّ وجل، قال: «فما يحمِلُكَ على أن تعبدَ هؤلاء معه؟ أم حسبتَ أن تغلبَ عليه؟!» قال: أردتُ شكرَهُ بعبادة هؤلاء معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تَعْلَمُون ولايَعْلَمُون»؟! فأسلم الرجل. ورواه الترمذي نحواً من هذا **١١٨: ﴿وقُلْ ربِّ اغفِرْ وارْحَمْ وأنتَ خيرُ الراحمين﴾** هذا إرشادٌ من الله تعالى إلى هذا الدعاء. فالغفرُ إذا أُطلق أطلق معناه محوُ الذنب وستره على النّاس. والرحمةُ معناها أن يسدِّدَهُ ويوفقه في الأقوال والأفعال.

الآية: ١١٨ كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «اللّهمَّ إنّي أعوذُ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عُقُوبتِكَ، وأعوذُ بك منك لاأُحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ» رواه مسلم رقم ٤٨٦/.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

الجزء ٣٥

تفسير سورة النُّور

١: **﴿سورة أنزلناها﴾** فيه تنبيهٌ على الاعتناء بها **﴿وفرضناها﴾** بيّنّا الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود. **﴿وأنزلنا فيها آياتٍ بيّناتٍ﴾** مفسّرات واضحات **﴿لعلّكم تذكّرون﴾** **٢**: **﴿الزانيةُ والزاني فاجلِدُوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدة﴾** وهو بكر لم يتزوّج، وأما المتزوّج المحصن فحكمه الرجم. **﴿ولاتأخذْكم بهما رأفةٌ في دين الله﴾** شدّدُوا الضرب ولكن ليس مبرحاً، ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك **﴿إن كنتم تُؤمنون بالله واليوم الآخِر. وليشهدْ عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين﴾** ليكون أبلغ في زجرهما، فإنّ في ذلك تقريعاً وتوبيخاً وفضيحة إذا كان النّاسُ حُضُوراً **٣**: **﴿الزّاني لاينكِحُ إلّا زانيةً﴾** لأيطاوعه على مراده من الزنا إلّا زانية عاصية **﴿أومشركة﴾** لاترى حُرمة ذلك. وكذلك **﴿الزّانيةُ لاينكحها إلّا زانٍ﴾** عاصٍ بزناه **﴿أو مشرك﴾** لايعتقد تحريمه، **﴿وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين﴾** تعاطيه والتزويج بالبغايا والفجّار. فإن حصلتْ توبة فإنّه يحِلُّ التزويج **٤**: **﴿والذين يَرْمُونَ المُحصناتِ ثم لم يأتُوا بأربعةِ شهداءَ فاجلِدُوهم ثمانينَ جَلْدةً﴾** هذا حكم القاذف للمحصنة والمحصن **﴿ولاتقبلُوا لهم شهادةً أبداً وأولئك هُمُ الفاسِقُون﴾** فأوجب على القاذف إذا لم يُقم البيّنة على صحة ماقالهُ ثلاثةَ أحكام: أن يُجلدَ ثمانين جلدة. وأن تُردّ شهادتُه أبداً. وأنّه يكون فاسقاً ليسَ بِعَدْلٍ **٥**: **﴿إلّا الذين تابُوا مِن بعدِ ذلك وأصْلَحُوا﴾** فيرتفع الفِسقُ بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة، إلّا أن يعترف على نفسه أنّه قد قال البهتان، فهذا تُقبل شهادته، **﴿فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾** **٦**: **﴿والذين يرمُون أزواجَهم ولم يكُنْ لهم شهداءُ إلا أنفسُهم فشهادةُ أحدِهم أربعُ شهاداتٍ بالله إنه لَمِنَ الصادِقين﴾**، هذا مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسّر عليه إقامة البيّنة أن يُلاعِنَها، فيُحلّفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنّه لمن الصادقين فيما رَمَاهَا **٧**: **﴿والخامسةُ أنّ لعنةَ اللهِ عليه إن كان مِنَ الكاذبين﴾** فإذا قال ذلك بانت منه زوجته وحرمت عليه أبداً **٨**: **﴿ويَدْرأُ عنها العذابَ أن تشهدَ أربعَ شهاداتٍ باللهِ إنّه لَمِنَ الكاذبين﴾** ولايدرأ عنها العذاب إلّا أن تُلاعِنَ فتشهد أربع شهادات بالله إنّه لَمِنَ الكاذبين، أي: فيما رماها به **٩**: **﴿والخامسةُ أنّ غضبَ اللهِ عليها إنْ كانَ مِنَ الصّادِقين﴾** فخصّها بالغضب، كما أنّ الغالب أنّ الرجل لايتجشّمُ فضيحةَ أهله ورميها بالزنا إلّا وهو صادقٌ معذورٌ، وهي تعلمُ صدقَهُ فيما رماها به، ولهذا كانت الخامسة في حقّها أنّ غضب الله عليها، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحقّ ثم يحيدُ عنه. ثم ذكر تعالى رأفتَهُ ولطفه بهم فيما شرع لهم مِن الفَرَج والمخرج مِنْ شدّة مايكون بهم مِن الضيق فقال تعالى: **١٠**: **﴿ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُهُ﴾** لَحُرِجْتُم ولشقّ عليكم كثيرٌ من أموركم **﴿وأنّ الله توّابٌ﴾** على عباده **﴿حكيمٌ﴾** فيما يشرعُه ويأمرُ بهِ وينهَى عنه.

الآية: ٢ ثبت في الصحيحين أنّ عمر بن الخطاب خطب فقال: «أمّا بعد أيّها النّاس، فإنّ الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى أن يطول بالنّاس زمان أن يقول قائل: لانجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة قد أنزلها الله، فالرجم في كتاب الله حقّ على مَنْ زنى إذا أحصن من الرجال ومن النساء، إذا قامت البيّنة أو الحمل أو الاعتراف». /ابن كثير ج٣/٢٦٠/

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١١: **﴿إنّ الذين جاؤو بالإفكِ عُصبة منكم لاتحسَبُوهُ شرّاً لكم بل هو خيرٌ لكلّ امرىءٍ منهم ماكتسَبَ من الإثم والذي تولّى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيم﴾** هذه العشرُ الآيات كلّها نزلت في شأن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهلُ الإفك والبُهتان مِن المنافقين بما قالوه من الكذب والفرية التي غارَ اللهُ عزّ وجلّ لها فأنزل الله تعالى براءتها صيانةً لعرض رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. **﴿لاتحسبُوهُ شرّاً لكم﴾** ياآلَ أبي بكر **﴿بل هو خيرٌ لكم﴾** بإظهار شرفكم باعتناء الله تعالى بأمّ المؤمنين عائشة حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم. **﴿لكل امرىءٍ منهم﴾** ممن رمى أم المؤمنين بالفاحشة نصيب عظيم من العذاب **﴿ماكتسب من الإثم﴾**، **﴿والذي تولّى كِبْرَهُ﴾** إشاعته وإذاعته **﴿له عذابٌ عظيم﴾** وهو عبدالله بن أُبَيّ ابن سَلول لعنه الله ١٢: **﴿لولا﴾** هَلّا **﴿إذ سمعتُموهُ﴾** ذلك الكلام على أمّ المؤمنين **﴿ظنّ المؤمنون والمؤمناتُ بأنفسِهم خيراً﴾** هَلّا ظنّوا الخيرَ بأم المؤمنين **﴿وقالوا هذا إفكٌ مُبين﴾** كذبٌ ظاهر على أم المؤمنين ١٣: **﴿لولا﴾** هَلّا **﴿جاؤوا عليه﴾** على ماقالوهُ **﴿بأربعة شُهداءَ﴾**؟ يشهدُون على ماجاؤوا به **﴿فإذ لم يأتوا بالشهداءِ فأولئك عندَ الله هم الكاذبُون﴾** الفاجرون ١٤: **﴿ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة﴾** أيها الخائضُون في شأن عائشة بأنْ قَبِلَ توبتكم **﴿لَمَسّكُم في ماأفضتُم فيه عذابٌ عظيم﴾** في قضية الإفك. وهذا فيمن عنده إيمان أمّا المنافقين فليس أولئك مرادين في هذه الآية ١٥: **﴿إذ تَلَقّوْنَهُ بألسنتِكم﴾** «تَلَقّوْنَهُ» مِن وَلَقِ اللّسان، وهو الكذب الذي يستمرّ صاحبهُ عليه، **﴿وتقُولون بأفواهِكم ماليسَ لكم به علم﴾** تقولون مالاتعلمون، **﴿وتحسَبُونَهُ هَيّناً وهو عندَ الله عظيم﴾** كيف يكون هذا في سيّدة نساء الأنبياء وزوجة سيّد ولد آدم على الإطلاق؟! ١٦: **﴿ولولا إذ سمعتُمُوهُ قُلتم مايكونُ لنا أن نتكلّم بهذا سبحانَكَ هذا بُهتانٌ عظيمٌ﴾** هذا تأديبٌ آخرَ بعدَ الأوّل بظنّ الخير؛ أي: ماينبغي لنا أن نتفوّهَ بهذا الكلام ولانذكره، سبحانك أن يُقال هذا البُهتان على زوجة رسولك! ١٧: **﴿يعظُكُم الله أن تعودُوا لمثلِه أبداً﴾** ينهاكم الله مُتوعّداً أن يقعَ منكم مايُشبهُ هذا أبداً **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** بالله وتُعظّمون رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم ١٨: **﴿ويُبيّنُ الله لكمُ الآياتِ﴾** يُوضح لكم الأحكامَ الشرعية **﴿والله عليمٌ حكيم﴾** عليم بما يُصلح عباده، حكيم في شرعه وقدره ١٩: **﴿إنّ الذين يُحبُّون أن تشيعَ الفاحِشةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ﴾** هذا تأديبٌ ثالث لِمَنْ سمعَ شيئاً مِن الكلام السيّىء فقام بذهنه شيءٌ منه، فلا يُشيعُه ولايُذيعُهُ، **﴿لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا﴾** بالحَدِّ **﴿والآخرة﴾** بالعذاب الأليم، **﴿والله يعلمُ وأنتم لاتعلمون﴾** فردُّوا الأمورَ إليه تُرشَدُوا. روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لاتؤذُوا عبادَ اللهِ ولاتُعيّرُوهم، ولاتطلبُوا عوراتِهم، فإنّه مَن طلب عورة أخيه المسلم طلبَ اللهُ عورتَهُ حتى يفضحَهُ في بيتِهِ» ٢٠: **﴿ولولا فَضلُ اللهِ عليكم ورحمتُهُ﴾** لكان أمرٌ آخرَ **﴿وأنّ الله رؤُوف رحيمٌ﴾** ولكنّه تعالى رؤوف بعباده رحيم بمن تاب إليه.

الآية: ١٥ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لايدري ماتبلغ يهوي بها في النّار أبعد ممّا بين السماء والأرض».

/ابن كثير ج٣/٢٧٤/

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٢١: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لاتتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشيطانِ﴾ يعني طرائقه ومسالِكه ومايأمرُ به، **﴿ومَن يتّبِعْ خُطُوَاتِ الشيطانِ فإنّه يأمُرُ بالفحشاءِ والمنكرِ﴾** هذا تنفيرٌ وتحذيرٌ من الشيطان بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها، **﴿ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُهُ مازكَى منكم مِن أحدٍ أبداً﴾** لولا هو يرزقُ مَنْ يشاء التوبة ويزكي النفوس من شركها وفجورها ومافيها من أخلاقٍ رديئةٍ لِما حصلَ أحدٌ لنفسه زكاةً ولاخيراً **﴿ولكنّ اللهَ يُزكي مَن يشاءُ﴾** من خلقه **﴿واللهُ سميعٌ﴾** لأقوال عباده **﴿عليمٌ﴾** بمَنْ يستحقُّ منهم الهدى والضلال **٢٢: ﴿ولايأتَلِ﴾** لايحلفْ **﴿أولُوا الفضلِ منكم﴾** الإحسان **﴿والسَّعةِ أن يُؤتُوا أولي القُربَى والمساكينَ والمهاجرين في سبيلِ اللهِ﴾** لاتحلِفُوا أنْ لاتصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين، وهذا في غاية الترفّق والعطف على صلة الأرحام، ولهذا قال تعالى: **﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾** عمّا تقدّم منهم مِن الإساءة والأذى، **﴿ألا تُحِبُّون أنْ يغفرَ اللهُ لكم﴾**؟ فإنّ الجزاء من جنس العمل؛ فكما تغفرُ ذنبَ مَن أذنبَ إليك يغفرُ اللهُ لك، وكما تصفح يصفح عنك، **﴿واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾** **٢٣: ﴿إنّ الذين يرمُون المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ لُعِنُوا في الدنيا والآخرةِ﴾** هذا وعيدٌ من الله للذين يرمون المحصنات الغافلات **﴿ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾** [وهذا خاص بمن رمى أمّ المؤمنين، وعام فيمن رمى المؤمنات]، وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أنّ مَن رمى أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، فإنّه كافرٌ؛ لأنه معاندٌ للقرآن **٢٤: ﴿يومَ تشهدُ عليهم ألسنتهم وأيدِيهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون﴾**؛ كما ورد في الحديث: «كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام عليك شهوداً، فيختم على فِيْهِ، ويُقال لأركانِهِ: انطقي، فتنطق بعمله» الحديث. وقد رواه مسلم والنسائي **٢٥: ﴿يومئذٍ يُوفّيهمُ اللهُ دِينَهُمُ الحقّ﴾** حسابَهم، **﴿ويعلمُون أنّ اللهَ هو الحقُّ المُبين﴾** وعدَهُ ووَعِيدَه وحسابَهُ، هو العدل الذي لاجَوْرَ فيه **٢٦: ﴿الخبيثاتُ للخبيثين والخبيثُون للخبيثات﴾** نزلت في أهل الإفك؛ أي: الخبيثاتُ مِن القولِ للخبيثين مِن الرجال، والخبيثون مِن الرجالِ للخبيثاتِ مِن القولِ. **﴿والطيباتُ للطّيبين والطيّبون للطيّبات﴾**، نزلت في عائشة؛ أي: والطيّباتُ مِن القولِ للطّيبين مِن الرجال، والطيّبُون مِن الرجال للطيّباتِ مِن القول. أي: الكلام القبيح أولى بأهل القبيح من النّاس، والكلام الطيّب أولى بالطيبين مِن النّاس، فما نسبه أهلُ النفاق إلى عائشة من كلام هم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم، ولهذا قال تعالى: **﴿أولئك مُبرّؤُون مِمّا يقولُون﴾** أهل الإفك والعُدوان، **﴿لهم مغفرةٌ﴾** بسبب ماقيل فيهم من الكذب **﴿ورزقٌ كريمٌ﴾** في جنّات النعيم **٢٧: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لاتَدْخلُوا بُيُوتاً غيرَ بُيُوتكم حتى تستأْنِسُوا﴾** الاستئناس: هو الاستئذانُ ثلاثاً، **﴿وتُسلِّمُوا على أهلِها ذلكم خيرٌ لكم﴾** للمستأذن ولأهل البيت **﴿لعلّكم تذكّرُون﴾**.

الآية: ٢٤ روى مسلم والنسائي أنّ رسول الله ﷺ قال: «من مجادلة العبد لربّه يقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لاأجيز عليّ إلاّ شاهداً من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام عليك شهوداً، فيختم على فِيْهِ، ويُقال لأركانه: انطقي فتنطق بعمله، ثم يخلّى بينهُ وبين الكلام، فيقول: بُعْداً لكُنّ وسحقاً فعنكُنّ كنتُ أناضِلُ».
/ابن كثير ج٣/٢٧٧/

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٨: **﴿فإنْ لمْ تجِدُوا فيها أحداً فلا تدخلُوها حتى يُؤذنَ لكم﴾** وذلك لِما فيه مِن التصرّف في مُلْكِ الغير بغير إذنِهِ، فإن شاء أذِنَ وإن شاء لم يأذن **﴿وإن قِيلَ لكُمُ ارجِعُوا فارجِعُوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾** لاتقفُوا على أبواب النّاس

٢٩: **﴿ليس عليكم جناح أن تدخلُوا بُيُوتاً غيرَ مسكونةٍ﴾** ليس فيها أحد كالبيت المُعدّ للضيف إذا أذِن له فيه أول مرّة كفَى، وكان لكم **﴿فيها متاع﴾** وكذا منازل الأسفار وبيوت مكة، وبيوت التجار كالخانات. **﴿واللهُ يعلم ماتُبْدُون وماتكتمُون﴾**

٣٠: **﴿قُلْ للمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبصارهم﴾** هذا أمرٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يغضُّوا من أبصارهم عمّا حرّم عليهم. [و**﴿مِنْ﴾** للتبعيض، لأنّ مِن النظر مايُباح؛ كنظر الحاكم والشاهد والبائع، وكالنظرة المفاجئة. والبصرُ هو الباب الأكبر إلى القلب]، ولمّا كان النظر داعيةً إلى فساد القلب أمر الله بحفظ البصر، كما أمرَ بحفظ الفرج: **﴿ويحفَظُوا فُرُوجَهم﴾** وحفظ الفرج يكون بمنعِهِ مِن الزنا، ومن النظر إليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسُّنن: «احفظْ عورتَكَ إلّا مِن زوجتك». **﴿ذلك أزكَى لهم﴾** أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم، كما قيل: من حفِظَ بصرَه أورثه اللهُ نُوراً في بصيرته. **﴿إنّ الله خبيرٌ بما يصنعُون﴾**

٣١: **﴿وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ مِن أبصارِهِنّ﴾** وهذا أمرٌ من الله تعالى للمؤمنات بغض بصرهِنّ عمّا حرّم اللهُ عليهنّ من النظر إلى غير أزواجِهن، غِيْرَةً منه تعالى لأزواجهنّ المؤمنين. **﴿ويخفظنَ فُرُوجَهُنَّ﴾** أنْ لايراها أحدٌ، **﴿ولا يُبدِينَ زينتهنّ إلّا ماظهرَ منها﴾** لايُظْهِرْنَ شيئاً مِن الزينة للأجانب إلّا مالايمكن إخفاؤُهُ [أي: على المرأة أن تجتهد في الإخفاء لكلٍّ ماهو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابُدّ منه، فهو معفوٌّ عنه]، **﴿وَلْيَضرِبْنَ بخُمُرِهِنَّ﴾** الخمارُ هو مايُغطى به الرأس **﴿على جُيُوبِهِنَّ﴾** [الجَيبُ هنا شقة الثوب من العُنق] أي: على صدورهنّ؛ لتواري ماتحتها من صدرها وترائبها، ليخالِفنَ نساء الجاهلية، فإنهنّ لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة منهنّ تمرّ بين الرجال مفسّحةً بصدرها لايُواريه شيءٌ، وتُظهر عنقها وشعرها وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يسترنَ في هيئاتِهن وأحوالهنّ، كما قال تعالى: ﴿ياأيُّها النبيُّ قُلْ لأزواجك وبناتِكَ ونساء المؤمنين يُدنِين عليهنَّ من جَلاَبِيبِهِنَّ ذلك أدْنَى أن يُعرفنَ فلا يُؤْذَينَ﴾. **﴿ولا يُبْدِين زينتَهُنَّ إلّا لِبُعُولَتِهِنّ﴾** أزواجهِنّ **﴿أو آبائِهِنّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنّ أو أبنائهن أو أبناء بُعُولَتِهِنَّ﴾** أبناء أزواجهنّ **﴿أو إخوانِهِنّ أو بَنِي إخوانِهِنّ أو بَنِي أخواتِهِنّ﴾** كلُّ هؤلاء محارمٌ للمرأة يجوزُ لها أن تظهرَ بزينتها من غير تبرّج، أمّا الزوج فإنّما كلُّ ذلك من أجله. **﴿أو نسائِهِنّ﴾** المسلمات **﴿أو ماملكَتْ أيمانُهُنَّ﴾** رقيقها من الرجال والنساء، **﴿أوِ التّابعينَ غير أُوْلِي الإِرْبَةِ مِن الرجال﴾** من الذين في عقولهم وَلَهٌ، كالأجراء ومَن لاهَمّ لهم إلى النساء ولايشتهُونَهُنَّ، **﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عوراتِ النِّساء﴾** لصغرهم لايفهمون أحوال النساء من كلامهنّ وحركاتهن وسكناتِهِنّ، فإن كان مراهقاً فلا. **﴿ولا يضربْنَ بأرجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ مايُخفينَ مِن زينتهنّ وتُوبُوا إلى الله جميعاً أيُّهَ المؤمنون لعلّكم تُفلِحُون﴾**.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

الحزب ٣٦

٣٢: ﴿وأنكِحُوا الأيامَى منكم والصَّالِحِينَ من عبادِكم وإمَائِكم﴾ هذا أمرٌ بالتزويج، قال عليه الصلاةُ والسلام: «يامعشرَ الشبابِ مَن استطاعَ منكُمُ الباءَةَ فليتزوَّجْ؛ فإنّه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ»، والأيامَى: جمع أيِّم، وهو الذي لازوجة له، ولازوج. **﴿إنْ يكونُوا فقراءَ يُغنِهُمُ اللهُ مِن فضلِه﴾** رغبَهُمُ الله بالتزويج ووعدَهم عليه الغنَى، قال أبو بكر الصديق: أطيعُوا اللهَ فيا أمركم به من النكاح يُنجزْ لكم ماوعدَكم مِن الغنَى. **﴿واللهُ واسعٌ عليم﴾ ٣٣: ﴿وليستعفِفِ الذين لايجِدُون نكاحاً حتى يُغنِيَهُمُ اللهُ مِن فضلِهِ﴾** هذا أمرٌ من الله تعالى لمن لايجد تزويجاً بالتعفف عن الحرام. **﴿والذين يبتغُون الكتابَ ممّا ملكتْ أيمانُكم فكاتبُوهم إنْ علمتم فيهم خيراً﴾** هذا أمرٌ من الله تعالى للسادة إذا طلب عبيدُهم منهم الكتابةَ أن يكاتبُوهم بشرط أن يكون للعبد كسبٌ يُؤدِي إلى سيّدِهِ المال الذي شارطه على أدائه. **﴿وآتُوهم مِن مالِ اللهِ الذي آتاكم﴾** أمرَ اللهُ المؤمنين أن يُعِينُوا في الرقاب من الزكاة والصدقات. **﴿ولاتُكرِهُوا فتياتِكم على البغاء﴾** كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كلَّ وقتٍ، فلمّا جاء الإسلامُ نهى اللهُ المؤمنين عن ذلك. **﴿إنْ أرَدْنَ تحصُّناً﴾** هذا خرج مخرج [الزيادة في تقبيح حالهم وتشنيعهم على ماكانوا يفعلونه من القبائح، فإنّ من له أدنى مروءة لايرضى بفجور من يحويه]، **﴿لتبتغُوا عرضَ الحياةِ الدنيا﴾** مِن خراجِهنّ ومهورِهنّ وأولادِهنّ **﴿ومَن يُكرِههُنَّ فإنّ اللهَ مِن بعد إكراهِهِنّ غفورٌ رحيمٌ﴾** لهنّ؛ أي: إن فعلتُم فإنّ اللهَ غفُورٌ لإثمهِنّ، وإثمهنّ على مَن أكرهُهنَّ، وفي الحديث عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان ومااسْتُكْرِهُوا عليه» **٣٤: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آياتٍ مبيّناتٍ﴾** يعني القرآن **﴿ومثلاً مِن الذين خَلَوْ مِن قبلِكم﴾** خبر ماحَلّ بهم في مخالفتهم أوامرَ الله تعالى، **﴿وموعظَةً للمتقين﴾** لمن اتقى اللهَ وخافَهُ **٣٥: ﴿اللهُ نورُ السمواتِ والأرضِ﴾** هادِي أهلَ السمواتِ والأرض، ومُدبِّرُ الأمرَ فيهما؛ ونُورُهُ: هُدَاهُ. **﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾** في المؤمن الذي جعل اللهُ الإيمان والقرآن في صدره **﴿كمشكاةٍ فيها مِصْبَاحٌ﴾** فشبّه قلبَ المؤمن ومافيه من الهُدَى ومايتلقّاه من القرآن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف **﴿فيها مصباح﴾** وهو الزبالة التي تُضيء، **﴿المِصْبَاحُ في زجاجَةٍ﴾** هذا الضوء في زجاجة صافية، نظيره قلب المؤمن **﴿الزجاجةُ كأنّها كوكبٌ دُرِيٌ﴾** كأنها كوكب مِن دُرٍّ **﴿يُوقَدُ مِن شجرةٍ مباركةٍ﴾** يستمدُّ مِن زيتِ **﴿زيتونةٍ لاشرقية ولاغربيّة﴾** هي شجرة بالصحراء لايُظلها شجر ولاجبل ولايُواريها شيء، وهو أجود لزيتها وأصفَى، **﴿يكادُ زيتُها يُضيءُ ولو لم تَمْسَسْهُ نارٌ﴾** [مبالغة في حُسْنِه وصفائه] **﴿نورٌ على نورٍ﴾** كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا، **﴿يهدِي اللهُ لنورِهِ مَن يشاء﴾** يُرشد لهدايته مَن يختاره **﴿ويضربُ اللهُ الأمثالَ للنّاسِ واللهُ بكل شيءٍ عليمٌ﴾ ٣٦: ﴿في بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفعَ﴾** أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها ممّا لايليق بها من الدنس واللغو، **﴿ويُذكَرَ فيها اسْمُهُ يُسَبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصال﴾** يعني الصلاة.

رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ
بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن
فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ
يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ
عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي
سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾

٣٧: **﴿رجالٌ﴾** فيه إشعارٌ بهممهم السامية وعزائمهم العالية التي صاروا بها عُمّاراً لبيوت الله، **﴿لاتُلهيهم تجارةٌ ولابيعٌ عن ذكرِ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ﴾** لاتشغلهم الدنيا وزينتها وملاذُّ بيعِها وربحها عن ذكر خالقهم ورازقهم؛ أي: يُقدِّمون طاعته سبحانه ومرادَه ومحبَّته على مرادِهم ومحبتهم، **﴿يخافُون يوماً تتقلّبُ فيهِ القلوبُ والأبصار﴾** يوم القيامة، الذي تتقلّبُ فيه القلوب والأبصار من شدّة الفزَع وعظمة الأهوال ٣٨: **﴿ليجزيَهُمُ اللهُ أحسنَ ماعمِلُوا﴾** هؤلاء مِن الذين يتقبّلُ حسناتهم ويتجاوز عن سيّئاتهم **﴿ويزيدُهم مِن فضلِهِ واللهُ يرزقُ مَن يشاءُ بغيرِ حساب﴾** ويزيدهم الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا، [ويرزقُ مَن يشاء من غير أن يُحاسبه عليه] ٣٩: **﴿والذين كفروا أعمالُهم كسرابٍ بقيعةٍ﴾** هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الدعاة إلى كفرهم، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يُرى في القِيعانِ مِن الأرض عن بُعْدٍ، كأنّه بحرٌ طام، والقيعةُ: جمعُ قاعٍ، وهي الأرض المستوية المتسعة وفيها يكون السراب، يُرى كأنّه ماء، **﴿حتى إذا جاءَهُ﴾** ليشربَ منه **﴿لم يجدْهُ شيئاً﴾** فكذلك الكافر يحسب أنّه قد عمل عملاً وأنّه قد حصّلَ شيئاً فإذا وافَى اللهَ يومَ القيامة، لم يجد له شيئاً، لعدم الإخلاص له سبحانه ولعدم سلوك الشرع، **﴿ووَجدَ اللهَ عندَه فوفّاهُ حسابَهُ واللهُ سريعُ الحساب﴾** كما قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ماعمِلُوا مِن عملٍ فجعلناهُ هباءً منثوراً﴾ ٤٠: **﴿أو كظلماتٍ في بحرٍ لُجّيٍّ﴾** هذا مثل ضربه للكفار. واللّجيُّ: العميق، **﴿يغشاهُ مَوْجٌ من فوقِهِ موجٌ مِن فوقِهِ سحاب﴾**؛ تُمثّلُ لهم النّار كأنّها سرابٌ يحطمُ بعضُها بعضاً، فينطلِقُون فيتهافَتُون فيها. وهذا المثال لذوي الجهل المركب فأمّا أصحاب الجهل البسيط وهم الأغشام المقلّدُون لأئمة الكفر الصمِّ البُكم، فمثلهم **﴿ظلماتٌ بعضُها فوق بعض إذا أخرج يَدَهُ لم يكدْ يراها﴾** من شدّة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر المقلّد لايعرف حال مَن يقُودُهُ ولايدري أين يذهبُ به **﴿ومَن لم يجعلِ اللهُ له نُوراً فماله مِن نُورٍ﴾** مَن لم يهدِهِ اللهُ فهو هالك بائر ٤١: **﴿ألَمْ تَرَ أنّ اللهَ يُسبِّحُ له مَن في السمواتِ والأرضِ﴾** من الملائكة والإنس والجنّ، **﴿والطيرُ صافّاتٍ﴾** في حال طيرانها تُسبِّح ربّها، **﴿كلٌّ قد علِمَ صلاتَهُ وتسبيحَهُ﴾** كل [مخلوق] قد أرشدَهُ إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عزّ وجلّ، **﴿واللهُ عليمٌ بمايفعلون﴾** ٤٢: **﴿وللهِ مُلْكُ السمواتِ والأرضِ﴾** فهو الحاكم المتصرِّف، الذي لاتنبغي العبادةُ إلّا له ولامعقب لحكمه **﴿وإلى اللهِ المصيرُ﴾** يوم القيامة فيحكم فيه بما يشاء. ٤٣: **﴿ألَمْ تَرَ أنّ اللهَ يُزجي سَحَاباً ثم يُؤلِّفُ بَيْنَهُ﴾** يذكر تعالى أنّه يسوق السحاب بقدرته أول مايُنشئها وهي ضعيفة، وهو الإزجاء **﴿ثم يُؤلِّف بينَهُ﴾** يجمعه بعد تفرّقه **﴿ثم يجعله رُكاماً﴾** يركب بعضُه بعضاً **﴿فترى الوَدْقَ﴾** أي: [رُذاذ] المطر **﴿يخرجُ مِن خِلالِهِ﴾** أي: من خلله، **﴿ويُنزّلُ مِن السماءِ مِن جبالٍ﴾** ﴿مِن﴾ الأولى لابتداء الغاية، و﴿مِن﴾ الثانية للتبعيض **﴿فيها مِن بَرَدٍ﴾** و﴿مِن﴾ الثالثة لبيان الجنس. معناه أنّ في السماء جبالاً [من السحاب] يُنزِّل اللهُ منها البَرَد، **﴿فيُصيبُ بهِ مَن يشاءُ﴾** رحمةً لهم **﴿ويصرِفُهُ عن مَنْ يشاءُ﴾** نقمةً عليهم. **﴿يكادُ سَنَا برقِهِ يذهب بالأبصار﴾** من شدّة ضوءِ برقه.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

نصف الحزب ٣٦

٤٤: ﴿**يُقلّبُ اللهُ اللّيلَ والنّهارَ**﴾ يتصرّف فيهما فيأخذُ مِن طُول هذا في قصر هذا حتى يعتدلان، ثم يأخذُ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيراً، ويقصر الذي كان طويلاً، والله هو المتصرّف في ذلك ﴿**إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار**﴾ دليلاً على عظمته سبحانه ٤٥: ﴿**والله خلَقَ كلَّ دابّةٍ مِن ماء**﴾ هذا من قدرته تعالى في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها من ماء [وهو النطفة] ﴿**فمنهم مَن يمشي على بطنه**﴾ كالحيّة وما شاكلها، ﴿**ومنهم مَن يمشي على رجلين**﴾ كالإنسان والطير، ﴿**ومنهم مَن يمشي على أربع**﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات. ﴿**يخلقُ الله مايشاء**﴾ بقدرته ﴿**إنّ الله على كلّ شيءٍ قديرٌ**﴾ ٤٦: ﴿**لقد أنزلنا آياتٍ مُبيّناتٍ**﴾ يُقرِّرُ اللهُ تعالى أنّه أنزلَ في هذا القرآن مِن الحُكْم والحِكَم والأمثال البيّنة المحكمة كثيراً جدّاً، وأنّه يُرشد إلى تفهمها وتعقّلها أولي الألباب والبصائر، ولهذا قال تعالى: ﴿**والله يهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم**﴾ ٤٧: ﴿**ويقولون آمنّا باللهِ وبالرسولِ وأطعنا**﴾ يُخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم خلاف مايُبطنون ﴿**ثم يتولّى فريقٌ منهم مِن بعدِ ذلك**﴾ يُخالِفُون أقوالَهم بأعمالهم فيقولون مالايفعلون، ولهذا قال تعالى: ﴿**وماأولئك بالمؤمنين**﴾ ٤٨: ﴿**وإذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِهِ**﴾ إذا طُلِبُوا إلى اتباع الهدى الذي أنزله الله على رسوله ﴿**ليحكمَ بينهم**﴾ أعرضوا واستكبروا عن اتباعه ﴿**إذا فريقٌ منهم معرِضُون**﴾ كقوله تعالى: ﴿**ألَمْ تَرَ إلى الذين يزعُمون أنّهم آمنوا بما أُنزِلَ إليك**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**رأيتَ المنافقين يَصُدُّون عنك صُدُوداً**﴾ ٤٩: ﴿**وإنْ يكُنْ لَهمُ الحقُّ يأتوا إليه مُذْعِنِين**﴾ وإذا كانت الحكومة لهم لاعليهم جاؤوا سامِعين مطيعين، وإن كانت الحكومة عليهم أعرضوا ٥٠: ﴿**أفِي قلوبهم مرض**﴾ شكٌّ في الدِّين، أو يخافُون أن يجورَ اللهُ ورسولُهُ عليهم في الحكم، وأيّاما كان فهو كفرٌ محضٌ، ﴿**أم ارتابُوا أم يخافُون أنْ يحيفَ اللهُ عليهم ورسولُهُ**﴾؟ ﴿**بلْ أولئك هُم الظالِمُون**﴾ الفاجِرُون ٥١: ﴿**إنّما كان قولُ المؤمنين إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِهِ ليحكُمَ بينهم أن يقوُلُوا سمعنا وأطعنا**﴾ سمعاً وطاعةً، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح ﴿**وأولئك هُمُ المفلِحُون**﴾، وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب ٥٢: ﴿**ومَنْ يُطعِ اللهَ ورسولَهُ**﴾ فيما أمرَاهُ به وترك مانهياهُ عنه، ﴿**ويخشَ اللهَ**﴾ فيما مضى من ذُنوبه ﴿**ويتّقْهِ**﴾ فيما يستقبل ﴿**فأولئك هُمُ الفائزُون**﴾ بكل خير في الدنيا والآخرة. ٥٣: ﴿**وأقسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيمانِهم لَئِن أمرتَهم ليخرُجُنَّ**﴾ يُخبر تعالى عن أهل النفاق الذين كانوا يحلِفُون للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لئن أمرهم بالخروج في الغزو ليخرجُنَّ، قال تعالى: ﴿**قُلْ لاتُقسِمُوا**﴾ لاتحلفُوا، ﴿**طاعةٌ معروفةٌ**﴾ قد علم طاعتكم إنّما هي قول لافعل معه وكلّما حلفتم كذبتم، ﴿**إنّ اللهَ خبيرٌ بماتعملون**﴾ لايروج عليه شيءٌ من التدليس.

الآية: ٥٠ كان الرجل من المنافقين إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن، وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدُعيَ إلى النبي ﷺ أعرض وقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «مَنْ كان بينه وبين أخيه شيء فدعي إلى حكم من أحكام المسلمين فأبى أن يجيب، فهو ظالم لاحقَّ له». وهو حديث مرسل. /ابن كثير ج٣/٢٩٨/

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٥٤: ﴿قُلْ أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ﴾ اتّبعُوا كتابَ الله وسُنّةَ رسوله، **﴿فإنْ تولَّوْا﴾** تتولّوا عنه وتتركُوا ماجاءكم به **﴿فإنّما عليه ماحُمِّلَ﴾** إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة **﴿وعليكم ماحُمِّلتُم﴾** بقبول ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه، **﴿وإنْ تُطيعُوه تهتدوا﴾** لأنه يدعو إلى صراطٍ مستقيم، **﴿وما على الرسولِ إلاّ البلاغُ المُبين﴾**، كقوله تعالى: ﴿فإنّما عليك البلاغُ وعلينا الحِسَابُ﴾ **٥٥: ﴿وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعمِلُوا الصالحات لَيَستخلِفنّهم في الأرض كما استخلفَ الذين مِن قبلهم ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينَهُمُ الذي ارتضَى لهم﴾** هذا وعدٌ من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنّه سيجعل أمته خلفاء الأرض؛ أي: أئمة النّاس والولاة عليهم، **﴿ولَيُبدِّلنّهم مِن بعدِ خوفِهِم أمناً﴾** وقد فعلَ تبارك وتعالى وله الحمدُ والمِنّةُ؛ فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت حتى فتحَ الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، ثم بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم تتابع الفتح إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها. **﴿يعبُدُونني لايشرِكُون بِي شيئاً﴾**، وفي الصحيحين من حديث معاذ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تدري ماحقُّ اللهِ على العباد»؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم قال: «حقُّ اللهِ على العباد أن يعبُدُوهُ ولايُشرِكُوا به شيئاً» ثم قال: «فهل تدري ماحقُّ العباد على الله إذا فعلُوا ذلك»؟ قلتُ اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «فإنّ حقَّ العباد على الله أنْ لايُعذِّبهم». **﴿ومَن كفرَ بعد ذلك فأولئك هُمُ الفاسِقُون﴾** فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربّه، وكفى بذلك ذنباً عظيماً **٥٦: ﴿وأقيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ﴾** أمرَ تعالى المؤمنين بإقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لاشريك له، وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين ضُعفائهم وفقرائهم **﴿وأطِيعُوا الرسولَ لعلّكم تُرحَمُون﴾** كونوا سالِكين وراءَهُ فيما أمرَ به، وترك مازجرَ عنه، لعلَّ اللهُ يرحمكم بذلك، ولاشكَّ أنّ مَن فعلَ هذا أنّ اللهَ سيرحمه، كما قال تعالى: ﴿أولئك سيرحَمُهُمُ اللهُ﴾ **٥٧: ﴿لاتحسبنّ﴾** أي: لاتظنّ يامحمد أنّ **﴿الذين كفرُوا﴾** خالَفُوك وكذّبُوك **﴿معجزين في الأرض﴾**؟! لايعجزون الله، بل الله قادرٌ عليهم وسيُعذّبهم على كفرهم، **﴿ومأواهُم﴾** في الآخرة **﴿النّارُ ولبِئْسَ المصير﴾** بئس القرار والمآل. **٥٨: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا لِيَستأذِنْكُمُ الذين مَلَكتْ أيمانُكم والذين لم يبلُغوا الحُلُمَ منكم﴾** أمرَ الله تعالى المؤمنين أن يستأذنَهم خدمُهم وأطفالُهم الذين لم يبلغوا الحُلُمَ في ثلاثة أحوال: **﴿ثلاثَ مراتٍ: مِن قبلِ صلاةِ الفجر﴾** لأنهم يكونون نياماً **﴿وحين تضَعُون ثيابَكم مِن الظهيرة﴾** وقت القيلُولة، لأنّ الإنسان قد يكون في حال مع أهله [لايصلح أن يراه فيها أحد] **﴿ومِن بعدِ صلاة العِشاء﴾** لأنّه وقتُ النوم، ولما يُخشَى أن يكون الرجل على أهله أو نحو هذا **﴿ثلاثُ عوراتٍ لكم ليسَ عليكم ولاعليهم جُناحٌ بعدَهُنّ﴾** إذا دخلوُا في غير هذه الأحوال وإن رأوا شيئاً من غير تلك الأحوال، لأنّهم **﴿طوّافُون عليكم﴾** في الخدمة وغير ذلك، **﴿بعضُكم على بعض﴾** [أي: يطوف بعضكم على بعض] **﴿كذلك يُبيِّنُ اللهُ لكُمُ الآياتِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾**.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٥٩: ﴿وإذا بلغَ الأطفالُ منكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتأذِنوا كما استأذنَ الذين مِن قبلهم﴾ يعني: إذا بلغ الأطفال الحلُم [وهو سنّ النكاح] وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال، **﴿كذلك يُبيّنُ اللهُ لكم آياتِهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾** **٦٠: ﴿والقواعِدُ مِن النّساءِ﴾** اللواتي انقطع عنهنّ الحيضُ ويَئسْنَ من الولد **﴿اللّاتي لايرجُون نكاحاً﴾** لم يبق لهنّ تشوّف إلى التزوّج **﴿فليس عليهن جُناحٌ أنْ يضعنَ ثيابَهُنَّ غيرَ متبرّجاتٍ بزينةٍ﴾** أي: ليس عليهنّ من الحرج في التستّر كما على غيرهنّ من النّساء **﴿غير متبرّجاتٍ بزينة﴾** لايتبرّجنَ بوضع الجلباب لِيُرى ماعليهنّ من الزينة. قالت أمُّ المؤمنين عائشة: يامعشرَ النساء قصّتُكُنّ كلّها واحدة؛ أحلَّ اللهُ لكُنّ الزينةَ غيرَ متبرّجات، أي: لايحِلُّ لكُنّ أن يَرَوْا منكُنّ محرّماً. [أي: ينكشفنَ لغير المحارم]، **﴿وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خيرٌ لهنّ﴾** وترك وضعهنّ لثيابهنّ، وإن كان جائزاً خيرٌ وأفضلُ لهنّ **﴿واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾** **٦١: ﴿ليسَ على الأعمى حَرَجٌ ولاعلى الأعرجِ حرَجٌ ولاعلى المريضِ حرجٌ ولاعلى أنفُسِكم أن تأكُلوا مِن بُيُوتِكم﴾** كان الرجل يذهب بالأعمى أو بالأعرج أو بالمريض إلى بيتِ أبيه أو أخيه أو أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكان الزمنَى يتحرَّجُون من ذلك، يقولون: إنّما يذهبُون بنا إلى بُيوت عشيرتهم، فنزلت هذه الآية رخصةً لهم. وكان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنه فتتحفه المرأة بشيء من الطعام، فلايأكل من أجل أنّ ربَّ البيت ليسَ ثَمَّ، قال تعالى: **﴿ولا على أنفسكم أن تأكلُوا من بُيُوتكم﴾**؛ إنّما ذكر هذا وهو معلومٌ ليعطفَ عليه غيره في اللفظ، وليساويه مابعدَهُ في الحكم، وتضمّن هذا بيوتَ الأبناء، لأنّه لم ينصَّ عليهم، ولهذا استدلّ بهذا مَن ذهب إلى أنّ مال الولد بمنزلة مال أبيه، وقد جاء في المسند والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «أنتَ ومالُكَ لأبيك»، وقوله تعالى: **﴿أو بُيُوت آبائكم أو بُيُوت أمهاتِكم أو بُيُوتِ إخوانِكم أو بُيُوتِ أخواتِكم أو بُيُوتِ أعمامِكم أو بُيُوتِ عمّاتِكم أو بُيُوتِ أخوالِكم أو بُيُوتِ خالاتِكم﴾**؛ يُستدلُّ بهِ على وجوب نفقة الأقارب بعضهم على بعض، كما هو مذهب الإمام أبي حنيفة والإمام أحمد. **﴿أو ماملكتُم مفاتِحَهُ﴾** خادم الرجل، فلابأس أن يأكل ممّا استودَعَهُ من الطعام المعروف، **﴿أو صديقكم﴾** بُيوت أصدقائكم وأصحابكم، فلاجُناح عليكم في الأكل منها، **﴿ليسَ عليكم جُناحٌ أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾** فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكلَ الرجلُ وحدَهُ ومع الجماعة، وإن كان الأكل مع الجماعة أبرك وأفضل، **﴿فإذا دخلتُم بُيُوتاً فسلِّمُوا على أنفُسِكم﴾** يعني: فلْيسلِّمْ بعضُكم على بعض، **﴿تحيّةً مِن عندِ اللهِ مُباركةً طيّبةً كذلك يُبيّنُ اللهُ لكم الآياتِ لعلّكم تعقلُون﴾** ليتدبّروها ويتعقلوها.

الآية: **٥٩** روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنّ رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن؟ فقال: «إنّ الله ستير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولاحجال في بيوتهم، فربما فاجأ الرجلَ خادِمُهُ أوولده أو يتيمه في حجره، وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمّى الله، ثم جاء اللهُ بَعْدُ بالسّتور، فبسط الله عليهم الرزق، فاتخذوا السُّتُورَ واتخذوا الحِجَال، فرأى النّاسُ أنّ ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أُمِرُوا به». وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

/ابن كثير ج٣/٣٠٣/

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَان

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثلاثة ارباع الحزب ٣٦

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

٦٢: **﴿إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معهُ على أمرٍ جامعٍ لم يذهبُوا حتى يستأذِنوهُ﴾** هذا أدبٌ أرشد الله تعالى المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عندَ الدخول كذلك أمرَهم بالاستئذان عند الانصراف، لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، من صلاة جمعة أو عيد أو اجتماع في مَشْورة ونحو ذلك أمرهم الله تعالى أن لايتفرّقوا عنه والحالة هذه إلاّ بعد استئذانه ومشاورته. **﴿إنّ الذين يستأذنونك﴾** مَن يفعل ذلك **﴿أولئك الذين يُؤمنون بالله ورسوله﴾** فإنّه من المؤمنين الكاملين، **﴿فإذا استأذنُوك لبعضِ شأنِهم﴾** ثم أمرَ تعالى رسولَهُ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه إذا استأذنَهُ أحدٌ منهم في ذلك أن يأذنَ له إن شاء فقال تعالى: **﴿فأذنْ لمن شئتَ منهم واستغفرْ لهم﴾** [أي: لخروجهم عن الجماعة إنْ علمتَ لهم عذراً] **﴿إنّ الله غَفورٌ رحيمٌ﴾** ٦٣: **﴿لاتجعلُوا دُعاءَ الرسولِ بينكم كدُعاءِ بعضِكم بعضاً﴾**، كانوا يقولون: ياأبا القاسم، فنهاهم الله عزّ وجل عن ذلك إعظاماً لنبيّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، أي: قُولُوا: يانبيَّ الله، يارسولَ الله؛ أمرَ تعالى أن يُهابَ نبيُّه صلى الله عليه وآله وسلم وأن يُبجّل ويُعظّم. **﴿قد يعلمُ الله الذين يتسلّلُون منكم لِوَاذاً﴾** هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة، فيلُوذُون ببعض الصحابة حتى يخرجوا من المسجد، وكان لايصح للرجل أن يخرج من المسجد إلاّ بعد إذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أحدهم إذا أرادَ الخروج من المسجد أشارَ بأصبعِه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيأذن له من غير أن يتكلّم الرجل **﴿فليحذَرِ الذين يخالِفُون عن أمرِهِ﴾** أمْرُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو منهاجُهُ وسنتُهُ وشريعتُه **﴿أن تُصيبَهم فتنةٌ﴾** في قلوبهم من نفاق أو بدعة **﴿أو يصيبَهم عذابٌ أليمٌ﴾** ٦٤: **﴿ألاَ إنّ للهِ مافي السمواتِ والأرض﴾** ملك له سبحانه **﴿قد يعلمُ ماأنتم عليه﴾** **﴿قد﴾** للتحقيق، أي: هو عالم بـ**﴿ماأنتم عليه﴾** لايعزبُ عنه مثقال ذرّة، **﴿ويومَ يُرجَعُونَ إليه فينبّئهم بما عمِلُوا﴾** من خير وشر **﴿واللهُ بكلِّ شيءٍ عليم﴾**، كما قال تعالى: **﴿سواءٌ منكم مَن أسرّ القولَ ومَن جهرَ بهِ﴾**، **﴿كلٌّ في كتابٍ مُبين﴾**.

تفسير سورة الفُرْقان

١: **﴿تبارك الذي نزّلَ الفرقانَ على عبدِه﴾** [أي: تقدّسَ وكَثُرَ خيرُهُ ودامَ إنعامُهُ] **﴿على عبدِهِ﴾** هذه صفة مدح وثناء لأنّه أضافَهُ إلى عبوديّتِهِ، **﴿ليكون للعالَمِين نذيراً﴾** أي: إنّما خصّهُ بهذا الكتاب المفصّل العظيم المبين المحكم الذي **﴿لايأتيهِ الباطلُ مِن بينَ يديهِ ولامِن خلفِهِ تنزيلٌ من حكيم حميد﴾** الذي جعله فرقاناً عظيماً ليخصّهُ بالرسالة إلى العالمين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بُعثتُ إلى الأحمر والأسود» ٢: **﴿الذي له مُلك السمواتِ والأرضِ ولم يتّخِذْ وَلَداً ولم يكُنْ له شريكٌ في المُلْكِ﴾** نزّه سبحانه نفسَهُ عن الولد والشريك، **﴿وخلقَ كلَّ شيءٍ فقدّره تقديراً﴾** كل شيء مخلوق له وهو مليكُهُ وإلهُهُ، وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره، سبحانه.

الآية: ٦٢ روى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدُكم إلى المجلس فليُسَلِّمْ، فإذا أرادَ أن يقومَ فليُسَلِّمْ، فليست الأولى بأحقَّ من الآخِرة» رقم ٥٢٠٨ .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٣: **﴿واتّخذُوا مِن دُونِهِ آلهةً لايخلُقُون شيئاً وهم يُخلَقُون﴾** يُخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهةً من دُون الله الخالق لكل شيء، من الأصنام التي لم تقدر على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون **﴿ولايملِكُون لأنفسِهم ضرّاً ولانفعاً﴾** فكيف يملِكُون لعابديهم؟! **﴿ولايملكون موتاً ولاحياةً ولانُشوراً﴾** ليس لهم من ذلك شيء، بل ذلك كله مرجعه إلى الله عزّ وجلّ الذي يُحيي ويُميت ٤: **﴿وقال الذين كفروا إنْ هذا إلّا إفكٌ افتراه وأعانَهُ عليهِ قومٌ آخرون﴾** يخبر تعالى عن سخافة عقول الكفار في قولهم عن القرآن **﴿إنْ هذا إلّا إفك﴾** كذب افتراه، يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستعان على جمعه بقوم آخرين، فقال الله تعالى: **﴿فقد جاؤوا ظلماً وزُوراً﴾** فقد افتُرواهُم قولاً باطلاً، وهم يعلمون أنّه باطل ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموه ٥: **﴿وقالُوا أساطيرُ الأوّلين اكتتبها﴾** يعنُون كتب الأوائل، أي: استنسخها **﴿فهي تُملَى عليه﴾** أي: تُقرأُ عليه **﴿بُكرةً وأصيلاً﴾** في أول النهار وآخره، وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبُهته أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يُعاني شيئاً من الكتابة ولافي أول عمره ولافي آخره، فقال تعالى في جواب ماعانَدُوا وافتروا: ٦: **﴿قُلْ أنزلَهُ الذي يعلمُ السِّرَّ في السموات والأرض﴾** أنزل القرآن الذي يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر، **﴿إنّه كان غفوراً رحيماً﴾** دعاء لهم إلى التوبة بأنّ رحمته واسعة وأنّ حلمه عظيم، وأنّ مَن تاب تاب اللهُ عليه. ٧: **﴿وقالوا﴾** أي: الكفار **﴿مالِ هذا الرسولِ يأكلُ الطعام﴾** يأكل كما نأكل ويحتاج إليه كما تحتاج **﴿ويمشي في الأسواق﴾** يتردد فيها للتكسب والتجارة **﴿لولا أُنزلَ إليه مَلَكٌ فيكونَ معه نذيراً﴾**؟! هَلّا أنزل إليه ملكٌ من عند الله فيكون له شاهداً على صدقِ مايدّعيه ٨: **﴿أوْ يُلقَى إليهِ كنزٌ﴾** يُنفقُ منه **﴿أو تكونُ له جنّةٌ يأكلُ منها﴾** تسير معه حيث سار؟ وهذا كله يسيرٌ على الله ولكن له الحكمة في ترك ذلك، **﴿وقال الظالمُون إنْ تتبِعُون إلّا رجلاً مسحوراً﴾** قال اللهُ تعالى: ٩: **﴿انظُرْ كيفَ ضربُوا لَكَ الأمثالَ فضَلُّوا﴾** جاؤوا بما يقذِفُونَكَ به، من أقوال باطلة **﴿فضلُّوا﴾** عن طريق الهُدَى **﴿فلايستطِيعُون سبيلاً﴾** وذلك أنّ كلَّ مَن خرجَ عن الحق وطريق الهدى، فإنّه ضالٌّ حيثما توجه، لأنّ الحقّ واحدٌ ومنهجه متحدٌ يصدّقُ بعضُهُ بعضاً. ثم قال تعالى مخبراً نبيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم إنّه إن شاء لآتاه خيراً ممّا يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال: ١٠: **﴿تبارَكَ الذي إن شاءَ جعلَ لكَ خيراً من ذلك﴾** في الدنيا **﴿جنّاتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ ويجعلْ لكَ قُصُوراً﴾** [فاختار عليه الصلاة والسلام الآخرة] فقال: «اجمعُوها لي في الآخرة» ١١: **﴿بلْ كذّبُوا بالساعةِ﴾** إنّما يقول هؤلاء هكذا تكذيباً وعناداً، **﴿وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً﴾** في نار جهنّم، وهو وادٍ من قيح جهنّم. [أجارنا الله تعالى منها].

الآية: ١٠ روى سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة، قيل للنبي ﷺ: إن شئتَ أن نُعطِيكَ خزائنَ الأرض ومفاتيحَها، مالم نُعْطِهِ نبيّاً قبلك، ولانُعطي أحداً من بعدك، ولاينقص ذلك ممّا لك عند الله؟ فقال: «اجمعوها لي في الآخرة»، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك هذه الآية. /ابن كثير ج٣/٣١٠/

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٢: ﴿**إذا رأتهم**﴾ جهنّم ﴿**من مكانٍ بعيد**﴾ في المحشر ﴿**سمعُوا لها تغيّظاً وزفيراً**﴾ حُنقاً عليهم، تكاد تنفصل بعضُها من بعض من شدّة غيظها على مَن كفر بالله **١٣**: ﴿**وإذا ألقُوا منها مكاناً ضيّقاً**﴾ كالوَتدِ في الحائط ﴿**مقرّنين**﴾ مُكتّفين ﴿**دَعَوْا هُنالِكَ ثُبوراً**﴾ دَعَوْا بالويل والحسرة والخيبة **١٤**: ﴿**لاتدعُوا اليومَ ثُبوراً واحداً وادْعُوا ثُبوراً كثيراً**﴾ لاتدعُوا اليوم ويلاً واحداً وادْعُوا ويلاً كثيراً، والثبورُ: يجمعُ الهلاكَ والويلَ والخسارة والدمار **١٥**: ﴿**قلْ أذلك خيرٌ أم جنّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتّقون**﴾ أهذا الذي وصفناه من حال الأشقياء، أم جنّةُ الخُلد التي وعدَها اللهُ المتقين من عباده؟ ﴿**كانت لهم جزاءً ومصيراً**﴾ **١٦**: ﴿**لهم فيها مايشاؤون**﴾ مِن الملاذّ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مِمّا لاعينٌ رأتْ ولاأذنٌ سمعتْ ولاخطر على قلب بشر، ﴿**كان على ربّك وعداً مسؤولاً**﴾ لابدَّ أن يقعَ وأن يكونَ، فاسألوا الذي وعدتكم، تُنجزوُهُ **١٧**: ﴿**ويومَ يحشرُهم ومايعبُدُون مِن دُون الله**﴾ يُخبر تعالى عمّا يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدُوا من دون الله، ﴿**فيقولُ أأنتم أضللتُم عبادي هؤلاء**﴾ أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتِكم من دوني؟ ﴿**أم هم ضَلُّوا السبيلَ**﴾؟ أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم؟ كما قال تعالى: ﴿وإذْ قالَ اللهُ ياعيسى ابنَ مريم أأنتَ قلتَ للنّاسِ اتخذوني وأُمّي إلهين مِن دُون الله﴾ إلى قوله ﴿ماقلتُ لهم إلّا ماأمرتني به﴾ الآية، ولهذا قال تعالى مخبراً عمّا يُجيبُ المَعْبُودُون يوم القيامة: **١٨**: ﴿**قالوا سبحانك ماكان ينبغي لنا أن نتخذَ مِن دُونِكَ مِن أولياءَ**﴾ ماينبغي لأحدٍ أن يعبدنا فإنّا عبيدٌ لك فقراء إليك، ﴿**ولكنْ متّعتَهم وآباءَهم**﴾ طال عليهم العُمرُ ﴿**حتى نَسُوا الذكرَ**﴾ نَسُوا ماأنزلتَهُ إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لاشريكَ لكَ، ﴿**وكانُوا قوماً بُوراً**﴾ هلكَى.

١٩: ﴿**فقد كذَّبُوكم بما تقُولُون**﴾ فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم أنّهم لكم أولياء وأنّهم يُقرّبُونكم إلى الله زُلفَى، ﴿**فما تستطيعُون صرفاً ولانصراً**﴾ لايقدرون على صرف العذاب عنهم ولاالانتصار لأنفسِهم، ﴿**ومَن يَظْلِمْ منكم**﴾ يُشركْ بالله ﴿**نُذِقْهُ عذاباً كبيراً**﴾

٢٠: ﴿**وماأرسلنا قبلكَ مِن المرسَلين إلّا إنّهم ليأكُلون الطعامَ ويمشُون في الأسواق**﴾ يُخبر تعالى عن جميع مَن بعثه من الرسل المتقدّمِين أنّهم كانوا يحتاجون إلى التغذي بالطعام ويمشُون في الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم، فإنّ الله تعالى جعل لهم من السِّمات الحسنة، والأعمال الكاملة والأدلّة القاهرة مايُستدَلُّ به على صدق ماجاؤوا به من الله، ﴿**وجعلنا بعضَكم لبعضٍ فتنةً أتصبِرُون**﴾ اختبرنا بعضَكم ببعض لنعلمَ مَن يُطيع مّمن يعصي، ولهذا قال تعالى: ﴿**أتصبِرُون**﴾؟ ﴿**وكان ربُّكَ بصيراً**﴾ بمن يستحق أن يُوحَى إليه، ومَن يستحق أن يهدِيَهُ ومَن لايستحق ذلك.

الآية: **١٤** روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « أوّلُ مَنْ يُكسَى حُلّةً من النّار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريّته من بعدِهِ وهو يُنادي يا ثبوراه، وينادى يا ثبوراه، حتى يقفوا على النار فيقول: يا ثبوراه، فيُقال لهم، فيقولون: يا ثبورهم، لا تدعُوا اليوم ثُبوراً واحداً وادْعُوا ثُبوراً كثيراً ». /ابن كثير ج٣/٣١١.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾

٢١: ﴿وقالَ الذين لايرجُون لقاءَنا﴾ يُخبر تعالى عن تعنّتِ الكفار في قولهم: **﴿لولا أُنزِلَ علينا الملائكةُ﴾** بالرسالة كما تنزل على الأنبياء، **﴿أو نرَى ربَّنا﴾** قال الله تعالى: **﴿لقد استكبروا في أنفسِهِم وعَتَوْا عُتُوّاً كبيراً﴾ ٢٢: ﴿يومَ يَرَوْنَ الملائكةَ لابُشْرَى يومئذٍ للمجرمين﴾** هم لايرون الملائكة إلّا وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنّار والغضب من الجبّار، كما قال تعالى: ﴿ولو ترى إذْ يتوفّى الذين كفرُوا الملائكةُ يضربُون وُجوهَهُم وأدْبارَهم﴾ الآية، وكما قال تعالى: ﴿أخرجوا أنفسَكم اليوم تُجزون عذابَ الهُوْنِ بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ﴾ الآية. **﴿ويقولون حِجْراً مَحْجُوراً﴾** وتقول الملائكة للكافرين: حرامٌ محرّمٌ عليكم الفلاحُ اليوم **٢٣: ﴿وقدِمنا إلى ماعَمِلُوا مِن عملٍ فجعلناهُ هباءً منثُوراً﴾** هذا يوم القيامة حين يحاسب الله تعالى العباد على ماعملوه من خير وشرّ، فأخبر أنّه لايحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنّوا أنّها منجاة لهم شيءٌ. والهباء هو الرماد إذا ذرتْهُ الريحُ. وذلك إنّهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنّها على شيء، فلمّا عُرضتْ على المَلِكِ الحَكَمِ العدلِ الذي لايجورُ ولايظلم أحداً، إذْ أنّها لاشيءَ بالكليّة، كما قال تعالى: ﴿مثلُ الذين كفرُوا بربِّهم أعمالُهم كرَمادٍ اشتدّتْ به الريحُ﴾ الآية **٢٤: ﴿أصحابُ الجنّةِ يومئذٍ﴾** يوم القيامة **﴿خيرٌ مستقرّاً وأحسنُ مَقِيلاً﴾** بما عملوه من الأعمال المتقبّلة، نالُوا مانالُوا وصاروا إلى ماصاروا إليه بخلاف أهل النّار، فإنّهم ليس لهم عمل يقتضي نجاتهم من النّار [والمستقرُّ والمقيلُ: هو المأوى والمنزل] **٢٥: ﴿ويومَ تشقّقُ السماءُ بالغمام﴾** يُخبر تعالى عن هول يوم القيامة ومايكون فيه من الأمور العظيمة من انشقاق السماء بالغمام وهو ظلل النّور العظيم الذي يُبهر الأبصار، **﴿ونُزِّلَ الملائكةُ تنزيلاً﴾** فيُحيطُون بالخلائق في مقام المحشر **٢٦: ﴿المُلْكُ يومئذٍ الحقُّ للرحمن﴾** كما قال تعالى: ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليومَ؟ للهِ الواحدِ القهار﴾، **﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾** شديداً صعباً لأنه يوم عدلٍ وقضاء فصلٍ **٢٧: ﴿ويومَ يَعَضُّ الظالِمُ على يديهِ﴾** لندمه على فراق طريق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث لاينفعه الندم، **﴿يقول ياليتني اتخذتُ مع الرسولِ سبيلاً﴾** نزلت في عقبة بن أبي مُعيط وغيرِه من الأشقياء **٢٨: ﴿ياويلتا ليتني لم أتخذْ فلاناً خليلاً﴾** يعني مَن صرفَهُ عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلالة، وهو أميّة بن خلف **٢٩: ﴿لقد اضلَّني عن الذكر﴾** وهو القرآن **﴿بعد إذْ جاءَني﴾** بعد بلوغِه إليّ، **﴿وكان الشيطانُ للإنسانِ خذُولاً﴾** يخذله عن الحق **٣٠: ﴿وقال الرسولُ﴾** صلى الله عليه وآله وسلم **﴿ياربِّ إنّ قومِي اتخذوا هذا القرآنَ مَهْجُوراً﴾** وذلك أنّ المشركين كانوا لايُصغون إلى القرآن ولايستمِعُونه **٣١: ﴿وكذلكَ جعلنا لكُلِّ نبيٍّ عدوّاً مِن المجرمين﴾** كما حصل لك يامحمد في قومِكَ من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الأمم الماضين لكل نبي عدوٌّ. **﴿وكَفَى بربّكَ هادِياً ونصيراً﴾** لمن اتبع رسوله وآمنَ بكتابه **٣٢: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جملةً واحدةً﴾** كالتوراة والإنجيل، وهذا تعنّتٌ من الكفار، فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنّه إنّما نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة **﴿لِنُثبِّتَ بهِ فؤادَكَ ورتّلناهُ ترتيلاً﴾**، بينّاه تبييناً، وفسّرناه تفسيراً.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

٣٣: ﴿ولايأتونَكَ بمَثَلٍ إلّا جئناك بالحقِّ﴾ لايقُولُون قولاً يُعارضون به الحقَّ إلّا أجبناهم بما هو الحق **﴿وأحسنَ تفسيراً﴾** أفصح وأوضح من مقالتهم. ثم أخبر تعالى عن سوء حال الكفار يوم القيامة فقال تعالى: **٣٤: ﴿الذين يُحْشَرُون على وُجُوههم إلى جهنّم أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً﴾** وفي الصحيح: أنّ رجلاً قال: يارسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: «إنّ الذي أمشاه على رجليه قادرٌ أن يُمْشِيهِ على وجهِهِ يوم القيامة» **٣٥: ﴿ولقد آتينا موسى الكتابَ وجعلنا معه أخاهُ هارُون وزيراً﴾** بعث الله موسى وجعل معه أخاه هارون مؤازاً ومؤيّداً وناصراً، فكذّبهما فرعَونُ وجنُودُهُ **٣٦: ﴿فقلنا اذْهبَا إلى القومِ الذين كذّبُوا بآياتنا فدمّرناهم تدميراً﴾**؛ ﴿فدمَّرَ اللهُ عليهم وللكافرين أمثالُها﴾، وكذلك فعل قومُ نوح **٣٧: ﴿وقومَ نوحٍ لّما كذّبُوا الرسلَ أغرقناهم﴾** وقد لبث فيهم نوح ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، ﴿فما آمنَ معه إلّا قليل﴾ ولهذا أغرقهم الله جميعاً، **﴿وجعلناهم للنّاسِ آيةً وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً﴾** جعلهم عبرة يعتبرون بها **٣٨: ﴿وعاداً وثموداً وأصحابَ الرَّسّ﴾** وهم أهلُ قريةٍ من قرى ثمود، حفروا لنبيّهم بئراً فألقوهُ فيها، ثم أطبقوا عليه بحجر أصم، **﴿وقُرُوناً بين ذلك كثيراً﴾** وأُمماً أضعاف مَن ذُكِرَ أهلكناهم، ولهذا قال تعالى: **٣٩: ﴿وكُلّاً ضربنا له الأمثال﴾** بيّنّا لهم الحججَ ووضحنا لهم الأدلّة، [فلم يُؤمنوا] **﴿وكلاًّ تبَّرْنَا تَتْبيراً﴾** أهلكنا إهلاكاً **٤٠: ﴿ولقد أتَوْا على القريةِ التي أمطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾** يعني قرية قوم لوطٍ وهي سَدُوم التي أهلكها الله تعالى بالقلب وبالمطر من الحجارة التي من سجيل، **﴿أفلم يكونُوا يرونها﴾** فيعتبروا بما حَلَّ بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول وبمخالفتهم أوامر الله، **﴿بلْ كانُوا لايرجون نُشُوراً﴾** المارّين بها من الكفار ولايعتبرون لأنّهم لايرجون معاداً يوم القيامة **٤١: ﴿وإذا رَأَوْكَ إنْ يتّخِذُونَكَ إلّا هُزوُاً أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾**؟ على سبيل التنقص والإزدراء قبّحهم الله **٤٢: ﴿إنْ كادَ ليُضِلُّنا عن آلهتنا﴾** يعنُون: أنّه كادَ يفتنهم عن عبادة الأصنام لولا أن تجلّدُوا عليها، ولهذا قال الله تعالى متوعداً لهم ومتهدّداً: **﴿وسوفَ يعلمون حينَ يَرَوْنَ العذابَ مَن أضلُّ سبيلاً﴾ ٤٣: ﴿أرأيتَ مَنِ اتخذَ إلهَهُ هَوَاهُ﴾** مهما استحسنَ مِن شيءٍ ورآه حَسَناً في هوَى نفسِهِ كان دينَهُ ومذهبَهُ، كما قال تعالى: ﴿أفمن زُيّنَ له سُوءُ عملِهِ فرآهُ حسناً﴾؟ ولهذا قال تعالى: **﴿أفَأنتَ تكونُ عليهِ وكيلاً﴾**؟ قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهليّة يعبد الحجرَ الأبيضَ زماناً، فإذا رأى غيرَهُ أحسنَ منه عَبَدَ الثاني وترك الأول.

الآية : ٣٤ وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قال رسول الله ﷺ : « يُؤتَى بالعبد يوم القيامة ، فيقول له : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً ، وسخرتُ لك الأنعام والحرثَ ، وتركتك تَرْأسُ وتَرْبَعُ ؟ فكنتَ تظنُّ أنّك مُلاقيَّ يومَك هذا ؟ فيقول : لا ، فيقولُ لهُ : اليومَ أنساكَ كما نسيتني » . قال أبو عيسى : ومعنى قوله : « اليومَ أنسَاكَ » : اليوم أتركك في العذاب . /صحيح الترمذي للشيخ ناصر الدين ج٣/٢٩٢ .

أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾

الحزب ٣٧

٤٤: ﴿**أمْ تحسبُ أنّ أكثرَهم يسمعُون أو يعقلون**﴾؟ ﴿**إنْ هم إلّا كالأنعامِ بلْ هم أضلُّ سبيلاً**﴾ هم أسوأ حالاً من الأنعام، فإنّ تلك تفعل ماخلقتْ له، وهؤلاء خُلِقُوا لعبادة الله وحده لاشريك له، فلم يفعلوا، وهم يعبُدون غيره **٤٥**: ﴿**ألم تَرَ إلى ربِّك كيفَ مدَّ الظلَّ**﴾؟ وهو مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿**ولو شاءَ لجعله ساكناً**﴾ دائماً لايزول، كما قال تعالى: ﴿قل أرأيتُم إنْ جعلَ اللهُ عليكُم الليلَ سرمداً﴾؟ ﴿**ثم جعلنا الشمسَ عليه دَليلاً**﴾ لولا أنّ الشمسَ تطلع عليه لَمَا عُرِف، فإن الضِّدَّ لايُعرف إلّا بضدِّهِ **٤٦**: ﴿**ثم قبضناهُ إلينا قبضاً يسيراً**﴾ حفيفاً حتى لايبقى في الأرض ظل إلّا تحتَ سقف أو تحت شجرة، وقد أظلّت الشمس مافوقه **٤٧**: ﴿**وهو الذي جعلَ لكُمُ اللّيل لِباساً**﴾ يلبسُ الوجودَ ويغشاه كما قال تعالى: ﴿والليلِ إذا يغشَى﴾، ﴿**والنومَ سُباتاً**﴾ قاطعاً للحركة، لراحة الأبدان، فإنّ الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة بالنهار في المعاش، فإذا جاء اللّيلُ سكنت الحركات، فاستراحت الأبدان والأرواح معاً، ﴿**وجعلَ النهارَ نُشوراً**﴾ ينتشرُ الناسُ فيه لمعايشهم ومكاسبهم **٤٨**: ﴿**وهو الذي أرسلَ الرياحَ بُشراً بينَ يَدِيْ رحمته**﴾ يرسل الرياح مبشرات بمجيء السحاب بعدها، ﴿**وأنزلنا مِن السماء ماءً طَهُوراً**﴾ يُتطهر به **٤٩**: ﴿**لِنُحيِيَ بهِ بلدةً مَيتاً**﴾ أرضاً قد طال انتظارها للغيث، فَهي هامِدَةٌ لانباتَ فيها، كما قال تعالى: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزتْ وربَتْ﴾، ﴿**ونُسقيَهُ مّما خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً**﴾ وليشرب منه الحيوان [والإنسان] **٥٠**: ﴿**ولقد صَرَّفْنَاهُ بينهم ليذّكَّرُوا**﴾ أمطرنا هذه الأرض دُون هذه [ليذكُروا نِعمَ الله، ويعلموا أنّ الذي أنعمَ بها لايجوز أن يُشْرَكَ به شيئاً]، ﴿**فأبَى أكثرُ النّاسِ إلّا كُفُوراً**﴾ يعني الذين يقولون: مُطرنا بِنَوْءِ كذا وكذا. **٥١**: ﴿**ولو شئنا لبعثنا في كلِّ قريةٍ نذيراً**﴾ يدعُوهم إلى الله عزّ وجلّ، ولكنّا خصصناكَ يامحمد بالبعثة إلى جميع أهل الأرض، وأمرناكَ أن تبلّغَهُمُ القرآنَ **٥٢**: ﴿**فلاتُطعِ الكافرين وجاهدهم به**﴾ يعني بالقرآن ﴿**جِهاداً كبيراً**﴾ **٥٣**: ﴿**وهو الذي مَرَجَ البحرين**﴾ [خلطهما فهما يلتقيان] ﴿**هذا عذبٌ فُراتٌ**﴾ حلوٌ عذبٌ ﴿**وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ**﴾ [أي: فيه ملوحة ومرارة]، ﴿**وجعلَ بينهما بَرْزَخاً**﴾ حاجزاً، ﴿**وحِجْراً مَحْجُوراً**﴾ مانعاً من أن يصلَ أحدُهما إلى الآخر، فالحلو كالأنهار والآبار والعيون وهذا هو البحر العذب الزلال **٥٤**: ﴿**وهو الذي خلقَ مِن الماءِ بشراً**﴾ خلقَ الإنسانَ من نطفة فسوّاه وخلقه ذكراً وأنثى ﴿**فجعله نَسَباً وصهراً**﴾ فهو في ابتداء أمره وُلِدَ نسيبٌ، ثم يتزوّج فيصير صهراً، ثم يصير له أصهار وقرابات، ﴿**وكان ربُّكَ قديراً**﴾ **٥٥**: ﴿**ويعبُدُون مِن دُونِ اللهِ مالاينفعُهم ولايضرُّهم**﴾ المشركون ﴿**وكان الكافرُ على ربِّهِ ظهيراً**﴾ عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله، وحزب الله هم الغالِبُون.

الآية : ٥٠ وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنّه قال لأصحابه يوماً على إثرِ سماءٍ أصابتهم من اللّيل : « أتدرون ماذا قال ربُّكم ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « أصبحَ مِنْ عبادي مؤمن بي وكافر ، فأمّا مَنْ قال : مُطِرْنا بفضل الله ورحمته ، فذاك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأمّا من قال : مُطِرْنا بنوء كذا وكذا فذاك كافرٌ بي مؤمن بالكواكب » . /ابن كثير ج٣/٣٢١ .

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

سجدة

٥٦: ﴿وماأرسلناك إلّا مُبشّراً ونذيراً﴾ بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين بعذاب الله **٥٧: ﴿قُلْ ماأسألكم عليه مِن أجرٍ﴾** عن هذا البلاغ، وإنّما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى، **﴿إلّا مَن شاء أن يتخذَ إلى ربِّهِ سبيلاً﴾** طريقاً ومنهجاً يقتدي فيها بما جِئتُ بهِ. ثم قال تعالى: **٥٨: ﴿وتوكلْ على الحيّ الذي لايموتُ﴾** في أمورك كلها كُنْ متوكلاً على الله أبداً، **﴿وسبّحْ بحمدِهِ﴾** اقرنْ بين حمده وتسبيحه، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سبحان الله وبحمده»، **﴿وكفى بهِ بذنوبِ عبادِهِ خبيراً﴾** بعلمه التام الذي لاتخفى عليه خافية **٥٩: ﴿الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ﴾** هذه في ارتفاعها واتّساعها، وهذه في سُفولها وكثافتها **﴿في ستّةِ أيّامٍ ثم استوى على العرش﴾** يُدبّر الأمرَ ويقضي الحقَّ وهو خير الفاصلين، **﴿ثم استوى على العرشِ الرحمنُ فاسْألْ بهِ خبيراً﴾** اسْتَعلمْ عنه مَن هو خبير به عالم به فاتّبِعْهُ واقتدِ بهِ، [أي: فاسأل عنه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم] فإنّه لاأحدَ أعلمُ بالله ولا أخبر به على الإطلاق من عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم. **٦٠: ﴿وإذا قِيلَ لهُمُ اسجدُوا للرحمنِ قالوا وماالرحمنُ﴾**؟ لانعرفه ولانقرُّ بهِ، **﴿أنسجدُ لِما تأمُرُنا﴾** لمجرّدِ قولك؟ **﴿وزادَهُمُ نفوراً﴾**، فأمّا المؤمنون فإنهم يعبُدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويُفرِدُونه بالإلهيّة ويسجدون له **٦١: ﴿تبارَكَ الذي جعلَ في السماء بُرُوجاً﴾** يمجّدُ الله تعالى نفسه ويُعظمها على جميل ماخلق في السموات من بُرُوجٍ، وهي الكواكب العِظام **﴿وجعلَ فيها سِراجاً﴾** وهي الشمس المنيرة **﴿وقمراً منيراً﴾** مشرقاً مُضيئاً **٦٢: ﴿وهو الذي جعلَ الليلَ والنّهار خِلفةً﴾** يخلف كلُّ واحد منهما صاحبه يتعاقبان لايفترقان، **﴿لِمَنْ أرادَ أنْ يذّكّرَ أو أرادَ شُكُوراً﴾** جعلهما يتعاقبان توقيتاً لعبادةِ عبادِهِ له عزّ وجلّ، فمَنْ فاته عملٌ في الليل استدركه في النهار، ومَن فاته عملٌ في النّهار استدركه في الليل **٦٣: ﴿وعبادُ الرحمنِ الذي يمشُون على الأرضِ هَوْناً﴾** بسكينةٍ ووقار **﴿وإذا خاطبَهُمُ الجاهِلُون قالُوا سلاماً﴾** إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيء لم يُقابلو ه عليه بمثله، بل يعفُون ولايقولون إلّا خيراً **٦٤: ﴿والذين يبيتُون لربِّهم سُجّداً وقِياماً﴾** في طاعته وعبادته **٦٥: ﴿والذين يقُولُون ربَّنا اصرفْ عنّا عذابَ جهنّم إنّ عذابَها كان غراماً﴾** ملازماً دائماً **٦٦: ﴿إنّها ساءت مستقرّاً﴾** بئسَ المنزل، **﴿ومُقاماً﴾** وبئسَ المقيل **٦٧: ﴿والذين إذا أنفقُوا لم يُسرِفُوا ولم يقتُروا﴾** ليسُوا بمبذِّرين في إنفاقهم؛ فيصرفون فوق الحاجة، ولابخلاء على أهليهم؛ فيُقصِّرُون في حقهم، **﴿وكان بين ذلك قَوَاماً﴾** [أي: عَدْلاً]، كما قال تعالى: ﴿ولا تجعلْ يَدَكَ مغلُولَةً إلى عُنقِكَ ولاتبسطْهَا كلَّ البَسْطِ﴾ الآية. وروى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مِن فِقْهِ الرجلِ قصدُهُ في معيشته»، وروى أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَاعَالَ مَنِ اقتصد». وروى البزار من حديث حُذيفة: «ماأحسنَ القصدَ في الغنَى، وماأحسنَ القصدَ في الفقر».

الآية: ٦٠ روى ابن أبي حاتم عن شهر بن حَوْشَبٍ قال: لقي سلمانُ النبي ﷺ في بعض فِجَاجِ المدينة فسجدَ له، فقال ﷺ: « لا تَسْجُدْ لي يا سلمان، واسْجُدْ للحيّ الذي لا يموتُ »، وهذا حديث مرسل حَسَنٌ. /ابن كثير ج٣/٣٢٥ – ٣٢٦.

الآية: ٦٧ روى البزار عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ «ماأحسنَ القصدَ في الغِنَى! وماأحسن القصدَ في الفقر! وماأحسن القصدَ في العبادة» /ابن كثير ج٣/٣٢٥ – ٣٢٦/.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سورة الشعراء

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

٦٨: **﴿والذين لايَدْعُون معَ اللهِ إلهاً آخرَ﴾** [إخراجٌ لعبادِهِ المؤمنين من صفات الكفرة]، روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُئل: أيّ الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل للهِ نِداً وهو خلقك»، **﴿ولايقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ﴾** [أي: ممّا يحقّ أن تقتل به النفوس؛ من كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان] **﴿ولايزنُون﴾** روى ابن أبي الدنيا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مامِن ذنبٍ أعظمُ عندَ اللهِ مِن نطفةٍ وضعَها رجلٌ في رَحِمٍ لايحِلُّ لهُ»، **﴿ومَن يفعلْ ذلك يَلْقَ أثاماً﴾** نكالاً وجزاءً ٦٩: **﴿يُضاعَفْ لهُ العذابُ﴾** يكرّر عليه ويغلظ **﴿يوم القيامة ويخلُدْ فيه مُهَاناً﴾** حقيراً ذليلاً ٧٠: **﴿إلّا مَن تابَ﴾** في الدنيا إلى الله عزّ وجلّ من جميع ذلك فإنّ الله يتوبُ عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿إنّ اللهَ لايغفِرُ أنْ يُشرَكَ به ويغفِرُ مادُونَ ذلك لمن يشاء﴾، **﴿وآمَنَ وعمِلَ عملاً صالِحاً فأولئك يُبدِّلُ اللهُ سيّئاتِهم حسنات﴾** أبدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات؛ أبدلهم بالعمل السيء العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصاً، وبالفجور إحصاناً، وبالكفر إسلاماً. [وللآية معنًى ثانٍ]؛ أنّ تلك السيّئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وماذاك إلّا لأنّه كلّما تذكّرَ مامضَى ندم واستغفر؛ فينقلب الذنب طاعةً بهذا الاعتبار ٧١: **﴿ومَن تابَ وعمِلَ صالِحاً فإنّه يتوبُ إلى اللهِ مَتاباً﴾** فإنّ الله يقبلُ توبتَهُ ٧٢: **﴿والذين لايشهَدُون الزُّورَ﴾** وهو الكذب متعمداً على غيره، وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألاَ أنبّئكم بأكبر الكبائر»؟ ـــ ثلاثاً ـــ قلنا: بلى يارسول الله، قال: «الشركُ بالله، وعُقوقُ الوالِدَين» ـــ وكان متكئاً فجلس ـــ فقال: «ألاَ وقول الزور ألاَ وشهادة الزور» فما زال يُكرّرها حتى قلنا: لَيتَهُ سكت. **﴿وإذا مَرُّوا باللغوِ﴾** [اللّغو: هو كل سقط من قولٍ أو فعل]، **﴿مَرُّوا كِرَاماً﴾** [الكرامُ من القوم الذين لايدخلون في الباطل] ٧٣: **﴿والذين إذا ذُكِّرُوا بآياتِ ربِّهم لم يخِرُّوا عليها صُمّاً وعُمْياناً﴾** هذه صفات المؤمنين، بخلاف الكافر فإنّه إذا سمعَ كلامَ اللهِ لايُؤثر فيه ٧٤: **﴿والذين يقولُون ربَّنا هَبْ لنا مِن أزواجِنَا وذُرِّيّاتِنَا قُرَّةَ أعينٍ﴾** أن يعبدوا الله وحدَه لاشريك له؛ يعملون بطاعة الله، فتقرُّ أعيُنهم في الدنيا والآخرة. **﴿واجعلنا للمتّقِين إماماً﴾** دعاةً هداةً إلى الخير، يُقتدَى بنا في الخير ٧٥: **﴿أولئك يجزون﴾** يوم القيامة **﴿الغُرْفَةَ﴾** وهي الجنّة **﴿بما صَبَرُوا﴾** على القيام بذلك **﴿ويُلَقَّوْن فيها﴾** في الجنّة **﴿تحيّةً وسلاماً﴾** يبتدرون بالتوقير والاحترام ٧٦: **﴿خالدين فيها﴾** لايزولون عنها ولايموتون **﴿حَسُنَتْ مستقرّاً ومُقاماً﴾** حَسُنت منظراً وطابت مقيلاً ومنزلاً ٧٧: **﴿قُلْ مايَعْبَأُ بكم ربّي﴾** لايُبالي ولايكترث بكم إذا لم تعبُدُوهُ؛ فإنّه إنّما خلقَ الخلقَ ليعبُدُوهُ، **﴿لولا دُعاؤُكم﴾** لولا إيمانكم، **﴿فقد كذّبتم﴾** أيها الكافرون **﴿فسوف يكونُ لِزَاماً﴾** هلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة.

الآية : ٦٨ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : سئل رسول الله ﷺ : أيُّ الذنب أكبر ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » قال عبد الله ؛ وأنزل الله تصديق ذلك : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ الآية . /ابن كثير ج٣/٣٢٦ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

تفسير سورة الشعراء

١: ﴿طسٓمٓ﴾[1] **٢: ﴿تِلْكَ آياتُ الكتابِ المُبين﴾** هذه آيات القرآن البيّن الواضح الذي يفصل بين الحقّ والباطل **٣: ﴿لعلّكَ باخعٌ﴾** مُهلكٌ **﴿نفسَكَ﴾** مّما تحرص وتحزن عليهم **﴿أنْ لايكُونوا مؤمنين﴾** هذه تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في عدم إيمان الكفار **٤: ﴿إنْ نشأ نُنَزِّلْ عليهم مِن السماءِ آيةً فظلّتْ أعناقُهم لها خاضعين﴾** لو نشاء لأنزلنا آيةً تضطرهم إلى الإيمان قهراً، ولكن لانفعل ذلك لأنّا نريد الإيمان اختيارياً **٥: ﴿ومايأتِيهِمْ مِن ذكرٍ مِن الرحمن مُحْدَثٍ إلّا كانُوا عنه معرضين﴾** كلّما جاءَهم كتابٌ مِن السماء أعرض عنه أكثر النّاس **٦: ﴿فقد كذّبُوا فسيأتِيهم أنباءُ ماكانوا به يستهزئون﴾** فقد كذّبُوا بما جاءهم من الحقّ فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين. ثم نبّهَ تعالى على عظمة سلطانه فقال: **٧: ﴿أولم يَرَوْا إلى الأرض كَم أنبتنا فيها مِن كلّ زوجٍ كريم﴾** من زروع وثمار وحيوان **٨: ﴿إنّ في ذلك لآيةً﴾** دلالَةً على قدرة الخالق للأشياء الذي بسط الأرض ورفع السماء، ومع هذا **﴿وماكان أكثرُهم مؤمنين﴾** فكذّبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبُوا نهيَهُ **٩: ﴿وإنّ ربّكَ لهو العزيزُ﴾** الذي قَهَرَ كلَّ شيءٍ وغلبه **﴿الرحيم﴾** بخلقه، فلايُعجّل على مَن عصَاهُ بل يُؤجّله، ثم يأخذ أخذ عزيزٍ مقتدر **١٠: ﴿وإذْ نادَى ربُّكَ موسى﴾** من جانب الطور الأيمن **﴿أنِ ائتِ القومَ الظالمين﴾ ١١: ﴿قومَ فِرعونَ﴾** [فأخبرَ مَن هُم]. **﴿ألاَ يتّقُون﴾**؟ [ألاَ يخافون الله]؟ **١٢: ﴿قال ربِّ إنّي أخاف أن يُكذِّبُونِ﴾** [أي: في النبوّة والرسالة] **١٣: ﴿ويضيقُ صَدْري﴾** [لتكذيبهم إيّايَ] **﴿ولاينطلِقُ لساني﴾** [أي: في مجادلة فرعون، وكان في لسانه عقدة، من أثر الجمرة التي تناولها بدل التمرةِ]، **﴿فأرسلْ إلى هارُون﴾** أرسلْ إليه جبريل بالوحي، واجعله رسولاً معي ليؤازرني ويُعاونَنِي **١٤: ﴿ولهم عليّ ذنبٌ فأخاف أن يقتلون﴾** بسبب قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر **١٥: ﴿قال﴾** اللهُ **﴿كلاّ﴾** لاتخف من شيء من ذلك **﴿فاذْهبَا بآياتِنا إنّا معكم مستمعون﴾** إنني معكما بحفظي وتأييدي **١٦: ﴿فأْتِيا فِرعونَ فقُولاَ إنّا رسولُ ربِّ العالمين﴾** [أي: إنّا ذَوُو رسالة من ربِّ العالمين] **١٧: ﴿أنْ أرسِلْ معنا بني إسرائيل﴾** أطلقهم من أسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك، فإنّهم عباد الله المؤمنين، فلمّا قال له موسى ذلك أعرض فرعون هنالك بالكلّية، ونظر إليه بعين الغمص فقال: **١٨: ﴿..ألَمْ نُرَبِّكَ فينا وَليداً﴾** أمَا أنتَ الذي ربّيناه فينا وفي بيتنا **﴿ولبثتَ فينا مِن عُمُرك سنين﴾**؟ **١٩: ﴿وفعلتَ فِعْلتَكَ التي فعلتَ﴾** ثم بعد هذا قابلتَ ذلك الإحسان أن جحدت نعمتنا عليك، ولهذا قال: **﴿وأنتَ مِن الكافرين﴾** الجاحِدين [أي: لنعمة فرعون].

---

(١) تقدم الكلام على هذه الحروف المقطّعة في أول سورة البقرة.

الآية: ٧٤ وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو علم يُنتفع به من بعده، أو صدقة جارية » . /ابن كثير ج٣/٣٣٠ .

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

٢٠: ﴿**قال فعلتُها إذاً**﴾ في تلك الحال ﴿**وأنا مِن الضالّين**﴾ قبل أن يُوحي اللهُ علي بالرسالة والنبوّة. أي: الجاهلين **٢١**: ﴿**ففَرَرْتُ منكم لَمّا خِفتكم**﴾ [أي: خرجتُ من بينكم إلى مَدْيَن] ﴿**فوَهَبَ لي ربّي حكماً وجعلني من المرسلِين**﴾ انفصل الحال الأول وجاء أمرٌ آخر، فقد أرسلني اللهُ إليك **٢٢**: ﴿**وتلكَ نعمةٌ تَمُنُّها عليّ أن عبّدتَ بني إسرائيل**﴾ وماأحسنت إليّ وربّيتني مقابل ماأسأتَ إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخدماً؟! **٢٣**: ﴿**قالَ فرعونُ ومارَبُّ العالمين**﴾؟ ومَن هذا الذي تزعم أنّه ربّ العالمين غيري؟ لأنّه كان يقول لقومه: ﴿ماعلمتُ لكم مِن إلهٍ غيري﴾ **٢٤**: ﴿**قالَ ربُّ السمواتِ والأرضِ ومابينهما**﴾ خالق جميع ذلك ولاشريك له، وهو الله، ﴿**إن كنتم موقنين**﴾ إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصارٌ نافذة **٢٥**: ﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**لِمَنْ حوله**﴾ على سبيل التهكم: ﴿**ألاَ تستمعون**﴾؟ أي: ألاَ تعجبُون من قول هذا أنّ لكم إلهاً غيري؟ فقال له موسى: **٢٦**: ﴿**ربُّكم وربُّ آبائكم الأوّلين**﴾ خالقكم وخالق آبائكم الذين كانوا قبل فرعون **٢٧**: ﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**إنّ رسولَكم الذي أُرسِلَ إليكم لمجنون**﴾ **٢٨**: ﴿**قال**﴾ موسى لأولئك الذين أوغرَ إليهم فرعون ماأوغرَ من الشبهة ﴿**ربُّ المشرقِ والمغربِ ومابينهما إن كنتُم تعقِلُون**﴾ الذي جعل المشرقَ مشرقاً، والمغربَ مغرباً، ولهذا لمّا انقطعت حجة فرعون عدل إلى استعمال سلطانه: **٢٩**: ﴿**قال لَئِنِ اتخذتَ إلهاً غيري لأجعلنّكَ مِن المسجونين**﴾ وعندَ ذلك قال له موسى: **٣٠**: ﴿**أوَلوجئتُكَ بشيءٍ مُبين**﴾؟ أي: ببرهان قاطع واضح؟ **٣١**: ﴿**قالَ فأْتِ بهِ إن كنتَ مِن الصادِقين**﴾ **٣٢**: ﴿**فألقَى عصَاهُ فإذا هي ثعبانٌ مُبين**﴾ ظاهر غاية الجلاء، وبشكل هائل مزعج **٣٣**: ﴿**ونزعَ يدَهُ فإذا هي بيضاءُ للنّاظرين**﴾ نزع يده من جيبه تتلألأ كقطعة من القمر، فبادر فرعون إلى التكذيب والعناد **٣٤**: ﴿**قال للملأ حَوْلَهُ إنّ هذا لساحرٌ عليم**﴾ بارع في السحر، ثم هيّجهم وحرّضهم على مخالفته والكفر به فقال: **٣٥**: ﴿**يُريدُ أنْ يخرجكم من أرضِكم بسحرِهِ**﴾ أرادَ أن يذهب بقلوب النّاس معه بسبب هذا فيكثر أنصاره ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم ﴿**فماذا تأمُرون**﴾؟ فأشيروا عليّ فيه ماذا أصنع به؟ **٣٦**: ﴿**قالُوا أرْجِهْ وأخاهُ**﴾ أخره وأخاه حتى تجمعَ له من مدائن مملكتك كلّ ساحرٍ عليم ﴿**وابعثْ في المدائن حاشرين**﴾ **٣٧**: ﴿**يأتوكَ بكلِّ سحّارٍ عليمٍ**﴾ وتكون لك النُّصْرَةُ والتأييد، فأجابَهم إلى ذلك **٣٨**: ﴿**فجُمِعَ السحرةُ لميقاتِ يومٍ معلوم**﴾ ليُطفِئوا نورَ الله بأفواههم، فأبَى اللهُ إلّا أن يُتِمّ نورَهُ ولو كره الكافرون **٣٩**: ﴿**وقيلَ للنّاس هلْ أنتم مجتمِعُون**﴾ [حَثّاً لهم على الاجتماع ليشاهدوا مايكون من موسى والسحرة، ولمن تكون الغَلَبَةُ].

الآية : ٢٣ لمّا غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللّعين من تقريره على التربية وغير ذلك حجة رجع إلى معارضة موسى ، فقال فرعون : وما ربّ العالمين ؟ فاستفهم استفهاماً عن مجهول من الأشياء ، فأتى موسى بالصفات الدّالّة على الله من مخلوقاته التي لا يُشاركه فيها مخلوق [فسحقه بالحجة الدامغة] /القرطبي ج١٣/٩٨ .

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

٤٠: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحرةَ إنْ كانُوا هُمُ الغالبين﴾ ولم يقولوا نتبع الحقّ سواء كان من السحرة أو من موسى، بل الرعيّة على دين ملكهم **٤١: ﴿فلمّا جاء السحرةُ قالُوا لفرعونَ﴾** يطلبون منه الإحسانَ إليهم والتقرّب إليه: **﴿أئِنّ لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين﴾**؟ **٤٢: ﴿قالَ نعمْ وإنّكم إذاً لَمِنَ المقرّبين﴾** وأخصّ ممّا تطلبون أجعلكم جلسائي **٤٣: ﴿قال لهم موسى ألقُوا ماأنتم مُلْقُون﴾** **٤٤: ﴿فألْقَوا حبالَهم وعِصِيَّهُمْ وقالُوا بعِزَّةِ فرعون إنّا لنحنُ الغالِبُون﴾** [أقسَمُوا بعظمة فرعون] **٤٥: ﴿فألقَى موسى عَصَاهُ فإذا هي تلقفُ مايأفِكُون﴾** تخطفه وتجمعه من كل بقعة، وتبتلعه فلم تدع منه شيئاً، قال الله تعالى: ﴿فوقعَ الحقُّ وبطلَ ماكانوا يعملون﴾ **٤٦: ﴿فأُلقِيَ السحرةُ ساجدين﴾** فكان هذا أمراً عظيماً جداً وبرهاناً قاطعاً للعذر وحُجّةً دامغة، فكان الذين استنصَر بهم آمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدُوا لربّ العالمين **٤٧: ﴿قالُوا آمنّا بربِّ العالَمين﴾** **٤٨: ﴿ربِّ موسى وهَارُون﴾** **٤٩: ﴿قال آمنتُم له قبلَ أنْ آذنَ لكم﴾**؟ كان ينبغي أن تستأذِنُوني فيما فعلتم فإن أذنتُ لكم فعلتم وإن منعتكم امتنعتم فإنّي أنا الحاكم المطاع **﴿إنّه لكبيرُكم الذي علّمكُمُ السحرَ﴾** وهذه مكابرة يعلم كلُّ أحدٍ بُطلانها، فإنّهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادَهم صناعة السحر؟! ثم توعّدَهم فقال: **﴿فَلَسَوْفَ تعْلَمون لأُقطِّعَنّ أيدِيَكم وأرجلَكم مِن خِلافٍ ولأُصَلِّبَنَّكُمْ أجمعين﴾** **٥٠: ﴿قالُوا لاَضَيْرَ﴾** لاحَرَج ولايضرّنا ذلك ولانُبالي به **﴿إنّا إلى ربِّنا منقلِبُون﴾** المرجع إلى الله عزّ وجلّ وهو لايُضيعُ أجرَ مَن أحسن عملاً، ولهذا قالوا: **٥١: ﴿إنّا نطمعُ أن يغفِرَ لنا ربُّنا خطايانا﴾** ماقارفناه من الذنوب وماأكرهتنا عليهِ من السحر **﴿أنْ كنّا أوّلَ المؤمنين﴾** بسبب أنّا بادرنا قومَنا مِن القِبط إلى الإيمان، فقتلهم كلَّهم **٥٢: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسْرِ بعبادي﴾** أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من مصر إلى حيث يُؤمر، **﴿إنّكم مُتّبَعُون﴾**، فلمّا أصبحوا وليس في ناديهم داعٍ ولامجيب غاظَ ذلك فرعون **٥٣: ﴿فأرسلَ فرعونُ في المدائن حاشرين﴾** من يحشر الجند [ليتبع موسى وقومه] **٥٤:** ونادى فيهم: **﴿إنّ هؤلاء﴾** يعني بني إسرائيل **﴿لشرذِمَةٌ﴾** لطائفة **﴿قليلون﴾** **٥٥: ﴿وإنّهم لنا لغائظُون﴾** كل وقت يصل منهم إلينا مايغيظنا **٥٦: ﴿وإنّا لجميعٌ حَاذِرُون﴾** نحنُ كل وقت نحذر من غائلتهم، وإنّي أُريدُ أن أستأصلَ شأفتهم وأُبيد خضراءَهم، فجُوزيَ في نفسه وجنده بما أرادَ لهم، قال الله تعالى: **٥٧: ﴿فأخرجناهُم مِن جنّاتٍ وعُيون﴾** **٥٨: ﴿وكُنُوزٍ ومَقامٍ كريم﴾** خرجوا من هذا النعيم إلى الجحِيم **٥٩: ﴿كذلِكَ وأورثناها بني إسرائيل﴾** [أي: بعد أن رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، وورثوا مااستعاروه مِن حِليّ آل فرعون] **٦٠: ﴿فأتبعُوهم مُشرقين﴾** وصلوا إليهم عندَ شُروق الشمس.

الآية: ٥٢ إنّ موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه، فاحتمل تابوته معه، ويُقال: إنه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام، وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحتملوه معهم. /ابن كثير ج٣/٣٣٥.

فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

٦١: ﴿**فلمّا تراءى الجمعان**﴾ رأى كلٌّ من الفريقين صاحبه فعند ذلك ﴿**قالَ أصحاب موسى إنّا لَمُدْرَكُون**﴾ وذلك أنّهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر، وهو بحر القُلْزم [أي: البحر الأحمر] فصار أمامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده **٦٢**: ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**كلّا إنّ معي ربّي سيهدين**﴾ لايصل إليكم شيء ممّا تحذرون **٦٣**: ﴿**فأوحينا إلى موسى أنِ اضربْ بعصاكَ البحرَ**﴾ فضربه بها ﴿**فانفلقَ فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّودِ العظيم**﴾ كالجبل الكبير، وصار البحر اثنى عشر طريقاً لكل سبطٍ طريق **٦٤**: ﴿**وأزلفنا ثمَّ الآخرين**﴾ قرّبنا من البحر فرعون وجنوده **٦٥**: ﴿**وأنجينا موسى ومَن معه أجمعين**﴾ فلم يهلك منهم أحد **٦٦**: ﴿**ثم أغرقنا الآخرين**﴾ فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلّا هلك **٦٧**: ﴿**إنّ في ذلك لآية**﴾ [أي: علامة على قدرة الله] ﴿**وما كان أكثرُهم مؤمنين**﴾ [إلّا مؤمن آل فرعونٍ وهو حزقيل وابنته امرأة فرعون آسية] **٦٨**: ﴿**وإنّ ربَّكَ لهو العزيزُ الرحيم**﴾ **٦٩**: ﴿**واتْلُ عليهم نبأَ إبراهيم**﴾ أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلو على أمته خبرَ إبراهيم عليه السلام ليقتدُوا به في الإخلاص والتوكل على الله، وعبادة الله وحده لاشريك له **٧٠**: ﴿**إذْ قال لأبيهِ وقومِهِ ماتعبدُون**﴾؟ فإنّه من وقت نشأ وشبّ أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله، **٧١**: ﴿**قالوا نعبدُ أصناماً فنظلُّ لها عاكفين**﴾ مقيمين على عبادتها ودعائها **٧٢**: ﴿**قالَ هلْ يسمعونكم إذْ تدعون**﴾ **٧٣**: ﴿**أو ينفعُونكم أو يضرُّون**﴾؟ [أي: هل ترزقكم إن عبدتموها أو تضرّكم إن عصيتموها]؟ **٧٤**: ﴿**قالُوا بلْ وجدنا آباءَنا كذلكَ يفعلون**﴾ اعترفوا بأنّ أصنامهم لاتفعلُ شيئاً، فعند ذلك قال إبراهيم: **٧٥**: ﴿**قال أفرأيتُم ماكنتُم تعبدُون**﴾ **٧٦**: ﴿**أنتُمْ وآباؤُكُمُ الأقدمون**﴾ **٧٧**: ﴿**فإنّهم عدوٌّ لي إلّا ربَّ العالمين**﴾ إنّي عدوٌّ لها ولاأبالي بها ولاأفكر فيها **٧٨**: ﴿**الذي خلقني فهو يهدين**﴾ يعني لاأعبد إلّا الذي خلقني، وهو الذي يُضلّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء. **٧٩**: ﴿**والذي هو يُطعِمُني ويَسْقِين**﴾ أعبد خالقي ورازقي بما سخّرَ ويسّرَ من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن وأنزل الماء وأحيَى به الأرضَ بعد موتها وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد **٨٠**: ﴿**وإذا مرضتُ فهو يشفين**﴾ أسندَ المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه ولكن أضافه إلى نفسه أدباً **٨١**: ﴿**والذي يميتني ثم يُحْيين**﴾ هو الذي يُحيي ويُميتُ، لايقدر على ذلك أحدٌ سواه، فإنّه هو الذي يُبدىء ويُعيد **٨٢**: ﴿**والذي أطمعُ أن يغفِرَ لي خَطِيئَتي يَوْمَ الدِّين**﴾ لايقدر على غفران الذنوب إلّا الله وهو الفعال لما يشاء **٨٣**: ﴿**ربِّ هَبْ لى حُكْماً وألحقني بالصالِحين**﴾ وهذا سُؤالٌ من إبراهيم أن يُؤتيَهُ ربُّه النبوّةَ، وأن يجعله من الصالحين في الدنيا والآخرة.

الآية : ٨٢ وفي صحيح مسلم عن عائشة ، قلتُ يا رسول الله ! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويُطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال ﷺ : « لا ينفعه ، إنّه لم يقل يوماً : ﴿ ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدِّين ﴾ » . /القرطبي ج١٣/١١٢ .

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

الحزب ٣٨

٨٤: ﴿**واجعلْ لي لسانَ صِدْقٍ في الآخِرين**﴾ واجعل لي ذكراً جميلاً بعدي، أُذكر به ويُقتدَى بي في الخير ٨٥: ﴿**واجعلني مِن ورثةِ جنّة النعيم**﴾ أنعم عليّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي وفي الآخرة بأن تجعلَني ﴿**من ورثة جنّة النعيم**﴾ ٨٦: ﴿**واغفِرْ لأبي إنّه كان مِن الضالّين**﴾، قال تعالى: ﴿وماكان استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلّا عن موعدةٍ وَعَدَه إيّاه﴾ الآية، وهذا ممّا رجع عنه إبراهيم [حين تبيّن له أنّه عدوّ لله] ٨٧: ﴿**ولاتُخزني يومَ يُبعَثُون**﴾ أجرني من الخزي يوم يُبعث الخلائق ٨٨: ﴿**يومَ لاينفعُ مالٌ ولابَنُون**﴾ لايقي المَرْءَ من عذاب الله ماله ولو افتدَى بملء الأرض ذهباً ولاينفع إلا الإيمان بالله ٨٩: ﴿**إلّا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سليم**﴾ سالم من الشرك والدنس والنفاق ٩٠: ﴿**وأُزْلِفَتِ الجنّةُ للمتقين**﴾ قُرّبت وأُدنيتْ مِن أهلها مزخرفة مزيّنة ٩١: ﴿**وبُرِّزتِ الجحيم للغاوين**﴾ أُظهرتْ وكُشِفَ عنها ٩٢: ﴿**وقيلَ لهم أين ماكنتم تعبُدُون**﴾ قيل لأهلها تقريعاً وتوبيخاً: ﴿**أين ماكنتم تعبُدون**﴾؟ ٩٣: ﴿**مِن دُونِ اللهِ هل ينصرونكم أو ينتصرون**﴾ ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله لتغني عنكم اليوم شيئاً ولاتدفع عن نفسها ٩٤: ﴿**فكبكِبُوا فيها هم والغاوُون**﴾ هَوَوْا فيها [هم وأصنامهم وطواغيتهم] ٩٥: ﴿**وجُنُودُ إبليس أجمعون**﴾ ألقوا فيها عن آخرهم ٩٦: ﴿**قالوا وهم فيها يختصِمُون**﴾ ٩٧: ﴿**تاللهِ إنْ كُنّا لفي ضلالٍ مبين**﴾ يقول الضعفاء للذين استكبروا ٩٨: ﴿**إذْ نُسَوِّيكم بربِّ العالَمِين**﴾ نجعل أمركم مطاعاً كما يُطاعُ أمرُ ربِّ العالَمين ٩٩: ﴿**وما أضلّنا إلّا المجرِمُون**﴾ مادعانا إلى ذلك إلّا المجرمون ١٠٠: ﴿**فمالنا مِن شافعين**﴾ من الملائكة ١٠١: ﴿**ولاصَديقٍ حَميم**﴾ قريب يشفع لنا، لأنّ الحميم إذا كان صالحاً شُفّع ١٠٢: ﴿**فلو أنّ لنا كرّةً فنكونَ مِن المؤمنين**﴾ وذلك أنّهم يتمنّون أن يُرَدُّوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله.فيما يزعُمُون، والله تعالى يعلم أنّهم لو رُدُّوا لعادُوا إلى مانُهُوا عنه وإنّهم لكاذبُون ١٠٣: ﴿**إنّ في ذلك لآيةً وماكان أكثرُهم مؤمنين**﴾ إنّ في محاجّة إبراهيم لقومه في التوحيد لآية أي علامة واضحة جليّة على أن لاإله إلا الله ١٠٤: ﴿**وإنّ ربَّك لَهُوَ العزيزُ الرحيم**﴾ ١٠٥: ﴿**كذّبَتْ قومُ نوحٍ المرسلين**﴾ [هم كذّبوا نوحاً، ولفظ الجمع هنا يدل على أنّ مَن كذب رسولاً فقد كذب الرسل] ١٠٦: ﴿**إذ قال لهم أخوهم نوحٌ ألاَ تتقون**﴾؟ ألاَ تخافون الله في عبادتكم غيره ١٠٧: ﴿**إنّي لكم رسولٌ أمينٌ**﴾ فيما بعثني الله به ١٠٨: ﴿**فاتقُوا اللهَ وأطيعُون**﴾ ١٠٩: ﴿**وماأسألكم عليه مِن أجرٍ إنْ أجرِيَ إلّا على ربِّ العالمين**﴾ لاأطلب منكم جزاءً على نصحي لكم بل أدّخر ثواب ذلك عند الله ١١٠: ﴿**فاتقُوا اللهَ وأطيعُون**﴾ في نصحي لكم ١١١: ﴿**قالوا أنؤمِنُ لك واتّبعك الأرذَلُون**﴾ لانؤمن لك ولانتبعك ونتأسّى في ذلك بهؤلاء الأرذلين؟.

الآية : ٨٩ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يدخل الجنّةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثل أفئدة الطير [أي مثلها خالية من كل ذنب سليمةٌ من كل عيب] .
وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثر أهل الجنّة البُلْهُ » أي : البُلْهُ عن معاصي . قال الأزهري : الأبله هنا هو الذي طُبع على الخير ، وهو غافل عن الشر لا يعرفه . وقال القتبي : البُلْهُ هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظنّ بالنّاس . /القرطبي ج١٣/١١٥ .

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

١١٢: ﴿قالَ وماعلمِي بما كانوا يعملون﴾ لايلزمني التنقيب عنهم وإنّما عليّ أن أقبل منهم تصديقهم إيّايَ **١١٣: ﴿إنْ حِسابُهم إلّا على ربِّي لو تشعرون﴾** [أي: لو تعلمون أنّ حسابهم على الله لَما عيبتُموهم بصنائعهم] **١١٤: ﴿وما أنا بطاردِ المؤمنين﴾** [أي: لخساسة حالهم وأشغالهم] **١١٥: ﴿إنْ أنا إلّا نذيرٌ مبين﴾** إنّما بُعثت نذيراً فمن أطاعني كان منّي وأنا منه سواء كان شريفاً أو وضيعاً **١١٦: ﴿قالوا لَئِنْ لم تنتهِ يانُوحُ لتكُونَنّ مِن المرجُومِين﴾** لئن لم تنتهِ عن دعوتك إيّانا إلى دينِكَ لنرجُمنّك، فعندَ ذلك دعا عليهم: **١١٧: ﴿قال ربِّ إنّ قومِي كذّبُونِ﴾** **١١٨: ﴿فافتحْ بيني وبينَهم فتحاً﴾** [الفتحُ: الحكمُ؛ أي: احكم بيني وبينهم]، [وذلك لَمّا يَئِسَ منهم] **﴿ونجّني ومَن معيَ مِنَ المؤمنين﴾** **١١٩: ﴿فأنجيناه ومَن معه في الفُلْكِ المشحُون﴾** [أي: في السفينة] والمشحون: المملوء بالأمتعة والأزواج **١٢٠: ﴿ثم أغرقنا بعدُ الباقِين﴾** ممن كفر، كلهم أجمعين **١٢١: ﴿إنّ في ذلك لآيةً وماكان أكثرُهمْ مُؤمنِين﴾** **١٢٢: ﴿وإنّ ربَّكَ لهُوَ العزيزُ الرحيم﴾** **١٢٣: ﴿كذّبتْ عادٌ المرسلين﴾** وهم قوم هود، وكانوا يسكنون الأحقاف قرب حضرموت من جهة اليمن **١٢٤: ﴿إذْ قال لهم أخُوهم هُودٌ ألاَ تتقون﴾** [أي: ألاَ تخافون الله في عبادتكم غيره]؟ **١٢٥: ﴿إنّي لكم رسولٌ أمينٌ﴾** [فيما أوحاه الله إليّ] **١٢٦: ﴿فاتّقوا الله وأطيعُونِ﴾** [في أمر الله] **١٢٧: ﴿وما أسألكم عليهِ من أجرٍ إنْ أجرِيَ إلّا على ربِّ العالمين﴾** أدّخر ثواب ذلك عند الله **١٢٨: ﴿أتبْنُون بكلِّ رِيعٍ آيةً﴾** يبنون عند جوادّ الطرق والأماكن المرتفعة بُنياناً محكماً هائلاً باهراً مشهوراً **﴿تعبثُون﴾** لاللاحتياج إليه بل لمجرّد اللعب واللهو وإظهار القوّة، وهذا تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة ولهذا أنكر عليهم نبيّهم ذلك. [والرِّيعُ: المكان المرتفع] **١٢٩: ﴿وتتخِذُون مصانِعَ﴾** البروج المشيّدة والبنيان المخلّد **﴿لعلّكم تخلُدُون﴾** لكي تقيمُوا فيها أبداً **١٣٠: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبّارين﴾** يصفهم بالقوّةِ والغِلْظة والجبروت **١٣١: ﴿فاتّقوا الله وأطيعُونِ﴾** اعبُدُوا ربَّكم وأطيعُوا رسولَكم **١٣٢: ﴿واتقوا الله الذي أمدّكم بما تعلَمُون﴾** [يذكّرُهم بما أنعم الله عليهم من الخيرات] **١٣٣: ﴿أمدّكم بأنعامٍ وبنينَ﴾** **١٣٤: ﴿وجنّاتٍ وعُيون﴾** [أي: سخّر ذلك وتفضّلَ بها عليكم] **١٣٥: ﴿إنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيم﴾** إن كذبتم وخالفتم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم **١٣٦:** فكان جواب قوم هود بعدما حذّرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم أن: **﴿قالوا سواءٌ علينا أوعظتَ أم لم تكنْ من الواعِظين﴾** لانرجع عمّا نحن عليه.

الآية: ١١٢ والمعنى: وما علمي بما يعلمون؛ أي لم أكلّف العلم بأعمالهم، إنّما كلّفت أن أدعوهم إلى الإيمان، والاعتبار بالإيمان لا بالحِرَف والصنائع.

الآية: ١١٨ كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة: «اللّهم إنّي أعوذُ بك من عذاب القبر، وأعوذُ بك من فتنة المسيح الدّجّال، وأعوذُ بك من فتنة المَحْيَا والممات، اللّهمَّ إنّي أعوذُ بك من المَأْثَمِ والمَغْرَمِ» متفق عليه/الوابل الطيب/٢٣٢/.

الآية: ١٢٨ أي: تبنون بكل مكان مرتفع آية علَماً تلعبون بها وتعبثون، وتشرفوا على السابلة فتسخروا منهم. /القرطبي ج١٣/١٢٣

إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

١٣٧: ﴿إنْ هذا إلّا خُلُقُ الأوّلين﴾ يعنون: دينهم وما هم عليه هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم نعيش كما عاشوا أو نموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا: **١٣٨: ﴿ومـا نحنُ بمعَـذَّبـين﴾ ١٣٩: ﴿فكـذّبُوه فـأهلكنـاهـم﴾** استمرُّوا على تكذيب نبيِّ الله هود فأهلكهم الله **﴿إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرُهُم مُؤمنين﴾** [أسلم بعضُهم وهلك باقيهم] **١٤٠: ﴿وإنّ ربَّكَ لهوَ العزيزُ الرحيم﴾ ١٤١: ﴿كذّبتْ ثمودُ المرسَلين﴾** وهؤلاء كانوا عرباً يسكنون مدينة الحِجْر التي بين وادِ القرى وبلاد الشـام **١٤٢: ﴿إذْ قـال لهم أخوْهُمْ صـالحُ ألَا تتقُون﴾**؟ فدعاهم نبيُّهم إلى عبادةالله وحده لا شريك **١٤٣: ﴿إنّي لكم رسولٌ أمين﴾** فأبَوْا عليـه وكذّبوه، فقـال لهـم: **١٤٤: ﴿فـاتقـوا الله وأطيعُونِ﴾ ١٤٥: ﴿وما أسألكم عليه من أجرٍ﴾** أخبرهم أنّه لا يبتغي بدعوتهم أجراً منهم **﴿إنْ أجْريَ إلّا على ربِّ العالمين﴾**، ثم ذكرهم آلاءَ اللهِ عليهم فقال: **١٤٦: ﴿أتتركُون في ما هَاهُنَا آمنِين﴾** حذّرهم نِقَمَ اللهِ أن تحِلَّ بهم، وذكرهم بأنعم الله فيما رزقهـــم من الأرزاق **١٤٧: ﴿في جنّاتٍ وعُيونٍ﴾ ١٤٨: ﴿وزُرُوعٍ ونخلٍ طلعُها هَضِيم﴾** كثير الثمر. والهَضِيم: الرّطب اللّيّن **١٤٩: ﴿وتنحتُون مِن الجبـالِ بُيوتاً فـارِهين﴾** حـاذِقِين شرهِين أشرين، كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أَشَراً وبطراً **١٥٠: ﴿فاتّقُوا الله وأطيعُون﴾** أقبِلُوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم **١٥١: ﴿ولا تُطيعُوا أمرَ المُسْرِفِين﴾ ١٥٢: ﴿الذين يُفسِدُون في الأرض ولا يُصـلِحُون﴾** يعني رؤساءهم وكبراءَهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحقّ **١٥٣: ﴿قالوا إنّما أنتَ مِن المسحَّرين﴾** هذا جوابهم لنبيّهم صالح حين دعاهم إلى عبادة ربِّهم **١٥٤: ﴿ما أنتَ إلّا بشرٌ مثلُنا فأتِ بآيةٍ إنْ كنتَ مِن الصادِقِين﴾** كيف أوحَى إليك دُوننا؟ ثم اقترحُوا عليه آيةً يأتِيهم بها ليعلمُوا صدقَهُ، وطلبُوا منه أن يُخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقةً عشراء، وأشاروا إلى صخرة عندهم، فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا اللهَ عزّ وجل، فانفطرت الصخرة عن ناقة عشراء **١٥٥: ﴿قال هذه ناقة الله لها شُربٌ ولكم شُربُ يومٍ معلوم﴾** تردُ ماءَكم يوماً وتردُونه أنتم يوماً **١٥٦: ﴿ولا تَمَسُّوها بسُوءٍ فيأخذَكُمْ عذابُ يومٍ عظيم﴾** فحذّرهم نقمة الله إن أصابُوها بسوء، فمكثت الناقة حيناً تأكل وتشرب، وينتفِعُون بلبنها شرباً وريّاً، فلمّا طال عليهم الأمد تمالَؤُوا على قتلها **١٥٧: ﴿فعقروها فأصبحُوا نادِمين﴾ ١٥٨: ﴿فأخذهُمُ العذابُ﴾** وهو أنّ أرضهم زُلْزِلَتْ زلزالاً شديداً وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محلّها وأتاهم من الأمر ما لم يكونُوا يحتسبون وأصبحُوا في دِيارِهم جاثمين **﴿إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرُهم مُؤمنين﴾ ١٥٩: ﴿وإنّ ربّك لَهُوَ العزيزُ الرحيمُ﴾**.

الآية: **١٥٠** عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أطاعني فقد أطاعَ اللهَ، ومن عصاني فقد عصى اللهَ، ومَنْ يُطَعِ الأمير [أمير السَّرِيّة في الجهاد] فقد أطاعني، ومَنْ يعصِ الأمير فقد عَصَاني» متفق عليه/رياض الصالحين/٣٠٣/.

الآية : **١٥٧** ﴿ فأصبحوا نادِمين ﴾ أي على عقرها لمّا أيقنوا بالعذاب ، وذلك أنّه أنظرهم ثلاثاً فظهرت عليهم العلامة في كل يوم ، وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب . لم ينفعهم الندم لأنّهم لم يتُوبُوا . /القرطبي ج١٣/١٣١ .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

الحزب ٣٨

١٦٠: ﴿كذّبتْ قومُ لُوطٍ المرسَلِين﴾ لوطٌ هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان الله قد أرسله إلى سَدُوم **١٦١: ﴿إذْ قال لهم أخوهم لُوطٌ ألاّ تتقُون﴾ ١٦٢: ﴿إنّي لكم رسولٌ أمِينٌ﴾** فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ أن يعبُدُوه وحدَهُ لاشريك له، ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ماكانوا قد ابتدعُوه في العالم مالم يسبقهم أحدٌ من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دُون الإناث **١٦٣: ﴿فـاتّقُـوا الله وأطيـعُـونِ﴾ ١٦٤: ﴿وماأسألكم عليهِ من أجرٍ إنْ أجْرِيَ إلّا على ربّ العالمين﴾**، ثم نَهاهُم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيان الذكور فقال: **١٦٥: ﴿أتأتُون الذكرانَ مِن العالَمِين﴾**؟! **١٦٦: ﴿وتذرون ماخلق لكم ربُّكم من أزواجكم﴾** أرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهنّ الله لهم **﴿بلْ أنتمْ قومٌ عَادُون﴾ ١٦٧: ﴿قالوا لَئِنْ لم تنتهِ ياَلُوطُ لتكُونَنَّ مِن المُخرَجِين﴾** جوابهم له: أننا ننفيك من بين أظهرنا، فلما رأى أنّهم لايرتدِعُون عمّاهم فيه تبرّأ منهم: **١٦٨: ﴿قال إنّي لِعَمَلِكُم مِنَ القَالِين﴾** المبغضين، وإنّني بريءٌ منكم، ثم دعا الله فقال: **١٦٩: ﴿ربِّ نجِّني وأهلي مِمّا يعملون﴾ ١٧٠: ﴿فنجيّناهُ وأهلهُ أجمعين﴾ ١٧١: ﴿إلّا عَجُوزاً في الغابِرين﴾** وهي امرأتُه، وكانت عجوزَ سوءٍ بقيت فهلكتْ مع قومِهـا **١٧٢: ﴿ثُمّ دمَّرْنـا الآخَرين﴾ ١٧٣: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساءَ مطرُ المُنذَرين﴾ ١٧٤: ﴿إنّ في ذلك لآيةً﴾** [أي: في قصة قوم سدوم] التي أهلكها الله تعالى، وجعل مكانها ــ أي: مكان قريتهم ــ بحيرةً منتنةً خبيثةً، وهي مشهورة ببلاد الغور بناحية جبال بيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك، [وهو مايُعرف اليوم بالبحر الميّت، ماؤه خبيث لاتعيش فيه الأحياء][1]، **﴿إنّ في ذلك لآيةً وماكان أكثرهم مؤمنين﴾** [أي: لم يكن فيها مؤمنٌ إلا بيت لوط وابنتاهُ] **١٧٥: ﴿وإنّ ربَّكَ لهو العزيزُ الرحيمُ﴾** [أي: هو القاهر لأعدائِهِ الرحيم بأوليائِهِ] **١٧٦: ﴿كذّبَ أصحابُ الأيكةِ المرسَلين﴾** وهم أهلَ مَدْين **١٧٧: ﴿إذْ قال لهم شُعيبٌ ألاَ تتقون﴾** كانوا يعبدون شجرة يُقال لها الأيكة، فكذبُوه فقال لهم: **١٧٨: ﴿إنّي لكم رسولٌ أمينٌ﴾ ١٧٩: ﴿فاتّقُوا الله وأطيعُونِ﴾ ١٨٠: ﴿وماأسألُكم عليهِ من أجرٍ إنْ أجْرِيَ إلّا على ربِّ العالمين﴾** أخبرهم أنّه لايبتغي بدعوتِهم أجراً منهم، وإنّما يطلب ثوابَ ذلك مِن الله عزّ وجلّ **١٨١: ﴿أوْفُوا الكيلَ ولاتكونوا مِن المُخسِرين﴾** أمرهم عليه السلام بإيفاء المكيال والميزان ونهاهم عن التطفيف؛ أي: إذا دفعتم للنّاس فكمِّلُوا الكيل لهم ولاتبخَسُوا الكيلَ فتعطُوهم ناقصاً وتأخذُوهُ تاماً وافياً **١٨٢: ﴿وزِنُوا بالقسطاس المستقيم﴾** القِسْطاسُ: هو الميزان والقبّان [أي: زِنُوا فيه بالعدل] **١٨٣: ﴿ولاتبخَسُوا النّاسَ أشياءَهم﴾** لاتنقصُوهم أموالَهم **﴿ولاتعثُوا في الأرضِ مُفْسِدِين﴾** يعني قطع الطريق.

---

(١) انظر تفسير الآية /٧٦/ من سورة الحِجْر .

الآية : ١٧٦ قال ابن جبير عن الضّحّاك : خرج أصحاب الأيكة ـ يعني حين أصابهم الحرّ ـ فانضمُّوا إلى الغيضة والشجر ، فأرسل الله عليهم سحابة فاستظلُّوا تحتها ، فلمّا تكاملوا تحتها أُحرقُوا . والأيكة الغيضة والشجر . ولا خلاف بين أهل اللغة في ذلك . /القرطبي ج١٣/١٣٥ .

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

١٨٤: ﴿واتّقوا الذي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ الأوّلين﴾ يُخوِّفهم بأسَ الله الذي خلقهم وخلق آباءَهم الأوائل **﴿والجِبِلَّةَ الأوّلين﴾** الخلقَ الأوّلين **١٨٥: ﴿قالوا إنّما أنت مِنَ المُسَحَّرين﴾** من المسحُورين، مثل ما أجابت ثمودُ رسولَها: **١٨٦: ﴿وماأنتَ إلّا بشرٌ مثلُنا وإنْ نظنُّكَ لَمِنَ الكاذبين﴾** يتعمد الكذب فيما تقوله **١٨٧: ﴿فأسقِطْ علينا كِسَفاً من السماء﴾** جانباً من السماء **﴿إن كنتَ مِن الصادِقين﴾** هكذا قال هؤلاء الكفار الجهلة؟! **١٨٨: ﴿قال ربّي أعلمُ بما يقولون﴾** اللهُ أعلمُ بكم فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به وهو غير ظالمٍ لكم **١٨٩: ﴿فكذّبُوهُ فأخذَهُمْ عذابُ يوم الظُّلَّةِ﴾** هكذا وقع بهم، وهذا من جنس ماسألوه مِن إسقاط الكِسَفِ عليهم، فإنّ الله تعالى جعل عقوبتهم سحابةً أظلّتهم بعد أن أصابهم حرٌّ عظيمٌ مدّة سبعة أيام، فلما اجتمعُوا كلُّهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شَرَراً من نار ولَهَباً عظيماً ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحةٌ عظيمةٌ أزهقت أرواحهم ولهذا قال تعالى: **﴿إنّه كان عذابَ يومٍ عظيم﴾** **١٩٠: ﴿إنّ في ذلك لآيةً وماكانَ أكثرُهم مؤمنين﴾** **١٩١: ﴿وإنّ ربَّكَ لَهُوَ العزيزُ﴾** في انتقامه من الكافرين **﴿الرحيمُ﴾** بعباده المؤمنين **١٩٢: ﴿وإنّه لتنزيلُ ربِّ العالَمين﴾** القرآن، أنزله الله عليك وأوحاه إليك **١٩٣: ﴿نزلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ﴾** وهو جبريل عليه السلام **١٩٤: ﴿على قلبكَ لتكونَ مِنَ المنذِرين﴾** نزل به مَلَكٌ كريمٌ أمينٌ ذُو مكانةٍ عندَ الله مطاع في الملأ الأعلى **﴿على قلبك﴾** يامحمد سالماً من الزيادة والنقص، لتنذِر بهِ بأسَ الله ونقمته على مَن خالفه وكذّبه **١٩٥: ﴿بلسانٍ عربيٍ مبينٍ﴾** هذا القرآن أنزلناه باللّسان العربي الفصيح؛ ليكون بيّناً واضحاً للعذر مقيماً للحجّة. وقال سفيانُ الثوري: لم ينزلْ وحيٌ إلّا بالعربية، ثم ترجمَ كلُّ نبيٍّ لقومِهِ **١٩٦: ﴿وإنّه لَفِي زُبُرِ الأوّلين﴾** هذا القرآن موجود في كتب الأوّلين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشّروا به في قديم الدهر وحديثه [من التوراة والإنجيل] **١٩٧: ﴿أولم يكُنْ لهم آيةً أنْ يعلمَهُ علماءُ بني إسرائيلَ﴾** كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي عمّن أدركه منهم ومَن شاكلَهم ﴿الذين يتّبعُون الرسولَ النبيَّ الأميّ﴾ **١٩٨: ﴿ولو أنزلناهُ على بعضِ الأعْجَمِين﴾** لو نزل القرآن على رجل من الأعاجم **١٩٩: ﴿فَقَرأَهُ عليهم ماكانُوا به مُؤمنين﴾** وهذا إخبار عن كفر قريش وعنادِهم لهذا القرآن **٢٠٠: ﴿كذلك سلكناهُ﴾** سلكنا التكذيبَ والكفرَ **﴿في قلوبِ المجرمين﴾** **٢٠١: ﴿لايؤْمنون به﴾** بالحقّ **﴿حتى يروا العذابَ الأليمَ﴾** حيث لاينفع الظالمين معذرتُهم **٢٠٢: ﴿فيأتِيَهُمْ بغتةً وهم لايشعرون﴾** [بإتيان العذاب] **٢٠٣: ﴿فيقُولُوا هل نحنُ مُنْظَرُون﴾** يتمنّون حين يُشاهدون العذابَ أن لو أنظرُوا قليلاً ليعملوا في زعمهم بطاعة الله **٢٠٤: ﴿أفبِعَذابِنا يستعجِلُون﴾؟** إنكاراً عليهم وتهديداً لهم فإنّهم كانوا يقولون للرسول تكذيباً واستبعاداً: إئتنا بعذاب الله. ثم قال تعالى: **٢٠٥: ﴿أفَرأيْتَ إنْ متّعناهم سنين﴾** من الزمان **٢٠٦: ﴿ثم جاءَهم ماكانُوا يُوعَدُون﴾** ثم جاءهم أمرُ اللهِ أيّ شيءٍ يجدِي عنهم ماكانوا فيه مِن النعيم؟!

الآية: ٢٠٤ كان من دعاء النبي ﷺ: «اللّهمَّ إنّي أعوذ بك من زوال نعمتِكَ وتحوّلِ عافيتِكَ، ومن فُجاءَةِ نقمتِكَ، ومن جميع سخطِكَ» رواه مسلم رقم ٢٧٣٩/الوابل الطيب/٣٣٣.

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

٢٠٧: ﴿ماأغْنَى عنهم ماكانوا يُمَتَّعُونَ﴾ لو أخرناهم برهةً من الزمان وإن طال ثم جاءهم أمر الله أيّ شيء يُجدِي عنهم؟! **٢٠٨: ﴿وماأهلكنا مِن قريةٍ إلّا لها مُنذِرُون﴾** هذا من عدله سبحانه في خلقه أنّه ماأهلك أمّةً من الأمم إلّا بعد الإعذار إليهم ببعثة الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وماكنّا معذِّبِينَ حتى نبعثَ رسولاً﴾ **٢٠٩: ﴿ذِكْرَى﴾** [أي: يُذكِّرهم] **﴿وماكُنّا ظالِمين﴾** [أي: في تعذيبهم حيث قدّمنا الحجّةَ عليهم وإنذارَنا إليهم **٢١٠: ﴿وماتنزّلَتْ به الشياطين﴾** يُخبر تعالى عن كتابه العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد؛ أنّ هذا القرآن نورٌ وهدىً فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ لأنّ من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، ولهذا قال تعالى: **٢١١: ﴿ومايَنبغِي لهم ومايستطيعُون﴾** ثم أخبر تعالى أنّهم بمعزلٍ عن استماع القرآن حال نزوله **١١٢: ﴿إنّهم عن السمعِ لمعزُولون﴾** لأنّ السماء مُلِئَتْ حرساً شديداً في مُدّة إنزال القرآن، فلم يخلص أحدٌ من الشياطين إلى استماع حرف، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه وتأييده لرسوله **١١٣: ﴿فلاتَدْعُ معَ اللهِ إلهاً آخرَ فتكونَ مِن المُعَذَّبِين﴾** يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لاشريك له، وأخبر أنّ من أشرَكَ به عذّبَهُ، ثم قال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: **١١٤: ﴿وأنذِرْ عَشِيرتَكَ الأَقْرَبِين﴾** وأنّه لايُخلِّص أحداً منهم إلّا إيمانُهُ بربِّه عزّ وجلّ **١١٥: ﴿واخفِضْ جناحَكَ لِمَنِ اتّبَعَكَ مِنَ المؤمنين﴾** أمره تعالى أن يُليِّن جانبَهُ لمن اتبعه من عباد الله من المؤمنين **١١٦: ﴿فإن عَصَوْكَ فقُلْ إنّي بَرِيٌ مّمّا تعملُون﴾** لمّا نزلتْ هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً، فعمَّ وخصَّ فقال: «يامعشر قريش أنقِذُوا أنفسَكم مِنَ النّار... يامعشر بني هاشم أنقِذُوا أنفسَكم مِن النّار... يافاطمة بنتُ محمد أنقذِي نفسَكِ مِنَ النّار؛ فإني والله لاأملِكُ لكم من الله شيئاً إلّا أنّ لكم رحماً سأبُلُّها ببلالِها» [أي: أصلكم في الدنيا ولاأغني عنكم من الله شيئاً] **١١٧: ﴿وتوكَّلْ على العزيز الرحيم﴾** في جميع أمورك فإنّه حافظك وناصرك **١١٨: ﴿الذي يَرَاكَ حينَ تقوُم﴾** هو مُعْتَنٍ بك **١١٩: ﴿وتقلّبَكَ في الساجدين﴾** في الجمع [في المصلّين] **٢٢٠: ﴿إنّه هو السميعُ﴾** لأقوال عباده **﴿العليمُ﴾** بحركاتهم **٢٢١: ﴿هل أُنبِّئكم على مَن تَنزَّلُ الشياطين﴾؟ ٢٢٢: ﴿تَنزَّلُ على كلِّ أفّاكٍ أثيم﴾** على الكذوب الفاجر مِن الكَهَنَةِ الفسَقَة **٢٢٣: ﴿يُلقُونَ السمعَ﴾** يسترقُون السمعَ مِن السماء من علم الغيب، فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم **﴿وأكثرُهم كاذبُون﴾ ٢٢٤: ﴿والشعراءُ﴾** الكفار **﴿يتّبِعُهُم الغاوُون﴾** من ضُلّال الإنس **٢٢٥: ﴿ألم تَرَ أنهم في كلِّ وادٍ يَهِيمُونَ﴾** في كل فنٍ مِن الكلام، ويمدح بباطل ويذمّ بباطل **٢٢٦: ﴿وأنّهم يقولُون مالايفعلُون﴾** أكثرُ قولهم يكذبُون فيه **٢٢٧: ﴿إلّا الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحات﴾** [كأمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة الذين ينتصرون بشعرهم للإسلام] **﴿وذكروا اللهَ كثيراً﴾** في شعرهم **﴿وانتصرُوا﴾** للحق **﴿مِن بعدِ ماظُلِمُوا وسيعلمُ الذين ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ ينقلِبُون﴾** الشعراء الكفار [وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ] لكل ظالم.

الآية: ١١٥ عن عياض قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أوحَى إليّ أن تواضعوا حتى لايفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولايبغي أحدٌ على أحد» رواه مسلم/رياض الصالحين/٢٨٢/.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

١ : ﴿طسٓ تِلْكَ آياتُ القرآنِ وكتابٍ مُبين﴾ تقدّم الكلام عن الحروف المقطّعة في سورة البقرة **﴿تلك﴾** هذه آيات القرآن بينة واضحة **٢ : ﴿هدىً وبشرى للمؤمنين﴾** إنّما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لِمَنْ آمنَ به واتّبعه **٣ : ﴿الذين يُقِيمُون الصلاةَ ويُؤتُون الزكاةَ وهم بالآخرةِ هُمْ يُوقِنُون﴾** أقامَ الصلاة المكتوبة وآتَى الزكاة المفروضة وأيقنَ بالدار الآخرة **٤ : ﴿إنّ الذين لايُؤمنون بالآخرة﴾** يكذبون بها ويستبعِدُون وقوعَها **﴿زيّنّا لهم أعمالهم فهم يعمهُون﴾** حسّنّا لهم ماهم فيه ومددنا لهم في غيّهم فهم يتيهُون في ضلالهم، وهذا جزاء ماكذّبُوا من الدار الآخرة **٥ : ﴿أولئك الذين لهم سُوءُ العذاب﴾** في الدنيا والآخرة **﴿وهم في الآخرة هم الأخسَرُون﴾** يخسرون أنفسَهم [بكفرهم] **٦ : ﴿وإنّكَ﴾** يامحمد **﴿لتلقى﴾** لتأخذ **﴿القرآنَ مِن لَدُنْ حكيمٍ عليمٍ﴾** من عند حكيم في أمره ونهيه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها. فخبرُه الصدق وحكمه العدل **٧ : ﴿إذْ قال موسى لأهلِه إنّي آنستُ ناراً﴾** اذكرْ حين سار موسى بأهله فأضلَّ الطريق في ظلام الليل فآنسَ من جانب الطور ناراً تأجج، فقال لأهله **﴿سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قَبسٍ لعلّكم تَصْطَلُونَ﴾** تستدفِئُون به **٨ : ﴿فلمّا جاءَها نُودِيَ أن بُورِكَ مَن في النّار ومَن حولَها﴾** فلمّا أتاها ورأى منظراً هائلاً عظيماً حيث انتهى إليها النّار تضطرم في شجرة خضراء لاتزداد النّار إلّا توقداً ولاتزداد الشجرة إلّا خضرة ونُضْرَةً، ثم رفع رأسه فإذا نُورها متصل بعنان السماء. وتلك النار هي نور يتوهج، **﴿وسبحانَ الله ربِّ العالمين﴾** الذي يفعل مايشاء **٩ : ﴿ياموسى إنّه أنا اللهُ العزيزُ الحكيمُ﴾** أعلمه أنّ الذي يُخاطبه ويُناجيه هو ربُّه الله العزيز الحكيم، ثم أمرَه أن يُلقيَ عصاه مِن يدِهِ ليُظهِرَ له دليلاً واضحاً على أنّه القادر على كلِّ شيء فقال تعالى: **١٠ : ﴿وألْقِ عصاكَ فلمّا رآها تهتزُّ كأنّها جانٌّ﴾** انقلبت في الحال حيّةً عظيمة هائلة ، والجانُّ : ضربٌ من الحيّات أسرعه حركة وأكثره اضطراباً ، فلما عاينَ موسى ذلك **﴿ولّى مُدْبِراً ولم يعقّب﴾** لم يلتفت من شدّة فرقِهِ **﴿ياموسى لاتخفْ إنّي لايخاف لَدَيَّ المرسَلُون﴾** لاتخف مّما ترى فإنّي أريد أن أصطفيك رسولاً **١١ : ﴿إلّا مَنْ ظَلَمَ ثم بدّل حُسْناً بعدَ سُوءٍ﴾** هذا استثناء منقطع ، وفيه بشارة عظيمة للبشر **﴿فإنّي غفورٌ رحيمٌ﴾**. وذلك أنّ من كان على عملِ شيءٍ ثم تاب فإنّ اللهَ يتوبُ عليه **١٢ : ﴿وأدْخِلْ يَدَكَ في جيبكَ تخرُجْ بيضاءَ من غير سُوءٍ﴾** بيضاء ساطعةً كأنها قطعة قمر تتلألأ ، **﴿في تسعِ آياتٍ﴾** هاتان ثنتان من تسع آيات ، أُؤَيِّدُكَ بهنَّ وأجعلهنّ برهاناً لك **﴿إلى فرعون وقومِهِ إنّهم كانوا قوماً فاسقين﴾** **١٣ : ﴿فلما جاءَتهم آياتنا مُبصرةً﴾** بيّنةً واضحة **﴿قالُوا هذا سحرٌ مُبين﴾** وأرادُوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبُوا صاغرين .

الآية : ٨ روى ابن أبي حاتم عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، وحجابه النور أو النّار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » ، وأصل الحديث في صحيح مسلم . /ابن كثير ج٣/٣٥٧ .

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

١٤: ﴿وجَحَدُوا بها﴾ في ظاهر أمرهم **﴿واستَيْقَنَتْها أنفُسُهُمْ﴾** علموا في أنفسهم أنّها حقٌّ من عندِ الله ولكن جحدوها وعاندُوها **﴿ظُلماً وعلوّاً﴾** استكباراً عن اتباع الحق ، ولهذا قال تعالى: **﴿فانظرْ كيف كان عاقبةُ المفسدين﴾** كيف كان عاقبة أمرهم في إهلاك الله إيّاهم وإغراقهم عن آخرهم. وفحوى الخطاب : احذروا أيها المكذّبون لمحمد أن يصيبكم ماأصابهم ، فإنّ محمداً أشرف وأعظم من موسى **١٥: ﴿ولقد آتينا دَاوُدَ وسليمانَ علماً﴾** يُخبر تعالى عمّا أنعم به على عبديهِ ونبييهِ داود وابنه سليمان من النعم الجليلة **﴿وقالاَ الحمدُ لله الذي فضّلَنا على كثيرٍ مِن عبادِهِ المؤمنين﴾** بالمُلْكِ التام والنبوّة والرسالة في الدين **١٦: ﴿وَوَرِثَ سليمانُ داودَ﴾** في المُلك والنبوّة **﴿وقال ياأيُّها النّاسُ عُلّمنا منطِقَ الطير وأوتينا مِن كلِّ شيء﴾** أخبرهم سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم ، حتى إنّه سخّرَ له الإنسَ والجنَّ والطير وسائر المخلوقات ، وكان الله قد أفهم سليمان مايُخاطب الطيور في الهواء وماتنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ، **﴿إنّ هذا لَهُوَ الفضلُ المُبين﴾** الظاهرُ البيّنُ للهِ علينا **١٧: ﴿وحُشِرَ لسليمان جُنودُهُ مِن الجنِّ والإنسِ والطير﴾** جمع له هؤلاء؛ يعني ركب فيهم في أُبهةٍ وعظمةٍ كبيرة ، والطير فوق رأسه ، أظلته بأجنحتها ، **﴿فهم يُوزَعُون﴾** يُكفُّ أولهم على آخرهم لئلّا يتقدم أحدٌ عن منزلته التي هي مرتبة له ، كما يفعلُ الملوك اليوم **١٨: ﴿حتى إذا أتَوْا على وادِ النّمل﴾** بمن معه من الجنود **﴿قالتْ نملةٌ ياأيّها النمل ادخُلوا مساكِنَكم﴾** خافت على النمل **﴿لايحطِمنّكم سليمانُ وجنودُهُ وهم لايشعرون﴾** ففهمَ سليمانِ عليه السلام ذلك منها: **١٩: ﴿فتبسّمَ ضاحِكاً مِن قولِها وقال ربِّ أوزعني أن أشكرَ نعمتَكَ التي أنعمتَ عليّ وعلى والديَّ وأن أعملَ صالحاً ترضاه﴾** ألهمني أن أشكر نعمتَكَ التي مننتَ بها عليّ وعلى والديّ بالإسلام لكَ والإيمان بكَ ، وأن أعملَ عملاً ترضاه وتحبه **﴿وأَدْخِلني برحمتِكَ في عبادِكَ الصالحين﴾** إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك **٢٠: ﴿وتفقّد الطيرَ فقال ماليَ لاأرى الهُدْهُدَ﴾** وكان الهدهد مهندساً يدلُّ سليمان عليه السلام على الماء في تخوم الأرض ويعرف كم مساحة بُعْدِهِ من وجه الأرض ، فإذا دلّهم عليه أمرَ سليمانُ الجانّ فحفروا ذلك المكان حتى يستنبطَ الماءَ من قراره. فنزل سليمان يوماً بفلاةٍ من الأرض فتفقّدَ الهُدْهُدَ **﴿فقال ماليَ لاأرَى الهُدْهُدَ أم كانَ مِن الغائبين﴾**؟ أخطأه بصري أم غاب فلم يحضر؟ **٢١: ﴿لأعذّبَنّهُ عذاباً شديداً﴾** يعني نتفَ ريشه **﴿أولأذبحنّه﴾** أقتله **﴿أوليَأْتِيَنّي بسلطان مبين﴾** بعذر واضح **٢٢: ﴿فمكثَ﴾** الهدهد **﴿غيرَ بعيد﴾** غاب يسيراً، ثم جاء فقال لسليمان: **﴿أحطتُ بمالم تَحِطْ بهِ﴾** أنتَ ولاجنودك **﴿وجئتُكَ مِن سبأٍ بنبأٍ يقين﴾** بخبر صِدقٍ حقِّ اليقين. وسبأ: هم حِمير، وهم ملوك اليمن.

الآية : ١٩ وقد ثبت في الصحيح عند مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قرصت نبيّاً من الأنبياء نملةٌ ، فأمر بقرية النمل فأُحْرِقَتْ ، فأوحى الله إليه : أفي إن قرصتك نملة أهلكتَ أمّةً من الأمم تُسبِّحُ ، فهّلا نملة واحدة ؟!» /ابن كثير ج٣/٣٥٩

الآية : ٢٠ روى الإمام أحمد بإسناد صحيح وأبو داود عن أبي هريرة قال : نهى النبي ﷺ عن أربع من الدوابّ : النملة والنحلة والهدهد ، والصُّرْد . /ابن كثير ج٣/٣٦١

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨ — سجدة

٢٣: ﴿إني وجدتُ امرأةً تملكهم﴾ وهي بِلْقيس كانت من بيت مملكة على اليمن **﴿وأوتيتْ مِن كلِّ شيء﴾** من متاع الدنيا مِمّا يحتاج إليه الملك المتمكن **﴿ولها عرشٌ عظيم﴾** يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائلٌ مزخرف بالذهب والجواهر **٢٤: ﴿وجدتُها وقومَها يسجدُون للشمس من دُونِ اللهِ وزيّن لهم الشيطانُ أعمالَهم فصدّهم عن السبيل﴾** عن طريقِ الحقّ **﴿فهُمْ لايهتدُون﴾** **٢٥: ﴿ألاَّ يسجُدُوا لله﴾** معناه: **﴿وزيّنَ لَهم الشيطانُ.. ألّا يسجدُوا للهِ﴾** لا يعرفون سبيل الحقّ التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ماخلق من الكواكب وغيرها. **﴿الذي يخرجُ الخَبْءَ في السموات والأرض﴾** يعلمُ كلَّ خبيئةٍ في السماء والأرض، وهو ما جعل فيهما من الأرزاق؛ المطر والنبات والماء في تخوم الأرض. **﴿ويعلم ماتُخفُون وماتُعلِنُون﴾** يعلم مايُخفيه العباد ومايُعلِنُونه من الأقوال والأفعال **٢٦: ﴿اللهُ لا إلهَ إلّا هو ربُّ العرشِ العظيم﴾** هو المدعو وهو الله الذي ليس في المخلوقات أعظم منه. ولمّا كان الهُدْهد داعياً إلى الخير وعبادة الله نهى عن قتله **٢٧: ﴿قال سننظُرُ أصدقتَ أم كنتَ من الكاذبين﴾** في خبرك لتتخلّص من الوعيد الذي أوعدتُكَ؟ **٢٨: ﴿اذهبْ بكتابي هذا فألْقِهْ إليهم ثمّ تولَّ عنهم فانظرْ ماذا يرجِعُون﴾**؟ أعطاه ذلك فحمله فجاء إلى قصر بِلْقيس فألقاه إليها، فتحيّرت مِمّا رأتْ وهالها ذلك، ثم عمدتْ إلى الكتاب فأخذته وقرأتْهُ **٢٩: ﴿قالتْ ياأيُّها المَلأُ إنّي أُلْقِيَ إليَّ كتابٌ كريم﴾** **٣٠: ﴿إنّه مِن سليمانَ وإنّه بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم﴾** **٣١: ﴿ألّا تَعْلُوا عليّ وأْتوني مسلمين﴾** فجمعت عندَ ذلك أمراءَها ووزراءَها وكبراءَ دولتِها ومملكتها، فأخبرتهم بما رأته مِن عجيب أمره، كون طائرٍ جاءَ به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدباً، وهذا أمرٌ لايقدر عليه أحدٌ من الملوك، ولاسبيل لهم إلى ذلك، ثم قرأته عليهم، فعرفوا أنّه من نبيّ الله سليمان عليه السلام، وأنّه لاقِبَلَ لهم به، وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنّه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها **﴿ألّا تعْلُوا عليّ﴾** لاتتجبّروا ولاتتكبّروا، **﴿وأتوني مسلمين﴾** مطيعين **٣٢: ﴿قالتْ ياأيّها المَلأُ أفتُوني في أمري ماكنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون﴾** تحضرون وتُشيرون **٣٣: ﴿قالوا نحنُ أولوا قُوّةٍ وأُولوا بأسٍ شديدٍ والأمرُ إليكِ فانظُري ماذا تأمُرين﴾**؟ نحن ليس لنا عَاقة إن شئتِ أن تقصديه وتحاربيه، فلمّا قالوا لها ماقالُوا كانت هي أحزمُ رأياً منهم وأعلم بأمر سليمان، وأنّه لاقِبَلَ لها بجنوده وجُيوشه، ولهذا قالت: **٣٤: ﴿قالتْ إنّ المُلوك إذا دخلُوا قريةً﴾** بلدةً عنوة **﴿أفسدُوها﴾** خرّبُوها **﴿وجعلُوا أعِزّةَ أهلِها أذلّةً﴾** مَن فيها مِن الوُلاة والجُنود فأهانُوهم بالقتل والأسر **﴿وكذلكَ يفعلُون﴾**، ثم عدلتْ إلى المصالحة والمصانعة فقالت: **٣٥: ﴿وإنّي مُرْسِلَةٌ إليهم بهديّةٍ فناظِرةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُون﴾** سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظرُ ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعلّه يقبل ويكفُّ عنّا.

الآية: **٢٣** روى البخاري من حديث ابن عباس أنّ النبي ﷺ لمّا بلغه أنّ أهل فارس قد ملّكوا بنتَ كسرىَ، قال: « لن يُفلح قومٌ ولّوا أمرَهم امرأةً »، قال القاضي أبو بكر ابن العربي: هذا نصٌ في أنّ المرأة لا تكون خليفة. وقال أبو حنيفة: لا تكون قاضيةً على الإطلاق. /القرطبي ج١٣/١٨٣.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةً وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦: ﴿فلمّا جاءَ سليمانَ﴾ من الهدية العظيمة **﴿قالَ أتُمِدُّونَنِ بمالٍ﴾** أتصانِعُونني بمالٍ لأتركَكم على شِركِكم ومُلْكِكم؟ **﴿فما آتانيَ اللهُ خيرٌ ممّا آتاكم﴾** الذي أعطاني اللهُ مِن المُلْك والمال والجنود خيرٌ ممّا أنتم فيه **﴿بلْ أنتم بهَدِيَّتِكم تفرَحُونَ﴾** أنتم تنقادُون للهدايا والتحف ، أمّا أنا فلاأقبل منكم إلّا الإسلام أو السيف **٣٧: ﴿ارجعْ إليهم﴾** بهديتهم **﴿فَلَنأْتِيَنَّهُم بجُنودٍ لاقِبَلَ لهم بها﴾** لاطاقة لهم بقتالهم، **﴿ولَنُخْرِجنّهم منها أذلّةً وهم صاغِرون﴾** ولنخرجنّهم من بلدتهم أذلّةً مدحُورين. فلمّا رجعت إليها رُسُلُها بهديتها وبما قال سليمان سمعتْ وأطاعت هي وقومها، ولمّا تحقق سليمان قدومَهم سُرَّ بذلك **٣٨: ﴿قال ياأيُّها الملأُ أيّكم يأتِيني بعرشِها قبلَ أن يأتُوني مسلمين﴾**؟ فتحرم عليّ أموالهم بإسلامهم، كره أن يأخذه بعد إسلامهم **٣٩: ﴿قال عِفريتٌ مِنَ الجنّ﴾** ماردٌ من الجن كأنّه جبل: **﴿أنا آتِيكَ بهِ قبلَ أن تقومَ مِن مقامِك﴾** قبل أن تقوم مِن مجلسك، وكان يجلس للقضاء، **﴿وإنّي عليه لَقويٌّ أمين﴾** قوي على حمله أمين على مافيه من الجوهر ، فقال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من ذلك، وأراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ماوهبَ اللهُ له مِن المُلْك وماسخَّرَ له، ليتخذ ذلك حُجّةً على نبوّته عند بلقيسَ وقومِها **٤٠: ﴿قال الذي عندهُ علمٌ مِن الكتاب﴾** وكان صدّيقاً يعلم الاسم الأعظم **﴿أنا آتيكَ بهِ قبلَ أن يرتدَّ إليكَ طرفُك﴾** ارفع بصركَ وانظرْ مُدّ بصرك، فلايبلغ مداه حتى آتِيَكَ به، فدعا فقال: ياإلهنا وإلهَ كلِّ شيءٍ إلهاً واحداً لاإلهَ إلّا أنتَ اِئتِني بعرشها، فَمثُلَ بين يدَيه **﴿فلمّا رآهُ مُستَقِرّاً عندَهُ قال هذا مِن فضلِ ربّي﴾** من نعم ربّي الذي أنعم عليّ **﴿ليبلُوَني﴾** ليختبرني **﴿أأشكرُ أم أكفُرُ ومَن شكرَ فإنّما يشكرُ لنفسِهِ ومَن كفرَ فإنّ ربّي غنيٌّ كريمٌ﴾** هو غنيٌّ عن العباد، وعظمتُه ليست مفتقرة إلى أحد **٤١: ﴿قال نكِّرُوا لها عرشَها﴾** أمر أن يُغيّر بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته **﴿ننظُرْ أتهتدِي أم تكونُ من الذين لايهتدُون﴾ ٤٢: ﴿فلمّا جاءتْ قِيلَ أهكذا عرشُكِ﴾** عرض عليها عرشها **﴿قالتْ كأنّهُ هُوَ﴾** يُشبهه أو يُقاربه **﴿وأوتينا العلمَ مِن قبلِها وكنّا مسلمين﴾** [أي: أوتينا العلم بصحة نبوّة سليمان من قبل هذه الآية، وكنّا منقادِين لأمرِهِ] **٤٣: ﴿وصَدَّها ماكانتْ تعبُدُ مِن دُونِ اللهِ﴾** ومنعها سليمانُ عمّا كانت تعبُدُ مِن دُون الله **﴿إنّها كانت مِن قومٍ كافِرين﴾** فأظهرت الإسلام **٤٤: ﴿قِيلَ لها ادْخُلِي الصَّرْحَ فلمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجّةً وكشفت عن سَاقيها﴾** وذلك أنّ سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبُنُوا لها قصراً عظيماً من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماءَ فالذي لايعرف أمره يحسبه أنّه ماء، ولكنّ الزجاج يحول بين الماشي وبينه، **﴿قال إنّه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِن قوارير﴾** ثم دعاها سليمان إلى عبادة الله وحده **﴿قالتْ ربِّ إنّي ظلمتُ نفسِي وأسلمتُ معَ سليمانَ للهِ ربِّ العالَمِين﴾** فأسلمتْ وحَسُنَ إسلامُها.

الآية : ٤٠ وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إيّاها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسَهُ » . /ابن كثير ج٣/٣٦٤ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

٤٥: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ أخبر تعالى أنه بعث صالحاً إلى ثمود فدعاهم إلى عبادة الله وحده **﴿أنِ اعبدُوا الله﴾** وحده لا شريك له **﴿فإذا هم فريقان﴾** مؤمنٌ وكافر **﴿يختصمُون﴾ ٤٦: ﴿قالَ يا قومِ لِمَ تستعجِلُون بالسيّئةِ قبلَ الحسنة﴾** لِمَ تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمتَهُ؟ ولهذا قال: **﴿لولا تستغفِرُون الله لعلّكم تُرحمون﴾ ٤٧: ﴿قالُوا اطَّيَّرنا بِكَ وبِمَنْ مَعَكَ﴾** ما رأينا على وجهك ووجُوه أتباعك خيراً، وإنّهم لشقائهم كان لا يُصيبُ أحداً منهم سُوءٌ إلّا قال هذا من قِبَلِ صالح وأصحابه، **﴿قالَ طائرُكم عندَ الله﴾** اللهُ يُجازيكم على ذلك، **﴿بلْ أنتُم قومٌ تُفتنُون﴾** تُستدرَجُون فيما أنتم فيه مِن الضلال **٤٨**: يُخبر تعالى عن طُغاة ثمود فيقول: **﴿وكان في المدينة﴾** مدينة ثمود **﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾** تسعة نفر **﴿يُفسِدُون في الأرضِ ولا يُصلِحُون﴾ ٤٩: ﴿قالُوا تقاسَمُوا بالله﴾** تحالَفُوا وتبايَعُوا **﴿لَنُبيِّتنّهُ﴾** لنقتلنّه **﴿وأهلَهُ ثم لَنقولَنّ لِوَليّه ما شهِدْنا مَهْلِكَ أهلِهِ وإنّا لصادِقُون﴾** تواثقُوا على أن يأخذوه ليلاً فيقتلوه [ثم يُنكروا قوله] **٥٠: ﴿ومكرُوا مكراً﴾** وهم الذين عقروا الناقة **﴿ومكرنا مكراً وهم لا يشعُرُون﴾** وذلك أنّ صالحاً قال لهم لمّا عقروا الناقة: ﴿تمتّعُوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب﴾، وكان لصالح مسجد يُصلي فيه في الحِجْرِ، فخرجوا إلى غار هناك ليلاً فقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله ففرغنا منهم، فبعث الله عليهم صخرةً فانطبقت عليهم وهم في ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم، فعذّب اللهُ هؤلاء هاهنا وهؤلاء هاهنا وأنجى الله صالحاً ومَن معه **٥١: ﴿فانظُرْ كيفَ كانَ عاقبةُ مكرهم أنّا دمّرناهم وقومَهم أجمعين﴾ ٥٢: ﴿فتِلْكَ بُيُوتُهم خاويةً﴾** فارغة ليسَ فيها أحد، **﴿بما ظلمُوا إنّ في ذلك لآيةً لِقوم يعلمون﴾ ٥٣: ﴿وأنجينَا الذين آمنُوا وكانوا يتّقُون﴾** [أي: يتقون اللهَ ويخافون عذابه. وكان مَن آمن بصالح قدر أربعة آلاف رجل. والباقون خرج في أبدانهم خراجاتٌ مثل الحِمّص، فبقيت فيهم ثلاثة أيام فَفَقَعَتْ تلك الخراجات، وصاحَ بهم جبريل صيحةً فخمَدُوا. وخرج صالح بمن آمن معه إلى حضرموت، فلمّا دخلها مات صالح عليه السلام] **٥٤**: يُخبر تعالى عن رسوله لوطٍ عليه السلام أنّه أنذر قومَهُ نقمةَ اللهِ بهم في فعلهم الفاحشة وهي إتيان الذكور دُون الإناث وذلك فاحشة عظيمة، فقال: **﴿أتأتُون الفاحِشةَ وأنتم تُبصِرُون﴾**؟ يرى بعضُكم بعضاً **٥٥: ﴿أئنّكم لَتأتُون الرِّجالَ شهوةً مِن دُونِ النساءِ بلْ أنتم قومٌ تجهلُون﴾** لا تعرفون شيئاً لاطبعاً ولاشرعاً كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أتأتُون الذكران مِنَ العالَمِين. وتذرُون ماخلق لكم ربّكم من أزواجِكم بل أنتم قومٌ عادُون﴾.

الآية: **٥٥** روى ابن ماجه والترمذي بإسناد حسن والحاكم بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنّ أخوفَ ما أخافُ على أمتي من عمل قوم لوطٍ » وروى الحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: « لَعَنَ الله سبعةً من خَلقِهِ من فوق سبع سمواته، ورَدّدَ اللعنة على واحدٍ منهم ثلاثاً ... قال: ملعُون من عمِلَ عَملَ قومِ لوط، ملعُون من عمِلَ عَملَ قومِ لوط، ملعُون من عمِلَ عَملَ قومِ لوط، ملعون من ذبح لغير الله .. » الحديث بطوله. /الترغيب ج٣/٢٨٥ – ٢٨٧.

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

٥٦: ﴿فما كان جوابَ قومِهِ إلّا أنْ قالُوا أخرِجُوا آلَ لوطٍ من قريتكم إنّهم أناسٌ يتطهرون﴾ يتحرجون مِن فعل ما تفعلونه، ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجُوهم مِن بين أظهركم فإنّهم لا يصلحون لمجاورتكم، فدمَّرَ اللهُ عليهم وللكافرين أمثالُها **٥٧: ﴿فأنجيناهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ قدّرْناها مِن الغابرين﴾** مِن الهالكين مع قومِها؛ لأنّها كانت رِدْءاً لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة لا أنّها كانت تفعل الفواحش **٥٨: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾** حجارةً من سجيل منضود مسوّمة عندَ ربِّك وما هي من الظالمين ببعيد، ولهذا قال تعالى: **﴿فساءَ مطرُ المنذرين﴾** الذين قامتْ عليهم الحُجّةُ ووصلَ إليهم الإنذار فخالَفُوا الرسولَ وكذّبُوه وهمُّوا بإخراجه من بينهم **٥٩:** يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: **﴿قُلِ الحمدُ للهِ﴾** على نعمه على عباده، من النعم التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى، وعلى ما اتصف به من الصفات العُلَى والأسماء الحسنَى، **﴿وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصطفَى﴾** وأن يُسلِّمَ على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله أفضلُ الصلاة والسلام. **﴿آللهُ خيرٌ أم ما يُشرِكُون﴾**؟! استفهامٌ إنكارٍ على المشركين في عبادتهم مع الله آلهةً أخرى. ثم شرعَ تعالى يُبيّن أنه المنفردُ بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى: **٦٠: ﴿أمّنْ خلق السمواتِ﴾** في ارتفاعها **﴿والأرضَ﴾** وما فيها **﴿وأنزل لكم مِنَ السماءِ ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بهجةٍ﴾** بساتين ذات منظر حسن وشكل بهيّ **﴿ما كان لكم أن تُنبِتُوا شجرَها﴾** لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها **﴿أإلهٌ معَ اللهِ﴾** يُعبد؟!! وقد تبيّن لكل ذي لبّ أن الله هو الخالق الرازق؟! **﴿بلْ هم قومٌ يعدِلُون﴾** يجعلون لله عَدْلاً ونظيراً **٦١: ﴿أمّنْ جعلَ الأرضَ قراراً﴾** قارّةً ساكنةً ثابتةً لا تميدُ بأهلها ولا ترجف بهم **﴿وجعل خِلالَها أنهاراً﴾** عذبةً **﴿وجعلَ لها رَوَاسِيَ﴾** جبالاً شامخة ترسي الأرض وتثبّتها، **﴿وجعل بينَ البحرين حاجزاً﴾** جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً، أي: مانعاً من الاختلاط، **﴿أإلهٌ معَ اللهِ﴾** فعل هذا؟! **﴿بل أكثرُهم لا يعلمون﴾** في عبادتهم غيره **٦٢:** يُنبّه تعالى أنّه هو المدعو عند الشدائد وهو المرجو عند النوازل فقال: **﴿أمّنْ يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه﴾** مَن هو الذي لا يلجأ المضطر إلّا إليه **﴿ويكشِفُ السُّوءَ﴾** لا يكشفُ ضُرَّ المضرُورين سواه سبحانه، **﴿ويجعلُكُم خُلَفاءَ الأرضِ﴾** يُخلِفُ قرناً لقرنٍ قبلهم وخَلَفاً لسلف **﴿أإلهٌ معَ اللهِ﴾** لا يقدر على ذلك إلا الله، فهو المتفرّد بفعل ذلك وحده لا شريك له، **﴿قليلاً ما تذكَّرُون﴾** ما أقلّ تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق **٦٣: ﴿أمّنْ يَهْدِيكُمْ في ظلماتِ البَرِّ والبحرِ﴾** بما خلق من الدلائل السماوية والأرضيّة **﴿ومَن يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشراً بين يَدَيْ رحمته﴾** بين يدي السحاب الذي يغيث الله به عباده **﴿أإلهٌ معَ اللهِ تعالى اللهُ عمّا يُشرِكُون﴾**.

الآية: ٥٦ روى أحمد بإسناد صحيح عن سهل بن سعد أنّ رسول الله ﷺ قال: «إيّاكم ومحقّرات الذنوب، فإنّما مثَلُ محقّرات الذنوب كمثل قوم نزلُوا بطن وادٍ، فجاءَ ذَا بعُودٍ، وجاء ذَا بعُودٍ، حتى حَمَلُوا ما أنضجوا به خبزَهم، وإنّ محقّرات الذنوب متى يأخذْ بها صاحبُها تُهْلِكُهُ». /الترغيب ج٣/٣١٢.

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٦٤: ﴿**أمّن يبدؤا الخلقَ**﴾ هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ﴿**ثمّ يُعيدُهُ**﴾ وهو أهون عليه، ﴿**ومَن يرزقكم مِن السماءِ والأرض**﴾ بما ينزّل من مطر السماء، وينبت من بركات الأرض، ﴿**أإلهٌ مع الله**﴾ فعلَ هذا؟! ﴿**قُلْ هاتُوا بُرْهانَكم**﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ﴿**إن كنتم صادِقين**﴾ في ذلك ٦٥: ﴿**قُلْ لا يعلمُ مَن في السمواتِ والأرضِ الغيبَ إلّا اللهُ وما يشعرون أيّان يُبعثون**﴾ لا يعلم أحد ذلك إلّا اللهعزّ وجلّ، فإنّه المنفرد بذلك وحدَه لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وعندَه مفاتِحُ الغيب لا يعلمُها إلّا هو﴾، وما يشعر الخلائق بوقت الساعة ٦٦: ﴿**بلْ ادّارَكَ علمُهم في الآخرة**﴾ غاب فلم ينفذ لهم علم في الآخرة، ﴿**بل هم في شكٍّ منها**﴾ المراد: الكافرون ﴿**بلْ هُم منها عَمُون**﴾ هم في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها ٦٧: ﴿**وقالَ الذين كفرُوا أئذا كُنّا تُراباً وآباؤنا أئنّا لَمُخرَجُون**﴾ إنهم استبعَدُوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها رفاتاً وتراباً، ثم قال تعالى: ٦٨: ﴿**لقد وُعِدنا هذا نحنُ وآباؤنا مِن قبلُ**﴾ ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا، ولا نرى له حقيقةً ولا وقوعاً، ﴿**إنْ هذا إلّا أساطير الأولين**﴾ أخذه قومٌ عمّن قبلهم من كتبهم وليس له حقيقة ٦٩: ﴿**قلْ**﴾ يا محمد لهؤلاء ﴿**سيرُوا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المجرمين**﴾ كيف حلّت بهم نقمة اللهوعذابه ونكاله، ونجّى الله مِن بينهم رُسُلَهُ الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين؛ فدلّ على صدق ماجاءتْ بِهِ الرسلُ وصحتِهِ، ثم قال تعالى مسلياً لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ٧٠: ﴿**ولا تحزنْ عليهم**﴾ على المكذبين بما جئتَ به ﴿**ولا تكُنْ في ضَيْقٍ مِمّا يمكرُون**﴾ في كيدِكَ فإنّ الله مؤيّدك وناصرُك ومُظهرُ دينك في المشارق والمغارب ٧١: ﴿**ويقولُون متى هذا الوعدُ إن كنتُم صادِقين**﴾؟ قال الله تعالى مجيباً لهم: ٧٢: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد ﴿**عسَى أن يكونَ رَدِفَ لكم بعضُ الذي تستعجلُون**﴾ قرّبَ وعجّل لكم [من العذاب في القبر] ٧٣: ﴿**وإنّ ربَّكَ لَذُو فضلٍ على النّاس**﴾ في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم ﴿**ولكنّ أكثرَهُم لا يشكرُون**﴾ وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلّا القليل منهم ٧٤: ﴿**وإنّ ربّك ليعلمُ ما تُكِنُّ صُدُورهم وما يُعلِنُون**﴾ يعلم ضمائرهم وسرائرهم كما يعلم الظواهر ﴿سَواءٌ منكم مَن أسَرَّ القولَ ومَن جهرَ بهِ﴾ ٧٥: ﴿**وما مِن غائبةٍ**﴾ وما من شيء [غاب] ﴿**في السماء والأرض إلّا في كتابٍ مُبين**﴾ [أي: في اللوح المحفوظ الذي أثبتَ فيه ما أراد لِيُعلِمَ بذلك من يشاء من ملائكته] ٧٦: ﴿**إن هذا القرآنَ يقُصُّ على بني إسرائيل أكثرَ الذي هم فيه يختلِفُون**﴾ كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غَلَوْا، فجاء القرآن بالحقّ والعدل، وبيّن أنّه عبدٌ مِن عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام.

الآية: ٦٥ روى ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَنْ زعم أنه يعلم – يعني النبي ﷺ – ما يكون في غَدٍ فقد أعظم على الله الفرِيةَ؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ لا يعلم مَنْ في السمواتِ والأرضِ الغيبَ إلّا الله ﴾. /ابن كثير ج٣/٣٧٢.

وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

الحزب ٣٩

٧٧: **﴿وإنّه لَهُدَىً ورحمةٌ للمؤمنين﴾** القرآن هدىً لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم ٧٨: **﴿إنّ ربَّكَ يقضي بينهم﴾** يوم القيامة **﴿بحكمه وهو العزيز﴾** في انتقامه **﴿العليم﴾** بأفعال عباده وأقوالهم ٧٩: **﴿فتوكلْ على الله﴾** في جميع أمورك، وبلّغ رسالةَ ربِّكَ **﴿إنّك على الحقِّ المُبين﴾** أنتَ على الحق المبين وإن خالفكَ مَن خالفك مِمّن كتبتْ عليه الشقاوة، ولهذا قال تعالى: ٨٠: **﴿إنّكَ لا تسمع الموتَى﴾** لا تسمعهم شيئاً ينفعُهم، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وَقْرُ الكفر ولهذا قال تعالى: **﴿ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاء إذا وَلَّوْا مُدْبِرِين﴾** [يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصُّمِّ عن قبول المواعظ، فإذا دُعُوا إلى الخير أعرضوا وولّوا كأنّهم لا يسمعُون] ٨١: **﴿وما أنتَ بهادِي العُمْيِ عن ضلالتِهم إنْ تُسْمِعُ إلّا مَن يُؤمن بآياتِنا فهم مسلِمُون﴾** إنّما يستجيب لك مَن هو سميعٌ بصيرٌ السمع والبصر النافع في القلب والبصيرة، الخاضع لله ولما جاء عنه على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام ٨٢: **﴿وإذا وقعَ القولُ عليهم أخرجنا لهم دابّةً مِن الأرض تُكلّمهم﴾** هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد النّاس وتركهم أوامِرَ الله وتبديلهم الدِّين، يُخرج الله لهم دابّةً من الأرض تخاطبهم **﴿أنّ النّاس كانوا بآياتِنا لا يُوقِنُون﴾** روى الإمام مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ أوّل الآيات [أي: علامات الساعة الكبرى] خروجاً طلوع الشمس مِن مغربها، وخروج الدابّة على النّاس ضُحىً، وأيَّتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرِها قريباً» ٨٣: **﴿ويومَ نحشُرُ مِن كُلِّ أُمّةٍ فوجاً﴾** يُخبر تعالى عن يوم القيامة وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله، ليسألهم عمّا فعلُوهُ في الدنيا تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً، من كل قوم جماعة **﴿مِّمّنْ يُكذِّبُ بآياتنا فهم يُوزَعُون﴾** يُدفعُون، يُردُّ أولهم على آخرهم ٨٤: **﴿حتى إذا جاؤوا﴾** ووقفُوا بين يدي الله عزّ وجلّ في مقام المسألة **﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تُحيطُوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون﴾**؟ فيُسألون عن اعتقادهم وأعمالهم، فلمّا لم يكونُوا من أهل السعادة وقامت عليهم الحُجّة لم يكن لهم عذر يعتذرون به ٨٥: **﴿ووقعَ القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطِقُون﴾** بُهتوا فلم يكنْ لهم جواب، لأنّهم كانوا في الدنيا ظلمة فسقة ٨٦: **﴿ألم يَرَوْا أنّا جعلنا الليلَ ليسكنوا فيه﴾** لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحوا من نصب التعب في نهارهم **﴿والنهارَ مبصراً﴾** مشرقاً ليتصرّفوا في المعايش والمكاسب **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون﴾** ٨٧: **﴿ويومَ يُنفخ في الصورِ﴾** في القَرْن، ينفخ فيه إسرافيل بأمر الله **﴿ففزِع مَن في السمواتِ ومَن في الأرض إلّا مَن شاء الله﴾** وهم الشهداء فإنّهم أحياء عند ربِّهم، **﴿وكلٌّ أتوْهُ داخِرين﴾** صاغِرين لا يتخلّف أحدٌ عن أمره ٨٨: **﴿وترى الجبالَ تحسَبُها جامِدَة وهي تمرُّ مرَّ السحاب﴾** تراها كأنّها ثابتة وهي تزول عن أماكنها كما قال تعالى: ﴿ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة﴾ **﴿صُنعَ اللهِ الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ﴾** بقدرته العظيمة **﴿إنّهُ خبيرٌ بما تفعلُون﴾** وسيُجازيكم عليه أتمَّ الجزاء.

الآية : ٨٢ روى الإمام أحمد أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشرَ آياتٍ : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدّابّة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، =

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

٨٩: ﴿مَن جاءَ بالحسنةِ فلهُ خيرٌ منها﴾ بالإخلاص وقول: لا إلهَ إلّا الله **﴿وهم مِن فزعٍ يومئذٍ آمنون﴾**، كما قال تعالى: ﴿لا يحزنُهمُ الفزعُ الأكبرُ﴾ **٩٠: ﴿ومَن جاءَ بالسيّئة فكُبّتْ وُجوهُهم في النار﴾** مَن لقيَ الله مسيئاً لا حسنةَ له، أو رجَحتْ سيئاتُهُ على حسناته كلٌّ بحسبه، ولهذا قال تعالى: **﴿هلْ تُجزونَ إلّا ما كنتم تعملون﴾**؟ **٩١:** يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: **﴿إنّما أُمِرْتُ أن أعبُدَ ربَّ هذهِ البلدةِ الذي حرّمها﴾** الذي إنّما صارت حراماً شرعاً وقدراً بتحريمه [وهي مكة المكرّمة] **﴿وله كلُّ شيءٍ﴾** ومليكه لا إلهَ إلّا هو، **﴿وأُمِرْتُ أن أكونَ مِن المسلمين﴾** الموحدين المخلصين المنقادين لأمرِهِ المطيعين له **٩٢: ﴿وأن أتلوَ القرآنَ﴾** على النّاس أُبلّغُهم إيّاهُ **﴿فمنِ اهتدى فإنّما يهتدِي لنفسه ومَن ضلَّ فقلْ إنّما أنا مِن المُنذِرين﴾** الذين أنذَرُوا قومَهم وقامُوا بما عليهم من أداء الرسالة، كما قال تعالى: ﴿إنّما أنتَ نذيرٌ واللهُ على كلِّ شيءٍ وكيلٌ﴾ **٩٣: ﴿وقُلِ الحمدُ للهِ سيُريكم آياتِهِ فتعرفُونها﴾** لله الحمد الذي لايُعذّبُ أحداً إلّا بعد قيام الحجّة عليه والإنذار إليه، ولهذا قال تعالى: **﴿سيُريكُمْ آياتِهِ فتعرِفُونها﴾**، كما قال تعالى: ﴿سَنُريهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسِهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحقُّ﴾، **﴿وما ربُّكَ بغافلٍ عمّا تعملون﴾** بل هو شهيدٌ على كلِّ شيءٍ. روى ابن أبي حاتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أيّها النّاس لا يغترّنّ أحدُكم بالله فإنّ اللهَ لو كان غافلاً شيئاً لأغفلَ البَعُوضَةَ والخردلة والذّرّة».

تفسير سورة القصص

١: ﴿طسّمّ﴾ قد تقدّم الكلام على الحروف المتقطعة **٢: ﴿تلك﴾** هذه **﴿آياتُ الكتابِ المُبين﴾** الواضح الجليّ الكاشف عن حقائقِ الأمورِ وعِلْمِ ما قد كان وما هو كائن **٣: ﴿نتلُو عليكَ مِن نبأِ موسى وفِرْعونَ بالحقّ﴾** نذكر لك الأمرَ على ما كان عليه كأنّكَ شاهد وحاضر **٤: ﴿إنّ فِرعونَ علا في الأرض﴾** تكبر وتجبّر وطغى، **﴿وجعلَ أهلَها شِيَعاً﴾** أصنافاً، قد صرفَ كلَّ صنف فيما يُريد من أمور دولته **﴿يستضعفُ طائفةً منهم﴾** بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، **﴿يُذبّحُ أبناءَهم ويستحْيي نساءَهم﴾** [أي: يقتل الذكور، ويترك الإناث] إهانةً لهم واحتقاراً، وخوفاً من أن يُوجد منهم الغلامُ الذي كان قد تخوّف هو وأهل مملكته منه؛ أن يُوجد منهم غلام يكون سببَ هلاكه وذهاب دولته على يديه، فاحترز فرعون من ذلك، ولن ينفعَ حَذَرٌ من قدر؛ لأنّ أجلَ اللهِ إذا جاء لا يُؤخَر. **﴿إنّه كانَ مِنَ المفسدِين﴾ ٥: ﴿ونُريدُ أنْ نمنَّ على الذين استضعِفُوا في الأرض﴾** [أي: نتفضل عليهم]، **﴿ونجعلَهُمْ أئمّةً ونجعلَهُمُ الوارثين﴾** [أي: لمُلْكِ فرعون، يرثُون ملكه، ويسكنُون مساكنَ القِبط بعد غرقهم].

= وخروج عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسُوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونارٌ تخرج من قعر عَدَن تسوق أو تحشر النّاسَ تبيتُ معهم حيث باتُوا وتَقِيْلُ معهم حيث قالوا» ورواه مسلم وأهل السنن. /ابن كثير ج٣/٣٧٥.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

الحزب ٣٩

٦: **﴿ونُمكِّنَ لهم في الأرض﴾** [أي: نجعلهم مقتدرين على الأرض] **﴿ونُريَ فِرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانُوا يحذَرُون﴾**[فأراهُمُ الله ما كانوا يحذَرون، كما تقدم بيانه] ٧: لَمّا أكثر فرعون مِن قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط من بني إسرائيل [فأشاروا عليه أن يفعل ذلك عاماً ويتركه عاماً] فولد هارون في السنة التي يتركون فيها الولدان، ووُلِدَ موسى في السنة التي يقتلون فيها الوِلدان، فضاقت عليه أمه ذرعاً وخافت عليه خوفاً شديداً، فأُلهِمَتْ في خُلْدِها كما قال تعالى: **﴿وأوحينا إلى أمِّ موسى أن أرضعيهِ فإذا خِفْتِ عليه فألقيه في اليَمِّ ولا تَخافي ولا تحزني﴾** فاتخذت تابُوتاً وجعلت ترضعه فإذا دخل عليها أحدٌ وضعته في ذلك التابُوت وسيّرته في البحر [أي: نهر النيل، يُسمى بحراً لكثرة مائه] وربطته بحبلٍ عندها، فلما دخل عليها مَن تخافه وضعته وذهلت أن تربطه، فذهب مع الماء، ولهذا قال تعالى: **﴿إنّا رادُّوهُ إليكِ وجاعِلُوهُ مِن المرسَلِين﴾** ٨: **﴿فالتقطَهُ آلُ فِرْعَونَ ليكونَ لهم عدوّاً وحَزَناً﴾** اللام في **﴿ليكون﴾** لام العاقبة لا لام التعليل، لأنّهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك، ولهذا قال الله تعالى: **﴿إنّ فرعونَ وهامانَ وجُنودَهُما كانوا خاطئين﴾** ٩: **﴿وقالتْ امرأةُ فرعونَ قُرّةُ عينٍ لي ولَكَ لاتقتلُوه﴾** إنّ فرعون لَمّا رآه همَّ بقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل، فشرعت امرأته آسية تخاصم عنه وتُحببه إلى فرعون فقالت: **﴿قرّةُ عينٍ لي ولك﴾** فقال فرعون: أمّا لك فنعم وأمّا لي فلا، فكان كذلك وهداها اللهُ بسببه، وأهلكه اللهعلى يديه، **﴿عسى أن ينفعنا﴾** وقد حصل لها ذلك **﴿أو نتخذَهُ ولداً﴾** تتبناه، وذلك أنّه لم يكن لها ولدٌ منه، **﴿وهم لا يشعرون﴾** لا يدرون ما أرادَ اللهُ منه بالتقاطهم إيّاه من الحكمة العظيمة البالغة والحُجّة القاطعة ١٠: **﴿وأصبحَ فؤادُ أمِّ موسى فارغاً﴾** من كل شيء من أمور الدنيا إلّا مِن موسى **﴿إن كادت لتبدِي بهِ﴾** من شدّة وَجْدِها وحُزنها، لتظهر أنّه ولدها وتُخبر بحالها **﴿لولا أنْ ربطنا على قلبها﴾** ثبّتها وصبّرها **﴿لتكون مِن المؤمنين﴾** [أي: المصدقين بوعد الله تعالى] ١١: **﴿وقالتْ لأختهِ قُصِّيهِ﴾** أمرت أخته باتباع أثره وأخذِ خبره فخرجت لذلك **﴿فبصُرَتْ بهِ عن جُنُبٍ﴾** عن بُعدٍ **﴿وهم لا يشعُرُون﴾** ١٢: **﴿وحرّمنا عليه المراضِعَ مِن قبلُ﴾** تحريماً قدرياً، وذلك لكرامته عند الله، وجعل ذلك سبباً إلى رُجُوعه إلى أُمّه لترضعه وهي آمنة **﴿فقالت﴾** [أخته] **﴿هل أدُلّكم على أهل بيتٍ يكْفُلُونَهُ لكم وهم له ناصِحُون﴾** [أي: فيهم له شفقة ونُصح] ١٣: **﴿فرَدَدْنَاهُ إلى أُمّهِ كي تقرّ عينُها﴾** بهِ **﴿ولا تحزن﴾** عليه **﴿ولِتعلَمَ أنّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ﴾** فيما وعدها من رَدِّهِ إليها وجعله من المرسَلِين، فحينئذٍ تحققت بردِّهِ إليها أنّه كائن منه رسول من المرسَلِين. **﴿ولكنّ أكثرَهم لا يعلَمُون﴾** حُكْمَ الله في أفعاله وعواقبها المحمودة.

الآية: ١٢ كان موسى حين التقطه آل فرعون لم يأخذ ثدي مرضعة، فلمّا ردّ إليه أمه من بين المراضع أعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعتْ أمَّ موسى، فأحسنت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً وهي لا تعرف أنّها أمّه على الحقيقة. وقد جاء في الحديث: «مَثلُ الذي يعمل ويحتسب في صنعتهِ الخيرَ كمثلِ أمِّ موسى تُرْضِعُ ولدَهَا وتأخذُ أجْرَها» !! /ابن كثير ج٣/٣١١ – ٣٨٢.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤: ﴿**ولمّا بلغ أَشُدَّهُ واستوى آتيناهُ حُكْماً وعِلْماً**﴾ النبوّة، ﴿**وكذلك نَجْزي المُحسنين**﴾ **١٥**: ﴿**ودخلَ المدينةَ على حينِ غفلةٍ مِن أهلِها**﴾ بين المغرب والعِشاء، ﴿**فوَجَدَ فيها رجلَين يقتتِلا**﴾ يتضاربان ويتنازعان ﴿**هذا مِن شيعتِه**﴾ إسرائيلي ﴿**وهذا من عدوِّهِ**﴾ قبطي، ﴿**فاستغاثَه الذي مِن شيعتِهِ على الذي مِن عدوِّهِ فَوَكَزَهُ موسى**﴾ طعنه بجمع كفّه ﴿**فقضى عليه**﴾ فمات، ﴿**فقال**﴾ موسى ﴿**هذا مِن عملِ الشيطانِ إنّه عدوٌّ مُضلٌّ مُبين**﴾ **١٦**: ﴿**قالَ ربِّ إنّي ظلمتُ نفسِي فاغفرْ لي**﴾ [ندِمَ على ذلك] ﴿**فغفرَ لهُ إنّهُ هو الغفورُ الرحيم**﴾ **١٧**: ﴿**قالَ ربِّ بما أنعمتَ عليّ**﴾ بما جعلتَ لي من الجاهِ والعزّ والنعمة ﴿**فلنْ أكونَ ظهيراً للمجرمين**﴾ معيناً للكافرين **١٨**: يُخبر تعالى عن موسى لمّا قتلَ القبطيّ فيقول: ﴿**فأصبحَ في المدينةِ خائفاً**﴾ من معرّة مافعلَ، ﴿**يترقّبُ**﴾ يلتفتُ ويتوقع مايكون مِن هذا الأمر، فمرّ في بعض الطرق ﴿**فإذا الذي استنصرَهُ بالأمس**﴾ على ذلك القبطي يُقاتل آخر، فلمّا مَرّ عليه موسى، ﴿**يستصرخُهُ**﴾ على الآخر، ﴿**قال له موسى إنّكَ لغويٌّ مُبين**﴾ ظاهرُ الغواية كثيرُ الشّرّ **١٩**: ﴿**فلمّا أرادَ أن يبطشَ بالذي هو عدوٌّ لهما**﴾ ثم عزمَ على البطش بذلك القبطي، فاعتقدَ الإسرائيلي لخوفه وضعفه وذِلّته أنّ موسى إنّما يريد قصدَه لمّا سمعه يقول ذلك، فقال يدفعُ عن نفسِهِ: ﴿**ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلتَ نفساً بالأمس**﴾ الآية، وذلك لأنّه لم يعلم به إلّا هُوَ وموسى، فلمّا سمِعَها ذلك القبطي لَقَفَها مِن فمه ثم ذهب بها إلى باب فرعون، فعلم فرعون بذلك، فاشتدّ حنقه وعزم على قتل موسى، فطلَبُوه فبعثُوا وراءه ليُحضِروه لذلك **٢٠**: ﴿**وجاء رجلٌ**﴾ وصفه بالرجوليّة لأنّه خالف الطريق فسلك طريقاً أقرب من طريق الذين بعثُوا وراءَهُ فسبق إلى موسى فقال له: ﴿**يا موسى إنّ الملأَ يأتَمِرُون بكَ**﴾ يتشاورون فيك ﴿**ليقتلُوك فاخرجْ**﴾ من البلد ﴿**إنّي لكَ مِنَ الناصِحين**﴾ **٢١**: فلمّا أخبره ذلك الرجل بما تمالأ عليه فرعونُ ودولتُهُ في أمره خرجَ مِن مِصر وحده، ولم يألف ذلك قبله بل كان في رفاهيةٍ ونعمةٍ ورياسة. ﴿**فخرجَ منها خائفاً يترقّبُ**﴾ يلتفت، ﴿**قال ربِّ نَجّني مِن القومِ الظالِمين**﴾ من فرعون ومَلَئِهِ، فذكروا أنّ الله سبحانه وتعالى بعثَ إليه مَلَكاً فأرشدَه إلى الطريق [نحو مَدْيَن][(١)].

الآية: **١٦** عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه قال: يارسول الله علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: «قُلْ: اللّهمّ إنّي ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولايغفر الذنوبَ إلّا أنتَ، فاغفِرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنّك أنتَ الغفورُ الرحيمُ» متفق عليه/الوابل الطيب ص١٨٦ و٢٣٣/.

(١) ولمّا خرج موسى عليه السلام فارّاً بنفسه منفرداً خائفاً، لا شيء معه من زاد ولا راحلة، نحو مَدْيَن، للنّسَبِ الذي بينه وبينهم؛ لأنّ مَدْيَن من ولد إبراهيم عليه السلام، وموسى من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ورأى حاله وعدم معرفته بالطريق وعدم الزاد؛ أسندَ أمرَهُ إلى الله تعالى وقال: (عَسَى ربي أن يهديني سَوَاءَ السَّبيل)، فعندها جاءه الفرج من اللهتعالى، وهذه حالة المضطر.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٢٢: ﴿ولمّا توجَّهَ تِلقاءَ مَدْيَنَ﴾ أخذ طريقاً سالكاً فرح بذلك و**﴿قالَ عسَى ربّي أن يهديَني سواء السبيل﴾** الطريق الأقوم، ففعل الله بهِ ذلك وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعله هادِياً مهدِياً **٢٣: ﴿ولمّا وردَ ماءَ مَدْيَنَ﴾** لمّا وصل إلى مدين ووَرَدَ ماءَها، وكان لها بئرٌ يرِدُهُ رُعاءُ الشاءِ **﴿وَجَدَ عليهِ أُمّةً مِن النّاس﴾** جماعة **﴿يسقُونَ ووَجَدَ مِن دُونِهم امرأتَين تَذُودَانِ﴾** تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلّا يُؤذَيَا، فلمّا رآهما موسى عليه السلام رقَّ لهما ورحمهما، **﴿قال ما خطبكُما﴾**؟ ما خبرُكما لا تردان معَ هؤلاء؟ **﴿قالتَا لا نسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ﴾** لا يحصل لنا سقيٌ إلّا بعد فراغ هؤلاء **﴿وأبُونا شيخٌ كبير﴾** فهذاالحال الملجىء لنا إلى ما ترى، قال اللهتعالى: **٢٤: ﴿فسقَى لهما﴾** روى ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب: (أنّ موسى عليه السلام لمّا ورَدَ ماءَ مَديَنَ وَجَدَ عليه أُمّةً من النّاس يسقون، قال فلمّا فرغوا أعادُوا الصخرة على البئر، ولا يُطيق رفعُها إلّا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتَينِ تذُودَان قال ما خطبكما؟ فحدّثتاه، فأتى الحجرَ فرفعه ثم لم يستقِ إلّا ذَنُوباً واحداً حتى رُويت الغنم) وإسناده صحيح. **﴿ثم تولّى إلى الظِّلّ فقال ربِّ إنّي لِما أنزلتَ إليّ مِن خيرٍ فقير﴾** لمّا قال موسى هذا أسمع المرأةَ **٢٥: ﴿فجاءَتْهُ إحداهما تمشي على استحياءٍ﴾** مشيَ الحرائر، مستترةً بكُمِّ دِرْعِها **﴿قالَتْ إنّ أبي يَدْعُوكَ ليجزيَكَ أجرَ ما سقيتَ لنا﴾** وهذا تأدّب في العادة، لم يطلبه طلباً لئلّا يتوهم ريبة؛ أي: ليكافِئَكَ على سقيكَ لغنمنا، **﴿فلمّا جاءَهُ وقصَّ عليه القصص﴾** عن السبب الذي خرج من أجله مِن بلدهِ **﴿قال لا تخفْ نجوتَ من القومِ الظالمين﴾** طِبْ نفساً وقِرْ عيناً. والمشهور عند كثير من العلماء أنّه شعيب النبي عليه السلام، وعند بعضهم أنّه ابن أخي شعيب، فاللهُ أعلم **٢٦: ﴿قالتْ إحداهما يا أبتِ استأجِرْهُ إنّ خير مَن استأجرت القويُّ الأمينُ﴾** قال لها أبوها: وما علمكِ بذلك؟ قالتْ: إنّه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلّا عشرة رجال، وإنّي لمّا جئتُ معه تقدمتُ أمامَهُ فقال كوني من ورائي فإذا اختلف عليّ الطريق فاقذِفِي لي بحصاةٍ أعلم بها كيف الطريق لأهتدِي إليه **٢٧: ﴿قال إنّي أريدُ أن أنكِحَكَ إحدى ابنتَيّ هاتَين﴾** طلب إليه أن يزوّجه إحدى ابنتيه **﴿على أنْ تأجُرَني ثمانيَ حِجَجٍ فإن أتممتَ عَشْراً فمِنْ عندكَ﴾** على أن ترعى غنمي ثماني سنين فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، **﴿وما أُريدُ أن أَشُقَّ عليك﴾** ولا أؤذيك **﴿ستجدني إن شاءَ اللهُ مِن الصالحين﴾ ٢٨: ﴿قال ذلك بيني وبينكَ أيّما الأجلَين قضيتُ فلا عُدْوان عليّ﴾** فأنا متى فعلتُ أقلّهما فقد برئتُ مِن العهدُ فلا حرج عليّ **﴿واللهُ على ما نقولُ وكيلٌ﴾**. روى ابن أبي حاتم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ موسى عليه السلام آجرَ نفسَهُ بعفّةِ فرجه وطعمة بطنه».

الآية: ٢٧-٢٨ روى ابن أبي حاتم عن عتبة بن المنذر السلمي يحدّث أنّ رسول الله ﷺ قال: « إنّ موسى عليه السلام آجرَ نفسَهُ بعفّةِ فرجِهِ وطعمة بطنه، فلمّا وفّى الأجل أراد فراق شعيب » قيل: يا رسول الله أيُّ الأجلين وفّى؟ قال: « أبرّهما وأوفاهُمَا ». /ابن كثير ج٣/٣٨٧.

الحزب ٣٩

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

٢٩: ﴿**فلمّا قضَى موسَى الأجلَ وسارَ بأهلِهِ**﴾ إلى بلادِهِ، وكان قد قضَى الأكملَ منهما، ﴿**آنسَ مِن جانبِ الطُّورِ ناراً**﴾ رأى ناراً تضيءِ له على بُعْدٍ، ﴿**قالَ لأهلِهِ امكثُوا إنّي آنستُ ناراً**﴾ حتى أذهب إليها ﴿**لعلّي آتيكم منها بخبرٍ**﴾ وذلك لأنّه قد أضلَّ الطريق، ﴿**أو جَذْوَةٍ مِن النّار**﴾ قطعة منها ﴿**لعلّكم تصطلُون**﴾ تستدفِئُون بها من البرد، قال تعالى: **٣٠**: ﴿**فلمّا أتاها نُودِيَ من شاطِىء الوادي الأيمن**﴾ من جانب الوادي مّما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: ﴿وما كنتَ بجانب الغربيِّ إذْ قضينا إلى موسى الأمرَ﴾، فهذا مِمّا يرشد إلى أنّ موسى قصَدَ النّار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه، والنّار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لَحْفِ الجبل مِمّا يلي الوادي فوقف باهتاً في أمرها، فناداهُ ربُّه، ﴿**في البقعة المباركة مِن الشجرةِ أنْ يا موسى إنّي أنا اللهُ ربُّ العالمين**﴾ الذي يخاطبك هو ربُّ العالمين الفعّال لِما يشاء **٣١**: ﴿**وأن ألقِ عصاكَ**﴾ التي في يَدِك، كما قرّره على ذلك في قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينِكَ يا موسى؟ قال هي عَصَايَ أتوكّأُ عليها وأهشُّ بها على غنمي وليَ فيها مآربُ أخرى﴾. ﴿**فلمّا رآها تهتزّ**﴾ تضطرب ﴿**كأنّها جانٌّ ولّى مُدْبِراً**﴾ في حركتها السريعة مع عِظَمِ خِلْقَتِها ﴿**ولّى مُدْبِراً ولم يُعَقِّبْ**﴾ لم يكن يلتفت، لأنّ طبع البشرية ينفرُ من ذلك، فلما قال الله: ﴿**يا موسى أقبلْ ولا تخف إنّك من الآمنين**﴾ رجع فوقف في مقامه الأول؛ فعرف وتحقّقَ أنّ الذي يكلّمه ويخاطبُهُ هو الذي يقول للشيءِ كُنْ فيكون **٣٢**: ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ في جَيْبِكَ تخرُجْ بيضاءَ مِن غيرِ سُوءٍ**﴾ إذا أدخلتَ يدكَ في جيبك، أي: درعك، ثم أخرجتَها فإنّها تخرُجُ تتلألأُ كأنّها قطعةُ قمر في لمعان البرق ﴿**من غير سُوءٍ**﴾ من غير برص ﴿**واضمم إليك جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ**﴾ إذا خاف مِن شيءٍ أن يضمَّ يَدَهُ إلى جناحه؛ فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده مِن الخوف، ﴿**فذانِكَ بُرْهانان مِن ربّكَ**﴾ يعني إلقاء العَصَا وجعلها حيّةً تسعَى، وإدخاله يدَهُ في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوءٍ دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار [سبحانه وتعالى] وصحة نبوّة مَن جرى هذا الخارق على يديه، ولهذا قال تعالى ﴿**إلى فرعونَ ومَلَئِهِ**﴾ وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع ﴿**إنّهم كانُوا قوماً فاسِقِين**﴾ خارجين عن طاعته **٣٣**: ﴿**قالَ ربِّ إنّي قتلتُ منهم نفساً**﴾ ذلك القبطي ﴿**فأخاف أن يقتلون**﴾ إذا رأوني **٣٤**: ﴿**وأخي هارونُ هو أفصحُ منّي لِسَاناً**﴾ وذلك بسبب تناوله الجمرة حين خيّر بينها وبين التمرة، فحصل له شدّة في التعبير، ولهذا قال: ﴿واحْلُلْ عقدةً مِن لساني يفقهُوا قولي﴾، ﴿**فأرسلْهُ معي ردءاً**﴾ وزيراً ومعيناً لأمري ﴿**يُصدِّقني إنّي أخاف أن يكذّبُونِ**﴾ **٣٥**: ﴿**قال سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخيك**﴾ سنقوّي أمرك ونُعِزُّ جانبَكَ بأخيك، ﴿**ونجعلُ لكُمَا سُلطاناً فلا يصِلُون إليكما بآياتنا**﴾ لا سبيل لهم إلى أذاكُمَا بسبب إبلاغكما آياتِ الله، ﴿**أنتُما ومَن اتّبعَكُمَا الغالِبُون**﴾ بآياتنا.

الآية : ٣٤ قال بعض السلف : ليس أحدٌ أعظمَ مِنّةً على أخيهِ من موسى على هارون عليهما السلام ، فإنّه شفعَ فيه حتى جعله الله نبيّاً ورسولاً معه إلى فرعون ومَلَئِهِ ، ولهذا قال الله في حقّ موسى : ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾ . /ابن كثير ج٣/٣٨٩ .

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٦: ﴿فلمّا جاءَهم موسى بآياتِنا بيّناتٍ قالوا ما هذا إلّا سِحْرٌ مفترىً﴾ مفتعَلٌ مصنُوع، وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه، **﴿وما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين﴾** يعنُون عبادة الله وحده لا شريك له، ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين **٣٧: ﴿وقال مُوسى﴾** مجيباً لهم **﴿ربّي أعلمُ بمَنْ جاءَ بالهدَى مِن عندِهِ﴾** منّي ومنكم، وسيفصلُ بيني وبينكم، ولهذا قال تعالى: **﴿ومَن تكونُ له عاقبةُ الدّارِ﴾** من النصرةِ والظفرِ والتأييد **﴿إنّه لا يُفلح الظالِمُون﴾** المشركون بالله عزّ وجلّ **٣٨: ﴿وقال فرعونُ﴾** [لمّا] استخفَّ قومَهُ فأطاعُوه: **﴿يا أيّها الملأُ ما علمتُ لكم مِن إلهٍ غيري﴾** وقال تعالى إخباراً عنه ﴿فحشَرَ فنادَى فقالَ أنا ربُّكُمُ الأعلى. فأخذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأولى﴾، يعني أنّه جمع قومَهُ ونادى فيهم مصرّحاً لهم بذلك، فأجابُوهُ مُطيعين، ولهذا انتقمَ منه، وحتى إنه واجه موسى بذلك فقال: ﴿لَئِنِ اتّخذتَ إلهاً غيري لأجعلنّك مِن المسجُونين﴾، [قال فرعون]: **﴿فأَوْقِدْ لي يا هامانُ على الطّين﴾** أمرَ وزيرَهُ هامان أن يتخذ له آجراً لبناء الصرح العالي، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وقال فرعونُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لعلّي أبلغُ الأسبابَ أسبابَ السمواتِ فأطّلعُ إلى إلهِ موسى﴾، **﴿لَعَلِّي أطّلعُ إلى إلهِ موسى وإنّي لأظنّهُ مِن الكاذِبين﴾ ٣٩: ﴿واستكبر هو وجنُودُهُ في الأرض بغير الحق، وظنُّوا أنّهم إلينا لا يرجِعُون﴾** طَغَوْا وتجبّرُوا واعتقدوا أنّه لا قيامة ولا معاد **٤٠: ﴿فأخذناهُ وجُنُودَهُ فنبذناهم في اليَمِّ﴾** أغرقناهم في البحر في صبيحةٍ واحدة فلم يبقَ منهم أحدٌ **﴿فانظُرْ كيفَ كانَ عاقبةُ الظالِمين﴾** [أي: آخر أمرهم] **٤١: ﴿وجعلناهم أئمّةً يدعُون إلى النّار﴾** لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل **﴿ويوم القيامة لا يُنصَرُون﴾** فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولاً بذُلِّ الآخرة **٤٢: ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً﴾** وشرعَ اللهُ لعنتهم ولعنة مَلِكِهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عبادهِ المتبعين لرسله، كما أنّهم في الدنيا ملعونُون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلك **﴿ويومَ القيامة هم من المقبُوحِين﴾** وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وأُتْبِعُوا في هذه لعنةً ويومَ القيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدِ المرفُود﴾، **﴿من المقبُوحِين﴾** [أي: مِن المُهلَكين الممقوتِين] **٤٣: ﴿ولقد آتينا موسى الكتابَ مِن بعدِ ما أهلكنا القرُون الأولى﴾** يخبر تعالى عمّا أنعمَ به على عبدِهِ ورسوله موسى عليه السلام من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعونَ ومَلأَهُ؛ يعني أنه تعالى بعد إنزال التوراة لم يُعذّب أُمّةً بعامّة بل أمر المؤمنين أن يُقاتِلُوا أعداءَ الله من المشركين. **﴿بَصائرَ للنّاس وهُدىً ورحمةً﴾** من العَمَى والغيِّ، وهدى إلى الحقِّ ورحمة، أي: وإرشاداً إلى العمل الصالح **﴿لعلّهم يتذكّرُون﴾** لعلّ النّاس يتذكرون به ويهتدُون بسببه.

الآية: **٣٦-٣٧** يُخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه، وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرات والدّلالات القاهرات على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عزّ وجلّ من توحيده واتباع أوامره، فلمّا عاين فرعون وملؤُهُ ذلك وشاهدوه وتحقّقوه، وأيقنوا أنّه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهتة، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق، فقالوا: ﴿ما هذا إلّا سحرٌ مفترى﴾. /ابن كثير ج٣/٣٨٩.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٤: **﴿وما كنتَ بجانِبِ الغربيِّ إذْ قضينا إلى موسى الأمرَ وما كنتَ مِن الشاهِدين﴾** يُنبِّهُ تعالى على برهان نبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كأنّ سامعَهُ شاهدٌ وراءٍ، وهو رجلٌ أُمّي لا يقرأ شيئاً من الكتب؛ يعني: ما كنتَ يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلّم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيةُ شاطىء الوادي **﴿وما كنتَ من الشاهِدين﴾** لذلك ولكنّ الله سبحانه وتعالى أوحى إليكَ ذلك ليكون حجّةً وبرهاناً على قرون قد تطاوَل عهدُها ونَسُوا حُجَجَ اللهِ عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدّمين: **٤٥**: **﴿ولكنّا أنشأنا قُروناً فتطاوَل عليهم العُمُرُ وما كنتَ ثاوياً في أهل مَدْيَنَ تتْلُوا عليهم آياتِنا﴾** وما كنتَ مقيماً في أهل مَدْيَنَ تتلُو عليهم آياتِنا حين أخبرتَ عن نبيّها شعيب، وما قال لقومه وما رَدُّوا عليه **﴿ولكنّا كنّا مرسِلِين﴾** ولكن نحنُ أوحينا إليكَ ذلكَ وأرسلناكَ إلى النّاس رسولاً **٤٦**: **﴿وما كنتَ بجانب الطُّورِ إذْ نادَيْنا﴾** أخبر هٰهُنا بصيغة أخرى أخصّ من قوله تعالى: **﴿وما كنتَ بجانب الغربي إذْ قضينا إلى موسى الأمرَ﴾**، كما قال تعالى: ﴿وإذْ نادَى ربُّكَ موسى﴾ ﴿وناديناه من جانبِ الطُّورِ الأيمنِ وقرّبناهُ نَجِيّاً﴾. **﴿ولكنْ رحمةً مِن ربِّكَ﴾** ولكنّ الله تعالى أوحاه إليك وأخبركَ بهِ رحمةً منه بك وبالعباد بإرسالِكَ إليهم **﴿لِتُنذر قوماً ما أتاهم مِن نذير من قبلك لعلّهم يتذكّرُون﴾** لعلّهم يهتدون بما جئتهم به من اللهعزّ وجلّ **٤٧**: **﴿ولولا أن تُصيبَهُم مُصيبةٌ بما قدّمتْ أيديهم فيقولوا ربَّنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً﴾**؟ الآية؛ وأرسلناكَ إليهم لتقيم عليهم الحجّة ولينقطعَ عُذْرُهم إذا جاءهم عذابٌ مِن الله بكفرهم فيحتجُّوا بأنّهم لم يأتِهم رسولٌ ولا نذير **٤٨**: **﴿فلمّا جاءَهُمُ الحقُّ مِن عندِنا﴾** [يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم] **﴿قالوا﴾** [يعني: كفار مكة] على وجه التعنت والعِناد والكفر والجهل والإلحاد **﴿لولا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ موسى﴾** من الآيات الكثيرة مثل العَصَا واليد والطوفان وفلق البحر والغمام إلى غير ذلك من الآيات الباهِرَات، **﴿أَوَلم يكفُرُوا بما أُوتِيَ موسى مِن قبلُ﴾** أَوَ لم يكفر البشرُ بما أُوتِيَ موسى من الآيات العظيمة؟ و**﴿قالوا سِحْرانِ تظاهَرَا﴾**[1] تعاونا، **﴿وقالوا إنّا بكلٍّ كافِرُون﴾** بكل منهما كافرون، أي: التوراة والقرآن، لأنّه قال بعده: **٤٩**: **﴿قُلْ فأْتُوا بكتابٍ مِن عندِ اللهِ هو أهدَى منهما أتّبِعْهُ إن كنتم صادِقين﴾** وكثيراً ما يُقرن اللهتعالى بين التوراة والقرآن، [أي: فأتُوا بكتاب أهدَى من كتابَيْ موسى ومحمد عليهما السلام]، **﴿إن كنتم صادقين﴾** فيما تدافِعُون به الحقَّ من الباطل، قال الله تعالى: **٥٠**: **﴿فإنْ لم يستجِيبُوا لكَ فاعْلَمْ أنّما يتبِعُون أهواءَهُم﴾** بلا دليل ولا حجّة **﴿ومَن أضلُّ ممّن اتبعَ هواهُ بغيرِ هُدًى مِن الله﴾** بغيرِ حُجّةٍ مأخوذةٍ من كتاب الله **﴿إنّ الله لا يهدِي القومَ الظالمين﴾**.

---

(١) أي: كفار مكة، يعنون موسى ومحمداً صلى الله عليهما وآله وسلم.

الآية: **٥٠** كان من كلام ورقة بن نوفل عندما سمع أول ما نزل من القرآن: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى. وقد علم بالضرورة أنّ الله لم يتزل على أنبيائه ورسله أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من القرآن!! » /ابن كثير ج٣/٣٩٣ .

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

الحزب

٥١: **﴿ولقد وصّلنا لهُمُ القولَ لعلّهم يتذكّرون﴾** بيّنّا لقريش القولَ [أي: القرآن، تبع بعضُهُ بعضاً: وعداً ووعيداً ونصائح ومواعظ إرادةَ أن يتذكّروا فيُفلِحُوا] ٥٢: **﴿الذين آتيناهُمُ الكِتابَ من قبلِهِ هُم به يُؤمِنُون﴾** يُخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنّهم يُؤمِنُون بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿وإنْ مِن أهلِ الكتاب لَمَنْ يُؤمِنُ باللهِ وما أُنزلَ إليكم وما أُنزل إليهم خاشِعِين لله﴾، [ويدخل في هذا من أسلمَ من علماء اليهود والنصارى] ٥٣: **﴿وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقُّ من ربّنا﴾** [أي: إذا قرىء عليهم القرآن قالوا صدّقنا بما فيه] **﴿إنّا كنّا مِن قبلِهِ مُسْلِمِين﴾** من قبل هذا القرآن كنّا مسلمين مخلصين لله ٥٤: **﴿أولئك يُؤْتَوْن أجرَهم مرتين بما صبروا﴾** هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني، ولهذا قال: **﴿بما صبروا﴾** على اتباع الحق، فإنّ تجشم مثل هذا شديد على النفوس، **﴿ويَدْرَؤُون بالحسنة السيئة﴾** لا يُقابلون السيئَ بمثله ولكن يعفون ويصفحُون **﴿ومِمّا رزقناهم يُنفِقُون﴾** من الحلال ينفقون على أهليهم وأقاربهم، وفي القُربات ٥٥: **﴿وإذا سمِعُوا اللغوَ أعرضُوا عنه﴾** لا يُخالِطُون أهلَهُ ولا يعاشرونهم، كما قال تعالى: ﴿وإذا مَرُّوا باللغوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾. **﴿وقالُوا لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهِلِين﴾** إذا سفه عليكم سفيهٌ وكلّمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يُقابِلُوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلّا كلام طيّبٌ ٥٦: **﴿إنّك لا تهدِي مَن أحببتَ﴾** ليس إليك ذلك، إنّما عليك البلاغ، واللهيهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحُجّة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿ليس عليك هُداهُم﴾ **﴿ولكنّ اللهَ يهدِي مَن يشاء وهو أعلمُ بالمهتَدِين﴾** هو أعلم بمن يستحق الهداية مِمّن يستحق الغواية ٥٧: **﴿وقالوا إنْ نتَّبعِ الهُدَى معكَ نُتخطَّفْ مِن أرضِنا﴾** نخشى إن اتبعنا ما جِئتَ به من الهدى وخالفنا مَن حولَنا من المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ويختطفونا أينا كُنّا، قال اللهتعالى مجيباً لهم: **﴿أوَلَمْ نُمكِّنْ لهم حَرَماً آمِناً﴾** منذُ وُضِعَ فكيف يكون هذا الحرمُ آمناً لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكوْن آمناً لهم وقد أسلَمُوا؟ **﴿يُجْبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ﴾** من سائر الثمار مِمّا حوله **﴿رِزْقاً مِنْ لَدُنّا﴾** من عندنا **﴿ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون﴾** ٥٨: **﴿وكمْ أهلكنا مِن قريةٍ بَطِرتْ مَعِيشتَها﴾** طغت وأشركت وكفرت نعمةَ الله **﴿فتلك مساكنهم لم تُسْكنْ من بعدهم إلّا قليلاً﴾** دُثِرَتْ ديارُهم فلا ترى إلّا مساكنَهم، **﴿وكُنّا نحنُ الوارِثِين﴾** رجعت خراباً ليس فيها أحد ٥٩: **﴿وما كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القرَى حتى يبعث في أُمّها﴾** وهي مكة **﴿رسولاً يتلُوا عليهم آياتِنا﴾** وهو محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم كما قال تعالى: ﴿لتنذِرَ أُمَّ القُرى ومَن حولها﴾، **﴿وما كُنّا مُهلِكي القُرَى إلّا وأهلُها ظالِمُون﴾** [أي: كافرون].

الآية: ٥٤ ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤتَون أجرَهم مرّتين؛ رجلٌ من أهلِ الكتاب آمَنَ بنبيّهِ ثم آمَنَ بي، وعبدٌ مملوك أدّ حقَّ الله وحقَّ مواليه، ورجل كانت له أمة فأدّبها فأحسنَ تأديبها ثم أعتقها فتزوّجها». /ابن كثير ج٣/٣٩٣-٣٩٤.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾

٦٠: **﴿وما أُوتيتم مِن شيءٍ فمتاع الحياةِ الدنيا وزينتها﴾** بالنسبة لما أعدَّهُ اللهُ لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم **﴿وما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقى﴾** كما قال تعالى: ﴿ما عندكم ينفَدُ وما عندَ اللهِ باقٍ﴾، **﴿أفلا تعقِلون﴾** أفلا يعقلُ مَن يُقدِّم الدنيا على الآخرة؟! ٦١: **﴿أفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حسناً فهو لاقِيه كمَنْ متعناهُ متاع الحياةِ الدنيا ثم هُوَ يومَ القيامةِ من المُحضَرين﴾**؟! أفمن هو مؤمن مصدِّق بما وعده اللهُ على صالح الأعمال من الثواب الذي هو صائرٌ إليه لا محالة كمَنْ هو كافرٌ مُكذِّب بلقاء الله ووعدِهِ ووعيدهِ فهو ممتّعٌ في الدنيا أيّاماً قلائل **﴿ثم هو يومَ القيامة مِنَ المُحضَرين﴾** المعذَّبين؟ ٦٢: **﴿ويوم يُنادِيهم فيقولُ أين شركائِيَ الذين كنتم تزعُمون﴾** يُخبر تعالى عمّا يُوبِّخ به الكفار يوم القيامة؛ يعني: أين الآلهة التي كنتم تعبُدونها في الدنيا هل ينصرُونكم؟ ٦٣: **﴿قال الذين حقَّ عليهم القولُ﴾** وهم الدُّعاة إلى الكفر: **﴿ربَّنا هؤلاء الذين أغْوَيْنا أغويناهُم كما غَوَيْنا تبرّأنا إليكَ ما كانُوا إيّانا يعبُدون﴾** فشهدوا عليهم أنّهم أغووهم فاتبعُوهم ثم تبرّؤُوا من عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿واتخذُوا مِن دُونِ اللهِ آلهةً ليكونُوا لهم عِزّاً كلّا سيكفُرونَ بعبادتِهم ويكُونُونَ عليهم ضِدّاً﴾ ٦٤: **﴿وقيلَ ادْعُوا شركاءَكم﴾** لِيُخلِّصُوكم مِمّا أنتم فيه كما كنتم ترجُون منهم في الدنيا **﴿فَدَعَوْهُمْ فلم يستجيبُوا لهم ورأَوُا العذابَ﴾** وتيقَّنُوا أنهم صائرُون إلى النّار لا محالة، **﴿لو أنّهم كانُوا يهتدُون﴾** فودُّوا حينَ عاينُوا العذابَ لو أنّهم كانوا مِن المهتَدين في الدنيا ٦٥: **﴿ويوم يُنادِيهم فيقول: ماذا أجبتُمُ المرسَلين﴾**؟ النداءُ الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوّات؛ ماذا كان جوابكم للمرسَلين إليكم؟ وكيف كان حالُكم معهم؟ ولا جواب لهم يوم القيامة غير السكوت؛ لأنّ مَن كان في هذه أعمَى فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً، ولهذا قال تعالى: ٦٦: **﴿فَعَمِيَتْ عليهم الأنباء يومَئِذٍ فهُمْ لا يتساءَلُون﴾** فَعَمِيَتْ عليهم الحُجَجُ فهم لا يتساءلون بالأنساب ٦٧: **﴿فأمّا مَن تاب وآمَنَ وعَمِلَ صالحاً﴾** في الحياة الدنيا، ؛ **﴿فعسَى أن يكون مِنَ المُفْلِحين﴾** يوم القيامة. وعسَى مِن اللهِ مُوجبة، فإنّ هذا واقعٌ بفضل الله ومِنّتِهِ لا محالة ٦٨: **﴿وربُّكَ يخلقُ ما يشاء ويختار﴾** ما يشاء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها مرجعُها إليه تعالى، **﴿ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾** في الخلق والتقدير والاختيار **﴿سبحانَ اللهِ وتعالى عمّا يُشرِكون﴾** من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً ٦٩: **﴿وربُّك يعلمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهم وما يُعلِنون﴾** يعلم سبحانه ما تكِنُّ الضمائر، وما تُبديه الظواهر من سائر الخلائق ٧٠: **﴿وهو اللهُ لا إلهَ إلّا هُوَ﴾** هو المنفرد بالإلهيّة، فلا معبود سواه سبحانه، كما لا ربَّ يخلق ما يشاء ويختار سواه، **﴿لهُ الحمدُ في الأُولى والآخرة﴾** في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته، **﴿ولهُ الحكم﴾** الذي لا مُعقب له لقهره وغلبته وحكمته ورحمته **﴿وإليه تُرجَعُون﴾** يوم القيامة، فيجزي كلَّ عامل بعمله.

الآية : ٦٥ وإنّ العبد يُسأل في قبره ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحاح : مَنْ ربُّكَ ؟ ومَنْ نبيُّكَ ؟ وما دِينُكَ ؟ فأمّا المؤمن فيشهد أنّه لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأمّا الكافر فيقول : هاه هاه لا أدري ، ولهذا لا جوابَ له يوم القيامة غير السكوت ، لأنّ من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً . /ابن كثير ج٣/٣٩٧ .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

الحزب ٤٠

٧١: ﴿قُلْ أرأيتُم إن جعلَ اللهُ عليكُمُ الليلَ سَرْمَداً إلى يومِ القيامةِ﴾ لأضرَّ ذلك بهم؛ يمتنّ الله تعالى على عباده بما سخَّرَ لهم من الليل والنهار، **﴿مَن إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكم بضياء﴾** تُبصرون بهِ وتستأنِسُوا بسببه **﴿أفلا تسمعُون﴾**؟ ثم أخبر تعالى أنّه لو جعل النهار سَرْمَداً لأضرَّ بهم: **٧٢: ﴿قُلْ أرأيتُم إنْ جعلَ اللهُ عليكُمُ النّهارَ سَرْمَداً﴾** دائماً مستمرّاً **﴿إلى يومِ القيامةِ مَن إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكم بليلٍ تسكنُون فيه﴾** تستريحُوا من حركاتِكم وأشغالِكم **﴿أفلا تبصرُون﴾**؟ **٧٣: ﴿ومِن رحمتهِ﴾** بكم **﴿جعلَ لكُمُ الليلَ والنهارَ﴾** خلق لكم هذا وهذا **﴿لتسكنُوا فيه﴾** في الليل **﴿ولتبتغُوا مِن فضلهِ﴾** في النهار بالأسفار والترحال والحركات والأشغال، وهذا من باب اللّفِ والنشر[1]. **﴿ولعلّكم تشكرون﴾** الله بأنواع العبادات في الليل والنّهار، ومَن فاتَهُ شيءٌ بالليل استدركه بالنّهار، أو بالنّهار استدركه بالليل، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعلَ الليلَ والنّهارَ خِلْفةً لِمَنْ أرادَ أنْ يتذكّرَ أو أرادَ شكوراً﴾ **٧٤: ﴿ويومَ يُناديهم فيقولُ أينَ شركائِيَ الذين كنتم تزعُمُون﴾**؟ وهذا أيضاً نداءٌ ثانٍ على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبدَ مع الله إلهاً آخر، يُنادِيهم الربُّ تعالى على رؤوس الأشهاد **٧٥: ﴿ونزعنا مِن كلِّ أمّةٍ شهيداً﴾** نبيّاً ورسولاً، **﴿فقلنا هاتُوا بُرْهانكم﴾** على صحة ما ادّعيتموه من أنّ لله شركاءَ **﴿فعلِمُوا أنّ الحقَّ لله﴾** لا إلهَ غيرهُ فلم ينطقوا، ولا تحيّرُوا جواباً، **﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾** ذَهَبُوا فلم ينفعُوهم **٧٦: ﴿إنّ قارُونَ كان من قومِ موسى فبغَى عليهم﴾** كان ابن عمّ موسى، لكنّ عدوّ الله نافقَ كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله، **﴿وآتيناهُ من الكُنُوزِ ما إنّ مفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أولي القوّة﴾** لَيُثقِلُ حملُها الفِئامَ من النّاس لكثرتها، **﴿إذْ قال له قومه لا تفرح إنّ اللهَ لا يُحبُّ الفرِحين﴾** وعظَهُ صالحُو قومه، فقالُوا على سبيل النصح والإرشاد: لا تفرح بما أنتَ فيه، يعنُون: لا تبطر بما أنتَ فيه من المال إنّ الله لا يحب المرحين الأشِرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم **٧٧: ﴿وابتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولاتنسَ نصيبك من الدنيا﴾** استعمل ما وهبكَ اللهُ مِن المالِ والنعمة في طاعة ربِّكَ والتقرّب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة، ولا تنسَ نصيبك مِمّا أباح الله من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، **﴿وأحسنْ كما أحسنَ اللهُ إليك﴾** أحسنْ إلى خلقه **﴿ولا تبغِ الفسادَ في الأرض﴾** بأن تسيء إلى خلق الله **﴿إنّ اللهَ لا يُحبُّ المفسدين﴾**.

الآية: ٧١ كان من دعاء النبي ﷺ وهو ساجد: «اللّهمَّ إنّي أعوذُ برِضَاكَ مِنْ سخطِكَ، وبمعافاتِكَ مِنْ عُقُوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لاأحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ» رواه مسلم /الوابل الطيب: لابن قيم الجوزية/٢٣٠.

وكان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبحان ذي الجَبَرُوت والمَلَكُوت، والكبرياء والعظمة» رواه أبو داود رقم ٨٧٢/.

(١) اللّفُّ والنّشرُ: هو أن يُلفّ شيئان أولاً ثم يُردفان بتفسيرهما، أو بما يناسبهما جملةً، اعتماداً على أنّ السامعَ الفطنَ يردُّ إلى كلٍّ منهما ما هو له. وفي هذه الآية ذكر تعالى الليلَ والنّهارَ على التفصيل ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه، وما للنّهار وهو الابتغاء من فضل الله. وهذا هو اللّف والنشر المرتب.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨: **﴿قال إنّما أوتيتُهُ على علمٍ عندي﴾** إنما أعطاني الله هذا المال لعلمه بأنّي أستحقه [لِما عندي من العلم بوجوه التجارات والمكاسب]، **﴿أوَلَمْ يعلمْ أنّ الله قد أهلكَ مِن قبلِهِ مِن القرونِ من هو أشدّ منه قوّةً وأكثر جمعاً﴾** قد كان مَن هو أكثر منه مالاً وما كان ذلك عن محبة مِنّا له، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم، ولهذا قال تعالى: **﴿ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمُون﴾** لكثرة ذنوبهم ٧٩: **﴿فخرجَ على قومِهِ في زينته﴾** زينة عظيمة وتجمّلٍ باهر من ملابس ومراكب **﴿قال الذين يُريدون الحياةَ الدنيا﴾** الذين يميلون إلى زخارفها وزينتها: **﴿يا ليتَ لنا مثلَ ما أُوتيَ قارونُ إنّه لَذُو حَظٍ عظيم﴾** تمنّوا أنْ لو كان لهم مثل الذي أُعطِي، فلمّا سمع مقالتهم أهلُ العلم النافع قالوا لهم: **﴿ويلكم﴾** [زجروهم على قولهم ذلك] ٨٠: **﴿وقال الذين أُوتُوا العلم ويلَكُمْ ثوابُ الله خيرٌ لِمَنْ آمَنَ وعمل صالحاً﴾** جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خيرٌ مِمّا ترون. **﴿ولا يُلقاها﴾** الجنّة **﴿إلّا الصابرُون﴾** عن محبة الدنيا الراغبُون في الدار الآخرة ٨١: **﴿فَخَسَفْنا به وبدارِهِ الأرضَ﴾**، كما ثبت عند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بينا رجلٌ يجرُّ إزارَهُ إذْ خُسِفَ بِهِ فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة»، **﴿فما كانَ لهُ مِن فِئةٍ ينصرُونه من دُون الله وما كان من المنتصِرين﴾** ما أغنى عنه ماله ولا جَمْعُهُ ولا خدمُهُ وحشمه، ولا دفعُوا عنه نقمةَ اللهِ وعذابه، ولا كان هو في نفسِهِ مُنتصِراً لنفسه؛ فلا ناصر له من نفسه ولا مِن غيره ٨٢: **﴿وأصبح الذين تمنَّوْا مكانَهُ بالأمس﴾** الذين قالوا: يا ليتَ لنا مثلَ ما أُوتيَ قارون إنّه لَذُو حظٍّ عظيم، فلمّا خُسِفَ به أصبحُوا **﴿يقولون وَيْكأنّ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ مِن عبادِهِ ويَقْدِرُ﴾** ليس المال بدالٍّ على رضا الله عن صاحبه، فإنّ الله يعطي ويمنع ويُضيّق ويُوسّع ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامّة والحجّة البالغة، وهذا كما في الحديث: «إنّ الله قسمَ بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم، وإنّ الله يُعطي المالَ مَن يُحبُّ ومَن لا يُحبُّ، ولا يُعطي الإيمانَ إلّا مَن يُحبّ»، **﴿لولا أنْ مَنَّ اللهُ علينا لخسَفَ بنا﴾** لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسفَ بنا كما خسف به، لأنّا وَدَدْنا أن نكونَ مثلَهُ، **﴿ويْكأنّه لا يُفلِحُ الكافِرُون﴾** إنّه كان كافراً، ولا يُفلحُ الكافرُ عندَ الله لا في الدنيا ولا في الآخرة ٨٣: **﴿تِلْكَ الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يُريدونَ عُلُوّاً في الأرضِ ولا فَساداً﴾** يُخبر الله تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضِعين الذين لا يريدون ترفُّعاً على خلق الله وتجبُّراً عليهم ولا فساداً فيهم، **﴿والعاقبةُ للمتقين﴾** ٨٤: **﴿مَن جاءَ بالحسنة﴾** يوم القيامة **﴿فله خيرٌ منها﴾** ثواب الله خيرٌ من حسنة العبد، فكيفَ واللهُ يضاعِفُهُ أضعافاً كثيراً؟! وهذا مقام الفضل، ثم قال تعالى: **﴿ومَن جاءَ بالسيّئةِ فلا يُجزَى الذين عملوا السيّئات إلّا ما كانوا يعملون﴾** وهذا مقام العدل.

الآية : ٨١ روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا رجلٌ مّمن كان قبلكم خرج في بُرْدَين أخضَرَين يختال فيهما ، أمرَ اللهُ الأرض فأخذته ، فإنّه لَيَتجلْجَلُ فيها إلى يوم القيامة » وإسناده حسن . /ابن كثير ج٣/٤٠٠ .

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكبُوت

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

٨٥: ﴿**إنّ الذي فرض عليكَ القرآنَ لرادُّكَ إلى مَعَادٍ**﴾ الذي أمَرَكَ بإبلاغ القرآن وتلاوته على الناس سيردّك إلى يوم القيامة فيسألك عمّا استرعاك من أعباء الرسالة، كما قال تعالى: ﴿فلنسألنَّ الذين أُرسلَ إليهم ولنسألنّ المرسَلين﴾. ﴿**قُلْ ربِّي أعلمُ من جاء بالهدى ومَن هو في ضلالٍ مُبين**﴾ قُلْ لمن خالفَكَ وكذبّك يا محمد: ربّي أعلم بالمهتدي منكم ومنّي، وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ولمن تكون عاقبة النصر في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى مذكراً لنبيِّهِ نعمتَهُ العظيمة عليه وعلى العباد إذْ أرسله إليهم: ٨٦: ﴿**وما كنت ترجُو أن يُلقَى إليكَ الكتابُ**﴾ ما كنتَ تظُنُّ قبل إنزال الوحي إليك أنّ الوحيَ ينزلُ عليكَ ﴿**إلّا رحمةً مِن ربِّكَ**﴾ إنّما أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بكَ وبالعباد بسببك، فإذا مَنَحكَ بهذه النعمة العظيمة ﴿**فلا تكونَنَّ ظهيراً**﴾ مُعِيناً ﴿**للكافرين**﴾ ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم [الخطاب مُوجة للأمّة من خلاله صلى الله عليه وآله وسلم] ٨٧: ﴿**ولا يَصُدُّنَّكَ عن آياتِ اللهِ بعدَ إذْ أُنزلتْ إليكَ**﴾ لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدّهم النّاس عن طريقِكَ، فإنّ اللهَ مُعْلٍ كلمتَكَ ومؤيّد دِينَكَ، ومُظهر ما أرسلك به على سائر الأديان، ولهذا قال تعالى: ﴿**وادْعُ إلى ربِّكَ**﴾ إلى عبادة ربِّك وحدَهُ لا شريكَ له ﴿**ولا تكونَنّ مِنَ المشركين**﴾ [هذا الخطاب موجه له صلى الله عليه وآله وسلم والمرادُ به أفرادُ أمته] ٨٨: ﴿**ولا تدعُ معَ اللهِ إلهاً آخرَ لاإلهَ إلّا هو**﴾ لا تَليقُ العبادةُ إلّا له ولا تنبغي الإلهيّة إلّا لعظمته، ﴿**كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ**﴾ هذا إخبارٌ بأنّه الدائم الباقي الحيّ القيّوم، وعبّر بالوجه عن الذات كقوله تعالى: ﴿كلُّ مَنْ عليها فانٍ. ويبقَى وَجْهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإكرام﴾، ﴿**له الحكمُ**﴾ المُلْكُ والتصرّف ولا مُعَقّبَ لحكمه ﴿**وإليه تُرجَعُون**﴾ يوم معادِكم فيجزيكم بأعمالكم إن كان خيراً فخيرٌ، وإن كان شرّاً فشرٌّ.

تفسير سورة العنكبوت

١: ﴿**الم**﴾ ٢: ﴿**أحَسِبَ النّاسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهُم لا يُفتَنُون**﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ ومعناهُ: أنّ اللهَ سبحانه لا بُدّ أن يبتلِيَ المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الصحيح: «أشدُّ النّاس بلاءً الأنبياءُ ثم الصالِحُون ثم الأمثلُ فالأمثل» الحديث ٣: ﴿**ولقد فتنّا الذين مِن قبلِهم فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذين صدقوا**﴾ في دعوى الإيمان، ﴿**وليَعْلَمَنَّ الكاذبين**﴾ في قولهم ودعواهم ٤: ﴿**أم حَسِبَ الذين يعملون السيّئاتِ أن يسبِقُونا ساءَ ما يحكُمُون**﴾ لا يحسبنّ الذين لم يدخلُوا في الإيمان أنّهم يتخلّصُون من هذه الفتنة والامتحان؟! فإنّ من ورائهم العقوبة والنكال [لا محالة] ﴿**ساء ما يحكمون**﴾ بِئْسَ ما يظنُّون ٥: ﴿**مَن كان يرجُو لِقاءَ اللهِ**﴾ في الآخرة ﴿**فإنّ أجلَ اللهِ لآتٍ**﴾ فإنّ الله سيُحقّق له رجاءه ويُوفيه عمله كاملاً ﴿**وهو السميعُ العليمُ**﴾ ٦: ﴿**ومن جاهَدَ فإنّما يُجاهِدُ لنفسِهِ**﴾ [أي: ومن جاهد في الدِّين، وصبرَ على قتال الكفار وأعمال الطاعات؛ فإنّما يسعى لنفسه، أي: ثواب ذلك كله له، ولا يرجع إلى الله نفعُ ذلك]، ﴿**إنّ اللهَ لغنيٌّ عن العالَمِين**﴾ إنّ الله غنيٌّ عن أفعال العباد كلهم.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

٧: ﴿**والذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ لنكفِّرَنّ عنهم سيِّئاتهم ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أحسنَ الذي كانُوا يعملُون**﴾ إنّه يُكفِّرُ عنهم أسوأ الذي عملوا، ويجزيهم أجرَهم بأحسن الذي كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ٨: ﴿**ووصّينا الإنسانَ بوالِدَيْهِ حُسْناً**﴾ يأمر تعالى عبادَه بالإحسان إلى الوالدين اللذَين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان؛ فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق، ﴿**وإنْ جاهَداكَ لتشركَ بي ما ليسَ لكَ بهِ علمٌ فلا تُطعهما**﴾ وإن حرّضا عليك أن تتابعهما على دينهما، إذا كانا مشركين فإيّاك وإيّاهما فلا تُطعهما في ذلك، ﴿**إليّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون**﴾ فأجزيكم بإحسانكم إليهما وصبركم على دينكم ٩: ﴿**والذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحات لَنُدْخِلنّهم في الصالحين**﴾ يحشرهم مع الصالحين لا في زمرة والديهم، وإن كانوا أقرب إليهما في الدنيا ١٠: ﴿**ومِنَ النّاس مَن يقولُ آمنّا بالله**﴾ يخبر تعالى عن صفات قوم يدعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم بأنّهم إذا جاءتهم مِحْنَةٌ ارتدُّوا عن الإسلام؛ ﴿**فإذا أُوذِيَ في اللهِ جعلَ فتنةَ النّاسِ كعَذابِ اللهِ ولئِن جاءَ نصرٌ مِن ربِّكَ لَيَقُولُنَّ إنّا كنّا معكم**﴾ ولئن جاء نصرٌ قريبٌ من ربِّك يا محمد ومغانم ليقولُنّ هؤلاء إنّا إخوانكم في الدِّين، ﴿**أوَليسَ اللهُ بأعلمَ بما في صدور العالَمين**﴾ بما في قلوبهم وضمائرهم وإن أظهروا لكم الموافقة؟! ١١: ﴿**ولَيَعْلَمَنَّ اللهُالذين آمنوا ولَيَعْلَمنَّ المنافِقين**﴾ وليختبرنّ اللهُ النّاسَ بالضرّاء والسرّاء لِيُميِّزَ هؤلاء مِن هؤلاء، كما قال تعالى: ﴿ولَنَبْلُوَنّكم حتى نعلمَ المجاهِدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ ١٢: ﴿**وقالَ الذين كفرُوا للذين آمنُوا اتّبعوا سبيلَنا**﴾ قال كفار قريش لمن آمن: ارجِعُوا من دِينكم إلى دِينِنَا واتبعُوا سبيلَنا ﴿**ولْنَحْمِلْ خطاياكُم**﴾ آثامكم علينا وفي رقابنا، ﴿**وما هم بحامِلِين من خطاياهم مِن شيء إنّهم لكاذبُون**﴾ فيما قالوه، فإنّه لا يحمل أحدٌ وِزْرَ أحد ١٣: ﴿**ولَيَحْمِلُنَّ أثقالَهم وأثقالاً مع أثقالِهم**﴾ إخبارٌ عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنّهم يحمِلُون يومَ القيامة أوزار أنفسِهم وأوزاراً أُخَر بسبب ما أضلُّوا مِن النّاس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً، كما قال تعالى: ﴿ليحمِلُوا أوزارَهم كامِلةً يومَ القيامة ومِن أوزارِ الذين يُضِلُّونَهم بغيرِ علمٍ﴾، وفي الصحيح: «مَن دَعَا إلى هدىً كانَ لهُ مِنَ الأجرِ مثلُ أجورِ مَنِ اتّبعَهُ إلى يوم القيامة مِن غير أن يُنقصَ من أجورهم شيئاً، ومَن دَعَا إلى ضلالةٍ كان عليه مِنَ الإثم مثلُ آثامِ مَنِ اتّبعَهُ إلى يومِ القيامةِ مِن غيرِ أن ينقصَ مِن آثامِهم شيئاً». ﴿**ولَيُسْأَلُنّ يومَ القيامةِ عمّا كانُوا يفترون**﴾ يكذبون ويختلقون مِنَ البُهتان ١٤: ﴿**ولقد أرسلنا نُوحاً إلى قومِهِ فَلَبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلّا خمسين عاماً**﴾ يُخبر تعالى عن نوحٍ عليه السلام أنّه مكثَ في قومه هذه المدّة يدعُوهم إلى الله تعالى، ومع هذا ما آمَنَ معه منهم إلّا قليل، ﴿**فأخذَهُمُ الطُّوفان وهم ظالِمُون**﴾.

الآية: ١٤ هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ يُخبر عن نوح عليه السلام أنّه مكث في قومه هذه المدّة يدعوهم إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً سرّاً وجِهاراً، ومع هذا =

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

١٥: ﴿**فأنجيناهُ وأصحابَ السَّفينة**﴾ الذين آمنُوا بنُوحٍ عليه السلام، وقد تقدّم ذكرُ ذلكَ مفصّلاً في سورة هود [من الآية ٢٥-٤٧]، ﴿**وجعلناها**﴾ السفينة ﴿**آيةً للعالَمِين**﴾ باقية بعينها. قال قتادة: بقيت إلى أول الإسلام على الجودي ١٦: ﴿**وإبراهيم إذْ قالَ لقومِهِ اعبُدُوا الله واتّقوهُ**﴾ يُخبر تعالى عن إبراهيم خليلِهِ إمام الحُنَفاء أنّه دَعَا قومَهُ إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، ﴿**ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون**﴾ إذا فعلتم ذلك حصلَ لكم الخيرُ في الدنيا والآخرة، واندفع عنكم الشرّ، ثم أخبر تعالى عن أصنامهم التي يعبُدونها فقال: ١٧: ﴿**إنّما تعبُدون مِن دُونِ اللهِ أوثاناً وتخلُقون إفكاً**﴾ [أي: إنّما تعبدون أوثاناً وأنتم تصنعُونها] ﴿**إنّ الذين تعبُدون مِن دُونِ اللهِ لا يملِكُون لكم رِزْقاً**﴾ لا تضرُّ ولا تنفع، وإنّما اختلقتم أنتم لها أسماء فسمّيتموها آلهةً وإنّما هي مخلوقة مثلكم، ﴿**فابتغُوا عندَ اللهِ الرزق**﴾ فإنّ غيره لا يملك شيئاً، ﴿**واعبُدُوه واشكروا له**﴾ كلُوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعمَ به عليكم ﴿**إليه ترجعون**﴾ يوم القيامة فيُجازي كل عاملٍ بعمله ١٨: ﴿**وإنْ تكذِّبُوا فقد كذَّبَ أممٌ مِن قبلِكم**﴾ هذا كلام إبراهيم عليه السلام يحتجُّ عليهم لإثبات المعاد، [أي: التكذيب عادة الكفار، وليس على الرسل إلّا التبليغ]، ﴿**وما على الرسول إلّا البلاغُ المُبين**﴾ ١٩: ﴿**أوَلم يَرَوْا كيف يُبْدِئُ اللهُ الخلقَ ثم يُعيدُهُ إنّ ذلك على اللهِ يسيرٌ**﴾ أرشدَهُمُ الخليلُ عليه السلام إلى إثبات المعاد الذي يُنكرونه بما يُشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إيّاهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً؛ فالذي بَدَأَ هذا قادرٌ على إعادته، فإنّه سهل عليه يسيرٌ لديه، ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق: ٢٠: ﴿**قُلْ سِيرُوا في الأرضِ فانظروا كيف بَدَأَ الخلقَ ثم اللهُ يُنشِئُ النشأةَ الآخرةَ**﴾ يوم القيامة ﴿**إنّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ**﴾ ٢١: ﴿**يُعذِّبُ مَن يشاءُ ويرحم مَن يشاءُ**﴾ هو الحاكمُ المتصرِّف الذي يفعلُ ما يشاء ويحكم ما يُريد لا معقب لحكمه، ولا يُسألُ عمّا يفعلُ وهم يُسألُون، فله الخلقُ وإليه الأمر، ﴿**وإليه تُقلَبُون**﴾ إليه ترجَعُون يوم القيامة ﴿**وما أنتم بمعجزينَ في الأرضِ ولا في السماءِ**﴾ لا يعجزُهُ أحدٌ مِن أهل سمواته وأرضه بل هو القاهرُ فوقَ عبادِهِ، فكلٌّ خائفٌ منه فقيرٌ إليه وهو الغنيُّ عمّا سِوَاهُ، سبحانه ﴿**وما لكم مِن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ ولا نصيرٍ**﴾ ٢٣: ﴿**والذين كفرُوا بآياتِ اللهِ ولقائهِ**﴾ جَحَدُوها وكفروا بالمعاد ﴿**أولئك يَئِسُوا مِن رحمتي**﴾ لا نصيب لهم فيها ﴿**وأولئك لهم عذابٌ أليمٌ**﴾ موجع شديد في الدنيا والآخرة.

ما زادهم ذلك إلّا فِرَاراً عن الحق وإعراضاً عنه . نسألُ الله تعالى العافية من كل ما يُسْخِطُهُ ، ووفقنا وجميع المسلمين إلى طاعته وعبادته ورضوانه .

الآية : ٢١ كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ اللهَ لو عذّبَ أهلَ سمواتِه وأهلَ أرضِهِ ، لعذّبهم وهو غير ظالم لهم » أي : إذا عذّب الله تعالى أحداً من خلقه عذّبه بما يستحقه من العقاب من غير ظلم .

وروى مسلم في صحيحه والترمذي وابن ماجه في سننهما عن أبي ذرٍّ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربّه عزّ وجلّ أنّه قال : « يا عبادي إنّي حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكم محرّماً ، فلا تظالموا » . وروى مسلم أيضاً عن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال : « اتّقُوا الظلمَ ، فإنّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة .. » الحديث /الترغيب ج٣/١٨٣ - ١٨٤ .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٢٤: ﴿فما كانَ جوابَ قومِهِ إلّا أنْ قالُوا اقتُلُوهُ أو حرِّقُوهُ﴾ يُخبر تعالى عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحقَّ بالباطل أنّهم ما كان لهم جواب ﴿إلّا أن قالوا اقتلُوه أو حرِّقُوهُ﴾ وذلك لأنّهم قامت عليهم الحجة فعَدَلُوا إلى استعمال قوّة مَلِكِهِم ﴿فقالوا ابْنُوا لهُ بُنياناً فألقوه في الجحيم﴾، ﴿فأنجاهُ اللهُ مِنَ النّارِ﴾ فجعلها اللهُ عليه بَرْداً وسلاماً، وخرج منها سالماً بعدما مكثَ فيها أيّاماً، ولهذا جعله الله للنّاس إماماً، فإنّه بذلَ نفسَهُ للرحمن، وجسدَهُ للنيران، وسَخَا بولده للقُرْبان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميعُ أهل الأديان. ﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يُؤمنُون﴾ ٢٥: ﴿وقال إنّما اتخذتُم مِن دُونِ اللهِ أوثاناً مَوَدَّةَ بينِكم في الحياة الدنيا﴾ يقولُ لقومِهِ مُقرِّعاً لهم وموبّخاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان: إنّما اتخذتم هذه لتجتمِعُوا على عبادتها في الدنيا صداقةً وألفةً منكم بعضكم لبعض، ﴿ثم يومَ القيامةِ يكفُرُ بعضُكم ببعضٍ﴾ تتجاحَدُون ما كان بينكم، ﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾ يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبُوعُون الأتباعَ ﴿ومأواكُمُ النّارُ﴾ ومصيرُكم ومرجعكم بعد عَرَصَاتِ القيامة إلى النّار ﴿وما لكم مِن ناصرين﴾ مالكم من ناصر ينصركم ولا مُنقذَ يُنقذكم من عذاب الله، وهذا حال الكافرين، أمّا المؤمنون فبخلاف ذلك ٢٦: ﴿فآمَنَ له﴾ لإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخي إبراهيم، يعني: ولم يُؤمن به من قومه سِواهُ وسارة امرأة إبراهيم ﴿وقال إنّي مهاجرٌ إلى ربّي﴾ وهاجر معه لوط إلى بلاد الشام، ثم أُرسِلَ في حياة إبراهيم إلى أهل سَدُوم وأقامَ بها وكان مِن أمرِهِ ما تقدم. ﴿إنّه هو العزيزُ الحكيم﴾ له العزّة ولرسوله وللمؤمنين، الحكيمُ في أقواله وأفعاله وأحكامه ٢٧: ﴿ووهبنا له إسحاقَ ويعقُوبَ﴾ معناه أنّ ولد الولد بمنزلة الولد [فإنّ يعقوب ابن إسحاق] ﴿وجعلنا في ذُرّيّتِهِ النبوّةَ والكتابَ﴾ هذه خِلْعةٌ سنيّةٌ عظيمة مع اتخاذ الله إيّاه خليلاً وجعله للنّاس إماماً، فجميع الأنبياء من سلالته ﴿وآتيناهُ أجرَهُ في الدنيا وإنّه في الآخرةِ لَمِنَ الصّالحين﴾ جمعَ اللهُ له بين سعادةِ الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، وله الثناء الجميل فيهما ٢٨: ﴿ولُوطاً إذْ قالَ لقومِهِ إنّكم لَتأْتُون الفاحِشةَ ماسبقكم بها مِن أحدٍ مِنَ العالَمين﴾ يُخبر تعالى عن نبيِّهِ لوطٍ عليه السلام أنّه أنكر على قومه سوء صنيعهم وماكانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحدٌ من بني آدم قبلهم، مع كفرهم بالله وتكذيب رسوله ٢٩: ﴿أئنّكم لتأْتُونَ الرِّجالَ﴾ [أي: عوض النساء] ﴿وتقطعُون السبيلَ﴾ [أي: استغنوا بالرجال عن النساء، وفي هذا قطع النسل] ﴿وتأْتُونَ في نادِيكم المنكر﴾ كانُوا يأتون بعضَهم بعضاً في الملأ، ﴿فما كان جوابَ قومِهِ إلّا أن قالوا ائتِنَا بعذاب الله إن كنتَ مِن الصّادِقين﴾ وهذا من كفرهم وعنادِهم واستهزائهم، ولهذا استنصرَ عليهم نبيُّ الله فقال: ٣٠: ﴿ربِّ انصُرْني على القومِ المُفسِدين﴾.

الآية : ٢٩ روى الإمام أحمد والترمذي بإسناد حسن عن أم هانئ قالت : سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ ؟ قال : « يحذفون أهلَ الطريق ويسخرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه » . /ابن كثير ج٣/٤١١ .

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٣١: لمّا استنصرَ لُوطٌ عليه السلام بالله عزّ وجلّ بعثَ لنصرته ملائكةً فمرّوا على إبراهيم عليه السلام؛ **﴿ولمّا جاءتْ رُسُلُنا إبراهيمَ بالبُشْرَى قالوا إنّا مُهلِكُوا أهلِ هذه القرية إنّ أهلَها كانوا ظالِمين﴾** والبشرى هي وجود ولد صالح من امرأته سارة، ثم أخبره بأنّهم أرسلوا لهلاك قوم لوط **٣٢**: **﴿قال﴾** إبراهيم **﴿إنّ فيها لُوطاً قالوا نحنُ أعلمُ بمن فيها لَنُنجِّيَنَّهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ كانتْ من الغابرين﴾** من الهالكين لأنّها كانت تمالئهم على كفرهم. ثم ساروا مِن عندهِ فدخلُوا على لوط في صورة شبّان حِسَان **٣٣**: **﴿ولمّا أن جاءتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيئَ بهم وضاقَ بهم ذَرْعاً﴾** اغتمّ بأمرهم، ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة، **﴿قالوا لا تخفْ ولا تحزنْ إنّا مُنجوكَ وأهلَكَ إلّا امرأتَكَ كانتْ مِن الغابِرين﴾** [أي: الباقين في العذاب. وهو لفظ مشترك بين الماضي والمستقبل] **٣٤**: **﴿إنّا مُنزِلُون على أهلِ هذهِ القرية رِجزاً مِنَ السماءِ بما كانُوا يَفسُقُون﴾** وذلك أنّ جبريل عليه السلام اقتلعَ قُراهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عَنانِ السماء ثم قلبها عليهم، وأرسل الله عليهم حجارةً مِن سجيلٍ منضُود مسوّمة عندَ ربّكَ، وما هي من الظالمين ببعيد، وجعل اللهُ مكانَها بحيرةً خبيثةً منتنةً وجعلهم عبرةً إلى يوم التنادِ[1] **٣٥**: **﴿ولقد تركنا منها آيةً بيّنةً لقومٍ يعقِلُون﴾** آية واضحة، كما قال تعالى: **﴿**وإنّكم لتمرُّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقِلُون**﴾** **٣٦**: **﴿وإلى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيْباً﴾** يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام أنّه أنذر قومه أهلَ مَدينَ فأمر **﴿فقال ياقومِ اعبُدُوا اللهَ وارْجُوا اليومَ الآخِرَ﴾** واخشوا اليوم الآخر، **﴿ولا تعثَوْا في الأرض مفسدين﴾** نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهوالسعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنّهم كانوا ينقصُون المكيال والميزان ويقطعُون الطريق على النّاس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله **٣٧**: **﴿فكذَّبُوهُ فأخذتهُمُ الرجفة﴾** فأهلكهم الله برجفةٍ عظيمة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحةٍ أخرجت القلوبَ من حناجرها، **﴿فأصبحُوا في دارهم جاثِمين﴾** ألقيَ بعضهم على بعض ميّتين **٣٨**: **﴿وعاداً وثَموداً﴾** يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذّبة للرسل كيف أبادَهم وأخذَهم بالانتقام، فعادٌ قومُ هود كانوا يسكنُون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن. وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحِجر قريباً من وادي القُرَى، **﴿وقد تبيّن لكم من مساكنهم﴾** وكانت العرب تعرف مساكنهما جيّداً وتمر عليهما كثيراً، **﴿وزيّنَ لَهُمُ الشيطانُ أعمالَهم فصدّهم عن السبيل﴾** [أي: عن طريق الحق] **﴿وكانُوا مستبصِرين﴾** [أي: قد عرفوا الحقَّ من الباطل بظهور البراهِين؛ فكفروا استكباراً وعناداً].

[1] انظر تفسير الآية ١٧٢– ١٧٣ مِن سورة الشعراء. والمقصود من البُحيرة المنتنة: البحرُ الميت.

الآية : ٣٦ روى ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم بإسناد صحيح عن ابن عمر قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا معشر المهاجرين ! خمس خصال إذا ابتليتم بهنّ ، وأعوذ بالله أن تدركوهُنّ : لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يُعلِنُوا بها إلاّ فَشَا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضتْ في أسلافهم الذين مَضَوْا ، ولم يَنْقصُوا المكيالَ والميزان إلاّ أُخِذُوا بالسنين [القحط] وشدّة المَئُونة [الهموم والأحزان] وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم إلاّ مُنِعُوا القطرَ من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد اللهِ وعهدَ رسولهِ إلاّ سلّط الله عليهم عدوّاً من غيرهم فأخذوا بعضَ ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ، ويتخيّروا فيما أنزل الله ، إلاّ جعل الله بأسهم بينهم » . /الترغيب ج٢/٥٦٨–٥٦٩ .

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٣٩: ﴿وقارُونَ وفرعونَ وهامانَ﴾ [أي: وأهلكنا هؤلاء بعد أن جاءتهم الرسل، كما قال تعالى:] **﴿ولقد جاءهم موسى بالبيّناتِ فاستكبَرُوا في الأرض وما كانوا سابقِين﴾** [أي: فائتين من عذابنا] **٤٠: ﴿فكلاًّ أخذنا بذنبهِ﴾** كانت عقوبتَهُ بما يُناسِبُهُ **﴿فمنهم مَن أرسلنا عليه حاصِباً﴾** وهم عاد، وذلك أنّهم قالوا: مَن أشدُّ مِنّا قوّةً؟ فجاءتهم ريحٌ صَرْصَرٌ باردة شديدة البرد عاتية شديدة الهُبوب، تحمل الرجل إلى عنان السماء ثم تنكسه على أمّ رأسه، فيبقى بدناً بلا رأس، **﴿ومنهم مَن أخذته الصيحةُ﴾** وهم قوم ثمود، جاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات، **﴿ومنهم من خسفنا بهِ الأرض﴾** وهو قارون الذي طغى وبغى، **﴿ومنهم من أغرقنا﴾** وهو فرعون ووزيرُهُ هامان وجُنُودُهما عن آخرهم أغرقُوا في صبيحة واحدة فلم ينجُ منهم مُخبرٌ **﴿وما كان اللهُ ليظلمهم﴾** فيما فعل بهم **﴿ولكنْ كانوا أنفسَهُمْ يظلِمُون﴾** إنّما فعلنا بهم جزاءً وِفاقاً بما كسبتْ أيديهم **٤١: ﴿مثلُ الذين اتخذُوا مِن دونِ اللهِ أولياءَ كَمثَلِ العنكبُوتِ اتخذتْ بيتاً وإنّ أوهنَ البيُوتِ لَبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون﴾** هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهةً مِن دُونِ الله يرجُون نصرَهم ورزقهم، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلّا كمن يتمسك ببيت العنكبُوت، فإنّه لا يُجدِي عنه شيئاً **٤٢:** ثم قال تعالى متوعداً لمَنْ عبدَ غيرَهُ وأشرك به أنّه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد: **﴿إنّ اللهَ يعلمُ ما يَدْعُونَ مِن دُونهِ مِن شيءٍ﴾** وسيجزيهم وصفَهم **﴿وهو العزيزُ الحكيمُ﴾ ٤٣: ﴿وتلْكَ الأمثالُ نضربُها للناسِ وما يعقِلُها إلّا العالِمُون﴾** وما يفهمُها ويتدبّرُها إلّا الراسِخُون في العلم المتضلّعُون منه. قال عمرو بنُ مرّة: ما مررتُ بآيةٍ من كتاب الله لا أعرفُها إلّا أحزنتني، لأنّي سمعتُ اللهَ تعالى يقول: **﴿وتلك الأمثالُ نضربُها للنّاسِ وما يعقِلُها إلّا العالِمُون﴾ ٤٤: ﴿خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ بالحقّ﴾** لا على وجه العبث واللعب [تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً]، **﴿إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين﴾** لدَلالةً واضحةً على أنّه تعالى المتفرّد بالخلق والتدبير. ثم قال تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءتُهُ وإبلاغه للنّاس **٤٥: ﴿اتلُ ما أُوحِيَ إليكَ مِنَ الكتابِ﴾** [أي: القرآن] **﴿وأقم الصلاةَ إنّ الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾** أنّ الصلاة تشتمل على شيئين؛ على تركِ الفواحش والمنكرات، أي: المواظبة عليها تحمل على ترك ذلك، وقد جاء في الحديث: «مَن لم تنهَهُ صلاتُهُ عن الفحشاء والمنكر لم تزدْهُ مِنَ اللهِ إلّا بُعْداً» قال ابن عباس: فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد بصلاته مِن الله إلّا بُعْداً. **﴿ولَذِكْرُ اللهِ أكبرُ﴾** ولذكرُ الله لعبادِهِ أكبر، وذلك أنّه تعالى إذا ذكروه ذكرهم، كما قال تعالى: **﴿فاذكرُوني أذكرْكم﴾**، **﴿واللهُ يعلمُ ما تصنعُون﴾** [هذا حثٌّ على المراقبة].

الآية: ٤١ قال الله تعالى في سورة الإسراء آية ٢٢: ﴿لاتجعلْ مع اللهِ إلهاً آخر فتقعدَ مذموماً مَخْذولاً﴾ وقال سبحانه: ﴿ولاتجعلْ مع اللهِ إلهاً آخرَ فتُلْقَى في جهنّم مَلُوماً مَدْحُوراً﴾ الاسراء آية ٣٩/ وقال سبحانه في سورة النساء آية ٣٦: ﴿واعبُدُوا اللهَ ولاتُشْرِكوا بهِ شيئاً﴾.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦: **﴿ولا تُجادِلُوا أهلَ الكتابِ إلّا بالتي هي أحسنُ﴾** وذلك لمن أراد الاستبصار منهم في الدِّين فيُجادَل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمة والموعظةِ الحسنة﴾ **﴿إلّا الذين ظلموا منهم﴾** حادُوا عن وجه الحقِّ وكابروا فحينئذٍ ينتقل من الجدال إلى الجلادِ ويُقاتلون بما يمنعهم ويردعهم، وهم أهل الحرب ومن امتنع عن أداء الجزية. **﴿وقولوا آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم﴾** إذا أخبَرُوا بما لا نعلمُ صدقه ولا كذبه فهذا لا نُقدِمُ على تكذيبه لأنّه قد يكون حقاً، ولا تصديقه فلعلّه أن يكون باطلاً. روى البخاري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تُصدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تكذِّبُوهم»، **﴿وقولُوا آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهُنا وإلهكم واحدٌ ونحن له مسلمون﴾** ٤٧: **﴿وكذلك أنزلنا إليكَ﴾** يا محمدُ **﴿الكتابَ فالذين آتيناهُمُ الكتابَ يُؤمِنُون به﴾** أحبارهم العلماء الأذكياء كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما، **﴿ومِن هؤلاءِ مَنْ يُؤمِنُ به﴾** العرب من قريش وغيرهم **﴿وما يجحدُ بآياتِنا إلّا الكافِرُون﴾** ثم قال تعالى: ٤٨: **﴿وما كنتَ تتلُوا مِن قبلِهِ مِن كتابٍ ولا تخطه بيمينِكَ﴾** لقد لبثتَ في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمُراً لا تقرأ كتاباً ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدّمة، ولهذا اتخذ كُتاباً يكتبُون بين يديه الوحيَ والرسائل إلى الأقاليم. **﴿إذاً لارتابَ المُبطِلُون﴾** لو كنتَ تحسنها لارتاب بعض الجهلة من النّاس، فيقولُ: إنّما تعلم هذا من كتبٍ قبله مأثورة عن الأنبياء ٤٩: **﴿بَلْ هو آياتٌ بيّناتٌ في صُدُورِ الذين أُوتُوا العلمَ﴾** هذا القرآن آياتٌ بيّنة واضحة الدلالة على الحقِّ، **﴿وما يجحَدُ بآياتِنا إلّا الظالِمُون﴾** ما يكذّب بها ويبخس حقّها ويردُّها إلّا المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحقَّ ويحيدُون عنه ٥٠: **﴿وقالوا لولا أُنزلَ عليهِ آياتٌ من ربِّهِ﴾** يُخبر تعالى عن تعنت المشركين في طلبهم آيةً ترشدهم إلى أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسولُ الله كما أتى صالحُ بناقته، **﴿قُلْ﴾** يامحمد **﴿إنّما الآياتُ عندَ الله﴾** أمر ذلك إلى الله، فإنه تعالى لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى ذلك، ولكنه علم منكم التعنت فلا يُجيبكم إلى ذلك، **﴿وإنّما أنا نذيرٌ مُبين﴾** إنّما بُعثتُ نذيراً لكم بيّنَ النَّذارةِ، فعليّ أن أبلّغكم رسالةَ الله تعالى ٥١: **﴿أَوَلَمْ يكفِهِم أنّا أنزلنا عليكَ الكتابَ يُتلَى عليهم﴾** أوَلَمْ يكفِهم آية هذا القرآن العظيم الذي فيه الحقُّ الواضح البيّن الجليّ؟ **﴿إنّ في ذلك﴾** في هذا القرآن **﴿لرحمةً وذِكْرَى لقومٍ يُؤمنون﴾** بياناً للحق وإزاحةً للباطل، وذكرى بما فيه من حُلول النقمات ونزول العذاب بالمكذبين، ثم قال تعالى: ٥٢: **﴿قُلْ كفَى باللهِ بيني وبينكم شهيداً﴾** هو أعلم بما تُفيضُون فيه من التكذيب، **﴿ يعلم ما في السمواتِ والأرض﴾** لا تخفَى عليه خافية **﴿والذين آمنوا بالباطِلِ وكفَرُوا باللهِ أولئكَ هُمُ الخاسِرُون﴾** يوم القيامة، سيجزيهم على ما فعلوا في تكذيبهم الحق واتباعهم الباطل.

الآية ٤٨ روى مسلم قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إنّي مُبْتَلِيكَ ومُبتلٍ بك، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائماً ويقظاناً»، فهذا القرآن محفوظ بالصدور ميسّر على الألسنة مهيمنٌ على القلوب، معجز في لفظه ومعناه، قال رسول الله ﷺ: «ما من نبيٍّ إلاّ وقد أعطيَ ما آمَنَ على مثلِه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُه وحياً أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً». /ابن كثير ج٣/٤١٧.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣: **﴿ويستعجِلُونَكَ بالعذابِ﴾** يُخبر تعالى عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقعَ بهم **﴿ولولا أجلٌ مُسمًّى لَجاءَهم﴾** لولا ما حتمَ اللهُ من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذابُ سريعاً، **﴿وليأتينّهم بغتةً﴾** فجأةً **﴿وهم لا يشعرون﴾** ٥٤: **﴿يستعجِلُونَكَ بالعذاب وإنّ جهنّم لمحيطةٌ بالكافرين﴾** يستعجلون العذاب وهو واقعٌ بهم لا محالة ٥٥: **﴿يومَ يغشاهمُ العذابُ مِن فوقهم ومن تحت أرجلِهم﴾** كقوله تعالى: ﴿لهم من جهنّم مِهادٌ ومِن فوقهم غَواش﴾ وقال تعالى: ﴿لهم مِن فوقِهم ظُلَلٌ مِن النّار ومن تحتِهم ظُلَلٌ﴾؛ فالنّار تغشاهم من سائر جهاتهم، وهذا أبلغ في العذاب، **﴿ويقولُ ذُوقُوا ما كنتم تعملون﴾** هذا تهديدٌ وتقريعٌ وتوبيخ، وهذا عذابٌ معنوي على النفوس ٥٦: **﴿يا عِبادِيَ الذين آمنُوا إنّ أوضِي واسِعَةٌ فايّايَ فاعبُدُونِ﴾** هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدِّين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدِّين بأن يُوحدُوا الله ويعبُدوه كما أمرهم. روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البلادُ بلادُ الله، والعبادُ عبادُ الله فحيثما أصبتَ خيراً فأقِم» ٥٧: **﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ثم إلينا تُرجَعُون﴾** أينما كنتم يُدرككم الموت فكونوا في طاعة الله، فإنّ الموت لا بُدَّ منه ولا مَحِيدَ عنه **﴿ثم إلينا تُرجَعُون﴾** ثم إلى الله المرجع والمآب، فمن كان مطيعاً له جازاه أفضل الجزاء، ولهذا قال تعالى: ٥٨: **﴿والذين آمنوا وعملُوا الصالحاتِ لَنُبوِّئَنّهم من الجنّة غُرَفاً تجري مِن تحتِها الأنهارُ﴾** لنسكننّهم منازل عالية في الجنّة تجري من تحتِها الأنهار على اختلاف أصنافِها من ماء ولبن وعسل وخمر يُصرِّفونها حيث شاؤوا، **﴿خالدين فيها﴾** أبداً لا يبغُون عنها حِوَلاً **﴿نِعمَ أجرُ العاملين﴾** نعمت هذه الغُرَف أجراً على أعمال المؤمنين ٥٩: **﴿الذين صبرُوا﴾** على دينهم **﴿وعلى ربِّهم يتوكلُون﴾** في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم. ثم أخبر تعالى عن رزقه لخلقه حيث كانوا: ٦٠: **﴿وكأيِّنْ مِنْ دابّةٍ لا تحمِلُ رزقَها﴾** لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئاً لغدٍ **﴿اللهُ يرزقُها﴾** يُقيّض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها **﴿وإيّاكم﴾** [سَوّى بين القويّ والعاجز حتى لا يغترّ الجَلِدُ أنّه مرزوق بجلَدِهِ] **﴿وهو السميعُ﴾** لأقوال عباده **﴿العليمُ﴾** بحركاتهم وسكناتهم ٦١: **﴿ولئِنْ سألتهم مَنْ خلقَ السمواتِ والأرضَ وسَخّرَ الشمسَ والقمرَ لَيقُولُنَّ اللهُ﴾** إنّ المشركين معترفون بأنّه تعالى المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر **﴿فأنّى تُؤفكُون﴾**؟ [أي: كيف يكفرون بتوحيدي]؟! ٦٢: **﴿اللهُ يبسُطُ الرِّزْقَ لمَنْ يشاء مِن عبادِهِ ويقدِرُ له﴾** هو المقدّر لأرزاق عباده المنفرد بتدبيرها **﴿إنّ اللهَ بكل شيءٍ عليمٌ﴾** ٦٣: **﴿ولئِنْ سألتهم مَنْ نزّلَ مِنَ السماء ماءً فأحيَا به الأرضَ مِن بعدِ موتِها لَيقُولُنَّ اللهُ﴾** فإذا كان الأمر كذلك فلِمَ يُعبَدُ غيرُهُ؟ **﴿قُلِ الحمدُ للهِ﴾** [أي: على ما أوضح به من الحُجَجِ على قدرته] **﴿بلْ أكثرُهم لا يعقِلُون﴾** [أي: لا يتدبَّرون هذه الحُجَج].

الآية: ٥٨ قال رسول الله ﷺ: «من شهِدَ أنْ لاإلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له، وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، وأنّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُهُ، وكلمتُه ألقاهَا إلى مريم، وروحٌ منه، والجنّة حقٌّ، والنّارُ حقٌّ، أدخلَهُ اللهُ الجنّة على ماكان من العمل» متفق عليه/ مجموعة التوحيد ص١٩٥ /ط دار البيان ـ دمشق.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

ربع الحزب ٤١

٦٤: ﴿وما هذه الحياةُ الدنيا إلّا لهوٌ ولَعِبٌ﴾ يُخبر تعالى عن حقارة الدنيا وزوالها، وأنها لا دوامَ لها، **﴿وإنّ الدارَ الآخرةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ﴾** الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقضاء، وهي مستمرّةٌ أبد الآباد، **﴿لو كانُوا يعلمُون﴾** لآثروا ما يبقى على ما يفنى. ثم أخبر تعالى عن المشركين أنّهم عند الاضطرار يدعُونه وحده لا شريك له، فهلّا يكون هذا منهم دائماً: **٦٥: ﴿فإذا ركِبُوا في الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخلصينَ لهُ الدِّين فلمّا أنجاهُم إلى البَرِّ إذا هُم مُشرِكُون﴾** كقوله تعالى: ﴿وإذا مسّكُمُ الضرُّ في البحر ضلَّ مَنْ تدعُونَ إلّا إيّاهُ فلمّا نجاكُم إلى البَرِّ أعرضتُم﴾ الآية **﴿لِيكفُرُوا بمَاآتيناهم وليتمتَّعُوا﴾** [أي: ليكون ثمرة شركهم أن يجحَدُوا نِعمَ الله ويتمتَّعُوا بالدنيا]، **﴿فسوف يعلمون﴾** [معناه التهديدُ والوَعيدُ] **٦٧: ﴿أوَلَمْ يَرَوْا أنّا جعلنا حَرَماً آمِناً﴾**؟ يمتنّ الله تعالى على قريش فيما أحلهم من حَرَمِهِ الذي جعله آمِناً **﴿ويُتخطّفُ النّاسُ مِن حولهم﴾** والأعراب حوله ينهب بعضُهم بعضاً ويقتل بعضُهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿لإيلافِ قريشٍ﴾ إلى آخر السورة، **﴿أفَبِالبَاطِلِ يُؤمِنُون ونعمة اللهِ يكفرون﴾**؟! أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركُوا بالله وعبدوا معه غيرَهُ من الأصنام والأنداد؟ **٦٨: ﴿ومَن أظلمُ مِمَّنِ افترى على اللهِ كذِباً أو كذّبَ بالحقِّ لمّا جاءَهُ﴾** لا أحدَ أشدُّ عقوبةً مِمّن كذبَ على الله فقال: إنّ الله أوحى إليه ولم يُوحَ إليه شيءٌ، وهكذا لا أحدَ أشدُّ عقوبة مِمّن كذّب بالحقّ لمّا جاءَهُ؛ فالأول مفترٍ والثاني مُكذّب، ولهذا قال تعالى: **﴿أليسَ في جهنّم مثوىً للكافرين﴾**؟! أي: مستقر[وهو استفهام تقرير] **٦٩: ﴿والذين جاهَدُوا فِينَا﴾** يعني الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابَهُ وأتباعَهُ إلى يوم الدِّين **﴿لَنَهْدِيَنّهم سُبُلَنَا﴾** لنبصرنّهم طُرقنا في الدنيا والآخرة، **﴿وإنّ اللهَ لَمَعَ المحسنينَ﴾** الذين يعمَلُون بما يعلَمُون، يهدِيهِمُ اللهُ لِما لا يعلمون.

تفسير سورة الرُّوم

١: ﴿الم﴾ ٢: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ حين غلبَ سابُورُ ملكُ الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصِي بلاد الروم، فاضطر هرقل ملكُ الروم حتى ألجأهُ إلى القِسطنطينية، ثم عادت الدولة لهرقل. قال ابن عباس: كان المشركون يُحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنّهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنّهم أهل الكتاب **٣: ﴿في أدْنَى الأرض﴾** بين أذرعات وبصرى، وهي طرف بلاد الشام مّما يلي بلاد الحجاز، **﴿وهم مِن بعدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُون﴾** [أخبر سبحانه أنّ الروم ستغلب فارس] **٤: ﴿في بِضْعِ سِنِينَ﴾** والبِضْعُ ما بين ثلاثٍ إلى تسعٍ. وكانت نصرةُ الروم على فارس يوم وقعة بدر، **﴿للهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ﴾** [أي: كل ما في العالَم بإرادته وقدرته] **﴿ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون﴾ ٥: ﴿بنصرِ اللهِ ينصُرُ مَنْ يشاءُ وهو العزيزُ﴾** في انتصاره وانتقامه من أعدائه **﴿الرحيمُ﴾** بالمؤمنين. [وقد كان] كل ذلك في خمسة عشر سنة.

سورة الروم: روى الإمام أحمد أنّ رسول الله ﷺ صلى بأصحابه الصبح، فقرأ فيها « الروم » فأوْهَمَ، فلمّا انصرف قال: « إنّه يُلَبِّسُ علينا القرآن، فإنّ أقواماً منكم يصلُّون معنا، =

وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

٦: ﴿**وَعْدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ وَعْدَهُ**﴾ هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أنّا سننصر الروم على فارس خبر صدق لا بُدّ من كونه ﴿**ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يعلمون**﴾ بحكم الله في كونه جارياً على وفق العدل. ٧: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافِلون**﴾ أكثر الناس ليس لهم علم إلّا بالدنيا وشؤونها وما فيها، فهم حُذّاق أذكياء في تحصيلها وهم غافِلون في أمور الدّين وما ينفعهم في الدار الأخرة ٨: ﴿**أوَلم يتفكّرُوا في أنفسِهم ما خلقَ اللهُ**﴾ يُنبّه تعالى على التفكر في مخلوقاته الدالّة على وجودِهِ وانفرادِه بخلقها ﴿**ما خلقَ اللهُ السمواتِ والأرض وما بينهما**﴾ من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوّعة ﴿**إلّا بالحقّ**﴾ فيعلموا أنّها ما خُلقت سُدىً ولا باطلاً بل بالحق ﴿**وأجلٍ مُسمّىً**﴾ يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿**وإنّ كثيراً مِن النّاس بلقاءِ ربِّهم لكافِرُون**﴾ ثم نبهم على صدق رسله فيما جاؤوا به من الدلائل الواضحات من إهلاك من كفر بهم ونجاة مَن صدَّقَهم فقال: ٩: ﴿**أوَلم يسيروا في الأرض**﴾ بأفهامهم وعقولهم وسماعهم أخبار الماضين، ولهذا قال: ﴿**فينظُرُوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّةً**﴾ كانت الأمم الماضية أشدّ قوّة منكم أيها المبعوث إليهم محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وما أُوتيتُم معشار ما أُوتُوا، ﴿**وأثارُوا الأرضَ وعَمَرُوها أكثرَ مِمّا عَمَرُوها**﴾ واستغلوها أكثر من استغلالكم ومع هذا فلمّا جاءتهم رسلهم بالبيّنات [وكفروا بها] أخذهم الله بذُنُوبهم وما كان لهم من الله من واقٍ، ﴿**فما كان اللهُ ليظلمهم**﴾ فيما أحلَّ بهم من العذاب ﴿**ولكن كانوا أنفسَهم يظلِمُون**﴾ حيث كذَّبوا بآيات الله واستهزؤوا بها ولهذا قال تعالى: ١٠: ﴿**ثم كان عاقبةُ الذين أساؤوا السُّوأى أن كذّبُوا بآياتِ اللهِ وكانُوا بها يستهزِئون**﴾ كانت السُّوأى عاقبتُهم لأنهم كذّبوا بآيات الله وكانوا به يستهزئون [والسُّوأى: تأنيث الأسوأ وهو الأقبح] ١١: ﴿**اللهُ يَبْدَأُ الخلقَ ثُمّ يُعيدُهُ**﴾ كما هو قادرٌ على بداءته فهو قادرٌ على إعادته ﴿**ثم إليهِ تُرجَعُون**﴾ يوم القيامة فيُجازيَ كلٌّ بعمله. ثم قال تعالى: ١٢: ﴿**ويوم تقومُ الساعةُ يُبْلِسُ المُجْرِمُون**﴾ ييأسُ المجرمون ١٣: ﴿**ولم يكُنْ لهم مِن شركائهم شفعاء**﴾ ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبُدُونها مِن دُون الله تعالى وكفروا بهم، ﴿**وكانوا بشركائهم كافرين**﴾. ثم قال تعالى: ١٤: ﴿**ويومَ تقُومُ الساعةُ يومَئِذٍ يتفرّقُون**﴾ الفرقة التي لا اجتماع بعدها؛ يعني: أنّه إذا رفع هذا إلى عليين، وخفض هذا إلى أسفل سافِلين، فذلك آخر العهد بينهما. ولهذا قال تعالى: ١٥: ﴿**فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ فهم في روضةٍ يُحْبَرُون**﴾ يُنعَّمُون. وأمّا الذين كفرُوا... فأولئك في العذاب مُحضَرُون.

= لا يُحسنون الوضوء ، فمن شهد منكم فليُحْسِنِ الوضوء » قال الحافظ ابن كثير ج٣/٤٤١ : وهذا إسناد حَسَنٌ ومَتْنٌ حَسَنٌ ، وفيه سِرٌّ عجيب ، ونبأ غريب ، وهو أنّه ﷺ تأثّر بنقصان وضوء من ائتمَّ به ، فدلّ ذلك على أنّ صلاة المأموم متعلّقة بصلاة الإمام .

الآية : ١٠ وفي حديث عياض المُجاشعي أنّ رسول الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خطبته : « الاَ إنّ ربّي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم مّما علّمني ، يومي هذا . كل مال نحلتُهُ عبداً [أي كل رزق أعطيتُه عبداً] حَلاَلٌ [وهذا ردٌّ على المشركين في تحريمهم ما أحلَّ الله] وإنّي خلقتُ عبادي حُنَفَاء كلَّهم ، وإنّهم أتتهُمُ الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزّل به سلطاناً » الحديث بطوله في صحيح مسلم ج٤/٢١٩٧ ، رقم ٢٨٦٥ .

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

٤٠٦

١٦: ﴿وأمّا الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولِقاءِ الآخرةِ فأولئك في العذاب محضرون﴾ [أي: مجمُوعُون مقيمون] **١٧: ﴿فسبحانَ اللهِ حين تُمسُون وحين تُصبِحُون﴾** هذا تسبيحٌ منه تعالى لنفسه المقدّسة، وإرشادٌ لعباده إلى تسبيحهِ وتحميدِهِ في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند هذا المساء وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه. ثم اعترض بحمدِهِ مناسبةً للتسبيح وهو التحميد، فقال تعالى: **١٨: ﴿ولهُ الحمدُ في السموات والأرض﴾** هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض، **﴿وعَشِيّاً وحين تُظهِرُون﴾** العِشاءُ: هو شدّة الظلام، والإظهارُ: هو قوّة الضياء، فسبحان خالق هذا وفالق هذا. روى الطبراني: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن قال حين يُصبح: سبحان الله حين تُمسُون وحين تصبحُون، وله الحمدُ في السمواتِ والأرض وعشيّاً وحين تُظهرون، الآية بكمالها، أدركَ ما فاتَهُ في يومه ومَن قالها حين يُمسي أدركَ ما فاتَهُ في ليلته»، إسناده جيد ورواه أبو داود **١٩: ﴿يخرج الحَيَّ مِنَ الميّتِ ويُخرج الميّتَ مِنَ الحَيّ﴾**، هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة، يذكر تعالى خلقَهُ الأشياء وأضدادَها ليدلَّ خلقُهُ على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النباتِ من الحبّ، والحبَّ مِن النبات، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، **﴿ويُحيي الأرضَ بعدَ موتِها﴾** كقوله تعالى: ﴿وترى الأرضَ هامِدَةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزّتْ وربتْ وأنبتَتْ مِن كل زوجٍ بهيج –إلى قوله– وأنّ اللهَ يبعثُ مَن في القُبور﴾ ولهذا قال هُهنا: **﴿وكذلك تُخرجُون﴾ ٢٠: ﴿ومن آياتِهِ﴾** الدالّة على عظمته **﴿أنْ خلقكم من تراب﴾** أباكم آدم **﴿ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾** من ماءٍ مهين على شكل الإنسان **٢١: ﴿ومِن آياتِهِ أنْ خلقَ لكم مِن أنفسِكم أزواجاً﴾** خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً؛ **﴿لتسكنُوا إليها﴾** كما قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم مِن نفسٍ واحدةٍ وجعلَ منها زوجَها ليسكنَ إليها﴾، [أي: لتألفُوها وتميلوا إليها]، **﴿وجعلَ بينكم مودّةً ورحمةً﴾** وهذا من تمام رحمته سبحانه أن جعل بينهم المحبّةَ والرأفة **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾ ٢٢: ﴿ومِن آياتِهِ خلقُ السمواتِ والأرض﴾** من آياته الدالّة على قدرته العظيمة، **﴿واختلاف ألسنتكم﴾** يعني اللّغات **﴿وألوانكم﴾** فليس يُشبه أحدٌ أحداً، فالأبدان واحدة وهيئاتها وسماتها لا تشبه الأخرى، ولو توافق جماعة في صفةٍ فلا بدّ مِن فارقٍ بين كلٍّ واحدٍ منهم وبينَ الآخر؛ **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ للعالَمين﴾ ٢٣: ﴿ومِن آياتِهِ منامُكم باللّيل والنهار﴾** لتحصيل الراحة، **﴿وابتغاؤكم مِن فضلِهِ﴾** في النهار **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يسمعُون﴾** يَعُون **٢٤: ﴿ومِن آياتِهِ يُريكُمُ البَرْقَ خوفاً وطمعاً﴾** خوفاً من صواعقه، وطمعاً في المطر، ولهذا قال تعالى: **﴿ويُنزِّلُ مِنَ السماءِ ماءً فيُحيي بهِ الأرضَ بعدَ موتِها إنّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقِلُون﴾**.

الآية : ٢٠ روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله خلقَ آدَمَ من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود ، وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسَّهْلُ والحَزْن ، وبين ذلك » . /ابن كثير ج٣/٤٢٩ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

الحزب ٤١

٢٥: ﴿**ومن آياتِهِ أنْ تقومَ السماءُ والأرضُ بأمرِهِ**﴾ هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إيّاها، ثم إذا كان يوم القيامة بُدِّلَتِ الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأمواتُ مِن قُبورها بأمره ودعائه إيّاها، ولهذا قال تعالى: ﴿**ثم إذا دعاكم دعوةً مِنَ الأرض إذا أنتم تخرجُون**﴾ من الأرض **٢٦**: ﴿**وله مَن في السمواتِ والأرضِ**﴾ ملكُهُ وعبيدُهُ ﴿**كلٌّ لهُ قانِتُون**﴾ خاضِعُون خاشِعُون طَوْعاً وكَرْهاً. [والقُنُوتُ في القرآنِ: الطاعة] **٢٧**: ﴿**وهو الذي يبدؤُا الخلقَ ثم يُعِيدُهُ وهو أهونُ عليه**﴾ أيسر على الخالق من البداءة، والبداءةُ عليه هيّنة، ﴿**ولهُ المَثَلُ الأعلَى في السمواتِ والأرضِ**﴾ مَثَلُهُ [فيهما] أنّه لا إلٰهَ إلّا هو ولا ربَّ سِوَاهُ. ﴿**وهو العزيزُ**﴾ الذي لا يُغالَبُ ولا يُمانع بل قد غلبَ كلَّ شيء وقهره بقدرته وسلطانه، ﴿**الحكيمُ**﴾ في أقواله وأفعاله شرعاً وقَدَراً. وعن مالك في تفسيره: ﴿**وله المَثَلُ الأعلى**﴾ قال: لا إلٰهَ إلّا اللهُ **٢٨**: ﴿**ضَربَ لكم مثلاً مِن أنفسِكم هلْ لكم مِن ما ملَكَتْ أيمانُكم مِن شُركاءَ في ما رزقناكم فأنتم فيه سَواءٌ**﴾ هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمشركين الجاعِلين له شركاء كما كانوا يقولون: لبّيك لا شريكَ لك إلّا شريكاً هو لك، تمِلكُهُ وما مَلَك، أي: يرضَى أحدُكم أن يكون عبدُهُ شريكاً له في ماله، فهو وهو فيه على السواء ﴿**تخافُونَهم كخيفتِكُم أنفسَكم**﴾ تخافُون أن يُقاسموكم الأموال، والمعنى: أنّ أحدَكم يأنف من ذلك فكيف تجعلون للهِ الأنداد مِن خلقه؟ وهذا كقوله تعالى: ﴿ويجعلُون للهِ ما يكرَهُون﴾، ﴿**كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعقِلُون**﴾ **٢٩**: ﴿**بل اتّبعَ الذين ظلمُوا أهواءَهم بغير علمٍ**﴾ اتبع المشركون أهواءَهم في عبادتهم الأنداد بغير علم ﴿**فمَن يهدِي مَن أضلَّ اللهُ**﴾؟ فلا أحدَ يهديهم إذا كتب اللهُ ضَلالَهم، ﴿**وما لهم مِن ناصِرين**﴾ ليس لهم منقذ ولا مجير من قدرة الله **٣٠**: ﴿**فأقِمْ وَجْهَكَ للدِّين حَنِيفاً**﴾ فسدِّدْ وجهَكَ واستمِرَّ على الدِّين الذي شرعه الله لك من الحنيفيّة مِلّة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكمّلَها لكَ، ﴿**فطرةَ اللهِ التي فطرَ النّاس عليها**﴾ وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطرَ اللهُ الخلقَ عليها؛ فإنّه تعالى فطرَ خلقه على معرفته وتوحيده وأنّه لا إلٰهَ غيرهُ كما قال تعالى: ﴿وأشهدهم على أنفسِهم ألستُ بربّكم؟ قالوا بلى﴾، ﴿**لا تبديلَ لخلق اللهِ**﴾ لدينِ الله، والدِّينُ والفطرةُ: الإسلام، ﴿**ذلك الدِّينُ القيِّم**﴾ المستقيم ﴿**ولكنّ أكثرَ النّاس لا يعلمون**﴾ [أي: لا يتفكرون فيعلمون أنّ لهم خالقاً وجبتْ عبادتُه عليهم] فلهذا أكثر الناس عنه ناكِبُون **٣١**: ﴿**مُنِيبينَ إليه**﴾ راجعين إليه، ﴿**واتّقُوهُ**﴾ خافُوهُ وراقبُوه ﴿**وأقيمُوا الصلاةَ**﴾ وهي الطاعة العظيمة، ﴿**ولا تكونُوا مِنَ المشركِين**﴾ كونوا من الموحدين المخلصين له العبادة **٣٢**: ﴿**مِنَ الذين فرّقُوا دينَهم وكانُوا شِيَعاً**﴾ لا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم؛ أي: بدّلوه وغيّروه كاليهود والنصارى، ﴿**كلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحُون**﴾ [أي: مُعْجَبُون].

الآية : ٢٧ روى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ؛ فأمّا تكذيبه إيّاي فقوله : لن يُعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته ، وأمّا شتمه إيّاي فقوله اتّخذَ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد الذي لم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » . /ابن كثير ج٣/٤٣١ .

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

٣٣: ﴿وإذا مَسَّ النّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا ربّهم منيبين إليه ثم إذا أذاقَهم منهُ رحمةً إذا فريقٌ منهم بربِّهم يُشرِكُون﴾ يُخبر تعالى عن النّاس أنّهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له، وأنّه إذا أسبغ عليهم النعمَ إذا فريقٌ منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره **٣٤: ﴿ليكفرُوا بما آتيناهم﴾** [فيه بمعنى التهديد] ثم توعدهم بقوله تعالى: **﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾**، ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حُجّة: **٣٥: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً﴾** حُجّةً **﴿فهو يتكلم﴾** ينطق **﴿بما كانوا بهِ يُشركون﴾** هذا استفهام إنكار؛ أي: لم يكن لهم من شيءٌ من ذلك؟! ثم قال تعالى: **٣٦: ﴿وإذا أذقنا النّاسَ رحمةً فرحُوا بها وإن تُصبهم سيّئة بما قدّمتْ أيديهم إذا هم يَقنَطُون﴾** هذا إنكارٌ على الإنسان حيث هو إلّا مَن عصمَهُ اللهُ ووفقه، فإنّ الإنسانَ إذا أصابته نعمةٌ بَطِرَ، وإذا أصابه شِدّةٌ قنط وأيِس أن يحصلَ له بعد ذلك خير بالكليّة **٣٧: ﴿أوَلم يَرَوْا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاءُ ويقدر﴾** هو المتصرّف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيُوسع على قومٍ ويُضيّق على آخرين **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يُؤمنون﴾ ٣٨: ﴿فآتِ ذَا القُرْبَى حقَّهُ﴾** يأمر الله تعالى بإعطاء ذي القربى حقه من البرّ والصلة، **﴿والمسكينَ﴾** وهو الذي لا شيء له يُنفَقُ عليه أو له شيء لا يقوم بحاجته **﴿وابنَ السبيل﴾** وهو المسافر المحتاج إلى نفقة، **﴿ذلك خيرٌ للذين يريدون وَجْهَ الله﴾** النظر إليه يوم القيامة، وهو الغاية القصوَى **﴿وأولئك هم المفلِحُون﴾** في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى: **٣٩: ﴿وما آتيتُم مِنْ رباً ليربُوا في أموال النّاس فلا يربُوا عندَ الله﴾** مَن أعطى عطيةً يُريد أن يَرِدَّ عليه النّاس أكثر مِمّا أهدَى لهم؛ فهذا لا ثوابَ له عندَ الله. **﴿وما آتيتُمْ مِنْ زكاةٍ تُريدُون وَجْهَ اللهِ فأولئك هم المُضْعِفون﴾** الذين يُضاعِفُ الله لهم الثواب والجزاء، كما جاء في الصحيح: «وما تصدّقَ أحدٌ بعدل تمرةٍ مِن كسبٍ طيّبٍ إلّا أخذها الرحمنُ بيمينِهِ فيُربيها لصاحبها كما يُربّي أحدُكم فُلْوَهُ أو فصيلَهُ حتى تصيرَ التمرةُ أعظمَ مِن أُحُد» **٤٠: ﴿اللهُ الذي خلقكم﴾** هو الخالق الرازق يخرجُ الإنسانُ مِن بطن أُمّه عرياناً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قِوَى، ثم يرزقه جميعَ ذلك بعد ذلك، والمال والأملاك والمكاسب **﴿ثم رزقكم ثم يُميتكم هَلْ مِن شركائكم مَن يفعلُ مِن ذلكم مِن شيءٍ﴾** الذين تعبدونهم مِن دُونِ الله لا يقدر أحدٌ على فعل شيءٍ من ذلك، بل الله سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق والإماتة والإحياء يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: **﴿سبحانه وتعالى عمّا يُشرِكُون﴾** تقدّس وتنزّه وتعاظم عن أن يكون له شريك **٤١: ﴿ظَهَرَ الفسادُ في البرِّ والبحر﴾** المرادُ بالبرِّ هٰهنا: الفيافي، والبحرُ: الأمصارُ والقرى. والفسادُ: انقطاع المطر الذي يعقبه القحط **﴿بما كسبتْ أيدي النّاسِ ليُذيقهم بعضَ الذي عملُوا لعلّهم يرجِعُون﴾** يبتليهم بنقص الأموال والزروع والثمار بسبب المعاصي مجازاة على صنيعهم لعلّهم يرجعون عن المعاصي.

الآية: ٤٠ روى الإمام أحمد أنّ رسول الله ﷺ قال لابني خالد: «لا تيأسا من الرزق، ما تهزهزت رؤوسكما، فإنّ الإنسان تلِدُهُ أمُّهُ أحمرَ ليس عليه قشرة، ثم يرزقه الله عزّ وجلّ». /ابن كثير ج٣/٤٣٥.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٢: ﴿قُلْ سِيرُوا في الأرض فانظُروا كيف كان عاقبةُ الذين مِن قبلُ﴾ [أي: قُلْ يا محمد لهم سيروا] فانظروا ما حلّ بالذين قبلكم من المشركين ما حلَّ بهم من تكذيب الرسل وكفر النِّعم، **﴿كان أكثرهم مشركين﴾** [فأُهلِكوا] **٤٣: ﴿فأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ القيِّم﴾** يأمرُ تعالى عبادَهُ بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته والمبادرة إلى الخيرات **﴿مِن قبلِ أن يأتِيَ يومٌ لا مَرَدَّ له من الله﴾** يوم القيامة إذا أرادَ كونه فلا رادَّ له **﴿يومئذ يصَّدَّعُون﴾** يتفرّقون، فريقٌ في الجنّة وفريق في السعير، ولهذا قال تعالى: **٤٤: ﴿مَن كفرَ فعليه كُفرُهُ ومَن عمِلَ صالحاً فلأنفسهم يَمْهَدُون﴾** [أي: يُوطِّئون لأنفسهم في الآخرة قراراً بالعمل الصالح] **٤٥: ﴿ليجزيَ الذي آمنُوا وعملوا الصالحاتِ من فضله﴾** يُجازيهم مجازاة الفضل؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله **﴿إنّه لا يُحبُّ الكافرين﴾** ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجور **٤٦: ﴿ومِن آياتهِ أن يُرسِلَ الرياحَ مُبشراتٍ﴾** بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها، ولهذا قال تعالى: **﴿وليذيقكم مِن رحمته﴾** المطر الذي يُنزّله فيُحيي به العباد والبلاد، **﴿ولتجري الفُلْكُ بأمره﴾** في البحر وإنّما سيّرها بالريح **﴿ولتَبْتَغُوْا مِن فضله﴾** في التجارات والمعايش والسير من قطر إلى قطر **﴿ولعلّكم تشكرون﴾** تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تُعدُّ ولاتُحصَى. ثم قال تعالى: **٤٧: ﴿ولقد أرسلنا مِن قبلِكَ رُسُلاً إلى قومِهم فجاؤوهم بالبيّناتِ فانتقمنا مِن الذين أجْرَمُوا﴾** هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه وإنْ كذّبه كثيرٌ من قومه ومن النّاس فقد كُذّبَتْ الرسلُ المتقدِّمُون مع ما جاؤوا أُممهم به من الدلائل الواضحات **﴿فانتقمنا من الذين أجْرَمُوا﴾** ممّن كذّبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين بهم، **﴿وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين﴾** هو حقٌّ أوجبه على نفسِهِ الكريمة تكرّماً وتفضلاً **٤٨: ﴿اللهُ الذي يُرسِلُ الرياحَ فتثيرُ سَحاباً﴾** إمّا مِن البحر وإمّا مِمّا يشاء الله عزّ وجلّ **﴿فَيَبْسُطُهُ في السماء كيف يشاء ويجعله كِسفاً﴾** يمدّه فيُكثِّرُهُ ويُنميهِ ويجعل من القليل كثيراً يُنشئ سحابةً تُرى في رَأْيِ العينِ مثل الترس ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق **﴿فترى الوَدْقَ يخرجُ مِن خلاله﴾** فترى القطرَ يخرج من بين السحاب **﴿فإذا أصابَ به مَن يشاءُ مِن عبادِهِ إذا هم يستبشِرُون﴾** بنزوله عليهم ووُصُوله إليهم **٤٩: ﴿وإن كانوا مِن قبلِ أن يُنزَّلَ عليهم من قبله لَمُبْلِسين﴾** كانوا محتاجين إليه قبل نزوله فتأخر عليهم ثم جاءهم بغتةً بعد الإياس منه، ولهذا قال تعالى: **٥٠: ﴿فانظرْ إلى آثار رحمة الله﴾** المطر، **﴿كيف يُحيي الأرضَ بعدَ موتها﴾** ثم نبّهَ بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها فقال: **﴿إنّ ذلك لمحيي الموتى﴾** الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** [استدلال بالشاهد على الغائب].

الآية: ٤٧ روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما مِن امرىءٍ مسلمٍ يردُّ عن عِرضِ أخيهِ إلاّ كان حقّاً على الله أنْ يردَّ عنه نارَ جهنَّم يوم القيامة» ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقّاً علينا نصرُ المؤمنين﴾. /ابن كثير ج٣/٤٣٦.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

علامة الربع الحزب ٤١

٥١: ﴿ولئن أرسلنا ريحاً فَرَأَوْهُ مُصفراً لظلُّوا مِن بعدِهِ يكفُرُون﴾ لئن أرسلنا ريحاً يابسةً على الزرع فرأوه قد اصفرَّ وشرع في الفساد لظلُّوا من بعده، أي: من بعد هذا الحال يجحدون ما تقدم إليهم من النعم **٥٢: ﴿فإنّكَ لاتُسمعُ الموتى﴾** ليس في مقدورك أن تسمع الأموات في أجداثها **﴿ولاتُسمعُ الصُّمَّ الدعاء﴾** ولا تبلغ كلامك الصُّمَّ الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُدبرون عنك، كذلك لا تقدر على هدايتهم **﴿إذا وَلَّوْا مُدبرين﴾**، ولهذا قال تعالى: ﴿إنْ تُسْمِعُ إلّا مَن يُؤمن بآياتنا فهم مسلِمُون﴾ **٥٣: ﴿وما أنتَ بهادِ العُمْيِ عن ضلالتهم إنْ تُسْمِعُ إلّا مَن يُؤمِنُ بآياتنا فهم مسلِمُون﴾** خاضِعُون مستجيبُون مُطيعُون، فأولئك هم الذين يسمعون الحقَّ ويتبعونه وهذا حال المؤمنين **٥٤: ﴿اللهُ الذي خلقكم من ضعفٍ ثم جعلَ مِن بعدِ ضعْفٍ قوّةً﴾** يُنبِّهُ تعالى على تنقل الإنسان في أطوار خلقه حالاً بعد حال، **﴿ثم جعلَ مِن بعدِ قوّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً﴾**؛ يخرج من بطن أمه ضعيفاً ثم يشبُّ قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً ثم حَدَثاً ثم مراهقاً ثم شاباً، وهو القوّة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة، فتضعف الهِمّة وتتغيّر الصفات الظاهرة والباطنة، ولهذا قال تعالى: **﴿يخلق ما يشاء﴾** يفعل ما يشاء ويتصرّف في عبيده بما يريد **﴿وهو العليمُ القدير﴾** **٥٥: ﴿ويومَ تقومُ الساعةُ يُقسِمُ المجرمون ما لبثوا غيرَ ساعةٍ كذلك كانوا يُؤفكون﴾** يُخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا عبدُوا الأوثان، وفي الآخرة يُقسِمُون بالله أنّهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا، ومقصُودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وأنّهم لم يُنظروا حتى يعذر إليهم **٥٦: ﴿وقال الذين أُوتُوا العلمَ والإيمانَ لقد لبثم في كتاب اللهِ إلى يوم البعث﴾** فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة: لقد لبثم في كتاب الأعمال إلى يوم البعث أي: من يوم خلقتم إلى يوم بعثم، قال الله تعالى: **﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾** [أي: إن كنتم منكرين البعث فهذا هو يوم البعث] **٥٧: ﴿فيومئذٍ لا ينفعُ الذين ظلموا معذرَتُهم﴾** يوم القيامة لا ينفعهم اعتذارهم **﴿ولا هم يُستعتبُون﴾** ولا هم يُرجَعون إلى الدنيا **٥٨: ﴿ولقد ضربْنَا للنّاسِ في هذا القرآن مِن كلِّ مثلٍ﴾** قد بيّنّا لهم الحقّ ووضحناه لهم **﴿ولئن جئتهم بآية ليقولَنَّ الذين كفرُوا إنْ أنتُم إلّا مُبطِلُون﴾** لو رأوا أيَّ آيةٍ كانت لايُؤمنون بها ويعتقِدُون أنّها سحر وباطل **٥٩: ﴿كذلك يطبعُ الله على قلوبِ الذين لايعلمون﴾** [أي: كما طبعَ اللهُ على قلوبهم حتى لا يفهمُوا الآيات عن الله كذلك يطبعُ اللهُ على قلوبهم حتى لا يعلموا أدلّة التوحيد] **٦٠: ﴿فاصبرْ إنّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ﴾** اصبر على مخالفتهم وعِنادِهم، فإنّ الله تعالى منجزٌ لك ما وعدَكَ من نصره إيّاك عليهم **﴿ولا يستخفنّكَ الذين لايُوقِنُون﴾** بل اثبتْ على ما بعثَكَ اللهُ به فإنّه الحقُّ الذي لا مِريةَ فيه.

الآية : ٥٢ إنّ الله تعالى إذا شاء أسمعهم ، وإذا لم يشأ لم يسمعوا ، ومن هذا إسماع الله تعالى كلام رسوله ﷺ لقتلى المشركين في (بدر) ، وإسماع الله تعالى لأموات المسلمين سلام المسلّمين عليهم ، فقد علّم رسول الله ﷺ أمّتَهُ إذا أرادوا زيارة القبور أن يُسلِّمُوا على أهلها ؛ أن يقولوا : (السلام عليكم أهلَ الديار من المؤمنين ، وإنّا إن شاء اللهُ بكم لاحقون ، يرحم الله المستَقْدِمِين منّا ومنكم والمستأخِرين ، نسأل اللهَ لنا ولكم العافية) ، فهذا ممّا يُسمعه الله تعالى أموات المسلمين رحمهم الله تعالى جميعاً . /ابن كثير ج٣/٤٣٩ .

سُورَةُ لُقْمَانَ ترتيبها ٣١ آياتها ٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

تفسير سورة لُقمان

١: ﴿**الٓمٓ**﴾ تقدم في أول سورة البقرة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة **٢**: ﴿**تلكَ آياتُ الكتابِ الحكيم**﴾ [أي: القرآن المحكم الذي لا خلَلَ فيه ولا تناقض] **٣**: ﴿**هُدىً ورحمةً للمحسنين**﴾ جعل تعالى هذا القرآن هدىً وشفاءً ورحمةً للذين أحسنُوا العملَ في اتباع الشريعة **٤**: ﴿**الذين يُقيمُون الصلاةَ**﴾ في أوقاتها وما يتبعُها من نوافِلَ راتبةٍ ﴿**ويُؤتون الزكاةَ**﴾ المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ﴿**وهم بالآخرةِ هم يُوقِنُون**﴾ وأيقنُوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغِبُوا إلى الله في ثواب ذلك لم يُراؤوا به ولا أرادُوا جزاءً مِن النّاسِ وشكوراً **٥**: ﴿**أولئك على هُدىً مِن ربِّهم**﴾ على بصيرةٍ وبيّنةٍ ومنهجٍ واضحٍ جليّ ﴿**وأولئك هم المفلِحُون**﴾ في الدنيا والآخرة **٦**: لمّا ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى: ﴿اللهُ نزّلَ أحسنَ الحديث كتاباً متشابهاً مثانِيَ تقشَعِرُّ منه جُلودُ الذين يخشون ربَّهم ثم تلِينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله﴾ الآية؛ عطفَ بذكر حال الأشقياء الذين أعرضُوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغِناء بالألحان وآلات الطرب: ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يشتري لهوَ الحديث ليُضِلَّ عن سبيلِ اللهِ**﴾، قال ابن مسعود: هو واللهِ الغِناء، يردّدُها ثلاث مرات. ﴿**ليُضلَّ عن سبيلِ اللهِ بغيرِ علمٍ ويتخِذَها هُزُواً**﴾ يتخذ آياتِ الله هُزُواً ﴿**أولئك هم عذابٌ مُهين**﴾ يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر **٧**: ﴿**وإذا تُتلَى عليه آياتُنا ولّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنّ في أذنيه وَقْراً**﴾ هذا المقبل على اللهو والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية وَلّى عنها وأعرض كأنّه ما سمعها ﴿**فبشّرْهُ بعذابٍ أليم**﴾ يوم القيامة، يُؤلمه كما تألّم بسماع كتاب الله وآياته **٨**: ﴿**إنّ الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ لهم جنّاتُ النعيم**﴾ هذا ذكرُ مآل الأبرار في الدار الآخرة ﴿**لهم جنّات النعيم**﴾ يتنعمون فيها بأنواع الملاذّ وهم في ذلك مُقيمون **٩**: ﴿**خالِدين فيها وَعْدَ اللهِ حقّاً**﴾ هذا كائنٌ لا محالَة، لأنّه من وعد الله، والله لا يُخلف الميعاد، لأنه كريم منّان ﴿**وهو العزيزُ**﴾ الذي قهرَ كلَّ شيء ودان له كلُّ شيءٍ ﴿**الحكيمُ**﴾ في أقواله وأفعاله **١٠**: ﴿**خلقَ السمواتِ بغيرِ عَمَدٍ ترونها**﴾ بيّن سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، ﴿**بغيرِ عَمَدٍ ترونها**﴾ لها عمد لا ترونها ﴿**وألقى في الأرضِ رواسِيَ**﴾ الجبال أُرْسَتِ الأرض وثقّلتها لئلّا تضطرب بأهلها؛ ﴿**أنْ تميدَ بكم**﴾ لئلّا تميدَ بكم. ﴿**وبثَّ فيها مِن كلِّ دابّةٍ**﴾ وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مِمّا لا يعلم عدد أشكالها إلّا الذي خلقها. ﴿**وأنزلنا مِنَ السماء ماءً فأنبتنا فيها مِن كلِّ زوجٍ كريمٍ**﴾ من النبات الحسن المنظر **١١**: ﴿**هذا خَلْقُ اللهِ**﴾ هذا الذي ذكره تعالى صادرٌ عن فعل اللهوخلقه وتقديره وحده لا شريك له ﴿**فأروني ماذا خلق الذين من دونِهِ**﴾ مِمّا تعبدون من الأنداد؟ ﴿**بَلِ الظالمون**﴾ يعني المشركين ﴿**في ضلالٍ**﴾ في جهل وعمًى ﴿**مُبين**﴾ ظاهر واضح لا خفاءَ به.

الآية: ٩ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين مالاعين رأتْ ولاأُذُنٌ سمعتْ ولاخطرَ على قلب بشر» واقرؤوا إن شئتم: ﴿فلاتعلمُ نفسٌ ماأُخفيَ لهم من قُرّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾ السجدة /١٧/ متفق عليه /رياض الصالحين/٧١٨/.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

١٢ : ﴿ولقد آتينا لُقمانَ الحكمةَ﴾ كان لقمان عبداً صالحاً من سودان مصر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوّة، و﴿**الحكمة**﴾ هي الفهم والعلم والتعبير، ﴿**أنِ اشكُرْ لله**﴾ أمرناه أن يشكر الله عزّ وجلّ على ما آتاه الله ووهبه من الفضل الذي خصَصَهُ به عمّن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه، ثم قال تعالى: ﴿**ومَن يشكرْ فإنّما يشكرُ لنفسِهِ**﴾ إنّما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين، ﴿**ومَن كفرَ فإنّ الله غنيٌ حميد**﴾ غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهلُ الأرض كلهم جميعاً فإنّه الغنيّ عمن سِوَاه؛ فلا إله إلّا الله ولا نعبد إلّا إيّاه **١٣ : ﴿وإذْ قالَ لقمانُ لابنِهِ وهو يعِظُهُ يا بُنيّ لا تشركْ باللهِ إنّ الشركَ لظلمٌ عظيم﴾** هذه الوصية التي منحها ولدَه هي من أفضل ما يعرف من الحكمة، ثم قال محذّراً له: ﴿**إنّ الشرك لظلمٌ عظيم**﴾ هو أعظم الظلم **١٤ : ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بوالِدِيه﴾** قرنَ بوصيّته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالِدين، كما قال تعالى: ﴿وقضَى ربُّكَ أن لا تعبُدوا إلّا إيّاهُ بالوالِدَين إحساناً﴾، ﴿**حملَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وفِصَالُهُ في عامَينِ أنِ اشكُرْ لي ولوالِدَيْكَ**﴾ حملته جهداً على جهد، ثم أرضعته بعد وضعه في عامين، وإنّما ذكر تعالى الوالدة لتعبها في سهرها ليلاً ونهاراً لِيُذكّرَ الولدَ بإحسانِهِ المتقدم إليه، ولهذا قال: ﴿**أنْ اشكُرْ لي ولِوالدَيك**﴾ كما قال تعالى: ﴿وقُلْ ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً﴾، ﴿**إليّ المصير**﴾ لأجزيك على ذلك أوفرَ الجزاء

١٥ : ﴿وإن جاهَدَاكَ على أن تشرك بي ما ليسَ لك به علمٌ فلا تُطعهما﴾ إن حَرِصَا عليك كل الحرص على أن تتبع دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما كما قال تعالى: ﴿**وصاحِبْهُما في الدنيا معروفاً**﴾ محسناً إليهما، ﴿**واتبعْ سبيلَ مَن أنابَ إليّ**﴾ المؤمنين ﴿**ثم إليّ مرجعُكم فأنبئكم بما كنتم تعملون**﴾ **١٦ : ﴿يا بُنيّ إنّها﴾** المظلمة أو الخطيئة ﴿**إنْ تكُ مِثقالَ حبّةٍ مِن خرْدَلٍ فتكُنْ في صخرةٍ أو في السمواتِ أو في الأرضِ يأتِ بها الله**﴾ أحضرَها الله يوم القيامة حين يضعَ الموازين القسط وجازَى عليها إنْ خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرٌّ ﴿**إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ**﴾ فلا تخفَى عليه الأشياء وإن دقت **١٧ : ﴿يا بنيِّ أقِمِ الصلاةَ﴾** بحدودها وفروضها وأوقاتها ﴿**وأْمُرْ بالمعروفِ وانْهَ عن المُنكَرِ**﴾ بحسب جهدك ﴿**واصْبِرْ على ما أصابَكَ**﴾ [هذا إشعارٌ] بأنّ المُنكِر لا بدّ أن يناله من الناس أذىً، فأمره بالصبر، ﴿**إنّ ذلك مِن عزمِ الأمور**﴾ إن الصبر على أذى النّاس لَمِن عزم الأمور **١٨ : ﴿ولا تُصَعِّرْ خدّكَ للناس﴾** لا تتكبّر فتحتقر عبادَ الله ﴿**ولا تمشِ في الأرضِ مرَحاً**﴾ خيلاء متكبراً ﴿**إنّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ مختالٍ**﴾ معجب في نفسه ﴿**فخور**﴾ على غيره **١٩ : ﴿واقصِدْ في مشيِكَ﴾** امشِ مشياً مقتصداً وسطاً بين بين ﴿**واغْضُضْ مِن صوتِكَ**﴾ لا تبالغ في الكلام ولا تَرفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ﴿**إنّ أنكرَ الأصواتِ لصوتُ الحمير**﴾ مَن رفع صوته شُبّه بالحمير في علوّه ورفعه، وهذا التشبيه يقتضي تحريمه.

الآية : ١٣ روى الإمام مسلم أنّه لَمّا نزلت ﴿ الذي آمنوا ولم يَلْبسُوا إيمانَهم بظلم ﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أيُّنا لم يَلْبِسْ إيمانَهُ بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنّه ليسَ بذلك ، ألاَ تسمع لقول لقمان : ﴿ يا بُنيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ إنّ الشّركَ عظيمٌ عظيم ﴾ .

الآية : ١٤ روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله ﷺ سُئل أيُّ العمل أحبُّ إلى اللهِ ؟ قال : «الصلاةُ على وقتها » ، قال : ثُمّ أيُّ ؟ قال : « بِرُّ الوالدين » ، قال : ثم أيُّ ؟ قال : =

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

الحزب ٤٢

٢٠: ﴿ألم تَرَوْا أنّ الله سخّرَ لكُمْ ما في السمواتِ وما في الأرض﴾ يُنبِّهُ تعالى خلقَهُ على نعمه عليهم في الدنيا من جعله السماء لهم سقفاً محفوظاً، وما خلق فيها من سحاب وأمطار، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار، **﴿وأسبغ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً﴾** من إرسال الرسل وإنزال الكتب، **﴿ومِنَ النّاسِ مَن يجادِلُ في الله بغير علم ولا هُدىً ولا كتابٍ منير﴾** ومع إسباغه نعمه عليهم ما آمن النّاسُ كلُّهم بل منهم مَن يُجادل في توحيد الله من غير حُجّةٍ ولا كتاب مأثور صحيح **٢١: ﴿وإذا قيل لهم﴾** لهؤلاء المجادِلين في توحيد الله **﴿اتّبِعُوا ما أنزلَ اللهُ﴾** على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الشرائع المطهرة **﴿قالُوا بل نتّبعُ ما وجدنا عليه آباءنا﴾** لم يكن لهم حُجّة إلّا اتباع الآباء، قال تعالى: ﴿أوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقِلُونَ شيئاً ولا يهتدون﴾؟ فما ظنّكم أيّها المحتجُّون بصنيع آبائكم أنّهم كانوا على ضلالة؟ وأنتم لهم خلف! ولهذا قال تعالى: **﴿أوَلَوْ كان الشيطانُ يَدْعُوهم إلى عذاب السعير﴾ ٢٢: ﴿ومَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى الله﴾** أخلصَ له العملَ وانقاد لأمره واتبع شرعه **﴿وهو مُحْسِنٌ﴾** في عمله باتباع ما بهِ أُمر وترك ما عنه زُجر، **﴿فقد استمسك بالعُرْوَةِ الوُثقى﴾** فقد أخذَ مَوْثِقاً من الله متيناً أنّه لا يُعذّبَهُ، **﴿وإلى اللهِ عاقبةُ الأمور﴾** [أي: مصيرها] **٢٣: ﴿ومَنْ كفرَ فلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾** لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم **﴿إلينا مرجِعُهم فنُنبّهم بما عمِلُوا﴾** فيجزيهم عليه، **﴿إنّ الله عليمٌ بذاتِ الصدور﴾** فلا تخفَى عليه خافية **٢٤: ﴿نمتّعُهم قليلاً﴾** في الدنيا **﴿ثم نضطرُّهُم إلى عذابٍ غليظ﴾** نُلجئهم إلى عذابٍ فظيع **٢٥: ﴿ولئن سألتَهُمْ مَن خلقَ السمواتِ والأرضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾** يُخبر تعالى عن المشركين أنّهم يعرِفُون أنّ الله خالق السمواتِ والأرض وحدَهُ لا شريك له، ومع هذا يعبُدُون معه شركاء يعترفون أنّها خَلْقٌ له ومُلْكٌ له، **﴿قُلِ الحمدُ للهِ﴾** إذْ قامت عليكم الحُجّة باعترافكم **﴿بلْ أكثرهم لا يعلمون﴾** [أي: لا ينظرون ولا يتدبّرون] **٢٦: ﴿للهِ ما في السمواتِ والأرض﴾** هو خلقه وملكه **﴿إنّ الله هو الغني الحميد﴾** الغني عمّا سِواه، وكلُّ شيءٍ فقير إليه، الحميدُ في جميع ما خلقَ وشرَعَ، وهو المحمود في الأمور كلها **٢٧: ﴿ولو أنّما في الأرضِ مِن شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّهُ من بعدِهِ سبعةُ أبْحُرٍ ما نفِدَتْ كلماتُ اللهِ﴾** يُخبر تعالى عن عظمته أن لو كان جميع أشجار الأرض جُعلت أقلاماً وجُعل البحر مِدَاداً وأمدَّهُ سبعةَ أبْحُرٍ معه فكتبت بها كلمات الله، لتكسّرت الأقلام ونَفِدَ ماءُ البحر ولو جاء أمثالها مَدَداً، وإنّما ذُكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يُرِدِ الحصرَ. **﴿إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ﴾** عزيزٌ: قد قهرَ كلَّ شيءٍ وغلبه، حكيمٌ: في خلقه وأمره وشرعه **٢٨: ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفسٍ واحدةٍ﴾** ما خلقُ جميع النّاس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلّا كنسبة خلق نفس واحدة، والجميع هيّنٌ عليه ﴿إنّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ لهُ كُنْ فيكون﴾، **﴿إنّ اللهَ سميعٌ﴾** لأقوالهم **﴿بصيرٌ﴾** بأفعالهم.

= « الجهادُ في سبيلِ اللهِ » . /الترغيب ج٣/٣١٤ .

الآية : ١٨ روى الطبراني أنّه ذُكر الكِبْرُ عند رسول الله ﷺ ، فشدّدَ فيه فقال : ﴿ إنّ اللهَ لا يُحب كلَّ مختالٍ فخور ﴾ فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله إنّي لأغسل ثيابي فيُعجبني بياضُها ، ويُعجبني نَعْلِي ، وعِلاقة سَوْطِي ؟ فقال : « ليس ذلك الكِبْرُ ، إنّما الكِبْرُ أن تسفَهَ الحقَّ وتغمِطَ النّاسَ » . /ابن كثير ج٣/٤٤٦ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَة

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

٢٩: ﴿أَلَمْ تَرَ أنّ اللهَ يُولِجُ اللَّيلَ في النّهار﴾ يأخذُ منه في النهار، فيطول ذلك ويقصر هذا **﴿ويُولِجُ النّهارَ في اللّيل﴾** وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يشرع في النقص فيطول اللّيل ويقصر النّهار، وهذا يكون زمن الشتاء، **﴿وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري إلى أجلٍ مُسمّىً﴾** إلى غاية محدودة، وهو إلى يوم القيامة، **﴿وأنّ اللهَ بما تعملونَ خبيرٌ﴾** **٣٠: ﴿ذلك بأنّ اللهَ هو الحقُّ وأنّ ما يدعون من دُونِهِ الباطل﴾** إنّما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنّه الحقُّ؛ أي: الإلهَ الحقُّ، وأنّ كلَّ ما سواه باطل؛ فإنّه الغني عمّا سِواه وكلُّ شيءٍ فقير إليه؛ لأنّ كلَّ ما في السمواتِ والأرض الجميع خلقه وعبيدُهُ، **﴿وأنّ اللهَ هو العَلِيُّ﴾** الذي لا أعلى منه **﴿الكبيرُ﴾** الذي هو أكبرُ مِن كلِّ شيءٍ، فكلُّ شيءٍ خاضعٌ حقير بالنسبة إليه **٣١: ﴿ألَمْ ترَ أنّ الفُلْكَ تجري في البحر بنعمتِ اللهِ﴾** بأمر الله؛ أي: بلطفه وتسخيره، فإنّه لولا ما جعلَ في الماء من قوّة يحمل بها السُّفنَ لَما جَرَتْ، ولهذا قال تعالى: **﴿لِيُريكم مِن آياته﴾** من قدرته **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبّارٍ شكور﴾** صبّار في الضرّاء، شكور في الرخاء **٣٢: ﴿وإذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كالظُّلَلِ﴾** كالجبال والغمام **﴿دَعَوُا اللهَ مُخلِصينَ له الدِّين﴾** كما قال تعالى: ﴿وإذا مسَّكم الضُّرُّ في البحر ضلَّ مَنْ تدعون إلّا إيّاهُ﴾، **﴿فلمّا نجّاهُمْ إلى البَرِّ فمنهم مُقتصِدٌ﴾** كافر جاحد، كما قال تعالى: ﴿فلمّا نجّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُم يُشركون﴾ بعد تلك الأهوال والأمور العِظام والآيات الباهرات في البحر، **﴿وما يجحدُ بآياتنا إلّا كلُّ ختّارٍ كفورٍ﴾** الختّارُ: هو الغدّار، وهو الذي كلّما عَاهَدَ نقضَ عهدَهُ، والكفُورُ: الجحودُ للنِّعم، لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها **٣٣: ﴿يا أيُّها النّاسُ اتّقُوْا ربّكم واخشَوْا يوماً﴾** يُنذر تعالى الناسَ من يوم المعاد، ويأمرهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة **﴿واخشَوْا يوماً لايجزي والِدٌ عن ولدِهِ﴾** لو أرادَ أن يفديه بنفسه لَما قُبِلَ منه، وكذلك الولد لو أرادَ فِداءَ والِدِهِ بنفسه لم يُقبل منه **﴿ولا مَوْلُودٌ هو جازٍ عن والِدِهِ شيئاً إنّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ﴾** ثم عادَ بالموعظة عليهم بقوله: **﴿فلا تغرَّنَّكُمُ الحياةُ الدنيا﴾** لا تُلْهِيَنّكم بالطمأنينة فيها عن الدار الاخرة **﴿ولا يغرّنّكم باللهِ الغَرُورُ﴾** الشيطان فإنّه يغرُّ ابنَ آدم **٣٤: ﴿إنّ اللهَ عندَهُ علمُ الساعةِ ويُنزّلَ الغيثَ ويعلمُ ما في الأرحامِ وما تَدْري نفسٌ ماذا تكسِب غداً وما تَدْري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ﴾** هذه مفاتيحُ الغيب التي استأثَرَ اللهُ تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحدٌ إلّا بعد إعلامه تعالى بها [من الملائكة والأنبياء]، **﴿إنّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ﴾**.

الآية: ٢٤ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة قال: سمعتُ أبي بريدة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمسٌ لا يعلمُهنَّ إلا الله عزّ وجلّ: ﴿إنّ الله عنده علمُ السّاعَةِ، ويُنزّلُ الغيثَ، ويعلمُ ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، إنّ الله عليمٌ خبير﴾» هذا حديث صحيح الإسناد. /ابن كثير ج٣/٤٥٣.
وإنّ ما يُدّعَى في هذا العصر من معرفة نزول الأمطار ومعرفة ما في الأرحام من الأجنّة، فكله قائم على الظن بأمور وعلامات لا تثبت دائماً، فكم كان من تكهنات لنزول الأمطار فلا تنزل، وكم من تكهنات لمعرفة نوع الجنين، ذكراً كان أم أنثى، فلم تنطبق على الواقع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ
مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى
خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

الحزب ٤٢

تفسير سورة السجدة

١: ﴿الٓمٓ﴾ قد تقدّم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة ٢: ﴿تنزيلُ الكتابِ لا رَيبَ فيه﴾ لا شك فيه ولا مرية أنّه منزلٌ ﴿مِن ربِّ العالَمين﴾، ثم قال مخبراً عن المشركين ٣: ﴿أم يقولون افتراه﴾ اختلقه مِن تِلقاء نفسه ﴿بَلْ هو الحقُّ مِن ربِّكَ لتنذرَ قوماً ما أتاهُمْ مِن نذيرٍ مِن قبلِكَ لعلّهم يهتدون﴾ يتّبِعُونَ الحقَّ ٤: ﴿اللهُ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستّةِ أيّام﴾ يُخبر تعالى أنّه الخالق للأشياء، فخلق السموات والأرض، وما بينهما في ستّةِ أيّام [من أيام الدنيا-من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ إنّ المسلك الأسلم في هذه الآية طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنّة من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل. [وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف وطٰه]، ﴿مالكم مِن دُونِهِ مِن وليٍّ ولا شفيع﴾ بل هو المالك للأمور، الخالق لكل شيءٍ، المدبّر لكل شيء، فلا وليَّ لخلقه سواه، ولا شفيع إلّا مِن بعد إذنِهِ ﴿أفلا تتذكّرون﴾ أيها العابِدُون غيرَه المتوكلون على مَن عداه تعالى وتقدس وتنزّه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد أو عديل ٥: ﴿يُدبِّرُ الأمرَ مِن السماءِ إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ يتنزّل أمرُهُ من أعلى السموات إلى الأرض ﴿ثم يعرج إليهِ في يومٍ كان مقدارُه ألفَ سنة مَمّا تعُدُّون﴾؛ النزول مِن المَلَكِ في مسيرة خمسمائة عام وصُعُودِهِ في خمسمائة عام، ولكنّه يقطعُها في طرفة عين، ولهذا قال تعالى: ﴿في يوم كان مقدارُهُ ألفَ سنةٍ مِمّا تعُدُّون﴾ ٦: ﴿ذلك عالِمُ الغيبِ والشهادةِ﴾ المدبّر لهذه الأمور الذي هو شهيدٌ على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها، وهو ﴿العزيزُ﴾ الذي قهر كلَّ شيءٍ وغلبه ودانت له العباد، ﴿الرحيمُ﴾ بعباده المؤمنين ٧: ﴿الذي أحسَنَ كلَّ شيءٍ خلقَهُ﴾ أحسنَ خَلْقَ الأشياء وأتقنها وأحكمها، ﴿وبدأ خلقَ الإنسانِ﴾ أبو البشر آدم ﴿من طينٍ﴾ ٨: ﴿ثم جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِن ماءٍ مَهِينٍ﴾ يتناسَلُون كذلك من نطفةٍ تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ٩: ﴿ثم سَوّاهُ﴾ آدمَ لمّا خلقه من تراب، خلقه سوّياً مستقيماً ﴿ونفخَ فيهِ مِن رُوحِهِ وجعلَ لكُمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ﴾ العقول ﴿قليلاً ما تشكرون﴾، فالسعيد من استعمل القوى التي رزقها الله له في طاعته عزّ وجلّ ١٠: يُخبر تعالى عن المشركين في استبعادِهم المَعَادَ حيثُ ﴿وقالُوا أئذا ضَلَلْنَا في الأرض﴾ تمزّقت أجسامنا وتفرّقت في أجزاء الأرض وذهبت ﴿أئنّا لفِي خلقٍ جديدٍ﴾؟ أئنّا لنعود بعد تلك الحال؟ يستبعِدُون ذلك بالنسبة إلى قُدَرِهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قدرة الذي إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيكون، ﴿بل هم بلقاء ربِّهم كافِرُون﴾ [أي: بيوم القيامة] ١١: ﴿قُلْ يتوفّاكم مَلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بكم﴾ وقد سُمّي في بعض الآثار بعزرائيل. وقد حُويت له الأرض. ﴿ثم إلى ربِّكم تُرجَعُون﴾ يوم مَعَادِكم.

سورة السجدة : روى البخاري في كتاب الجمعة عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ تنزيل ﴾ السجدة ، و﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ . ورواه مسلم أيضاً . وروى الإمام أحمد عن أبي الزبير عن جابر قال : كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ الٓمٓ ﴾ تنزيل السجدة ، و﴿ تبارك الذي بيده المُلْك ﴾ . /ابن كثير ج٣/٤٥٦ .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

سجدة

١٢: يُخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة فيقول: ﴿**ولو ترى إذِ المُجْرِمُون ناكِسُوا رُؤوسِهم عند ربهم**﴾ حقيرين ذليلين يقولون: ﴿**ربَّنا أبصرنا وسمعنا**﴾ نحن الآن نسمع قَولك ونطيع أمرك ﴿**فارْجِعْنا**﴾ إلى الدنيا ﴿**نعملْ صالِحاً إنّا مُوقِنُون**﴾ قد أيقنّا وتحققنا فيها أنّ وَعدَك حقٌّ ولقاءَك حقٌّ، وقد علم الربُّ تعالى منهم أنه لو أعادَهم إلى الدنيا لكانُوا كما كانوا فيها كفاراً يكذِّبُون بآياتِ الله **١٣**: ﴿**ولو شِئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هُدَاها**﴾ [أي: لو شـاء الله لهدى الناس جميعاً فلم يتخلّف منهم أحد]، ﴿**ولكن حقَّ القولُ مِنّي لأملأنّ جهنّم مِن الجِنَّةِ والنّاسِ أجمعين**﴾ من الصنفين، فدارهم النّار لا محيد لهم عنها ولا محيص، نعوذُ بالله من ذلك **١٤**: ﴿**فَذُوقُوا بما نسِيتم لقاء يومِكم هذا**﴾ يُقال لأهل النّار على سبيل التقريع والتوبيخ: ذُوقُوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به وتناسيكم له ﴿**إنّا نسيناكم**﴾ سنعاملكم معاملة النّاسي؛ لأنّه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء، بل هو من باب المقابلة، ﴿**وذُوقُوا عذابَ الخُلْدِ بما كنتم تعملون**﴾ بسبب كفركم وتكذيبكم **١٥**: ﴿**إنّما يُؤمِنُ بآياتِنا الذين إذا ذُكِّرُوا بها خَرُّوا سُجّداً**﴾ استمعُوا لها وأطاعُوها قولاً وفعلاً، ﴿**وسبَّحُوا بحمدِ ربِّهم وهم لا يستكبرون**﴾ عن اتباعِها والانقيادِ لها. [وسبّحُوا بحمدِ ربِّهم أي: قالوا في سجودهم: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ] **١٦**: ﴿**تتجافَى جُنُوبُهم عن المضاجِع**﴾ يعني بذلك قيام الليل ﴿**يدعُون ربَّهم خَوْفاً وطمعاً**﴾ خوفاً من وَبَالِ عِقَابه وطمعاً في جزيل ثوابه ﴿**ومِمّا رزقناهم يُنفِقُون**﴾ **١٧**: ﴿**فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرّةِ أَعْيُنٍ جزاءً بما كانُوا يعملون**﴾ فلا يعلم أحدٌ عظمةَ ما أخفى اللهُ لهم في الجنّات مِن النّعِيم المقيم واللذات التي لم يطّلعْ عليها أحدٌ جزاءً لهم. روى البخاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال اللهُ تعالى: أعددتُ لعبادِي الصّالِحين ما لا عَينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ ولا خَطرَ على قلبِ بشرٍ» **١٨**: ﴿**أفَمَنْ كان مؤمناً كَمَنْ كان فاسِقاً لا يستوُون**﴾ يُخبر تعالى عن عدله يوم القيامة أنّه لا يُساوي مَن كان مؤمناً بمن كان فاسِقاً كما قال تعالى: ﴿أحسِبَ الذين اجترَحُوا السيّئات أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءٌ محياهُم ومماتُهم ساءَ ما يحكمون﴾؟! **١٩**: ﴿**أمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ صدّقت قلوبُهم بآيات الله وعمِلُوا بمقتضاها ﴿**فلهم جنّاتُ المأْوَى**﴾ التي فيها المساكن العالية ﴿**نُزُلاً**﴾ ضيافةً وكرامةً ﴿**بما كانوا يعملون**﴾ **٢٠**: ﴿**وأمّا الذين فسَقُوا**﴾ خرجوا عن الطاعة ﴿**فمأْواهُمُ النّارُ كلّما أرادُوا أن يخرجُوا منها أُعيدُوا فيها**﴾ كقوله تعالى: ﴿كلّما أرادُوا أن يخرجُوا منها مِن غَمٍّ أُعيدُوا فيها﴾، وإنّ الأيدي لَمُوثقة والأرجل لمقيّدة، وإنّ اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم [فأنّى يخرجون منها؟ أجارنا الله منها]، ﴿**وقيل لهم ذُوقُوا عذابَ النّارِ الذي كنتم به تكذّبون**﴾ يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً.

الآية: ١٧ روى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذُنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشر »، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أخفِيَ لهم من قُرّةِ عين ﴾. /ابن كثير ج٣/٤٦٠.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

٢١: ﴿ولَنُذِيقنَّهم مِنَ العذابِ الأدْنَى دُونَ العذابِ الأكبرِ﴾ يعني بالعذاب الأدْنَى: مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها ممّا يبتلي اللهُ به عباده ليتوبُوا إليه، وكانت سنين أصابتهم، **﴿لعلّهم يرجِعُون﴾** [أي: قبل أن يحلَّ بهم العذاب الأكبر يوم القيامة] **٢٢: ﴿ومَن أظلمُ مِمّن ذُكِّرَ بآياتِ ربِّه ثم أعرض عنها﴾**؟! لا أظلم مِمّن ذكّرَهُ اللهُ بآياتِهِ وبيّنها له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجَحَدها وأعرضَ عنها كأنّه لا يعرفها، **﴿إنّا مِنَ المجرمين منتقمون﴾** سأنتقم مِمّن فعل ذلك أشدَّ الانتقام **٢٣: ﴿ولقد آتينا مُوسَى الكِتابَ﴾** يخبر تعالى عن رسوله موسى عليه السلام أنّه آتاه الكتاب وهو التوراة، **﴿فلا تكن في مِريَةٍ مِن لقائه﴾** ليلة الإسراء [أي: لا تكن في شك من أنّك لقيته ليلة الإسراء، وفي حديث الإسراء]: «أُريتُ ليلة أسريَ بي موسى بنَ عمران» الحديث. **﴿وجعلْنَاهُ هُدىً﴾** الكتاب الذي آتيناه **﴿لبني إسرائيل﴾** كما قال تعالى: ﴿وآتينا موسى الكتابَ وجعلناهُ هُدىً لبني إسرائيل أنْ لا تتخذوا مِن دُوني وكيلاً﴾ **٢٤: ﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدونَ بأمرِنا لَمّا صبرُوا وكانوا بآياتِنا يُوقِنُون﴾** لمّا كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به كان منهم أئمةً يهدون إلى الحقّ بأمر الله ويدعون إلى الخير، ثم لمّا بدّلوا وحرّفوا سُلِبُوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يُحرِّفون الكلم عن مواضعه؛ فلا عملَ صالحاً ولا اعتقاداً صحيحاً **٢٥: ﴿إنّ ربَّكَ هو يفصِلُ بينهم يوم القيامة فيما كانُوا فيه يختلِفُون﴾** من الاعتقادات والأعمال **٢٦: ﴿أوَلَمْ يهدِ لهم كم أهلكنا مِن قبلِهم مِن القرون﴾** أوَلَمْ يهدِ لهؤلاء المكذّبين بالرسل ما أهلكَ اللهُ قبلَهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إيّاهم فيما جاؤوهم به من قويم السُّبُل فلم يبق منهم باقية ولا أثر، ولهذا قال تعالى: **﴿يمشون في مساكنهم﴾** في مساكن أولئك المكذّبين **﴿إنّ في ذلك لآيات﴾** فيما حلّ بهم لدلائل ومواعظ **﴿أفلا يسمعون﴾** أخبارهم؟ **٢٧: ﴿أوَلَمْ يَرَوا أنّا نَسُوقُ الماءَ إلى الأرضِ الجُرُزِ﴾**؟ يُبيّن تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله ماء السماء إلى الأرض التي لا نبات فيها **﴿فنُخرِجُ بهِ زرعاً تأكل منه أنعامُهم وأنفسُهم أفلا يُبصرون﴾**؟ كما قال تعالى: ﴿فلينظرِ الإنسانُ إلى طعامِهِ أنّا صَببْنا الماءَ صَبّاً﴾ الآية، ولهذا قال تعالى ههنا: **﴿أفلا يُبصِرُون﴾**؟! **٢٨: ﴿ويقولُون متى هذا الفتحُ إن كنتم صادِقِين﴾** يُخبر تعالى عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول نقمته عليهم استبعاداً وتكذيباً وعِناداً؛ أي: متى تُنصر علينا يا محمد؟ ما نراك أنت وأصحابك إلّا خائفين مختفين، قال تعالى: **٢٩: ﴿قُلْ يومَ الفتح﴾** إذا حَلَّ بكم بأس الله وغضبه في الدنيا والآخرة **﴿لا ينفعُ الذين كفرُوا إيمانُهم ولا هُم يُنظَرُون﴾** والمراد بالفتح: هو القضاء والفصل **٣٠: ﴿فأعرض عنهم وانتظرْ إنّهم منتظرون﴾** فأعرض عن هؤلاء المشركين وبلّغ ما أُنزل إليك، وانتظر فإنّ الله سينصرك على مَن خالفك، إنّهم يتربّصُون بكم الدوائر، وسترى أنتَ عاقبةَ صبرك عليهم.

الآية: ٢٢ روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثٌ من فعلهُنّ فقد أجرم: من عقد لواءً في غير حق، أو عقَّ والديه، أو مشى مع ظالم ينصره، فقد أجرم»، يقول الله تعالى: ﴿إنّا من المجرمين منتقِمُون﴾. /ابن كثير ج٣/٣٦٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٤٢

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

تفسير سورة الأحزاب

١: **﴿يا أيها النبيُّ اتَّقِ الله﴾** هذا تنبيهٌ بالأعلى على الأدْنى، فإنّه تعالى إذا كان يأمرُ عبدَهُ ورسولَهُ بهذا فلأن يأمر مَن دُونه بذلك بطريق الأولى. **﴿ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقين﴾** لا تسمعْ منهم ولا تستشرهم، **﴿إنّ الله كان عليماً حكيماً﴾** فهو أحقُّ أن تَتّبعَ أوامِرَهُ وتُطِيعَهُ فإنّه عليمٌ بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله، ولهذا قال تعالى: **٢**: **﴿واتّبعْ ما يُوحَى إليكَ مِن ربِّكَ﴾** من قرآن وسُنّة **﴿إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾** فلا تخفى عليه خافية **٣**: **﴿وتوكلْ على اللهِ﴾** في جميع أمورك وأحوالك، **﴿وكفى بالله وكيلاً﴾** لمن توكل عليه وأناب إليه **٤**: **﴿ما جعلَ اللهُ لرجلٍ مِن قلبين في جَوْفِهِ﴾** يقول تعالى موطِّئاً قبلَ المقصُودِ المعنويِّ أمراً معروفاً حِسّياً، وهو أنّه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجتُهُ التي يُظاهر منها بقوله: أنتِ عليّ كظهر أمّي أُمّاً له؛ كذلك لا يصير الداعي ولداً للرجل إذا تبنّاه فدعاه ابناً له: **﴿ما جعَلَ اللهُ لرجلٍ مِن قلبين في جوفه وما جعلَ أزواجَكم اللّاتي تُظاهرون منهنّ أمهاتِكم وما جعلَ أدْعياءَكم أبناءَكم﴾** وهذا هو المقصود بالنفي، فإنّها نزلت في شأن زيدِ بنِ حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي تبنّاه قبل النبوّة، فكان يُقال له: زيد بن محمد، فأرادَ اللهُ تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: **﴿وما جعلَ أدْعياءَكم أبناءَكم﴾** كما قال في أثناء السورة: ﴿ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِن رجالِكم ولكنْ رسولَ الله وخاتمَ النبيين﴾ وقال هُهنا: **﴿ذلكم قولكم بأفواهِكم﴾** تبنيكم لهم قولٌ لا يقتضي أن يكون حقيقياً فإنّه مخلوق من صلب رجلٍ آخر **﴿واللهُ يقولُ الحقَّ﴾** يقولُ العدلَ **﴿وهو يهدي السبيل﴾** الصراطَ المستقيم **٥**: **﴿ادْعُوهُم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾** أمرَ تبارك وتعالى بردِّ نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وأنّ هذا هو العدل والقِسط والبرّ. **﴿فإنْ لم تعلمُوا آباءَهم فإخوانُكم في الدِّين ومواليكم﴾** أمرَ تعالى بردِّ أنساب الأدْعياء إلى آبائهم إن عُرِفُوا، فإن لم يُعرفوا، فهم إخوانُكم في الدِّين ومواليكم، أي: عوضاً عمّا فاتهم من النسب. **﴿وليس عليكم جُناحٌ فيما أخطأتُم به﴾** إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأً بعد الاجتهاد فإنّ الله تعالى قد رفعَ إثمَهُ، كما في الحديث: «إنّ الله رفعَ عن أمتي الخطأَ والنسيانَ، والأمرَ الذي يُكرهون عليه»، **﴿ولكن ما تعمّدت قلوبُكم وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾** إنّما الإثم على مَن تعمّدَ الباطلَ **٦**: **﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين مِن أنفسِهم﴾** روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما مِن مؤمنٍ إلّا وأنا أولى النّاس به في الدنيا والآخرة» الحديث. وهذا من شفقته بأُمّته، **﴿وأزواجُهُ أُمّهاتُهم﴾** في الحُرْمة والاحترام. **﴿وأُولُوا الأرحامِ بعضُهم أولى ببعضٍ في كتابِ الله﴾** في حكم الله **﴿مِن المؤمنين والمهاجرين﴾** في القرابات أولى بالتوارث **﴿إلّا أن تفعلُوا إلى أوليائِكم معروفاً﴾** من البرّ والصِّلة والوصية، **﴿كان ذلك في الكتابِ مَسْطُوراً﴾** هذا الحكم مقدر مكتوب في الكتاب الأول [عند الله تعالى].

الآية: **٥** روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتهدَ الحاكم فأصابَ فله أجران، وإن اجتهدَ فأخطأَ فله أجرٌ» أي على حُسْنِ قصدِهِ وبذلِهِ الجهدَ في اجتهادِهِ. /ابن كثير ج٣/٤٦٧.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

٧: ﴿**وإذْ أخذنا مِن النبيّين ميثاقَهم**﴾ يُخبر تعالى عن أولي العزم الخمسة وبقيّة الأنبياء أنّه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق ﴿**ومنكَ ومِن نُوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابنِ مريمَ**﴾ بدأ بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه وعليهم، ثم رتّبهم بحسب وجودهم، ﴿**وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾ [أي: عهداً وثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة]. والميثاق الغليظ: العهد ٨: ﴿**ليسألَ الصادِقِين عن صدقِهم**﴾ المُبلّغين المؤدّين عن الرسل، ﴿**وأعدَّ للكافرين**﴾ مِن أُممهم ﴿**عذاباً أليماً**﴾، فنحنُ نشهدُ أنّ الرسل قد بلّغوا رسالاتِ ربّهم ونصحُوا الأممَ ٩: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم**﴾ يُذكّر تعالى عبادَه المؤمنين بنعمته وفضله في صرفه أعداءهم عام تألّبُوا عليهم وتحزّبوا، وذلك عام الخندق، ﴿**إذْ جاءتكم جُنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجُنوداً لم ترَوْها وكان اللهُ بما تعملون بصيراً**﴾. [وقد كانت وقعة الخندق سنة خمس] ١٠: ﴿**إذْ جاؤوكم من فوقِكُم**﴾ الأحزاب [أي: قريش ومن معهم من كِنانة وأهل تهامة وغطفان بمن معها من أهل نجد، نزلُوا إلى جانب أُحُد]، ﴿**ومِن أسفلَ منكم**﴾ وهم بَنُو قُريظة ﴿**وإذْ زاغتِ الأبصارُ وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ**﴾ من شدّة الخوف والفزع ﴿**وتظنُّون باللهِ الظُّنُونا**﴾، ظنَّ بعضُ من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الدائرة على المؤمنين، وأنّ الله سيفعل ذلك. ظنَّ المنافقون أنّ محمداً وأصحابه يُستأصَلُون. وأيقن المؤمنون أنّ ما وَعَدَ اللهُ ورسولُهُ حقٌّ، وأنّه سيظهرَهُ على الدِّين كله ولو كره المشركون ١١: ﴿**هُنالِكَ ابْتُلِيَ المؤمنون**﴾ حين نزلت الأحزاب حول المدينة ﴿**وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شديداً**﴾، والمسلمون محصُورُون في غاية الجهد والضيق، فحينئذٍ ظهرَ النفاق وتكلّم الذين في قلوبهم مرضٌ بما في أنفسِهم ١٢: ﴿**وإذْ يقولُ المنافِقُون والذين في قلوبهم مرض**﴾ شُبهة: ﴿**ما وعَدَنا اللهُ ورسولُهُ إلّا غُرُوراً**﴾ ١٣: ﴿**وإذْ قالتْ طائفةٌ منهم**﴾ [أي: من المنافقين]: ﴿**ياأهلَ يثرِبَ**﴾ [أي: يا أهلَ المدينة] روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن سمى المدينة يثرب فليستغفرِ اللهَ، إنّما هي طابة هي طابة»، ﴿**لا مُقَامَ لكم**﴾ يعنون في مقام المرابطة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**فارجِعُوا**﴾ إلى بيوتكم. ﴿**ويستأذنُ فريقٌ منهم النبيَّ**﴾ وهم بنو حارثة ﴿**يقُولُون إنّ بُيُوتَنَا عورة**﴾ ليس دُونها ما يحجبها من العدو ﴿**وما هي بعورة**﴾ ليست كما يزعُمُون ﴿**إنْ يُريدُونَ إلّا فِرَاراً**﴾ هَرَباً مِن الزحف ١٤: ﴿**ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارِها**﴾ لو دخل عليهم العدوُّ من كل جانب من جوانب المدينة ﴿**ثم سُئِلُوا الفِتْنَةَ**﴾ وهي الدخول في الكفر ﴿**لأتَوْها**﴾ لكفروا سريعاً ﴿**وما تلبّثُوا بها إلّا يسيراً**﴾ فهم لا يُحافِظُون على الإيمان. وهذا ذَمٌّ لهم في غاية الذمِّ. ثم يُذكِّرُهم تعالى بما كانوا عاهدُوا الله من قبل هذا الخوف أنْ لا يُولُّوا الأدبار ولا يفرُّون مِن الزحف فقال تعالى: ١٥: ﴿**ولقد كانوا عَاهَدُوا اللهَ من قبلُ لا يُوَلُّونَ الأدْبارَ وكان عَهْدُ اللهِ مسؤولاً**﴾ إنّ الله سيسألهم عن ذلك العهد، لابُدَّ من ذلك.

الآية: ١٣ روى الإمام أحمد عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سمّى المدينة يثرب فليستغفرِ اللهَ تعالى، إنّما هي طابة، هي طابة »، وفي إسناده ضَعْفٌ [فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى]. /ابن كثير ج٣/٤٧٣.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

١٦: ﴿قُلْ لَنْ ينفعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُم من الموتِ أو القتلِ﴾ أخبرهم أنّ فرارهم ذلك لا يُؤخِّرُ آجالهم ولا يطوّل أعمارَهم، بل ربّما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرّةً، ولهذا قال تعالى: **﴿وإذاً لا تُمتَّعُون إلّا قليلاً﴾** بعد فراركم **١٧: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الذي يعصمكم مِن اللهِ﴾**؟ يمنعكم **﴿إن أرادَ بكم سُوءاً أو أرادَ بكم رحمةً ولا يجِدُون لهم مِن دُون اللهِ وليّاً ولا نصيراً﴾** ليس لهم ولا لغيرهم مِن الله مُجيرٌ ولا مغيث **١٨: ﴿قَدْ يعلمُ اللهُ المُعَوِّقِين منكم﴾** يُخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوِّقين لغيرهم عن شهود الحرب **﴿والقائلين لإخوانِهم﴾** أصحابِهم **﴿هَلُمَّ إلينا﴾** إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك **﴿لا يأتُون البأسَ إلّا قليلاً﴾** [أي: خوفاً من الموت] **١٩: ﴿أشحّةً عليكم﴾** بخلاء بالمودّة والشفقة عليكم **﴿فإذا جاءَهُمُ الخوف رأيتهم ينظرون إليكَ تَدُورُ أعينُهم كالذي يُغْشَى عليه من الموتِ﴾** من شدّة خوفه وجزعه. **﴿فإذا ذهبَ الخوفُ سَلَقُوكم بألسنةٍ حِدادٍ﴾** فإذا كان الأمن تكلّموا كلاماً بليغاً وادّعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذِبون في ذلك. وسَلَقُوكم: أي استقبلوكم. **﴿أشحّةً على الخير﴾** ليس فيهم خير، قد جمعُوا الجُبْنَ والكذب وقلّة الخير. **﴿أولئك لم يُؤمِنُوا﴾** [يعني: بقلوبهم وإن كان ظاهرهم الإيمان] **﴿فأحبَطَ اللهُ أعمالَهُم﴾** [فلم يُثبهم عليها] **﴿وكان ذلكَ على اللهِ يسيراً﴾** سهلاً هيناً عندهُ **٢٠**: وهذه من صفاتهم القبيحة في الجبن والخَوَر: **﴿يَحْسَبُونَ الأحزابَ لم يذهبُوا﴾** وأنّ لهم عودةً إليهم **﴿وإنْ يأتِ الأحزابُ﴾** [أي: للقتال] **﴿يَوَدُّوا لو أنّهم بَادُون في الأعراب﴾** يَوَدُّون ألّا يكونوا حاضرين معكم في المدينة بل في البادية **﴿يسألُون عن أنبائكم﴾** وما كان من أمركم مع عدوّكم، **﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلُوا إلّا قليلاً﴾** لكثرة جُبْنِهم وضعف يقينهم بالله تعالى **٢١: ﴿لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كان يرجُوا اللهَ واليوم الآخِرِ وذكر اللهَ كثيراً﴾** هذه الآية الكريمة أصلٌ كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمرَ تعالى بذلك يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته وانتظارهِ الفَرَجَ من ربِّه عزّ وجلّ. ثم قال تعالى عن عباده المصدّقين بوعد الله: **٢٢: ﴿ولمّا رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورسولُهُ وصدقَ اللهُ ورسولُهُ﴾** مِن الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصرُ القريب؛ يعنون قولَهُ تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّةَ ولمّا يأتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا من قبلكم مسّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ وزُلْزِلُوا حتى يقولَ الرسولُ والذين آمنوا معه متى نصرُ الله؟ ألا إنّ نصرَ اللهِ قريبٌ﴾. **﴿وما زادَهم إلّا إيماناً وتسليماً﴾** إيماناً بالله وانقياداً لأوامره وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: **١٦** روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « اجتنبُوا السبعَ المُوبقاتِ »، قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال: « الإشراكُ بالله، والسِّحْرُ، وقتلُ النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتولّي يومَ الزحف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات ». /الترغيب ج٢/٣٠١-٣٠٢.

مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾

٢٣: ﴿مِن المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عَاهَدُوا اللهَ عليه﴾ لمّا ذكرَ تعالى عن المنافقين أنّهم نقضوا العهد، وصف المؤمنين أنهم استمرُّوا عليه **﴿فمنهم مَن قضَى نحبَهُ﴾** أجلَهُ في عهده، **﴿ومنهم من ينتظر﴾** [أي: الشهادة]، **﴿وما بَدَّلُوا تبديلاً﴾** وما غيّروا عهدَ اللهِ ولا نقضوه ولا بدَّلُوهُ **٢٤: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصادِقين بصدقِهم ويُعذِّبَ المنافقين إنْ شاءَ أو يتوبَ عليهم﴾** إنّما يختبر تعالى عبادَهُ بالخوف والزلزال ليميزَ الخبيثَ مِن الطيِّب، فيظهر أمرُ هذا بالفعل وأمرُ هذا بالفعل، مع أنّه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكنْ لا يُعذِّبُ الخلقَ بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم، كما قال تعالى: ﴿ولنبلونّكم حتى نعلمَ المجاهِدين منكم والصابِرين ونبلُوَ أخباركم﴾ فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصلاً به قبل وُجُودِهِ. **﴿إنّ اللهَ كان غفوراً رحيماً﴾** فرحمتُهُ ورأفتُهُ بخلقِهِ هي الغالبة **٢٥:** يُخبر تعالى عن الأحزاب لمّا أجلاهم عن المدينة فيقول: **﴿وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالُوا خيراً﴾** بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهيّة، ففرّق جماعتهم وردّهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيراً لا في الدنيا ولا في الآخرة بما تحمّلُوه من الآثام. **﴿وكفَى اللهُ المؤمنين القتالَ﴾** لم يحتاجوا إلى مُنَازلتِهم ومبارزتِهم حتى يُجلوهم عن بلادِهم؛ بل كفَى اللهُ وحدَهُ نصرَ عبدهِ وأعزّ جُنده، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا إله إلّا اللهُ وَحْدَهُ، صدقَ وَعْدَهُ، ونصرَ عبدَهُ، وأعزَّ جندَهُ، وهزمَ الأحزاب وَحدَهُ، فلا شيءَ قبلَهُ ولا شيء بعدَهُ»، **﴿وكان اللهُ قويّاً عزيزاً﴾ ٢٦: ﴿وأنزلَ الذين ظَاهَرُوهم مِن أهلِ الكتاب﴾** بني قريظة مِن اليهود الذين عاوَنُوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿مِن صَيَاصِيهم﴾** حصونهم. وذلك بعد حصارهم خمساً وعشرين يوماً، فلمّا طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وحكم فيهم أن تُقتل مُقاتِلتُهم وتُسبَى ذريّتُهم وأموالُهم، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد حكمت بحكم الله تعالى»، **﴿وقذفَ في قلوبهم الرعبَ فريقاً تقتلون وتأسِرُون فريقاً﴾ ٢٧: ﴿وأورثكم أرضَهم ودِيارَهم وأموالَهم﴾** جعلها لكم من قتلكم لهم **﴿وأرضاً لم تطأُوها﴾** [وهي كلُّ أرضٍ تُفتح إلى يوم القيامة]، **﴿وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ قديراً﴾ ٢٨: ﴿يا أيُّها النبيُّ قُلْ لأزواجِكَ إن كنتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدنيا وزينتها فتعَالَين أمتعكُنَّ وأسرحكُنّ سراحاً جميلاً﴾** هذا أمرٌ من الله لرسوله بأن يُخيّر نساءَهُ بين أن يفارقَهُنَّ ويُعطيهنّ حقوقهنّ، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال **٢٩: ﴿وإن كُنتنّ تُرِدْنَ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرةَ فإنّ اللهَ أعدَّ للمحسناتِ منكُنّ أجراً عظيماً﴾** [فاخترنَ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرةَ] وكُنَّ تسع نسوة خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسَوْدة وأم سلمة، وصفيّة النضيريّة، وميمونة الهلاليّة، وزينب الأسديّة، وجويريّة المصطلقيّة رضي الله عنهنَّ **٣٠:** يقول تعالى واعِظاً نساءَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم **﴿ يا نِسَاءَ النبي من يأتِ مِنكُن بفاحِشةٍ مُبيّنةٍ يُضاعَفْ لها العذابُ ضعفين﴾** في الدنيا والآخرة، وذلك صيانةً لجنابِهنّ الرفيع، وهذا تخصيص لهنّ دون سائر النساء، **﴿وكان ذلك على اللهِ يسيراً﴾** سهلاً هيناً.

الجزء ٢٢
الحزب ٤٣

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٣١: ﴿ومَن يقنتْ مِنكُنّ لله ورسوله﴾ تطع اللهورسوله **﴿نُؤتِها أجْرَها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾** في الجنّة،، فإنهنّ في منازل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الجنّة **٣٢: ﴿يا نساءَ النبيِّ لَسْتُنّ كأحدٍ مِنَ النساءِ إنِ اتقيتُنّ﴾** في هذه الآية آدابٌ أمرَ اللهُ تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونساءُ الأمة تبعٌ لهنّ، **﴿فلا تخضعنَ بالقولِ﴾** يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبْنَ الرجال **﴿فيطمعَ الذي في قلبهِ مرض﴾** دغل **﴿وقُلْنَ قولاً معروفاً﴾** في الخير بلا ترخيم **٣٣: ﴿وقَرْنَ في بُيُوتِكُنّ﴾** إلزمنَ بيوتكنَّ فلا تخرجنَ لغير حاجةٍ، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تمنعُوا إماءَ اللهِ مساجدَ الله، وليخرجنَ وهُنّ تفِلات [أي: تاركات للطيب] وبُيُوتُهنّ خيرٌ لهنّ»، **﴿ولا تبرَّجْنَ تبرُّجَ الجاهليّةِ الأولى﴾** التبرّج: أنّها تلقي الخمار على رأسها ولا تشدّه فيُواري قلائدَها وقرطها وعنقها، وتمشي بين يدي الرجال مشية تكسّر وتغنج، **﴿وأقمنَ الصلاةَ وآتين الزكاةَ وأطعنَ اللهَ ورسولَهُ﴾** نهاهُنّ أولاً عن الشرّ، ثم أمرهنّ بالخير من إقامة الصلاة، وهي عبادةُ اللهِ وحدَهُ لا شريك له، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين **﴿وأطِعْنَ الله ورسولَهُ﴾** وهذا من باب عطف العام على الخاص. **﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تطهيراً﴾** هذا نصٌّ في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل البيت هٰهنا؛ لأنهنّ سببُ نزول هذه الآية، قال عكرمةُ وابنُ عباس: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصّةً **٣٤: ﴿واذكُرْنَ ما يُتلَى في بُيُوتكنّ من آياتِ اللهِ والحكمة﴾** واعملنَ بما يُنزِّل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في بُيُوتِكُن مِن الكتاب والسنّة. وهذه نعمة خُصِصْنَ بها من بين النّاس؛ أنّ الوحي ينزلُ في بيوتهنّ. وإذا كان أزواجه من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم فقرابته أحقُّ بهذه التسمية، كما في الحديث: «أذكّرُكُمُ اللهَ في أهل بيتي، ثلاثاً». **﴿إنّ الله كان لطيفاً خبيراً﴾** بكُنّ، وأنكُنّ أهل لذلك **٣٥:** روى النسائي عن أمّ سَلَمةَ رضي الله عنها أنّها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا نبيّ الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يُذكرون؟ فأنزل الله تعالى: **﴿إنّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ﴾** [بدأ تعالى بذكر الإسلام، لأنه يعم الإيمان، والإسلام عمل الجوارح، والإيمان عمل القلب، وذكره تخصيصاً له وتنبيهاً على أنه عُظْمُ الإسلام ودِعَامتُهُ]، **﴿والقانِتين والقانِتاتِ﴾** القنوتُ: هو الطاعة في سَكَنٍ، **﴿والصادِقين والصادقات﴾** في الأقوال، وهو علامة الإيمان، **﴿والصابرينَ والصابراتِ﴾** على المصائب، لأنّ المقدّرَ كائنٌ لا محالة، **﴿والخاشعين والخاشعات﴾** الخشوعُ: السكونُ والتواضعُ، **﴿والمتصدِّقينَ والمتصدّقاتِ﴾** الصدقةُ: الإحسان إلى المحاويج، **﴿والصائمِينَ والصائماتِ﴾** والصومُ: زكاةُ البدن، يُطهره ويُزكيه ويُنقيه من الأخلاط الرديئة، **﴿والحافظينَ فروجَهم والحافظاتِ﴾** عن المحارم، **﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللهُ لهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾**.

الآية: ٣٥ كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدُكم فليقُلْ: اللّهمَّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيَا، وبك نموتُ، وإليك النُّشورُ، وإذا أمسى فليقُلْ: اللّهمَّ بك أمسينَا وبك أصبحنَا، وبك نحيَا، وبك نموتُ، وإليك المصير»، رواه الترمذي وصححه/الوابل الطيب/١٩٤ ـ ١٩٥/.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٦: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب لزيد فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه، وكانت امرأة فيها حِدّة فأنزل الله تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسولُهُ أمراً أن يكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أمرهم**﴾ ثم أجابَتْ. والآية عامّةٌ في جميع الأمور، وذلك أنّه إذا حكمَ اللهُ ورسولُهُ بشيءٍ فليس لأحدٍ مخالفته، ولا اختيار لأحد هٰهنا ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿فلا وربِّكَ لا يُؤمنون حتى يُحكِّمُوكَ فيما شجرَ بينهم، ثم لا يجدُوا في أنفسهم حَرجاً مِمّا قضيتَ ويُسلِّمُوا تسليماً﴾ وفي الحديث: «والذي نفسي بيدِهِ لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يكونَ هَواهُ تبعاً لِما جئتُ بهِ»، ﴿**ومَن يعص الله ورسولَهُ فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً**﴾ **٣٧**: يقول تعالى مخبراً عن نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لمولاه زيدٍ الذي أنعم الله عليه بالإسلام: ﴿**وإذْ تقولُ للذي أنعم اللهُ عليه وأنعمتَ عليه**﴾ بالعتقِ مِن الرِّقِّ، وكان سيّداً كبيراً، يُقال له: الحُبُّ، ولابنه أسامة: الحُبُّ ابن الحُبِّ، ﴿**أمْسِكْ عليكَ زوجَكَ**﴾ وقد زوّجَهُ بابنة عمته زينب، فمكثت عنده سنة، ثم وقع بينهما، فجاء زيدٌ يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقول له: ﴿**أمْسِكْ عليك زوجكَ واتّقِ الله**﴾ قال الله تعالى: ﴿**وتُخفِي في نفسِكَ مااللهُ مُبديهِ**﴾ من أنّها ستكون من أزواجه ﴿**وتخشَى النّاسَ**﴾ [أي: تستحيهم لئلّا يقولوا تزوّج مطلّقةَ متبنّاه]، ﴿**واللهُ أحقُّ أن تخشاه**﴾ [أي: واللهُ أحق أن تستحيي منه]، ﴿**فلمّا قضَى زيدٌ منها وَطَراً**﴾ لمّا فارقها وانقضت عِدّتُها ﴿**زَوَّجْنَاكَها**﴾ وكان الذي وَلِيَ تزويجها منه هو اللهُ عزّ وجلّ، ﴿**لكي لا يكون على المؤمنين حَرَجٌ في أزواجِ أدْعِيائِهم إذا قَضَوْا منهنّ وَطَراً**﴾ فعلنا ذلك لئلّا يبقَى حرجٌ على المؤمنين في تزويج مطلّقات الأدعياء، فإنّ ذلك كان كثيراً فيهم ﴿**وكانَ أمرُ اللهِ مفعُولاً**﴾ كائناً لا محالة، وكانت زينب من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **٣٨**: ﴿**ما كان على النبي مِن حَرَجٍ فيما فرَضَ اللهُ لهُ**﴾ فيما أحلَّ له من تزويج زينب التي طلّقها دعيُّهُ زيدٌ، ﴿**سنّةَ اللهِ في الذين خَلَوْا مِن قبلُ**﴾ هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم تعالى بشيءٍ وعليهم في ذلك حرج، ﴿**وكان أمرُ اللهِ قَدَراً مقدوراً**﴾ كائناً وواقعاً لا محالة **٣٩**: ﴿**الذين يُبلِّغون رسالات الله**﴾ يُؤدُّونها إلى خلقه ﴿**ويخشونَهُ**﴾ يخافونه ﴿**ولا يخشَوْن أحداً إلّا الله**﴾ فلا تمنعهم سطوة أحدٍ عن إبلاغ رسالة الله ﴿**وكفَى باللهِ حسيباً**﴾ ناصراً ومعيناً **٤٠**: ﴿**ما كان محمدٌ أبا أحدٍ مِن رجالِكم**﴾ نهى سبحانه أن يقال بعد هذا: زيد بن محمد، أي: لم يكن أباه، وإن كان قد تبنّاه، ولم يعش له صلى الله عليه وآله وسلم ذكرٌ حتى بلغ الحُلُم، وقد وُلِدَ له من خديجة القاسم والطيب والطاهر، ومن مارية إبراهيم، وماتوا صِغاراً. ﴿**ولكن رسولَ اللهِ وخاتَمَ النبيين**﴾ فلا نبيَّ بعده ﴿**وكان اللهُ بكل شيءٍ عليماً**﴾ **٤١**: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اذكُروا اللهَ ذكراً كثيراً**﴾ يأمر تعالى عباده بكثرة ذكرِهِ، المنعم عليهم بأنواع النعم وجزيل الثواب وجميل المآب **٤٢**: ﴿**وسبِّحُوهُ بُكرةً وأصيلاً**﴾ صباحَ مساءَ **٤٣**: ﴿**هو الذي يُصلي عليكم وملائكتُهُ**﴾ هذا تهييجٌ إلى الذكر أي: أنّه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، ﴿**لِيُخرجَكم مِن الظلماتِ إلى النّور، وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٤: ﴿تحيّتُهم يومَ يلقونهُ سلامٌ﴾ تحيّتُهم من الله يوم يلقونه سلامٌ، أي: يُسلِّم عليهم، كما قال تعالى: ﴿سلامٌ قولاً مِنْ ربٍّ رحيم﴾. **﴿وأعدَّ لهم أجراً كريماً﴾** الجنّة وما فيها مِمّا لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر **٤٥: ﴿يا أيُّها النبيُّ إنّا أرسلناكَ شاهِداً﴾** على أمتك **﴿ومبشراً﴾** لهم بالجنّة **﴿ونذيراً﴾** مِن النّار **٤٦: ﴿وداعياً إلى الله﴾** إلى شهادة أنْ لا إلٰهَ إلّا الله **﴿بإذنِهِ وسراجاً منيراً﴾** بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿لتكونوا شهداءَ على النّاسِ ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً﴾. **﴿وسراجاً منيراً﴾** وأمرك ظاهر فيما جئتَ به من الحقّ كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلّا مُعاند **٤٧: ﴿وبشِّرِ المؤمنينَ بأنّ لهم مِن اللهِ فضلاً كبيراً﴾** [أمره تعالى أن يُبشِّرَ المؤمنين بالفضل الكبير من الله تعالى] **٤٨: ﴿ولا تُطعِ الكافِرين والمنافقين ودعْ أذاهم﴾** لا تُطعهم وتسمع كلامهم الذي يقولونه، **﴿ودَعْ أذاهُم﴾** اصفحْ وتجاوز عنهم، وكِلْ أمرَهم إلى الله تعالى، فإنّ فيه كفاية لهم، ولهذا قال تعالى: **﴿وتوكّلْ على اللهِ وكفَى باللهِ وكيلاً﴾** [أمرَهُ بالتوكل عليه وآنسَهُ بقوله: **﴿وكفى بالله وكيلاً﴾**، وفي قوّة الكلام وَعْدٌ بنصرِه. والوكيلُ: الحافظ القائم على الأمر] **٤٩: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتمُ المؤمناتِ ثم طلقتُموهنّ من قبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ فما لكم عليهِنّ مِن عِدّةٍ تعتَدُّونها﴾** إنّ المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عِدّة عليها، فتذهب فتتزوّج في فورها مَن شاءت، إلّا المتوفى عنها زوجها، فإنّها تعتدُّ منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها، بإجماع العلماء. **﴿فمتِّعُوهُنّ﴾** المتعة هنا إن لم يكن سمّى لها صداقاً وأمتعها على قدر يُسره، وإن كان سمّى لها صداقاً فليس لها إلّا النصف، كما قال تعالى: ﴿وإن طلقتموهُنَّ مِن قبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ وقد فرضتم لهنّ فريضة فنصفُ ما فرضتم﴾. **﴿وسرِّحُوهُنَّ سراحاً جميلاً﴾** [أي: بلا إضرارٍ بهنّ] **٥٠: ﴿يا أيُّها النبيُّ إنّا أحللنا لكَ أزواجَكَ اللاتِي آتيتَ أجُورَهُنَّ﴾** خاطب الله تعالى بأنّه قد أحلّ له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهُنَّ مُهُورَهُنَّ، **﴿وما ملكتْ يمينُكَ مِمّا أفاءَ اللهُ عليك﴾** وأباح لك التسرّي مِمّا أخذت من الغنائم، وقد ملكَ صفيّة وجوريّة فأعتقهما وتزوّجهما، وملكَ ريحانة النضرية ومارية القبطية، وكانتا من السراري رضي الله عنهم جميعاً. **﴿وبناتِ عمِّكَ وبناتِ عمّاتِكَ وبناتِ خالاتِكَ اللاتي هاجَرْنَ معك﴾** اللاتي أسلمنَ معك، **﴿وامرأةً مؤمنةً إنْ وهَبتْ نفسَها للنبيِّ إنْ أرادَ النبيُّ أن يستنكحَها خالِصَةً لك﴾** يحل لك أن تتزوّجها بغير مهرٍ إنْ شِئتَ ذلك، **﴿خالِصَةً لكَ مِن دُونِ المؤمنين﴾** لا تحِلُّ الموهبةُ لغيرك، حتى يُعطيها شيئاً. وإذا فوضت المرأةُ نفسها إلى رجل فإنّه متى دخل بها -أي: بعد العقد- وجب لها مهرُ مثلها. **﴿قد علمنَا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكتْ أيمانُهم﴾** من حصرهم أربع نسوة حرائر وما شاؤوا من الإماء **﴿لكيلا يكونَ عليكَ حَرَجٌ وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً﴾** [آنَسَ تعالى جميعَ المؤمنين بغفرانه ورحمته].

الآية : ٥٠ روى الإمام أحمد والشيخان في صحيحيهما عن سهل بن سعد الساعدي أنّ رسول الله ﷺ جاءتْهُ امرأة فقالت : يا رسول الله إنّي قد وهبتُ نفسي لك ، فقامت قياماً طويلاً ، فقام رجلٌ فقال : يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله ﷺ : « هل عندك من شيءٍ تُصْدِقُها إيّاه ؟» فقال : ما عندي إلاّ إزاري هذا ، فقال : « إن أعطيتها إزاراكَ جلستَ لا إزارَ لك ، فالْتمِسْ شيئاً » ، فقال : لا أجدُ شيئاً ، فقال : « الْتمِسْ ولو خاتماً من حديد » فالتمَسَ فلم يجدْ شيئاً ، فقال له النبي ﷺ : « هلْ معكَ من القرآنِ =

الحزب ٤٣

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

٥١: ﴿**تُرْجِي مَن تشاءُ مِنهُنَّ**﴾ تُؤخر من تشاء مِن الواهِبات ﴿**وتؤوي إليكَ مَن تشاء**﴾ مَن شِئتَ قبلتَها ومن شئتَ رددتَها، ومَن رددتَها أنتَ فيها بالخِيار، ولهذا قال تعالى: ﴿**ومَن ابتغيتَ مِمَّنْ عزَلْتَ فلا جُناحَ عليكَ**﴾ والآية عامّةٌ في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنّه مخيّر فيهنّ إن شاء قسَم بينهنّ وإن شاء لم يقسم، ولهذا قال تعالى: ﴿**ذلك أدْنى أن تقرَّ أعينُهنّ ولا يَحزَنّ ويَرْضَيْنَ بما آتيتَهُنَّ كلّهنَّ**﴾ إذا علمنَ أنّ الله قد وضعَ عنك الحَرَجَ في القَسْمِ، فإنْ شِئتَ قسمتَ وإن شِئتَ لم تقسِمْ لا جُناحَ عليك في أيِّ ذلك فعلتَ. ﴿**واللهُ يعلمُ ما في قلُوبكم**﴾ مِن الميلِ إلى بعضهنّ دون بعض مِمّا لا يمكن دفعه. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهمّ هذا فعلي فيما أمْلِكُ فلا تلمني فيما تَملِكُ ولا أمْلِكُ» رواه أصحاب السنن. ﴿**وكان اللهُ عليماً**﴾ بضمائر السرائر ﴿**حليماً**﴾ يحلم ويغفر **٥٢**: ﴿**لا يحِلُّ لكَ النساءُ مِن بعدُ ولا أنْ تَبَدّلَ بهِنَّ مِن أزواجٍ ولو أعجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾ نزلت هذه الآية مجازاةً لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضاً عنهنّ على حُسْنِ صنيعهِنّ في اختيارهِنّ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة لَمّا خيّرهُنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان جزاؤهن أنّ الله تعالى قصرَهُ عليهنّ وحرّم عليه أن يتزوّج بغيرهنّ أو يستبدل أزواجاً غيرهُنَّ، ﴿**إلّا ما مَلكَتْ يمينُكَ**﴾ فلا حَرَجَ عليه فيهِنَّ. ثم إنّه سبحانه رفع حكم هذه الآية عنه وأباح له التزوّج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوّج لتكون المِنّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهِنَّ، قالت عائشة: ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحلَّ اللهُ له النساءَ. ﴿**وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ رقيباً**﴾ **٥٣**: هذه آيةُ الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعيّة؛ ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تدخلُوا بُيُوتَ النبي**﴾ هذا حظرٌ على المؤمنين أن يدخلوا منازلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذن كما كانوا يفعلون في الجاهلية حتى غار اللهعلى هذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمّة، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إيّاكم والدخول على النساء» الحديث. ثم استثنى من ذلك فقال تعالى: ﴿**إلّا أن يُؤذَنَ لكم إلى طعامٍ غير ناظِرين إناهُ**﴾ غير مُتحيّنِينَ نُضجَهُ واستواه، أي: إذا قارب الاستواء تعرّضتم للدخول، ﴿**ولكن إذا دُعِيتُم فادْخُلوا**﴾ هذا دليل على تحريم التطفُّل. ﴿**فإذا طَعِمتُم فانتشروا**﴾ فخففُوا عن أهل البيت ﴿**ولا مستأنسين لحديث إنّ ذلكم كان يُؤذِي النبيَّ فيستحْيِي منكم**﴾ فكان يكره أن ينهاهُم عن ذلك مِن شدّة حيائه عليه الصلاة والسلام ﴿**واللهُ لا يستحْيِي مِن الحقِّ**﴾ ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه، ثم قال تعالى: ﴿**وإذا سألتُموهُنَّ متاعاً فاسْألُوهُنَّ مِن وراءِ حجاب**﴾ لو كان لأحدكم حاجةً يريد تناولَها منهنّ فلا ينظر إليهنّ ولا يسألهنّ إلّا مِن وراء حجاب، ﴿**ذلكم أطهرُ لقلوبِكم وقلُوبهِنَّ**﴾ هذا الذي شرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب، ﴿**وما كان لكم أن تُؤذُوا رسولَ الله ولا آن تنكِحُوا أزواجَهُ مِن بعدهِ أبداً إنّ ذلكم كان عندَ اللهِ عظيماً**﴾ **٥٤**: ﴿**إنْ تُبْدُوا شيئاً أو تخفُوه فإنّ اللهَ كانَ بكلِّ شيءٍ عليماً**﴾ فإنه تعالى لا تخفَى عليه خافية.

= شيء ؟» قال : نعم ! سورة كذا وسورة كذا ــ لسور يُسمّيها ــ فقال له النبي ﷺ : « زوجتُكَهَا بما معك من القرآن » . /ابن كثير ج٣/٤٩٩ .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

نصف الحزب ٤٣

٥٥: ﴿لا جُناحَ عليهِنّ في آبائِهِنّ ولا أبنائِهِنّ ولا إخوانِهِنّ ولا أبناء إخوانِهِنّ ولا نسائِهِنّ ولا ما ملكَتْ أيمانُهُنَّ﴾ لمّا أمرَ تبارك وتعالى بالحجاب من الأجانب بيّن أنّ هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿ولا يبدِين زينتَهُنّ إلّا لبعُولَتِهِنّ أو آباءِ بُعولتِهِنّ﴾ الآية. وقوله تعالى ﴿**ولا نسائِهِنّ**﴾ عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات [عدا الكتابيات]، ﴿**ولا ما ملكت أيمانُهُنّ**﴾ أرقائِهن من الذكور والإناث. ﴿**واتّقِين اللهَ إنّ اللهَ كان على كلِّ شيءٍ شهيداً**﴾ واخْشَيْنَهُ في الخلوة والعلانية، فإنّه لا تخفى عليه خافية **٥٦: ﴿إنّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّون على النبيّ﴾** صلاةُ اللهِ تعالى ثناؤُهُ عليه، وصلاةُ الملائكةِ الدعاء، يُبرِّكُون. والمقصود من هذه الآية أنّ الله سبحانه أخبرَ عبادَهُ بمنزلة عبده ونبيّه عندَهُ في الملأ الأعلى بأنّه يثني عليه، ثم أمر الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً**﴾ لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول قد علمنا السلامَ عليكَ فكيف الصلاةُ عليك؟ قال: «قُولُوا: اللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنكَ حميدٌ مجيدٌ» [والصلاة عليه من الأمّة الدعاء الجامع لمعاني الخير، والتعظيم لأمرِهِ صلى الله عليه وآله وسلم] **٥٧:** يقول تعالى متهدّداً ومتوعداً مَن آذاهُ بمخالفته وارتكاب زواجِرِه: ﴿**إنّ الذين يُؤذون اللهَ ورسولَهُ لعنَهُمُ اللهُ في الدنيا والآخرةِ وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً**﴾ نزلت في الذين طعنُوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم [فيما قال أو فعل] **٥٨: ﴿والذين يُؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسَبُوا﴾** ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه ﴿**فقد احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإثْماً مُبيناً**﴾ وهذا هو البهت الكبير؛ أن يُحكَى أو يُنقل عن المؤمنين والمؤمنات على سبيل العيب والتنقص لهم، وأكثر من يدخل في هذا الوعيد الرافضة الذين ينتقِصُون الصحابة ويعيبُونهم بما قد برّأهم اللهُ منه ويصِفُونَهم بنقيض ما أخبر اللهُ عنهم **٥٩: ﴿يا أيُّها النبيُّ قُلْ لأزواجِكَ وبناتِكَ ونساءِ المؤمنين يُدْنِينَ عليهِنَّ مِن جلابيبِهِنّ﴾** ليتميّزنَ عن سمات نساء الجاهليّة. والجلبابُ هو الرِّداءُ فوق الخمار. أمر اللهُ نساء المؤمنين أن يُغطين وجُوهَهُنَّ من فوق رؤوسِهِنّ بالجلابيب، ويُبدين عيناً واحدة، ﴿**ذلك أدْنَى أن يُعْرَفنَ فلا يُؤذَيْنَ**﴾ إذا فعلن ذلك عُرِفنَ أنهنّ حرائر لا عَوَاهِر، ﴿**وكانَ اللهُ غفُوراً رحيماً**﴾ لِما سَلَفَ أيام الجاهليّة. ثم قال تعالى متوعِّداً المنافقين: **٦٠: ﴿لَئِنْ لم ينتهِ المنافِقُون والذين في قلوبهم مرض﴾** وهم الزناةُ هُهنا ﴿**والمُرجِفُون في المدينة**﴾ الذين يقولون جاءت الأعداء كذباً لَئِن لم ينتهوا عن ذلك ﴿**لَنُغْرِيَنّكَ بهم**﴾ لَنُسَلِّطَنّكَ عليهم ﴿**ثم لا يُجاوِرونكَ فيها**﴾ في المدينة ﴿**إلّا قليلاً**﴾ **٦١: ﴿ملعُونين﴾** مطرُودين ﴿**أينَما ثُقِفُوا**﴾ وُجِدُوا ﴿**أُخِذُوا**﴾ لقلّتهم ﴿**وقُتِّلُوا تقتيلاً**﴾ **٦٢: ﴿سُنّةَ اللهِ في الذين خَلَوْا مِن قبلُ﴾** هذه سنّة الله في المنافقين إذا تمرّدوا أنّ أهل الإيمان يقهرونهم ﴿**تجدَ لسنّةِ اللهِ تبديلاً**﴾ لا تُبدّل ولا تُغيّر.

الآية: **٥٦** روى الإمام أحمد والجماعة عن كعب بن عُجْرة أنّه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيفَ السلامُ عليك، فكيفَ الصلاةُ؟ فقال: =

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

٦٣: ﴿يسألُكَ النّاسُ عَنِ الساعةِ قُلْ إنّما علمها عندَ اللهِ﴾ يُخبر تعالى أنّ رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم لا علمَ له بالساعة، وأمرَهُ أن يردَّ علمها إلى الله عزّ وجلّ، لكنّه سبحانه أخبره أنّها قريبة بقوله: **﴿وما يُدْرِيكَ لعلَّ الساعةَ تكونُ قريباً﴾** [أي: في زمان قريب]؟ **٦٤: ﴿إنّ اللهَ لعنَ الكافِرين﴾** أبعدهم من رحمته **﴿وأعدَّ لهم سَعِيراً﴾** في الآخرة **٦٥: ﴿خالدين فيها أبداً﴾** ماكثين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها **﴿ لا يجِدُون وَلِيّاً ولا نصيراً﴾** ليس لهم مغيث ينقذهم مِمّا هم فيه **٦٦: ﴿يوم تُقـلّبُ وُجوههـم في النّـارِ يقولُون﴾** وهم كذلكَ **﴿يا لَيْتَنَـا أطعنَـا اللهَ وأطعنـا الرسـولا﴾** يُسحَبُون في النـار على وُجوهِهم على جهنّم وهم يتمنّون أن لو كانوا في الدنيا مِمّنْ أطاعَ اللهَ وأطاع الرسولَ كما أخبر الله عنهم في حال العَرَصاتِ بقوله تعالى: ﴿ويومَ يعضُّ الظالمُ على يديهِ يقولُ يا ليتني اتخذتُ معَ الرسولِ سبيلاً. يا ويلتا ليتني لم أتخذْ فلاناً خليلاً﴾ **٦٧: ﴿وقالُوا ربَّنـا إنّا أطعنَـا سَادَتَنَا وكبراءَنا فأضـلّونا السَّبيلا﴾** الأمراء والكُبراء من المشيخة وخالفنا الرسولَ، واعتقدنا أنّ عندهم شيئاً وأنّهم على كل شيء فإذا هم ليسُـوا على شيء **٦٨: ﴿ربّنا آتِهم ضِعْفَيْنِ من العذاب﴾** بكفرهم وإغوائهم إيّانا **﴿والعَنْهُم لعناً كـبيراً﴾** [أي: لعناً كثيراً] **٦٩: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسـى فـبرّأهُ اللهُ مِمّـا قـالُوا﴾** روى البخـاري أنّ رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ موسى عليه السلام كان رجلاً حَيياً سِتيراً لا يُرى مِن جلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل فقالُوا ما يتستّرُ هذا التستر إلّا من عيب في جلده إمّا برص وإمّا أُدْرَةٌ –وهي نفخة في الخصيتين– وإمّا آفة، وإنّ اللهَ عزّ وجلّ أراد أن يُبرّئَهُ مِمّا قالُوا... فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأهُ..» الحديث. **﴿وكان عندَ اللهِ وَجيهاً﴾** له جاهٌ عند الله، كان مستجاب الدعوة **٧٠: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقُوا اللهَ﴾** اعبُدُوهُ **﴿وقُولُوا قَولاً سَدِيداً﴾** مستقيماً لا انحراف فيه **٧١: ﴿يُصْلِحْ لكم أعمالَكم﴾** وَعَدَهم أن يُوفقهم للأعمال الصالحة **﴿ويغفِرْ لكم ذُنُوبَكم﴾** الماضية والمستقبلية بأن يُلهِمهم التوبة، **﴿ومَنْ يُطعِ اللهَ ورسولَهُ فقدْ فازَ فوزاً عظيماً﴾** وذلك أنّه يُجَارُ مِن نارِ الجحيم ويصير إلى النعيم المقيم **٧٢: ﴿إنّا عرضنا الأمانةَ على السمواتِ والأرضِ﴾** قبل عرضها على آدم **﴿والجبالِ فأبَيْنَ أن يحملْنَها وأشفقنَ منها﴾** تعظيماً لدين الله ألّا يقوموا بها، ثم عرضها على آدمَ فقبلها **﴿فحملَها الإنسانُ﴾** فقال له: خذها بما فيها فإن أطعتَ غفرتُ لك، وإن عصيتَ عذبتُك، قال: قبلتُ قال ابن عباس: فما كان إلا مقدار ما بين العصر إلى الليل حتى أصاب الخطيئة. **﴿إنّه كان ظلوماً﴾** [أي: لنفسه فيما أصاب من الذنب] **﴿جهولاً﴾** في عاقبةِ أمرِهِ **٧٣: ﴿ليُعَذِّبَ اللهُ المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾** إنّما حَمّلَ بني آدمَ الأمانة وهي التكاليف ليُعذّبَ اللهُ المنافقين منهم والمنافقات والمشركين والمشركات [أي: الذين خانُوا الأمانة]، **﴿ويتُوبَ اللهُ على المؤمنين والمؤمنات﴾** [أي: الذين حافظوا عليها ورعَوْا حقها] فآمنوا بالله وملائكته ورسله وكتبه عاملين بطاعته، **﴿وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾** [أي: بهم].

= «قُولُوا: اللّهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم اللّهمّ باركْ على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيمَ، إنّكَ حميدٌ مجيدٌ». /ابن كثير ج٣/٥٠٧.

ترتيبها ٣٤ **سُورَةُ سَبَإٍ** آياتها ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

تفسير سورة سَبأ

١: ﴿الحمدُ لله الذي له ما فِي السمواتِ وما في الأرض﴾ يُخبر تعالى عن نفسِه الكريمة أنّ له الحمدَ المطلق في الدنيا والآخرة، لأنّه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك **﴿ولهُ الحمدُ في الآخرة﴾** فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدَى، **﴿وهو الحكيمُ﴾** في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَرِهِ **﴿الخبيرُ﴾** الذي لا تخفَى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء، ولهذا قال تعالى: **٢: ﴿يعلمُ ما يلجُ في الأرض وما يخرج منها﴾** يعلم عدد النازل في الأرض من القطر والحب والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيّته وصفاته **﴿وما ينزِلُ مِن السماء﴾** من قطرٍ ورزقٍ، **﴿وما يعرج فيها﴾** من الأعمال الصالحة وغير ذلك **﴿وهو الرحيمُ﴾** بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعُقوبةِ **﴿الغفورُ﴾** عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه **٣: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعةُ قُلْ بلى وربّي لتأتينّكم﴾** أمر الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم أن يُقسم بربِّهِ العظيم على وقوع المَعاد، لَمّا أنكرَهُ مَن أنكرَهُ من أهل الكفر والعِناد، **﴿عالِمِ الغيبِ لا يَعْزُبُ عنه مِثقالُ ذرّةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلّا في كتابٍ مُبين﴾** الجميع مُندرِجٌ تحت علمه فلا يخفَى عليه شيءٌ. ثم بيّن حكمته في إعادته الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى: **٤: ﴿ليجزيَ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ أولئك لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ﴾** لينعم السعداء من المؤمنين **٥: ﴿والذين سَعَوْا في آياتِنا مُعاجزين﴾** سَعَوْا في الصَّدِّ عن سبيلِ الله تعالى وتكذيب رسله **﴿أولئك لهم عذابٌ مِن رِجْزٍ أليمٌ﴾** [الرِّجزُ هو العذابُ] **٦: ﴿ويرى الذين أُوتُوا العلمَ الذي أُنزِلَ إليكَ مِنْ ربِّكَ هو الحقَّ﴾** هذه حكمةٌ أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أنّ المؤمنين بما أُنزِلَ على الرسل إذا شاهَدُوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كُتبِ الله تعالى في الدنيا رأوهُ حينئذٍ عينَ اليقين، ويقولون: ﴿لقد جاءتْ رُسُلُ ربِّنا بالحقِّ﴾، **﴿ويهدِي إلى صراطِ العزيزِ الحميد﴾** [أي: يهدي القرآن إلى طريق الإسلام الذي هو دين الله] **٧: ﴿وقال الذين كفرُوا هل نَدُلُّكم على رجلٍ يُنبئكم إذا مُزِّقتم كلَّ مُمزَّقٍ إنكم لَفِي خَلْقٍ جديدٍ﴾**؟! هذا إخبارٌ مِن الله عزّ وجلّ عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في إخباره بذلك، **﴿يُنبئكُم إذا مُزِّقتُم كلَّ ممزّقٍ﴾** تفرقت أجسادكم في الأرض، وذهبت فيها كل مذهبٍ [وتفرّقتم كل تفريق] **﴿إنّكم﴾** بعدَ هذا الحال **﴿لَفِي خَلْقٍ جديد﴾** تعودُون أحياء بعد ذلك؟!.

الآيات: ٣-٦ هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهنّ مما أمرَ الله تعالى ورسوله ﷺ أن يُقسِمَ بربِّهِ العظيم على وقوع المعاد، لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهنّ في سورة يُونس عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿ ويستنبئونك أحقٌّ هو قُلْ إيْ وربّي إنّه لحقٌّ وما أنتم بمعجزين ﴾ والثانية هذه: ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعةُ قُلْ بلَى وربّي لتأتينّكم ﴾ والثالثة في سورة التغابن، وهي قوله تعالى: ﴿ زعم الذين كفروا أنْ لنْ يُبْعَثُوا قُلْ بلَى وربي لَتُبْعَثُنّ ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على اللهِ يسير ﴾ .

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

٨: ﴿**أَفْتَرَى على اللهِ كَذِباً أَمْ به جِنّةٌ**﴾ هذا الإخبـار لا يخلو أمرهُ إمّا أن يكون تعمد الكذب أنّه أُوحِيَ إليه ذلك، أو أنّه لُبِسَ عليه كما يُلبس على المعتُوهِ والمجنون، فردّ الله عليهم: ﴿**بل الذين لا يُؤمنون بالآخرةِ في العذابِ والضـلالِ البعيدِ**﴾ ليس الأمرُ كما زعمُوا بل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الصادقُ البارُّ الراشدُ الذي جاء بالحقِّ وهم الكذَبَةُ في الضلال في الدنيا [وفي الآخرة في النّار]. ثم قال تعـالى منبهاً لهم على قدرته: ٩: ﴿**أفَلَمْ يَرَوْا إلى ما بينَ أيديهم وما خلفهم مِنَ السماء والأرض**﴾ حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مظلة عليهـم والأرض تحتهـم؛ إنّك إن نظرتَ عن يمينكَ أو عن شمـالكَ [أو من فوقِكَ أو من تحتِكَ] أو من بين يديكَ أو من خلفِكَ رأيتَ السماءَ والأرضَ، ﴿**إنْ نشـأْ نُخْسِفْ بهم الأرضَ أو نُسْقِطْ عليهم كِسَفاً مِنَ السماء**﴾ لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم ولكن نُؤخر ذلك لحلمِنَا، ﴿**إنّ في ذلك لآيةً لكلِّ عبدٍ مُنيب**﴾ تـائب لبيب راجع إلى الله ١٠: ﴿**ولقد آتينـا داوُدَ مِنّا فضـلاً**﴾ يُخبر تعالى عمّا أنعم به على عبده ورسوله داود عليه السـلام من الفضـل في جمعه له بين النبوّة والمُلْك، ﴿**يا جبالُ أَوِّبي معه**﴾ وما منحه من الصوت العظيم الذي إذا سبَّح به تسبح معـه الجبـال الراسيـات ﴿**والطيرَ**﴾ تقف وتجاوبه بأنواع اللّغـات، ﴿**وألَنّا له الحديدَ**﴾ فكـان لا يحتـاج أن يُدخلَهُ ناراً ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيدهِ مثل الخُيُوط، ولهذا قال تعـالى: ١١: ﴿**أنِ اعْمَلْ سَـابغاتٍ**﴾وهي الدُّرُوع،﴿**وقَدِّرْ في السَّرْدِ**﴾ هذا إرشـادٌ من الله تعالى لنبيّه داود في تعليمه صنعةَ الدُّرُوع، ﴿**واعْمَلُوا صالِحاً**﴾ في الذي أعطاكُمُ الله تعالى مِنَ النعم ﴿**إنّي بما تعملون بصير**﴾ مراقبٌ لكم بصيرٌ بأعمالكم وأقوالكم ١٢: لمّا ذكر تعالى ما أنعمَ به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنَه سليمان عليهما السلام: ﴿**ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَوَاحُها شهرٌ**﴾ كان يغدُو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتغدى بها، ويذهب رائحاً من اصطخر فيبيت بكابل. ﴿**وأَسَلْنَا لهُ عينَ القِطْرِ**﴾ النحاس، وكانت باليمن، ﴿**ومِنَ الجنِّ مَن يعملُ بينَ يديهِ بإذْنِ ربِّه**﴾ وسخّرنا له الجنّ يعملون بين يديه بقدرِ ربِّه ما يشاء من البنَايَات وغير ذلك، ﴿**ومَن يَزِغْ منهم عن أمرِنا**﴾ ومَن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿**نُذِقْهُ مِن عذابِ السعير**﴾ وهو الحريق ١٣: ﴿**يعملُون له ما يشاءُ مِن محاريبَ وتماثيل**﴾ المحاريب: أشرف شيء في المسكن ﴿**وتماثيـل**﴾ من نحاس وطين وزجاج، [وهذا يدل على أنها كانت مباحة، ثم نسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم]، ﴿**وجِفَانٍ كالجوَاب**﴾ جمع جابية وهي الحوض للماء ﴿**وقدورٍ رَاسِيَاتٍ**﴾ [أي: تُنحت من الجبال الصُّم، من عمل الشياطين] ﴿**اعمَلُوا آلَ داود شكراً**﴾ على ما أنعم الله به عليكم في الدين والدنيا ﴿**وقليلٌ مِن عبادِيَ الشكور**﴾ هذا إخبارٌ عن الواقع ١٤: ﴿**فلمّا قضينا عليه**﴾ على سليمان ﴿**الموتَ مادلّهم**﴾ الجنّ ﴿**على موتهِ إلّا دابّةُ الأرض**﴾ وهي الأَرَضَةُ ﴿**تأكل مِنْسَأتَهُ**﴾ عصاه ﴿**فلمّا خرَّ تبيّنتِ الجِنُّ أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ مالبِثُوا في العذابِ المُهين**﴾، مكثوا يدِينُون له من بعدِ موته حولاً كاملاً، فتبيّنَ أنّ الجنّ لاتعلم الغيب.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

١٥: ﴿**لقد كانَ لِسَبَإٍ في مسكنهم آيةٌ**﴾ كانت سبأ ملوك اليمن، وأهلها التبابعة وبلْقِيس منهم، كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم واتساع أرزاقهم ﴿**جنّتانِ عن يمينٍ وشمالٍ**﴾ [أي: عن يمين الوادي وعن شِماله]، ﴿**كلوا من رزقِ ربّكم واشكرُوا له**﴾ بتوحيده وعبادته ﴿**بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفورٌ**﴾ [جمع لهم بين مغفرته وطيب بلدهم] ١٦: ﴿**فأعْرَضُوا**﴾ عمّا أُمِرُوا به ﴿**فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ**﴾ فعُوقِبُوا بإرسال السيل والتفرّق في البلاد. وسيل العَرِم: ماء الوادي الغزير، بسبب خراب السَّدّ ﴿**وبدّلناهُم بجنّتيهم جنّتينِ ذَواتَي أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ شجر الأراك [له حملٌ يُوكل]، ﴿**وأثْلٍ**﴾ وهو شجر يشبه الطرفاء ﴿**وشيءٍ مِن سِدْرٍ قليلٍ**﴾ وهو ذو الشوك الكثير والثمر القليل؛ أي: صار أمر الجنّتين إلى هذا، وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم الحقّ ١٧: ﴿**ذلك جَزَيناهُم بما كفَرُوا**﴾ عاقبناهم بكفرهم ﴿**وهل نجازي إلّا الكَفُور**﴾ لا يُعاقب بمثل فعله إلّا الكفور [وذلك أنّ المؤمن يُكفِّرُ عنه سيّئاته، والكافر يُجازيه بسُوءِ عمله] ١٨: يذكرُ تعالى ما كانوا فيه من النعمة والعيش الرغيد والقرى المتواصلة مع كثرة أشجارها وثمارها بحيث أنّ مسافرَهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها**﴾ وهي ما بين صنعاء إلى الشام، كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام ﴿**قرىً ظاهرة**﴾ متواصلة ﴿**وقدّرنا فيها السَّيرَ**﴾ جعلناها بحسب مايحتاج المسافرون إليه ﴿**سيرُوا فيها لياليَ وأيّاماً آمنين**﴾ الأمنُ حاصلٌ لهم في سيرهم ليلاً ونهاراً ١٩: ﴿**فقالُوا ربّنا باعِدْ بينَ أسفارنا**﴾ وذلك أنّهم بطروا هذه النعمة ﴿**وظلَمُوا أنفسَهم**﴾ [ولم يصبروا على العافية وتمنَّوْا] مفاوزَ يحتاجون في قطعها إلى الزاد والسير في الحرور والمخاوف ﴿**فجعلناهم أحاديث**﴾ للنّاس وسَمَراً يتحدّثون بهِ من خبرهم ﴿**ومزّقناهم كلَّ مُمزَّقٍ**﴾ بكفرهم فرّق شملهم ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ لكل صبّارٍ**﴾ على المصائب، ﴿**شكُورٍ**﴾ على النعم ٢٠: ﴿**ولقد صدَّقَ عليهم إبليسُ ظنَّهُ**﴾ في قوله: ﴿لأحتنِكَنّ ذرّيّتَهُ إلّا قليلاً﴾، ﴿**فاتّبعُوهُ إلّا فريقاً مِنَ المؤمنين**﴾ ٢١: ﴿**وما كانَ لهُ عليهم مِن سلطانٍ**﴾ من حُجّة، وما أكرههم على شيء، وما كان إلّا أماني دعاهم إليها فأجابُوهُ، ﴿**إلّا لنعلمَ مَن يؤمن بالآخرةِ**﴾ إنّما سلطانه عليهم ليظهرَ أمرُ مَن هو مؤمن بالآخرة ﴿**ممّن هو منها في شكٍّ**﴾، ﴿**وربُّكَ على كلِّ شيءٍ حفيظٌ**﴾ بحفظه سَلِمَ مَن سَلِمَ مِن المؤمنين مِن ضلال إبليس ٢٢: ﴿**قُلِ ادْعُوا الذين زعمتُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ من الآلهة التي عُبدت مِن دُونه ﴿**لا يملِكون مثقالَ ذرّةٍ في السمواتِ ولا في الأرض وما لهم فيهما مِن شِرْكٍ**﴾ لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشركة ﴿**وما لهُ منهم مِن ظهيرٍ**﴾ وليس لله مِن هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراءُ إليهِ عبيدٌ لَديهِ.

الآية: ١٥ روى الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن وعلة قال: سمعتُ ابنَ عباس يقول: إنّ رجلاً سأل رسولَ اللهِ ﷺ عن سَبَإٍ ماهو؟ أرجلٌ أم امرأة أم أرض؟ قال ﷺ: «بل هو رجلٌ، وُلِدَ له عشرة فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأمّا اليمانيون فمذحج وكِندة والأزد والأشعريون وأنمار وحِمْيَر، وأمّا الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسّان». وإسناده حسن.
/ابن كثير ج٣/٥٣٠/

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ٤٤

٢٣: ﴿**ولا تنفعُ الشفاعةُ عندَهُ إلّا لِمَنْ أذِنَ له**﴾ لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحدٌ أن يشفعَ عنده تعالى في شيء إلّا بعد إذنه له، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الذي يشفعُ عندَهُ إلّا بإذنه﴾ ﴿**حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبِهم قالوا ماذا قال ربُّكم**﴾؟ إذا زال الفزَع عنهم سألَ بعضُهم بعضاً ماذا قال ربّكم؟ فيخبرهم حملة العرش فـ ﴿**قالُوا الحقَّ**﴾ من غير زيادةٍ ولا نقصان ﴿**وهو العليُّ الكبير**﴾ [فله أن يحكم في عبادِهِ بما يُريد] **٢٤**: ﴿**قُلْ مَن يرزقكم مِنَ السمواتِ والأرض؟ قُلِ اللهُ**﴾ يُقرِّرُ تعالى تفردَه بالخلق والرزق ليعلموا أنّه لا إلهَ إلّا هو، ﴿**وإنّا أو إيّاكم لعلى هُدَىً أو في ضلالٍ مُبين**﴾ هذا من باب اللّف والنشر[1]، أي: واحِدٌ من الفريقين مبطل والآخر مُحِقٌّ، ونحنُ قد أقمنا البرهان على توحيد الله فدلّ على بطلان ما أنتم عليه من الشرك **٢٥**: ﴿**قُلْ لا تُسألُون عمّا أجرمنا ولا نُسألُ عمّا تعملون**﴾ التبري منهم، أي: لستُم مِنّا ولا نحنُ منكم، بل ندعُوكم إلى الله وإلى توحيده، فإن أجبتُم فأنتم مِنّا ونحنُ منكم، وإن كذبتم فنحن براء منكم **٢٦**: ﴿**قُلْ يجمعُ بيننا ربُّنا**﴾ يوم القيامة ﴿**ثم يَفْتَحُ بيننا بالحقِّ**﴾ يحكم بيننا بالعدل فيجزي كلَّ عاملٍ بعمله ﴿**وهو الفتاحُ العليمُ**﴾ الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور **٢٧**: ﴿**قُلْ أروني الذين ألحقتُم بهِ شركاء**﴾ أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً، ﴿**كلا**﴾ ليس له نظير ولاشريك ﴿**بل هو اللهُ**﴾ الواحد الأحد ﴿**العزيزُ**﴾ الذي قهرَ كلَّ شيء ﴿**الحكيمُ**﴾ في أفعاله وأقواله وشرعه، تعالى وتقدّس عمّا يقولون **٢٨**: ﴿**وما أرسلناكَ إلّا كافّةً للناس بشيراً ونذيراً**﴾ إلى جميع الخلائق من المكلّفين كما قال تعالى: ﴿قُلْ يا أيُّها الناسُ إني رسولُ اللهِ إليكم جميعاً﴾ ﴿**ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلمون**﴾ [أي: ما لهم مِنَ النفع بإرسالِ الرسل] **٢٩**: ﴿**ويقُولون متى هذا الوعدُ إن كنتُم صادِقين**﴾ [فأجابهم تعالى]: **٣٠**: ﴿**قُلْ لكم مِيعَادُ يومٍ لا تستأخِرُون عنه ساعةً ولا تستقدِمُون**﴾ لكم ميعاد مؤجل معدود لا يُزاد ولا يُنقص فإذا جاء فلا يُؤخر ساعة ولا يُقدّم، كما قال تعالى: ﴿إنّ أجلَ اللهِ إذا جاءَ لا يُؤخر﴾، ﴿وما نُؤخِّرُهُ إلّا لأجلٍ معدود﴾ **٣١**: ﴿**وقال الذين كفرُوا لن نُؤمِنَ بهذا القرآن**﴾ يُخبر تعالى عن تمادي الكفار في طُغيانِهم وعِنادِهم وإصرارِهم على عدم الإيمان بالقرآن، ﴿**ولا بالذي بينَ يَدَيه**﴾ [أي: التوراة والإنجيل]، ثم قال تعالى متهدّداً ومتوعّداً ومخبراً عن موقفهم بين يديه في حال تخاصمهم: ﴿**ولو تَرَى إذِ الظالِمُون مَوْقُوفُون عندَ ربِّهم يرجِعُ بعضُهم إلى بعضٍ القولَ يقولُ الذين اسْتُضْعِفُوا**﴾ وهُمُ الأتباع ﴿**للذين استكبروا**﴾ منهم وهم قادتُهم وسادتُهم: ﴿**لولا أنتم لكنّا مؤمنين**﴾ لولا أنتم تصدُّونا لكُنّا اتّبعنا الرسل وآمنّا بما جاؤونا به، فقال لهم القادةُ والسادةُ وهم الذين استكبرُوا: أنحنُ صَدَدْناكم؟!

---

(١) انظر التعليق على تفسير الآية ٧٣ من سورة القصص.

الآية: **١٩** روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبتُ من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابهُ خيرٌ حمِدَ ربَّهُ وشكرَ، وإنْ أصابتْهُ مصيبة حمِدَ ربَّهُ وصَبَرَ، يُؤجَرُ المؤمن في كلِّ شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته». /ابن كثير ج٣/٥٣٥/

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

٣٢: ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعِفُوا أنحنُ صَدَدْناكم عنِ الهُدَى بعدَ إذْ جاءَكم بلْ كنتم مُجرمين﴾ نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنّا دعوناكم فاتّبعتُمُونا لشهوتكم واختياركم لذلك، ولهذا قالوا: **﴿بلْ كنتم مجرمين﴾ ٣٣: ﴿وقالَ الذين استُضعِفُوا للذين استكبرُوا بلْ مكرُ الّليلِ والنّهار﴾** بل كنتم تمكرون بنا ليلاً نهاراً، وتُغْرُونا وتُخبرونا أنّا على هدىً وأنّا على شيءٍ؛ فإذا جميع ذلك باطل وكذب، ومكركم **﴿إذْ تأمروننا أنْ نكفُرَ بالله ونجعلَ لهُ أنداداً﴾** نُظراء وآلهة معه، وتُقيموا لنا شُبهاً تُضِلُّونا بها، **﴿وأسرّوا الندامةَ لَمّا رَأَوُا العذابَ﴾** الجميعُ مِن السادة والأتباع كلٌّ نَدِمَ على ماسلفَ منه، **﴿وجعلنا الأغلالَ في أعناق الذين كفروا﴾** وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، **﴿هل يُجزَون إلّا ما كانوا يعملون﴾** إنّما نجازيكم بأعمالكم كل بحسبه للقادة عذاب بحسبهم وللأتباع بحسبهم **٣٤:** يقول تعالى مسلياً لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وآمراً له بالتأسي بمن قبله من الرسل: **﴿وما أرسلنا في قريةٍ مِن نذيرٍ إلّا قال مُترَفُوها إنّا بما أُرسلتُم بهِ كافرون﴾**، ومترفوها: هم أولُوا النعمة والحشمة والرياسة في الشرّ؛ أي: لا نُؤمن به ولا نتبعه، ثم قال تعالى عن المترفين المكذبين: **٣٥: ﴿وقالوا نحنُ أكثرُ أموالاً وأولاداً وما نحنُ بمعذَّبين﴾** افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أنّ ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم، وأنّه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يُعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك، ولهذا قال تعالى هُهنا: **٣٦: ﴿قلْ إنّ ربِّي يبسطُ الرزقَ لِمَنْ يشاءُ ويقدِرُ﴾** يعطي المال لمن يحِبُّ ومَن لا يُحب، وله الحكمة في ذلك **﴿ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يعلمون﴾**، ثم قال تعالى: **٣٧: ﴿وما أموالُكم ولا أولادُكم بالّتي تُقرِّبُكم عندنا زُلْفَى﴾** ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم، **﴿إلّا مَن آمَنَ وعمِلَ صالحاً﴾** إنّما يُقرِّبُكم عندنا زلفَى الإيمانُ والعملُ الصالحُ **﴿فأولئك لهم جزاءُ الضعفِ بما عمِلُوا﴾** تُضاعفُ لهم الحسنةُ بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف **﴿وهم في الغُرفَاتِ آمِنُون﴾** في منازل الجنّة العالية آمِنُون من كل بأس وخوف وشرّ **٣٨: ﴿والذين يَسْعَوْنَ في آياتِنا مُعاجِزين﴾** يسعون في الصّدّ عن سبيلِ الله واتباع رسله والتصديق بآياته **﴿أولئك في العذاب محضَرُون﴾** جميعُهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم **٣٩: ﴿قلْ إنّ ربّي يبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ مِن عبادِهِ ويقدِرُ له﴾** بحسب ما له في ذلك مِن الحكمة؛ يبسط على هذا ويُضيق على هذا كما قال تعالى: ﴿انظُرْ كيفَ فضلنا بعضَهم على بعضٍ وللآخرةِ أكبرُ دَرَجاتٍ وأكبرُ تفضيلاً﴾، **﴿وما أنفقتم مِن شيءٍ فهو يُخلِفُهُ﴾** عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب، **﴿وهو خيرُ الرَّازِقِين﴾** [يرزق من خزائن لا تفنَى ولا تتناهَا].

الآية: ٣٧ روى ابن أبي حاتم عن النعمان بن سعد عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّة لغرفاً تُرى ظهورُها من بُطونها وبُطونها من ظهورها»!! فقال أعرابي: لمن هي؟ قال ﷺ: «لمن طيّب الكلام وأطعمَ الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام». وقال رسول الله ﷺ: «قد أفلحَ مَنْ أسلمَ ورُزقَ كَفافاً وقنَّعهُالله بما آتاهُ» رواه مسلم.
/ابن كثير ج٣/٥٤١/

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

الحزب ٤٤

٤٠: ﴿ويوم يحشُرُهم جميعاً ثم يقول للملائكةِ أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون﴾ يُخبر تعالى أنّه يُقرّع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيسأل الملائكة: أأنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال في سورة الفرقان: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل﴾؟ تقولُ الملائكة: **٤١: ﴿قالوا سُبْحانَكَ﴾** تعاليتَ وتقدّست عن أن يكون معك إلهٌ [يُعبد] **﴿أنتَ وَليُّنا مِن دُونهم بلْ كانوا يعبُدونَ الجنّ﴾** نحنُ عبيدُك ونتبرأ إليك من هؤلاء **﴿بل كانوا يعبدون الجنَّ﴾** يعنون الشياطين لأنّهم هم الذين زيّنوا لهم عبادة الأوثان وأضلُّوهم **﴿ أكثرُهم بهم مؤمنون﴾ ٤٢: ﴿فاليومَ لا يَمْلِكُ بعضُكم لبعضٍ نفعاً ولا ضرّاً﴾** لا يقع لكم نفعٌ مِمّن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد التي ادّخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم، اليوم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضرّاً، **﴿ونقولُ للذين ظلَمُوا﴾** وهم المشركون **﴿ذُوقُوا عذابَ النّار التي كنتم بها تكذّبُون﴾** يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً **٤٣: ﴿وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا بيّناتٍ﴾** يسمعونها غضّةً طريةً من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **﴿قالُوا ما هذا إلّا رجلٌ يُريدُ أنْ يَصُدَّكم عمّا كان يعبُدُ آباؤكم﴾** يعنُون أن دين آبائهم هو الحق **﴿وقالُوا ما هذا إلّا إفكٌ مفترى﴾** يعنون القرآن، عليهم لعائنُ الله، **﴿وقالَ الذين كفروا للحقِّ لمّا جاءهم إنْ هذا إلّا سِحْرٌ مُبينٌ﴾**، قال تعالى: **٤٤: ﴿وما آتيناهم مِن كتبٍ يَدْرُسُونَها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾** ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيّاً قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد كانوا يَوَدُّون ذلك ويقولون: لو جاءَنا نذير وأنزل علينا كتابٌ لكنّا أهدَى من غيرنا، فلمّا مَنّ اللهُعليهم بذلك كذّبُوه وعاندوه **٤٥: ﴿وكذّبَ الذين مِن قبلِهم﴾** من الأمم، **﴿وما بلغوا مِعْشَارَ ما آتيناهم﴾** من القوّة في الدنيا **﴿فكذَّبُوا رُسُلِي فكيف كان نكير﴾**؟ وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا ردّه، بل دمّرَ اللهُ عليهم لمّا كذبوا رُسُله **٤٦: ﴿قُلْ إنّما أعظكم﴾** قلْ يا محمد للكافرين إنّما آمركم **﴿بواحدة﴾** وهي: **﴿أن تقُومُوا للهِ مثنَى وفُرَادَى﴾** أن تقُوموا قياماً خالِصاً لله من غير هوىً ولا عصبيّة **﴿ثم تتفكَّرُوا﴾** فيسأل بعضُكم بعضاً **﴿ما بصاحِبكم مِن جِنّةٍ إنْ هو إلّا نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ﴾ ٤٧: ﴿قُلْ ما سألتُكم مِن أجرٍ فهو لكم﴾** لا أريد منكم عطاءً على أداء رسالة الله عزّ وجلّ إليكم **﴿إنْ أجْرِيَ إلّا على اللهِ﴾** إنّما أطلبُ ثوابَ ذلك عندَ الله **﴿وهو على كلِّ شيءٍ شهيد﴾** عالم بجميع الأمور بما أنا عليه، وما أنتم عليه **٤٨: ﴿قُلْ إنّ ربّي يقذف بالحقّ علّامُ الغيوب﴾** يُرسل المَلَكَ [بالوحي] على مَن يشاء من عباده، وهو علّامُ الغيوب فلا تخفى عليه خافية في السموات والأرض.

الآية: ٤٦ روى الإمام أحمد أنّ رسول الله ﷺ خرج على أصحابه يوماً فنادى ثلاث مرّات فقال: «أيها النّاس أتدرون ماَمَثَلي ومثَلكُم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «إنّما مَثَلي ومثَلُكم مَثَلُ قومٍ خافوا عدوّاً يأتيهم، فبعثوا رجلاً يتراءى لهم فبينما هو كذلك أبصرَ العدوَّ، فأقبلَ لينذرهم، وخشي أن يدركه العدو، قبل أن يُنذر قومه، فأهوَى بثوبه؛ أيّها النّاس أوتيتم أيّها النّاس أوتيتم» ثلاث مرات». /ابن كثير ج٣/٥٤٣/

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

٤٩: ﴿قُلْ جاءَ الحقُّ وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعيد﴾ جاء الحقُّ من الله والشرع العظيم، وذهبَ الباطلُ وزهقَ واضمحلَّ، كقوله تعالى: ﴿بل نقذِفُ بالحقِّ على الباطلِ فيدمَغُهُ فإذا هو زَاهِقٌ﴾، ﴿وقُل جاءَ الحقُّ وزهَقَ الباطل إنّ الباطل كان زَهُوقاً﴾ **٥٠: ﴿قُلْ إنْ ضَلَلْتُ فإنّما أضِلُّ على نفسي وإنِ اهتديتُ فبما يُوحِي إليَّ ربّي﴾** الخير كله من عند الله، وفيما أنزلَهُ اللهُ عزّ وجلّ من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد **٥١: ﴿ولو ترى﴾** يا محمد **﴿إذْ فَزِعُوا فلا فَوْتَ﴾** إذا فزِعَ هؤلاء المكذّبون يوم القيامة فلا مفرَّ لهم ولا ملجأ، **﴿وأُخِذُوا مِن مكان قريب﴾** لم يُمكَّنُوا أن يُمنَعُوا في الهرب بل أخذوا مِن أوّل وهلةٍ **٥٢: ﴿وقالُوا آمنّا بهِ﴾** يومَ القيامةِ يقولون: آمنّا بالله وملائكته وكتبه ورسله **﴿وأنّى لهم التناوشُ[1] مِن مكانٍ بعيدٍ﴾** كيف لهم تعاطي الإيمان وقد بَعُدُوا عن محلِّ قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة، وهي دارُ الجزاء لا دار الابتلاء؛ فلو آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم **٥٣: ﴿وقد كفرُوا بهِ من قبلُ﴾** كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحقّ في الدنيا **﴿ويقذِفُون بالغيبِ من مكانٍ بعيدٍ﴾** يُكذِّبُون بالبعث والنشور والمعاد [أي: يرمون بالظنّ، وهذا تمثيلٌ لمن يرجم ولا يُصيب] ﴿ويقولون إنْ نظنُّ إلّا ظنّاً وما نحن بمستيقنين﴾ **٥٤: ﴿وحِيلَ بينَهم وبينَ ما يشتهُون﴾** الإيمان والتوبة فمُنِعُوا منهما، فإنّه قد حِيلَ بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبُوهُ في الآخرة فمُنِعُوا منه، **﴿كما فُعِلَ بأشياعِهم مِن قبلُ﴾** كما جرى للأمم الماضية المكذّبة بالرسل لمّا جاءهم بأسُ اللهِ تمنّوا أن لو آمنوا فلم يُقبل منهم **﴿إنّهم كانوا في شكٍّ مُريب﴾** لم يُتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب؛ لأنّهم كانوا في شكٍّ وريبةٍ. قال قتادة: إيّاكم والشكّ فإنّ مَن مات على شك بُعِثَ عليه، ومَن مات على يقين بُعِثَ عليه.

تفسير سورة فاطر

١: ﴿الحمدُ للهِ فاطِرِ السمٰواتِ والأرض﴾[ثناءٌ من الله تعالى على نفسه في إبداعه وخلقِه السموات والأرض] **﴿جاعلِ الملائكةِ رُسُلاً﴾** بينه وبينَ أنبيائِهِ **﴿أولي أجنحةٍ﴾** يطيرون بها ليبلغُوا ما أُمِرُوا بهِ سريعاً **﴿مثنى وثُلاثَ ورُباعَ﴾** منهم مَن له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر كما لجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، **﴿يزيدُ في الخلقِ ما يشاء﴾** في الأجنحة وخلقهم [وفي كل شيء] **﴿إنّ اللهَ على كل شيءٍ قدير﴾ ٢: ﴿ما يفتحِ اللهُ للنّاسِ مِن رحمةٍ فلا مُمسِكَ لها وما يمسِكْ فلا مُرْسِلَ له من بعدِهِ﴾** يُخبر تعالى أنّه لا مانع لِما أعطى ولا مُعطِي لِما منعَ **﴿وهو العزيزُ الحكيم﴾ ٣: ﴿يا أيُّها النّاسُ اذكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم هَلْ مِن خالِقٍ غيرُ اللهِ يرزقُكم مِنَ السماءِ والأرضِ﴾** يرشد تعالى عباده إلى الاستدلال على توحيده في إفراده بالعبادة له كما أنّه المستقل بالخلق والرزق، فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يُشرك به غيره، **﴿لا إلهَ إلّا هو فأنّى يُؤفكُون﴾**؟! فكيف تُؤفكون [أي: تُصرفون] بعد هذا البيان ووضوح البرهان؟!.

(١) التناوش: التناول، يُريدون تناول الإيمان وهم في الآخر.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

٤: **﴿وإنْ يُكـذِّبُوكَ﴾** يـا محمـد هؤلاء المشركون ويُخالِفُوك **﴿فقد كُذِّبَتْ رسلٌ مِن قبلِكَ﴾** فلك فيمن سلفَ قبلك من الرسل أسوة، فإنّهم كذلك جاؤوا قومَهم بالبيّنات فكـذّبوهـم، **﴿وإلى اللهِ تُرْجَعُ الأمور﴾** وسيجزيهم على ذلك أوفرَ الجزاء ٥: **﴿يا أيّها النّـاسُ إنّ وَعْـدَ اللهِ حقٌّ﴾** المَعَـاد كائن لا محالة، **﴿فـلا تغرنّكـم الحياةُ الدنيـا﴾** العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعدَّ اللهُ لأوليائه، فـلا تـلهـو عن ذلك البـاقي بهذه الزهرةِ الفانيـة، **﴿ولا يغرنّكم باللهِ الغَرُورُ﴾** وهو الشيطـان؛ أي: لا يفتننّكم الشيطـانُ عن تصـديق كلمـاته واتبـاع رسـله ٦: **﴿إنّ الشيطانَ لكم عَدُوٌّ فاتّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾** مُبارِزٌ لكـم بـالعـداوة، فعـادُوهُ أنتم أشدَّ العداوة وخالِفُوه وكذِّبوهُ فيما يغرّكم به، **﴿إنّما يدعُو حِزْبَهُ ليكُونُوا من أصحابِ السّعيرِ﴾** إنّما يقصـد أن يضـلّكـم حتى تدخلُوا معه إلى عـذاب السعـير ٧: **﴿الذين كفـرُوا لهـم عذابٌ شديدٌ﴾** لمّا ذكر تعالى أنّ أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ذكر بعد ذلك أنّ الذين كفـروا لهـم عذابٌ شـديدٌ لأنّهـم أطاعوا الشيطـان وعَصَـوا الرحمن. **﴿والذين آمنوا وعمـلُوا الصـالِحَاتِ لهم مغفرة﴾** لِما كان منهم مِن ذنب **﴿وأجرٌ كبيرٌ﴾** على ما عملوا من خير، ثم قال تعالى: ٨: **﴿أفَمَنْ زُيِّنَ له سُوءُ عملِهِ فرآهُ حَسَناً﴾** كالكفار والفجار يعملون أعمالاً سيّئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنّهـم يُحسِنُون صُنعـاً؛ أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله ألَكَ فيه حيلة؟ لا حيلة لكَ فيه **﴿فإنّ اللهَ يُضِلُّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء﴾** بقدرهِ كانَ ذلك، **﴿فلا تذهبْ نفسُكَ عليهم حَسَراتٍ﴾** لا تأسف على ذلك فإنّ اللهَ حكيمٌ في قدره، وله الحُجّةُ البالغة والعلم التام، ولهذا قال تعالى: **﴿إنّ اللهَ عليمٌ بما يصنعُون﴾** ٩: **﴿واللهُ الذي أرسلَ الرياحَ فتثيرُ سَحاباً فسقناهُ إلى بَلَدٍ ميّتٍ فأحْيَيْنا بهِ الأرضَ بعد موتها كذلِكَ النُّشور﴾** كثيراً ما يستدلُّ تعالى على المَعَادِ بإحيائهِ الأرضَ بعد موتها، يُنبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإنّ الأرضَ تكون ميتةً هامدةً لا نباتَ فيها، فإذا أرسل إليها السحاب وأنزل الماء عليها: ﴿اهتزَّتْ وربَتْ وأنبتَتْ مِن كلِّ زوجٍ بهيج﴾ كذلك الأجساد إذا أرادَ اللهُ تعالى بعثَها ونشورَها أنزل من تحت العرش مطراً تُنبتُ الأجسادَ من قبورها، **﴿كذلكَ النُّشور﴾** ١٠: **﴿مَن كان يُريدُ العِزَّةَ﴾** أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة **﴿فللهِ العِزَّةُ جميعاً﴾** فليلزمْ طاعةَ اللهِ، فإنّه يحصل له المقصود، **﴿إليهِ يصعَدُ الكَلِمُ الطيّبُ﴾** الذكر والتلاوة والدعاء، **﴿والعملُ الصالحُ يرفعه﴾** أداء الفريضة. **﴿والذين يمكرون السيّئاتِ﴾** وهم المراؤون بأعمالهم، يُوهِمُون أنّهم في طاعة الله وهم بغضاء إلى الله **﴿لهم عذابٌ شديدٌ ومكرُ أولئك هُوَ يَبُور﴾** يبطل ويظهر زيفهم ١١: **﴿واللهُ خلقكم مِن ترابٍ ثم مِن نطفةٍ﴾** ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مَهين، **﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾** ذكراً وأنثى، لطفاً منه ورحمة أن جعل لكم من جنسكم أزواجاً لتسكنُوا إليها. **﴿وما تحمِلُ مِن أنثى ولا تضعُ إلّا بعلمه﴾** هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلكَ شيء بل ﴿ما تَسقُطُ مِن ورقةٍ إلّا يعلمها﴾ الآية. **﴿وما يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ ولا يُنقَصُ من عُمُرِهِ إلّا في كتابٍ إنّ ذلك على اللهِ يسيرٌ﴾** ليس أحدٌ قضيتُ بطول العمر أو قدّرتُ له أنّه قصير العمر ؛ إنّما ينتهي إلى الكتاب الذي قدّرتُ.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٤٤

١٢: ﴿وما يستَوِي البحرانِ هذا عَذْبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُهُ﴾ يُنبِّهُ تعالى على قدرته العظيمة في خلق البحرين: العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس بحسب الحاجة في الأمصار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد، **﴿وهذا مِلْحٌ أجاجٌ﴾** وهو البحر الساكن، تكون مياهه مالحةً زعافاً مرّةً، [والأجاج: المرّ] ثم قال تعالى: **﴿ومِن كُلٍّ تأكلون لحماً طريّاً﴾** السمك، **﴿وتستخرجون حِلْيَةً تلبسُونها﴾** اللؤلؤ والمرجان، **﴿وترى الفُلْكَ فيهِ مَواخِرَ﴾** تمخُرُهُ وتشقُّهُ، **﴿لتبتغُوا مِن فضلِهِ﴾** بأسفاركم بالتجارة من قطرٍ إلى قطر، **﴿ولعلّكم تشكُرُونَ﴾** تشكرون ربّكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر تتصرَّفُون فيه كيف شِئتُم وتذهبون أين أردتم، وهذا من فضله ورحمته **١٣: ﴿يُولِجُ اللّيلَ في النّهارِ﴾** وهذا من قدرته التامّة وسلطانه العظيم في تسخيره اللّيلَ بظلامه، والنّهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من طول هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقاربان صيفاً وشتاءً **﴿ويُولِجُ النّهارَ في الليلِ وسخّرَ الشمسَ والقمرَ﴾** بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار مُعيّن، وعلى منهاج مقنّن، تقديراً من عزيزٍ عليم، **﴿كلٌّ يجري لأجلٍ مُسمّىً﴾** إلى يوم القيامة، **﴿ذلكُمُ اللهُ ربُّكم﴾** الذي فعل هذا هو الربُّ العظيم الذي لا إلهَ غيرُهُ، **﴿والذين تدعُون مِن دُونِه﴾** من الأنداد **﴿ما يملِكُون مِن قِطْمِيرٍ﴾**، القطميرُ: اللّفافة التي تكون على نواة التمرة، أي: لا يملكون من السموات والأرض شيئاً ولابمقدار هذا القطمير **١٤: ﴿إن تَدْعُوهُم لا يسمعُوا دُعاءَكُم﴾** الآلهة التي تدعونها من دون الله؛ لأنّها جماد، **﴿ولو سمِعُوا ما استجابوا لكم﴾** لا يقدرون على شيءٍ مِمّا تطلبون منها، **﴿ويومَ القيامة يكفرون بشرِكِكُم﴾** يتبرّؤون منكم **﴿ولا يُنبِّئُكَ مثلُ خبيرٍ﴾** ولا يُخبرك بعواقب الأمور ومآلها مثلُ خبيرٍ بها، يعني نفسَه تعالى، فإنّه أخبر بالواقع لا محالة **١٥: يُخبر تعالى بغنائه عمّا سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه فقال سبحانه: **﴿يا أيّها النّاسُ أنتُم الفقراءُ إلى اللهِ واللهُ هو الغنيُّ الحميد﴾** الخلق جميعاً محتاجون إليه وهو الغنيُّ عنهم بالذات، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويُقدّره ويشرعه **١٦: ﴿إن يشأْ يُذهِبْكُم ويأتِ بخلقٍ جديدٍ﴾** لو شاء لأذهبكم أيُّها النّاسُ وأتى بقومٍ غيركم وما هذا عليه بممتنعٍ، ولهذا قال تعالى: **١٧: ﴿وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ﴾ ١٨: ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى﴾** يوم القيامة **﴿وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها﴾** وإن تدع نفسٌ مثقلة بأوزارِها إلى حمل ما عليها من الأوزار أو بعضَهُ **﴿لا يُحمَلْ منه شيءٌ ولو كانَ ذا قُرْبَى﴾** وإن كان قريباً إليها، كلٌّ مشغولٌ بنفسه وحاله. **﴿إنّما تُنْذِرُ الذين يخشون ربَّهم بالغيبِ وأقامُوا الصلاةَ﴾** إنّما يتعظُ بما جئتَ بهِ الخائفُون مِن ربِّهم الفاعلون ما أمرهم به، **﴿ومَن تزكّى فإنّما يتزكّى لنفسِهِ﴾** ومَن عمل صالحاً فإنّما يعود نفعُهُ على نفسِهِ، **﴿وإلى اللهِ المصيرُ﴾** المرجع والمآب.

الآية: ١٨ قال عكرمة في هذه الآية: إنّ الوالد ليتعلّق بولده يوم القيامة، فيقول: يابُنيّ أيُّ والدٍ كنتُ لك، فيثني خيراً، فيقول له: يابنيّ إنّي قد احتجت إلى مثقال ذرّة من حسناتك أنجو بها ممّا ترى، فيقول له ولده: ياأبتِ ماأيسر ماطلبتَ، ولكنّي أتخوّف مثل ماتتخوّف فلاأستطيع أن أعطيك شيئاً. /ابن كثير ج٣/٥٥٢/

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

١٩: ﴿وما يستوي الأعمى والبصيرُ﴾ كما لا يستوي الأعمى والبصير لما بينهما من فرق كبير **٢٠: ﴿ولا الظلماتُ ولا النّور﴾** وكما لا تستوي الظلمات ولا النّور **٢١: ﴿ولا الظِّلُّ ولا الحَرُور﴾** [الظلُّ: الجنّة، والحَرُور: النّار] كما لا تستوي هذه الأشياءُ المختلفة كذلك لا تستوي الأحياءُ ولا الأموات: **٢٢: ﴿وما يستوي الأحياءُ ولا الأموات﴾** هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمؤمنين، وهم الأحياءُ، وللكافرين، وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أوَمَنْ كانَ مَيتاً فأحييناهُ وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس كمَنْ مَثَلُهُ في الظلماتِ ليسَ بخارجٍ منها﴾؟ ﴿لا يستويانِ مثلاً﴾ فالمؤمنُ بصيرٌ سميعٌ في نور الله يمشي على صراطٍ مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقرَّ به الحال في الجنّات، والكافرُ أعمى وأصمّ يمشي في الظلمات، ويَتِيهُ في غيّهِ وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يُفضي إلى الحميم. **﴿وما أنتَ بمُسْمعٍ مَنْ في القبور﴾** كما لا ينتفعُ الأمواتُ بعد موتِهم بالدعوة إلى الهداية كذلك هؤلاء المشركين لا تستطيع هدايتهم **٢٣: ﴿إنْ أنتَ إلّا نذيرٌ﴾ ٢٤: ﴿إنّا أرسلناكَ بالحقِّ بشيراً ونذيراً﴾** بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين **﴿وإنْ مِنْ أُمّةٍ إلّا خلا فيها نذيرٌ﴾** وما من أُمّةٍ خَلَتْ مِن بني آدم إلّا وقد بعث الله تعالى إليهم النُّذُر **٢٥: ﴿وإن يُكذِّبوك فقد كذَّبَ الذين مِن قبلهم جاءتْهُم رُسلُهم بالبيّناتِ﴾** وهي المعجزات الباهرات والدلالات القاطعات **﴿وبالزُّبُرِ﴾** وهي الكتب **﴿وبالكتابِ المنيرِ﴾** الواضح البيّن **٢٦: ﴿ثم أخذتُ الذين كفروا﴾** ومع هذا كله كذّب أولئك رسلهم فيما جاؤوهم به فأخذتهم بالعقاب **﴿فكيف كان نكيرِ﴾**؟ إنكاري عليهم **٢٧: ﴿ألمْ تَرَ أنّ اللهَ أنزلَ مِن السماءِ ماءً فأخرجنا بهِ ثمراتٍ مختلفاً ألوانُها﴾**؟ يُنبِّهُ تعالى على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوّعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي يُنزِّلُهُ من السماء، كما قال تعالى: **﴿وفي الأرضِ قِطَعٌ متجاوِراتٌ وجنّاتٌ مِن أعنابٍ وزَرْعٌ ونَخِيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صِنوانٍ يُسقَى بماءٍ واحدٍ ونُفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ﴾**، **﴿ومِنَ الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها﴾** وخلقَ الجبال كذلك مختلفة الألوان، والجُدَدُ: الطريق، مختلفة الألوان أيضاً **﴿وغرابيبُ سُودٌ﴾** جبالٌ طِوالٌ سُود **٢٨: ﴿ومِنَ النّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مختلِفٌ ألوانُهُ كذلك﴾** فتبارك اللهُ أحْسَنُ الخالقين. **﴿إنّما يخشَى اللهَ مِن عبادِهِ العلماءُ﴾** إنّما يخشاه حقَّ خشيتِهِ العلماء العارفُون بصفات الكمال [الذين يخافون قدرته] **﴿إنّ اللهَ عزيزٌ غفورٌ﴾** [عزيزٌ في عقابه، غفورٌ لأهل طاعته] **٢٩: ﴿إنّ الذين يتلون كتابَ اللهِ وأقامُوا الصلاةَ وأنفقُوا مِمّا رزقناهم سرّاً وعلانيةً يَرْجُون تجارَةً لن تَبُورَ﴾** يرجون ثواباً عندَ اللهِ لا بُدَّ من حصولِهِ **٣٠: ﴿لِيُوَفِّيَهم أُجورَهم ويزيدَهم مِن فضله﴾** ليوفيَهم ثواب ما عملوه ويُضاعفه لهم بزيادة لم تخطر لهم **﴿إنّه غفورٌ﴾** لذنوبهم **﴿شكورٌ﴾** لأعمالهم.

الآية: ٢٨ قال ابن عباس: العالم بالرحمٰن مِن عباده؛ مَنْ لم يشرك به شيئاً، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، وحفظ وصيّته وأيقَنَ أنّه مُلاقيه ومحاسَبٌ بعملِهِ. وقال سعيد بن جُبير: الخشية هي التي تحول بينَكَ وبين معصية الله عزّ وجلّ. وقال الحسن البصري: العالِمُ مَنْ خشي الرحمٰن بالغيب، ورغب فيما رغَّب اللهُ فيه، وزهد فيما سخط اللهُ فيه، ثم تلا هذه الآية.
/ابن كثير ج٣/٥٥٣ ـ ٥٥٤/

وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٣١: ﴿والذي أوحينا إليكَ﴾ يا محمد **﴿مِن الكتاب﴾** وهو القرآن **﴿هو الحقُّ مُصدِّقاً لِما بينَ يديه﴾** من الكتب المتقدّمة؛ بصدقِها، كما هي شهدت له بالنبوّة، **﴿إنّه بعباده لخبيرٌ﴾** بهم **﴿بصيرٌ﴾** بمن يستحق ما يفصله به على مَن سِواه **٣٢: ﴿ثم أورثنا الكتابَ الذين اصطفينا من عبادِنا﴾** ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدّق لِما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع: فقال تعالى: **﴿فمنهم ظالمٌ لنفسه﴾** وهو المفرّط في بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرّمات، **﴿ومنهم مقتصدٌ﴾** هو المؤدّي للواجبات التارك للمحرّمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكرُوهات، **﴿ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذنِ اللهِ﴾** وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرّمات والمكروهات وبعض المباحات، **﴿ذلك هو الفضلُ الكبيرُ﴾** [أي: إتياننا الكتابَ لهم، وذلك الاصطفاء مع علمنا بعيوبهم] **٣٣: ﴿جنّاتُ عَدْنٍ يدخُلونها﴾** هؤلاء المصطفين الذين أُورِثُوا الكتاب مأواهم جنّات الإقامة يدخلونها يوم مَعَادِهم، **﴿يُحلَّونَ فيها مِن أساوِرَ مِن ذهبٍ ولؤلؤاً﴾** وفي الصحيح: «تبلغُ الحلية مِنَ المؤمنِ حيث يبلغُ الوَضُوء»، **﴿ولِباسهم فيها حرير﴾** وفي الصحيح: «مَنْ لبسَ الحريرَ في الدنيا لم يلبسْهُ في الآخرة» **٣٤: ﴿وقالوا الحمدُ للهِ الذي أذهبَ عنّا الحَزَنَ﴾** وهو الخوف من المحذور، أي: أزاحَهُ عنّا وأراحنا مِمّا كنّا نتخوّفه من هموم الآخرة، **﴿إنّ ربَّنا لَغفُورٌ شكُورٌ﴾**، [غفورٌ لمن تابَ إليه، شكورٌ لمن أطاعَهُ] **٣٥: ﴿الذي أحلّنا دارَ المُقامَةِ مِن فضلِهِ﴾** يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ورحمته، لم تكنْ أعمالُنا تُساوِي ذلك، **﴿لايَمَسُّنَا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنَا فيها لُغُوبٌ﴾**، النصب واللُّغُوب كلٌّ منهما يستعمل في التعب؛ أي: أنّهم لا تعب على أبدانِهم ولا أرواحِهم، وبدخولها صاروا في راحة دائمة مستمرّة **٣٦: ﴿والذين كفرُوا لهم نار جهنّم لا يُقضَى عليهم فيمُوتُوا﴾** لمّا ذكر تعالى حال السُّعَداءِ شرعَ في بيان مآل الأشقياء، كما قال تعالى: ﴿ونادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ علينَا ربُّكَ قال إنّكم ماكِثُون﴾ فهم في حالهم ذلك يرون موتَهم راحةً لهم، فهم **﴿لا يُقضَى عليهم فيمُوتُوا ولا يُخففُ عنهم مِن عذابِها كذلك نجزي كلَّ كَفُورٍ﴾ ٣٧: ﴿وهم يصطَرِخُون فيها﴾** ينادون فيها يجأرُون إلى اللهِ عزّ وجلّ بأصواتِهم **﴿ربَّنا أخرجنا نعملْ صَالحاً غيرَ الذي كُنّا نعملُ﴾** يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأوّل، فلا يُجيبُهم إلى ذلك، ويقول لهم: **﴿أوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾** أوَما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم مِمّن ينتفعُ بالحق لانتفعتم به في مدّة عمركم، **﴿ما يتذكَّرُ فيهِ مَن تذكَّرَ﴾** قال قتادة: اعلموا أنّ طول العُمُر حُجّة فنعوذُ باللهِ أن نغترَّ بطولِ العمر. وعن مسروق أنّه كان يقول: إذا بلغَ أحدُكم أربعين سنة فليأخُذْ حِذْرَهُ مِن اللهِ عزّ وجلّ. **﴿وجاءَكُمُ النّذيرُ﴾** الشَّيب **﴿فذُوقُوا فما للظالمين مِن نصير﴾** ينقذكم مما أنتم فيه **٣٨:** يُخبر تعالى بعلمه غيبَ السمواتِ والأرض، وأنّه يعلم ما تكنّه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر **﴿إنّ اللهَ عالمُ غيبِ السمواتِ والأرضِ إنّه عليمٌ بذات الصدور﴾** وسيجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

الآية: ٣٤ روى ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلاّ اللهُ وَحْشَةٌ في قبورِهِم، ولافي نشورهم، وكأنّي بأهل لا إله إلاّ الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمدُ للهِ الذي أذهب عنّا الحَزَن». /ابن كثير ج٣/٥٥٧/

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٤

٣٩: ﴿هو الذي جعلكم خلائفَ في الأرض﴾ يخلف قوم لآخرين قبلهم، وجيلٌ لجيلٍ قبلهم، كما قال تعالى: ﴿ويجعلكم خُلَفاءَ الأرض﴾، **﴿فمن كفرَ فعليه كفرُهُ﴾** فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره **﴿ولا يزيدُ الكافرينَ كفرُهم عندَ ربِّهم إلّا مقتاً﴾** كلّما استمرّوا على كفرهم أبغضهم الله تعالى، **﴿ولا يزيدُ الكافرين كفرُهم إلّا خَساراً﴾** وكلّما استمرّوا على كفرهم خسِرُوا أنفسَهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين، فإنّهم كلّما طالَ عُمُرُ أحدهم وحَسُنَ عمله ارتفعتْ درجتُهُ في الجنّة **٤٠: ﴿قلْ أرأيتُم شُركاءَكُمُ الذين تدعُون مِن دُونِ الله﴾** من الأنداد **﴿أروني ماذا خلقُوا مِنَ الأرض أم لهم شِرْكٌ في السمواتِ﴾**؟ ليس لهم شيءٌ من ذلك ما يملكون مِن قطمير، **﴿أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنةٍ منهُ﴾** أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليسَ الأمرُ كذلك **﴿بلْ إنْ يَعِدُ الظالمون بعضُهم بعضاً إلّا غُروراً﴾** بل إنّما اتّبَعُوا في ذلك أهواءَهم وآراءَهم وأمانيهم التي تمنّوها لأنفسهم وهي غرور باطل وزُور. ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض : **٤١: ﴿إنّ الله يُمْسِكُ السمواتِ والأرضَ أن تزُولا﴾** أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال تعالى: ﴿ويُمسكُ السماءَ أنْ تقعَ على الأرض إلّا بإذْنِه﴾، ﴿ومن آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمرِهِ﴾، **﴿ولَئِنْ زالَتَا إنْ أمسكهما مِن أحدٍ مِن بعدِهِ﴾** لا يقدر على إبقائها إلّا هو، **﴿إنّه كان حليماً﴾** بعباده، يعصُونه وهو يحلم فيُؤخر ولا يُعجِّل [لهم بالعقوبة] **﴿غفوراً﴾** [لمن تاب منهم] **٤٢: ﴿وأقسَمُوا بالله جَهْدَ أيمانِهم لَئِن جاءَهم نذيرٌ لَيَكُونُنَّ أهدَى مِن إحدَى الأمم﴾** يُخبر تعالى عن قريش والعرب أنّهم أقسموا بالله قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءَهم نذيرٌ ليكونُنَّ أهدى مِن جميع الأمم، **﴿فلمّا جاءَهم نذيرٌ ما زادَهُم إلّا نُفُوراً﴾** **٤٣: ﴿استكباراً في الأرض﴾** استكبروا عن اتباع آيات الله **﴿ومَكْرَ السّيْءِ﴾** ومكروا بالنّاس في صَدِّهم إيّاهم عن سبيل الله، **﴿ولا يَحيْقُ المكرُ السّيْءُ إلّا بأهله﴾** وما يعودُ وبالُ ذلك إلّا عليهم أنفسهم دون غيرهم. **﴿فهل ينظُرُون إلّا سُنّةَ الأوّلين﴾** عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمرَهُ **﴿ولن تَجِدَ لسنةِ الله تَبْديلاً﴾**، بل هي جارية كذلك في كل مكذّب لا تغيّر ولا تُبدّل، **﴿فلن تجِدَ لسنةِ الله تحويلاً﴾** ﴿وإذا أرادَ اللهُ بقومٍ سُوءً فلا مردّ له﴾ لا يكشف ذلك عنهم ويُحوّله عنهم أحدٌ إلّا الله **٤٤: ﴿أوَلَمْ يسيروا في الأرض﴾** قُلْ يا محمد لهؤلاء المكذبين: سيروا في الأرض فانظروا كيف دمّرَ اللهُ عليهم **﴿فينظُرُوا كيف كانَ عاقبةُ الذين مِن قبلهم وكانوا أشدَّ منهم قوّةً وما كان اللهُ لِيُعجزَهُ مِن شيءٍ في السمواتِ ولا في الأرض﴾** [أي: إذا أرادَ اللهُ إنزالَ عذابٍ بقومٍ لم يعجزْهُ ذلك] **﴿إنّه كان عليماً قديراً﴾** عليمٌ بجميع الكائنات، قديرٌ على مجموعها.

الآية: ٤١ وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى لاينام ولاينبغي له أن ينام، يخفض القسطَ ويرفعه، ويُرفع إليه عمل الليل قبلَ النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور ـ أو النار ـ لو كشفه لأحرقتْ سُبُحَاتُ وجهه ماانتهى إليه بصره من خلقه». /ابن كثير ج٣/٥٦١/

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

ترتيبها ٣٦ آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

٤٥: **﴿ولو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بما كَسَبُوا ما ترَكَ على ظهرِها مِن دابَّةٍ﴾** لو آخذهم بجميع ذُنوبهم لأهلكَ جميعَ أهلِ السموات والأرض، ولَما سقاهم المطر فماتت جميع الدوابّ، **﴿ولكن يُؤخِّرُهم إلى أجلٍ مُسَمًّى﴾** ولكن يُنظِرُهم إلى يوم القيامة فيُحاسبهم يومئذٍ، فيُجازي بالثواب أهلَ الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية، ولهذا قال تبارك وتعالى: **﴿فإذا جاءَ أجلُهم فإنّ اللهَ كان بعبادِهِ بصيراً﴾**.

تفسير سورة يسٓ

١: **﴿يسٓ﴾** **٢**: **﴿والقرآنِ الحكيمِ﴾** المحكم الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلفه **٣**: **﴿إنّكَ﴾** يا محمد **﴿لَمِنَ المرسلين﴾** **٤**: **﴿على صراطٍ مستقيمٍ﴾** على منهج ودِينٍ قويم وشرع مستقيم **٥**: **﴿تنزيلَ العزيزِ الرحيمِ﴾** هذا الصراط والمنهج والدِّين الذي جئتَ بهِ تنزيلٌ من ربِّ العِزّةِ الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: **﴿وإنّك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم صراطِ اللهِ الذي له ما في السمواتِ وما في الأرضِ ألَا إلى اللهِ تصيرُ الأمور﴾** **٦**: **﴿لِتُنذِرَ قوماً ما أُنْذِرَ آباؤُهم فهُمْ غافِلُون﴾** يعني بهم العرب، فإنّه ما أتاهم من نذيرٍ مِن قبله، وذِكْرُهم وحدَهُم لا ينفي مَن عَداهم، كما أنّ ذكرَ بعضِ الأفرادِ لا ينفي العموم، قال تعالى: **﴿قُلْ يا أيّها النّاسُ إنّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً﴾** **٧**: **﴿لقد حقَّ القولُ على أكثرِهم﴾** لقد وجب العذاب على أكثرهم بأنّ الله تعالى قد حتمَ عليهم في أمِّ الكتاب أنهم لا يُؤمنون **﴿فهم لا يُؤمِنُون﴾** بالله ولا يُصدِّقون رُسُلَهُ **٨**: **﴿إنّا جعلنا في أعناقِهِم أغلالاً﴾** إنّا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتَهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة مَن جُعِلَ في عُنقه غِلٌّ فصار مقمحاً، **﴿فهي إلى الأذقان فهم مُقمَحُون﴾** رافعي رؤوسهم وأيديهم مغلولة عن كلِّ خير **٩**: **﴿وجعلنا مِن بينِ أيديهم سَدّاً ومِن خلفِه سَدّاً﴾** عن الحق، فهم متردّدون في الضلالات **﴿فأغشيناهم﴾** أغشينا أبصارَهم عن الحق **﴿فهم لا يُبصِرُون﴾** لا ينتفِعُون بخير ولا يهتدون إليه **١٠**: **﴿وسَواءٌ عليهم أأنذرتَهُم أمْ لم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنُون﴾** قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يُفيدُ فيهم الإنذارَ ولا يتأثّرون به **١١**: **﴿إنّما تُنذِرُ مَنِ اتّبعَ الذكْرَ﴾** إنّما ينتفعُ بإنذارك المؤمنون الذين يتبعُون القرآن **﴿وخَشِيَ الرحمنَ بالغيب﴾** حيث لا يراه أحدٌ إلّا الله تعالى، يعلمُ أنّ الله مطّلعٌ عليه وعالم بما يفعل **﴿فبشِّرْهُ بمغفرةٍ وأجرٍ كريم﴾** مغفرة لذنوبه وأجر كثير واسع حسن جميل **١٢**: **﴿إنّا نحنُ نُحيي الموتَى﴾** يوم القيامة، **﴿ونكتبُ ما قدَّمُوا﴾** من الأعمال **﴿وآثارَهم﴾** من بعدهم فنجزيهم عليها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرٌّ، وفي صحيح مسلم: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنّةً حسنةً كان له أجرُها وأجرُ مَن عمِلَ بها مِن بعدِهِ مِن غيرِ أن ينقصَ من أجورهم شيءٌ» الحديث. **﴿وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مُبينٍ﴾** مسطور في لوحٍ مَحْفُوظٍ .

سورة يسٓ روى الحافظ أبو يعلى عن الحسن قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يسٓ في ليلةٍ أصبحَ مغفوراً له، ومَنْ قرأ حمٓ التي يذكر فيها الدّخان أصبحَ مغفوراً له» وإسناده جيّد. وروى ابن حِبّان في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يسٓ في ليلةٍ ابتغاء وجهِ الله عزَّ وجلَّ غفرَ لهُ».

/ابن كثير ج٣/٥٦٣/

الآية: ١٢ روى الإمام أحمد أن بني سلمة أرادوا أن ينتقلوا قُرْبَ المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنّي بلغني أنّكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟» قالوا: نعم =

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٣: ﴿**واضربْ**﴾ يامحمد ﴿**لهم**﴾ لقومك الذين كذّبوكَ ﴿**مثلاً أصحابَ القرية إذْ جاءَها المرسلُون**﴾، وهي مدينة أنطاكية **١٤**: ﴿**إذْ أرسلنا إليهمُ اثنينِ فكذَّبُوهُمَا**﴾ بادَرُوهما بالتكذيب ﴿**فَعَزَّزْنا بثالثٍ**﴾ قويناهما وشددنا أزرَهما برسول ثالث، ﴿**فقالُوا**﴾ لأهل تلك القرية: ﴿**إنّا إليكم مُرسَلُون**﴾ من ربِّكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له. وكانوا رُسُلَ المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية **١٥**: ﴿**قالوا ماأنتم إلّا بشرٌ مثلُنا**﴾ فكيف أوحِيَ إليكم وأنتم بشر؟ لو كنتُم رسلاً لكنتم ملائكة ﴿**وماأنزلَ الرحمنُ من شيءٍ إنْ أنتم إلّا تكذِبُون**﴾ فأجابتهم الرسل: **١٦**: ﴿**قالوا ربُّنا يعلمُ إنّا إليكم لَمُرْسَلُون**﴾ فلو كُنّا كذبة عليه لانتقمَ مِنّا، ولكنّه سينصرُنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدّار **١٧**: ﴿**وماعلينا إلّا البلاغُ المُبين**﴾ إنّما علينا أن نبلّغكم ماأرسلنا به إليكم **١٨**: ﴿**قالوا إنّا تطيرنا بكم**﴾ قال أهل القرية لهم: لم نرَ على وجوهكم خيراً في عيشنا، ﴿**لَئِنْ لم تنتهُوا لنرجمنّكم**﴾ بالشتم والحجارة، ﴿**وليَمسّنّكم منّا عذابٌ أليم**﴾ عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم: **١٩**: ﴿**طائرُكم معكم**﴾ مردودٌ عليكم ﴿**أئنْ ذُكّرتُم بل أنتمْ قومٌ مُسْرِفُون**﴾ من أجل أنّا ذكّرْناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمُونا بهذا الكلام توعدتُمُونا وتهددتُمُونا، بل أنتم قومٌ مسرِفُون (في كفركم) **٢٠**: ﴿**وجاءَ من أقصَى المدينةِ رجلٌ يسعى**﴾ لينصرَهم من قومه ﴿**قال ياقومِ اتبِعُوا المرسَلِين**﴾ يحضُّ قومه على اتباع الرسل الذين أتوهُم **٢١**: ﴿**اتبعُوا مَن لايسألُكم أجراً**﴾ على إبلاغ الرسالة ﴿**وهم مُهْتَدُون**﴾ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له **٢٢**: ﴿**ومالِيَ لاأعبُدُ الذي فطرني**﴾ ومايمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني ﴿**وإليه تُرجَعُون**﴾ يوم المعاد فيُجازيكم على أعمالكم **٢٣**: ﴿**أأتخذُ من دُونِهِ آلهةً**﴾؟ استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ وتقريع، ﴿**إنْ يُرِدْنِ الرحمنُ بضُرٍّ لاتُغْنِ عنّي شفاعتُهم شيئاً ولا يُنقِذُون**﴾ هذه الآلهة التي تعبدُونها من دونه لايملِكُون من الأمر شيئاً، فإنّ الله تعالى لو أرادني بسوء ﴿فلا كاشِفَ له إلّا هو﴾ وهذه الأصنام لا تملكُ دفع ذلك ولامنعه، ولاينقذُونني مِمّا أنا فيه **٢٤**: ﴿**إنّي إذاً لَفِي ضلالٍ مُبين**﴾ إن اتخذتُها آلهةً مِن دُون الله **٢٥**: ﴿**إنّي آمنتُ بربِّكم فاسْمَعُون**﴾ فاسمَعُوا قولي لتشهدوا لي عند ربّي: إنّي آمنتُ بربّكم واتّبعتكم، فلمّا قال ذلك وثَبُوا عليه فقتلُوهُ **٢٦**: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الجنّة**﴾ قال الله له: ادخل الجنّة فدخلها فهو يُرزق فيها، فلمّا رأى الثوابَ ﴿**قالَ ياليتَ قومِي يعلمون**﴾ **٢٧**: ﴿**بما غَفَر لِي ربِّي وجعلني من المكرَمِين**﴾ تمنّى أن يعلمَ بما عايَنَ من كرامة الله. قال ابن عباس: نصح قومَهُ في حياته بقوله: ﴿ياقومِ اتبعُوا المرسَلِين﴾، وبعدَ مماته في قوله: ﴿ياليتَ قومي يعلمون بما غفرَ لِي ربّي وجعلني من المكرَمِين﴾، ومقصودُهُ: أنّهم لو اطلعوا على ماحصل لي من الثواب والجزاء والنعيم لَقَادَهُم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصاً على هداية قومه.

= يارسول الله قد أردنا ذلك، فقال ﷺ: «يابني سلمة ديارَكم تُكتَبْ آثارُكم، ديارَكم تُكتَبْ آثارُكم»، ورواه مسلم. /ابن كثير ج٣/٥٦٥/

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

٢٨: ﴿وماأنزلنا على قومِهِ مِن بعدِهِ مِن جُندٍ مِن السماءِ وماكُنّا مُنْزِلِين﴾ يُخبر تعالى أنّه انتقَمَ من قومه بعد قتلهم إيّاه غضباً منه تبارك وتعالى، وأنّه مااحتاج في إهلاكه إيّاهم إلى إنزال جندٍ من السماء، بل الأمر كان أيسر من ذلك **٢٩: ﴿إنْ كانتْ إلّا صيحةً واحدةً فإذا هم خامِدُون﴾** فأهلكَ اللهُ تعالى أهلَ انطاكية، فلم يبقَ منهم باقية **٣٠: ﴿ياحَسْرَةً على العِبادِ﴾** ياويل العباد على ماضيّعتْ من أمر الله وفرّطَتْ في جنب الله، **﴿مايأتيهم مِنْ رسولٍ إلّا كانوا بهِ يستهزِئُون﴾** يُكذّبونه ويجحدُون ماأُرسلَ به مِن الحقِّ، ثم قال تعالى: **٣١: ﴿ألَمْ يَرَوْا كَمْ أهلكنا قبلَهم مِن القرون أنّهم إليهم لايرجِعُون﴾** ألم يتّعِظوا بمن أهلكَ اللهُ قبلهم من المكذّبين للرسل كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرّةٌ ولارجعةٌ **٣٢: ﴿وإنْ كلٌّ لمّا جميعٌ لدينا مُحضرون﴾** وأنّ جميع الأمم الماضية والآتية ستُحْضَر للحساب يوم القيامة بين يدي الله فيُجازيهم بأعمالهم **٣٣: ﴿وآيةٌ لهم﴾** دلالة لهم على وُجُودِ الصانع وقدرته التامّة وإحيائه الموتى، **﴿الأرضُ المَيْتَةُ﴾** لانبات فيها، **﴿أحييناها﴾** أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربَتْ وأنبتَتْ مِن كل زوج بهيج، ولهذا قال تعالى: **﴿أحْيَيْناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون﴾** جعلنا رزقاً لهم ولأنعامهم **٣٤: ﴿وجعلنا فيها جنّاتٍ مِن نخيلٍ وأعنابٍ وفجّرنا فيها مِن العُيون﴾** جعلنا فيها أنهاراً سارحةً في أمكنة يحتاجُون إليها **٣٥: ﴿ليأكلوا مِن ثمره﴾** لمّا امتنّ تعالى على خلقه بإيجاد الزروع لهم، عَطَفَ بذكر الثمار وتنوّعها وأصنافِها، **﴿وماعملَتْهُ أيديهم﴾** وماذاك كله إلّا مِن رحمة الله تعالى لابسعيهم ولاكدّهم ولابحولهم وقوّتهم **﴿أفلا يشكرون﴾** فهلّا يشكرونه على ماأنعم به عليهم من النعم التي لاتُعدّ ولاتُحصَى **٣٦: ﴿سبحانَ الذي خلقَ الأزواجَ كلها مِمّا تُنْبِتُ الأرضُ﴾** من زروع وثمار ونبات **﴿ومن أنفسهم﴾** فجعلهم ذكراً وأنثى، **﴿ومِمّا لايعلمون﴾** مِن مخلوقاتٍ شتى لايعرفُونها كما قال تعالى: ﴿ومِن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرُون﴾ **٣٧: ﴿وآيةٌ هم اللّيلُ نسلخ منه النهارَ فإذا هم مُظلِمُون﴾** ومِن الدلالَة على قدرته تعالى خلق اللّيل والنهار، وجعلهما يتعاقبان ﴿يُغشِي اللّيلَ النهار يطلبُهُ حَثِيثاً﴾ **٣٨: ﴿والشمسُ تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيز العليم﴾** المراد بمستقرها: هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة، فهي تسير لوقتها ولأجلٍ لاتعدُوهُ **٣٩: ﴿والقمرَ قدّرْناهُ منازِلَ﴾**جعلناه يسير سيراً آخر يُستَدلُّ بهِ على مُضيّ الشهور، فقدَّرَهُ تعالى منازل يطلع في أوّل ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور ثم يزداد ويرتفع حتى يتكاملَ نورُهُ في اللّيلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر **﴿حتى عادَ كالعُرْجُون القديم﴾** كالعِذْقِ اليابس إذا انحنى **٤٠: ﴿لاالشمس ينبغِي لها أن تُدْرِكَ القمرَ﴾** كلٌّ منها لايعدُ وحدَّهُ **﴿ولااللّيلُ سابِقُ النّهار﴾** يُطلبان حثيثين، يُسلخ أحدُهما من الآخر، أي: لافترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر، **﴿وكلٌّ في فَلَكٍ يسبحُون﴾** يدورون في فَلَكِ السماء.

الآية: ٣١ قال الدهريون: ﴿إنْ هي إلّا حياتُنا نموتُ ونحيى﴾ يقولون بالدور، وهم يعتقدون جهلاً منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، فردّ الله تعالى عليهم باطلهم فقال: ﴿أوَلَمْ يروا كَمْ أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لايرجعون﴾.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

سكتة لطيفة على الألف

٤١: ﴿**وآيةٌ لهم أنّا حملنا ذُرِّيَّتهم في الفُلْكِ المَشْحُونِ**﴾ وَدَلالَةٌ لهم أيضاً على قدرته تعالى تسخيره البحرَ ليحمل السفن المملوءة من الأمتعة والحيوانات مع ذريّة بني آدم **٤٢**: ﴿**وخلقنا لهم من مثلِهِ مايركبُون**﴾ يعني بذلك الإبل، فإنّها سُفُنُ البرِّ يُحملون عليها ويركَبُونها **٤٣**: ﴿**وإنْ نشأْ نُغرقْهُمْ**﴾ يعني: الذين في السفن ﴿**فلا صَريخَ لهم**﴾ فلا مُغيثَ لهم مِمّا هم فيه ﴿**ولاهم يُنقَذُون**﴾ مِمّا أصابهم **٤٤**: ﴿**إلّا رحمةً مِنّا**﴾ وهذا استثناءٌ منقطع تقديره: ولكن برحمتنا نسيّركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجلٍ مُسمّى، ولهذا قال تعالى: ﴿**ومتاعاً إلى حِين**﴾ إلى وقت معلوم عند الله عزّ وجلّ **٤٥**: ﴿**وإذا قِيلَ لَهُمْ اتقُوا مابينَ أيديكم وماخلفكم**﴾ من الذنوب ﴿**لعلّكم تُرْحَمُون**﴾ لعلّ الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويُؤَمّنكم مِن عذابه؛ وتقدير الكلام: أنّهم لايُجيبون إلى ذلك بل يُعرِضون عنه، واكتفى عن ذلك بقوله تعالى: **٤٦**: ﴿**وماتأتِيهم من آيةٍ مِن آياتِ ربّهم**﴾ على التوحيد وصدق الرسل ﴿**إلّا كانُوا عنها معرضين**﴾ لايتأمَّلونها ولايقبلُونها ولا ينتفِعُون بها **٤٧**: ﴿**وإذا قيل لهم أنفِقُوا مّما رزقكم الله**﴾ وإذا أُمِرُوا بالإنفاق مّما رزقهم اللهُ على الفقراء والمحاويج ﴿**قال الذين كفرُوا للذين آمنوا**﴾ قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجِّين لهم فيما أمرهم به: ﴿**أنطعِمُ مَن لو يشاءُ اللهُ أطعمه**﴾ هؤلاء الذين أمرتُمونا بالانفاق عليهم لو شاءَ الله لأغناهم مِن رزقه، فنحنُ نوافق مشيئةَ الله تعالى فيهم ﴿**إنْ أنتُم إلّا في ضلالٍ مُبين**﴾ في أمركم لنا بذاك **٤٨**: ﴿**ويقولُون متى هذا الوعدُ**﴾؟ استبعاداً لقيام الساعة ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ قال الله تعالى: **٤٩**: ﴿**ماينظُرُون**﴾ ماينتظرون ﴿**إلّا صيحةً واحِدَةً تأخُذُهم**﴾ الصيحة: نفخة الفَزَع ﴿**وهم يخِصِّمُون**﴾ يختصِمُون ويتشاجرُون على عادتهم فيما بينهم كذلك إذْ أمرَ اللهُ عزّ وجلّ إسرافيل فنفخ في الصور نفخةً فلايبقى على وجه الأرض إلّا أصغى ليتاً ورفع ليتاً ــ وهي صفحة العُنق ــ يتسمّعُ الصوتَ مِن قِبلَ السماء، ثم يُساق النّاس إلى محشر القيامة، ولهذا قال تعالى: **٥٠**: ﴿**فلايستطيعُون تَوْصيَةً**﴾ لأنّ الأمرَ أهمُّ مِن ذلك ﴿**ولا إلى أهلهم يرجِعُون**﴾ ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم، ثم بعد ذلك نفخة البعث **٥١**: ﴿**ونُفِخَ في الصُّورِ فإذا هم مِن الأجداثِ إلى ربِّهم ينسِلُون**﴾ هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة القيام من القبور ﴿**ينسِلُون**﴾ [أي: يمشون سريعاً] **٥٢**: ﴿**قالوا ياويلنا مَن بعثَنَا مِن مَرْقَدِنا**﴾ ينامون نومة قبل البعث فلذلك يقولون: مَن بعثنا مِن مرقدنا؟ ويُجيبهم الملائكة والمؤمنون: ﴿**هذا ماوَعَدَ الرحمنُ وصدَقَ المرسلون**﴾ **٥٣**: ﴿**إنْ كانتْ إلّا صيحةً واحدةً فإذا هم جميعٌ لدينا محضرون**﴾ إنّما نأمرُهم أمراً واحداً فإذا الجميعُ محضرون، كما قال تعالى: ﴿يومَ يدعُوكم فتستجيبُون﴾ الآية **٥٤**: ﴿**فاليومَ لاتُظلَمُ نفسٌ شيئاً**﴾ مِن عملها ﴿**ولاتُجزَون إلّا ماكنتم تعملون**﴾.

الآية: ٥١ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مابين النفختين أربعُون» قالوا: ياأبا هريرة! أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ [أي أن أجزم بأنّ المراد يوماً أو شهراً أو سنة] قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قالوا: أبيتُ، قال: «ثم يُنَزِل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البَقْلُ. وليس من الإنسان شيء إلاّ يبلى، إلاّ عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذنب [أي العظم الذي في أسفل الصلب] ومنه يُرَكّبُ الخلقُ يوم القيامة». صحيح مسلم رقم ٢٩٥٥/.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

٥٥: ﴿إنّ أصحابَ الجنّةِ اليومَ في شُغْلٍ فاكِهُون﴾ يُخبر تعالى عن أهل الجنّة أنّهم يوم القيامة بما هم فيه من النعيم والفوز العظيم فرِحُون مُعْجَبُون به **٥٦: ﴿هُم وأزواجُهم﴾** حلائلُهم **﴿في ظِلَالٍ﴾** ظلال الأشجار **﴿على الأرائك مُتّكِئُونَ﴾**، [إنّ أحدهم ليعانق الحَوْراء سبعين سنةً لايملها ولاتملّه، وكلّما أتاها وجدَها بكراً] **٥٧: ﴿لهم فيها فاكهةٌ﴾** من جميع أنواعها **﴿ولهم مايدَّعُون﴾** مهما طلبُوا وَجدُوا من جميع أصناف الملاذّ **٥٨: ﴿سلامٌ قولاً مِن ربٍّ رحيم﴾** فإنّه تعالى سلامٌ على أهل الجنة، و﴿تحيّتُهم يوم يلقونَهُ سلامٌ﴾، وإذا أشرف عليهم تعالى قال السلام عليكم ياأهل الجنّة، فذلك قوله تعالى: **﴿سلامٌ قولاً مِن ربٍّ رحيم﴾ ٥٩: ﴿وامتازُوا اليومَ أيّها المُجْرِمُون﴾** يُخبر تعالى عمّا يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة أنّهم يُميَّزُون عن المؤمنين في موقفهم، كما قال تعالى: ﴿ويوم نحشُرُهم جميعاً ثم نقولُ للذين أشركوا مكانَكم أنتمْ وشركاؤُكم فزَيَّلْنا بينَهُم﴾ **٦٠: ﴿ألَمْ أعْهَدْ إليكم يابني آدمَ أن لاتعبُدُوا الشيطانَ إنّه لكم عدوٌّ مُبين﴾** هذا تقريعٌ من الله تعالى للكفرة الذين أطاعوا الشيطان وهو عدوٌّ لهم مبين، وعصوا الرحمن الذي خلقهم ورزقهم، ولهذا قال تعالى: **٦١: ﴿وأنِ اعبُدُوني هذا صراطٌ مستقيم﴾** قد أمرتكم في دار الدنيا بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فاتبعتم الشيطان، ولهذا قال تعالى: **٦٢: ﴿ولقد أضلَّ منكم جِبلاً كثيراً﴾** الخلق الكثير **﴿أفَلَمْ تكونُوا تعقِلُون﴾** أفما كان لكم عقلٌ في مخالفة ربّكم فيما أمركم به من عبادته، وعدولكم إلى اتّباع الشيطان؟! **٦٣: ﴿هذه جهنّمُ التي كنتمْ تُوْعَدُون﴾** هذه التي حذّرتكم الرسلُ فكذبتموهم، يُقال لهم هذا تقريعاً وتوبيخاً **٦٤: ﴿اصْلَوْها اليومَ بما كنتم تكفُرُون﴾** كما قال تعالى: ﴿يوم يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنّم دَعّاً هذهِ النّارُ التي كنتم بها تكذِّبُون﴾ **٦٥: ﴿اليومَ نختِمُ على أفواهِهم وتُكلّمنا أيديهم وتشهدُ أرجلُهم بما كانوا يعملون﴾** هذا حال الكفار والمنافقين يومَ القيامة حين ينكرون مااجترموه في الدنيا ويحلفون مافعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت **٦٦: ﴿ولو نشاءُ لطمسنا على أعينهم فاستَبقُوا الصراطَ فأنّى يُبصِرُون﴾** لو شاء الله لطمسَ على أعينهم فجعلهم عمياً يتردّدون، لايُبصرون الحقَّ **٦٧: ﴿ولو نشاءُ لمسخناهم على مكانتهم﴾** لجعلناهم حجارة [والمسخ تغيير الخلقة] **﴿فما استطاعُوا مُضِيّاً﴾** إلى الأمام **﴿ولايرجِعُون﴾** إلى الوراء، بل يلزمون حالاً واحداً لايتقدَّمُون ولايتأخرون **٦٨: ﴿ومَن نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ في الخلق﴾** كلّما طال عُمرُهُ رُدَّ إلى الضعف بعد القوّة **﴿أفلا يعقِلُون﴾** يتفكرون بأن هذه الدار دار زوال وانتقال لادار دوام واستقرار **٦٩: ﴿وماعَلّمناهُ الشِّعْرَ ومايبنغي له﴾** ماهو في طبعه فلايُحسنه ولاتقتضيه جبلّته، ومايصلح له **﴿إنْ هو إلّا ذِكْرٌ وقرآنٌ مبين﴾** ماهذا الذي علمناه إلّا قرآن واضح جليّ **٧٠: ﴿لِيُنْذِرَ مَن كانَ حيّاً﴾** من هو حيّ القلب مستنير البصيرة، **﴿ويَحِقَّ القولُ على الكافِرين﴾** هو رحمة للمؤمنين، وحُجّة على الكافرين.

الآية: ٥٧ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يأكل أهل الجنّة فيها ويشربون، ولايتغوَّطُون، ولايمتخطون، ولايبُولون، ولكنْ طعامهم ذلك جُشَاءٌ [أي تخرج فضلات الطعام بالتجشي] كرَشْح المِسْك، يُلهَمُون التسبيح والتكبير، كما يُلهمون النَّفَس» رواه مسلم/رياض الصالحين/٧١٨/.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الصافات

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

٧١: ﴿أَوَلَمْ يَرَوا أنّا خلقنا لهم مّما عَمِلَتْ أيدينا أنعاماً﴾ يذكر تعالى ماأنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخّرَها لهم **﴿فهم لها مالِكون﴾** لاتمتنع منهم **٧٢: ﴿وذَلّلْناها لهم﴾** جعلناها ذليلة مُنقادة لهم **﴿فمنها رَكُوبُهم﴾** منها مايركبون في الأسفار ويحملون عليها الأثقال، **﴿ومنها يأكُلون﴾** إن شاؤوا نحروا [فأكلوا من لحمها] **٧٣: ﴿ولهم فيها منافِعُ﴾** من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين **﴿ومشارب﴾** من ألبانها **﴿أفلايشكرون﴾** أفلايُوحدون خالق ذلك ومُسَخِّرهِ ولايُشركون به غيره؟ **٧٤: ﴿واتخذُوا من دُونِ اللهِ آلهةً لعلّهم يُنصَرُون﴾** هذا إنكارٌ من الله على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهةً مع الله يبتغُون بذلك أن تنصرَهم وتقربهم إلى الله زُلْفى، قال الله تعالى: **٧٥: ﴿لايستطِيعُون نصرَهم﴾** لاتقدر الآلهة على نصرِ عابديها بل هي أضعف من ذلك وأحقر، لأنها جماد لاتسمع ولاتعقل، **﴿وهم لهم جندٌ مُحْضَرُون﴾** هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدلّ عليهم في إقامة الحجة **٧٦: ﴿فلايَحْزُنْكَ قولهم﴾** تكذيبهم لك وكفرهم بالله، **﴿إنّا نعلمُ مايُسِرُّونَ ومايُعْلِنُون﴾** نحن نعلم جميع ماهم فيه وسنجزيهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لايفقِدُون من أعمالهم جليلاً ولاحقيراً، ونعرض عليهم جميع ماكانوا يعملون **٧٧: ﴿أوَلَمْ يَرَ الإنسانُ أنّا خلقناهُ مِن نطفةٍ فإذا هو خَصيمٌ مُبين﴾**؟ أي أوَلَمْ يستدلّ مَن أنكر البعث بالبدء على الإعادة؛ فإنّ الله ابتدأ خلقَ الإنسان من سُلالَةٍ من ماءٍ مَهين، فالذي خلقه من هذه النطفة قادرٌ على إعادته بعدَ موتهِ **٧٨: ﴿وضَرَبَ لنا مثلاً﴾** الإنسان المنكر **﴿ونَسِيَ خلقَهُ قالَ مَن يُحيي العِظام وهي رَميم﴾**؟ استبعد إعادة الله تعالى للأجساد والعِظام الرميمة، قال الله تعالى: **٧٩: ﴿قلْ يُحييها الذي أنشأها أوّلَ مرّةٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليم﴾** [أي: كيف يُبدىء ويُعيد] **٨٠: ﴿الذي جعلَ لكم من الشَّجرِ الأخضرِ ناراً﴾** الذي أخرج هذه النّار مِنَ الشجر قادرٌ على أن يبعثه [نبّهَ تعالى على كمال قدرتهِ في إحياء الموتى بما يشاهِدُونَهُ مِن إخراج المحرق اليابس من العود النديّ الرطب]، والشجر الأخضر: المراخ والعفار، ينبت في أرض الحجاز، يُقدح أحدُهما بالآخر فتتولّد النّارُ من بينهما، **﴿فإذا أنتم منه تُوقِدُون﴾ ٨١: ﴿أوَليسَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بقادرٍ على أن يخلقَ مِثْلَهُم﴾**؟ نبّهَ تعالى على قدرته العظيمة في خلق السموات بما فيها والأرض ومافيها، مرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، قال تعالى: ﴿أوَلَمْ يَرَوْا أنّ اللهَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ ولم يعيَ بخلقهنّ بقادرٍ على أن يُحييَ الموتى؟ بلى إنّه على كلِّ شيءٍ قدير﴾، وقال تعالى ههنا: **﴿بلى وهو الخلّاقُ العليم﴾ ٨٢: ﴿إنّما أمْرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ له كُنْ فيكون﴾** أي: إنّما يأمر بالشيء أمراً واحِداً لايحتاج إلى تكرار وتأكيد **٨٣: ﴿فسبحانَ الذي بِيَدِهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ﴾** تنزيهٌ وتقديسٌ وتبرئةٌ مِن السُّوءِ للحيّ القيوم الذي بيده مقاليدُ السموات والأرضَ **﴿وإليه تُرْجَعُون﴾** فيُجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

الآية: ٨٣ من دعاء رسول الله ﷺ في سجوده: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» رواه الترمذي في الشمائل، ورواه النسائي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

الحزب ٤٥

تفسير سورة الصّافات

١: ﴿**والصّافّاتِ صَفّاً**﴾ هي الملائكة صفوف في السماء ٢: ﴿**فالزّاجِرَاتِ زَجْراً**﴾ هي الملائكة تزجر السحاب ٣: ﴿**فالتالياتِ ذِكْراً**﴾ هي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى النّاس ٤: ﴿**إنّ إلهكم لواحدٌ**﴾ لاإله إلّا هو ٥: ﴿**ربُّ السمواتِ والأرضِ ومابينهما**﴾ من المخلوقات ﴿**وربُّ المشارقِ**﴾ هو المتصرّف في الخلق بتسخيره بما فيه [حيث جعل لكل يوم مشرق ومغرب على عدد أيام السنة] ٦: ﴿**إنّا زيّنّا السماءَ الدنيا بزينةِ الكواكب**﴾ للناظرين، يثقب ضَوْؤُها جُرْمَ السماء فتُضيء لأهل الأرض، كما قال تعالى ﴿ولقد زيّنّا السماءَ الدنيا بمصابيحَ وجعلناها رُجُوماً للشياطين﴾، ﴿ولقد جعلنا في السماء بُروجاً وزيّنّاها للنّاظِرين﴾ ٧: ﴿**وحِفظاً**﴾ حفظناها حفظاً ﴿**مِن كلِّ شيطانٍ ماردٍ**﴾ يعني المتمرّد العاتي الذي يسترق السمعَ ٨: ﴿**لايَسَّمَّعُون إلى المَلاءِ الأعلى**﴾ لئلّا يسمَّعُون إلى الملأ الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلّمُوا بما يُوحِيهِ اللهُ تعالى، ﴿**ويُقذَفُون**﴾ يرمون ﴿**مِن كلِّ جانبٍ**﴾ من كل جهة يقصدون السماء منها ٩: ﴿**دُحُوراً**﴾ رجماً يُدحرون به ويُمنَعُون من الوصول إلى ذلك ﴿**ولهم عذابٌ واصِبٌ**﴾ دائمٌ في الآخرة ١٠: ﴿**إلّا مَن خطِفَ الخَطْفَةَ**﴾ وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته ﴿**فأتبعه شِهابٌ ثاقِبٌ**﴾ فيُحرقه ١١: ﴿**فاسْتَفْتِهِم**﴾ فَسَلْ هؤلاء المنكرين للبعث ﴿**أَهُمْ أشدُّ خلقاً أم مَنْ خلقنا**﴾ من السموات والأرض ومابينهما؟ ﴿**إنّا خلقناهم مِن طينٍ لازِبٍ**﴾ الجيّد الذي يلتزق بعضُهُ ببعض ١٢: ﴿**بل عجِبتَ**﴾ يامحمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن بما أخبر الله، ﴿**ويسخَرُون**﴾ يستهزئون ١٣: ﴿**وإذا ذُكِّرُوا لايذكرون**﴾ [أي: إذا وُعظوا بالقرآن لاينتفِعُون]١٤: ﴿**وإذا رأَوْا آيةً**﴾ دَلالَةً واضحةً على ذلك ﴿**يستسخِرُون**﴾ يستهزئون ١٥: ﴿**وقالوا إنْ هذا إلّا سِحرٌ مُبين**﴾ إن هذا الذي جئتَ به إلّا سحرٌ مبين ١٦: ﴿**أئذا مِتْنا وكنّا تراباً وعِظاماً أئنّا لمبعُوثون**﴾؟ ١٧: ﴿**أوَآباؤنا الأوّلون**﴾ يستبعِدُون ذلك ويكذّبون به ١٨: ﴿**قُلْ نعم وأنتم دَاخِرُون**﴾ قُلْ لهم يامحمد نعم تبعَثُون يومِ القيامة وأنتم حَقِيرُون ١٩: ﴿**فإنّما هي زجرةٌ واحدة فإذا هُم ينظرون**﴾ فإنّما هو أمرٌ واحد مِن الله عزّ وجلّ يدعُوهم دعوةً واحدة فإذا هُم قيامٌ بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ٢٠: ﴿**وقالوا ياوَيْلَنا هذا يومُ الدِّين**﴾ يعترفُون بأنّهم كانوا ظالمين لأنفسهم، فيندمون كل الندم، فتقول لهم الملائكة: ٢١: ﴿**هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذِّبُون**﴾ يُقال لهم هذا على وجه التقريع والتوبيخ ٢٢: قال تعالى: ﴿**احْشُرُوا الذين ظلموا وأزواجَهم**﴾ أشباههم وأمثالهم، نالزناة مع الزناة [وهكذا] ﴿**وماكانُوا يعبُدُون**﴾ من الأنداد، تُحشر معهم ٢٣: ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ من الأصنام والأنداد ﴿**فاهدُوهم إلى صراطِ الجَحِيم**﴾ أرشدُوهم إلى طريق جهنّم ٢٤: ﴿**وقِفُوهم إنّهم مسؤولون**﴾ [أي: عن أعمالهم].

الآية: ٦ روى ابن جرير عن ابن عباس قال: كان للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يستمعون الوحي، فلمّا بُعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قصد مقعده جاءه شهاب فلم يُخطئه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله، فقال: ماهو إلاّ مِنْ أمرٍ حَدَثَ، قال: فبعث جنوده فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي بين جبلَيْ نخلة.

/ابن كثير ج٤/٣/

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٢٥: ﴿**مالكم لاتناصَرُون**﴾؟ يُقال لهم هذا على سبيل التقريع والتوبيخ **٢٦**: ﴿**بَلْ هم اليوم مستسلِمُون**﴾ منقادون لأمر الله لايخالفونه **٢٧**: ﴿**وأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءَلُون**﴾ [أي: أقبل الرؤساء والأتباع يسأل بعضُهم بعضاً ويُوبخه في أنّه أضلّه] **٢٨**: ﴿**قالُوا إنّكم كنتم تأتوننا عن اليمين**﴾ كنتم تُقهروننا لأنّنا كنّا أذلّاء وكنتم أعزّاء **٢٩**: ﴿**قالُوا بلْ لم تكونُوا مؤمنين**﴾ بل كانت قلوبكم منكرةً للإيمان قابلة للكفر والعصيان **٣٠**: ﴿**وماكان لنا عليكم من سُلْطان**﴾ من حُجّةٍ على صحة مادعوناكم إليه ﴿**بلْ كنتُم قوماً طاغين**﴾ بل كان فيكم طُغيان ومجاوزة للحقّ؛ فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحقَّ الذي جاءتكم به الأنبياء **٣١**: ﴿**فحقَّ علينا قولُ ربِّنا إنّا لذائقُون**﴾ للعذاب يوم القيامة، يقول هذا الكبراءُ للمستضعفين **٣٢**: ﴿**فأغويناكم**﴾ دعوناكم إلى الضلالة ﴿**إنّا كُنّا غاوين**﴾ فَدَعَوْناكم إلى مانحن فيه فاستجبتُم لنا، قال الله تعالى: **٣٣**: ﴿**فإنّهم يومئذٍ في العذاب مشتركُون**﴾ الجميع في النّار كلٌّ بحَسَبه **٣٤**: ﴿**إنّا كذلكَ نفعلُ بالمجرمين**﴾ [أي: المشركين] **٣٥**: ﴿**إنّهم كانوا**﴾ في الدنيا ﴿**إذا قِيلَ لَهم لا إله إلّا اللهُ يستكبِرُون**﴾ يستكبرون أن يقولوها **٣٦**: ﴿**ويقُولون أئنّا لتارِكُوا آلهتِنَا لشاعرٍ مجنُون**﴾ نحنُ نترك عبادة آلهتنا عن قول هذا الشاعر المجنون، يعنُون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى تكذيباً لهم ورداً عليهم: **٣٧**: ﴿**بل جاءَ**﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**بالحقّ**﴾ في جميع شرعة الله تعالى ﴿**وصَدَّقَ المرسَلين**﴾ صدّقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السَّديدة **٣٨**: ﴿**إنّكم لذائقُوا العذابِ الأليم**﴾ **٣٩**: ﴿**وماتُجْزَون إلّا ماكنتُم تعملُون**﴾ [أي: إلّا بما عملتم من الشرك] ثم استثنَى مِن ذلك عبادَه المخلصين فقال تعالى: **٤٠**: ﴿**إلّا عبادَ اللهِ المُخلصِين**﴾ ليسُوا يَذُوقون العذابَ الأليم ولايُناقشون الحساب، بل يتجاوز عن سيّئاتِهم، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة **٤١**: ﴿**أولئك لهم رِزْقٌ معلومٌ**﴾ يعني في الجنّة **٤٢**: ﴿**فَوَاكِهُ**﴾ متنوّعة ﴿**وهُم مُكْرَمُون**﴾ يُخدَمُون ويُرفَّهون ويُنعَّمُون **٤٣**: ﴿**في جنّاتِ النَّعِيم**﴾ **٤٤**: ﴿**على سُرُرٍ متقابِلين**﴾ لاينظرُ بعضُهم إلى قفَا بعضٍ **٤٥**: ﴿**يُطافُ عليهم بكأسٍ مِنْ مَعِين**﴾ بخمر من أنهار جارية لايخافون انقطاعَها ولافراغها **٤٦**: ﴿**بيضاء لَذّةٍ للشّارِبين**﴾ طعمها طيّب كلونِها، بخلاف خمر الدنيا [المحرّمة] في جميع ذلك **٤٧**: ﴿**لافيها غَوْلٌ**﴾ يعني لاتُؤثِّرُ فيهم فتغتال عقولَهم، ولافيها أذىً ﴿**ولاهُم عنها يُنزَفُون**﴾ لاتذهبُ عُقُولَهم. وخمر الدنيا فيها أربع خصال: سُكرٌ وصُداعٌ وقيءٌ وبولٌ، فذكر الله تعالى خمرَ الجنّة فنزَّهها عن هذه الخصال **٤٨**: ﴿**وعندَهُم**﴾ [أي: في الجنّة] ﴿**قاصِرَاتُ الطَّرْف**﴾ عفيفات لاينظرن إلى غير أزواجِهن ﴿**عِينٌ**﴾ حِسان الأعين **٤٩**: ﴿**كأنّهنَّ بَيْضٌ مكنُون**﴾ مَحْصُنون لم تَمَسَّهُ الأيدي **٥٠**: ﴿**فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتسألُون**﴾ عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماكانوا يُعانُون فيها **٥١**: ﴿**قالَ قائلٌ منهم إنّي كانَ لي قَرِين**﴾، [أي: كان لي صديق ملازمٌ لي].

الآية: **٣٥** روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، فَمَنْ قال لا إله إلاّ الله، فقد عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقّها، وحسابُهُ على الله عزّ وجلّ». /ابن كثير ج٤/٥/

يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٥٢: **﴿يقولُ أئنّكَ لَمِنَ المُصدِّقين﴾** أأنتَ تصدِّق بالبعث والنُّشور والجزاء؟ يقول ذلك استبعاداً وكفراً ٥٣: **﴿أإذَا مِتْنَا وكُنّا تُراباً وعِظَاماً أئنّا لَمَدِينُون﴾** لمحاسَبُون ومجزيُّون بأعمالنا؟ ٥٤: **﴿قالَ هلْ أنتم مُطّلِعُون﴾**؟ مُشرِفُون، يقول لأصحابه من أهل الجنّة ٥٥: **﴿فاطّلعَ فرآهُ في سَوَاءِ الجَحيم﴾** وسط الجحيم ٥٦: **﴿قالَ تاللهِ إنْ كِدْتَّ لَتُرْدِين﴾** يقول المؤمن مخاطباً للكافر: واللهِ إنْ كدتَّ لتهلكني لو أطعتُكَ ٥٧: **﴿ولولا نعمةُ ربّي لكنتُ مِن المُحضَرين﴾** ولولا فضل الله عليّ لكنتُ مثلك في العذاب، ولكنّه تفضّلَ عليّ فهداني للإيمان والتوحيد ٥٨: **﴿أفَمَا نحنُ بميّتين﴾** ٥٩: **﴿إلّا مَوْتَتَنا الأولَى ومانحنُ بمعَذَّبين﴾** هذا من كلام المؤمن مُغبطاً نفسَهُ بما أعطاه الله تعالى مِن الخُلْدِ في الجنّة والإقامة في دار الكرامة بلا موت ولاعذاب، ولهذا قال تعالى: ٦٠: **﴿إنّ هذا لَهُوَ الفَوْزُ العظيمُ﴾** ٦١: **﴿لمثلِ هذا فَلْيَعمَلِ العامِلُون﴾** هذا من كلام الله تعالى [لأهل الدنيا] معناه: لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العامِلُون في الدنيا ليصيروا إليه في الآخرة ٦٢: **﴿أذلِكَ خيرٌ نُزُلاً أم شجرةُ الزَّقوم﴾** أهذه الجنّة خيرٌ أم شجرة الزقوم التي في جهنّم ٦٣: **﴿إنّا جعلناها فتنةً للظالمين﴾** فاتنين بها أهلَ الضلالة، قالوا: صاحبكم يُنبّئكم أنّ في النّار شجرةً والنّارُ تأكل الشجر، فأنزل الله تعالى: ٦٤: **﴿إنّها شجرةٌ تخرجُ في أصل الجحيم﴾** منهـا خُـلقت ومنهـا غُذّيت. وهي الشجرة الملعونة في القرآن ٦٥: **﴿طَلْعُها كأنّه رُؤوسُ الشياطين﴾** المراد بذلك ضَرْبٌ مِن الحيّات رؤوسُها بشعةُ المنظر، وهي في غاية الفحاشة ٦٦: **﴿فإنّهم لآكِلُون منها فمالِئُوْن منها البُطُون﴾** يأكُلُون منها، فلا أبشع منها ولاأقبح من منظرها، وهم مضطرون إلى الأكل منها لأنّهم لايجِدُون إلّا إيّاها وماهو في معناها ٦٧: **﴿ثم إنّ لهم عليها لَشَوْباً مِن حَميم﴾** شرب الحميم على الزَّقُّوم ٦٨: **﴿ثمّ إنّ مرجِعَهم لإلى الجحيم﴾** ثم إنّ مردّهم بعد هذا الفصل لإلَى نارٍ تتأجّجُ وجحِيم تتوقد وسعير تتوهّج ٦٩: **﴿إنّهم ألْفَوْا﴾** وَجَدُوا **﴿آباءَهم ضالّين﴾** فاتبعُوهم على الضلالة، ولهذا قال تعالى: ٧٠: **﴿فهُمْ على آثارِهم يُهْرَعُون﴾** [أي: يُسرِعُون] شبيه بالهرولة ٧١: **﴿ولقد ضلَّ قبلَهم أكثرُ الأوّلين﴾** يُخبر تعالى عن الأمم الماضية أنّ أكثرَهم ضالين، فدمّرهم ٧٢: **﴿ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرين﴾** [أي: رسلاً أنذروهم العذابَ فكفروا] فأهلكهم ونجّى المؤمنين ونصرَهم، ولهذا قال تعالى: ٧٣: **﴿فانظُرْ كيفَ كانَ عاقبةُ المنذَرين﴾** ٧٤: **﴿إلّا عبادَ اللهِ المُخْلَصِين﴾** [فأنجاهم برحمته] ٧٥: **﴿ولقد نادَانا نُوحٌ﴾** بعد أن لَبِثَ في قومه الف سنة إلّا خمسين عاماً واشتدّ عليه تكذيبهم، فدعا ربَّه: إنّي مظلومٌ فانتصر **﴿فلَنِعْمَ المُجِيبُون﴾** له ٧٦: **﴿ونجّيناهُ وأهلَهُ مِن الكَرْبِ العظيم﴾** وهو التكذيب والأذَى.

الآية: ٦٢ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال: «اتقوا اللهَ حقَّ تُقَاتِه، فلو أنّ قطرةً من الزّقّوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟» ورواه الترمذي وقال صحيح، والنسائي وابن ماجه. /ابن كثير ج٤/١١/

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

الحزب ٤٥

٧٧: ﴿وجعلنا ذريتَهُ هُمُ الباقِين﴾ لم تبق إلاّ ذُرِّيّة نوح عليه السلام **٧٨: ﴿وتركنا عليه في الآخِرين﴾** يذكر بالخير والثناء الحسن **٧٩: ﴿سلامٌ على نوحٍ في العالَمين﴾** يُسلّم عليه في جميع الطوائف والأمم **٨٠: ﴿إنّا كذلكَ نجزي المحسنين﴾** هكذا نجزي من أحسن في طاعة الله نجعل له لسان صدق يذكر بهِ بعدَهُ بحسب مرتبته في ذلك **٨١: ﴿إنَّهُ مِن عبادِنا المؤمنين﴾** المصدّقين الموحدين الموقنين **٨٢: ﴿ثم أغرقنا الآخَرين﴾** فلم يبق منهم عينٌ تطرف ولاذكر ولاأثر **٨٣: ﴿وإنّ مِن شيعتِهِ لإبراهيم﴾** من أهل دينِهِ وعلى منهاجِهِ وسنّتِه **٨٤: ﴿إذْ جاءَ ربَّهُ بقلب سليم﴾** يعني شهادة أن لاإلهَ إلّا الله، فهو سليم من الشرك **٨٥: ﴿إذْ قال لأبيهِ وقومِهِ ماذا تعبُدون﴾؟** أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد **٨٦: ﴿أئفكاً آلهةً دونَ اللهِ تُريدُون﴾؟!** [أي: أتريدون إفكاً؟ والإفكُ: أسوأ الكذب، بدل عبادة الله؛ أي: أتريدون آلهةً مِن دُون الله آفِكين]؟ **٨٧: ﴿فماظنّكم بربِّ العالَمين﴾؟** فماظنّكم أنّه فاعِلٌ بكم إذا لاقيتُموهُ وقد عبدتم غيرَهُ؟ **٨٨: ﴿فنظَرَ نظرةً في النجوم﴾** [أي: نظر إلى نجم طالعٍ] **٨٩: ﴿فقال إنّي سقيم﴾** [أي: فيما أستقبل، فتوهمُوا أنه سقيم في هذه الساعة، وهذا من معاريض الكلام] **٩٠: ﴿فتولّوا عنه مُدْبِرين﴾** ذهبوا إلى عيدهم، فاختلى بآلهتهم **٩١: ﴿فَراغَ إلى آلهتِهم فقالَ ألاَ تأكُلُون﴾؟** وذلك أنّهم كانوا قد وضَعُوا بين أيديهم طعاماً قرباناً لتبارك لهم فيه **٩٢: ﴿مالكم لاتنطقُون﴾؟ ٩٣: ﴿فراغَ عليهم ضرباً باليمين﴾** ثم تركهم جُذاذاً إلّا كبيراً لهم **٩٤: ﴿فأقبلُوا إليهِ يَزِفُّون﴾** يسرعُون حين عرفوا أنّ إبراهيم عليه السلام هو الذي فعل ذلك، فلمّا جاؤوا لِيُعاتِبُوهُ أخذَ في تأنيبهم وعيبهم فقال: **٩٥: ﴿قال أتعبُدون ماتنحِتُون﴾** أتعبدون من دون الله من الأصنام ماأنتم تنحتُون بأيدكم؟ **٩٦: ﴿واللهُ خلقكم وماتعملون﴾** واللهُ خلقكم والذي تعملونَهُ؟ فلمّا قامت عليهم الحُجَّةُ عَدَلُوا إلى أخذه بالقهر: **٩٧: ﴿قالُوا ابْنُوا لهُ بُنياناً فألْقُوهُ في الجحيم﴾**، وكان من أمره ماتقدم بيانه في سورة الأنبياء **٩٨: ﴿فأرادُوا بهِ كيداً فجعلناهُمُ الأسْفَلِين﴾** فأنجاه الله [وجعلهم المقهورين المغلُوبين] **٩٩: ﴿وقالَ إنّي ذاهِبٌ إلى ربّي سيهدِين﴾** يُخبر تعالى عن خليله عليه السلام: إنّه بعدما نصرَهُ الله على قومه هاجرَ من بين أظهرهم [وهو أوّل من هاجر من الخلق مع لوط وسارة، إلى الأرض المقدسة وهي الشام، ثم هداهُ الله تعالى إلى مكة المكرّمة] **١٠٠: ﴿ربِّ هَبْ لي مِنَ الصالحين﴾** يعني أولاداً مطيعين يكونون عِوضاً من قومه الذين فارقَهم، قال تعالى: **١٠١: ﴿فبشّرناهُ بغُلامٍ حليم﴾** وهذا الغُلام هو إسماعيل عليه السلام **١٠٢: ﴿فلمّا بلغَ معه السعيَ﴾** كبر وصار مع أبيه، وارتجلَ وأطاقَ السعي والعمل **﴿قال يابُنيَّ إنّي أرى في المنامِ أنّي أذبحكَ﴾؟** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رُؤيا الأنبياء في المنام وحي»، أعلم ابنَهُ ليختبر صبره وعزمه في صغره على طاعة الله، **﴿قالَ ياأبتِ افعلْ ماتُؤمَرُ ستجدني إنْ شاء اللهُ مِن الصابرين﴾** سأصبر وأحتسب ذلك عندَ الله تعالى.

الآية: ١٠٢ عن عبدالله بن عمرو وعبدالله بن عمر قالا: قال رسول الله ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ في رضا الوَالِدِ، وسُخْطُ الرَّبِّ في سُخْطِ الوَالِدِ» رواه الترمذي والحاكم وصححاه. وفي رواية عند الطبراني: «رضا الرّب في رِضَا الوالدين، وسُخْطُهُ في سُخْطِهما» صحيح الجامع الصغير ج١/٦٥٨.

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

١٠٣: ﴿فلمّا أسلَما﴾ استسلَما وانقادَا لأمر الله تعالى **﴿وتَلَّهُ للجبين﴾** صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولايُشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه **١٠٤: ﴿وناديْناهُ أنْ ياإبراهيم﴾ ١٠٥: ﴿قد صدّقتَ الرُّؤيا﴾** فالتفتَ إبراهيمُ فإذا بكبش **﴿إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾** [أي: بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة] **١٠٦: ﴿إنّ هذا لهو البلاءُ المُبين﴾** الاختبار الواضح الجليّ، حيث أُمِرَ بذبح ولده فسَارعَ إلى ذلك منقاداً لأمر الله تعالى **١٠٧: ﴿وفَدَيناهُ بذِبْحٍ عظيم﴾** بكبش قد رعا في الجنّة أربعين خريفاً، فذبحه **١٠٨: ﴿وتركنا عليه في الآخِرين﴾** [أي: على إبراهيم ثناءً جميلاً في الأمم بعدَهُ، فما مِن أمّة إلّا تصلي عليه وتحبه] **١٠٩: ﴿سلامٌ على إبراهيمَ﴾ ١١٠: ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾** [أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي مَنِ انقادَ لأمر الله] **١١١: ﴿إنّه مِن عبادِنا المؤمنين﴾** [أي: الذين أعطُوا العبُوديّة حقَّها، فاستحقوا الإضافة إلى الله تعالى] **١١٢: ﴿وبشرناهُ بإسحاقَ نبيّاً من الصالحين﴾** هذا عطفٌ بذكر البشارة بأخيهِ إسحاق **﴿نبيّاً﴾** بُشِّرَ بنبوّته **١١٣: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاقَ﴾** على إسماعيل وعلى أخيه إسحاق **﴿ومِن ذُرّيّتِهما مُحْسِنٌ وظالِمٌ لنفسِهِ مُبين﴾** [فالمحسن الذي آمن بالله وبرسله وكتبه، والظالم لنفسه مَن كفر بالله أو برسله أو بكتبه] **١١٤: ﴿ولقد مَنَنّا على موسى وهارون﴾** يذكر تعالى ماأنعَمَ به على موسى وهارون بالنبوّة **١١٥: ﴿ونجيناهما وقومَهُما مِن الكَرْب العظيم﴾** من قهر فرعون وقومه **١١٦: ﴿ونصرنَاهُم﴾** عليهم، فغلبوهم وأخذوا أرضَهم وماجمعوا من أموال **﴿فكانُوا هُمُ الغَالِبِين﴾ ١١٧: ﴿وآتيناهما الكتابَ المستبين﴾** الواضح الجليّ، وهو التوراة، كما قال تعالى: **﴿ولقد آتينا موسى وهارونَ الفرقانَ وضياءً﴾ ١١٨: ﴿وهديناهُما الصِّراطَ المستقيم﴾** في الأقوال والأفعال **١١٩: ﴿وتركنا عليهما في الآخِرين﴾** أبقينا لهما من بعدها ذكراً جميلاً وثناءً حَسَناً، ثم فسّرَهُ بقوله تعالى: **١٢٠: ﴿سلامٌ على موسى وهارُون﴾ ١٢١: ﴿إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾** [أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي مَنِ انقادَ لأمر الله] **١٢٢: ﴿إنّهما مِن عبادِنا المؤمنين﴾** [أي: الذين اعطُوا العبودية حقّها، فاستحقوا الإضافة إلى الله تعالى] **١٢٣: ﴿وإنّ إلياسَ لَمِنَ المرسَلين﴾** بعثَهُ الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام، كان بنوا إسرائيل عبدوا صنماً يُقال له بعل[1]، فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ماسِوى الله **١٢٤: ﴿إذْ قال لقومِهِ ألاَ تتّقُون﴾**؟ ألاَ تخافون اللهَ عزّ وجلّ في عبادتكم غيرَهُ؟ **١٢٥: ﴿أتدْعُونَ بعلاً﴾** يعني ربّاً **﴿وتَذَرُون أحْسَنَ الخالِقِين﴾** [أي: أحسنَ من يُقال له خالق] **١٢٦: ﴿اللهَ ربَّكُمْ وربَّ آبائِكُمُ الأوَّلين﴾** هو المستحق للعبادة وحدَهُ لاشريكَ له.

الآية: ١٠٥ قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدُكم مايُحبُّ فلايُحدِّثْ به إلّا مَنْ يُحبُّ، وإذا رأى مايكره فلايُحدِّثْ به، وليتفُلْ عن يساره [ثلاثاً] وليتعوّذْ باللهِ من الشيطان الرجيم، ومِنْ شرِّ مارأى فإنّها لاتضرُّهُ» رواه الشيخان في صحيحيهما/الوابل الطيب/٢١٣/.

(١) وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سُمّيتْ مدينتُهم بعلبك. /القرطبي ج١٥/١١٧/ .

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

الحزب ٤٦

١٢٧: **﴿فكذّبوهُ فإنّهم لمحضرون﴾** للعذاب يوم الحساب **١٢٨**: **﴿إلّا عبادَ اللهِ المخلَصين﴾** الموحدين منهم، وهذا استثناءٌ منقطع من مثبت **١٢٩**: **﴿وتركنا عليه في الآخِرِن﴾** ثناءً جميلاً **١٣٠**: **﴿سلامٌ على إلْ ياسين﴾** [أي: على إلياس] كما يُقال في إسماعيل إسماعين **١٣١**: **﴿إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾ ١٣٢**: **﴿إنّه من عبادنا المؤمنين﴾**، تقدم تفسيره **١٣٣**: **﴿وإنّ لُوطاً لَمِنَ المرسَلِين﴾** بعثه الله إلى قوم سدوم، فكذّبوه فأهلكهم الله بأنواع العقوبات **١٣٤**: **﴿إذْ نجّيناهُ وأهلَهُ أجمعين﴾** فنجّاهُ اللهُ تعالى مِن بين أظهرهم هو وأهله إلّا امرأتَهُ **١٣٥**: **﴿إلّا عَجُوزاً في الغابرين﴾** امرأته فإنّها هلكت معَ مَن هلك من قومها **١٣٦**: **﴿ثمّ دمّرْنا الآخَرين﴾** أهلكهم الله وجعل من الأرض بحيرةً منتنةً قبيحة المنظر والطعم والريح[1] **١٣٧**: **﴿وإنّكم لتمرُّون عليهم مصبِحين﴾ ١٣٨**: **﴿وبالليلِ أفلا تعقِلُون﴾**؟ أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمّرَ اللهُ عليهم، وتعلمون أنّ للكافِرين أمثالُها؟ [وكانوا يمرّون عليها في رحلة الصيف إلى الشام] **١٣٩**: **﴿وإنّ يونس لَمِنَ المرسَلِين﴾** تقدمت قصّة يونس عليه السلام في سورة الأنبياء **١٤٠**: **﴿إذْ أبَقَ إلى الفُلْكِ المشحُون﴾** [أي: خرج بغير أمر الله تعالى مستتراً من النّاس، إلى السفينة المملُوءَة بالأمتعة] **١٤١**: **﴿فساهَمَ فكانَ مِنَ المُدْحَضِين﴾** المغلوبين، فسَاهَمُوا على مَن تقعَ عليه القرعة، فيُلقَى في البحر لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يُونس ثلاث مرات **١٤٢**: **﴿فالْتَقَمَهُ الحُوتُ﴾** بأمر الله تعالى **﴿وهو مُلِيمٌ﴾** [أي: أتى بما يُلامُ عليه] واللهُ أعلم بمقدار لبثه في بطن الحوت **١٤٣**: **﴿فلولا أنّه كانَ مِن المُسبّحين﴾** قام فصلى في بطن الحوت ودعا ربَّه [والمسبحين: أي: المصلين] **١٤٤**: **﴿لَلَبِثَ في بطنِهِ إلى يوم يُبْعَثُون﴾** وفي الحديث: «تعرّف إلى اللهِ في الرخاء يَعْرِفْكَ في الشِّدّة»، **﴿فنادَى في الظلماتِ أنْ لاإلهَ إلّا أنت سبحانَكَ إنّي كنتُ من الظالمين، فاستجبنَا لهُ ونجيناه مِن الغمِّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾ ١٤٥**: **﴿فنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ﴾** ألقيناه بأرض لانبات بها[2] **﴿وهو سَقِيمٌ﴾** ضعيف البدن **١٤٦**: **﴿وأنبتنا عليه شجرةً مِنْ يقطِين﴾** قَرْع، لما له من فوائد **١٤٧**: **﴿وأرسلناهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزِيدُون﴾** [وهم أهل نينوى من أرض الموصل] **١٤٨**: **﴿فآمنوا﴾** آمَنَ هؤلاء جميعُهم **﴿فمتّعناهم إلى حِين﴾** إلى وقتِ آجالِهم **١٤٩**: **﴿فاستفتِهم أَلِربِّكَ البناتُ ولَهُمُ البَنُون﴾**؟ يُنكر اللهُ تعالى على المشركين في جعلهم [الملائكة بنات الله] ولهم مايشتهون من الذكور **١٥٠**: **﴿أم خلقنا الملائكةَ إناثاً وهم شاهِدُون﴾**؟ كيف حكموا عليهم أنّهم إناث وماشاهَدُوا خلقهم؟ **١٥١**: **﴿ألاَ إنّهم مِن إفكهم ليقولُون﴾** من كذبهم **١٥٢**: **﴿وَلَدَ اللهُ﴾** صدر منه الولد **﴿وإنّهم لكاذِبُون﴾** ثم قال تعالى منكراً عليهم: **١٥٣**: **﴿أصطفَى البناتِ علَى البَنِين﴾**؟ أي: أيّ شيءٍ يحمله على أن يختار البناتِ دُون البنين؟!.

(١) وهذه البحيرة المنتنة: هي البحر الميّت. انظر تفسير سورة هود الآية ٧٧فمابعدها، وسورة الأعراف الآية ٨٠ فما بعدها، وسورة النمل الآية ٥٤ فمابعدها، وسورة العنكبوت الآية ٢٨ فما بعدها .

(٢) بساحلٍ قريةٍ من الموصل .

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سورة ص

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

١٥٤: ﴿**مالكم كيف تحكمون**﴾؟ مالكم عُقُولٌ تتدبَّرُون بها ماتقولون ١٥٥: ﴿**أفلاتذكرون**﴾؟ ١٥٦: ﴿**أم لكم سلطان مبين**﴾ حُجّة على ماتقولونه؟ ١٥٧: ﴿**فأتُوا بكتابكم إنْ كنتُمْ صادِقين**﴾ هاتُوا برهاناً على ذلك يكون مستنداً إلى كتاب منزل من الله؟! ١٥٨: ﴿**وجعلوا بينهُ وبين الجنَّةِ نَسَباً**﴾ قال المشركون: الملائكة بنات الله، فقال أبو بكر: فمن أمهاتُهنَّ؟ قالوا: بنات سروات الجنّ. ﴿**ولقد علمتِ الجنة**﴾ الذين نسَبُوا إليهم ذلك ﴿**إنّهم لمحضرون**﴾ إنّ الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم القيامة لكذبهم في ذلك ١٥٩: ﴿**سبحانَ اللهِ عمّا يصِفُون**﴾ تعالى وتقدّس عن أن يكون له ولد ١٦٠: ﴿**إلّا عبادَ اللهِ المخلَصِين**﴾ وهم المتبِعُون للحق المنزّل على كلّ نبيٍ ورسول [فإنّهم ناجُون مِن النّار] ١٦١: ﴿**فإنّكم وماتعبُدُون**﴾ [أي: هذه الأصنام] ١٦٢: ﴿**ماأنتُم عليه بِفاتِنِين**﴾ [أي: ماأنتم بِمُضِلّين أحداً إلّا مَن قدّرَ اللهُ عليه أن يضلّ] ١٦٣: ﴿**إلّا مَن هُوَ صالِ الجحيمِ**﴾ أي: إنّما ينقادُ لمقالتكم وماأنتم عليه مِنَ الضلالة والعبادة الباطِلَة مَن هو أضلّ منكم ممّن ذَرِىء للنّار ١٦٤: ﴿**ومامِنّا إلّا له مقامٌ معلومٌ**﴾ [هذا من قول الملائكة] أي: لكل مَلَكٍ موضع مخصُوص في السموات للعبادة لايتجاوزه ١٦٥: ﴿**وإنّا لنحنُ الصّآفُّون**﴾ [أي: يتراصُّون في الصف] روى ابن عساكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أطّتِ السماءُ وحقَّ لها أنْ تَئِطَّ ليس فيها موضعُ قدمٍ إلّا عليه مَلَك راكِعٌ أو ساجِدٌ» ١٦٦: ﴿**وإنّا لنحنُ المُسَبِّحُون**﴾ نُسَبِّحُ الله ونمجدهُ ونقدِّسُهُ ونُنزِهُهُ، فنحن عبيدٌ له [أي: فكيف يعبُدُنَا المشركون؟] ١٦٧: ﴿**وإن كانُوا ليقُولُون**﴾ [أي: المشركون] ١٦٨: ﴿**لو أنّ عندنا ذكراً مِن الأوّلين**﴾ [أي: لو بُعِثَ إلينا نبيٌّ ببيان الشرائع] قبل محمد ١٦٩: ﴿**لكُنّا عبادَ اللهِ المخلَصِين**﴾ تمنَّوا لو كان عندهم من يُذكِّرهم بأمر الله قبل أن يأتيَهم محمدٌ ١٧٠: ﴿**فكفَرُوا به**﴾ برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**فسوفَ يعلمون**﴾ وَعِيدٌ أكيدٌ وتهديد شديدٌ على كفرهم ١٧١: ﴿**ولقد سبقتْ كلمتُنَا لعبادِنَا المرسَلِين**﴾ في الكتاب الأوّل [وهو اللوح المحفوظ] ١٧٢: ﴿**إنّهم لَهُمُ المنصُورُن**﴾ في الدنيا والآخرة ١٧٣: ﴿**وإنّ جُندَنَا لَهُمُ الغالِبُون**﴾ تكون لهم العاقبة ١٧٤: ﴿**فتولَّ عنهم حتى حِين**﴾ اصبْر على أذاهم إلى وقتٍ مؤجّلٍ ١٧٥: ﴿**وأبْصِرْهُم فسوف يُبْصِرُون**﴾ انظِرْهُم وارتقِبْ ماذا يحِلُّ بهم من العذاب، وهذا تهديدٌ ووَعيدٌ ١٧٦: ﴿**أفبعَذَابنا يستعجِلُون**﴾؟ إنّما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بكَ ١٧٧: ﴿**فإذا نَزَلَ بساحتِهِمْ**﴾ إذا نزل العذاب بدارهم ﴿**فسَاءَ**﴾ فبئسَ ﴿**صَبَاحُ المنذَرِين**﴾ [وخُصَّ الصباح بالذكر لأنّ العذاب كان يأتيهم فيه] ١٧٨: ﴿**وتولَّ عنهم حتى حِين**﴾ تأكيدٌ لما تقدّمَ مِن الأمر بذلك، [وكذا أيضاً قوله تعالى:] ١٧٩: ﴿**وأبصِرْ فسوفَ يُبْصِرُون**﴾ ١٨٠: ﴿**سبحانَ ربِّكَ ربِّ العِزَّةِ عمّا يصِفُون**﴾ ينزّهُ تعالى نفسَهُ ويُقدِّسها عمّا يقوله الظالمون ١٨١: ﴿**وسلامٌ على المرسَلِين**﴾ سلامُ الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ماقالُوهُ في ربِّهم وصحتِهِ وحقيقته ١٨٢: ﴿**والحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ**﴾ له الحمدُ في الأُولَى والآخرة في كل حال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

تفسير سورة صٓ

١: ﴿**صٓ**[1] **والقرآنِ ذي الذِّكْرِ**﴾ والقرآنِ المشتمل على مافيه ذِكْرٌ للعباد ونفعٌ لهم في المعاش والمعاد. [وأيضاً]: ﴿**ذي الذكر**﴾ ذي الشرف والشأنِ والمكانة **٢**: ﴿**بَلِ الذين كفـرُوا في عِزّةٍ**﴾ استكبـار عنـه وحميّـةٍ ﴿**وشِقـاقٍ**﴾ ومخالفةٍ له ومعاندة ومفارقة، ثم خوّفهم سبحانه بما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل فقال تعالى: **٣**: ﴿**كم أهلكنا مِن قبلِهم مِن قَرْنٍ**﴾ من أمّةٍ مكـذّبـةٍ ﴿**فَنـادَوْا**﴾ حين جاءهم العذابُ استغاثُوا وجأرُوا إلى الله تعالى ﴿**ولاتَ حِينَ مَناصٍ**﴾ ليس بحين تَرَوٍّ ولافِرار ولاإجابة **٤**: ﴿**وعجِبُوا أن جاءهم مُنذِرٌ منهم**﴾ يُخبر تعالى عن المشركين في تعجّبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيراً ونذيراً منهم، أي: بشر مثلهم ﴿**وقال الكافِرُون هذا سـاحرٌ كذّاب**﴾ **٥**: ﴿**أجعلَ الآلهة إلهاً واحداً**﴾ أزعَم أنّ المعبود واحد؟ ﴿**إنّ هذا لشـيءٌ عُجَـابٌ**﴾ أنكر المشركون ذلك، وتعجّبُوا من ترك الشرك بالله **٦**: ﴿**وانطلقَ الملأ منهم**﴾ وهم سادتُهم وقادتهم وكبراؤهم قـائـلين: امشـوا واستمـرّوا على دينكـم ﴿**واصبِرُوا على آلهتكـم**﴾ لاتستجيبُوا لِما يدعوكم إليـه محمدٌ من التوحيد، ﴿**إنّ هذا لشيءٌ يُراد**﴾ إن هذا الذي يدعونا إليه محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد لشيءٌ يُريد به الشرَف عليكم **٧**: ﴿**ماسمعنا بهذا في المِلّة الآخِرَة**﴾ يعنون النصرانيّة، قالوا لو كان هذا القرآن حقّاً لأخبرتنا به النصارَى ﴿**إنْ هذا إلّا اختلاق**﴾ تخرّص **٨**: ﴿**أأُنزِلَ عليه الذكرُ مِن بيننا**﴾؟ يعني أنّهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم، ﴿**بَلْ هُمْ في شكٍّ من ذكري**﴾ [أي: القرآن، أي: قد علموا أنّك لم تزل صَدُوقاً، وإنما شكوا فيما أنزلته عليك هل هو من عندي أم لا]، ﴿**بَلْ لَمّا يذوقُوا عذاب**﴾ إنّما يقولون هذا لأنّهم ماذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته **٩**: ﴿**أم عندهم خزائنُ رحمةِ ربِّكَ العزيزِ الوهاب**﴾ لايملكون شيئاً من الأمر، وليس إليهم ولامثقال ذرّة ومايملِكُون من قطمير **١٠**: ﴿**أم لهم مُلْكُ السمواتِ والأرض ومابينهما فليرتقُوا في الأسباب**﴾؟ إن كان لهم ذلك فليصعَدُوا في الأسباب؛ يعني طرق السماء، ثم قال تعالى: **١١**: ﴿**جُندٌ ماهُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأحزاب**﴾ هؤلاء الجندُ المكذِّبون سيُهزَمُون ويُغلَبُون ويُكبتون كما كُبِتَ الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين **١٢**: ﴿**كذّبتْ قبلَهُم قومُ نُوحٍ وعادٌ وفرعونُ ذُو الأوتاد**﴾ **١٣**: ﴿**وثمودُ وقومُ لُوطٍ وأصحابُ الأيكة أولئك الأحزاب**﴾ كانوا أكثر منكم وأشدّ قوّةً وأكثر أموالاً وأولاداً فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيءٍ لّما جاء أمرُ ربِّك، ولهذا قال عزّ وجلّ: **١٤**: ﴿**إن كُلٌّ إلّا كذّبَ الرُّسُلَ فحقّ عِقاب**﴾ فليحذر المُخاطَبُون من ذلك أشدَّ الحذر **١٥**: ﴿**ومايَنظُرُ هؤلاء إلّا صيحةً واحدةً مالها مِن فَواق**﴾ وهذه الصيحة هي نفخة الفزع [مالها من ترداد ورجوع] **١٦**: ﴿**وقالُوا ربَّنا عَجِلْ لَنا قِطّنا يومِ الحِساب**﴾ سألوا تعجيل العذاب على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

---

(١) تقدم الكلام على الأحرف المقطعة في أول سورة البقرة.

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

١٧: ﴿اصْبِرْ على مايقولون﴾ على أذاهم [وهذا منسوخ بآية القتال]. **﴿واذْكُرْ عبدَنا داوُدَ ذَا الأيدِ﴾** ذَا القوّة في العلم والعمل. **﴿إنّه أوّاب﴾** الأوّابُ: الرّجّاعُ إلى الله عزّ وجلّ في جميع أموره وشؤونه **١٨: ﴿إنّا سخّرنا الجبالَ معه يُسبِّحْنَ بالعَشِيّ والإشراق﴾** أنّه تعالى سخر الجبال تُسبِّح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار **١٩: ﴿والطيرَ محشورةً﴾** وكذلك كانت الطيرُ تسبِّحُ بتسبيحه إذا مرّت به وهو يترنّم بقراءة الزبور، لاتستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبِّح معه وتُجيبه الجبال، **﴿كلٌّ له أوّاب﴾** مطيع يسبح تبعاً له **٢٠: ﴿وشدَدْنا مُلْكَهُ﴾** [أي: قويناه حتى ثبتَ] **﴿وآتيناهُ الحِكْمَةَ﴾** يعني: الفهم والعقل والعدل والصواب، **﴿وفصلَ الخطاب﴾** الفصل في الكلام وفي الحكم **٢١: ﴿وهَلْ أتاكَ نبأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوّروا المِحْراب﴾**[(١)] [أتوه من أعلى سوره ونزلُوا عليه] **٢٢: ﴿إذْ دخلُوا على دَاوُدَ فَفَزِعَ منهم﴾** لأنّه لم يشعر إلّا بشخصين قد تسوّروا عليه المحراب، يسألانه عن شأنهما **﴿قالوا لاتخفْ﴾** [أتياه ليلاً ودخلوا عليه بغير إذنه] **﴿خصمان﴾** [أي: نحنُ خصمان] **﴿بغَى بعضُنا على بعضٍ فاحْكُمْ بيننا بالحقّ ولاتُشْطِطْ﴾** [أي: لاتجُرْ في حُكْمِكَ] **﴿واهدِنا إلى سَواءِ الصِّراطِ﴾ ٢٣: ﴿إنّ هذا أخِي له تِسْعٌ وتِسْعُون نعجةً﴾** [النعجة أنثى الضأن] **﴿وليَ نعجةٌ واحِدةٌ فقالَ أكفِلنيها﴾** [أي: ضُمّها إليّ] **﴿وعَزّني في الخطاب﴾** غلبني **٢٤: ﴿قالَ لقدْ ظَلَمَكَ بسؤالِ نعجتِكَ إلى نِعَاجِهِ﴾** [هنا وقعت المؤاخذة؛ إنّ أحدَ الخصمين ادّعى والآخر سلّم في الدعوى، فوقع بعد ذلك الحُكم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا جلسَ إليك الخصمان فلا تقضِ لأحدِهما حتى تسمعَ مِنَ الآخر»]، **﴿وإنّ كثيراً من الخُلَطاء لَيَبْغِي بعضُهم على بعضٍ إلّا الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات وقليلٌ ماهُمْ﴾** [هذا اعتراضٌ تذييلي من كلام داود تتمة لِما ذكره أولاً. ولم يحكِ القرآن اعتراف المدّعىَ عليه، لأنه معلومٌ من الشرائع كلها أنّه لايحكم الحاكم إلّا بعد إجابة المدّعىَ عليه]، **﴿وظنّ دَاوُدُ أنّما فتنّاهُ﴾** اختبرناه وابتليناهُ [وظنّ: معناه أيقنَ] **﴿فاستغفرَ ربَّهُ وخرَّ راكِعاً﴾** ساجداً **﴿وأناب﴾** [أي: رجع إلى ربّه بالتوبة من ذنبِهِ] **٢٥: ﴿فغفرنَا لهُ ذلك﴾** ماكان منه مِمّا يُقال فيه: إنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين. **﴿وإنّ لهُ عندَنا لَزُلْفَى﴾** [أي: قُرْبة بعد المغفرة] **﴿وحُسْنَ مآب﴾** [أي: حُسْنَ المرجع وهو الجنّة] **٢٦: ﴿يادَاوُدُ إنّا جعلناكَ خليفةً في الأرض فاحْكُم بينَ النّاس بالحقّ ولاتتّبعِ الهوى فيُضِلّكَ عن سبيل الله﴾** هذه وصيّةٌ مِن الله عزّ وجلّ لِوُلاةِ الأمور أن يحكموا بين النّاس بالحقّ المنزّل من عنده سبحانه ولايعدِلُوا عنه فيضِلُّوا عن سبيل الله، ثم توعّدَ تعالى بالعذاب الشديد مَن ضلَّ عن سبيله فقال: **﴿إنّ الذين يَضِلّون عن سبيلِ اللهِ لهم عذابٌ شديدٌ بما نَسُوْا يومَ الحِساب﴾** بما تركُوا أن يعملُوا ليوم الحساب.

(١) قال الحافظ ابن كثير: قد ذكر المفسرون هاهنا قصّةً أكثرها مأخوذٌ من الإسرائيليات [ولذلك لم يخض في الإسرائيليات في تفسير هذه الآيات الواردة في شأن داود عليه السلام كما فعل كثير من المفسرين في روايتهم الأخبار الإسرائيلية في تفاسيرهم عند هذه الآيات] ولهذا قال: الأولى أن يُقصرَ على مجرّد تلاوة هذه القصة وأن يُردّ علمها إلى الله عزّ وجلّ، فإنّ القرآن حقٌّ وماتضمّن فهو حق. [ولذا جاء تفسيره لها مقتضباً جداً، وماذكرناه ضمن هذا [....] فقد نقلناه عن القرطبي والألوسي والشوكاني].

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٢٧: ﴿وماخلقنا السماءَ والأرضَ ومابينهما باطلاً﴾ إنّما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، **﴿ذلك ظنُّ الذين كفروا﴾** الذين لايرون بعثاً ولامعاداً، وإنّما يعتقدون هذه الدار فقط **﴿فويلٌ للذين كفروا مِنَ النّار﴾** لهم الويل يوم معادهم من النّار، ثم بيّن تعالى عدله وأنه لا يُساوي بين المؤمنين والكافرين **٢٨: ﴿أم نجعلُ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ كالمفسدين في الأرض أم نجعلُ المتقين كالفجّار﴾**؟! لانفعل ذلك، ولايستوون عندَ اللهِ **٢٩: ﴿كتابٌ أنزلناه إليكَ مبارَكٌ لِيَدّبَّرُوا آياتِهِ وليتذكّرَ أولوا الألباب﴾** [وفي هذا دليلٌ على وجوب معرفة معاني القرآن، ودليل على أنّ الترتيلَ أفضلُ من الهذّ، أي: القراءة المسرعة]، وأولوا الألباب: ذَوُوا العقول **٣٠: ﴿ووهَبْنا لِداوُد سليمانَ نِعْمَ العبدُ﴾** يُخبر تعالى أنّه وهبَ لداوُدَ سليمانَ نبيّاً، **﴿نِعْمَ العبدُ إنّه أوّابٌ﴾** ثناءٌ من الله على سليمان بأنّه كثير العبادة والطاعة والإنابة إلى الله عزّ وجلّ **٣١: ﴿إذْ عُرِضَ عليه بالعَشِيّ الصافِناتُ الجياد﴾** عُرضت عليه في حال سلطانه الخيل الصافِنات، أي: ذات أجنحةٍ، والجياد: أي: السِّراع، روى أبو داود: قالت عائشة: (أمَا سمعتَ أنّ سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة؟ فضحك صلى الله عليه وآله وسلم حتى رأيتُ نواجِذَهُ) **٣٢: ﴿فقال إنّي أحببتُ حُبَّ الخيرِ عن ذكرِ ربّي حتى توارت بالحجاب﴾** إنّه اشتغلَ بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، كما شُغل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلّاها بعد الغروب، كما ثبت ذلك في الصحيحين **٣٣: ﴿رُدُّوها عليَّ فطَفِقَ مسحاً بالسُّوق والأعناق﴾** فجعلَ يمسحُ أعرافَ الخيل وعراقيبَها حُبّاً لها. **٣٤: ﴿ولقد فتنّا سليمانَ﴾** اختبرناه وابتليناه، [وذلك ما جاء في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان: لأطوفنَّ الليلة على تسعين امرأة [أي زوجاته] كلهُنَّ تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل «إنْ شاء الله» فطاف عليهنّ فلم تحمل إلّا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل [أي مولود ناقص] وايْمُ اللهِ لو قال: إنْ شاءَ اللهُ لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»] **﴿وألقينا على كرسيّه جَسَداً﴾** [وهو ذلك الذي ولدته زوجته] **﴿ثم أنَابَ﴾** رجعَ إلى الله وتابَ [وقد ذكر ابن كثير ما ذكره المفسرون من حكايات سلب ملكه ثم رجوعه إليه، ثم قال: في هذا السياق منكرات، فلم يرضَ بتلك الأخبار] **٣٥: ﴿قالَ ربِّ اغفِرْ لي وهَبْ لي مُلْكاً لاينبغي لأحدٍ من بعدي إنّكَ أنتَ الوهاب﴾** أي لايصلح لأحدٍ أن يسلبنيهِ بعدي، وأن لايكون لأحدٍ من بعدهِ من البشر مثله **٣٦: ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الريحَ تجري بأمرِهِ رُخاءً حيثُ أصاب﴾** [رُخاءً: ليّنةً مع قوّتها وشدّتها، يُسيّرها حيث أراد] **٣٧: ﴿والشياطينَ كلَّ بنّاءٍ﴾** يبني الأبنية الهائلة التي لايقدر عليها البشر **﴿وغوّاص﴾** في البحار يستخرجون مافيها من اللآلئ والجواهر **٣٨: ﴿وآخرين مُقرَّنينَ في الأصفاد﴾** موثّقون في الأغلال ممّن قد تمرّدَ وعصى **٣٩: ﴿هذا عطاؤنا فامْنُنْ أو أمسِكْ بغيرِ حساب﴾** هذا الملك والسلطان التام كما سألتنا ، فأعطِ مَن شِئتَ واحْرِمْ مَن شِئتَ لاحساب عليك **٤٠: ﴿وإنّ لهُ عندنا لزُلْفَى وحُسْنَ مآب﴾** له النبوّة مع الملك في الدنيا [وفي الآخرة قربةٌ وحُسْنُ مرجع] **٤١: ﴿واذكُرْ عَبْدَنا أيّوبَ إذْ نادَى ربَّهُ أنّي مَسّنِيَ الشيطانُ بنُصْبٍ وعذابٍ﴾** [أي: مايلحقه من وسوسته لاغير فيما أصابه في بدنه من البلاء] **٤٢: ﴿ارْكُضْ بِرِجلِكَ﴾** اضرب الأرض ففعل فأنبع الله له عيناً **﴿هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب﴾** فأذهبت ماكان به من السوء، وتكاملت له العافية.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٤٦

٤٣: ﴿ووهبنا لهُ أهلَهُ ومثلَهُم معهم رحمةً منّا﴾ أحيا الله تعالى له أولاده بأعيانِهم وزادَهم مثلَهم معهم، رحمةً به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته **﴿وذكرَى لأولي الألباب﴾** لِذَوي العقول ليعلموا أنّ عاقبةَ الصبرِ الفَرَجُ والمخرَجُ والراحةُ **٤٤: ﴿وخُذْ بيدِكَ ضِغْثاً فاضرب به ولاتحنث﴾** وذلك أنه عليه السلام كان قد غضب على زوجته فحلف إن شفاه الله ليضربنّها مائةَ جلدة، فأفتاهُ اللهُ عزّ وجلّ أن يأخذ الشمراخ وفيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدةً، فيخرج من حِنثِه وقد وفّى بنذرِه، وهذا الفرج لمن اتقى الله، ولهذا قال تعالى: **﴿إنّا وَجَدْناهُ صابراً نِعْمَ العبدُ إنّهُ أوّاب﴾** رجّاعٌ مُنيبٌ، أثنى الله عليه ومدحه **٤٥: ﴿واذْكُرْ عِبادَنا إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقُوبَ أولي الأيدِي والأبصار﴾** أصحاب العمل الصالح والعلم النافع والقوّة في العبادة والبصيرة النافِذَة في الدِّين **٤٦: ﴿إنّا أخْلَصناهم بخالِصةٍ ذِكْرَى الدَّار﴾** جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌّ غيرها **٤٧: ﴿وإنّهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيار﴾** لَمِنَ المختارين المُجْتَبَين الأخيار **٤٨: ﴿واذْكُرْ إسماعيلَ واليَسَعَ وذَا الكِفلِ وكلٌّ مِنَ الأخيار﴾** لقد تقدَّمت قصصهم في سورة الأنبياء عليهم السلام بما أغنى عن إعادته **٤٩: ﴿هذا ذِكْرٌ﴾** يعني القرآن العظيم، **﴿وإنّ للمتقينَ لَحُسْنَ مآب﴾** لهم في الآخرة حُسْنُ المرجع، ثم فسَّرَهُ تعالى بقوله: **٥٠: ﴿جنّاتِ عَدْنٍ مفتّحةً لَهُم الأبواب﴾** إذا جاؤوها فُتِحتْ لهم أبوابها **٥١: ﴿مُتكئِين فيها﴾** على سُرُرٍ **﴿يَدْعُون فيها بفاكِهةٍ كثيرةٍ﴾** مهما طلبُوا وَجَدُوا، وأُحْضِرَ كما أرادُوا **﴿وشرابٌ﴾** مِن أيِّ أنواعِهِ شاؤوا أتتهم به الخُدّام **٥٢: ﴿وعندَهُمْ قاصِرَاتُ الطرفِ أترابٌ﴾** فلا يلتفتنَ إلى غير بعولتهنّ، ومتساويات في السِّن **٥٣: ﴿هذا ماتُوعَدُونَ ليوم الحساب﴾** هذا الذي ذكرنا من صفة الجنّة هي التي وعدها سبحانه للمتقين التي يصيرُون إليها بعد نُشُورهم **٥٤: ﴿إنّ هذا لرزقنا مَالَهُ مِن نَفَادٍ﴾** كقوله تعالى: ﴿أكُلُها دائمٌ وظلُّها تِلكَ عُقبى الذين اتقَوْا﴾ **٥٥: ﴿هذا وإنّ للطّاغِينَ لشرَّ مآب﴾** للخارجين عن طاعة الله سوءُ المنقلب والمرجع **٥٦: ﴿جهنّم يصلَوْنَها﴾** يدخلونها **﴿فبئسَ المِهَاد﴾** [بئس مامهدُوا لأنفسهم] **٥٧: ﴿هذا فلْيَذُوقُوهُ حميمٌ﴾** حارٌّ قد انتهى حرُّهُ **﴿وغسّاقٌ﴾** باردٌ لايُستطاع مِن شدّةِ بردِه المؤلم، ولهذا قال عزّ وجلّ: **٥٨: ﴿وآخَرُ مِن شكلِهِ أزواجٌ﴾** وأشياء من هذا القبيل؛ الشيء وضدّه يُعاقبون بها، وألوان من العذاب **٥٩: ﴿هذا فَوْجٌ مقتحم﴾** داخِلٌ **﴿معكم لامَرْحَباً بهم إنّهم صَالُوا النّار﴾** لأنّهم من أهل جهنّم، هذا قول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الزبانية، فيقول لهم الداخِلُون: **﴿بل أنتم لامرحباً بكم﴾ ٦٠: ﴿قالوا بل أنتم لامرحباً بكم أنتم قدّمتمُوهُ لنا﴾** أنتم الذين دعوتمونا إلى ماأفضَى بنا إلى هذا المصير **﴿فبِئسَ القرار﴾** المنزل والمستقر **٦١: ﴿قالوا﴾** [يعني الأتباعُ] **﴿ربّنا مَن قدّمَ لنا هذا فزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً في النّار﴾** كما قال تعالى: ﴿قالتْ أُخراهُم لأُولاهُم ربَّنا هؤلاءِ أضلُّونا فآتِهم عذاباً ضِعْفاً مِن النّار﴾.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

٦٢:**﴿وقالوا مالنا لانرى رجالاً كُنّا نعُدُّهم من الأشرار﴾**؟ إنّ الكفار يفتقِدُون رجالاً كانوا يعتقدون أنّهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم، قالوا: مالنا لانراهم معنا في النّار؟ ٦٣: **﴿اتخذناهم سِخْرِيّاً﴾** في الدار الدنيا **﴿أم زاغَتْ عنهم الأبصار﴾**؟ يُسَلُّون أنفسَهم بالمُحال؛ أي: لعلّهم معنا في جهنّم ولكن لم يقع بصرُنا عليهم ٦٤: **﴿إنّ ذلك لحقٌّ﴾** هذا الذي أخبرناك به يامحمد **﴿تخاصُم أهل النّار﴾** لامِرْيَةَ فيه ولاشك ٦٥: **﴿قلْ إنّما أنا مُنذرٌ﴾** [مخوّف عقاب الله لمن عصاه] **﴿ومامِن إلهٍ﴾** [معبود] **﴿إلّا الله الواحدُ القهارُ﴾** الذي قد قهرَ كلَّ شيءٍ وغلبَهُ ٦٦: **﴿ربُّ السموات والأرض ومابينهما﴾** هو مالكُ جميع ذلك ومتصرّف فيه **﴿العزيزُ الغفار﴾** غفّارٌ مع عظمته وعِزّته ٦٧: **﴿قلْ هو نبأٌ عظيمٌ﴾** إرسال الله تعالى إيّايَ إليكم، خبرٌ عظيمٌ وشأنٌ بليغٌ ٦٨: **﴿أنتم عنهُ مُعْرِضُون﴾** غافِلُون ٦٩: **﴿ماكان لي مِن علمٍ بالملإ الأعلى إذْ يختصِمُون﴾** لولا الوحي مِن أين كنتُ أدري باختلاف الملأ الأعلى؟ يعني في شأن آدم عليه السلام وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجّتِهِ ربَّهُ في تفضله عليه ٧٠: **﴿إنْ يوحىٰ إليَّ إلّا أنّما أنا نذيرٌ مُبين﴾** ٧١: **﴿إذْ قال ربُّكَ للملائكةِ إنّي خالِقٌ بشراً مِن طين﴾** أعلمَ الله الملائكةَ قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام، بأنّه سيخلق بشراً مِن صلصالٍ مِن حمأٍ مسنون ، وتقدّم إليهم بالأمر ٧٢: **﴿فإذا سَوّيتُهُ ونفختُ فيه من رُوحِي فقَعُوا له ساجدين﴾** إكراماً وإعظاماً واحتراماً، وامتثالاً لأمر الله ٧٣:**﴿فسجدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعُون﴾** [لم يتخلّف أحدٌ منهم عن ذلك] ٧٤:**﴿إلّا إبليسَ﴾** سوى إبليس، ولم يكن منهم جنساً، كان مِن الجنّ **﴿استكبرَ﴾** عن السجود لآدم **﴿وكان من الكافرين﴾** وقد خاصَمَ ربَّه عزّ وجلّ فيه ٧٥: **﴿قال ياإبليسُ مامَنَعَكَ أن تسجُدَ لِما خلقتُ بِيَدَيَّ أستكبرتَ أمْ كنتَ مِن العَالِين﴾**؟! [أستكبرت عن السجود، أم كنتَ مِن العَالِين عليّ]؟ ٧٦: **﴿قالَ أنَا خيرٌ منه خلقتني مِن نارٍ وخلقتَهُ مِن طِينٍ﴾** [فضّلَ النّارَ على الطين، وهذا جهلٌ منه] ٧٧: **﴿قالَ فاخرُجْ منها فإنّك رجيمٌ﴾** أبعدَهُ الله وطرده عن باب رحمته وحضرةِ قُدْسِهِ، **﴿فإنّكَ رجيمٌ﴾** [مرجوم بالكواكب والشهب] وسمّاه إبليسَ إعلاماً له بأنّه قد أُبلِسَ من الرحمة ٧٨: **﴿وإنّ عليكَ لعنتي إلى يوم الدِّين﴾** وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض، فسأل النظرة إلى يوم البعث ٧٩: **﴿قالَ ربِّ فأنظرني إلى يوم يُبعَثُون﴾** ٨٠: **﴿قالَ فإنّكَ مِن المُنْظَرِين﴾** فأنظرَهُ الحليم الذي لايعجل على مَن عصاه [بالعقوبةِ والانتقام] ٨١: **﴿إلى يومِ الوقتِ المعلُوم﴾** فلمّا أمِنَ من الهلاك إلى القيامة تمرّدَ وطغى ٨٢: **﴿قالَ فبِعِزّتِكَ لأغوينّهم أجمعين﴾** [بتزيين الشهوات وإدخال الشُّبَه عليهم، والإغواء: الاستدعاء بتغرير] ٨٣: **﴿إلّا عبادَكَ منهم المُخْلَصِين﴾** [الذين أخلصتهم لعبادتك، وعصمتَهم منّي] كما قال تعالى: **﴿إنّ عبادِيَ ليسَ لك عليهم سُلْطانَ وكَفى بربِّكَ وكيلاً﴾**.

الآية: ٧١ ـ ٨٥ هذه القصة ذكرها الله سبحانه في سورة البقرة وفي أول الأعراف والحجر وسبحان والكهف، وهي أنّ الله تعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنّه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم الأمر إليهم: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراماً وإعظاماً وامتثالاً لأمر الله عزّ وجلّ فامتثل ذلك الملائكة كلهم، سوى إبليس =

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

٨٤: ﴿**قالَ فالحقُّ والحقَّ أقولُ**﴾ أنا الحقُّ، وأقولُ الحقَّ ٨٥: ﴿**لأملأنّ جهنّم منكَ وممّن تبعَكَ منهم أجمعين**﴾ كقوله عزّ وجلّ: ﴿قال فاذهَب فمن تبعَكَ منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاءً مَوْفُوراً﴾ ٨٦: ﴿**قُلْ**﴾ يامحمد لهؤلاء المشركين: ﴿**ماأسألكُم عليه مِن أجْرٍ**﴾ على هذا البلاغ وهذا النُّصح ﴿**وماأنا مِن المتكلِّفين**﴾ لاأزيد على ماأرسلني به ولاأنقص منه ٨٧: ﴿**إنْ هُوَ**﴾ يعني القرآن ﴿**إلّا ذكر للعالمين**﴾ لجميع المكلّفين مِن الإنس والجنّ ٨٨: ﴿**ولَتَعْلَمُنَّ نبأَهُ بعدَ حين**﴾ لتعلمنّ خبرَهُ وصدقَهُ عن قريب؛ أي: عندَ الموتِ يأتيكم الخبرُ اليقين.

تفسير سورة الزُّمَر

١: ﴿**تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ الحكيم**﴾ يُخبر تعالى أنّ تنزيل هذا القرآن العظيم مِن عندِهِ تعالى؛ فهو الحقُّ الذي لامرية فيه ولاشك، كما قال تعالى: ﴿وإنّه لتنزيلٌ مِن ربِّ العالَمين. نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ. على قلبكَ لتكونَ مِن المُنذِرين﴾ ٢: ﴿**إنّا أنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ فاعْبدِ اللهَ مُخْلِصاً لهُ الدِّين**﴾ فاعبدِ اللهَ وحدَهُ لاشريكَ له، وادْعُ الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنّه لاتصلح العبادَة إلّا له سبحانه ولهذا قال تعالى: ٣: ﴿**ألاَ للهِ الدِّينُ الخالِصُ**﴾ لا يقبلُ مِن العمل إلّا ماأخلصَ فيه العامِلُ للهِ وحدَهُ لاشريك له. ﴿**الدِّينُ الخالصُ**﴾: شهادةُ أنْ لاإلهَ إلّا الله. ثم أخبر تعالى عن عُبّاد الأصنام من المشركين فقال: ﴿**والذين اتّخذُوا مِن دُونِه أولياءَ مانَعْبُدُهُمْ إلّا لِيُقرّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى**﴾ ليشفعوا لنا ويقرّبُونا عنده منزلةً ولهذا كانوا يقولون في حجّهم: لبيكَ لاشريكَ لكَ إلّا شريكاً هو لكَ تملكه وماملَكَ، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل بردّها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد الله بعبادته وحدَهُ لاشريك له. ﴿**إنّ اللهَ يحكُمُ بينَهم**﴾ يوم القيامة ﴿**فيما هُم فيه يختلِفُون**﴾ سيفصل بين الخلائق يوم مَعادِهم ويجزي كلَّ عاملٍ بعمله، ﴿**إنّ اللهَ لايهدِي مَن هو كاذِبٌ كفّارٌ**﴾ لايُرشِدُ إلى الهداية مَن قصدُهُ الكذب والإفتراء على الله، وقلبُهُ كافرٌ بآياته. ثم بيّن تعالى أنّه لاوَلَدَ لهُ كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود في العُزير، والنصارى في عيسى فقال تعالى: ٤: ﴿**لو أرَادَ اللهُ أن يتخذَ ولداً لاصطفَى مِمّا يخلق مايشاء**﴾ لكان الأمرُ على خلاف ماتزعمون؛ عَلّقَ الشرط على المستحيل لمقصد المتكلّم، ولهذا قال تعالى: ﴿**سُبْحانَهُ هو اللهُ الواحِدُ القهّارُ**﴾ تنزّه وتقدّس على أن يكون له ولد، فإنّه الواحِدُ الأحدُ الفردُ الصّمدُ ٥: ﴿**خلقَ السماواتِ والأرضَ بالحقِّ**﴾ [أي: هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد] ﴿**يُكوِّرُ اللّيلَ على النهارِ ويُكوّرُ النهارَ على الليل**﴾ سخّرهما يجريان متعاقبان ﴿**وسخّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مُسمّى**﴾ إلى يوم القيامة، ﴿**ألاَ هو العزيزُ الغفّارُ**﴾ هو مع عظمته غفارٌ لمن عصاه ثم تابَ وأنابَ إليه.

= لم يكن من جنس الملائكة، فاستنكف عن السجود لآدم فلعنه الله وطرده عن باب رحمته، وكان من تمرّده وعتوّه ماذكر الله عنه في هذه الآيات وغيرها من العصيان والكفر. /ابن كثير - بتصرف ج٤/٤٣/

الآية: ٣ روى ابن ماجه والحاكم وصححه عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: من فارَقَ الدنيا على الإخلاص للهِ وَحْدَهُ لاشريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة فارقها واللهُ عنهُ راضٍ». /الترغيب ج١/٥٣/

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

٦: ﴿**خلقكم مِن نفسٍ واحدة**﴾ خلقكم مع اختلاف أجناسِكم وأصنافكم من نفسٍ واحدة، وهو آدم عليه الصلاة والسلام ﴿**ثم جعلَ منها زوجَها**﴾ وهي حوّاء عليها السلام، ﴿**وأنزل لكم مِنَ الأنعام ثمانيةَ أزواج**﴾ وخلقَ لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج، وهي المذكورة في سورة الأنعام؛ مِنَ الضأنِ اثنين ومِن المَعْزِ اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين [أي: ذكر وأنثى من كل نوع]، ﴿**يخلقكم في بُطونِ أُمّهاتكم**﴾ قدّركم في بطون أمهاتكم ﴿**خلقاً من بعدِ خلقٍ**﴾ يكون نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً، ثم يخلق فيكون لحماً وعظماً وعَصَباً، وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر، ﴿**في ظلماتٍ ثلاثٍ**﴾ في ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد، وظلمة البطن، ﴿**ذلكُمُ اللهُ ربُّكم**﴾ الذي خلق السماواتِ والأرضَ وخـلقكـم وآباءَكم هو الرَّبُّ ﴿**له المُلْكُ**﴾ والتـصرّف في جميع ذلك ﴿**لاإلٰهَ إلاّ هـو**﴾ الذي لاتنبغي العبـادةُ إلاّ له وحده ﴿**فأنّى تُصْرَفُون**﴾؟ فكيف تعبُدون معه غيره؟ ٧: ﴿**إنْ تكفُروا فإنّ اللهَ غنيٌّ عنكـم**﴾ يُخبر تعـالى عن نفسـه أنّه الغني عمّـا سواه من المخـلوقات ﴿**ولايرضَى لعبـادِهِ الكفر**﴾ لايُحبُّـهُ ولايأمرُ بهِ ﴿**وإنْ تشكروا يرضَـهُ لكـم**﴾ يُحبُّـهُ لكـم ويزدكم مِن فضـلـه، ﴿**ولاتَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى**﴾ لاتحمل نفسٌ شيئاً بل كلٌّ مُطالَبٌ بأمرِ نفسِـه ﴿**ثم إلى ربِّكم مرجِعُكم فيُنبئكم بما كنتُم تعملون**﴾ فلا تخفى عليه خافية ﴿**إنّه عليمٌ بذاتِ الصُّدُور**﴾ ٨: ﴿**وإذا مَسَّ الإنسانَ ضُرٌّ دَعا ربَّهُ مُنيباً إليه**﴾ عند الحاجة يتضرّعُ ويستغيثُ بالله وحده لاشريك له، كما قال تعالى: ﴿وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البحرِ ضلَّ مَن تدعُونَ إلاّ إيّاه فلمّا نجّاكم إلى البَرِّ أعرضتُم وكان الإنسانُ كَفُوراً﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿**ثم إذا خوّله نعمةً منهُ نسيَ ماكان يدعُو إليهِ مِن قبلُ**﴾ في حال الرفاهيّة ينسى ذلك الدعاء والتضرّع، ﴿**وجعلَ للهِ أنداداً لِيُضِلَّ عن سبيله**﴾ في حال العافية يشرك بالله ويجعل له أنداداً، ﴿**قُلْ تمتّعْ بكفرك قليلاً إنّكَ مِن أصحاب النّار**﴾ هذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيد لمن تلك حالُه وطريقته ٩: ﴿**أمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللّيلِ ساجِداً وقائماً يَحْذَرُ الآخرةَ ويَرْجُو رحمةَ ربِّهِ**﴾؟ أمّنْ صفتُه كمن أشركَ بالله وجعل له أنداداً؟ لايستوون عندَ الله، ﴿**يحذَرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه**﴾ في حال عبادته خائفٌ راجٍ، ولابُدّ في العبادة من هذا وهذا. ﴿**قُلْ هَلْ يستوِي الذين يعلمون والذين لايعلمون**﴾؟ هل يستوي هذا والذي قبله مِمَّنْ جعل لله أنداداً لِيُضِلَّ عن سبيله؟ ﴿**إنّما يتذكرُ أولُوا الألباب**﴾ إنّما يعلم الفرق بين هذا وهذا مَن له لُبٌّ، وهو العقل ١٠: ﴿**قُلْ ياعبادِيَ الذين آمنُوا اتّقُوا ربَّكم**﴾ يأمر تعالى عبادَهُ المؤمنين بالاستمرار على طاعتِهِ وتقواهُ، ﴿**للذين أحسَنُوا في هذهِ الدنيا حسنة**﴾ لمن أحسنَ العمل في هذه الدنيا حسنة في دُنياهم وأُخراهم، ﴿**وأرضُ اللهِ واسِعَةٌ**﴾ فهاجِرُوا وجاهِدُوا واعتزِلُوا الأوثان، وإذا دُعيتُم إلى المعاصِي فاهربُوا، ﴿**إنّما يُوفَّى الصابِرُون أجرَهُم بغيرِ حِسَاب**﴾ في الجنّة، بغير وزن ولامكيال؛ [الصابرون على طاعة الله وترك معاصيه].

الآية: ٩ روى عبد بن حميد في مسنده عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت، فقال له: «كيف تجدك؟» فقال: أرجو وأخاف [أي أرجو الله وأخاف ذنوبي] فقال رسول الله ﷺ: «لايجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلاّ أعطاه الله عز وجل الذي يرجو وأمّنَهُ الذي يخافُهُ». ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه. /ابن كثير ج٤/٤٧/

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

١١: ﴿**قُلْ إنّي أُمِرْتُ أنْ أعبُدَ اللهَ مخلِصاً له الدِّين**﴾ إنّما أُمِرْتُ بإخلاص العبادةِ للهِ وحدَه لا شريك له **١٢**: ﴿**وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أوّلَ المسلمين**﴾ يعني: من أمّته صلى الله عليه وآله وسلم **١٣**: ﴿**قُلْ إنّي أخافُ إنْ عَصيتُ ربِّي عذابَ يومٍ عظيمٍ**﴾ وهو يوم القيامة، وهذا شرط ومعناه التعريض بغيرهِ بطريق الأولى والأحرى **١٤**: ﴿**قُلِ اللهَ أعبُدُ مخلِصاً له ديني**﴾ [أي: طاعتي وعبادتي خالصةً لله] **١٥**: ﴿**فاعبُدُوا ماشِئتُم مِن دُونِه**﴾ هذا تهديدٌ وتبرٌّ منهم، ﴿**قُلْ إنّ الخاسِرين**﴾ كلَّ الخسران ﴿**الذين خسِرُوا أنفسَهم وأهليهم يومَ القيامة**﴾ تَفارَقُوا فلا التقاءَ لهم أبداً، وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنّة، أو ذهبوا إلى النّار، والجميع وإن سكنوا النّار فلااجتماع لهم ولاسُرور، ﴿**ألاَ ذلك هو الخُسْران المُبين**﴾ البيّن الظاهر، ثم وصفَ حالَهم في النّار فقال تعالى: **١٦**: ﴿**لهم مِن فوقِهم ظُلَلٌ مِن النّار ومن تحتِهم ظُلَلٌ**﴾ كما قال تعالى: ﴿لهم مِن جهنّمَ مِهادٌ. ومن فوقهم غَواشٍ وكذلك نجزي الظالمين﴾، ﴿**ذلك يُخوِّفُ اللهُ بهِ عبادَهُ ياعبادِ فاتّقُونِ**﴾ [أي: ياأوليائي فخافُوني] واخشَوْا بأسي وسطوتي **١٧**: ﴿**والذين اجتنَبُوا الطاغُوتَ أن يعبُدُوها وأنابُوا إلى اللهِ**﴾ نزلت فيمن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن، فهؤلاء ﴿**لَهُمُ البُشْرَى**﴾ [أي: الجنّة] ﴿**فبشِّرْ عبادِ**﴾ **١٨**: ﴿**الذين يستمِعُون القولَ فيتّبِعُون أحسنَهُ**﴾ يفهمونَهُ ويعملون بما فيه ﴿**أولئك الذين هَدَاهُمُ اللهُ**﴾ المتصفون بهذه الصفة هُمُ الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ﴿**وأولئك هُمْ أولوا الألباب**﴾ ذَوُو العُقُول الصحيحة والفِطَرِ السليمة. **١٩**: ﴿**أفَمَنْ حقَّ عليه كلمةُ العذاب**﴾ أفمن كتبَ اللهُ أنّه شقي ﴿**أفأنتَ تُنقِذُ مَن في النّار**﴾ تقرِّر أن تنقذه ممّا هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لايهديه أحدٌ من بعد الله ؛ لأنّه مَن يُضللِ اللهُ فلاهادِيَ له، ومَن يهدِهُ فلامُضِلَّ له. ثم أخبر تعالى عن عبادِهِ السعداء أنّ لهم غُرَفاً في الجنّة فقال تعالى: **٢٠**: ﴿**لكِنِ الذينَ اتّقَوْا ربَّهم لهم غُرَفٌ مِن فوقِها غُرَفٌ مبنيّةٌ تجري مِن تحتها الأنهارُ**﴾ لهم طباق فوق طباق مبنيّات محكمات مزخرفات عاليات، تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاؤون وأين أرادُوا، ﴿**وَعْدَ اللهِ**﴾ أي هذا الذي ذكرناهُ وَعْدٌ وعَدهُ اللهُ عبادَهُ المؤمنين ﴿**لايخلِفُ اللهُ الميعاد**﴾ **٢١**: ﴿**ألَمْ تَرَ أنّ اللهَ أنزل مِنَ السماء ماءً فسَلَكَهُ ينابيعَ في الأرض**﴾ يُخبر تعالى أنّ أصل الماء في الأرض من السماء، ﴿**ثم يُخرِج بهِ زرعاً مختلفاً ألوانُهُ**﴾ يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعاً مختلفاً بأشكاله وطعُومه وروائحه ومنافعه ﴿**ثم يهيجُ**﴾ يكتهل بعد شبابه ﴿**فتراهُ مُصْفرّاً**﴾ قد خالطه اليبس ﴿**ثم يجعله حُطاماً**﴾ يعود يابساً يُحتطم، ﴿**إنّ في ذلك لذكرَى لأُولي الألباب**﴾ الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون أنّ هذه الدنيا هكذا تكون نضِرَةً حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء.

الآية: **٢٠** روى الإمام أحمد والترمذي بإسناد حسن صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أهلَ الجنّة ليتراءون في الجنّة أهل الغُرَف، كما تراءون الكوكب الدّري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل أهل الدرجات، فقالوا: يارسول الله أولئك النبيّون؟ فقال ﷺ: «بلى والذي نفسي بيده وأقوامٌ آمنوا بالله وصدّقوا الرسل». /ابن كثير ج٤/٤٩/

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٢٢: ﴿أفَمَنْ شرحَ اللهُ صدرَهُ للإسلامِ فهو على نورٍ مِن ربِّهِ﴾؟ هل يسوّي هذا ومَن هو قاسِي القلب بعيد عن الحق، كقوله تعالى: ﴿أوَمَن كانَ مَيتاً فأحييناهُ وجعلنا له نوراً يمشي بهِ في النّاس كمَنْ مَثَلُهُ في الظلماتِ ليسَ بخارجٍ منها﴾؟ ولهذا قال تعالى: **﴿فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكرِ الله﴾** فلا تلين عند ذكره ولاتخشع ولاتفهم **﴿أولئك في ضلالٍ مُبين﴾ ٢٣: ﴿اللهُ نزّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً مثانِيَ﴾** هذا مدحٌ من الله لكتابه العظيم، **﴿متشابِهاً مثاني﴾** يعني القرآن كله متشابه مثاني، الآية تشبه الآية [بالحق] والحرف يشبه الحرف [بالصدق]، فالقرآن يشبه بعضه بعضاً ويَرِدُ بعضُه على بعض، وإنّ سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد [وفي معنيين وأكثر، فإن القرآن ذو وُجوه] **﴿تقشَعِرُّ منهُ جُلُودُ الذين يخشون ربّهم ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾** هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبّار، لما يفهمون منه الوعدَ والوعيد، والتخويف والتهديد، فتقشعِرُّ منه جلودهم من الخشية والخوف **﴿ثم تلِينُ جُلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله﴾** لِما يرجون من رحمة الله ولطفه، **﴿ذلك هُدَى اللهِ يهدي بهِ مَن يشاء﴾** هذه صفة من هَدَاهُ الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله **﴿ومَن يُضللِ اللهُ فماله مِن هادٍ﴾ ٢٤: ﴿أفمن يَتّقِي بوجهِهِ سُوءَ العذابِ يوم القيامة﴾**؟ ويُقرّعُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين: **﴿ذوقوا ماكنتُم تكسِبُون﴾** كمَنْ يأتي آمِناً يوم القيامة؟ **٢٥: ﴿كذّبَ الذين مِن قبلِهم فأتاهُمُ العذابُ مِن حيثُ لايشعُرُون﴾** يعني القرون الماضية المكذّبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم وماكان لهم مِن الله مِن واقٍ **٢٦: ﴿فأذاقَهُمُ اللهُ الخِزيَ في الحياةِ الدنيا﴾** فليحْذَرِ المخاطَبُون من ذلك فإنّهم قد كذّبُوا أشرف الرسل صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾** وأعظم مِمّا أصابهم من عذاب الدنيا **﴿لو كانُوا يعلمون﴾ ٢٧: ﴿ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآنِ مِن كلِّ مَثَلٍ لعلّهم يتذكّرُون﴾** بيّنّا للنّاس فيه بضرب الأمثال، فإنّ المثل يُقرّب المعنى إلى الأذهان **٢٨: ﴿قرآناً عربيّاً غيرَ ذي عِوَجٍ﴾** هو قرآن بلسانٍ عربي مبين لاعِوَجَ فيه ولالَبْسَ بل هو بيانٌ واضح **﴿لعلّهم يتّقُون﴾** ليحذرُوا مافيه من الوعيد **٢٩: ﴿ضَربَ اللهُ مثلاً رجلاً فيه شُركاءُ متشاكِسُون﴾** يتنازَعُون في ذلك العبد المشترك بينهم، **﴿ورجلاً سَلَماً﴾** سالِماً **﴿لرجلٍ﴾** خالصاً لايملكه أحدٌ غيره **﴿هل يستويان مثلاً﴾**؟ لايستوي هذا وهذا؛ وكذلك لايستوي المشرك الذي يعبد آلهةً مع الله والمؤمن المخلص الذي لايعبدُ إلّا اللهَ وحدَهُ لاشريك له، فأينَ هذا من هذا؟! **﴿الحمدُ للهِ﴾** على إقامة الحُجّة عليهم **﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾** فلهذا يُشركون بالله **٣٠: ﴿إنّك ميّتٌ وإنّهم ميّتون﴾** إنّكم ستنقلون من هذه الدار لامحالة، وستجتمِعُون عند الله في الدار الآخرة **٣١: ﴿ثم إنّكم يومَ القيامة عندَ ربّكم تختصِمُون﴾** فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك، فيفصل بينكم بالحقّ، فينجي المؤمنين الموحدين، ويُعذّب الكافرين والمشركين.

الآية: ٢٣ روى عبدالرزاق عن معمر قال: تلا قتادة رحمه الله ﴿تقشعرُّ منه جُلُودُ الذين يخشون ربَّهم ثم تلينُ جُلُودُهم وقلُوبُهم إلى ذكر الله﴾ قال: هذا نعتُ أولياء الله؛ نعتَهم اللهُ عزّ وجلّ بأن تقشعرَّ جلودهم وتبكي أعينهم، وتطمئنّ قلوبُهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنّما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان.

/ابن كثير ج٤/٥١/

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٢: **﴿فَمَنْ أظلمُ مِمَّنْ كَذَبَ على اللهِ﴾** من المشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهةً أخرى **﴿وكذّبَ بالصدق إذْ جاءه﴾** بالحقِّ؛ أي: وكذّب رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، **﴿أليسَ في جهنّم مثوىً للكافرين﴾**؟ وهم الجاحِدُون المكذّبون. ثم قال تعالى: **٣٣**: **﴿والذي جاءَ بالصدقِ وصدّقَ به﴾** الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذي صَدّقَ به: يعني المؤمنين، أصحاب القرآن، **﴿أولئك هم المتّقُون﴾** الذين اتقوا الشرك والكفر **٣٤**: **﴿لهم مايشاؤون عند ربّهم﴾** يعني في الجنّة مهما طلَبُوا وَجدُوا **﴿ذلك جزاءُ المحسِنين﴾** **٣٥**: **﴿لِيُكفِّرَ اللهُ عنهم أسوأ الذي عمِلُوا ويجزيهم أجرَهم بأحسنِ الذي كانوا يعملون﴾** قال تعالى **﴿أولئك الذين نتقبّلُ عنهم أحسنَ ماعمِلُوا ونتجاوزُ عن سيّئاتِهم في أصحابِ الجنّة وَعْدَ الصدق الذي كانوا يُوعَدُون﴾** **٣٦**: **﴿أليس اللهُ بكافٍ عبدَهُ﴾**؟ يعني: أنّه تعالى يكفي مَن عبَدَهُ وتوكّلَ عليه **﴿ويُخوّفُونك بالذين مِن دُونِهِ﴾** يعني المشركين يُخوّفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوعدونه بأصنامهم جهلاً منهم وضلالاً، ولهذا قال تعالى: **﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فمَالهُ مِن هادٍ﴾** **٣٧**: **﴿ومَن يهدِ اللهُ فماله مِن مُضِلٍّ أليسَ اللهُ بعزيزٍ ذي انتقام﴾**؟! منيعِ الجانبِ لايُضام مَن استندَ إليه ولجأَ إلى جنابه، فإنّه العزيزُ الذي لاأعزّ منه ولاأشدّ انتقاماً منه مِمّن كفرَ بهِ وأشرك وعاندَ رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم **٣٨**: **﴿ولَئِنْ سألتَهُم مَن خلقَ السمواتِ والأرض لَيَقُولُنّ الله﴾** يعني المشركين كانوا يعترفون أنّ الله عزّ وجلّ هو الخالق للأشياء كلّها، ومع هذا يعبُدُون معه غيرَهُ مِمّا لايملك لهم ضرّاً ولانفعاً، ولهذا قال تعالى: **﴿قُلْ أفَرَأيتُم ماتدعُون مِن دُونِ اللهِ إنْ أرادَنِيَ اللهُ بضرٍ هل هن كاشفات ضُرِّه أو أرادَنِي برحمةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رحمتِهِ﴾**؟ لاتستطيع شيئاً من الأمر. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «.. واعلمْ أنّ الأمّة لو اجتمعتْ على أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يكتبه اللهُ عليك لم يضرُّوك، ولو اجتمعُوا على أن ينفعوك بشيءٍ لم يكتبْهُ الله لك لم ينفعُوكَ» الحديث، رواه ابن أبي حاتم. **﴿قُلْ حَسْبِيَ الله﴾** اللهُ كافِيَّ **﴿عليهِ يتوكل المتوكِلُون﴾** روى ابن أبي حاتم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن أحبَّ أن يكون أقوى النّاس فليتوكّلْ على الله، ومَن أحبَّ أن يكون أغنى النّاس فليكن بما في يَدِ اللهِ عزّ وجلّ أَوْثَقُ منه بما في يديه» الحديث **٣٩**: **﴿قُلْ ياقومِ اعمَلُوا على مكانتِكم﴾** اعملوا على طريقتكم، وهذا تهديدٌ ووَعيدٌ **﴿إنّي عامِلٌ﴾** على طريقتي ومنهجي **﴿فسوف تعملون﴾** ستعلمون غبّ ذلك ووَبَالَهُ **٤٠**: **﴿مَن يأتِيهِ عذابٌ يُخزِيهِ﴾** في الدنيا **﴿ويحِلُّ عليه عذابٌ مقيمٌ﴾** دائم مستمرٌّ لامَحِيد عنه، وذلك يوم القيامة، أعاذَنا اللهُ منها.

الآية: **٣١** روى الإمام أحمد عن الزبير بن العوّام قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿إنّك ميّتٌ وإنّهم ميّتون﴾ قال الزبير: أيْ رسولَ الله أيكرر علينا ماكان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال ﷺ: «نعم ليكررن عليكم حتى يُؤدّي إلى كلِّ ذي حقٍّ حقّه» قال الزبير: والله إنّ المر لشديد!! ورواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. /ابن كثير ج٤/٥٢/.

الآية: **٣٨** قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شطرُ الإيمان، والحمدُ للهِ تملأُ الميزان، وسبحانَ اللهِ والحمد للهِ تملآن مابين السماواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهان والصبرُ ضياء، والقرآن حُجّةٌ لك أو عليك، كلُّ النّاس يغدو فبائعٌ نفسَهُ فمعتقُها أو مُوبِقُها» رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٢٣/.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

٤١: **﴿إنّا أنزلنا عليكَ الكِتابَ للنّاسِ بالحقِّ﴾** يعني القرآن، أنزله الله تعالى لجميع الخلق من الإنس والجنّ، **﴿فمَنِ اهتدى فلنفسِهِ﴾** فإنّما يعودُ نفعُ ذلك إلى نفسه **﴿ومَن ضلَّ فإنّما يضِلُّ عليها﴾** إنّما يرجعُ وبالُ ذلك على نفسِه، **﴿وماأنتَ عليهم بوكيل﴾** بموكلٍ أن يهتدُوا، ﴿إنّما أنتَ نذيرٌ واللهُ على كل شيءٍ وكيلٌ﴾ ٤٢: **﴿اللهُ يتوفَّى الأنفسَ حينَ موتِها﴾** الله تعالى هو المتصرّف في الوجود بما يشاء وهو الذي يتوفى الأنفسَ الوفاة الكبرى بما يُرسل مِنَ الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، **﴿والتي لم تَمُتْ في منامِها﴾** وهذه هي الوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يتوفّاكم بالليلِ ويعلم ماجرحتُم بالنّهار ثم يبعثكم فيهِ ليُقضَى أجلٌ مُسَمّىً﴾ الآية، ﴿ويرسل عليكم حفظةً حتى إذا جاء أحدَكُم الموتُ توفتْـهُ رسـالنا وهم لايفرِّطون﴾ **﴿إنّ في ذلِكَ لآياتٍ لقومٍ يتفكّرُون﴾** ٤٣: **﴿أمِ اتّخذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفعَاءَ﴾** يذمّ تعالى المشركين في اتخاذهم الأصنام شفعاء من تلقاء أنفسهم، وهي لاتملك شيئاً من الأمر **﴿قُلْ أوَلو كانوا لايملكون شيئاً ولايعقلون﴾**؟ ٤٤: **﴿قُلْ للهِ الشفاعةُ جميعاً لهُ مُلْكُ السماوات والأرض﴾** هو المتصرِّف في جميع ذلك **﴿ثم إليهِ تُرجَعُون﴾** يوم القيامة فيحكم بعدْلِهِ ويجزي كلاً بعمله، ثم قال تعالى ذامّاً للمشركين: ٤٥: **﴿وإذا ذُكِرَ اللهُ وحدَهُ اشمأزّتْ قلوبُ الذين لايُؤمِنُون بالآخرة﴾** إذا قيل: لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ انقبضتْ ونفرت واستكبرت وكفرت [قلوب المشركين والكفار]، **﴿وإذا ذُكِرَ الذين مِن دُونه﴾** من الأصنام والأنداد **﴿إذا هُم يستبشِرون﴾** يفرَحُون ويُسَرُّون ٤٦: يقول تعالى بعدما ذكرَ عن المشركين مادمّهم به من حبهم للشرك ونفرتهم عن التوحيد: **﴿قُلِ اللّهُمَّ فاطِرَ السماواتِ والأرضِ عالِمَ الغيبِ والشهادةِ﴾** أدعُ أنتَ اللهَ وحدَهُ لاشريكَ له الذي خلقَ السماوات والأرض. ومعنى فطرَها أي: جعلَها على غيرِ مثالٍ سبق **﴿عالِمَ الغيبِ والشهادة﴾** السّر والعلانية **﴿أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيه يختلِفُون﴾** في دنياهم ستفصل بينهم يوم مَعَادِهم. روى مسلم في صحيحه: قالت عائشة: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قامَ مِن اللّيل افتتحَ صلاتَهُ: اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطرَ السماواتِ والأرض، عالِمَ الغيبِ والشهادة أنتَ تحكم بين عبادِكَ فيما كانوا فيه يختلِفون اهدِني لِما اخْتُلِفَ فيه من الحقِ بإذنِكَ إنّك تهدي مَن تشاء إلى صراطٍ مستقيم» ٤٧: **﴿ولو أنّ للذين ظلَمُوا مافي الأرضِ جميعاً ومثله معه﴾** ولو أنّ للمشركين جميع مافي الأرض وضعفه معه **﴿لافتدَوْا بهِ مِن سُوءِ العذابِ﴾** الذي أوجبه الله تعالى لهم **﴿يومَ القيامة﴾** ومع هذا لايقبل منهم الفِداءُ ولو كان ملء الأرض ذهباً، كما قال تعالى: **﴿وبَدَا لهم مِن اللهِ مالم يكُونوا يحتسبون﴾** ظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم مالم يكن في بالهم ولافي حسابهم.

الآية: ٤٢ وفي صحيحي البخاري ومسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخِلَةِ إزاره، فإنّه لايدري ماخلَفَهُ عليه، ثم ليقُل: باسمك ربّي وضعتُ جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادَكَ الصالحين». /ابن كثير ج٤/٥٥/

الآية: ٤٦ روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قال: اللّهمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضَ عالم الغيب والشهادة إنّي أعهد إليك في هذه الدنيا أنّي أشهد =

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

الحزب ٤٧

٤٨: ﴿وبَدَا لهم سيّئاتُ ماكسَبُوا﴾ وظهر لهم جزاء مااكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم **﴿وحاقَ بهم ماكانُوا بهِ يستهزؤون﴾** وأحاط بهم مِن العذاب والنكال ماكانُوا يستهزؤون به في الدار الدنيا **٤٩: ﴿فإذا مَسَّ الإنسانُ ضُرٌّ دَعَانا ثم إذا خوّلناه نعمةً منّا﴾** يخبر تعالى عن الإنسان أنّه في حال الضرّاء يتضرّع إلى الله عزّ وجلّ ويُنيب إليه ويدعوه، وإذا خوّله نعمةً منه سبحانه بغى وطغى وقال: **﴿إنّما أوتيتُهُ على علمٍ﴾** على علم عندي، قال الله تعالى: **﴿بَلْ هي فتنة﴾** ليس الأمر كما زعم بل إنّما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصي، **﴿ولكنّ أكثرَهم لايعلمون﴾** فلهذا يقولون مايقولون ويدّعون مايدّعون **٥٠: ﴿قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ماكانوا يكسِبُون﴾** قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم كثير ممن سَلَفَ مِن الأمم، فما صحّ قولهم ولانفعهم ماكانوا يكسِبُون **٥١: ﴿فأصابَهم سيّئاتُ ماكسَبُوا والذين ظلَمُوا من هؤلاء﴾** مِن المخاطَبِين **﴿سيصيبُهم سيّئات ماكسَبُوا﴾** كما أصابَ أولئك **﴿وماهم بمعجزين﴾ ٥٢: ﴿أولَمْ يعلموا أنّ الله يَبْسُطُ الرِّزقَ لِمَنْ يشاء ويقدر﴾** يوسعه على قومٍ ويُضيّقُهُ على آخرين **﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يُؤمنون﴾** لعبراً وحججاً **٥٣: ﴿قُلْ ياعبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسِهم لاتقنطُوا من رحمة الله إنّ الله يغفِرُ الذنوبَ جميعاً إنّه هو الغفورُ الرحيم﴾**[1] هذه الآية دعوةٌ لجميع العُصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة، وإخبارٌ بأنّ الله تعالى يغفر الذنوبَ جميعاً لمن تاب وإن كانت مثلَ زَبَدِ البحر. ولايقنطنّ عبدٌ من رحمة الله وإن عَظُمَتْ ذنوبُهُ وكثُرتْ، فإنّ باب الرحمة والتوبة واسعٌ قال الله تعالى: ﴿ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عبادِهِ﴾ **٥٤: ﴿وأنيبُوا إلى ربّكم وأسلِمُوا﴾** ارجعُوا إلى الله واستسلِمُوا **﴿لهُ مِن قبل أن يأتيكُمُ العذابُ ثم لاتُنصَرُون﴾** بادِروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة **٥٥: ﴿واتّبِعُوا أحسنَ ماأنزلَ إليكم مِن ربّكم﴾** وهو القرآن العظيم **﴿مِن قبلِ أن يأتيكُمُ العذابُ بغتةً وأنتم لاتشعُرون﴾** من حيث لاتعلمون، ثم قال تعالى: **٥٦: ﴿أنْ تقُولَ نفسٌ ياحَسْرَتَا على مافرّطتُ في جنبِ الله﴾** يومَ القيامة يتحسَّرُ المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويَوَدُّ لو كان من المحسنين المطيعين لله عزّ وجلّ، **﴿وإنْ كنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين﴾** إنّما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزىء غير مُوقن مُصدّق.

(١) روى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذي نفسُ محمد بيدِهِ لو أخطأتم حتى تملأَ خطاياكم مابينَ السماءِ والأرض ثم استغفرتُمُ الله تعالى لغفرَ لكم».

أن لا إله إلاّ أنت وحدك لاشريك لك، وأنّ محمداً عبدك ورسولك، فإنّك إن تكلني إلى نفسي تُقرّبْني من الشرّ وتُباعدني من الخير، وإنّي لاأثق إلاّ برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة إنّك لاتخلف الميعاد؛ إلاّ قال اللهُ عزّ وجلّ لملائكته يوم القيامة: إنّ عبدي قد عهد إليّ عهداً فأوفُوهُ إيّاه، فيُدخله اللهُ الجنّةَ»!!. /ابن كثير ج٤/٥٦/

الآية: ٥٣ روى الإمام أحمد عن عمرو بن عنبسة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخٌ كبيرٌ، يدعوهم على عَصًا له، فقال: يارسول الله إنّ لي غدرات وفجرات، فهل يُغفر لي؟ قال ﷺ: «ألستَ تشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله»؟ قال: بلى، وأشهد أنّك رسول الله؟! فقال ﷺ: «قد غَفَرَ لكَ غَدَراتِكَ وفجَراتِكَ». /ابن كثير ج٤/٥٨/

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

٥٧: ﴿أو تقولَ لو أنّ اللهَ هداني لكنتُ مِنَ المتقِين﴾ [أي: تقول هذه النفس لو أنّ الله أرشدني إلى دينِهِ لاتقيتُ الشركَ والمعاصي] **٥٨: ﴿أو تقولَ حينَ ترى العذابَ لو أنّ لي كرّةً فأكونَ مِن المحسنين﴾** تَوَدُّ لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العملَ. قال ابن عباس: أخبر تعالى ماالعبادُ قائلون قبل أن يقولُوهُ، وعملَهم قبلَ أن يعملُوهُ. وقال الله تعالى: ﴿ولاينبّئك مثلُ خبير﴾ **٥٩: ﴿بلى قد جاءتْكَ آياتي فكذّبتَ بها واستكبرتَ وكنتَ مِن الكافِرين﴾** قد جاءتك أيّها العبد النادمُ على ماكان منه آياتي في الدنيا فكذّبت بها واستكبرتَ عن اتّباعِها وكنتَ مِن الكافرين بها الجاحِدِين لها **٦٠: ﴿ويومَ القيامةِ ترَى الذين كذَبُوا على الله وُجُوهُهم مُسْوَدّة﴾** يُخبر تعالى عن الذين ادّعوا له شريكاً وولداً أنّ وجوههم مسودّة يوم القيامة بكذبهم وافترائهم، **﴿أليسَ في جهنّم مثوىً للمتكبرين﴾** أليست جهنّم كافيةً لهم سجناً وموئلاً؟ لهم فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وتجبّرهم وإبائهم عن الانقياد للحقّ **٦١: ﴿ويُنجّي اللهُ الذين اتقَوْا بمفازتهم﴾** بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله **﴿لايمسُّهُمُ السُّوءُ ولاهم يحزَنُون﴾** ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كلِّ فزع **٦٢: ﴿اللهُ خالِقُ كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ﴾** يُخبر تعالى أنّه خالق كل الأشياء وهو المتصرِّف فيها **٦٣: ﴿له مقاليدُ السماوات والأرض﴾** له مفاتيح خزائن السماوات والأرض، **﴿والذين كفروا بآيات الله﴾** حججه وبراهينه **﴿أولئك هم الخاسِرُون﴾ ٦٤: ﴿قُلْ أفغيرَ اللهِ تأمُرُونّي أعبدُ أيُّها الجاهِلُون﴾** نزلت هذه الآية حين دعا المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبادةِ آلهتِهم، ويعبدُون معه إلهَهُ **٦٥: ﴿ولقد أُوحِيَ إليكَ وإلى الذين مِن قبلك﴾** [أي: من النبيين] **﴿لَئِن اشركتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ ولَتَكُونَنّ مِن الخاسِرين﴾** [أي: أوحِيَ إليكَ وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد] **٦٦: ﴿بلِ اللهَ فاعْبُدْ وكُنْ مِنَ الشاكرين﴾** أخلِص العِبادَة للهِ وحدَهُ لاشريكَ له، أنتَ ومَن اتبعكَ **٦٧: ﴿وماقَدَرُوا الله حقَّ قَدْرِهِ﴾** ماقدَر المشركون اللهَ حقَّ قَدْرِهِ حين عبدُوا معه غيره، وهو العظيم الذي لاأعظم منه، القادر على كل شيءٍ وكل شيءٍ تحت قهره وسلطانه. قال ابن عباس: هم الكفار الذين لم يُؤمِنُوا بقدرة الله عليهم، فمن آمَنَ أنّ الله على كلِّ شيءٍ قدير فقد قدّر الله حقَّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدرِ اللهَ حقَّ قدره. **﴿والأرضُ جميعاً قبضتُهُ يومَ القيامةِ﴾** روى البخاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقبضُ اللهُ تعالى الأرضَ، ويطوي السماءَ بيمينِهِ، ثم يقول: أنا المَلِكُ أينَ ملوك الأرض»؟! **﴿والسماواتُ مطويّاتٌ بيمينِهِ سبحانَهُ وتعالى عمّا يُشرِكُون﴾** [نزّه تعالى نفسَهُ عن أن يكون ذلك بجارحةٍ. فليس كمثلِهِ شيءٌ وهو السميع البصير].

الآية: ٦٧ روى الإمام أحمد والشيخان عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: ياأبا القاسم أبلغكَ أنّ الله تعالى يحمل الخلائق على أُصْبُعٍ والسماواتِ على أُصبع، والأرضينَ على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع؟ قال: فضحِكَ رسول الله ﷺ حتى بدت نواجِذُهُ [تصديقاً لقوله] وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وماقَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى آخر الآية. وروى مسلم في صحيحهِ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله تعالى الأرضَ ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أينَ الملوك» وفي رواية: «يُمجّدُ الرّبُّ نفسَهُ: أنا الجبّار أنا المتكبِّر، أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم» فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليَخسِفنّ بهِ!!. /ابن كثير ج٤/٦٢/

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

٦٨: ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ فصَعِقَ مَنْ في السمواتِ ومَن في الأرض إلّا مَنْ شاءَ اللهُ﴾ هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، التي يموت بها الأحياء؛ يُخبر تعالى عن هَوْلِ يوم القيامة، ومايكون فيه من الآيات العظيمة **﴿إلّا مَنْ شاءَ اللهُ﴾** [المستثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل، وحملة العرش وخزنة الجنّة والنّار] **﴿ثم نُفِخَ فيه أُخرى﴾** وهي النفخة الثالثة نفخة البعث **﴿فإذا هم قيامٌ ينظرُون﴾** أحياء بعد ماكانوا رفاتاً، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ٦٩: **﴿وأشرقتِ الأرضُ بنورِ ربِّها﴾** أضاءت يوم القيامة، إذا تجلّى الحقُّ جلَّ وعَلاَ للخلائق لفصلِ القضاء **﴿ووُضِعَ الكتابُ﴾** كتاب الأعمال، **﴿وجيء بالنّبيين﴾** يشهدون على الأمم بأنّهم بلّغوهم رسالات الله إليهم، **﴿والشهداء﴾** الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خيرٍ وشرٍّ، **﴿وقُضِيَ بينهم بالحقّ﴾** بالعدل **﴿وهم لايُظلَمُون﴾** ٧٠: **﴿ووُفِّيَتْ كُلُّ نفسٍ ماعَمِلَتْ﴾** من خير أو شرّ **﴿وهو أعلمُ بما يفعلُون﴾** ٧١: **﴿وسِيقَ الذين كفَرُوا إلى جهنّم زُمَراً﴾** يُخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يُساقون إلى النّار، وإنّما يُساقون سوقاً عنيفاً، [والزُّمَرُ: الجماعات المتفرّقة بعضُها إثْرَ بعضٍ]، **﴿حتى إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابُها﴾** بمجرّد وصولهم إليها، لتعجّلَ لهم العقوبة، **﴿وقال لهم خزنتُها﴾** مِن الزبانية الغِلاظِ الشّداد على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل: **﴿ألَمْ يأتِكم رُسُلٌ منكم يتلُون عليكم آياتِ ربّكم﴾** يُقيمون عليكم الحُجَجَ والبراهين على صحة مادعوكم إليه **﴿ويُنذِرُونكم لِقاءَ يومِكم هذا﴾** ويُحذّرونكم مِن شرِّ هذا اليوم؟ **﴿قالوا﴾** الكفار **﴿بلى﴾** قد جاؤونا وأنذرونا وأقامُوا علينا الحجج والبراهين، **﴿ولكنْ حَقّتْ كلمةُ العذابِ على الكافِرين﴾** ولكن كذبناهم وخالفناهم وعدلنا عن الحق إلى الباطل؛ لِما سبقَ لنا مِن الشقوة التي كنّا نستحقها ٧٢: **﴿قِيلَ ادْخُلُوا أبوابَ جهنّم خالِدين فيها﴾** كلُّ مَن رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنّهم مستحقون للعذاب **﴿فبِئسَ مثوى المتكبرين﴾** فبئس المصير والمَقِيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا عن اتباع الحق ٧٣: **﴿وسِيقَ الذين اتَّقَوْا ربَّهُم إلى الجنّةِ زُمَراً﴾** وهذا إخبارٌ عن حال السعداء المؤمنين حين يُساقون إلى الجنّة، **﴿زُمَراً﴾** جماعة بعد جماعة: المقرّبون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم، **﴿حتى إذا جاؤُوها وفُتِحَتْ أبوابُها﴾** بعد مجاوزة الصراط، وفي المُسْند: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ مابينَ مصراعين في الجنّة لمسيرة أربعين سنة»، **﴿وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طِبْتُم﴾** طابت أعمالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم، **﴿فادْخُلُوها خالدِين﴾** فيها أبداً ٧٤: **﴿وقالوا الحمدُ للهِ الذي صَدَقَنا وَعْدَهُ﴾** يقول المؤمنون إذا عاينوا الجنّةَ والثواب الوافر والعطاء العظيم: الحمدُ لله الذي صدقنا وعده الذي كان وعدنا على لسان رسله الكرام **﴿وأورثَنا الأرضَ﴾** أرض الجنّة **﴿نتبوّأُ مِن الجنّة حيث نشاء﴾** أين شِئنا حَلَلْنا **﴿فنِعْمَ أجرُ العاملين﴾** نِعْمَ الأجرُ أجرُنا على عملنا.

الآية: ٧٣ وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «مامنكم مِنْ أحدٍ يتوضأ فيُسبغُ الوضوءَ، ثم يقول: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، إلاّ فُتِحَتْ له أبوابُ الجنّة الثمانية، يدخل من أيّها شاءَ». وروى الحسن بن عرفة عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاحُ الجنّة لا إلـهَ إلاّ اللهُ»!!. /ابن كثير ج٤/٦٧/

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِر

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٤٧

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٧٥: **﴿وترى الملائكة حافّين من حولِ العرش يُسبِّحون بحمدِ ربِّهم﴾** لمّا ذكر تعالى الحكمة في أهل الجنّة والنّار، وأنّه أنزل كلاً في المحلّ الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك؛ أخبر عن ملائكته أنّهم محدقون من حول العرش المجيد يُسبحون بحمدِ ربِّهم ويمجّدونه ويُعظمونه ويُقدّسونه وقد فصّلَ القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل، ولهذا قال تعالى: **﴿وقضى بينهم﴾** بين الخلائق **﴿بالحقّ﴾** والعدل **﴿وقيلَ﴾**، لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه، فدلّ على أنّ جميع المخلوقات شهدت له سبحانه بالحمد؛ أي: نَطق الكون أجمعه لله ربّ العالمين بالحمد، **﴿الحمدُ للهِ ربِّ العالمين﴾**.

تفسير سورة المؤمن ـــ غافر

١: **﴿حمٓ﴾** ٢: **﴿تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ العليمِ﴾** تنزيل هذا القرآن من الله ذي العِزّة والعلم، فلايُرام جنابُهُ ولايخفى عليه الذّرُّ وإن تكاثفَ حِجابُهُ. ٣: **﴿غافِرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ﴾** يغفر ماسلف من الذنوب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه، **﴿شديدِ العقابِ﴾** لمن تمرّدَ وطغى وآثرَ الحياةَ الدنيا وعتى عن أوامر الله تعالى وبغى، **﴿ذي الطَّوْلِ﴾** ذي المَنّ والنِّعم والإنعام **﴿لا إله إلّا هو﴾** لانظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره ولاربَّ سِواهُ **﴿إليه المصير﴾** المرجع والمآب فيُجازي كلَّ عاملٍ بعمله. ٤: **﴿مايُجادِلُ في آياتِ اللهِ إلّا الذين كفَرُوا﴾** مايدفع الحقَّ ويُجادِلُ فيه بعد ظهور البرهان إلّا الجاحِدُون لآيات الله **﴿فلايغرُرْكَ تقلُّبُهم في البلادِ﴾** في أموالِها ونعيمِها وزهرتِها ٥: **﴿كذّبتْ قبلَهم قومُ نُوحٍ والأحزابِ مِن بعدهم﴾** من كلِّ أُمّةٍ، **﴿وهَمّتْ كلُّ أمّةٍ برسولهم ليَأخذُوهُ﴾** حَرَصُوا على قتلِه بكلِّ ممكنٍ، ومنهم مَن قتلَ رسوله [كبني إسرائيل الذين قتلوا كثيراً من الأنبياء]، **﴿وجادَلُوا بالباطلِ ليُدْحِضُوا به الباطِلَ﴾** مَاحَلُوا بالشبهة ليردُّوا الحقَّ، **﴿فأخَذْتُهُم﴾** أهلكتهم على ماصنعُوا من الآثام العِظام **﴿فكيفَ كانَ عقابِ﴾** فكيف بلغكَ عذابي ونكالي بهم؟ أي: كان شديداً. روى الطبراني: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن أعانَ باطِلاً لِيُدْحِضَ بهِ حقاً فقد برئت منه ذِمّةُ اللهِ تعالى، وذِمّةُ رسولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم». ٦: **﴿وكذلك حقّتْ كلمةُ ربّكَ على الذين كفروا أنّهم أصحابُ النّارِ﴾** كما حقّت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، كذلك حقّت على المكذّبين لك يامحمد بطريق الأولى . ٧: يُخبر تعالى عن الملائكة المقرّبين مِن حملة العرش ومَن حولَهُ فيقول: **﴿الذين يحمِلُون العرش ومَن حولَهُ يُسبِّحُون بحمدِ ربِّهم﴾** يتقلّبون بين التسبيح الدّالّ على نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، **﴿ويُؤمِنُون به﴾** خاشِعُون له أذلّاء بين يديه وأنّهم **﴿ويستغفِرُون للذين آمنوا﴾** من أهل الأرض مِمّن آمن بالغيب، فقيّضَ اللهُ تعالى ملائكته المقرّبين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، يقولُون إذا استغفروا للذين آمنوا : **﴿ربَّنا وسعتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً﴾** رحمتُكَ تسعُ ذُنوبَهم وخطاياهم وعلمُكَ محيط بجميع أعمالهم **﴿فاغفر للذين تابُوا﴾** فاصفح عن المسيئين إذا تابُوا **﴿واتّبَعُوا سبيلَكَ وقِهِمْ عذابَ الجحيمِ﴾** وزَحْزِحْهُم عن عذاب الجحيم.

الآية: ١ روى أبو داود والترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إنْ بيّتُمُ اللّيلة فقولوا: حمٓ لايُنصَرُون»، وسنده صحيح. /ابن كثير ج٤/٦٩/

رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾

٨: **﴿ربّنا وأدخِلْهُم جنّاتِ عَدْنٍ التي وَعدْتَهُم ومَن صَلحَ مِن آبائهم وأزواجِهم وذرّيّاتِهم﴾** اجمع بينهم وبينهم لتقرّ بذلك أعينُهم بالاجتماع في منازل متجاورة، كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا واتّبعتْهُم ذُرّيّتهم بإيمانٍ ألحقنَا بهم ذُرّيّتهم وماألتناهم من عملهم مِن شيءٍ﴾ ساوينا بينَ الكُلِّ في المنزلة لتقرّ أعينُهم، **﴿إنّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم﴾** الذي لايمانَعُ ولايُغالَبُ، الحكيمُ في أقوالكَ وأفعالكَ مِن شرعِكَ وقدرِكَ ٩: **﴿وقِهُمُ السيّئاتِ﴾** فعلَها، ووباَلها مِمَّنْ وقعتْ منه، **﴿ومَن تَقِ السيئات يومئذٍ﴾** [وبالها] يوم القيامة **﴿فقد رحِمْتَهُ﴾** لطفتَ بهِ ونجيتَهُ مِنَ العُقُوبة **﴿وذلكَ هو الفوزُ العظيم﴾** ١٠: **﴿إنّ الذين كفرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أكبرُ مِن مقتِكُم أنفسَكُم﴾** يُخبر تعالى عن الكفار وهم في غمرات النيران يتلظَّوْن، وذلك عندما باشرُوا مُرَّ عذاب الله تعالى، فمقتُوا عند ذلك أنفسَهم وأبغضُوها غاية البغض، فأخبرتهم الملائكة بأنّ مقتَ الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يُعرض عليهم الإيمان فيكفُرون **﴿إذْ تُدْعَوْنَ إلى الإيمانِ فتكفُرُون﴾** فمقتُه أشدّ من مقتِكم أيّها المعذَّبُون أنفسَكم اليوم في هذهِ الحالة ١١: **﴿قالُوا ربَّنا أمتّنا اثنتين﴾** كما في قوله تعالى: ﴿.. وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يُميتكم ثم يُحييكُم ثم إليهِ تُرْجَعُون﴾، **﴿وأحييتَنَا اثنتين﴾** [أي: في الدنيا وفي الآخرة] فأنتَ قادرٌ على ماتشاء **﴿فاعْترفنَا بذُنُوبِنَا﴾** بأننا كنّا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا **﴿فهَلْ إلى خُروجٍ من سبيلٍ﴾** فهل أنتَ مُجيبُنَا إلى أن تُعِيدَنا إلى الدار الدنيا فإنّك قادر على ذلك لنعملَ غيرَ الذي كُنّا نعمل؟ فأُجيبُوا: أنْ لا سبيلَ إلى عودتكم إلى الدنيا، ثم عَلّلَ المنعَ من ذلك بأنّ سجاياكم لاتقبل الحقَّ ولهذا قال تعالى: ١٢: **﴿ذلِكُم بأنّه إذا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كفرتُم وإن يُشرك بِهِ تُؤمِنُوا﴾** أنتم هكذا تكونُون إن رُدِدتُم إلى الدنيا كما قال تعالى: ﴿ولو رُدُّوا لعَادُوا لِما نُهُوا عنه وإنّهم لكاذبُون﴾، **﴿فالحُكْمُ للهِ العَليِّ الكبيرِ﴾** هو الحاكم في خلقه العادِلُ الذي لايَجُورُ. ١٣: **﴿هو الذي يُريكم آياتِهِ﴾** يُظهر قدرتَهُ لخلقه بما يُشاهِدُونه من الآيات العظيمة الدالّة على كمال خالقِها ومُبْدِعِها، **﴿ويُنزّلُ لكم مِنَ السماءِ رِزْقاً﴾** وهو المطرُ الذي يُخرج به من الزروع والثمار **﴿ومايتذكّرُ﴾** يعتبرُ ويتفكّرُ في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمته **﴿إلّا مَن يُنيب﴾** مَن هو بصيرٌ منيبٌ إلى الله تعالى ١٤: **﴿فادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ ولو كرِهَ الكافِرون﴾** فأخلِصُوا للهِ وَحْدَهُ العِبَادةُ والدعاء وخالِفُوا المشركين ١٥: **﴿رَفِيعُ الدرجاتِ ذُو العرشِ﴾** يُخبر تعالى عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم، **﴿يُلقِي الرُّوحَ مِن أمرِهِ على من يشاء مِن عِبادِهِ﴾** كما قال تعالى: ﴿ينزّلُ الملائكة بالروحِ مِن أمرِهِ﴾ [أي: الوحي والنبوّة] **﴿لِيُنْذِرَ يومَ التلاَقِ﴾** يوم القيامة ١٦: **﴿يومَ هُمْ بارزون لايخفَى على اللهِ منهم شيءٌ﴾** الجميعُ في علمه على السواء **﴿لِمَنِ المُلْكُ اليومَ﴾**؟ وذلكَ إذا قبض أرواحَ خلقه فلم يبقَ سواهُ وحده، ثم يُجيب نفسَهُ قائلاً: **﴿للهِ الواحِدِ القهارِ﴾** الذي هو وحده قهرَ كل شيءٍ وغلبه.

الآية: ١٤ روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي: أنّ عبدالله بن الزبير قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دُبُر كلِّ صلاة حِين يُسلّم: لا إلـه إلاّ الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، لاحول ولاقوّة إلاّ بالله، لا إلـهَ إلاّ الله ولانعبد إلاّ إيّاه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إلـه إلاّ الله مخلصين له الدِّين ولو كره الكافرون». /ابن كثير ج٤/٧٣/

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

١٧: **﴿اليومَ تُجزَى كلُّ نفسٍ بما كَسَبتْ لاظُلْمَ اليومَ﴾** يُخبر تعالى عن عدلِهِ في حكمِهِ بين خلقِهِ أنّه لايُظلم [أحدٌ] مِثقالَ ذرّةٍ من خير ولامن شر، بل يجزي بالحسنة عشرَ أمثالها، وبالسيّئة واحدة. **﴿إنّ اللهَ سريعُ الحِسَابِ﴾** يُحاسِبُ الخلائق كلَّهُم كما يُحاسِبُ نفساً واحِدَة، كما قال تعالى: ﴿ماخلقكُم ولابعثُكم إلّا كنفسٍ واحِدَةٍ﴾ ١٨: **﴿وأنذِرْهُمْ يومَ الأزِفَةِ﴾** يوم القيامة، [أزِف:أي قَرُب. سُمّيت القيامة بذلك لأنها قريبة، إذْ كلُّ ماهو آتٍ قريب]، **﴿إذِ القلوبُ لدى الحناجِرِ كاظِمِينَ﴾** وقفت القلوب في الحَناجِر من الخوف، ساكتين لايتكلّم أحدٌ إلّا بإذنه، **﴿ماللظالِمينَ من حَمِيمٍ ولا شفيعٍ يُطاعُ﴾** ليس للذين ظلمُوا أنفسهم بالشركِ [والكفر] من قريبٍ منهم ينفعهم ولاشفيع يشفع فيهم، بل تقطّعت بهم الأسباب من كل خير ١٩: **﴿يعلمُ خائنَةَ الأعيُنِ وماتُخفي الصُّدُور﴾** يُخبر تعالى عن علمه التامّ المحيطِ بجميع الأشياء جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، ليحذرَ النّاسُ علمَهُ فيهم؛ فيستحيُوا من الله تعالى حقَّ الحياء ٢٠: **﴿واللهُ يقضي بالحقّ﴾** يحكم بالعدل **﴿والذين يَدْعُون مِن دُونه﴾** مِن الأنداد **﴿لايقضُون بشيء﴾** لايملِكُون شيئاً ولايحكمُون بشيء **﴿إنّ اللهَ هو السميعُ البصيرُ﴾** ٢١: **﴿أولم يَسيرُوا في الأرض﴾** أولم يسير هؤلاء المكذِّبُون برسالتك يامحمد **﴿في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾** مِن الأمم المكذّبة بالأنبياء ماحَلَّ بهم من العذاب والنكال **﴿كانُوا هم أشدَّمنهمقوّةً﴾** مِن هؤلاء **﴿وآثاراً في الأرض﴾** من البنايات والمَعَالِم والدِّيارات مالايقدر هؤلاء عليه **﴿فأخَذَهُمُ اللهُ بذنُوبِهِم وماكان لهم مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ﴾** مادَفعَ عنهم عذابَ الله أحدٌ ولاوَقاهُم واقٍ ٢٢: **﴿ذلك بأنّهم كانَتْ تأتيهم رُسُلُهم بالبيّنات﴾** الدلائل الواضحات **﴿فكفَرُوا﴾** مع هذا البيان والبرهان كَفرُوا وجَحدُوا **﴿فأخذَهُمُ اللهُ﴾** أهلكهم ودمّرَهم وللكافرين أمثالُها **﴿إنّه قويٌّ شديدُ العِقاب﴾** ٢٣: **﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتِنا وسلطانٍ مُبين﴾** أرسله بالآيات البيّنات والحجّة والبرهان ٢٤: **﴿إلى فرعونَ﴾** وهو مَلِكُ القبط بمصر **﴿وهَامَانَ﴾** وهو وزيرُهُ في مملكته **﴿وقارون﴾** وكان أكثرَ النّاس في زمانه مالاً وتجارةً، **﴿فقَالُوا ساحِرٌ كذّابٌ﴾** كذّبُوه وجعلوه ساحِراً مجنُوناً كذّاباً في أنّ الله أرسله ٢٥: **﴿فلمّا جاءَهم بالحقّ مِن عندِنا﴾** بالبرهان القاطع الدالّ على أنّ الله عزّوجلّ أرسله إليهم **﴿قالوا اقتلُوا أبناءَ الذين آمنُوا معه واستحيُوا نساءَهم﴾** وهذا أمرٌ ثانٍ مِن فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل، أمّا الأول فكان لأجل الاحتراز من وُجودِ موسى، وأمّا الثاني فللإهانة، ولكي يتشاءَمُوا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا: ﴿أُوذِينا مِن قبلِ أن تأتِينا ومِن بعدِ ماجئتَنا﴾ الآية **﴿وماكيدُ الكافِرينَ إلّا في ضلالٍ﴾** ومامكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلّا ذاهبٌ وهالِكٌ في ضلال.

الآية: ١٧ كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربِّهِ عزّ وجلّ أنّه قال: «ياعبادي إنّي حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا، [إلى أن قال:] إنّما هي أعمالكم أحصيها عليكم، ثم أوفيكم إيّاها، فمن وجدَ خيراً فليحمَدِ الله تبارك وتعالى، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسَهُ». /ابن كثير ج٤/٧٥/

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦: ﴿وقالَ فرعونُ ذَرُوني أقتلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ ربَّهُ﴾ هذا عزم من فرعون على قتل موسى عليه السلام، **﴿وليدعُ ربَّه﴾** لاأبالي منه، وهذا في غاية الجحد والعناد، **﴿إنّي أخافُ أن يُبدّلَ دينَكُم أو يظهر في الأرضِ الفسادَ﴾** يخشى فرعون أن يُضل موسى النّاس، وهذا كما يُقال في المثل: صارَ فرعون مذكراً **٢٧: ﴿وقال موسى إنّي عُذْتُ بربّي وربِّكم﴾** أيّها المخاطَبون **﴿مِن كلِّ متكبِّرٍ﴾** عن الحقّ مجرمٍ **﴿لايُؤمِنُ بيومِ الحسابِ﴾**، ولهذا جاء في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا خاف قوماً قال: «اللّهمَّ إنّا نعوذُ بك من شُرورِهم ونَدْرأُ بِكَ في نحورِهم» **٢٨: ﴿وقال رجلٌ مؤمِنٌ من آلِ فرعونَ يكتمُ إيمانَهُ﴾** كان ابنَ عمِّ فرعون **﴿أتقتلُون رجلاً أنْ يقولَ ربِّي اللهُ وقدْ جاءكم بالبيّناتِ مِن ربِّكم إنْ يَكُ كاذباً فعليهِ كذِبُهُ وإنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُم بعضُ الذي يعدِكُم إنّ اللهَ لايهدِي مَن هو مُسْرِفٌ كذابٌ﴾**، انفعلَ فرعون لكلامه واستمعه وكفّ عن قتل موسى، ولم يُؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال: ﴿ياموسى إنّ المَلأَ يأتمِرون بك ليقتلُوك﴾، فأخذتِ الرجلَ غضبةٌ لله عزّوجلّ، وأفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سلطانٍ جائرٍ، كما ثبت بذلك الحديث. **﴿أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ رَبِّيَ اللهُ﴾**؟ كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربّي الله **﴿وقد جاءكم بالبيّناتِ مِن ربِّكم﴾** وقد أقام لكم البرهان على صدق ماجاءكم به من الحقّ؟ ثم تنزّلَ معهم في المخاطبة فقال: **﴿وإنْ يَكُ كاذباً فعليه كذِبُهُ وإنْ يَكُ صادقاً يصبْكُمْ بعضُ الذي يعدُكم﴾** يعني إذا لم يظهر لكم صحة ماجاءكم به فمن الرأي التّام أن تتركوه فلاتُؤذُوهُ، وإن يَكُ كاذباً فإنّ الله سيجازيه على كذبه، وإن يَكُ صادقاً وقد آذيتمُوه يُصبكم بعضُ الذي يعدكُم، فإنّه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة. ثم قال المؤمن: **٢٩: ﴿ياقومِ لكم المُلكُ اليومَ ظاهِرين في الأرضِ﴾** قد أنعم الله عليكم بهذا المُلكِ، والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه، فَراعُوا هذه النعمة بشكر الله، **﴿فمَنْ ينصُرُنا مِن بأسِ اللهِ إن جاءَنا﴾** لاتُغني عنكم هذه الجنود ولاتردّ عنّا شيئاً من بأس الله، **﴿قال فرعون﴾** رادّاً على هذا الرجل الصالح: **﴿ماأُريكم إلّا ماأرى﴾** ماأقول لكم إلّا ماأراهُ لنفسي **﴿وماأهديكم إلّا سبيلَ الرشادِ﴾ ٣٠: ﴿وقالَ الذي آمَنَ ياقومِ إنّي أخافُ عليكم مِثْلَ يومِ الأحزابِ﴾** كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود **٣١: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قومِ نُوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين مِن بعدِهم﴾** من الأمم المكذّبة كيف حلَّ بهم بأس الله، **﴿وماالله يُريدُ ظُلْماً للعبادِ﴾** إنّما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله **٣٢: ﴿وياقومِ إنّي أخافُ عليكم يومَ التنادِ﴾** يوم القيامة، يُنادَى كلُّ قومٍ بأعمالهم **٣٣: ﴿يومَ تُوَلّون مُدْبرين﴾** ذاهبين هارِبين **﴿مالكم مِن اللهِ من عاصمٍ﴾** مالكم من مانعٍ يمنعكم مِن بأس الله وعذابه، **﴿ومَنْ يُضلِلِ اللهُ﴾** من أضلَّهُ الله **﴿فمالَهُ من هادٍ﴾** فلاهادِيَ له غيره تعالى.

الآية: ٢٨ وكذلك قالها أبو بكر الصديق، روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّه قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفَناء الكعبة إذْ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوىَ ثوبَهُ في عُنقه فخنقَهُ خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: ﴿أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ ربّي اللهُ وقدْ جاءكم بالبيّنات من ربّكم﴾؟!

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٣٤: ﴿ولقد جاءَكم يُوسُفُ مِن قبلُ بالبيّنات﴾ يعني أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى وهو يوسف عليه السلام، وكان عزيز أهل مصر وكان رسولاً يدعُوهم إلى الله، فما أطاعوه إلّا لمجردّ الوزارة والجاهِ الدنيوي، ولهذا قال تعالى: **﴿فما زِلتُم في شكٍّ مِمّا جاءَكم بهِ حتى إذا هَلَكَ﴾** [توفاه الله] **﴿قُلتُم لنْ يبعثَ اللهُ مِن بعدِهِ رسولاً﴾** أي يئستم فقلتم ذلك لكفركم، **﴿كذلك يُضِلُّ اللهُ مَن هو مسرفٌ مُرتاب﴾** كحالِكم هذا يكون حالَ مَن يُضلُّهُ اللهُ لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه، ثم قال تعالى: **٣٥: ﴿الذين يجادِلُون في آياتِ الله بغير سلطانٍ أتاهم﴾** الذين يدفعُون الحقَّ بالباطل ويُجادِلُون الحُجَجَ بغيرِ دليلٍ، فإنّ الله تعالى يمقتُ على ذلك أشدَّ المقت، ولهذا قال تعالى: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عندَ اللهِ وعندَ الذين آمنوا﴾** والمؤمنون أيضاً يبغضون مَن تكون هذه صفته، فإنّ من كانت هذه صفتُهُ يطبع اللهُ على قلبه فلايعرفُ بعدَ ذلك معروفاً، ولاينكر منكراً ولهذا قال تعالى: **﴿كذلكَ يطبعُ اللهُ على كلِّ قلبِ متكبّر﴾** على اتباع الحقّ **﴿جَبّارٍ﴾**، وآية الجبابرة القتلُ بغيرِ حقٍّ **٣٦: ﴿وقالَ فِرعونُ ياهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لعلّي أبلغُ الأسبابَ﴾** يُخبر تعالى عن فرعون وعتوّهِ وتمرّده في تكذيبه موسى أنّه أمرَ وزيرَهُ هَامَانَ أن يبنيَ له قصراً عالياً شاهقاً من الآجر المشويّ كما قال تعالى: ﴿فأوقد لي ياهَامَانُ على الطين فاجعلْ لِي صَرْحاً﴾ لَعَلّي أبلغ طرق السموات **٣٧: ﴿أسبابَ السمواتِ فأطّلِعَ إلى إلٰهِ موسى وإنّي لأظنّهُ كاذباً﴾** وهذا من كفرهِ وتمرّدِهِ، **﴿وكذلكَ زُيّنَ لفرعونَ سُوْءُ عملِهِ وصُدَّ عن السبيل﴾** بصنعِهِ هذا الذي أرَادَ أن يُوهِمَ به الرعية أنّه يعمل شيئاً يتوصَّلُ به إلى تكذيب موسى عليه السلام، ولهذا قال تعالى: **﴿وماكيدُ فرعونَ إلّا في تبابٍ﴾** إلّا في خسارٍ **٣٨: ﴿وقال الذي آمَنَ ياقومِ إتّبِعُونِ أهدِكم سبيلَ الرشادِ﴾** يقول المؤمنُ لقومه مِمّن تمرّد وطغى: **﴿اتبِعونِ أهدِكم﴾** لاكما كذب فرعون في قوله: ﴿وماأهديكم إلّا سبيلَ الرشاد﴾ ثم زهدَهم في الدنيا فقال: **٣٩: ﴿ياقومِ إنّما هذه الحياةُ الدنيا متاعٌ﴾** قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل **﴿وإنّ الآخِرَةَ هيَ دارُ القرار﴾** الدار التي لازوال لها ولاانتقال منها[1]، بل هي إمّا نعيم وإمّا جحيم، ولهذا قال تعالى: **٤٠: ﴿مَن عمِلَ سيّئةً فلا يُجزَى إلّا مِثْلَها ومَن عمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مُؤمنٌ فأولئك يدخلُون الجنّةَ يُرْزَقُون فيها بغير حِسابٍ﴾** أي: لايتقدّر بجزاء، بل يثيبُهُ اللهُ عزّوجلّ ثواباً كثيراً لاانقضاءَ له ولانَفاذَ.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الحياة الدنيا متاع، وليسَ من متاعها شيء أفضل من المرأة الصالحة؛ التي إن نظرتَ إليها سَرّتْكَ، وإذا غبتَ عنها حفظتكَ في نفسِها ومالِها».

الآية: ٤٠ روى الترمذي من حديث أبي ثعلبة في حديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنّ رسول الله ﷺ قال: «...فإنّ ورائكم أيّام الصبر، الصبرُ فيهنّ مثلُ القبض على الجمر، للعامل فيهنّ مثلُ أجرِ خمسين رجلاً يعملون مثلَ عمله»، قيل: يارسول الله! أجرُ خمسين رجلاً منّا أو منهم؟ قال: «بل أجرُ خمسين منكم» ورواه أبو داود بهذه الزيادة. وروى مسلم والترمذي وابن ماجه عن معقل بن يسار أنّ رسول الله ﷺ قال: «عبادةٌ في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ». /الترغيب ج٤/١٢٥ ــ ١٢٦/

الحزب ٤٨

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤١: ﴿وياقوم مالِي أدْعوكم إلى النجاةِ﴾ مابالي أدعوكم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله **﴿وتدعونَنِي إلى النّار﴾**؟ **٤٢: ﴿تدعونني لأكفر باللهِ وأشركَ بهِ ماليسَ لِي بهِ علمٌ﴾** على جهلٍ بلا دليل **﴿وأنا أدْعُوكم إلى العزيزِ الغفار﴾** هو في عزّته وكبريائه يغفرُ ذنبَ مَن تاب إليه **٤٣: ﴿لا جَرَم﴾** حقاً **﴿أنما تدعُونَنِي إليه﴾** من الأنداد **﴿ليسَ له دعوةٌ في الدنيا ولافي الآخرة﴾** ليس له شيء ولاينفع ولاتضر، ولايُجيب داعيه، **﴿وأنّ مردّنا إلى الله﴾** في الآخرة فيُجازي كلاً بعمله، ولهذا قال تعالى: **﴿وأنّ المسرفين هم أصحاب النّار﴾ ٤٤: ﴿فستذكرون ماأقولُ لكم﴾** سوف تعلمون صدق ماأمرتُكم به ونهيتُكم عنه، ونصحتكم ووضحتُ لكم، وتتذكّرونه وتندمون حيث لاينفعكم الندم، **﴿وأفوّض أمري إلى الله﴾** وأتوكل على الله وأستعينُه وأقاطعكم. **﴿إنّ الله بصيرٌ بالعباد﴾** فيهدي من يستحقُ الهداية ويضلُّ من يستحق الإضلال وله الحجّة البالغة. **﴿إنّ الله بصيرٌ بالعباد﴾** فيهدي من يستحقُ الهداية ويضلُّ من يستحق الإضلال وله الحجّة البالغة. **٤٥: ﴿فَوَقاهُ اللهُ سيئاتِ مامكروا﴾** في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فنجّاه الله تعالى مع موسى عليه السلام، وأمّا في الآخرة فبالجنّة. **﴿وحَاقَ بآلِ فرعونَ سُوءُ العذاب﴾** وهو الغرق في اليمّ ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإنّ أرواحهُم تعْرَض على النّار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النّار، ولهذا قال تعالى: **٤٦: ﴿النّارُ يُعرضُون عليها غُدُوّاً وعَشِياً﴾** هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنّة على عذاب البرزخ في القبور، وروى أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أيّها النّاسُ استعيذُوا باللهِ مِن عذابِ القبرِ، فإنّ عذابَ القبر حقٌّ» وهذا إسنادٌ صحيح. **﴿ويومَ تقومُ الساعةُ أدْخِلُوا آلَ فِرعونَ أشدَّ العذابِ﴾. ٤٧: ﴿وإذْ يتحاجُّون في النّار﴾** يُخبر تعالى عن تحاجّ أهل النّار في النّار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم **﴿فيقول الضعفاءُ﴾** وهم الأتباع **﴿للذين استكبروا﴾** وهم القادة والسادة **﴿إنّا كنّا لَكُمْ تَبَعَاً﴾** أطعناكم فيما دعوتُمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال **﴿فهل أنتم مُغْنُون عنّا نصيباً مِن النّار﴾**؟ تتحملون عنا قسطاً من النّار؟ **٤٨: ﴿قال الذين استكبروا إنّا كلٌّ فيها﴾** لانتحمل عنكم شيئاً كفَى ماعندنا وماحملنا من العذاب والنكال **﴿إنّ اللهَ قد حكمَ بينَ العباد﴾** قسمَ بيننا العذاب بقدر مايستحقه كلٌّ منّا، كما قال تعالى: **﴿قال لكلٍّ ضِعْفٌ ولكن لاتعلمون﴾. ٤٩: ﴿وقال الذين في النّار لخزنة جهنّم ادْعُوا ربّكم يُخفّفْ عنّا يوماً مِن العذاب﴾** لمّا علمُوا أنّ الله عزَّ وجلّ لايستجيب منهم ولايستمع لدعائهم بل قد قال تعالى: **﴿اخسؤوا فيها ولاتُكلّمُون﴾**، سألوا الخزنة وهم كالسجانين لأهل النّار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يُخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب.

الآية: ٤٦ روى الإمام أحمد بإسناد صحيح أنّ رسول الله ﷺ خرج ذات يوم نصف النّهار مشتملاً بثوبه، مُحْمرّةٌ عيناهُ، وهو يُنادي بأعلى صوته: «القبرُ كقطع الليل المظلم، أيّها النّاس لو تعلمون ما أعلمُ بكيتُمْ كثيراً وضحكتم قليلاً، أيّها النّاسُ استعيذوا باللهِ من عذابِ القبر، فإنّ عذابَ القبر حقٌّ». وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أحدَكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النّار، فيُقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله عزّ وجلّ إليه يوم القيامة» وأخرجاه في الصحيحين. /ابن كثير ج٤/٨٢/

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٠: ﴿قالوا أوَلَمْ تكُ تأتيكم رسلكم بالبيّنات﴾؟ أو ماقامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟ **﴿قالوا بلى قالوا فادْعُوا﴾** أي: أنتم لأنفسكم، فنحنُ لاندعو لكم ولانسمع منكم ولانَوَدُّ خلاصَكم، ونحنُ منكم براء، **﴿ومادعاء الكافِرين إلّا في ضلال﴾** إلّا في ذهاب لايُقبل ولايُستجاب **٥١: ﴿إنّا لننصُرُ رسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾** المراد بالنصر الانتصار لهم مِمّن آذاهم وسواء ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم، ولهذا أهلكَ الله عزّ وجل قومَ نوح وعاد وثمود وأصحاب الرسى وقوم لوط وأهل مَدْيَن وأشباههم مِمّن كذّب الرسلَ وخالفَ الحقَّ، وأنجى الله تعالى المؤمنين من بينهم، فلم يُهلك منهم أحداً، وعذّبَ الكافرين فلم يُفلت منهم أحداً. **﴿ويومَ يقومُ الأشهادُ﴾** يوم القيامة تكون النصرةُ أعظم وأكبر وأجلّ **٥٢: ﴿يومَ لاينفعُ الظالمين مَعْذِرَتُهُمْ﴾** وهم المشركون، لايقبل الله منهم عُذراً ولافدية **﴿ولهم اللّعنة﴾** الإبعاد والطرد من الرحمة **﴿ولهم سُوء الدار﴾** وهي النّار، بئسَ المنزل والمقيل والعاقبة **٥٣: ﴿ولقد آتينا موسى الهُدَى﴾** وهو مابعثه الله عزّ وجلّ به من الهدى والنّور **﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتابَ﴾** جعلنا لهم العاقبة، وأورثناهم بلادَ فرعون وأمواله، بما صبروا على طاعة الله واتباع موسى عليه السلام، والكتاب الذي أُورِثُوهُ هو التوراة **٥٤: ﴿هُدَىً وذِكرَى لأُولي الألبابِ﴾** وهي العقول الصحيحة السليمة **٥٥: ﴿فاصْبِرْ﴾** يامحمد **﴿إنّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ﴾** وَعَدْنَاكَ أنّا سَنُعلي كلمتَكَ ونجعل العاقبةَ لك ولمن اتّبَعَكَ **﴿واستغفِر لذنبِكَ﴾** هذا تهييج للأمة على الاستغفار **﴿وسَبِّحْ بحمدِ ربِّكَ بالعَشيِّ﴾** في أواخر النهار **﴿والإبكار﴾** وهي أواخر الليل **٥٦: ﴿إنّ الذين يُجادِلُون في آياتِ اللهِ بغير سلطانٍ أتاهم﴾** يدفعون الحقَّ بالباطل، ويردُّون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة **﴿إنْ في صدورهم إلّا كِبْرٌ ماهم ببالغيه﴾** مافي صدورهم إلّا كِبْرٌ على اتّباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس مايَرُومُونه من إخماد الحق وإعلاء الباطل بحاصلٍ لهم، بل الحقُّ هو المرفوع، **﴿فاسْتَعِذْ باللهِ﴾** من حال مثل هؤلاء **﴿إنّه هو السميعُ البصير﴾ ٥٧: ﴿لَخلْقُ السماواتِ والأرض أكبرُ مِن خَلْقِ النّاس﴾** يُنبه تعالى على أنّه يُعيد الخلائق يوم القيامة وأنّ ذلك سهلٌ عليه، بأنّه خلق السماوات والأرض، وخَلقُهما أكبر من خلق النّاس بدأةً وإعادةً، فمن قَدرَ على ذلك فهو قادِرٌ على مادُونه بطريق الأولى **﴿ولكنّ أكثرَ النّاسِ لايعلمون﴾** فلهذا لايتدبّرُون هذه الحُجّة ولا يتأمّلُونها **٥٨: ﴿ومايستوي الأعمَى والبصيرُ والذين آمنُوا وعملُوا الصالحات ولاالمسيء﴾** كما لايستوي الأعمى الذي لايُبصر شيئاً والبصير الذي يرى ماانتهَى إليهِ بصره، بل بينهما فرقٌ عظيم؛ كذلك لايستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار **﴿قليلاً ماتتذكرُون﴾** ماأقلّ مايتذكّرُ كثيرٌ من النّاس!؟.

الآية: ٥١ الانتصار لهم مِمّن آذاهم إمّا بحضرتهم أو في غيبتهم كما فعل الله بقتلة يحيى وزكريا وشعيباً سلّط الله عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وأمّا الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلّط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلّوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم، ثم إنّ عيسى عليه السلام سينزل من السماء إماماً عادلاً فيقتل الدجال واليهود والنصارى الذي زعموا ألوهيته، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب»، ولقد نصر الله تعالى رسوله محمداً وأصحابه على من خالفه وناوأه، وكذّبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان، فالحمدُ لله ربّ العالمين على ذلك. /ابن كثير ج٤/٨٣ ـ ٨٤/

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

ربع الحزب ٤٨

٥٩: ﴿إنّ الساعةَ لآتِيَةٌ لاريْبَ فيها﴾ إنّ الساعة لكائنة وواقعة لاريب فيها **﴿ولكنّ أكثرَ النّاس لايُؤمنون﴾** لايُصَدِّقون بها بل يكذِّبون بوجودها **٦٠: ﴿وقالَ ربُّكُمُ ادْعُوني أستجبْ لكم﴾** هذا من فضله تباركَ وتعالى وكرمه أنّه نَدَبَ عبادَهُ إلى دُعائه وتكفّلَ لهم بالإجابة. قال سفيان الثوري: يامَنْ أحبُّ عبادِهِ إليهِ مَن سألَهُ فأكثرَ سُؤالَهُ، ويامَن أبغضُ عبادِهِ إليهِ مَن لم يسألْهُ وليسَ أحدٌ كذلك غيرُكَ ياربِّ. **﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادَتِي سيدخلُون جهنّم دَاخِرين﴾**، وروى أحمد وأصحاب السُّنن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الدعاءَ هو العبادة» ثم قرأ هذه الآية. قال الترمذي: حسن صحيح **٦١: ﴿اللهُ الذي جعَلَ لكم اللّيلَ لِتَسْكُنُوا فيه﴾** يمتنُّ تعالى على خلقه بما جعل لهم من اللّيل مايستريحون فيه من حركات تردّدِهم في المعايش، وجعلَ **﴿والنهارَ مُبْصِراً﴾** مضيئاً؛ ليتصرَّفُوا فيه بالأسفار والتمكن من الصناعات **﴿إنّ اللهَ لَذُو فضلٍ على النّاس ولكنّ أكثرَ النّاسِ لايشكرون﴾** لايقومُون بشكر نِعَمِ الله عليهم، ثم قال تعالى: **٦٢: ﴿ذلكُمُ اللهُ ربُّكم خالِقُ كلِّ شيءٍ لا إلهَ إلّا هو﴾** الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق الأشياء الذي لاإلَهَ غيرهُ ولاربَّ سِوَاهُ **﴿فأنّى تُؤفكُون﴾**؟ فيكف تعبدون غيره من الأصنام التي لاتخلق شيئاً بل هي مخلوقة منحُوتة؟! **٦٣: ﴿كذلك يُؤفكُ الذين كانُوا بآياتِ الله يجحَدُون﴾** كما ضلّ هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلِهم فعبدُوا غيره بمجرّد الجهل والهوى، وجحَدُوا حجج الله وآياته **٦٤: ﴿اللهُ الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ قراراً﴾** جعلها لكم مستقرّاً بساطاً مِهاداً تعيشُون عليها وتتصرّفون فيها وتمشون في مناكِبها، وأرساها بالجبال لئلّا تَميدَ بكم، **﴿والسماءَ بناءً﴾** سقفاً للعالم محفوظاً، **﴿وصوّرَكم فأحسنَ صُوَرَكم﴾** خلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكملَ الصور في أحسن تقويم، **﴿ورزقَكُم مِن الطيّباتِ﴾** مِن المآكل والمشارب في الدنيا؛ فذكر تعالى أنّه خلقَ الدارَ والسكانَ والأرزاق، فهو الخالقُ الرازقُ **﴿ذلِكُمُ اللهُ ربُّكم فتبارك اللهُ ربُّ العالَمين﴾** فتعالَى وتقدّس وتنزّه ربُّ العالَمين كلهم ثم قال تعالى: **٦٥: ﴿هو الحيُّ لاإلهَ إلّا هو﴾** هو الحيُّ أزَلاً وأبداً لم يَزَلْ ولايُزَال، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن **﴿لاإلهَ إلّا هو﴾** لانظيرَ له ولاعَديلَ لهُ، **﴿فادعُوه مُخلِصينَ له الدِّين﴾** مُوحِدين له مقرّين بأنّه لاإلهَ إلّا هو **﴿الحمدُ للهِ ربِّ العالمين﴾**، قال ابن عباس: مَن قالَ: لاإلهَ إلّا الله فليقل على أثرها: الحمدُ للهِ ربِّ العالمين **٦٦: ﴿قُلْ إنّي نُهيتُ أنْ أعبُدَ الذين تدْعُون مِن دُونِ الله﴾** قُلْ يامحمد للمشركين: إنّ اللهَ نهى أن يعبدَ أحدٌ سِوَاهُ من الأصنام والأنداد، **﴿لمّا جاءَنِيَ البيّناتُ مِنْ ربّي وأُمرتُ أن أُسْلِمَ لربِّ العالَمين﴾**، قد بيّنَ تبارك وتعالى أنّه لايستحق العبادَةَ أحدٌ سِوَاهُ.

الآية: ٦٠ روى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادْعُوني اسْتَجِبْ لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخِرين﴾ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وروى الإمام أحمد بإسناد لابأس به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لم يدعُ اللهَ عزّ وجلّ غضبَ عليه». /ابن كثير ج٤/٨٥/

الآية: ٦٥ قال ابن جرير: كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: لا إله إلاّ الله، أن يتبعَها بالحمد لله ربّ العالمين، عملاً بهذه الآية. /ابن كثير ج٤/٨٧/

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٦٧: ﴿هو الذي خلقكم مِن ترابٍ ثم مِن نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم يُخرجُكُم طِفْلاً ثم لتبلغُوا أشدّكم ثم لتكونُوا شيوخاً﴾ هو الذي يُقلّبكم في هذه الأطوار كلها وحدَهُ لاشريك له وعن أمرِهِ وتدبيره وتقديره يكونُ ذلك كله، **﴿ومنكم مَن يُتوفَّى مِن قبلُ﴾** من قبل أن يخرج إلى هذا العالَمِ بل تُسقطه أمه، ومنهم مَن يُتوفَّى صغيراً وشاباً وكهلاً قبل الشيخُوخة، **﴿ولتبلُغوا أجلاً مُسمّى ولعلّكم تعقِلُون﴾** تتذكرون البعثَ [والنُّشورَ يوم القيامة]. **٦٨: ﴿هو الذي يُحيي ويُميتُ﴾** هو المنفرد بذلك لايقدر على ذلك أحدٌ سِوَاهُ، **﴿فإذا قضَى أمراً فإنّما يقولُ له كُنْ فيكون﴾** لايُخالَفُ ولايُمانَعُ، بل ماشاء كان لامحالة **٦٩: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الذين يُجادِلُون في آياتِ اللهِ أنّى يُصْرَفُون﴾** ألاَ تعجب يامحمد من هؤلاء المكذّبين بآياتِ الله ويُجادِلُون في الحقِّ بالباطل كيف تُصْرَفُ عقولُهم عن الهدَى إلى الضلال؟ **٧٠: ﴿الذين كذّبُوا بالكتابِ وبما أرسلنَا به رُسُلَنا﴾** من الهُدَى والبيان **﴿فسوف يعلمون﴾**، هذا تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ أكيدٌ مِن الرّبِّ جلَّ جلالُهُ لهؤلاء كما قال تعالى: **﴿ويلٌ يومَئِذٍ للمكذِّبين﴾** **٧١: ﴿إذِ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ﴾** متصلةٌ بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبُونهم على وجوهِهم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم، ولهذا قال تعالى: **﴿يُسحبُون﴾**. **٧٢: ﴿في الحميم ثم في النّار يُسْجَرُون﴾** كما قال تبارك وتعالى: **﴿هذه جهنّم التي يكذّبُ بها المُجرمُون يطُوفُون بينها وبين حميمٍ آنٍ﴾** وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم: **﴿ثم إنّ مرجعهم لا إلى الجحيم﴾**. **٧٣: ﴿ثم قِيلَ لهم أينَ ماكنتمْ تشرِكُون﴾** **٧٤: ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾**؟ قيلَ لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدُونها مِن دُون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ **﴿قالوا ضَلُّوا عنّا﴾** ذهبُوا فلم ينفعُونا **﴿بَلْ لَمْ نكُنْ نَدْعُوا مِن قبلُ شيئاً﴾** جَحَدُوا عبادتهم، **﴿كذلك يُضِلُّ اللهُ الكافرين﴾** [أي: كما فعل بهؤلاء من الإضلال يفعلُ بكل كافر]. **٧٥: ﴿ذلكم بما كنتم تفرَحُون في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وبما كنتم تمرَحُون﴾** تقول لهم الملائكة: هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحِكم في الدنيا بغير الحقّ [وسُرُورِكم بالمعاصي] ومرحِكُم وأشَرِكم وبطرِكم. **٧٦: ﴿ادْخلُوا أبوابَ جهنّمَ خالِدين فيها فبئسَ مثوَى المتكبّرين﴾** فبئسَ المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دَلائله وحججِهِ. **٧٧: ﴿فاصْبِرْ إنّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ﴾** يأمر الله تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلّم على تكذيب مَن كذّبه من قومه، فإنّ الله تعالى سَيُنجزُ لكَ ماوَعَدكَ من النصر والظفر على قومك ولمن اتّبعك في الدنيا والآخرة، **﴿فإمّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نعِدُهم﴾** في الدنيا؛ وكذلك وقع في يوم بدر ثم فتح مكة وسائر جزيرة العرب في حياته صلى الله عليه وآله وسلّم، **﴿أونتوفّينّكَ فإلينا يرجعُون﴾** فنذيقهم العذابَ الشديد في الآخرة.

الآية: ٧٦ روى مسلم في صحيحه عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنّم لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ زمام سبعون ألف مَلَكٍ يَجُرُّونَها»، وروى أيضاً عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «نارُكم هذه التي يُوقِدُ ابنُ آدم، جزءٌ من سبعين جزءاً من حَرِّ جهنّم»، قالوا: واللهِ إن كانت لكافيةً يارسول الله! قال: «فإنّها فضِّلت عليها بتسعةٍ وستين جُزْءاً كلها مثلُ حَرِّها». [اللّهمَّ أجرنا منها برحمتك ياأرحم الراحمين]. /صحيح مسلم ج٤/٢١٨٣ – ٢١٨٤/

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٧٨: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلاً من قبلِكَ منهم مَن قصصنا عليكَ ومنهم مَن لم نقصُص عليك﴾ منهم من أوحينا إليك خبرَهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة، **﴿ومنهم مَن لم نَقْصُصْ عليك﴾** وهم أكثر مِمّن ذكرَ بأضعافِ أضعافٍ، **﴿وماكان لرسولٍ أن يأتيَ بآيةٍ إلّا بإذنِ الله﴾** ولم يكن لواحدٍ من الرسل أن يأتي قومه بخارقٍ للعادات إلّا أن يأذن الله له في ذلك، فيدلّ ذلك على صدقه فيما جاءهم به، **﴿فإذا جاء أمرُ اللهِ﴾** وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذّبين **﴿قُضِيَ بالحقّ﴾** فيُنجي المؤمنين، ويهلك الكافرين، ولهذا قال عزّ وجلّ: **﴿وخَسِرَ هُنالِكَ المُبطِلون﴾** [أي: الذين يتّبِعُون الباطلَ والشرك] **٧٩: ﴿اللهُ الذي جعلَ لكم الأنعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ومنها تأكُلون﴾** يمتنّ الله تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون، فالإبل تُركب وتُؤكل وتُحلب ويحمل عليها الأثقال في الأسفار، والبقر تُؤكل ويُشرب لبنها ويُحرث عليها الأرض، والغنمُ تؤكل ويُشرب لبنُها، والجميعُ تُجزُّ أصوافُها وأشعارها وأوبارها فيُتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة، ولهذا قال تعالى: **﴿لتركَبُوا منها ومنها تأكلون﴾ ٨٠: ﴿ولكم فيها منافعُ ولتبلُغوا عليها حاجةً في صدورِكم وعليها وعلى الفُلْكِ تُحمَلُون﴾ ٨١: ﴿ويُريكم آياتِه﴾** حُجَجِهِ وبراهينهِ في الآفاق وفي أنفسكم **﴿فأيَّ آياتِ اللهِ تُنكِرُون﴾**؟ لاتقدرون على إنكار شيءٍ من آياتِه إلّا أن تُعاندُوا وتكابرُوا **٨٢: ﴿أفَلَمْ يَسِيرُوا في الأرض فينظرُوا كيفَ كان عاقبةُ الذين مِن قبلهم كانوا أكثرَ منهم﴾**؟ يُخبر تعالى عن الأمم المكذّبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حلّ بهم من العذاب الشديد مع قوّتهم فما أغنى عنهم ذلك شيئاً ولاردّ عنهم ذرّةً من بأس الله، وذلك لّما جاءتهم الرسل بالبيّنات والحجج القاطِعات لم يلتفتوا إليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عمّا جاءتهم به الرسل، **﴿كانوا أكثرَ منهم وأشدَّ قوّةً وآثاراً في الأرض فما أغنَى عنهم ماكانوا يكسِبُون﴾ ٨٣: ﴿فلمّا جاءتْهم رُسُلُهم بالبيّناتِ فرِحُوا بما عندَهم من العلم﴾** فأتاهم مِن بأس الله تعالى مالاقِبلَ لهم به **﴿وحاقَ بهم﴾** أحاط بهم **﴿ماكانوا به يستهزئون﴾** يكذبون ويستبعِدُون وقوعه **٨٤: ﴿فلمّا رَأَوْا بأسَنا﴾** عاينوا وقوعَ العذاب بهم **﴿قالُوا آمنّا باللهِ وَحْدَهُ وكفرنا بما كُنّا به مشركين﴾** وَحّدُوا اللهَ عزّ وجلّ وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لاتُقالُ العَثَرات ولاتنفع المعذرة **٨٥: ﴿فلم يَكُ ينفعُهم إيمانُهُمْ لّما رَأَوْا بأسَنا سُنّةَ اللهِ التي قدْ خَلَتْ في عبادِه﴾** هذا حكم الله في جميع مَن تاب عند معاينة العذاب أنّه لايُقبل منه، ولهذا جاء في الحديث: «إنّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ مالم يُغَرْغِرْ» إذا غَرْغَرَ وبلغت الروح الحنجرة وعاين المَلَكَ فلا توبة حينئذٍ، ولهذا قال تعالى: **﴿وخَسِرَ هُنالِكَ الكافرون﴾** .

الآية: ٧٩ روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اللهَ لايظلمُ مؤمناً حسنةً، يُعْطَى بها في الدنيا ويُجْزَى بها في الآخرة، وأمّا الكافر فيُطعَمُ بحسناته ماعمِلَ بها للهِ في الدنيا، حتى إذا أفضَى إلى الآخرة، لم يكن له حسنةٌ يُجْزَى بها». وروى أيضاً أنّ رسول الله قال: «إنّ الكافر إذا عمِلَ حسنةً أُطعِمَ بها طُعمةً من الدنيا، وأمّا المؤمن فإنّ الله يدَّخر له حسناتِهِ في الآخرة ويُعقِبُهُ رِزْقاً في الدنيا على طاعتِهِ». صحيح مسلم ج٤/٢١٦٢/

سورة فصلت — ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

الحزب ٤٨

١: ﴿حمٓ﴾ ٢: ﴿تنزيلٌ مِن الرحمن **الرحيم**﴾ يعني القرآن منزّلٌ مِن الرحمن الرحيم ٣: ﴿**كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ**﴾ بُينتْ معانيه وأُحكِمَتْ أحكامُهُ ﴿**قرآناً عربياً**﴾ في حال كونه قرآناً عربياً بيّناً واضحاً، فمعانيه مفصّلة وألفاظه واضحة غير مشكلة، كما قال تعالى: ﴿كتابٌ أحكِمَتْ آياتُهُ ثم فُصِّلَتْ مِنْ لَدُن حكيمٍ خبير﴾ هو معجزٌ مِن حيث لفظه ومعناه، ﴿**لقومٍ يعلمون**﴾ إنّما يعرف هذا البيانَ والوُضوحَ العلماءُ الراسِخُون ٤: ﴿**بشيراً ونذيراً**﴾ تارةً يُبشر المؤمنين وتارةً يُنذر الكافرين ﴿**فأعرضَ أكثرُهم فهم لايسمعون**﴾ أكثر قريش؛ فهم لايفهمون منه شيئاً مع بيانه ووضوحه ٥: ﴿**وقالوا قلوبُنا في أكِنّةٍ**﴾ في غلف مغطاة ﴿**ممّا تدعُونا إليه وفي آذاننا وَقرٌ**﴾ صَمَمٌ عمّا جِئتنا به ﴿**ومِن بينِنَا وبينِكَ حِجابٌ**﴾ فلا يصل إلينا شيءٌ مِمّا تقول ﴿**فاعملْ إننا عامِلُون**﴾ اعملْ أنتَ على طريقتك ونحن على طريقتنا لانتبعُكَ ٦: ﴿**قُلْ إنّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكم يُوحَى إليَّ أنّما إلهُكُم إلهٌ واحِدٌ**﴾ قُلْ يامحمد لهؤلاء المكذبين المشركين: إنّما أنا بشرٌ يُوحَى إليّ أنّما الله إلهٌ واحد ﴿**فاستقِيمُوا إليهِ**﴾ أخلِصوا له العبادة على منوال ماأمركم به على ألسنة الرسل ﴿**واستغفِرُوهُ**﴾ لسالِف الذنوب ﴿**وويلٌ للمشركين**﴾ دمارٌ لهم وهلاكٌ عليهم ٧: ﴿**الذين لايُؤتُون الزكاةَ**﴾ يعني الذين لايشهدُون أنْ لاإلهَ إلّا الله، كما قال تعالى: ﴿قد أفلحَ مَن زكّاها وقد خابَ مَن دسّاها﴾ والمراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الشرك والرَّذيلة، ﴿**وهم بالآخرةِ هُم كافِرُون**﴾ ٨: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ لهم أجرٌ غيرُ ممْنون**﴾ غير مقطوع ولامَجْبُوب، كقوله تعالى: ﴿عطاءً غيرَ مجذُوذٍ﴾ ٩: ﴿**قُلْ أئنّكم لتكفُرون بالذي خلقَ الأرضَ في يومين**﴾ هذا إنكارٌ من اللهتعالى على المشركين الذي عبدُوا معه غيره وهوَ الخالق لكلِّ شيءٍ المقتدر على كلِّ شيء ﴿**وتجعلُون له أنداداً**﴾ نُظراءَ وأمثالاً تعبُدونها معه، ﴿**ذلك ربُّ العالَمين**﴾ الخالقُ للأشياء وهو ربُّ العالَمين كلهم ١٠: ﴿**وجعل فيها**﴾ [أي: في الأرض] ﴿**رَواسِيَ مِن فوقِها**﴾ كما قال تعالى: ﴿والجبالَ أرْسَاها﴾، ﴿**وبارَكَ فيها**﴾ جعلَها مباركةً قابلةً للخير والنّماء ﴿**وقَدَّرَ فيها أقواتَها**﴾ وهو مايحتاج أهلُها إليه من الأرزاق ﴿**في أربعةِ أيّام**﴾ مع اليومين السابقين أربعة، ﴿**سواءً للسائلين**﴾ لمن أراد السؤال عن ذلك لِيُعْلِمَهُ ١١: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دُخانٌ**﴾ بخار [وهو غاز مفكك؛ أي: ثم نقل السماء من صفة الدخان إلى حالة الكثافة] ﴿**فقالَ لها وللأرضِ ائتِيَا طَوْعاً أو كَرْهاً**﴾ أي: استجيبا لأمري وانفعِلا لفعلي طائعتين أو مُكْرَهَتين ﴿**قالتَا أتينا طائعين**﴾.

الآيات: ١ ــ ١٣ روى عبد بن حُميد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأتِ هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا وعاب دينَنا فليكلمه ولننظر ماذا يردّ عليه، فقالوا: مانعلم أحداً غير عُتْبَةَ بن ربيعة، فقالوا: أنتَ ياأبا الوليد فأتاه عُتبة، [فقال للنبي ﷺ كلاماً طويلاً] فقال رسول الله ﷺ: «فرغتَ؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم. حمٓ تنزيلٌ من الرحمٰن الرحيم ــ حتى بلغ ــ فإن أعرضوا فقلْ أنذرتُكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود﴾ فأمسك عُتبة على فيهِ وناشده الرحم وقال: حَسْبُكَ حَسْبُكَ ماعندك غير هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، فرجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يامعشر قريش والله مانرى عُتبة إلاّ قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه، وماذاك إلاّ من حاجة إصابته، فانطلِقُوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال له أبو جهل ذلك.. فغضب عُتبة وأقسم أن لايُكلِّم محمداً =

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ
عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى
ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ
أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾

١٢: ﴿فقضاهُنَّ سبعَ سمواتٍ في يومين﴾ فَفَرغ من تسوِيتِهنّ سبع سموات في يومين آخَرين، **﴿وأوْحى في كلّ سماءٍ أمرَها﴾** ورتّبَ مقرراً في كل سماء ماتحتاج إليه من الملائكة ومافيها من الأشياء التي لايعلمها إلّا هو **﴿وزيّنّا السماءَ الدُّنْيا بمَصابيحَ﴾** وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض **﴿وحفظاً﴾** حَرَساً من الشياطين أن تستمع إلى الملإ الأعلى **﴿ذلك تقديرُ العزيزِ العليم﴾** العزيز الذي قد عزّ كلَّ شيءٍ فغلبه وقهرَهُ، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم. **١٣: ﴿فإن أعرضُوا فقُلْ﴾** يامحمد لهؤلاء المشركين **﴿أنذرتُكم صَاعِقةً مِثلَ صاعِقةِ عادٍ وثمودَ﴾** أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلّتْ بالأمم الماضية من المكذبين المرسلين **١٤: ﴿إذْ جاءَتْهُم الرسلُ مِن بينِ أيديهم ومِن خلفِهم﴾** [أي: إليهم وإلى مَن قبلَهم]، **﴿ألّا تعبُدُوا إلّا اللهَ قالُوا لو شاءَ ربُّنا لأنزلَ ملائكةً﴾** لو أرسل الله رسلاً لكانُوا ملائكةً مِن عنده **﴿فإنّا بما أُرسلتُم به﴾** أيّها البشر **﴿كافِرُون﴾** لانتبعكم وأنتم بشرٌ مثلُنا، قال تعالى: **١٥: ﴿فأمّا عادٌ فاستكبروا في الأرض﴾** بغَوْا وعتَوْا وعصَوْا **﴿وقالوا مَن أشدُّ مِنّا قوّةً﴾**؟ مُنُوا بِشدّة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنّهم يمتنعون بها مِن الله، **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أنّ اللهَ الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّةً﴾**؟ أفَما يتفكرون فيمَن يُبارزُون بالعداوة؟! فإنّه العظيم الذي خلقَ الأشياء كلها وأنّ بطشه شديد، **﴿وكانوا بآياتِنا يجحَدُون﴾**، فبارَزُوا الجبار بالعداوة، وجحَدُوا آياته، فلهذا قال تعالى: **١٦: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صَرْصَراً﴾** وهي الريح الهبوب الباردة التي لها صوت شديد **﴿في أيّامٍ نَحِسَاتٍ﴾** متتابعات [مشؤومات] **﴿لِنُذيقَهم عذابَ الخزْيِ في الحياة الدنيا ولَعَذابُ الآخرةِ أخزَى﴾** أشدُّ خِزْياً لهم **﴿وهم لايُنصرون﴾** في الأخرى كما لم يُنصروا في الدنيا. **١٧: ﴿وأمّا ثمودُ فهديناهم فاستحبُّوا العمَى على الهُدَى﴾** بينّا لهم وبصرْناهم ووضحنَا لهم الحقَّ على لسان نبيّهم صالح عليه السلام فخالَفوهُ وكذّبُوهُ [واختارُوا الكفرَ على الإيمان] **﴿فأخذتْهُم صاعِقةُ العذابِ الهُوْنِ﴾** بعثَ الله عليهم صيحةً ورجفةً وذِلاً وهَواناً **﴿بما كانوا يكسِبُون﴾** من التكذيب والجحُود **١٨: ﴿ونجّيْنا الذين آمنوا﴾** من بين أظهرهم لم يمسّهم سُوءٌ **﴿وكانُوا يتّقُون﴾ ١٩: ﴿ويومَ يُحشَرُ أعداءُ اللهِ إلى النّارِ فهم يُوزَعُون﴾** اذكُره لهؤلاء المشركين يوم يُحشَرُون إلى النّار، وتجتمع عليهم الزبانية أوّلهم على آخرهم **٢٠: ﴿حتى إذا ماجاؤُوها﴾** وقفُوا عليها **﴿شهِدَ عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجُلُودُهم بما كانوا يعملون﴾** بأعمالهم مّما قدّمُوهُ وأخروه لايُكتم منه حرف واحد.

أبداً، وقال: واللهِ لقد علمتم أني من أكثر قريشٍ مالاً، ولكنّي أتيتُه وقصصتُ عليه القصّة، فأجابني بشيءٍ والله ماهو بشعر ولاكهانة ولاسحر، وقرأ السورة إلى قوله تعالى: ﴿فإنْ أعرضوا فقُلْ أنذرتُكم صاعقةً مثلَ صاعقة عادٍ وثمود﴾، فأمسكتُ بفيهِ وناشدته بالرحم أن يكفّ، وقد علمتم أنّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخشيتُ أن ينزل بكم العذاب.

وفي رواية: قال يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلّوا بين الرجل وبين ماهو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ... فقالوا: سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي فيه فاصنعوا مابدَا لكم. /ابن كثير ج٤/ ٩٠ – ٩١/

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوٗى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

٢١ : ﴿وقالُوا لِجُلُودِهم لِمَ شَهِدْتُم علينا﴾؟ أعضاءهم وجُلودَهم حين شهدُوا عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاءُ: **﴿قالُوا أنطقنا اللهُ الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ وهو خلقكم أوّل مرّةٍ﴾** فهو لايُخالَفُ ولايُمانَعُ **﴿وإليهِ تُرجَعُون﴾ ٢٢ : ﴿وماكنتم تستَتِرُون أنْ يشهدَ عليكم سمعكم ولاأبصارُكم ولاجُلودُكم﴾** تقول لهم الأعضاءُ والجُلودُ حين يلومُونها على الشهادة عليهم: ماكنتم تكتمُون مِنّا الذي كنتم تفعلُونه، بل وكنتم تجاهِرُون الله بالكفر والمعاصي، ولاتُبالُون منه في زعمكم، لأنكم كنتم تعتقدون أنّه لايعلم جميع أفعالكم، ولهذا قال تعالى: **﴿ولكنْ ظننتُم أنّ الله لايعلم كثيراً مِمّا تعملون﴾ ٢٣ : ﴿وذلكم ظنّكم الذي ظننتُمْ بربِّكم أرْداكم﴾** هذا الظنّ الفاسد وهو اعتقادكم أنّ الله تعالى لايعلم كثيراً مِمّا تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عندَ ربِّكم **﴿فأصبحتم مِن الخاسِرين﴾** في مواقف القيامة خسرتم أنفسَكم وأهليكم **٢٤ : ﴿فإنْ يصبِرُوا فالنّار مثوىً لهم﴾** سواءٌ عليهم صبروا أو لم يصبروا هم في النّار لامحيدَ لهم عنها ولاخروج لهم منها **﴿وإنْ يَسْتَعْتِبُوا فما هم مِنَ المُعْتَبِين﴾** وإن طلبُوا أن يُستعتَبُوا ويُبدُوا أعذارَهم فمالهم أعذار، ولاتُقالُ لهم عثَراتٌ **٢٥ : ﴿وقيّضْنا لهم﴾** [أي: هيّئنا وسلّطنا عليهم] من القرناء من شياطين الإنس والجنّ **﴿قرناءَ فزيّنُوا لهم مابين أيديهم﴾** حَسَّنُوا لهم أعمالَهم في المستقبل **﴿وماخلفهم﴾** في الماضي، فلم يَرَوا أنفسَهم إلّا مُحْسِنِين، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ يَعْشُ عن ذكرِ الرحمنِ نُقيّضْ له شيطاناً فهو له قرين. وإنّهم لَيَصدُّونَهم عن السبيل ويحسبون أنّهم مهتدون﴾، **﴿وحقَّ عليهِمُ القولُ﴾** كلمةُ العذاب **﴿في أُمَمٍ قد خَلَتْ من قبلهم﴾** كما حقَّ على أُمَمٍ قد خلت من قبلهم مِمّن فعلَ كفعلهم **﴿من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسِرين﴾** استووا هم وإيّاهم في الخسار والدمار **٢٦ : ﴿وقال الذين كفروا لاتسمعُوا لهذا القرآنِ﴾** تواصَوْا فيما بينهم أن لايُطيعُوا للقرآن ولاينقادُوا لأوامِرِهِ **﴿والْغُوا فيه﴾** إذا تُلِي لاتسمعُوا له، وعيبُوه وانكروه وعادُوهُ **﴿لعلّكم تغلِبُون﴾ ٢٧ : ﴿فلَنُذيقنّ الذين كفرُوا عذاباً شديداً﴾** مقابلة ماعتمدُوهُ في القرآن وعند سماعه **﴿ولَنَجْزِيَنّهم أسْوَأَ الذي كانوا يعملون﴾** بشّر أعمالهم وسيء فِعالهم **٢٨ : ﴿ذلك جزاءُ أعداء اللهِ النّارُ لهم فيها دارُ الخُلدِ جزاءً بما كانوا بآياتِنا يجحَدُون﴾** [أي: ذلك العذابُ الشديدُ جزاءُ أعداء الله..] **٢٩ : ﴿وقال الذين كفرُوا ربّنا أرِنا الّذَين أضلّانَا مِن الجنّ والإنس﴾** إبليس الداعي إلى كلِّ شرّ فمادونه، وابن آدم الأول الذي قتل أخاه **﴿نجعلُهما تحتَ أقدامِنا﴾** أسفلَ مِنّا في العذاب **﴿ليكُونا مِن الأسْفَلِين﴾** في الدّرْك الأسفل مِن النّار.

الآية: **٢٢** روى عبد الرزاق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أن يشهدَ عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولاجلودكم﴾ قال: إنكم تدعون يوم القيامة مفدماً على أفواهكم بالفدام فأوّل شيءٍ يبين عن أحدكم فخذه وكفه، قال معمر: وتلا الحسنُ ﴿وذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم﴾ ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا مع عبدي عند ظنّه بي وأنا معه إذا دعاني» ثم افترّ الحسنُ ينظر في هذا فقال: ألا إنّما عمل النّاس على قدر ظنهم بربّهم، فأمّا المؤمن فأحسنَ الظنَّ بربه فأحسن العمل، وأمّا الكافر والمنافق فأساء الظنّ بالله فأساء العمل، ثم قال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ـ إلى قوله ـ وذلكم ظنّكم الذي ظنتم بربّكم أرداكم﴾ الآية. وروى أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لايموتنّ أحدٌ منكم إلاّ وهو يُحسنُ بالله الظن، فإنّ قوماً قد أرداهم سوء ظنّهم بالله» ثم تلا هذه الآية. /ابن كثير ج٤/٩٧/

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ سجدة

٣٠: ﴿إنّ الذين قالُوا ربُّنا اللهُ ثم استقامُوا﴾ أخلَصُوا العملَ لله وعمِلُوا بطاعة الله على ماشرع الله لهم، روى الحافظُ أبو يعلَى عن أنس قال: قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: **﴿إنّ الذين قالُوا ربُّنا اللهُ ثم استقامُوا﴾** «قد قالها ناسٌ ثم كفرَ أكثرُهم، فمَنْ قالها حتى يموت فقد استقام عليها». قال أبو بكر الصديق: هم الذين لم يُشركوا بالله شيئاً. وقال ابن عباس: «استقاموا على شهادة أنْ لاإلٰهَ إلّا الله».وروى مسلم عن سفيان بن عبد الله أنه قال: يارسول الله قُلْ لي في الإسلام قولاً لاأسأل عنه أحداً بعدَك، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «قلْ آمنتُ بالله ثم استقِمْ»، **﴿تتنزّل عليهِمُ الملائكة﴾** عند الموت قائلين: **﴿أنْ لاتخافُوا﴾** مِمّا تُقْدِمُون عليه مِن عمل الآخرة **﴿ولاتحزنُوا﴾** على ماخلّفتُموه مِن أمر الدنيا من ولدٍ ومال أو دَين فإنّا نخلُفُكم فيه، **﴿وأبشِرُوا بالجنّة التي كنتم توعَدُون﴾** فيبشرونهم بذهاب الشرّ وحصول الخير، وهذا كما جاء في حديث البَراء: «إنّ الملائكة تقولُ لروح المؤمن أخرجي أيتُها الرُّوحُ الطيبةفي الجسدِ الطيّب كنت تعمرينَهُ، أخرجي إلى رَوْحٍ وريحانٍ وربٍّ غيرِ غضبان» **٣١: ﴿نحنُ أولياءُكم في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة﴾** تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كُنّا أولياؤكم؛ أي: قرناؤكم في الحياة الدنيا نُسدّدكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نُؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوزكم على الصراط ونُوصِلُكم إلى جنّات النعيم، **﴿ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم﴾** في الجنّة **﴿ولكم فيها ماتدّعون﴾** مهما طلبتم وجدتم **٣٢: ﴿نزلاً مِن غفورٍ رحيمٍ﴾** ضيافة وعطاءً وإنعاماً من غفور لذنوبكم رحيم بكم **٣٣: ﴿ومَن أحْسَنُ قولاً مِمّن دَعَا إلى الله﴾** دَعَا عبادَ الله إليه **﴿وعمِلَ صالحاً وقال إنّني مِن المسلمين﴾** هو في نفسِهِ مهتدياً بما يقوله **٣٤: ﴿ولاتستوي الحسنةُ ولا السيّئة﴾** فرق عظيم بين هذه وهذه **﴿ادْفَعْ بالتي هي أحسن﴾** مَن أساء إليك فادْفعه عنك بالإحسان إليه **﴿فإذا الذي بينَكَ وبينَهُ عداوةٌ﴾** فأحسنتَ إليه قادته تلك الحسنة إلى محبتكَ حتى يصيرَ **﴿كأنّه وليٌّ حميم﴾** قريب إليك من الشفقة عليك **٣٥: ﴿ومايُلقّاها﴾** ومايقبل هذه الوصية ويعمل بها **﴿إلّا الذين صَبَرُوا﴾** على ذلك فإنّه يشق على النفوس **﴿ومايُلقّاها إلّا ذُو حظٍّ عظيم﴾** ذُو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة **٣٦: ﴿وإمّا ينزغنّكَ﴾** [أي: يُصيبنّكَ] **﴿مِنَ الشيطان نزغٌ﴾** وسوسةٌ **﴿فاستعِذْ بالله﴾** إذا التجأتَ إليه كفّه عنك **﴿إنه هو السميعُ العليم﴾** **٣٧: ﴿ومِن آياتِهِ﴾** على قدرته العظيمة **﴿اللّيلُ والنّهارُ والشمسُ والقمرُ﴾** تقديره وتسخيره لها [لما ينفعكم] ثم نبّه تعالى على أنَّ الشمس والقمر جُرْمان مخلوقان فقال: **﴿لاتَسْجُدُوا للشمسِ ولاللقمرِ واسجُدُوا للهِ الذي خلقهُنّ إن كنتُم إيّاهُ تعبُدون﴾** **٣٨: ﴿فإنِ استكبرُوا﴾** عن إفراد العبادة له سبحانه **﴿فالذين عندَ ربِّكَ يُسبِّحُون له﴾** الملائكة **﴿بالليلِ والنهار وهم لايَسْأَمُون﴾** [لايملّون عبادة الله].

الآية: ٣٠ قال رسول الله ﷺ: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً، قالوا: اخرجي أيّتُها النفس الطيّبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدةً وأبشري بروحٍ وريحان وربّ غيرِ غضبان، فلايُزالُ يقال لها حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فيُفتح لها، فيُقال: من هذا؟ فيقولون فلان، فيُقال: مرحباً بالنفس الطيّبة كانت في الجسد الطيّب، ادْخلي حميدةً وأبشري بَروْحٍ وريحان وربٍّ غيرِ غضبان» /الحديث صحيح ابن ماجه ج٢/ ٤٢٠/.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

٣٩: ﴿**ومِن آياتِهِ**﴾ على قدرته على إعادة الموتى ﴿**أنّك ترى الأرض خاشعةً**﴾ هامِدَةً لانباتَ فيها بل هي ميتة ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزّتْ وربت**﴾ أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار ﴿**إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى إنّه على كلِّ شيءٍ قدير**﴾ **٤٠**: ﴿**إنّ الذين يلحدون في آياتِنا**﴾ الإلحاد: وضعُ الكلام على غير مواضعه. وهو الكفر والعِناد، ﴿**لايَخْفَوْن علينا**﴾ فيه تهديدٌ شديد ووعيدٌ أكيد، أي: إنه عالم بمن يُلحِدُ في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿**أفَمَنْ يُلقَى في النّارِ خيرٌ أمْ مَنْ يأتِي آمِناً يومَ القيامة**﴾ أيستوي هذا وهذا؟ لايستويان، ثم قال تعالى تهديداً للكفرة: ﴿**اعملُوا ماشئتم**﴾ مِن خيرٍ أو شرٍّ إنّه عالمٌ بكم وبصير بأعمالكم، ولهذا قال: ﴿**إنّه بماتعملون بصير**﴾ **٤١**: ﴿**إنّ الذين كفروا بالذّكرِ لَمّا جاءَهم**﴾ القرآن ﴿**وإنّه لكتابٌ عزيزٌ**﴾ منيع الجانب لايُرام أن يأتي أحدٌ بمثله **٤٢**: ﴿**لايأتيهِ الباطِلُ من بينِ ولامِن خلفهِ**﴾ ليس للبطلان إليه سبيل لأنّه منزّل من ربِّ العالمين، ولهذا قال ﴿**تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميد**﴾ حكيم في أقواله وأفعاله، حميد في جميع مايأمر به وينهى عنه. **٤٣**: ﴿**مايُقالُ لَكَ إلّا ماقد قِيلَ للرُّسُلِ مِن قبلك**﴾ فكما كُذِّبت كُذِّبُوا، وكما صبرُوا على أذى قومهم لهم؛ فاصبِرْ أنتَ على أذى قومكَ لكَ ﴿**إنّ ربّكَ لَذُو مغفرةٍ**﴾ لِمَنْ تاب إليه ﴿**وذُو عِقابٍ أليمٍ**﴾ لمن استمرَّ على كفره وطُغيانه وعناده. روى ابن أبي حاتم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «لولا عَفْوُ اللهِ وتجاوزهُ ماهَنَأَ أحدٌ العيش، ولولا وعيدُهُ وعقابُه لاتّكَلَ كلُّ أحدٍ». **٤٤**: ﴿**ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياتُهُ**﴾ لو أُنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعِناد؛ ﴿**لولا فُصّلت آياتُهُ أأعجميٌّ وعربِيٌّ**﴾؟ لقالوا هلّا أُنزل مفصّلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك فقالوا: أأعجميٌّ وعربي؟ كيف يُنزّل كلامٌ أعجمي على مُخاطَبٍ عربي لايفهمه؟ ﴿**قُلْ هو للذين آمنوا هُدَىً وشِفاءٌ**﴾ قُلْ يامحمد هذا القرآن لمنْ آمنَ بهِ هُدىً لقلبه وشِفاءٌ لما في الصدور من الشكوك والرَّيب، ﴿**والذين لايُؤمنون في آذانهم وَقْرٌ**﴾ لايفهمون مافيه، ﴿**وهو عليهم عمىً**﴾ لايهتدون إلى مافيه من البيان كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَاهُوَ شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولايزيد الظالِمين إلّا خَساراً﴾ ﴿**أولئك يُنادَونَ من مكانٍ بعيدٍ**﴾ يعني: بعيد من قلوبهم، أي: معناه كأنّ مَن يُخاطبهم يُنادِيهم من مكان بعيد لايفهمون مايقول **٤٥**: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب فاخْتُلِفَ فيه**﴾ كُذِّب، وأُذِي ﴿فاصبِرْ كما صبَر أولُو العزمِ مِن الرُّسُلِ﴾، ﴿**ولولا كلمةٌ سبقتْ مِن ربِّك إلى أجلٍ مُسمّىً**﴾ بتأخير العذاب إلى يوم المَعاد ﴿**لَقُضِيَ بينهم**﴾ لعجّلَ لهم العذاب، ﴿**وإنّهم لفي شكٍّ منه مُريبٍ**﴾ [أي: للقرآن] **٤٦**: ﴿**مَن عمِلَ صالحاً فلنفسِهِ**﴾ إنّما يعود نفع ذلك عليه ﴿**ومَن أساء فعليها**﴾ إنّما يرجع وَبَالُ ذلك عليه ﴿**ومارَبُّكَ بظلّامٍ للعبيد**﴾ لايُعاقب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحُجّة عليه، وإرسال الرسل إليه.

الآية: ٤٦ روى الترمذي بإسناد حسن عن أبي ذَرٍّ ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «اتقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتبعِ السيّئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِقِ النّاس بِخُلُقٍ حَسَنٍ». وروى أحمد عن أبي الدّرداء قال: يارسول الله أوصني، قال: «إذا عمِلتَ سيّئة فأتْبعها حسنةً تَمْحُهَا» قال: يارسول الله أمِنَ الحسَنَاتِ لا إله إلاّ الله؟ قال: «هي أفضلُ الحسَنَات». /الترغيب ج٤/١٠٩ و١١١/

(الجزء ٢٥ الحزب ٤٩)

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

٤٧: ﴿إليه يُردُّ عِلْمُ الساعة﴾ لايعلم ذلك أحدٌ سواه، كما قال سيّدُ البشر صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل حين سأله عن الساعة: «ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل»، وكما قال تعالى: ﴿لايُجلّيها لوقتِها إلّا هو﴾، **﴿وماتَخْرُجُ مِن ثمراتٍ مِن أكمامِها وماتحمِلُ مِن أنثى ولاتضعُ إلّا بعلمِه﴾** الجميع بعلمه لايعزب عن علمه مثقال ذرّة، **﴿ويومَ يناديهم أين شركائي﴾** يوم القيامة يُنادِي الله المشركين أين شركائي الذين عبدتُموهم معي؟ **﴿قالُوا آذنّاك﴾** أعلمناك **﴿مامِنّا مِن شهيد﴾** ليسَ أحدٌ منّا يشهد اليوم انّ معك شريكاً **٤٨: ﴿وضلَّ عنهم ماكانُوا يَدْعُون من قبلُ﴾** ذهبُوا فلم ينفعوهم **﴿وظنُّوا مَالَهُمْ مِنْ مَحِيص﴾** وظنّ المشركون؛ أي: وأيقنوا ماهم من محيد من عذاب الله تعالى **٤٩: ﴿لايَسْئَمُ الإنسانُ مِن دُعَاءِ الخيرِ﴾** لايملُّ الإنسان من دُعاء ربِّهِ بالخير وهو المالُ والصحة وغير ذلك **﴿وإنْ مَسَّهُ الشرُّ﴾** البلاءُ أو الفقرُ **﴿فيَؤُوسٌ قنوط﴾** يقع في ذهنه أنّه لايتهيّأ له بعد هذا خيرٌ **٥٠: ﴿ولَئن أذقناهُ رحمةً مِنّا مِن بعد ضرّاءَ مَسّتْهُ﴾** إذا أصابَهُ خيرٌ ورزق بعدما كان في شِدّةٍ **﴿لَيَقُولنّ هذا لِي﴾** كنتُ أستحقُّهُ عندَ ربّي **﴿وماأظنُّ الساعةَ قائمةً﴾** يكفر بقيام الساعة، أي: لأجلِ أنّه خُوّل نعمة يبطر ويفخر ويكفر، كما قال تعالى: ﴿إنّ الإنسان ليطغَى أنْ رآه استغنى﴾، **﴿ولئِن رَجِعْتُ إلى ربّي﴾** ولئن كان ثَمّ مَعادٌ فَلَيُحْسِنَنّ إليّ ربّي كما أحسنَ إليّ في هذه الدار، يتمنّى على الله عزّ وجلّ مع إساءتِهِ العمل وعدم اليقين **﴿إنّ لي عندَهُ لَلْحُسْنَى﴾** قال الله تعالى: **﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الذين كفروا بما عمِلُوا ولَنُذِيقنّهم مِن عذابٍ غليظ﴾** يتهدَّدُ الله تعالى مَن كان هذا اعتقادُهُ بالعذابِ والنكال **٥١: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسانِ أعرضَ ونأى بجانبِهِ﴾** أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عزّ وجلّ **﴿وإذا مسَّهُ الشرُّ﴾** الشدّةُ **﴿فذُو دعاءٍ عريض﴾** يُطيل المسألة في الشيء الواحد، فالكلام العريض ماطال لفظه وقلّ معناه، والوجيز عكسه **٥٢: ﴿قُلْ أرأيتم إن كان مِن عندِ اللهِ ثم كفرتُم بهِ﴾** قلْ يامحمد للمشركين المكذبين بالقرآن أرأيتم كيف ترون حالكم عندَ الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال عزّ وجلّ: **﴿مَن أضلُّ ممّن هو في شِقاقٍ بعيد﴾**؟ في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى، ثم قال جلَّ جلالُهُ: **٥٣: ﴿سنُرِيهم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسهِم﴾** ستُظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقّاً منزّلاً مِن عندِ الله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدلائل خارجيّة **﴿في الآفاقِ﴾** [أي: آيات السماء] **﴿وفي أنفسهم﴾** [أي: حوادث الأرض] **﴿حتى يتبيّن لهم أنّه الحقُّ أوَلَمْ يكفِ بربِّكَ أنه على كل شيءٍ شهيد﴾** شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم صادق فيما أخبر به عنه **٥٤: ﴿ألَا إنهم في مِرْيَةٍ مِن لقاءِ ربِّهم﴾** في شك من قيام الساعة، ولهذا لايعملون له ولايحذرون منه **﴿ألَا إنّه بكلِّ شيءٍ محيط﴾** المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وهو المتصرّف فيها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله إلّا هو.

الآية: ٥٣ ﴿سنريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسِهم﴾ أي: سنُظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقّاً منزّلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية في الآفاق، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. ويُحتمل أن يكون المراد من ذلك ماالإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيّآت العجيبة، كما هو مبسوط في علم =

سورة الشورى

ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

تفسير سورة الشورى

١: ﴿**حمٓ**﴾ **٢**: ﴿**عٓسٓقٓ**﴾ قد تقدّم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة **٣**: ﴿**كذلكَ يُوحِي إليكَ وإلى الذين مِن قبلِكَ اللهُ العزيزُ الحكيمِ**﴾ كما أنزل الله إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتبَ والصحف على الأنبياء قبلك ﴿**العزيزُ**﴾ في انتقامه ﴿**الحكيم**﴾ في أقواله وأفعاله **٤**: ﴿**له مافي السمواتِ ومافي الأرض**﴾ الجميع عبيدٌ له وملك له وتحت قهره وتصريفه ﴿**وهو العليُّ العظيمُ**﴾ **٥**: ﴿**تكادُ السمواتُ يتفطرن من فوقهنّ**﴾ فرَقاً [من قولهم: اتخذ الله ولداً]، ﴿**والملائكة يُسبِّحُون بحمد ربِّهم ويستغفِرون لمن في الأرض**﴾ [أي: يُنزّهون الله عمّا لايجوز في وصفه، ويستغفرون للمؤمنين] ﴿**ألا إنّ الله هو الغفُورُ الرحيم**﴾ إعلامٌ بذلك وتنويه به سبحانه وتعالى **٦**: ﴿**والذين اتخذوا من دُونِهِ أوليـاء**﴾ يعني المشـركين، ﴿**الله حفيظٌ عليهم**﴾ شهيدٌ على أعمالهم يُحصيها ويعدُّها عداً، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء، ﴿**ومأأنتَ عليهم بوكيل**﴾ إنّما أنت نذيرٌ واللهُ على كل شيءٍ وكيل **٧**: ﴿**وكذلك أوحينا إليكَ قرآناً عربيّاً**﴾ وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك قرآناً واضحاً جلياً بيّناً ﴿**لتنذرَ أمَّ القُرَى**﴾ وهي مكة ﴿**ومَن حولها**﴾ من سائر البلاد شرقاً وغرباً، وسُمّيت مكة أمّ القرى لأنها أشرف من سائر البلاد ﴿**وتُنذرَ يومَ الجمعِ لاريبَ فيه**﴾ لاشك في وقوعه وأنّه كائن لامحالة ﴿**فـريقٌ في الجنّـةِ وفريقٌ في السعيرِ**﴾ [كلٌّ بعمله] عدلٌ من الله عزّوجلّ **٨**: ﴿**ولو شاء اللهُ لجعلهم أُمّةً واحدة**﴾ إمّا على الهداية أو على الضلالة، ولكنّه تعالى فاوَتَ بينهم فهدَى من يشاء إلى الحقّ وأضلّ مَن يشاء عنه وله الحكمة البالغة والحجّة [الدامغة]، ولهذا قال عزّوجلّ: ﴿**ولكن يُدْخِلُ مَن يشاءُ في رحمته**﴾ [في الإسلام]، ﴿**والظالِمُون مالهم مِن وليّ ولانصير**﴾ **٩**: ﴿**أمِ اتخذُوا من دُونِهِ أولياءَ**﴾؟ يُنكر الله تعالى على المشركين في اتخاذهم آلهةً من دون الله ﴿**فالله هو الوليُّ**﴾ هو الوليُّ الحقُّ الذي لاتنبغي العبادةُ إلّا له وحدَه، فإنّه هو القادرُ على إحياء الموتى ﴿**وهو يحيي الموتى وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ**﴾ ثم قال تعالى: **١٠**: ﴿**وماختلفتم فيه من شيءٍ**﴾ [حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين؛ أي: وماخالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدِّين، فقولوا لهم: حكمُهُ إلى الله، وقد حكم أنّ الدِّين هو الإسلام لاغيره. وأمور الشرائع إنّما تُتلقّى من بيان الله] ﴿**فحكمُهُ إلى اللهِ**﴾ هو الحاكم فيه بكتابه وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، كقوله تعالى: ﴿فإنْ تنازعتم في شيءٍ فردُّوهُ إلى اللهِ والرسول﴾، ﴿**ذلكم اللهُ ربّي**﴾ الحاكم في كلِّ شيءٍ ﴿**عليهِ توكلتُ وإليهِ أُنيبُ**﴾ أرجع إليه في جميع الأمور.

= التشريح الدال على حكمة الخالق تبارك وتعالى . /ابن كثير ج٤/١٠٥/

الآية: ٣ روى الإمام مالك والشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّهُ عليّ، فيُفصم عنّي وقد وعيتُ ماقال، وأحياناً يأتيني المَلَكُ رجلاً فيكلّمني فأعي مايقول»، قالت عائشة: «فلقد رأيتُهُ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيُفصم عنه وإنّ جبينهُ ﷺ ليتفصّد عرَقاً». /ابن كثير ج٤/١٠٦/

فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

١١: ﴿فاطرُ السمواتِ والأرضِ﴾ خالقهما ومابينهما **﴿جعلَ لكم من أنفسكم أزواجاً﴾** من جنسِكم وشكلكم مِنَّةً عليكم وتفضّلاً جعلَ من جنسكم ذكراً وأنثى، **﴿ومِن الأنعام أزواجاً﴾** وخلقَ لكم مِن الأنعام ثمانية أزواجٍ **﴿يذرؤكم فيه﴾** يخلقكم فيه؛ أي: في ذلك الخلق على هذه الصّفة لايزال يذرؤكم فيه ذكوراً وإناثاً خلقاً بعد خلق وجيلاً بعد جيل ونسلاً بعد نسل، من النّاس والأنعام **﴿ليسَ كمثلِه شيءٌ﴾** ليسَ كخالقِ الأزواج كلها شيءٌ لأنّه الفرد الصمد الذي لانظيرَ له **﴿وهو السميعُ البصير﴾** [فليسَ كذاته ذاتٌ، ولاكصفته صفةٌ، جلّت الذات الإلٰهية أن يكون لها صِفة حديثة] **١٢: ﴿لهُ مقاليدُ السمواتِ والأرضِ﴾** هو المتصرّف الحاكم فيهما **﴿يبسُطُ الرّزقَ لِمَنْ يشاءُ ويقدِرُ﴾** يُوسّع على مَن يشاء ويُضيّق على مَن يشاء، وله الحكمة والعدل التامّ **﴿إنّه بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ ١٣: ﴿شرعَ لكم مِنَ الدِّينِ ماوصَّى به نُوحاً والذي أوحينا إليك﴾** ذكر الله تعالى لهذه الأُمّة أوّل الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكر مَن بينَ ذلك مِن أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى، فقال تعالى: **﴿وماوصّينا بهِ إبراهيمَ وموسَى وعيسَى أنْ أقيمُوا الدِّين ولاتتفرّقُوا فيه﴾** أوصى اللهُ تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [بتوحيده وعبادتِه وحدَه لاشريكَ له] وبالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف **﴿كَبُرَ على المشركين ماتدعوهُم إليه﴾** شقَّ عليهم وأنكروا ماتدعُوهم إليه يامحمد من التوحيد، **﴿اللهُ يجتبي إليهِ من يشاءُ ويهدي إليه مَن يُنيب﴾** هو الذي يقدّر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على مَن آثرها على طريق الرشد، ولهذا قال تعالى: **١٤: ﴿وماتفرّقُوا إلّا مِن بعدِ ماجاءَهم العِلمُ بغياً بينهم﴾** إنّما كان مخالفتهم للحقِّ بعد بلوغه إليهم قيام الحُجّة عليهم وماحملهم على ذلك إلّا البغيُّ والعِناد والمشاقّة، ثم قال عزّوجلّ: **﴿ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّكَ إلى أجلٍ مُسمّى﴾** لولا الكلمة السابقة مِن الله تعالى بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لَعَجّل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً، **﴿وإنّ الذين أُورثُوا الكتابَ مِن بعدهم﴾** يعني الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحقّ **﴿لفِي شكٍّ منهُ مُريب﴾** ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانِهم، وإنّما هم مقلّدون لآبائهم وأسلافهم بلادليل ولابرهان، وهم في حيرة من أمرهم **١٥: ﴿فلذلك فادْعُ﴾** الآية، وقد اشتملت على عشر كلمات مستقلّات كل منها حكم برأسه **﴿واستقمْ كما أمرت﴾** أنتَ ومَن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله **﴿ولاتتبعْ أهواءَهم﴾** يعني المشركين **﴿وقُلْ آمنتُ بما أنزلَ اللهُ مِن كتاب﴾** صدّقتُ بجميع الكتب المنزّلة من السماء على الأنبياء لانُفرِّقُ بين أحدٍ منهم **﴿وأُمرتُ لأعدِلَ بينكم﴾** في الحكم كما أمرني اللهُ **﴿اللهُ ربُّنا وربُّكم﴾** هو المعبود لاإله إلّا هو **﴿لنا أعمالُنا ولكم أعمالكم﴾** نحنُ برآءٌ منكم **﴿لاحُجّةَ بيننا وبينَكم﴾** لاخصومة بيننا وبينكم، **﴿اللهُ يجمعُ بيننا﴾** يوم القيامة **﴿وإليهِ المصيرُ﴾** المرجع والمآب يوم الحساب.

الآية: ١٥ روى ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تُحصُوا، واعلموا أنّ خيرَ أعمالِكم الصَّلاة، ولن يُحافظ على الوُضُوءِ إلاّ مؤمنٌ». /الترغيب ج١/١٦٢/

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

١٦: **﴿والذين يُحاجُّون في اللهِ مِن بعدِ ما استُجيبَ له﴾** يُجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله لِيَصُدُّوهم عمّا سلكوه من طريق الهدى، **﴿حُجّتهم داحِضةٌ﴾** أي باطلة **﴿عندَ ربّهم وعليهم غضبٌ﴾** من الله **﴿ولهم عذابٌ شديدٌ﴾** يوم القيامة ١٧: **﴿اللهُ الذي أنزل الكتابَ بالحقِّ﴾** الكتب المنزّلة من عندِهِ على أنبيائه **﴿والميزان﴾** وهو العدل والإنصاف، **﴿ومايُدْرِيكَ لعلَّ الساعةَ قريب﴾** في هذه الآية ترغيب وترهيب وتزهيد، [أي: ترغيب في العمل للآخرة، وترهيب منها، وتزهيد في الدنيا] ١٨: **﴿يستعجِلُ بها الذين لايُؤمِنُون بها﴾** يقولون: متى هذا الوعد؟ وإنّما يقولون ذلك تكذيباً واستبعاداً وكفراً وعِناداً **﴿والذين آمنوا مُشْفِقُون منها﴾** خائفون وَجِلُون من وقوعِها **﴿ويعلمون أنّها الحقُّ﴾** كائنةٌ لامحالة فهم مُستعدّون لها عاملون من أجلها، **﴿ألآ إنّ الذين يُمارون في الساعة﴾** يُجادلون في وُجودِها ويدفعُون وُقوعَها **﴿لفي ضلالٍ بعيدٍ﴾** في جهل بيّن، لأنّ الله تعالى: **﴿هو الذي يبدأ الخلقَ ثم يُعيدُهُ وهو أهون عليه﴾** ١٩: **﴿اللهُ لطيفٌ بعبادِهِ﴾**يُخبر تعالى عن لطفه بعباده في رزقه إيّاهم عن آخرهم لاينسَى أحداً منهم سواءٌ في رزقه للبَرِّ وللفاجر **﴿يرزقُ مَن يشاءُ وهو القويُّ العزيزُ﴾** لايُعجزه شيء. وقال تعالى: **﴿ومَامِن دابّةٍ في الأرضِ إلّا على اللهِ رزقها﴾** ٢٠: **﴿مَن كان يُريدُ حَرْثَ الآخرة﴾** عملَ الآخرة **﴿نزِدْ لهُ في حَرْثِهِ﴾** نقويه ونُعينُه على ماهو بصددِهِ ونكثر نماءَهُ ونجزيه بالحسنة عشرَ أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى مايشاء الله **﴿ومَن كان يُريدُ حَرْثَ الدنيا نُؤتِهِ منها ومالَهُ في الآخرةِ من نصيب﴾** ومَن كان سعيُهُ إنّما ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة هَمٌّ البتّة بالكليّة حَرَمَهُ اللهُ الآخرة، والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل لاهذه ولاهذه ٢١: **﴿أمْ لهم شركاءُ شَرَعُوا لهم مِن الدِّين مالم يأذنْ بِهِ الله﴾** هم لايتّبعُون ماشرع اللهُ لكَ من الدِّين القويم، بل يتبعون ماشرع لهم شياطينُهم من الجنّ والإنس، من تحريم ماحرّمُوا عليهم، وتحليل ماأحلوا لهم من أكل الميتة والدم والقمار، ونحو ذلك من الضلالات **﴿ولولا كلمةُ الفصلِ لَقُضِيَ بينهم﴾** لَعُوجِلوا بالعقوبة لولا ماتقدم من الإنظار إلى يوم المَعاد **﴿وإنّ الظالمين لهم عذابٌ أليمٌ﴾** في جهنّم وبئسَ المصير ٢٢: **﴿ترى الظالمين مشفقين مِمّا كسَبُوا﴾** في عرصات القيامة **﴿وهو واقعٌ بهم﴾** الذي يخافُون منه واقع بهم لامحالة، هذا حالهم يوم معادهم، وهم في هذا الخوف والوَجلِ، **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في رَوضاتِ الجنّات لهم مايشاؤون عندَ ربِّهم﴾** فأين هذا مِن هذا؟ أي: أين مَن هو في العَرَصَاتِ في الذُّلِّ والهوان والخوف مِمّن هو في رَوْضَاتِ الجنّات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملاذٍ مِمّا لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، **﴿ذلك هو الفضلُ الكبيرُ﴾** الفوزُ العظيم والمنّة التامّة السابغة الشاملة العامّة.

الآية: ١٨ وجاء في الصحاح أنّ رجلاً نادى رسول الله ﷺ فقال: يامحمد! فقال له رسول الله ﷺ نحواً من صوته: «هَاؤُمُ» فقال له: متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك إنّها كائنة، فما أعددت لها؟» فقال: حبّ الله ورسوله!! فقال ﷺ: «أنتَ مع مَنْ أحببتَ»!!. /ابن كثير ج٤/١١٠/

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

نصف الحزب ٤٩

٢٣: ﴿ذلك الذي يُبشّرُ اللهُ عبادَهُ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحات﴾ هذا حاصل لهم كائن لامحالة ببشارة الله تعالى لهم **﴿قُلْ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّةَ في القربَى﴾** قلْ ياممد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيهِ، وإنّما أطلب منكم أن تكفُّوا شرَّكم عنّي، وتذروني أبلِّغُ رسالاتِ ربّي، إن لم تنصروني فلا تُؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة، **﴿ومَن يقترِفْ حسنةً﴾** ومَن يعمل حسنةً **﴿نَزِدْ لهُ فيها حُسْناً﴾** أجراً وثواباً ﴿إنّ اللهَ لا يظلم مِثقالَ ذَرّةٍ وإنْ تكُ حسنةً يُضاعِفْها ويُؤتِ مِن لَدُنْهُ أجراً عظيماً﴾ إنّ مِن ثوابِ الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومِن جزاء السيِّئةِ السيِّئةُ بعدها، **﴿إنّ اللهَ غفورٌ شكورٌ﴾** يغفِرُ الكثيرَ مِن السيِّئاتِ ويُكثِّر القليلَ مِن الحسنات، **٢٤: ﴿أم يقولون افترَى على اللهِ كذِباً فإنْ يشأِ اللهُ يختِمْ على قلبِكَ﴾** لو افتريتُ على الله كذباً كما يزعم هؤلاء الجاهلُون **﴿يختِمْ على قلبِكَ﴾** يطبع على قلبك، وسَلَبَكَ ما آتاك من القرآن، **﴿ويمحُ اللهُ الباطلَ﴾** ﴿يمحُ﴾ مرفوعٌ على الابتداء، وليسَ معطوفاً على المجزوم ﴿يختِمْ﴾ وحذفتِ الواوُ في رسم المصحف[1] الإمام كما حُذفت في قوله تعالى: ﴿سندعُ الزبانيةَ﴾ ﴿ويدعُ الإنسانُ بالشرِّ دُعاءَه بالخيرِ﴾ **﴿ويُحِقُّ الحقَّ بكلماتِهِ﴾** يُحققه ويثبتهُ بحُجَجِهِ وبراهينهِ **﴿إنّه عليمٌ بذاتِ الصدور﴾** بما تنطوي عليه السرائر **٢٥: ﴿وهو الذي يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ﴾** يمتنُّ تعالى على عباده بقبول توبتهم إليه **﴿ويعفو عن السيِّئات﴾** وهذا من كرمِه وحلمِهِ أنّه يعفُو ويصفح ويستر ويغفر، **﴿ويعلم ما تفعلون﴾** ومع هذا يتوب على مَن تاب إليه **٢٦: ﴿ويستجيبُ الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ﴾** يستجيبون للحقّ ويتبعُونه **﴿ويزيدهم من فضلِهِ﴾** يستجيب دعاءَهم ويزيدهم فوقَ ذلك الشفاعة، **﴿والكافِرُون لهم عذابٌ شديد﴾** يوم القيامة؛ لّما ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكافرين بأن لهم العذاب المؤلم يوم معادهم **٢٧: ﴿ولو بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لعبادِهِ لَبَغَوْا في الأرض﴾** لو أعطاهم فوق حاجاتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان، **﴿ولكن ينزّلُ بقدرٍ مايشاءُ﴾** مِمّا فيه صلاحُهم **﴿إنّه بعبادِهِ خبيرٌ بصيرٌ﴾** فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر **٢٨: ﴿وهو الذي يُنزّل الغيثَ مِن بعدِ ماقنطوا﴾** من بعد إياس الناس من نزول المطر في وقت فقرهم **﴿وينشر رحمتَهُ﴾** يعمُّ بها الوجود **﴿وهو الوَلِيُّ﴾** المتصرّف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم **﴿الحميدُ﴾** في جميع مايُقدّره ويفعله **٢٩: ﴿ومِن آياتِهِ﴾** الدّالة على عظمته **﴿خَلْقُ السمواتِ والأرضِ ومابثّ فيهما من دابّة﴾** وهذا يشمل جميع المخلوقات **﴿وهو على جمعهم﴾** يوم القيامة **﴿إذا يشاءُ قديرٌ﴾ ٣٠: ﴿وماأصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم﴾** من معصية **﴿ويعفو عن كثيرٍ﴾** روى أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مامِن شيءٍ يصيبُ المؤمنَ في جسَدِهِ يُؤذيهِ إلاّ كفَّرَ اللهُ تعالى عنهُ بِهِ من سيِّئاته» **٣١: ﴿وماأنتم بمعجزين في الأرض﴾** [بفائتين الله] **﴿ومالكم مِن دُونِ اللهِ مِن وليٍّ ولانصيرٍ﴾**.

---

(١) انظر بحث (خصائص الرسم العثماني) في كتاب (تاريخ توثيق نص القرآن الكريم) تأليف (خالد عبد الرحمن العك) ص/٨٩-٩٤/.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

٣٢: ﴿**ومِن آياتِهِ الجوارِ في البحرِ كالأعلام**﴾ ومن آياتهِ الدالّة على عظمته وقدرته الباهرة تسخيره البحر لتجري فيه الفُلْكُ بأمره ٣٣: ﴿**إنْ يشأ يُسْكِنِ الريحَ**﴾ التي تسير في البحر لو شاء لسكنها حتى لاتتحرّك السفن بل تبقى راكدةً على ظهره ﴿**فيظلَلْنَ رَواكِدَ على ظهرِهِ**﴾ على وجه الماء ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبّارٍ**﴾ في الشدائد ﴿**شكور**﴾ على نعمه تعالى في الرخاء ٣٤: ﴿**أو يُوبِقْهُنّ بما كسَبُوا**﴾ ولو شاء لأهلك السُّفنَ وأغرقها بذنوب أهلها فيها ﴿**ويعفُ عن كثير**﴾ من ذُنوبهم، ولو آخذهم بجميع ذُنُوبهم لأهلك كلَّ مَن ركب البحر ٣٥: ﴿**ويعلَمُ الذين يجادِلُون في آياتِنا**﴾ [يعني الكفار] ﴿**مالهم مِن محيص**﴾ لامحيد لهم عن بأسِنا ونقمتنا [إن أوبقت السفن رواكد، علموا أنّه لاملجأ لهم سوى الله] ٣٦: يقول تعالى محقراً لشأن الدنيا وزينتها: ﴿**فما أوتيتُم مِن شيءٍ فمتاعُ الحياةِ الدنيا**﴾ مهما حصلتم وجمعتم فلاتغترُّوا به فإنّما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار فانية لامحالة ﴿**وماعندَ اللهِ خيرٌ وأبقى**﴾ هو باقٍ سرمدي فلاتقدِّمُوا الفاني على الباقي، ولهذا قال تعالى: ﴿**للذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكّلُون**﴾ ليُعِينَهم على الصبر على أداء الواجبات وترك المحرّمات ٣٧: ﴿**والذين يجتنبُون كبائرَ الإثمِ والفواحِشَ**﴾ [كبائر الإثم: الشرك، وكبائر الفواحش: الزنى]، ﴿**وإذا ماغضِبُوا هم يغفِرُون**﴾ سجيّتهم تقتضي الصفحَ والعفوَ عن النّاس ٣٨: ﴿**والذين استجابُوا لربّهم**﴾ اتبعُوا رسلَهُ وأطاعُوا أمرَه واجتنبُوا زجرَهُ ﴿**وأقامُوا الصلاةَ**﴾ وهي أعظمُ العبادات لله عزّوجلّ ﴿**وأمرُهم شورَى بينهم**﴾ لايُبرِمُون أمراً حتى يتشاورُوا فيه ليتساعدُوا بآرائهم، ﴿**وممّا رزقناهم يُنفِقون**﴾ ٣٩: ﴿**والذين إذا أصابَهم البغيُ هم ينتصِرُون**﴾ فيهم قوّة على الانتصار والانتقام، ومع هذا إذا قدرُوا عفوا ٤٠: ﴿**وجزاءُ سيّئةٍ سيّئةٌ مثلُها**﴾ كقوله تعالى: ﴿فمنِ اعتدَى عليكم فاعتدُوا عليه بمثل مااعتدى عليكم﴾ فشرع العدل وهو القِصاصُ، وندب إلى العفو ﴿**فمَنْ عفَا وأصلحَ فأجرُهُ على اللهِ**﴾ لايضِيع ذلك عند الله ﴿**إنّه لايُحِبُّ الظالمين**﴾ المعتدِين المبتدئين بالسيّئة ٤١: ﴿**ولَمَنِ انتصرَ بعدَ ظلمِهِ فأولئك ماعليهم من سبيل**﴾ ليس عليهم جُناح في الانتصار مِمّنْ ظلمهم ٤٢: ﴿**إنّما السبيلُ**﴾ الحرَجُ والعنَتُ ﴿**على الذين يظلِمُون النّاسَ ويبغُون في الأرضِ بغيرِ الحقّ**﴾ يبدؤون النّاس بالظلم ﴿**أولئك لهم عذابٌ أليمٌ**﴾ ثم إنّ الله تعالى لمّا ذمَّ الظلمَ وأهله وشرع القصاص قال نادِباً إلى العفو ٤٣: ﴿**ولَمَنْ صبرَ وغفرَ**﴾ صبر على الأذى وستر السيّئة ﴿**إنّ ذلكَ لمِن عزمِ الأمورِ**﴾ [من عزائم] وحقّ الأمور التي أمرَ الله تعالى بها؛ أي: لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل ٤٤: ﴿**ومَن يُضْلِلِ اللهُ فماله مِن وليّ مِن بعدِهِ**﴾ يُخبر تعالى عن نفسه الكريمة أنّه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنّه مَن هدَاهُ فلامُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلاهادِي له، ﴿**وترى الظالِمين**﴾ المشركين ﴿**لمّا رأَوُا العذابَ**﴾ يوم القيامة ﴿**يقُولُون هل إلى مَرَدٍّ مِن سبيل**﴾ [يطلبُون أن يُرَدُّوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله فلايُجَابُون إلى ذلك].

الآية: ٤١ روى البزار عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا على مَنْ ظلمَهُ فقدِ انتصر» ورواه الترمذي وضعفه. /ابن كثير ج٤/١١٩/

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

٤٥: ﴿**وتَرَاهُم يُعْرَضُون عليها**﴾ على النّار ﴿**خاشعين مِن الذُّلِّ**﴾ الذي قد اعتراهم بما أسلفُوا من عصيان الله تعالى، ﴿**ينظُرُون من طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ ينظرون مسارقةً خَوْفاً مِمّا هو واقعٌ بهم لامحالة ﴿**وقال الذين آمنُوا إن الخاسرين الذين خَسِرُوا أنفسَهم**﴾ الذين خَسِرُوا الخَسَارَ الأكبر هم الذين ذُهِبَ بهم إلى النّار فعُدِمُوا لذتهم في دار الأبد، وخسروا ﴿**وأهليهم**﴾ فُرِّق بينهم وبين قرابتهم، ﴿**يومَ القيامةِ ألاَ إنّ الظالمين في عذابٍ مقيمٍ**﴾ دائم سرمديٍّ **٤٦**: ﴿**وما كان لهم مِن أولياء ينصرُونَهم مِن دُونِ اللهِ**﴾ ينقذونهم مِمّا هم فيه من العذاب والنكال ﴿**ومَنْ يُضلِلِ اللهُ فما له من سبيلٍ**﴾ ليس له خلاص **٤٧**: ﴿**استجيبوا لربّكم مِن قبلِ أنْ يأتِيَ يومٌ لامَرَدّ لهُ مِنَ اللهِ**﴾ يأمرُ تعالى بالاستعداد ليوم القيامة الذي ليس له دافع ولامانع، ﴿**مالكم مِن مَلْجاءٍ يومَئِذٍ ومالكم مِن نكيرٍ**﴾ ليس لكم حصنٌ تتحصّنُون فيه ولامكان يسترُكم فتغيبُون عن بصره تعالى، بل هو محيطٌ بكم بعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ منه إلّا إليه **٤٨**: ﴿**فإن أعرضوا**﴾ يعني المشركين [وأضرابهم] ﴿**فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً**﴾ لستَ عليهم بمسيطر ﴿**إنْ عليكَ إلّا البلاغ**﴾ إنّما كلّفناك أن تبلّغهم رسالةَ الله إليهم، ﴿**وإنّا إذا أذقنا الإنسانَ مِنّا رحمةً فرِحَ بها**﴾ إذا أصابه رخاءٌ ونعمةٌ فرِحَ بذلك ﴿**وإن تُصِبْهُمْ**﴾ يعني النّاس ﴿**سيّئةٌ**﴾ جَدْبٌ ونقمةٌ وبلاء وشدّة ﴿**بما قدّمتْ أيديهم فإنّ الإنسانَ كَفُورٌ**﴾ يجحد ماتقدّم مِن النعم، ولايعرف إلّا الساعة الراهنة، فإن أصابتْهُ نعمةٌ أشرَ وبطرَ، وإن أصابته مِحنةٌ يئِسَ وقنطَ **٤٩**: ﴿**للهِ مُلْكُ السمواتِ والأرضِ**﴾ يُعطي مَن يشاءُ ويمنعُ مَن يشاءُ ولا مانِعَ لِما أعطى ولا معطِيَ لِما منعَ وأنّه يخلقُ ما يشاء ﴿**يخلُقُ مايشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يشاءُ إناثاً**﴾ يرزقه البنات ﴿**ويهب لِمَنْ يشاء الذكور**﴾ يرزقهم البنين **٥٠**: ﴿**أو يُزوِّجُهم ذُكراناً وإناثاً**﴾ ويُعطي لمن يشاء من النّاس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا وهذا، ﴿**ويجعل مَن يشاءُ عقيماً**﴾ لايُوْلَدُ له ﴿**إنّه عليمٌ**﴾ بمن يستحق كلّ قسم من هذه الأقسام ﴿**قديرٌ**﴾ على مايشاء **٥١**: ﴿**وماكانَ لبشرٍ أنْ يكلّمَهُ اللهُ إلّا وَحْياً أو مِنْ وراءِ حجابٍ أو يُرسِلَ رسولاً**﴾ هذه مقامات الوحي إلى جناب الله عزّ وجلّ، وهو أنّه تعالى تارة يقذِفُ في رَوْعِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لايتمارَى فيه أنّه مِن الله عزّ وجلّ ﴿**أو من وراءِ حِجابٍ**﴾ كما كلّم اللهُ موسى عليه السلام، ﴿**أو يُرسِلَ رسولاً**﴾ كما ينزل جبريل عليه السلام ﴿**فيُوحِي بإذنِهِ مايشاءُ إنّه عَلِيٌّ**﴾ [أي: متعالٍ عن صفات النقص] ﴿**حكيمٌ**﴾ [في أقوالِهِ وأفعالِهِ وشرعِهِ وقدرِهِ] سبحانه وتعالى.

الآية: ٤٦ روى ابن حِبّان في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنِ التَمَسَ رِضَا اللهِ بِسُخْطِ النّاسِ، رَضِيَ اللهُ عنه وأرضَى عنهُ النّاسَ، ومَنِ التَمَسَ رِضَا النّاسِ بِسُخْطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عليه، وأسخَطَ عليهِ النّاسَ». وروى الطبراني بإسناد جيّد قويّ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أسخط اللهَ في رضا النّاسِ سخِطَ اللهُ عليه، وأسخطَ عليه من أرضَاهُ في سُخْطِهِ، ومَنْ أرضَى اللهَ في سُخطِ النّاسِ رضي الله عنه، وأرضى عنه مَنْ أسخطَهُ في رضَاهُ، حتى يُزيّنَهُ، ويُزيّنَ قولَهُ وعملَهُ في عينِهِ». /الترغيب ج٣/٢٠٠/

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٥٢: ﴿**وكذلك أوحينا إليك رُوْحاً من أمرنا**﴾ يعني القرآنَ ﴿**ماكنتَ تدْري ماالكتابُ ولا الإيمان**﴾ على التفصيل الذي شرعَ اللهُ لك في القرآن ﴿**ولكنْ جعلناهُ**﴾ القرآن ﴿**نوراً نَهْدِي بهِ مَن نشاءُ مِن عبادِنا**﴾ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هو للذين آمنُوا هُدىً وشفاءٌ﴾ الآية. ﴿**وإنّكَ لَتَهْدِي**﴾ يامحمد ﴿**إلى صراطٍ مستقيم**﴾ وهو الحقُّ القويم، ثم فسَّرَهُ بقوله تعالى: **٥٣**: ﴿**صراطِ الله**﴾ شرعه الذي أمرَ اللهُ به، ﴿**الذي له مافي السمواتِ ومافي الأرض**﴾ ربُّهُما ومالكهما والمتصرّف فيهما، ﴿**ألاَ إلى اللهِ تصيرُ الأمور**﴾ ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى.

تفسير سورة الزُّخْرُف

١: ﴿**حم**﴾ **٢**: ﴿**والكتابِ المُبين**﴾ [القرآن] البيّن الواضح الجليّ المعاني والألفاظ **٣**: ﴿**إنّا جعلناهُ**﴾ أنزلناهُ ﴿**قرآناً عربيّاً**﴾ بلغة العرب فصيحاً واضحاً ﴿**لعلّكم تعقلون**﴾ تفهمُونه وتتدبّرونه كما قال عزّ وجلّ: ﴿بلسانٍ عربيٍّ مُبين﴾ **٤**: ﴿**وإنّه**﴾ القرآن ﴿**في أمِّ الكتاب**﴾ اللوح المحفوظ ﴿**لدينا**﴾ عندنا ﴿**لَعَليٌّ**﴾ ذُو مكانةٍ عظيمة وشرفٍ وفضلٍ عظيم، ﴿**حكيمٌ**﴾ مُحْكَمٌ بريءٌ مِن اللّبس والزيغ، وهذا كله تنبيهٌ على شرفه وفضله، **٥**: ﴿**أَفَنَضْرِبُ عنكم الذِّكْرَ صفحاً أنْ كنتُمْ قوماً مسرفين**﴾ من رحمته تعالى بخلقه أنه لم يتركهم من هدايته، بل دعاهم إليها وإن كانوا مسرفين معرضين عنه، والذكر هنا هو القرآن الحكيم **٦**: ﴿**وكم أرسلنا مِن نبيٍّ في الأولين**﴾ في شِيَعِ الأوّلين **٧**: ﴿**وما يأتيهم مِن نبيٍّ إلّا كانوا به يستهزئون**﴾ يكذّبُونَهُ ويسخرون بهِ **٨**: ﴿**فأهلكنا أشدَّ منهم بَطْشاً**﴾ أهلكنا المكذّبين بالرسل وقد كانوا أشدَّ بطشاً من هؤلاء المكذِّبين لك يامحمد، كما قال تعالى: ﴿أفلَمْ يسِيرُوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم كانوا أكثرَ منهم وأشدَّ قوّة﴾. ﴿**ومضَى مَثَلُ الأوّلين**﴾ عقوبتهم التي جعلناها عبرةً لمن بعدهم من المكذِّبين أن يصيبهم ماأصابهم، كما قال تعالى: ﴿فجعلناها سَلَفاً ومَثَلاً للآخِرين﴾. **٩**: ﴿**ولَئِنْ سألتهم**﴾ يامحمد لهؤلاء المشركين ﴿**مَن خلق السمواتِ والأرض**﴾؟ ﴿**لَيَقُولُنّ خلقَهُنّ العزيزُ العليمُ**﴾ لَيَعْتَرِفُنَّ بأنّ الخالقَ لذلك هو اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له، وهم مع هذا يعبدُون معه غيرَهُ من الأصنام والأنداد!؟ **١٠**: ﴿**الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ مَهْداً**﴾ فِرَاشاً قراراً ثابتةً تسيرون عليها وتقُومُون وتنامُون، وتنصرِفُون، مع أنّها مخلوقة على تيّار الماء، لكنّه أرساها بالجبال لئلّا تَمِيدَ هكذا وهكذا ﴿**وجعل لكم فيها سُبُلاً**﴾ طرقاً بين الجبال والأوْدِيَةِ ﴿**لعلّكم تهتَدُون**﴾ في سيركم من بلدٍ إلى بلد، ومن قطرٍ إلى قطر، ومن إقليمٍ إلى إقليم، [ولعلّكم تعرفون نعمة الله عليكم].

الآية: ٤ وهذا كله تنبيه على شرف القرآن الكريم وفضله، كما قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿إنّه لقرآنٌ كريمٌ في كتابٍ مكنون. لا يمسّه إلاّ المطهرون. تنزيلٌ من ربِّ العالمين﴾ وقال تعالى: ﴿كلا إنّها تذكرة. فمَنْ شاءَ ذكرَهُ. في صُحُفٍ مكرّمة. مرفوعة مطهرة. بأيدي سفرة كرام بررة﴾، ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين أنّ المُحْدِثَ لايمسّ المصحف، كما وردَ به الحديث إنْ صحّ، لأنّ الملائكة يُعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولَى وأحرَى، لأنّه نزل عليهم، وخطابه متوجّه إليهم، فهم أحقُّ أن يُقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم، لقوله تعالى: ﴿وإنّه في أُمِّ الكتابِ لدينا لعليٌّ حكيمٌ﴾!!. /ابن كثير ج٤/١٢٢/

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

١١: ﴿والذي نزّلَ مِن السماءِ ماءً بقَدَرٍ﴾ بحسب الكفاية لزروعِكم وثماركم وشربكم، **﴿فأنشرنا به بلدةً مَيْتاً﴾** أرضاً ميتةً، فلمّا جاءَها الماءُ اهتزّت وربت وأنبتت من كلِّ زوجٍ بهيج، ثم نبَّهَ تعالى بإحياءِ الأرض على إحياء الأجساد يومَ المعادِ بعدَ مَوْتها فقال تعالى: **﴿كذلك تُخرَجُون﴾**. ثم قال تعالى: **١٢: ﴿والذي خلقَ الأزواجَ كلَّها﴾** مِمّا تُنبتُ الأرض ومِن سائر الأصناف مِن نباتٍ وزروع وأزاهير وغير ذلك، ومن الحيوانات. **﴿وجعل لكم مِنَ الفُلْكِ والأنعام ما تركَبُون﴾** السُّفن، والأنعام ذلّلها لكم لركوبها وسَخّرها ويسّرَها لأكلكم لحومَها وشربكم ألبانها، ولهذا قال تعالى: **١٣: ﴿لِتَسْتَوُوا على ظُهُورِهِ﴾** لتستوُوا متمكِنينَ مرتفِعين **﴿على ظُهُورِهِ﴾** على ظُهُور هذا الجنس **﴿ثم تذكرُوا نِعمةَ ربِّكم﴾** فيما سَخّرَ لكم **﴿إذا استوَيْتُمْ عليهِ وتقولُوا سُبْحانَ الذي سَخّرَ لنا هذا وماكنّا لهُ مُقْرِنين﴾** مقاوِمين ولولا تسخيرُ الله لنا هذا ماقدِرْنا عليه، أي: ماكنّا له مطيقين **١٤: ﴿وإنّا إلى ربِّنا لمنقلِبُون﴾** لصائرون إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة **١٥: ﴿وجعلوا لهُ مِن عبادِهِ جُزْءاً﴾** يُخبر تعالى عن المشركين فيما افتروه في جعلهم بعض الأنعام لطَواغيتِهم وبعضها لله كما ذكر عزّ وجلّ في سورة الأنعام: ﴿وجعلوا للهِ مِمّا ذَرَأَ مِن الحرثِ والأنعام نصيباً فقالوا هذا للهِ بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ الآية. **﴿إن الإنسانَ﴾** [يعني الكافر **﴿لكفور مُبين﴾** مُظهرٌ الكفرَ، يعدُّ المصائب وينسَى النِّعم] **١٦: ﴿أمِ اتخذَ مِمّا يخلقُ بناتٍ وأصْفاكم بالبَنِين﴾**؟! هذا إنكارٌ عليهم غاية الإنكار، ثم ذكرَ تمامَ الإنكار فقال تعالى: **١٧: ﴿وإذا بُشِّرَ أحدُهم بما ضَربَ للرحمن مثلاً ظلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وهو كَظِيم﴾** إذا بُشِّرَ أحدُ هؤلاء بما جعلُوهُ للهِ من البنات يأنفُ من ذلك غاية الأَنَفَةِ وتعلوه كآبةٌ من سُوءِ مابُشِّرَ به، فكيف تنسبون إلى الله ماأنتم تأنفونه، ثم قال تعالى: **١٨: ﴿أوَمَن ينشأ في الحِلْيَةِ وهو في الخصامِ غيرُ مبين﴾**؟ المرأةُ ناقصة يكمل نقصُها بلبس الحليِّ منذ تكون طفلة، وإذا خاصَمتْ فلا عبارة لها بلْ هي عاجزة عَييّةٌ، أوَمَن يكون هكذا يُنسَبُ إلى جناب الله العظيم؟ **١٩: ﴿وجعلُوا الملائكةَ الذين هم عبادُ الرحمنِ إناثاً﴾** اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم فقال تعالى: **﴿أشهِدُوا خلقَهُم﴾** شهدوه وقد خلقهم اللهُ إناثاً؟! **﴿ستُكتَبُ شهادتُهُمْ﴾** بذلك **﴿ويُسألُون﴾** عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديدٌ شديد ووعيدٌ أكيد **٢٠: ﴿وقالُوا لو شاءَ الرحمنُ ماعَبَدْناهُم﴾** لو أرادَ اللهُ لحالَ بيننا وبينَ عبادة الأصنام **﴿مالهم بذلك مِن علمٍ إنْ هم إلّا يخرُصُون﴾** يكذبون **٢١: ﴿أم آتيناهم كتاباً مِن قبلِهِ﴾** من قبل شركهم **﴿فهم به مستمسِكُون﴾** ليس الأمر كذلك **٢٢: ﴿بلْ قالُوا إنّا وجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ﴾** [على طريقة] **﴿وإنّا على آثارهم مُهتدُون﴾** ليس لهم مستند في شركهم سوى تقليد الآباء والأجداد.

الآية: ١٣ و١٤ روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبدالله بن عمر قال: إنّ النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبّرَ ثلاثاً ثم قال: «سبحان الذي سخّرَ لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون ـ ثم يقول ـ اللّهمَّ إنّي أسألك في سفري هذا البرَّ والتقوى، ومِنَ العمل ماترضى، اللّهمَّ هوِّنْ علينا السفرَ، واطوِ لنا البعيد، اللّهمَّ أنتَ الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللّهمَّ اصحبنا في سفرنا واخْلُفْنا في أهلنا» وكان ﷺ إذا رجع إلى أهله قال: «آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربّنا حامِدُون».

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٥٠

٢٣: ﴿وكذلك ماأرسلنا من قبلِكَ في قريةٍ مِن نذيرٍ إلّا قال مترَفُوها إنّا وَجدْنا آباءَنا على أُمّةٍ وإنّا على آثارِهم مقتدون﴾ [أي: نهتدِي بهم ونقتدي بهم، وفي هذه الآية دليل على إبطال التقليد في العقيدة] **٢٤: ﴿قُلْ﴾** يامحمد للمشركين **﴿أوَلو جِئتُكم بأهدَى مِمّا وَجَدْتُم عليه آباءكم؟ قالُوا إنّا بما أُرسلتُمْ بهِ كافِرُون﴾** لو علِمُوا وتيقّنُوا صحة ماجئتَم به لِما انقادُوا لذلك؛ لسوء قصدهم ومكابرتِهم للحقِّ وأهله، قال تعالى: **٢٥: ﴿فانتقمنَا منهم﴾** من الأمم المكذّبة بأنواعِ مِن العذاب كما فصّله تعالى في قصصهم **﴿فانظُرْ كيفَ كان عاقبةُ المكذِّبين﴾** كيف بادُوا وهلكُوا، وكيف نجّى اللهُ المؤمنين **٢٦: ﴿وإذْ قالَ إبراهيمُ لأبيهِ وقومِهِ إنّني بَرَاءٌ مِمّا تعبدُون﴾** يُخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إمامِ الحنفاء أنّه تبرّأ مِن أبيهِ وقومِهِ في عبادتهم الأوثان [مع الله تعالى] فقال: **﴿إنّني بَرَاءٌ مما تعبدُون﴾ ٢٧: ﴿إلّا الذي فطَرنِي فإنّه سيهدِين﴾** [إلّا الذي فطَرَني: استثناء متصل، لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله] **٢٨: ﴿وجعلَها كلمةً باقيةً في عَقِبِه﴾** هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحدَهُ لاشريكَ له، وخلع ماسِوَاهُ من الأوثان، وهي لا إلهَ إلّا الله، أي: جعلها دائمةً في ذُرّيّتِهِ يُقتدَى به فيها مَن هداهُ اللهُ تعالى من ذريّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، **﴿لعلّهم يرجِعُون﴾** إليها **٢٩: ﴿بَلْ متّعْتُ هؤلاء﴾** يعني المشركين **﴿وآباءَهم﴾** فتطاول عليهم في ضلالهم **﴿حتى جاءَهم الحقُّ ورسولٌ مُبينٌ﴾** بيّن الرسالة **٣٠: ﴿ولّما جاءَهُم الحقُّ قالُوا هذا سِحْرٌ وإنّا بهِ كافِرُون﴾** كابَرُوهُ وعانَدُوهُ كفراً وحَسَداً وبغياً **٣١: ﴿وقالُوا﴾** كالمعترضين على الذي أنزله تعالى **﴿لولا نُزِّلَ هذا القرآنَ على رجلٍ مِنَ القريتين عظيم﴾** هلّا كان إنزال هذا القرآن على رجلٍ كبير في أعينهم من مكة أو الطائف، فرَدّ الله تعالى عليهم فقال: **٣٢: ﴿أَهُمْ يقسِمُون رحمةَ ربِّكَ﴾**؟ ليسَ الأمرُ مردُوداً إليهم بل إلى الله عزّ وجلّ، واللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ، **﴿نحنُ قسمنا بينهُم معيشتَهم في الحياة الدنيا﴾** هو تعالى أعطاهم الأموال والأرزاق، **﴿ورفَعْنا بعضَهُم فوقَ بعضٍ دَرجاتٍ ليتّخِذَ بعضُهُم بعضاً سُخرِيّاً﴾** ليسخِّرَ بعضُهم بعضاً في الأعمال. **﴿ورحمةُ ربِّكَ خيرٌ مِمّا يجمعون﴾** رحمة الله بخلقِهِ خيرٌ لهم مِمّا بأيدِيهم من متاع الدنيا، ثم قال سبحانه: **٣٣: ﴿ولولا أنْ يكونَ النّاسُ أُمّةً واحِدَةً﴾** لولا أن يعتقدَ كثيرٌ من النّاس الجهلة أنّ عَطاءَنا المال دليلٌ على محبّتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لأجل المال، **﴿لجعلنا لِمَنْ يكفُرُ بالرحمنِ لِبيوتِهم سُقُفاً مِن فضّةٍ ومعارِجَ﴾** سَلالم ودَرجاً من فضّةٍ، **﴿عليهَا يظهَرُون﴾** يصعَدُون.

الآية: ٢٨ عبادة الله تعالى على أنواع: عبادات قلبية وعبادات قولية، وعبادات عملية، وعبادات مالية. أمّا العباداتالقلبية فهي التي ترجع إلى القلب وحده، وأساسها عقيدة التوحيد، وفروعها: حبّ الله تعالى، والخوف منه سبحانه، والإخلاص له تعالى، والتوكل عليه والرضا بما قدّر والصبر. وأمّا العبادات القولية فهي كثيرة جداً، ورأسها الدعاء، بقسميه: دعاء ثناء وتمجيد، ودعاء طلب وسؤال. ومن العبادات القولية: الذكر والتسمية على كل شيء، والاستعاذة بالله من كل شرّ، والاستغاثة به سبحانه، والحلف به وحده. وأمّا العبادات البدنية العملية: فهي الصلوات والصيام والحج والجهاد. وأمّا العبادات المالية: فهي الزكاة المفروضة والصدقات المسنونة، والذبائح والنذور. فهذه هي مجمل أركان عبادة الله تبارك وتعالى وتوحيده فيها. /عن كتاب دعوة التوحيد: للدكتور محمد خليل هراس، رحمه الله تعالى/.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٣٤: ﴿ولبُيُوتِهِم أبواباً وسُرُراً عليها يتّكِئُون﴾ [وجعلنا لبيوتهم] أغلاقاً على أبوابهم **﴿وسرراً﴾** جميع ذلك يكون من فضةٍ **٣٥: ﴿وزُخْرُفاً﴾** وذهباً، **﴿وإنْ كلُّ ذلك لَمّا متاعُ الحياةِ الدنيا﴾** إنّما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة؛ أي: يُعجّلُ لهم بحسناتِهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب لِيُوافُوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنةٌ يجزيهم بها، **﴿والآخرةُ عند ربِّكَ للمتقين﴾** هي لهم خاصّةً لايُشاركهم فيها أحدٌ غيرهم **٣٦: ﴿ومَن يَعْشُ عن ذكرِ الرحمنِ نُقيّض له شيطاناً﴾** من يتغافل ويُعرِض **﴿عن ذكر الرحمن﴾** [أي: نسببُ له شيطاناً جزاءً له على كفره] أي: هذا الذي تغافل عن الهُدَى نقيّضْ له من الشياطين من يُضلّهُ ويهديه إلى صراط الجحيم، فإذا وافَى اللهَ عزّ وجلّ يوم القيامة يتبرأ من الشيطان الذي وُكّل به، **﴿فهو له قرين﴾** مقارن **٣٧: ﴿وإنّهم لَيَصُدُّونهم عن السبيلِ ويحسَبُونَ﴾** [أي: وإنّ الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدى] **﴿ويحسَبُون أنّهم مُهتدون﴾ ٣٨: ﴿حتى إذا جاءَنا﴾** الذي تغافلَ عن الهُدى، يومَ القيامة تبرأ من الشيطان و**﴿قال ياليتَ بيني وبينكَ بُعْدَ المشرقين﴾** بُعْدَ مابين المشرق والمغرب، **﴿فبِئْسَ القرين﴾ ٣٩: ﴿ولن ينفعَكُم اليومَ﴾** [أي: قول الكافر: ياليتَ بينَهُ وبينَ الشيطانِ بُعْدَ المشرقين، **﴿إذْ ظلمتم﴾** [أي: أشركتم في الدنيا] **﴿أنّكم في العذاب مشتركون﴾** لايُغني عنكم اجتماعُكم في النّار واشتراككم في العذاب الأليم **٤٠: ﴿أفأنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أو تهدِي العُمْيَ ومَن كان في ضلالٍ مُبين﴾**؟ ليس ذلك إليك، إنّما عليك البلاغ، وليس عليك هُدَاهم ولكنّ اللهَ يُضِلُّ مَن يشاء ويهدي من يشاء وهو الحكم العدل في ذلك. ثم قال تعالى: **٤١: ﴿فإمّا نذهبنّ بكَ فإنّا منهم منتقمُون﴾** لابدّ أن ننتقمَ منهم ونعاقبهم، ولو ذهبتَ أنت **٤٢: ﴿أو نُرِيَنَّكَ الذي وعَدْناهم فإنّا عليهم مقتدرون﴾** نحن قادرون على هذا وهذا، ولم يقبض اللهُ تعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقرّ عينَهُ من أعدائه وحكّمَهُ في نواصيهم **٤٣: ﴿فاستمسكْ بالذي أوحِيَ إليكَ إنّك على صراطٍ مستقيم﴾** خُذ بالقرآن المنزّل على قلبك فإنّه هو الحقُّ ومايهدِي إليه هو الحقُّ المفضي إلى صراط الله المستقيم **٤٤: ﴿وإنّه لذكرٌ لكَ ولقومِكَ﴾** لشرف لك ولقومك **﴿وسوفَ تسألون﴾** عن هذا القرآن **٤٥: ﴿واسألْ مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رُسُلِنَا أجعلنا من دُون الرحمن آلهةً يُعَبدون﴾** جميع الرسل دعوا إلى مادعوتَ الناسَ إليه من عباد الله وحدَه **٤٦: ﴿ولقد أرسلنا موسَى بآياتنا إلى فرعونَ ومَلَائِهِ﴾** من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع **﴿فقال إنّي رسولُ ربِّ العالمين﴾ ٤٧: ﴿فلمّا جاءَهم بآياتنا إذا هم منها يضحكُون﴾** والآيات هي: اليد والعصَا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ونقص الزروع والثمرات والأنفس، ومع هذا كله استكبروا وكذبوا وسخروا منها وضحكوا مِمّن جاءهم بها.

الآية: ٣٥ روى الشيخان في صحيحيهما أنّ عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ حين رآه قد أثّر الحصير بجنبه فبكى: يارسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، وقال: «أوفي شكٍّ أنتَ ياابْنَ الخطاب؟» ثم قال ﷺ: «أولئك قومٌ عُجّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا»، وفي رواية: «أمَا ترضَى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» وفي الصحيحين أيضاً وغيرهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «لاتشربوا في آنية الذهب والفضّة، ولاتأكلوا في صحافِها، فإنّها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة» وإنّما =

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

الحزب ٥٠

٤٨: ﴿ومانُريهم مِن آيةٍ إلّا هي أكبرُ مِن أختِها﴾ ومع هذا مارجعوا عن غيّهم وضلالهم، وجهلهم وخيالهم، وكلّما جاءتهم آيةٌ من هذه الآيات يضرّعُون إلى موسى ويتلطفون له، **﴿وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجِعُون﴾** [عن كفرهم] **٤٩: ﴿وقالوا ياأيُّها السَّاحِرُ﴾** العالم، وكان علماء زمانهم هم السحرة، **﴿ادْعُ لنا ربَّكَ بما عَهِدَ عندكَ إنّنا لَمُهتَدُون﴾** يعدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يُؤمِنُوا به ويُرسِلُوا معه بني إسرائيل، وفي كلِّ مرّةٍ ينكثُون ماعَاهَدُوا عليه **٥٠: ﴿فلمّا كشفنا عنهم العَذاب إذا هم ينكثُون﴾** [أي: ينقضُون العهد الذي جعلوه على أنفسهم فلم يُؤمنوا] **٥١: ﴿ونادَى فرعونُ في قومه﴾** يُخبر تعالى عن فرعون وتمرّده وكفره أنّه جمع قومَهُ فنادى فيهم: **﴿قال ياقومِ أليسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وهذهِ الأنهارُ تجري من تحتي﴾** وكانت له جنّات وأنهار **﴿أفلاتبصِرُون﴾** ما أنا فيه من المُلْكِ والعظمة؛ يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء **٥٢: ﴿أمْ أنا خيرٌ من هذا الذي هو مَهِين﴾** بل أنا خيرٌ من هذا، يعني لعنه الله أنّه خيرٌ من موسى، وقد كذب في قوله هذا كذباً بيّناً، **﴿ولا يكادُ يُبِينُ﴾** يعني لايكاد يُفصح عن كلامه، فلايكاد يُفهم. هكذا كان ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقيّة، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يُبهر أبصارَ ذوي الألباب. **٥٣: ﴿فلولا أُلقيَ عليه أسورةٌ من ذهب﴾** الحليّ [وكانت علامة السيّادة]، **﴿أو جاءَ معَهُ الملائكةُ مقترنين﴾** يكنفونَهُ خدمة له، ويشهدون بتصديقه، نظرَ إلى الشكل الظاهر ولم يفهم السِّرَّ المعنوي الذي هو أظهرُ ممّا نظر إليه لو كان يفهم، ولهذا قال تعالى: **٥٤: ﴿فاستخفَّ قومَهُ فأطاعُوهُ﴾** استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابُوا له **﴿إنّهم كانوا قوماً فاسِقين﴾** [أي: خارجين عن طاعة الله] **٥٥: ﴿فلمّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾** فلمّا أسخطونا وأغضبونا انتقمنا منهم. روى ابن أبي حاتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «إذا رأيتَ اللهَ تبارك وتعالى يُعطي العبد مايشاء وهو مقيمٌ على معاصِيه، فإنّما ذلك استدراج منه له» ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية. **٥٦: ﴿فجعلناهم سَلَفاً ومثلاً للآخِرين﴾** عبرة لمن بعدهم ممّن عمل بعملهم **٥٧: ﴿ولمّا ضُرِبَ ابنُ مريمَ مثلاً إذا قومُكَ منه يَصِدُّون﴾** يُخبر تعالى عن تعنّت قريش في كفرهم وتعمُّدِهم العِناد، يعني لمّا قيل لهم: ﴿إنّكم وماتعبُدون من دون الله حَصَبُ جهنّم أنتم لها وارِدُون﴾ فقالت له قريش فما ابن مريم؟ قال: ﴿ذاك عبد الله ورسوله﴾ فقالوا: والله مايُريد هذا إلّا أن نتخِذَهُ ربّاً كما اتخذتِ النصارى عيسى ابن مريم ربّاً فقال الله عزّ وجلّ: **٥٨: ﴿وقالوا ءآلِهَتُنا خيرٌ أم هو﴾** يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم **﴿ماضَرَبُوهُ لكَ إلّا جَدَلاً﴾** مِراءً، وهو قولهم: إنّ عيسى كان يُعْبَدُ مِن دُونِ الله، **﴿بَلْ هم قومٌ خَصِمُون﴾** [مجادِلُون بالباطل] **٥٩: ﴿إنْ هو إلّا عبدٌ أنعمنا عليهِ﴾** بالنّبوّة **﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾** دَلالَةً وبرهاناً على قدرتنا على مانشاء **٦٠: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾** بدَلكم **﴿ملائكةً في الأرض يَخْلُفُون﴾** يخلف بعضُهم بعضاً، كما يخلف بعضكم بعضاً.

= خوّلهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها، كما روى الترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تَزِنُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ ماسقى منها كافراً شَرْبَةَ ماءٍ أبداً». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. /ابن كثير ج٤/١٢٧/

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

٦١: ﴿وإنّه لَعَلَمٌ للسّاعة﴾ المراد عيسى ابن مريم، أي: أمارةٌ ودليل على وقوع الساعة، أي: خروجه قبل يوم القيامة، **﴿فلا تَمْتَرُنّ بها﴾** لاتشكوا فيها إنّها واقعة لامحالة **﴿واتبِعُونِ﴾** فيما أخبركم به **﴿هذا صراطٌ مستقيم﴾ ٦٢: ﴿ولايَصُدَّنّكم الشيطانُ﴾** عن اتباع الحقّ **﴿إنّه لكم عدوٌّ مُبين﴾ ٦٣: ﴿ولمّا جاء عيسى بالبيّناتِ قال قد جئتكم بالحكمة﴾** بالنبوّة **﴿ولأبيّن لكم بعضَ الذي تختلِفون فيه﴾** يعني: من الأمور الدينيّة **﴿فاتّقوا اللهَ﴾** فيما أمركم به **﴿وأطيعُون﴾** فيما جئتكم به **٦٤: ﴿إنّ اللهَ هو ربّي وربُّكم فاعبُدُوهُ هذا صراطٌ مستقيم﴾** أنا وأنتم عبيدٌ له فقراء إليه، مشتركون في عبادته وحده لاشريكَ له **﴿هذا صراطٌ مستقيم﴾** هذا الذي جئتُكم به هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الله جلَّ وعلا وحدَهُ **٦٥: ﴿فاختلفَ الأحزابُ مِن بينهم﴾** اختلفت الفِرق وصاروا شيعاً فيه، فمنهم مَن يُقرُّ بأنّه عبدُ اللهِ ورسوله، وهو الحق. ومنهم من يدّعي أنّه ولد الله، ومنهم من يقول إنّه الله؛ تعالى اللهُ عن قولهم علوّاً كبيراً، لهذا قال تعالى: **﴿فويلٌ للذين ظلمُوا من عذاب يومٍ أليم﴾ ٦٦: ﴿هل ينظرونَ إلّا السَّاعةَ أن تأتِيَهُمْ بَغتةً وهم لايشعُرُون﴾** فإنّها كائنةٌ لامحالة، وهؤلاء غافِلُون عنها غير مستعدِّين لها، فإذا جاءت إنّما يجيء وهم لايشعرون فحينئذٍ يندمُون كلَّ الندم حيث لاينفعهم **٦٧: ﴿الأخلّاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ﴾** كلُّ صداقةٍ وصحابةٍ لغير الله فإنّها تنقلب يوم القيامة عداوةً إلّا ماكان لله عزّ وجلّ فإنّه دائم بدوامه، **﴿إلّا المتقين﴾** [فإنهم أخلّاء في الدنيا والآخرة] **٦٨: ﴿ياعبادِ لاخَوْفٌ عليكم اليوم ولاأنتم تحزَنُون﴾** [أي: هذا يوم القيامة، ينادي المنادي في العَرَصَات: ياعبادِ لاخوفٌ عليكم اليوم، فيرفع أهل العَرْصة رؤوسَهم، فيقول المنادي:] **٦٩: ﴿الذين آمنوا بآياتِنا﴾** آمنت قلوبُهم وبواطنهم **﴿وكانُوا مسلمين﴾** انقادُوا لشرع الله بجوارحهم وظواهرهم **٧٠: ﴿ادْخُلوا الجنّة﴾** يُقال لهم: **﴿ادخلُوا الجنّةَ أنتم وأزواجُكم﴾** نظراؤكم **﴿تُحْبَرُون﴾** تتنعَّمُون **٧١: ﴿يُطافُ عليهم بصِحَافٍ مِن ذهبٍ﴾** زَبادِي آنيةِ الطعام **﴿وأكوابٍ﴾** وهي آنية الشراب، أي: من ذهب، **﴿وفيها ماتشتهيه الأنفسُ وتَلَذُّ الأعينُ﴾** طيّبُ الطعم والريح وحَسَنُ المنظر. روى ابن أبي حاتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذي نفسُ محمد بيدِهِ ليأخُذَنّ أحدُكم اللقمةَ فيجعلها في فيه، ثم يخطر على باله طعامٌ آخر، فتحوّلُ الطعامُ الذي فِيه على الذي اشتهى» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية. **﴿وأنتم فيها خالِدُون﴾** في الجنّة لاتخرجون منها ولاتبغون عنها حِوَلاً، ثم قيل على وجه التفضل: **٧٢: ﴿وتلكَ الجنّةُ التي أورِثتُمُوها بما كنتم تعملون﴾** أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إيّاكم **٧٣: ﴿لكم فيها فاكِهَةٌ كثيرةٌ﴾** من جميع الأنواع **﴿منها تأكلون﴾** مهما اخترتُم وأردتُم [من سوى الطعام والشراب].

الآية: ٦٥ روى ابن جرير عن أبي أُمامة قال: إنّ رسول الله ﷺ خرج على النّاس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنّما صُبَّ على وجهه الخلّ، ثم قال: «لاتضربُوا كتابَ اللهِ بعضه ببعض، فإنّه ماضلَّ قومٌ قط إلاّ أُوتُوا الجَدَلَ»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية. /ابن كثير ج٤/١٣٢/

الآية: ٦١ وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة، إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً.

الآية: ٧١ روى عبدالرزاق أن عكرمة مولى ابن عباس أخبره أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لايدخل الجنّة بعدَه أحد، يُفسح له في بصره=

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٧٤: ﴿إنّ المجرمين في عذابِ جهنّم خالِدُون﴾ لمّا ذكر تعالى حال السعداء ثنّى بذكر الأشقياء **٧٥: ﴿لايُفتَّرُ عنهم﴾** ساعة واحدة **﴿وهم فيهِ مُبْلِسُون﴾** آيِسُون من كلِّ خير **٧٦: ﴿وماظلمناهم ولكنْ كانوا هم الظالِمين﴾** بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجّة عليهم وإرسال الرسل إليهم، فكذّبُوا وعَصَوْا، فجُوزُوا بذلك جزاءً وِفاقاً، ومارَبُّك بظلّامٍ للعبيد **٧٧: ﴿ونادَوْا يامالِكُ﴾** وهو خازن النّار **﴿لِيَقْضِ علينا ربُّكَ﴾** يقبض أرواحنا فيريحنا ممّا نحنُ فيه، فإنّهم كما قال تعالى: ﴿لايُقضَى عليهم فيمُوتُوا ولايُخفّفُ عنهم مِن عذابها﴾، فلمّا سألوا أن يمُوتُوا أجابهم مالِكٌ: **﴿قال إنّكم ماكِثُون﴾** لاخروجَ لكم منها ولامحيد لكم عنها. ثم ذكر سبب شِقوتهم وهو مخالفتُهم للحق، فقال تعالى: **٧٨: ﴿لقد جئناكم بالحقّ﴾** بيّنّاهُ لكم ووضحناهُ وفسّرناه **﴿ولكنّ أكثرَكم للحقّ كارِهُون﴾** ولكن كانت سجاياكم لاتقبله ولاتقبل إليه، وإنّما تنقاد للباطل وتعظمه وتصدّ عن الحق وتأباه وتبغض أهله **٧٩: ﴿أم أبْرَمُوا أمراً؟ فإنّا مُبْرِمُون﴾** أرادوا كيدَ شرٍّ فكدناهم، كما قال تعالى: ﴿ومكرُوا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون﴾ فكادَهم الله تعالى وردَّ وبال ذلك عليهم، ولهذا قال تعالى: **٨٠: ﴿أم يحسبُون أنّا لانسمعُ سِرَّهم ونَجْواهُم﴾**؟ سِرَّهم وعلانيتَهم **﴿بلى ورسُلنا لديهم يكتبُون﴾** نحن نعلمُ ماهم عليه والملائكة أيضاً يكتبُون أعمالهم **٨١: ﴿قُلْ إنْ كانَ للرحمنِ وَلَدٌ فأنَا أوّل العابِدِين﴾** لو فُرِضَ هذا لكان هذا، ولكنّ هذا ممتنعٌ في حقه تعالى؛ والمعنى: لم يكن للرحمن ولدٌ فأنا أوّل الشاهدين، ولهذا قال تعالى: **٨٢: ﴿سبحان ربِّ السمواتِ والأرضِ ربِّ العرشِ عمّا يصِفُون﴾** تعالى الله وتقدّس وتنزّه خالقُ الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنّه فردٌ أحدٌ صَمدٌ لانظير له ولاكُفء له **٨٣: ﴿فذَرْهُم يخُوضُوا ويلعبُوا حتى يُلاقُوا يومهم الذي يُوعَدُون﴾** وهو يوم القيامة؛ أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم في ذلك اليوم **٨٤: ﴿وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ﴾** هو إلهُ مَن في السماء، وإلهُ من في الأرض يعبدُهُ أهلُها، وكلهم خاضِعُون له. **﴿وهو الحكيمُ العليمُ﴾** [الحكيمُ: في شرعه وقدره، العليمُ: بخلقه] **٨٥: ﴿وتبارك الذي لهُ مُلْكُ السمواتِ والأرضِ ومابينهما﴾** [أي: تعاظمتْ خيراتُهُ وتكاثرتْ] **﴿له مُلْكُ السمواتِ والأرضِ ومابينهما﴾** خالقهما والمتصرّف فيهما **﴿وعندَهُ علمُ الساعة﴾** لايُجلّيها لوقتِها إلّا هو **﴿وإليه تُرجَعُون﴾** **٨٦: ﴿ولايملِكُ الذين يدعُون مِن دُونِهِ﴾** من الأصنام **﴿الشفاعة﴾** لايقدرون على الشفاعة لهم **﴿إلّا مَن شهِدَ بالحق وهم يعلمون﴾** هذا استثناء منقطع، أي: لكن مَن شهد بالحق فإنّه تنفعه شفاعته عنده بإذنه له **٨٧: ﴿ولَئِنْ سألتهم مَن خلقهم﴾** المشركين **﴿ليقولُنّ الله﴾** يعترفون أنه الخالق ويُشركون **﴿فأنّى يُؤفكون﴾**؟ فهم في سخافة العقل وغاية الجهل **٨٨: ﴿وقِيلِهِ ياربِّ﴾** اشتكى محمد إلى ربه من قومه **﴿إن هؤلاءِ قومٌ لايُؤمنون﴾** فأجابه تعالى: **٨٩: ﴿فاصفحْ عنهم وقلْ سلام﴾** لاتجاوبهم بمثل مايُخاطبونك به من الكلام السيء **﴿فسوف يعلمون﴾** هذا تهديدٌ من الله لهم.

= مسيرة مائة عام في قصورٍ من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع شبر إلاّ معمور يُغدَى عليه ويُراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة إلاّ فيها لونٌ ليس في الأخرى مثله».

سُورَةُ الدُّخَانِ

ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ
مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ
﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى
ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ
إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ
إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٥٠

تفسير سورة الدُّخان

١: **﴿حم﴾** **٢**: **﴿والكتابِ المُبين﴾** يُخبر تعالى عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلةٍ مباركة وهي ليلة القدر **٣**: **﴿إنّا أنزلناهُ في ليلةٍ مباركة﴾** كما قال تعالى: ﴿إنّا أنزلناهُ في ليلة القدر﴾، **﴿إنّا كُنّا مُنذِرين﴾** معلّمين النّاس ماينفعهم ومايضرّهم شرعاً لتقومَ حُجّة الله على عباده **٤**: **﴿فيها يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ حكيم﴾** في ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ على الكَتَبَةِ أمرَ السنة مايكون فيها إلى آخرها، **﴿حكيم﴾** محكم لايُبدّل ولايغيّر، ولهذا قال جلَّ جلالُهُ: **٥**: **﴿أمراً مِن عندِنا﴾** جميع مايُقدِّرُهُ الله ومايُوحِيه فبأمره وعلمه **﴿إنّا كنّا مُرْسِلِين﴾** إلى النّاس رسولاً **٦**: **﴿رحمةً مِن ربِّكَ إنّه هو السميعُ العليم﴾** [أي: الرسول من رحمة الله] **٧**: **﴿ربِّ السماواتِ والأرضِ ومابينهما﴾** الذي أنزل القرآن هو رب السماوات والأرض وخالقهما **﴿إنْ كنتُم مُوقِنين﴾** إن كنتم متحققين **٨**: **﴿لا إلهَ إلّا هو يُحيي ويُميت ربُّكم وربُّ آبائكم الأوّلين﴾** [أي: لايجوز أن يُشرَكَ به أحدٌ غيرهُ لأنّه لايقدر على خلقِ أحدٍ ولا على إحيائهِ ولاإماتة] **٩**: **﴿بَلْ هم في شكٍّ يلعبُون﴾** المشركون يمترون بما جاءهم من الحق، لايُصدِّقُونَهُ [وهم يلعبون في دينهم بما يَعُنُّ لهم] ثم قال تعالى متوعداً لهم ومُهدّداً: **١٠**: **﴿فارْتقبْ يومَ تأتِي السماءُ بدُخانٍ مُبين﴾** وذلك لمّا دَعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسنين كسنين يوسف، فأصابهم الجهد والجوع حتى أكلوا العظام، وجعلوا يرفعُون أبصارَهم إلى السماء فلايرون إلّا الدخان، فقيل: يارسولَ اللهِ استسقِ لهم فاستسقى لهم فَسُقُوا فنزلت: ﴿إنّا كاشِفوا العذابِ قليلاً إنكم عائِدون﴾ **١١**: **﴿يغشَى النّاس﴾** يتغشاهم ويعميهم **﴿هذا عذابٌ أليمٌ﴾** هذا تقريع لهم وتوبيخ **١٢**: **﴿ربَّنا اكشِفْ عنّا العذابَ إنّا مُؤمنُون﴾** يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه عنهم **١٣**: **﴿أنّى لَهُمُ الذكرَى﴾** كيف لهم بالتذكر **﴿وقد جاءَهم رسولٌ مُبينٌ﴾** فتولَّوا عنه وكذّبوه؟ **١٤**: **﴿ثمّ تولَّوْا عنه﴾** فما وافقوهُ وكذّبوه **﴿وقالوا مُعَلَّمٌ مَجْنون﴾** [مُعَلَّمٌ: أي علّمه بشر ثم هو مجنون] **١٥**: **﴿إنّا كاشِفُوا العذابِ قليلاً﴾** [أي: عنكم في الدنيا] **﴿إنّكم عائدُون﴾** [أي: راجعون إليه يومَ معَادكم في نار جهنّم إن لم تُؤمنوا] **١٦**: **﴿يومَ نبْطِشُ البَطْشةَ الكُبْرَى﴾** يعني يومَ القيامة [ومن دونه يوم بدر] **﴿إنّا منتقِمُون﴾** [منهم يوم نبطش بهم] **١٧**: **﴿ولقد فتنّا﴾** اختبرنا **﴿قبلهم قومَ فِرْعونَ﴾** وهم قبط مصر **﴿وجاءَهم رسولٌ كريمٌ﴾** يعني موسى كليمه عليه السلام **١٨**: **﴿أن أدُّوا إليَّ عبادَ اللهِ﴾** [أي: أدُّوا إليّ سمعكم حتى أبلّغكم رسالةَ ربّي] **﴿إنّي لكم رسولٌ أمينٌ﴾** مأمون على ماأبلّغكمُوهُ.

شهوته في آخرها كشهوته في أوّلها، لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطى، لاينقص ذلك مّما أوتي شيئاً». /ابن كثير ج٤/١٣٤/

الآية: ٧٧ روى البخاري عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿ونادَوْا يامَالِكُ لِيَقْضِ علينا ربُّكَ﴾، أي يقبض أرواحنا فيريحنا مّما نحن فيه، فإنّهم كما قال الله تعالى: ﴿لايُقضى عليهم فيموتوا ولايُخفّف عنهم من عذابها﴾، وقال عزّ وجلّ: ﴿ويتجنّبُها الأشقَى الذي يصلى النّارَ الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيا﴾.

الآية: ١٠ روى ابن جرير عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ ربَّكم أنذرَكم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

١٩: ﴿**وأنْ لاتعْلُوا على اللهِ**﴾ لاتستكبِروا عن اتباع آياته ﴿**إنّي آتيكم بسلطانٍ مُبينٍ**﴾ بحجّةٍ واضحة **٢٠**: ﴿**وإنّي عُذْتُ بربّي وربّكم أن ترْجُمُون**﴾ الرجمُ: الشتم باللسان، وبالحجارة، أي: أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من أن تصِلُوا إليّ بسُوءٍ مِن قولٍ أو فعلٍ **٢١**: ﴿**وإن لم تؤمِنُوا لي فاعتزِلُون**﴾ فلاتتعرّضُوا لي ودَعُوا الأمرَ بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضيَ الله بيننا، فلمّا طال مقامه بين أظهرهم وأقام عليهم حُجَجَ الله، ومازادَهم ذلك إلّا كفراً وعناداً **٢٢**: ﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أنّ هؤلاء قومٌ مُجْرِمُون**﴾ فعندَ ذلك أمرَهُ اللهُ أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم: **٢٣**: ﴿**فأسْرِ بعبادِي ليلاً إنّكم متبَعُون**﴾ كما قال تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أسْرِ بعبادي فاضربْ لهم طريقاً في البحر يَبَساً لاتخاف دَرَكاً ولاتخشى﴾ [والإسراءُ: السير باللّيل] **٢٤**: ﴿**واترِكِ البحرَ رَهْواً إنّهم جُندٌ مغرقُون**﴾ وذلك أنّ موسى عليه السلام لمّا جاوز هو وبنو إسرائيل البحرَ أرادَ موسى أن يضربَهُ بعصاه حتى يعود كما كان ليصيرَ حائلاً بينهم وبين فرعون فلايصل إليهم، فأمره الله تعالى أن يتركَهُ على حاله، وبشّرَهُ بأنّهم جندٌ مغرقُون. و﴿**رَهْواً**﴾ يابساً كهيئته **٢٥**: ﴿**كم تركُوا مِن جنّاتٍ وعُيون**﴾ **٢٦**: ﴿**وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ**﴾ أماكن حسنة **٢٧**: ﴿**ونَعْمَةٍ كانُوا فيها فاكِهين**﴾ [النَّعمة بالفتح: التنعيم، والنِّعمة بالكسر: المِنّة والفضل] وكانت جنانهم على حافتي النيل من أوله إلى آخره، مابين أسوان إلى رشيد، فسُلِبُوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنّم **٢٨**: ﴿**كذلك وأورثناها قوماً آخرين**﴾ بني إسرائيل **٢٩**: ﴿**فما بكَتْ عليهم السماءُ**﴾ لم تكن تصعد لهم أعمال صالحة فتبكي على فقدهم ﴿**والأرضُ**﴾ فلاهم فيها بِقاعٌ عبدوا الله فيها ﴿**وماكانُوا مُنظَرين**﴾ [مؤخَّرين بالغرق] **٣٠**: ﴿**ولقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المُهين**﴾ **٣١**: ﴿**مِن فرعونَ إنّه كان عالياً مِن المسرفين**﴾ يمتّن تعالى عليهم حيث أنقذهم من إهانة مستكبر جبار سخيف الرأي على نفسه **٣٢**: ﴿**ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين**﴾ على مَن هم في زمانهم **٣٣**: ﴿**وآتيناهُم مِنَ الآياتِ**﴾ من الحجج والبراهين ﴿**مافيهِ بلاءٌ مبين**﴾ اختبار ظاهر لمن اهدى به **٣٤**: ﴿**إنّ هؤلاء لَيَقُولُون**﴾ المشركون **٣٥**: ﴿**إنْ هي إلّا مَوْتَتُنا الأُولى ومانحنُ بمُنشَرينَ**﴾ يُنكر تعالى عليهم إنكارَهم البعث والمعاد **٣٦**: واحتجُّوا بآبائهم الأولين فقالوا: ﴿**فأتُوا بآبائنا إن كنتم صادِقين**﴾ وهذه حُجّةٌ باطلة فإن المعاد يوم القيامة لافي الدنيا **٣٧**: ﴿**أهُمْ خيرٌ أم قومُ تُبّعٍ والذين مِن قبلِهم أهلكناهم إنّهم كانُوا مُجْرِمين**﴾ هذا تهديدٌ ووعيدٌ للمنكرين للبعث، أنّهم كقوم تُبّعٍ، وهم سبأ حيث أهلكهم الله وخرّب بلادَهم وكانوا عرباً من قحطان **٣٨**: ﴿**وماخلقنا السمواتِ والأرضَ ومابينهما لاعِبين**﴾ يُخبر تعالى عن عدله وتنزيهِهِ نفسَهُ عن العَبَثِ والباطل [فيما يخلق ويفعل] **٣٩**: ﴿**ماخلقناهُمَا إلّا بالحقِّ ولكنّ أكثرَهم لايعلمون**﴾، كما قال تعالى: ﴿أفَحَسِبْتُم أنّما خلقناكم عَبَثاً وأنّكم إلينالا تُرجَعُون؟فتعالى اللهُ المَلِكُ الحقُّ لاإلهَ إلّا هو ربُّ العرش الكريم﴾.

= مسمع منه، والثانية الدابّة، والثالثة الدّجّال» ورواه الطبراني. وهذا إسناد جيّد. /ابن كثير ج٤/١٣٩/

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَة

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

٤٠: ﴿إنّ يومَ الفصلِ ميقاتُهم أجمعين﴾ وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق **٤١: ﴿يومَ لايُغني مولًى عن مولًى شيئاً﴾** لاينفع قريبٌ قريباً **﴿ولاهُم يُنصَرُون﴾ ٤٢: ﴿إلّا مَن رحِمَ الله﴾** لاينفعُ يومئذٍ إلا رحمة الله عزّ وجلّ بخلقه **﴿إنّه هو العزيزُ الرحيم﴾** هو سبحانه عزيزٌ ذو رحمة واسعة **٤٣:** يُخبر تعالى عمّا يُعذّب الكافرين فيقول: **﴿إنّ شجرةَ الزَّقُوم﴾ ٤٤: ﴿طعامُ الأثيم﴾** الكافر والفاجر، أي: ليس له طعام من غيرها. ولو وقعت قطرةٌ منها إلى الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم **٤٥: ﴿كالمُهْل﴾** كعَكَرِ الزيت **﴿يغلي في البُطون﴾** من حرارتها ورداءتها **٤٦: ﴿كغَلْي الحَميم﴾ ٤٧: ﴿خُذُوهُ﴾** الكافر، وقد ورَدَ أنّه تعالى إذا قال للزبانية: خُذُوهُ، ابتدرَهُ سبعُون ألفاً منهم **﴿فاعْتِلُوهُ﴾** سُوقُوهُ سحباً ودفعاً في ظهرهِ، **﴿إلى سَواءِ الجحيم﴾** إلى وسطها **٤٨: ﴿ثم صُبُّوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾** كقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فوقِ رؤوسِهِمُ الحَمِيم يُصْهَرُ بهِ مافي بُطونِهم والجلُود﴾ **٤٩: ﴿ذُقْ إنّكَ أنتَ العزيزُ الكريم﴾** قولُوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ؛ أي: لست بعزيز ولاكريم **٥٠: ﴿إنّ هذا ماكنتُم بهِ تمترون﴾** كقوله تعالى: ﴿يوم يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنّم دَعّاً هذه النّار التي كنتم بها تُكذِّبُون. أفَسِحْرٌ هذا أم أنتم لاتُبْصِرُون﴾؟ **٥١:** لمّا ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سُمّي القرآن مثانِيَ، فقال تعالى: **﴿إنّ المتقين﴾** لله في الدنيا **﴿في مقامٍ أمينٍ﴾** في الآخرة، وهو الجنّة، قد أَمِنُوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هَمٍّ وحزن **٥٢: ﴿في جنّاتٍ وعُيُون﴾ ٥٣: ﴿يَلْبَسُون من سُنْدُسٍ﴾** وهو رفيع الحرير كالقمصان **﴿واستبرقٍ متقابِلين﴾** الاستبرق: ماكان على أعلى القماش، مِمّا فيه بريق ولمعان، ومتقابلين: على السُّرُر لايجلس أحدٌ منهم وظهره إلى غيره **٥٤: ﴿كذلكَ وزوّجناهم بحُورٍ عِينٍ﴾** هذا العطاء مع ماقدْ منحناهم من الزوجات الحور العين الحِسَان اللاتي ﴿لم يَطْمِثْهُنّ إنسٌ قبلَهم ولاجانٌّ﴾، ﴿كأنّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجان﴾، ﴿هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ﴾؟! **٥٥: ﴿يَدْعوْن فيها بكلِّ فاكِهَةٍ آمِنِين﴾** مهما طلبُوا مِن أنواعِ الثمار أُحْضِرَ لهم وهم آمِنُون من انقطاعه وامتناعه **٥٦: ﴿لايذُقُون فيها الموتَ إلّا الموتَةَ الأولى﴾** هذا استثناءٌ منقطع، ومعناه: أنّهم لايذوقون فيها الموتَ أبداً **﴿ووَقَاهُمْ عذابَ الجحيم﴾** مع هذا النعيم العظيم المقيم، فحصل لهم المطلوب والنجاة من المرهوب، ولهذا قال تعالى: **٥٧: ﴿فضلاً مِن ربِّكَ﴾** إنّما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم، **﴿ذلك هو الفوزُ العظيم﴾ ٥٨: ﴿فإنّما يَسَّرْناهُ بلسانِكَ﴾** هذا القرآن أنزلناه سهلاً واضحاً بلسانك الذي هو أفصح اللّغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها **﴿لعلّهم يتذكّرُون﴾** يفهمون ويعلَمُون **٥٩: ﴿فارتقبْ﴾** فانتظرْ **﴿إنّهم مرتَقِبُون﴾** سيعلمون لمن تكون النُّصرة وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة.

الآية: ٥٦ روى عبد الرزاق عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُقال لأهل الجنّة: إنّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإنّ لكم أن تعيشُوا فلا تموتُوا أبداً، وإنّ لكم أن تنعمُوا فلا تبأسُوا أبداً، وإنّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً» ورواه مسلم. /ابن كثير ج٤/١٤٦/

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٠

تفسير سورة الجاثية

١: ﴿**حمٓ**﴾ ٢: ﴿**تنزيلُ الكتابِ مِن اللهِ العزيزِ الحكيم**﴾ [أي: القرآنُ منزّلٌ مِن الله المنيعِ الحكيم في فعله وقوله وشرعه وقدره] ٣: ﴿**إنّ في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين**﴾ يُرشد تعالى خلقه إلى التفكر في قدرته العظيمة التي خلق بها السمواتِ والأرض ومافيها من المخلوقات ٤: ﴿**وفي خلقِكُم ومايَبُثُّ مِن دابّةٍ**﴾ من الجنّ والإنس والدواب والطيور ﴿**آياتٌ لقومٍ يُوقِنُون**﴾ ٥: ﴿**واختلافِ اللّيل والنّهار**﴾ في تعاقبهما دائبين لايفتران هذا بظلامه وهذا بضيائه ﴿**وماأنزل اللهُ مِن السماءِ مِن رزقٍ**﴾ من المطر، سمّاه رزقاً لأنه به يحصل الرزق ﴿**فأحيا بهِ الأرضَ بعدَ مَوْتِها**﴾ بعد ماكانت هامدةً لانباتَ فيها ولاشيء، ﴿**وتصريفِ الرياح**﴾ جنوباً وشمالاً ودَبُوراً وصبا بريّة وبحريّة ليليّة ونهاريّة، ومنها ماهو للمطر، ومنها ماهو للقاح، ومنها ماهو غذاء للأرواح، ومنها ماهو عقيم لاينتج، ﴿**آياتٌ لقومٍ يعقِلُون**﴾ ٦: ﴿**تلكَ آياتُ اللهِ**﴾ يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيّنات ﴿**نتلوها عليك بالحقّ**﴾ متضمّنة الحقَّ مِن الحقِّ سبحانه ﴿**فبأيّ حديثٍ بعدَ اللهِ وآياتِهِ يُؤمِنُون**﴾؟ إذا كانوا لايُؤمنون ولاينقادون لها فبأي حديث بعدَ اللهِ وآياته يُؤمِنُون؟ ولهذا قال تعالى: ٧: ﴿**ويلٌ لكلِّ أفّاكٍ أثيمٍ**﴾ أفّاك في قوله كذاب أثيم في فعله وقوله، وقلبه كافر بآيات الله، ولهذا قال تعالى: ٨: ﴿**يسمعُ آياتِ اللهِ تُتْلَى عليه ثم يُصِرُّ مستكبِراً كأنْ لم يسمعْها**﴾ يُصِرّ على كفره وجُحُودِه استكباراً وعِناداً بعد سماعها كأنّه ماسمعها ﴿**فبشِّرْهُ بعذابٍ أليمٍ**﴾ فأخْبِرْهُ أنّ له عندَ الله يوم القيامة عذاباً أليماً ٩: ﴿**وإذا علِمَ مِن آياتِنا شيئاً اتّخذَها هُزُواً**﴾ إذا حفظ شيئاً من القرآن كفرَ بِهِ واتخذهُ سخريّاً وهزواً ﴿**أولئك لهم عذابٌ مُهِينٌ**﴾ لاستهانته بالقرآن ١٠: ﴿**مِن ورائِهِم جهنّم**﴾ كلُّ مِن اتصفَ بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة ﴿**ولايُغني عنهم ماكسَبُوا شيئاً ولاماتخذوا مِن دُون الله أولياء**﴾ لاتنفعهم أموالهم ولاأولادهم، ولاتغني عنهم الآلهة التي عبدُوها من دون الله شيئاً ﴿**ولهم عذابٌ عظيمٌ**﴾ ١١: ﴿**هذا هُدىً**﴾ يعني القرآن ﴿**والذين كفرُوا بآياتِ ربِّهم لهم عذابٌ مِن رجزٍ أليمٍ**﴾ وهو العذاب الموجع ١٢: ﴿**اللهُ الذي سخَّرَ لَكُمُ البحرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فِيهِ بأمرِهِ**﴾ يُذكِّر تعالى عباده فيما سخر لهم من البحر تجري فيه السفن بأمرِهِ ﴿**ولتبتَغُوا من فضلِهِ**﴾ في المتاجر والمكاسب ﴿**ولعلّكم تشكرون**﴾ على حصول المنافع المجلوبة إليكم ١٣: ﴿**وسخَّرَ لكم مافي السموات ومافي الأرض**﴾ من الكواكب والجبال والبحار والأنهار وجميع ماتنتفِعُون به، فالجميع من فضله وإحسانه، ولهذا قال: ﴿**جميعاً منه**﴾ مِن عندِهِ وحده لاشريك له، ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرُون**﴾ [فيعلمون الحق فيتبِعُونه].

الآيات: ١ ـ ٥ يُرشد تعالى خلقَهُ إلى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السماوات والأرض وما فيها من المخلوقات؛ من الملائكة والجن والإنس والدوابّ والطيور والوحوش وما في البحار من الأصناف المتنوّعة، واختلاف الليل والنّهار في تعاقبهما دائبين لايفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه، ومأأنزل الله من السماء من الأمطار ليحصل به الرزق [كل هذا بقدرته وفضله وكرمه سبحانه وتعالى].

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

١٤: ﴿**قُلْ للذين آمنُوا يغفِرُوا للذين لايرجون أيّامَ الله**﴾ ليصفَحُوا عنهم وليتحملُوا الأذى منهم، وكان هذا في ابتداء الإسلام، ثم لمّا أصرَّ الكفار على العِناد شرع الله للمؤمنين الجِلادَ والجهادَ. ﴿**لِيَجْزِيَ قوماً بما كانوا يكسِبُون**﴾ إذا صفَحُوا عنهم في الدنيا فإنّ الله تعالى مجازيهم بأعمالهم السيِّئة في الآخرة ١٥: ﴿**مَن عمِلَ صَالِحاً فلِنفسِهِ ومَن أساء فعليها ثم إلى ربِّكُم ترجعون**﴾ تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرّها ١٦: يذكر تعالى ماأنعم به على بني إسرائيل فيقول: ﴿**ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب**﴾ [أي: التوراة] ﴿**والحكم**﴾ [يعني الفهم في الكتاب] ﴿**والنبوّة**﴾ [يعني الأنبياء] ﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ من المآكل والمشارب ﴿**وفضلناهُم على العالَمِين**﴾ في زمانهم ١٧: ﴿**وآتيناهم بيّناتٍ مِن الأمر**﴾ حُججاً وبراهين وأدلّةً قاطعات فقامت عليهم الحجج، ثم اختلفوا بغياً منهم على بعضهم بعضاً ﴿**فما اختلفُوا إلّا مِن بعدِ ماجاءَهُمُ العلمُ بغياً بينهم إنّ ربَّكَ يقضِي بينهم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيه يختلِفُون**﴾ سيفصل بينهم بحكمه العدل، وهذا فيه تحذيرٌ لهذه الأمّة أن تسلك مسلكهم، ولهذا قال جلّ وعلاَ: ١٨: ﴿**ثم جعلناكَ على شريعةٍ مِن الأمرِ فاتّبِعْها**﴾ اتبعْ ما أُوحِيَ إليكَ مِن ربِّكَ لا إلَهَ إلّا هو، ﴿**ولاتتبعْ أهواءَ الذين لايعلمون**﴾ ١٩: ﴿**إنّهم لن يُغنُوا عنكَ مِن اللهِ شيئاً وإنّ الظالمين بعضهم أولياءُ بعض**﴾ وماذا تُغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً، فإنّهم لايزيدونهم إلّا خساراً ودماراً، ﴿**واللهُ وَلِيُّ المتّقِين**﴾، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يُخرجونهم من النور إلى الظلمات، ثم قال تعالى: ٢٠: ﴿**هذا بصائرُ للنّاس**﴾ يعني القرآن ﴿**وهدىً ورحمةٌ لقومٍ يُوقِنُون**﴾ ٢١: ﴿**أمْ حَسِبَ الذين اجْتَرَحُوا السيّئات**﴾عملوهاوكسبُوها ﴿**أنْ نجعلَهُم كالذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحات سواءٌ محياهم ومماتهم**﴾ نساويهم في الدنيا والآخرة[1]، وهذا كما قال تعالى: ﴿لايستوي أصحابُ النّارِ وأصحابُ الجنّةِ أصحابُ الجنّةِ هُمُ الفَائِزُون﴾، ﴿**سَاءَ مايحكُمُون**﴾ ساء ماظنُوا بنا وبعد لِنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الآخرة وفي هذه الدار ٢٢: ﴿**وخلقَ اللهُ السماواتِ والأرض بالحقِّ**﴾ بالعدل ﴿**ولتجزى**﴾ [أي: لكي تجزى] ﴿**كلُّ نفسٍ بما كسبتْ**﴾ [أي: في الآخرة] ﴿**وهم لايُظلَمُون**﴾.

---

(١) ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة: أنّهم وَجَدُوا حجراً بمكة في رأس الكعبة مكتُوبٌ عليه: تعملون السيئاتِ وترجون الحسناتِ، أجلْ كما يُجنَى مِن الشوكِ العنب».

الآية: ١٥ روى الحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «مَنْ حالَتْ شفاعتُهُ دون حدٍّ من حُدُود اللهِ، فقد ضادَّ اللهَ في أمرهِ، ومَنْ مات وعليه دَيْنٌ، فليس ثَمَّ دينارٌ ولادِرْهم، ولكنّها الحسناتُ والسيّئات، ومَنْ خاصَمَ في باطل، وهو يعلم لم يزلْ في سُخْطِ الله حتى ينزِعَ، ومَنْ قال في مؤمن ماليس فيه حُبِسَ في رَدْغَةِ الخَبَال [وهي طينة النّار] حتى يأتي بالمخرج ممّا قال». /الترغيب ج٢/٦٠٤/

الآية: ٢١ روى أبو يعلى عن يزيد بن مرثد أنّه قال: «إنّ الله تعالى بَنَى دينَهُ على أربعة أركان، فمن صبر عليهنّ ولم يعمل بهنّ لقي اللهَ من الفاسقين، قيل وماهنّ ياأباذرّ؟ قال: يُسلِّم حلالَ اللهِ للهِ، وحرامَ اللهِ للهِ، وأمرَ اللهِ للهِ، ونَهْيَ اللهِ للهِ». /ابن كثير ج٤/١٥٠/

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

٢٣: **﴿أفرأيتَ مَنِ اتّخذَ إلهَهُ هواهُ﴾** إنّما يأتمِرُ بهواه، فمهما رآهُ حسناً فعَلَهُ ومهما رآهُ قبيحاً تركه؛ فلا يهوَى شيئاً إلّا عبدَهُ، **﴿وأضلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ﴾** بعد بُلوغه العلمَ إليه وقيام الحجّة عليه، **﴿وختَمَ على سمعِهِ وقلبِهِ وجعلَ على بصرِهِ غِشاوَةً﴾** فلا يسمع ما ينفعه ولايعي شيئاً يهتدي بهِ ولايرى حُجّةً يستضيء بها، ولهذا قال تعالى: **﴿فمَنْ يهديه مِن بعدِ اللهِ أفلا تذكَّرُون﴾**؟! **٢٤**: **﴿وقالوا﴾** الدهريُّون من الكفار في إنكار المعاد: **﴿ماهي إلّا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا﴾** ماثَمَّ إلّا هذه الدار يموتُ قومٌ ويعيش آخرون وماثَمَّ معَاد ولاقيامة، **﴿ومايُهلِكُنَا إلّا الدهرُ﴾** قال تعالى رداً عليهم: **﴿ومالهم بذلك من علمٍ إنْ هم إلّا يظنّون﴾** يتوهمون ويتخيّلون **٢٥**: **﴿وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا بيّناتٍ﴾** إذا بُيِّنَ لهم الحقُّ وأنّ اللهَ تعالى قادرٌ على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرّقها **﴿ماكان حجتَهم إلّا أن قالوا ائتُوا بآبائنا إن كنتُم صادِقين﴾** أحيوهم إن كان ماتقولونه حقاً قال الله تعالى: **٢٦**: **﴿قُلِ اللهُ يُحييكم ثم يُميتكم﴾** كما تُشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوُجود كما قال تعالى: **﴿كيفَ تكفُرُون باللهِ وكنتُم أمواتاً فأحياكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم﴾**؟ الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحْرَى، **﴿ثم يجمعُكم إلى يومِ القيامةِ لاريبَ فيه﴾** إنّما يجمعكم إلى يوم القيامة، لايُعِيدُكم في الدنيا حتى تقولوا: **﴿ائتوا بآبائنا إن كنتم صادِقين﴾**، **﴿ولكنّ أكثرَ النّاس لايعلمون﴾** فلهذا ينكرون المعادَ ويستبعدُون قيام الأجساد **٢٧**: **﴿ولله مُلكُ السماواتِ والأرض﴾** هو تعالى مالكهما والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: **﴿ويومَ تقومُ الساعةُ يومئذٍ يَخْسَرُ المبطِلُون﴾** وهم الكافِرُون بالله **٢٨**: **﴿وترى كلَّ أُمّةٍ جاثِيَةً﴾** على ركبها من الشدّة والعظمة **﴿كلُّ أُمّةٍ تُدْعى إلى كتابِها﴾** يعني كتابَ أعمالِها **﴿اليومَ تُجزَوْن ماكنتم تعملون﴾** تجازون بأعمالكم خيرها وشرّها **٢٩**: **﴿هذا كتابُنا ينطِقُ عليكم بالحقِّ﴾** يستحضر جميعَ أعمالكم من غير زيادة ولانقصان **﴿إنّا كُنّا نستنسخ ماكنتم تعملون﴾** إنّا كنّا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم **٣٠**: يُخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فيقول: **﴿فأمّا الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات فيُدخلهم ربُّهم في رحمته﴾** الذين آمنت قلوبهم ووافقت أعمالهم الشرع سيدخلهم الجنّة **﴿ذلك هو الفوزُ المبين﴾** الواضح **٣١**: **﴿وأمّا الذين كفرُوا﴾** [فيقال لهم] **﴿أفلَمْ تكنْ آياتِي تُتلَى عليكم فاستكبرتم﴾**؟ يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، **﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾** في أفعالكم مع مااشتملت عليه قلوبكم من التكذيب **٣٢**: **﴿وإذا قيلَ إنّ وعدَ اللهِ حقٌّ والساعةُ لاريبَ فيها﴾** إذا قال لكم المؤمنون ذلك **﴿قلتُم ماندري ماالساعةُ﴾** لانعرفها **﴿إنْ نظنُّ إلّا ظناً﴾** إنْ نتوهم وقوعَها إلّا توهماً مرجوحاً ولهذا قال تعالى: **﴿ومانحنُ بمستيقنين﴾** بمتحققين.

الآية: ٢٤ قال الإمام الشافعي وأبو عُبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: «لاتسُبُّوا الدّهرَ فإنّ الله هو الدّهرُ»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدّة أو بلاء أو نكبة قالوا: ياخيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبُّونه، وإنّما فاعلُها هو الله تعالى، فكأنّهم سبُّوا الله عزّ وجلّ؛ لأنّه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سبّ الدهر بهذا الاعتبار؛ لأنّ الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويُسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ماقيل في تفسيره، وهو المراد واللهُ أعلمُ. /ابن كثير ج٤/١٥١/

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ٢٦
الحزب ٥١

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾

٣٣: ﴿**وبدَا لهم سيِّئاتُ ماعمِلُوا**﴾ وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيّئة ﴿**وحاقَ بهم**﴾ أحاطَ بهم ﴿**ماكانوا به يستهزِئون**﴾ من العذاب والنكال **٣٤**: ﴿**وقِيلَ اليومَ ننسَاكم**﴾ نعاملكم معاملة النّاسِي لكم في نار جهنّم ﴿**كما نسيتُم لقاءَ يومِكم هذا**﴾ فلم تعملوا له لأنكم لم تُصدِّقُوا بهِ ﴿**ومأواكُمُ النّارُ ومالكم مِن ناصِرين**﴾ **٣٥**: ﴿**ذلكم بأنّكم اتخذتم آياتِ اللهِ هُزُواً**﴾ إنّما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حُجَجَ اللهِ عليكم سخريّاً تسخرون وتستهزِئُون بها ﴿**وغرّتكُمُ الحياةُ الدنيا**﴾ خدعتكم فاطمأننتم إليها فأصبحتم من الخاسرين، ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿**فاليوم لايُخْرَجُون منها**﴾ من النّار ﴿**ولاهم يُسْتَعتَبُون**﴾ لايِطلب منهم العتَبى بل يُعذّبُون بغير حساب ولاعتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنّة بغير عذاب ولاحِساب، ثم لمّا ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال تعالى: **٣٦**: ﴿ **فللهِ الحمدُ ربِّ السموات وربِّ الأرض**﴾ المالك لهما ومافيهما ﴿**ربِّ العالمين**﴾ **٣٧**: ﴿**وله الكبرياءُ في السمواتِ والأرضِ**﴾ يعني له السلطان العظيم، الممجّدُ الذي كلُّ شيءٍ خاضعٌ لديه فقير إليه ﴿**وهو العزيزُ**﴾ الذي لايُغالَبُ ولايُمانع ﴿**الحكيم**﴾ في أقوالِهِ وأفعالِهِ وشرعِهِ وقدرِهِ سبحانه.

تفسير سورة الأحقاف

١: ﴿**حـمٓ**﴾ **٢**: ﴿**تنزيلُ الكتابِ مِن اللهِ العزيزِ الحكيم**﴾ يُخبر تعالى أنّه أنزل الكتابَ على عبدِهِ ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ووصفَ نفسَهُ بالعِزّة والحكمة ثم قال تعالى: **٣**: ﴿**ماخلقنا السمواتِ والأرضَ ومابينهما إلّا بالحقِّ**﴾ لاعلى وجه العبث والباطل، ﴿**وأجلٍ مُسمّى**﴾ وإلى مدّة معينة مضروبة لاتزيد ولاتنقص ﴿**والذين كفرُوا عمّا أُنذِرُوا مُعْرِضُون**﴾ لاَهُون عمّا يُرادُ بهم، وقد أنزل الله تعالى إليهم كتاباً وأرسل إليهم رسولاً وهم مُعرِضون عن ذلك كله؛ سيعلمون غبَّ ذلك **٤**: ﴿**قُلْ**﴾ لهؤلاء المشركين ﴿**أرأيتُم ماتَدْعُون من دُونِ الله أرونِي ماذا خلقُوا مِن الأرض**﴾؟ أرشدُوني إلى المكان الذي استقلُوا بخلقه من الأرض ﴿**أَمْ لهم شِرْكٌ في السمواتِ**﴾؟ ولاشِرْك لهم في السمواتِ ولا في الأرضِ، ومايملِكُون مِن قطمير، إنِ المُلْكُ كله إلّا لله عزّ وجلّ، فكيف تعبدُون معه غيرَه وتشركون به؟ مَن أرشدكم إلى هذا؟ ومن دعاكم إليه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿**ائتُوني بكتابٍ من قبلِ هذا**﴾ هاتُوا كتاباً من كتب الله المنزّلة على الأنبياء يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿**أو أثارةٍ من علمٍ**﴾ دليل بيّنٍ على هذا المسلك الذي سلكتمُوه ﴿**إنْ كنتم صادِقين**﴾ لادليل لكم على ذلك **٥**: ﴿**ومَن أضلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لايستجيبُ لهُ إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافِلُون**﴾؟! لاأضلَّ مِمّن يدعو مِن دُونِ الله أصناماً ويطلبُ منها مالاتستطيعه إلى يوم القيامة وهي لاتسمع ولاتبصر لأنّها جمادٌ حجارةٌ صُمٌّ.

الآية: ٣٧ روى مسلم في صحيحه أنّ أبا سعيدٍ الخدري وأبا هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقولُ اللهُ عزّ وجلّ: العِزّةُ إزاري، والكبرياء ردائي، فمَنْ نازعني شيئاً منهما عذّبْتُهُ» وروى أبو داود وابن ماجه وابن حِبّان في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: الكبرياء رِدَائي، والعظمةُ إزاري، فمَنْ نازعني واحداً منهما قذفتُهُ في النّار». /الترغيب ج٣/٥٦٢/

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٦: **﴿وإذا حُشِرَ النّاسُ كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين﴾** سيخُونُونهم أحوج مايكونُون إليهم، كما قال تعالى: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونُون عليهم ضِدّاً﴾ ٧: **﴿وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا بيناتٍ قال الذين كفروا للحقِّ لمّا جاءَهم هذا سِحْرٌ مُبين﴾** يخُبر تعالى عن المشركين في كفرهم وعِنادِهم أنهم إذا تتلَى عليهم آيات الله يقولون **﴿هذا سحرٌ مبين﴾** ٨: **﴿أم يقولُون افتراهُ﴾**؟ يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال عزّ وجلّ: **﴿قُلْ إنِ افتريتُهُ فلا تملكون لي مِن الله شيئاً﴾** لو كذبتُ عليه لعاقبني أشدَّ العقوبة، ولم يقدر أحدٌ من أهل الأرض أن يُجيرني منه، **﴿هو أعلمُ بما تُفيضُون فيه﴾** [أي: تقولُونه] **﴿كفَى بهِ شهيداً بيني وبينكم﴾** هذا تهديدٌ لهم ووعيدٌ أكيد وترهيب شديد. **﴿وهو الغفُورُ الرحيم﴾** ترغيبٌ لهم إلى التوبة والإنابة؛ أي: إن تبتُم تاب عليكم وعَفَا عنكم ٩: **﴿قُلْ ماكنتُ بِدْعاً مِنَ الرسل﴾** لستُ بأوّلِ رسولٍ طرقَ العالَم بل قد جاءتْ الرسلُ من قبلي، **﴿وماأدري مايُفعلُ بي ولابكم﴾** [أي: يوم القيامة] ثم بيّنَ تعالى مايفعله به صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ليغفرَ لكَ اللهُ ماتقدّم من ذنبِكَ وماتأخر»، ولمّا نزلت هذه الآية قال رجلٌ من المسلمين: هذا قد بيّنَ اللهُ ماهو فاعلٌ بك يارسول الله فماهو فاعِلٌ بِنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ المؤمنين والمؤمناتِ جنّاتٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ﴾، **﴿إنْ أتّبعُ إلّا مايُوحَى إليّ﴾** إنّما أتبع مايُنزّلهُ اللهُ عليّ من الوحي **﴿وماأنا إلّا نذيرٌ مُبين﴾** أمري ظاهرٌ لكلِّ ذي عقل ١٠: **﴿قُلْ﴾** يامحمد للمشركين الكافرين بالقرآن **﴿أرأيتم إنْ كانَ﴾** هذا القرآن **﴿مِن عندِ اللهِ وكفرتم بهِ﴾** فما ظنكم أنّ الله صانع بكم؟ **﴿وشهِدَ شاهِدٌ مِن بني إسرائيلَ على مثله﴾** وقد شهد بصدقِهِ وصحته الكتبُ المتقدّمة المنزّلة على الأنبياء قبلي بشّرتْ بهِ وأخبرت بمثل ماأخبر هذا القرآن به، **﴿فآمَنَ﴾** هذا الذي شَهِدَ بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقتِهِ **﴿واستكبرتم﴾** أنتم عن اتباعه؟ **﴿إنّ الله لايهدِي القومَ الظالمين﴾** ١١: **﴿وقال الذين كفرُوا للذين آمنُوا لو كان خيراً ماسبقونا إليه﴾** قالوا: لو كان القرآن خيراً ماسبقنا إليه هؤلاء، يعنون بلالاً وعمّاراً وصُهيباً وأشباههم من المستضعفين، **﴿وإذْ لم يهتدُوا بهِ﴾** بالقرآن **﴿فسيقولُون هذا إفكٌ قديم﴾** فسينتقِصُون القرآن ١٢: **﴿ومِن قبله كتابُ موسى إماماً ورحمةً﴾** وهو التوراة **﴿وهذا كتابٌ﴾** يعني القرآن **﴿مُصدِّقٌ﴾** لِما قبله من الكتب **﴿لساناً عربياً﴾** فصيحاً واضحاً **﴿لِيُنذِرَ الذين ظلمُوا وبُشرى للمحسنين﴾** مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين ١٣: **﴿إنّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقامُوا﴾** على شهادة أن لا إلهَ إلّا الله، وعلى طاعته، **﴿فلاخوفٌ عليهم﴾** فيما يستقبلون **﴿ولاهم يحزَنُون﴾** على ماخلّفُوا ١٤: **﴿أولئك أصحابُ الجنةِ خالِدِين فيها جزاءً بما كانوا يعملون﴾** الأعمالُ سببٌ لنيلِ الرحمة لهم وسُبُوغِها عليهم.

الآية: ١٠ روى الإمام مالك والشيخان في صحيحيهما عن أبي النَّضْر عن عامر بن سعد عن أبيه قال: ماسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لأحدٍ يمشي على وجه الأرض إنّه من أهل الجنّة إلّا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: وفيه نزلتْ: ﴿وشهِدَ شاهِدٌ من بني إسرائيل على مثلِهِ﴾!!. /ابن كثير ج٤/١٥٦/

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

١٥: لمّا ذكرَ تعالى في الآية الأولى التوحيدَ له والإخلاص في عبادته والاستقامة إليه عطفَ بالوصيّة بالوالِدَين كما هو مقرون في غير ما آية كقوله تعالى: ﴿وقضى ربُّك ألاّ تعبُدوا إلاّ إيّاهُ وبالوالِدين إحساناً﴾، وقال هاهنا: **﴿ووصينا الإنسانَ بوالِدَيهِ إحساناً﴾** أمرناه بالإحسان إليهما والحنوّ عليهما **﴿حملتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً﴾** بسبب مشقة حمله **﴿ووضعتْهُ كُرْهاً﴾** أي: بمشقةٍ أيضاً من الطَّلْقِ وشدّته، **﴿وحَمْلُهُ وفِصَالُهُ ثلاثون شهراً حتى إذا بلغَ أشُدَّهُ﴾** قوي وشبَّ وارتجلَ **﴿وبلغَ أربعين سنةً﴾** تناهى عقلُهُ وكُملَ فهمُهُ وحِلْمُه **﴿قال ربِّ أوْزِعني﴾** ألهمني **﴿أنْ أشكُرَ نِعمتَكَ التي أنعمتَ عليّ وعلى والِدَيَّ وأنْ أعمـلَ صالحاً ترضاهُ﴾** في المستقبل **﴿وأصلِحْ لي في ذُرّيتي﴾** في نسلي وعَقِبي **﴿إنّي تُبْتُ إليكَ وإنّي مِن المسلمين﴾** وهذا فيه إرشادٌ لمن بلغ الأربعين أن يجدّدَ التوبةَ والإنابة إلى الله عزّ وجلّ ويعزم عليها **١٦**: **﴿أولئك الذين نتقبّلُ عنهم أحسنَ ماعمِلُوا ونتجاوَزُ عن سيئاتِهم في أصحابِ الجنّة﴾** هؤلاء المتصفُون بما ذكرنا التائبُون إلى الله المستدرِكُون مافات بالتوبة والاستغفار هم الذين نتقبل عنهم أحسنَ ماعمِلُوا ونتجاوز عن سيِّآتِهم فيغفر لهم الكثير من الزلل، ونتقبل منهم اليسير من العمل من أصحاب الجنّة، أي: هم في جملة أصحاب الجنّة، وهذا حكمهم عند الله كما وعَدَ اللهُ مَن تابَ إليه، ولهذا قال تعالى: **﴿وَعْدَ الصدقِ الذي كانُوا يُوعَدُون﴾** **١٧**: **﴿والذي قال لوالِدَيه أُفٍّ لَكُمَا أتعِدَانِنِي أنْ أُخْرَجَ﴾** هذا حال الأشقياء العاقّين للوالِدَين [أي: كيف حال هذا العاق يتضجر منهما حين يخبرانه بالبعث بعد الموت فيردّ عليهما:] **﴿أُفٍّ لكُمَا أتعِدَانِنِي أنْ أُخْرَج﴾** أُبعثَ **﴿وقد خلَتِ القرون من قبلي﴾** قد مضى النّاس فلم يرجع منهم مخبرٌ **﴿وهما يستغيثان اللهَ﴾** يسألان الله فيه أن يهدِيَهُ، ويقُولاَن لولدِهما: **﴿وَيْلَكَ آمِنْ إنّ وَعْدَ الله حقٌّ فيقُولُ ماهذا إلاّ أساطيرُ الأوّلين﴾** **١٨**: **﴿أولئك الذين حقّ عليهم القولُ في أُمَمٍ قد خلَتْ من قبلهم مِنَ الجنّ والإنس إنّهم كانُوا خاسِرين﴾** دخلُوا في زمرة أشباهِهم من الكافرين الخاسرين يوم القيامة **١٩**: **﴿ولكلٍّ دَرَجاتٌ مّما عَمِلُوا﴾** لكلٍّ عذابٌ بحسبِ علمِهِ **﴿وليُوفِّيَهُمْ أعمالَهُمْ وهم لايُظلَمُون﴾** لايظلمهم مِثقالَ ذرّةٍ فما دُونها **٢٠**: **﴿ويومَ يُعرَضُ الذين كفروا على النّارِ أذهبتُم طيّباتِكم في حياتِكُمُ الدنيا واستمتعتم بها﴾** أي يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، **﴿فاليومَ تُجزَون عذابَ الهُوْنِ بما كنتُم تستكبِرُون في الأرضِ بغيرِ الحقّ وبماكنتم تفسُقُون﴾**، فجُوزُوا مِن جنسِ العملِ؛ فكما استكبروا عن اتباع الحقّ جازاهم الله تعالى بعذاب الهُون والخزي، أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله.

الآية: ١٥ روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود أنّ رسول الله ﷺ كان يُعلّمهم أن يقولوا: «اللهمّ ألِّف بينَ قلوبنا وأصلح ذاتَ بيننا، واهدِنا سُبُلَ السلام، ونجّنا من الظلمات إلى النّور، وجنّبنا الفواحش ماظهر منها وما بطَنَ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرّيّاتنا، وتُبْ علينا إنّك أنتَ التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك، قابليها، وأتـمّها علينا». وفي إسناده ضعف. /سنن أبي داود رقم ٩٦٩/

الآية: ١٧ روى الشيخان في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء رجلٌ إلى نبيّ الله ﷺ فاستأذنَهُ في الجهاد، فقال أحيٌّ والداكَ؟ قال: نعم!؟ قال: «ففيهما فجاهِدْ» أي جاهد في إكرامهما وبرّهما والإحسان إليهما. وقد جاء في الصحيحين: «أنّ أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها، ثم برّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله». /الترغيب ج٣/٣١٤/

۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾

٢١: يقولُ تعالى مسلياً لنبيّهِ صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيب مَن كذّبه من قومه: ﴿**واذْكُرْ أخا عادٍ**﴾ وهو هُوْدٌ عليه السلام بعثـه الله عزّ وجلّ إلى عـادٍ الأولى، وكانوا يسكنون الأحقاف، جمع حقف وهو الجبل، ﴿**إذْ أنذرَ قومَهُ بالأحقاف وقد خَلتِ النّذُرُ مِن بينِ يديهِ ومن خلفه**﴾ يعني: قد أرسل الله تعالى إلى مَن حول بلادهم مرسَلين ﴿**ألاّ تعبُدُوا إلاّ الله إنّي أخافُ عليكم عذاب يوم ٍ عظيمٍ**﴾ قال لهم هودٌ ذلك فأجابه قومُهُ **٢٢**: ﴿**قالُوا أجِئتَنا لِتأفِكنا عن آلِهَتِنا**﴾ لتصدّنا عن آلهتنا ﴿**فأْتِنا بما تعِدنا إنْ كنتَ مِن الصـادِقـين**﴾ استعجـلُوا عذابَ الله استبعاداً منهم وقوعَهُ **٢٣**: ﴿**قالَ إنّما العلمُ عندَ اللهِ**﴾ اللهُ أعلم بكم إن كنتم مستحِّقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم، وأمّا أنا فمن شـأنِي أنّي أبلّغكـم مـاأرسـلـتُ به ﴿**وأُبلِّغُكُمْ ماأُرْسِلْتُ بهِ ولكنّي أراكم قوماً تجهلُون**﴾ لاتعقلون ولاتفهمون **٢٤**: ﴿**فلمّا رأوهُ عـارضـاً مستقبِـلَ أوديتِهم قالُوا هذا عارِضٌ ممطرنا**﴾ لمّا رأوا العذابَ مستقبلهم اعتقدوا أنّه عارِضُ مطرٍ ففرحُوا به واستبشروا وكانوا ممحِـلِين محتـاجين إلى المطر قال الله تعـالى: ﴿**بل هو ماااستعجلتُم بهِ ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ**﴾ هو العذاب الذي قلتم فأتِنا بما تعِدُنا إن كنتَ من الصادِقِين **٢٥**: ﴿**تُدمِّرُ**﴾ تخرّب ﴿**كلَّ شـيءٍ**﴾ من بـلادهـم ﴿**بأمرِ ربِّهـا**﴾ بـإذن الله لهـا في ذلك ﴿**فأصبحُوا لايُرى إلاّ مساكِنهم**﴾ قد بادُوا كلُّهُمُ عن آخرهم، ﴿**كذلك نجزي القومَ المُجْرِمِين**﴾ هذا حكمنا فيمَنْ كذّبَ رسلَنا وخالفَ أمرنا **٢٦**: ﴿**ولقد مكّنّاهم فيما إنْ مكّنّاكم فيه**﴾ ولقد مكّنّا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد وأعطيناهم منها ما لم نُعطكم مثله ولاقريباً منه ﴿**وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئِدَةً فما أغنَى عنهم سمعُهم ولاأبصـارُهم ولاأفئدتُهـم مِن شـيءٍ**﴾ [أي: من عذاب الله] ﴿**إذْ كانوا يَجْحَدُون بآياتِ اللهِ**﴾ [أي: يكفرون] ﴿**وحاقَ بهم ماكانُوا بِهِ يستهزِئُون**﴾ وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا بهِ يُكذّبون ويستبعِدُون وقُوعَه، أي: فاحْذَرُوا أيّها المخاطَبُون أن تكونوا مثلَهم فيُصيبكم مثل ماأصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة **٢٧**: ﴿**ولقد أهلكنا ماحولكم مِنَ القرى**﴾ حول مكة كعادٍ وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سَبأ وهم أهل اليمن، ومَدْيَن وكانت في طريقهم إلى غزّة، وكذلك بحيرة قوم لوطٍ كانوا يمرّون بها أيضاً [مِن الأردن، واسمها الآن البحر الميت](١) ﴿**وصرّفنا الآيات**﴾ بيّناها وأوضحناها ﴿**لعلّهم يرجِعُون**﴾ **٢٨**: ﴿**فلولا نَصَرَهُمُ الذين اتخذُوا مِن دونِ اللهِ قُرْباناً آلهةً**﴾ فهَـلْ نصروهم عند احتيـاجِهم؟ ﴿**بَلْ ضـلُّوا عنهم**﴾ ذهبوا عنهم أحْوَجَ ماكانوا إليهم ﴿**وذلك إفكُهُمْ**﴾ كذبهم ﴿**وماكانُوا يفترون**﴾ في اتخاذهم إيّاهم آلهةً وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها.

---

(١) انظر تفسير الآيات من سورة هود ٧٤ فما بعدها، والحِجر ٥٩ فما بعدها، والنمل ٥٦ فما بعدها، والشعراء ١٦٠ فما بعدها.

الآية: **٢٥** روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: «اللهمَّ إنّي أسألك خيرها وخير مافيها وخير ماأرسلتْ به، وأعوذ بك من شرّها وشرّ مافيها وشرّ ماأرسلتْ به». /ابن كثير ج٤/١٦١/

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

٢٩: ﴿وإذْ صرفنـا إليكَ نفراً مِن الجِنّ يستمِعُون القرآن﴾ وذلك بنخلة ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يصلي العِشاءَ الآخرة ﴿كادُوا يكُونون عليه لِبَداً﴾ بعضُهم على بعض، **﴿فلمّا حضَـرُوهُ قـالُوا أنصِتُوا﴾** استمِعُوا، وهذا أدبٌ منهم **﴿فلما قُضِيَ﴾** فرغَ **﴿ولّوْا إلى قومِهم مُنذِرين﴾** رجعُوا إلى قومهم فأنذروهم ماسمعوهُ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم فسَّر سبحانه إنذارَ الجنّ لقومهم فقال مخبراً عنهم: **٣٠: ﴿قالُوا ياقومنا إنّا سمعنا كتاباً أُنزل مِن بعدِ موسى﴾** ولم يذكروا عيسى لأنّ عيسى عليه السلام أُنزلَ عليه الإنجيل فيه مواعِظُ وترقيقات وقليلٌ من التحـليـل والتحـريم، وهو في الحقيقـة كالمتمِّم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة، فلهذا قالوا: **﴿أُنزِلَ مِن بعدِ موسى مُصَدِّقاً لِما بينَ يديه﴾** من الكتب المنزّلة على الأنبياء قبـله، **﴿يهدي إلى الحقّ﴾** في الاعتقـاد والأخبار **﴿وإلى طريقٍ مستقيم﴾** في الأعمال **٣١: ﴿ياقومنَا أجيبُوا داعِيَ الله﴾** في هذه الآية دليل على أنّه تعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسـلم إلى الثقلين: الجِنّ والإنس، **﴿وآمنوا بهِ يغفِرْ لكم مِن ذُنوبِكم ويُجِرْكُم من عذابٍ أليم﴾** ويقيكـم من عذابِهِ الأليم **٣٢: ﴿ومَن لايُجِبْ داعِيَ الله فـليس بمعجز في الأرض﴾** بل قدرةُ اللهِ شامِلةٌ له محيطـةٌ به، **﴿وليسَ لـه مِن دُونهِ أولياء﴾** لايجيرهـم منه أحدٌ، **﴿أولئك في ضـلالٍ مُبـين﴾** وهذا مقـام تهديد وترهيب، فدعوا قومهم بهذا وهذا، فنجع في كثير منهم، وجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفُوداً وفوداً **٣٣: ﴿أوَلَمْ يَرَوْا أن الله الذي خلقَ السمواتِ والأرض﴾** [الرُّؤية هنا: العلمُ] **﴿ولم يَعْيَ بخلقِهِنَّ﴾** ولم يُكرِثْهُ خلقُهُنّ، بل قال لها: كوني فكانت؛ أفليس الله **﴿بقادرٍ على أن يُحيِيَ الموتى﴾**؟ قال الله تعالى: **﴿بلى إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾**. ثم قال تعالى مهدِّداً ومتوعّداً مَن كفرَ بهِ: **٣٤: ﴿ويومَ يُعْرَضُ الذين كفرُوا على النّارِ أليسَ هذا بالحقّ﴾**؟ يُقال لهم: أما هذا حقٌّ؟ أفسحرٌ هذا؟ أم أنتم لاتُبْصِرُون؟ **﴿قالُوا بلَى وربِّنا﴾** لايسعهم إلاّ الاعتراف **﴿قالَ فذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكفرون﴾**. ثم قال تعالى آمراً رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على تكذيب مَن كذّبه من قومِهِ: **٣٥: ﴿فاصْبِرْ كما صَبَر أولُوا العَزْمِ مِن الرسل﴾** على تكذيب قومهم لهم. وأُولوا العزم من الرسل هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم. **﴿ولاتَسْتَعْجِلْ لهم﴾** حلول العقوبة بهم. **﴿كأنّهم يومَ يَرَوْنَ مَايُوعَدُون لم يَلْبَثُوا إلاّ ساعةً مِن نهارٍ﴾** قال تعالى: ﴿ويوم نحشرُهم كأنْ لم يلبثُوا إلاّ ساعةً من النّهار يتعارَفُون بينهم﴾، **﴿بلاغٌ﴾** لبثُوا لبثَ بلاغ، وأيضاً: هذا القرآنُ بلاغٌ. **﴿فهلْ يُهْلَكُ إلاّ القومُ الفاسِقُون﴾**؟! لايهلَكُ على اللهِ إلاّ هَالِكٌ، وهذا من عدله سبحانه أنّه لايُعذِّبُ إلاّ مَن يستحقُّ العذابَ.

الآية: ٢٩ روى محمد بن إسحاق أنّ رسول الله ﷺ لّما عاد من الطائف دعا هذا الدعاء الحسن: «اللّهمَّ إليك أشكو ضعفَ قوتي وقلّة حيلتي وهواني على النّاس ياأرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين وأنت ربُّ المستضعفين، وأنتَ ربّي إلى مَنْ تكلني؟ إلى عدوّ بعيد يتجهمني، أم إلى صديقٍ قريبٍ ملّكتَهُ أمري، إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتكَ أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحلَّ بي سُخْطُك، ولك العُتبى حتى ترض، ولاحول ولا قوّة إلاّ بك» فلمّا انصرف بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين. وهذا صحيح/ابن كثير ج٤/١٦٣/

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٥١

تفسير سورة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم[1]

١: ﴿**الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله**﴾ الذين كفروا بآيات الله وصدوا غيرهم عن سبيل الله ﴿**أضلَّ أعمالهم**﴾ أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثواباً **٢**: ﴿**والذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات**﴾ آمنت قلوبهم وانقادت جوارحهم لشرع الله ﴿**وآمنوا بما نُزِّل على محمد**﴾ هذا عطفُ خاصّ على عام، ﴿**وهو الحقُّ من ربِّهم**﴾ جملة معترضة حسنة [يُريد: أنّ إيمانهم هو الحقُّ من ربّهم] ﴿**كفَّرَ عنهم سيِّئاتِهم وأصلحَ بالَهُمْ**﴾ أمرهم وشأنهم وحالهم **٣**: ﴿**ذلك**﴾ إنّما أبطلنا أعمالَ الكفار ﴿**بأنّ الذين كفرُوا اتّبعُوا الباطل**﴾ اختاروا الباطل على الحقّ، ﴿**وأنّ الذين آمنوا**﴾ [فكفّرَ سيِّئاتِهم وأصلحَ بالَهم] ﴿**اتبعُوا الحقَّ مِن ربِّهم**﴾ [أي: الكافر اتّبعَ الباطل، والمؤمن اتّبعَ الحقّ] ﴿**كذلك يضربُ اللهُ للنّاس أمثالَهم**﴾ يُبيِّنُ لهم مآلَ أعمالِهم في معَادِهم **٤**: ﴿**فإذا لَقِيتُمُ الذين كفرُوا فضَرْبَ الرِّقابِ**﴾ يُرشدُ تعالى المؤمنين في حروبهم مع المشركين: أي إذا واجهتموهم فاحْصُدُوهم حصداً بالسيوف ﴿**حتى إذا أثخنتُموهُم**﴾ أهلكتموهم قتلاً ﴿**فَشُدُّوا الوَثاقَ**﴾ إذا أسرتموهم فأنتم مخيّرون في أمرهم ﴿**فإمّا مَنّاً بَعْدُ**﴾ مَنَنْتُم عليهم فأطلقتم أساراهم مجاناً ﴿**وإمّا فِداءً**﴾ وإن شئتم فادَيْتُموهم بمال تأخذونه منهم. وهذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، ﴿**حتى تضعَ الحربُ أوزارَها**﴾ حتى لايبقى مِشركٌ ويكونَ الدِّينُ لله، ﴿**ذلك ولو يشاءُ اللهُ لانتصرَ منهم**﴾ هذا ولو شاء اللهُ لانتقم من الكافِرين بعقوبة ونكال من عندِه ﴿**ولكنْ ليبلوَ بعضَكم ببعض**﴾ ولكن شرعَ لكم الجهادَ ليختبرَكم كما قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولّما يَعْلمِ اللهُ الذين جاهَدُوا منكم ويعلم الصابرين﴾، ﴿**والذين قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ فلن يُضِلَّ أعمالَهم**﴾ لن يُذهبَها بل يُضاعفها **٥**: ﴿**سيهديهم**﴾ إلى الجنة ﴿**ويُصلحُ بالَهم**﴾ أمرَهم وحالَهم **٦**: ﴿**ويُدخِلُهُم الجنّةَ عرّفَها لهم**﴾ عرّفهم بها وهداهم إليها كأنّهم سَاكِنوها **٧**: ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا إنْ تنصرُوا اللهَ ينصرْكم ويثبتْ أقدامَكم**﴾، كما قال تعالى: ﴿ولَيَنصُرَنّ اللهُ مَنْ ينصرُهُ﴾ فإنّ الجزاءَ مِن جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿**ويُثبِّتْ أقدَامَكم**﴾ [أي: عندَ القتال] **٨**: ﴿**والذين كفرُوا فتَعْساً لهم**﴾ [التّعْسُ: الهلاك والخيبة والشقاء]، ﴿**وأضلَّ أعمالهم**﴾ أحبطها وأبطلها **٩**: ﴿**ذلك بأنّهم كرِهُوا ماأنزلَ اللهُ**﴾ لايُريدونه ولايُحبُّونه ﴿**فأحبطَ أعمالَهم**﴾ **١٠**: ﴿**أفلَمْ يَسيرُوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلِهم**﴾ يعني المشركين ﴿**دمّرَ اللهُ عليهم**﴾ عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم، ونجّى المؤمنين من بين أظهرهم ﴿**وللكافرين أمثالُها**﴾ **١١**: ﴿**ذلك بأنّ اللهَ مولى الذين آمنوا وأنّ الكافرين لامولى لهم**﴾ [أي: اللهُ ناصرهم، والكفار لاناصر لهم].

---

(١) وتسمّى سورة القتال.

الآية: ٤ روى الإمام أحمد والنسائي أنّه قيل لرسول الله ﷺ: لاقتال؟ فقال النبي ﷺ: «الآن جاء القتال، لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على النّاس، يُزيغُ اللهُ قلوبَ أقوام فيُقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك، ألاَ إنّ عُقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». /ابن كثير ج٤/١٧٣/

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ
يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

٥٠٨

١٢: ﴿إنّ اللهَ يُدخِلُ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات جنّاتٍ﴾ يوم القيامة **﴿تجري مِن تحتِها الأنهار، والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعامُ﴾** في دنياهم يتمتّعون بها، وليس لهم هِمّة إلّا في ذلك، وفي الصحيح: «المؤمنُ يأكلُ في معي واحد، والكافرُ يأكل في سبعة أمعاء»، ثم قال تعالى: **﴿والنّارُ مثوىً لهم﴾** يوم جزائهم **١٣: ﴿وكأيِّن مِن قريةٍ هي أشدُّ قوّةً مِن قريتِك التي أخرجَتْك﴾** يعني مكة **﴿أهلكناهم فلا ناصرَ لهم﴾** وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **١٤: ﴿أفمَنْ كان على بيّنةٍ مِن ربِّهِ كمَنْ زُيِّنَ لهُ سُوءُ عملِهِ واتّبعُوا أهواءَهم﴾**؟ أفمن كان على بصيرةٍ في أمر الله ودينه بما أنزل في كتابه من الهدى [كمن عبد الأصنام] أي: ليس هذا كهذا، كما قال تعالى: ﴿أفمَنْ يعلم أنّما أُنزلَ إليكَ مِن ربِّكَ هو الحقُّ كمَنْ هو أعمَى﴾؟ ثم قال تعالى: **١٥: ﴿مثلُ الجنّة التي وُعِدَ المتّقون﴾** نَعْتُها أنّها **﴿فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ﴾** غير متغيّر ولامنتن **﴿وأنهارٌ مِن لبنٍ لم يتغيّر طعمه﴾** بل في غاية البياض والحلاوة والدسُومة **﴿وأنهارٌ مِن خمرٍ لذّةٍ للشاربين﴾** ليست كريهة الطعم والرائحة **﴿وأنهارٌ مِن عسلٍ مصفى﴾** هو في غاية الصفاء وحُسْن اللون والطعم والريح، **﴿ولهم فيها مِن كلِّ الثمراتِ﴾** كما قال تعالى: ﴿يَدْعُوْنَ فيها بكلِّ فاكهةٍ آمنين﴾، **﴿ومغفرةٌ مِن ربِّهم﴾** مع ذلك كله، **﴿كمَنْ هو خالدٌ في النّار﴾**؟! أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنّة كمن هو خالدٌ في النّار؟ أي: ليس هؤلاء كهؤلاء، **﴿وسُقُوا ماءً حَمِيماً فقطّعَ أمعاءَهم﴾** قطّعَ أحشاءَهم **١٦: ﴿ومنهم مَن يستمعُ إليك حتى إذا خرجُوا مِن عندِكَ قالوا للذين أُوتُوا العِلمَ ماذا قال آنِفاً﴾** يُخبر تعالى عن المنافقين في قلّة فهمهم حيث كانوا يستمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يفهمون منه شيئاً، فإذا خرجوا من عنده سألوا الصحابة عمّا قال الساعة، وهم لايكترثون له، قال تعالى: **﴿أولئكَ الذين طبعَ اللهُ على قلوبهم﴾** [فلم يُؤمنوا] **﴿واتبعُوا أهواءَهم﴾** فلا فهمَ صحيح ولاقصد صحيح، ثم قال تعالى: **١٧: ﴿والذين اهْتَدَوْا زَادَهُم هُدَىً﴾** والذين قصَدُوا الهداية وفقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها وثبّتهم عليها، **﴿وآتاهم تقواهم﴾** ألهمهم رُشدَهم **١٨: ﴿فهَلْ ينظرون إلّا الساعةَ أن تأتيَهُمْ بَغْتةً﴾** وهم غافِلُون عنها **﴿فقد جاءَ أشراطُها﴾** أماراتُها، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأماراتها وأشراطها. **﴿فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾** كيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة؟ حيث لاينفعهم ذلك **١٩: ﴿فاعْلَمْ أنه لا إلهَ إلّا الله﴾** [أي: فاعلمْ ذلك يقيناً] **﴿واستغفِرْ لذنبكَ﴾** [أي: ليعصمك الله من الذنوب] **﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾**[1] [هذا أمرٌ بالشفاعة] **﴿واللهُ يعلمُ متقلّبكم ومَثْوَاكم﴾** يعلم تصرّفكم في نهاركم ومستقرّكم في ليلكم.

(١) روى أبو يعلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليكم بلا إلهَ إلّا الله والاستغفار فأكثروا منهما، فإنّ إبليسَ قال أهلكتُ الناسَ بالذنوبِ وأهلكوني بلا إلهَ إلّا الله والاستغفار» الحديث.

الآية: ١٥ روى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «في الجنّة بحر اللّبن وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تُشقّقُ الأنهارُ منها بعدُ». ورواه الترمذي في صفة الجنة.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

٢٠: ﴿**ويقولُ الذين آمنوا لولا نُزِّلَتْ سورةٌ**﴾ تمنَّوا شرعيّةَ الجهاد ﴿**فإذا أُنزلتْ سورةٌ مِحكمةٌ وذُكِرَ فيها القتالُ رأيت الذين في قلوبِهم مرضٌ**﴾ شك ونفاق ﴿**ينظرون إليكَ نظرَ المَغْشِيِّ عليه من الموت**﴾ من فزعِهم وجبنهم من لقاء الأعداء ﴿وقالوا ربَّنا لِمَ كتبتَ علينا القتالَ؟ لولا أخّرتنا إلى أجلٍ قريبٍ؟ قُلْ متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌلمن اتقى ولاتظلمون فتيلاً﴾، ﴿**فأوْلَى لهم**﴾ [تهديدٌ ووعيد] **٢١**: ﴿**طاعةٌ وقولٌ معروفٌ**﴾ الأولى بهم أن يسمعوا ويُطيعُوا، ﴿**فإذا عزمَ الأمرُ**﴾ جدّ الحالُ وحضرَ القتالُ ﴿**فلو صَدَقُوا اللهَ**﴾ أخلصُوا له النيّة ﴿**لكان خيراً لهم**﴾ **٢٢**: ﴿**فهلْ عَسيْتُم إن تولّيتُم**﴾ عن الجهاد ونكلتُم عنه ﴿**أنْ تُفسِدُوا في الأرض وتُقطِّعُوا أرحامَكم**﴾؟ تعُودُوا إلى ماكنتم فيه مِن الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالى: **٢٣**: ﴿**أولئك الذين لعنَهُمُ اللهُ فأصمَّهُمْ وأعمَى أبصارَهم**﴾ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خُصُوصاً **٢٤**: يقول تعالى آمراً بتدبّر القرآن وتفهمه وناهياً عن الإعراض عنه: ﴿**أفلا يتدبّرُون القرآن أمْ على قلوبٍ أقفالُها**﴾؟ بل على قلوب [الكفار والمنافقين] أقفالها فهي مطبقة لايخلص إليها شيء من معانيه. ثم قال تعالى: **٢٥**: ﴿**إنّ الذين ارتدُّوا على أدبارهم مِن بعدِ ماتبيّنَ لَهُمُ الهُدَى**﴾ فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر ﴿**مِن بعدِ ماتبيّنَ لَهُمُ الهُدَى الشيطانُ سوّلَ لهم**﴾ زيّن لهم ذلك وحسّنَهُ ﴿**وأملَى لهم**﴾ أغراهم وخدعهم **٢٦**: ﴿**ذلك بأنّهم قالوا للذين كَرِهُوا مانزّلَ اللهُ سنُطيعُكم في بعضِ الأمرِ**﴾ مالؤوهم في الباطن على الباطل، وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف مايبطِنُون، ولهذا قال تعالى: ﴿**واللهُ يعلمُ إسرارَهم**﴾ مايُسرُّون ومايُخفون، كما قال تعالى: ﴿والله يكتب مايبيّتون﴾. ثم قال تعالى: **٢٧**: ﴿**فكيفَ إذا توفّتهُمُ الملائكةُ يضرِبُون وجوهَهُمْ وأدبارَهم**﴾؟ كيفَ حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصّتِ الأرواحُ في أجسادِهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب، كما قال تعالى: ﴿ولو ترى إذْ يتوفَّى الذين كفروا الملائكةُ يضرِبُون وُجوهَهُمْ وأدبارهم﴾، ﴿ولو ترى إذِ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسِطُوا أيديهم﴾ بالضرب ﴿أخرِجُوا أنفسَكُمُ اليومَ تجزون عذابَ الهُوْنِ بما كنتم تقولُون على اللهِ غيرَ الحقِّ وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ **٢٨**: ﴿**ذلك بأنّهم اتّبعُوا ماأسخطَ اللهَ وكرِهُوا رِضْوَانَهُ فأحبطَ أعمالَهم**﴾ [أي: ماعملوه من صدقةٍ وصلة رحم وغير ذلك؛ لأنه لاينفع شيءٌ مع الكفر والنفاق] **٢٩**: ﴿**أمْ حَسِبَ الذين في قلوبِهم مرضٌ أنْ لَنْ يُخرجَ اللهُ أضغانَهُمْ**﴾؟ أيعتقد المنافقين أنّ اللهَ لايكشفُ أمرَهم لعبادِهِ المؤمنين؟ بل سيوضح أمرَهم ويجلّيه ويفضحهم.

الآية: ٢٢ روى الإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سرَّه النَّسأُ في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه»، وله شاهد في الصحيح. وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافىء، ولكنّ الواصل الذي إذا قطعتْ رحِمُهُ وصلها» ورواه البخاري. وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماءِ، والرحم شجنة من الرحمٰن من وصلها وصلتُهُ، ومن قطعها بَتَتُّهُ». /ابن كثير ج٤/١٧٩/

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

٣٠: ﴿ولو نشاءُ لأريناكَهُم فلعرفتَهُمْ بسيماهُـمْ﴾ ولو نشاء يامحمد لأريناك أشخاصَهم فعرفتَهم عياناً، ولكن لم يفعل تعالى في جميع المنافقين ستراً منه على خلقه، **﴿ولَتَعْرِفَنَّهُمْ في لحنِ القولِ﴾** فيما يبدو من كلامهم الدالّ على مقاصدهم. قال عثمان بن عفان: ماأسرّ أحدٌ سريرةً إلّا أبداها الله على صفحاتِ وجهه وفلتات لسانه. **﴿واللهُ يعلمُ أعمالكم﴾ ٣١: ﴿ولَنَبْلُوَنّكم﴾** لنختبرنّكم بالأوامر والنواهي **﴿حتى نعلمَ المجاهِدِين﴾** [أي: علم شهادة] **﴿منكم والصابرين﴾** [على طاعة الله] **﴿ونبلوَ أخبارَكم﴾** [أي: نظهرها ونختبرُها] **٣٢:** يُخبر تعالى عمّن كفرَ وصدَّ عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقّهُ: **﴿إنّ الذين كفروا وصَدُّوا عن سبيلِ اللهِ وشاقُّوا الرسولَ﴾** [أي: عادَوْهُ وخالفُوهُ] **﴿مِن بعدِ ماتبيّنَ لهم الهُدَى﴾** وارتدُّوا عن الإيمان **﴿لَنْ يضرُّوا اللهَ شيئاً﴾** وإنّما يضرُّون أنفسَهم ويخسرنها يوم معادهم **﴿وسَيُحبطُ أعمالَهُم﴾** يمحقها بالكلّيّة **٣٣: ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ﴾** أمر تعالى عبادَه المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مُبطلٌ للأعمال، ولهذا قال تعالى: **﴿ولاتُبطِلُوا أعمالكم﴾** بالرِّدّة، ولهذا قال تعالى بعدها: **٣٤: ﴿إنّ الذين كفرُوا وصَدُّوا عن سبيل اللهِ ثم ماتوا وهم كفارٌ فلَنْ يغفِرَ اللهُ لهم﴾**، كما قال تعالى: ﴿إنّ اللهَ لايغفِرُ أن يُشرَكَ بهِ ويغفِرُ مادُون ذلك لمن يشاء﴾ **٣٥: ﴿فلاتهِنوا﴾** لاتضعُفُوا عن الأعداء **﴿وتَدْعُوا إلى السَّلْمِ﴾** المهادنة ووضع السلاح بينكم وبين الكفار في حال قوّتكم **﴿وأنتم الأعلونَ﴾**، فأمّا إن كان الكفار فيهم قوّة ورأى الإمام المهادنةَ مصلحةً فله ذلك، **﴿واللهُ معكم﴾** فيه بشارة عظيمة بالنصر على الأعداء، **﴿ولَنْ يَتِرَكم أعمالَكم﴾** ولن يحبطها ويبطلها بل يُوفيكم ثوابها **٣٦: ﴿إنّما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ولهو﴾** حاصلها ذلك إلّا ماكان منها لله عزّ وجلّ، ولهذا قال تعالى: **﴿وإنْ تؤمِنُوا وتتَّقُوا يُؤتِكم أجُورَكم ولايسألْكم أموالَكم﴾** هو غنيٌّ عنكم لايطلب منكم شيئاً، وإنّما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساةً لإخوانكم الفقراء ليعودَ نفعُ ذلك عليكم ويرجع ثوابه إليكم **٣٧: ﴿إنْ يسألكمُوها فيُحْفِكُمْ تبخلوا﴾** [فيُجهدكم بطلبها] تبخلُوا **﴿ويُخرِجْ أضغانَكم﴾** في إخراج الأموال إخراج الأضغان، فإنّ المال محبوب، وألا يُصرف إلّا فيما هو أحبُّ إلى الشخص منه **٣٨: ﴿هاأنتم هؤلاءِ تُدْعَوْن لتنفِقُوا في سبيلِ اللهِ فمنكم مَن يبخلُ﴾** لايجيب إلى ذلك **﴿ومَن يبخلْ فإنّما يبخلُ عن نفسِهِ﴾** إنّما نقصَ نفسَهُ من الأجر، **﴿واللهُ الغنيُّ﴾** عن كلِّ ماسِواه **﴿وأنتمُ الفقراء﴾** بالذات إليه **﴿وإن تَتَوَلَّوْا﴾** عن طاعته **﴿يستبدِلْ قوماً غيرَكم ثم لايكونوا أمثالَكم﴾** يكونون مطيعين له.

الآية: ٣٨ روى مسلم وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وإنْ تتولَّوْا يَسْتَبْدِلْ قوماً غيرَكم ثم لايكونوا أمثالَكم﴾ قالوا: يارسول الله مَنْ هؤلاء الذين إن تولّينا استبدل بنا ثم لايكونوا أمثالَنا؟ قال: فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال: «هذا وقومه ولو كان الدِّين عند الثّريّا لتناوله رجال من الفرس». /ابن كثير ج٤/١٨٢/

سُورَةُ الفَتْح ترتيبها ٤٨ آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

تفسير سورة الفتح

١: ﴿**إنّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً**﴾ نزلت هذه السورة لّما رجعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديبية سَنة ست من الهجرة بعدما حَالَ المشركون بينه وبين عُمْرته فصالحهم، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل فأجابهم إلى ذلك. قال ابن مسعود: إنّكم تعدُّون الفتحَ فتحَ مكةَ ونحن نعدُّ الفتحَ صلح الحديبية[1] ﴿**فتحاً مبيناً**﴾ بيناً ظاهراً. والمراد به صلح الحديبية فإنّه حصلَ بسببه خير جزيل، وآمن الناس، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم والإيمان **٢**: ﴿**ليغفرَ لكَ اللهُ ماتقدّمَ مِن ذنبكَ وماتأخر**﴾ هذا من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم التي لايشاركه فيها غيرُهُ. ﴿**ويتمَّ نعمتَهُ عليك**﴾ في الدنيا والآخرة ﴿**ويهدِيَكَ صراطاً مستقيماً**﴾ بما يشرّعه من الدِّين القويم **٣**: ﴿**وينصُرَكَ اللهُ نصراً عزيزاً**﴾ على أعدائك، بسبب خضُوعك لأمر الله عزّ وجلّ **٤**: ﴿**هو الذي أنزل السكينةَ**﴾ جعل الطمأنينةَ والرحمة والوقار ﴿**في قلوب المؤمنين ليزدادُوا إيماناً مع إيمانِهم**﴾ وهم الصحابة يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله، فزادهم إيماناً مع إيمانِهم، ﴿**وللهِ جُنودُ السماواتِ والأرض**﴾ لو أرسل عليهم مَلَكاً واحداً لأبادَ خضراءَهم، ولكنه شرع لعباده المؤمنين الجهاد لِما له في ذلك من الحكمة البالغة. ﴿**وكان اللهُ علياً حكيماً**﴾ **٥**: ﴿**ليُدْخِلَ المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهارُ خالِدين فيها**﴾ ماكثين فيها أبداً ﴿**ويُكفِّرَ عنهم سيِّئاتِهم**﴾ خطاياهم فلا يعاقبهم عليها، بل يعفو ويصفح ويرحم ﴿**وكان ذلك عندَ اللهِ فوزاً عظيماً**﴾ **٦**: ﴿**ويُعذِّبَ المنافقين والمنافقاتِ والمشركين والمشركاتِ الظانّين باللهِ ظنّ السَّوْءِ**﴾ يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنّون بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أن يُقتلوا ويذهبوا بالكليّة، ولهذا قال تعالى: ﴿**عليهم دائرةُ السَّوْءِ وغضِبَ اللهُ عليهم ولعنهم**﴾ أبعدَهم من رحمته ﴿**وأعدَّ لهم جهنّمَ وسَاءَتْ مصيراً**﴾، ثم قال عزّ وجلّ مؤكّداً لقدرته على الانتقام من الأعداء، أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين: **٧**: ﴿**وللهِ جُنودُ السماواتِ والأرضِ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً**﴾ **٨**: ﴿**إنّا أرسلناكَ شاهِدَاً**﴾ على الخلق ﴿**ومُبشِّراً**﴾ للمؤمنين، ﴿**ونذيراً**﴾ للكافرين **٩**: ﴿**لِتُؤمِنُوا باللهِ ورسولِهِ وتعزِّروهُ**﴾ لتعظِّمُوهُ، وتفخمُوهُ، وتنصُرُوهُ وتمنعُوا منه، وتسوِّدُوهُ، ﴿**وتوقِّرُوهُ**﴾ التوقيرُ: هو الاحترام والإجلال والإعظام. ﴿**وتسبّحُوهُ**﴾ تُسبِّحُون اللهَ ﴿**بُكْرَةً وأصيلاً**﴾ أول النهار وآخره.

---

(١) وقال جابر: (ماكُنّا نَعُدُّ الفتحَ إلّا يومَ الحديبية). وقد جعلَ اللهُ تعالى الصلحَ فتحاً باعتبار مافيه من المصلحة، ومآلَ الأمرُ إليه.

سورة الفتح: روى البخاري والترمذي والنسائي أن رسول الله ﷺ قال: «نزَلَ عليّ البارحةَ سورةٌ هي أحبُّ إليّ من الدنيا ومافيها: ﴿إنّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً ليغفِرَ اللهُ ماتقدّم من ذنبك وماتأخر﴾.

الآية: ٢ روى الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة يقول: كان النبي ﷺ يُصلّي حتى ترم قدماه، فقيل له: أليسَ قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبكَ وماتأخر؟ فقال ﷺ: «أفلا أكونُ عبداً شكوراً»؟!. وروى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه، فقالت: يارسول الله أتصنع هذا وقد غفرَ لكَ اللهُ ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟ فقال ﷺ: «ياعائشة أفلا أكون عبداً شكوراً». /ابن كثير ج٤/١٨٣/

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١٠: قال الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً: ﴿**إنّ الذين يُبايعونَكَ إنّما يبايعُون الله**﴾ كقوله تعالى: ﴿مَن يُطعِ الرسولَ فقد أطاعَ الله﴾، ﴿**يَدُ الله فوق أيديهم**﴾ هو حاضرٌ معهم يسمع أقوالهم ويعلم ضمائرهم، فهو تعالى المُبايَعُ بواسطة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿**فمَنْ نكثَ فإنّما ينكثُ على نفسِهِ**﴾ إنّما يعود وبال ذلك على الناكث والله غنيٌّ عنه، ﴿**ومَن أوْفَى بما عاهَدَ عَلَيْهُ الله فسَيُؤتيهِ أجراً عظيماً**﴾ ثواباً جزيلاً، وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة ألفاً واربعمائة

١١: ﴿**سيقولُ لكَ المخلّفون من الأعراب**﴾ الذين[1] اختاروا المقام في أهليهم وشُغْلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**شَغلَتنَا أموالُنا وأهلُونا**﴾ فاعتذروا بذلك وسألوه أن يستغفر لهم ﴿**فاستغفِرْ لنا**﴾ لاعلى سبيل الاعتقاد بل على وجه المصانعة، ولهذا قال تعالى: ﴿**يقُولُون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قُلْ فمَنْ يملك لكم من الله شيئاً إن أرادَ بكم ضرّاً أو اراد بكم نفعاً**﴾ لايقدر أحدٌ أن يردّ ماأرادَهُ الله فيكم . قال تعالى:

١٢: ﴿**بلْ ظننتُم أنْ لنْ ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً**﴾ اعتقدتم أنّهم يُقتلون ولايرجع منهم مخبر، ﴿**وظننتُم ظنَّ السَّوْءِ وكنتم قوماً بُوراً**﴾ هلكى فاسدين

١٣: ﴿**ومَن لم يُؤمِنْ بالله ورسوله**﴾ من لم يُخلص العمل في الظاهر والباطن لله فإنّ الله سيُعذبه في السعير، ﴿**فإنّا أعتدنا للكافرين سعيراً**﴾ **١٤**: بيّن تعالى أنّه الحاكم المالك المتصرّف في أهل السموات والأرض فقال: ﴿**ولله مُلْكُ السمواتِ والأرض يغفِرُ لمَنْ يشاءُ ويُعذّبُ مَنْ يشاء**﴾ [هو الغني عن عباده، وإنّما ابتلاهم بالتكليف ليثيبَ مَنْ آمنَ ويُعاقبَ من كفرَ وعصَى] ﴿**وكان اللهُ غفُوراً رحيماً**﴾ لمن تاب إليه وأناب وخضع لديه **١٥**: ﴿**سيقولُ المُخلّفون**﴾ من الأعراب الذين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عُمْرة الحديبية إذْ ذهبَ وأصحابه إلى خيبر يفتحُونها أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم، وقد تخلّفوا عن وقت محاربة الأعداء، ﴿**إذا انطلقتُمْ إلى مغانِمَ لتأخُذوها ذَرُونا نتّبِعْكُم**﴾ فأمرَ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن لايأذنَ لهم، فإنّ الله تعالى وعدَ أهلَ الحديبية بمغانِمَ خيبر وحدهم لايُشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلّفين، ولهذا قال تعالى: ﴿**يُريدون أنْ يُبدّلوا كلامَ الله**﴾ وهو الوعدُ الذي وعدَ بهِ أهلَ الحديبية، ﴿**قُلْ لَنْ تتّبِعُونا كذلكُمْ قالَ اللهُ مِن قبل**﴾ وَعَدَ اللهُ أهلَ الحديبية قبل سؤالكم الخروجَ معهم ﴿**فسيقولون بل تحسدُوننا**﴾ أن نشرككم في المغانم ﴿**بلْ كانُوا لايفقهُون إلّا قليلاً**﴾ ليس الأمرُ كما زعَمُوا ولكن لافهم لهم.

---

(١) هم أعراب: غِفار ومُزينة وجُهينة وأَسْلَم وأَشْجَع والدِّيل، وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة؛ تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح، بعد أن كان استنفرَهم ليخرجوا معه حَذراً من قريش، وأحرمَ بعُمْرَةٍ وساقَ معه الهَدْيَ، لِيُعلِمَ النّاس أنّه لايُريد حرباً، فتثاقَلُوا عنه واعتلّوا بالشغل، فنزلت. /تفسير القرطبي/.

الآية: ١٠ روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَلَّ سيفَهُ في سبيل الله فقدْ بايعَ الله».

الآية: ١١ روى البخاري من حديث قتادة قلتُ لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرِّضْوَان؟ قال: خمس عشرة مائة. /ابن كثير ج٤/١٨٥/

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

١٦: ﴿قُلْ للمُخلَّفِين من الأعراب﴾ الذين تخلَّفُوا عن الحديبية **﴿سَتُدْعَوْن إلى قوم أُوْلي بأسٍ شديدٍ﴾** هم بنو حنيفة [قال رافع بن خديج: والله لقد كُنّا نقرأ هذه الآية فيما مضى، فلا نعلمُ مَن هُم حتى دعانا أبوبكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنّهم هم]، **﴿تقاتِلونَهُمْ أو يُسلِمُون﴾** يعني شرع لكم جهادَهم، فلا يزال ذلك مستمرّاً عليهم ولكم النُّصْرَةُ عليهم أو يُسلِمُون فيدخلُون في دينكم بلا قتالٍ، بل باختيار. **﴿فإن تُطيعوا﴾** تستجيبُوا وتنفروا في الجهاد وتؤدُّوا الذي عليكم فيه **﴿يُؤتِكُمُ اللهُ أجراً حسناً وإن تتولَّوْا كما تولّيتُم مِن قبلُ﴾** يعني زمنَ الحديبيّة حيث دُعِيتُم فتخلّفتم **﴿يُعذِّبْكم عذاباً أليماً﴾**. ثم ذكر الأعذارَ في ترك الجهاد، فقال: **١٧: ﴿ليسَ على الأعمى حَرجٌ ولاعلى الأعرَجِ حَرَج﴾** [العَرَجُ: آفة تعرض لرجلٍ واحدة. أي: لاإثم عليهم في التخلّف عن الجهاد] **﴿ولاعلى المريضِ حَرَجٌ﴾** الذي يطرأ عليه مرضٌ أيّاماً ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بذَوي الأعذار اللازمة حتى يبرأ. **﴿ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ يُدخلْهُ جنّاتٍ تجري من تحتِهَا الأنهارُ ومَن يتولَّ﴾** ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش **﴿يُعذِّبْهُ عذاباً أليماً﴾** في الدُنيا بالمذلّة وفي الآخرة بالنّار **١٨: ﴿لقد رَضِيَ اللهُ عن المؤمنين إذْ يُبايِعُونَكَ تحتَ الشجرةِ﴾** يُخبر تعالى عن رضاهُ عن المؤمنين الذين بايَعُوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض الحديبية تحت الشجرة وكانت سَمُرة [وهو نوعٌ من شجر الطّلع]، **﴿فعَلِمَ مافي قُلُوبِهم﴾** من الصدق والوَفاء والسمع والطاعة **﴿فأنزلَ السكينة﴾** وهي الطمأنينة **﴿عليهم وأثابَهُم فتحاً قريباً﴾** وهو ماأجرى الله عزّ وجلّ على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وماحصل بذلك من العزّ والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، وماحصَلَ من فتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد، ولهذا قال تعالى: **١٩: ﴿ومغانِمَ كثيرةً يأخذونها وكان اللهُ عزيزاً حكيماً﴾ ٢٠: ﴿وعَدَكُمُ اللهُ مغانِمَ كثيرةً تأخذُونها﴾** هي جميع المغانم إلى اليوم **﴿فعجّلَ لكم هذه﴾** يعني فتح مكة وخيبر [ومن قبل صلح الحديبية]**﴿وكفَّ أيدِيَ النّاسِ عنكم﴾** لم ينلكم سُوءٌ مِمّا كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة، **﴿ولتكونَ آيةً للمؤمنين﴾** يعتبرون بذلك، فإنّ الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر أعدائهم مع قلّة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنّه العالم بعواقب الأمور، **﴿ويهدِيَكُم صِراطاً مستقيماً﴾** بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته **٢١: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاطَ اللهُ بها وكان اللهُ على كل شيءٍ قديراً﴾** وغنيمةً أخرى وفتحاً آخر ومَعِيناً لم تكونوا تقدرون عليها قد يسّرها الله عليكم وأحاطَ بها لكم، فإنّه تعالى يرزق المتقين من حيث لايحتسبون **٢٢: ﴿ ولو قاتَلَكُمُ الذين كفروا لَوَلَّوُا الأدْبارَ ثم لايجدون وليّاً ولانصيراً﴾** هذه بشارة منه تعالى بأنّه لو ناجزَهم المشركون لنصرَ اللهُ رسولَهُ والمؤمنين عليهم ولانهزم جيش الكفر فارّاً مدبراً لايجدون وليّاً ولانصيراً؛ لأنّهم يحاربُون الله **٢٣: ﴿سنّةَ اللهِ التي قد خَلَتْ من قبلُ﴾** هذه سنّة الله وعادته في خلقه، **﴿ولن تجِدَ لسنّةِ اللهِ تبديلاً﴾** [أي: في نصرِهِ للمتقين].

الآية: ١٨ روى ابن أبي حاتم عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بينا نحن قائلون إذْ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها النّاس! البَيْعَةَ البَيْعَةَ، نزل روح القدس، قال فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سَمُرَة، فبايعناه، فذلك قول الله: ﴿لقد رضي اللهُ عنِ المؤمنينَ إذ يُبايعونكَ تحتَ الشجرة﴾ قال: فبايع رسول الله ﷺ لعثمان بن عفان بإحدى يديه على الأخرى.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٢٤: ﴿وهو الذي كفَّ أيدِيَهم عنكم وأيدِيَكم عنهم ببطنِ مكّةَ من بعدِ أن أظفرَكم عليهم﴾ هذا امتنانٌ من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كفَّ أيدي المشركين عنهم فلم يصلُوا إليهم بسُوءٍ، وكفّ أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلاً من الفريقين، وأوجد بينهم صلحاً فيه خيرة للمؤمنين وعافية في الدنيا والآخرة، **﴿وكان اللهُ بما تعملون بصيراً﴾ ٢٥: ﴿هُم الذين كفرُوا﴾** مشركو قريش ومَن مَالأهم **﴿وصَدُّوكم عن المسجدِ الحرامِ﴾** وأنتم أحقُّ به وأنتم أهله في نفس الأمر، **﴿والهَدْيَ معكوفاً أن يبلغ مِحِلّه﴾** وصَدُّوا الهَدْيَ أن يصلَ إلى محله، وهذا من بغيهم وعِنادِهم، وكان الهَدْيُ سبعين بَدَنةً. **﴿ولولا رجالٌ مؤمنون ونِسَاءٍ مؤمناتٍ﴾** بين أظهرهم مِّمن يكتم إيمانه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكُنّا سلطناكم عليهم فأبدْتم خضراءَ هم ولكن بين أفنائهم مؤمنون ومؤمنات لاتعرفونهم حالة القتال، ولهذا قال تعالى: **﴿لم تعلموهم أن تطؤوهم فتُصِيبكم منهم معرّة﴾** إثم وغرامة **﴿بغيرِ علم ليُدخِلَ اللهُ في رحمته مَن يشاء﴾** ليخلّصَ من بين أظهرهم المؤمنين وليرجَع كثيرٌ منهم إلى الإسلام، **﴿لو تزيَّلُوا﴾** لو تميّز الكفارُ من المؤمنين الذين بين أظهرهم **﴿لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾** لسلطناكم عليهم فَلَقتلتُمُوهم قتلاً ذريعاً **٢٦: ﴿إذْ جعلَ الذين كفروا في قلوبهمُ الحميةَ حميّةَ الجاهيليّة﴾** وذلك حين أبَوْا أن يكتبُوا «بسم الله الرحمن الرحيم» [في أول صفحة الوثيقة] وأبَوْ أن يكتبوا: هذا ماقضى عليه محمد رسول الله، [وكتبوا: محمد بن عبد الله]، **﴿فأنزلَ اللهُ سكينتَهُ على رسولِه وعلى المؤمنين﴾** الطمأنينة **﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾** وهي كلمة لا إلهَ إلّا الله محمد رسول الله **﴿وكانُوا أحقَّ بها وأهلِها﴾** واستكبر المشركون عنها، **﴿وكان اللهُ بكلِّ شيءٍ عليماً﴾** هو عليمٌ بمن يستحق الخيرَ مّمن يستحق الشرَّ **٢٧: ﴿لقد صدقَ اللهُ رسولَهُ الرُّؤيَا بالحق﴾** كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى في المنام أنّه دخل مكةَ وطاف بالبيت، فلمّا وقع ماوقع من قضيّة الصلح، وكان عليه الصلاة والسلام أخبر أصحابه بذلك، حتى سأل عمر رسول الله فقال: أفلم تخبرنا أنّا سنأتي البيتَ ونطوفُ به؟ قال: «بلى، أفأخبرتُكَ أنّك تأتيه عامَكَ هذا»؟ قال: لا، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فإنّك آتيهِ ومطوّف به»، **﴿لتدخلنّ المسجدَ الحرام إن شاءَ اللهُ﴾** هذا لتحقيق الخبر وتوكيده [وقد شاء] **﴿آمنين﴾** في حال دخولكم **﴿محلّقين رؤوسَكم ومقصِّرين﴾** [أي: للتحلّل من العُمْرة والحج] **﴿لاتخافُون﴾** من أحد في حال استقرارهم في البلد الأمين. **﴿فعلِمَ مالم تعلموا﴾** من المصلحة في صرفكم عن مكة عام الحديبية **﴿فجعَلَ مِن دُونِ ذلك فتحاً قريباً﴾** وهو الصلح **٢٨: ﴿هو الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدَى ودينِ الحقِّ﴾** بالعلم النافع والعمل الصالح [والعقيدة الصحيحة] **﴿لِيُظهرَهُ على الدِّين كلِّهِ﴾** على جميع الأديان من سائر أهل الأرض **﴿وكفَى باللهِ شهيداً﴾** أنّه رسولُهُ وهو ناصِرُهُ سبحانه وتعالى.

الآية: ٢٤ روى مسلم وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك قال: لمّا كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة بالسلاح من قِبَل جبل التنعيم =

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

٢٩: يُخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنّه رسولُهُ حقاً بلاشَكٍّ فقال تعالى: **﴿محمدٌ رسولُ اللهِ﴾** هذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كلِّ وصفٍ جميلٍ، ثم ثنّى بالثناء على أصحابه فقال: **﴿والذين معه أشدَّاءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم﴾** هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدُهم شديداً على الكفار رحيماً بالأخيار، **﴿تراهم رُكّعاً سجداً يبتغُون فضلاً مِنَ اللهِ ورِضْواناً﴾** وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عزّ وجلّ. **﴿سِيماهُمْ في وُجُوهِهِم مِن أثرِ السجود﴾** يعني السمتَ الحسنَ والخشوعَ والتواضعَ **﴿ذلك مَثَلُهم في التوراةِ ومَثَلُهم في الإنجيلِ كَزَرْعٍ أخرجَ شَطْأَهُ﴾** فِراخَهُ **﴿فآزَرَهُ﴾** شدَّهُ **﴿فاستغلظ﴾** شبَّ وطالَ **﴿فاستوى على سُوقِهِ يُعجِبُ الزُّرّاعَ﴾** [فالزرع محمد، والشطءُ أصحابه] وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آزرُوهُ وأيَّدُوهُ ونصَرُوهُ، فهم معه كالشطءِ مع الزرعِ. **﴿لِيَغيظ بِهِمُ الكُفّارَ﴾** [أي: فعلَ الله هذا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ليغيظَ بِهِمُ الكفار] ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك تكفير الذين يُبغِضُون الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنّهم يغيظُونهم، ومَن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء. **﴿وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ منهم﴾** مِنْ هذه لبيان الجنس **﴿مغفرةً وأجراً عظيماً﴾** ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً، ووَعْدُ الله حقٌّ وصدقٌ لايُخْلَفُ ولايبدّل.

تفسير سورة الحُجُرَات

١: **﴿ياأيّها الذين آمنُوا لاتقدِّمُوا بينَ يَدَيِ اللهِ ورسولِهِ﴾** هذه آدابٌ أدّبَ بها اللهُ تعالى المؤمنين فيما يُعامِلُون به رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام؛ أي: لاتُسرعوا في الأشياء بين يديهِ قبلَهُ، بلْ كونُوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ حيث قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه إلى اليمين: «بِمَ تحكم»؟ قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد»؟ قال: بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «فإن لم تجد»؟ قال: أجتهدُ رَأيي، فضربَ في صدره وقال: «الحمدُ لله الذي وفقَ رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم». رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه. **﴿واتَّقُوا اللهَ﴾** فيما أمركم به **﴿إنّ اللهَ سميعٌ﴾** لأقوالكم **﴿عليمٌ﴾** بنيّاتكم **٢**: **﴿ياأيّها الذين آمنوا لاترفَعُوا أصواتَكم فوقَ صَوْتِ النبي﴾** هذا أدب ثانٍ أن لايرفع المؤمنون أصواتَهم بينَ يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوق صوته. **﴿ولاتجهروا لهُ بالقولِ كجهرِ بعضِكم لبعضٍ أنْ تحبطَ أعمالُكم وأنتُم لاتشعُرُون﴾** إنّما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه فيحبط عملُ مَن أغضبه وهو لايدري **٣**: **﴿إنّ الذين يغضُّون أصواتَهم عندَ رسولِ اللهِ أولئكَ الذين امتحنَ اللهُ قلوبَهُم للتقوى﴾** أخلَصها لها وجعلَها أهلاً ومحلاً، **﴿لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ﴾** **٤**: **﴿إنّ الذين يُنادُونَكَ مِن وَراءِ الحُجُرَاتِ أكثرُهم لايَعْقِلُون﴾** ذمَّ اللهُ تعالى الذين يُنادونه صلى الله عليه وآله وسلم من وراء بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب، وقال: **﴿أكثرُهم لايعقلُون﴾**.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

٥: ثم أرشدهم تعالى إلى الأدب في ذلك فقال: ﴿**ولو أنّهم صبرُوا حتى تخرجَ إليهم لكانَ خيراً لهم**﴾ لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة، ﴿**واللهُ غفورٌ رحيم**﴾ **٦**: يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مُخطئاً، وقد نهى الله عزّ وجلّ عن اتباع سبيل المفسدين ﴿**ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسِقٌ بنبإٍ فتبيّنُوا أنْ تصيبُوا قوماً بجهالَةٍ فتصبحُوا على مافعلتم نادِمين**﴾ **٧**: ﴿**واعْلَمُوا أنّ فيكم رسولَ اللهِ**﴾ فعَظِّمُوهُ ووقّرُوهُ وتأدّبُوا معه وانقادُوا لأمره فإنّه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيُهُ فيكم أتمُّ من رأيكم لأنفسكم، ﴿**لو يُطيعكم في كثيرٍ من الأمرِ لَعَنِتُّمْ**﴾ لو أطاعكم في جميع ماتختارونه لأدّى ذلك إلى عَنَتِكم وحَرَجِكم، ﴿**ولكنّ الله حَبَّبَ إليكُمُ الإيمانَ وزيّنَهُ في قلوبكم**﴾ حسّنَهُ في قلوبكم وحبَّبهُ إلى نفوسكم، ﴿**وكرَّهَ إليكُمُ الكفرَ والفُسُوقَ والعِصيان**﴾ وبغّض إليكم الذنوب والكبائر وجميع المعاصي، وهذا تدريجٌ لكمال النعمة، ﴿**أولئك هُمُ الراشِدُون**﴾ الذين قد آتاهم اللهُ رُشْدَهم **٨**: ﴿**فضلاً مِنَ اللهِ ونعْمَةً**﴾ هذا العطاء الذي منحكمُوه هو فضلٌ منه عليكم ونعمة من لدنه لكم ﴿**واللهُ عليم حكيم**﴾ عليمٌ بمن يستحق الهداية ممّن يستحق الغِوَاية، حكيمٌ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره **٩**: يأمر الله تعالى بالإصلاح بين الفِئَتين الباغِيَتين بعضهم على بعض: ﴿**وإن طائفتان مِن المؤمنين اقتتلُوا فأصلِحُوا بينهما**﴾ فسمّاهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدلّ البخاري وغيرُهُ على أنّه لايخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عَظُمَتْ، لا كما يقوله الخوارج ومَن تابعهم من المعتزلة ونحوهم. ﴿**فإن بَغَتْ إحداهُمَا على الأخرى فقاتِلُوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمرِ اللهِ**﴾ حتى ترجعَ إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحقّ وتُطيعه، ﴿**فإن فاءَتْ**﴾ [أي: رجعت إلى الحقّ] ﴿**فأصلِحُوا بينهما بالعدلِ وأقسِطُوا**﴾ اعدِلُوا بينهما فيما أصاب بعضُهم لبعض بالقِسط وهو العدل، ﴿**إنّ الله يحبُّ المقسطِين**﴾ **١٠**: ﴿**إنّما المؤمنون إخوةٌ**﴾ الجميعُ إخوةٌ في الدِّين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلم أخو المسلم لايظلمه» والحديث في الصحيح، ﴿**فأصلِحُوا بين أخوَيكم**﴾ المقتتلَين ﴿**واتقوا اللهَ**﴾ في جميع أموركم ﴿**لعلّكم تُرْحَمون**﴾ وهذا تحقيقٌ للرحمة منه تعالى لمن اتقاه **١١**: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لايَسْخَرْ قومٌ مِن قومٍ عسَى أن يكُونوا خيراً منهم**﴾ ينهى الله تعالى عن السخرية بالنّاس، وهو احتقارُهم والاستهزاء بهم، وهذا حرام، فإنّه قد يكون المُحتَقَرُ أعظمَ قدراً عندَ اللهِ تعالى وأحبَّ إليه من الساخِرِ منهُ المحتقِرِ لهُ، ﴿**ولانِسَاءٌ مِن نِسَاءٍ عسَى أنْ يكُنَّ خيراً مِنهُنَّ**﴾ فنصَّ على نهي الرجال وعطف بنهي النساء، ﴿**ولاتَلْمِزُوا أنفسكم**﴾ لاتلمِزُوا النّاس، [واللّمزُ: العيب] ﴿**ولاتنابَزُوا بالألْقَابِ**﴾ لاتداعوا بالألقاب التي يَسُوءُ الشخصَ سماعُها، ﴿**بئسَ الاسْمُ الفُسُوقُ**﴾ بئس الصفة التنابز بالألقاب ﴿**بعدَ الإيمان**﴾ [أي: بعد إسلامه وتوبته] ﴿**ومَن لم يتبْ فأولئك هم الظالِمُون**﴾.

= يريدون غرّةَ رسول الله ﷺ فدَعَا عليهم، فأخذُوا، قال عفان: فعَفَا عنهم، ونزلت هذه الآية: ﴿وهو الذي كَفَّ أيدِيَهُم عنكم وأيدِيَكُمْ عنهم بِبَطْنِ مكّةَ من بعدِ أنْ أظفرَكُمْ عليهم﴾. /ابن كثير ج٤/١٩٢/

الآية: ٩: روى الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنّ الهدى والصلاح والاقتصاد والسمت الصالح جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوّة»، ورواه أبو داود.=

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

١٢: ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا اجتنِبُوا كثيراً مِن الظنّ**﴾ ينهى تعالى المؤمنين عن التهمة والتخوّن للأهل والأقارب والنّاس ﴿**إنّ بعضَ الظنِّ إثم**﴾ فيُجتَنَبُ كثيرٌ منه احتياطاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إيّاكُم والظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث»، ﴿**ولاتجسَّسُوا**﴾ على بعضِكم بعضاً، والتجسُّسُ في الشرِّ والتحسُّسُ في الخير، قال يعقوب لبنيه: ﴿اذهبُوا فتحسَّسُوا مِن يوسفَ﴾، ﴿**ولايغتبْ بعضُكم بعضاً**﴾ نهى تعالى عن الغيبة، وقد فسّرها صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود: «ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكرَهُ» ﴿**أيُحِبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحمَ أخيهِ مَيْتاً**﴾؟ هذا للتحريم الشديد شبهها تبارك وتعالى بأكل الإنسان اللّحم مِنَ المَيْتِ، ﴿**فكرِهتُمُوهُ**﴾ كما تكرهون هذا طبعاً فاكرَهُوا ذاك شرعاً؛ فإنّ عقوبته أشدُّ من هذا. ﴿**واتّقوا الله**﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه، فراقِبُوه واخشوْهُ، ﴿**إنّ الله توّابٌ**﴾ على مَن تاب ﴿**رحيم**﴾ بمن رجع إليه واعتمدَ عليه **١٣**: ﴿**ياأيّها النّاسُ إنّا خلقناكم مِن ذكرٍ وأنثى**﴾ وهما آدم وحوّاء ﴿**وجعلناكم شُعُوباً**﴾ وهي أعمُّ من القبائل، ﴿**وقبائل**﴾ [وهي أكبر من العشائر] ﴿**لتعارَفُوا إنّ أكرمَكم عندَ اللهِ اتقاكم**﴾ فجميع الناس من آدم وحوّاء سواء في الشرف، وإنّما يتفاضَلُون في طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**إنّ الله عليمٌ خبيرٌ**﴾ **١٤**: ﴿**قالتِ الأعرابُ**﴾ [وهم من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنةِ جَدْبٍ] ادّعوا لأنفسهم الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعدُ قالُوا: ﴿**آمنّا قُلْ لم تُؤمِنُوا ولكن قولُوا أسلمنا ولمّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قلوبِكم**﴾ [لأنهم أظهروا الشهادَتين ولم يكونوا مؤمنين في السِّرّ] ﴿**ولكن قُولُوا أسلمنا**﴾ استسلمنا خوفَ القتلِ والسَّبْيِ ﴿**ولّما يَدْخُلِ الإيمانُ في قلوبكم**﴾ لم تصِلُوا إلى حقيقة الإيمان بعدُ، ثم قال تعالى: ﴿**وإنْ تطِيعُوا اللهَ ورسولَه لايَلِتْكُم مِن أعمالِكم شيئاً**﴾ [فإن تخلِصوا الإيمان] لاينقصكم من أجورِكم شيئاً، ﴿**إنّ الله غفورٌ رحيم**﴾ لمن تابَ إليه وأنابَ **١٥**: ﴿إنّما المؤمنون﴾ الكُمّلُ ﴿**الذين آمنوا باللهِ ورسولِهِ ثم لم يرتابُوا**﴾ لم يشكوا، بل ثبتُوا على التصديق [وحقَّقُوا ذلك بالجهاد والعمل الصالح] ولهذا قال سبحانه: ﴿**وجاهَدُوا بأموالهم وأنفسِهم في سبيلِ الله**﴾ بَذَلُوا أموالَهم ومُهجَهم في طاعة الله ورضوانه ﴿**أولئك هُمُ الصادِقون**﴾ في قولهم إنّهم مؤمنون **١٦**: ﴿**قُلْ أتعلِّمُون الله بدينكم**﴾ أتخبرونه بما في ضمائركم ﴿**والله يعلمُ مافي السمواتِ ومافي الأرض**﴾ لايخفَى عليه مثقال ذرّة في الأرض ولافي السماء ﴿**واللهُ بكلِّ شيء عليمٌ**﴾، ثم قال تعالى: **١٧**: ﴿**يمُنُّون عليك أنْ أسلَمُوا**﴾؟! يعني الأعراب الذين يمُنون بإسلامهم، فردّ الله تعالى عليهم: ﴿**قُلْ لاتَمُنُّوا عليّ إسلامَكم**﴾ فإنّ نفعَ ذلك إنّما يعود عليكم ولله المِنّةُ عليكم فيه؛ ﴿**بلِ اللهُ يمنُّ عليكم أنْ هَدَاكم للإيمانِ إنْ كنتمْ صادِقين**﴾ في دعواكم ذلك، روى البزار عن ابن عباس قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يارسول الله أسلمنَا وقاتلتْكَ العربُ ولم نُقاتِلْكَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ فقهَهُمْ قليلٌ، وإنّ الشيطانَ ينطق على ألسنتهم»، ونزلت هذه الآية.

= فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نيّاتهم وحَسُنت أعمالُهم، فكل مَنْ نظر إليهم أعجبوه في سَمْتِهِم وهديهم. وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أنّ النّصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك، فإنّ هذه الأمة معظّمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوّه =

سُورَةُ قٓ

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾

تفسير سورة ق[1]

١: ﴿قٓ﴾ قد أسلفنا الكلام على هذه الحروف في أول سورة البقرة ﴿**والقرآنِ المجيدِ**﴾ [الواو هي واو القَسَم، والإقسام بالقرآن فيه تنبيهٌ على شرف قدره وعلوِّ محلّه] ﴿**المجيد**﴾ الكريم العظيم الذي ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولامِن خلفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ﴾ ومضمون الكلام بعد القسم إثبات النبوّة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه **٢**: ﴿**بَلْ عجِبُوا أن جاءَهم منذرٌ منهم**﴾ تعجّبُوا مِن إرسالِ رسول إليهم منَ البشر ﴿**فقال الكافِرُون هذا شيء عجيب**﴾ وهذا ليس بعجيب، فإنّ الله تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس **٣**: ﴿**أئذامِتْنَا وكُنّا تراباً ذلك رجعٌ بعيد**﴾ يقولون هذا لاستبعادِهم لوقوعه أي: كيف يمكن الرجوع بعد أن بِلينَا وصرنا تراباً؟! قال الله تعالى ردّاً عليهم: **٤**: ﴿**قد علِمْنَا ماتنقُصُ الأرضُ**﴾ ماتأكل مِن أجسادِهم في البِلَى، نعلمُ ذلك ولايخفى علينا أين تفرّقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿**وعندَنا كتابٌ حفيظٌ**﴾ حافظ لذلك **٥**: ﴿**بل كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم فهم في أمرٍ مريجٍ**﴾ وهذا حالُ كل مَن خرجَ عن الحقِّ، مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريج: المضطرب الملتبس المنكر **٦**: ﴿**أفَلَمْ ينظرُوا إلى السماءِ فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها**﴾ بالمصابيح ﴿**ومالها من فُرُوجٍ**﴾ يعني من شقوق وفتوق؛ نبّهَ تعالى على قدرته العظيمة التي أظهرَ بها ماهو أعظم مِمّا تعجّبُوا مستبعدين لوقوعه **٧**: ﴿**والأرضَ مَدَدْناها**﴾ وسّعناها ﴿**وألقينا فيها رواسيَ**﴾ وهي الجبال لئلاّ تميدَ بأهلها ﴿**وأنبتنا فيها مِن كلِّ زوجٍ بهيجٍ**﴾ من جميع الزروع والثّمار والنبات، ﴿**بهيج**﴾ حسن المنظر **٨**: ﴿**تبصرةً وذكرى لكلِّ عبدٍ مُنيبٍ**﴾ دَلاَلَةً وذكرى لكل عبد خاضعٍ رجّاع إلى الله عزّ وجلّ **٩**: ﴿**ونزّلنا مِنَ السماء ماءً مباركاً**﴾ نافِعاً ﴿**فأنبتنَا به جنّاتٍ**﴾ حدائق وبساتين ونحوها ﴿**وحَبَّ الحَصيدِ**﴾ وهو الحبّ الذي يُراد ادخاره **١٠**: ﴿**والنخلَ باسِقاتٍ**﴾ طِوَال شاهقات ﴿**لها طلعٌ نضيد**﴾ [متراكب قد نُضِّدَ بعضُهُ على بعض] **١١**: ﴿**رزقاً للعباد**﴾ للخلق ﴿**وأحيينا بهِ بلدةً ميتاً**﴾ وهي الأرض التي كانت هامدةً فأنزلنا عليها الماء اهتزّت وأنبتت من كلِّ زوج بهيج ﴿**كذلك الخروج**﴾ هذا مثالٌ للبعث بعد الموت؛ كذلك يُحيي اللهُ الموتى **١٢**: ﴿**كذّبَتْ قبلَهُمْ قومُ نُوحٍ**﴾ يقول تعالى متهدِّداً لكفار قريش بما أحلّه بأشباههم من المكذّبين قبلهم من النقمات، ﴿**وأصحاب الرّسِّ وثَمُودُ**﴾ **١٣**: ﴿**وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لُوطٍ**﴾ **١٤**: ﴿**وأصحابُ الأيكةِ وقومُ تُبّعٍ كلٌّ كذّبَ الرُّسُلَ فحقَّ وَعِيدِ**﴾ فحقَّ عليهم ماأوعدَهم الله تعالى على التكذيب من العذابِ والنكال، فليَحْذَرِ المخاطَبُون أن يُصيبهم ماأصابهم فإنّهم قد كذّبُوا رسولهم كما كذّب أولئك **١٥**: ﴿**أفَعيِينا بالخلقِ الأوّلِ**﴾؟ أفأعجزَنَا ابتداءُ الخلق حتى هم في شكٍّ مِن الإعادة؟ ﴿**بلْ هُمْ في لَبْسٍ مِن خلقٍ جديدٍ**﴾ والمعنى أنّ ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه.

---

(١) هذه السورة هي أوّل سور المفصّل، وقيل من سورة الحُجرات.

= الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ ثم قال: ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾. /ابن كثير ج٤/٢٠٤/

سورة ق روى الإمام أحمد ومسلم عن أُمّ هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنّورنا وتنّور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وماأخذتُ ﴿قٓ والقرآن المجيد﴾ إلاّ على لسان رسول=

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

١٦: ﴿ولقد خلقنا الإنسانَ ونعلمُ ماتوَسْوِسُ به نفسُهُ﴾ يُخبر تعالى عن قدرته وعلمه المحيط بجميع أمور الإنسان، حتى إنّه تعالى يعلم ماتوسوسُ به نفوسُ بني آدم من الخير والشرّ. وفي الصحيح: «إنّ الله تعالى تجاوز لأمتي ماحدّثت به أنفسَها ما لم تَقُلْ أو تعمل»، **﴿ونحنُ أقربُ إليه من حبل الوَريد﴾** يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان مِن حبلِ وَريده، كما قال تعالى في المحتضر: ﴿ونحنُ أقربُ إليه منكم ولكنْ لاتُبْصِرُون﴾ يعني ملائكته **١٧: ﴿إذْ يتلقى المُتلقيانِ﴾** يعني الملَكين اللّذَين يكتبان عملَ الإنسان **﴿عن اليمينِ وعن الشمالِ قعيدٌ﴾** مترصِّدٌ **١٨: ﴿مايلفِظُ﴾** ابن آدم **﴿من قولٍ إلّا لَدَيه رقيبٌ عَتِيدٌ﴾** إلّا ولها من يرقبُها مُعَدٌّ لذلك يكتبُها لايتركُ كلمةً ولاحركةً **١٩: ﴿وجاءتْ سكرةُ الموتِ بالحقِّ﴾** كشفت لك عن اليقين الذي كنتَ تمتري فيه **﴿ذلك ماكنتَ منهُ تَحِيد﴾** هذا الذي كنتَ تفِرُّ منه قد جاءك فلامَحيدَ ولامَناصَ ولاخلاصَ، وقد نزل بساحتِكَ **٢٠: ﴿ونُفخَ في الصُّورِ ذلك يومُ الوَعيد﴾** يوم القيامة **٢١: ﴿وجاءت كلُّ نفسٍ معَها سائقٌ وشهيد﴾** سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهدٌ يشهدُ عليها بما عملت **٢٢: ﴿لقد كنتَ في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنكَ غِطاءَك فبصَرُك اليومَ حديد﴾** قويّ لأنّ كلَّ أحدٍ يومَ القيامة يكون مستبصراً **٢٣: ﴿وقالَ قرينُهُ﴾** المَلك الموكل بعمل ابن آدم **﴿هذا مالَدَيّ عَتِيدٌ﴾** محضر بلازيادة ولانقصان **٢٤: ﴿ألقِيَا في جهنّم كُلَّ كفّارٍ عَنِيدٍ﴾** الخطاب إلى السائق والشهيد، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنّم، **﴿كلَّ كفّار﴾** كثير التكذيب **﴿عنيد﴾** معاند للحق معارض له بالباطل **٢٥: ﴿مَنّاعٍ للخير﴾** لايؤدِّي ماعليه من الحقوق ولابرَّ فيه ولاصِلَةَ ولاصدقة **﴿مُعْتَدٍ﴾** متجاوز للحدّ **﴿مُريبٍ﴾** شاكٌ لمن نظرَ في أمرِهِ **٢٦: ﴿الذي جعلَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ﴾** أشرك بالله فعبدَ معه غيرَه **﴿فألْقِيَاهُ في العذابِ الشّديد﴾ ٢٧: ﴿قالَ قرينُهُ﴾** الشيطان **﴿ربَّنا ماأطْغَيْتُهُ﴾** ماأضللتُه؛ يتبرّأ منه شيطانُه، **﴿ولكنْ كانَ﴾** هو في نفسِهِ **﴿في ضلالٍ بعيدٍ﴾** قابل للباطل معاند للحقِّ **٢٨: ﴿قال لاتختصِمُوا لَدَيَّ وقدْ قدّمتُ إليكم بالوَعيد﴾** قد أعذرتُ إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحُجَجُ والبيّناتُ **٢٩: ﴿مايُبَدَّلُ القولُ لَدَيَّ﴾** يعني قد قضيتُ ماأنا قاضٍ **﴿وماأنا بظَلّامٍ للعبيد﴾** لستُ أعذب أحداً بذنب أحد، لاأعذّب أحداً إلّا بعد قيام الحُجّة عليه **٣٠: ﴿يومَ نقولُ﴾** الربُّ عزّ وجلّ **﴿لجهنّم هَلِ امتلأْتِ وتقولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ﴾**؟ هل بقيَ شيء تزوّدُني؟ **٣١: ﴿وأُزْلِفَتِ الجنّةُ للمتقين﴾** أُدْنِيت وقرِّبت **﴿غيرَ بعيد﴾** ليس ذلك ببعيدٍ لأنّه واقعٌ لامحالة **٣٢: ﴿هذا ماتُوعَدُون لكلِّ أوّابٍ﴾** رجّاع تائب **﴿حفيظ﴾** للعهد فلاينقضه **٣٣: ﴿مَن خشِيَ الرحمَنَ بالغيبِ﴾** مَن خافَ اللهَ في سِرِّهِ **﴿وجاءَ بقلبٍ مُنيبٍ﴾** بقلب سليم إليه خاضع لديه **٣٤: ﴿ادْخُلُوها﴾** الجنّة **﴿بسلام﴾** سلِمُوا من عذاب الله، وسلّم عليهم الملائكة **﴿ذلك يومُ الخُلُودِ﴾** يخلدُون في الجنّة فلايموتون أبداً **٣٥: ﴿لهم مايشاؤون فيها﴾** من أصناف الملاذّ **﴿ولَدَينا مَزِيدٌ﴾** وهو النظر إلى وجه الله الكريم.

= الله ﷺ كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب النّاس». وعن ابنة الحارث بن النعمان قالت: ماحفظتُ (قٓ) إلاّ من في رسول الله ﷺ كان يخطب بها كلَّ جمعة..» رواه مسلم

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

٣٦: ﴿وكم أهلكنا قبلَهم مِن قَرْنٍ هُم أشدُّ منهم بطشاً﴾ كان المكذّبون قبلهم أكثرَ منهم وأشدَّ قوّة **﴿فنقّبوا في البلادِ هَلْ مِن محيص﴾** ساروا في البلاد يبتغون الأرزاق والمكاسب أكثر مِمّا تخاطفتم أنتم بها **﴿هَلْ مِن محيص﴾**؟ من مفرٍّ كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ماجمعوه وردّ عنهم عذاب الله إذْ جاءهم لّما كذّبوا الرسل؟ فأنتم أيضاً لامفرَّ لكم ولامحيص **٣٧: ﴿إنّ في ذلك لذكرى﴾** لعبرة **﴿لمن كانَ له قلبٌ﴾** لبٌّ يعِي به **﴿أو ألقَى السمعَ وهو شهيد﴾** استمعَ الكلامَ فوَعَاهُ بعقله وتفهمه بلُبِّهِ **٣٨: ﴿ولقد خلقنا السماواتِ والأرض وما بينهما في ستِةِ أيّامٍ وما مَسّنَا مِن لُغُوبٍ﴾** من إعياءٍ ولاتعب ولانَصَب **٣٩: ﴿فاصبِرْ على مايقولون﴾** يعني المكذّبين **﴿وسبّح بحمدِ ربِّكَ قبلَ طُلوعِ الشمس وقبل الغروب﴾** وكانت صلاة الفرض قبل الإسراء ثنتان: في وقت الفجر، وفي وقت العصر **٤٠: ﴿ومِن اللّيلِ فسبِّحْهُ﴾** وقيام الليل كان واجباً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أمّته حولاً ثم نُسِخَ في حق الأمّة. **﴿وأدبارَ السُّجود﴾** التسبيح بعد الصلاة **٤١: ﴿واستمعْ يوم يُنادِ المنادِ مِن مكانٍ قريبٍ﴾** [أي: لصيحة يوم القيامة، والمنادي جبريل] **٤٢: ﴿يوم يسمَعُون الصيحةَ بالحقّ﴾** يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحقّ الذي كان أكثرُهم فيه يمترون **﴿ذلك يومُ الخروج﴾** الأجداث **٤٣: ﴿إنّا نحنُ نحيي ونُميتُ وإلينا المصير﴾** هو الذي يبدأ الخلقَ ثم يعيدُهُ وهو أهون عليه، وإليه مصير الخلائق فيُجازي كلاً بعمله **٤٤: ﴿يومَ تشقَّقُ الأرضُ عنهم سِرَاعاً﴾** وذلك أنّ اللهَ عزّ وجلّ يُنزّلُ مطراً من السماء يُنبتُ به أجساد الخلائق في قبورها كما ينبتُ الحبّ، فيقومون إلى الموقف للحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله عزّ وجلّ **﴿ذلك حشرٌ علينا يَسيرٌ﴾** تلك إعادةٌ سهلة علينا يسيرة لدينا، كما قال تعالى: ﴿وما أمرُنا إلّا واحدةٌ كلمحٍ بالبصر﴾ **٤٥: ﴿نحنُ أعلم بما يقولون﴾** لك من التكذيب، فلا يهولَنّكَ ذلك **﴿وماأنتَ عليهم بجبّارٍ﴾** ولستَ بالذي تُجبر هؤلاء على الهُدَى والإيمان **﴿فذكِرْ بالقرآنِ مَن يخاف وَعِيدِ﴾** مَن يخاف اللهَ ووَعِيدَهُ، ويرجُو وَعْدَهُ. اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو مَوْعُودَكَ يارحيم.

تفسير سورة الذّاريات

١: ﴿والذّارياتِ ذَرْواً﴾ الريح [تذرو التراب ذَرْواً؛ أقسم الله تعالى بها] **٢: ﴿فالحامِلاتِ وِقْراً﴾** السحاب، تحمل الماء **٣: ﴿فالجارياتِ يُسْراً﴾** السُّفُن [التي يسّرَ سبحانه سيرَها على الماء] **٤: ﴿فالمُقسِّمَاتِ أمراً﴾** الملائكة، تنزل بأوامر الله الشرعيّة والكونيّة؛ وهذا قَسَمٌ من الله عزّ وجلّ على وقوع المعاد، ولهذا قال تعالى: **٥: ﴿إنّما توعَدُون لصَادِقٌ﴾** لخبر صدق **٦: ﴿وإنّ الدِّين﴾** وهو الحساب **﴿لواقِعٌ﴾** لكائن لامحالة.

الآية: ٤٠ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: بتُّ ليلةً عندَ رسول الله ﷺ فصلى ركعتين خفيفتين اللّتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة، فقال: «ياابن عباس ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود» ورواه الترمذي. /ابن كثير ج٤/٢٣٠/

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

٧: ﴿**والسماءِ ذاتِ الحُبُكِ**﴾ ذات الجمال والحُسْن والبهاء والاستواء ٨: ﴿**إنّكم لفي قولٍ مُخْتَلِفٍ**﴾ المشركون في قول مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع في القرآن ٩: ﴿**يُؤفَكُ عنه مَن أُفِكَ**﴾ إنّما يروج على مَن هو ضالٌّ في نفسِهِ، لأنّه قول باطل ١٠: ﴿**قُتِلَ الخرّاصُون**﴾ لُعِنَ المرتابُون ١١: ﴿**الذين هم في غَمْرَةٍ ساهُون**﴾ في الكفر والشك غافلون لاهُون ١٢: ﴿**يسألُون أيّانَ يومُ الدِّين**﴾؟ وإنّما يقولُون هذا تكذيباً وعناداً وشكاً واستبعاداً ١٣: ﴿**يومَ هُم على النّارِ يُفتَنُون**﴾ يُعذّبون كما يُفتن الذهب على النّار ١٤: ﴿**ذُوقُوا فِتْنَتَكم**﴾ حريقكم وعذابكم ﴿**هذا الذي كنتم به تستعجِلُون**﴾ يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً ١٥: يقول تعالى مخبراً عن المتقين لله أنّهم يومَ معادهم: ﴿**إنّ المتّقين في جنّاتٍ وعُيُون**﴾ بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال ١٦: ﴿**آخذِين ما آتاهم ربُّهم**﴾ عامِلِين بما آتاهم الله من الفرائض ﴿**إنّهم كانوا قبلَ ذلك مُحسنين**﴾ كانوا في الدنيا محسنين في الأعمال ١٧: ﴿**كانوا قليلاً مِنَ الليلِ ما يهجَعُون**﴾ قلَّ ليلةٌ لا تأتي عليهم إلّا يصلُّون فيها لله عزّ وجلّ ١٨: ﴿**وبالأسحارِ هُمْ يستغفِرُون**﴾ يصلون [ويستغفرون الله من ذنوبهم، وهذا مدحٌ وثناءٌ] ١٩: ﴿**وفي أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم**﴾ لمّا وصفهم بالصلاة ثنّى بوصفهم بالزكاة والبرّ والصِّلة، أي: جزءٌ مقسوم قد أفرزوه [من أموالهم] للسائل والمحروم ٢٠: ﴿**وفي الأرضِ آياتٌ للمُوقنين**﴾ فيها من الآيات الدالّة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ٢١: ﴿**وفي أنفسِكم أفلا تُبصِرُون**﴾؟ [من تفكّر في نفسه علم أنّه خُلق ليعبدَ الله وحده] ٢٢: ﴿**وفي السماءِ رِزْقُكم**﴾ المطر؛ ﴿**وما تُوْعَدُون**﴾ الجنّة ٢٣: ﴿**فَوَرَبِّ السماءِ والأرضِ إنّه لحقٌّ مِثْلَ ما أنّكم تنطِقون**﴾ يُقسِمُ تعالى بنفسه الكريمة أنّ ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائنٌ لا محالةَ فيه كما لا تشكوا فيه كما لاتشكوا في نطقكم حين تنطِقُون، قال الحسنُ البصري: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قاتَلَ اللهُ أقواماً أقسمَ لهم ربُّهم ثم لم يُصَدِّقوا» رواه ابن جرير ٢٤: ﴿**هَلْ أتاكَ حديثُ ضَيفِ إبراهيمَ المُكْرَمِين**﴾ الذين أرصدَ لهم الكرامة والضيافة ٢٥: ﴿**إذْ دَخلُوا عليه فقالوا سلاماً**﴾ وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، قدِمُوا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة، ولهذا ﴿**قال سلامٌ قومٌ منكَرُون**﴾ [أي: غرباء لا نعرفكم] ٢٦: ﴿**فَرَاغَ إلى أهله**﴾ انسلَّ خفيةً في سُرْعةٍ ﴿**فجاءَ بعجلٍ سَمِين**﴾ من خيار ماله ٢٧: ﴿**فقرّبَهُ إليهم**﴾ أدناه منهم ﴿**قال ألَا تأكُلون**﴾؟ تَلَطّفٌ في العبارة وعرضٌ حسنٌ ٢٨: ﴿**فأوجَسَ منهم خِيفةً**﴾ [أي: أحسَّ في نفسه خوفاً] ﴿**قالُوا لا تخفْ وبشّرُوه بغلامٍ عليمٍ**﴾ [أي: بولدٍ يُولد لهما، أي: من زوجته سارة، وهو إسحاق، عليم: أي من أهل النبوّة] ٢٩: ﴿**فأقبلتِ امرأتُهُ في صَرَّةٍ**﴾ في صرخةٍ عظيمة ﴿**فصكّتْ وجهَهَا**﴾ ضربت على جبينها ﴿**وقالَتْ عَجُوزٌ عقيمٌ**﴾؟ كيف ألِدُ وأنا عجوزٌ وكنت حال الصِّبا عقيماً؟! ٣٠: ﴿**قالوا كذلِكِ قالَ ربُّكِ**﴾ [فلا تشكّي فيه] ﴿**إنّه هو الحكيمُ**﴾ في أقواله وأفعاله ﴿**العليمُ**﴾ بمن يستحق من الكرامة.

الآية: ١٩ روى الشيخان أنّ رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بالطوّاف الذي تردّه واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكنّ المسكين الذي لايجد غنىً يُغنيه ولايُفطَنُ له فيُتصدَّق عليه». /ابن كثير ج٤/٢٣٤/

الجزء ٢٧
الحزب ٥٣

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

٣١: ﴿**قال فما خَطْبُكُمْ أيُّها المُرْسَلُون**﴾؟ ما شأنكم وفِيمَ جِئتُم **٣٢**: ﴿**قالوا إنّا أُرْسِلْنَا إلى قومٍ مجرمِين**﴾ يعنون قومَ لُوطٍ **٣٣**: ﴿**لِنُرْسِلَ عليهم حِجارةً مِن طينٍ**﴾ **٣٤**: ﴿**مسوّمة**﴾ معلّمة ﴿**عندَ ربِّكَ للمسرِفين**﴾ مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه، ﴿قال إنّ فيها لوطاً؟ قالوا نحنُ أعلمُ بمن فيها﴾ **٣٥**: ﴿**فأخرجنا مَن كانَ فيها من المؤمنين**﴾ وهم لوطٌ وأهل بيته إلّا امرأتَهُ **٣٦**: ﴿**فما وَجَدْنا فيها غيرَ بيتٍ مِنَ المسلمين**﴾ لوطٌ وأهل بيته **٣٧**: ﴿**وتركنا فِيها آيةً للذِين يخافُونَ العذابَ الأليم**﴾ جعلناها عبرةً بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال، وجعلنا محلتهم بحيرةً منتنةً خبيثة [وهي البحر الميت][1]. ففي ذلك عبرة للمؤمنين ﴿**للذين يخافون العذابَ الأليمَ**﴾ **٣٨**: ﴿**وفي موسى إذْ أرسلناهُ إلى فرعونَ بسلطانٍ مُبين**﴾ بدليلٍ باهرٍ وحُجّةٍ قاطعةٍ **٣٩**: ﴿**فتولّى بركنِهِ**﴾ فأعرض فرعون عمّا جاءه موسى من الحقِّ المُبين استكباراً وعناداً ﴿**وقال ساحِرٌ أو مجنُون**﴾ لا يخلو أمرُكَ فيما جئتني به من أنْ تكونَ ساحراً أو مجنوناً **٤٠**: ﴿**فأخذناهُ وجُنُودَهُ فنبذناهم**﴾ ألقيناهم ﴿**في اليَمِّ**﴾ وهو البحر [أي: البحر الأحمر] ﴿**وهو مُلِيمٌ**﴾ وهو مَلُومٌ كافِرٌ جاحِدٌ فاجرٌ مُعَانِدٌ **٤١**: ﴿**وفي عادٍ إذْ أرسلنا عليهِمُ الريحَ العقِيمَ**﴾ المفسدة التي لا تُنتِجُ شيئاً **٤٢**: ﴿**ما تَذَرُ مِن شيءٍ أتَتْ عليهِ**﴾ مِمّا تفسده الريح ﴿**إلّا جعلتْهُ كالرَّمِيم**﴾ كالشيء الهالِك البالي **٤٣**: ﴿**وفي ثَمُودَ إذْ قِيلَ لهم تمتَّعُوا حتى حين**﴾ انتظِرُوا العذاب ثلاثةَ أيام **٤٤**: ﴿**فَعَتَوْا عن أمرِ ربِّهم فأخذتهُمُ الصاعقةُ وهم ينظرُون**﴾ فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار **٤٥**: ﴿**فما استطاعُوا مِن قيامٍ**﴾ من هَرَبٍ ولا نُهوضٍ ﴿**وما كانوا مُنْتَصِرِين**﴾ ولا يقدرون على أن ينتصروا مِمّا هم فيه **٤٦**: ﴿**وقومَ نُوحٍ مِن قبلُ**﴾ وأهلكنا قومَ نوحٍ من قبل هؤلاء ﴿**إنّهم كانوا قوماً فاسِقِين**﴾ وكلُّ هذه القصص قد تقدّمت مبسوطة في أماكن كثيرةٍ من سورٍ متعدّدةٍ **٤٧**: يُنبّه تعالى على خلق العالم العلويّ والسفليّ فيقول: ﴿**والسماءَ بنيناها**﴾ جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿**بأَيْدٍ**﴾ بقوّةٍ ﴿**وإنّا لَموسِعُون**﴾ قد وسعنا أرجاءَها ورفعناها حتى استقلّت كما هي **٤٨**: ﴿**والأرضَ فَرَشْناها**﴾ جعلناها فراشاً للمخلُوقات ﴿**فنِعْمَ الماهِدُون**﴾ وجعلناها مهداً لأهلها **٤٩**: ﴿**ومِن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين**﴾ جميع المخلوقات أزواج ﴿**لعلّكم تذكَّرُون**﴾ لتعلموا أنّ الخالق واحدٌ لا شريكَ له **٥٠**: ﴿**فَفِرُّوا إلى اللهِ**﴾ الجؤوا إليهِ واعتمدوا في أموركم عليه ﴿**إنّي لكم منهُ نذيرٌ مُبينٌ**﴾ **٥١**: ﴿**ولا تجعلُوا معَ اللهِ إلهاً آخرَ**﴾ لا تُشرِكُوا بهِ شيئاً ﴿**إنّي لكم منهُ نذيرٌ مُبينٌ**﴾.

= (1) انظر تفسير الآيات من سورة هود/ ٧٤ فما بعدها، والحِجْر/ ٥٩ فما بعدها، والنمل/ ٥٦ فما بعدها، والشعراء/ ١٦٠ فما بعدها.

الآية: ٤١ الريح العقيم: هي الريح الجنوب، وفي الصحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور».

الآية: ٤٦ قال مجاهد: مامات مؤمنٌ إلاّ بكتْ عليه السماءُ والأرض، فقيل له: أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لاتبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لاتبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدويّ النّحل؟!. /ابن كثير ج٤/١٤٢/

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢: يقول تعالى مسلياً لنبيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**كذلك ما أتى الذين مِن قبلِهم مِن رسولٍ إلّا قالوا ساحرٌ أو مجنون**﴾ قال الله عزّ وجلّ: **٥٣**: ﴿**أتواصَوْا بهِ**﴾؟ أوصى بعضُهم بعضاً بهذه المقالة؟ ﴿**بَلْ هُمْ قومٌ طَاغُون**﴾ لكن هم قومٌ طُغاةٌ تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم، قال تعالى: **٥٤**: ﴿**فتولَّ عنهم**﴾ فأعرض عنهم يا محمد ﴿**فما أنتَ بملوم**﴾ فما نلومُكَ على ذلك **٥٥**: ﴿**وذكِّرْ فإنّ الذّكرى تنفعُ المؤمنين**﴾ إنّما تنتفع بها القلوبُ المؤمنة. ثم قال جلّ جلاله: **٥٦**: ﴿**وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدون**﴾ إنّما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لَا لاحتياجي **٥٧**: ﴿**ما أُريدُ منهم مِن رِزْقٍ وما أُريدُ أن يُطعمونِ**﴾ فهو سبحانه خلق العباد غير محتاجٍ إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم **٥٨**: ﴿**إنّ اللهَ هو الرزّاقُ ذُو القوّةِ المتين**﴾ [أي: الشديد القوي] **٥٩**: ﴿**فإنّ للذين ظلموا ذَنُوباً**﴾ نصيباً من العذاب ﴿**مثلَ ذنوبِ أصحابِهم فلا يستعجِلُون**﴾ إنّه واقعٌ لا محالة **٦٠**: ﴿**فويلٌ للذين كفرُوا مِن يومِهِمُ الذي يُوعَدُون**﴾ يوم القيامة.

تفسير سورة الطّور

١: ﴿**والطُّورِ**﴾ **٢**: ﴿**وكتابٍ مسطورٍ**﴾ يُقسم تعالى بمخلوقاته الدالّة على عظيم قدرته، والطور هو الجبل الذي كُلّم عليه موسى، فيه أشجار كثيرة، وما لم يكن فيه شجرٌ لا يُسمّى طوراً إنّما يقال له جبل، والكتاب المسطور: هو اللوح المحفوظ، والكتب المنزّلة **٣**: ﴿**في رَقٍّ منشُورٍ**﴾ [الرَّقُّ بالفتح: ما يُكتب فيه، وهو جلدٌ رقيق] وهو الكتب المنزّلة المكتوبة التي تقرأ على النّاس جهاراً **٤**: ﴿**والبيتِ المعمُورِ**﴾ وفي الصحيحين في حديث الإسراء: «ثم رُفِعَ بي إلى البيتِ المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودُون إليه آخر ما عليهم» يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، والبيت المعمور كعبة أهل السماء السابعة، وهو بحِيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبّد فيه أهلها ويصلّون إليه، والذي في السماء الدنيا يُقال له: بيتُ العِزّة **٥**: ﴿**والسقفِ المرفُوعِ**﴾ السماء، قال تعالى: ﴿وجعلنا السماءَ سقفاً محفوظاً﴾ **٦**: ﴿**والبحرِ المَسْجُورِ**﴾ الذي أضرم وأوقد يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وإذا البحار سُجِّرَتْ﴾ تأججت ناراً تحيط بأهل الموقف **٧**: ﴿**إنّ عذابَ ربِّكَ لواقعٌ**﴾ هذا هو المُقْسَمُ عليه؛ أي: لواقعٌ بالكافرين **٨**: ﴿**مَا لَهُ مِن دافِعٍ**﴾ ليسَ له دافعٌ يدفعه عنهم إذا أرادَ اللهُ بهم ذلك **٩**: ﴿**يومَ تمورُ السماءُ مَوْراً**﴾ تتحرّك تحريكاً، وتموج موجاً **١٠**: ﴿**وتَسيرُ الجبالُ سيراً**﴾ تذهب فتصير هباءً منبثّاً **١١**: ﴿**فويلٌ يومَئِذٍ للمكذّبين**﴾ ويلٌ لهم ذلك اليوم من عذاب الله **١٢**: ﴿**الذين هم في خَوضٍ يلعبُون**﴾ يتخذون دينهم هُزُواً ولعباً **١٣**: ﴿**يومَ يُدَعُّوْن إلى نارِ جهنّمَ دعّاً**﴾ يُساقون إلى النار ويُدفَعُون فيها دفعاً **١٤**: ﴿**هذه النّارُ التي كنتم بها تكذِّبُون**﴾ تقول لهم الزبانية ذلك، تقريعاً وتوبيخاً.

الآية: ٥٨ روى الإمام أحمد [قال الله تعالى في الحديث القدسي]: «ياابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنًى وأسدَّ فقرَكَ، وإلاّ تفعل ملأتُ صدرك شغلاً ولم أسدَّ فقرك» ورواه الترمذي وابن ماجه.

الآية: ٤ روى الشيخان في صحيحيهما أنّ رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رُفِعَ بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون=

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ٥٣

١٥: ﴿**أفسِحْرٌ هذا أم أنتم لا تُبصِرُون**﴾؟ [أي: هذا الذي ترون الآن بأعينكم] **١٦**: ﴿**اصْلَوْها**﴾ ادخلُوها دُخُولَ مَن تغمرُهُ من جميع جهاته ﴿**فاصْبِرُوا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم**﴾ سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا مَحِيدَ لكم عنها ولا خلاص لكم منها ﴿**إنّما تُجزون ما كنتم تعملون**﴾ ولا يظلمُ اللهُ أحداً بل يجازي كُلّاً بعمله **١٧**: ثم أخبر تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿**إنّ المتقين في جنّاتٍ ونعيم**﴾ وذلك بضِدِّ ما أولئك فيه من العذاب **١٨**: ﴿**فاكِهِينَ بما آتاهُمْ ربُّهُم**﴾ يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذّ ﴿**ووقاهُم ربُّهم عذابَ الجحيم**﴾ وقد نجاهم من عذاب النّار، وتلك نعمة مستقلّة بذاتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنّة **١٩**: ﴿**كلوا واشربُوا هَنِيئاً بما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ بما أسلفتُم في الأيام الخالية أي: هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً **٢١**: ﴿**متّكِئين على سُرُرٍ مصفوفة**﴾ السُّرُر في الحجال، روى ابن أبي حاتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الرجل ليتكئُ المتّكأ مقدار أربعين سنة ما يتحوّلُ عنه ولا يَمُلُّهُ، يأتِيهِ ما اشتهتْ نفسُهُ ولذّتْ عينُهُ»، ﴿**وزوّجناهم بحُورٍ عِينٍ**﴾ وجعلنا لهم قريناتٍ صالحاتٍ، وزوجاتٍ حِسَانٍ من الحُور العِين **٢١**: ﴿**والذين آمنوا واتّبعتْهُم ذُرِّيّتُهُم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذُرِّيّتَهُم**﴾ أنّ المؤمنين إذا اتّبعتهم ذُرِّيّاتُهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة ﴿وماألتناهم من عملهم من شيءٍ﴾ لاينقص ذلك من عملهم ولا من منزلتهم. ﴿**كل امرئٍ بما كسبَ رَهِين**﴾ لمّا أخبر عن مقام الفضل أخبر عن مقام العدل، وهو أنّه لا يُؤاخِذُ أحداً بذنب أحد، فكلٌّ مرتهن بعمله لا يُحمل عليه ذنبُ غيره **٢٢**: ﴿**وأَمْدَدْناهم**﴾ ألحقناهم ﴿**بفاكهةٍ ولحمٍ مِمّا يشتهون**﴾ **٢٣**: ﴿**يتنازَعُون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم**﴾ يتعاطون فيها كأساً من الخمر، لا هذيانَ ولا فُحش كما يتكلم به الشربةُ من أهل الدنيا **٢٤**: ﴿**ويطوفُ عليهم غِلْمانٌ لهم كأنّهم لؤلؤٌ مكنون**﴾ خَدَمُهم وحشمُهم في الجنّة كأنّهم اللؤلؤُ المكنون في حسنهم وبهائهم **٢٥**: ﴿**وأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءلُون**﴾ أقبلوا يتحادَثُون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا **٢٦**: ﴿**قالوا إنّا كُنّا قبلُ في أهلنا مُشفِقِين**﴾ كنّا في الدار الدنيا ونحنُ بين أهلينا خائفين من ربِّنا مشفقين من عذابه وعقابه **٢٧**: ﴿**فمنَّ اللهُ علينا ووقانا عذابَ السَّمُوم**﴾ فتصدّقَ علينا وأجارنا مِمّا نخاف [والسَّمُوم: اسم من أسماء النار، وطبقة من طِباق جهنّم] **٢٨**: ﴿**إنّا كُنّا من قبلُ نَدْعُوهُ**﴾ نتضرّع إليهِ فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿**إنّه هو البَرُّ الرحيم**﴾ **٢٩**: ﴿**فذكِّرْ فما أنت بنعمةِ ربِّكَ بكاهنٍ ولا مجنُون**﴾ يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يبلِّغ رسالتَهُ إلى عبادِهِ وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفَى عنه ما يرميهِ بهِ أهلُ البهتان والفُجور، ثم قال تعالى منكراً عليهم في قولهم في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **٣٠**: ﴿**أم يقُولُون شاعرٌ نتربّصُ بهِ رَيبَ المَنُون**﴾؟ يقولون نصبر عليه حتى يأتيَهُ الموتُ فنستريح منه ومن شأنه **٣١**: ﴿**قُلْ تربَّصُوا فإنّي معكم من المتربصين**﴾ انتظروا فإنّي منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

= ألفاً لايعودون إليه، آخر ماعليهم» يعني يتعبَّدُون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك البيت المعمور كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل. /ابن كثير ج٤/٢٣٩/

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

٣٢: ﴿أم تأمُرُهُم أحلامُهم بهذا﴾ عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقُولُونه فيكَ مِن الأقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنّها كذب وزور **﴿أمْ هُمْ قومٌ طاغُون﴾** ولكن هم قومٌ طاغُون ضُلّال مُعانِدُون، فهذا الذي يحملهم على ما قالُوهُ فيك **٣٣: ﴿أمْ يقولُون تقوَّلَهُ بل لا يُؤمِنُون﴾** يقولون اختلق القرآن وافتراه من عند نفسه؛ بل كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة **٣٤: ﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صَادِقِين﴾** إن كانوا صادِقين في قولهم تقوّله وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذا القرآن **٣٥: ﴿أمْ خُلِقُوا مِن غيرِ شيءٍ أمْ هُمُ الخالِقُون﴾**؟ أوُجِدُوا من غير مُوجِدٍ؟ أم هم أوجدوا أنفسَهُم؟ بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم **٣٦: ﴿أمْ خَلقُوا السموات والأرضَ بلْ لا يُوقِنُون﴾** وهذا إنكارٌ عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنّه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك **٣٧: ﴿أم عندهم خزائنُ ربِّكَ أم هُمُ المصيطرون﴾**؟ أهم يتصرفون في المُلْكِ وبيدهم مفاتيح الخزائن؟ أم هم المُحاسِبون للخلائق؟ **٣٨: ﴿أم لهم سُلَّمٌ يستمعون فيه﴾**؟ مرقاة إلى الملأ الأعلى **﴿فَلْيَأْتِ مستمعُهم بسلطانٍ مُبين﴾** فليأتِ الذي يستمع لهم بحجة على صحة ما هم فيه من الفِعال؛ أي: ليس لهم سبيل إلى ذلك فليسُوا على شيء. ثم قال تعالى منكراً فيما نسبوه إليه من البنات **٣٩: ﴿أم له البناتُ ولكم البَنُون﴾**؟ وهذا تهديدٌ شديدٌ ووَعِيدٌ أكيد **٤٠: ﴿أم تسألُهم أجراً﴾** على إبلاغِك إيّاهم رسالةَ اللهِ؟ **﴿فهم مِن مَغْرَمٍ مُثقلُون﴾** لستَ تسألهم على ذلك شيئاً **٤١: ﴿أم عندهم الغيبُ فهم يكتبُون﴾**؟ ليس الأمر كذلك فإنّه لا يعلمُ مِن أهلِ السمواتِ والأرض الغيبَ أحدٌ إلّا الله **﴿أم يُريدُون كيداً فالذين كفروا هُمُ المكيدُون﴾** إنما يرجع وبال كيدهم للرسول وأصحابه على أنفسهم **٤٣: ﴿أم لهم إلهٌ غيرُ الله سبحانَ اللهِ عمّا يُشرِكُون﴾** وهذا إنكارٌ شديد على المشركين في عبادتهم الأصنامَ والأندادَ مع الله؛ ثم نزّه تعالى نفسَهُ الكريمة عمّا يقولون ويفترون فقال: **﴿سبحانَ اللهِ عمّا يُشركُون﴾** [أي: تنزّه وتقدّس عن إشراكهم] **٤٤: ﴿وإن يَرَوْا كِسفاً مِن السماءِ ساقِطاً﴾** عليهم يُعذّبون به لَما أيقنُوا بل **﴿يقُولوا سَحَابٌ مَرْكُوم﴾** متراكم **٤٥: ﴿فَذَرْهُم﴾** دَعْهُم يا محمد **﴿حتى يُلاقوا يومَهُمُ الذي فيه يُصْعَقُون﴾** وذلك يوم القيامة **٤٦: ﴿يومَ لا يُغني عنهم كيدُهم شيئاً﴾** لا ينفعهم كيدُهم الذي استعملوه في الدنيا ولا يجزي عنهم يوم القيامة شيئاً **﴿ولا هم يُنصرون﴾**، ثم قال تعالى: **٤٧: ﴿وإنّ للذين ظلمُوا عذاباً دُون ذلك﴾** قبل ذلك في الدار الدنيا، كقوله تعالى: ﴿ولَنُذِيقنّهم مِن العذابِ الأدْنَى دُون العذابِ الأكبر لعلّهم يرجِعُون﴾ ولهذا قال تعالى: **﴿ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون﴾** نُعذّبُهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلّهم يُنيبُون، ولكن لا يفهمون ما يُراد بهم **٤٨: ﴿واصْبِرْ لحكمِ ربِّكَ فإنّك بأعْيُنِنَا﴾** اصبرْ على أذاهم ولا تبالِهم فإنّك بمرأى مِنّا وتحت كلاءَتِنا **﴿وسبحْ بحمدِ ربِّكَ حين تقومُ﴾** من مجلسك ونومك، فكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام من مجلسه قال: «سبحانَكَ اللهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنتَ أستغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ» **٤٩: ﴿ومِن الليلِ فسبّحْهُ وإدْبارَ النُّجُوم﴾** اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، **﴿وإدْبار النجوم﴾** جُنوحها للغيبوبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

تفسير سورة النّجم

١: ﴿والنّجم إذا هَوَى﴾ إذا رُمي به الشياطينُ ٢: ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكم وما غَوَى﴾ هذا هو المُقْسَمُ عليه، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه تابع للحق ليس بضالٍّ ٣: ﴿وما ينطِقُ عَنِ الهَوَى﴾ ما يقولُ قولاً عن هوىً وغرض ٤: ﴿إنْ هو إلاّ وَحيٌ يُوحى﴾ إنّما يقول ما أُمِرَ بهِ يُبلِّغه إلى النّاس كاملاً من غير زيادة ولا نُقصان ٥: ﴿علَّمَهُ شَديدُ القُوى﴾ وهو جبريل عليه السلام ٦: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذُو قوّة شديدة ﴿فاستوَى﴾ جبريل عليه السلام ٧: ﴿وهو بالأُفُقِ الأعلى﴾ في الأرض حين تدلى ٨: ﴿ثم دَنَا فتدلّى﴾ فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه اللهُ عليها له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ٩: ﴿فكان قابَ قَوْسينِ أو أدْنَى﴾ فاقترب جبريل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمّا هبط عليه إلى الأرض ﴿أو أدْنَى﴾ هذه صيغة لإثباتِ المُخبَرِ عنهُ ونفي ما زادَ عليه ١٠: ﴿فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى﴾ جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى [وهذا تفخيمٌ للوحي] ١١: ﴿ما كذبَ الفُؤادُ ما رأى﴾ ما كذب فؤاد محمد ما رآه ليلة المعراج ١٢: ﴿أفتُمارُونه على ما يرَى﴾ [أي: أتجادِلُونَهُ وتُدافِعُونه في أنّه رأى الله تعالى]؟ فقد رآه بقلبه ليلة الإسراء ١٣: ﴿ولقدْ رآهُ نزلةً أخرى﴾ رأى جبريل في صورته مرتين: مرّة في الأرض والأخرى في السماء ١٤: ﴿عِندَ سِدْرَةِ المُنتهَى﴾ وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يُعْرَجُ بهِ من الأرض ١٥: ﴿عِندَها جنّةُ المأوَى﴾ [تعريفٌ بموضع الجنّة، وأنّها عند سِدرة المُنتهى] ١٦: ﴿إذْ يغشى السِّدرَةَ ما يغشى﴾ من فراش الذهب والملائكة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وغشيها نورُ الربِّ، وغشيها ألوان ماأدري ماهي» ١٧: ﴿مازاغَ البصَرُ وماطغَى﴾ ماجاوزَ ماأُمِرَ به، وهذه صفة عظيمة في الثبات ١٨: ﴿لقدْ رأى مِن آياتِ ربِّهِ الكُبْرَى﴾ الدّالة على قدرتنا وعظمتنا ١٩: ﴿أفرأيتُمُ اللّاتَ والعُزى﴾ يقول تعالى ذلك مقرِّعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام [التي سموها بهذه الأسماء] ٢٠: ﴿ومَنَاةَ الثالثَةَ الأخرى﴾؟ ٢١: ﴿ألكُمُ الذكرُ ولَهُ الأنثى﴾؟ أتجعلون له ولداً أنثى وتختارون لأنفسكم الذكور؟ ٢٢: ﴿تلكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ في مقاسمتكم ربّكم هذه القِسْمَةِ؛ أي: هي جور وباطل وسفاهة، ثم قال تعالى منكراً عليهم فيما ابتدعُوهُ وأحدثُوهُ من الكذب والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهةً: ٢٣: ﴿إنْ هيَ إلاّ أسماءٌ سمّيْتُمُوها أنتم وآباؤكم﴾ من تلقاء أنفسكم ﴿ما أنزلَ اللهُ بها مِن سُلْطان﴾ من حجّة ﴿إنْ يتّبِعُون إلاّ الظنَّ وما تهوَى الأنفس﴾ من سلوك مسلك الآباء الباطل، وتعظيم آبائهم الأقدمين ﴿ولقدْ جاءَهم مِن ربِّهِمُ الهُدَى﴾ لقد أرسل اللهُإليهم الرسول بالحقّ ٢٤: ﴿أم للإنسانِ ما تمنّى﴾؟ [أي: من شفاعة الأصنام] ٢٥: ﴿فللّهِ الآخرةُ والأولى﴾ إنّما الأمر إلى الله كله في الدنيا والآخرة، فكيف ترجون أيّها الجاهلون شفاعةَ هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو الذي لم يشرع عبادتها وقد نهى عنها على ألسنة جميع رسله؟! ٢٦: ﴿وَكَم مِن مَلَكٍ في السمواتِ لاتُغْني شَفَاعَتُهُمْ شَيئاً إلاّ مِن بَعدِ أن يَأذَنَ اللهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرضَى﴾ .

الآية: ١٣ روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ سُئل عن قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلةً آخرى﴾؟ فقال: «إنّما ذاك جبريل، لم أره في صورته التي خُلِقَ عليها إلاّ مرتين؛ رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض سادّ أعظم خلقه مابين السماء والأرض». /ابن كثير ج٤/٢٥٢/

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

٢٧: ﴿إنّ الذين لا يُؤمنون بالآخرة لَيُسمُّونَ الملائكةَ تسميةَ الأنثى﴾ يُنكر تعالى على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى **٢٨: ﴿وما لهم به من علم﴾** ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه بل هو كذب وزُور وافتراء وكفر **﴿إنْ يتّبعُون إلّا الظنّ وإنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً﴾** لا يُجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحقّ **٢٩: ﴿فأعرضْ عن من تولّى عن ذِكرِنا﴾** أعرِضْ عن الذي أعرضَ عن الحقّ وهَجَرَهُ، **﴿ولم يُرِدْ إلّا الحياةَ الدنيا﴾** وإنّما أكثر همّه ومبلغ علمه الدنيا فذاك هو غايةُ ما لا خيرَ فيهِ، ولهذا قال تعالى: **٣٠: ﴿ذلك مبلغُهُمْ من العلم﴾** طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلُوا إليه، **﴿إنّ ربَّكَ هو أعلمُ بِمَنْ ضَلَّ عن سبيلِهِ وهو أعلم بمَنِ اهتَدى﴾** هو الخالِقُ لجميعِ المخلوقات والعالِمُ بمصالِح عباده، وهو الذي يهدي مَن يشاءُ، ويُضِلُّ مَن يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادِلُ الذي لا يجورُ أبداً لا في شرعه ولا في قَدَرِهِ **٣١: ﴿ولله ما في السمواتِ وما في الأرض﴾** يُخبر تعالى أنّه مالِكُ السموات والأرض وأنّه الغني عمّا سِواهُ الحاكم في خلقه بالعدل **﴿لِيَجْزيَ الذين أساؤوا بما عمِلُوا ويجزي الذين أحسنوا بالحُسْنَى﴾** يجازي كلاً بعمله إن خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرٌّ، ثم فسَّرَ المحسنين بأنّهم: **٣٢: ﴿الذين يجتنِبُون كبائرَ الإثمِ والفَواحِشَ إلّا اللَّمَمَ﴾** لا يتعاطُون المحرّمات الكبائر وإن وقع منهم بعضُ الصغائر، فإنّه يغفِرُ لهم ويستِرُ عليهم **﴿إنّ ربَّكَ واسِعُ المغفرة﴾** رحمته وسعتْ كلَّ شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، **﴿هو أعلمُ بكم إذ أنشأكُم مِن الأرضِ﴾** هو بصيرٌ بكم عليمٌ بأحوالكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض واستخرج ذُرّيّتَهُ من صلبه أمثال الذّرِّ، **﴿وإذْ أنتم أجِنّةٌ في بُطُونِ أمّهاتِكم﴾** قد كتبَ المَلَكُ الذي يُوكّلُ بِهِ رِزْقَهُ وأجلَهُ وعملَهُ وشَقِياً أم سَعيداً، **﴿فلا تُزَكُّوا أنفسَكم﴾** تمَدحُوها وتشكروها **﴿هو أعلمُ بِمَنِ اتّقى﴾** **٣٣: ﴿أفَرأيتَ الذي تولّى﴾**؟ هذا ذمٌّ لمن تولى عن طاعة الله، فلا صدّقَ ولا صلى ولكن كذّبَ وتولى **٣٤: ﴿وأعطَى قليلاً وأكدَى﴾** قليلاً ثم قطعَهُ **٣٥: ﴿أعِندَهُ علمُ الغيبِ فهو يَرى﴾**؟ أعندَ هذا الذي قد أمسك يَدَهُ خشيةَ الإنفاق أعنده علم الغيب أنّه سينفذ ما في يدِهِ حتى أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عياناً؟ **٣٦: ﴿أم لم يُنبّأ بما في صحفِ موسى﴾** **٣٧: ﴿وإبراهيم﴾** [أي: صحف إبراهيم] **﴿الذي وفّى﴾** بجميع الأوامر وترك جميعَ النواهي وبلّغ الرسالةَ على التمام **٣٨: ﴿ألّا تزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾** كلُّ نفسٍ ظلمتْ نفسَها بكفر أو شيء من الذنوب فإنّما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد **٣٩: ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلّا ما سعَى﴾** لا يحصل من الأجر إلّا ما كسَبَ هو لنفسه **٤٠: ﴿وأنّ سعيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾** يوم القيامة **٤١: ﴿ثم يُجزَاهُ الجزاءَ الأوفَى﴾** الأوفر **٤٢: ﴿وأنّ إلى ربِّكَ المنتهى﴾** يوم القيامة **٤٣: ﴿وأنّهُ هو أضحَكَ وأبكى﴾** خلق في عبادِهِ الضحكَ والبُكاءَ وسببَهُمَا وهما مختلفان **٤٤: ﴿وأنّه هو أماتَ وأحْيَا﴾** هو الذي خلقَ الموتَ والحياةَ.

الآية: ٣٢ عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكفِّراتٌ لمابينهُنَّ إذا اجْتُنِبَ الكبائرُ» صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ١٦/ وروى أيضاً: «مَنْ توضأ للصلاة فأسبغ الوضوءَ، ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاّها مع الجماعة غفرَ اللهُ له ذُنُوبَهُ» رقم ١٣/.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سجدة

سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

٤٥: ﴿وأنَّهُ خلقَ الزوجَين الذكَرَ والأنثى﴾ [أي: أولاد آدم] **٤٦: ﴿مِن نُطْفةٍ إذا تُمنَى﴾** [أي: تُصبُّ في الرحم] **٤٧: ﴿وأنَّ عليهِ النشأةَ الأخرى﴾** كما خلقَ البداءَةَ هو قادر على الإعادة في الآخرة يوم القيامة **٤٨: ﴿وأنَّهُ هو أغنى وأقنى﴾** مَلّكَ عبادَهُ المالَ وجعله لهم قنيةً مقياً عندَهم **٤٩: ﴿وأنّه هو ربُّ الشِّعْرَى﴾** وهو النجم الوقّاد، كانت طائفة من العرب يعبدونه **٥٠: ﴿وأنّه أَهْلَكَ عَاداً الأولَى﴾** وهم قومُ هُود، وعاد: ابن إرم بن سام بن نوح، كانوا من أشدّ الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى **٥١: ﴿وثَموداً فما أبقَى﴾** منهم أحداً **٥٢: ﴿وقومَ نُوحٍ مِن قبلُ﴾** من قبل هؤلاء **﴿إنّهم كانوا هُم أظلَمَ وأطغَى﴾** أشدّ تمرّداً من الذين مِن بعدِهم **٥٣: ﴿والمؤتفكة أهوَى﴾** مدائنَ قوم لوطٍ، قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارةً من سجيل منضود ولهذا قال تعالى: **٥٤: ﴿فغشَّاها ما غَشَّى﴾** من الحجارة التي أرسلها عليهم **٥٥: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكَ تتَمارَى﴾**؟ ففي أيِّ نِعَمِ اللهِ عليك أيُّها الإنسان تمتري؟ **٥٦: ﴿هذا نذيرٌ﴾** محمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿مِنَ النُّذُرِ الأولى﴾** مِن جنسهم **٥٧: ﴿أزِفتِ الآزِفَةُ﴾** اقتربتِ القريبةُ وهي القيامة **٥٨: ﴿ليس لها مِن دُونِ اللهِ كاشفةٌ﴾** لا يدفعُها إذا وقعت مِن دُونِ اللهِ أحدٌ **٥٩: ﴿أفمِن هذا الحديثِ تعجبُونَ﴾**؟ يُنكر تعالى على المشركين في استماعهم للقرآن وإعراضهم عنه، [وعجبهم] أن يكون صحيحاً **٦٠: ﴿وتضحَكُونَ﴾** منه استهزاءً وسخريةً **﴿ولا تبكُونَ﴾** كما يفعلُ المُوقِنُون به **٦١: ﴿وأنتم سَامِدُونَ﴾** معرِضُون غافِلُون؟! **٦٢: ﴿فاسْجُدُوا للهِ واعبُدُوا﴾** فاخضَعُوا له وأخلِصُوا، ووحِّدُوهُ.

تفسير سورة القمر

١: ﴿اقْتَرَبَتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ يُخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها **٢: ﴿وإنْ يَرَوْا آيةً﴾** دليلاً وحُجّةً وبرهاناً **﴿يُعْرِضُوا﴾** لا ينقادوا له بل يتركونه وراء ظهورهم **﴿ويقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾** يقولون: هذا الذي شاهدناه من الحُجَج سحرٌ سحرَنا به، مضمحلٌ لا دوام له **٣: ﴿وكذّبوا واتّبَعُوا أهواءَهم﴾** كذّبُوا بالحقِّ إذْ جاءَهم واتبعُوا آراءَهم، وهذا من جهلهم وسخافة عقولهم **﴿وكلُّ أمرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾** الخير واقع بأهله والشرُّ واقعٌ بأهله **٤: ﴿ولقدْ جاءَهم مِنَ الأنباءِ ما فيهِ مُزْدَجَرٌ﴾** من الأخبار ما فيه واعِظٌ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب **٥: ﴿حكمةٌ بالِغةٌ﴾** في هدايته تعالى لمن هداه، وإضلاله لمن أضلّه **﴿فما تُغني النُّذُرُ﴾**؟ أيّ شيءٍ تُغني النُّذُرُ عمّن كتبَ اللهُ عليهِ الشقاوَةَ وختمَ على قلبه؟ فَمنِ الذي يهديهِ مِن بعدِ اللهِ؟ **٦: ﴿فتولَّ﴾** يا محمدُ **﴿عنهم﴾** عن هؤلاء الذين إذا رَأَوْ آيةً يُعرِضُوا ويقولوا سحرٌ مستمر، **﴿يومَ يدعُ الداعِ إلى شيءٍ نُكُرٍ﴾** إلى شيءٍ منكرٍ فظيعٍ، وهو موقف الحِسَاب وما فيه من الأهوال.

الآية: ١ روى الشيخان عن أنس بن مالك: «أنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريَهم آيةً فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما». /ابن كثير ج٤/٢٦١/

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

الحزب ٥٣

٧: **﴿خُشَّعاً أبصارُهم﴾** ذليلة أبصارهم **﴿يخرجُون مِن الأجداثِ﴾** وهي القبور **﴿كأنّهم جَرادٌ منتشِرٌ﴾** كأنّهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للدّاعي جرادٌ منتشرٌ في الآفاق، ولهذا قال تعالى: ٨: **﴿مُهْطِعِين﴾** مُسرِعين **﴿إلى الداعي﴾** لا يُخالِفون ولا يتأخرون، **﴿يقولُ الكافِرُون هذا يومٌ عَسِرٌ﴾** يوم شديدُ الهول عَبُوسٌ قمطرير ٩: **﴿كذّبَتْ قبلَهُمْ قومُ نوحٍ﴾** كذّب قبل قومِكَ يا محمد قومُ نوح **﴿فكذّبُوا عبدنا﴾** صَرَّحُوا له بالتكذيب واتهمُوهُ بالجُنون **﴿وقالوا مجنونٌ وازْدُجِرَ﴾** استطير جُنوناً، وتوعدوه ١٠: **﴿فدَعَا ربَّهُ أنّي مغلوبٌ فانتصِرْ﴾** إنّي ضعيفٌ عن مقاومة هؤلاء فانتصرْ أنت لدِيْنِكَ ١١: **﴿ففَتَحْنَا أبوابَ السماءِ بماءٍ منهمرٍ﴾** وهو الكثير ١٢: **﴿وفجّرْنَا الأرضَ عُيُوناً﴾** نبعتْ جميعُ أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عُيُوناً **﴿فالتقى الماءُ﴾** من السماء والأرض **﴿على أمرٍ قدْ قُدِرَ﴾** على أمرٍ مقدَّرٍ ١٣: **﴿وحملناهُ على ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ﴾** ذات أضلاع [مثبّتةٍ] بالمسامير ١٤: **﴿تجري بأعيننا﴾** بأمرنا بمرأى منّا وتحت حفظنا وكلاءتنا، **﴿جزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ﴾** جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوحٍ عليه السلام ١٥: **﴿ولقد تركناها آيةً﴾** أبقى اللهُ سفينةَ نوحٍ حتى أدركها أوّل هذه الأمة **﴿فهَلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾**؟ فهل مَن يتذكر ويتعظ؟ ١٦: **﴿فكيفَ كانَ عذابي ونُذُرِ﴾**؟ كيف كان عذابي لمن كفرَ بي وكذّبَ رُسُلِي ولم يتعظ بما جاءت به نُذُري؟ وكيف انتصرتُ لهم؟ ١٧: **﴿ولقدْ يَسّرنا القرآنَ للذكرِ﴾** سهلنا لفظَهُ ويسّرنا معناه لمن أراده ليتذكَّرَ النّاسُ **﴿فهَلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾** فهل من مُتذكِّرٍ بهذا القرآن الذي يسَّرَ اللهُ حفظَهُ ومعناهُ ١٨: **﴿كذّبَتْ عادٌ فكيفَ كانَ عذابي ونُذُرِ﴾**؟ وهم قوم هود، كذّبُوا رسولهم فأرسل الله عليهم ريحاً: ١٩: **﴿إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صَرْصَراً﴾** وهي الباردة الشديدة البُرودة **﴿في يومِ نَحْسٍ مستمرٍ﴾** عليهم نَحْسُهُ ودمارُهُ، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي ٢٠: **﴿تنزِعُ النّاسَ﴾** تأتي أحدَهم فترفعه حتى تُغيّبَهُ عن الأبصار ثم تنكسه على رأسه **﴿كأنهم أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾** تثلغُ رأسَهُ فيبقى جُثّةً بلا رأسٍ ٢١: **﴿فكيفَ كانَ عذابي ونُذُرِ﴾**؟ ٢٢: **﴿ولقدْ يسَّرْنا القرآنَ للذِّكرِ فهَلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾**؟ ٢٣: **﴿كذّبَتْ ثَمُودُ بالنُّذُرِ﴾** كذبُوا صالحاً ٢٤: **﴿فقالوا أبشراً مِنّا واحداً نتبعُهُ إنّا إذاً لفي ضلالٍ وسُعُرٍ﴾**؟ يقولون: لقد خِبنا وخسرنا إن سلّمنا قِيادنا لواحدٍ مِنّا، ثم تعجّبوا من إلقاء الوحي عليه خاصّةً من دونهم: ٢٥: **﴿أأُلْقِيَ الذكرُ عليه مِن بيننا بَلْ هو كذّابٌ أشِرٌ﴾** متجاوز في حَدِّ الكذب، قال الله تعالى: ٢٦: **﴿سيعلَمُون غدًا مَن الكذابُ الأشِرُ﴾** وهذا تهديدٌ لهم شديدٌ ووعيدٌ أكيد، ثم قال تعالى: ٢٧: **﴿إنّا مُرْسِلُوا النّاقَةِ فتنةً لهم﴾** اختباراً لهم؛ أخرج الله تعالى لهم ناقةً عَشْرَاءَ من صخرةٍ صماء طبقَ ما سألوا لتكون حجّةَ اللهِ عليهم في تصديق صالح عليه السلام، فجاءهم بها، ثم قال تعالى: **﴿فارْتَقِبْهُم واصطَبِرْ﴾** انظرْ ما يُؤول إليه أمرهم، فإنّ العاقبة لك في الدنيا والآخرة.

الآية: ١٧ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: لولا أنّ الله يسَّرَهُ على لسانِ الآدميين مااستطاع أحدٌ من الخلق أن يتكلّم بكلام الله عزّ وجلّ. /ابن كثير ج٤/٢٦٤/

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

٢٨: ﴿ونبِّئْهُم أن الماء قِسْمَةٌ بينهم﴾ يومٌ لهم ويومٌ للناقة، وكانوا إذا غابتْ حضروا الماءَ، وإذا جاءت حضروا اللَّبن، ثم قال تعالى: **٢٩: ﴿فَنَادَوْا صاحِبَهُم﴾** وكان أشقى قومه **﴿فعقرَ﴾** [الناقة] **٣٠: ﴿فكيفَ كان عذابي ونُذُرِ﴾**؟ كيف كان عقابي الذي عاقبتُهم به على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟ **٣١: ﴿إنّا أرسلنا عليهم صيحةً واحدةً فكانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾** فبادُوا عن آخرهم لم تبقَ منهم باقية، وخَمَدُوا وهمدُوا كما يهمدُ يبيسُ الزرع والنبات **٣٢: ﴿ولقدْ يسَّرْنا القرآنَ للذكرِ فهلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾**؟ **٣٣: ﴿كذّبتْ قومُ لُوط بالنُّذُرِ﴾** كذَّبُوا رسولهم وخالفُوهُ وارتكبوا الفاحِشَةَ التي لم يسبقهم بها أحدٌ من العالَمين **٣٤: ﴿إنّا أرسلنا عليهم حاصِباً﴾** وهي الحجارة **﴿إلّا آلَ لُوطٍ نجيناهم بِسَحَرٍ﴾** خرجُوا من آخر الليل فنجَوْا مِمّا أصابَ قومَهم، ولم يؤمن به من قومه أحدٌ ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته، أصابها ما أصابَ قومَها، وخرج نبيُّ الله لُوطٌ وبناتٌ له لم يمسسهم، ولهذا قال تعالى: **٣٥: ﴿نِعْمَةً مِن عندِنا كذلك نجزي مَنْ شكرَ﴾** **٣٦: ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾** ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأسَ الله وعذابَهُ فما التفتُوا إلى ذلك ولا أصغَوْا إليه بل شكوا فيه **٣٧: ﴿ولقد راوَدُوهُ عن ضيفه﴾** وذلك ليلة وردَ عليه الملائكة في صورة شباب، فأضافَهم لوط عليه السلام، وبعثت امرأتُهُ العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضيافه، فأقبلُوا يهرعُون إليه، فأغلقَ لوطٌ دُونَهم الباب، فجعلُوا يُحاولون كسرَ الباب، ولوطٌ عليه السلام يُمانعهم دُون أضيافه، فلمّا اشتدَّ الحالُ وأبوا إلّا الدخول، خرجَ عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينَهم **﴿فطَمَسْنا أعينَهم﴾** فرجعُوا على أدبارهم يتحسَّسُون بالحيطان ويتوعَّدُون لوطاً عليه السلام إلى الصباح، قال الله تعالى: **٣٨: ﴿ولقدْ صبَّحهُم بُكرَةً عذابٌ مُستَقِرٌّ﴾** لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه **٣٩: ﴿فَذُوقوا عذابي ونُذُرِ﴾** **٤٠: ﴿ولقد يَسَّرْنَا القرآنَ للذكرِ فهل مِنْ مُدَّكِرٍ﴾**؟ **٤١: ﴿ولقد جاءَ آلَ فرعونَ النُّذُرُ﴾** جاءهم موسى وأخوه هارون بآيات متعدّدة قال تعالى: **٤٢: ﴿كذّبُوا بآياتنا كلِّها فأخذناهم أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ﴾** فأبادَهم اللهُ ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر، ثم قال تعالى: **٤٣: ﴿أكفّارُكم﴾** أيها المشركون **﴿خيرٌ مِن أولئكَ﴾** من الذين أُهلِكوا بسبب تكذيبهم الرسل، أأنتم خير أم أولئكم؟ **﴿أم لكم بَرَاءَةٌ في الزُّبُرِ﴾** أمعكم من اللهبراءة؟ [منزّلة في الكتب] أن لا ينالكم العذاب؟ **٤٤: ﴿أم يقولون نحنُ جميعٌ مُنتَصِرٌ﴾**؟ إنّ جمعهم يُغني عنهم من أرادَهم بسوء، قال تعالى: **٤٥: ﴿سيُهزَمُ الجمعُ ويولُّون الدُّبُرَ﴾** سيتفرّق شملهم ويُغلَبُون **٤٦: ﴿بَلِ الساعةُ موعِدُهم والساعةُ أدْهَى وأَمَرُّ﴾** [أي: ممّا لحقهم يوم بدر] **٤٧: ﴿إنّ المجرمين في ضلالٍ﴾** [أي: في حيدةٍ عن الحق] مِمّا هم فيه من الشكوك **﴿وسُعُرٍ﴾** [أي: احتراق] **٤٨: ﴿يومَ يُسحبون في النّارِ على وُجوهِهِم﴾** كما كانوا في شكٍّ وتردّد، ويُقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: **﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾** **٤٩: ﴿إنّا كلَّ شيءٍ خلقناهُ بقدرٍ﴾**، وفي صحيح مسلم قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ اللهَ كتبَ مقاديرَ الخلق قبلَ أن يخلق السمواتِ والأرض بخمسين ألف سنة».

الآية: ٣٢ قال رسول الله ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارْقَ ورتّلْ كما كنتَ ترتّلُ في الدنيا، فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرأ بها» رواه البخاري، وقال ﷺ: «الماهِرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكرام البَرَرةِ، والذي يقرأُ القرآنَ وَيتتعتَعُ فيه وهو عليه شاقٌّ، له أجران» رواه الشيخان في صحيحهما. /جامع الأصول ج٨/٥٠٢ – ٥٠٣/.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

الحزب ٥٤

٥٠: ﴿وما أمرُنا إلّا واحدةٌ كلمح بالبصر﴾ هذا إخبار عن نفوذ المشيئة في خلقه كما أخبر بنفوذ قَدَرِهِ فيهم؛ أي: إنّما نأمر بالشيء مرّةً واحدةً لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك حاصلاً موجوداً كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين **٥١: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾** أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل **﴿فهل مِن مُدَّكِرٍ﴾**؟ من مُتعظٍ بما أهلك الله أولئك وقدّر لهم من العذاب **٥٢: ﴿وكلُّ شيءٍ فعلُوهُ﴾** مكتوبٌ **﴿في الزُّبُرِ﴾** في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام **٥٣: ﴿وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ﴾** مِن أعمالِهم **﴿مُستطَرٌ﴾** مجموعٌ عليهم ومسطّرٌ في صحائفهم، لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها **٥٤: ﴿إنّ المتقين في جنّاتٍ ونَهَرٍ﴾** بعكس ما الأشقياء فيه مِن الضلال والسُّعُر، **﴿ونَهَرٍ﴾** [يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبَن] **٥٥: ﴿في مقعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾** عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدّرها.

تفسير سورة الرحمٰن

١: ﴿الرحمٰنُ﴾ ٢: ﴿علَّمَ القرآنَ﴾ ٣: ﴿خلقَ الإنسانَ﴾ ٤: ﴿علَّمَهُ البيانَ﴾ يُخبر تعالى عن فضلِهِ ورحمته بخلقه أنّه أنزل على عباده القرآن ويسَّرَ حفظَهُ وفهمه على مَن رحمَهُ، **﴿علّمَهُ البيان﴾** النُّطق بتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها، وأنواعها [وعلّمه اللغات كلها. والحلال والحرام. والهدى والضلال] [**﴿علّم القرآنَ﴾** علّمَهُ نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم حتى أدّاه إلى جميع النّاس] **٥: ﴿الشمسُ والقمرُ بِحُسْبانٍ﴾** يجريان مُتعاقِبَين بحسابٍ متقنٍ لايختلف ولايضطرب ﴿لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهار﴾ **٦: ﴿والنجمُ والشجرُ يسجدان﴾** النّجمُ: ما انبسطَ على وجه الأرض من النبات، والنجم الذي في السماء، قال تعالى: ﴿ألم ترَ أنّ اللهَ يسجُدُ لهُ مَن في السمواتِ ومَن في الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجُومُ والجبالُ والشجرُ والدّوابُّ وكثيرٌ مِن النّاس﴾ **٧: ﴿والسماءَ رفعَها ووضعَ الميزان﴾** العدل **٨: ﴿ألّا تطْغَوْا في الميزانِ﴾** بالحق والعدل؛ لتكون الأشياء كلها بالحقِّ والعدل، ولهذا قال تعالى: **٩: ﴿وأقيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ ولا تخسِرُوا الميزان﴾** لا تبخسُوا الوزن بل زِنُوا بالحقِّ والقِسْط **١٠: ﴿والأرضَ وضعَها للأنام﴾** مهدها وأرسَاها ليستقرَّ على وجهها الأنام وهم الخلائق المختلفة **١١: ﴿فيها فاكهةٌ﴾** مختلفة الألوان والطعوم **﴿والنخلُ ذاتُ الأكمامِ﴾** أفرد النخل لشرفه ونفعه رطباً ويابساً، والأكمام: أوعية الطلع الذي يطلع فيه العنقود **١٢: ﴿والحَبُّ ذُو العصفِ والريحان﴾** كالقمح والشعير، والريحانُ: الورقُ الملتف على ساقها **١٣: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبان﴾**؟ فبأيِّ نِعَمِ الله وأنتم مغمُورون بها لا تستطيعُون إنكارها؟ [وهو خطاب للإنس والجنّ] ونحنُ نقول كما قالت الجنّ المؤمنون: اللهم ولا بشيءٍ من آلائكَ ربّنا نكذب، فلكَ الحمد **١٤: ﴿خلقَ الإنسانَ مِن صَلْصَالٍ﴾** [أي: الطين اليابس] **﴿كالفخار﴾** [أي: الذي طُبِخ] **١٥: ﴿وخلقَ الجانَّ مِن مارجٍ﴾** [أي: من لهب النّار]، وخلق الملائكة من نور **١٦: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان﴾**؟ اللّهمَّ ولا بشيءٍ من آلائكَ ربَّنا نكذبُ فلكَ الحمدُ.

الآية: ١-٢ عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «مااجتمع قومٌ في بيتٍ من بيُوتِ الله تبارك وتعالى، يتلونَ كتابَ الله عزّ وجلّ، ويتدارَسُونَهُ بينَهُمْ، إلّا نزلتْ عليهِمُ السكينَةُ وغشيتهُمُ الرحمةُ، وحفّتْهُمُ الملائكة، وذكرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عندَهُ» رواه أبو داود وإسناده صحيح /جامع الأصول ج٨/٥٩٦/.

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

١٧: ﴿ربُّ المَشْـرِقَينِ وربُّ المغربَين﴾ مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وقال في الآية الأخرى: **﴿فلا أقسم بربِّ المشارق والمغارب﴾** وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه إلى النّاس، وقال في الآية الأخرى: **﴿ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلّا هو فاتخذهُ وكيلاً﴾** وهذا المراد منه جنسُ المشارق والمغارب، ولمّا كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجنّ والإنس قال تعالى: **١٨: ﴿فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان﴾؟ ١٩: ﴿مَرَجَ البَحْرَين يَلْتَقِيان﴾** منعهما أن يلتقيَا بما جعل بينهما من البَرْزخ الحاجز بينهما، والمراد بالبحرين: الملح والحلو، قال تعالى: **﴿وهو الذي مَرَجَ البحرين هذا عذبٌ فُراتٌ وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ. وجعلَ بينهما بَرْزَخاً وحِجْراً مَحْجُوراً﴾**. والمراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض **٢٠: ﴿بينَهُما بَرْزخٌ لا يبغيان﴾** وهو الحاجز لئلّا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل منهما الآخر ويزيله عن صفته **٢١: ﴿فبأيّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟ ٢٢: ﴿يخرج منهما اللُّؤْلُؤ والمَرْجان﴾** قال ابن عباس: ما سقطت قطرة من السماء في البحر فوقعت في صَدَفَةٍ إلّا صارَ منها لؤلؤة، والمرجان صغاره **٢٣: ﴿فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذّبان﴾؟ ٢٤: ﴿وله الجَوَارِ المُنشَـآتُ في البحرِ كالأعلام﴾** السُّفن التي تجري في البحر كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر المنقولة من قطر إلى قطر **٢٥: ﴿فبأيّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟ ٢٦: ﴿كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ﴾** يُخبر تعالى أنّ جميعَ أهل الأرض سيذهبُون ويمُوتُون أجمعون **٢٧: ﴿ويبقَى وَجْهُ ربِّكَ ذُو الجَلالِ والإكرام﴾** فالرّبُّ تعالى وتقدّس لا يموت، بل هو الحيُّ الذي لا يموت أبداً، فهو ذو العظمة والكبرياء **٢٨: ﴿فبأيّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟ ٢٩: ﴿يَسْأَلُهُ مَن في السمواتِ والأرضِ كلَّ يومٍ هو في شأنٍ﴾** وهذا إخبارٌ عن غناه عمّا سِوَاهُ، وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات وأنّهم يَسْألونه بلسان حالهم وقالهم، وأنّه كل يومٍ هو في شأن؛ بأن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً أو يشفي سقيماً: **٣٠: ﴿فبأيّ آلاء ربّكما تكذبانِ﴾؟ ٣١: ﴿سَنفرُغُ لكم أيُّها الثقلان﴾** هذا وعيدٌ من الله تعالى للعباد وليس بالله شغلٌ وهو فارغ، لا يُشغله شيءٌ عن شيء، والثقلان: الجنّ والإنس **٣٢: ﴿فبأيِّ آلاء ربّكما تكذّبان﴾؟ ٣٣: ﴿يا معشرَ الجنِّ والإنسِ إنِ استطعتم أن تنفُذُوا من أقطارِ السمواتِ والأرضِ فانفذُوالا تنفذون إلّا بسلطان﴾** لا تستطيعُون هَرَباً من أمر الله وقدره بل هو محيطٌ بكم، **﴿إلّا بسلطان﴾** إلّا بأمر الله **٣٤: ﴿فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان﴾؟ ٣٥: ﴿يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ من نار﴾** لهب النار الأخضر **﴿ونُحاس﴾** دخان النّار **﴿فلا تنتصِرَان﴾** وهذا في مقام الحشر، [تردّهم بهما الملائكة إذا هربُوا] **٣٦: ﴿فبأيّ آلاءِ ربّكما تكذّبان﴾؟ ٣٧: ﴿فإذا انشقتِ السماءُ فكانت وردةً كالدِّهَانِ﴾** يوم القيامة، تذوب كما تذوب الفضّة في السَّبْكِ وتتلوّن كما تتلوّن الأصباغ فتارة حمراء وصفراء وخضراء، وذلك من شدّة هول يوم القيامة **٣٨: ﴿فبأيّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟ ٣٩: ﴿فيومَئِذٍ لا يُسْأَلُ عن ذنبهِ إنسٌ ولا جانٌّ﴾** هذا بعد ما يُؤمَرُ بهم إلى النّار، فذلك الوقت لا يُسألون عن ذنوبهم، بل يُقادُون إليها ويُلقون فيها **٤٠: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟** اللهمَّ ولا بشيءٍ من آلائكَ ربَّنا نكذّبُ فلكَ الحمدُ.

الآية: ٢٦ عن ابن عمر قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ فجاءه رجلٌ من الأنصار، فسلّم على النبي ﷺ ثم قال: يارسول الله أيُّ المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنُهُم خُلقاً» قال: فأيّ المؤمنين أكيَسُ؟ قال: «أكثرُهم للموتِ ذكراً، وأحسنُهُم لِما بعدَهُ استعداداً، أولئك الأكياسُ»!! صحيح بن ماجه ج٢/٤١٩/ رقم ٣٤٣٥/.

يَعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٤١: ﴿يُعرَفُ المُجرِمُون بِسِيْمَاهُم﴾ بعلاماتٍ تظهر عليهم؛ باسودادِ الوجوه وزُرْقة العُيُون **﴿فيُؤخَذ بالنَّواصِي والأقدام﴾** يجمع الزبانيّةُ ناصيتَهُ مع قدميه ويُلقُونَهُ في النّار كذلك **٤٢: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذّبان﴾؟ ٤٣: ﴿هذه جهنَّمُ التي يُكذِّبُ بها المجرِمُون﴾** هذه النّار التي كنتُم تكذِّبُون بوجُودها، هَاهِي حاضِرةٌ تشاهِدُونها عياناً، يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً **٤٤: ﴿يَطُوفُون بينها وبينَ حَميمٍ آنٍ﴾** تارةً يُعذَّبون في الجحيم وتارةً يُسقون مِنَ الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يُقطع الأمعاءَ والأحساءَ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسَّلاسِلُ يُسْحَبُون في الحميم ثم في النّار يُسْجَرُون﴾، و﴿آنٍ﴾ حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يُستطاع من شدّة ذلك **٤٥: ﴿فبأيّ آلاءِ ربِّكما تُكذّبان﴾؟ ٤٦: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربِّهِ جنّتان﴾** وقوله تعالى: ﴿ومن دُونِهمَا جنّتان﴾ جنّتان مِن ذهب للمقرّبين، وجنّتان مِن وَرِقٍ لأصحاب اليمين **٤٧: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذّبان﴾؟ ٤٨: ﴿ذَواتَا أفنانٍ﴾** أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة **٤٩: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟ ٥٠: ﴿فيهما عَينانِ تَجْريانِ﴾** تَسْرَحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان **٥١: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان﴾؟** عينان: إحداهما يُقال لها تسنيم، والأخرى السلسبيل **٥٢: ﴿فيهما مِن كلِّ فاكهةٍ زَوْجانِ﴾** من جميع أنواع الثمار مِمّا يعلمون وخيرٌ مِمّا يعلمون، ومِمّا لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشر **٥٣: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟ ٥٤: ﴿مُتّكِئين على فُرُشٍ بطائنُها من إسْتَبْرَقٍ﴾** أهل الجنّة، والمراد بالاتكاء ههنا الاضطجاع، والاستبرق: ما غَلُظَ من الديباج المزيّن بالذهب، هذه البطائن، والظواهر من نور، وعلى الظواهر المحاسنُ ولا يعلم ما تحت المحاسن إلّا اللهُ تعالى، **﴿وجَنَى الجنتَيْنِ دانٍ﴾** ثمرُهُمَا قريبٌ إليهم متى شاؤوا على أيِّ صفةٍ كانوا، كما قال تعالى: **﴿قُطوفُها دانِيَةٌ﴾**، **﴿وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تذليلاً﴾** لا تمتنع مِمّن تناوَلها بل تنحط إليه من أغصانها **٥٥: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان﴾؟ ٥٦: ﴿فيهِنّ﴾** في الفُرُش **﴿قاصِراتُ الطرف﴾** غضيضاتٍ عن غير أزواجهِنَّ، فلا يرين في الجنّة أحسنَ من أزواجِهِنّ، **﴿لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبلَهُم ولا جانٌّ﴾** بل هُنَّ أبكارٌ عُرُبٌ أَتْرابٌ لم يطأهُنَّ أحدٌ قبل أزواجِهِنّ من الإنس والجنّ **٥٧: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان﴾؟ ٥٨: ﴿كأنّهُنَّ الياقُوتُ والمرجان﴾** في صفاء الياقوت وبياض المرجان، أي: اللؤلؤ **٥٩: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذّبان﴾؟ ٦٠: ﴿هَلْ جَزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ﴾؟** هل جزاء مَن أنعمتُ عليه بالتوحيد إلّا الجنّة؟ **٦١: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟ ٦٢: ﴿ومِن دُونِهِمَا جنّتانِ﴾** دُون اللّتين قبلهما في الرتبة **٦٣: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان﴾؟ ٦٤: ﴿مُدْهامّتانِ﴾** قد اسودَّتا من الخضرة من شدّة الريّ **٦٥: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان﴾؟ ٦٦: ﴿فيهما عينانِ نضّاختانِ﴾** ممتلئتان لا تنقطعان **٦٧: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذّبان﴾؟** اللهمَّ لا بشيءٍ مِن آلائِكَ ربّنا نكذِّبُ فلكَ الحمدُ.

الآية: عن أبي هريرة أنَّ أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله دُلّني على عمل إذا عملتُهُ دخلتُ الجنّةَ؛ فقال: «أن تعبدَ اللهَ ولاتشركَ به شيئاً، وتقيمَ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ المفروضة، وتصومَ رمضانَ»، قال: والذي نفسي بيده لاأزيد على هذا شيئاً أبداً ولاأنقص منه، فلمّا ولّى، قال: «مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فلينظُرْ إلى هذا» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٤

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

٦٨: **﴿فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمّانٌ﴾** [ذكر الفاكهة] أعمّ وأكثر في الأفراد، ثمّ عطف الخاصّ على العام، وإنّما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما ٦٩: **﴿فبأيِّ آلاء ربِّكما تكذّبان﴾**؟ ٧٠: **﴿فيهنَّ خيراتٌ حِسانٌ﴾** خيرات كثيرة حسنة في الجنّة [التي منها] المرأة الصالحة الخُلُق الحسنة الوجه ٧١: **﴿فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذّبان﴾**؟ ٧٢: **﴿حورٌ مقصُوراتٌ في الخيام﴾** [حُورٌ: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها **﴿مقصورات﴾** مستورات، **﴿في الخيام﴾**[لسنَ بالطّوّافات في الطرق] وعند البخاري: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ في الجنّة خيمة من لُؤلُؤة مجوّفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين، يطوف عليهم» ٧٣: **﴿فبأيِّ آلاء ربِّكما تكذّبان﴾**؟ ٧٤: **﴿لم يطمِثْهُنَّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ﴾** بل هُنَّ أبكار ٧٥: **﴿فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذّبان﴾**؟ ٧٦: **﴿مُتكِئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾** رياض الجنّة **﴿وعبقريٍّ حِسَانٍ﴾** ديباج، وهي بسط أهل الجنّة، [والعبقري: ثياب منقوشة تُبسط، فإذا قال خالق النّقُوش: إنّها حِسَانٌ فما ظنُّكَ بتلك العباقر]؟! ٧٧: **﴿فبأيِّ آلاء ربِّكما تكذّبان﴾**؟ اللهمَّ ولا بشيءٍ من آلائكَ ربَّنا نُكذِّبُ فلكَ الحمدُ ٧٨: **﴿تبارَكَ اسمُ ربِّكَ ذي الجَلالِ والإكرام﴾** هو أهلٌ أنْ يُجلَّ فلا يُعصَى، وأن يُكرم فيُعْبَدَ، ويُشكرُ فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا ينسى، وذي الجلال: أي: ذِي العظمة والكبرياء.

تفسير سورة الواقعة

١: **﴿إذا وقعتِ الواقِعَة﴾** الواقعة من أسماء يوم القيامة، سُمّيت بذلك لتحقق كونها ووجودها ٢: **﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾** إذا أرادَ اللهُ كونها لا دافع يدفعها ٣: **﴿خافضةٌ رافعةٌ﴾** تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم ٤: **﴿إذا رُجّتِ الأرضُ رجّاً﴾** حُرِّكت تحريكاً فاهتزت واضطربت وزلزلت ٥: **﴿وبُسَّتِ الجبالُ بَسّاً﴾** فُتّتْ فتّاً ٦: **﴿فكانت هباءً منبثاً﴾** كرهج الغبار يسطع ثم لا يبقى منه شيءٌ ٧: **﴿وكنتم أزواجاً ثلاثةً﴾** ينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف ٨: **﴿فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ﴾** [هم الذين يُؤخَذُ بهم ذاتَ اليمين إلى الجنّة] ٩: **﴿وأصحابُ المشأمةِ ما أصحابُ المشأمة﴾** [هم الذين يُوخَذُ بهم ذاتَ الشمال إلى النّار] ١٠: **﴿والسّابِقُون السّابِقُون﴾** هم الأنبياء عليهم السلام، [ومَن معهم مِن السابقين إلى الإيمان] من كلِّ أمّة ١١: **﴿أولئك المقرّبُون﴾** [إلى جزيل ثواب الله وعظيم كرامته] ١٢: **﴿في جنّاتِ النّعِيم﴾** [أي: مقرّبون عند الله في جنّاتِ النعيم] ١٣: **﴿ثُلّةٌ مِنَ الأوّلين﴾** جماعة من الأوَّلين ١٤: **﴿وقليلٌ مِنَ الآخِرين﴾** من هذه الأمة، قال أبو هريرة: لّما نزلتْ شقَّ ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت: ﴿ثُلّةٌ مِنَ الأوَّلين وثُلّةٌ مِنَ الآخِرين﴾ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي لأرجو أن تكونوا رُبعَ أهل الجنّة، ثُلثَ أهل الجنّة، بل أنتم نصف أهل الجنّة، وتقاسمونهم النصف الثاني» رواه أحمد ١٥: **﴿على سُرُرٍ مَوْضُونةٍ﴾** مضفُورةٍ بالذهب واللآلي ١٦: **﴿مُتّكِئين عليها متقابِلِين﴾** وُجُوه بعضِهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

١٧: ﴿يَطُوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُون﴾ مُخلَّدون على صفة واحدة لا يكبرون ولا يشيبُون ولا يتغيَّرون **١٨: ﴿بأكوابٍ﴾** الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان **﴿وأباريق﴾** التي جمعت الوصفين **﴿وكأسٍ﴾** الجميع من خمر **﴿مِن مَعِين﴾** ليس من أوعية بل من عُيُون سارحة **١٩: ﴿لا يُصَدَّعُون عنها﴾** لا تصَدَّعُ رُؤوسهم **﴿ولا ينزِفُون﴾** لا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدّة المطربة **٢٠: ﴿وفاكِهَةٍ مِمّا يتخيّرون﴾** ويطوفون عليهم بما يتخيَّرون مِن الثمار **٢١: ﴿ولحمِ طَيرٍ مِمّا يشتهُون﴾** روى أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ طيرَ الجنّةِ كأمثال البخت يرعى في شجر الجنّة» **٢٢: ﴿وحُورٌ عِينٌ﴾** ولهم فيها حُورٌ عين **٢٣: ﴿كأمثالِ اللؤلؤ المَكنون﴾** [أي: الذي لم تمسّه الأيدي ولم يقع عليه غبار فهو أشدّ ما يكون صفاءً وتَلألُؤاً] **٢٤: ﴿جزاءً بما كانُوا يعملُون﴾** على ما أحسنُوا من العمل **٢٥: ﴿لا يسمعُون فيها لَغواً ولا تأثيماً﴾** لا يسمعون في الجنّة كلاماً عَبثاً ولا كلاماً فيه قُبح **٢٦: ﴿إلّا قِيلاً سلاماً سلاماً﴾** إلّا التسليم منهم بعضهم على بعض و﴿تحيّتُهم فيها سلام﴾ **٢٧: ﴿وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمين﴾** أيُّ شيءٍ أصحاب اليمين؟ وما حالهم؟ وكيف مآلُهم؟ ثم فسَّرَ ذلك فقال تعالى: **٢٨: ﴿في سِدرٍ مخضُود﴾** هو الموقَّر بالثمر الذي لا شوك فيه **٢٩: ﴿وطلحٍ منضُود﴾** الطلح: الموز، منضود: متراكم الثمر **٣٠: ﴿وظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾** روى البخاري أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ في الجنّةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعها» **٣١: ﴿وماءٍ مسكوبٍ﴾** يجري في غير أخدُود **٣٢: ﴿وفاكِهةٍ كثيرةٍ﴾** متنوّعة الألوان والطعم والشكل **٣٣: ﴿لا مقطوعةٍ ولا ممنُوعة﴾** أكلها دائم مستمرٌ أبداً مهما طلبُوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيءٌ **٣٤: ﴿وفُرُشٍ مَرْفُوعةٍ﴾** عالية وَطيئةٍ ناعمة **٣٥: ﴿إنّا أنشأناهُنّ إنشَاءً﴾** في النشأة الأخرى بعدما كنّ عجائز صِرْنَ أبكاراً **٣٦: ﴿فجعلناهُنّ أبكاراً﴾** بعد الثيوبة عِدْنَ أبكاراً **٣٧: ﴿عُرُباً﴾** متحببات إلى أزواجهنّ بالحلاوة والظرافة والملاحة **﴿أتراباً﴾** على ميلاد واحد **٣٨: ﴿لأصحاب اليَمِين﴾** أنشأناهُنّ لأصحاب اليمين **٣٩: ﴿ثُلّةٌ مِنَ الأوّلين﴾** **٤٠: ﴿وثُلّةٌ مِن الآخرين﴾** جماعة من الأوّلين، وجماعة من الآخِرين **٤١: ﴿وأصحابُ الشمالِ ما أصحابُ الشمال﴾** لمّا ذكر تعالى أصحاب اليمين عطفَ عليهم بذكر أصحاب الشمال؛ أي: أيُّ شيءٍ هم فيه من أصحاب الشمال؟ ثم فسَّرَ ذلك فقال: **٤٢: ﴿في سَمُومٍ وحَمِيمٍ﴾** السُّموم: الهواء الحار، والحميم: الماء الحار **٤٣: ﴿وظِلٍّ مِن يحمُومٍ﴾** وهو الدخان الأسود **٤٤: ﴿لا باردٍ ولا كريمٍ﴾** ليس طيّب الهبُوب ولا حسن المنظر **٤٥: ﴿إنّهم كانُوا قبلَ ذلكَ مُترَفين﴾** كانوا في الدنيا منعمين مقبلين على لذاتِ أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل **٤٦: ﴿وكانُوا يُصِرُّون﴾** يقيمُون **﴿على الحِنثِ العظيم﴾** وهو الكفر بالله والشرك **٤٧: ﴿وكانوا يقولُون أئذا مِتنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أئنّا لمَبعُوثون﴾؟** **٤٨: ﴿أوَآباؤنا الأوّلُون﴾؟** إنّهم يقُولُون ذلك مكذِّبين به مستبعدين لوقُوعِه **٤٩: ﴿قُلْ إنّ الأوّلين والآخِرين﴾** **٥٠: ﴿لَمَجْمُوعُون إلى ميقاتِ يومٍ معلومٍ﴾** أخبرهم يا محمد أنّ الأوّلين والآخِرين من بني آدم سيُجمَعُون إلى عرصاتِ القيامة لا يُغادِرُ منهم أحداً.

الآية: ١٩ قال ابن القيم: نفَى اللهُ عن خمر الجنة آفات خمر الدنيا من الصُّداع والغول واللّغو والإنزاف وعدم اللّذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل، وتفسد الجسم

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

الحزب ٥٤

٥١: ﴿ثم إنّكم أيها الضـالُّون المكذِّبون﴾ ٥٢: ﴿لآكِلُون مِن شجرٍ مِن زقُّوم﴾ وذلك أنّهـم يُقبضون ويُسْجَرُون حتى يأكلُوا مِن شجر الزقوم ٥٣: ﴿فمَالِئُون منها البُطون﴾ يملأوا منها بُطونَهم ٥٤: ﴿فشارِبُون عليه مِن الحميمِ﴾ [وهو الماء المغليّ من صديد أهل النّار] ٥٥: ﴿فشارِبُون شُرْبَ الهِيمِ﴾ وهي الإبل العِطاش الظِّماء ٥٦: ﴿هذا﴾ الذي وصفنا ﴿نُزُلُهم يومَ الدِّين﴾ هو ضيافتهم عندَ ربِّهم يومَ حِسَابِهم ٥٧: ﴿نحنُ خلقناكم فلولا تُصَدِّقُون﴾ يقرّر تعالى أنه هو الذي ابتدأ خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً؛ فهلّا تصدّقون بأنّه قادر على الإعادة بطريق الأولى؟ ثمّ قال تعالى مستدلاً عليهم بقوله: ٥٨: ﴿أفَرَأيْتم ما تُمْنُون﴾؟ ٥٩: ﴿أأنتم تخلُقونَهُ أم نحنُ الخالِقون﴾؟ أنتم تقِرُّونه في الأرحام وتخلُقونه فيها؟ أم اللهُ الخالقُ لذلك؟ ثم قال تعالى: ٦٠: ﴿نحنُ قدَّرْنا بينكُمُ الموتَ﴾ صرفناهُ بينكم، وساوى فيه بين أهل الأرض ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ وما نحنُ بعاجزين ٦١: ﴿على أنْ نُبدِّلَ أمثالَكم﴾ نُغيّر خلقكم يوم القيامة ﴿ونُنشِئكم فيما لا تعلمون﴾ من الصفات والأحوال، ثم قال تعالى: ٦٢: ﴿ولقد علمتُمُ النشأةَ الأولى فلولا تذكّرُون﴾ قد علمتم أنّ اللهَ أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فهلّا تتذكرون وتعرفون أنّ الذي قدر على هذه النشأة قادرٌ على النشـأة الأخرى؟ ٦٣: ﴿أفرأيتُم ما تحرُثُون﴾ وهو شقُّ الأرض وإثارتها والبذر فيها ٦٤: ﴿أأنتم تزرَعُونَهُ﴾؟ تنبتُونه في الأرض؟ ﴿أم نحنُ الزارِعُون﴾؟ بل نحن الذي نقِرُّهُ قرارَهُ ونُنبتهُ في الأرض، روى ابن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يقُولنّ أحدُكم زرعتُ ولكن قلْ حرثتُ» ٦٥: ﴿لو نشاءُ لجعلناهُ حُطاماً﴾ نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمةً بكم، ولو نشاء لأيبسناه قبل استوائه ﴿فظلتم تفكّهُون﴾ [أي: تتعجّبُون بذهابها وتندمون مِمّا حلَّ بكم] ٦٦: ﴿إنّا لمغرَمُون﴾ ٦٧: ﴿بل نحنُ مَحْرُومُون﴾، فتنوّعُون كلامَكم فتقولون: إنّا لمقلُون إنّا لموقَعٌ بنا، إنّا لمعذّبون، بل نحن محرومون لا مالَ لنا ٦٨: ﴿أفَرَأيتُمُ الماءَ الذي تشرَبُون﴾؟ ٦٩: ﴿أأنتم أنزلتُمُوهُ مِن المُزْن﴾؟ السحاب ﴿أم نحنُ المُنْزِلُون﴾؟ ٧٠: ﴿لو نشاءُ جعلناهُ أجاجاً﴾ زعافاً مُرّاً لا يصلح لشربٍ ولا زرعٍ ﴿فلولا تشكُرُون﴾ فهلّا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطرَ عليكم عَذْباً زلالاً؟ ٧١: ﴿أفَرَأيتُمُ النّارَ التي تُورُون﴾؟ تقدَحُون من الزناد وتستخرِجُونها من أصلها ٧٢: ﴿أأنتُم أنشأتُم شجرتَها أم نحنُ المُنْشِئُون﴾؟ بل نحنُ الذين جعلناها مُودَعَةً في موضعها. وللعرب شجرتان المرخ والعفار إذا حُكَّ أحدُهما بالآخر تباين من بينهما شَرَرُ النّار ٧٣: ﴿نحنُ جعلناها تذكرةً﴾ تذكرةَ النّار الكبرى ﴿ومتاعاً للمُقْوِين﴾ للحاضر والمسافر وكل طعام لا يُصلحه إلّا النّار، ومن لطفه تعالى أن أودَعَها في الحجارة وخالص الحديد [تُدّخر في المنزل وفي امتعة السفر] ٧٤: ﴿فسبِّحْ باسمِ ربِّكَ العظيم﴾ [أي: عظّمْ ونزّه وقدِّسْ] الذي بقدرته خلق هذه الأشياء مصلحةً للعباد ٧٥: ﴿فلا أقسمُ بمواقع النجوم﴾ [لا: زيادة لتأكيد القسم] تقديره: أقسمُ بمواقِع النجوم ٧٦: ﴿وإنّه لقَسَمٌ لو تعلمون عظيمٌ﴾ إنّ هذا القسم الذي أقسمتُ به لقسمٌ عظيم لو تعلمون عظمته. ومواقعُ النجوم: منازلُها.

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيد

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٧٧: ﴿**إنّهُ لقرآنٌ كريمٌ**﴾ هذا القرآن الذي أنزلتُهُ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكتابٌ عظيم **٧٨**: ﴿**في كتابٍ مكنُون**﴾ معظَّمٌ في كتاب محفُوظٍ موقّر **٧٩**: ﴿**لا يَمَسّهُ إلّا المطهرون**﴾ الذين في السماء، يعني الملائكة، [وفي الأرض، يعني المصحف]، لا يمسه إلّا طاهر، روى مالك وأبو داود أنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يَمَسُّ القرآنَ إلّا طاهر» **٨٠**: ﴿**تنزيلٌ مِن ربِّ العالَمين**﴾ هذا القرآن منزّلٌ من اللهِ ربِّ العالمين، كما قال تعالى: ﴿وما تنزّلتْ بهِ الشياطينُ وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنّهم عن السمع لمعزُولُون﴾ **٨١**: ﴿**أفبهذا الحديث أنتم مُدْهِنُون**﴾ مكذبون بالقرآن؟! **٨٢**: ﴿**وتجعلون رِزْقَكم أنّكم تكذِّبُون**﴾ تكذّبون بدل الشكر [على نعمة القرآن] **٨٣**: ﴿**فلولا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ**﴾ الروحُ الحلقَ حين الاحتضار **٨٤**: ﴿**وأنتم حينئذٍ تنظُرُون**﴾ إلى المحتَضَر وما يكابِدُهُ من سكرات الموت **٨٥**: ﴿**ونحنُ أقربُ إليه منكم**﴾ بملائكتنا ﴿**ولكن لا تُبصِرُون**﴾ لا ترونهم **٨٦**: ﴿**فلولا إن كنتم غيرَ مَدِينين ترجِعُونها**﴾ فهلّا تُرجِعُون هذه النفس التي قد بلغت الحلقومَ إلى مكانها من الجسد إن كنتم غير محاسَبين؟! **٨٧**: ﴿**ترجِعُونها إن كنتم صادقِين**﴾ [أي: ولن تُرجِعُونها] **٨٨**: ﴿**فأمّا إن كان مِنَ المقرَّبين**﴾ هذه أحوال الناس عند احتضارهم، ﴿**من المقرَّبين**﴾ الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرّمات والمكروهات **٨٩**: ﴿**فَرَوْحٌ وريحانٌ وجنّةُ نعيم**﴾ فلهم بشارة الملائكة بذلك عند الموت كما في حديث البراء أنّ ملائكة الرحمة تقول: «أيّتها الروحُ الطيّبة في الجسد الطيّب، اخرجي إلى رَوْحٍ وريحان وربٍّ غيرِ غضبان»، ﴿**فَرَوْحٌ**﴾ راحة ﴿**وريحانٌ**﴾ مستراحة مسرورة **٩٠**: ﴿**وأمّا إنْ كانَ مِن أصحابِ اليمين**﴾ وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين **٩١**: ﴿**فسلامٌ لَكَ مِن أصحاب اليَمين**﴾ تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلامٌ لك، أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين **٩٢**: ﴿**وأمّا إن كان مِن المكذِّبين الضالّين**﴾ وأمّا إن كان المحتضر من المكذِّبين بالحقِّ الضالين عن الهدى **٩٣**: ﴿**فَنُزُلٌ**﴾ ضيافة ﴿**مِن حميم**﴾ وهو المذاب الذي يُصهر به ما في البطون والجلود **٩٤**: ﴿**وتصليةُ جحيمٍ**﴾ وتقريرٌ له في النّار التي تغمره من جميع جهاته **٩٥**: ﴿**إنّ هذا لَهُوَ حقُّ اليقين**﴾ إنّ هذا الخبر لهو حقُّ اليقين الذي لا مِرْيَةَ فيه ولا مَحِيدَ لأحدٍ عنه **٩٦**: ﴿**فسبِّحْ باسمِ ربِّكَ العظيمِ**﴾ لمّا نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في رُكُوعِكم»، ولمّا نزلت ﴿سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في سجودِكم»، سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ سبحانَ اللهِ العظيم.

تفسير سورة الحديد

١: ﴿**سبَّحَ للهِ ما في السموات**﴾ [أي: مجَّدَ اللهَ ونزّهَهُ عن السوء من الملائكة] ﴿**والأرض**﴾ من الإنسان والحيوان والنبات ﴿**وهو العزيزُ**﴾ الذي قد خضَعَ له كلُّ شيءٍ ﴿**الحكيم**﴾ في خلقه وأمره وشرعه **٢**: ﴿**له مُلْكُ السمواتِ والأرض يُحيي ويُميتُ**﴾ هو المالك المتصرِّف في خلقه فيُحيي ويُميت ويُعطي مَن يشاء ما يشاء ﴿**وهو على كل شيءٍ قدير**﴾ **٣**: ﴿**هو الأوّلُ**﴾ [لا شيءَ قبله] ﴿**والآخِرُ**﴾ [لا شيء بعده] ﴿**والظاهِرُ**﴾ على كل شيء ﴿**والباطِنُ**﴾ [ليسَ دُونه شيء] ﴿**وهو بكلِّ شيء عليمٌ**﴾ [أي: بما كان أو يكون وما هو كائن، فلا يخفى عليه شيءٌ].

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

٤: ﴿**هو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستّةِ أيّام**﴾ [هذا بيانٌ لبعض خلقه سبحانه] ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ [الاستواء غير مجهول والكيف غير معلوم] وقد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة الأعراف، ﴿**يعلمُ ما يلجُ في الأرض**﴾ يعلم عدد ما يدخل فيها من حبٍّ وقطر ﴿**ما يخرج منها**﴾ من نبات وزرع وثمار ﴿**وما ينزلُ مِن السماء**﴾ من الأمطار والأقدار ﴿**وما يعرج فيها**﴾ من الملائكة والأعمال ﴿**وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصيرٌ**﴾ رقيب عليكم شهيدٌ على أعمالكم حيث كنتم، والجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامَكم ويرى مكانَكم ويعلم سِرّكم ونجواكم ٥: ﴿**لهُ مُلْكُ السمواتِ والأرض**﴾ هو المالك للدنيا والآخرة ﴿**وإلى اللهِ ترجَعُ الأمورُ**﴾ وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى: ﴿وهو اللهُ لا إلهَ إلّا هو له الحمد في الأولى والآخرة﴾ ٦: ﴿**يُولِجُ الليلَ في النهارِ ويُولِجُ النّهارَ في الليل**﴾ هو المتصرّف في الخلق يُقلّب الليل والنهار، ويُقدّرهما بحكمته كما يشاء، فتارةً يُطوّل الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدِلَين، وتارة يكون الفصلُ شِتاءً ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لِما يُريده بخلقه ﴿**وهو عليمٌ بذاتِ الصدور**﴾ يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت ٧: ﴿**آمِنُوا بالله ورسوله**﴾ أمرَ تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، وبالدوام والثبات على ذلك ﴿**وأنفِقُوا مِمّا جعلكم مستخلَفِينَ فيه**﴾ وحثَّ سبحانه على الإنفاق ممّا جعلكم مستخلَفين فيه، أي ممّا هو معكم على سبيل العارية فإنّه قد كان في أيدي مَن قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى استعمال المال في طاعته ﴿**فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير**﴾ ترغيبٌ في الإيمان والإنفاق في الطاعة، ثم قال تعالى: ٨: ﴿**وما لكم لا تؤمنونَ باللهِ والرسولُ يَدْعُوكم لِتُؤمنوا بربّكم**﴾ وأيُّ شيء يمنعكم من الإيمان والرسولُ بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبيّن لكم البراهين على صحة ما جاءكم به؟! ﴿**وقد أخَذَ مِيثاقَكم**﴾ ويعني بذلك بيعةَ الرسول ﷺ ﴿**إنْ كنتم مؤمنين**﴾ [أي: إذْ كنتم مؤمنين] ٩: ﴿**هو الذي يُنزّلُ على عبدِهِ آياتٍ بيّنات**﴾ حُجَجاً واضحاتٍ ودلائلَ باهراتٍ وبراهين قاطعاتٍ ﴿**ليُخرِجَكم مِن الظلماتِ إلى النُّور**﴾ من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادّة إلى نور الهُدَى واليقين ﴿**وإنّ اللهَ بكم لرؤوفٌ رحيم**﴾ في إنزاله الكتاب وإرساله الرسل لهداية النّاس وإزالة الشُّبه. ولمّا أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ثم حثّهم على الإيمان وبيّن أنّه قد أزال عنهم موانعه حثّهم أيضاً على الإنفاق فقال تعالى: ١٠: ﴿**ومالكم ألّا تُنفِقُوا في سبيل الله**﴾ أنفِقُوا ولا تخشَوْا فقراً وإقلالاً ﴿**ولِلهِ ميراثُ السمواتِ والأرض**﴾ [أي: إنهما راجعتان إليه بانقراض مَن فيهما كرجُوع الميراث إلى المستحق له] ﴿**لا يستوي منكم مَن أنفقَ مِن قبلِ الفتحِ وقاتلَ**﴾ لايستوي هذا ومَن لم يفعل كفعله ﴿**أولئك أعظمُ درجةً مِن الذين أنفقوا مِن بعدُ وقاتلوا**﴾ وذلك أنّ قبل فتح مكة كان الحال شديداً، وأمّا بعدَ الفتح فإنّه ظهر الإسلام ﴿**وكلّاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى**﴾ كلهم لهم ثوابٌ على ماعملوا ﴿**والله بما تعملون خبيرٌ**﴾ ١١: ﴿**مَن ذَا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حسناً**﴾ هو النفقة في سبيل الله؟ ﴿**فيُضاعفَهُ لهُ ولهُ أجرٌ كريم**﴾ جزاءٌ جميل ورزق باهر، وهو الجنّة يوم القيامة.

يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم
بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا
فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ
ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ
أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ
فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ
ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

١٢: ﴿يوم ترَى المؤمنين والمؤمنات يسعَى نورُهم بين أيديهم وبأيمانِهم﴾ يُخبر تعالى عن المؤمنين المتصدِّقين أنّ نورَهم يسعى بين أيديهم في عَرَصاتِ القيامة بحسب أعمالهم **﴿بُشْرَاكُمُ اليومَ جنّاتٌ تجْري مِن تحتِها الأنهار﴾** لكم البشارة بجنّات **﴿تجري من تحتِها الأنهار خالِدين فيها﴾** ماكثين فيها أبداً **﴿ذلك هو الفوزُ العظيم﴾ ١٣: ﴿يومَ يقولُ المنافقُون والمنافقاتُ للذين آمنوا انظُرُونا نقتبسُ مِن نورِكم﴾** وهذا إخبارٌ منه تعالى عمّا يقع يوم القيامة في العَرَصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة، وإنّه لا ينجو يومئذٍ إلّا مَن آمنَ بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زَجَر، **﴿قِيلَ﴾** قال المؤمنون: **﴿ارجِعُوا وراءَكم﴾** من حيث جِئتُم من الظلمة فالتمِسُوا هنالك النّور، **﴿فالتمِسُوا نوراً﴾** روى الطبراني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله تعالى يدعو النّاسَ يومَ القيامة بأسمائهم ستراً منه على عبادِه، وأمّا عند الصراط فإنّ الله تعالى يُعطي كلَّ مؤمنٍ نوراً، وكلَّ منافق نوراً، فإذا استووا على الصراطِ سَلَبَ اللهُ نورَ المنافقين والمنافقات، فقال المنافِقون انظُرونا نقتبس من نورِكم، وقال المؤمنون ربَّنا أتمم لنا نورَنا، فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحداً»، **﴿فضُرِبَ بينهم بسورٍ له بابٌ باطِنُهُ فيه الرحمة﴾** هو حائط بين الجنّة والنّار، باطنه فيه الجنّة **﴿وظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العذاب﴾** النّار **١٤: ﴿يُنادُونَهُم﴾** يُنادي المنافِقون المؤمنين **﴿ألَم نكنْ معكم﴾** في الدنيا نشهد معكم الجماعات والواجبات؟ **﴿قالُوا بلَى﴾** قد كنتم معنا **﴿ولكنكم فتنتُم أنفسَكم وتربّصتم وارتبتم وغرّتكُمُ الأماني﴾** فتنتم أنفسكم باللذّات والمعاصي والشهوات، وتربّصتم بالحق وأهله، وارتبتم بالبعث بعد الموت، وقلتُم سيُغفر لنا **﴿حتى جاءَ أمرُ اللهِ﴾** ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت **﴿وغرّكم بالله الغرورُ﴾** الشيطان، كانوا على خدعة الشيطان **١٥: ﴿فاليومَ لا يُؤخَذُ منكم فديةٌ ولا من الذين كفروا﴾** لو جاء أحدُكم اليومَ بملءِ الأرضِ ذهباً ليفتدي من عذاب الله ما قُبِلَ منه **﴿مأواكُم النّارُ﴾** هي مصيركم و **﴿هي مولاكُم﴾** هي أولى بكم **﴿وبِئسَ المصيرُ﴾ ١٦: ﴿ألَم يأْنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ﴾** أمَا آنَ للمؤمنين أن تلين قلوبُهم عند الموعظة **﴿وما نزلَ مِن الحقّ﴾** القرآن عند سماعه، **﴿ولا يكونُوا كالذين أوتُوا الكتابَ مِن قبلُ فطالَ عليهم الأمَدُ فقسَتْ قلوبُهم﴾** نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لمّا طال عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً، **﴿وكثيرٌ منهم فاسِقُون﴾** في الأعمال، فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة **١٧: ﴿اعلمُوا أنّ اللهَ يُحيي الأرضَ بعد موتِها قدْ بيّنّا لكُمُ الآياتِ لعلّكم تعقِلُون﴾** فيه إشارة إلى أنّ الله تعالى يُلَيِّنُ القلوبَ بعد قسوتها ويهدي الحيارَى بعد ضلّتِها، كما يحيي الأرضَ الميتةَ بالغيث، كذلك يهدي القلوب القاسية بالقرآن **١٨: ﴿إنّ المُصَّدِّقِين والمُصَّدِّقاتِ وأقرضوا اللهَ قرضاً حسناً﴾** يُخبر تعالى عمّا يثيب هؤلاء بأموالهم لأهل الحاجة والفقر والمسكنة، ودفعُوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله، لا يريدون جزاءً مِمّن أعطوه ولا شكوراً **﴿يُضاعَفُ لهم﴾** الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة **﴿ولهم أجرٌ كريم﴾** ثواب جزيل ومآب حسن.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ
ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

١٩ : ﴿والذين آمنوا بالله ورُسُلِهِ أولئك هُم الصديقُون﴾ هذا وصف المؤمنين بالله ورُسُلِهِ بأنّهم صديقون **﴿والشهداءُ عند ربِّهم لهم أجرُهم﴾** في جنّات النعيم **﴿ونورُهم﴾** يسعَى بين أيديهم. **﴿والذين كفرُوا وكذّبُوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾** لمّا ذكر السعداءَ ومآلهم عطفَ بذكر الأشقياء وبيّن حالهم **٢٠**: يقول تعالى موهناً أمرَ الحياة: **﴿اعلَموا أنّما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾** إنّما حاصل أمرها عند أهلها **﴿كمثل غيثٍ﴾** وهو المطرُ الذي يأتي بعد قنوط النّاس، **﴿أعجبَ الكفارَ نباتُهُ﴾** يُعجب الزرّاع نباتُ ذلك الزرع الذي نبتَ بالغيث؛ كذلك تُعجب الحياةُ الدنيا الكفارَ، فإنّهم أحرصَ شيءٍ عليها وأميل النّاس إليها، **﴿ثم يهيجُ فتراه مصفراً ثم يكون حُطاماً﴾** هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابّةً ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضّاً طريّاً بهيَّ المنظر، ثم يشرع في الكهولة ثم يصير شيخاً كبيراً ضعيف القِوَى، ولما كان هذا المثل دالّاً على زوال الدنيا وأنّ الآخرة كائنة لا محالة؛ حذّر من أمرها فقال: **﴿وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ﴾** [أي: لمن كفر بالله] **﴿ومغفرةٌ مِن الله ورِضْوان﴾** [أي: لمن آمن به وبرسله وانقاد لشرعه] **﴿وما الحياةُ الدنيا إلّا متاع الغُرُور﴾** هي متاعٌ فانٍ غارٌّ لمن رَكَنَ إليه. وفي الصحيح: «لموضِعُ سَوطٍ في الجنّة خيرٌ مِن الدنيا وما فيها» **٢١**: **﴿سابِقُوا إلى مغفرةٍ مِن ربِّكم وجنّةٍ عرضُها كعرضِ السماء والأرض﴾** حثَّ اللهُ تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المنكرات التي تكفر عنه الذنوبَ والزلّات وتُحصّل له الثواب والدرجات، **﴿عرضُها كعرض السماءِ﴾** أي: جنس السماء كما قال تعالى: ﴿عرضها السمواتُ والأرض﴾، **﴿أُعِدّتْ للذين آمنوا باللهِ ورُسُلِهِ ذلك فضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يشاءُ واللهُ ذُو الفضلِ العظيم﴾** هذا الذي أهّلَهُمُ اللهُ له هو من فضلِهِ ومَنِّهِ عليهم وإحسانِهِ إليهم **٢٢**: **﴿ما أصابَ مِن مصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسِكم إلّا في كتاب﴾** يُخبر تعالى عن قدرِهِ السابق في خلقه **﴿مِن قبلِ أن نبرأَها﴾** مِن قبل أن نبرأ النسمة؛ فكلُ مُصيبةٍ بين السماء والأرض في كتاب الله [الأول] والمصيبة في الأرض هي السنون يعني الجدب، وفي الأنفس الأوجاع والأمراض، روى أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قدَّرَ اللهُ المقادير قبلَ أن يخلق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة» رواه مسلم، **﴿إنّ ذلك على اللهِ يسيرٌ﴾** سهل على الله عزّ وجلّ لأنه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون **٢٣**: **﴿لكيلا تأسَوْا على ما فاتكم ولا تفرحُوا بما آتاكم﴾** أعلمناكم بتقدّم علمنا وسَبْقِ كتابتنا للأشياء قبل كونها ووجودها؛ لتعلموا أنّ ما أصابكم لم يكن ليُخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسَوْا على ما فاتكم لأنّه لو قدّرَ شيئاً لكان، **﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾** لا تفخروا على النّاس بما أنعم الله به عليكم ولهذا قال تعالى: **﴿واللهُ لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فخور﴾** متكبر على غيرِهِ **٢٤**: **﴿الذين يبخلُون ويأمرون النّاس بالبُخل﴾** يفعلون المنكر ويحضون النّاس عليه **﴿ومَن يتولَّ﴾** عن أمر الله وطاعته **﴿فإنّ اللهَ هو الغنيُّ الحميدُ﴾**.

الآية: ١٩ وفي الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربّك اطلاعةً =

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٢٥: ﴿لقد أرسلنا رُسُلَنا بالبيّنات﴾ بالمعجزات والحجج الباهرات **﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾** وهو النقل الصدق **﴿والميزانَ﴾** وهو العدل **﴿ليقومَ النّاسُ بالقِسط﴾** بالحق والعدل، وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به **﴿وأنزلنا الحَديدَ فيه بأسٌ شديدٌ﴾** وجعلنا الحديدَ رادِعاً لمن أبى الحقَّ وعانَدَهُ بعد قيام الحُجّة عليه **﴿ومنافِعُ للنّاس﴾** في معايشهم من الآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة [والصناعة] وما لا قوامَ للناس بدونه، وغير ذلك، **﴿ولِيَعْلَمَ اللهُ مَن ينصُرُهُ ورُسُلَهُ بالغيب﴾** من نيّتُهُ في حمل السلاح نُصرةً لله ورسوله **﴿إنّ اللهَ قويٌّ عزيزٌ﴾** ينصُرُ مَن نصَرَهُ من غير احتياج منه إلى النّاس، وإنّما شرع الجهاد ليبلوَ بعضَكم ببعض **٢٦: ﴿ولقد أرسلنا نُوحاً وإبراهيمَ وجعلنا في ذُرّيّتِهما النبوّةَ والكِتابَ﴾** يُخبر تعالى أنّه منذ بعث نوحاً عليه السلام لم يُرسلْ بعده رسولاً ولا نبيّاً إلّا من ذريتِهِ، وكذلك إبراهيم عليه السلام، حتى كان آخر الأنبياء من سلالته من بني إسرائيل عيسى بن مريم[1]، ولهذا قال تعالى: **٢٧: ﴿ثم قفينا على آثارهم برُسُلنا وقفينا بعيسى ابنِ مريمَ وآتيناه الإنجيلَ وجعلنا في قلوبِ الذين اتبعُوه﴾** وهم الحواريُّون **﴿رأفةً﴾** رقة وهي الخشية **﴿ورحمةً﴾** بالخلق **﴿ورهبانيّة ابتدعُوها﴾** ابتدعتها أمّةُ النصارى **﴿ما كتبناها عليهم﴾** ما شرعناها لهم، وإنّما هُمُ التزموها مِن تلقاء أنفسهم، **﴿إلّا ابتغاءَ رِضوانِ اللهِ﴾** ما كتبنا عليهم ذلك إنّما كتبنا عليهم ابتغاءَ رضوانِ الله، **﴿فما رَعَوْها حقَّ رعايتِها﴾** فما قامُوا بما التزمُوهُ حقَّ القيام، وهذا ذَمٌّ لهم لابتداعهم في دين الله ما لم يأمرْ به اللهُ، ولعدم قيامهم بما التزمُوهُ بما زعموا أنّه قربة يُقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ. **﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرَهم﴾** هم الذين آمنوا به صلى الله عليه وآله وسلم وصدّقوهُ **﴿وكثيرٌ منهم فاسِقُون﴾** وهم الذين كذّبوه صلى الله عليه وآله وسلم وخالفوهُ **٢٨: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتّقُوا اللهَ وآمِنُوا برسولِهِ يُؤتِكم كفلَين مِن رحمتِه﴾** أجرَين؛ بإيمانهم بعيسى ابن مريم، وبالتوراة والإنجيل وبإيمانهم بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وتصديقهم، **﴿ويجعلْ لكم نُوراً تمشُونَ بهِ﴾** القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم **﴿ويغفِرْ لكم﴾** ذنُوبَكم **﴿واللهُ غفُورٌ رحيمٌ﴾ ٢٩: ﴿لئلّا يعلمَ أهلُ الكتابِ ألّا يقدِرُون على شيءٍ مِن فضل الله﴾** ليتحققوا أنّهم لا يقدرون على ردِّ ما أعطاهُ اللهُ ولا إعطاء ما منع الله **﴿وأنّ الفضلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتيهِ مَن يشاءُ﴾** [فضلُ الله: الإسلام، **﴿وأنّ الفضلَ بيدِ اللهِ﴾** ليسَ بأيدِيهم، فيصرفون النبوّةَ عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى مَن يُحِبّون]، وله الفضلُ **﴿واللهُ ذُو الفضلِ العظيمِ﴾**.

---

(١) تفسير تتمة الآية: **﴿فمنهم﴾** أي: من ذُريّتهما مهتدون **﴿وكثيرٌ منهم فاسِقون﴾** كافرون خارجون عن الطاعة. [عن تفسير القرطبي]. أي: من ذُرّيّتهما مهتدون **﴿مهتدٍ﴾** من اتّمّ بإبراهيم ونوح

= فقال: ماذا تريدون؟ فقالوا: نحب أن تردّنا إلى الدار الدنيا، فنقاتل فيك كما قاتلنا أوّل مرّة، فقال: إنّي قد قضيتُ أنّهم إليها لا يُرجعون». /ابن كثير ج٤/٣١٢/

الآية: ٢٧ روى أبو يعلى أنّ رسول الله ﷺ قال: «لاتشدّدوا على أنفسكم فيشدّد اللهُ عليكم، فإنّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات؛ رهبانية ابتدعوها ماكتبنَاها عليهم». وروى أبو يعلى أيضاً: «لكلّ أمّة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله». /ابن كثير ج٤/٣١٦/

سورة المجادلة — ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

تفسير سورة المُجادِلة

١: ﴿قدْ سمعَ اللهُ قولَ التي تجادِلُكَ في زوجِها﴾ هي خولة بنت ثعلبة تشتكي زوجها أوساً بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرتُ له بطني حتى إذا كبرت سنّي وانقطع ولدِي ظاهرَ مني؟! اللهمَّ إنّي أشكو إليك، فما بَرِحَت حتى نزلَ جبريل عليه السلام بهذه الآية: **﴿قدْ سمعَ اللهُ قولَ التي تُجادِلُكَ في زوجِها وتشتكي إلى اللهِ واللهُ يسمعُ تحاوُرَكما إنّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ﴾ ٢: ﴿الذين يُظاهِرُون منكم من نِسائِهم﴾** يقول لها: أنتِ عليّ كظهرِ أُمّي، وكان الظهارُ عند الجاهليّة طلاقاً، فأرخصَ اللهُ لهذه الأمة وجعل فيه كفارةً ولم يجعله طلاقاً. **﴿ما هُنّ أُمّهاتِهم إنْ أُمّهاتُهم إلّا اللائي ولَدْنَهُم﴾** لا تصيرُ المرأةُ بقول الرجلِ أنتِ عليّ كأُمّي أو مثل أُمّي وما أشبه ذلك؛ لا تصير أُمُّهُ بذلك، ولهذا قال تعالى: **﴿وإنّهم لَيَقُولُون منكراً مِن القولِ وزوراً﴾** كلاماً فاحِشاً باطِلاً **﴿وإنّ اللهَ لعفوٌّ غفورٌ﴾** عمّا كان منكم في حال الجاهليّة **٣: ﴿والذين يُظاهِرُون مِن نسائِهم ثم يَعُودُون لِما قالوا فتحريرُ رقبةٍ مِن قبلِ أن يتماسّا﴾** أن يعود [المُظاهر] إلى الجماع أو يعزم عليه، فلا تحلُّ له حتى يُكفِّرَ بهذه الكفّارة، فمن ظاهرَ امرأتَهُ فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلّا الكفارة **﴿مِن قبلِ أنْ يتماسّا﴾** المَسُّ: النكاح، وليس له أن يُقبلها حتى يُكفِّرَ، **﴿ذلكم توعَظُون بِهِ﴾** تزجرون به **﴿واللهُ بما تعمـلون خبيرٌ﴾** خبيرٌ بما يُصلحكم، عليمٌ بأحوالكم **٤: ﴿فَمَنْ لم يَجِدْ فصيامُ شهرين متتابِعَين﴾** مِن قبلِ أن يتماسّا **﴿فمَنْ لم يستطعْ فإطعامُ ستّينَ مسكيناً﴾** وهذا الترتيب في الصحيحين في قصّة الذي جامعَ امرأتَهُ في رمضان **﴿ذلك لِتُؤمِنُوا باللهِ ورسولِهِ﴾** شرعنا هذا لهذا، **﴿وتلك حُدُودُ اللهِ﴾** محارِمُهُ فلا تنتهكُوها **﴿وللكافِرِين عذابٌ أليمٌ﴾** الذين لم يُؤمِنُوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقِدُوا أنّهم ناجُون مِن البلاء، كلّا ليسَ الأمرُ كما زعَمُوا، بل لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة **٥: ﴿إنّ الذين يُحادُّون اللهَ ورسولَهُ﴾** الذين شاقّوا اللهَ ورسولَهُ وعانَدُوا شرعَهُ **﴿كُبِتُوا كما كُبِتَ الذين من قبلِهم﴾** أُهِينُوا ولُعِنوا وأُخزوا كما فعل بمَنْ أشبههم **﴿وقد أنزلنا آياتٍ بيّناتٍ﴾** واضحات لا يُعانِدُها إلّا كافر فاجِرٌ مكابر **﴿وللكافِرِين عذابٌ مُهينٌ﴾** في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله **٦: ﴿يومَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جميعاً﴾** وذلك يوم القيامة يجمع اللهُ الأوّلِين والآخِرين في صعيدٍ واحدٍ، **﴿فيُنبِّئُهُمْ بما عملوا﴾** من خيرٍ أو شرّ **﴿أحْصَاهُ اللهُ ونَسُوهُ﴾** ضبطَهُ اللهُ وحفظَهُ عليهم، وهم قد نَسُوا ماكانوا عمِلُوا **﴿واللهُ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾** لايغِيبُ عنهُ شيءٌ ولايخفى، ولاينسَى شيئاً، سبحانه وتعالى.

الآية: ٣ روى أصحاب السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أنّ رجلاً قال: يارسول الله إنّي ظاهرت من امرأتي فوقعتُ عليها قبل أن أُكفِّرَ، فقال: «ماحملك على ذلك يرحمُكَ اللهُ؟» قال: رأيتُ خلخالها في ضوء القمر، قال: «فلا تقربْهَا حتى تفعلَ ماأمرك اللهُ عزّ وجلّ». وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لايرى بأساً أن يغشاها فيما دون الفرج قبلَ أن يُكفِّرَ. /ابن كثير ج٤/٣٢١/

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

٧: يقول تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامَهم ورؤيته مكانَهم حيث كانوا **﴿أَلَمْ تَرَ أنّ اللهَ يعلمُ ما في السموات وما في الأرض ما يكونُ من نجوَى ثلاثةٍ﴾** مِن سِرٍّ ثلاثة **﴿إلّا هو رابِعُهم ولا خمسةٍ إلّا هو سادسهم ولا أدْنَى مِن ذلك ولا أكثرَ إلّا هو معهم أينَما كانوا﴾** مُطّلِعٌ عليهم يسمع كلامهم وسِرَّهم ونجواهم، ورُسُله [أي: ملائكته] مع ذلك تكتبُ ما يتناجَون بهِ مع علمِ اللهِ بهِ وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿ألم يعلموا أنّ اللهَ يعلم سِرَّهم ونجواهم وأنّ اللهَ علاّمُ الغيُوب﴾ ولهذا حكى غيرُ واحدٍ والإجماع على أنّ المراد بهذه الآية معيّة علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك. **﴿ثم يُنبّئُهُمْ بما عمِلُوا يومَ القِيامَةِ إنّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾** **٨**: **﴿ألَمْ تَرَ إلى الذين نُهُوا عَنِ النّجوَى ثم يعُودُون لِما نُهُوا عنه﴾** هم اليهود؛ كان بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين اليهود مُوادعة، وكانوا إذا مرَّ بهم الرجلُ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظنّ المؤمن أنّهم يتناجون بقتله أو بما يكرهُ المؤمنُ، فإذا رأى المؤمن ذلك ترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن النجوَى فلم ينتهوا وعادُوا إلى النجوى، فأنزل الله هذه الآية: **﴿ألَمْ تَرَ إلى الذين نُهُوا عَنِ النجوى ثم يَعُودُون لِمـا نُهُوا عنه ويتَناجَوْنَ بالإثمِ والعُدْوَانِ ومعصية الرسول﴾**؟ يتحدّثُون فيما بينهم بالإثم والعدوان [أي: بالكذب والظلم] ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويُصِرُّون عليها ويتواصَوْن بها. **﴿وإذا جاؤُوك حَيَّوْكَ بما لم يُحَيِّكَ بهِ اللهُ﴾** يقولون: السام عليك [والسَّامُ: الموتُ] وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سلّمَ عليكم أحدٌ من أهل الكتاب فقولوا: عليك» وفي رواية: «وعليكم»، **﴿ويقولون في أنفسهم لولا يُعذِّبُنا اللهُ بما نقول﴾** يفعلون هذا، وهو شتم في الباطن، ويقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبياً لعذّبنا اللهُ بما نقول، فقال تعالى: **﴿حسبُهم جهنّم﴾** جهنّم كفايتهم في الدار الآخرة **﴿يصلونها فبِئسَ المصير﴾** **٩**: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا تناجيتُم فلا تتناجَوْا بالإثمِ والعُدوان ومعصية الرسول﴾** كما يتناجَى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب **﴿وتناجَوْا بالبرِّ والتقوَى واتقُوا اللهَ الذي إليهِ تُحشَرُون﴾** فيُخبِرُكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم وسيجزيكم بها **١٠**: **﴿إنّما النّجوَى مِن الشيطان﴾** وهي المسارَّةُ حيث يتوهم المؤمن بها سُوْءاً **﴿من الشيطان﴾** من تسويله وتزيينه **﴿لِيَحْزُنَ الذين آمنوا﴾** لِيَسُوأَهم **﴿وليسَ بضارّهم شيئاً إلّا بإذنِ الله﴾** فمن أحسَّ من ذلك شيئاً فليستعِذْ بالله وليتوكل على الله فإنّه لا يضرّهُ شيءٌ بإذن الله. روى مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَى اثنانِ دُونَ الثالثِ إلّا بإذنِهِ، فإنّ ذلك يُحزِنُهُ» **١١**: **﴿يا أيُّها الذين آمَنُوا إذا قِيلَ لكم تفسَّحُوا في المجالِسِ فافْسَحُوا﴾** يأمر تعالى المؤمنين بأن يُحسِنَ بعضُهم إلى بعض في المجالس **﴿يَفْسَحِ اللهُ لكم﴾** وذلك أنّ الجزاء من جنس العمل **﴿وإذا قِيلَ انشُزُوا فانشِزُوا﴾** انهضوا للصلاة والقتال فأجيبوا، **﴿يَرْفَعِ اللهُ الذين آمنوا منكم﴾** [أي: في الثواب والكرامة] **﴿والذين أُوتُوا العلمَ درجات﴾** فمن تواضع لله رفعه **﴿واللهُ بما تعملُون خبيرٌ﴾**.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

الحزب ٥٥

١٢: ﴿يا أيُّها الذين آمَنُوا إذا ناجَيتُمُ الرسولَ﴾ [سارَرْتُموه فيما بينكم وبينه] **﴿فقدِّمُوا بينَ يَدَيْ نجواكُم صدقةً﴾** تُطهره وتزكيه، ولهذا قال تعالى: **﴿ذلكَ خيرٌ لكم وأطهرُ فإنْ لم تجِدُوا﴾** إلّا مَن عجزَ عن ذلك لفقره **﴿فإنّ اللهَ غَفُورٌ رحيمٌ﴾** فما أمرَ بها إلّا مَن قدرَ عليها. ثم قال تعالى: **١٣: ﴿أأشفقتم أن تقدِّمُوا بين يَدَي نجواكُم صدقاتٍ﴾؟** أخفتُم من استمرار هذا الحكم عليكم من وُجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **﴿فإذْ لم تفعَلُوا وتابَ اللهُ عليكم فأقِيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ وأطيعُوا اللهَ ورسولَهُ واللهُ خبيرٌ بما تعملون﴾** فنسَخَ وُجُوبَ ذلك عنهم. ولم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. **١٤:** يقول تعالى منكراً على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين: **﴿ألم تَرَ إلى الذين تَوَلَّوْا قوماً غضبَ اللهُ عليهم﴾** اليهود الذين كان المنافقون يُوالُونهم في الباطن **﴿ما هُمْ منكم ولا منهم﴾** هؤلاء المُنافِقُون ليسُوا في الحقيقة منكم أيُّها المؤمِنُون، ولا من اليهود الذين يُوالُونهم، **﴿ويحلِفُون على الكذب وهم يعلمون﴾** يحلف المنافقون وهم عالِمُون بأنّهم كاذِبُون فيما حلَفُوا، وهي اليمين الغَمُوس. **١٥: ﴿أعدَّ اللهُ لهم عذاباً شديداً إنّهم ساءَ ما كانُوا يعملون﴾**أرصدَ الله لهم على هذا الصنيع العذابَ الأليم على أعمالهم السيّئة وهي مُوالاة الكافرين ومُعاداة المؤمنين **١٦: ﴿اتّخَذُوا أيمانَهُمْ جُنّةً فصَدُّوا عن سبيل الله﴾**أظهروا الإيمانَ وأبطَنُوا الكفرَ، فظنّ كثيرٌ مِمّن لا يعرف حقيقةَ أمرهم صِدْقَهم فاغترَّ بهم، فحصل بهذا صَدٌّ عن سبيل الله لبعض النّاس **﴿فلهم عذابٌ مُهِينٌ﴾ ١٧: ﴿لن تُغْنِيَ عنهم أموالُهُم ولا أولادُهم مِنَ اللهِ شيئاً﴾** لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءَهم **﴿أولئك أصحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدُون﴾** ثم قال تعالى: **١٨: ﴿يومَ يبعَثُهُمُ اللهُ جميعاً﴾** يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم **﴿فيَحْلِفُون له كما يَحْلِفُون لكم﴾** إنّهم كانوا على الهدى والاستقامة **﴿ويَحْسَبُون أنّهم على شيءٍ﴾** حلفهم ذلك لربِّهم عزّ وجلَّ، ثم قال تعالى منكراً عليهم: **﴿ألا إنّهُمْ هُمُ الكاذبُون﴾ ١٩: ﴿استَحْوَذَ عليهِمُ الشيطانُ﴾** على قلوبهم **﴿فأنساهُمْ ذِكْرَ اللهِ أولئكَ حِزْبُ الشيطانِ﴾** الذين استحوذَ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله **﴿ألا إنّ حِزْبَ الشيطانِ هُمُ الخاسِرُون﴾ ٢٠: ﴿إنّ الذين يُحادُّون اللهَ ورسولَهُ﴾** الذين يُعانِدُون اللهَ ورسولَهُ ويُجانِبُون الحقَّ **﴿أولئك في الأذَلِّين﴾** في الأشقياء المبعدين المطرودِين **٢١: ﴿كتَبَ اللهُ لأغلِبنَّ أنا ورُسُلِي﴾** قد حكم وكتب في كتابه الأول، وقدرُهُ الذي لا يُخالَفُ ولا يُمانع ولا يُبدّل بأنّ النصرَةَ له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة **﴿إنّ اللهَ قويٌّ عزيزٌ﴾**.

الآية: ١٢ روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نُهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدّقوا، فلم يُناجه إلاّ عليّ بن أبي طالب، قدّم ديناراً صدقةً تصدّق به، ثم ناجى النبي ﷺ فسأله عن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: قال عليّ رضي اللهُ عنه: آية في كتاب الله عزّ وجلّ لم يعمل بها أحدٌ قبلي ولايعمل بها أحدٌ بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيتُ رسول الله ﷺ تصدّقتُ بدرهم، فنُسِخَتْ ولم يعمل بها أحدٌ قبلي ولايعمل بها أحدٌ بعدي، ثم تلا هذه الآية. /ابن كثير ج٤/٣٢٦/

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الحشر

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٢٢: ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانَهم أو عشيرتَهم﴾ لا يُوادُّون المُحادِّين [لله ولرسوله] ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالى: ﴿لا يتّخِذِ المؤمنون الكافرين أولياءَ مِن دُونِ المؤمنين، ومَن يفعلْ ذلكَ فليسَ مِنَ اللهِ في شيءٍ إلّا أن تتّقُوا منهم تُقاةً ويُحذِّرُكُمُ اللهُ نفسَهُ﴾، **﴿أولئك كتبَ في قلوبهمُ الإيمانَ وأيّدَهم برُوحٍ منه﴾** مَن اتصف بأنّه لا يُوادُّ مَن حادَّ اللهَ ورسوله، ولو كان أباه أو أخاه، فهذا مِمّن كتبَ اللهُ في قلبه الإيمان، أي: كتبَ له السعادةَ وقرَّرَها في قلبه وزين الإيمانَ في بصيرته، **﴿وأيّدَهُم بروحٍ منه﴾** قوّاهم. **﴿ويُدخلهم جنّاتٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالِدِين فيها رضي اللهُ عنهم ورَضُوْا عنهُ﴾** في هذا سِرٌّ بديع وهو أنّه لَمّا سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عَوّضَهُمُ الله بالرِّضا عنهم وأرضاهم عنه، بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوزِ العظيم. **﴿أولئك حِزْبُ اللهِ ألا إنّ حزبَ اللهِ هم المفلِحُون﴾** تنويهٌ بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة، فهم أهل كرامته تعالى.

تفسير سورة الحَشر

١: ﴿سبَّحَ للهِ ما في السمواتِ وما في الأرض﴾ يُخبر تعالى أنّ جميع ما في السموات وما في الأرض مِن شيءٍ يُسبِّح له ويمجِّدُهُ ويُقدِّسه ويُصلي له كقوله تعالى: ﴿تُسبِّحُ له السمواتُ السبعُ والأرض ومَن فيهنّ، وإنْ مِنْ شيءٍ إلّا يُسبِّحُ بحمدِهِ ولكنْ لا تفقهون تسبيحَهُمْ﴾، **﴿وهو العزيزُ﴾** منيعُ الجناب **﴿الحكيمُ﴾** في قَدَرِه وشرعه **٢: ﴿هو الذي أخرجَ الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** يهود بني النضير **﴿مِن ديارهم﴾** [أي: من حول المدينة] **﴿لأوّلِ الحشرِ﴾** إلى بلاد الشام، وهي أرض محشرهم، **﴿ما ظننتم أن يخرجُوا وظنّوا أنّهم مانِعَتُهم حُصُونُهم مِن اللهِ﴾** وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لَمّا قدِمَ المدينةَ هادَنَهم وأعطاهم ذِمّةً على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضُوا العهدَ، فأحلّ اللهُ بهم بأسه الذي لا مردَّ له **﴿فأتاهُمُ اللهُ مِن حيثُ لم يحتسبُوا وقذفَ في قلوبهم الرُّعْبَ يُخرِبُون بُيُوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾** فأجلاهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجهم من حُصُونهم الحصينة وأجلاهم من المدينة إلى أذرعات من أعالي الشام **﴿فاعتبِرُوا يا أولي الأبصار﴾** تفكروا في عاقبة من خالفَ أمرَ الله وخالف رسوله وكذّبَ كتابه كيف يحِلُّ بأسَهُ المخزي في الدنيا والآخرة **٣: ﴿ولولا أن كتبَ اللهُ عليهِمُ الجلاءَ لعذّبهم في الدنيا﴾** لولا أن كتبَ اللهُ عليهم هذا الجلاء، وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي، **﴿ولهم في الآخرةِ عذابُ النار﴾** حتمٌ لازمٌ لا بدَّ لهم منه.

الآية: ٢٢ ﴿أولئك حزب الله﴾ كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: اعلمْ أنّ الجاهَ جاهَان: جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنّهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ: «إنّ الله يُحبُّ الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يُدْعَوْا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة»، فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله فيهم: ﴿أولئك حزبُ الله ألآ حزبَ الله هم المفلحون﴾ وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ لاتجعل لفاجر ولالفاسق عندي يداً ولانعمةً، فإنّي وجدتُ فيما أوحيتَهُ إليَّ: ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادُّون مَنْ حَادَّ اللهَ ورسولَهُ﴾. /ابن كثير ج٤/٣٢٩ ـ ٣٣٠/

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٤: **﴿ذلك بأنّهم شاقُّوا الله ورسولَهُ﴾** إنّما فعل اللهُ بهم وسلّطَ عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنّهم خالفُوا الله وكذّبُوا رسوله وهم يعرفون [صِدْقَ نبوّته] كما يعرفون أبناءَهم، ثم قال تعالى: **﴿ومَن يشاقِّ اللهَ فإنّ الله شديدُ العِقابِ﴾** ٥: **﴿ما قطعتُم مِنْ لِينَةٍ﴾** اللين نوع من التمر، وهو جيّد **﴿أو تركتُموها قائمةً على أصولها فبإذن الله وليُخزيَ الفاسقين﴾** وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمّا حاصرهم أمرَ بقطع نخيلهم إهانةً لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم ٦: **﴿ومَا أفاءَ اللهُ على رسولِهِ منهم﴾** الفيءُ كل مالٍ أُخِذَ من الكفار من غير قتال **﴿فما أوْجَفتُم عليه من خيلٍ ولا رِكابٍ﴾** لم يُقاتِلُوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فأفاءَهُ على رسوله، ولهذا تصرّف فيه كما يشاء، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها اللهتعالى في هذه الآيات، **﴿ولكنّ اللهَ يُسلّطُ رُسُلَهُ على مَن يشاءُ واللهُ على كلِّ شيءٍ قدير﴾** لا يُغالَبُ ولا يُمانع بل هو القاهر لكل شيء ٧: **﴿ما أفاء اللهُ على رسوله من أهل القرى﴾** جميع البلدان التي تُفتحُ هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير، ولهذا قال تعالى: **﴿فللّهِ وللرسولِ ولذي القربَى واليتامَى والمساكينِ وابنِ السبيلِ﴾** إلى آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووُجُوهه، **﴿كيلا يكونَ دُولةً بين الأغنياءِ منكم﴾** جعلنا هذه المصارف كيلا يبقَى المال مأكلةً للأغنياء يتصرّفُون فيه بمحض الشهوات والآراء، **﴿وما آتاكُمُ الرسولُ فخُذُوهُ وما نهاكم عنه فانتهُوا﴾** مهما أمركم به فافعلوهُ ومهما نهاكم عنه فاجتنبُوه، فإنّه يأمر بخير وينهى عن شرّ **﴿واتقُوا اللهَ إنّ الله شديدُ العقاب﴾** اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره؛ فإنّه شديد العِقاب لمن عصاه وخالف أمره ٨: **﴿للفقراءِ المهاجرين الذين أُخرِجُوا مِن دِيارِهم وأموالِهم﴾** يبيّن تعالى حالَ الفقراء المستحقين لمال الفيء أنّهم خرجوا من ديارهم وخالفوا قومَهم ابتغاءَ مرضاة الله ورضوانه. **﴿يبتغون فضلاً مِن اللهِ ورِضواناً وينصُرون اللهَ ورسولَهُ أولئك هُمُ الصادِقون﴾** هؤلاء الذين صدَّقُوا قولَهم بفعلِهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين، ثم قال تعالى مادحاً للأنصار، ومبيّناً فضلَهم وشرفَهم وكرمهم مع الحاجة: ٩: **﴿والذين تبوّؤوا الدارَ والإيمانَ مِن قبلِهم﴾** سكنوا دارَ الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم، **﴿يُحِبُّون مَن هاجرَ إليهم﴾** من شرفهم وكرمهم يُحبُّون المهاجرين ويُواسُونَهم بأموالهم، **﴿ولا يجدُون في صدورهم حاجةً مِمّا أُوتُوا﴾** ولا يجدُون في أنفسِهم حسداً للمهاجرين فيما فضّلَهُمُ اللهُ بِهِ من المنزلة والتقديم في الذكر والرتبة، **﴿ويُؤثِرُون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصةً﴾** حاجة؛ أي: يُقدِّمُون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤون بالنّاس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، **﴿ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفلِحُون﴾** مَن سَلِمَ من الشح فقد أفلحَ وأنجحَ.

الآية: ٦ أعطى النبي ﷺ أكثر فيء بني النّضير للمهاجرين، قسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة، ولم يقسم من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة. /ابن كثير ج٤/٣٣١/ وانظر عنده ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

١٠: ﴿والذين جاؤوا مِن بعدِهم﴾ التابعُون لهم بإحسان **﴿يقولون ربَّنا اغفرْ لنا ولإخوانِنا الذين سبقُونا بالإيمانِ ولا تجعل في قلُوبنا غِلّاً﴾** بُغضاً وحسداً **﴿للذين آمنُوا ربَّنا إنّك رؤوفٌ رحِيمٌ﴾**، أُمِرُوا أن يستغفِرُوا لهم فسَبُّوهم [يعني الروافض] **١١:** يُخبر تعالى عن المنافقين حين بعثُوا إلى يهود بني النضير يعدونَهُمُ النصرَ مِن أنفسِهم فقال تعالى: **﴿ألَمْ ترَ إلى الذين نافقُوا يقُولُون لإخوانِهم الذين كفرُوا مِن أهلِ الكتابِ لَئِنْ أُخْرِجتُم لنخرجنّ معكم ولا نُطيعُ فيكم أحداً أبداً وإنْ قُوتِلْتُم لَنَنْصُرَنّكم﴾** قال الله تعالى: **﴿واللهُ يشهدُ إنّهم لكاذِبُون﴾** لكاذبون فيما وعدوهم به؛ لأنّهم قالوا لهم قولاً ومن نيّتِهم أن لا يَفُوا لهم به، ولهذا قال تعالى: **﴿ولَئِنْ قُوتِلُوا لا ينصرُونهم﴾** لا يُقاتلون معهم، **﴿ولَئِنْ نصَرُوهم﴾** قاتلوا معهم **﴿لَيُولّنَّ الأدبارَ ثم لا يُنصرون﴾**، وهذه بشارة مستقلّة بنفسِها، ولهذا قال تعالى: **١٢: ﴿لَئِنْ أُخرِجُوا لا يخرجُون معهم ولَئِن قُوتِلُوا لا ينصرونهم ولئِن نَصَرُوهم لَيُولّنّ الأدبارَ ثم لا يُنصَرُون﴾ ١٣: ﴿لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم مِن اللهِ﴾** يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، كقوله تعالى: ﴿إذا فريق منهم يخشون النّاسَ كخشيةِ اللهِ أو أشدَّ خشية﴾ ولهذا قال تعالى: **﴿ذلك بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾**، ثم قال تعالى: ١٤: **﴿لا يُقاتِلُونكم جميعاً إلّا في قرىً مُحصّنةٍ أو مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾** إنّهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة، بل إمّا في حُصُون أو من وراءِ جُدُرٍ محاصرين فيُقاتِلُون للدفع عنهم ضرورةً، ثم قال تعالى: **﴿بأسُهُم بينَهم شديدٌ﴾** عداوتهم فيما بينهم شديدةٌ، كما قال تعالى: ﴿ويُذيقَ بعضَكم بأسَ بعضٍ﴾، ولهذا قال تعالى: **﴿تحسبُهم جميعاً وقلوبُهم شتَّى﴾** تراهم مجتمعين فتحسبُهم مُؤتلفين وهم مختلِفُون غاية الاختلاف، يعني أهل الكتاب والمنافقين، **﴿ذلك بأنّهم قومٌ لا يعقِلُون﴾**. ثم قال تعالى: **١٥: ﴿كمثَلِ الذين مِن قبلِهم قريباً﴾** كمثل ما أصابَ كفار قريشٍ يوم بدر، وكمثل الذين من قبلهم يهود بني قينقاع، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أجلاهم قبل هذا. [وبني قينقاع أمكنَ اللهُ منهم قبل بني النضير، وبني النضير أمكنَ اللهُ منهم قبل بني قُريظة، وبنو قريظة **﴿ذاقُوا وبالَ أمرِهم﴾** في نزولهم على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسَبْي الذريّة، وكان بين النضير وقُريظة سنتان]، **﴿ولهم عذاب أليم﴾ ١٦: ﴿كمثَلِ الشيطانِ إذْ قالَ للإنسانِ اكْفُرْ فلمّا كفرَ قال إنّي بريءٌ منكَ﴾** مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالمنافقين في قولهم: **﴿وإن قُوتلتُم لننصرنّكم﴾** ثم لَمّا حقّتِ الحقائقُ تخلَّوْا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذْ سَوَّلَ للإنسان -والعياذ بالله- الكفرَ، فإذا دخل فيما سَوّل له تبرّأ منه وتنصَّلَ وقال: **﴿إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمين﴾** [وهو في هذا كاذب].

الآية: ١٠ روى إسماعيل بن علية عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أُمِرْتُم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتُمُوهم، سمعتُ نبيّكم ﷺ يقول: «لاتذهب هذه الأمة حتى يلعن آخِرُها أوَّلَها» ورواه البغوي.

وهذه الآية المباركة قد استوعبت المسلمين عامّة، فليس أحدٌ من المسلمين إلاّ وله فيها حقٌّ. /ابن كثير ج٤/٣٣٩ ـ ٣٤٠/

فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَة — ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

١٧: ﴿**فكانَ عاقِبَتُهما أنَّهُما في النّارِ خالِدِين فيها**﴾، فكان الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنّم ﴿**خالدِين فيها وذلكَ جَزاءُ الظالِمين**﴾ جزاءُ كلِّ ظالمٍ **١٨**: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللهَ**﴾ هذا أمرٌ بتقواه وهو يشمل فعلَ ما أمرَ به، وترك ما عنه زجرَ، ﴿**ولْتَنْظُرْ نفسٌ ما قدّمَتْ لِغَدٍ**﴾ حاسِبُوا أنفسَكم قبلَ أن تُحاسَبُوا وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسِكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربّكم ﴿**واتَّقوا اللهَ**﴾ تأكيدٌ ثانٍ ﴿**إنّ اللهَ خبيرٌ بما تعملون**﴾ اعلموا أنّه عالمٌ بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفَى عليه منكم خافية **١٩**: ﴿**ولا تكونُوا كالذين نَسُوا اللهَ فأنْسَاهُم أنفسَهم**﴾ لا تَنْسَوْا ذكرَ اللهِ تعالى فيُنسِيكُمُ العملَ الصالحَ الذي ينفعكم في معادكم، فإنّ الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿**أولئك هم الفاسقون**﴾ الخارجُون عن طاعة الله الهالِكُون يومَ القيامة الخاسرون يوم معادِهم، كما قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالُكم ولا أولادُكم عن ذكرِ اللهِ ومَن يفعلْ ذلك فأولئك هُمُ الخاسِرُون﴾ **٢٠**: ﴿**لا يستوي أصحابُ النّارِ وأصحابُ الجنّة**﴾ لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أمْ حَسِبَ الذين اجترَحُوا السيِّئاتِ أنْ نجعلَهم كالذين آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ سواءٌ مَحْيَاهُم ومَمَاتُهم ساءَ ما يحكمُون﴾؟! ﴿**أصحابُ الجنّةِ هُمُ الفائزُون**﴾ الناجُون من عذاب الله عزّ وجلّ **٢١**: يقول تعالى معظِّماً لأمرِ القرآنِ ومُبيِّناً عُلُوَّ قدرِهِ وأنّه ينبغي أن تخشع له القلوبُ وتتصدّع عند سماعه لِما فيه من الوعدِ والوَعيد الأكيد: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لَرَأيتَهُ خاشِعاً مُتصدِّعاً مِن خشيةِ اللهِ**﴾ فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فَهِمَ القرآن لخشعَ وتصدّع من خوف الله، فكيف يليق بالبشر أن لا تلينَ قلوبُهم وتتصدّع من خشية الله [عند سماع القرآن]؟ ﴿**وتِلْكَ الأمثالُ نضْرِبُها للنّاسِ لعلّهم يتفكّرُون**﴾ فأمرَ تعالى الناس أن يأخذوا القرآن بالخشية الشديدة والتخشع **٢٢**: ﴿**هو اللهُ الذي لا إلهَ إلّا هو عَالِمُ الغيبِ والشهادةِ هو الرحمنُ الرحيمُ**﴾ أخبر تعالى أنّه لا ربَّ غيره ولا إلهَ للوجود سواه، وكل ما يُعبد من دونه فباطل، وأنّه يعلم المشاهدات لنا والغائبات عنّا فلا يخفى عليه شيءٌ **٢٣**: ﴿**هو اللهُ الذي لا إلهَ إلّا هو المَلِكُ**﴾ المالك لجميع الأشياء المتصرّف فيها بلا مُمانعة، ﴿**القُدُّوس**﴾ الطاهر المبارك، ﴿**السلامُ**﴾ من جميع العُيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، ﴿**المؤمن**﴾ أمّنَ خلقَهُ من أن يظلمهم، وصدّق عباده المؤمنين في إيمانهم، ﴿**المهيمنُ**﴾ على خلقه بمعنى الرقيب عليهم، ﴿**العزيز**﴾ الذي لا يُنال جنابه لعظمته وكبريائه، ﴿**الجبّارُ المُتكبِّرُ**﴾ الذي لا تليق الجبرية إلّا له ولا التكبر إلا لعظمته، ﴿**سبحانَ اللهِ عمّا يُشرِكُون**﴾ **٢٤**: ﴿**هو اللهُ الخالقُ الباريءُ المُصَوِّرُ**﴾ الذي إذا أرادَ شيئاً قال له كُنْ فيكون على الصفة التي يُريد ﴿**له الأسماءُ الحُسْنَى**﴾ وفي الصحيحين: «مَن أحصاها دخل الجنّة»، ﴿**يُسبِّحُ له ما في السمواتِ والأرض وهو العزيزُ الحكيمُ**﴾ في شرعِهِ وقَدَرِه.

الآية: ١٨ خطب رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿ياأيّها الناس اتّقُوا ربّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة﴾ إلى آخر الآية، ﴿ولتنظُرْ نفسٌ ماقدّمتْ لغد﴾ الآية، فأخذ النّاس بصدقاتهم، حتى رؤي ﷺ يتهلّل وجهه كأنّه مَذْهَبَةٌ!! /ابن كثير ج٤/٣٤١/

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ
وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

تفسير سورة المُمتحِنَة

١: **﴿يا أيُّها الذين آمنُوا لا تَتَّخِذُوا عدوّي وعدوَّكم أولياءَ﴾** نهى تعالى عن أن تتخذُوا [هؤلاء] أولياء وأصدقاء وأخلاء، كما قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ بعضُهم أولياءُ بعضٍ ومَن يتولَّهُمْ منكم فإنّه منهم﴾ وهذا تهديد شديد ووعيدٌ أكيد، **﴿تُلقُون إليهم بالمَوَدّةِ وقد كفرُوا بما جاءكم مِن الحقِّ يُخرِجُون الرسولَ وإيّاكم﴾** وهذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم مُوالاتِهم لأنّهم أخرجُوا الرسولَ وأصحابه من بين أظهرهم كراهةً لِما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة للهِ وحدَهُ ولهذا قال تعالى: **﴿أن تؤمِنُوا باللهِ ربِّكم﴾** لم يكن لكم عندهم ذنبٌ إلّا إيمانكم بالله ربِّ العالمين، كقوله تعالى: ﴿وما نقمُوا منهم إلّا أن يُؤمِنُوا بالله العزيزِ الحميدِ﴾، **﴿إن كنتُم خرجتُم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مَرْضاتي﴾** إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مهاجرين مجاهدين في سبيلي تبتغون مرضاتي فلا تُوالوا أعدائي وأعداءَكم، **﴿تُسِرُّون إليهم بالمودّةِ وأنا أعلمُ بما أخفيتُم وما أعلنتم﴾** تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر، **﴿ومَن يَفعَلْهُ منكم فقد ضلَّ سواءَ السبيلِ﴾** ٢: **﴿إن يَثْقَفوكم يكونُوا لكم أعداءً﴾** لو قدرُوا عليكم لَما أبقوا فيكم من أذىً ينالونكم به بالقتال والفِعال، **﴿ووَدُّوا لو تكفرُون﴾** ويحرِصُون على أن لا تنالوا خيراً فهم عداوتُهم لكم كامِنة وظاهرة فكيف تُوالُون مِثلَ هؤلاء؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً ٣: **﴿لن تنفعكم أرحامُكم ولا أولادُكم يومَ القيامةِ يفصِلُ بينكم واللهُ بما تعملون بصيرٌ﴾** قرابتكم لا تنفعكم عند الله إذا أرادَ اللهُ بكم سُوءاً، ومَن وافق أهله على الكفر ليُرضيهم فقد خابَ وخسِرَ عمله عند الله ولو كان قريباً إلى النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ٤: **﴿قد كانَتْ لكم أُسوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ والذين معه﴾** وأتباعه الذين آمنوا معه **﴿إذْ قالُوا لقومِهم إنّا بُرَاءُ منكم﴾** تبرّأنا منكم **﴿ومِمّا تعبُدون مِن دُون الله كفرنا بكم﴾** بدينكم وطريقتكم **﴿وبَدَا بينَنا وبينَكُمُ العداوَةُ والبغضَاءُ أبداً﴾** وقد شرعتِ العداوةُ والبغضَاءُ من الآن بيننا وبينكم ما دُمتُم على كفرِكم فنحن أبداً نتبرّأ منكم ونبغضكم **﴿حتى تؤمنوا باللهِ وَحْدَهُ﴾** إلى أنْ تُوحّدُوا اللهَ فتعبدُوه وحدَه لا شريكَ له، وتخلعُوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد، **﴿إلّا قولَ إبراهيمَ لأبِيْهِ لأستغفِرَنّ لكَ﴾** لكم في إبراهيم وقومه أسوةٌ حسنةٌ تتأسّون بها إلّا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنّه كان عن موعدة وعدها إيّاه فلمّا تبيّن له أنّه عدوٌّ للهِ تبرّأَ منه، **﴿وما أملِكُ لكَ مِن اللهِ مِن شيءٍ﴾** [أي: لا أدفع عنك عذاب الله إن أشركتَ] **﴿ربَّنا عليكَ توكلنا﴾** في جميع أمورنا **﴿وإليكَ أنَبْنَا﴾** وسلمنا أمورنا إليك **﴿وإليكَ المصيرُ﴾** ٥: **﴿ربَّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفرُوا﴾** لا تُظهرهم علينا فيرون أنّهم على حق **﴿واغفِرْ لنا ربَّنا إنّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ﴾**.

سورة الممتحنة: كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصّة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أنّ حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان، فلمّا عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لمّا نقض أهلها العهد، فأمرَ النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال: «اللّهمَّ عمِّ عليهم خبرَنا» فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأةٍ من قريش إلى أهل مكة يُعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يَداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله ﷺ استجابةً لدعائه، فبعث في إثر المرأة، فأخذ الكتاب منها، وهذا بيّن في الحديث المتفق على صحته. /ابن كثير ج٤/٣٤٤ ـ ٣٤٥/

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

٦: **﴿لقد كان لكم فيهم أُسْوةٌ حسنةٌ لِمن كانَ يرجُو اللهَ واليومَ الآخر﴾** هذا تأكيدٌ لِما تقدّم، وتهييجٌ إلى ذلك لكلِّ مؤمنٍ باللهِ والمَعاد، **﴿ومَن يتولَّ﴾** عمّا أمرَ اللهُ بهِ **﴿فإنّ اللهَ هو الغنيُّ الحميدُ﴾** كقوله تعالى: ﴿وإنْ تكفرُوا أنتُم ومَن في الأرض جميعاً فإنّ اللهَ لغنيٌّ حميدٌ﴾ والحميدُ: المستحمِدُ إلى خلقه؛ أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إلَهَ غيرُهُ ولا ربَّ سِواهُ ٧: **﴿عسى اللهُ أن يجعلَ بينكم وبين الذين عَادَيْتُم منهم موَدّةً﴾** محبةً بعد البغضة **﴿واللهُ قديرٌ﴾** على ما يشاء من الجمع بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتُصبح مجتمعةً متفقةً كما قال تعالى مُمتناً على الأنصار: ﴿واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّفَ بينَ قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفَا حُفرةٍ مِنَ النّار فأنقذكُم منها﴾، **﴿واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾** يغفر للكافرين كفرَهم إذا تابُوا منه وأسلموا، وهو الرحيم بكل من تاب إليه من أيِّ ذنبٍ كان ٨: **﴿لا ينهاكُمُ اللهُ عَنِ الذين لم يُقاتِلوكم في الدِّين ولم يُخرجوكم من دياركم﴾** لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلُونكم في الدين ولم يُعاونوا على إخراجكم كالنساء والضعَفاء منهم **﴿أن تبروهم﴾** تُحسِنُوا إليهم **﴿وتُقسِطُوا إليهم﴾** تعدِلُوا **﴿إنّ اللهَ يُحبُّ المقسطين﴾** [أي: الذين يحكمون بالعدل الذي هو شرع الله] ٩: **﴿إنّما ينهاكُمُ اللهُ عن الذين قاتَلُوكم في الدِّين وأخرجُوكم مِن دِيارِكم وظاهَرُوا على إخراجِكم أن تولَّوهُم﴾** إنّما ينهاكم عن مُوالاةِ هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة **﴿ومَنْ يتولَّهُمْ فأولئك هم الظالِمُون﴾** ١٠: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا جاءَكم المؤمناتُ مهاجِرَاتٍ فامتحِنُوهنّ﴾** وكان امتحانُهُنّ أن يشهدنَ أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ **﴿فإن علمتموهُنّ مؤمناتٍ فلا تُرجِعُوهُنّ إلى الكفار﴾** هذا فيه دلالة على أنّ الإيمان يمكن الاطلاع عليه يَقِيناً، **﴿لا هُنَّ حِلٌّ لهم﴾** للمشركين **﴿ولا هُم يحِلُّون لَهُنّ﴾**، هذه الآية حرّمت المسلمات على المشركين. **﴿وآتُوهُمْ ما أنفقُوا﴾** الأزواج المشركين، ادفعُوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأصْدِقَة. **﴿ولا جُنَاحَ عليكم أن تنكِحُوهُنّ إذا آتيتُمُوهنّ أُجورَهُنّ﴾** إذا أعطيتموهُنّ أصدقتهنّ فانكِحُوهُنّ بشرط انقضاء العِدّة، **﴿ولا تُمسِكُوا بعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾** هذا تحريمٌ من الله عزّ وجلّ على عباده المؤمنين نكاحَ المشركات والاستمرار مَعَهُنّ، **﴿واسْألُوا ما أنفقتم﴾** وطالِبُوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهَبْنَ إلى الكفار **﴿وَلْيَسْألُوا ما أنفقُوا﴾** وليُطالِبُوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين، **﴿ذلكم حكمُ اللهِ يَحْكُمُ بينَكم﴾** في الصلح بين خلقه **﴿واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾** عليم بما يُصلحُ عبادَه حكيم في ذلك. ثم قال تعالى: ١١: **﴿وإن فاتَكم شيءٌ من أزواجِكم إلى الكفارِ فعاقبتُم فآتُوا الذين ذهبتْ أزواجُهُم مثلَ ما أنفقُوا﴾** فلو أنّها ذهبت بعد هذه الآية امرأةٌ من أزواج المؤمنين إلى المشركين رَدَّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من الذين بأيديهم للمشركين ثم رَدُّوا إلى المشركين ما كان بقي من صداق نساء الكفار **﴿واتقُوا اللهَ الذي أنتم به مؤمنون﴾**

الآية: ١٠ روى ابن جرير عن ابن عباس وسُئل كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النّساء؟ قال: كان يَمْتَحِنُهُنّ بالله ماخرجتُ من بُغض زوج، وبالله ماخرجتُ رغبةً عن أرض إلى أرض، وبالله ماخرجتُ التماس دنيا، وبالله ماخرجت إلاّ حُبّاً لله ولرسوله!!. /ابن كثير ج٤/٣٥٠/

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

١٢: ﴿يا أيُّها النبيُّ إذا جاءَكَ المؤمناتُ يُبايِعْنَكَ﴾ على هذه الشروط **﴿على أنْ لا يُشْرِكْنَ باللهِ شيئاً ولا يَسْرِقنَ ولا يَزْنِينَ ولا يَقْتُلْنَ أولادَهُنَّ ولا يأتِينَ بِبُهتانٍ يفترِيْنَهُ بينَ أيدِيهِنَّ وأرجُلِهنَّ ولا يَعْصِينَكَ في معروفٍ فبايِعْهُنَّ﴾**؛ **﴿ولا يقتلنَ أولادَهُنّ﴾** كما كان أهل الجاهليّة يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، ولا يُلحقنَ بأزواجهنّ غير أولادِهم، وطاعة المعروف هي طاعة الله ورسوله. **﴿واستغفِرْ لَهُنَّ اللهَ إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾ ١٣**: ينهى الله تعالى عن مُوَالاة الكافرين في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها فقال: **﴿يا أيُّها الذين آمنُوا لا تتوَلَّوْا قوماً غضِبَ اللهُ عليهم﴾** اليهود والنصارى وسائر الكفار ممّن غضِبَ الله عليه ولعنه واستحقَّ من الله الطردَ والإبعاد فكيف توالُونهم وتتخذونهم أصدقاء، **﴿قد يَئِسُوا من الآخرة﴾** [لغضبِ اللهِ عليهم] أي: من ثواب الله عزّ وجل في الآخرة **﴿كما يَئِسَ الكفارُ مِن أصحابِ القُبُور﴾** كما يئسَ الكفارُ أن يرجع إليهم أصحابُ القبور الذين ماتُوا، [فمَنْ مات من الكفار يَئِسَ من الخير، والعياذ بالله من غضبه].

تفسير سورة الصَّف

١: ﴿سبّحَ للهِ ما في السموات وما في الأرض﴾ [أي: نزّهَ الله تعالى الملائكة في السموات والمؤمنين في الأرض، وسواهم من المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وإنْ مِن شيءٍ إلّا يُسبِّح بحمدِهِ ولكنْ لا تفقهُون تسبيحهم﴾، **﴿وهو العزيزُ﴾** [الذي لا يُغالب ولا يُمانع] **﴿الحكيمُ﴾** [في قولهِ وفعلهِ وقدرهِ وشرعهِ] **٢: ﴿يا أيُّها الذين آمنُوا لِمَ تقُولُونَ ما لا تفعَلُون﴾**؟ هذا إنكارٌ على مَن يَعِدُ وعداً أو يقولُ قولاً لا يفي به، ولهذا استدلّ بهذه الآية الكريمة مَن ذهبَ من علماء السلف إلى أنّه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواءٌ ترتّبَ عليه عزمٌ للموعُودِ أم لا؟ واحتجُّوا أيضاً بالسنّة بما ثبتَ في الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا وَعَدَ أخلفَ، وإذا حدّثَ كذبَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ» **٣**: ولهذا أكّدَ اللهُ تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: **﴿كَبُرَ مقتاً عندَ اللهِ أنْ تقُولُوا ما لا تفعلون﴾** نزلت توبيخاً لقومٍ كانوا يقولون: قتلنا ضربنا طعنّا وفعلنا ولم يكونوا فعلُوا ذلك، وهم المنافقُون **٤: ﴿إنّ اللهَ يُحِبُّ الذين يُقاتِلُون في سبيلِهِ صفّاً كأنّهم بُنيانٌ مَرْصُوصٌ﴾** هذا إخبارٌ مِن الله تعالى بمحبّة المؤمنين إذا اصطفُّوا مواجِهين الأعداء في حَوْمَةِ الوغى يُقاتِلُون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا **٥: ﴿وإذْ قالَ موسى لقومِهِ لِمَ تُؤذُنَنِي﴾** تواصِلُون الأذى إليّ **﴿وقدْ تعلمُون أنّي رسولُ اللهِ إليكم﴾**؟! **﴿فلمّا زاغُوا أزاغَ اللهُ قلوبَهم﴾** فلمّا عَدَلُوا عن الحقِّ أزاغَ اللهُ قلوبَهم عن الهدى وأسكنها الحيرة والشك **﴿واللهُ لا يهدِي القومَ الفاسِقين﴾** [أي: الخارجين عن طاعة الله].

الآية: **١٢** روى الإمام أحمد عن أُميمة بنت رقيقة قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في نساءٍ لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: أنْ لانشركَ بالله شيئاً ــ الآية. وقال: «فيما استطعنّ وأطقتنّ» قلنا: اللهُ ورسولُهُ أرحم بنا من أنفسنا!! قلنا: يارسول اللهِ ألاَ تصافحنا؟ قال: «إنّي لاأصافح النّساء، إنّما قولي لامرأةٍ واحدةٍ كقولي لمائة امرأة»، وهذا إسناد صحيح، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه. /ابن كثير ج٤/٣٥٢/

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

٦: **﴿وإذْ قال عيسى ابنُ مريمَ يا بني إسرائيل إنّي رسولُ اللهِ إليكم مُصدِّقاً لِما بينَ يَدَيَّ مِن التوراة﴾** [لأنّ في التوراة صفتي، وأنّي لم آتِكم بشيءٍ يخالفُ التوراة فتنفروا عنّي] **﴿ومُبشّراً برسولٍ يأتي مِن بعدِي اسمه أحمد﴾** وهو النبي الأميّ العربي المكيّ، فعيسى عليه السلام وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل بشّرَ بأحمد وهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذين لا رسالة بعده ولا نبوّة. **﴿فلمّا جاءهم﴾** أحمد صلى الله عليه وآله وسلم **﴿بالبيّنات﴾** وهو المبشّر به في الأعصار المتقادمة المنوّه بذكره في القرون السابقة، فلمّا ظهر أمره وجاء بالبينات **﴿قالوا هذا سحرٌ مُبين﴾** ٧: **﴿ومَن أظلمُ مِمَّن افترى على اللهِ الكذبَ وهو يُدْعَى إلى الإسلام﴾**؟ لا أحدَ أظلمُ مِمّن يفتري الكذب على الله ويجعل له أنداداً وهو يدعَى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: **﴿واللهُ لا يهدي القومَ الظالمين﴾**، ثم قال تعالى: ٨: **﴿يُريدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللهِ بأفواههم﴾** يُحاولون أن يردُّوا الحقَّ بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل مَن يريد أن يُطفيء شُعاع الشمس بفيه، وكما هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى: **﴿واللهُ مُتِمُّ نورِهِ ولو كَرِهَ الكافرون﴾** ٩: **﴿هو الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحقِّ لِيُظهِرَهُ على الدِّين كله ولو كَرِهَ المشركون﴾** [على الدِّين كُلِّه: أي: جميع الأديان؛ أي الإسلام ظاهر عليها كلِّها] ١٠: سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ليفعلوه، فأنزل الله هذه الآيات: **﴿يا أيها الذين آمنوا هلْ أدلّكم على تجارةٍ تُنجيكم مِن عذابٍ أليم﴾**؟ ثم فسّر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور فقال تعالى: ١١: **﴿تُؤْمِنُونَ باللهِ ورسولهِ وتجاهِدُون في سبيلِ اللهِ بأموالكم وأنفسِكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾** من تجارة الدنيا والكدِّ لها والتصدي لها وحدها، ثم قال تعالى: ١٢: **﴿يغفرْ لكم ذُنُوبَكم﴾** إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرتُ لكم الزلّات وأدخلتكم الجنّاتِ والمساكنَ الطيبات والدرجات العاليات، ولهذا قال تعالى: **﴿ويُدْخِلْكم جنّاتٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ ومساكنَ طيّبةً في جنّاتِ عَدْنٍ ذلكَ الفوزُ العظيمُ﴾**، ثم قال تعالى: ١٣: **﴿وأخرَى تُحِبُّونها﴾** وأزيدكم على ذلك زيادةً تحبُّونها وهي **﴿نصرٌ مِن اللهِ وفتحٌ قريبٌ﴾** إذا قاتلتُم في سبيله ونصرتم دينَه تكفّلَ اللهُ بنصركم؛ قال الله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنُوا إن تنصُرُوا اللهَ ينصُرْكم ويُثبِّتْ أقْدَامَكم﴾، **﴿وفتحٌ قريبٌ﴾** عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع اللهَ ورسولَهُ **﴿وبشِّرِ المؤمنين﴾** ١٤: **﴿يا أيُّها الذين آمنُوا كونُوا أنصارَ اللهِ﴾** في أحوالكم بأقوالكم وأفعالكم **﴿كما قال عيسى ابنُ مريمَ للحواريين مَن أنصاري إلى اللهِ﴾** مَن مُعيني في الدعوة إلى الله؟ **﴿قال الحواريُّون نحنُ أنصارُ اللهِ﴾** نحن موازِرُوك على ذلك، **﴿فآمنتْ طائفةٌ من بني إسرائيل﴾** بما جاءهم به **﴿وكفرتْ طائفةٌ﴾** من بني إسرائيل وهم اليهود عليهم لعائن الله **﴿فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم﴾** نصرناهم على مَن عاداهم **﴿فأصبَحُوا ظاهِرين﴾** على دين الكفار.

الآية: ٦ روى البخاري أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر النّاس على قدمي، وأنا العاقب». /ابن كثير ج٤/٣٦٠/

سُورَةُ الجُمُعَةِ ترتيبها ٦٢ آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

١: **﴿يُسبِّحُ للهِ ما في السمواتِ وما في الارض﴾** جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال تعالى: ﴿وإنْ مِن شيءٍ إلّا يُسبِّحُ بحمده﴾، **﴿المَلِكِ القُدُّوسِ﴾** هو المقدّس المنزّه عن النقائص، الموصُوف بصفات الكمال **﴿العزيزِ الحكيم﴾ ٢: ﴿هو الذي بعثَ في الأميينَ رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتِهِ ويزكيهم﴾** الأميّون هم العرب، وكانوا قديماً على دين إبراهيم عليه السلام فبدّلوه بدين الشرك، فبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم **﴿يتلوا عليهم آياتِهِ ويُزكيهم ويُعلِّمُهُمُ الكتابَ﴾** [أي: القرآن] **﴿والحكمةَ﴾** [أي: السنّة] **﴿وإن كانوا مِن قبلُ لفِي ضلالٍ مُبين﴾** [أي: في ذهاب عن الحقّ] **٣: ﴿وآخَرين منهم لّما يلحَقوا بِهِمْ وهو العزيزُ الحكيم﴾** هم فارس والرُّوم وغيرهم من الأمم، وهم مِمّن صدّقَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم من غير العرب، وهو العزيز ذو العزّة الحكيم في شرعه وقدره **٤: ﴿ذلك فضلُ اللهِ يُؤتيهِ من يشاءُ واللهُ ذُو الفضلِ العظيم﴾** ما أعطاه اللهُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من النبوّة العظيمة، وما خصّ به أمتَهُ من بعثته صلى الله عليه وآله وسلم **٥**: يقول تعالى ذامّاً لليهود الذين أُعطوا التوراة وحُمِّلُوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها: **﴿مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراةَ ثم لم يحملوها كمثلِ الحمارِ يحمِلُ أسفاراً﴾** كمثل الحمار يحمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها ولا يدري ما عليه، كذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أُوتُوه حفِظُوهُ لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أوّلُوه وحرّفُوهُ وبدلُوه، فهم أسوأ من الحمير، لأنّ الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فُهُومٌ لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى: ﴿أولئك كالأنعام بل هُمْ أضلُّ أولئك هم الغافِلون﴾، وقال تعالى هُهنا: **﴿بِئسَ مَثَلُ القومِ الذين كذّبوا بآياتِ اللهِ واللهُ لا يهدي القومَ الظالمين﴾**. روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن تكلّمَ يومَ الجمعة والإمامُ يخطبُ، فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له أنْصِتْ ليس له جمعة». ثم قال تعالى: **٦: ﴿قُلْ يا أيها الذين هَادُوا إنْ زعمتُم أنّكم أولياءُ للهِ مِن دُونِ النّاسِ فتمنَّوُا الموتَ إنْ كنتم صادِقين﴾** إنْ كنتم تزعُمون أنّكم على هُدىً فادْعُوا بالموت [على أنفسكم] إن كنتم صادقين فيا تزعمُونَهُ قال الله تعالى: **٧: ﴿ولا يتمنَّونَهُ أبداً بما قدّمتْ أيديهم﴾** بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور **﴿واللهُ عليمٌ بالظالمين﴾**، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ إنْ كانتْ لكُمُ الدّارُ الآخرةُ عندَ اللهِ خالِصَةً مِن دُونِ النّاس فتمنّوا الموتَ إن كنتم صادِقين. ولن يتمنَّوْهُ أبداً بما قدّمت أيديهم واللهُ عليمٌ بالظالمين﴾ **٨: ﴿قُلْ إنّ الموتَ الذي تفِرُّون منه فإنّه مُلاقيكم ثم تُرَدُّون إلى عالِمِ الغيبِ والشهادةِ فيُنبئكم بما كنتم تعملون﴾** كما قال تعالى: ﴿أينما تكُونوا يُدرككُم الموتُ ولو كنتُمْ في بُرُوجٍ مشيَّدة﴾.

سورة الجمعة: روى مسلم في صحيحه إنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين». كما كان يقرأ في صلاة الجمعة والعيدين بسورة سبح اسم ربك الأعلى، وسورة هل أتاك حديث الغاشية.

الآية: ٣ روى البخاري عن أبي هريرة قال: كنّا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وآخرين منهم لّما يلحقُوا بهم﴾ قالوا: مَنْ هم يارسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال: «لو كان الإيمانُ عندَ الثريا لَنَالَهُ رجل من هؤلاء»!! ورواه مسلم والترمذي والنسائي. /ابن كثير ج٤/٣٦٣/.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

ربع الحزب ٥٦

٩: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِيَ للصلاةِ مِن يوم الجُمُعَـةِ**﴾ الجمعةُ: سُمّيت من الجمع، فإنّ أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع في المساجد، وفيه كَمُلَ جميع الخلائق، فإنّه اليوم السادس من الستّة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خُلِقَ آدم، وفيه ساعة لا يوافقها مؤمنٌ يسأل فيها الله خيراً إلّا أعطاه إيّاه كما ثبت في الصحاح. ﴿**فاسْعَوْا إلى ذكرِ اللهِ**﴾ اقصدُوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليسَ المراد بالسعي هٰهنا المشي السريع وإنّما هو الاهتمام بها، وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سمعتم الإقامَةَ فامشُوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوَقار ولا تُسْرِعُوا فما أدركتُم فصلوا وما فاتكم فأتموا». ﴿**وذَرُوا البيعَ**﴾ اسعُوا إلى ذكرِ اللهِ واتركُوا البيعَ إذا نُودِيَ للصلاة؛ ولهذا اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني، ﴿**ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون**﴾ ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم، أي: في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون **١٠**: ﴿**فإذا قُضِيَتْ الصلاةُ**﴾ فُرِغَ منها ﴿**فانتشِرُوا في الأرض وابتغُوا مِن فضلِ اللهِ**﴾ لَمّا حجرَ عليهم في التصرّف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذِنَ لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة قال: اللهمّ إنّي أجبتُ دعوتَكَ وصلّيتُ فريضتَكَ وانتشرتُ كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنتَ خيرُ الرازقين. ﴿**واذكروا اللهَ كثيراً لعلّكم تفلِحُون**﴾ حال بيعكم وشرائكم ولا تشغلكم الدنيا عن الآخرة **١١**: ﴿**وإذا رَأَوْا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركُوك قائماً**﴾ على المنبر لَمّا قدمت تجارة إلى المدينة، فانصرفوا إليها وتركوا رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قائماً على المنبر إلّا القليل منهم، ﴿**قُلْ ما عندَ اللهِ خيرٌ من اللهو ومِنَ التجارة**﴾ مِن الثواب في الآخرة، ﴿**واللهُ خيرُ الرَّازِقين**﴾ لمن توكل عليه وطلب الرزقَ في وقتِهِ.

تفسير سورة المنافقين

١: يخبر تعالى عن المنافقين أنّهم إنّما يتفوّهون بالإسلام وهم ليسُوا كذلك فيقول: ﴿**إذا جاءكَ المنافِقُون قالُوا نشهدُ إنّكَ لرسولُ اللهِ**﴾ إذا حضروا عندك واجَهُوك بذلك ﴿**واللهُ يعلمُ إنّكَ لرسولُهُ واللهُ يشهدُ إنّ المنافقين لكاذِبُون**﴾ فيما أخبروا به عن اعتقادهم [لأنّ اعتقادَهم الباطن هو الكفر] **٢**: ﴿**اتخذوا أيمانَهم جُنّةً فصَدُّوا عن سبيل اللهِ**﴾ اتقوا النّاسَ بالأيمان الكاذبة لِيُصدِّقُوهم، فاغترّ بهم مَن لا يعرفهم فاعتقد أنّهم مسلمون فربما اقتدى بهم، ﴿**إنّهم سَـاءَ ما كانوا يعملون**﴾ **٣**: ﴿**ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا فطُبِعَ على قلوبهم**﴾ [أي: خُتِمَ عليها بالكفر] ﴿**فهم لا يفقهُون**﴾ فلا يهتدون **٤**: ﴿**وإذا رأيتَهم تُعجِبُكَ أجسامُهم وإنْ يقُولُوا تسمع لقولهم**﴾ وكانوا أشكالاً حسنةً وذوي فصاحة ﴿**كأنّهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾ فهم جهامات بلا معاني ﴿**يحسَبُون كلّ صيحةٍ عليهم**﴾ لجبنهم ﴿**هُمُ العدوُّ فاحْذَرْهُمْ قاتلَهُم اللهُ أنّى يؤفكون**﴾ كيف ينصرفون عن الهدى إلى الضلالة؟!.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سورة التغابن

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

٥: **﴿وإذا قيلَ لهم تعالَوْا يستغفِرْ لكم رسولُ اللهِ﴾** [أي: اطلبوا أن يستغفرَ لكم] **﴿لَوَّوْا رُؤوسَهُمْ﴾** صَدُّوا وأعرَضُوا عمّا قيلَ لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لِما قيل، ولهذا قال تعالى: **﴿ورأيتَهُم يَصُدُّون وهم مستكبرون﴾**، ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ٦: **﴿سواءٌ عليهم أستغفرتَ لهم أمْ لَمْ تستغفرْ لهم لن يغفرَ اللهُ لهم إنّ اللهَ لا يهدِي القومَ الفاسقِين﴾** [يعني كل ذلك سواء، لا ينفع استغفارك شيئاً؛ لأنّ اللهَ لا يغفرُ لهم. نظيرُهُ: ﴿سواءٌ عليهم أأنذَرْتَهم أم لم تنذِرْهم لا يُؤمنون﴾، **﴿إنّ اللهَ لا يهدِي القومَ الفاسِقين﴾** مَن سبقَ في علم الله أنّه يموتُ فاسقاً] ٧: **﴿هُمُ الذين يقُولُون لا تنفِقُوا على مَن عندَ رسولِ اللهِ حتى ينفضُّوا﴾** [أي: حتى يتفرَّقُوا عنه، فأعلمهم الله سبحانه أنّ **﴿للهِ خزائنَ السمواتِ والأرضِ﴾** يُنفِقُ كيف يشاء، **﴿ولكنّ المنافقين لا يفقهون﴾** أنّه إذا أرادَ أمراً يَسَّرَهُ] ٨: **﴿يقُولُون لَئِنْ رجعنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ﴾**، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزا غزوةً، فاقتتلَ رجلان أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز وهم حلفاء الأنصار، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي، فقال البهزي: يا معشرَ الأنصار، فنصرَهُ رجالٌ من الأنصار، وقال المهاجريّ: يا معشرَ المهاجرين فنصرَهُ رجالٌ من المهاجرين حتى كان بين أولئك شيءٌ من القتال، ثم حُجِزَ بينهم، فانكفأ كلُّ منافق إلى عبد الله بن أبيّ ابن سلول فقال: كنتَ تُرْجَى وتدفعُ فأصبحتَ لا تضرُّ ولا تنفعُ، فقال عبد الله بن أُبيّ –عدو الله– والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، وقال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين: أَلم أقلْ لكم لا تنفقُوا على مَن عندَ رسولِ الله حتى ينفضُّوا، فلما قفلُوا راجعين إلى المدينة، وقف عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ على باب المدينة واستلَّ سيفَهُ، فلمّا جاء أبوه عبد الله بن أُبيّ قال له: والله لا تجُوزُ مِن هٰهنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه العزيزُ وأنتَ الذليلُ، ثم أذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أَمَا إذا أذنَ لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجُزِ الآن، ولا تدخل المدينة حتى تقول: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأعزُّ وأنا الأذلّ. **﴿ للهِ العِزّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنين ولكنّ المنافِقينَ لا يعلمون﴾** ٩: **﴿يا أيها الذين آمنُوا لا تُلهكم أموالُكم ولا أولادُكم عن ذكرِ اللهِ﴾** يأمرُ تعالى المؤمنين بكثرة ذكره، وينهاهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، **﴿ومَن يفعلْ ذلك فأولئك هم الخاسِرُون﴾** الذين خَسِرُوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثّهم سبحانه على الإنفاق في طاعته فقال: ١٠: **﴿وأنفِقُوا مِنْ ما رزَقْناكُمْ مِن قبلِ أنْ يأتِيَ أحدَكُمُ الموتُ فيقولَ ربِّ لَوْلا أخرْتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصدّقَ وأكنْ مِنَ الصالِحين﴾**، فكلُّ مفرّط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدّة ولو شيئاً يسيراً ليستدرك ما فاته وهيهات، كان ما كان وأتى ما هو آت. ولهذا قال تعالى: ١١: **﴿ولَنْ يُؤخِّرَ اللهُ نفساً إذا جاءَ أجلُها واللهُ خبيرٌ بما تعملون﴾** لا يُنْظِرُ أحداً بعد حُلول أجلِهِ، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسُؤاله.

الآية: ١١ روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: ذكرنا عندَ رسول الله ﷺ الزيادة في العمر، فقال: «إنّ الله لايُؤخر نفساً إذا جاء أجلها إنّما الزيادة في العمر أنْ يرزقَ اللهُ العبدَ ذريّةً صالحةً يدعون له فيلحقُهُ دعاؤهم في قبرِهِ». /ابن كثير ج٤/٣٧٣/

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

تفسير سورة التغابن

١: ﴿**يُسَبِّحُ للهِ ما في السمواتِ وما في الأرض**﴾، هذه السورة هي آخر المُسبِّحات [من سور القرآن] ﴿**لهُ المُلْكُ وله الحمدُ**﴾ هو المتصرِّف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلق ويقدر، ﴿**وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ**﴾ مهما أرادَ كان بلا مُمانِعٍ ولا مُدافِعٍ، وما لم يشأ لم يكن **٢**: ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم كافِرٌ ومنكم مُؤمنٌ**﴾ هو الخالق لكم على هذه الصفة وأرادَ منكم ذلك فلا بُدَّ مِن وُجُود مؤمن وكافر، وهو البصيرُ بمن يستحق الهداية مِمّن يستحق الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿**والله بما تعملون بصيرٌ**﴾ **٣**: ﴿**خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ**﴾ بالعدل والحكمة ﴿**وصوّرَكم فأحسَنَ صُوَرَكم**﴾ أحسنَ أشكالكم ﴿**وإليه المصيرُ**﴾ المرجعُ والمآب، ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائناتِ السمائيّة والأرضيّة والنفسيّة فقال تعالى: **٤**: ﴿**يعلمُ ما في السمواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تُسِرُّون وما تُعلِنُون والله عليمٌ بذاتِ الصدور**﴾ **٥**: يُخبر تعالى عن الأمم الماضية وما حلَّ بالمكذّبين منهم من العذاب والنكال، فقال تعالى: ﴿**ألَمْ يأتِكم نبأُ الذين كفرُوا مِن قبلُ فذاقُوا وَبالَ أمرِهم**﴾؟ وَخِيمَ تكذيبهم ورديءِ أفعالهم، وهو ما حَلَّ بهم في الدنيا من العُقوبة والخزي ﴿**ولهم عذابٌ أليمٌ**﴾ في الدار الآخرة، ثم علّلَ ذلك فقال: **٦**: ﴿**ذلك بأنّه كانت تأتِيهم رُسُلُهم بالبيّناتِ**﴾ بالحجج والدلائل والبراهين، ﴿**فقالوا أبَشَرٌ يَهْدُونَنا**﴾؟ استبعَدُوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هُداهُم على يدي بشرٍ مثلِهم ﴿**فكفرُوا وتولَّوْا**﴾ كذّبُوا بالحقِّ ونكلُوا عن العمل ﴿**واستغنَى اللهُ**﴾ عنهم ﴿**واللهُ غنيٌّ حميدٌ**﴾ **٧**: ﴿**زعمَ الذين كفروا أنْ لنْ يُبعَثُوا قُلْ بلى وربّي لَتُبْعَثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ بما عملتُم**﴾ لتخبَرُنّ بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿**وذلك على اللهِ يسيرٌ**﴾ **٨**: ﴿**فآمِنُوا باللهِ ورسولِه والنُّورِ الذي أنزلنا**﴾ القرآن ﴿**والله بما تعملون خبيرٌ**﴾ فلا تخفى عليه أعمالكم من خافية **٩**: ﴿**يومَ يجمعُكم ليوم الجمع**﴾ وهو يوم القيامة سُمّيَ بذلك لأنّه يُجمع فيه الأوّلون والآخِرُون في صعيدٍ واحد يسمعهم ويُنفذهم البصر، كما قال تعالى: ﴿ذلك يومٌ مجموعٌ له النّاسُ وذلكَ يومٌ مشهودٌ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إنّ الأوّلين والآخِرين لمجمُوعُون إلى مِيقاتِ يومٍ معلُومٍ﴾، ﴿**ذلِكَ يومُ التغابُن**﴾ هذا من أسماء القيامة، وذلك أنّ أهلَ الجنّة يغبنُون أهلَ النّار، ﴿**ومَن يُؤمِنْ باللهِ ويعمل صالِحاً يُكفِّرْ عنهُ سَيِّئاتِهِ ويُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجري من تحتِها الأنهار خالِدين فيها أبداً**﴾، ولا غُبنَ أعظمُ من أن يدخلَ هؤلاء الجنّةَ ويُذهبَ بأولئك إلى النّار؟! ﴿**ذلك**﴾ [أي: دخول الجنّة] ﴿**الفوزُ العظيمُ**﴾.

الآية: ١ ـ ٢ روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ سُبْحانَ اللهِ العظيم». وعن أبي ذَرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ أخبِرُك بأحبِّ الكلام إلى اللهِ؟ قلتُ: يارسولَ اللهِ أخبرني بأحب الكلام إلى الله!؟ فقال: «إنّ أحبَّ الكلام إلى الله: سُبْحانَ اللهِ وبحمدِهِ» رواه مسلم. وفي رواية أخرى عنده: أنّ رسول الله ﷺ سُئل أيُّ الكلام أفضل؟ قال: ماصطفى اللهُ لملائكتِهِ، أو لعبادِهِ: سُبْحانَ اللهِ وبحمِدِهِ»!! /ابن كثير ج٤/٤٢١/

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ — ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

١٠: ﴿**والذين كفرُوا وكذَّبُوا بآياتنَا أولئكَ أصحابُ النّارِ خالِدين فيها**﴾ [أي: الذين كفروا بالقرآن وكذّبوا به ﴿**وبئْسَ المصيرُ**﴾ فكما ذكر ما للمؤمنين من النعيم فيما تقدم؛ ذكر ما للكافرين من الجحيم] **١١**: ﴿**ما أصابَ مِن مصيبةٍ إلّا بإذنِ اللهِ**﴾ عن قدرهِ ومشيئته، ﴿**ومَن يُؤمن باللهِ يهدِ قلبَهُ واللهُ بكل شيءٍ عليم**﴾ ومَن أصابته مصيبة فعلم-أنّها بقضاء الله وقدره فصبرَ واحتسبَ واستسلمَ لقضاءِ اللهِ هدَى اللهُ قلبَهُ، وعوّضَهُ عمّا فاتَهُ مِن الدنيا هُدىً في قلبه ويقيناً صادِقاً، وقد يُخلف عليه ما كان أُخِذَ منه أو خيراً منه. وقال ابن عباس: يهدي قلبه لليقين، فيعلم أنّ ما أصابَهُ لم يكن ليخطئَهُ، وما أخطأه لم يكن ليصيبَهُ **١٢**: ﴿**وأطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ**﴾ أمر سبحانه بطاعته وطاعة رسوله فيما شرع، ﴿**فإنْ تَوَلَّيتُم فإنّما على رسولِنا البلاغُ المُبينُ**﴾ إن نكلتُم عن العمل فإنّما عليه ما حُمّل مِنَ البلاغِ وعليكم ما حُملتُم من السمع والطاعة **١٣**: ﴿**اللهُ لا إلهَ إلّا هو**﴾ أخبر تعالى أنّه الأحدُ الصمدُ الذي لا إلهَ غيرُهُ ﴿**وعلى اللهِ فليتوكّلِ المؤمِنُون**﴾ [فالقسم] الأول خبرٌ عن التوحيد ومعناه معنى الطلب؛ أي: وحدوا الإلهيّة له وأخلِصُوها لديهِ وتوكلُوا عليه، كما قال تعالى: ﴿ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إلهَ إلّا هو فاتخِذْهُ وكيلاً﴾ **١٤**: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا إنّ مِنْ أزواجكم وأولادِكُم عَدُوّاً لكم**﴾ يلتهي [بهم] عن العمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالُكم ولا أولادُكم عن ذكرِ الله﴾ الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿**فاحْذَرُوهم**﴾ على دينكم، ﴿**وإن تَعْفُوا وتصفَحُوا وتغفِرُوا فإنّ اللهَ غَفُورٌ رحيم**﴾ [أي: عمّن أساءَ إليكم بسبب الأهل والأولاد] **١٥**: ﴿**إنّما أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ**﴾ إنّما الأموال والأولاد فتنةٌ واختبارٌ وابتلاءٌ مِن الله تعالى لخلقه ليعلمَ مَن يُطيعُهُ ممن يعصيه، ﴿**واللهُ عندَهُ أجرٌ عظيمٌ**﴾ يومَ القيامة، كما قال تعالى: ﴿زُيّنَ للنّاس حُبُّ الشهواتِ مِن النساءِ والبنين والقناطيرِ المُقنطرةِ مِن الذهبِ والفضّةِ والخيلِ المسوّمةِ والأنعامِ والحرثِ ذلك متاعُ الدنيا واللهُ عندَهُ حُسْنُ المآب﴾ **١٦**: ﴿**فاتّقُوا اللهَ ما استطعتُم**﴾ جهدكم وطاقتكم، كما ثبت في الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فأتُوا منه ما استطعتم وما نهيتُكم عنه فاجتنِبُوهُ»، ﴿**واسمَعُوا وأطيعُوا**﴾ كُونُوا منقادِين بما يأمركم اللهُ بهِ ورسوله، ﴿**وأنفِقُوا خيراً لأنفسِكم**﴾ وابذلُوا مِمّا رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين، ﴿**ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئكَ هُمُ المفلِحُون**﴾ **١٧**: ﴿**إن تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لكم ويغفِرْ لكم**﴾ مهما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلِفُهُ ومهما تصدّقتم من شيء فعليه جزاؤُهُ، ونزلَ ذلك منزلة القرض ﴿**ويغفِرْ لكم**﴾ السيّئات ﴿**واللهُ شكورٌ حليم**﴾ يجزي على القليل الكثير، **١٨**: ﴿**عالِمُ الغَيبِ والشهادةِ العزيزُ الحكيمُ**﴾، تقدم تفسيره غير مرّة.

الآية: ١٠ وفي الحديث المتفق على صحته أنّ رسول الله ﷺ قال: «عجباً للمؤمن، لايقضي اللهُ له قضاءً إلاّ كان خيراً له، إنْ أصابته ضرّاءُ صَبَرَ، فكان خيراً له، وإنْ أصابته سرّاءُ شكرَ، فكان خيراً له، وليس ذلك لأحدٍ إلاّ للمؤمن». وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت: أنّ رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يارسول الله! أيّ العمل أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله وتصديق به، وجهادٌ في سبيل الله» قال أريد أهون من هذا [أي الجهاد] يارسول الله ؟ قال: «لاتتهمِ اللهَ في شيءٍ قضىَ لك بهِ». /ابن كثير ج٤/٣٧٥/

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٦

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

تفسير سورة الطلاق

١: ﴿**يا أيها النبيُّ**﴾ خُوطِبَ صلى الله عليه وآله وسلم أوّلاً تشريفاً وتكريماً ثم خاطب الأمة تبعاً: ﴿**إذا طَلَّقتُمُ النساءَ فطلِّقُوهُنَّ لعِدّتِهِنَّ**﴾ روى البخاري: أن ابن عمر طلق امرأتَهُ وهي حائض، فذكر عمرُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتغيَّظ صلى الله عليه وآله وسلم منه، ثم قال: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يُطلقها طاهراً قبل أن يمسّها، فتلك العِدّةُ التي أمرَ بها الله عزّ وجلّ». ﴿**وأحْصُوا العِدّةَ**﴾ اعرفُوا ابتداءَها وانتهاءَها ﴿**واتقُوا الله ربَّكم**﴾ في ذلك، ﴿**لا تُخرِجُوهُنَّ من بُيُوتِهِنَّ ولا يخرجنَ**﴾ في مدّة العِدّة، لها حقُّ السكنَى على الزوج ما دامت معتدّةً منه، فليسَ للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنّها متعلقة لحق الزوج أيضاً، ﴿**إلّا أن يأتينَ بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ**﴾ الفاحشة تشمل الزنا والنشوز، [من النشوز إيذاء أهل الرجل بالكلام والفعال] ﴿**وتلكَ حُدُودُ الله**﴾ شرائعه ومحارمه ﴿**ومَن يتعدَّ حُدُودَ الله**﴾ يتجاوزها ولا يأتمر بها ﴿**فقد ظلم نفسَهُ**﴾ بفعل ذلك، ﴿**لا تَدْرِي لعلّ الله يُحدِثُ بعدَ ذلك أمراً**﴾ من رجعتها، فيكون ذلك أيسر وأسهل **٢**: ﴿**فإذا بلَغْنَ أجلَهُنَّ**﴾ شارفنَ على انقضاء العِدّة ﴿**فأمسكُوهُنَّ بمعروف**﴾ الإمساك هو الإرجاع إلى عصمة نكاحه محسناً إليها، ﴿**أو فارِقُوهُنَّ بمعروف**﴾ من غير مقابحة ولا مشاتمة، ﴿**وأشهِدُوا ذَوَيْ عدلٍ منكم**﴾ على رجعتها ﴿**ذلكم يُوعظ بهِ مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخر**﴾ هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد إنّما يأتمر به من يُؤمن بالله واليوم الآخر، ﴿**ومَنْ يتقِ الله يجعلْ لهُ مخرجاً**﴾ مَن يتق الله فيما أمرَه به يجعل له من أمره [وضيقه] مخرجاً **٣**: ﴿**ويَرْزُقْهُ مِن حيثُ لا يحتسِبُ**﴾ من جهةٍ لا تخطر بباله، ﴿**ومَن يتوكّلْ على اللهِ فهو حَسْبُهُ**﴾ [أي: مَن فوّض أمرَهُ إليه كفاهُ ما أهمّه] ﴿**إنّ الله بالغُ أمرِهِ**﴾ منفذٌ قضاياه وأحكامه بما يشاء، ﴿**قد جعلَ اللهُ لكل شيءٍ قَدْراً**﴾ [أي: أجلاً ينتهي إليه]، كقوله تعالى: ﴿وكلّ شيءٍ عنده بمقدار﴾ **٤**: ﴿**واللّائي يَئِسْنَ مِن المحيض مِن نسائكم**﴾ التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها ﴿**فعدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشهرٍ واللائي لم يَحِضْنَ**﴾ كعِدّة الآيسة ثلاثة أشهر، [وقوله تعالى: ﴿**إنِ ارتبتُم**﴾ في حكم عِدّتهنّ ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر كما بيّنه سبحانه] ﴿**وأولاتُ الأحمال**﴾ والحامل ﴿**أجلُهُنَّ أن يضعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ فعدّتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت، ﴿**ومَن يتّقِ الله يجعلْ له من أمرِهِ يُسْراً**﴾ يُسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً **٥**: ﴿**ذلك أمرُ اللهِ أنزلَهُ إليكم**﴾ حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿**ومَن يتّقِ الله يُكفِّرْ عنه سيِّئاتِهِ ويُعظِمُ له أجراً**﴾ يُذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير.

الآية: ١ قال ابن عمر: ﴿فطلقوهُنّ﴾ في قِبَلِ ﴿عدّتهنّ﴾، وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿فطلقوهُنّ لعدّتهن﴾ قال: الطهر من غير جماع. وعن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك. وعن ابن عباس قال: لايطلقها وهي حائض ولافي طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلّقها تطليقةً. وقال عكرمة: العِدّة: الطهر، والقُرْء الحيضة؛ أن يطلقها حُبْلَى مستبيناً حملها، ولايُطلقها وقد طاف عليها ولايدري حبلى هي أم لا؟. ومن هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسَّمُوهُ طلاق سنّة وطلاق بدعة، فطلاق السنّة أن يطلّقها طاهرةً من غير جماع، أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي هو أن يُطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه. /ابن كثير ج٤/٣٧٨/

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

٦: **﴿أسكِنُوهُنَّ مِن حيثُ سكنتُم مِن وُجْدِكُم﴾** يأمر تعالى عبادَه إذا طلّق أحدُهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عِدّتها، **﴿مِن وُجْدِكُم﴾** من سعتِكم **﴿ولا تُضارُّوهُنَّ﴾** تضاجروهنّ **﴿لِتُضيّقوا عليهنّ﴾** لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه، **﴿وإن كُنّ أولاتِ حملٍ فأنفِقوا عليهِنّ حتى يَضَعْنَ حملَهُنَّ﴾** هذه في [الطلاق] البائن إن كانت حاملاً حتى تضع حملها، فإنّ الحمل تطول مدّته غالباً لئلاّ يتوهم أنّه إنّما تجب النفقة بمقدار مدّة العِدّة. **﴿فإن أرضعنَ لكم فآتوهُنَّ أجُورَهُنَّ﴾** إذا وضعنَ حملهُنّ وهُنّ طوالق فقد بِنَّ بانقضاء عدّتهِنّ، ولهنَّ حينئذٍ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه بباكورة اللبن الذي لا قِوامَ للمولود غالباً إلّا به، فإن أرضعتْ استحقتْ أجرَ مثلها أو تعاقد أباه أو وليه، ولهذا قال تعالى: **﴿فإن أرضعنَ لكم فآتوهُنّ أجُورَهُنّ وائتمِرُوا بينكم بمعرُوف﴾** ولتكن أموركم فيما بينكم من غير إضرار، **﴿وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾** وإن اختلف الرجل والمرأة في أجرة الرضاع فليسترضع له غيرها ٧: **﴿لِيُنفقْ ذُو سَعةٍ مِن سَعتِه﴾** لينفق الوالد بحسب قدرته **﴿ومَن قُدِرَ عليه رِزْقُهُ فلْيُنفقْ مِمّا آتاه الله لا يُكلّفُ اللهُ نفساً إلّا ما آتاها سيجعلُ اللهُ بعد عُسْرٍ يُسراً﴾** وهذا وعدٌ منه تعالى، ووعده حقٌّ لا يُخلِفُهُ ٨: **﴿وكأيِّنْ مِن قريةٍ عَتَتْ عن أمرِ ربِّها ورُسُلِه﴾**؟ [هذا توعّدٌ من الله] لمن خالف أمرَه وكذّب رُسُلَهُ، **﴿عتَتْ﴾** طغت واستكبرت عن اتباع أمر الله **﴿فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نُكراً﴾** منكراً فظيعاً ٩: **﴿فذاقتْ وبالَ أمرِها﴾** غِبَّ مخالفتِها، وندموا حيث لا ينفعهم الندم **﴿وكان عاقبةُ أمرِها خُسْراً﴾** ١٠: **﴿أعدَّ اللهُ لهم عذاباً شديداً فاتقُوا اللهَ يا أولي الألبابِ﴾** يا أولي الأفهام، فلا تكونوا مثلهم فيُصيبكم ما أصابَهم **﴿يا أولي الألباب الذين آمنوا﴾** بالله ورسوله **﴿قد أنزلَ اللهُ إليكم ذكراً﴾** القرآن ١١: **﴿رسولاً يتلُوا عليكم آياتِ اللهِ مُبيِّناتٍ﴾** رسولاً [يبين الآيات] في حال كونها بيّنة واضحة **﴿لِيُخرِج الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ من الظلماتِ إلى النُّور﴾**، كقوله تعالى: ﴿كتابٌ أنزلناه إليكَ لتخرجَ النّاسَ مِن الظلماتِ إلى النّورِ﴾، **﴿ومَن يُؤمِنْ باللهِ ويعمل صالحاً يُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً قد أحسنَ اللهُ لهُ رِزْقاً﴾** [أي: وسَّعَ الله له في الجنّات] ١٢: **﴿اللهُ الذي خلقَ سبعَ سمٰواتٍ ومِن الأرضِ مِثْلَهُنَّ﴾** سبعاً أيضاً، كما ثبت في الصحيحين: «مَن ظلمَ قِيْدَ شبرٍ من الأرض طُوِّقَهُ من سبع أرضين»، وفي صحيح البخاري: «خُسِف به إلى سبع أرَضِين»، وكذا في الحديث الآخر: «ما السمواتُ السبع وما فيهنّ وما بينهُنّ والأرضون السبع وما فيهِنّ وما بينهما في الكرسي إلّا كحلقةٍ بأرضٍ فلاةٍ»، **﴿يتنَزَّلُ الأمرُ بينهُنّ﴾** [أي: يتنزّل الأمرَ من السموات السبع إلى الأرضين السبع] **﴿لتعلموا أنّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ وأنّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً﴾** [فلا يخرج شيءٌ عن علمه وقدرته].

الآية: ٧ روى ابن جرير عن أبي سنان قال: سألتُ عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل: إنّه يلبس الغليظَ من الثياب، ويأكل أخشنَ الطعام، فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظُرْ مايصنعُ بها إذا هو أخذها؟ فما لبث أن لبس اللّيّنَ من الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاءَهُ الرسول فأخبره، فقال: رحمَهُ اللهُ تعالى تأوّل هذه الآية: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِهِ، ومَنْ قُدِرَ عليهِ رِزْقُهُ فلْيُنْفِقْ مّما آتاهُ الله﴾. /ابن كثير ج٤/٣٨٣/

سُورَةُ التَّحْرِيم

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

(ربع الحزب ٥٦)

تفسير سورة التحريم

١: ﴿يا أيُّها النبيّ لِمَ تُحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لك﴾ الآية نزلت في شأن مارية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حرّمها، **﴿تبتغي مرضاةَ أزواجِكَ واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾** [أي: تفعل ذلك طلباً لرضاهُنّ. والله غفورٌ لما أوجبَ المُعاتبة، رحيم برفع المؤاخذة] **٢: ﴿قد فرضَ اللهُ لكم تَحِلَّةَ أيمانِكم﴾** فكفَّرَ صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه وأصابَ جاريته. فصيّرَ التحريمَ يميناً. **﴿واللهُ مولاكم وهو العليمُ الحكيمُ﴾** [أي: نصيركم ومتولي رعايتكم بإزالة الحظر فيما تحرّمون على أنفسكم، وبالترخيص لكم في تحليل أيمانكم بالكفارة، وبالثواب على ما تُخرجُونه في الكفارة] **٣: ﴿وإذْ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾** لحفصة، قال لها: «لا تخبري أحداً، وإنّ أم إبراهيم عليّ حرام»، **﴿فلمّا نبأتْ بهِ وأظهرَهُ اللهُ عليه﴾** [أي: لمّا أخبرت به عائشة لمصافاةٍ كانت بينهما، وكانتا متظاهِرَتين على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم **﴿وأظهرَهُ اللهُ﴾** أطلعه الله على أنّها قد نبّأت به] **﴿عرّفَ بعضَهُ وأعرضَ عن بعضٍ فلمّا نبّأها بهِ قالتْ مَن أنبأكَ هذا﴾**؟ [فظنت أنّ عائشة أخبرته] **﴿قال نبّأنيَ العليمُ الخبيرُ﴾** [أي: الذي لا يخفَى عليه شيءٌ] **٤: ﴿إنْ تَتُوبَا إلى اللهِ﴾** [يعني حفصة وعائشة، حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم] **﴿فقد صَغَتْ قلوبُكُمَا﴾** [أي: قد زاغتْ ومالتْ عن الحقِّ]، **﴿وإنْ تظاهَرَا عليه﴾** حفصة وعائشة **﴿فإنّ اللهَ هو مولاهُ وجبريلُ﴾** [أي: وليّهُ وناصرُهُ فلا يضرّهُ ذلك التظاهر منهما] **﴿وصالحُ المؤمنين﴾** [أي: أبو بكر وعمر، لأنهما أبوا حفصة وعائشة، وكانا عوناً له عليهما] **﴿والملائكةُ بعدَ ذلك ظهيرٌ﴾** [أي: أعوان له] **٥: ﴿عسى ربُّهُ إنْ طلّقكُنّ أنْ يُبدِلَهُ أزواجاً خيراً منكنَّ﴾** نزلت هذه الآية على لسان عمر بن الخطاب، وذلك أنه كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء، فقال: لتكفّنّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيراً منكُنَّ، فأنزل الله هذه الآية. **﴿مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ﴾** [أي: مطيعاتٍ] **﴿تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ﴾** صائمات **﴿ثيّباتٍ وأبكاراً﴾** منهُنّ ثيبات، ومنهُنّ أبكاراً، ليكون ذلك أشهى إلى النفس، فإنّ التنوّع يبسط النفس **٦: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً﴾** أدّبُوهم وعلّمُوهم، ليعملوا بطاعة الله، ويتقُوا معاصي الله، وامروا أهليكم بالذكر ينجيكُمُ اللهُ مِن النّار، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مرُوا الصبيَّ بالصلاة إذا بلغَ سبعَ سنين، فإذا بلغ عشرَ سنين فاضربُوهُ عليها»، **﴿وَقُودُها﴾** حطبها **﴿الناسُ والحِجارةُ﴾** الأصنام التي تُعبد، **﴿عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾** قد نُزعت من قلوبهم الرحمة **﴿لا يعصون اللهَ ما أمرَهم ويفعلون ما يُؤمرون﴾** مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين **٧: ﴿يا أيّها الذين كفرُوا لا تعتذِرُوا اليوم﴾** يوم القيامة فإنه لا يُقبل منكم **﴿إنّما تُجزَون ما كنتم تعملون﴾**.

سورة التحريم: كان رسول الله ﷺ أقسم أنْ لايدخل على نسائه شهراً من شدّة موجدته عليهنّ حتى عاتبه الله عزّ وجلّ، وذلك أن أزواجه الطاهرات كُنّ يراجِعْن [أي بالكلام] وتهجره إحداهُنّ اليومَ إلى الليل. فكان ماقصّه الله تعالى في هذه السورة الكريمة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

٨: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا تُوبُوا إلى اللهِ توبةً نَصُوحاً﴾** توبةً صادقةً جازمةً تمحُو ما قبلها من السيئات. والتوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعودُ فيه، ولا يريد أن يعودَ فيه، **﴿عسَى ربُّكم أنْ يُكفِّرَ عنكم سيِّئاتكم ويُدخلكم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾** وعسَى من الله موجبة [وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «التائبُ مِنَ الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ لهُ» **﴿يومَ لا يُخْزِي اللهُ النبي والذين آمنوا معه﴾** ولا يُخزيهم معه يوم القيامة **﴿نُورُهم يسعَى بين أيديهم وبأيمانِهِم﴾** بينما نور المنافقين قد طُفِىء **﴿يقولُون ربَّنا أتمم لنا نُورنا﴾** [هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ اللهُ نورَ المنافقين] **﴿واغفِرْ لنا إنّك على كل شيءٍ قدير﴾** ٩: **﴿يا أيُّها النبي جاهِدِ الكفارَ والمنافِقين﴾** يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم **﴿واغلُظْ عليهم﴾** في الدنيا **﴿ومأواهم جهنّم وبئسَ المصير﴾** في الآخرة. ثم قال تعالى: ١٠: **﴿ضربَ اللهُ مثلاً للذين كفروا امرأةَ نُوحٍ وامرأة لوط﴾** إنّ ذلك لا يجدي عنهم شيئاً ولا ينفعُهم عند اللهإن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم، وذكر تعالى **﴿امرأة نوح وامرأة لوطٍ كانتا تحتَ عبدين مِن عبادِنا صالِحَين﴾** نبيّين رسولَين عندهما في صحبتهما ليلاً نهاراً يُعاشرانهما **﴿فخانتَاهُمَا﴾** في الإيمان، لم يُوافقاهما على الإيمان ولا صدّقاهما في الرسالة **﴿فلم يُغنيَا عنهما مِنَ اللهِ شيئاً﴾** لكفرهما، **﴿وقِيلَ﴾** للمرأتين: **﴿ادْخُلا النّارَ معَ الداخِلين﴾**، وليس المراد بقوله تعالى: **﴿فخانتاهما﴾** في فاحشة، بل في الدِّين، فإنّ نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبيٍّ قط، إنّما كانت خيانتهما في الدِّين ١١: **﴿وضربَ اللهُ مثلاً للذين آمنوا امرأةَ فرعونَ إذْ قالَتْ ربِّ ابنِ لِي عندَكَ بيتاً في الجنّة﴾** وهذا مثلٌ ضربه اللهُ للمؤمنين أنّهم لا تضرّهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: ﴿ولا يتّخِذِ المؤمنون الكافرين أولياءَ من دُون المؤمنين ومَن يفعل ذلك فليسَ مِن اللهِ في شيءٍ إلّا أن تتقُوا منهم تُقَاةً﴾، قال قتادَةُ: كان فرعونُ أعتَى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضرَّ امرأتَهُ كفر زوجها حين أطاعت ربَّها، ليعلموا أنّ اللهَ تعالى حَكَمٌ عدلٌ لا يُؤاخِذُ أحداً إلّا بذنبِهِ، **﴿ونجّني من فرعونَ وعملِهِ ونجّني مِنَ القوم الظالمين﴾** فكانت امرأةُ فرعون تعذّب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلّتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتَها في الجنّة ١٢: **﴿ومريمَ ابنةَ عمرانَ التي أحصنتْ فَرْجها﴾**[1] حفظته وصانته؛ والإحصانُ: هو العفاف والحريّة **﴿فنفخنا فيه﴾** في جيب درعها **﴿مِن روحِنَا﴾** فكان منه الحمل بعيسَى عليه السلام **﴿وصدّقتْ بكلماتِ ربِّها وكتبِهِ﴾** بقَدَرِهِ وشرعه، **﴿وكانت مِن القانتين﴾** [أي: من المطيعين، المصلين].

(١) قال المفسِّرُون: إنّه أراد بالفَرْج هنا: الجيب، حيث أرادت منع جبريل من ذلك، فأخذت بمجامع ثوبها واستعاذت باللهمنه، فارتعد عليه السلام فعاد إلى هيئته المَلكية، فأيقنت أنّه لا يريدها بسوء، وتمّ قدر اللهتعالى.

الآية: ١٢ وقد ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «كَمُلَ مِنَ الرجال كثيرٌ ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد» وفي رواية عند أحمد: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد [ﷺ] ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». /ابن كثير ج٤/٣٩٤/

سُورَةُ المُلْكِ — ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

تفسير سورة المُلك

١: ﴿**تباركَ الذي بيدِهِ المُلْكُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير**﴾ يُمجّدُ اللهُ تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنّه بيدِهِ المُلك، أي: هو المتصرّف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يُسألُ عمّا يفعل لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال تعالى: ﴿**وهو على كلِّ شيءٍ قدير**﴾ **٢**: ﴿**الذي خلقَ الموتَ والحياةَ**﴾ [في هذه الآية دليل] على أنّ الموتَ أمرٌ وجودي لأنّه مخلوق، ومعنى الآية أنّه أوجد الخلائق من العدم ﴿**ليبلوكم**﴾ يختبركم ﴿**أيُّكم أحسنُ عملاً**﴾ خير عملاً وأكثر عملاً ﴿**وهو العزيزُ الغَفُورُ**﴾ هو العظيم المنيع الجانب وهو مع ذلك غفورٌ لمن تابَ إليه وأناب بعدما عصاه **٣**: ﴿**الذي خلقَ سبعَ سمواتٍ طِباقاً**﴾ طبقةً بعد طبقة، ﴿**ما ترى في خَلْقِ الرحمنِ مِن تفاوتٍ**﴾ بل هو مُصطحبٌ مستوٍ ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا عيب ولا خلل، ولهذا قال تعالى: ﴿**فارجعِ البصرَ هل ترى مِن فُطُورٍ**﴾؟ انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً؟ **٤**: ﴿**ثم ارجعِ البصرَ كرّتين**﴾ مرتين ﴿**ينقلب إليك البصر خاسئاً**﴾ ذليلاً صاغراً ﴿**وهو حسير**﴾ كليل من الأعياء، ومعنى الآية: أنّك لو كرّرتَ البصرَ مهما كرّرت لانقلب إليك، أي: لرجع إليك البصرُ ﴿**خاسئاً**﴾ عن أن يرى عيباً أو خللاً، قد انقطع من الأعياء من كثرة التكرار، ولمّا نفى عنها في خلقها النقصَ بيّن زينتَها فقال تعالى: **٥**: ﴿**ولقد زيّنّا السماءَ الدنيا بمصابيح**﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيّارات والثوابت ﴿**وجعلناها رُجُوماً للشياطين**﴾ بشهب منها، ﴿**وأعتدنا لهم عذابَ السعير**﴾ جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا ولهم عذاب السعير في الآخرة **٦**: ﴿**وللذين كفروا بربِّهم عذابُ جهنّم وبئسَ المصير**﴾ بئسَ المآل والمنقلب **٧**: ﴿**إذا ألقوا فيها سمِعُوا لها شهيقاً**﴾ صياحاً ﴿**وهي تفورُ**﴾ تغلي كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير **٨**: ﴿**تكادُ تميّزُ مِن الغيظ**﴾ يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدّة غيظها عليهم وحنقها بهم ﴿**كلّما ألقيَ فيها فوجٌ سألهم خزنتُها ألم يأتِكم نذير**﴾؟ **٩**: ﴿**قالوا بلى قد جاءَنا نذيرٌ فكذّبنا وقلنا ما نزّلَ اللهُ مِن شيءٍ**﴾ [فأجابتهم الملائكة] ﴿**إنْ أنتم إلّا في ضلالٍ كبير**﴾ **١٠**: ثم عادوا على أنفسهم بالملامة ونَدِمُوا حيث لا تنفعهم الندامة، ﴿**وقالوا لو كُنّا نسمعُ أو نعقلُ ما كنّا في أصحابِ السعير**﴾ لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحقِّ لَمَا كُنّا على الكفر [الذي متنا عليه] **١١**: ﴿**فاعترفُوا بذنبِهم فَسُحْقاً لأصحاب السعير**﴾ وفي الحديث: «لا يدخل أحدٌ النّار إلّا وهو يعلم أنّ النّار أولى به مِنَ الجنّة» **١٢**: يُخبر تعالى عمّن يخاف مقامَ ربِّه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن النّاس فينكفُّ عن المعاصي: ﴿**إنّ الذين يَخْشَونَ ربَّهم بالغيب لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ**﴾ تُكفَّرُ عنه ذنوبه ويُجازى بالثواب الجزيل.

سورة المُلك: روى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غُفِرَ لهُ؛ تبارك الذي بيدِهِ المُلْك»!!. وروى الترمذي عن جابر أنّ رسول الله ﷺ كان لاينام حتى يقرأ ﴿آلم تنزيل﴾، و﴿تبارك الذي بيدِهِ المُلْك﴾. /ابن كثير ج٤/٣٩٥/

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

١٣: ﴿**وأسِرُّوا قولكم أوِ اجهروا بهِ**﴾ نبّه تعالى على أنّه مطلع على الضمائر والسرائر ﴿**إنّه عليمٌ بذتِ الصـدورِ**﴾ بما يخطر في القلوب **١٤**: ﴿**ألَا يعـلمُ مَن خـلقَ وهو اللطيفُ الخبيرِ**﴾ ألّا يعلم الخالقُ مخلوقَهُ؟ [أي: كيف لا يعلم وهو الذي يخلق]؟ **١٥**: ثم ذكر تعالى نعمتَـه على خلقـه في تسخيره لهم الأرض وتذليـله إيّاها لهم: ﴿**هو الذي جعلَ لكم الأرضَ ذَلُولاً فامشوا في مناكبها**﴾ فسافِروا حيث شئتم من أقطارها وتردّدوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ﴿**وكلُوا من رِزْقِهِ**﴾ فهو الذي يسّرَهُ لكم، ﴿**وإليـه النشورُ**﴾ المرجع يوم القيامة **١٦**: ﴿**أأمنتُـم مَن في السماء أن يخسِفَ بكُـمُ الأرضَ فإذا هي تَمُورُ**﴾؟ وهذا أيضـاً من لطفه ورحمته تعالى بخلقه أنّه قادرٌ على تعذيبهم بسبب كفرهم، وهو مع هذا يحلم ويصفح ويُؤجل ولا يُعجّـل، كما قال تعالى: ﴿ولو يُؤاخِذُ اللهُ النـاسَ بما كسبُوا ما تركَ على ظهرِها مِن دابّةٍ ولكن يُؤخرهم إلى أجلٍ مُسَمّىً فإذا جاءَهم أجلُهم فإنّ اللهَ كان بعبادِهِ بصيراً﴾ **١٧**: ﴿**أم أمنتُـم مَن في السماءِ أن يرسِلَ عليكم حاصِباً**﴾ ريحاً فيها حصبـاء تدمغكـم ﴿**فستعـلَمُون كيف نذيرِ**﴾؟ أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من خالف وكذّب؟ **١٨**: ﴿**ولقد كذّبَ الذين من قبلهم**﴾ من الأمم السالفة والقرون الخالية ﴿**فكيفَ كان نكيرِ**﴾ فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟ أي: عظيماً شديداً أليماً. ثم قال تعالى: **١٩**: ﴿**أوَلَمْ يَرَوْا إلى الطير فوقهم صافّاتٍ ويقبضنَ**﴾؟ تارةً يصففنَ أجنحتهنّ في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً ﴿**وما يُمسكهُنّ**﴾ في الجوّ ﴿**إلّا الرحمن**﴾ بما سخّرَ لهنّ من الهواء من رحمته ولطفه ﴿**إنّه بكلِّ شيءٍ بصيرٍ**﴾ بما يُصلح مخلوقاته **٢٠**: ﴿**أمّنْ هذا الذي هو جُندٌ لكم ينصرُكم مِن دُونِ الرحمن**﴾؟ أي: ليس لكم من دون الله من وليّ ولا واقٍ ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿**إنِ الكافِرُون إلّا في غرورٍ**﴾ ثم قال تعالى: **٢١**: ﴿**أمّنْ هذا الذي يرزقُكم إنْ أمسكَ رزقَهُ**﴾؟ لا يعطي ولا يرزق إلّا الله وحده لا شريك له، وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿**بلْ لَجُّوا**﴾ استمرُّوا في طغيانهم وضلالهم ﴿**في عُتُوٍّ ونُفُورٍ**﴾ في معاندة واستكبار **٢٢**: ﴿**أفمَنْ يمشي مُكبّاً على وجههِ أهدَى أمّنْ يمشي سويّاً على صراطٍ مستقيم**﴾؟ هذا مثلٌ ضربه اللهُ للمؤمن الذي يمشي مستوياً والكافر الذي يمشي منكبّاً على وجهه، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونُون في الآخرة **٢٣**: ﴿**قُلْ هو الذي أنشأكُم**﴾ بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**﴾ العقول والإدراك ﴿**قليلاً ما تشكرون**﴾ قلّما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته **٢٤**: ﴿**قُلْ هو الذي ذرأكُم في الأرض**﴾ بثّكم في أقطارها ﴿**وإليهِ تُحشَرُون**﴾ بعد هذا التفرّق والشتات **٢٥**: ﴿**ويقولُون متى هذا الوعدُ إنْ كنتم صادِقين**﴾ متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرّق **٢٦**: ﴿**قُلْ إنّما العلم عندَ الله**﴾ لا يعلم وقت ذلك إلّا الله ﴿**وإنّما أنا نذيرٌ مبين**﴾ إنّما عليّ البلاغ وقد أديتُهُ إليكم.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

الحزب ٥٧

٢٧: ﴿فلمّا رَأَوْهُ زُلفةً سِيئَتْ وُجوهُ الذين كفروا﴾ لمّا قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أنّ الأمرَ كان قريباً، ساءَهم ذلك لِما يعلمُون ما لهم هناك من الشر ما لم يكن لهم في بالٍ ولا حساب ﴿وبدَا لهم مِن اللهِ ما لم يكونوا يحتسِبُون، وبدَا لهم سيِّئاتُ ما عملوا وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزِئُون﴾، ولهذا يُقال لهم على وجه التـقـريع والتـوبيـخ: **﴿وقيــل هـذا الذي كنتُم به تدّعون﴾** تستعجِلُون **٢٨: ﴿قُلْ﴾** يا محمد لهؤلاء الجاحِدِين **﴿أرأيتُم إنْ أهلكنيَ اللهُ ومَن مَعِيَ أو رحمَنا؟ فمَنْ يُجيرُ الكافرين من عذاب أليم﴾** خلِّصُـوا أنفسَكـم فإنّه لا منـقـذ لكـم من اللهِ إلّا التـوبـة والإنـابـة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم ما تتمنّونه لنا من العذاب، فسواء عذّبنا أو رحمنا فلا مناصَ لكـم من نكـاله وعذابه الواقع بكم. ثم قال تعالى: **٢٩: ﴿قُلْ هو الرحمنُ آمنّا به وعليه توكلنـا﴾** آمنّا بربِّ العالمين وعليه توكلنا في جميع أمورنا، كما قال تعالى: ﴿فاعبدْهُ وتوكلْ عليـه﴾، ولهذا قال تعالى: **﴿فستعلمون مَن هو في ضلالٍ مُبين﴾** منّا ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة. ثم قال تعالى: **٣٠: ﴿قُلْ أرأيتُم إنْ أصبح ماؤكم غوراً﴾** ذاهباً في الأرض غائراً غير نابع؟ **﴿فمَنْ يأتيكـم بماءٍ معين﴾** نابعٍ سائحٍ جارٍ على وجه الأرض؟ لا يقـدر على ذلك إلّا الله عزّ وجلّ، فمن فضـله أن جعل لكم المياه جارية في سـائر أقطار الأرض، فللّه الحمد والمنّة.

تفسير سورة القلم[1]

١: ﴿نٓ والقلمِ وما يسطرون﴾ هذا قسمٌ منه تعالى وتنبيهٌ لخلقه على ما أنعمَ به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تُنالُ العلوم، ولهذا قال: **﴿وما يسطرون﴾** وما يكتبون **٢: ﴿ما أنتَ بنعمة ربِّكَ بمجنُون﴾** لستَ ولله الحمد بمجنون كما يقول المكذِّبُون **٣: ﴿وإنّ لكَ لأجراً غيرَ مَمْنُون﴾** لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغِكَ رسالةَ ربِّكَ **٤: ﴿وإنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيم﴾** دين عظيم وأدب عظيم وهو الإسلام **﴿فَسَتُبْصِرُ ويُبْصِرُون﴾** فستعلم يا محمد وسيعلم مكذبوك **٦: ﴿بأيّكم المفتون﴾** الضال المجنون **٧: ﴿إنّ ربَّكَ هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾** هو يعـلم تعـالى أيّ الفـريقـين هو المهتدي ويعـلم الضـالَّ عن الحقّ **٨: ﴿فلاتُطع المكذّبين﴾** [كانوا دعوه ليكفّ عنهـم فيكفُّوا عنـه] **٩: ﴿وَدُّوا لو تُدهِنُ﴾** لو ترخِّص لهم **﴿فيُدْهِنُون﴾** فيُرخِّصُون لك **١٠: ﴿ولا تُطِعْ كلَّ حلّافٍ مَهِين﴾** الكاذب الذي يجترىء على أسماء الله فيستعملها في غير محلها **١١: ﴿همّازٍ﴾** مغتاب **﴿مَشّاءٍ بنميم﴾** يمشي بين الناس ينقل الحديث لفساد ذات البَين **١٢: ﴿مَنّاعٍ للخير﴾** يمنع ما لديه من الخير **﴿مُعْتدٍ﴾** في الحدّ المشروع **﴿أثيم﴾** بتناول المحرّمات **١٣: ﴿عُتلٍّ بعدَ ذلك زنيم﴾** العُتل: الفظ الغليظ، والزنيمُ: الدَّعِيّ الملحق النسب **١٤: ﴿أنْ كان ذَا مالٍ وبنين﴾** هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفرَ بآياتِ الله عزّ وجلّ **١٥: ﴿إذا تُتْلَى عليهِ آياتُنا قالَ أساطيرُ الأوّلين﴾** كفرَ بآيات الله وأعرض عنها وزعم أنّها كذب مأخوذ من أساطير الأوّلين.

---

(١) وتسمّى: نٓ

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

١٦: **﴿سَنَسِمُهُ على الخُرْطُوم﴾** بالسيف على أنفه **١٧**: **﴿إنّا بلوناهم﴾** اختبرناهم، يعني كفار قريش **﴿كما بلونا أصحابَ الجنّة﴾** وهي البستان المشتمل على الثمار **﴿إذْ أقسَمُوا ليصرمنّها مصبحين﴾** حلفوا ليجذنّ ثمرَها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير **١٨**: **﴿ولا يستثنون﴾** فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم اللهُ في أيمانهم فقال تعالى: **١٩**: **﴿فَطَافَ عليها طائفٌ مِن ربِّكَ وهم نائمون﴾** أصابتها آفة سماويّة **٢٠**: **﴿فأصبحت كالصريم﴾** كالليل الأسود **٢١**: **﴿فتنادَوا مصبحين﴾** نادى بعضُهم بعضاً وقت الصبح **٢٢**: **﴿أنِ اغْدُوا على حرثِكم إن كنتم صارِمين﴾** تريدون الجِذاذَ **٢٣**: **﴿فانطلقوا وهم يتخافَتُون﴾** يتناجَوْن فيما بينهم بحيث لا يُسمِعُون أحداً كلامَهم **٢٤**: **﴿أنْ لا يدخلنّها اليومَ عليكم مسكين﴾** لا تمكنوا اليومَ فقيراً يدخلها عليكم **٢٥**: **﴿وغَدَوْا على حَرْدٍ﴾** قوّة وشِدّةٍ وجِدٍّ **﴿قادِرين﴾** عليها فيما يزعُمون **٢٦**: **﴿فلمّا رأوها قالوا إنّا لضالُّون﴾** فلمّا وصلوا إليها وأشرفوا عليها وقد استحالت عن تلك النضارة إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا يُنتفع بشيءٍ منها فاعتقدوا أنّهم قد أخطأوا الطريق **﴿إنّا لضالُّون﴾** قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها، ثم رجَعُوا عمّا كانوا فيه فقالوا: **٢٧**: **﴿بَلْ نحنُ محرُومُون﴾** هي هذه ولكن نحن لا حظّ لنا ولا نصيب **٢٨**: **﴿قال أوسطهم﴾** أعدلهم وأخيرهم **﴿ألَمْ أقلْ لكم لولا تُسَبِّحُون﴾** هلّا تُسبِّحُون اللهَ وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم **٢٩**: **﴿قالوا سُبْحَانَ ربِّنا إنّا كُنّا ظالمين﴾** أتَوْا بالطاعة حيث لا تنفع ولهذا قالوا: **﴿إنّا كُنّا ظالمين﴾** **٣٠**: **﴿فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتلاوَمُون﴾** يلومُ بعضُهم بعضاً على ما كانوا أصرُّوا عليه من منع المساكين **٣١**: **﴿قالوا يا وَيلنا إنّا كنّا طَاغِين﴾** اعتدينا وبغينا وجاوزنا الحدَّ حتى أصابنا ما أصابنا **٣٢**: **﴿عسى ربُّنا أنْ يُبْدِلنا خيراً منها إنّا إلى ربِّنا راغِبُون﴾** [فأبدلهم اللهُ غيرها] وقد كانوا من أهل اليمن قرب صنعاء **٣٣**: **﴿كذلِكَ العذابُ﴾** هكذا عذاب مَن خالف أمر اللهِ وبخل بما آتاه الله **﴿ولعذابُ الآخرةِ أكبر لو كانوا يعلمون﴾** **٣٤**: **﴿إنّ للمتقين عندَ ربِّهم جنّاتِ النعيم﴾** لمّا ذكر حال من عصاه بين حال من اتقاه **٣٥**: **﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾**؟ فنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلّا **٣٦**: **﴿ما لكم كيف تحكُمُون﴾**؟ كيف تظنّون ذلك؟! **٣٧**: **﴿أم لكم كتابٌ فيهِ تدرُسُون﴾**؟ **٣٨**: **﴿إنّ لكم فيه لَمَا تخيَّرُون﴾** ألكم كتابٌ منزّلٌ من السماء تحفظونه مُتضمّنٌ ما تدَّعُونه؟ **٣٩**: **﴿أمْ لكم أيمانٌ علينا بالِغةٌ إلى يومِ القيامةِ إنّ لكم لَمَا تحكُمُون﴾** أمعكم عُهودٌ مِنّا ومواثيق مؤكدة؟ **﴿إنّ لكم لَما تحكمون﴾** إنّه سيحصل لكم ما تريدونه؟ **٤٠**: **﴿سَلْهُم أيُّهم بذلك زعيم﴾**؟ قلْ لهم: مَن هو المتكفل بهذا؟ **٤١**: **﴿أمْ لهم شُركاءُ﴾** من الأصنام والأنداد **﴿فلْيأْتُوا بشركائهم إنْ كانوا صادِقين﴾** [أي: ليشهدوا على ما زعَمُوا إن كانوا صادقين في دعواهم]؟! **٤٢**: **﴿يومَ يُكشَفُ عن سَاقٍ﴾** يوم القيامة عمّا يكون فيه من الأهوال **﴿ويُدْعَوْن إلى السجودِ فلا يستطيعُون﴾**.

الآية: ١٦ وهذا وعيد له، وقد تحقق، فقد قاتل يوم بدر فخُطم أنفه بالسيف. و﴿سنسِمُهُ﴾ سمة أهل النّار، يعني نسوّد وجهه يوم القيامة. قال ابن جرير: لامانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة /ابن كثير ج٤/٤٠٥ .

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٧

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

٤٣: ﴿**خاشعَةً أبصارهم ترهقهم ذِلّة**﴾ في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعُوقبُوا بنقيض ما كانوا عليه ﴿**وقد كانوا يُدْعَون إلى السجود**﴾ في الدنيا ﴿**وهم سالِمُون**﴾ فعُوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الربُّ عزّوجلّ فيسجد له المؤمنون، ولايستطيع أحدٌ من الكافرين ولاالمنافقين أن يسجد **٤٤**: ﴿**فذرني ومَن يُكذبُ بهذا الحديث**﴾ يعني القرآن، وهذا تهديدٌ شديدٌ أي: دعني وإيّاه مني ومنه أنا أعلم به ﴿**سنستدرجهم مِن حيثُ لايعلمون**﴾ [سنمدّ لهم في غيّهم ثم آخذهم] أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ وهم لايشعرون **٤٥**: ﴿**وأملي لهم إنّ كيدي مَتين**﴾ أؤخرهم وأنظرهم وأمدّهم وذلك من كيدي ومكري بهم إنّ كيدي لمن خالف أمري عظيم **٤٦**: ﴿**أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مُثقلون**﴾ إنّك تدعوهم إلى الله بلاأجر تأخذه منهم بل ترجُو ثوابَ ذلك عند الله تعالى **٤٧**: ﴿**أم عندَهُمُ الغيبُ فهم يكتبون**﴾ [يحكمون لأنفسهم]؟ **٤٨**: ﴿**فاصْبِرْ لحكم ربِّكَ**﴾ يامحمد على قومك، فإن الله سيحكم لك عليهم، ﴿**ولاتكن كصاحب الحوتِ**﴾ وهو يُونس عليه السلام ﴿**إذْ نادى وهو مكظوم**﴾ [وذلك بعدما ذهب] مغاضباً على قومه فكان من أمره أن ذهب إلى البحر فالتقمه الحوت **٤٩**: ﴿**لولا أنْ تدارَكَهُ نِعمةٌ من ربِّه**﴾ فنادى في الظلمات: ﴿أن لاإلهَ إلاّ أنتَ سبحانك إني كنتُ مِنَ الظالِمين﴾ ﴿**لنبذَ بالعراء وهو مذموم**﴾ **٥٠**: ﴿**فاجتباهُ ربُّه فجعلَهُ مِنَ الصالِحين**﴾ اصطفاه واختارَهُ وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون **٥١**: ﴿**وإن يكادُ الذين كفرُوا ليُزلِقُونك بأبصارِهم**﴾ يَعْتَانُونَكَ [أي: يحسدونك] من شدّة عداوتهم لك ﴿**لمّا سمِعُوا الذكرَ ويقولون إنّه لمجنون**﴾ يُؤذُونه بألسنتهم **٥٢**: ﴿**وماهو إلاّ ذكرٌ للعالَمِين**﴾ القرآن

تفسير سورة الحاقة

١: ﴿**الحاقّةُ**﴾ اسمٌ من أسماء القيامة **٢**: ﴿**مَاالحاقّةُ**﴾ **٣**: ﴿**وماأدراكَ ماالحاقّةُ**﴾ تعظيمٌ لأمرها، ثم ذكر تعالى إهلاكَهُ الأمم المكذبين بها فقال تعالى: **٤**: ﴿**كذّبَتْ ثمُودُ وعادٌ بالقارِعة**﴾ [ذكرَ تعالى مَن كذّب بالقيامة، والقارعة القيامة، سُمّيتْ بذلك لأنّها تقرع الناس بأهوالها، يُقال: أصابتهم قوارِعُ الدهر؛ أي: شدائدُهُ وأهواله] **٥**: ﴿**فأمّا ثمُودُ فأهلِكُوا بالطاغية**﴾ وهي الصيحة التي أسكنتهم، والزلزلة [أي: أهلكوا بالصيحة الطاغية على طغيانهم وكفرهم] **٦**: ﴿**وأمّا عادٌ فأهلِكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ**﴾ باردةٍ ﴿**عَاتِيَةٍ**﴾ شديدةِ الهُبوب، عتتْ عليهم حتى نقبت أفئدتَهم **٧**: ﴿**سخّرَها عليهم**﴾ سلّطها عليهم ﴿**سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ حُسُوماً**﴾ كوامل متتابعات مشائيم ﴿**فترى القومَ فيها صَرْعَى كأنّهم أعجازُ نخلٍ خاوية**﴾ [كأصول النخل البالية] أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم فيخرُّ ميتاً على أمّ رأسه، وتبقى جثتُه هامدةً كأنّها قائمة النخلة الخاوية **٨**: ﴿**فهلْ ترى لهم مِن باقِيةٍ**﴾ هل تحِسُّ منهم من أحدٍ من بقاياهم، أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادُوا عن آخرهم، ولم يجعلِ اللهُ لهم خلفاً.

الآية: ٥١ روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «العينُ حقٌّ، ولو كان شيء سابق القدر سبقتِ العين، وإذا اسْتُغْسِلْتُم فاغتسِلُوا» [أي إذا طلب من الحاسد أن يغتسل لمحسوده فليفعل، فإنّ ذلك ينفع المحسود بإذن الله] وروى البخاري أنّ رسول الله ﷺ كان يُعوِّذ الحسنَ والحسينَ فيقول: «أُعيذُكما بكلمات الله التامة من كل شيطان =

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

٩: ﴿**وجاءَ فرعونُ ومَن قَبْلَهُ**﴾ أي: من الأمم المشبّهين له ﴿**والمؤتفكات**﴾ وهم الأمم المكذّبون ﴿**بالخاطئة**﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله **١٠**: ﴿**فعَصَوْا رسولَ ربِّهم**﴾ كلٌّ كذّبَ رسولَ الله إليهم، ومَن كذب برسولٍ فقد كذّب بالجميع، ﴿**فأخذَهم أخذةً رابيةً**﴾ عظيمةً شديدةً أليمة **١١**: ﴿**إنّا لمّا طَغَا الماءُ**﴾ بسبب دعوة نوح عليه السلام فارتفع على الوجُود ﴿**حملناكم في الجارية**﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء **١٢**: ﴿**لنجعلها لكم تذكرةً**﴾ أبقينا لكم من جنسها ماتركبُون على تيّار الماء في البحار، كما قال تعالى: ﴿وآيةٌ لهم أنّا حملنا ذُرّيتهم في الفُلْكِ المشحون﴾، ﴿**وتَعِيَها أُذنٌ واعيةٌ**﴾ وتفهم هذه النعمة أذنٌ عقلت عن الله فانتفعت بماسمعت من كتاب الله **١٣**: يُخبر تعالى عن أهوال القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق ثم نفخة القيام لربّ العالمين: ﴿**فإذا نُفِخَ في الصورِ نفخةٌ واحدةٌ**﴾ وهي النفخة الأخيرة **١٤**: ﴿**وحُمِلَتِ الأرضُ والجبالُ فَدُكّتا دكّةً واحدة**﴾ مُدّتا مَدَّ الأديم، وتُبدّل الأرض غير الأرض **١٥**: ﴿**فيومَئِذٍ وقعتِ الواقعة**﴾ قامت القيامة **١٦**: ﴿**وانشقّتِ السماءُ فهي يومَئِذٍ واهيةٌ**﴾ [أي: ضعيفة جداً] **١٧**: ﴿**والمَلَكُ على أرجائها**﴾ يعني الملائكة على أطرافها وأبوابها [حين تنشق]، ﴿**ويحمل عرش ربِّكَ فوقهم يومئذٍ ثمانية**﴾ يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، مابين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُذِنَ لي أن أحدِّثُكم عن ملك من حملة العرش؛ بُعْدُ مابين شحمة أذُنِهِ وعُنقه يخفِقُ الطيرُ سبعمائة عام» وإسناده جيّد **١٨**: ﴿**يومَئِذٍ تُعْرَضُون لاتخفَى منكم خافيةٌ**﴾ تعرضون على عالم الأسرار **١٩**: ﴿**فأمّا مَن أُوتِيَ كتابَهُ بيمينهِ فيقول**﴾ من شدّة فرحه لكلِّ مَن لقيَهُ: ﴿**هاؤُمُ اقرؤوا كتابيَهْ**﴾ هاكم كتابي حَسَنات!؟ **٢٠**: ﴿**إنّي ظننتُ**﴾ أيقنتُ في الدنيا ﴿**أنّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾ في هذا اليوم لامحالة **٢١**: ﴿**فهو في عيشة راضية**﴾ مرضيّة **٢٢**: ﴿**في جنّةٍ عالية**﴾ رفيعة قصورها، نعيمة دورها دائم حُبُورُها **٢٣**: ﴿**قُطُوفُها دانِيَةٌ**﴾ قريبة يتناولها أحدهم وهو على سريره **٢٤**: ﴿**كلُوا واشرَبُوا هَنيئاً بما أسلفتم في الأيّام الخالية**﴾ يُقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإنعاماً وإحساناً **٢٥**: ﴿**وأمّا مَن أُوْتِيَ كتابَهُ بشِمَالِهِ فيقول ياليتني لم أُوتَ كتابِيَهْ**﴾ فيندم غاية الندم **٢٦**: ﴿**ولم أدْرِ ماحِسابِيَهْ**﴾ **٢٧**: ﴿**ياليتَها كانت**﴾ يعني موتة الحياة لاحياة بعدها ﴿**القاضية**﴾ **٢٨**: ﴿**ماأغنى عنّي مالِيَهْ**﴾ لم يدفع عني مالي عذاب الله **٢٩**: ﴿**هَلَكَ عنّي سُلْطانِيَهْ**﴾ فلم ينفعني جَاهِي **٣٠**: ﴿**خُذُوهُ فغلّوهُ**﴾ بالأغلال في عُنقه **٣١**: ﴿**ثم الجحيمَ صَلُّوهُ**﴾ اغمروهُ فيها **٣٢**: ﴿**ثم في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذراعاً فاسْلُكُوهُ**﴾ انظمُوهُ فيها، فتدخل في أُسْتِهِ ثم تخرج من فِيْهِ **٣٣**: ﴿**إنّه كانَ لايُؤمِنُ باللهِ العظيم**﴾ لايقوم بحقِّ الله عليه من طاعته وعبادته **٣٤**: ﴿**ولايَحُضُّ على طعام المسكين**﴾ ولاينفع خلقه، [ولايُحسن إلى الفقير بالحَضِّ على إطعامه].

= وهامّة، ومن كلِّ عينٍ لامّة». /ابن كثير ج٤/٤٠٩/.

الآية: ٢٢ ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «اعملوا وسَدِّدوا وقارِبُوا واعلموا أنّ أحداً منكم لن يدخِلَهُ عملُهُ الجنّة» قالوا: ولاأنتَ يارسول الله؟ قال: «ولاأنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل» وهذا هو الحق، فإنّ دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى وكرمه، وأمّا الدرجات فعلى قدر الحسنات والله أعلم.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ ٱلْمَعَارِجِ

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٣٥: ﴿**فليس لهُ اليومَ هاهُنا حَمِيمٌ**﴾ قريب ولاشفيعٌ يُنقذه من عذاب الله **٣٦**: ﴿**ولاطعامٌ إلّا مِن غِسْلِين**﴾ وهو شرُّ طعام أهل النّار من صديد أهل النّار **٣٧**: ﴿**لايأكُلُه إلّا الخاطِئُون**﴾ [الذي يتخطّون الحقَّ إلى الباطل] **٣٨**: ﴿**فلاأُقْسِمُ بماتُبصِرُون**﴾ بما تشاهِدُونه من مخلوقاته الدالّة على كماله **٣٩**: ﴿**ومالاتُبْصِرُون**﴾ من المغيّبات **٤٠**: ﴿**إنّه لقولُ رسولٍ كريمٍ**﴾ يعني محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم **٤١**: ﴿**وماهو بقول شاعر**﴾ [لأنّ القرآن مباين لصنوف الشعر والنثر] ﴿**قليلاً ماتؤمِنُون**﴾ **٤٢**: ﴿**ولابقول كاهِنٍ قليلاً ماتذكّرُون**﴾ **٤٣**: ﴿**تنزيلٌ مِن ربِّ العالَمِين**﴾ [أي القرآن الكريم تنزيل من ربّ العالمين] **٤٤**: ﴿**ولو تقوّلَ علينا**﴾ محمد ﷺ، لو كان كما زعموا [وحاشاه ذلك] ﴿**بعضَ الأقاويل**﴾ **٤٥**: ﴿**لأخذنا**﴾ لانتقمنا ﴿**منه باليمين**﴾ بأشدِّ البطش **٤٦**: ﴿**ثم لقطعنَا منهُ الوَتِينَ**﴾ نياط القلب **٤٧**: ﴿**فما منكم مِن أحدٍ عنه حاجزين**﴾ فما يقدر أحدٌ منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك؛ والمعنى: بل هو صادقٌ بارٌّ راشد لأنّ الله تعالى مؤيّدُه بالمعجزات والدلالات الباهرات، ثم قال تعالى: **٤٨**: ﴿**وإنّه**﴾ يعني القرآن ﴿**لتذكرة للمتّقين**﴾ كما قال تعالى: ﴿قلْ هو للذين آمنوا هُدىً وشِفاءٌ﴾، ثم قال تعالى: **٤٩**: ﴿**وإنّا لنعلَمُ أنّ منكم مكذّبِين**﴾ مع هذا البيان والوضوح سيُوجد منكم مِن يُكذِّب بالقرآن، ثم قال تعالى: **٥٠**: ﴿**وإنّه**﴾ يعني التكذيب ﴿**لَحَسْرَةٌ على الكافِرين**﴾ لندامة على الكافرين يوم القيامة **٥١**: ﴿**وإنّه**﴾ هذا الخبر ﴿**لَحَقُّ اليقين**﴾ الذي لامِرْيةَ فيه ولاشك ولاريب، ثم قال تعالى: **٥٢**: ﴿**فسبِّحْ باسمِ ربِّكَ العظيم**﴾ الذي أنزل هذا القرآن العظيم .

تفسير سورة المعارج

١: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ**﴾ استعجل سائل ﴿**بعذابٍ واقعٍ**﴾ كقوله تعالى: ﴿ويستعجِلونك بالعذاب ولن يُخلفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾، وعذابُهُ واقعٌ لامحالة، وذلك سُؤال الكفار عن عذاب الله، وهو واقع بهم **٢**: ﴿**للكافِرين ليسَ له دَافِعٌ**﴾ مانع إذا أراد الله كونه، ولهذا قال تعالى: **٣**: ﴿**مِنَ اللهِ ذي المعارِج**﴾ معارج السماء **٤**: ﴿**تعرج الملائكةُ والرُّوحُ إليه في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ**﴾ هو يوم القيامة، جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، وقد وردت أحاديث في معنى ذلك، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: والذي نفسي بيَدِهِ إنه ليخفُّ على المؤمن حتى يكونَ أخف عليه مِن صلاةٍ مكتوبةٍ يُصلّيها في الدنيا **٥**: ﴿**فاصْبِرْ صَبْراً جميلاً**﴾ اصبر يامحمد على تكذيب قومكَ لكَ واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه، ولهذا قال تعالى: **٦**: ﴿**إنّهم يرونَهُ بعيداً**﴾ وقوع العذاب، بمعنى مستحيل الوقوع **٧**: ﴿**ونراهُ قريباً**﴾ المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمدٌ لايعلمه إلّا الله عزّ وجلّ؛ وكل ماهو آت فهو قريب **٨**: ﴿**يوم تكون السماءُ كالمُهل**﴾ كَدُرْديّ الزيت **٩**: ﴿**وتكون الجبالُ كالعِهْن**﴾ كالصوف المنفوش **١٠**: ﴿**ولايسألُ حميمٌ حَمِيماً**﴾ لايسأل القريبُ قريبَهُ عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسُهُ عن غيره .

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

الحزب ٥٧

١١: ﴿**يُبَصَّرُونهم**﴾ يتعارفون ثم يفرُّ بعضُهم من بعض ﴿**يَوَدُّ المُجْرِمُ لو يفتدِي من عذابِ يومِئذٍ ببنيه**﴾ **١٢**: ﴿**وصاحبتِهِ وأخيه**﴾ زوجته **١٣**: ﴿**وفصيلتِهِ التي تُؤويه**﴾ قبيلته وعشيرته **١٤**: ﴿**ومَن في الأرض جميعاً ثم يُنجيه**﴾ **١٥**: ﴿**كلاّ إنها لظى**﴾ يصف تعالى النّار وشدّة حرِّها **١٦**: ﴿**نزاعة للشوى**﴾ للجلود والهامّ ماذُون العظم واللحم **١٧**: ﴿**تدعُوا مَن أدبرَ وتولى**﴾ تدعو النارُ أبناءَها إليها الذينَ خلقهم الله لها، تدعوهم يوم القيامة من بين أهل المحشر **١٨**: ﴿**وجمَعَ فأوعى**﴾ جمع المال بعضَهُ إلى بعض فأوعاه ومنع حقَّ اللهِ **١٩**: ﴿**إنّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً**﴾ يُخبر تعالى عمّا جُبل عليه الإنسان من الأخلاق الدنيئة، ثم فسَّرهُ تعالى: **٢٠**: ﴿**إذا مسَّهُ الشرُّ جَزُوعاً**﴾ إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدّة الرُّعب وأيس له بعد ذلك خير، **٢١**: ﴿**وإذا مسَّهُ الخيرُ مَنُوعاً**﴾ حصلتْ له نعمة من الله بخلَ بها على غيره ومنع حقَّ الله تعالى فيها **٢٢**: ﴿**إلاّ المصلّين**﴾ الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلاّ مَن عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسّرَ له أسبابه وهم المصلون **٢٣**: ﴿**الذين هم على صلاتِهم دائمون**﴾ يحافِظون على أوقاتِها وواجباتِها **٢٤:٢٥**: ﴿**والذين في أموالِهم حقٌّ معلوم للسائلِ والمحروم**﴾ في أموالهم نصيبٌ مقرّرٌ لذوِي الحاجات **٢٦**: ﴿**والذين يُصَدِّقُون بيوم الدِّين**﴾ يُوقِنُون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عملَ مَن يرجُو الثوابَ ويخاف العقاب ولهذا قال تعالى: **٢٧**: ﴿**والذين هم من عذاب ربّهم مُشْفِقُون**﴾ خائفون وَجِلُون **٢٨**: ﴿**إنّ عذابَ ربِّهم غيرُ مأمون**﴾ لايأمنه أحدٌ مِّمن عقل عن الله أمره إلاّ بأمانٍ من الله تعالى **٢٩**: ﴿**والذين هم لِفُرُوجهم حافِظون**﴾ يكفُّونَها عن الحرام ويمنعُونها أن توضع في غير ماأذنَ اللهُ فيه، ولهذا قال تعالى: **٣٠**: ﴿**إلاّ على أزواجِهم أو ماملَكَتْ أيمانُهم فإنّهم غير مَلُومين**﴾ من الزوجات والإماء **٣١**: ﴿**فمَنِ ابتغى وراء ذلك فأولئك هُمُ العَادُون**﴾ [أي: المعتدون المتجاوزون حدودَ ماشرعَ الله تعالى] **٣٢**: ﴿**والذين لأماناتِهم وعهدِهم رَاعُون**﴾ إذا اؤتِمنُوا لم يخُونُوا، وإذا عَاهدُوا لم يغدرُوا، وهذه صفات المؤمنين، وضِدّها صفات المنافقين، كما في الحديث الصحيح: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدّثَ كذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا اؤتمِنَ خان» **٣٣**: ﴿**والذين هم بشهاداتِهم قائمُون**﴾ [أي: على مَن كانت عليه من قريب أو بعيد، يقومون بها عند الحاكم ولايُبدّلونها] **٣٤**: ﴿**والذين هم على صلاتِهم يُحافِظون**﴾ على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتِها **٣٥**: ﴿**أولئك في جنّاتٍ مكرَمُون**﴾ بأنواع المَلاذِّ والمَسَارِّ **٣٦**: ﴿**فمالِ الذين كفروا قِبَلَكَ مُهْطِعِين**﴾ كفار قريش، نافرين عنك مسرعين في تكذيبك؟ **٣٧**: ﴿**عن اليمينِ وعنِ الشمالِ عِزِينَ**﴾ متفرقين شارِدين فِرَقاً فرقاً يميناً وشمالاً **٣٨**: ﴿**أيطمعُ كلُّ امرىءٍ منهم أن يدخلَ جنّةَ نعيم**﴾؟ أيطمع هؤلاء والحالة هذه أن يدخلوا الجنّة؟ **٣٩**: ﴿**كلاّ**﴾ بل مأواهم نار جهنّم ﴿**إنّا خلقناهم مّما يعلَمُون**﴾ من المني المَهين.

الآية: ٢٠ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «شرُّ مافي رَجُلٍ: شحٌّ هَالِعٌ، وجُبْنٌ خَالِعٌ»، ورواه أبو داود في سننه بإسناد صحيح. /ابن كثير ج٤/٤٢١/.

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

٤٠: ﴿**فلاأُقسِمُ بربِّ المشارقِ والمغاربِ**﴾ الذي خلق السموات والأرض، وجعل مشرقاً ومغرباً، وسخّر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، وتقدير الكلام: ليس الأمر كما يزعُمون أن لامعاد ولاحساب ولانشور، بل كل ذلك واقع لامحالة، ﴿**إنّا لقادِرُون**﴾ يوم القيامة نعيدهم **٤١**: ﴿**على أن نُبدِّل خيراً منهم**﴾ نعيدهم بأبدانٍ خير من هذه ﴿**ومانحن بمسبُوقين**﴾ بعاجزين، كما قال تعالى: ﴿أيحسَبُ الإنسانُ أنْ لنْ نجمعَ عِظامَه﴾؟ ﴿بلَى قادِرين على أن نسوِّي بَنانَهُ﴾ **٤٢**: ﴿**فذَرْهُم**﴾ يامحمد ﴿**يَخوضُوا ويلعبوا**﴾ دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعِنادِهم ﴿**حتى يُلاقُوا يومهم الذي يُوعَدُون**﴾ فَسَيَعْلَمُون غبَّ ذلك ويذوقُون وبالَهُ **٤٣**: ﴿**يوم يخرجُون من الأجداث سِرَاعاً كأنّهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُون**﴾ يقومون من القبور إذا دعاهم الربّ تبارك وتعالى لموقف الحساب؛ كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا النُّصُب: أي الأصنام **٤٤**: ﴿**خاشعةً أبصارُهم**﴾ خاضعة ﴿**ترهقهم ذِلّة**﴾ في مقابلة مااستكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿**ذلك اليومُ الذي كانُوا يُوْعَدُون**﴾.

تفسير سورة نُوح

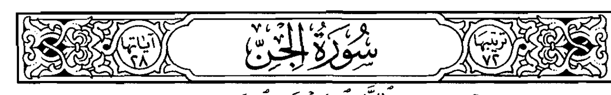
١: يُخبر تعالى عن نوح فيقول: ﴿**إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ أن أنذِرْ قومَكَ مِن قبلِ أن يأتيَهم عذابٌ أليم**﴾ **٢**: ﴿**قال ياقومِ إنّي لكم نذيرٌ مُبين**﴾ بيّن النذارة ظاهر الأمر واضحه **٣**: ﴿**أنِ اعبُدُوا اللهَ واتّقُوهُ وأطيعونِ**﴾ اتركوا محارم الله واجتنبوا مآثمه، وأطيعونِ فيما آمركم بهِ وأنهاكم عنه **٤**: ﴿**يغفِرْ لكم من ذُنوبكم**﴾ إذا فعلتم ماآمركم به، وصدّقتم ماأُرسلتُ به إليكم غفرَ اللهُ لكم ذنوبَكم، ﴿**ويُؤخركم إلى أجلٍ مسمَى**﴾ يُمدّ في أعماركم، ويدرأ عنكم العذابَ وإن لم تجتنِبُوا مانهاكم عنه أوقعه بكم، ويُستدلُ بهذه الآية بأنّ الطاعة والبرّ وصلة الرحم يُزاد بها في العمر كما ورد به الحديث: «صلةُ الرحم تزيدُ في العُمُر»، ﴿**إنّ أجلَ اللهِ إذا جاءَ لايُؤخّرُ لو كنتم تعلمون**﴾ بادِرُوا بالطاعة قبلَ حلول النقمة، فإنّه إذا أمرَ تعالى بكون ذلك لايُردُّ ولايُمانع **٥**: ﴿**قالَ**﴾ نوحٌ يشتكي إلى ربِّه ﴿**ربِّ إنّي دعوتُ قومِي ليلاً ونهاراً**﴾ في تلك المدّة الطويلة وهي ألف سنة إلّا خمسين عاماً **٦**: ﴿**فلم يزدهم دُعَائي إلّا فِرَاراً**﴾ فرُّوا من الحقِّ وحادُوا عنه **٧**: ﴿**وإنّي كلّما دعوتُهم لتغفرَ لهم جعلُوا أصابعهم في آذانهم واستغشَوْا ثِيَابَهُمْ**﴾ سَدُّوا آذانَهم وغطوا رُؤوسهم لئلا يسمعوا ﴿**وأصرُّوا واستكبروا استكباراً**﴾ عن الحقّ؛ أي: استنكفوا عنه **٨**: ﴿**ثم إنّي دعوتُهم جِهَاراً**﴾ جهرةً بين الناس **٩**: ﴿**ثم إنّي أعلنتُ لهم**﴾ ظاهراً بصوتٍ عالٍ ﴿**وأسررتُ لهم إسراراً**﴾ فيما بيني وبينهم **١٠**: ﴿**فقلتُ اسْتَغْفِرُوا ربَّكُم**﴾ ارجِعُوا إلى ربّكم ﴿**إنّه كانَ غفاراً**﴾ فإنّه سبحانه من تَابَ إليه تابَ عليه.

الآية: ٣ روى الحاكم بإسناد صحيح عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول ربُّكم: ياابن آدم تفرّغْ لعبادتي أملأ قلبَكَ غِنًى، وأملأْ يَدَكَ رِزقاً، ياابن آدم لاتباعَدْ منّي أمْلأْ قلبَكَ فقراً، وأمْلأْ يَدَكَ شغلاً». وروى ابن ماجه وابن حِبّان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تَلاَ رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿مَنْ كان يُريدُ حَرْثَ الآخرة﴾ الآية [الآية ٢٠ من سورة الشورى] قال: «يقول اللهُ: ابْنَ آدمَ تفرّغْ لعبادتي أمْلأْ صدرَكَ غِنًى، وأسُدَّ فقرَكَ، وإلاّ تفعلْ ملأتُ صدرَكَ شغلاً ولم أسُدَّ فقرَكَ». /الترغيب ج٤/١١٧ ـ ١١٨/.

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

١١: ﴿يُرسِلِ السماءَ عليكم مِدْراراً﴾ متواصلةَ الأمطار ، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية **١٢: ﴿ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبنينَ ويجعَلْ لكم جنّاتٍ ويجعلْ لكم أنهاراً﴾** إذا تُبتم إلى اللهِ واستغفرتموهُ وأطعتموهُ كثّرَ الرِّزقَ عليكم **١٣: ﴿مالكم لاترجُون للهِ وَقاراً﴾**؟ عظمةً ، ولاتخافون مِن بأسه؟ **١٤: ﴿وقدْ خلقكُمْ أطْوَاراً﴾** من نطفةٍ ثم مِن علقةٍ ثم من مضغةٍ **١٥: ﴿ألم تروْا كيف خلقَ اللهُ سبعَ سمواتٍ طِباقاً﴾**؟ واحدةً فوق واحدة، وهذا يُتلقّى من جهة السمع [أي: يُعلم هذا بالخبر الصادق لاالمعاينة] **١٦: ﴿وجعلَ القمرَ فيهِنّ نوراً وجعلَ الشمس سِراجاً﴾** فاوَت بينهما في الاستنارة فجعل كلاً منهما أنموذجاً على حِدَةٍ لِيُعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدَّر للقمر منازل وبُروجاً وفاوت نورَه ليدلّ على مضي الشهور والأعوام **١٧: ﴿واللهُ أنبتكم مِنَ الأرض نباتاً﴾** [يعني آدمَ عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلها] **١٨: ﴿ثم يُعيدكم فيها﴾** إذا متم **﴿ويخرجكم﴾** يوم القيامة يُعيدكم كما بدأكم أوّلَ مرّةٍ **﴿إخراجاً﴾ ١٩: ﴿واللهُ جعلَ لكم الأرض بِساطاً﴾** بسطها ومهدها وقرّرَها بالجبال الراسيات **٢٠: ﴿لِتَسْلُكوا مِنها سُبُلاً فِجَاجاً﴾** خلقها لكم لتستقرُّوا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مّما ينبههم بهِ نوحٌ عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم فيها من المنافع السماوية والأرضية، فهو سبحانه الخالق الرازق. ثم يُخبر تعالى عن نوحٍ أنّه أنهَى [ماعليه] فيقول تعالى: **٢١: ﴿قال نوحُ ربِّ إنّهم عَصَوْنِي واتبعُوا من لم يَزِدْهُ مالُهُ وولدُهُ إلّا خَساراً﴾ ٢٢: ﴿ومكروا مكراً كُبَّاراً﴾** كبيراً وعظيماً بأتباعِهم في تسويلهم لهم أنّهم على حق **٢٣: ﴿وقالوا﴾** [أي: لأتباعهم] **﴿لاتذرُنَّ آلهتكم ولاتَذَرُنّ وَدّاً ولاسُوَاعاً ولايغوث ويَعُوقَ ونَسْراً﴾** وهذه أسماء أصنامِهم التي كانوا يعبُدونها مِن دُونِ الله. **٢٤: ﴿وقد أضلُّوا كثيراً ولاتزِدِ الظالمين إلّا ضلالاً﴾** الأصنام التي اتخذُوها أضلُّوا بها خلقاً كثيراً، فإنّه استمرّت عبادتها في القرون إلى زماننا من صنوف بني آدم **٢٥: ﴿مّما خطيئاتِهم أغرِقُوا﴾** من كثرة ذنوبهم وعتوّهم **﴿أغرقوا فأُدْخِلُوا ناراً﴾** نقِلُوا من تيار البحار إلى حرارة النّار **﴿فلم يجِدُوا لهم مِن دُونِ اللهِ أنصاراً﴾** لم يكن لهم مُعينٌ ولا مُغيث يُنقذهم من عذاب الله **٢٦: ﴿وقال نوحُ ربِّ لاتَذَرْ على الأرض مِن الكافِرين ديّاراً﴾** لاتترِكْ على وجه الأرض منهم أحداً، ولاديّاراً أي الذي يسكن الدار **٢٧: ﴿إنّكَ إنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾** الذين تخلقهم بعدهم، **﴿ولايَلِدُوا إلّا فاجِراً كفّاراً﴾** فاجراً في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً، ثم قال: **٢٨: ﴿ربِّ اغفِرْ لي ولِوَالِدَيَّ ولِمَنْ دَخلَ بيتِيَ مؤمناً﴾** مسجدي **﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾** [هذا منه عليه السلام] دعاءٌ لجميع المؤمنين والمؤمنات [إلى يوم القيامة]، **﴿ولاتَزِدِ الظالِمينَ إلّا تَبَارًا﴾** خساراً.

الآية: ١١-١٣ أي إذا تُبتُم إلى الله تعالى واستغفرتموه وأطعتموه كثّرَ الرزقَ عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبتَ لكم من بركات الأرض، وأنبتَ لكم الزرع وأدرَّ لكم الضرع، وأمدّكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخلّلها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، فقال: ﴿مالكم لاترجون لله وَقاراً﴾ أي مالكم لاتُعظِّمُون اللهَ حقَّ عظمته، ولاتخافون من بأسه ونِقمته؟ ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾؟!! /ابن كثير ج٤/٤٢٥/.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٨

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

تفسير سورة الجن

١: يأمر الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُخبر قومَه أنّ الجِنَّ استمعُوا القرآن فآمنوا به وصـدّقوه وانقـادوا له، فقال تعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أنّـه استمعَ نفرٌ مِن الجِنّ فقـالوا إنّـا سمعنـا قرآنـاً عجبـاً**﴾ [أي: في فصـاحتـه وبلاغتـه ومواعظـه وبركتـه] **٢**: ﴿**يهدي إلى الرشـدِ فـآمنّـا به**﴾ يهدي إلى السـداد ﴿**ولن نُشـركَ بربِّنـا أحداً**﴾ [أي: لانرجع إلى إبليس ولانُطيعه] **٣**: ﴿**وأنّه تعالى جَدُّ ربِّنا مااتخذَ صاحبةً ولاوَلَداً**﴾ جَدُّ ربِّنا: أي آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه، فتعالى عن اتخاذ الصـاحبـة والأولاد؛ قالت الجن حين أسـلموا وآمنوا بالقرآن: تنزّهَ الربّ عن ذلك **٤**: ﴿**وأنّه كان يقول سفيهُنَـا**﴾ يعني إبليس ﴿**على اللهِ شَـطَطـاً**﴾ جوراً وظـلمـاً وباطلاً وزوراً، ولهذا قـالوا: **٥**: ﴿**وأنّـا ظنَنّـا أنْ لن تقولَ الإنسُ والجِنُّ على اللهِ كذباً**﴾ ماحسبنا أنّ الإنس والجنّ يتمالؤون على الكذب على الله تعـالى في نسبتـه لصـاحبته والولد إليه، فلمّا سمعنـا هذا القرآن وآمنّـا به علمنا أنّهم كانوا يكـذبون على الله في ذلك **٦**: ﴿**وأنّـه كان رجالٌ من الإنسِ يَعُوذُون برجالٍ من الجِنّ فزادُوهم رَهَقاً**﴾ كنّا نرى أنّ لنا فضلاً على الإنس لأنّهم كانوا يَعُوذون بنا إذا نزلُوا وادِياً أو مكاناً موحشاً من البراري، فلمّا رأت الجِنُّ أنّ الإنس يَعُـوذُون بهـم من خوفهـم منهـم، زادوهـم خوفاً وإرهاباً وذُعراً **٧**: ﴿**وأنّهم ظنّوا كما ظننتُم أن لن يبعثَ اللهُ أحداً**﴾ لن يبعث الله بعدَ هذه المدّة رسولاً **٨**: ﴿**وأنّا لَمَسْنَا السماءَ فوجدناها مُلِئَتْ حَرَساً شديداً وشُبُهاً**﴾ حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ حفظ السماء من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعِدِها **٩**: ﴿**وأنّا كنّا نقعُدُ مِنها مقاعِدَ للسمعِ فمَنْ يستمعِ الآن يجدْ له شهاباً رَصَداً**﴾ من يروم أن يسترق السمعَ اليوم يجدْ له شهاباً مرصداً له لايتخطاه ولايتعدّاه، بل يمحقه ويُهلكه **١٠**: ﴿**وأنّا لانَدْرِي أشرٌّ أُرِيْدَ بمَنْ في الأرض أم أرادَ بهم ربُّهم رشداً**﴾ ماندري هذا الأمر الذي حدث في السماء لاندري أشرٌّ أُريدَ بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى فاعل، والخير أضافوه إلى الله عزّ وجلّ **١١**: ﴿**وأنّا منّا الصالِحُون ومِنّا دُونَ ذَلِكَ**﴾ غير ذلك ﴿**كُنّا طَرَآئقَ قِدَداً**﴾ طرائق متعدّدة وآراء متفرّقة **١٢**: ﴿**وأنّا ظنَنّا أنْ لن نُعْجِزَ اللهَ في الأرضِ ولنْ نعجزه هَرَباً**﴾ نعلم أنّ قدرةَ الله حاكمة علينا وأنّا لانعجزه في الأرض، ولو أمعنّا في الهَرَب فإنّه علينا قادِرٌ لايُعجزهُ أحدٌ مِنّا **١٣**: ﴿**وأنّا لَمّا سمعنا الهُدى آمنّا بهِ**﴾ يفتخِرُون بذلك وهو مفخرٌ لهم وشرف وصفة حسنة، ﴿**فمن يُؤمنْ بربِّهِ فلايَخَافُ بخساً وَلاَرَهَقاً**﴾ فلايخاف أن ينقص من حسناته، أي: يحمل عليه غير سيّئاته، كما قال تعالى: ﴿فلايخاف ظلماً ولاهضماً﴾.

الآية: ٨ـ١٠ وقد ورد في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «والشَّرُّ ليس إليك» فليس في أسمائه ولاصفاته ولاأفعاله مايُعطي معنى الشّرّ. وأمّا الإيمان بالقدر خيره وشرّه من الله، فهو يعني أنّ الله تعالى خالق كلّ شيء، ومن هذه الأشياء ماينفع الخلق فيكون خيراً، ومنها مايضرّهم، فيكون شرّاً، ومنها ماتكون لقوم خيراً ولآخرين شرّاً، فهذا يعود لمقادير الأشياء التي قدّرها الله تعالى ولمصالح الخلق التي تنتفع من تلك المقادير أو تتضرّ، ولهذا ينبغي على المؤمن أن يسأل الله تعالى ماينفعُهُ وأن يُجنّبهُ مايضرُّهُ.

والسبب الذي حمل الجنّ أن يضربوا مشارق الأرض ومغاربها هو بعثة رسول الله ﷺ، ولاشكّ أنه لمّا حدث هذا الأمر ورميت الجن بالشهب انزعجُوا له وارتاعُوا لذلك، فظنّوا أنّ =

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

١٤: **﴿وأنّا مِنّا المُسلمون ومِنّا القاسِطون﴾** منّا المسلم ومنّا الجائر عن الحق، **﴿فمَنْ أسلَمَ فأولئك تَحَرَّوْا رَشَداً﴾** طلبوا لأنفسهم النجاة ١٥: **﴿وأمّا القاسِطون﴾** القاسط هو الجائر عن الحق النّاكب عنه بخلاف المقسط فإنّه العادل، **﴿فكانُوا لجهنّم حَطَباً﴾** وقوداً تُسَعَّر بهم ١٦: **﴿وألَّوِ استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً لنفتنهم فيه﴾** وأن لو استقام القاسِطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها لأسقيناهم ماءً كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق لنختبرهم [بذلك] ١٧: **﴿لنفْتِنَهُم فيه﴾** لنبتليهم به؛ نزلت في كفار قريش حين مُنِعُوا المطرَ سبع سنين **﴿ومَن يُعرِض عن ذكر ربِّه يسلكه عذاباً صَعَداً﴾** عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً ١٨: **﴿وأنّ المساجِدَ لله فلاتدعُوا معَ اللهِ أحداً﴾** أمر تعالى عبادَه أن يُوحّدوه في محال عبادته ولايدعى معه أحدٌ ولايُشـرك بـه. وقال الأعمشُ: قالت الجن: يارسول الله ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله هذه الآية، يعني صـلوا لاتُخالِطوا النّاسَ ١٩: **﴿وأنّه لمّا قامَ عبدُ اللهِ يدعُوهُ كادُوا يكُونُون عليه لِبَدًا﴾** تلبّدت الإنسُ والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه فأبى اللهُ إلّا أن ينصره ويُمضيه ويُظهرهُ على مَن ناوأهُ ولهذا قـال تعـالى: ٢٠: **﴿قُلْ إنّما أدعُوا ربّي﴾** قـال لهـم رسـول الله ﷺ لـمّا آذوه وخـالفُوه وكذّبوه ليبطِلُوا ماجاء به: **﴿إنّما أدْعُوا ربِّي﴾** وحده لاشريك له وأتوكل عليه **﴿ولاأشـرك بـه أحداً﴾** ٢١: **﴿قُـلْ إنّي لاأملِكُ لكم ضَرّاً ولارَشداً﴾** إنّما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ، وليس لي من الأمر شيئاً في هدايتكم ولاغوايتكم بل المرجع في ذلك إلى الله عزّ وجلّ، ثم أخبر عن نفســه أنّـه لايُجيرُه أحدٌ من الله لو عصيته: ٢٢: **﴿قُلْ إنّي لن يُجيرَني مِن اللهِ أحدٌ ولن أجِدَ من دُونه ملتحداً﴾** لانصـير ولاملجأ ٢٣: **﴿إلّا بلاغاً﴾** لايُنجيني منه ويُخلّصني إلّا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ، **﴿مِن اللهِ ورسالاتِهِ ومَن يعصِ اللهَ ورسولَهُ فإنّ له نارَ جهنّم خالدين فيها أبداً﴾** أنا أبلّغكم رسالةَ الله فمَنْ يعصِ بعدَ ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً ٢٤: **﴿حتى إذا رَأَوْا مايُوعَدُون فسيعلمُون مَن أضعفُ ناصراً وأقلُّ عَدَداً﴾**؟ إذا رأى هؤلاء المشركون من الجنّ والإنس مايُوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومَئِذٍ من أضعف ناصراً هم المؤمنون أم المشركون؟ أي: بل المشركون لاناصر لهم بالكلّية وهم أقلُّ عَدَداً من جُنود الله ٢٥: **﴿قُلْ إنْ أدْرِي أقريبٌ ماتُوعَدُون أم يجعلُ له ربِّي أمداً﴾** إنّي لاأعلم بوقت الساعة ولاأدري أقريبٌ وقتُها أم بعيد ٢٦: **﴿عالِمُ الغيبِ فلايُظهِرُ على غيبه أحداً﴾** ٢٧: **﴿إلّا مَن ارتضَى مِن رسولٍ﴾** [أي: فيُطلع من يشاء على غيبه، ليكون ذلك دالاًّ على نبوّته] **﴿فإنّه يَسْلُكُ مِن بينِ يَدِيهِ ومن خلفِهِ رَصَداً﴾** يخصُّهُ بمزيدٍ معقبات من الملائكة يحفظونه من أمرِ الله ٢٨: **﴿ليعلمَ أنْ قدْ أبلغُوا رسالاتِ ربِّهم﴾** ليحفظ رسله بملائكته ليتمكنُوا من أداء رسالاتِهِ، ويحفظ مايُنزّله إليهم من ا لوحي، ولهذا قال تعالى بعد هذا: **﴿وأحاطَ بما لديهم وأحصَى كلَّ شيءٍ عدداً﴾**، [فهو سبحانه المحصي المحيط العالم الحافظ لكلِّ شيءٍ].

= ذلك خراب العالم، كما قال السّدّيّ: لم تكن السماء تُحرس إلاّ أن يكون في الأرض نبيّ أو دين لله ظاهر، فكانت الشياطين قبل بعثة محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد من السماء الدنيا يستمعون مايحدث في السماء من أمرٍ، فلمّا بعث اللهُ محمداً ﷺ نبياً رسولاً رُجِمُوا. /ابن كثير ج٤/٤٣٠/.

سُورَةُ المُزَّمِّل

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

تفسير سورة المُزَّمِّل

١: **﴿ياأيُّها المُزَّمِّلِ﴾** يأمر تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يترك التزمّل، وهو التغطي بالليل وينهض إلى القيام لربِّهِ عزّ وجلّ ٢: **﴿قُمِ اللَّيلَ إلّا قليلاً﴾** [استثنى منه القليل لراحة البدن، ثم وضح ذلك فقال تعالى]: ٣: **﴿نصفَهُ أوِ انْقُصْ منهُ قليلاً﴾** نصفه: بدل من الليل؛ أمرناك أن تقوم نصفَ الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لاحَرَجَ عليك في ذلك ٤: **﴿ورتلِ القرآن ترتيلاً﴾** اقرأه على تمهل فإنّه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبّره. روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أمّ سلمة أنّها سُئِلَتْ عن قراءة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالت: كان يُقطع قراءتَهُ آيةً آيةً ٥: **﴿إنّا سَنُلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾** العمل به، وثقيل وقت نزوله من عظمته، كما روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: «إن كان لَيُوحَى إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو على راحلته فتضرب بجرانها» الجران: باطن العُنق ٦: **﴿إنّ ناشئةَ الليلِ هيَ أشدُّ وَطْئاً وأقومُ قِيلاً﴾** إنّ قيام اللّيل هو أشدّ مواطأةً بين القَلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: **﴿هي أشدُّ وَطْئاً وأقومُ قِيلاً﴾** أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنّه وقت المعاش ٧: **﴿إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً﴾** فراغاً طويلاً، وبُغيةً ومتقلّباً ٨: **﴿واذكُرِ اسمَ ربِّكَ﴾** أكثر من ذكره **﴿وتبتلْ إليه تبْتِيلاً﴾** وانقطع إليه وتفرّغ لعبادته إذا فرغتَ من أشغالك وماتحتاج إليه من أمورك، كما قال تعالى: **﴿فإذا فرغتَ فانصبْ﴾** في طاعته وعبادته ٩: **﴿ربُّ المشرقِ والمغرب لاإله إلّا هو فاتخذهُ وكيلاً﴾** هو المالك المتصرّف في المشارق والمغارب لاإله إلّا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفردْهُ بالتوكل فاتخذه وكيلاً ١٠: **﴿واصبِرْ على مايقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾** يأمرُهُ تعالى بالصبر على مَن كذبه من سفهاء قومه، والهجر الجميل: الذي لاعِتابَ فيه، ثم قال تعالى متهدّداً الكفار: ١١: **﴿وذرني والمكذّبين أُولي النَّعمةِ ومَهِّلهم قليلاً﴾** دعني والمكذبين المترفين ومهلهم رويداً ١٢: **﴿إنّ لدينا أنكالاً﴾** وهي القيود **﴿وجَحيماً﴾** وهي السعير المضطرمة ١٣: **﴿وطَعَاماً ذَا غُصّةٍ﴾** ينشب في الحلق فلايدخل ولايخرج **﴿وعذاباً أليماً﴾** ١٤: **﴿يومَ تَرْجُفُ الأرضُ والجبالُ﴾** تزلزل **﴿وكانتِ الجبالُ كثيباً مهيلاً﴾** تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارةً صُمّاً، ثم إنّها تنسف نسفاً فلايبقى منها شيء إلّا ذهب. ثم يقول تعالى مخاطباً الكفار: ١٥: **﴿إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم﴾** بأعمالكم **﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾** ١٦: **﴿فعصى فرعونُ الرسولَ فأخذناهُ أخذاً وَبيلاً﴾** شديداً، فاحْذَرُوا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيُصيبكم ماأصاب فرعون، كما قال تعالى: **﴿فأخَذَهُ اللهُ نكالَ الآخرة والأولى﴾** ١٧: **﴿فكيف تتّقون إنْ كفرتُمْ يوماً يجعلُ الوِلْدانَ شِيباً﴾** كيف يحصل لكم أمانٌ من هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟ ١٨: **﴿السماءُ منفطِرٌ بهِ﴾** بسببه وشِدَّةِ هوله **﴿كانَ وَعْدُه مفعُولاً﴾** واقعاً لامحالة ١٩: **﴿إنّ هذه تذكرةٌ﴾** هذه السورة يتذكر بها أُولُو الألباب **﴿فمن شاء اتخذَ إلى ربِّه سبيلاً﴾** فمن شاءَ اللهُ هدايتَهُ [سلك طريقاً إلى رضاه].

الآية: ٤ عن عبد الله بن مسعود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالها، لاأقولُ ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن: ألفٌ، حرف، ولامٌ، حرف، وميمٌ، حرف» رواه الترمذي وهو حديث صحيح /جامع الأصول ج٨/٤٩٨/.

الحزب ٥٨

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٢٠: **﴿إِنّ ربَّكَ يعلمُ أنك تقومُ أدنى مِن ثُلُثَي الليلِ ونِصْفَهُ وثُلُثَهُ وطائفةٌ من الذين معك﴾** تارةً هكذا وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لاتقدرون على المواظبة على أمركم به من قيام الليل لأنّه يشق عليكم، ولهذا قال تعالى: **﴿واللهُ يُقدِّرُ الليلَ والنّهارَ﴾** تارةً يعتدلان وتارةً يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا، **﴿عَلِمَ أنْ لنْ تُحْصُوهُ﴾** الفرض الذي أوجبهُ عليكم **﴿فاقْرَؤوا ماتيسَّرَ مِنَ القرآنِ﴾** من غير تحديدٍ بوقت، أي: ولكن قومُوا من الليل ماتيسّرَ، وعبّر عن الصلاة بالقراءة، كما قال تعالى: ﴿ولاتجهر بصلاتِكَ﴾ بقراءَتِكَ. **﴿عَلِمَ أنْ سيكونُ منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغُون مِن فضلِ الله وآخرون يُقاتِلون في سبيلِ الله﴾** علم أن سيكون من هذه الأمّة ذَوُو أعذارٍ في ترك قيام الليل من مرضى لايستطيعُون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغُولين في الغزوِ في سبيل الله، **﴿فاقْرَؤوا ماتيسّرَ منه﴾** قومُوا بما تيسّر عليكم منه. **﴿وأقيمُوا الصلاةَ﴾** أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم **﴿وآتوا الزكاةَ﴾** المفروضةَ عليكم **﴿وأقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾** يعني: من الصدقات، فإنّ الله يجازي على ذلك أحسنَ الجزاءِ وأوفرهِ، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذا الذي يُقرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ له أضعافاً كثيرةً﴾؟ **﴿وماتُقدِّمُوا لأنفسكم مِن خيرٍ تجِدُوهُ عندَ اللهِ هو خيراً وأعظمَ أجراً﴾** جميع ماتقدِّمُوهُ بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خيرٌ ممّا أبقيتُمُوهُ لأنفسكم في الدنيا. **﴿واستغفِرُوا اللهَ﴾** أكثروا من استغفاره **﴿إنّ اللهَ غَفُورٌ رحيمٌ﴾**.

تفسير سورة المُدّثر

١: **﴿ياأيُّها المُدَّثِّرُ﴾** هذه الآيات نزلت بعد ﴿اقرأْ باسمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ﴾ بعد فترةِ الوحي، ثم حَمِيَ الوحي وتتابع. [وقوله تعالى هذا ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذْ ناداه بحاله، ليستشعر باللّين والملاطفة مِن ربّه تعالى] والمدثر: الذي تغشى بالثياب ٢: **﴿قُمْ فأنذِرْ﴾** شمّرْ عن ساق العزم وأنذر الناسَ، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأوّل النبوّة ٣: **﴿وربَّكَ فكبِّرْ﴾** عظم ٤: **﴿وثيابكَ فطهر﴾** عملك فأصلح، ونقي الثياب: الذي تطهر من الذنوب ٥: **﴿والرُّجزَ فاهْجُرْ﴾** المعصية فاترك ٦: **﴿ولاتَمْنُنْ تستكثِرْ﴾** لاتُعطِ العطيّة تلتمس أكثرَ منها ٧: **﴿ولربِّكَ فاصْبِرْ﴾** اجعل صبرك على أذاهم لوجهِ ربِّك عزّ وجلّ ٨: **﴿فإذا نُقِرَ في النّاقُورِ﴾** الصُّور ٩: **﴿فذلِكَ يومَئِذٍ يومٌ عَسيرٌ﴾** شديد ١٠: **﴿على الكافِرين غيرُ يَسيرٍ﴾** غير سهلٍ عليهم ١١: **﴿ذَرْني ومَن خلقتُ وَحِيداً﴾** يتوعد تعالى الكافر الذي أنعمَ اللهُ عليه بنعم الدنيا فكفرَ بها وقابلها بالجُحُود، و**﴿وحيداً﴾** خرج من بطن أمه وحده لامال له ولاولد ثم رزقه الله تعالى ١٢: **﴿وجعلتُ له مالاً مَمْدُوداً﴾** واسعاً كثيراً ١٣: **﴿وبَنِينَ شُهُوداً﴾** حُضُوراً عنده ١٤: **﴿ومَهَّدْتُ له تمهِيداً﴾** مكنته من صنُوف المال ١٥: **﴿ثم يطمع أن أزِيدَ﴾** [أي: في الآخرة]؟ ١٦: **﴿كلّا إنّه كان لآياتِنا عَنيداً﴾** معاند بكفره ١٧: **﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾** يصعد جبلاً من نار سبعين خريفاً. [وهو الوليد ومَن شاكله على الكفر].

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

١٨: ﴿إنّه فكّر﴾ في القرآن **﴿وقدّر﴾** وتروّى **١٩: ﴿فقُتِلَ كيفَ قدّر﴾ ٢٠: ﴿ثم قُتِلَ كيفَ قدّر﴾** دعَا عليه **٢١: ﴿ثم نظرَ﴾** أعادَ النظرةَ **٢٢: ﴿ثم عَبَسَ وبَسَرَ﴾** قبض بين عينيه وكلح **٢٣: ﴿ثم أدْبَرَ واستكبرَ﴾** انصرف عن الحقِّ واستكبرَ عن الانقياد للقرآن **٢٤: ﴿فقالَ إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ يُؤثَر﴾** هذا سحر ينقله محمد عن غيره، ولهذا قال: **٢٥: ﴿إنْ هذا إلاّ قولُ البشر﴾** [وقائل هذا] هو الوليد بن المغيرة أحد رؤساء قريش **٢٦: ﴿سأُصْلِيْهِ سَقَرَ﴾** سأغمره فيها **٢٧: ﴿وماأدراكَ ماسقر﴾**؟ هذا تهويلٌ لأمرها ثم فسَّر ذلك بقوله تعالى: **٢٨: ﴿لاتُبْقِي ولاتَذَرُ﴾** تأكل لحومَهم ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لايموتون **٢٩: ﴿لَوّاحةٌ للبشر﴾** للجلد [مغيّرة، مِن لاَحَهُ إذا غيّره] **٣٠: ﴿عليها تسعةَ عشَرَ﴾** مِن القدمى الزبانية، عظيمٌ خَلْقُهم غليظٌ خُلُقُهم **٣١: ﴿وماجعلنا أصحابَ النّار﴾** خُزّانها **﴿إلاّ ملائكة﴾** زبانيةً غلاظاً شِداداً، **﴿وماجعلنا أصحابَ النّارِ إلاّ ملائكة﴾** شديدِي الخلق لايُقاوَمُون ولايُغالَبُون **﴿وماجعلنا عِدّتَهم إلاّ فتنةً للذين كفروا﴾** إنّما ذكرنا عِدّتهم أنّهم تسعةَ عشرَ اختباراً منّا للنّاس؛ **﴿لِيَسْتَيقِنَ الذين أُوتُوا الكتابَ﴾** يعلمون أنّ هذا الرسولَ الحق؛ فإنّه نطق بمطابقة مابأيديهم من الكتب **﴿ويزدَادَ الذين آمنُوا إيماناً﴾** إلى إيمانهم بمايشهدون من صدق إخبار نبيّهم محمد ﷺ **﴿ولايرتابَ الذين أوتُوا الكتابَ والمؤمنون ولِيَقُولَ الذين في قلوبهم مرض﴾** من المنافقين، **﴿والكافِرُون ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلاً﴾** يقولون: ماالحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى: **﴿كذلك يُضِلُّ اللهُ مَن يشاءُ ويهدِي مَن يشاءُ﴾** وله الحكمة البالغة والحُجّةُ الدامغة، **﴿ومايعلم جُنودَ ربِّكَ إلاّ هو﴾** لكثرتهم **﴿وماهيَ إلاّ ذكرى للبشر﴾** النّار التي وصفت [هي عِظةٌ للبشر] **٣٢: ﴿كلاّ والقمرِ﴾ ٣٣: ﴿والليلِ إذ أدبرَ﴾** ولّى **٣٤: ﴿والصبحِ إذا أسفَرَ﴾** أشرقَ **٣٥: ﴿إنّها لإحدَى الكُبَرِ﴾** العِظام، يعني النّار **٣٦: ﴿نذيراً للبشرِ﴾** [يعني النّار] **٣٧: ﴿لِمَن شاءَ منكم أنْ يتقدّم أو يتأخر﴾** لمن شاء أن يتقبل النذارة ويهتدي أو يردّها **٣٨: ﴿كلُّ نفسٍ بما كسَبَتْ رَهينةٌ﴾** متعلّقة بعملها يوم القيامة **٣٩: ﴿إلاّ أصحابَ اليمين﴾** فإنّهم **٤٠: ﴿في جنّاتٍ يتساءَلُون﴾** وهم في الغُرُفات **٤١: ﴿عَنِ المجرمين﴾** قائلين لهم: **٤٢: ﴿ماسَلَكَكُم في سَقَر﴾**؟ **٤٣: ﴿قالُوا لم نكُ مِنَ المُصَلِّين﴾ ٤٤: ﴿ولم نكُ نُطعِمُ المسكين﴾** ماعبدنا ربَّنا ولاأحسنّا إلى خلقه **٤٥: ﴿وكُنّا نَخُوضُ مَعَ الخائضين﴾** نتكلّم فيما لانعلم، أي: كلّما غوى غاوٍ غوينا معه **٤٦: ﴿وكُنّا نكذّب بيوم الدّين﴾ ٤٧: ﴿حتى أتانا اليَقِين﴾** يعني الموت، كقوله تعالى: ﴿واعبُدْ ربَّكَ حتى يأتِيَكَ اليقين﴾، قال رسول الله ﷺ: «أمّا هو ــ يعني عثمان بن مظعُون ــ فقد جاءَه اليقين مِن ربِّهِ» حين مات.

الآية: ١٨-٢٥ روى ابن جرير أنّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنّه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل [فعاتبه وعابه] فقال المغيرة: فوالله مامنكم رجلٌ أعلم بالأشعار منّي ولاأعلم برجزه ولابقصيده ولابأشعارِ الجنّ، والله مايشبه الذي يقوله شيئاً من هذا! والله إنّ لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنّه ليحطم ماتحته، وإنّه ليعلو ومايُعلى!! قال أبو جهل: والله لايرضى قومك حتى تقول فيه، فقال: دعني حتى أفكر فيه، فلمّا فكّر قال: إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ يؤثرهُ عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْني ومَنْ خلقتُ وحيداً - حتى بلغ - عليها تسعة عشر﴾. /ابن كثير - باختصار ج٤/٤٤٣/.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٨

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٤٨ : ﴿فما تنفعُهم شفاعَةُ الشافِعين﴾ مَن كان متصفاً بهذه الصفات لاتنفعه يوم القيامة شفاعةُ شافعٍ **٤٩ : ﴿فمالهم عن التَّذْكِرَةِ مُعْرِضين﴾**؟ أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قِبَلَكَ ممّاتدعُوهم إليه وتذكرهم به معرضِين؟ **٥٠ : ﴿كأنّهم حُمُرٌ مُسْتَنِفرَةٌ﴾ ٥١ : ﴿فَرّتْ مِن قَسْوَرةٍ﴾** كأنّهم في نفارهم عن الحقِّ وإعراضهم عنه حُمُرٌ من حُمُرِ الوحش إذا فرّت ممّن يُريد صيدها من أسد **٥٢ : ﴿بلْ يُريدُ كلُّ امرىءٍ منهم أنْ يُؤتَى صُحُفاً مُنشَّرةً﴾** بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن يُنزّلَ عليه كتابٌ كما أنزله الله على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم **٥٣ : ﴿كلاّ بَلْ لايخافُونَ الآخرةَ﴾** إنّما أفسدَهم عدمُ إيمانِهم بها وتكذيبهم بوقوعِها **٥٤ : ﴿كلاّ إنَّهُ تذكِرَةٌ﴾** حقاً أنّ القرآن تذكرة **٥٥ : ﴿فمَنْ شاءَ ذكرَهُ﴾** [أي: اتّعظَ به] **٥٦ : ﴿ومايَذَّكَّرُون إلاّ أن يشاءَ الله﴾** كقوله تعالى: ﴿وماتشاؤون إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ﴾، **﴿هو أهلُ التقوَى﴾** هو أهلٌ أن يُخافَ منه **﴿وأهلُ المغفرة﴾** وهو أهل أن يغفرَ ذنبَ مَن تاب إليه وأناب. روى الإمام أحمد: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قرأ هذه الآية وقال: «قال ربُّكم أنا أهلٌ أن أُتّقى، فلايُجْعَلُ معيَ إلهٌ، فمنِ اتَّقَى أن يجعلَ معيَ إلهاً كان أهلاً أن أغفرَ لهُ»، ورواه الترمذي وابن ماجه.

تفسير سورة القِيامة

١ : ﴿لاأُقْسِمُ بيومِ القيامة﴾؛ إنّ المُقسم عليه إذا كان منتفِياً جاز الإتيان (بلا) قبلَ القسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه ههنا هو إثبات المَعاد، والرّد على مايزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: **﴿لاأقسِمُ بِيَومِ القيامة﴾ ٢ : ﴿ولاأُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللّوامة﴾** المؤمن يلوم نفسَهُ: ماأردتُ بكلمتي؟ ماأردتُ بأكلي؟ ماأردتُ بحديث نفسي؟ [والفاجر يمضي مايُعَاتِب نفسَهُ] **٣ : ﴿أيحْسَبُ الإنسانُ أنْ لن نجمعَ عِظامَهُ﴾**؟ أيظنُّ [الكافر] أنّا لانقدر على إعادة عظامه يوم القيامة؟ **٤ : ﴿بلَى قادِرين على أن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** قدرتنا صالحة لجمعها ولو شِئنا لبعثناه أزيد ممّا كان **٥ : ﴿بلْ يُرِيدُ الإنسانُ لِيَفجُرَ أمامَهُ﴾** هو الكفر بالحق بين يدي القيامة، يمضي أمامه راكباً رأسه وهو يُكذّب بيوم الحساب **٦ : ﴿يسألُ أيّانَ يومُ القِيامة﴾**؟ وسؤاله استبعادٌ لوقوع القيامة **٧ : ﴿فإذا بَرِقَ البَصَرُ﴾** من شدّة أهوال يوم القيامة **٨ : ﴿وخَسَفَ القَمَرُ﴾** ذهبَ ضَوْؤُهُ **٩ : ﴿وجُمِعَ الشمسُ والقمَرُ﴾** كُوِّرا **١٠ : ﴿يقولُ الإنسانُ يومَئِذٍ أين المَفَرُّ﴾**؟ أين الملجأ؟ إذا عاين أهوال القيامة **١١ : ﴿كلاّ﴾** لانجاة **﴿لاوَزَرَ﴾** لاملجأ مِن النّار **١٢ : ﴿إلى ربِّكَ يومَئِذٍ المستقرُّ﴾** المرجع والمصير، ثم قال تعالى: **١٣ : ﴿يُنبّأُ الإنسانُ يومَئِذٍ بماقدّم وأخّرَ﴾** يُخبَرُ أعماله قديمها وحديثها وصغيرها وكبيرها **١٤ : ﴿بلِ الإنسانُ على نفسِهِ بصيرةٌ﴾** شهيدٌ على نفسه عالم بمافعله: **١٥ : ﴿ولو ألقَى مَعَاذِيرَهُ﴾** ولو اعتذرَ وأنكر **١٦ : ﴿لاتُحرِّكْ بهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بهِ﴾** بالقرآن [بعد إيحائه إليك] كما قال تعالى: ﴿ولاتعجلْ بالقرآن من قبلِ أن يُقضَى إليكَ وَحْيُهُ﴾ **١٧ : ﴿إنّ علينا جمعَهُ﴾** في صدرِك **﴿وقُرْآنَهُ﴾** أن تقرأه **١٨ : ﴿فإذا قرأناهُ﴾** تلاهُ عليك المَلَكُ عن الله تعالى **﴿فاتّبِعْ قُرآنَهُ﴾** قراءَته كما أقرأَكَ **١٩ : ﴿ثم إنّ علينا بيانَهُ﴾** بعد حفظه نُبيّنُهُ لك ونُلهمك معناه.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٢٠: ﴿كلاّ بلْ تُحبُّون العَاجِلَةَ﴾ ٢١: ﴿وتَذَرُون الآخرةَ﴾ إنّما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّما همتهم إلى الدنيا العاجلة، وهم لاهُون متشاغِلون عن الآخرة، ثم قال تعالى: **٢٢: ﴿وُجُوهٌ يومَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾** حسنة بهيّة مشرقة مسرورة **٢٣: ﴿إلى ربِّها ناظِرَةٌ﴾** تراه عَياناً، كما رواه البخاري في صحيحه: «إنّكم سترون ربّكم عياناً» **٢٤: ﴿ووُجُوهٌ يومَئِذٍ باسِرةٌ﴾** وجوه الكفار يوم القيامة كالحة **٢٥: ﴿تظنُّ أنْ يُفعلَ بها فاقِرة﴾** تستيقن أن يُفعَل بها داهية لأنها ستدخلُ النّارَ **٢٦: ﴿كلاّ إذا بلَغَتِ التّراقِيَ﴾** حالة الاحتضار وبلغت الروح مابين ثغرة النحر والعاتق **٢٧: ﴿وقِيلَ مَنْ راقٍ﴾**؟ من طبيبٍ شافٍ **٢٨: ﴿وظَنَّ أنه الفِراقُ﴾** [أي: فراق الدنيا] **٢٩: ﴿والْتَفّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ﴾** آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فتلتقِي الشدّةُ بالشدّة إلاّ مَن رحمه الله **٣٠: ﴿إلى ربِّكَ يومَئِذٍ المَسَاقُ﴾** المرجع والمآب **٣١: ﴿فلاصَدَّقَ ولاصلّى﴾ ٣٢: ﴿ولكِنْ كذَّبَ وتولى﴾** هذا إخبارٌ عن الكافر الذي كان في الدنيا مكذِّباً للحقِّ **٣٣: ﴿ثم ذهَبَ إلى أهلِهِ يتمطّى﴾** جذلاناً أشِراً بطراً كسلاناً لاهمة له ولاعمل، يختال ويتبختر **٣٤: ﴿أوْلَى لَكَ فأوْلى﴾ ٣٥: ﴿ثم أوْلَى لكَ فأوْلى﴾** هذا تهديدٌ ووَعيدٌ من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيهِ **٣٦: ﴿أيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُتْرَكَ سُدىً﴾**؟ يعني لايُبعث، ولايُؤمر ولايُنهَى؟! **٣٧: ﴿ألم يَكُ نطفةً مِن منيٍّ يُمنَى﴾**؟ أمَا كان الإنسان نطفة من ماء مَهين **٣٨: ﴿ثم كان علقةً﴾** في رحم أمه **﴿فخلَقَ فسوّى﴾** فصار خلقاً آخر **٣٩: ﴿فجعلَ منه الزوجَينِ الذكرَ والأُنثى﴾ ٤٠: ﴿أليسَ ذلكَ﴾** هذا الذي أنشأ هذا الخلق **﴿بقادِرٍ على أن يُحيِيَ الموتَى﴾** [اللّهمّ بلَى] ﴿وهو أهون عليه﴾.

تفسير سورة الإنسان

١: ﴿هَلْ أتَى على الإنسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لم يكن شيئاً مذكُوراً﴾؟ يُخبر تعالى عن الإنسان أنّه أوجدَه بعد أنْ لم يكن شيئاً يُذكر، ثم بيّن ذلك فقال جلّ جلاله: **٢: ﴿إنّا خلقنا الإنسانَ مِن نطفةٍ أمشاجٍ﴾** أخلاطٍ، من ماء الرجل وماء المرأة، ثم ينتقل من طَورٍ إلى طور، وحالٍ إلى حال [إلى أن يُصبح إنساناً] **﴿نَّبتليه﴾** نختبره **﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾** جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكّن بهما من الطاعة والمعصية **٣: ﴿إنّا هَدَيْنَاهُ السبيلَ﴾** بيّناه ووضحناهُ وبصرناهُ به **﴿إمّا شاكراً﴾** سعيداً **﴿وإمّا كَفُوراً﴾** شقيّاً **٤: ﴿إنّا أعْتَدْنا للكافرِين سلاسِلَ وأغلالاً وسَعِيَراً﴾** في نار جهنّم، كما قال تعالى: ﴿إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسَّلاسِلُ يُسْحَبُون. في الحَميمِ ثم في النّارِ يُسْجَرُون﴾، ولمّا ذكر تعالى ماأعدّهُ لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: **٥: ﴿إنّ الأبرارَ يشربُون مِن كأسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً﴾** مِمّا فيه من التبريد والرائحة الطيّبة مع ما يُضاف إلى ذلك من اللّذاذةِ في الجنّة .

سورة الإنسان: روى مسلم في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ تنزيل﴾ السجدة، و﴿هلْ أتى على الإنسان﴾. /ابن كثير ج٤/٤٥٢/.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ربع الحزب ٥٨

٦: ﴿**عَيناً يشربُ بها عِبادُ الله يُفجرُّونها تفجيراً**﴾ هذا الذي مزج لهؤلاء/الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقرَّبُون من عباد الله ﴿**يُفجّرُونها تفجيراً**﴾ يتصرَّفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ومجالسهم، والتفجيرُ: الإنباع ٧: ﴿**يُوفُونَ بالنَّذْرِ ويخافُون يوماً كان شَرُّهُ مستطيراً**﴾ يتعبَّدُون الله فيا أوجبه عليهم من فعل الطاعات، ويتركون المحرّمات التي نهاهم عنها خيفةً من سُوء الحساب يوم المعاد الذي شرُّهُ مُستطيرٌ؛ أي عام على النّاس إلاّ مَن رحمَ اللهُ ٨: ﴿**ويُطعِمُون الطعامَ على حُبِّهِ**﴾ على حُبِّ الله تعالى ﴿**مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾ ٩: ﴿**إنّما نُطعمكم لوجه الله**﴾ رجاء ثواب الله ورضاه ﴿**لانُريدُ منكم جزاءً ولاشكُوراً**﴾ لانطلبُ منكم مجازاةً تُكافئوننا بها، ولاتشكروننا عندَ النّاس ١٠: ﴿**إنّا نخافُ مِن ربِّنا يوماً عبوساً قمطريراً**﴾ إنّما نفعل هذا لعلّ الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير ١١: ﴿**فَوَقاهُمُ اللهُ شرَّ ذلك اليومِ ولقّاهم نضْرَةً وسُروراً**﴾ آمنهم ممّا خافوا منه، ولقّاهم نضرةً في وُجُوهِهم وسُرُوراً في قلوبهم ١٢: ﴿**وجزاهم بما صَبَرُوا**﴾ بسبب صبرهم أعطاهم ونوّلهم ﴿**جنّةً وحريراً**﴾؛ أي منزلاً رَحْباً وعيشاً رغيداً، بماصَبرُوا على ترك الشهوات ١٣: ﴿**مُتَّكِئينَ فيها**﴾ في الجنّة ﴿**على الأرائكِ**﴾ على السّرُر تحت الحجال ﴿**لايرون فيها شمساً ولازمهريراً**﴾ ليس عندهم حَرٌّ مزعج ولابَرْدٌ مؤلم ١٤: ﴿**ودَانِيةً عليهم ظِلالُها**﴾ قريبة إليهم أغصانُها ﴿**وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تذليلاً**﴾ متى تعاطاهُ دَنَا القطف إليه وتدلى ١٥: ﴿**ويُطافُ عليهم بآنِيَةٍ من فِضّةٍ وأكوابٍ**﴾ يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي مِن فِضّةٍ وأكواب الشراب ﴿**كانتْ قواريرا**﴾ ١٦: ﴿**قَوَاريرا مِن فِضّةٍ**﴾ لها بياض الفِضّةِ في صفاء الزجاج وهذا ممّا لانظير له في الدنيا ﴿**قَدَّرُوها تقديراً**﴾ على قدر ريّهم لاتزيد ولاتنقص ١٧: ﴿**ويُسقون فيها كأساً كان مِزاجُها زنجبيلاً**﴾ ويُسقون الأبرار في هذه الأكواب ﴿**كأساً**﴾ خمراً ﴿**كان مِزاجها**﴾ تمزج بالكافور وهو باردٌ وتارة بالزنجبيل وهو حارٌّ؛ ليعتدل الأمرُ، ﴿**كافوراً**﴾ [كالكافور في بياضه وطِيب رائحته وبَرَدِهِ] ١٨: ﴿**عَيناً فيها تسمّى سَلْسَبِيلاً**﴾ سُمّيت بذلك لسلامة سيلِهَا وحِدّة جريها ١٩: ﴿**ويَطُوف عليهم ولْدَانٌ مُخلّدون**﴾ على حالة واحدة لايتغيّرون ﴿**إذا رأيتَهم حَسِبْتهم لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً**﴾ إذا انتشروا في قضاء حوائج السادة بكثرتهم وصَباحَة وجوهِهم وحُسْن ألوانهم كاللؤلؤ المنثور ٢٠: ﴿**وإذا رأيتَ ثَمّ رأيت نعيماً ومُلْكاً كبيراً**﴾ يامحمد إذا رأيتَ هناك الجنّة ونعيمها وسعتها ﴿**ومُلْكاً كبيراً**﴾ سلطاناً باهِراً ٢١: ﴿**عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضرٌ وإستبرقٌ**﴾ لباس أهل الجنّة فيها الحرير ومنه سُندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ممّايلي البدن، والإستبرق منه مافيه بريقٌ وهو ممّايلي الظاهر، ﴿**وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضّةٍ**﴾ وهم الأبرار ﴿**وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً**﴾ طَهّرَ بواطنهم من سائر الأخلاق الرديئة ٢٢: ﴿**إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً**﴾ يقال لهم: ذلك تكريماً وإحساناً ٢٣: ﴿**إنّا نحنُ نزّلنا عليكَ القرآنَ تنزيلاً**﴾ هذا امتنان منه سبحانه على رسوله بما أنزل عليه من القرآن ٢٤: ﴿**فاصْبِرْ لحكم ربكَ**﴾ لقضائه وقدره ﴿**ولاتُطِعْ منهم آثماً أو كفُوراً**﴾ إذا أرادوا صَدَّ ماأنزل إليك ٢٥: ﴿**واذكُرِ اسمَ ربِّكَ بُكرةً وأصيلاً**﴾ أوّل النهار وآخره.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٢٦: ﴿ومِنَ اللّيلِ فاسْجُدْ له وسبِّحْهُ ليلاً طويلاً﴾ كقوله تعالى: ﴿ومِن اللّيلِ فتهجّدْ به نافِلَةً لك عسَى أن يبعثكَ ربُّكَ مقاماً محموداً﴾ **٢٧: ﴿إنّ هؤلاء يُحِبُّون العاجلة﴾** [هذا تقريع وتوبيخ، والعاجلة: الدنيا] **﴿ويَذَرُون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾** يعني القيامة **٢٨: ﴿نحنُ خلقناهم وشَدَدْنا أسرهم﴾** يعني خلقهم **﴿وإذا شِئنا بدّلنا أمثالَهم تبديلاً﴾** وإذا شِئنا بعثناهم يوم القيامة وبدّلناهم خلقاً جديداً، وإذا شِئنا أتينا بقومٍ آخرين غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إنْ يشأ يُذهِبْكم أيّها النّاس ويأتِ بآخَرين وكانَ اللهُ على ذلك قديراً﴾، ثم قال تعالى: **٢٩: ﴿إنّ هذه تذكرة﴾** يعني هذه السورة تذكرة **﴿فمن شاءَ اتّخذَ إلى ربِّهِ سبيلاً﴾** طريقاً ومسلكاً؛ أي: مَنْ شاء اهتدى بالقرآن **٣٠: ﴿وماتشاؤون إلّا أنْ يشاءَ اللهُ﴾** لايقدر أحدٌ أن يهدي نفسَهُ ولايدخل في الإيمان **﴿إلّا أن يشاءَ اللهُ إنّ اللهَ كان عليماً﴾** بمن يستحق الهداية فيُيَسِّرُهَا له، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، **﴿حكيماً﴾** [فيما قدّر وشرع] **٣١: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يشاءُ في رحمته والظالِمِين أعدَّ لهم عذاباً أليماً﴾** ﴿يهدي مَن يشاء ويُضِلُّ مَن يشاء﴾، فمن يهدِهِ فلامُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلاهادِيَ له.

تفسير سورة المُرْسَلات

١: ﴿والمُرْسلاتِ عُرْفاً﴾ الملائكة إذا أرسلت يتبع بعضُها بعضاً، أو هي الرياح إذا هَبّت شيئاً فشيئاً **٢: ﴿فالعاصفاتِ عصْفاً﴾** الرياح إذا هَبّت بتصويت **٣: ﴿والنّاشراتِ نشْراً﴾** أيضاً الرياح التي تنشر السحابَ في آفاق السّماء كيف يشاء الربُّ عزّ وجلّ **٤: ﴿فالفارقاتِ فَرْقاً﴾ ٥: ﴿فالملقياتِ ذكراً﴾ ٦: ﴿عُذراً أو نذراً﴾** يعني الملائكة، فإنّها تنزل بأمر الله على الرسل تفرّق بين الحقّ والباطل والهدى والضلال، وتُلقِي إلى الرسل وَحْياً فيه إعذار إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقاب الله إن خالفُوا أمْرَهُ **٧: ﴿إنّما توعَدُون لواقع﴾** هذا هو المُقْسَمُ عليه بهذه الأقسام؛ أي: ماوعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد، ومجازاة كل عاملٍ بعمله إن خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرٌّ، إنّ هذا كله لواقع، أي: لكائن لامحالة. ثم قال تعالى: **٨: ﴿فإذا النّجومُ طُمِسَتْ﴾** ذهبَ ضَوْؤها **٩: ﴿وإذا السماءُ فُرِجَتْ﴾** انفطرت وانشقت وتدلّت أرجاؤها وَوَهَتْ أطرافُها **١٠: ﴿وإذا الجبالُ نُسِفتْ﴾** ذُهِبَ بها فلايبقى لها عينٌ ولاأثرٌ **١١: ﴿وإذا الرسلُ أُقِّتتْ﴾** جُمِعَتْ [لوقتها يوم القيامة] **١٢: ﴿لأيّ يومٍ أُجِّلَتْ﴾**؟ لأيّ يوم أُجلت الرسل وأُرْجِيءَ أمرُها حتى تقوم الساعة؟ **١٣: ﴿ليومِ الفَصْلِ﴾** ثم قال تعالى مُعظّماً لشأنِهِ: **١٤: ﴿وماأدراك مايومُ الفَصْل﴾**؟ **١٥: ﴿وَيْلٌ يومَئِذٍ للمكذّبين﴾** ويل لهم من عذاب الله غداً **١٦: ﴿ألم نُهْلِكِ الأوّلين﴾** يعني من المكذبين للرسل **١٧: ﴿ثم نتبعُهُمُ الآخِرين﴾** ممّن أشبههم، ولهذا قال تعالى: **١٨: ﴿كذلكَ نفعلُ بالمجرِمين﴾** [أي: كما فعلنا بمن تقدّم من الأمم الماضين الذين كذّبُوا المرسَلِين، نفعل بمشركي قريش، إمّا بالسيف، وإمّا بالهلاك] **١٩: ﴿ويلٌ يومَئِذٍ للمكذّبين﴾**.

سورة المرسلات: روى البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: «بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذْ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فإنّه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإنّ فَاهُ لرطبٌ بها» الحديث ورواه مسلم. وروى أحمد عن ابن عباس عن أمّه أنّها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب ﴿بالمرسلاتِ عُرْفاً﴾. /ابن كثير ج٤/٤٥٨/.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

٥٨١

٢٠: ﴿**ألم نخلقكُّم مِن ماءٍ مَهينٍ**﴾؟ ضعيف حقير **٢١**: ﴿**فجعلناه في قرارٍ مَكينٍ**﴾ وهو الرحم المعدُّ لذلك **٢٢**: ﴿**إلى قدرٍ معلومٍ**﴾ مدّة معينة [أقصاها] تسعة أشهر **٢٣**: ﴿**فقَدَرْنا فنِعْم القادِرُون**﴾ [من كونه نطفة إلى ولادته] **٢٤**: ﴿**وَيْلٌ يومَئِذٍ للمكذّبين**﴾ **٢٥**: ﴿**ألم نجعلِ الأرض كِفاتاً**﴾؟ بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم **٢٦**: ﴿**أحياءً وأمواتاً**﴾!؟ **٢٧**: ﴿**وجعلنا فيها رَواسِيَ شامِخاتٍ**﴾ يعني الجبال رسّى بها الأرض لِئلا تميد وتضطرب **٢٨**: ﴿**ويلٌ يومَئذٍ للمكذّبين**﴾ **٢٩**: ﴿**انطلِقوا إلى ماكنتم به تكذّبون**﴾ يعني النار **٣٠**: ﴿**انطلقُوا إلى ظِلٍّ ذي ثلاثِ شُعَبٍ**﴾ لقوّة لهب النار أنّ له ثلاث شُعَب **٣١**: ﴿**لاظَليلَ ولايغني من اللهب**﴾ ظل الدخان المقابل للهب لاظليلَ هو في نفسه ولايُغني من حَرِّ اللهب **٣٢**: ﴿**إنّها ترمي بشَرَرٍ كالقصرِ**﴾ يتطاير الشرر لهبها كالقصر والحِصْن **٣٣**: ﴿**كأنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ**﴾ يعني حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال **٣٤**: ﴿**ويلٌ يومَئذٍ للمكذِّبين**﴾ **٣٥**: ﴿**هذا يومُ لاينطِقُون**﴾ لايتكلمُون **٣٦**: ﴿**ولايُؤذَنُ لهم فيعتذرون**﴾ لأنّه قد قامت عليهم الحُجّةُ بما ظلمُوا فهم لاينطِقُون **٣٧**: ﴿**ويلٌ يومَئِذٍ للمكذّبين**﴾ **٣٨**: ﴿**هذا يومُ الفَصْلِ جمعنَاكم والأوَّلِين**﴾ **٣٩**: ﴿**فإن كان لكم كيدٌ فكِيدُون**﴾ هذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده؛ يعني أنّه جمعهم بقدرته في صعيدٍ واحدٍ يُسمعُهم الداعي، وينفذُهُم البصرُ، وقوله تعالى: ﴿**فإن كان لكم كيدٌ فكيدُونِ**﴾ تهديدٌ شديد ووعيدٌ أكيدٌ؛ أي: إن قدرتم على أن تتخلّصوا من قبضتي وتنجُوا من حكمي فافعلوا؟ فإنّكم لاتقدرون على ذلك **٤٠**: ﴿**ويلٌ يومَئِذٍ للمكذِّبين**﴾ **٤١**: ﴿**إنّ المتقين في ظِلالٍ وعُيُونٍ**﴾ وهم الذين عبدوا الله بأداء الواجبات وترك المحرّمات **٤٢**: ﴿**وفواكِهَ مّما يشتهُون**﴾ ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبُوا وَجَدُوا **٤٣**: ﴿**كلُوا واشربُوا هنيئاً بماكنتم تعملون**﴾ يُقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً: **٤٤**: ﴿**إنّا كذلك نجزي المحسنين**﴾ هذا جزاؤنا لمن أحسنَ العملَ **٤٥**: ﴿**ويلٌ يومَئِذٍ للمكذِّبين**﴾ **٤٦**: ﴿**كلُوا وتمتّعُوا قليلاً إنكم مُجْرِمُون**﴾ هذا خطاب للمكذبين بيوم الدِّين، وأمرَهم أمرَ تهديدٍ ووَعِيدٍ؛ ﴿**كلُوا وتمتّعُوا قليلاً**﴾ مُدّةً قليلة قصيرة ﴿**إنّكم مُجْرِمُون**﴾ ثم تُساقُون إلى نار جهنّم **٤٧**: ﴿**ويلٌ يومَئِذٍ للمكذِّبين**﴾، كما قال تعالى: ﴿نُمتّعُهم قليلاً ثم نضطرُّهم إلى عذابٍ غليظٍ﴾ **٤٨**: ﴿**وإذا قِيلَ لهم اركعُوا لايركعُون**﴾ إذا أُمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلّين امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه، ولهذا قال تعالى: **٤٩**: ﴿**ويلٌ يومَئِذٍ للمكذِّبين**﴾ ثم قال تعالى: **٥٠**: ﴿**فبأيِّ حديثٍ بعدَهُ يُؤمِنُون**﴾؟ إذا لم يُؤمنوا بهذا القرآن فبأيّ كلامٍ يُؤمنون به؟! كما قال تعالى: ﴿فبأيِّ حديثٍ بعد الله وآياته يُؤمِنُون﴾؟!

الآية: ٢٩–٣٣ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «ناركُم هذه التي توقودن؛ جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم» قالوا: والله إن كانت لكافيةً يارسول الله!؟ قال: «فإنّها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً، كلّها مثل حرّها».

وروى الترمذي عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الحميم ليُصبُّ على رؤوسهم [رؤوس الكفار في الجحيم] فينفذ حتى يَخلُصَ إلى جوفه، فيَسْلُتُ مافي جوفه حتى يمرُقَ من قدميه؛ وهو الصَّهْرُ، ثم يُعاد كما كان» وإسناده حسن. /جامع الأصول ج١٠/٥١٢ و٥٤٠/.

سُورَةُ النَّبَإِ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

تفسير سورة النبأ

١: ﴿**عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ**﴾؟ عن أيّ شيءٍ يتساءل الكفار من أمر القيامة؟ وهو النّبأ العظيم **٢**: ﴿**عن النبأ العظيم**﴾ يعني الخبر الهائل المفظع الباهر **٣**: ﴿**الذي هم فيه مختلِفون**﴾ من الناس مؤمن به وكافر، ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة: **٤**: ﴿**كلاّ سيعلمون**﴾ **٥**: ﴿**ثم كلاّ سيعلمون**﴾ وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى يُبيّن قدرتَهُ العظيمة على خلق الأشياء الغريبة الدالّة على قدرته فقال: **٦**: ﴿**ألم نجعلِ الأرضَ مِهاداً**﴾؟ مُمهَّدةً للخلائق، ذَلُولاً لهم قارّة ساكنة ثابتة **٧**: ﴿**والجبالَ أوْتاداً**﴾ جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقرّرَها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها **٨**: ﴿**وخلقناكم أزواجاً**﴾ يعني ذكراً وأنثى يتمتّعُ كلٌّ منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك **٩**: ﴿**وجعلنا نومَكم سُباتاً**﴾ قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار **١٠**: ﴿**وجعلنا اللّيلَ لِباساً**﴾ يغشى النّاسَ ظلامُهُ وسوادُهُ **١١**: ﴿**وجعلنا النّهارَ مَعاشاً**﴾ جعلناه مشرقاً نيراً مُضيئاً ليتمكّنَ النّاس من التصرّف فيه **١٢**: ﴿**وبنينا فوقَكم سبعاً شِداداً**﴾ يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامِها **١٣**: ﴿**وجعلنا سِراجاً وهّاجاً**﴾ يعني الشمس المنيرة لأهل الأرض كلهم **١٤**: ﴿**وأنزلنا من المعصِراتِ ماءً ثجّاجاً**﴾ من السحاب، ماءً ثجّاجاً: متتابعاً كثيراً **١٥**: ﴿**لِنُخرجَ به حَبّاً ونباتاً**﴾ للأناسي والأنعام **١٦**: ﴿**وجنّاتٍ**﴾ بساتين وحدائق من ثمرات متنوّعة ﴿**ألفافاً**﴾ مجتمعة في بقعة واحدة من الأرض **١٧**: ﴿**إنّ يومَ الفصل**﴾ وهو يوم القيامة ﴿**كان ميقاتاً**﴾ مؤقت بأجل معدود لايُزاد عليه ولايُنقص منه، ولايعلم وقتَهُ إلاّ الله عزّ وجلّ **١٨**: ﴿**يومَ يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً**﴾ زمراً زمراً، تأتي كلُّ أمّةٍ مع رسولها **١٩**: ﴿**وفُتِحتِ السماءُ فكانت أبواباً**﴾ طُرقاً ومسالك لنزول الملائكة **٢٠**: ﴿**وسُيِّرَتِ الجبالُ فكانت سَراباً**﴾ يُخيّل إلى الناظر أنّها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكليّة فلاعين ولاأثر لها **٢١**: ﴿**إنّ جهنّم كانت مِرصاداً**﴾ مرصدة معدّة **٢٢**: ﴿**للطّاغين**﴾ وهم المردة والعصاة المخالفون للرسل ﴿**مآباً**﴾ مرجعاً ومُنقلباً **٢٣**: ﴿**لابثين فيها أحقاباً**﴾ ماكثين أحقاباً، والحُقب: بضع وثمانون سنة. كل يوم كألف سنة **٢٤**: ﴿**لايَذُوقُون فيها بَرْداً ولاشراباً**﴾ [البرد: النوم، والشراب: الماء] **٢٥**: ﴿**إلاّ حَميماً وغسّاقاً**﴾ الحميم: الحارُّ الذي انتهى حرّه وحُموّه، والغسّاق: صديد أهل النّار **٢٦**: ﴿**جزاءً وِفَاقاً**﴾ وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا **٢٧**: ﴿**إنّهم كانوا لايرجون حِساباً**﴾ لم يكونوا يعتقِدُون أنّ ثَمّ داراً يُجازون فيها ويُحاسبون **٢٨**: ﴿**وكذّبوا بآياتنا كِذّاباً**﴾ وكانوا يكذّبون بحجج الله تكذيباً **٢٩**: ﴿**وكلَّ شيءٍ أحصيناه كتاباً**﴾ أعمال العباد كلهم **٣٠**: ﴿ **فَذُوقُوا فلن نَزيدكم إلاّ عذاباً**﴾ يقال لأهل النّار: ذُوقُوا ماأنتم فيه، فلن نزيدكم إلاّ عذاباً من جنسه، وآخر من شكله أزواج.

الآية: ٢١ـ٢٥ روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أدنى أهل النّار عذاباً، ينتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه من حرارة نعليه». وفي الصحيحين: «إنّ أهون أهل النّار عذاباً يوم القيامة لرجلٌ يُوضع في أخمص قدميه جمرتان؛ يغلي منهما دماغه». /جامع الأصول ج١٠/٥٣٨/.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

٣١: ﴿**إنّ للمتقين مَفَازاً**﴾ فازوا فنجوا من النّار **٣٢**: ﴿**حدائقَ وأعناباً**﴾ بساتين من النخيل والأعناب **٣٣**: ﴿**وكواعِبَ أتراباً**﴾ حُوراً كواعب، نواهد أبكاراً **٣٤**: ﴿**وكأساً دِهَاقاً**﴾ مملوءةً متتابعة، صافية **٣٥**: ﴿**لايسمَعُون فيها لغواً ولاكِذّاباً**﴾ ليس فيها كلام لاغٍ عارٍ عن الفائدة ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل مافيها سالم من النقص **٣٦**: ﴿**جزاءً مِن ربِّك عطاءً حِسَاباً**﴾ جازاهم الله بهذا بفضله وإحسانه **٣٧**: ﴿**ربِّ السمواتِ والأرضِ ومابينهما الرحمنِ لايملِكُون منه خِطاباً**﴾ الرحمن الذي شملت رحمته كلَّ شيء، لايقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلاّ بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يومَ يأتِ لاتكَلّمُ نفسٌ إلاّ بإذْنِه﴾ **٣٨**: ﴿**يوم يقومُ الرُّوحُ والملائكةُ صفاً**﴾ جبريل وهو أعظم الملائكة خلقاً، والملائكة معه صفاً ﴿**لايتكلمون إلاّ مَن أذِن لهُ الرحمنُ وقال صَوَاباً**﴾ حقاً، ومن الحق: لا إلهَ إلاّ الله **٣٩**: ﴿**ذلك اليوم الحقُّ**﴾ الكائن لامحالة، ﴿**فمَنْ شاءَ اتخذَ إلى ربِّهِ مآباً**﴾ مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه ومنهجاً يمرُّ به عليه **٤٠**: ﴿**إنّا أنذرناكم عذاباً قريباً**﴾ يعني يومَ القيامة، لتأكد وقوعه صار قريباً، لأنّ كل ماهو آتٍ آت ﴿**يومَ ينظرُ المَرْءُ ماقدّمتْ يداه**﴾ يُعرض عليه جميعُ عمله خيرها وشرّها، ﴿**ويقُول الكافِرُ ياليتني كنتُ تُراباً**﴾ كنتُ حيواناً، فأرجع إلى التراب، وذلك حين يحكم الله بين الحيوانات، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافرُ: ﴿**ياليتني كُنتُ تراباً**﴾.

تفسير سورة النّازعات

١: ﴿**والنّازعاتِ غَرْقاً**﴾ الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم مَن تأخذُ رُوحَهُ بعُسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذُ رُوحَهُ بسهولة، وكأنّما حلّته من نشاط وهو قوله: **٢**: ﴿**والنّاشطاتِ نشطاً**﴾ **٣**: ﴿**والسابِحَات سَبْحاً**﴾ هي الملائكة [تنزل مسرعة لأمر الله] **٤**: ﴿**فالسّابقاتِ سَبْقاً**﴾ هي الملائكة [سبقت ابنَ آدم بالعمل الصالح] **٥**: ﴿**فالمُدَبِّرَاتِ أمراً**﴾ الملائكة تدبّر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربِّها عزّ وجلّ **٦**: ﴿**يومَ تَرْجُفُ الراجفةُ**﴾ **٧**: ﴿**تتبعُها الرّادِفةُ**﴾ هُما النفختان، الأولى والثانية **٨**: ﴿**قُلُوبٌ يومَئِذٍ واجِفةٌ**﴾ يعني خائفة **٩**: ﴿**أبصارُها خاشِعةٌ**﴾ ذليلة حقيرة مّما عاينت من الأهوال **١٠**: ﴿**يقولون أئنّا لَمَرْدُودُون في الحَافِرَة**﴾ يعني مشركي قريش، يستبعِدُون وقوع البعث بعد المصير إلى القبور؟! **١١**: ﴿**أئذا كُنّا عِظاماً نخرة**﴾؟ بالية ، وهو العظم، أي: العظم إذا بلِيَ **١٢**: ﴿**قالوا تلكَ إذاً كرّة خاسِرة**﴾ الحياة بعد الموت، أي : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرنّ **١٣**: ﴿**فإنّما هي زَجْرَةٌ واحِدَةٌ**﴾ صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية **١٤**: ﴿**فإذا هم بالسَّاهِرَة**﴾ [أي: أرض المحشر] والساهرة المكان المستوي الخالي **١٥**: ﴿**هَلْ أتاكَ حديثُ موسى**﴾ أنّه ابتعثه الله إلى فرعون وأيّده بالمعجزات.

الآية: ٣١ روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: أعددتُ لعبادي الصالحين مالاعَيْنٌ رأتْ ولاأذنٌ سمعتْ، ولاخطرَ على قلب بشر» قال: أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلمُ نفسٌ ماأُخفيَ لهم من قُرّة أعيُن﴾ [سورة السجدة/١٧]. /جامع الأصول ج١٠/٤٩٤/.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سورة عبس

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

١٦: ﴿إذْ ناداهُ ربُّهُ بالوَادِ المقدّسِ طُوىً﴾ كلمه بالواد المطهر، واسمه طُوى **١٧: ﴿اذهبْ إلى فرعونَ إنّه طغى﴾** تمرّدَ وعتى **١٨: ﴿فقلْ هلْ لكَ إلى أن تزكّى﴾** تجيب إلى طريقةٍ ومسلكٍ تزكّى به **١٩: ﴿وأهْدِيَكَ إلى ربِّك﴾** أدلّكَ إلى عبادة ربِّكَ **﴿فتخشى﴾** فيصير قلبك خاضعاً له خاشعاً مطيعاً بعدما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير **٢٠: ﴿فأراه الآيةَ الكبرى﴾** يعني فأظهرَ لهُ موسى مع هذه الدعوةِ الحقِّ حُجّةً قويّةً على صدق ماجاءَهُ به مِن عند اللهِ **٢١: ﴿فكذّبَ وعصى﴾** فكذّب بالحقِّ وخالفَ ماأمرَهُ من الطاعة **٢٢: ﴿ثم أدْبَرَ يسعَى﴾** في مقابلة الحق، في جمع السحرة ليُقابلوا ماجاءَ به موسى من المعجزات الباهرات **٢٣: ﴿فحشرَ فنادَى﴾** في قومه **٢٤: ﴿فقال أنا ربُّكُمُ الأعلَى﴾** قال فرعون هذه الكلمة بعدما قال لقومه: ﴿ماعلمتُ لكم مِن إلهٍ غيري﴾ بأربعين سنة **٢٥: ﴿فأخذَهُ اللهُ نكالَ الآخرةِ والأُولى﴾** انتقمَ اللهُ منه انتقاماً جعله الله به عبرةً ونكالاً لأمثاله المتمرّدِين **٢٦: ﴿إنّ في ذلك لعبرةً لِمَنْ يخشَى﴾** [اعتباراً وعِظةً لمن يخاف الله عزّوجلّ] **٢٧: ﴿أأنتم أشدُّ خلقاً أمِ السماءُ بناهَا﴾** يعني بل السماء أشدّ خلقاً منكم، كما قال تعالى: ﴿لَخلْقُ السمواتِ والأرضِ أكبرُ من خلق النّاس﴾ **٢٨: ﴿رفعَ سَمْكها﴾** هذا تفسير لقوله: ﴿بناهَا﴾، ﴿فسوّاها﴾ جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء **٢٩: ﴿وأغطشَ ليلَها وأخرجَ ضُحَاهَا﴾** جعل ليلَها واضحاً **٣٠: ﴿والأرضَ بعدَ ذلك دَحَاها﴾** فسّره بقوله تعالى **٣١: ﴿أخرجَ منها ماءَها ومَرْعَاها﴾** شقَّ فيها الأنهار، وجعل فيها الجبالَ والسُّبُلَ والآكام **٣٢: ﴿والجبالَ أرساها﴾** قرّرها وأثبتها في أماكنها **٣٣: ﴿متاعاً لكم ولأنعامِكم﴾** دَحَاها فأنبع عُيُونَها وأظهر مكنونَها وأجرى أنهارها وأنبتَ زُرُوعها وأشجارها، وثبّت جبالها لتستقرّ، كل ذلك متاعاً لخلقه ولِما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبُونها **٣٤: ﴿فإذا جاءتِ الطامّةُ الكبرى﴾** وهو يوم القيامة **٣٥: ﴿يوم يتذكّرُ الإنسانُ ماسعى﴾** حينئذٍ يتذكر ابنُ آدم جميعَ عمله خيرهِ وشرّهِ **٣٦: ﴿وبُرِّزَتِ الجحيمُ لِمَنْ يرَى﴾** أظهرت للنّاظرين فرآها الناسُ عياناً **٣٧: ﴿فأمّا مَن طغَى﴾** تمرّد وعتَى **٣٨: ﴿وآثرَ الحياةَ الدنيا﴾** قدّمها على أمر دينه وأخراه **٣٩: ﴿فإنّ الجحيمَ هي المأوَى﴾** مصيره إلى الجحيم **٤٠: ﴿وأمّا مَن خافَ مقامَ ربِّه﴾** خاف القيام بين يدي الله **﴿ونهى النفسَ عنِ الهوَى﴾** وردّها إلى طاعة مولاها **٤١: ﴿فإنّ الجنّةَ هي المأوَى﴾** مصيره ومرجعه إلى الجنّة **٤٢: ﴿يسألُونكَ عنِ السّاعةِ أيّانَ مُرْسَاهَا﴾** [أي: سألوا عنها استهزاءً] **٤٣: ﴿فيمَ أنتَ مِن ذكراها﴾** لم يزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الساعة حتى نزل **٤٤: ﴿إلى ربِّكَ منتهاهَا﴾** ليس علمها إليك ولا إلى أحدٍ من الخلق بل مردّها إلى الله **٤٥: ﴿إنّما أنت منذرُ مَنْ يخشاها﴾** تحذر مَن يخشى الله **٤٦: ﴿كأنّهم يومَ يرونها لم يلبثُوا إلاّ عشيّةً أو ضُحاها﴾** إذا قاموا من قبورهم، كأنها كانت عندهم عشيّةً – مابين الظهر إلى غروب الشمس، أو ضُحَاها – مابين طلوع الشمس إلى نصف النهار.

الآية: ٤١ روى الشيخان أنّ رسول الله ﷺ قال: «جنّتان من فضة، آنيتُهما ومافيهما، وجنّتان من ذهب آنيتهما ومافيهما» الحديث /جامع الأصول ج١٠/٤٩٨.

تفسير سورة عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

١: ﴿**عبسَ وتَولّى**﴾ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ٢: ﴿**أنْ جاءَهُ الأعمى**﴾ وهو ابن أم مكتوم أعرض عنه وأقبل على عظماء قريش ٣: ﴿**ومايُدريكَ لعلّه يزّكّى**﴾ يحصل له طهارة في نفسه ٤: ﴿**أو يذكر فتنفعه الذكرَى**﴾ يحصل له اتعاظ ٥: ﴿**أمّا مَنِ استغنى**﴾ الغنيّ ٦: ﴿**فأنتَ له تصدَّى**﴾ تتعرّض له لعله يهتدي ٧: ﴿**وماعليكَ ألاّ يزّكّى**﴾ ماأنت بمطالب منه إذا لم يحصل له زكاة ٨: ﴿**وأمّا مَن جاءك يسعى**﴾ ٩: ﴿**وهو يخشَى**﴾ يقصدُكَ ليهتدي ١٠: ﴿**فأنتَ عنه تلهَّى**﴾ تتشاغل ١١: ﴿**كلاّ إنّها تذكرةٌ**﴾ هذه وصية بالمواساة بين الناس في إبلاغهم العلم ١٢: ﴿**فمَنْ شاءَ ذكرَهُ**﴾ ذكر الله في جميع أموره، والقرآن ١٣: ﴿**في صحف مكرّمة**﴾ معظمة مُوقّرة ١٤: ﴿**مرفوعة مطهرة**﴾ عالية القدر مطهرة من الزيادة أو النقصان ١٥: ﴿**بأيدي سفرة**﴾ الملائكة الذين بين الله تعالى وخلقه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البَرَرة» الحديث ١٦: ﴿**كرام بَرَرةٍ**﴾ خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم طاهرة ١٧: ﴿**قُتِلَ الإنسانُ ماأكفرَهُ**﴾ هذا ذم لمن أنكر البعثَ والنشور، قُتِلَ: أي لُعِنَ، ماأكفره: أي ماأشدّ كفره ١٨: ﴿**مِن أيّ شيءٍ خلقه**﴾؟ ١٩: ﴿**مِن نُطفةٍ خلقَهُ فقدّرَهُ**﴾ قدّر رزقه وأجلَهُ وعمله ٢٠: ﴿**ثم السبيلَ يسَّرَهُ**﴾ يسّر خروجه من بطن أمه ٢١: ﴿**ثم أماتَهُ فأقبَرَهُ**﴾ بعد خلقه [ونهاية أجله] أماته فأقبره ٢٢: ﴿**ثم إذا شاءَ أنشرَهُ**﴾ بعثه بعد موته [يوم القيامة] ٢٣: ﴿**كلاّ لمّا يقضِ ماأمرَهُ**﴾ لم يُؤدِّ الكافر مافرض الله عليه من الفرائض ٢٤: ﴿**فلينظُرِ الإنسانُ إلى طعامِهِ**﴾ فيه امتنان [من الخالق على خلقه] ٢٥: ﴿**أنّا صَبَبْنا الماءَ صَبّاً**﴾ أنزلناه من السماء على الأرض ٢٦: ﴿**ثم شققنا الأرضَ شقاً**﴾ أسكناه فيها فيتخلّل في أجزاء الحب فينبت على وجه الأرض ٢٧: ﴿**فأنبتنا فيها حبّاً**﴾ ٢٨: ﴿**وعِنَباً وقَضْباً**﴾ القضب: ماتأكله الدواب رطباً ٢٩: ﴿**وزيتُوناً ونخلاً**﴾ ٣٠: ﴿**وحدائقَ غُلْباً**﴾ بساتين [ذات أشجار يُستظل بها] ٣١: ﴿**وفاكهةً وأبّاً**﴾ الفاكهةُ: الثمار، والأبُّ ماأنبتتِ الأرض ممّا يأكله الدوابّ ٣٢: ﴿**متاعاً لكم ولأنعامِكم**﴾ عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة ٣٣: ﴿**فإذا جاءتِ الصّاخّةُ**﴾ الصاخة: من أسماء يوم القيامة، عظّمَهُ الله وحذّر [منه] ٣٤: ﴿**يومَ يفرُّ المَرْءُ مِن أخيهِ**﴾ ٣٥: ﴿**وأُمِّهِ وأبيهِ**﴾ ٣٦: ﴿**وصاحِبَتِهِ وبَنِيهِ**﴾ يراهم ويفرُّ منهم لأنّ الهولَ عظيم والخطب جليل ٣٧: ﴿**لكلِّ امرىءٍ منهم يومَئِذٍ شأنٌ يُغنيهِ**﴾ هو في شغل شاغل عن غيره ٣٨: ﴿**وُجوهٌ يومَئِذٍ مُسْفِرَةٌ**﴾ ٣٩: ﴿**ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**﴾ يكون هناك فريقان: وُجوهٌ مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم وهؤلاء هم أهل الجنة ٤٠: ﴿**ووُجوهٌ يومَئِذٍ عليها غَبَرةٌ**﴾ ٤١: ﴿**ترهقها قَترةٌ**﴾ يعلوها وتغشاها قترة، أي: سواد ٤٢: ﴿**أولئك هُمُ الكفرةُ الفجَرَةُ**﴾ الكفرة قلوبهم ، الفجرة أعمالهم.

سورة عبس: إنّ رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامهم، فبينما هو يخاطبه ويُناجيه إذْ أقبل ابن أم مكتوم، وكان أسلم قديماً فجعل يسأل رسول الله ﷺ من شيء ويُلحُّ عليه، وودّ ﷺ أن لو كفَّ ساعته ليتمكّن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً في إسلامه، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر، فأنزل الله هذه السورة. /ابن كثير ج٤/٤٧٠/.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ ترتيبها ٨١ آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ ترتيبها ٨٢ آياتها ١٩

تفسير سورة التكوير

١: ﴿**إذا الشمسُ كُوِّرتْ**﴾ أظلمت واضمحلّت وذهبَ ضَوْؤها **٢**: ﴿**وإذا النُّجومُ انكدرَتْ**﴾ انتشرتْ، كما قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ **٣**: ﴿**وإذا الجبالُ سُيِّرتْ**﴾ [أي: قُلِعَتْ من الأرض وسُيِّرت في الهواء **٤**: ﴿**وإذا العِشارُ عُطِّلَتْ**﴾ أي: النُّوق الحوامل، ولأيُعطلها أهلها إلّا لأهوال يوم القيامة] **٥**: ﴿**وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ اختلطت [بعد أن جُمعت، ليقتصَّ لبعضها من بعض] **٦**: ﴿**وإذا البِحارُ سُجِّرَتْ**﴾ تُسعَّر وتصير ناراً تأجج **٧**: ﴿**وإذا النُّفوسُ زُوِّجَتْ**﴾ زوجت الأرواح بالأبدان، ويقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويُقرن الرجل السوء مع الرجل السوء في النّار، فذلك تزويج الأنفس **٨**: ﴿**وإذا المَوْءُودَةُ سُئلتْ**﴾ **٩**: ﴿**بأيّ ذنبٍ قُتِلَتْ**﴾؟ والموءودة: هي المدفونة [المقتولة حيّةً بالدفن، كان أهل الجاهلية يَئِدون بناتهم خشية الإملاق والسبي والاسترقاق، فحرّمه الله تعالى أشدَّ التحريم] **١٠**: ﴿**وإذا الصحفُ نُشرت**﴾ أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله، فينظر مافي صحيفته **١١**: ﴿**وإذا السماءُ كُشِطَتْ**﴾ اجتذبت وكسفت **١٢**: ﴿**وإذا الجحيم سُعِّرَت**﴾ أحميت، ويُسعّرها غضبُ الله وخطايا بني آدم [أجارنَا اللهُ منها] **١٣**: ﴿**وإذا الجنّة أُزْلِفَتْ**﴾ قُرِّبتْ إلى أهلها **١٤**: ﴿**عَلِمَتْ نفسٌ ماأحضرت**﴾ هذا هو الجواب؛ أي: إذا وقعت هذه الأمورُ حِينَئِذٍ تعلمُ كلُّ نفس ماعملت وأُحضِرَ ذلك لها، كما قال تعالى: ﴿يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ماعَمِلَتْ مِن خير محضراً وماعملت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لو أنَّ بينها وبينَهُ أمداً بعيداً﴾ **١٥**: ﴿**فلاأُقسِمُ بالخُنَّس**﴾ **١٦**: ﴿**الجَوَارِ الكُنّس**﴾ وهي النُّجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل **١٧**: ﴿**واللّيل إذا عَسْعَس**﴾ أقبل بظلامه وغشّى الناس، وأيضاً: إذا ذهبَ فتولى **١٨**: ﴿**والصبح إذا تنفّس**﴾ أضاء وأشرق **١٩**: ﴿**إنّه لَقَولُ رسولٍ كريم**﴾ يعني: إنّ هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: مَلَكٍ شريفٍ حَسنِ الخَلْقِ بهيّ المنظر، وهو جبريل عليه السلام **٢٠**: ﴿**ذي قوّةٍ عندَ ذي العرشِ مكين**﴾ له مكانة عند الله عزّ وجلّ ومنزلة رفيعة **٢١**: ﴿**مُطاعٍ ثَمَّ أمين**﴾ مطاع في السموات، فهو من السادة والأشراف، انتخب لهذه الرسالة العظيمة، وصفته أمين، وهذا عظيم جداً أنّ الربّ عزّ وجلّ يزكي عبدَه جبريل **٢٢**: ﴿**وماصاحبكم**﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**بمجنُون**﴾ [حتى يُتهم بذلك. بل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا من جواب القسم] **٢٣**: ﴿**ولقد رآهُ بالأُفقِ المُبين**﴾ لجبريل، وهي الرؤية الأولى **٢٤**: ﴿**وماهو على الغيبِ بضنين**﴾ ومامحمد صلى الله عليه وآله وسلم على ماأنزله الله إليه بمتّهم أو بخيل **٢٥**: ﴿**وماهو بقولِ شيطانٍ رجيم**﴾ هذا القرآن لايقدر شيطان رجيم على حمله، ولايريده ولاينبغي له **٢٦**: ﴿**فأين تذهبون**﴾؟ تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن؟ **٢٧**: ﴿**إنْ هو إلّا ذكرٌ للعالَمين**﴾ هذا القرآن يتذكر به الناس ويتّعِظون **٢٨**: ﴿**لِمَنْ شاءَ منكم**﴾ الهداية ﴿**أن يستقيم**﴾ فعليه بهذا القرآن، فإنّه منجاة له وهداية **٢٩**: ﴿**وماتشاؤون إلّا أن يشاءَ اللهُ ربُّ العالمين**﴾ كل ذلك تابع لمشيئة الله تعالى ربِّ العالَمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

تفسير سورة الإنفطار

١: **﴿إذا السماءُ انفطرتْ﴾** انشقتْ ٢: **﴿وإذا الكواكبُ انتثرتْ﴾** تساقطتْ ٣: **﴿وإذا البحارُ فُجِّرَتْ﴾** فجّرَ اللهُ بعضها في بعض فذهب ماؤها ٤: **﴿وإذا القُبورُ بُعْثِرَتْ﴾** بُحِثَتْ فأُخرج مَن فيها ٥: **﴿علِمَتْ نفسٌ ماقدّمتْ وأخّرتْ﴾** إذا كان هذا حصلَ هذا ٦: **﴿ياأيّها الإنسانُ ماغرّك بربِّكَ الكريم﴾** هذا تهديدٌ لاكما يتوهم بعضُ الناس: أنّه غرّه كرمه، بل المعنى: ماغرَّك ياابن آدم بربك العظيم حتى أقدمتَ على معصيته وقابلته بمالايليق؟ ٧: **﴿الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدلَكَ﴾** جعلك سويّاً مستقياً في أحسن الهَيئات والأشكال ٨: **﴿في أيِّ صُورةٍ ماشاءَ ركّبكَ﴾** روى ابن جرير: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ النطفةَ إذا استقرّت في الرحم أحضرَهَا اللهُ تعالى كلَّ نسبٍ بينها وبين آدم»، ثم قرأ صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿في أيّ صُورةٍ ماشاءَ ركّبك﴾** شكّللكَ ٩: **﴿كلّا بلْ تكذّبُون بالدِّين﴾** إنّما حملكم على مواجهة الكريم بالمعاصي تكذيبُ قلوبكم بالمعاد والحساب ١٠: **﴿وإنّ عليكم لحافظين﴾** ١١: **﴿كراماً كاتبين﴾** ١٢: **﴿يعلمُون ماتفعلُون﴾** يعني إنّ عليكم لملائكة حفظة كراماً، فلاتُقابِلُوهم بالقبائح، فإنّهم يكتبون عليكم جميعَ أعمالكم ١٣: **﴿إنّ الأبرارَ لفي نعيم﴾** الأبرارُ: هم الذين أطاعُوا اللهَ عزّ وجلّ ١٤: **﴿وإن الفجّارَ لفي جَحيم﴾** [والفجارُ: هم الذين قابلوه بالكفر والمعاصي] ثم ذكر تعالى مايصير إليه الفُجّار من الجحيم فقال تعالى: ١٥: **﴿يصلونَها يومَ الدِّين﴾** يوم الحِساب والجزاء، يوم القيامة ١٦: **﴿وماهُم عنها بغائبين﴾** لايغيبُون عن العذاب ساعة واحدة ١٧: **﴿وماأدراكَ مايومُ الدِّين﴾**؟ تعظيمٌ لشأنِ يوم القيامة، ثم أكّدَهُ بقوله تعالى: ١٨: **﴿ثم ماأدْراك مايومُ الدِّين﴾**؟ ثم فسَّرَهُ بقوله: ١٩: **﴿يومَ لاتملِكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً﴾** لايقدر أحدٌ على نفع أحدٍ ولاخلاصه مما هو فيه إلّا بإذنِ اللهُ لمن يشاء ويرضى، **﴿والأمرُ يومَئِذٍ لله﴾** لاينازعه فيه أحدٌ، ولله الحمد والمنّة وبه التوفيق والعصمة.

تفسير سورة المُطفِّفين

١: **﴿ويلٌ للمُطَفِّفين﴾** الهلاك والخسارة [في الآخرة للمطففين] ثم فسّره تعالى بقوله: ٢: **﴿الذين إذا اكتالُوا على النّاس﴾** من النّاس **﴿يستوفُون﴾** يأخذون حقّهم زائداً ٣: **﴿وإذا كالُوهُم أو وَزَنُوهم يُخسِرُون﴾** يُنقصون. وقد أمرَ اللهُ تعالى بالوفاء في الكيل والميزان، فقال تعالى: ﴿وأوفُوا الكيلَ إذا كِلتُم وزنُوا بالقسطاس المستقيم﴾ ٤: **﴿ألاَ يظنُّ أولئك أنّهم مبعُوثُون﴾**؟ ٥: **﴿ليوم عظيم﴾** أمَا يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائرَ والضمائرَ في يوم السرائرَ والضمائرَ في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب، مَن خَسِرَ فيه أدخل النّار ٦: **﴿يومَ يقومُ النّاسُ لربِّ العالَمِين﴾** يقومُون حُفاةً عُراةً غُرْلاً في موقف صعبٍ حَرِجٍ ضيقٍ ضنك، يغشاهم من أمر الله ماتعجز عنه الحواسِ والقِوَى.

الآية: ١ـ٣ وفي حديث ابن عمر عند ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم: «يامعشر المهاجرين خمس خصال إذا ابْتُلِيتُم بهنّ ـمنها ـ ولم يَنْقُصُوا المِكيالَ والميزانَ إلاّ أخِذُوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان عليهم» الحديث. /الترغيب ج٢/٥٦٨/.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

٧: ﴿**كلّا إنّ كتابَ الفُجّارِ لفي سِجِّينٍ**﴾ مصيرهم ومأواهم في ضيقٍ مقيمٍ وعذابٍ أليم، والسِّجِّين: تحت الأرض السابعة، فيه أرواح الكفار ٨: ﴿**وماأدراك ماسِجِّين**﴾ [تعظيم لشأنه] ٩: ﴿**كتابٌ مرقوم**﴾ ليس تفسيراً [لما تقدم] وإنّما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سِجِّين؛ أي مرقومٌ مكتوبٌ مفروغ منه لايُزاد فيه ولاينقص منه ١٠: ﴿**ويلٌ يومَئذٍ للمكذِّبين**﴾ إذا صاروا إلى يوم القيامة لهم الهلاك والدمار ١١: ﴿**الذين يكذِّبُون بيوم الدِّين**﴾ لايصدِّقون بوقوعه ١٢: ﴿**ومايكذِّبُ به إلّا كلُّ معتدٍ أثيم**﴾ معتدٍ في أفعاله من تعاطي الحرام ١٣: ﴿**إذا تُتْلَى عليه آياتُنا قالَ أساطِيرُ الأوّلِين**﴾ إذا سمع كلام الله يكذّب به ١٤: ﴿**كلّا**﴾ ليس الأمرُ كما زعمُوا ﴿**بلْ رَانَ على قلوبِهم**﴾ الرَّين يعتري قلوب الكافرين ﴿**ماكانوا يكسبون**﴾ من الذنوب والخطايا، حتى عميت ١٥: ﴿**كلّا إنّهم عن ربِّهم يومئذٍ لَمحْجُوبون**﴾ عن رؤية ربِّهم وخالقهم ١٦: ﴿**ثم إنّهم لَصَالُوا الجحيم**﴾ هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ١٧: ﴿**ثم يُقال هذا الذي كنتم بهِ تكذِّبُون**﴾ يُقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير ١٨: ﴿**كلّا**﴾ حقّاً ﴿**إنّ كتابَ الأبرارِ لَفِي عِلّيين**﴾ يعني في الجنّة، ثم قال تعالى معظماً أمرَهُ ومفخماً شأنَهُ ١٩: ﴿**وماأدراك ماعِلِّيُّون**﴾ ثم قال تعالى مؤكّداً لما كتبَ لهم ٢٠: ٢١: ﴿**كتابٌ مرقومٌ يشهده المقرّبُون**﴾ وهم الملائكة ٢٢: ﴿**إنّ الأبرارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾ يوم القيامة هم في نعيم مُقيم ٢٣: ﴿**على الأرائِكِ**﴾ وهي السُّرُر ﴿**ينظُرُون**﴾ فيما أعطاهم الله تعالى من الخير والفضل ٢٤: ﴿**تعرفُ في وُجُوهِهِم نَضْرَةَ النَّعِيم**﴾ السرور والدعة والرِّيَاسة مِمّا هم فيه من النعيم العظيم ٢٥: ﴿**يُسْقَونَ مِن رَحِيقٍ مختوم**﴾ الرحيق: من أسماء خمر الجنّة ٢٦: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ خلطه مسك، أي: طيّب الله لهم الخمر ﴿**وفي ذلك فليتنافَسِ المتنافِسُون**﴾ في مثل هذا فليستبق إلى مثله المتسابقُون، كما قال تعالى: ﴿لمثل هذا فليعمل العامِلُون﴾ ٢٧: ﴿**ومِزاجُهُ مِن تسنيمٍ**﴾ ومزاج هذا الرحيق الموصوف من شراب يُقال له التسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنّة ٢٨: ﴿**عيناً يشربُ بها المقرّبُون**﴾ يشربها المقرّبون صِرْفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً ٢٩: ﴿**إنّ الذين أجرمُوا كانوا**﴾ في الدنيا ﴿**من الذين آمنوا يضحكُون**﴾ يستهزِئُون بهم ويحتقرونهم ٣٠: ﴿**وإذا مَرُّوا بِهِم يتغامَزُون**﴾ محتقرين لهم ٣١: ﴿**وإذا انقلبُوا إلى أهلِهِمُ انقلبُوا فكِهِين**﴾ إذا رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم اشتغلوا بالمؤمنين يُحقِّرُونهم ٣٢: ﴿**وإذا رأوْهُمْ قالوا إنّ هؤلاء لضالُّون**﴾ لكونهم على غير دينهم قال تعالى: ٣٣: ﴿**وماأرسِلُوا عليهم حافِظِين**﴾ مابُعث هؤلاء المجرمُون حافظين على أعمال المؤمنين وأقوالهم ولاكلِّفُوا بهم ٣٤: ﴿**فاليومَ الذين آمنُوا مَن الكفارِ يضحكُون**﴾ في مقابلة ماضحك بهم أولئك يضحكون منهم يوم القيامة.

الآية: ٧ السِّجِّين: مأخوذ من السجن وهو الضيق، فإنّ المخلوقات كلّما تسافل منها ضاق، وكل ماتعالى منها اتّسع. [ولهذا كانت الجنّة درجات في العُلا، والنار دركات إلى أسفل سافلين].

الآية: ١٤ روى الترمذي بإسنادٍ حسن صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صُقِلَ قلبُهُ، فإن عادَ =

عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانْشِقَاق

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

(ربع الحزب ٥٩ — سجدة)

٣٥: ﴿على الأرائِكِ يَنظُرون﴾ هم أولياء الله ينظرون إلى ربِّهم في دار كرامته **٣٦: ﴿هَلْ ثُوِّب الكفارُ ماكانوا يفعلُون﴾**؟ هل جوزيَ الكفار على ماكانوا يُقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني: قد جُوزُوا أوفرَ الجزاء وأتمِّهِ وأكمله.

تفسير سورة الانشقاق

١: ﴿إذا السماءُ انشقت﴾ وذلك يوم القيامة **٢: ﴿وأذِنتْ لربِّها﴾** استمعتْ لربِّها وأطاعت فيما أمرها من الانشقاق **﴿وحقتْ﴾** وحقَّ لها أن تُطيع أمرَه لأنّه العظيم الذي لايمانع وقد قهر كلَّ شيء **٣: ﴿وإذا الأرضُ مُدَّتْ﴾** بسطت وفُرشت ووُسِّعتْ **٤: ﴿وألقتْ مافيها﴾** مافيها من الأموات **﴿وتخلتْ﴾** منهم **٥: ﴿وأذنتْ لربِّها وحُقّتْ﴾ ٦: ﴿ياأيّها الإنسانُ إنّك كادِحٌ إلى ربِّكَ كَدْحاً﴾** إنّك ساعٍ إلى ربِّكَ سعياً وعاملٌ عملاً **﴿فمُلاقيه﴾** إنّك ستلقى ماعملتَ من خير أو شرّ **٧: ﴿فأمّا مَن أوتِيَ كتابَهُ بيمينه﴾ ٨: ﴿فسوف يُحاسَبُ حِسَاباً يسيراً﴾** سهلاً بلاتعسير، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن نُوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ» فالمؤمن [الذي يُؤتى كتابه بيمينه] لايُحقّق عليه جميع دقائق أعماله، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذاك العرض» **٩: ﴿وينقلِبُ إلى أهلِهِ مسروراً﴾** إلى أهله في الجنّة مغتبطاً بما أعطاه اللهُ عزّ وجلّ **١٠: ﴿وأمّا مَن أُوتِيَ كتابَهُ وراءَ ظهرِهِ﴾** بشماله من وراء ظهره **١١: ﴿فسَوْفَ يَدْعُوا ثُبوراً﴾** خساراً وهلاكاً **١٢: ﴿ويصلى سعيراً﴾ ١٣: ﴿إنّه كان في أهله مسروراً﴾** فرحاً [في الدنيا] لايفكر في العواقب ولايخاف [من الآخرة] فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل **١٤: ﴿إنّه ظنّ أنْ لن يَحُورَ﴾** كان يعتقد أنّه لايرجع إلى الله ولايُعيده بعدَ موتِهِ. والحَورُ: الرجوع **١٥: ﴿بلى إنّ ربَّه كان به بصيراً﴾** ويجازيه على أعماله **١٦: ﴿فلاأقسمُ بالشفق﴾** الشفق: هو حمرة الأفق قبل طلوع الشمس وبعد غروبها، أي: النهار كله **١٧: ﴿والليلِ وماوَسَقَ﴾** أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مُقبلاً، **﴿وماوسَقَ﴾** وماجمع **١٨: ﴿والقمرِ إذا اتّسق﴾** إذا اجتمع واستوى **١٩: ﴿لتركَبُنّ طبقاً عن طبق﴾** حالاً بعد حال **٢٠: ﴿فمالهم لايُؤمِنُون﴾؟ ٢١: ﴿وإذا قُرِىء عليهم القرآنُ لايسجدون﴾** فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ ومالهم إذا قُرِئت عليهم آيات الله وهو القرآن لايسجدون إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟ **٢٢: ﴿بلِ الذين كفروا يُكذِّبون﴾** من سجيّتهم التكذيب والعِناد والمخالفة للحقّ **٢٣: ﴿والله أعلمُ بما يُوعُون﴾** بما يكتمون في صدورهم **٢٤: ﴿فبشّرْهُم بعذابٍ أليم﴾** فأخبِرْهُم يامحمد بأنّ الله عزّ وجلّ قد أعدّ لهم عذاباً أليماً **٢٥: ﴿إلّا الذين آمنوا﴾** هذا استثناءٌ منقطع أي: لكن الذين آمنوا بقلوبهم **﴿وعمِلُوا الصالحات﴾** بجوارحهم **﴿لهم أجرٌ﴾** في الآخرة **﴿غيرُ مَمْنُونٍ﴾** غير مقطوع.

زِيْدَ فيها حتى تعلوَ قلبَهُ، فهو الرّان الذي قال الله تعالى: ﴿كلّا بلْ رانَ على قلوبهم ماكانوا يكسِبُون﴾. /ابن كثير ج٤/٤٨٥/.

الآية: ٨ روى الإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّب» قالت: فقلتُ أفليس قال الله تعالى: ﴿فسوفَ يُحاسَبُ حِسَاباً يسيراً﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نُوقش الحساب يوم القيامة عُذّب»، ورواه الشيخان في صحيحيهما. /ابن كثير ج٤/٤٨٨/. وروى مسلم عن عائشة أيضاً قالت: «مَنْ نوقِش الحساب عُذّب» ثم قالت: «إنّما الحساب اليسير عرضٌ على الله تعالى وهو يراهم».

سورة البروج
ترتيبها ٨٥ آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سورة الطارق
ترتيبها ٨٦ آياتها ١٧

تفسير سورة البُرُوج

١: ﴿**والسماءِ ذاتِ البُروجِ**﴾ وهي النجوم العِظام ٢: ﴿**واليومِ المَوْعُودِ**﴾ يوم القيامة ٣: ﴿**وشاهدٍ ومشهُودٍ**﴾ الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. قال ابن عباس: الشاهدُ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذلكَ يوم مجموعٌ له النّاسُ ذلكَ يومٌ مشهودٌ﴾ ٤: ﴿**قُتِلَ أصحابُ الأخدود**﴾ لُعِنَ أصحاب الأخدود، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى مَن عندهم من المؤمنين فحفروا لهم الأخدود وأجّجُوا فيه ناراً فقذفوهم فيها ٥: ﴿**النّارِ ذاتِ الوَقُودِ**﴾ [ذات الحطب] ٦: ﴿**إذْ هم عليها قُعُودٌ**﴾ [قعدوا عليها يُلقون فيها المؤمنين] ٧: ﴿**وهم على مايفعلُون بالمؤمنين شهودٌ**﴾ [حضور، يعني الكفار] ٨: ﴿**ومانقموا منهم إلّا أن يُؤمنوا باللهِ العزيز الحميدِ**﴾ ٩: ﴿**الذي له مُلْكُ السمواتِ والأرضِ**﴾ [وحده لاشريك له] ﴿**واللهُ على كلِّ شيءٍ شهيد**﴾ [عالم بأعمال خلقه لاتخفى عليه خافية] ١٠: ﴿**إنّ الذين فتنُوا المؤمنين والمؤمنات**﴾ حرّقوهم ﴿**ثم لم يَتُوبُوا**﴾ عمّا فعلوا، ولم يندمُوا على ماأسلفُوا ﴿**فلهم عذابَ جهنّم ولهم عذابُ الحريقِ**﴾ وذلك أنّ الجزاء من جنس العمل. قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلُوا أولياءَه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ١١: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملُوا الصحالحات لهم جنّات**﴾ يُخبر تعالى عن المؤمنين أنّ لهم جنات ﴿**تجري من تحتِها الأنهار ذلك الفوزُ الكبيرُ**﴾ ١٢: ﴿**إنّ بَطْشَ ربِّكَ لشديد**﴾ من أعدائه الذين كذّبُوا رُسله وخالفوا أمره لشديد [عذابه] عليهم ١٣: ﴿**إنّه هو يُبدِىء ويُعيدُ**﴾ من قوّته وقدرته التامّة يبدأ الخلق ويُعيده كما بدأه بلا ممانع ولامدافع ١٤: ﴿**وهو الغَفُورُ**﴾ يغفر الذنب لمن تاب إليه وخضع لديه، ولو كان الذنب أيّاً كان ﴿**الوَدُودُ**﴾ الحبيب ١٥: ﴿**ذُو العرش**﴾ صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق ﴿**المجيدُ**﴾ المجدُ: النهاية في الجود والفضل ١٦: ﴿**فعّالٌ لما يُريدُ**﴾ مهما أراد فعله لامعقبَ لحكمه ولايُسأل عمّا يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله ١٧: ﴿**هلْ أتاكَ حديثُ الجُنُودِ**﴾ هل جاءك يامحمد حديث الجموع الكافرة؟ ١٨: ﴿**فرعونَ وثمودَ**﴾ [والمعنى: قد عرفت مافعلَ اللهُ بهم حين كذّبُوا أنبياءه ورسله] ١٩: ﴿**بلِ الذين كفروا في تكذيب**﴾ هم في شَكٍ ورَيب وكفر وعناد ٢٠: ﴿**واللهُ مِن ورائهم مُحِيطٌ**﴾ هو قادر عليهم قاهر، لايفوتُونه ولايُعجزونه ٢١: ﴿**بل هو قرآنٌ مجيد**﴾ عظيم كريم ٢٢: ﴿**في لوحٍ محفُوظٍ**﴾ هو في الملأ الأعلى محفوظٌ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل. واللوحُ المحفوظ على يمين العرش. واللوح المحفوظ من دُرّة بيضاء، قلمه نور. [وفيه أصناف الخلق والخليقة، وبيان أمورهم، وذكر آجالهم وأرزاقهم، وأعمالهم، وأول شيءٍ كُتب فيه: لاإله إلّا الله].

الآية: ٤ ــ ١٠ قال الربيع بن أنس: إنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلمّا رأوا ماوقع في النّاس من الفتنة والشر، اعتزلوا إلى قرية سكنوها، وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حُنفاء ويُقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاة، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبّار من الجبّارين، وحُدِّث حديثهم، فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأوثان، فأبَوْا عليه وقالوا: لانعبد إلاّ الله وحده لاشريك له، فلمّا أبَوْا عليه خدَّ أخدُوداً من نار. /ابن كثير ــ باختصار ج٤/٤٩٦/.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الأَعْلَىٰ

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٦٠

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

تفسير سورة الطارق

١: ﴿والسماءِ والطارق﴾ يُقسِم تعالى بالسماء وماجعل فيها من كواكب نيّرة، ثم قال تعالى: ٢: ﴿وماأدراكَ ماالطارقُ﴾؟ ثم فسَّرهُ بقوله: ٣: ﴿النّجـمُ الثـاقِب﴾ المضيء، ويثقب الشياطين إذا أُرسل عليها، وهو مضيء ومحرق للشيطـان ٤: ﴿إنْ كلُّ نفسٍ لَما عليها حافظ﴾ كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات، كما قال تعالى: ﴿له مُعَقِّباتٌ من بين يديه ومِن خلفِهِ يحفظونه من أمرِ الله﴾ ٥: ﴿فلينظرِ الإنسـانُ مِمَّ خُلِقَ﴾؟ تنبيه للإنسان على ضعف خلفه ٦: ﴿خُلِقَ من ماءٍ دافِقٍ﴾ يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة فيتولّد منهما الولد بإذن الله، ولهذا قال تعالى: ٧: ﴿يخرج من بين الصُّـلب والترائب﴾ صـلب الرجل وترائب المرأة، [وترائب المرأة عصارة قلبها] ٨: ﴿إنّه على رجعه لقادر﴾ [إنه على ردّ الإنسان ماء كما قال لَقَادِرٌ] ٩: ﴿يومَ تُبْلَى السرائرُ﴾ تظهر يوم القيامة ١٠: ﴿فمـا له من قوّةٍ ولانـاصر﴾ ينقـذه من عـذاب الله ١١: ﴿والسماءِ ذاتِ الرجع﴾ الرجع: المطر، وهو السحاب الذي فيه المطر ١٢: ﴿والأرضِ ذاتِ الصـدع﴾ ذات الانصداع، وهو النبات ١٣: ﴿إنّه لقولٌ فصلٌ﴾ لقولٌ حقٌ ١٤: ﴿وماهو بالهزل﴾ هو جدٌ حَقٌّ ١٥: ﴿إنّهم يكيدون كيداً﴾ يمكرون بالنّاس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قـال تعـالى: ١٦: ﴿وأكيـدُ كيـداً﴾ [أجازيهم جزاءَ كيدهم] ١٧: ﴿فمَهِّلِ الكافرين﴾ أنظرهم ولاتستعجل لهم ﴿أَمْهِلْهُم رُوَيداً﴾ قليلاً، وسترى ماذا أحِلُّ بهم من العذاب

تفسير سورة الأعلى

١: ﴿سَبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى﴾ لمّا نزلت قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اجعلوها في سجودِكم»، كما قال لما نزلت ﴿فسبِّحْ باسم ربِّكَ العظيم﴾: (اجعلوها في رُكوعِكم) ٢: ﴿الذي خلق﴾ الخليقة ﴿فسوّى﴾ كلَّ مخلوق في أحسن الهيئات ٣: ﴿والذي قدَّرَ فهدَى﴾ قدّر قدراً وهدى الخلائق إليه ٤: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ جميع صنوف النباتات والزروع ٥: ﴿فجعلَهُ غُثاءً أحوى﴾ هشياً متغيّراً ٦: ﴿سنُقرئكَ فلا تنسى﴾ هذا إخبار من الله تعالى لرسوله ووعد منه له بأنّه سيُقرئه قراءةً لاينساها ٧: ﴿إلّا ماشاءَ الله﴾ لاينسَى شيئاً إلا ماشاء الله ﴿إنّه يعلمِ الجهرَ ومايخفى﴾ فلا يخفى عليه شيء ٨: ﴿ونُيسّرك لليُسرى﴾ نُسهل عليك أفعال الخير، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً. ٩: ﴿فذكِّر إنْ نفعتِ الذكرَى﴾ ذكر حيث تنفع التذكرة ١٠: ﴿سيذَّكَّرُ مَن يخشَى﴾ سيتعظ بما تبلّغه يامحمد مَن قلبُهُ يخشى الله تعالى ١١: ﴿ويتجنّبُها الأشقى﴾ ١٢: ﴿الذي يصلَى النّارَ الكبرى﴾ ١٣: ﴿ثم لايموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولايحيى﴾ حياةً تنفعه ١٤: ﴿قدْ أفلحَ﴾ [قد صادف البقاء في الجنّة] ﴿مَنْ تزكى﴾ طهرَ نفسه [من الشرك] ١٥: ﴿وذكرَ اسمَ ربِّهِ فصلى﴾ أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله، وطاعةً لأمر الله.

سورة سبح: روى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بسبّح اسم ربّك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية». وفي رواية مسلم وأهل السنن: «ويوم الجمعة» وروى أحمد أيضاً أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبّح اسم ربك الأعلى، وقُلْ يأيها الكافرون، وقلْ هو الله أحد». /ابن كثير ج٤/٤٩٩/.

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

١٦: ﴿**بلْ تُؤثِرُون الحياةَ الدنيا**﴾ تقدّمونها على أمر الآخرة **١٧**: ﴿**والآخرةُ خيرٌ وأبقى**﴾ ثواب الله في الآخرة خير من الدنيا، فإن الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية، فكيف يُؤثر عاقل ما يفنى على مايبقى؟ **١٨**: ﴿**إنّ هذا**﴾ [مافي السورة من عِظات ومواعظ] ﴿**لَفِي الصحف الأولى**﴾ [في كُتُب الله السابقة] **١٩**: ﴿**صُحُفِ إبراهيمَ وموسى**﴾ [عليهما السلام].

تفسير سورة الغاشية[1]

١: ﴿**هَلْ أتاك حديثُ الغاشية**﴾؟ الغاشية من أسماء القيامة، لأنها تغشى الناس وتعمّهم **٢**: ﴿**وُجُوهٌ يومَئِذٍ خاشِعةٌ**﴾ ذليلة، لاينفعها عملها **٣**: ﴿**عاملةٌ ناصبةٌ**﴾ عاملة بالمعاصي ناصبة في النّار **٤**: ﴿**تصلى ناراً حاميةً**﴾ حارّة شديدة الحرّ **٥**: ﴿**تُسْقَى مِن عَينٍ آنيةٍ**﴾ قد انتهى حرّها **٦**: ﴿**ليسَ لهم طعامٌ إلّا مِن ضَريعٍ**﴾ الضريعُ: شجر النّار **٧**: ﴿**لايُسمِنُ ولايُغني مِن جُوعٍ**﴾ لايحصل منه مقصود ولايندفع به محذور **٨**: ﴿**وُجوهٌ يومَئِذٍ ناعمةٌ**﴾ يوم القيامة **٩**: ﴿**لسعيها راضيةٌ**﴾ قد رضيت عليها **١٠**: ﴿**في جنةٍ عاليةٍ**﴾ رفيعةٍ بهية، في الغُرفات آمِنون **١١**: ﴿**لاتسمعُ فيها لاغيةً**﴾ لاتسمع في الجنة كلمةَ لغوٍ **١٢**: ﴿**فيها عينٌ جاريةٌ**﴾ سارية **١٣**: ﴿**فيها سُررٌ مرفوعةٌ**﴾ عالية ناعمة عليها الحُور العين **١٤**: ﴿**وأكوابٌ مَوْضُوعةٌ**﴾ يعني أواني الشرب معدّة مرصدة لمن أرادَها **١٥**: ﴿**ونمارق مصفوفةٌ**﴾ وسائد **١٦**: ﴿**وزرابيُّ مبثوثةٌ**﴾ بُسط ههنا وههنا **١٧**: ﴿**أفلا ينظُرُون إلى الإبلِ كيف خُلِقَتْ**﴾؟ فإنها خلقٌ عجيب؛ فإنّها في غاية القوّة والشدّة، وهي مع ذلك تلين للقائد الضعيف **١٨**: ﴿**وإلى السماءِ كيف رُفِعَتْ**﴾؟ كما قال تعالى: ﴿أفلم ينظرُوا إلى السماء فوقَهم كيف بنيناها وزيّنّاها ومالها مِن فُرُوجٍ﴾ **١٩**: ﴿**وإلى الجبالِ كيفَ نُصِبَتْ**﴾ ثابتةً راسيةً لئلا تميد الأرضُ بأهلها **٢٠**: ﴿**وإلى الأرض كيف سُطِحَتْ**﴾ كيف بُسِطَتْ ومُدّت ومهدت؟ **٢١**: ﴿**فذكّر إنّما أنتَ مذكرٌ لستَ عليهم بمسيطر**﴾ فذكر يامحمد النّاس بما أرسلت به إليهم ﴿فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾، ولهذا قال تعالى: **٢٢**: ﴿**لستَ عليهم بمسيطرٍ**﴾ كما قال تعالى: ﴿لستَ عليهم بجبّار﴾ **٢٣**: ﴿**إلاّ مَن تولّى وكفَرَ**﴾ من تولى عن العمل بأركانه وكفرَ بالحقّ **٢٤**: ﴿**فيُعذِّبُهُ اللهُ العذابَ الأكبر**﴾ [وهي جهنّم الدائم عذابُها] **٢٥**: ﴿**إنّ إلينا إيابَهُم**﴾ مرجعهم ومنقلبهم **٢٦**: ﴿**ثم إنّ علينا حِسَابَهم**﴾ نحنُ نُحاسبهم على أعمالهم، ونجازيهم بها إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ .

---

(١) عن النعمان بن بشير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسبّحِ اسم ربّكَ الأعلى والغاشية في العيدين ويوم الجمعة. رواه مالك وأبوداود، ومسلم بنحوه.

الآية: ١٦ روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ دنيَاهُ أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرتَهُ أضرَّ بدنيَاهُ، فآثروا مايبقى على مايفنى». وروى ابن جرير أن عبد الله بن مسعود قرأ لأصحابه ﴿سبّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعلى﴾ -فلمّا بلغ- ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ ترك القراءة، وأقبل على أصحابه، وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكتَ القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأنّا رأينا زينتَها ونساءَها وطعامَها وشرابَها، وزويت عنّا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل. [وهذا منه على وجه الوعظ والتوبيخ]. /ابن كثير ج٤/٥٠١/.

سورة الفجر

ترتيبها ٨٩ آياتها ٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

تفسير سورة الفجر

١: ﴿والفجر﴾ وهو الصبح ٢: ﴿وليالٍ عشْرٍ﴾ عشر ذي الحجّة. وفي صحيح البخاري: «مامِن أيامٍ العملُ الصالحُ أحبُّ إلى اللهِ فيهنّ مِن هذه الأيام» قالوا: ولاالجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولاالجهاد في سبيل الله إلّا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» ٣: ﴿والشفعِ والوَتْرِ﴾ أقسم الله تعالى بخلقه، والخلق كلّهم شفعٌ ووَتْرٌ ٤: ﴿والليل إذا يَسْرِ﴾ إذا ذهب ٥: ﴿هل في ذلك قسم لذي حِجْرٍ﴾ لذي عقل ولُبّ ودين، وإنّما سُمّي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسانَ من تعاطي مالايليق به من الأفعال والأقوال ٦: ﴿ألم ترَ كيف فعلَ ربُّك بعادٍ﴾ كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبراً؟ ٧: ﴿إرَمَ ذاتِ العمادِ﴾؟ هؤلاء عاد الأولى، وهم ولد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح. أرسل الله إليهم هوداً عليه السلام. فأهلكهم الله بريحٍ صرصرٍ عاتية ٨: ﴿التي لم يُخلقْ مثلُها في البلاد﴾ لقوّتهم وشدّتهم وعظيم تركيبهم ٩: ﴿وثمودَ الذين جَابُوا الصخرَ بالوَادِ﴾ يعني يقطعُون الصخرَ بالوادي، ينحتُونها، كما قال تعالى: ﴿وتنحِتُون مِن الجبال بيُوتاً فارهين﴾ ١٠: ﴿وفرعونَ ذي الأوتادِ﴾ الأوتاد: الجنود الذين يشدُّون له أمره ١١: ﴿الذين طغَوْا في البلاد﴾ ١٢: ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ تمرّدوا وعتَوْا وعاثُوا في الأرض بالفساد والأذيّة للنّاس ١٣: ﴿فصبَّ عليهم ربُّك سوطَ عذابٍ﴾ أنزل الله عليهم رجزاً من السماء وأحلّ بهم عقوبةً لامردّ لها ١٤: ﴿إنّ ربّك لبالمرصادِ﴾ يعني: يرصدُ خلقه فيما يعملون ويجازي كلاً بسعيه ١٥: ﴿فأمّا الإنسانُ إذا ماابتلاهُ ربُّه فأكرمَهُ ونعمَهُ فيقولُ ربّي أكرمَنِ﴾ ١٦: ﴿وأمّا إذا ماابتلاهُ فقَدَرَ عليهِ رزقَهُ فيقولُ ربّي أهانَنِ﴾ يُنكر تعالى على الإنسان في اعتقاده إذا وسَّعَ اللهُ عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أنّ ذلك من اللهِ إكرام له، وليسَ كذلك، بل هو ابتلاءٌ وامتحان كما قال تعالى: ﴿أيحسَبون أنّما نمدّهم به من مالٍ وبنين. نُسارِعُ لهم في الخيرات بلْ لايشعرُون﴾، وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنَهُ وضيّقَ عليه في الرزق يعتقد أنّ ذلك مِن اللهِ إهانة له، كما قال تعالى: ﴿كلّا﴾ ليس الأمر كما زعم لافي هذا ولافي هذا.. إنّما المراد فيه على طاعة الله في الحالين: الشكر والصبر ١٧: ﴿كلّا بل لاتكرِمُون اليتيم﴾ [في حالة غناكم] ١٨: ﴿ولاتحاضّون على طعامِ المسكين﴾ لايأمرون بالإحسان إلى الفقراء [في حالة قلّة المال في أيديكم] ١٩: ﴿وتأكلُون التراثَ أكلاً لَمّاً﴾ يعني من أيّ جهةٍ حصل لهم من حلال أو حرام ٢٠: ﴿وتُحبّون المالَ حُبّاً جمّاً﴾ كثيراً وفاحشاً ٢١: ﴿كلّا﴾ حقّاً ﴿إذا دُكّتِ الأرضُ دَكّاً دكّاً﴾ وُطِئَتْ ومُهدت وسوّيت، وقام الخلائق من قبورهم لربِّهم ٢٢: ﴿وجاء ربُّك﴾ يعني لفصل القضاء بين خلقه [وهذا من المتشابه نُؤمن ونسلّم بالكيف إلى الله تعالى] ﴿والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ صفوفاً صفوفاً ٢٣: ﴿وجيء يومَئِذٍ بجهنّم﴾ «ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها» رواه الترمذي ﴿يومَئِذٍ يتذكّرُ الإنسانُ﴾ عمله الذي أسلفه في [حياته] ﴿وأنّى له الذكرَى﴾ وكيف تنفعه الذكرى؟

الآية: ٢ ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «مامن أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهنّ من هذه الأيام»!! يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولاالجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولاالجهاد في سبيل الله، إلاّ رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء». /ابن كثير ج٤/٥٠٥/.

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمۡسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

٢٤: ﴿يقول ياليتني قدّمتُ لحياتي﴾ يعني: يندم على كلّ ماسلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، ويَوَدُّ لو كان ازدادَ من الطاعات إن كان طائعاً **٢٥: ﴿فيومَئِذٍ لايُعذِّبُ عذابَهُ أحدٌ﴾** وليس أحدٌ أشدّ عذاباً من تعذيب الله مَن عصاه **٢٦: ﴿ولايُوثِقُ وَثَاقَهُ أحدٌ﴾** وليس أحدٌ أشدَّ قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفرَ بربِّهم عزّ وجلّ، وهذا في حقّ المجرمين والظالمين، أمّا النفس الزكية المطمئنّة فيُقال لها: **٢٧: ﴿ياأيّتها النفسُ المطمئنةُ. ارجعي إلى ربِّكِ﴾** إلى جواره وثوابه، وما أعدّ لعباده في جنّته **٢٨: ﴿ارجعي إلى ربِّكِ راضيَةً﴾** في نفسها **﴿مرضيّةً﴾** قد رضيت عن الله، ورضي اللهُ عنها وأرضاها **٢٩: ﴿فادْخُلِي في عبادِي﴾** في جملتهم **٣٠: ﴿وادْخُلِي جنّتِي﴾** وهذا يُقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أنّ الملائكة يبشّرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك ههنا.

تفسير سورة البَلَد

١: ﴿لاأُقْسِمُ بهذا البَلَدِ﴾ هذا قسمٌ من الله تعالى بمكّة في حال كون الساكن فيها حالاً، لينبّه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها **٢: ﴿وأنتَ﴾** يامحمد **﴿حِلٌّ بهذا البلد﴾** ماأصبتَ فيه فهو حلالٌ لك، من غير حرج ولاإثم؛ أحلّها اللهُ له ساعةً من نهار، ثم عادت حراماً **٣: ﴿ووالِدٍ وماوَلَدَ﴾** يعني آدم أبا البشر وولدهُ **٤: ﴿لقد خلقنا الإنسانَ في كبدٍ﴾** في نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبّد في الخلق، ثم في مكابدة الأمور ومشاقها **٥: ﴿أيحسبُ أن لن يقدرَ عليه أحدٌ﴾**؟ أيظنّ أن لن يُسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه؟ **٦: ﴿يقول أهلكتُ مالاً لُبداً﴾** انفقتُ مالاً كثيراً **٧: ﴿أيحسبُ أنْ لم يَرَهُ أحدٌ﴾** لم يَرَهُ الله؟ **٨: ﴿ألم نجعلْ له عينين﴾** يُبصر بهما **٩: ﴿ولسَاناً﴾** ينطق به فيُعبّر عما في ضميره، **﴿وشفتين﴾** يستعين بهما على الكلام والطعام وجمالاً لوجهه وفمه؟! **١٠: ﴿وهديناهُ النجدَين﴾** الطريقين: الخير والشر **١١: ﴿فلا اقتحمَ﴾** أفلا سَلَكَ **﴿العقبة﴾** التي فيها النجاة والخير؟ ثم بيّنها فقال تعالى: **١٢: ﴿وماأدراك ماالعقبة﴾**؟ **١٣: ﴿فكُّ رقبةٍ﴾** [فكها من أسر أو رِقّ] **١٤: ﴿أو إطعامٌ في يوم ذِي مسغبةٍ﴾** ذي مجاعة **١٥: ﴿يتيماً﴾** أطعم في مثل هذا اليوم يتيماً **﴿ذا مقربةٍ﴾** ذا قرابةٍ منه **١٦: ﴿أو مسكيناً ذا متربةٍ﴾** فقيراً مدقعاً الذي لابيتَ له ولاشيء يقيه من التراب **١٧: ﴿ثم كانَ من الذين آمنوا﴾** ثم هو مع هذه الأوصاف الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله **﴿وتواصَوْا بالصبرِ وتواصَوْا بالمرحمة﴾** من المتواصين بالصبر على أذى النّاس، وعلى الرحمة بهم، كما في الحديث الشريف: «الراحِمُون يرحمهم الرحمنُ، ارحمُوا مَن في الأرض يرحمْكم مَن في السماء» **١٨: ﴿أولئك أصحاب الميمَنَةِ﴾** المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين **١٩: ﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحابُ المشأمة﴾** أصحاب الشمال **٢٠: ﴿عليهم نارٌ مؤصدة﴾** مطبقة لامحيد لهم عنها.

الآية: ٢ ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ هذا البلد حرّمه اللهُ يوم خلق السمواتِ والأرضَ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لايُعضد شجره [لايُقطع] ولايُختلى خلاه [أي لايقطع نباته الرّطب] وإنّما أُحِلّتْ لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتُها اليوم كحرمتها بالأمس، ألّا فليبلّغ الشاهدُ الغائبَ». /ابن كثير ج٤/٥١١/.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

سورة الليل

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

تفسير سورة الشمس

١: ﴿**والشمسِ وضُحَاهَا**﴾ وضوئها ٢: ﴿**والقمرِ إذا تلاها**﴾ تبعها ٣: ﴿**والنّهارِ إذا جلّاها**﴾ إذا غشيها النّهار ٤: ﴿**واللّيلِ إذا يغشاها**﴾ [يغشى المعمورة بظلامه] ٥: ﴿**والسماءِ ومابناها**﴾ وبانِيها [سبحانه وتعالى] ٦: ﴿**والأرضِ وماطَحَاها**﴾ دَحاها، وخلق مافيها ٧: ﴿**ونفسٍ وماسَوّاها**﴾ خلقها على الفطرة القويمة ٨: ﴿**فألهَمَها فُجورَها وتقواها**﴾ أرشدَها الخير والشر ٩: ﴿**قد أفلحَ مَن زكّاها**﴾ بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة ١٠: ﴿**وقد خابَ مَن دَسّاها**﴾ أخملها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عزّ وجلّ ١١: ﴿**كذّبتْ ثمود بطغواها**﴾ كذبت ثمود رسولهم بسبب ماكانوا عليه من الطغيان والبغي ١٢: ﴿**إذِ انبعَثَ أشقاها**﴾ أشقى القبيلة، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فنادَوْا صاحِبَهم فتعاطى فعَقَرَ﴾ ١٣: ﴿**فقال لهم رسولُ الله**﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿**ناقةَ اللهِ**﴾ احْذَرُوا ناقةَ الله أن تمسُّوها بسوء ﴿**وسُقياهَا**﴾ لاتعتدوا عليها في سُقياها، فإنّ لها شُرْبُ يوم ولكم شرب يوم معلوم، قال تعالى: ١٤: ﴿**فكذّبُوهُ فعقرُوها**﴾ كذّبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقةَ التي أخرجها الله من الصخرة آيةً لهم وحُجّةً عليهم ﴿**فدمدمَ عليهم ربُّهم بذنبهم**﴾ غضب الله عليهم فدمّرَ الله عليهم ﴿**فسوّاها**﴾ فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء ١٥: ﴿**ولايخاف عُقباهَا**﴾ لايخاف الله من أحدٍ تبعةً [فالخلق خلقه، والعباد عباده].

تفسير سورة اللّيل

١: ﴿**والليلِ إذا يغشَى**﴾ [يُغطي الخلائق بظلمته] ٢: ﴿**والنّهارِ إذا تجلّى**﴾ بضيائه وإشراقه ٣: ﴿**وماخلقَ الذكرَ والأنثى**﴾، ولمّا كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسَم عليه أيضاً متضاداً ولهذا قال تعالى: ٤: ﴿**إنّ سعيَكم لشتى**﴾ أعمال العباد متضادة أيضاً ومتخالفة ؛ فمن فاعلٍ خيراً، ومن فاعل شراً ٥: ﴿**فأمّا مَن أعطى واتقى**﴾ أعطَى ماأُمِرَ بإخراجه، واتقى الله في أموره ٦: ﴿**وصدَّقَ بالحسنى**﴾ بلاإله إلّاالله، (والحسَنى الجنّة) ٧: ﴿**فسنيسِّرُهُ لليُسْرَى**﴾ يعني: للجنّة ٨: ﴿**وأمّا مَن بخِلَ**﴾ بما عنده ﴿**واستغنى**﴾ عن ربّه عزّ وجلّ ٩: ﴿**وكذّب بالحسنَى**﴾ بالجزاء في الآخرة ١٠: ﴿**فسنيسِّرُهُ للعُسْرَى**﴾ لطريق الشرِّ ١١: ﴿**ومايُغني عنه مالُهُ إذا تردَّى**﴾ إذا مات وتردّى في النّار ؟! ١٢: ﴿**إنّ علينا للهدَى**﴾ نبيّن الحلالَ والحرام ١٣: ﴿**وإنّ لنا للآخِرَةَ والأولى**﴾ الجميع ملكنا وأنا المتصرِّف فيهما ١٤: ﴿**فأنذرتكم ناراً تلظّى**﴾ تتوهج. روى البخاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ أهون أهلِ النّارِ عذاباً مَن لهُ نعلان وشراكانِ مِن نارٍ يغلي منهما دِماغُهُ كما يغلي المرجل، مايرى أنّ أحداً أشدَّ منه عذاباً، وإنّه لأهونهم عذاباً».

الآية: ٨ روى مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «يقولُ اللهُ عزّ وجلّ: إنّي خلقتُ عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم». فمن أخذ بإلهام التقوى فقد أفلح بتزكيتها، ومن أخذ بفجورها فقد خاب بإخمالها في المعاصي وترك الطاعات، ومَن فعل ذلك فهو الذي اجتالته الشياطين بوساوسها وإضلالها.



الجزء الثلاثون — سورة الضحى

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَى — ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ — ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

الحزب ٦٠

١٥: ﴿**لايصلاها إلّا الأشقى**﴾ لايدخلها إلّا الأشقى، ثم فسَّرَهُ فقال تعالى: ١٦: ﴿**الذي كذّبَ**﴾ بقلبه ﴿**وتولّى**﴾ أعرض عن العمل بجوارحه وأركانه ١٧: ﴿**وسيُجنّبها الأتقى**﴾ وسيزحزح عن النّار التقي النقي، ثم فسَّره تعالى بقوله: ١٨: ﴿**الذي يُؤتي ماله يـتزكّى**﴾ يصرف ماله في طاعة الله يزكي نفسَـهُ وماله وماوهبه من دينٍ ودنيا ١٩: ﴿**ومالأحدٍ عندَهُ مِن نعمة تجزَى**﴾ ليس بذله ماله في مكافأة مَن أسدى إليه معروفاً، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنّما دفعه ذلك ابتغاء وجه ربّه ٢٠: ﴿**إلّا ابتغاءَ وَجْهِ ربّه الأعلى**﴾ طمعاً في أن يحصل له رؤيته في رياض الجنّات ٢١: ﴿**ولسوف يرضى**﴾ ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

تفسير سورة الضُّحَى

١: ﴿**والضحى**﴾ هذا قسم منه تعالى بالضحى وماجعل فيه من الضياء ٢: ﴿**والليلِ إذا سَجَىٰ**﴾ سكنَ فأظلم وادلهمّ ٣: ﴿**ماوَدّعَكَ رَبُّكَ**﴾ ماتركَكَ ﴿**وماقلى**﴾ ومـاأبغضكَ ٤: ﴿**وللآخرةُ خيرٌ لكَ مِن الأولى**﴾ وللدار الآخرة خير لكَ من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أزهد الناس في الدنيا ٥: ﴿**ولسوفَ يُعطيكَ ربُّك فترضى**﴾ يعني بذلك الشفاعة ٦: ﴿**ألَمْ يجِدْك يتيماً فآوى**﴾ وذلك أنّ أباه توفي وهو في بطن أمه، ثم توفيت أمه وعمره ست سنين، ثم كان في كفالة جدّه عبد المطلب إلى أن توفي وعمره ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل ٧: ﴿**ووجدك ضالاًّ فهدى**﴾ كما قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحاً مِن أمرِنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان﴾ الآية ٨: ﴿**ووجدَك عائلاً فأغنى**﴾ كنت ذا عِيال فأغناك الله عمّن سواه ٩: ﴿**فأمّا اليتيمَ فلاتقهرْ**﴾ لاتذلّه وتنهره ولكن أحسن إليه ١٠: ﴿**وأمّا السائل فلاتنهر**﴾ رُدَّ المسكين برحمة ولين ١١: ﴿**وأمّا بنعمة ربّك فحدّث**﴾ فمن شكر النعم أن يحدّثَ بها، [أي: انشر ماأنعم الله عليك بالشكر والثناء].

تفسير سورة ألم نشرح

١: ﴿**ألم نشرحْ لكَ صدركَ**﴾؟ نورّناه [لك] ٢: ﴿**ووضعنا عنك وِزْرَك**﴾ بمعنى (ليغفر لك الله ماتقدمَ من ذنبك وماتأخر) ٣: ﴿**الذي أنقضَ ظهرَك**﴾ أثقلك حمله ٤: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ فلاأذكر إلّا ذكرت معي: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسولُ الله ٥: ﴿**فإنّ معَ العُسْرِ يُسْراً**﴾ ٦: ﴿**إنّ مع العُسْرِ يُسْراً**﴾ أخبر تعالى أنّ مع العُسْر يوجد اليُسْر، ثم أكّدَ هذا الخبر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو جاء العُسْرُ فدخل هذا الحجر، لجاءَ اليُسْر حتى يدخل عليه فيُخرجه». ٧: ﴿**فإذا فرغتَ**﴾ أي من أمور الدنيا ﴿**فانصبْ**﴾ إلى العبادة ٨: ﴿**وإلى ربّكَ فارْغَبْ**﴾ اجعلْ نيّتكَ ورغبتكَ إلى الله عزّ وجلّ.

الآية: ١٨ روى الطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وصححه عن جابر قال: قال رجلٌ: يارسول الله! أرأيتَ إنْ أدّى الرجلُ زكاةَ مالِهِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أدّى زكاةَ مالِهِ، فقد ذهَبَ عنهُ شرُّهُ»، فلايُعذّب عليه إن كان قد كسبه من حِلّهِ. روى ابن خزيمة وابن حِبّان في صحيحيهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أدّيتَ الزكاةَ فقد قضيتَ ماعليك، ومَنْ جمع مالاً حراماً، ثم تصدّق به لم يكن له فيه أجرٌ، وكان إصْرُهُ عليه» أي عليه ذنبه وإثمه. /الترغيب ج١/٥١٩ و٥٣٥/.

سورة التين
ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سورة العلق
ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۩ ﴿١٩﴾

تفسير سورة التّين

١: ﴿**والتّـين والزيتُـونِ**﴾ تينكم الذي تأكلون، وزيتوتكم الذي تعصِرون[١] **٢**: ﴿**وطورِ سِينِين**﴾ الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام **٣**: ﴿**وهذا البلد الأمين**﴾ يعني مكة **٤**: ﴿**لقد خلقنا الإنسانَ في أحسن تقويم**﴾ هذا هو المُقْسَمُ عليه؛ وهو أنّه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل **٥**: ﴿**ثم رَدَدْناهُ أسفلَ سافِلين**﴾ إلى أرذل العُمُر، بعد الحُسْن والنضارة **٦**: ﴿**إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ فمن جمع القرآن لم يُرد إلى أرذل العُمُر، ﴿**فلهم أجرٌ غير ممْنون**﴾ غير مقطوع [وهذا في الآخرة، وتلك في الدنيا] **٧**: ﴿**فما يكذِّبُك**﴾ ياابن آدم ﴿**بَعْدُ في الدِّين**﴾؟ بالجزاء في المعاد، ولقد عرفت البداءة، وعرفتَ أنّ من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأيُّ شيءٍ يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟! **٨**: ﴿**أليسَ اللهُ بأحكم الحاكمين**﴾؟ الذي لايجور ولايظلم أحداً، ومن عدله أن يُقيم القيامة فينتصِفُ للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه. وفي الحديث: «فإذا قرأ أحدُكم والتين والزيتون، فأتى آخرُها: ﴿**أليسَ اللهُ بأحكم الحاكمين**﴾ فليقلْ: وأنا على ذلك من الشاهِدِين».

تفسير سورة اقرأ[٢]

١: ﴿**اقرأ باسـمِ ربِّكَ الذي خلق**﴾ **٢**: ﴿**خلقَ الإنسانَ مِن علقٍ**﴾ هذه الآيات المباركات أوّلُ رحمةٍ رحمَ اللهُ بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان **٣**: ﴿**اقرأ وربُّكَ الأكرم**﴾ **٤**: ﴿**الذي علم بالقلم**﴾ **٥**: ﴿**علّمَ الإنسانَ مالم يعلم**﴾ وأنّ مِن كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة **٦**: ﴿**كلّا إنّ الإنسانَ ليطغَى**﴾ **٧**: ﴿**أن رآه استغنى**﴾ إن الإنسان ذو بطر وطغيان إذا رأى نفسَه قد كثر ماله، ثم توعده وتهدّده ووعظه: **٨**: ﴿**إنّ إلى ربِّكَ الرجعَى**﴾ المصير والمرجع إلى الله، وسيُحاسِبُك على مالِكَ مِن أينَ جمعتَهُ وفيمَ صرفتَهُ **١٠**: ﴿**أرأيتِ الذي ينهى عبداً إذا صلى**﴾ نزلت في أبي جهل، توعّدَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندَ البيت، فوَعَظَهُ أوّلاً فقال تعالى: **١١**: ﴿**أرأيتَ إنْ كانَ على الهدَى**﴾؟ **١٢**: ﴿**أو أمرَ بالتقوى**﴾؟ وأنتَ تزجره وتتوعده على صلاته؟ ولهذا قال تعالى: **١٣**: ﴿**أرأيتَ إنْ كذَّبَ وتولّى**﴾؟ **١٤**: ﴿**ألَمْ يعلم بأنّ اللهَ يرى**﴾؟ أمَا علم أنّ الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتمّ الجزاء؟ ثم قال تعالى متوعداً ومتهدّداً: **١٥**: ﴿**كلّا لئِنْ لَمْ ينتهِ**﴾ لئن لم يرجع عما هو فيه من العناد ﴿**لنسفعاً بالناصية**﴾ لَنَسِمَنّها سواداً يوم القيامة، ثم قال: **١٦**: ﴿**ناصيةٍ كاذبةٍ خاطِئةٍ**﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها **١٧**: ﴿**فليدعُ ناديَهُ**﴾ قومَهُ **١٨**: ﴿**سَندْعُ الزّبانِيةَ**﴾ وهم ملائكة العذاب **١٩**: ﴿**كلّا لاتطعه**﴾ يامحمد فيما ينهاك عن العبادة ﴿**واسْجُدْ واقتربْ**﴾ [أي: إلى الله عزّ وجلّ بالطاعة والعبادة].

---

(١) وفي قول كثير من المفسرين: المراد بهما مسجد دمشق، وبيت المقدس. وكأنّ المراد موضع زرعهما.

(٢) وهي أول شيء نزل من القرآن.

سُورَةُ القَدْرِ

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

تفسير سورة القدر

١: ﴿**إنّا أنزلناهُ في ليلةِ القدرِ**﴾ يخبر تعالى أنّه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عزّ وجل: ﴿إنّا أنزلناهُ في ليلة مباركة﴾، وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شهر رُمضانَ الذي أُنزلَ فيه القرآن﴾، قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملةً واحدةً من اللّوح المحفوظ إلى بيتِ العِزّة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاثٍ وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال تعالى معظّماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها: ٢: ﴿**وماأدراك ماليلةُ القدرِ**﴾؟! ٣: ﴿**ليلةُ القدرِ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ**﴾ عملها وصيامها وقيامها خيرٌ من ألف شهر ٤: ﴿**تنزّلُ الملائكة والرُّوحُ فيها بإذنِ ربِّهم مِن كلِّ أمرٍ**﴾ يكثر تنزّلُ الملائكة في هذه الليلة، لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، وأمّا الرُّوحُ ههنا فجبريل عليه السلام، ﴿**مِن كلِّ أمرٍ**﴾ [أي: قد قدّره وقضاه في تلك السنة إلى قابل] ٥: ﴿**سلامٌ هي**﴾ هي سالمة لايستطيع الشيطان أن يعمل فيها سُوءاً أو أذىً ﴿**حتى مطلع الفجر**﴾ تسلّم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر.

تفسير سورة البيّنة

١: ﴿**لم يَكُنِ الذين كفرُوا مِن أهلِ الكتابِ**﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿**والمشركين**﴾ من عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم ﴿**منفكّين**﴾ يعني منتهين حتى يتبيّن لهم الحقّ ﴿**حتى تأتِيَهُمُ البيّنةُ**﴾ هذا القرآن، ثم فسّرَ البيّنة فقال تعالى: ٢: ﴿**رسولٌ من اللهِ يتلُو صُحُفاً مطهرةً**﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ومايتلُوهُ من القرآن العظيم ٣: ﴿**فيها**﴾ في الصحف ﴿**كتبٌ قيمة**﴾ مستقيمة معتدلة ٤: ﴿**وماتفرّق الذين أوتُوا الكتابَ إلّا مِن بعدِ ماجاءتْهُمُ البيّنة**﴾ بعدما أقام الله عليهم الحُجج، فتفرّقوا واختلفوا في الذي أرادَهُ الله من كتبهم ٥: ﴿**وماأُمِرُوا إلّا ليعبُدوا الله مخلصين له الدِّين حُنفاء**﴾ متحنفين عن الشرك إلى التوحيد، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كلِّ أُمةٍ رسولاً أنِ اعبُدُوا اللهَ واجتنبُوا الطاغُوت﴾، ﴿**ويُقيمُوا الصلاةَ**﴾ وهي أشرف عبادات البدن ﴿**ويُؤتُوا الزكاةَ**﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء ﴿**وذلك دِينُ القيّمةِ**﴾ الملّة القائمة العادلة ٦: ﴿**إنّ الذين كفرُوا مِن أهلِ الكتاب والمشركين**﴾ المخالفين لكتب الله أنّهم ﴿**في نار جهنّم خالِدِين فيها**﴾ لايحولون ولايزولون ﴿**أولئكَ هم شرُّ البَريّة**﴾ شرّ الخليقة التي برأها الله وذرأها ٧: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئكَ هُم خيرُ البَريّةِ**﴾ الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم هم خيرُ البريّة، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البريّة على الملائكة، لقوله تعالى: ﴿**أولئكَ هُمْ خيرُ البريّة**﴾.

سورة القدر: روى الإمام أحمد أنّ رسول الله ﷺ سُئل عن ليلة القدر: أفي رمضان هي أم هي في غيره؟ فقال: «بل هي في رمضان». وروى مسلم في صحيحه عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنّها ليلة سبع وعشرين. وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت أنّه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «في رمضان، فالتَمِسُوها في العشر الأواخر، فإنّها في وتر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو في آخر ليلة». /ابن كثير ج٤/٥٣٣/.

وروى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ قامَ ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ماتقدّم من ذنبه» الحديث. /الترغيب ج٢/٩٠/.



جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ — ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ — ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

٨: ﴿**جزاؤُهم عندَ ربِّهم جنّاتُ عَدْنٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالِدين فيها أبداً**﴾ بلاانفصال ولاانقطاع ولافراغ ﴿**رَضيَ اللهُ عنهم ورَضُوا عنه**﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مِمّا أُوتُوه مِن النعيم المقيم، ﴿**ورَضُوا عنهُ**﴾ فيا منحهم مِن الفضل العميم، ﴿**ذلكَ لِمَنْ خشيَ ربَّهُ**﴾ هذا الجزاء حاصل لمن خشيَ اللهَ واتقاهُ حقَّ تقواه.

تفسير سورة الزَّلْزَلَة

١: ﴿**إذا زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها**﴾ تحركت من أسفلها ٢: ﴿**وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها**﴾ يعني ألقت مافيها من الموتى، وهذه كقوله تعالى: ﴿ياأيّها النّاسُ اتّقوا ربَّكم إنّ زَلْزَلَةَ الساعةِ شيءٌ عظيم﴾ ٣: ﴿**وقال الإنسانُ مالها**﴾؟ استنكرَ أمرَها بعد ماكانت ساكنة ثابتةً، أي: قد جاءَها من أمر الله تعالى ماقد أعدّه لها من الزلزلة وإلقاء مافي بطنها من الأموات ٤: ﴿**يومَئذٍ تُحدِّثُ أخبارَها**﴾ تحدِّث بما عمل العامِلُون على ظهرها، روى أحمد والترمذي بإسناد حسن صحيح: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية ثم قال: «أتدرون ماأخبارها»؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «فإنّ أخبارها أن تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أمَةٍ بما عمل على ظهرها، أن تقول: عملَ كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارُها» ٥: ﴿**بأنّ ربَّكَ أوحى لها**﴾ أذن لها ٦: ﴿**يومَئذٍ يصدُرُ النّاسُ أشتاتاً**﴾ يرجعُون عن موقف الحساب أنواعاً وأصنافاً مابين شقي وسعيد ﴿**لِيُرَوْا أعمالَهم**﴾ ليعلموا ويُجازَوا بما عملوه في الدنيا من خيرٍ وشرٍّ، ولهذا قال تعالى: ٧: ﴿**فمَنْ يعملْ مثقالَ ذَرّةٍ خيراً يَرَهُ**﴾ ٨: ﴿**ومَنْ يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شرّاً يَرَهُ**﴾، روى الإمام أحمد : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إيّاكم ومحقَّراتِ الذنوبِ، فإنّهنّ يجتمعنَ على الرجل حتى يُهلكنَهُ» .

تفسير سورة العَادِيات

١: ﴿**والعادِياتِ ضَبْحاً**﴾ يُقسم الله تعالى بالخيل إذا أُجريت في سبيله فعَدتْ وضبَحتْ، وهو صوتها حين تعدُو ٢: ﴿**فالموريات قَدْحاً**﴾ يعني اصطكاك نعالها للصخر فتقدح من النّار ٣: ﴿**فالمغيرات صُبْحاً**﴾ يعني الإغارة وقتَ الصباح ٤: ﴿**فأثَرْنَ بهِ نقعاً**﴾ يعني غباراً في مكان معترك الخيول ٥: ﴿**فوَسَطْنَ بهِ جمعاً**﴾ [أي: فوَسَطنَ بركبانهنَّ العدوّ] ٦: ﴿**إنّ الإنسانَ لربِّهِ لَكنُودٍ**﴾ هذا هو المُقسَمُ عليه، بمعنى أنّه بنعم ربِّه لكفورٌ جَحُودٌ ٧: ﴿**وإنّه على ذلكَ لشهيدٌ**﴾ وإنّ الله على ذلك لشهيدٌ ٨: ﴿**وإنّهُ لِحُبِّ الخيرِ لَشَديدٌ**﴾ [إن الإنسان] لحبّ المال لشديد قويّ، وهو حرصه عليه ٩: ﴿**أفلا يعلمُ إذا بُعْثِرَ مافي القبور**﴾؟ أخرج مافيها من الأموات.

الآية: ٧-٨ وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «اتّقوا النّار ولو بشقّ تمرة، ولو بكلمة طيبة» وله أيضاً في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «لاتحقرَنّ من المعروف شيئاً ولو أن تُفرِغَ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط» وفي الصحيح أيضاً: «يامعشر نساء المؤمنات لاتحقرنّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاةٍ» أي ظلفها. وروى أحمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «ياعائشة استتري من النّار ولو بشِقِّ تمرة، فإنّها تَسُدُّ من الجائع مَسَدَّها من الشبعان». /ابن كثير ج٤/٥٤٠/.

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

١٠: **﴿وحُصِّلَ مافي الصُّدُور﴾** يعني: أُبرز وأُظهر ماكانوا يُسِرُّون في نفوسهم ١١: **﴿إنّ ربّهم بهم يومَئِذٍ لخبيرٌ﴾** لَعَالِمٌ بجميع ماكانوا يصنَعُون ويعملون، ومجازيهم عليه أوفرَ الجزاء، ولايظلمُ مِثقالَ ذَرّةٍ، [سبحانه وتعالى].

تفسير سورة القارعة

١: **﴿القَـارِعـةُ﴾** اسمٌ من أسماء القيامة، كالحاقّةِ والطامّةِ والصّاخّة والغاشية وغير ذلك، ثم قال تعالى معظماً أمرها ومهوّلاً لشأنها: ٢: **﴿ماالقارِعَةُ﴾** ٣: **﴿وماأدْراكَ ماالقارِعَةُ﴾**؟ ثم فسَّرَ ذلك بقوله تعالى: ٤: **﴿يومَ يكونُ النّاسُ كالفراشِ المبْثوثِ﴾** في انتشارهم وتفرّقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتِهم مِمّا هم فيه، كما قال تعالى: ﴿كأنّهم جرادٌ منتشر﴾ ٥: **﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهنِ المنفُوشِ﴾** كأنّها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق. ثم أخبر تعالى عمّا يَؤول إليه عملُ العاملين، ومايصيرون إليه من الكرامة والإهانة بحسب أعمالهم فقال تعالى: ٦: **﴿فأمّا مَن ثَقُلَتْ موازِينُهُ﴾** رجحت حسنـاتُهُ على سيئاته ٧: **﴿فهو في عِيشةٍ راضيةٍ﴾** يعني في الجنّة ٨: **﴿وأمّا مَنْ خفّتْ مَوازِينُهُ﴾** رجحَتْ سيّئاتُهُ على حسناته ٩: **﴿فأمُّهُ هاوِيَةٌ﴾** الهاوية هي مأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها ١٠: **﴿وماأدْراكَ ماهِيه﴾**؟ [تهويل لشأنها] ١١: **﴿نارٌ حامية﴾** [اللّهمّ أجرنا منها].

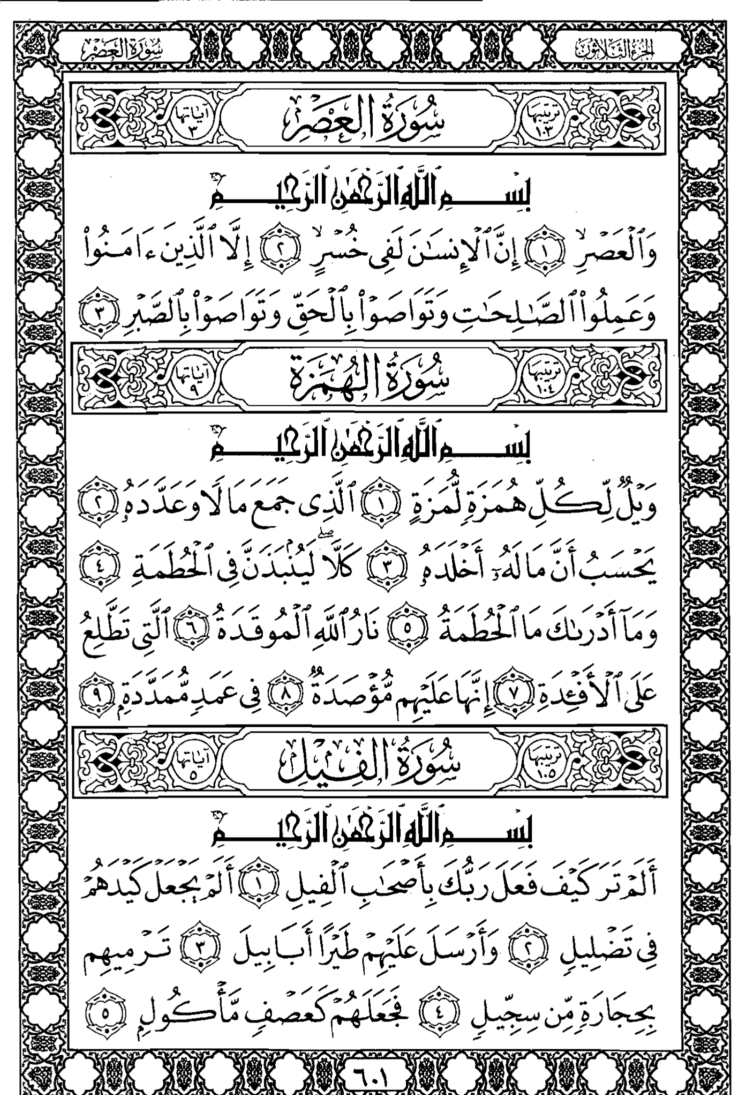
تفسير سورة التكاثر

١: **﴿ألْهاكُمُ التكاثُرُ﴾** شغلكم حُبُّ الدنيا ونعيمُها عن طلب الآخرة وابتغائها ٢: **﴿حتّى زُرْتُمُ المقابرَ﴾** حتى جاءَكُمُ الموتُ وزرتم المقابر وصُرْتم من أهلها ٣: **﴿كلّا سوف تعلمون﴾** ٤: **﴿ثم كلّا سوف تعلمون﴾** هذا وعيدٌ بعدَ وعيد، وهو للكفار ٥: **﴿كلّا لو تعلَمُون﴾** يعني أيُّها المؤمنون: لو علمتم حقَّ العلم لَمَا ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ؟! ثم قال تعالى: ٦: **﴿لَتَروُنّ الجحيمَ﴾** ٧: **﴿ثم لَتَروُنّها عَيْنَ اليَقِينِ﴾** هذا تفسيرُ الوعيد المتقدّم. ٨: **﴿ثمّ لَتُسألُنّ يومَئِذٍ عن النعيم﴾** عن الصحة والأمن والشبع، والمساكن، والأسماع والأبصار؛ يسأل الله تعالى العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، كما قال تعالى: ﴿إنّ السمعَ والبصرَ والفُؤادَ كلُّ أولئكَ كانَ عنه مَسْؤولاً﴾.

الآية: ٦ روى الترمذي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ الله سيُخلِّصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجلّاً، كلُّ سِجلٍّ مثلُ مَدِّ البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً؟ أظلَمَكَ كتبتي الحافظُون؟ يقول: لايارب، فيقول: أفلكَ عذرٌ؟ فيقول: لايارب، فيقول: بلى إنّ لك عندنا حسنةً، وإنّه لاظُلْمَ عليكَ اليوم، فيُخرَجُ بطاقةٌ فيها أشهدُ أنْ لاإله إلّا اللهُ وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، فيقول: احْضُرْ وَزْنَكَ، فيقول: ياربِّ ماهذه البطاقةُ مع هذه السِّجلّاتِ؟ فقال: فإنّكَ لاتُظلم. قال: فتُوضَعُ السّجلاّتُ في كفّةٍ والبطاقة في كفّةٍ، فطاشَتِ السّجلاتُ، وثَقُلَتِ البطاقةُ، ولايثقُلُ مع اسمِ اللهِ شيءٌ». /صحيح الترمذي ج٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤/.

سورة التكاثر: روى الترمذي بإسناد صحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللهُ غِنَاهُ في قلبهِ، وجمع له شملَهُ، وأتتْهُ الدنيا وهي راغمةٌ، ومن كانت الدنيا هَمَّهُ جعلَ الله فقرَهُ بين عينيه، وفرّقَ عليه شملَهُ، ولم يأتِهِ من الدنيا إلّا ماقُدِّرَ لهُ». وروى أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إنّ اللهَ يقولُ: ياابن آدم! تفرّغْ لعبادتي أملأْ صدرَكَ غِنًى وأسُدَّ فقرك، وإلّا تفعل ملأتُ يديكَ شُغلاً، ولم أسُدَّ فقرَكَ». /صحيح الترمذي ج٢/٣٠٠/.

وروى مسلم في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ قال: «يقولُ العبدُ: مالي مالي، وإنّما له من مالهِ ثلاثٌ: ماأكلَ فأفنى، أو لبسَ فأبلَى، أو تصدّقَ فأمضى، وماسوى ذلك فذاهب وتاركه للنّاس». /ابن كثير ج٤/٥٤٤/.



تفسير سورة العصر

١: ﴿والعصرِ﴾ العصرُ: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خيرٍ وشر؛ أقسم تعالى بذلك على أنّ الإنسان لفِي خسارة وهلاك: ٢: ﴿إنّ الإنسـانَ لفي خسْرٍ﴾ ٣: ﴿إلّا الذين آمَنُوا وعمِلُوا الصالحات﴾ فاستثنى من جنس الإنسـان عن الخُسْران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وتَوَاصَوْا بـالحقّ﴾ وهو أداءُ الطاعات، وترك المحرّمات، ﴿وتواصَوْا بالصبر﴾ على المصائب والأقدار، وأذَى مَن يُؤذي مِمّن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

تفسير سورة الهُمَزة

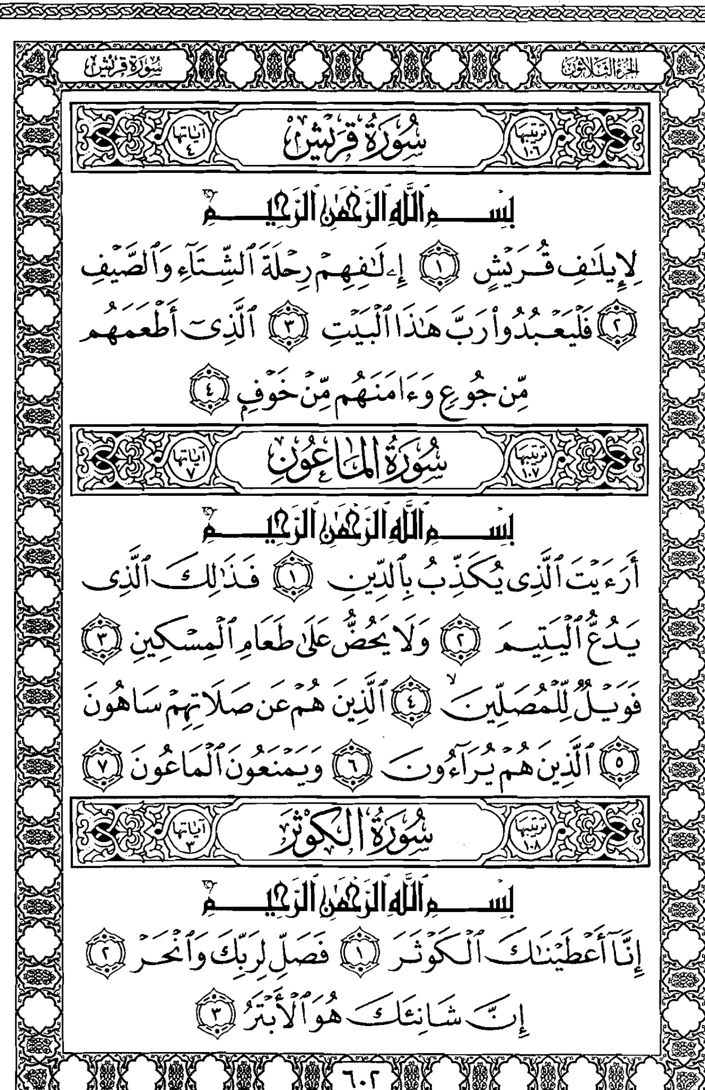
١: ﴿ويلٌ لكلِّ هُمَزةٍ لُمَزةٍ﴾ [ويلٌ: تهديد ووعيد] الهمّاز بالقول، واللّماز بالفعل، يعني الذي يزدَري النّـاس وينتقص منهـم ٢: ﴿الذي جمَعَ مالاً وعدّدَهُ﴾ جمعه بعضه على بعض وأحصى عدَدَه، كقوله تعالى: ﴿وجمع فأوعى﴾ ٣: ﴿يحسَبُ أنّ مالَهُ أخلَدَهُ﴾ يظنّ أنّ جمعه المالَ يُخلِّدُهُ في هذه الدار ٤: ﴿كلّا﴾ ليس الأمر كما زعم ولاكما حسب. ثم قال تعالى: ﴿لَيُنبَذَنّ في الحُطمةِ﴾ ليُلقَيَنّ هذا الذي جمع مالاً فعدّهُ في الحُطمة، وهي اسم طبقة من النّار؛ لأنها تحطم مَن فيها، ولهذا قال تعـالى ٥: ﴿وماأدْراكَ ماالحُطمةُ﴾؟! ٦: ﴿نـارُ اللهِ الموقدَةُ﴾ ٧: ﴿التي تطّلِعُ على الأفئِدَةِ﴾ تحرقهـم إلى الأفئدة وهم أحيـاء، تأكل كلَّ شيءٍ من جسـده حتى إذا بلغت فؤادُهُ حذوَ حلقـه ترجع إلى جسـدِهِ ٨: ﴿إنها عليهم مؤصدةٌ﴾ مطبقة ٩: ﴿في عَمَدٍ مُمَدَّدةٍ﴾ عَمَد من حديد، أي: يُعذّبون بعَمدٍ في النّار [اللّهمّ أجرنا منها].

تفسير سورة الفِيل

١: ﴿ألَمْ ترَ كيفَ فعَلَ ربُّكَ بأصحابِ الفِيلِ﴾؟ هذه من النعم التي امتنّ الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، فأبادَهم الله وأرغم آنافَهم وخيّبَ سعيَهم وردّهم بشرٍّ خيبة، ولهذا قال تعالى: ٢: ﴿ألَمْ يجعلْ كيدَهُمْ في تضليلٍ﴾ ٣: ﴿وأرسلَ عليهم طيراً أبابيلَ﴾ هي الأقاطيع كالإبل المؤبّلة، خرجت من البحر، وهي طيور سود بحرية في مناقيرها وأظافيرها الحِجارة، أمثال الخطاطيف ٤: ﴿ترميهم بحجارةٍ مِن سجّيلٍ﴾ فما يقع حجر على رأس رجلٍ إلّا خرج من دُبرِهِ. [والسّجِّيل: الشديد الكثير. والسجّيلُ كل شديد صُلبٍ] ٥: ﴿فجعلهم كعصفٍ مأكُولٍ﴾ كالتبن الذي يُجزّ للدواب.

سورة العصر: روى الطبراني عن ثابتُ بن عبيد الله بن حصن قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيَا لم يفترِقَا إلاّ على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يُسلِّمُ أحدهما على الآخر. وقال الإمام الشافعي: لو تدبّرَ النّاسُ هذه السورة لوسعَتْهُمْ!!. /ابن كثير ج٤/٥٤٧/.

سورة الهمزة: روى مسلم في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلم، لايظلِمُهُ ولايخذُلُهُ، ولايحقِرُهُ، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا ـ ويُشير إلى صدرِهِ ـ بحسْبِ امرىءٍ من الشّرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دَمُهُ وعِرْضُهُ ومالُهُ». وروى أحمد عن أبي ذرٍّ أنّ النبيّ ﷺ قال له: «انْظُرْ فإنّكَ لستَ بخيرٍ من أحمَرَ ولاأسودَ، إلا أن تفضلَهُ بتقوى». /الترغيب ج٣/٦٠٩ و٦١٢/.



الجزء الثلاثون — سورة قريش

سُورَةُ قُرَيْشٍ — ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ — ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْكَوْثَرِ — ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

تفسير سورة قريش

١: ﴿**لإيلافِ قُرَيش**﴾ اعجبُوا لإيلافِ قريش، ونعمتي عليهم في ذلك، ٢: ﴿**إيلافهم رحلَةَ الشتاءِ والصيف**﴾ لائتلافِهم واجتماعهم في بلدهم آمنين. وماكانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر، وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين. ثم أرشدَهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال تعالى: ٣: ﴿**فليعبُدُوا ربَّ هذا البيت**﴾ فليُوحِّدُوه بالعبادة كما جعل لهم حرَماً آمناً وبيتاً محرّماً ٤: ﴿**الذي أطعمهم من جُوعٍ وآمنهم مِن خَوْفٍ**﴾ هو ربّ البيت وهو الذي أطعمهم من جوع، ﴿**وآمَنَهُمْ مِن خَوْفٍ**﴾ تفضل عليهم بالأمن، فيفردوه بالعبادة وحدة لاشريك له.

تفسير سورة الماعُون

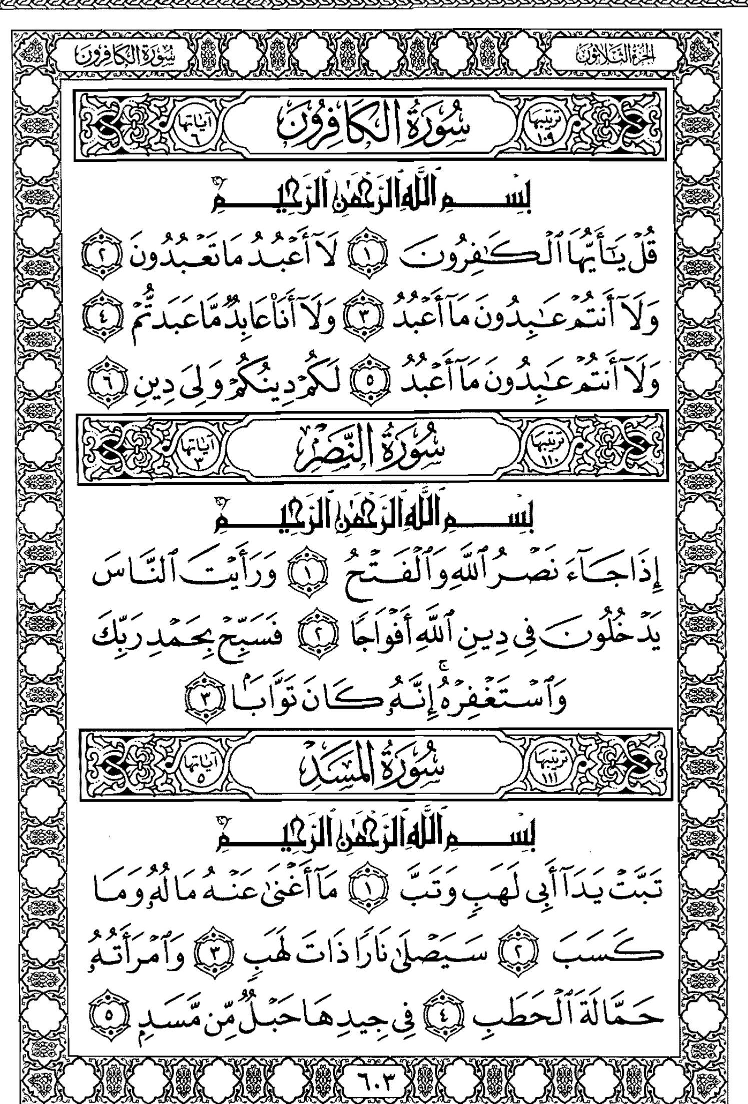
١: ﴿**أرأيتَ**﴾ ياممحد ﴿**الذي يُكذِّب بالدِّين**﴾؟ وهو المعاد والجزاء والثواب ٢: ﴿**فذلكَ الذي يدعُّ اليتيم**﴾ هو الذي يُقهر اليتيم؛ يظلمه حقَّهُ ولايُطعمه ولايُحسن إليه ٣: ﴿**ولايَحُضُّ على طعامِ المسكين**﴾ [ولايأمر بإطعام الفقير؛ لبخله وتكذيبه بالجزاء] ٤: ﴿**فويلٌ للمصلّين**﴾ ٥: ﴿**الذين هُم عن صلاتِهم سَاهُون**﴾ يعني المنافقين، الذين يصلون في العلانية ولايُصلّون في السِّر ٦: ﴿**الذين هُم يراؤُون**﴾ كما قال تعالى: ﴿إنّ المنافقين يُخادِعُون اللهَ وهو خادِعُهم وإذا قامُوا إلى الصلاةِ قامُوا كسالَى يُراؤُون النّاسَ ولايذكرُونَ اللهَ إلّا قليلاً﴾ ٧: ﴿**ويمنعُون الماعون**﴾ هم لاأحسَنُوا عبادةَ ربِّهم ولاأحسَنُوا إلى خلقه، حتى ولابإعارة مايُنتفع ويُستعان به مع بقاء عينه ورُجُوعه إليهم؛ فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولَى وأولى.

تفسير سورة الكوثر

١: ﴿**إنّا أعطيناكَ الكَوْثَرَ**﴾ قال رسول الله ﷺ: «هل تَدْرُونَ ماالكوثر»؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «هو نهر أعطانيهِ ربِّي عزّ وجلّ في الجنّة عليه خيرٌ كثير، تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيتُه عدد الكواكب» الحديث ٢: ﴿**فصلِّ لربِّكَ**﴾ كما أعطيناك الخيرَ الكثيرَ في الدنيا والآخرة، فأخلص لربِّكَ صلاتكَ المكتوبةَ والنافلةَ. ﴿**وانحر**﴾ على اسمه تعالى وحدَهُ لاشريكَ له، كما قال تعالى: ﴿قلْ إنّ صلاتي ونُسكي ومحيايَ ومَمَاتي للهِ رَبِّ العالمين لاشريكَ له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوّل المسلمين﴾ ٣: ﴿**إنّ شانِئَكَ**﴾ إنّ مبغضك يامحمد ومبغض ماجئتَ به من الهدى والحق ﴿**هُوَ الأبترُ**﴾ هو الأقلُّ الأذلُّ المنقطع.

الآية: ٤ ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ كما قال تعالى: ﴿أوَلَمْ يَرَوْا أنّا جعلنا حَرَماً آمِناً، ويُتخطَّفُ النّاسُ من حولهم﴾ ﴿فليعبدوا ربَّ هذا البيت﴾ كما قال تعالى: ﴿قلْ إنّما أُمِرْتُ أنْ أعبُدَ ربَّ هذه البلدة الذي حرَّمَهَا ولهُ كلُّ شيءٍ وأمرتُ أن أكونَ من المسلمين﴾.

الآية: ٢ ﴿فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم﴾ روى البخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافِلُ اليتيم في الجنة، هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً. وكافل اليتيم: هو الذي يقوم بأمرِهِ ويعوله ويُربّيه. واليتيم من النّاس: مَنْ مات أبوه. وسواء كان الكافل لليتيم من ذوي رحمه وأنسابه، كولد ولده ونحوه، أو كان أجنبياً لغيره تكفّل به، فإنّ أجرَهُ واحد. /جامع الأصول ج١/٤١٧ – ٤١٨/.



تفسير سورة الكَافِرُون

١: ﴿قُلْ يـاأيها الكـافِرُون﴾ هذه السـورة سـورة البراءة من العمـل الذي يعملـه المشـركون، وهي آمِرَةٌ بـالإخلاص. وهي تشـمـل كلَّ كافر على وجه الأرض، ولكنّ المواجَهُون بهذا الخطاب كفار قريش. فإنّهم من جهلهم دعوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبادة أوثانهم سنةً ويعبُدُون مَعْبُودَهُ سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكليّة، فقال: : ﴿لاأعْبُدُ ماتَعْبُدُون﴾ يعني الأصنـام والأنداد ٣: ﴿ولاأنتم عـابِدُونَ ماأعْبُدُ﴾ وهو الله وحدَهُ لاشريك له؛ أي: لاأنا أقتدي بعبادتكم، ولاأنتم تقتدون بأوامرِ الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال تعالى: ﴿إنْ يَتَّبِعون إلّا الظنَّ وماتهوَى الأنفس ولقد جاءَهُمْ مِنْ ربِّهِمُ الهُدَى﴾، فتبرأ منهم في جميع ماهم فيه، فإنّ العـابِدَ لابدّ له من معبود يعبده وعبـادة يسـلكهـا إليه؛ فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه يعبدون اللهَ بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لاإلهَ إلّا اللهُ محمدٌ رسولُ الله؛ أي: لامعبودَ إلّا الله، ولاطريق إليه إلّا ماجاء بِهِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولهذا قال تعـالى: ٤: ﴿ولاأنـا عـابِدٌ ماعبدتُم﴾ ٥: ﴿ولاأنـتم عـابِدُون مـاأعْبُدُ﴾ ٦: ﴿لكـم دِينكم﴾ الكفر ﴿وليَ دِينِّ﴾ الإسلام.

تفسير سورة النَّصْر

١: ﴿إذا جـاءَ نصرُ اللهِ والفتح﴾ [المراد بالنصر: نصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على قريش، والفتح: فتح مكة] ٢: ﴿ورأيتَ النّاس﴾ [العرب وغيرهم] ﴿يدخلُون في دينِ اللهِ أفواجاً﴾ [جماعات جماعات] ٣: ﴿فسبِّح بحمدِ ربِّكَ واستغفِرْهُ﴾ [إذا صـليتَ فأكثر من الاستغفار] ﴿إنّه كانَ توّاباً﴾ [على المسبّحين والمستغفِرين، يتوب عليهم ويرحمهم]. وروى البزار والبيهقي أنّ هذه السورة نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوسط أيام التشريق، فعرف أنّه الوداع. ودعا فاطمة وقال: «إنّه قد نُعِيت إليّ نفسي»، [فعاش بعدها صلّى الله عليه وآله وسلّم ستة أشهر تقريباً].

تفسير سورة المَسَد

١: ﴿تبَّتْ يَدَ أبي لهبٍ وتبَّ﴾ نزلت حين نادَى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قومه فاجتمعوا إليه، فقال: ﴿إنّي نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد﴾ فقال أبو لهب: ألهذا دعوتنا؟ تبّاً لك، فأنزل الله هذه السورة. وقوله تعالى: ﴿تبتْ يَدا أبي لهب﴾ خسِرَ وخاب ﴿وتبّ﴾ تحقق خسـاره وهلاكه ٢: ﴿ماأغنى عنـه ماله وماكسب﴾ يعني ماله وولده ٣: ﴿سيصـلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾ ذات شـرر وإحراق شديد ٤: ﴿وامرأتُهُ﴾ العوراء أم جميل ﴿حَمّالَةَ الحطب﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي به على زوجها ليزداد عذاباً، فقد كانت عوناً لزوجها في معاداة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ٥: ﴿في جِيدِها حبلٌ مِن مَسَدٍ﴾ طوقٌ من حديد. والمسد: الحبل من الليف أيضاً.

سورة الكافرون: جاء في صحيح مسلم أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ بها وبـ ﴿قُلْ هو الله أحد﴾ في ركعتي الفجر. وأنّه ﷺ قرأ بهما في ركعتي الطواف. وروى الطبراني أنّ رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ ﴿قُلْ ياأيّها الكافرون﴾ حتى يختمها. وروى الإمام أحمد عن الحارث بن جَبَلةَ قال: قلتُ يارسول الله! علمني شيئاً أقوله عندَ منامي، قال: «إذا أخذتَ =



الجزء الثلاثون — سورة الإخلاص

سورة الإخلاص — ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سورة الفلق — ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سورة الناس — ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

تفسير سورة الإخلاص

١: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ**﴾ نزلت هذه السورة حين قال المشركون: يامحمد انسبْ لنا ربَّكَ، فأنزل اللهُ: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ**﴾ إلى آخرها. والأحدُ: هو الواحد الذي لانظير له ولاوزير ولانديد ولاشبيه ولاعديل، ولايُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلّا على الله عزّ وجلّ؛ لأنّه الكامل في جميع صفاته وأفعاله **٢**: ﴿**اللهُ الصَّمدُ**﴾ الصمدُ: السيّد الذي قد انتهى سُؤْدُده، والباقي بعد خلقه، والصمد: الحيّ القيّوم الذي لايزول. والصمدُ: الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكُنْ له كفواً أحد **٣**: ﴿**لم يَلِدْ ولم يُولد**﴾ ليس له ولدٌ، ولاوَالِدٌ، ولاصاحبة **٤**: ﴿**ولم يكُنْ له كُفُواً أحدٌ**﴾ [لم يكن له شبيه ولاعِدْل، وليسَ كمثلِهِ شيء]. روى البخاري: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «والذي نفسي بيدِهِ إنّها [أي: هذه السورة] لتعدِلُ ثُلُثَ القرآن».

تفسير سورة الفَلَق

١: ﴿**قُلْ أعُوذ بِرَبِّ الفَلَق**﴾ بربِّ الصبح **٢**: ﴿**مِن شَرِّ مَاخلقَ**﴾ مِن شرِّ جميع ماخلق، أي: المخلوقات **٣**: ﴿**ومن شرِّ غاسِقٍ**﴾ الليل ﴿**إذا وَقَبَ**﴾ إذا أقبل بظلامه **٤**: ﴿**ومِن شرِّ النفاثات**﴾ يعني السَّوَحِرَ إذا نَفَثْنَ ﴿**في العُقَدِ**﴾ **٥**: ﴿**ومِن شرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ**﴾.

تفسير سورة الناس

١: ﴿**قُلْ أعوذُ بربِّ الناس**﴾ **٢**: ﴿**مَلِكِ النّاسِ**﴾ **٣**: ﴿**إلهِ النّاسِ**﴾ هذه ثلاث صفاتٍ مِن صفاتِ الرَّبِّ عزّ وجلّ: الربوبيّة، والمُلْك، والإلهيّة، فهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، فأمرَ المستعيذَ أن يتعوّذَ بهذه الصفات من شرِّ الوسواس الخنّاس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان **٤**: ﴿**مِن شرِّ الوسواسِ الخنّاس**﴾ وهو القرين الذي يُزيّن للإنسان الفواحِش، ولايألُوه جهداً في الخبال **٥**: ﴿**الذي يُوسوِسُ في صُدُورِ النّاس**﴾، هو الشيطان جاثِمٌ على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكرَ اللهَ خَنَسَ **٦**: ﴿**مِنَ الجنّةِ والنّاس**﴾ هذا تفسير للذي يُوسوس في صدور النّاس من شياطين الإنس والجنّ، كما قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنسِ والجنِّ يُوحِي بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرُوراً﴾.

روى الإمام أحمد: عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: يارسول الله إنّي لأُحَدِّثُ نفسي بالشيءِلأَنْ أخِرَّ مِن السماءِ أحبّ إليّ مِن أن أتكلّم به؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اللهُ أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردَّ كيدَهُ إلى الوَسْوَسةِ».[وقد ثبت عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ اللهَ عزّ وجلّ تجاوز لأمتي عمّا حدّثتْ به أنفسها ما لم تعملْ أو تتكلّمْ بهِ» أخرجه مسلم].

مضجعَكَ من اللّيل فاقرأ ﴿قُلْ ياأيُّها الكافِرُون﴾ فإنّها براءةٌ من الشرك». /ابن كثير ج٤/٥٦٠/. وأقول: إنّ هذه السورة اشتملت على التوحيد العملي الذي يتميّز به المسلم الصادق العبادةَ لله تعالى وحده عن أيِّ عابدٍ تَدَاخَلَ عليه شيءٌ من الشركِ الأكبر أو الشرك الأصغر، كما أنّ سورة الإخلاص قد اشتملت على التوحيد العلمي، الذي يُنير العقيدة ويجعلها صافيةً ناصعةً خالصة من كل شائبة من شوائب الباطل وشبهات الضلالة. ومن هذا نُدرك كبير عناية واهتمام رسول الله ﷺ بهاتين السورتين، فكان ﷺ يفتتح بهما صلاته قبل فريضة الفجر، كما كان يختم بهما صلاة اليوم حين كان يُواظب عليهما في صلاة الوتر آخر اللّيل!!.



دُعَاءُ خَتْمِ القُرْآنِ

اللَّهُمَّ ٱرْحَمْنِي بِالقُرْءَانِ وَٱجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَٱرْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَٱجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَارَبَّ العَالَمِينَ ❊ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَٱجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَٱجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِن كُلِّ شَرٍّ ❊ اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ ❊ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ ❊ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ العِلْمِ وَخَيْرَ العَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الحَيَاةِ وَخَيْرَ المَمَاتِ وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي وَحَقِّقْ إِيمَانِي وَٱرْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَٱغْفِرْ خَطِيئَاتِي

وَأَسْأَلُكَ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ

وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالْفَوْزَ

بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ * اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا

وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ * اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ

خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا

بِهَا جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا

بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ

ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي

دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا

مَنْ لَا يَرْحَمُنَا * اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا

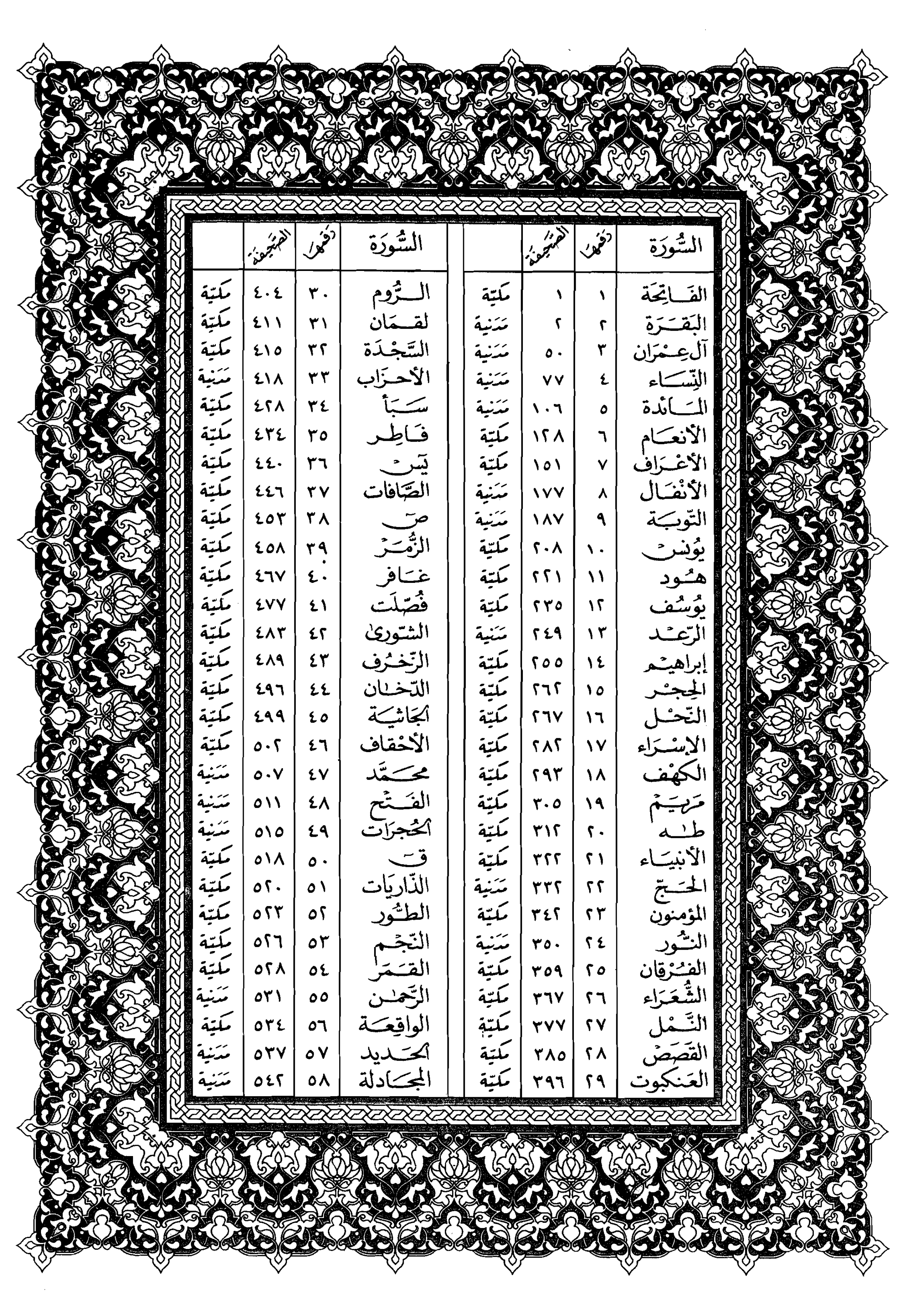
فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا

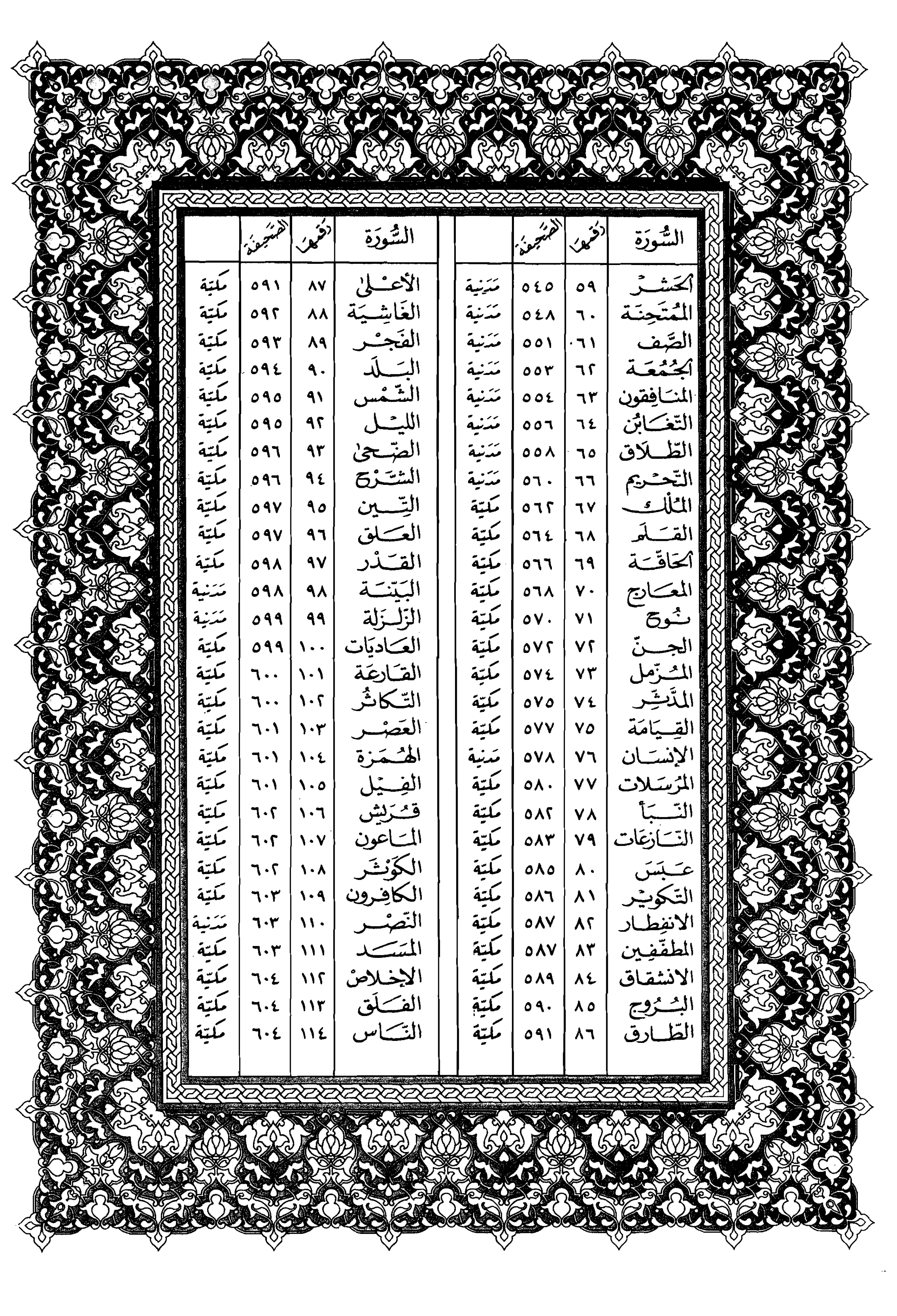
وَالْآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * رَبَّنَا آتِنَا فِي

الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ

الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا





علامات الوقف ومصطلحات الضبط :

مـ تفيد لزوم الوقف

لا تفيد النهي عن الوقف

صلى تفيد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف

قلى تفيد بأن الوقف أولى

ج تفيد جواز الوقف

∴ ∴ تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما

ه للدلالة على زيادة الحرف وعدم النطق به

ه للدلالة على زيادة الحرف حين الوصل

ـ للدلالة على سكون الحرف

م للدلالة على وجود الإقلاب

ً للدلالة على إظهار التنوين

ً للدلالة على الإدغام والإخفاء

ا للدلالة على وجوب النطق بالحروف المتروكة

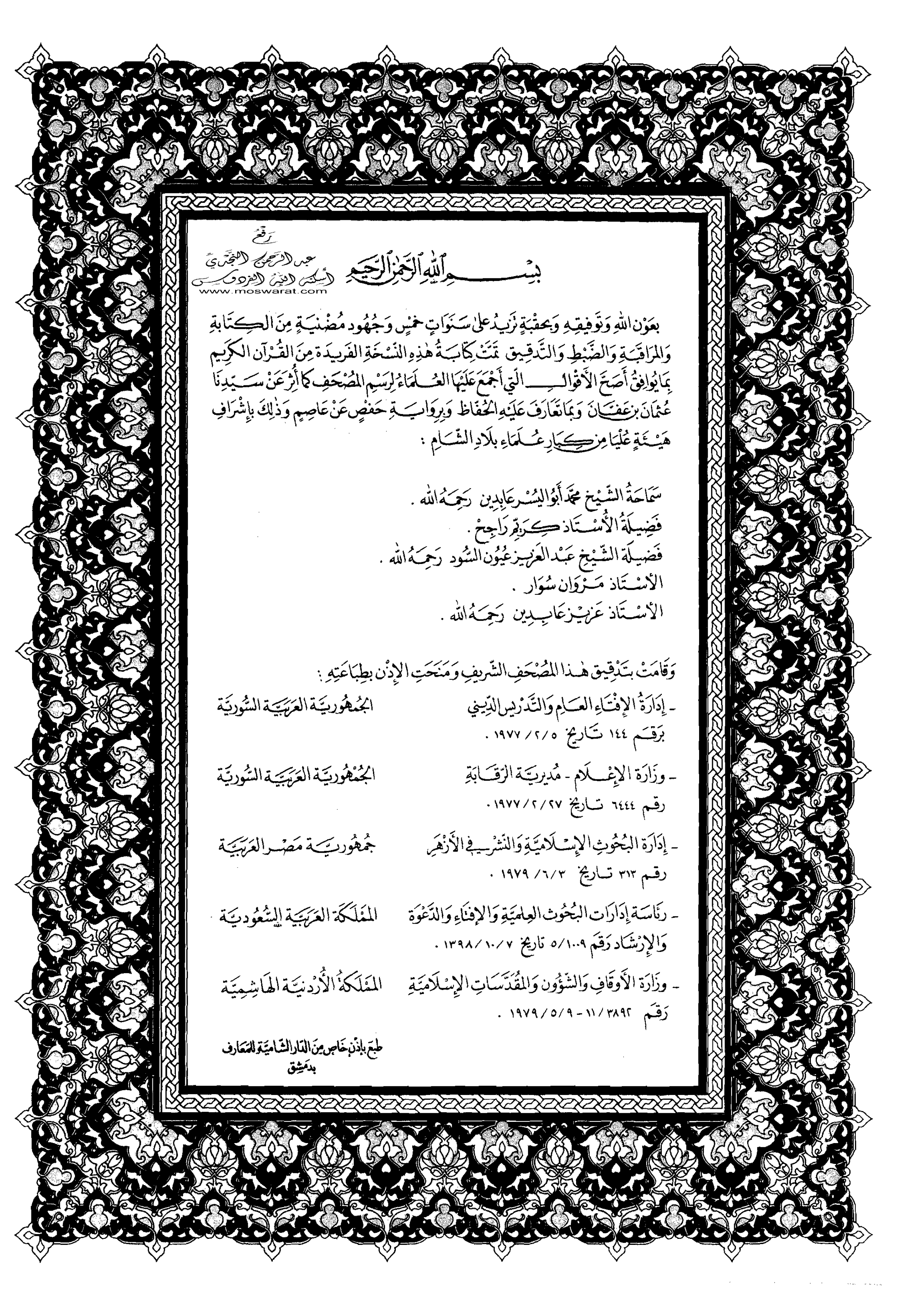
س للدلالة على وجوب النطق بالسين بدل الصاد
وإذا وضعت بالأسفل فالنطق بالصاد أشهر

~ للدلالة على لزوم المد الزائد

۩ للدلالة على موضع السجود ، أما كلمة وجوب السجود
فقد وضع تحتها خط

۞ للدلالة على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها

(٤) للدلالة على نهاية الآية ورقمها .



رقمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

بعون الله وتوفيقه وبحقبة تزيد على سنوات خمس وجهود مضنية من الكتابة والمراقبة والضبط والتدقيق تمت كتابة هذه النسخة الفريدة من القرآن الكريم بما يوافق أصح الأقوال التي أجمع عليها العلماء لرسم المصحف كما أثر عن سيدنا عثمان بن عفان وبما تعارف عليه الحفاظ وبرواية حفص عن عاصم وذلك بإشراف هيئة عليا من كبار علماء بلاد الشام :

سماحة الشيخ محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله .
فضيلة الأستاذ كريم راجح .
فضيلة الشيخ عبد العزيز عيون السود رحمه الله .
الأستاذ مروان سوار .
الأستاذ عزيز عابدين رحمه الله .

وقامت بتدقيق هذا المصحف الشريف ومنحت الإذن بطباعته :

- إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني — الجمهورية العربية السورية
برقم ١٤٤ تاريخ ٥/٢/١٩٧٧ .

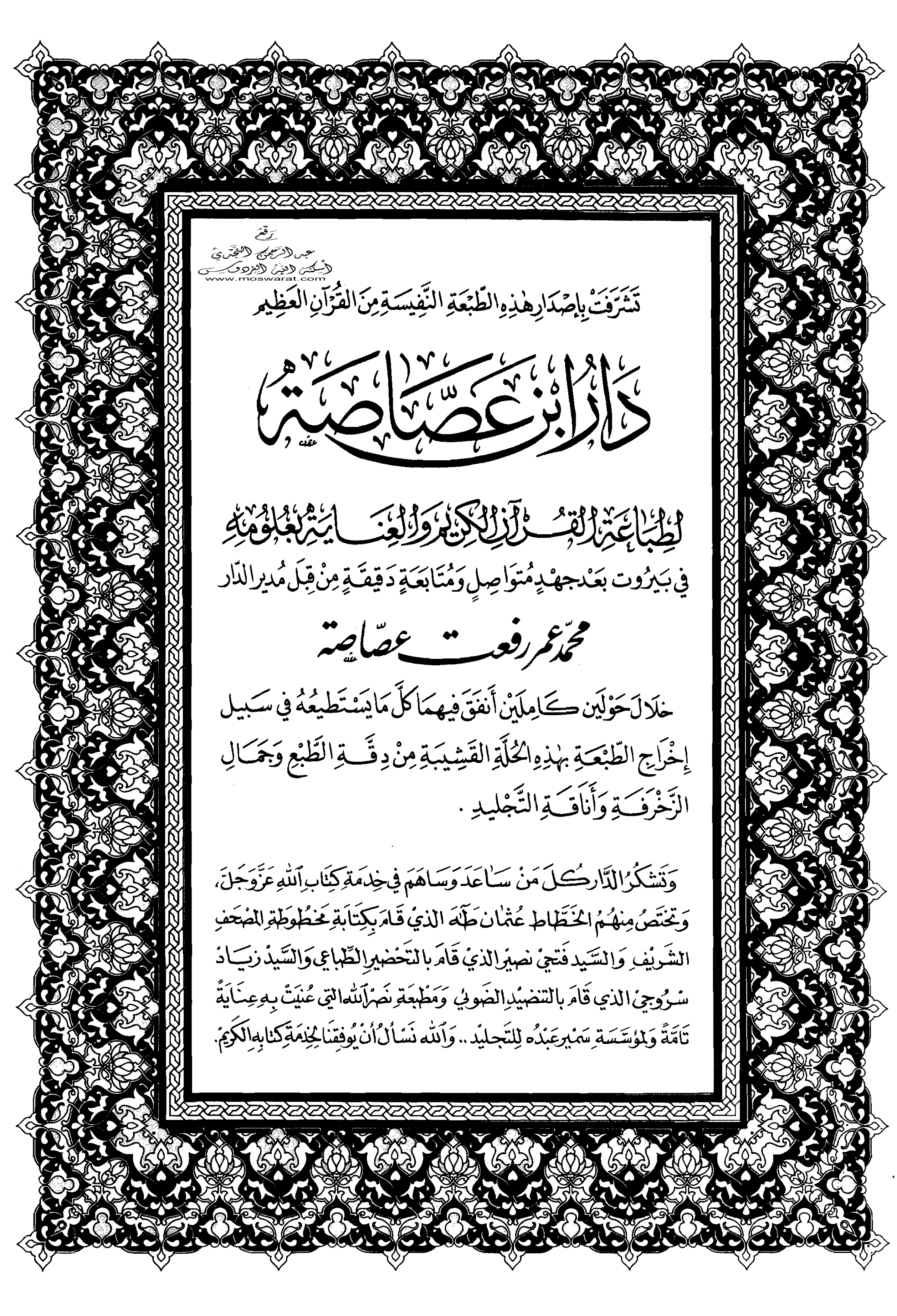
- وزارة الإعلام - مديرية الرقابة — الجمهورية العربية السورية
رقم ٦٤٤٤ تاريخ ٢٧/٢/١٩٧٧ .

- إدارة البحوث الإسلامية والنشر في الأزهر — جمهورية مصر العربية
رقم ٣١٣ تاريخ ٣/٦/١٩٧٩ .

- رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد — المملكة العربية السعودية
رقم ٥/١٠٠٩ تاريخ ٧/١٠/١٣٩٨ .

- وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية — المملكة الأردنية الهاشمية
رقم ١١/٣٨٩٢ - ٩/٥/١٩٧٩ .

طبع بإذن خاص من الدار الشامية للمعارف
بدمشق



تشرفت بإصدار هذه الطبعة النفيسة من القرآن العظيم

دار ابن عصاصة

لطباعة القرآن الكريم والعناية بعلومه

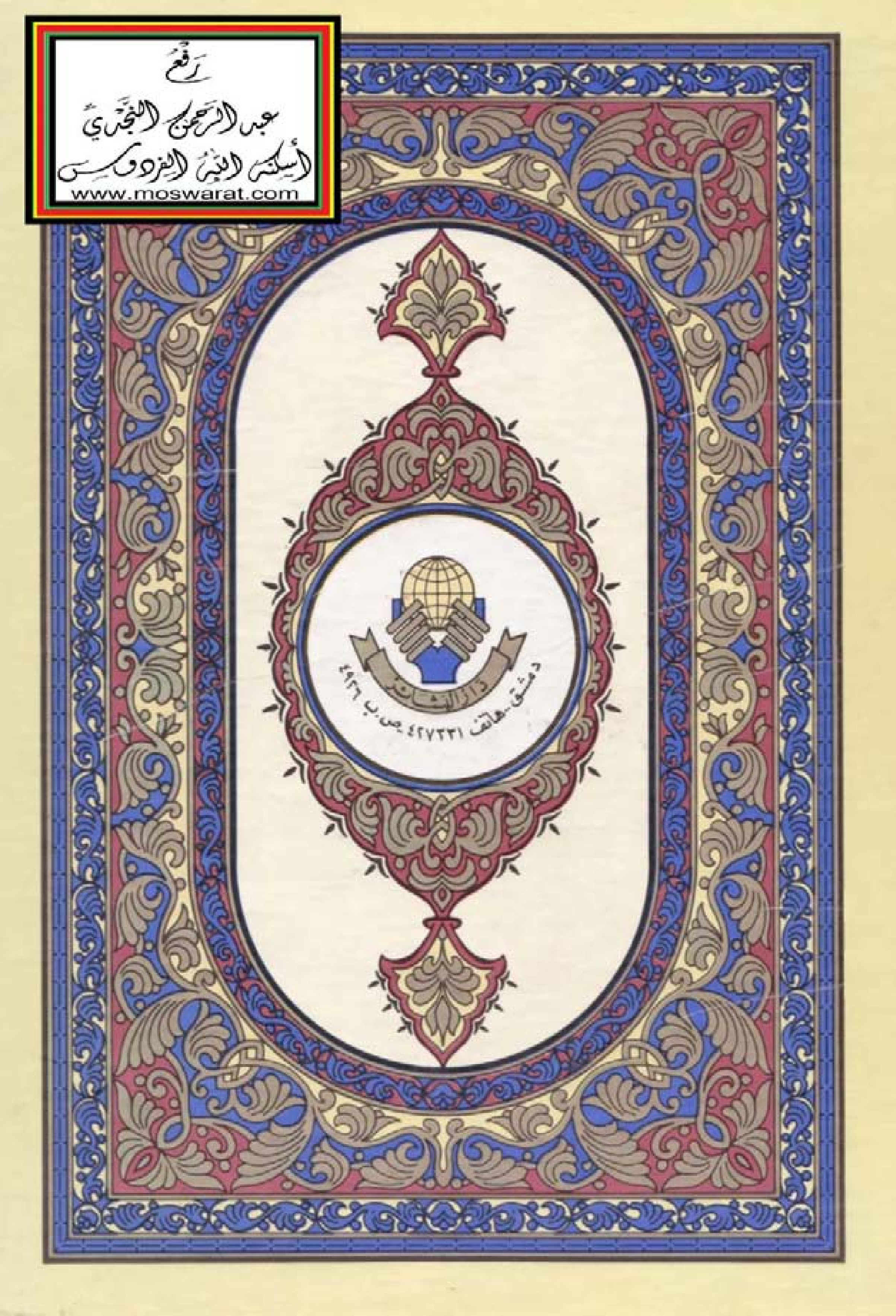
في بيروت بعد جهد متواصل ومتابعة دقيقة من قبل مدير الدار

محمد عمر رفعت عصاصة

خلال حولين كاملين أنفق فيهما كل ما يستطيعه في سبيل إخراج الطبعة بهذه الحلة القشيبة من دقة الطبع وجمال الزخرفة وأناقة التجليد.

وتشكر الدار كل من ساعد وساهم في خدمة كتاب الله عز وجل، وتخص منهم الخطاط عثمان طه الذي قام بكتابة مخطوطة المصحف الشريف والسيد فتحي نصير الذي قام بالتحضير الطباعي والسيد زياد سروجي الذي قام بالتنضيد الضوئي ومطبعة نصر الله التي عنيت به عناية تامة ولمؤسسة سمير عبده للتجليد.. والله نسأل أن يوفقنا لخدمة كتابه الكريم.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
دار القلم
دمشق - هاتف ٤٢٧٢٣١ ص.ب ٤٥٢٣